

مكتتاب

شفاء العليل

في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

تأليف

الامام العالم العلامة المتقن الحافظ الناقد شمس الدين
أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر المعروف بابن القيم
الجوزية الحنبلي المتوفى سنة ٧٥١ تغمده الله برحمته

(عني بتصحيحه)

السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي

الطبعة الاولى

على نفقة السادات أحمد نايجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه

سنة ١٣٢٣

طبع بالمطبعة الحسينية المصرية

بجوار مسجد الامام الحسين رضي الله تعالى عنه

لصاحبها ومدير ادارتها محمد عبد اللطيف الخطيب

DEC 20 1966

1151321

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الافضال والانعام * وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والائمة الاعلام
(امام بعد) فان أهم ما يجب معرفته على المكلف التبديل فضلا عن الفاضل الجليل * ماورد في القضاء والقدر
والحكمة والتعليم * فهو من اسنى المقاصد والايمان به قطب رحي التوحيد ونظامه * ومبدأ الدين الميه
وخاتمه * فهو أحد أركان الايمان * وقاعدة أساس الاحسان * التي يرجع إليها * ويدور في جميع
تصاريقه عليها * فالعدل قوام الملك * والحكمة مظهر الحمد * والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة *
وكمال النعمة * ولا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * فالقدر
والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين * أله الأمر والحق تبارك الله رب العالمين *

فصل في جماهير الغناء في هذا الباب في كل * وأخذوا في كل طريق *
وتولجوا كل مضيق * وركبوا كل صعب وذلوا * وقصدوا الوصول الى معرفته * والوقوف على
حقيقته * وتكلمت فيه الامم قديما وحديثا * وساروا للوصول الى مغزاه سيرا حثيثا * وخاضت فيه
الفرق على تباينها واختلافها * وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها * فلا أحد الا وهو
يحدث نفسه بهذا الشأن * ويطلب الوصول فيه الى حقيقة العرفان * فتراها مترددا فيه مع نفسه * أو
مناظرا لبنى جنسه * وكل قد اختار لنفسه قولا لا يعتقد الصواب في سواه * ولا يرتقى الاياه * وكلهم
الآمن تسمك بالوحي عن طريق الصواب مردود * وباب الهدى في وجهه مسدود * تحذى علما غير
طائل * وارتوى من ماء آجن * قد طاف على أبواب الافكار * ففاز بأخس الآراء والمطالب * فرح
بما عنده من العلم الذي لا يسمن ولا يفتني من جوع * وقدم آراء من أحسن به الظن على الوحي المنزل
المشروع * والنص المرفوع * حيران يأثم بكل حيران * يحسب كل شراب ماء فهو طول عمره ظمآن

* ينادى الى الصواب من مكان بعيد* أقبل الى الهدى فلا يستجيب الى يوم الوعيد* قد فرح بما عنده من الضلال* وقع بانواع الباطل وأصناف المحال* منه الكفر الذى اعتقده هدى وما هو بالغه عن الهداة المهتدين* ولسان حاله أوقاله يقول أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أليس الله أعلم بالشاكرين*

فصل ١٠ - ولما كان الكلام في هذا الباب نفيا وإثباتا موقوفاً على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره وأسعد الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المين ورغب لعله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوِّكين وتشكيكات المشككين وتكلفات المتطعين واستطرديم هداية من كلمات أعلم الخلق رب العالمين فان كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وفي غيره كفت وشتت وجمعت وفترقت وأوضحت وبيّنت وحلت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن ثم تلاه أصحابه من بعده على نهجه المستقيم وطريقه القويم نجّات كلماتهم كافية شافية مختصرة نافعة لقرب العهد ومباشرة التلقن من تلك المشكاة التي هي مظهر كل نور ومنبع كل خير وأساس كل هدى ثم سلك آثارهم التابعون لهم باحسان فافقوا طريقهم وركبوا منهاجهم واهتدوا بهداهم ودعوا الى مآدعوا اليه ومضوا على ما كانوا عليه ثم نبغ في عهدهم وأواخر عهد الصحابة القديرية مجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر وأن الأمر أنف فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلها ومن شاء بحسبها حظها وأهلها ومن شاء وفقها للخير وكملها كل ذلك مردود الى مشيئة العبد ومقتطع من مشيئة العزيز الحميد فأنبتوا في ملكه ما لا يشاء وفي مشيئته ما لا يكون ثم جاء خائف هذا السالف فقرروا مأسسه أولئك من نفى القدر وسموه عدلا وزادوا عليه نفى صفاته سبحانه وحقائق أسمائه وسموه توحيدا فالعدل عندهم اخراج أفعال الملائكة والانس والجن وحركاتهم وأقوالهم وأراداتهم من قدرته ومشيئته وخلقه والتوحيد عند متأخريهم تعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله وأنه لا سمع له ولا بصير ولا قدرة ولا حياة ولا ارادة تقوم به ولا كلام ماتكلم ولا يتكلم ولا أمر ولا يأمر ولا قال ولا يقول إن ذلك إلا أصوات وحروف مخلوقة منه في الهواء أو في محل مخلوق ولا استوى على عرشه فوق سبواته ولا ترفع اليه الأيدي ولا تخرج الملائكة والروح اليه ولا ينزل الأمر والوحي من عنده وليس فوق العرش إله يعبد ولا رب يصلى له ويسجد ما فوقه إلا العدم المحض والنفي الصرف فهذا توحيدهم وذلك عدلهم

فصل ١١ - ثم نبغت طائفة أخرى من القديرية ففتت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أن حركته الاختيارية ولاختيار كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركات الأمواج وأنه على الطاعة والمعصية مجبور وأنه غير ميسر لما خلق له بل هو عليه مقسور ومجبور ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين ولمهاجهم مقتفين فقرروا هذا المذهب واتموا اليه وحققوه وزادوا عليه أن تكليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف ما لا يطاق وأنها في الحقيقة كتكليف المقعد أن يرقى الى السبع الطابق والتكليف بالإيمان وشرائعه تكليف بما ليس من فعل العبد ولا هو له بمقدور وإنما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق وهو على كل شيء قدير فكأن عباده بأفعاله وليسوا عليها قادرين ثم عاقبهم عليها وليسوا في الحقيقة لها فاعلين ثم تلاهم على آثارهم محققوهم من العباد فقالوا ليس في الكون

معصية البتة إذ الفاعل مطيع للإرادة موافق للمراد كما قيل

أصبحت منفعلًا لما يختاره منى فعلى كله طاعات

ولما وبعض هؤلاء على فعله فقال إن كنت عصيت أمره فقد أطعت إرادته ومطيع الإرادة غير ملوم وهو في الحقيقة غير مذموم وقرر محققوهم من المتكلمين هذا المذهب بأن الإرادة والمشية والحجة في حق الرب سبحانه هي واحد فحجته هي نفس مشيئته وكل ما في الكون فقد أَرَادَهُ وشاءه وكل ما شاء فقد أحبه وأخبرني شيخ الإسلام قدس الله روحه أنه لام بعض هذه الطائفة على حجة ما يعضه الله ورسوله فقال له الملوم الحجة نار تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب وجميع ما في الكون مراده فأنى شئ أنقض منه قال الشيخ فقلت له إذا كان قد سخط على أقوام ولعنهم وغضب عليهم وذمهم فواليتهم أنت وأحببتهم وأحييت أفعالهم ورضيتهم تكون مواليا له أو معاديا قال فهت الجبرى ولم ينطق بكلمة وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنّة ناصرون وللقدر مثبتون ولأقوال أهل البدع مبطلون هذا وقد طووا بساط التكليف وطففوا في الميزان غاية التطفيف وحملاؤنا ذمهم على الانذار وبرأوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والاوزار وقالوا إنها في الحقيقة فعل الخلاق العايم وإذا سمع المئز له ربّه هذا قال سبحانه هذا بهتان عظيم فالشر ليس إليك والخير كله في يديك ولقد ظننت هذه الطائفة بالله أسوأ الظن ونسبته إلى أقبح الظن وقالوا إن أوامر الرب ونواهيه كتكليف العبد أن يرقى فوق السموات وكتكليف الميت إحياء الأموات والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل مالا يقدرّون على تركه وعلى ترك مالا يقدرّون على فعله بل يعاقبهم على نفس فعله الذى هو لهم غير مقدور وليس أحد ميسر له بل هو عليه مقهور ونرى العارف منهم يشد مترنما ومن ربه متشكيا ومتظالما

ألقاه في المم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبطل بالماء

وليس عند القوم في نفس الأمر سبب ولا غاية ولا حكمة ولا قوة في الاجسام ولا طبيعة ولا غريزة فليس في الماء قوة التبريد ولا في النار قوة التسخين ولا في الأغذية قوة الغذاء ولا في الأدوية قوة الدواء ولا في العين قوة البصار ولا في الاذن قوة السماع ولا في الانف قوة الشم ولا في الحيوان قوة فاعلة ولا جاذبة ولا ممسكة ولا دافعة والرب تعالى لم يفعل شيئا بشئ ولا شيئا لشيء فليس في أفعاله بآء تسبب ولا لام تعليل وموارد من ذلك فمحمول على بآء المصاحبة ولام العاقبة وزادوا على ذلك أن الافعال لا تتقسم في نفسها إلى حسن وقبيح ولا فرق في نفس الأمر بين الصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والسجود للرحمن والسجود للشيطان والاحسان إلى الخلق والاساءة اليهم ومسبة الخلق والتآء عليه وانما نعلم الحسن من ذلك من القبيح بمجرد الأمر والنهى ولذلك يجوز النهى عن كل ما أمر به والأمر بكل ما نهى عنه ولو فعل ذلك لكان هذا قبيحا وهذا حسنا وزاد بعض محققهم على هذا أن الاجسام كلها مائة فلا فرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب ولا بين المسك والريح واما تفرق بصفاتهما واعراضهما مع تماثلهما في الحد والحقيقة وزادوا على ذلك بأن قالوا الاعراض كلها لا تبقى زمانين ولا تستقر وقتين فاذا جمعت بين قولهم بعدم بقاء الاعراض وقولهم بتماثل الاجسام وتساوى الافعال وان العبد لا فعل له البتة وأنه لا سبب في

الوجود ولا قوة ولا غريزة ولا طبيعة وقولهم ان الرب تعالى ليس له فعل يقوم به وفعله غير مفعوله وقولهم انه ليس بمباين خلقه ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه وقولهم انه لا يتكلم ولا يكلم ولا قال ولا يقول ولا يسمع أحد خطابه ولا يسمعه ولا يراهم المؤمنون يوم القيامة جمهرة بأبصارهم من فوقهم أتجنت لك هذه الاصول عقلا يعارض السمع ويناقض الوحي • وقد أوصاك الاشياخ عند التعارض بتقديم هذا المعقول على ما جاء به الرسول

فلو أني بليت بهاشمي خولته بنو عبيد المدان

لهان على مآلتي ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

فصل ولما كانت معرفة الصواب في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليم واقعة في مرتبة الحاجة بل في مرتبة الضرورة اجتهدت في جمع هذا الكتاب وتهذيبه وتحريره وتقريبه فجاء فردا في معناه بديعا في مغزاه وسميته (شفاء العليل • في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليم) وجعلته أبوابا (الباب الاول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض) (الباب الثاني في تقدير الرب تعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد الأول) (الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم) (الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه) (الباب الخامس في التقدير الرابع ليلية القدر) (الباب السادس في ذكر التقدير الخامس اليومي) (الباب السابع في ان سبق المقادير بالسعادة والشقاوة لا يقتضي ترك الاعمال بل يوجب الاجتهاد والحرص لأنه تقدير بالاسباب) (الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبق لهم منا الحسن) (الباب التاسع في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر) (الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من استكمل معرفتها والايان بها فقد آمن بالقدر وذكر المرتبة الاولى) (الباب الحادي عشر في ذكر المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة الكتابة) (الباب الثاني عشر في ذكر المرتبة الثالثة وهي مرتبة المشيئة) (الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة وهي مرتبة خلق الاعمال) (الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهما) (الباب الخامس عشر في الطبع والحتم والقفل والغل والسد والشقاوة ونحوها وانه مفعول الرب) (الباب السادس عشر في تفرد الرب بالخلق للذات والصفات والافعال) (الباب السابع عشر في الكتب والحبر ومعناها لغة واصطلاحاً واطلاقاً مضافاً وانباتاً) (الباب الثامن عشر في فعل وافعل في القضاء والقدر وذكر الفعل والافتعال) (الباب التاسع عشر في ذكر مناظرة بين جبري وسني) (الباب العشرون في مناظرة بين قدري وسني) (الباب الحادي والعشرون في تنزيه القضاء الالهي عن الشرود دخوله في المقتضى) (الباب الثاني والعشرون في طرق اثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي فعل وأمر لاجلها وهو من أجل أبواب الكتاب) (الباب الثالث والعشرون في استيفاء شبه نفاة الحكمة وذكر الاجوبة المنفصلة عنها)* (الباب الرابع والعشرون في معنى قول السلف في الايمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره) (الباب الخامس والعشرون في بيان بطلان قول من قال ان الرب تعالى يريد للشر وفاعل له وامتناع اطلاق ذلك تقياً وانباتاً) (الباب السادس والعشرون في ابدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ برضائك من سخطك وأعوذ

بغفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك من تحقيق القدر وأنبأته واسرار هذا الدعاء) * (الباب السابع والعشرون في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد تحت قوله ماض في حكمك عدل في قضاؤك وما تضمنه الحديث من قواعد الدين) (الباب الثامن والعشرون في أحكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه) (الباب التاسع والعشرون في انقسام القضاء والقدر والارادة والكتابة والحكم والامر والاذن والجعل والكلمات والبعث والارسال والتحرير والعطاء والمنع الى كوني يتعلق بخلقه ودينى يتعاق بأمره وما في تحقيق ذلك من ازالة اللبس والاشكال) (الباب العاشر في الفطرة الاولى التى فطر الله عباده عايبها وبيان أنها لاتنافي القضاء والعدل بل توافقه وبجامعه) * وهذا حين الشروع في المقصود فما كان فيه من صواب فمن الله وحده هو المأمون به وما كان فيه من خطأ فنى ومن الشيطان والله برى منه ورسوله

فيأياها المتأمل له الواقع عليه لك غنمه * وعلى مؤلفه غرمه * ولك فائدته * وعليه عائدته * فلا تمحل بأنكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته ولا يحملك شأن مؤلفه وأصحابه على ان تحرم ما فيه من الفوائد التى لعلك لاتظفر بها في كتاب ولعل أكثر من تعظمه ماتوا بحسرتها ولم يصلوا الى معرفتها والله يقسم فضله بين خلقه بعلمه وحكمته وهو العليم الحكيم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الباب الاول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرضه على الماء رواه مسلم في الصحيح وفيه دليل على أن خلق العرش سابق على خلق القلم وهذا أصح القولين لما روى أبو داود في سننه عن أبي حفصة الشامي قال قال عبادة بن الصامت لابنه يابن إنك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة يابن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس منى وكتابة القلم للقدر كان في الساعة التى خلق فيها لما رواه الامام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت قال حدثني أبى قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبا عبد الله أوصني واجتهدلى فقال اجلسونى فلما أجلسوه قال يابن إنك لن تجد طعم الايمان ولن تباق حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا أبا عبد الله وكيف لي أن أعلم ما خبر القدر وشره قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يابن إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال أكتب تجزى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة يابن ان مت ولست على ذلك دخلت النار * وهذا الذى كتبه القلم هو القدر لما رواه ابن وهب أخبرني عمر بن محمد أن سايان بن مهران حدثه قال قال عبادة بن الصامت ادعوا لي ابني وهو يموت لعلى أخبره بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول شئ خلقه الله من خلقه القلم فقال له أكتب فقال يارب ماذا أكتب قال القدر قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار* وعن عبد الله بن عباس قال كنت
 خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني أعلمك كلمات إ حفظ الله يحفظك الله يحفظك الله
 تجده تجاهك اذا سألت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك
 بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشئ قد كتبه
 الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح* وعن أبي هريرة
 قال قلت يا رسول الله اني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت
 عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر رواه البخاري في صحيحه قال
 حدثنا أصبغ ثنا ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة
 ورواه ابن وهب في كتاب القدر وقال فيه فائذن لي أن احتجى قال فسكت عني حتى قلت ذلك
 ثلاث مرات فقال جف القلم بما أنت لاق وقال أبو داود الطيالسي ثنا عبد المؤمن هو ابن عبد الله قال
 كنا عند الحسن فأتاه يزيد بن أبي مريم السلولي يتوكأ على عصا فقال يا أبا سعيد أخبرني عن قول الله
 عز وجل (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) فقال الحسن
 نعم والله ان الله ليقضي القضية في السماء ثم يضرب لها أجلا انه كائن في يوم كذا وكذا في ساعة كذا
 وكذا في الخاصة والعامة حتى ان الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها الا بقضاء وقدر قال يا أبا سعيد والله
 لقد أخذتها واتى عنها الغنى ثم لاصبر لي عنها قال الحسن أو لا ترى* واحتلف في الضمير في قوله من قبل
 أن نبرأها فقيل هو عائد على النفس لقربها منه وقيل هو عائد على الارض وقيل عائد على المصيبة
 والتحقيق أن يقال هو عائد على البرية التي تعم هذا كله ودل عليه السياق وقوله نبرأها فينظم
 التقادير الثلاثة انتظاما واحدا والله أعلم* وقال ابن وهب أخبرني عمر بن محمد أن سليمان بن مهران
 حدثه قال قال عبد الله بن مسعود إن أول شيء خلقه الله عز وجل من خلقه القلم فقال له أكتب
 فكتب كل شيء يكون في الدنيا الى يوم القيامة فيجمع بين الكتاب الاول وبين أعمال العباد فلا
 يخالف الفاء ولا الواو ومما* وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور شيء اهتدى
 ومن أخطأ ضل قال عبد الله فذلك أقول جف القلم بما هو كائن رواه الامام أحمد وقال أبو داود
 حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد قال أخبرني أبي قال سمعت الازداعي قال حدثني ربيعة بن يزيد
 ويحيى بن أبي عمرو الشيباني قال حدثني عبد الله بن فيروز الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو
 ابن العاص وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط فقلت خصال باقتنى عنك تحدث بها عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر لم تقبل توبته أربعين صباحا وان الشق من شق في بطن
 أمه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من
 نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأ ضل فذلك أقول جف القلم على علم الله
 ورواه الامام أحمد في مسنده أطول من هذا عن عبد الله بن فيروز الديلمي قال دخلت على عبد الله
 ابن عمرو وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو محاضر فقي من قرش يزن بشرب الخمر

فقلت بلغنى عنك حديث أن من شرب شربة خمر لم تقبل توبته أربعين صباحا وإن الشقي من شقي في بطن أمه وإن من أتى بيت المقدس لايئز به إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكر الحمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو أنى للأجل لأحد أن يقول على ما لم أقل سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من شرب من الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من ردة الجبال يوم القيامة * قال وسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله * وسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إن سليمان بن داود سأل الله عز وجل ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة * سأل الله تعالى حكما يصادف حكمه فأعطاه الله إياه وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فتحن نرجوا أن يكون الله تعالى عز وجل قد أعطانا إياه ورواه الحاكم في صحيحه وهو على شرط الشيخين ولا علة له *

الباب الثاني في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم

وأجلهم وأعمالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد التقدير الاول

عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال كنا في جنازة في قبعة الغرق فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتعد وقعدنا حوله ومعه محضرة فنكس فجعل ينكت بمحضرة ثم قال ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والآن قد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكك على كتابتنا ونزع العمل فقال من كان من أهل السعادة فيسير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فيسير إلى عمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى) وفي لفظ اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى) * وعن عمران بن حصين قال قيل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار فقال نعم قيل فقيم يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له متفق عليه وفي بعض طرق البخارى كل يعمل لما خلق له أو لما يسره * وعن أبى الاسود الدؤلى قال قال لى عمران بن حصين أ رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدهون فيه شئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به عما أتاهم به منهم وثبت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلما قال ففرغت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خاق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال فقال لى يرحمك الله أنى لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أ رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدهون فيه شئ

فضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أوفيا يستقبلون مما آتاهم به منهم وثبت الحجة عليهم فقال بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (ونفسه ما سواها فاطمها فجورها وتقواها) رواه مسلم في صحيحه * وعن شفي الاصبحي عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قال قلنا لا إلا أن تجربنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل عليهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص أبدا ثم قال للذي في يساره هذا كتاب أهل النار باسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا شئ نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يجتهد له بعمل الجنة وإن عمل أى عمل وإن صاحب النار يجتهد له بعمل النار وإن عمل أى عمل ثم قال بيده فقبضها ثم قال فرغ ربكم عز وجل من العباد ثم قال باليمن فقبضها فقال فريق في الجنة ونبد باليسرى فقال فريق في السعير رواه الترمذى عن قتيبة عن ليث بن أبي قبيس عن شفي وعن قتيبة عن بكر بن نصر عن أبي قبيس به وقال حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي والامام أحمد وهذا السياق له * (وفي صحيح الحاكم) وغيره من حديث أبي جعفر الرازي ثنا الربيع بن أنس عن أبي العالقة عن أبي بن كعب في قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال جمعهم له يومئذ جمعاً ما هو كائن الى يوم القيامة فجعلهم أزواجا ثم صورهم واستطاعهم فكلعوا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم (ألمست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) الى قوله المبطلون قال فأتى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أبائكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم أو تقولوا انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بى شيئا فأتى أرسل اليكم رسلى يذكر ونكم عهدى وميثاقى وائزل عليكم كتبى فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لارب لنا غيرك ورفق لهم أبوههم آدم فرأى فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لوسويت بين عبادك فقال إني أحب أن اشكر وراى فيهم الانبياء مثل السرج وذكر تمام الحديث وفي صحيحه وجامع الترمذى من حديث هشام بن يزيد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الدثر ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبينى من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يارب فقال هؤلاء ذريتك فرأى فيهم رجالا أعجبه وبصص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال ابنك داود يكون في آخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة قال يارب زده من عمرى أربعين سنة قال الله اذا يكتب ويحتم فلا يبدل فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمرى أربعون سنة قال له أولم تجعلها لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسى فسدت ذريته وخطى فخطت ذريته قال هذا على شرط مسلم (وفي) موطأ مالك عن زيد بن أبي انيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم ابن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول عنها فقال إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره

ببينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فإنا خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار* قال الحاكم هذا الحديث على شرط مسلم وليس كما قاله بل هو حديث منقطع (قال أبو عمر هو حديث منقطع فان مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب بينهما نعم بن ربيعة هذا إن صح أن الذي رواه عن زيد بن أبي أنيسة فذكر فيه نعم بن ربيعة إذ ليس هو بأحفظ من مالك ولا يمن يحتاج به اذا خلفه مالك ومع ذلك فان نعم بن ربيعة ومسلم بن يسار جميعا مجهولان غير معروفين بحمل العلم ونقل الحديث وليس هو مسلم بن يسار العابد البصري وانما هو رجل مدني مجهول ثم ذكر من تاريخ ابن أبي خيثمة قال قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا فكتب بيده على مسلم بن يسار لا يعرف* قال أبو عمر هذا الحديث وان كان لعل الاسناد فان معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم قد روى من وجوه كثيرة من حديث عمر بن الخطاب وغيره وعن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه في القدر على بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأبو سريحة العبادي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وذو الناحية الكلبي وعمران بن حصين وعائشة وأنس بن مالك وسراقة بن جهمش وأبو موسى الاشعري وعبادة بن الصامت قلت وحذيفة بن اليان وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد وأبو ذر ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبو عبد الله رجل من الصحابة روى عنه أبو نصر وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبو الدرداء وعمرو بن العاص وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن الزبير وأبو امامة الباهلي وأبو الطفيل وعبد الرحمن بن عوف وبعض أحاديثهم موقوفة وستمرك بك جميعا متفرقة في أبواب الكتاب إن شاء الله عز وجل* وقال اسحاق بن راهويه أخبرنا بقية بن الوليد قال أخبرني الزبيدي ومحمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي قتادة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام أن رجلا قال يا رسول الله اتبدا الأعمال أم قدمضى القضاء فقال ان الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم ثم أقاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار فأهل الجنة يمسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار يمسرون لعمل أهل النار قال اسحاق وأخبرنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا الحريري عن أبي نصر أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي فقالوا له ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله قبض قبضة يمينه وأخرى بيده الأخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبلى فلا أدري في أى القبضتين أنا* أخبرنا عمرو بن محمد بن اسماعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى اذا كان صلاصلا كالفضار كان ابليس يمر به فيقول خلقت لأمر عظيم ثم نفخ الله فيه من روحه قال يارب ما ذرتي قال اخترت يا آدم قال اخترت يمين ربي وكتابت يدي ربي يمين فبسط الله كفه فاذا كل من هو كائن من ذريته في كف الرحن* أخبرنا النضر أخبرنا أبو معشر عن أبي سعيد المقبري ونافع مولى الزبير عن أبي هريرة قال لما أراد الله

أن يخلق آدم فذكر خلق آدم فقال له يآدم أى يدى أحب اليك ان أريك ذريتك فيها قال يمين ربي
وكلتا يدى ربي يمين فبسط يمينه وإذا فيها ذريته كلهم ماهو خالق الى يوم القيامة الصحيح على هيئته
والمبتلى على هيئته والانباء على هيئاتهم فقال الأاعفيتهم كلهم فقال انى أحببت أن أشكر وذكر الحديث
* وقال محمد بن نصر المروزي حدثنا محمد بن يحيى ثنا سعيد بن أبي مريم أنا ثابت بن سعد حدثني ابن
عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام قال خالق الله آدم ثم قال بيده
فقبضها فقال اختريا آدم فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديك يمين فبسطها فإذا فيها ذريته فقال من هؤلاء
يارب قال من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة الى أن تقوم الساعة (قال) وثنا اسحاق بن
راهويه أنا جعفر بن عون أنا هشام بن سعد عن زيد بن سالم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى
يوم القيامة وذكر الحديث (وقال) اسحاق بن الملالى ثنا المسعودي عن علي بن نديم عن سعد عن
ابن عباس في قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال ان الله أخذ على آدم
ميثاقه انه ربه وكتب رزقه وأجله ومصيباته ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر فاخذ عليهم الميثاق
أنهرهم وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم (قال) وحدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت
عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فاخرج كل طيب في يمينه وفي يده الاخرى كل خبيث (وقال)
محمد بن نصر حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني وثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ان الله ضرب منكبه اليمين فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء
نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ثم ضرب منكبه اليسرى فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء
أهل النار ثم أخذ عهده على الايمان والمعرفة به والتصديق له وبإمره من بنى آدم كلهم واشهدهم على
أنفسهم فأمنوا وصدقوا وعرفوا وأقرأهم حديثنا اسحاق بن روح بن عباد بن محمد بن عبد الملك عن
أبيه عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس بهذا الحديث وزاد قال ابن جريج وباقي
انه أخرجهم على كفه امثال الخردل (قال) اسحاق وأخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد
الله بن عمرو في قوله وإذا أخذ ربك من بنى آدم قال أخذهم كما يؤخذ بالمشط وفي تفسير اسباط عن
السدي عن أصحابه ابى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرقة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس
من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله وإذا أخذ ربك من بنى آدم الآية قال لما أخرج الله
آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح بشفعة ظهر آدم اليمين فاخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ
كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح بشفعة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة
الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق
فقال ألسن بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة
(شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل) الآية فأنزلناك
ليس أحد من ولد آدم الا وهو يعرف ان الله ربه ولا مشرك الا وهو يقول إنا وجدنا آبائنا على أمة
وإنا على آثارهم مقتدون فذلك قوله عز وجل (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وذلك
حين يقول (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) وذلك حين يقول (نل فلله الحجة البالغة

فلو شاء لهداكم أجمعين قال يعني يوم أخذ الميثاق * وقال اسحق حدثنا وكيع حدثنا مضر عن ابن سديق قال قال أبو بكر رضى الله عنه خالق الله الخالق قبضتين فقال لمن في يمينه ادخلوا الجنة بسلام وقال لمن في يده الاخرى ادخلوا النار ولا أبالي وأخبرنا جرير عن الاعمش عن أبي طبيان عن رجل من الانصار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الخالق قبض قبضتين بيده فقال لمن في يمينه أنه أصحاب اليمين وقال لمن في اليد الاخرى أنهم أصحاب الشمال فذهبت الى يوم القيامة * وقال عبد الله بن وهب في كتاب القدر أخبرني جرير بن حازم عن أيوب السخيتاني عن أبي قلابة قال ان الله عز وجل لما خلق آدم أخرج ذريته ثم نشرهم في كفهم ثم أقاضهم فالتقوا في يمينه عن يمينه والى في يده الاخرى عن شماله ثم قال هؤلاء لهذه ولا أبالي وهؤلاء لهذه ولا أبالي وكتب أهل النار وما هم عاملون وأهل الجنة وما هم عاملون فطوى الكتاب ورفع القلم * وقال أبو داود ثمامة بن حازم بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي صالح فذكره قال ابن وهب وأخبرني عمرو بن الحرث وحيوة ابن سريح عن ابن أبي أسيد هكذا قال عن أبي فراس حدثنا أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الله عز وجل لما خلق آدم نفثه نفث المروء فاخرج من ظهره ذريته أمثال الغنم فقبضهم قبضتين ثم ألقاهم فقبضهم فقال فريق في الجنة وفريق في السعير * قال ابن وهب وأخبرني يونس بن يزيد عن الازاعي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال من كان يزعم ان مع الله قاضيا أوراقا أو يملك لنفسه ضرا أو نفعا أو موتا أو حياة أو نشورا التقى الله فأدحض حجته وأحرق لسانه وجعل صلاته وصيامه هباء وقطع به الأسباب وأكبه الله على وجهه في النار وقال ان الله خالق الخلق فاخذ منهم الميثاق وكان عرشه على الماء * وذكر أبو داود ثمامة بن حبيب ثنا أيوب عن أبي العالية في قوله عز وجل (يوم يبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) قال صاروا فريقين وقال لمن سود وجوههم وغيرهم أكفرتم بعد إيمانكم قال هو الايمان الذي كان حيث كانوا أمة واحدة مسلمين قال أبو داود وحدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا أبو نعام السمدى قال كنا عند أبي عثمان النهدي فحمدنا الله عز وجل فذكرناه ودعواناه فقلت لأنا بول هذا الامر أشد فرحاً مني بآخره فقال أبو عثمان بئسك الله كنا عند سلمان فحمدنا الله عز وجل وذكرناه ودعواناه فقلت لأنا بول هذا الامر أشد فرحاً مني بآخره فقال سلمان بئسك الله ان الله تبارك وتعالى لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج من ظهره ما هو ذارئ الى يوم القيامة شقاق الذكر والانثى والشقاوة والسعادة والارزاق والآجال والالوان ومن علم السعادة فعل الخير وبجالس الخير ومن علم الشقاوة فعل الشر وبجالس الشر وقال أبو داود حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن حبيب عن ابن عباس قال مسح ربك تعالى ظهر آدم فاخرج منه ما هو ذارئ الى يوم القيامة أخذهم ودهم وموأسقهم قال سعيد فيرون ان القلم جنب يومئذ * وقال الضحاك خرجوا كأمثال الذر ثم أعادهم فهدو غيرها تدل على ان الله سبحانه قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وأجالهم وسعادتهم وشقاوتهم عقيب خلق أيهم وأراهم لا يهيم آدم صورهم وأشكالهم وحلاهم وهذا أعلم أمثالهم وصورهم * وأما تفسير قوله تعالى واخذ ربك من بني آدم الآية به ففيه ما فيه وحديث عمر لوصح لم يكن تفسيراً للآية وبيان

ان ذلك هو المراد بها فلا يدل الحديث عليه ولكن الآية دلت على ان هذا الاخذ من بنى آدم لامن آدم وانه من ظهورهم لامن ظهوره وانهم ذرياتهم أمة بعد أمة وانه إلهاد تقوم به الحجة له سبحانه فلا يقول الكافر يوم القيامة كنت غافلا عن هذا ولا يقول الولد أشرك أبى وتبعته فان ما فطرهم الله عليه من الافرار بروبيته وانه ربهم وخالقهم وفطرهم حجة عليهم ثم دل حديث عمر وغيره على أمر آخر لم يدل عليه الآية وهو القدر السابق والميثاق الاول وهو سبحانه لا يحتاج عليهم بذلك وانما يحتاج عليهم برسالة وهو الذى دلت عليه الآية فتضمنت الآية والا حادىث اثبات القدر والشرع واقامة الحجة والايمان بالقدر فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عنها بما يحتاج العبد الى معرفته والافرار به وما وبالله التوفيق

الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي صلى الله

عليه وسلم لا دم صلوات الله وسلامه عليهم

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى وفي رواية كتب لك التوراة بيده وفي لفظ آخر حاج آدم وموسى فخرج آدم موسى فقال له موسى أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم أنت موسى الذى أعطاه الله علم كل شئ واصطفاه على الناس برسالته قال نعم قال أفتلومنى على أمر قدر علىّ قبل أن أخلق* وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى فقال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك الى الارض قال آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الاواح فيها تبيان كل شئ* وقرّبك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم هل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومنى على أن عملت عملا كتبه الله علىّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى* وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت الذى أخرجتنا بخطيئتك من الجنة وذكر الحديث متفق على صحته وهذا التقدير بعد التقدير الاول السابق بخلاف السموات بخمسين ألف سنة* وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المتعزلة كأبى على الجبائى ومن وافقه على ذلك وقال لوصح لبطلت نبوات الانبياء فان القدر اذا كان حجة للعاصى بطل الامر والنهى فان العاصى بترك الامر أو فعل النهى اذا حجت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه وهذا من خلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته فان هذا الحديث صحيح متفق على صحته لم ينزل الامة متلقاه بالقبول من عهد نبينا قرنا بعد قرن وتقالبه بالتصديق والتسليم ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله وحكموا بصحته فما لأجهل الناس بالنسبة ومن عرف بعداوتها وعداوتها حاتم والشهادة عليهم بانهم مجسمة ومشبهة بحشوية وهذا الشأن ولم ينزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة كما ردوا أحاديث الرؤية وأحاديث علو الله على خلقه وأحاديث صفاته القائمة به وأحاديث الشفاعة وأحاديث نزوله الى سبائه ونزوله الى الارض للفصل بين عباده وأحاديث تكلمه بالوحى كلاما يسمعه من شاء من خلقه حقيقة الى أمثال ذلك وكما ردت الحوارج والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكباثر من النار بالشفاعة وغيرها وكما ردت الرافضة أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وكما ردت المعتظة أحاديث الصفات والافعال الاختيارية وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القضاء والقدر السابق وكل من أصل أصلا لم يؤصله الله ورسوله قاده قسرا الى رد السنة وتخريفها عن مواضعها فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلا غير ما جاء به الرسول فهو أصابهم الذى عليه يعولون وجنتهم الى اليها يرجعون * ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى فقالت فرقة انما حجه لان آدم أبوه فحجه كما يحج الرجل ابنه وهذا الكلام لا يحصل فيه البتة فان حجة الله يجب المصير اليها مع الاب كانت أو الابن أو العبد أو السيد ولو حج الرجل أباه بحق وجب المصير الى الحجة وقالت فرقة انما حجه لان الذنب كان في شريعة واليوم في شريعة وهذا من جنس ما قبله اذ لاتأثير لهذا في الحجة بوجه وهذه الامة تلوم الامم المخالفة لرساها المتقدمة عليها وان كان لم تجتمعهم شريعة واحدة وقبل الله شهادتهم عليهم وان كانوا من غير أهل شريعتهم وقالت فرقة أخرى انما حجه لانه كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لومه وهذا وان كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة أوجه أحدها ان آدم لم يذكر ذلك الوجه ولا جملة حجة على موسى ولم يقل أتلومنى على ذنب قد تبنت منه الثانى ان موسى اعرف بالله سبحانه وبامرءه ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه انه قد تاب على فاعله واجتباؤه بعده وهداه فان هذا لا يجوز لأحد المؤمنين أن يفعل فضلا عن كلم الرحمن الثالث ان هذا يستلزم الغاء معلق به النبي صلى الله عليه وسلم وجه الحجة واعتبار ما للغاء فلا يلتفت اليه وقالت فرقة أخرى انما حجه لانه لامة في غير دار التكليف ولولامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه وهذا أيضا فاسد من وجهين أحدهما ان آدم لم يقل له لمتنى في غير دار التكليف وانما قال أتلومنى على أمر قدر على قبل أن أخلق فلم يتعرض للدار وانما احتج في القدر السابق الثانى ان الله سبحانه يلوم المومنين من عبادته في غير دار التكليف فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة وقالت فرقة أخرى انما حجه لان آدم شهد الحكم وجريانه على الخليفة وتقرّد الرب سبحانه بربوبيته وانه لا تحرك ذرة الا بمشيئته وعلمه وانه لا ارادة لقضائه وقدره وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن قالوا ومشاهدة العبد الحكم لا يدع له استتباب سيئة لانه شهد نفسه عدما محضا والأحكام جارية عليه معروفة له وهو مقهور مربوب مدبر لاحياة له ولا قوة له قالوا ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اليوم وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث وهو شر من مسلك القدرية في رده وهم انما ردوه ابطالا لهذا القول وردا على قائله وأصابوا في ردهم عليهم وابطال قولهم واخطأوا في رده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات حجة وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم ولم يبق للحدود معنى ولا يلام جان على جنائته ولا ظالم على ظلمه ولا ينكر منكرا أبدا ولهذا قال شيخ المسلمين ابن سينا في اشاراته العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله تعالى في القدر وهذا كلام

منسوخ من الملك ومتابعة الرسل وأعرف خلق الله به رساله وأنباؤه وهم أعظم الناس انكارا للمنكر وانما أرسلوا لانكار المنكر فالعارف أعظم الناس انكارا للمنكر لبصرته بالامر والقدر فان الامر يوجب عليه الانكار والقدر يعينه عليه وينفذه له فيقوم في مقام ايك لعبدايك نستعين وفي مقام قاعده وتوكل عليه فتعبده بامر وقدره وتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره فهذا حقيقة المعرفة وصاحب هذا المقام هو العارف بالله وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم الى خاتمهم وامامهم يقول

أصبحت منفعلا لما يختاره منى ففعلى كله طاعات

ويقول انا وان عصيت أمره فقد أطعت ارادته ومشيت به ويقول العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر فخارج عما عليه الرسل قاطبة وليس هو من اتباعهم واتماحكي الله سبحانه الاحتجاج في القدر عن المشركن اعداء الرسل فقال تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الى قوله (قل فله الحجة البالغة فلو شاء هداكم أجمعين) وقال تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) الى قوله (فهل على الرسول الا البلاغ المبين) وقال تعالى (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا والذين آمنوا أنطعم من لولياء الله أطعمه) وقال تعالى (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون) فهذه أربع مواضع حكى فيها الاحتجاج بالقدر عن أعدائهم وشيخهم وإمامهم في ذلك عدوه الاحقر ابليس حيث احتج عليه بقضائه فقال (رب بما أغويتني لآتين فيهم في الارض ولا غوينهم أجمعين) فان قيل قد علم بالنصوص والمعقول صحة قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولو شاء الرحمن ما عبدناهم فانه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد قال تعالى (ولو شاء ربك ما فعلوه) وقال (ولو شئنا لآتيناك نفس هداها) فكيف أكلهم ونفى عنهم العلم وأثبت لهم الحرص فيما هم فيه صادقون وأهل السنة جميعا يقولون لو شاء الله ما أشرك به مشرك ولا كفر به كافر ولا عصاه أحد من خلقه فكيف ينكر عليهم ما هم فيه صادقون (قيل) أنكر سبحانه عليهم ما هم فيه أكذب الكاذبين وأخبر الفاجرين ولم يشكر عليهم صدقا ولا حسا بل أنكر عليهم أبطل الباطل فانهم لم يذكروا ما ذكروه إثباتا لقدرة وربوبيته ووحدانيته وافقاروا اليه وتوكلوا عليه واستعانة به ولو قالوه كذلك لكانوا مصيبين وإنما قالوه معارضين به لشرعه ودافعين به لأمره فعارضوا شرعه وأمره ودفعوه بقضائه وقدره ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر وأيضا قائمهم احتجوا بمشيتهم العامة وقدره على محبته لما شاءه ورضاه واذنه فيه فجمعوا بين أنواع من الضلال معارضة الأمر بالقدر ودفعه به والاخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم ويرضاه حيث شاءه وقضاه وان لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر وقدورهم في هذا الضلال وتبعهم عليه طوائف من الناس ممن يدعى التحقيق والمعرفة أو يدعى فيه ذلك وقالوا العارف اذا شاهد الحكم سقط عنه اليوم وقد وقع في كلام شيخ الاسلام أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصارى ما يوههم ذلك وقد أعاده الله منه فانه قال في باب التوبة من منازل السائرین ولطائف التوبة ثلاثة أشياء * أولها ان ننظر في الجناية والقضية فنعرف مراد الله فيها إذ خلناك وإتيناها فان الله تعالى إنما يخلى العبد والذنوب لاحد معنيين أن يعرف عبرته في قضائه وبره في مسيره وحمله في إهمال راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته * والثاني ليقم على العبد حجة عدله فيعاقبه

على ذنبه بحجته* واللطيفة الثانية أن يعلم أن طلب البصير الصادق سفته لم تبق له حسنة بحال لانه يسير بين مشاهدة المنة وطلب عيب النفس والعمل* والمطيفة الثالثة أن مشاهدة العبد الحكم لم يدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصموده من جميع المعاني الى معنى الحكم* فهذا الكلام الاخير ظاهره يبطل استحسان الحسن واستقباح القبيح والشرائع كلها منبهاها على استحسان هذا واستقباح هذا بل مشاهدة الحكم تزيد البصير استحسانا للحسن واستقباحا للقبيح وكلما ازدادت معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأمره قوى استحسانه واستقباحه فانه يوافق في ذلك ربه ورسله ومقتضى الاسماء الحسنى والصفات العلى وقد كان شيخ الاسلام في ذلك موافقا للامر وغضبه لله ولحدوده ومحارمه ومقاماته في ذلك شهيرة عند الخاصة والعامة وكلامه المتقدم بين في رسوخ قدمه في استقباح ما يقبحه الله واستحسان ما يحسنه الله وهو كالحكم فيه وهذا متشابه فبرد الى محكم كلامه والذي يابق به ما ذكره شيخنا أبو العباس أحمد بن اراهيم الواسطي في شرحه فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام فقال الفناء عبارة عن اصطلام العبد لغلبة وجود الحق وقوة العلم به في العبد فيزبد بذلك يقينه به ومعرفة به وبصفاته سبحانه فيذهل بذلك كما يذهل الانسان في أمر عظيم دهمه فانه ربما غاب عن شعوره بما دهمه من الامور المهمة مثاله رجل وقف بين يدي سلطان عظيم قاهر من ملوك الارض فاذله مالا يحظه من هيئته وسلطانه عن كثير مما يشعر به وهذا تقرب والامر فوق ذلك فكيف بمن اشده الله عز وجل فردائته حيث كان ولا شيء معه فرأى الاشياء مواتا لقوامها الا بقدرته فشهد بها خيالا كالحباء بالنسبة الى وجود الحق تعالى وذلك في البصائر القلبية بالكشف الصحيح بعد التصفية والتدرب في اقيام بأعباء الشريعة وحمل أثقالاتها والتخلق باخلاقتها وصفى الله عبده من درنه ويكشف لقلبه فيرى حقائق الاشياء فتجلى على العبد أنوار المشاهدة الحقيقية الروحية الدالة على عظمة الفردانية تلاشى الوجود الذي للعبد واضمححل كما يتلاشى الليل اذا اسفر عليه الصباح ويكون العبد في ذلك آكلا شارباً فلا يظهر عليه شيء مغاير لما اعتاده لكن يزداد إيمانه ويقينه حتى ربما غطى إيمانه عن قلبه كل شيء في أوقات سكره وبيقى وجوده كالخيال قائماً بالعبودية في حضرة ذى الجلال وتعود عليه البصائر الصحيحة في معرفة الاشياء عند صعوده ثم يزول عنه عدم التمييز ويقوى على حاله فيتصرف وذلك هو البقاء بحيث يتصرف في الاشياء ولا يحجب عنه ما يوجد من الايمان والايقان في حال البقاء بل يعود عليه شعوره الاول بوجود آخر يتولاه الله عز وجل مشهده فيه قيامه عليه بتدبيره ويصل الى مقام المراد بعد عبوره على مقام المرید فيصير به يسمع وبه ينطق كما جاء في الحديث الصحيح ووجه آخر وهو أن الثاني في حال فئائه قبل أن يباين الى مقام البقاء والصحو والتمييز فيستر من قلبه محل الزهد والصبر والورع لاي معنى أن تلك المقامات ذهبت وارتفعت عنها العبد لكن بمعنى أن الشهود ستر محلها من القلب وانطوت واندرجت في ضمن ما يوجد اندراج الحال النازل في الحال العالی فصارت فيما وجده الواحد من وجود الحق ضمناً وتبعاً وصار القلب مشغولاً بالحال الاعلى عن الحال الادنى بحيث لو فتش قلب العبد لوجد فيه الزهد والورع وحقائق الخوف والرجاء مستورا بامثال الحيات من الاحوال الوجودية التي يضيق القلب عن الانساع لمجموعها وفي حال البقاء والصحو والتمييز تعود عليه تلك المقامات بالله لا بوجود نفسه اذا علمت ذلك المحل اشكال قوله إن مشاهدة العبد لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة

لصعوده الى معنى الحكم أى ان صفة حكم الله حشت بصيرته وملأها فشهد قيام الله على الاشياء وتصرف فيها وحكمه عليها فأرى الاشياء كلها منه صادرة عن نفاذ حكمه وتقديره وارادته القدريّة فغاب بما لاحظ من الجمع عن التمييز والفرق ويسمى هذا جملاً لأن العبد اجتمع نظره الى مولاه في كل حكم وقع في الكون وفي ملاحظة هذا الحكم الذى صدرت عنه التصرفات اجتمع قلبه ولضعف قلبه حين هذا الاجتماع لم يتسع للتمييز الشرعى بين الحسن والتبيح بمعنى أنه انطوى حكم معرفته بالحسن والتقيح في طي هذه المعرفة الساترة له عن التمييز لأبغى أنه ارتفع عن قلبه حكم التحسين والتقيح بل اندرج في مشهده وانطوى بحيث لو فتش لوجد حكم اتحسين والتقيح مستورا في طي مشهده ذلك وبالله التوفيق* وتلخص ما ذكره شيخنا رحمه الله أن للفعل وجهين وجه قائم بالرب تعالى وهو قضاؤه وقدره له وعلمه به والعبد له ملاحظتان ملاحظة للوجه الأول وملاحظة للوجه الثانى والكمال أن لا يغيب باحد الملاحظتين عن الاخرى بل يشهد قضاء الرب وقدره ومشيتيه ويشهد مع ذلك فعله وجناته وطاعته ومعبيته فيشهد الربوبية والعبودية فيجتمع في قلبه معنى قوله (من شاء منكم أن يستقيم) مع قوله (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) وقوله (إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله) فمن الناس من يتسع قلبه لهذين الشهودين ومنهم من يضيق قلبه عن إجماعهما بقوة الوارد عليه وضعف الحل فيغيب بشهود العبودية والكسب وجهة الطاعة والمعصية عن شهود الحكم القائم بالرب تعالى من غير إنكار له فلا يظهر عليه الا أثر الفعل وحكمه الشرعى وهذا لا يضره اذا كان الايمان بالحكم قائما في قلبه ومنهم من يغيب بشهود الحكم وسبقه وأولية الرب تعالى وسبقه للاشياء عن جهة عبوديته وكسبه وطاعته ومعبيته فيغيب بشهود الحكم عن المحكوم به فضلا عن صفته فاذا لم يشهد له فعلا فكيف يشهد كونه حسنا أو قبيحا وهذا أيضا لا يضره اذا كان علمه بحسن الفعل وقبحه قائما في قلبه وانما توارى عنه لاستيلاء شهود الحكم على قلبه وبالله التوفيق* فأين هذا من احتجاج أعداء الله بمشيئته وقدره على ابطال أمره ونهيه وعباد هؤلاء الكفرة يشهدون أفعالهم كلها طاعات لموافقها المشيئة السابقة ولو أغضبهم غيرهم وقصر في حقوقهم لم يشهدوا فعله طاعة مع أنه وافق فيه المشيئة فما احتج بالقدر على ابطال الامر والنهى الامن هو من أجهل الناس وأظلمهم وأتبعهم لهواه وتأمل قوله سبحانه بعد حكاية عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره على ابطال ما أمرهم به رسوله وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاء منهم (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهذا كم أجمعين) فآخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسوله وكتبه وبيان ما ينفعهم ويضرهم وتمكنهم من الايمان بمرفقاً وأمره ونواهيهم وأعطاهم الاسماع والابصار والعقول فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك واضمحلت حججهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه ثم قرر تمام الحجة بقوله (فلو شاء لهذا كم أجمعين) فان هذا يتضمن أنه المنفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه وأنه لا رب غيره ولا إله سواه فكيف يعبدون معه إلهاً غيره فاثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة عليهم وان الامر كله لله وان كل شئ ما خلا الله باطل فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد لجعلها للظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك فكانت حجة الله هي البالغة وحجبتهم هي الداحضة وبالله التوفيق* اذا عرفت هذا فموسى أعرف بالله وأسماؤه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباؤه ربه بعده وهداه واصطفاه وأدم

أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والحنة بسبب خطيئة أبيهم فذكر الخطيئة تنبها على سبب المعصية والحنة التي نالت الذرية ولهذا قال له أخرجتنا ونفسك من الجنة وفي لفظ خيبتنا فاحتج آدم بالقدر على المعصية وقال إن هذه المعصية التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خاقي والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب أى أتولمنى على معصية قدرت على وعليكم قبل خاقي بكذا وكذا سنة هذا جواب شيخنا رحمه الله وقد توجه جواب آخر وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفاً أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينفع به الذاكرو والسامع لانه لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً ولا يبطل به شريعة بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة * يوضحه أن آدم قال لموسى أتولمنى على أن عملت عملاً كان مكتوباً على قبل أن أخلق فإذا أذنب الرجل ذنباً ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن فإنه مؤنب عليه ولا مه حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر على قبل أن أخلق فإنه لم يدفع بالقدر حقاً ولا ذكره حجة له على باطل ولا محذور في الاحتجاج به وأما الموضع الذى يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلاً محرماً أو يترك واجباً فيلومه عليه لأنهم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره فيبطل بالاحتجاج به حقاً ويرتكب باطلاً كما احتج بالمصريين على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا (لوشاء الله ما أشركنا ولا أبأؤنا ولوشاء الرحمن ما عبدناهم) فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه وأنهم لم يندموا على فعله ولم يعزموا على تركه ولم يقرؤا بفساده فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود فاذا لاهم لأنهم بعد ذلك قال كان ما كان بقدر الله * ونكتة المسئلة أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر وإذا كان اللوم واقفاً لا احتجاج بالقدر باطل * فإن قيل فقد احتج على بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الصحيح عن علي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلاً فقال لهم ألا تصلون قال فقلت يا رسول الله إنما أفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بغيرها فأنصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قلت له ذلك ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مدبر يصرب نخذه وهو يقول (وكان الإنسان أكبر شئ جدلاً) * قيل على لم يحتج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم وإنما قال إن نفسه ونفس فاطمة بيد الله فإذا شاء أن يوقظهما ويبعث أنفسهما بغيرهما وهذا موافق لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة ناموا في الوادي أن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه فالنائم غير مفترط واحتجاج غير المفترط بالقدر صحيح وقد أُرشد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذى ينفع العبد الاحتجاج به (فروى) مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير لحرص على ما ينفعك واستمع بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى ففقت كذا وكذا ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فتضمن هذا الحديث الشريف أصولاً عظيمة من أصول الإيمان (أحدها) أن الله سبحانه موصوف بالحجة وأنه

يحب حقيقة (الثاني) انه يحب مقتضى أسائه وصفاته وما يوافقها فهو القوى ويجب المؤمن القوى وهو
 وتر يحب الوتر وجيل يحب الجمال وعليم يحب العلماء وتظلف يحب النظافة ومؤمن يحب المؤمنين
 ومحسن يحب المحسنين وصابر يحب الصابرين وشاكر يحب الشاكرين * ومنها ان محبة للمؤمنين تتفاضل
 فيحب بعضهم أكثر من بعض * ومنها ان سعادة الانسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعهده
 والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع فاذا صادف ما ينفع به الحريص كان حرصه محمودا وكاله
 كله في مجموع هذين الامرين ان يكون حريصا وان يكون حرصه على ما ينفع به فان حرص على مالا
 ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فانه من الكمال بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على
 ما ينفع ولما كان حرص الانسان وفعله انما هو بعمونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره ان يستعين به ليجمع
 له مقام إياك نعبد وإياك نستعين فان حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم الابعوثه فأمره بان يعبد
 وان يستعين به ثم قال ولا تعجز فان العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله فالحرص
 على ما ينفعه المستعين بالله ضد العجز فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور الى ما هو من أعظم أسباب
 حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمه الامور بيده ومصدرها منه ومردّها اليه فان فاته
 ما لم يقدر له فله حالتان حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز الى لو لا فائدة في لو ههنا بل
 هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والاسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فانه صلى الله تعالى
 عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح وأمره بالحالة الثانية وهي النظر الى القدر وملاحظته وأنه لو
 قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر ومشية الرب النافذة التي توجب
 وجود المقدور واذا انتفت امتنع وجوده فلماذا قال فان غلبك أمر فلا تقل لواني فعلت لكان كذا ولكن
 قل قدر الله وما شاء فعل فإرشده الى ما ينفعه في الحالتين حالة حصول مطلوبه وحالة فواته فلماذا
 كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبدا بل هو أشد شيء اليه ضرورة وهو يتضمن اثبات القدر
 والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهرا وباطنا في حالتي حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق

الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والخمسين في بطن أمه

وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر

ما يلقاه وذكر الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك

عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم
 ليجمع خلقا في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك
 ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد
 فوالذي لا إله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
 الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه
 وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها متفق عليه (وعن) حذيفة بن
 أسيد يبلغ به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم
 بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول يارب اشق أم سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أم أنسى

فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص رواه مسلم (وعن) عامر بن وائلة أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأتى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقي رجل بغير عمل فقال له الرجل أتجيب من ذلك فأتى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلد لها ولحمها وعظمها ثم قال يارب أذكر أم أنتى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما مر ولا ينقص (وفي لفظ آخر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانثى هاتين يقول أن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتصور عليها الملك قال زهير بن معاوية أحسبه قال الذي يخلقها فيقول يارب أذكر أم أنتى فيجمله الله ذكرا أو أنثى ثم يقول يارب أسوى أم غير سوى فيجمله الله سويا أو غير سوى ثم يقول يارب مارزقه وما أجله وما خلقه ثم يجمله الله شقيا أو سعيدا وفي لفظ آخر إن ملكا موكلا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئا باذن الله ولبضع وأربعين ليلة ثم ذكر نحوه وهذا الحديث بطرقه انفرد به مسلم (وعن) أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة وإذا أراد أن يقضى خلقا قال الملك أى رب ذكر أو أنثى شقى أو سعيدا فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه متفق عليه (وقال) ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن سعيد بن عبد الرحمن بن هنيذة حدثهم أن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أراد الله أن يخلق النسيمة قال ملك الارحام معها يارب أذكر أم أنتى فيقضى الله بأمره ثم يقول يارب شقى أم سعيد فيقضى الله أمره ثم يكتب بين عينيه ماهو لاق حتى النكبة ينكها (قال) ابن وهب وأخبرني عبدالله بن لهيعة عن بكر بن سواده الجدي عن أبي تميم الحيشاني عن أبي ذر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إذا دخلت يعنى النطفة في الرحم أربعين أتى ملك النفس فمرج إلى الرب فقال يارب عبدك أذكر أو أنتى فيقضى الله بما هو قاض أشقى أم سعيد فيكتب ماهو كائن وذكر بقية الحديث (وقال) ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن كعب بن علقمة عن عيسى عن هلال عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال إذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها ملك فاختلجها ثم عرج بها إلى الله تعالى أخلق يا أحسن الخالقين فيقضى الله فيها بما يشاء من أمره ثم تدفع إلى الملك فيسأل الملك عند ذلك فيقول يارب اسقط أم تم فيبين له ثم يقول يارب أوأحد أم توأم فيبين له ثم يقول أقطع رزقه مع خلقه فيقضيهما جميعا فوالذي نفس محمد بيده لا ينال الا ما قسم له يومئذ إذا أكل رزقه قبض (وقال) عبد الله بن أحمد أنا العللاءنا أبو الاشعث ثنا أبو عامر عن الزبير بن عبد الله حدثني جعفر بن مصعب قال سمعت عروة بن الزبير يتحدث عن عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن الله سبحانه حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول أى رب ماذا فيقول غلام أو جارية أو ماشاء أن يخلق في الرحم فيقول أى رب أشقى أم سعيد فيقول شقى أو سعيد فيقول أى رب ما أجله فيقول كذا وكذا فيقول ما خلقه ما خلأقه فيقول

كذا وكذا فما شئ الا وهو يخلق معه في الرحم (وفي المسند) من حديث اسماعيل بن عبيد الله وهو ابن أبي المهاجر أن أم الدرداء حدثته عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرغ الله عز وجل الى كل عبد من خمس من أجله ورزقه ومضجعه وأثره وشق أم سعيد (وقال) ابن حميد بن عوف بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا وقعت النطفة في الرحم تلبث أربعة أشهر وعشرا ثم تنفخ فيها الروح ثم تلبث أربعين ليلة ثم يبعث اليها ملك فنفقها في نقرة القفا وكتب شقياً أو سعيداً وروى ابن أبي خزيمة ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال السعيد من سعد في بطن أمه رواه أبو داود في القدر عن عبد الرحمن عن حماد عن هشام بن حسان عن محمد بن أحمد بن عبد بن أبي بن عبد الله بن ميسر ثنا عبد الحميد بن بيان ثنا خالد بن عبد الله عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وقال سعيد عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره وقال شعبة عن مخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال ان أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها فاتبعوا ولا تبدعوا فان الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره وان شر الروايات روايا الكذب وشر الأمور محدثاتها وكل ما هو آت قريب رواه أبو داود في القدر وذكر الطبري من رواية أبي اسحاق عن أبي عبيدة عنه انه كان يحيى كل يوم خميس يقوم قائماً لا يجلس فيقول إنما هما اثنتان فالحسن الهدى هدى محمد وأصدق الحديث كتاب الله وشر الأمور محدثاتها وكل محدث ضلالة ان الشقي من شقي في بطن أمه وان السعيد من وعظ بغيره الا فلا يطولن عليكم الأمد ولا يأمينكم الا مل فان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما ليس آتيا وان من شرار الناس بطل التهار حيفة الليل وان قتل المؤمن كفر وان سبابه فسوق ولا يجلي لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الا إن شر الروايات روايا الكذب وانه لا يصح من الكذب جد ولا هزل ولا ان يعد الرجل ضفيه ثم لا يشجزه الا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الصادق يقال له صدق وبر وان الكاذب يقال له كذب وبخر واني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان العبد ليصدق فيكتب عند الله صديقاً وانه ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً الاهل تدرون ما للعضه هي النعمة التي تفسد بين الناس وهذا متواتر عن عبد الله وبلغ معاوية أن الوباء اشتد بأهل دار فقال لو حولناهم عن مكانهم فقال له أبو الدرداء وكيف لك يا معاوية بأنفس قد حضرت أجالها فكأن معاوية وجد على أبي الدرداء فقال له كعب يا معاوية لا تجد على أخيك فان الله سبحانه لم يدع نفسا حين تستقر نطقها في الرحم أربعين ليلة الا كتب خلقها وخلقها وأجلها ورزقها ثم لكل نفس ورقة خضراء معلقة بالعرش فاذا دنا أجلها خالقت تلك الورقة حتى تليس ثم تسقط فاذا يبست سقطت تلك النفس وانقطع أجلها ورزقها ذكره أبو داود عن محمود بن خالد ثنا مروان بن معاوية بن سلام حدثني أخي زيد بن سلام عن جده ابن سلام قال بلغ معاوية فذكره وقال أبو داود ثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن الحكم عن مجاهد في قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائفة في

عنه قال مامن مولود يولد الا في عتقه ورقة مكتوب فيها شق اوسعيد وفي الصحيحين عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الحضر طبع يوم طبع كافر ولو عاش لارهق ابيه طغيانا وكفرا وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت توفي صبي من الانصار فقلت طوى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يعائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ولا يناقض هذا حديث سمرة بن جندب الذي رواه البخارى في صحيحه من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم أطفال المشركين حول ابراهيم الخليل في الروضة فان الاطفال منقسمون الى شقى وسعيد كالباقين فالذى رآه حول ابراهيم السعداء من أطفال المسلمين والمشركين وأنكر على عائشة شهادتها للطفل المعين أنه عصفور من عصافير الجنة فاجتمعت هذه الاحاديث والآثار على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه واختلفت في وقت هذا التقدير وهذا تقدير بعد التقدير الاول السابق على خلق السموات والارض وبعد التقدير الذى وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق أبيهم آدم ففي حديث ابن مسعود ان هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوما من حصول النطفة في الرحم وحديث أنس غير مؤقت وأما حديث حذيفة بن أسيد فقد وقع فيه التقدير باربعين يوما وفي لفظ ثلثين وأربعين ليلة وفي لفظ ثلث وأربعين ليلة وهو حديث تفرد به مسلم ولم يروه البخارى وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ولا تعارض بينهما بحمد الله وان الملك الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الاربعين الاولى حتى يأخذ في الطور الثانى وهو العلقه وأما الملك الذى ينفخ فيه فالما ينفخها بعد الاربعين الثالثة فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته وهذا تقدير آخر غير التقدير الذى كتبه الملك الموكل بالنطفة ولهذا قال في حديث ابن مسعود ثم يرسل اليه الملك فيؤمر باربع كلمات وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها ينقلها باذن الله من حال الى حال فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما فهو تقدير بعد تقدير فاتفقت احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق بعضها بعضا ودلت كلها على إنبات القدر السابق ومراتب التقدير وما يؤتى أحد الامن غلط الفهم أو غلط في الرواية ومضى تحت الرواية وفهمت كما ينبغي تبين أن الامر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق وبالله التوفيق

الباب الخامس في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

قال الله تعالى (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمر من عندنا إنا كنا مرسلين) وهذه هي ليلة القدر قطعنا لقوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ومن زعم انها ليلة النصف من شعبان فقد غلط قال سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليلة القدر ليلة الحكم وقال سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يقادر منهم أحد ولا يزداد فيهم ولا ينقص منهم وقال ابن عاتية ثاريمية بن كاثوم قال قال رجل للحسن وأنا أسمع أرايت ليلة القدر في كل رمضان هي قال نعم والله الذى لا إله الا هو

إنها لفي كل رمضان وانها لآلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله كل أجل وعمل وورق الى مثلها وذكر يوسف بن مهران عن ابن عباس قال يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة وورق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية انك لترى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وقال مقاتل يقدر الله في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده الى السنة القابلة وقال أبو عبد الرحمن السلمي يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر وهذا هو الصحيح ان القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرا فهي ليلة الحكم والتقدير وقالت طائفة ليلة القدر ليلة الشرف والعظمة من قولهم لفلان قدر في الناس فان اراد صاحب هذا القول ان لها قدرا وشرفا مع ما يكون فيها من التقدير فقد أصاب وان أراد ان معنى القدر فيها هو الشرف والخطر فقد غلط ان الله سبحانه أخبر ان فيها يفرق أي يفصل الله ويبين ويبرم كل أمر حكيم

الباب السادس في التقدير الخامس اليومي

قال الله تعالى (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن) ذكر الحاكم في صحيحه من حديث أبي حمزة الثمالى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انما خالق الله لوحا محفوظا من درة بيضاء دفءاه من ياقوتة حمراء قلعه نور وروى كتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة في كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويزل ويفعل ما يشاء فذلك قوله (كل يوم هو في شأن) وقال مجاهد والكلي وعبد ابن عمير وأبو ميسرة وعطاء ومقاتل من شأنه انه يحيى ويميت ويرزق ويمنع وينصر ويمز وبذل ويفك عانيا ويشفي مريضا ويحبب داعيا ويعطي سائلا ويتوب على قوم ويكشف كرا وب يغفر ذنبا ويضع أقواما ويرفع آخرين دخل كلام بعضهم في بعض وقد ذكر الطبراني في المعجم والسة وعثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على المريسي عن عبد الله بن مسعود قال ان ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والارض نور وجهه وان مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتي عشرة ساعة فيعرض عليه أعمالكم فيها على ما يكره فيفضله ذلك وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجذونه يتقل عليهم فيسبحه حملة العرش وسراقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل في القرن فلا يبقى شيء الا سمع صوته فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلي الرحمن عز وجل رحمة فذلك ست ساعات ثم يؤتى بالارحام فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) وقوله (يحب لمن يشاء اننا وحب لمن يشاء الذكور أو يوزعهم ذكر انا وانا) ويجعل من يشاء عقيما انه عالم قدير) فذلك تسع ساعات ثم يؤتى بالارزاق فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه (يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر كل يوم هو في شأن) قال هذا شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى قال الطبراني ثنا بشر بن موسى ثنا يحيى بن اسحاق أنا حماد بن سلمة عن أبي عبد السلام عن عبد الله أو عبيد الله ابن مكرز عن ابن مسعود فذكره وقال عثمان بن سعيد الدارمي ثنا موسى بن اساعيل ثنا حماد بن سلمة عن الزبير بن أبي عبد السلام عن أيوب بن عبيد الله الفهري ان ابن مسعود قال ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار فذكر الحديث الى قوله فيسبحه حملة العرش وسراقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة فهذا تقدير يومي والذي قبله تقدير حولي والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس

به والذي قبله كذلك عند أول تخليقه وكونه مضعة والذي قبله تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السموات والارض والذي قبله تقدير سابق على خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكل واحد من هذه التقادير كال تفصيل من التقدير السابق وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته وزيادة تعريف ملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسائه وقد قال تعالى (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنسخ من اللوح المحفوظ فتستنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن يعلموا فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه فيثبت الله تعالى منه ما فيه ثواب أو عقاب ويطلع منه اللغو وذكر ابن مردويه في تفسيره من طرق إلى بقية عن أرطاة بن المنذر عن مجاهد عن ابن عمر يرفعه أن أول ما خلق الله القلم فآخذه بيمينه وكلتا يديه يمين فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول من بر أو فحور رطب أو يابس فأحصاه عند الذكر وقال اقرأوا إن شئتم (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه وقال آدم ثنا ورقاء عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم فالما يعمل الإنسان على ما تستنسخ الملك من أم الكتاب وفي تفسير الأشجع عن سفيان عن منصور عن مقسم عن ابن عباس قال كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ثم قرأ (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وفي تفسير الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يفرق والذي يقع من فوق بيت والذي يتردى من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظوا عليه ذلك كله وإذا كان الشيء صعدا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبا في الذكر الحكيم

الباب السابع في أن سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضى

ترك الأعمال بل يقتضى الاجتهاد والحرص

يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا فائدة في الأعمال وإن ماضاه الرب سبحانه وقدره لا بد من وقوعه فتوسط العمل لفائدة فيه وقد سبق إيراد هذا السؤال من الصحابة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاجابهم بما فيه الشفاء والهدى في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه مخضرة فنكس فجعل ينكت بمخضرته ثم قال ما منكم من أحد ما من نفس منقوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار والآفة كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا وندع العمل فن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى عمل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال اعملوا فكل ميسر أم أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأم أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للعسرى) وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وفي بعض طرق البخارى أفلا تتكلم على كتابنا وندع العمل فن

كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كل من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال جاء سراق بن مالك بن جهم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفما جفت به الآلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الآلام وجرت به المقادير قال فقيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر رواه مسلم وعن عمران بن حصين قال قيل يا رسول الله اعلم أهل الجنة من أهل النار فقال نعم قيل فقيم العمل العاملون فقال كل ميسر لما خلق له متفق عليه وفي بعض طرق البخاري كل يعمل لما خلق له أولا يسر له ورواه الإمام أحمد أطول من هذا فقال ثنا صفوان بن عيسى ثنا عروة بن ثابت عن يحيى بن عجيل عن أبي نعيم عن أبي الأسود الدؤلي قال غدوت على عمران بن حصين يوما من الأيام فقال ان رجلا من جبهة أو مزينة أتى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدرهون فيه شيء قضى عليهم أو مضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما آتاهم به نبيهم وأخذت عليهم الحجة قال بل شيء قضى عليهم قال فلم يعملوا إذا يا رسول الله قال من كان الله عز وجل خلقه لواحدة من المنزلتين فبهاه أعمالها وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها فأطعمها ما تجورها ووقتوها) وقال المحاملي ثنا أحمد بن المقدام ثنا المعتز بن سايان قال سمعت أبا سفيان يحدث عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أنه قال نزل فيهم شقي وسعيد فقال عمر يابني الله على م نعمل على أمر قد فرغ منه ألم يفرغ منه قال لا على أمر قد فرغ منه قد جرت به الآلام ولكن كل ميسر أما من أعطى وأتى وصدق بالحق فيسبسه لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحق فيسبسه للامسرى فأنفقت هذه الأحاديث ونظائرهما على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل بوجب الجهد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشد اجتهادا مني الآن وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الحقيقة بالأسباب فان العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ويمكن منه وهى له فإذا أتى بالسبب أوصاله إلى القدر الذي سبق له في أم الكتاب وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فإنه لا ينال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التلم وأسابيه وإذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك إلا بالنكاح أو الترسى والوطىء وإذا قدر له أن يستغل من أرضه من المنفل كذا وكذا لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزرع وإذا قدر الشعب والرى فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب واللبس وهذا شأن أمور المعاش والمعاد فمن عطل العمل اتكالا على القدر السابق فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالا على ما قدر له وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم الآخروية في معادهم فإنه سبحانه رب الدنيا والآخرة وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة فهو مهيا له ميسر له فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه وقد فقه هذا كل الفقه من قال

ما كنت أشد اجتهدا مني الآن فان العبد اذا علم ان سلوك هذا الطريق يقضي به الى رياض موقفة وبساتين معجبة ومساكن طيبة ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب كان حرصه على سلوكها واجتهاده في السير فيها بحسب علمه بما يقضي اليه ولهذا قال ابو عثمان النهدي لسلطان لا نابول هذا الامر أشد فرحا مني بآخره وذلك لأنه اذا كان قد سبق له من الله سابقة وهياؤه ويسره للوصول اليها كان فرحا بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالاسباب التي تأتي بها فانها سبقت له من الله قبل الوسيلة منه وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدرها وهياؤها لأسبابها لتوصله اليها فالامر كله من فضله وجوده السابق فسبق له من الله سابقة السعادة ووسيلتها وغايتها فالمرء من أشد فرحا بذلك من كون أمره مجمعا اليه كما قال بعض السلف والله ما أحب أن يحمل أمرى الى إياه اذا كان بيد الله خيرا من أن يكون بيدي فالقدر السابق معين على الاعمال وما يبحث عليها ومقتض لها لأنه مناف لها وصاد عنها وهذا موضع منزلة قدم من ثبت قدمه فاز بالنعيم المقيم ومن زلت قدمه عنه هوى الى قرار الجحيم فالتبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارشد الامة في القدر الى امرين هما سبب السعادة الايمان بالاقدار فانه نظام التوحيد والايان بالاسباب التي توصل الى خبره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع فأرشدهم الى نظام التوحيد والامر فاني المنحرفون الا القدر بانكاره في أصل التوحيد أو القدح باتباعه في أصل الشرع ولم تتسع عقولهم التي لم يأتى الله عليها من نوره لا جمع بين ما جرت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والامر وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والتبى صلى الله تعالى عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الامرين للامة وقد تقدم قوله احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان العاجز من لم يتسع للامرين وبالله التوفيق

الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

قد تقدمت الاحاديث بوقوع أهل السعادة في احدى القضيتين وكتابتهم باسمائهم وأسما آبائهم في ديوان السعداء قبل خلقهم وفي صحيح الحاكم من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال المشركون فلما لا نكثك وعيسى وعزيرا يعبدون من دون الله قال فزلت (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وهذا اسناد صحيح وقال علي بن المديني ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال أخبرني ابو رزين عن ابني يحيى عن ابن عباس أنه قال آية لا يسأل الناس عنها لأدرى اعرفوها فلم يسألوا عنها وأجهلوا فلا يسألون عنها فقيل له وما هي فقال لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتتم لها واردون) شق ذلك على قريش أو على أهل مكة وقالوا يشتم أئمتنا فجاء ابن الزبير فقال ما لكم قالوا يشتم أئمتنا قال وما قال قالوا قال (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتتم لها واردون) قال ادعوه لي فلما دعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا محمد هذا شيء لا آئمتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال لا بل لكل من عبد من دون الله قال فقال ابن الزبير خضمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألت ترعمن ان الملائكة عباد صالحون وان عيسى عبد صالح وان عزرا عبد صالح وهذه بنو مليح تعبد الملائكة وهذه النصارى تعبد عيسى وهذه اليهود تعبد عزرا قال فضج أهل مكة فأنزل

الله عز وجل (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حبيها) قال ونزلت
(ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون) قال هو الضجيج وهذا اليراد الذي أورد ابن
الزيمري لا يرد على الآية فإنه سبحانه قال أنكم وما تمبدون من دون الله ولم يقل ومن تمبدون ومالما
لا يعقل فلا يدخل فيها الملائكة والمسيح وعزير وإنما ذلك للاجبار ونحوها التي لا تقتل وإيضافان
السورة مكية والخطاب فيها للعباد الاصنام فإنه قال أنكم وما تمبدون فلفظة أنكم ولفظه ما تبطل سؤاله
وهو رجل فصيح من العرب لا يخفى عليه ذلك ولكن إرادته أنما كان من جهة القياس والعموم المعنوي
الذي يعم الحكم فيه بعموم علته أى ان كان كونه معبوداً يوجب أن يكون حصب جهنم فهذا المعنى
بعبارة موجودة في الملائكة وعزير والمسيح فاحجب بالفارق وذلك من وجوده واحداً ان الملائكة
والمسيح وعزير امن سبقت لهم من الله الحسنى فهم سعداء لم يفعلوا ما يستوجبون به النار فلا يعذبون
بعبادة غيرهم مع بعضهم ومعاداتهم لهم فالنسوية بينهم وبين الاصنام أتبع من النسوية بين البيع والربا
والميتة والذكي وهذا شأن أهل الباطل وانما يسوون بين ما فرق الشرع والعقل والنظرية بهن ويفرقون
بين ماسوى الله ورسوله بين الفرق الثاني ان الاوثان حجارة غير مكلفة ولا ناطقة فاذا حصبت بها
جهنم اهانة لها ولما يبديها لم يكن في ذلك من لا يستحق العذاب بخلاف الملائكة والمسيح وعزير فانهم
أحياء ناطقون فلو حصبت بهم النار كان ذلك إيلا ما وتذنيا لهم * الثالث ان من عبد هؤلاء زعمه فانه
لم يعبدهم في الحقيقة فانهم لم يدعوا الى عبادتهم وانما عبد المشركون الشياطين وتوهموا ان العبادة هؤلاء
فانهم عبدوا زعمهم من ادعى انه معبود مع الله وانه معه إله وقديراً الله سبحانه ملائكة والمسيح
وعزير امن ذلك وانما ادعى ذلك الشياطين وهم زعمهم يعتقدون أنهم يرضون بان يكونوا معبودين مع
الله ولا يرضى بذلك الا الشياطين ولهذا قال سبحانه (ويوم نحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء
إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أ كثرهم بهم مؤمنون)
وقال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تمبدوا الشيطان) وقال تعالى (وقالوا اتخذوا رحناً ولداً سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم يأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي
الظالمين) فما عبد غير الله الا الشيطان وهذه الاجوبة منتزعة من قوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى)
فتأمل الآية نجدها تلوح في صفحات الفاظها وبالله التوفيق والمقصود ذكر الحسنى التي سبقت من الله
لاهل السعادة قبل وجودهم وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبو عامر
العقدي ثنا عروة بن ثابت الانصاري ثنا الزهري عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوفان عبد الرحمن
ابن عوف مرض مرضاً شديداً اغمى عليه فافاق فقال اغمى على قالوا نعم قال انه أتاني رجلان غليظان
فاخذابيدي فقالا انطلق نحاً تمك الى العزيز الامين فانطلقا بي فتلقاهما رجل وقال أين تريدان به قال
نحاً تمك الى العزيز الامين فقال دعاه فان هذا عن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه وقال عبد الله بن
محمد البغوي ثنا داود بن رشيد ثنا ابن عافية حدثني محمد بن محمد القرشي عن عامر بن سعد قال أقبل
سعد من ارض له فاذا الناس عكوف على رجل فاطلع فاذا هو يسب طليحة والزبير وعلياً فبهاد فكانما
زاده إغراء فقال ويلك تريدان تسب أقواماً هم خير منك لتنتهن أو لا تدعون عليك قتال كأنما يخوفني

نبي من الانبياء فانطلق فدخل دارا فتوضأ ودخل المسجد ثم قال امامهم ان كان هذا قد سب أقواما قد سبقت لهم منك حسي استخفك سبه اياهم فارني اليوم آية تكون للمؤمنين آية وقال خرج بخيثة من دار بني فلان لا يردعها شيء حتى انتهى اليه ويفرق الناس وتحمله بين قوائمها وتطأه حتى طفي قال فانا رأيت سعدا يتبعه الناس يقولون استجاب الله لك يا ابا اسحاق استجاب الله لك يا ابا اسحاق وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجبتاكم وما جعل عايكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سبطكم المسالمين من قبل وفي هذا) أي الله سماكم من قبل القرآن وفي القرآن فسبقت تسمية الحق سبحانه لهم مسلمين قبل اسلامهم وقبل وجودهم وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وقال ابن عباس في رواية الوابي عنه في قوله (ويسر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وهذا لا يخالف قول من قال انه الاعمال الصالحة التي قدموها ولا قول من قال انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبق لهم من الله في الذكر الاول السعادة بأعمالهم على يد محمد صلى الله عليه وسلم فهو خير تقدم لهم من الله ثم قدمه لهم على يد رسوله ثم يقدمهم عليه يوم لقائه وقد قال تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وقد اختلف السلف في هذا الكتاب السابق فقال جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم لولا قضاء من الله سبق لكم يا اهل بدر في التلوح المحفوظ ان الغنائم حلال لكم لعاقبتكم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق انه لا يذب أحدا الا بعد الحجة لعاقبتكم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر انه مغفور لهم وإن عملوا ما شاؤا لعاقبتكم وقال آخرون وهو الصواب لولا كتاب من الله سبق بهذا كله لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم والله أعلم

الباب التاسع في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر

قال سفيان عن زياد بن أسبعل الخزومي ثنا محمد بن عباد بن جعفر ثنا أبو هريرة قال جاء مشركو قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاصمون في القدر فنزلت هذه الآية (إن الجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر رواه مسلم وقد روى الدارقطني من حديث حبيب بن عمرو الانصاري عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد اين خصماء الله وهم القدرية ولكن حبيب هذا قال الدارقطني مجبول والحديث مضطرب الاسناد ولا يثبت واخصامون في القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونبيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءؤنا والثاني من يشكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقدر فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر اقدارا وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم للبلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهى وقال الامام أحمد القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء فان انكار القدر انكار لقدرة الرب على خلق أعمال البعاد وكتابتها وتقديرها وسائر القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سائر الامة على تكفيرهم وسند ذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله وفي تفسير علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس في قوله تعالى **أَنَا خَشِيَ اللَّهَ** من عباده العلماء قال الذين يقولون إن الله على كل شيء قدير وهذا من فقه ابن عباس وعلمه بالتأويل ومعرفة بحقائق الاسماء والصفات فإن أكثر أهل الكلام لا يوفون هذه الجملة حقها ولو كانوا يقولون بها فشكلوا القدر وخلق أفعال العباد لا يقولون بها على وجهها ومنكروا أفعال الرب القائمة به لا يقولون بها على وجهها بل يصرحون أنه لا يتقدر على فعل يقوم به ومن لا يقر بأن الله سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء لا يقر بأن الله على كل شيء قدير ومن لا يقر بأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وأنه سبحانه مقاب القلوب حقيقة وأنه إن شاء قيم القلب أقامه وإن شاء أن يزيد أو أزاعه لا يقر بأن الله على كل شيء قدير ومن لا يقر بأنه استوى على عرشه بمدان خلق السموات والأرض وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا يقول من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وأنه نزل إلى الشجرة فكلهم موسى كلمه منها وأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة حين تخلو من سكانها وأنه يحيى يوم القيامة فيفصل بين عباده وأنه يحيى لهم يضحك وأنه يريهم نفسه المقدسة وأنه يضع رجله على النار فيضيئ بها أهلها ويتزوى بمضها إلى بعض إلى غير ذلك من شؤنه وأفعاله التي من لم يقربها لم يقرب أنه على كل شيء قدير فيألفا كلمة من حبر الأمة وترجمان القرآن وقد كان ابن عباس شديدا على القدرية وكذلك الصحابة كما سند ذكر ذلك إن شاء الله تعالى

الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر

وهي أربع مراتب (المرتبة الأولى) علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها (المرتبة الثانية) كتابته لها قبل كونها (المرتبة الثالثة) مشيئته لها (الرابعة) خلقه لها * فأما المرتبة الأولى وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخالقهم مجوس الأمة وكتابه السابقة تدل على علمه بها قبل كونها وقد قال تعالى (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) قال مجاهد علم من إبليس المعصية وخلقها لها وقال قتادة كان في علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنتو الجنة وقال ابن مسعود أعلم ما لا تعلمون من إبليس وقال مجاهد أيضا علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم وقال تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) * وفي المسند من حديث لقيط بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا رسول الله ما عندك من علم اللب فقال ضحك من ربه ثم أتبعه خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله وأشار بيده فقلت ما هن قال علم الميتة قد علم متى مئة أحدكم ولا تعلمونه وعلم متى يكون في الرحم فداء له ولا تعلمونه وعلم متى غدا قد علم ما أنت طاعم ولا تعلمه وعلم يوم الغيث يشرق عليكم مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب قال لقيط إن ندم من رب يضحك خيرا وعلم يوم الساعة وقد تقدم حديث على المتفق على تحته ما منكم من أحد ما من نفس منقوسة إلا وقد علم مكانها من الجنة أو النار وقال البرزلي حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن أبيه عن أبيه عن موسى بن فضال عن زرارة عن عطاء عن

أبى سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحسبه قال يؤتى بالهالك في الفترة والموتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول ويقول الموتوه أى رب لم تجمل لي عقلا أعقل به خيرا ولاشرا ويقول المولود أى رب لم أدرك العمل قال فيرفع لهم نارا فيقال لهم ردوها أو قال أدخلوها فيردها من كان في علم الله سعيدا أن لو أدرك العمل قال ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا أن لو أدرك العمل فيقول تبارك وتعالى إياي عصيت فكيف رسل بالغيب وفي الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كاتنج البهيمة جماعا هل نحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أتم تجمعونها قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت منهم وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين ومعنى الحديث الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا وقد قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم) قال ابن عباس علم ما يكون قبل أن يخلقه وقال أيضا على علم قد سبق عنده وقال أيضا يريد الامر الذي سبق له في أم الكتاب وقال سعيد ابن جبير ومقاتل على علمه فيه وقال أبو اسحاق أى على ماسبق في علمه انه ضال قبل أن يخلقه وهذا الذي ذكره جمهور المفسرين وقال الثعلبي على علم منه بعاقبة أمره قال وقيل على ماسبق في علمه انه ضال قبل أن يخلقه وكذلك ذكر البغوي وأبو الفرج بن الجوزي قال على علمه السابق فيه انه لا يهتدى وذكر طائفة منهم المهدوي وغيره قولين في الآية هذا أحدهما قال المهدوي فأضله الله على علم علمه منه بانه لا يستحقه قال وقيل على علم من عابد الصم انه لا ينفع ولا يضر وعلى الاول يكون على علم من الفاعل المعنى أضله الله علما بانه من أهل الضلال في سابق علمه وعلى الثاني حال من المفعول أى أضله الله في حال علم الكافر بانه ضال قلت وعلى الوجه الاول فالمعنى أضله الله علما به وباقوا له وما يناسبه ويليق به ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبمبدئه وانه أهل للضلال وليس أهلا أن يهتدى وانه لو هدى لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند من لا يستحقه والرب تعالى حكيم إنما يضع الاشياء في محالها اللائقة بها فانتظمت الآية على هذا القول في إثبات القدر والحكمة التي لأجلها قدر عليه الضلال وذكر الملم إذهو الكاشف المبين لحقائق الامور ووضع الشيء في مواضعه واعطاء الخير من يستحقه ومنعه من لا يستحقه فان هذا لا يحصل بدون العلم فهو سبحانه أضله على علمه باحواله التي تناسب ضلاله وتقضيته وتستدعيه وهو سبحانه كثيرا ما يذكر ذلك مع اخباره بانه أضل الكافر كما قال (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) وقال تعالى (ضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) (والله لا يهدي القوم الفاسقين) ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار • ويضل الله الظالمين • كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب • كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار • كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) وقد أخبر سبحانه انه يضل ذلك عقوبة لأرباب هذا الجرائم وهذا إضلال ثان بعد الإضلال الاول كما قال تعالى (وقالوا قلوا بناغلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) وقال تعالى (وما يشعركم انما آذات لا يؤمنون وتقلب أئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال (واذ قال

موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحكيكم وأعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون) أى ان تركتم الاستجابة لله ورسوله عاقبكم بان يحول بينكم وبين قلوبكم فلا تغفروا على الاستجابة بعد ذلك وبشبه هذا ان لم يكن بعينه قوله (ولقد أهلكننا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا) الآية وفي موضع آخر (تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) وفي هذه الآية ثلاثة أقوال أحدها قال أبو اسحاق هذا اخبار عن قوم لا يؤمنون كما قال عن نوح (انهن يؤمن من قومك الا من قد آمن) واحتج على هذا بقوله (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) قال وهذا يدل على انه قد طبع على قلوبهم وقال ابن عباس فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فآمنوا كرها وأقروا باللسان وأضرموا التكذيب وقال مجاهد فما كانوا لو احيناهم بعد هلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم وهو نظير قوله ولوردوا العادوا لما نهوا عنه وقال آخرون لما جاءتهم رسلهم بالآيات التي اقترحوها وطلبوها ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤيتها ومعانيها بما كذبوا به من قبل رؤيتها ومعانيها فمنهم تكذيبهم السابق بالحق لما عرفوه من الايمان به بعد ذلك وهذه عقوبة من رد الحق أو أعرض عنه فلم يقبله فانه يصرف عنه ويحال بينه وبينه ويقلب قلبه عنه فهذا إضلال العقوبة وهو من عدل الرب في عهده وأما الإضلال السابق الذى ضل به عن قبوله أولا والاهتداء به فهو اضرار ناشئ عن علم الله السابق في عهده انه لا يصلح للهدى ولا يلقى به وان محله غير قابل له. فانه أعلم حيث يضع هداة وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته فهو أعلم حيث يجعلها أصلا وميراثا وكانه ليس كل محل أهلا لتحمل الرسالة عنه وأدائها الى الخلق فليس كل محل أهلا لقبولها واتصديق بها كما قال تعالى (وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى ابتلينا واختبرنا بعضهم ببعض فأبلى الرؤساء والسادة بالاتباع والموالي والضعفاء فآذا نظر الرئيس والمطاع الى المولى والضعيف إنفة وأتف ان يسلم وقال هذا بمن الله عليه بالهدى والسعادة دونى قال الله تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) وهم الذين يعرفون النعمة وقدرها ويشكرون الله عليها بالاعتراف والذلل والخضوع والعبودية فلو كانت قلوبكم مثل قلوبهم تعرفون قدر نعمتى وتشكرونى عليها وتذكرونى بها وتخضعون لى كخضوعهم وتحبونى كحبهم لمنت عليكم كما منت عليهم ولكن لنتى ونعمى محال لا تلقى الا بها ولا تحسن الا عندها ولهذا يقرن كثيرا بين التخصيص والعلم كقوله ههنا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) وقوله (اذاجاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى تاتى مثل ما أتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى سبحانه المتفرد بالخلق والاختيار مما خلق وهو الاصطفاء والاجتباء ولهذا كان الوقت التام عند قوله ويختار ثم نفى عنهم الاختيار الذى اقترحوه بإرادتهم وان ذلك ليس اليهم بل الى الخلاق العالم الذى هو أعلم بمحالة الاختيار ومواقفه لامن قال (ولا تزل هذا القرآن على رءس من الفريقين عظيم) فأخبر سبحانه انه لا يبعث الرسل باختيارهم

وان البشر ليس لهم أن يختاروا على الله بل هو الذى يختار ما يشاء ويختار ثم نفى سبحانه أن تكون لهم الحيرة كما ليس لهم الخلق ومن زعم أن ما يفعلون يختار فقد غلط اذ لو كان هذا هو المراد لكانت الحيرة منصوبة على أنها خبر كان ولا يصح المعنى ما كان لهم الحيرة فيه وحذف العائد فان العائد هنا مجرور بحرف لم يجز الموصول بمثله فلو حذف مع الحرف لم يكن عليه دليل فلا يجوز حذفه وكذلك لم يفهم معنى الآية من قال ان الاختيار ههنا هو الارادة كما يقوله المتكلمون انه سبحانه فاعل بالاختيار فان هذا الاصطلاح حادث منهم لا يعمل عليه كلام الله بل لفظ الاختيار في القرآن مطابق لمعناه في اللغة وهو اختيار الشيء على غيره وهو يقتضى ترجيح ذلك المختار وتخصيصه وتقديره على غيره وهذا أمر أخص من مطلق الارادة والمشيئة قال في الصحاح الحيرة الاسم من قولك خار الله لك في هذا الامر والحيرة أيضا يقول حمد خيرة الله من خلقه وخيرة الله أيضا بالتسكين والاختيار الاصطفاة وكذلك التخيير والاستخارة طلب الحيرة يقال استخار الله بخيرك وخيرته بين الشيئين فوُضت اليه الاختيار انتهى فهذا هو الاختيار في اللغة وهو أخص مما اصطاح عليه أهل الكلام ومن هذا قوله (وما كان لمؤمن من أمره أن يقول نعم ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الحيرة من أمرهم) وقوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) أى اختار منهم وبهذا يحصل جواب السؤال الذى توردته القدرية بقولون في الكفر والمعاصى هل هي واقعة باختيار الله أم بغير اختياره فان قلتم باختياره فكل مختار مرضى مصطفى محبوب فتكون مرضية محبوبة له وان قلتم بغير اختياره لم يكن بمشيئته واختياره وجوابه ان يقال ماتعون بالاختيار العام في اصطلاح المتكلمين وهو المشيئة والارادة أم نقول به الاختيار الخاص الواقع في القرآن والسنة وكلام العرب وان أردتم بالاختيار الاول فهي واقعة باختياره هذا الاعتبار لكن لا يجوز أن يطابق ذلك عليها لما في لفظ الاختيار من معنى الاصطفاة والحجة بل يقال واقعة بمشيئته وقدرته وان أردتم بالاختيار مضاه في القرآن ولغة العرب فهي غير واقعة باختياره بهذا المعنى وان كانت واقعة بمشيئته فان قيل فهل تقولون انها واقعة بآرادته أم لا نقولون ذلك قيل لفظ الارادة في كتاب الله نوعان ارادة كونية شاملة لجميع الخلق واقعة بآرادته (فقال لما يريد) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) ونظائر ذلك واردة دينية أمرية لا يجب وقوع مرادها كقول (يريد الله بكم اليسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فهي مرادة بال معنى الاول غير مرادة بالمعنى الثانى وكذلك ان قيل هل هي واقعة بآذنه أم لا والاذن أيضا نوعان كونى كقول (وما هم بضارين به من أحد لا بأذن الله) ودينى امرى كقول (آية اذن لكم) وقوله (اذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا) ولفظ الاختيار مشتق من الخير الخالف للشر ولما كان الأصل في الحى انه يريد ما ينفعه وما هو خير سميت الارادة اختيارا وهذا يتضمن ان الارادة لا ترجح نوعا على نوع الامر رجح ذلك النوع عند الفاعل والمقصود انه يذكر العلم عند التخصيصات كقوله تعالى (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) لاختلاف بين الناس ان المعنى على علم منا بهم أهل الاختيار فالجمله في موضع نصب على الحال أى اخترناهم عالمين بهم وبأحوالهم وما يقتضى اختيارهم من قبل خلقهم ذكر سبحانه اختيارهم وحكمته في اختياره إياهم وذكر علمه الدال على مواضع حكمته واختياره ومن هذا قوله سبحانه (ولقد آتينا إبراهيم رشدا من قبل وكننا عالمين) وأصح الأقوال في الآية ان المعنى من قبل نزول التوراة فانه سبحانه قال ولقد آتينا موسى وهرون

الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين وقال (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) ثم قال ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل ذلك ولهذا قطعت قبل عن الاضافة وينت لان المضاف منوى معلوم وان كان غير مذكور في اللفظ وذكر سبحانه هؤلاء الثلاثة وهم أئمة الرسل وأكرم الخلق عليه محمد و ابراهيم وموسى وقد قيل من قبل أى في حال صغره قبل البلوغ وايس في اللفظ صايد على هذا والسياق انما يقتضى من قبل ما ذكر وقيل المعنى بقوله من قبل أى في سابق علمنا وليس في الآية أيضا ما يدل على ذلك ولا هو أمر مختص ب ابراهيم بل كل مؤمن فقد قدر الله هداه في سابق علمه والمقصود قوله وكنابه عالين قال البغوى انه أهل للهداية والنبوة وقال أبو الفرج أى عالين بأنه موضع لابتاء الرشده وقال صاحب الكشاف المعنى علمه به انه علم منه أحوالا بديعة واسراراً عجيبية وصفات قدرتها وحدها حتى أهله لخالاته ومخالصته وهذا كقولك في حر من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذانم الاحتواء على محاسن الاوصاف وهذا كقوله والله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله (ولقد اخترناهم على علم) ونظيره قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضهم من بعض والله سميع عليم) وقريب منه قوله (ولسليمان الریح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شيء عالين) حيث وضعنا هذا التخصيص في المحل الذى يابق به من الاماكن والأناسى

فصل وهو سبحانه كما هو العليم الحكيم في اختياره من يختاره من خلقه واضلاله من يضله منهم فهو العليم الحكيم بما في أمره وشرعه من العواقب الحميدة والغايات العظيمة قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) بين سبحانه ان ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصاحبة والمنفعة لهم التى اقتضت ان يختاره ويأمرهم به وهم قد يكرهونه اما لعدم العلم واما لتفوق الطبع فهذا علمه بما في عواقب أمره مما لا يعلمونه وذلك علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونه فهذه الآية تضمنت الحظ على التزام أمر الله وان شق على النفوس وعلى الرضا بقضائه وان كرهته النفوس وفي حديث الاستخارة اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلمه شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فأصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به * ولما كان العبد يحتاج في فعل ما ينفعه في معاشه ومعاده الى علم ما فيه من المصاحبة وقدره عليه ويسره له وليس له من نفسه شيء من ذلك بل علمه ممن علم الانسان ما لم يعلم وقدرته منه فان لم يقدره عليه والافهو عاجز ويسيره منه فان لم يسره عليه والافهو متعسر عليه بعدا قدره ارشده التنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى محض العبودية وهو جلب الخيرة من العالم بعواقب الامور وتفصيلها وخبرها وشهرها وطلب القدرة منه فانه ان لم يقدره والافهو عاجز وطلب فضله منه فان لم يسره له ويهيئه له والافهو متعذر عليه ثم اذا اختاره له بعلمه وأعاناه عليه بقدرته ويسره له من فضله فهو يحتاج الى أن يقيه عليه ويديمه بالبركة التى يضمها فيه والبركة تضمن ثبوته ونموه وهذا قدر زائد على إقداره عليه ويسره له ثم اذا فعل ذلك كله فهو محتاج الى أن يرضيه به فانه قد يهيب له ما يكرهه فيضل ساخطا ويكون قد خار الله فيه قال عبدالله بن عمران الرجل ليستخير الله فيختاره له فيدخض على ربه فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فإذا هو قد خاره وفي المسند من

حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاهما قضاء الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله عز وجل ومن شقوة ابن آدم سيخطه بما قضى الله فالمقدور يكتنفه امران الاستخارة قبله والرضا بعده فمن توفيق الله لعبده واسعاده اياه ان يختار قبل وقوعه ويرضى بعد وقوعه ومن خذلانه له ان لا يستخيره قبل وقوعه ولا يرضى به بعد وقوعه وقال عمر بن الخطاب لأبالي أصبحت على ما أحب وأوعلى ما أكره لاني لأدري الحسير فيما أحب وأوفيا أكره وقال الحسن لا تتركوا النعمات الواقعة والبلايا الحادثة فرب امر تتركه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثر فيه عطبك

فصل وما يناسب هذا قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين مخلفين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فلم ملتم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) بين سبحانه حكمة ما كرهه عام الحديبية من صد المشركين لهم حتى رجعوا ولم يعتمروا وبين لهم ان مطلوبهم يحصل بعد هذا فصل في العام القابل وقال سبحانه فلم ملتم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهو صاحب الحديبية وهو أول الفتح المذكور في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا فان بسببه حصل من مصالح الدين والدنيا والنصر وظهور الاسلام وبطلان الكفر ما لم يكونوا يرجونه قبل ذلك ودخل الناس بعضهم في بعض وتكلم المسلمون بكلمة الاسلام وبراهينه وأدلتهم جهرة لا يخافون ودخل في ذلك الوقت في الاسلام قريب من دخل فيه الى ذلك الوقت وظهر لكل أحد بغى المشركين وعداوتهم وعنادهم وعلم الخاس والعام ان محمدا وأصحابه أولى الحق والهدى وان أعداءهم ليس بأيديهم الا العدوان والعناد فان البيت الحرام لم يصد عنه حاج ولا معتمر من زمن إبراهيم فتحققت العرب عناد قريش وعداوتهم وكان ذلك داعية لبشر كثير الى الاسلام وزاد عناد القوم وطغيانهم وذلك من أكبر العون على نفوسهم وزاد صبر المؤمنين واحتماهم والتزامهم لحكم الله وطاعة رسوله وذلك من أعظم أسباب نصرهم الى غير ذلك من الامور التي علمها الله ولم يعلمها الصحابة ولهذا سماه فتحا وسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفتح هو قال نعم

فصل ويشبه هذا قول يوسف الصديق (يا بئس هذا تأويل رؤيائي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسننى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني واخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العالم الحكيم فاخبر انه يلطف لما يريد فأتى به بطرق خفية لا يعلمها الناس واسمه اللطيف يتضمن علمه بالاشياء الدقيقة وايصاله الرحمة بالطرق الخفية ومنه اللطف كما قال اهل الكهف (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً) فكان ظاهر ما منحني به يوسف من مفارقة أبيه والقائه في السجن وبعه رقيقا ثم مراودة التي هو في بيتها عن نفسه وكذبها عليه وسجنه محنا ومصائب وباطنها نعماء وفتحها ما الله سببا لسعادته في الدنيا والآخرة * ومن هذا الباب ما يتلى به عبادة من المصائب وأمرهم به من انكاره وبنهاهم عنه من الشهوات هي طرق يوصلهم بها الى سعادتهم في العاجل والآجل وقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقضى الله لامؤمن قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن فالقضاء كله خير لمن أعطى الشكر والصبر جالبا ما جلب

وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله تعالى عليهم وسلم من الامور التي هي في الظاهر محن وابتلاء وهي في الباطن طرق خفية أدخلها بهم الى غاية كمالهم وسعادتهم فتأمل قصة موسى وما لطف له من إخراجيه في وقت ذبح فرعون للاطفال ووجهه الى أمه ان تلقيه في الميم وسوقه بلطفه الى دار عدوه الذي قدر هلاكه على يديه وهو يذبح الأطفال في طلبه فرماه في بيته وحجره على فراشه ثم قدر له سببا أخرجه من مصر وأوصله به الى موضع الأحكام لفرعون عليه ثم قدر له سببا وأوصله به الى النكاح والغنى بعد العزوبة والعيالة ثم ساقه الى بلد عدوه فاقام عليه به حجته ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم واعلا كهم وهم ينظرون وهذا كله مما يبين انه سبحانه يفعل ما يفعله لما يريد من العواقب الحميدة والحكم العظيمة التي لا تدركها عقول الخلق مع ما في ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابعة والتعريف الى عباده بأسمائه وصفاته فكم في أكل آدم من الشجرة التي نهى عنها وإخراجه بسببها من الجنة من حكمة بالغة لا تهتدى العقول الى تفاصيلها وكذلك ما قدره لسيد ولده من الامور التي أوصله بها الى اشرف غاياته وأوصله بالطرق الخفية فيها الى أحد العواقب وكذلك فعله بعباده وأوليائه ليوصل اليهم نعمه ويسوقهم الى كمالهم وسعادتهم في الطرق الخفية التي لا يهتدون الى معرفتها الا اذا لاحت لهم عواقبها وهذا أمر يضيق الجنان عن معرفة تفاصيله ويحصر اللسان عن التعبير عنه وأعرف خالق الله به أنبياءه ورسله وأعرفهم به خاتمهم وأفضاهم وأتمه في العلم به على مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم من العلم بالله وباسمائه وصفاته وهو سبحانه قد أحاط علما بذلك كله قبل السموات والارض وقدره وكتبه عنده ثم يأمر ملائكته بكتابة ذلك من الكتاب الاول قبل خلق العبد فيطابق حاله وشانه لما كتب في الكتاب ولما كتبه الملائكة لا يزيد شيئا ولا ينقص مما كتبه سبحانه وأثبتته عنده كان في علمه قبل ان يكتبه ثم كتبه كما في علمه ثم وجد كما كتبه قال تعالى (ألم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) والله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملون وما هم اليه صائرون ثم أخرجهم الى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه وابتلاهم من الامر والهي والخير والشر بما أظهر معلومه فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل ان يعملوا فأنزل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه اعدارا اليهم واقامة للحجة عليهم لتلايقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم حصل العقاب على معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار وكما ابتلاهم بأمره ونهيه ابتلاهم بما زين لهم من الدنيا وبما ركب فيها من الشهوات فذلك ابتلاء بشرعه وأمره وهذا ابتلاء بقضائه وقدره وقال تعالى (إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وقال (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) فاخبر في هذه الآية انه خلق السموات والارض ليتلى عباده بأمره ونهيه وهذا من الحق الذي خلق به خلقه وأخبر في الآية التي قبلها انه خلق الموت والحياة ليتلهم أيضا فاحياهم ليتلهم بأمره ونهيه وقدر عليهم الموت الذي ينالوا به عاقبة ذلك الابتلاء من الثواب والعقاب وان خبر في الآية الاولى انه زين لهم ما على الارض ليتلهم به أيهم يؤثر ما عنده عليه وابتلا بعضهم ببعض

وابتلاهم بالنعم والمصائب فظهر هذا الابتلاء علمه السابق فيهم موجودا عيانا بعد ان كان غيبا في علمه
فأبلى أبوى الانس والجن كل منهما بالآخر فظهر ابتلاء آدم ماعلمه منه وأظهر ابتلاء إبليس ماعلمه منه فلهذا
قال الملائكة (إني أعلم ما لاتعلمون) واستمر هذا الابتلاء في الذرية الى يوم القيامة فأبلى الانبياء بآبائهم وأبلى
أئمتهم بهم وقال لعبيده ورسوله وخليفه إني مبتليكم ومبتل بك وقال (وتبلاؤكم بالشر والخير فتنة) والينا
ترجعون) وقال (وجعلنا بكم بعض فتنة) وفي الحديث الصحيح ان ثلاثة أراد الله أن يبتليهم أبرص
وأقرع وأعمى فظهر الابتلاء حقاً عليهم التي كانت في علمه قبل أن يخلقهم فاما الأعمى فاعترف بانعام الله
عليه وانه كان أعمى فقير افطاع الله البصر والغنى وبذل للسائل ما طابه شكر الله وأما الأقرع والابرص
فكلاهما جحدا ما كان عليه قبل ذلك من سوء الحال والفقر وقال في الفتى انما أوتيته كبرا عن كابر
وهذا حال أكثر الناس لا يعترف بما كان عليه أولا من نقص أو جهل وفقر وذنوب وإن الله سبحانه
نقله من ذلك الى ضد ما كان عليه وأنعم بذلك عليه ولهذا ينبه سبحانه الانسان على مبدأ خلقه
الضعيف من الماء المهيمن ثم نقله في اطباق خلقه واطواره من حال الى حال حتى جعله بشراً سوياً
يسمع ويبصر ويقول وينطق ويحس ويعلم ففسى مبدأ وأوله وكيف كان ولم يعترف بنعم ربه عليه
كما قال تعالى (أيطمع كل أمرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلاً انا خلقناهم من ماعلمون) وأنت اذا
تأملت ارتباط احدي المجتئين بالآخرى وجدت تحتها كنزاً عظيماً من كنوز المعرفة والعلم فاشار
سبحانه بمبدأ خلقه مما يعلمون من النطفة وما بعدها الى موضع الحجة والآية الدالة على وجوده
ووحدانيته وكأله وتفرده بالربوبية والالهية وانه لا يجنس به مع ذلك أن يتركهم سدى لا يرسل اليهم
رسولا ولا ينزل عليهم كتاباً وانه لا يعجز مع ذلك أن يخلقهم بعد ما أماتهم خلقاً جديداً وبعثهم الى
دار يوفيه فيها أعمالهم من الخير والشر فكيف يطعمون في دخول الجنة وهم يكذبون ويكذبون
رسلي ويعبدون بى خالق وهم يعلمون من أى شئ خلقهم ويشبه هذا قوله (نحن خلقناكم فلولا
تصدقون) وهم كانوا مصدقين بأنه خالقهم ولكن احتج عليهم بخلقهم لهم على توحيدهم ومعرفته وصدق
رسله فدعاهم منهم ومن خلقه الى الاقرار باسمائه وصفاته وتوحيده وصدق رسله والايمان بالمعاد وهو
سبحانه يذكر عبادته بنعمة عليهم ويدعوهم بها الى معرفته ومحبته وتصديق رسله والايمان ببقائه كما
تضمنته سورة النعم وهى سورة النحل من قوله خلق الانسان من نطفة الى قوله (والله جميل لكم بما
خلق ظلالة وجعل لكم من الحيات أكناً وجعل لكم سرايل تقيمكم الحر وسرايل تقيمكم بأسكم
كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تتسبون) فذكرهم باصول النعم وفروعها وعددها عليهم نعمة نعمة وأخبر
انه أنعم بذلك عليهم ليساموا له فتكمل نعمه عليهم بالاسلام الذى هو رأس النعم ثم أخبر عن كفره
ولم يشكر نعمه بقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال مجاهد المساكين والأنام وسرايل الثياب
والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونها بأن يقولوا هذا كان لأبائنا ورتناه عنهم وقال عون بن عبد
الله يقولون لولا فلان لكان كذا وكذا وقال الفراء وابن قتيبة يعرفون ان النعم من الله ولكن يقولون
هذه بشفاعه آلهتنا وقالت طائفة النعمة ههنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وإنكارها جحدهم نبوته
وهذا يروى عن مجاهد والسدى وهذا أقرب الى حقيقة الإنكار فانه إنكار لما هو أجل النعم أن
تكون نعمة وأما على القول الاول والثاني والثالث فانهم لما أضافوا النعمة الى غير الله فقد أنكروا

نعمة الله بنسبتها إلى غيره فإن الذي قال إنما كان هذا لأبائنا ورثناه كبرا عن كبر جاحداً لنعمة الله عليه غير معترف بها وهو كالابرص والاقرع اللذين ذكرهما الملك بنعم الله عليهم ما فأنكرا وقالوا إنما ورثنا هذا كبرا عن كبر فقال ان كنتم كاذبين فصيركم الله إلى ما كنتم وكونهم موروثة عن الآباء بلغ في انعام الله عليهم اذا نعم بها على آباءهم ثم ورثهم إياها فتمتعوا بهم وآبؤهم بنعمة وأما قول الآخرين لولا فلان لما كان كذا فيتضمن قطع اضافة النعمة إلى من لولاه لم تكن وأضافتها إلى من لا يملك لنفسه ولا غيره ضرراً ولا نفعاً وغاية أن تكون جزء من اجزاء السبب أجرى الله تعالى نعمته على يده والسبب لا يستقل بالإيجاد وحده سبباً هو من نعم الله عليه وهو المنعم بتلك النعمة وهو المنعم بما جعله من أسبابها فالسبب والمسبب من انعامه وهو سبحانه قد ينعم بذلك السبب وقد ينعم بدوره فلا يكون له أثر وقد يسلبه تسببته وقد يجعل لها معارضا يقاومها وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه فهو وحده المنعم على الحقيقة وأما قول القائل بشفاعته ألطنا فتضمن الشرك مع اضافة النعمة إلى غير وليها فالله التي تعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله وهي محضرة في الطوان والعذاب مع عابديها وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده الا من بعد إذ نزل من ارتضاه فالشفاعة بأذنه من نعمه فهو المنعم بالشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل المشفوع له لئلا يس كل أحد أهلاً أن يشفع له فمن المنعم على الحقيقة سواء قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) فالعبد لا خروج له عن نعمته وفضله ومنته وإحسانه طرفة عين لافي الدنيا ولا في الآخرة ولهذا ذم الله سبحانه من آتاه شيئاً من نعمة فقال إنما أوتيته على علم عندي وفي الآية الاخرى (واذا مس الانسان ضرر دعا ثم اذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) وقال بغوى على علم من الله اني له أهل وقال مقاتل على خير علمه الله عندي وقال آخرون على علم من الله اني له أهل ومضمون هذا القول ان الله آتاه على علمه بأني أهله وقال آخرون بل العلم له نفسه ومعناه أوتيته على علم مني بوجوده المكسب قاله قتادة وغيره وقيل المعنى قد علمت اني لما أوتيته هذا في الدنيا في عند الله منزلة وشرف وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف قال تعالى بل هي فتنة أي النعم التي أوتيها فتنة تختبر فيها ومحنة تمتحن بها لا يدل على اصطفاؤه واجتباؤه وأنه محبوب لما يقرب عندها ولهذا قال في قصة قارون (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) فلو كان إعطاء المال والقوة والجاه يدل على رضا الله سبحانه عن آتاه ذلك وشرف قدره وعلو منزلته عنده لما أهلك من آتاه من ذلك أكثر مما آتى قارون فلما أهلكهم مع سعة هذا المطاع وبسطه علم ان عطاءه إنما كان ابتلاء وقتلة لا محبة ورضا واصطفاء لهم على غيرهم ولهذا قال في الآية الاخرى بل هي فتنة أي النعمة فتنة لاكرامة ولكن أكثرهم لا يعلمون ثم أكد هذا المعنى بقوله (قد قالها الذين من قبلهم فأنغى عنهم ما كانوا يكرسون فاصابهم سيئات ما كسبوا) أي قد قال هذه المقالة الذين من قبلهم لما آتيناهم نعمنا قال ابن عباس كانوا قد بطروا نعمة الله إذ آتاهم الدنيا وفرحوا بها وظفروا قالوا هذه كرامة من الله لنا وقوله فأنغى عنهم ما كانوا يكرسون المعنى أنهم ظنوا أن ما آتاهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك لأنهم وقعوا في العذاب ولم ين عنهم ما كسبوا شيئاً وتبين أن تلك النعم لم تكن لكرامتهم علينا وهو ان من منعه إياها وقال أبو اسحاق معنى الآية ان قواهم إنما آتانا ذلك لكرامتنا عليه وإياها أخطأ عملهم فكفى عن إيجاب العمل بقوله (فأنغى عنهم ما كانوا يكرسون) ثم أبطل

سبحانه هذا الظن الكاذب منهم بقوله (أو لم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) والمقصود أن قوله على علم عندي إن أريد به علمه نفسه كان المعنى أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة والمعرفة التي توصلت بها إلى ذلك وحصلته بها وإن أريد به علم الله كان المعنى أوتيته على ما علم الله عندي من الخير والاستحقاق وإلى أهله وذلك من كرامتي عليه وقد يترجح هذا القول بقوله أوتيته ولم يقل حصلته واكتسبته بعلمي ومعرفتي فدل على اعترافه بأن غيره آياه ويدل عليه قوله تعالى (بل هي فتنة) أي محنة واختبار والمعنى أنه لم يؤت هذا لكرامته علينا بل أوتيته امتحانا منا وابتلاء واختبارا هل يشكر فيه أم يكفر وأيضا فهذا يوافق قوله (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن) فهو قد اعترف بأن ربه هو الذي آياه ذلك ولكن ظن أنه لكرامته عليه فالآية على التقدير الأول تتضمن ذم من أضاف النعم إلى نفسه وعلمه وقوته ولم يضيفها إلى فضل الله وإحسانه وذلك محض الكفر بها فإن رأس الشكر الاعتراف بالنعمة وأنها من المنعم وحده فإذا أضيفت إلى غيره كان جحدا لها فإذا قال أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة التي حصلت بها ذلك فقد أضافها إلى نفسه وأعجب بها كما أضافها إلى قدرته الذين قالوا من أشد منا قوة فهؤلاء اغتروا بقوتهم وهذا اغتر بعلمه فما أغنى عن هؤلاء قوتهم ولا عن هذا علمه وعلى التقدير الثاني يتضمن ذم من اعتقد أن أنعم الله عليه لكونه أهلا ومستحقا لهذا فقد جعل سبب النعمة مقام به من الصفات التي يستحق بها على الله أن ينعم عليه وإن تلك النعمة جزاء له على إحسانه وخيره فقد جعل سببا ما أنصف به هؤلاء ما قام بربه من الجود والإحسان والفضل والمنة ولم يعلم أن ذلك ابتلاء واختبار له أشكر أم يكفر ليس ذلك جزاء على ما هو منه ولو كان ذلك جزاء على عمله أو خير قام به فالله سبحانه هو المنعم عليه بذلك السبب فهو المنعم بالمسبب والجزاء والكل محض منته وفضله وجوده وليس للعبد من نفسه مثقال ذرة من الخير وعلى التقديرين فهو لم يضيف النعمة إلى الرب من كل وجه وإن أضافها إليه من وجه دون وجه وهو سبحانه وحده هو المنعم من جميع الوجوه على الحقيقة بالنعم وأسبابها وأسبابها من نعمه على العبد وإن حصلت بكسبه فكسبه من نعمه فكل نعمة فمن الله وحده حتى الشكر فانه نعمة وهي منه سبحانه فلا يطيق أحد أن يشكره إلا بنعمته وشكره نعمة منه عليه كما قال داود يارب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من نعمك علىّ تستوجب شكرا آخر فقال الآن شكرتني يا داود ذكره الإمام أحمد وذكر أيضا عن الحسن قال قال داود إلهي لو أن لكل شجرة من شعري لسانين يذكر أنك بالليل والنهار والذهب كله لما أدوا مالك علىّ من حق نعمة واحدة (والمقصود) أن حال الشاكر ضد حال القائل إنما أوتيته على علم عندي ونظير ذلك قوله (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه السرف فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذالي) قال ابن عباس يريد من عندي وقال مقاتل يعني أنا أحق بهذا وقال مجاهد هذا بعلمي وأنا محقوق به وقال الزجاج هذا واجب بعلمي استحقته فوصف الإنسان بأقبح صفتين إن مسه الشر صار إلى حال القانط ووجع وجوم الأيس فإذا مسه الخير نسي أن الله هو المنعم عليه المفضل بما أعطاه فاطر وطن أنه هو المستحق لذلك ثم أضاف إلى ذلك تكذيبه بالبعث فقال وما ظن الساعة قائمة ثم أضاف إلى ذلك ظنه الكاذب أنه إن بعث كان له عند الله الحسنى فلم يدع هذا للجهل والغرور وموضعا

فصل وفي قوله تعالى (وأضله الله على علم) قول آخر انه على علم الضال كما قيل على علم منه ان معبوده لا ينفع ولا يضر فيكون المعنى أضله الله مع علمه الذى تقوم به عليه الحجة لم يقضه على جهل وعدم علم هذا يشبه قوله (فلا تجملوا بالله أن دادوا وتم تعلمون) وقوله (فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقوله (وآية نوحود الناقة مبصرة فظاوما بها) وقول موسى لفرعون (لقد علمت مأنزل هؤلاء الرب السموات والارض بصائر) وقوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقوله (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يخحدون) وقوله (وما كان الله ليضل قوما بعداذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) ونظائره كثيرة وعلى هذا التقدير فهو ضال عن سلوك طريق رشده وهو رايها عيانا كما في الحديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فان الضال عن الطريق قد يكون متبعيا لخواه عالما بان الرشده والهدى في خلاف ما يعمل ولما كان الهدى هو معرفة الحق والعمل به كان له ضدان الجهل وترك العمل به فالأول ضلال في العلم والثاني ضلال في القصد والعمل فقد وقع قوله على علم في قوله تعالى (ولقد اخترناهم على علم) وفي قوله وأضله الله على علم وفي قوله قال انما أوتيته على علم فالأول يرجع العلم فيه الى الله قولاً واحداً والثاني والثالث فيهما قولان والراجح في قوله وأضله الله على علم أن يكون كالأول وهو قول عامة السلف والثالث فيه قولان محتملان وقد ذكر توجههما والله أعلم والمقصود ذكر مراتب القضاء والقدر علما وكتابة ومشيئة وخلقاً

الباب الحادى عشر في ذكر المرتبة الثانية وهى مرتبة الكتابة

وقد تقدم في أول الكتاب ما دل على ذلك من نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة فقد ذكرنا بعض ما لم نذكره قال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذك ان الارض يرثها عبادى الصالحون ان في هذا لبالغا لقوم عابدين) فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود والذكر أم الكتاب الذى عند الله والارض الدنيا وعباده الصالحون أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هذا أصح الأقوال في هذه الآية وهى علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أخبر بذلك بمكة وأهل الارض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه والمشركون قد أخرجوه من ديارهم ومساكنهم وشتتوهم في أطراف الارض فاخبرهم ربهم تبارك وتعالى انه كتب في الذكر الاول انهم يرثون الارض من الكفار ثم كتب ذلك في الكتب التى أنزلها على رسله والكتاب قد أطلق عليه الذكر في قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته كان الله ولم يكن شئ غيرة وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ فهذا هو الذكر الذى كتب فيه ان الدنيا تصير لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والكتب المنزلة قد أطلق عليها الزبور في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات والزرر أى أرسلناهم بالآيات الواضحات والكتب التى فيها الهدى والنور والذكر هنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما التوراة والانجيل والذكر في قوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) هو القرآن ففي هذه الآية علمه بما كان قبل كونه وكتابته له بعد علمه وقال تعالى (إننا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم

وكل شئ أحصيناه في (اماميين) جُمع بين الكتابين الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم والكتاب
المقارن لأعمالهم فاخبر انه يخبرهم بعد ما أماتهم للبحث ويجازيهم بأعمالهم ونبه بكتابه لها على ذلك قال
نكتب ما قدموا من خير أوشر فعلوه في حياتهم وآثارهم ما سنوا من سنة خير أوشر فاقتمدى بهم فيها
بعد موتهم وقال ابن عباس في رواية عطاء آثارهم ما أثروا من خير أوشر كقوله (ينبأ الانسان يومئذ
بناذم وأخر) (فان فات) قد استفيد هذا من قوله قدموا فإفاد قوله آثارهم على قوله (قلت) إفاد فائدة
جلية وهو انه سبحانه يكتب ما عملوه وما تولد من أعمالهم فيكون المتولد عنها كأنهم عملوه في الخير والشر
وهو أثر أعمالهم فآثارهم هي آثار أعمالهم المتولدة عنها وهذا القول أعم من قول مقاتل وكأن مقاتلا
أراد التميل والبيان على عادة السلف في تفسير النافضة العامة بنوع أو فرد من أفراد مدلولها تقريبا
وتعميلا لاحصا وإحاطة وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة نزلت هذه الآية في بنى سلمة
أرادوا أن ينتقلوا الى قرب المسجد وكانت منازلهم بعيدة فلما نزلت قالوا بل نمك مكاننا واحتج أرباب
هذا القول بما في صحيح البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة
فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية (إنما نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم وقد روى مسلم في صحيحه نحوه من
حديث جابر وأنس وفي هذا القول نظر فان سورة يس مكية وقصة بنى سلمة بالمدينة الا أن يقال
هذه الآية وحدها مدينة وأحسن من هذا أن تكون ذكرت عند هذه القصة ودلت عليها وذكروا
بها عندها إيمان النبي صلى الله عليه وسلم واما من جبريل فاطلق على ذلك النزول ولعل هذا مراد
من قال في تضائر ذلك نزلت مرتين والمقصود أن خطاهم الى المساجد من آثارهم التي يكتبها الله لهم
قال عمر بن الخطاب لو كان الله سبحانه تاركا لابن آدم شيئا ترك ما عفت عليه الرياح من أثر وقال مسروق
ما خطا رجل خطوة الا كتبت له حسنة أو سيئة والمقصود ان قوله (وكل شئ أحصيناه في اماميين)
وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذى كتب فيه كل شئ يتضمن كتابة أعمال العباد
قبل ان يعملوها والاحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها والاحاطة بمرادها وإبناها فيه وقال
تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ)
ثم الى ربهم يحشرون) وقد اختلف في الكتاب ههنا هل هو القرآن أو اللوح المحفوظ على قولين
فقال طائفة المراد به القرآن وهذا من العام المراد به الخاص أى ما فرطنا فيه من شئ يحتاجون الى ذكره
وبانه كقوله (وأنزلنا اليك الكتاب نبيا لكى شئ) ويجوز أن يكون من العام المراد به عمومهم والمراد
ان كل شئ ذكر فيه مجعلا ومفصلا كما قال ابن مسعود وقد لعن الواصلة والمستوصلة مالي لألن من
لعنه الله في كتابه فقالت امرأة لقد قرأت القرآن فما وجدته فقال ان كنت قرأتيه فقد وجدته قال تعالى
(ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة
وقال الشافعى ما نزل بأحد من المسلمين نازلة الا وفي كتاب الله سبيل الدلالة عليها وقالت طائفة المراد
بالكتاب في الآية اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل شئ وهذا إحدى الروايتين عن ابن عباس وكان
هذا القول أظهر في الآية والسياق يدل عليه فنه قال (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم
أمثالكم) وهذا يتضمن انها أمم أمثالنا في الخلق والرزق والاكل والتقدير الاول وانها لم تخلق سدى

بل هي معبدة مذلة قد قدر خلقها وأجلها ورزقها وماتصير اليه ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فائها
ثم قال إلى ربهم يحشرون فذكر مبدأها ونهايتها وأدخل بين هاتين الحالتين قوله (ما فرطنا في الكتاب)
من شئ أى كلها قد كتبت وقد رت وأحصيت قبل أن توجد فلا يناسب هذا ذكر كتاب الامر
والنهي وإنما يناسب ذكر الكتاب الاول * ولما نصر القول الاول أن يحجب عن هذا بان في ذكر
القرآن ههنا الاخبار عن تضمنه لذكر ذلك والاخبار به فلم يفرط فيه من شئ بل أخبرناكم بكل ما
كان وما هو كائن اجمالاً وتفصيلاً ويرجحه أمر آخر وهو أن هذا ذكر عقيب قوله (وقالوا لولا أنزل
عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) ففهمهم على أعظم الآيات
وأدلهما على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الكتاب الذى يتضمن بيان كل شئ ولم يفرط فيه
من شئ ثم نبههم بانهم أمة من جملة الامم التى فى السموات والارض وهذا يتضمن التعريف بوجود
الخالق وكمال قدرته وعلمه وسعة ملكه وكثرة جنوده والامم التى لا يحصىها غيره وهذا يتضمن أنه
لا اله غيره ولا رب سواه وأنه رب العالمين فهذا دليل على وحدانيته وصفات كماله من جهة خلقه
وقدره وانزال الكتاب الذى لم يفرط فيه من شئ دليل من جهة أمره وكلامه فهذا استدلال بأمرة
وذلك بخلقه ألا اله الا الخالق والامر تبارك الله رب العالمين * وشهد لهذا أيضاً قوله (وقالوا لولا أنزل عليه
آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أياك الكتاب يتلى عليهم
ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) ولما نصر أن المراد بالكتاب التوحيد المحفوظ أن يقول
لما سألو آية أخبرهم سبحانه بأنه لم يترك انزالها لعدم قدرته على ذلك فإنه قادر على ذلك وانما لم ينزلها
لحكمته ورحمته بهم واحسانه اليهم اذ لو أنزلها على وفق اقتراحهم لم وجعلوا بالقوبة ان لم يؤمنوا ثم ذكر
ما يدل على كمال قدرته بخلق الامم العظيمة التى لا يحصى عددها الا هو فن قدر على خلق هذه الامم
مع اختلاف أجناسها وأنواعها وصفاتها وهيئاتها كيف يعجز عن انزال آية ثم أخبر عن كمال قدرته
وعلمه بان هؤلاء الامم قد أحصاهم وكتبهم وقدر أرزاقهم وأجلهم وأحوالهم فى كتاب لم يفرط فيه
من شئ ثم نبههم ثم يحشروهم اليه والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات عن النظر والاعتبار الذى
يؤدبهم الى معرفة ربوبيته ووحدانيته وصدق رسله ثم أخبر ان الآيات لا تستقل بالهدى ولو أنزلها على
وفق اقتراح البشر بل الامر كله لمن يشأ بضالته ومن يشأ يجهله على صراط مستقيم فهو أظهر القولين
والله أعلم وقال (حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون وأنه فى أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم) قال ابن عباس فى اللوح المحفوظ المقرئ عندنا قال مقاتل ان نسخة فى أصل الكتاب وهو
اللوحة المحفوظ وأم الكتاب أصل الكتاب وأما كل شئ أصله والقرآن كتبه الله فى اللوح المحفوظ
قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) واجمع الصحابة والتابعون
وجميع أهل السنة والحديث ان كل كائن الى يوم القيامة فهو مكتوب فى أم الكتاب وقد دل القرآن
على ان الرب تعالى كتب فى أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكاتب فى اللوح أفعاله وكلامه فثبت بدا
أبى لهب فى اللوح المحفوظ قبل وجود أبى لهب وقوله لدينا يجوز فيه أن تكون من صلة أم الكتاب
أى انه فى الكتاب الذى عندنا وهذا اختيار ابن عباس ويجوز أن يكون من صلة الخبر انه على حكم
عندنا ليس هو كما عند المكذبين به أى وان كذبتهم به وكفرتم فهو عندنا فى غاية الارتقاء والشرف

والاحكام وقال تعالى (من اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قال سعيد بن جبير ومجاهد وعطية أى ماسبق لهم فى الكتاب من الشقاوة والسعادة ثم قرأ عطية (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة والمعنى ان هؤلاء أدركهم ما كتب لهم من الشقاوة وهذا قول ابن عباس فى رواية عطاء قال يريد ماسبق عليهم فى علمى فى الواح المحفوظ فالكتاب على هذا القول الكتاب الاول ونصيبهم ما كتب لهم من الشقاوة وأسبابها وقال ابن زيد والقرطبي والربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم من الارزاق والاعمال فإذا فنى نصيبهم واستكملوه جاءتهم رسلنا يتوفونهم ورجع بعضهم هذا القول لمكان حتى التى هى للغاية يعنى انهم يستوفون أرزاقهم وأعمارهم الى الموت ولما نضر القول الاول أن يقول حتى فى هذا الموضع هى التى تدخل على الجمل ويتصرف الكلام فيها الى الابتداء كما فى كقوله * فياعجبا حتى كليب تسبى* والصحيح ان نصيبهم من الكتاب يتناول الامرين فهو نصيبهم من الشقاوة ونصيبهم من الاعمال التى هى أسبابها ونصيبهم من الاعمار التى هى مدة اكتسابها ونصيبهم من الارزاق التى استعانوا بها على ذلك فعمت الآية هذا النصيب كله وذكر هؤلاء بعضه وهؤلاء بعضه هذا على القول الصحيح وان المراد ماسبق لهم فى أم الكتاب وقالت طائفة المراد بالكتاب القرآن قال الزجاج معنى نصيبهم من الكتاب ما أخبر الله من جزائهم نحو قوله (فانذرتكم نارا تلظى) وقوله يسلكه عذابا صمدا) قال أرباب هذا القول وهذا هو الظاهر لانه ذكر عذابهم فى القرآن فى مواضع ثم أخبر انه ينالهم نصيبهم منه والصحيح القول الاول وهو نصيبهم الذى كتب لهم أن ينالوه قبل أن يخلقوا ولهذا القول وجه حسن وهو أن نصيب المؤمنين منه الرحمة والسعادة ونصيب هؤلاء منه العذاب والشقاء فنصيب كل فريق منه ما اختاروه لانفسهم وآثروه على غيره كما ان حظ المؤمنين منه كان الهدى والرحمة فحفظ هؤلاء منه الضلال والحية فكان حظهم من هذه النعمة أن صارت نعمة وحسرة عليهم وقريب من هذا قوله وتعملون رزقكم انكم تكذبون أى تجعلون حظكم من هذا الرزق الذى به حياتكم التكذيب به قال الحسن تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن انكم تكذبون قال وخسر عبد لا يكون حظهم من كتاب الله الا التكذيب به وقال تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر) قل عطاء ومقاتل كل شئ فعلوه مكتوب عليهم فى الواح المحفوظ وروى حماد بن زيد عن داود بن أبى هند عن الشعبي وكل شئ فعلوه فى الزبر قال كتب عليهم قبل أن يصلوه وقالت طائفة المعنى انهم يحصى عليهم فى كتب أعمالهم وجمع أبو اسحاق بين القولين فقال مكتوب عليهم قبل أن يفعلوه ومكتوب عليهم اذا فعلوه للجزاء وهذا أصح وبالله التوفيق وفى الصحيحين من حديث ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه بالعلم مما قال أبو هريرة ان انبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا فادرك ذلك بالحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفى الصحيح أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لاحالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق الفرع ذلك كله ويكذبه وفى صحيح البخارى وغيره عن عمران بن حصين قال دخلت على النبی صلى الله تعالى عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فانا ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا

مرتين ثم دخل عليه ناس من الجن فقال اقبلوا البشرى يا اهل الجن اذم بقباها بنو تميم قالوا قد قبلنا
بارسول الله قالوا جئنا لنسألك عن هذا الامر قال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء
وكتب في الذكر كل شئ وخلق السموات والارض فنادى مناد ذهب ناقك يا بن الحصن فانطلقت
فاذا هي ينقطع دونها السراب فوالله لوددت اني كنت تركتها فارب سبحانه كتب ما يقوله وما يفعله
وما يكون بقوله وفعله وكتب مقتضى اسمائه وصفاته وآثارها كما في الصحيحين من حديث ابي الزناد
عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في
كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي

الباب الثاني عشر

في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة

وهذه المرتبة قد دل عليها اجماع الرسل من اولهم الى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله
والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وايس في الوجود موجب ومقتضى المشيئة
الله وحده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم الا به والمسلمون من اولهم
الى آخرهم مجمعون على انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا
الموضع وان كان منهم في موضع آخر فبخوزوا ان يكون في الوجود ما لا يشاء الله وان يشاء ما لا يكون
وخالف الرسل كلهم واتباعهم من انفي مشيئة الله بالكلية ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيار او جدها
الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة واتباعهم والقرآن والسنة مملوءان بكذب
الطائفتين فقوله تعالى (ولو شاء الله ما قتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم اليينات ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) (كذلك يفعل
الله ما يشاء) وقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا ولو شاء ربك ما فلوه فذرهم وما يفترون) وقال (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم
جميعا) وقال (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) وقال (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وقال (ولو شئنا
لا تينا كل نفس هداها) وقال (ولو شاء الله لاتنصر منهم) وقال (ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) وقال
(فان يشأ الله يحكم على قلبك) وقال (ان يشأ يذهبكم ايها الناس وايات باخرين وكان الله على ذلك قديرا)
وقال (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وقال عن نوح انه قال لقومه (انما يا تيكم به الله ان
شاء) وقال امام الحنفاء ابو الانبياء لقومه (ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل
شئ) (علما) وقال الذبيح له (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) وقال خطيب الانبياء شيب (وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا) وقال الصديق الكريم ابن
الكريم ابن الكريم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) وقال حموموسى (وما أريد أن أشق عليك ستجدنى
ان شاء الله من البصالحين) وقال كليم الرحمن لاخضر (ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا)
وقال قوم موسى له (وانا ان شاء الله لمهتدون) وقال لسيد ولد آدم وأكرمهم عليه (ولا تقولن لئى ائى
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) وقال (قل لأملك لنفى ضرأ ولا نفعا الا ما شاء الله) وقال عن أهل

الجنة (خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) وعن أهل النار كذلك ليعين ان الامر راجع الى مشيئته ولوشاء لكان غير ذلك وقال (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحكم أو ان يشأ يعذبكم) وقال (يفغر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) وقال (ان ربك يسبط الرزق لمن يشاء ويقدر) وقال (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وقال (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقال (وما أرسلنا من رسول الا باللسان قومه ليعين لهم فضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) وقال (ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) وقال (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال (قل لوشاء الله ماتلونه عليكم ولا أدراك به) وقال (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) وقال (وما يذكرون الا ان يشاء الله) وفي الآية الاخرى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) فآخر ان مشيئتهم وفعايم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا وقال (قل انهم مالک الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) وقال (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال (ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) وقوله (يختص برحمته من يشاء) وقوله (ولكن الله يزكي من يشاء) وقوله (والله يضاعف لمن يشاء) وقوله (نصيب برحمتنا من نشاء) وقوله (رفع درجات من نشاء) وقوله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وقوله (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) وقوله (فتنجي من نشاء) وقوله (فيبسطه في السماء كيف يشاء) وقوله (ان ربي لطيف لما يشاء) وقوله (يؤتي الحكمة من يشاء) وقوله (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) وقوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) وقوله (ان يشأ يسكن الريح) وقوله (لو نشاء لجعلناه حطاما لو نشاء لجعلناه آحاجا) وقوله (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) وقوله (ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء) وقوله (ولو شاء الله لأعنتكم) وقوله (الله يجتبي اليه من يشاء) وقوله (عن كلمه موسى ان) هي الافتتلك تصل بها من تشاء وتهدي من تشاء) وهذه الآيات ونحوها تضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم وهو سبحانه تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته وتارة ان ما لم يشأ لم يكن وتارة انه لو شاء لكان خلاف الواقع وانه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وانه لو شاء ماعصى وانه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة فضمن ذلك ان الواقع بمشيئته وان ما لم يقع فهو لعدم مشيئته وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين وكونه القيوم القائم بتدبير عباده فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا إضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة الا بعد إذنه وكل ذلك بمشيئته وتكونه اذ لا مالک غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقال (وتقرر في الازام ما نشاء) وقال (في أى صورة ماشاء ربك) وقال (الله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا وإناثا أو يجعل من يشاء عقيلا) وقال (يهدي الله نوره من يشاء) وتقدم في حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم في شأن الجنين فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك وفي صحيح البخارى من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما يشاء وفي صحيح البخارى من حديث علي بن أبي طالب

حين طرقة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة ليلا فقال الانصليان فقال علي انما أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثا وفي صحيحه أيضا في قصة نومهم في الوادي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها حين شاء وفي حديث ابن مسعود الذي في المسند وغيره في قصة رجوعهم من الحديبية ونومهم عن صلاة الصبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لو شاء لم تناموا عنها ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم فهم كذا لمن نام ونسي وفي لفظ آخر ان الله سبحانه لو شاء لم يقطعنا ولكنه أراد أن يكون لمن بعدكم وفي مسند الامام أحمد عن طفيل بن سخرية أخى عائشة لامها انه رأى فيأبى النائم كأنه مرّ برهط من اليهود فقال من أنتم قالوا نحن اليهود قال انكم أنتم القوم لولا انكم تزعمون ان عزيرا ابن الله فقات اليهود وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد ثم مرّ برهط من النصارى فقال من أنتم قالوا نحن النصارى قال انكم أنتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وأنتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد فلما أصبح أخبر بها من أخبر ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أخبرني أحدا قال نعم فلما صلوا لخطبهم حمد الله وأثنى عليه فقال ان طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم وإنكم تقولون كلمة كان ينبغي الحياء منكم زاد البقي فلا تقولوها ولكن قولوا ماشاء الله وحده لا شريك له وروى جعفر عن عون عن الاحاج عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال الرجل لرسول الله ماشاء الله وشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعلتني لله عدلا بل ماشاء الله وحده وروى سعيد عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان قال الشافعي في رواية الربيع عنه المشيئة ارادة الله قال الله عز وجل (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فأعلم الله خلقه ان المشيئة له دون خلقه وان مشيئتهم لا تكون الا أن يشاء الله فيقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ثم شئت ولا يقال ماشاء الله وشئت قال ويقال من يطع الله ورسوله فان الله تعبد العباد بان فرض عليهم طاعة رسوله فاذا أطيع رسول الله فقد أطيع الله بطاعة رسوله وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وفي حديث الثواس بن سمعان سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاعه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميراث بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيما سلف من الامم قبلكم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وذكر الحديث وقال في آخره فذلك فضلي أوتيته من أشاء وفي صحيح البخارى مرفوعا مثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء وقال عبد الرزاق عن معمر عن همام هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما قال الشافعي تأويله والله أعلم ان العرب كان شأنها

أن تدم الدهر وتسببه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تاف أو غير ذلك فيقولون انما
 بهمكننا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون أصابهم قوارع الدهر وبادهم الدهر فيجملون الليل
 والنهار بفعالان الأشياء فيذمون الدهر بأنه الذي يضيئهم ويفعل بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا تسبوا الدهر على أنه الذي يضيئكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء فانكم اذا سببتم فاعل هذه الأشياء
 فانما تسبون الله تبارك وتعالى فانه فاعل هذه الأشياء وفي حديث أنس يرفعه اطلبوا الخير دهركم
 كله وتعرضوا لتفحات رحمة الله فان الله عز وجل سبحانه من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده
 وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال
 كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال تباعون على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنا ولا تسرقوا فن
 وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك
 شيئا فستره الله فهو الى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وفيها أيضا من حديث احتجاج الجنة والنار
 قول الله للجنة أنت رحتي وأرحم بك من أشاء وللنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء وفيه أيضا من
 حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت وارحتي ان
 شئت وأرزقني ان شئت ليعزم مسئلته انه يفعل ما يشاء لا مكره له وفي صحيح مسلم عنه يرفعه المؤمن
 القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ما ينفعك واستعن بالله
 ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل
 الشيطان وفي حديث أبي ذر ياعبادي كلكم ضال الا من هديته الحديث وفي آخره ذلك بائع جواد افعل
 ما شاء عطائي كلام فاذا أردت شيئا فانما أقول له كن فيكون وفي حديث أنس بن مالك عن النبي صلى
 الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول ما شاء الله لا قوة الا بالله فيرى فيه
 آية دون الموت وهذا الحديث الصحيح مشتق من قوله تعالى (ولو لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله
 لا قوة الا بالله) وفي حديث الشفاعة فاذا رأيت ربّي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني وفي
 حديث آخر أهل الجنة دخولا اليها فيسكت ما شاء الله أن يسكت وفيه قوله سبحانه لا أهزأ بك ولكني
 على ما شاء قدبر والحدثان في الصحيحين وفيه ما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لكل
 نبي دعوة فاريدان شاء الله ان أختبى دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقال لا يدخل النار ان شاء الله من
 أصحاب النجدة الذين بايعوا تحتها أحد وقال اني لأطمع أن يكون حوضي ان شاء الله أوسع ما بين أيلة الى
 كذا وقال في المدينة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال ان شاء الله وقال في زيارة المقابر وإن شاء الله بكم
 لاحقون وقال لما حاصر الطائف انا قافلون غدا ان شاء الله وقال لما قدم مكة منزلا غدا ان شاء الله
 بخيف بنى كنانة وقال يوم بدر هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان ان شاء الله
 وقال في بعض أسفاره انكم تسبرون عشيتكم وليتكم ثم انكم تأتون المساء غدا ان شاء الله وقال
 للاعرابي الذي عادته من الحمى لابس طهور ان شاء الله واخبر عن سلمان بن داود انه قال لا طوفن
 اللبنة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم
 يقل فطاف عليهن جميعا فلم يحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد
 بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وقال من خاف فقال ان شاء الله فان

شاء مضي وإن شاء رجع غير حث وقال لا غزو. قریشا ثم قال في الثالثة إن شاء الله وقال الامشعر
للجنة فقالت الصحابة بمن المشمرون لها يارسول الله فقال قولوا إن شاء الله وقال تعالى (واذكر ربك
إذا نسيت) قال الحسن إذا نسيت أن تقول إن شاء الله وهذا هو الاستثناء الذي كان يجوز به ابن
عباس مترجما ويتأول عليه الآية لا الاستثناء في الاقرار واليمين والطلاق والعناق وهذا من كمال علم
ابن عباس وفقهه في القرآن وقد أجمع المسلمون على أن الخالف إذا استثنى في عيئه متصلا بها فقال
لا فعلن كذا أو لا أفعله إن شاء الله أنه لا يثبت إذا خالف ما حلف عليه لأن من أصل أهل الاسلام
أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله فإذا علق الخالف الفعل أو الترك بالمشيئة لم يثبت عند عدم المشيئة ولا
تجب عليه الكفارة ولو ذهبنا نذكر كل حديث أو أثر جاء فيه لفظ المشيئة وتعلق فعل الرب بها
لطال الكتاب جدا وما الإرادة فورودها في نصوص القرآن والسنة معلوم أيضا كقوله (فعل لما يريد.
فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما) وإذا أردنا أن نهلك قرية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر. إنما أمره
إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) وقول نوح (ولا
ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون) وقوله
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله (وإذا
أراد الله بقوم سوء فلا مرد له) وقوله (وإن الله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن
تملوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) وأخبر أنه إذا لم يرد تطهير قلوب
عباده لم يكن لهم سبيل إلى تطهيرها فقال أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي
ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وقال (وان الله يهدي من يريد. وان الله يحكم ما يريد) وقال (ما يريد.
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقوله (فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح
ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا) وقوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وقوله
(قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء أو أراد بكم رحمة) وقول صاحب يس (أأخذ من
دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) وقوله (قل أرأيتم ما تدعون من
دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) وقوله
(يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة) وقوله (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)
والنصوص النبوية في إثبات ارادة الله أكثر من أن تحصر كقوله من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
من يرد الله به خيرا يصب منه إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إذا أراد الله رحمة أمة
قبض نبيها قبلها إذا أراد الله هلكة أمة عذبها ونبيها حتى فأقر عينه بهلكها إذا أراد الله بعبد خيرا عجل
له العقوبة في الدنيا إذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه توبته حتى يوافي يوم القيامة كأنه غير إذا أراد
الله قبض عبدا أرض جعل له إليها حاجة إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب الرفق إذا
أراد الله بقوم عذابا أصاب من كان فيهم ثم بعثوا على بناتهم والآثار النبوية في ذلك أكثر من
أن نستوعبها

فصل ١٠ وههنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له وبمعرفته نزول إشكالات كثيرة تعرض لمن
لم يحيط به علما وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر وأمره سبحانه نوعان أمر كوني قدرى وأمر ديني

شرعى فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكونى وكذلك تتعلق بما يجب وبما يكرهه كله داخل تحت مشيئته كما خلق إبليس وهو يبعثه وخلق الشياطين والكفار والاعيان والافعال المسخوطة له وهو يبعثها فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الدينى وشرعه الذى شرعه على السنة رسله فما وجد منه تعلق به المحبة والمشية جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والانباء والمؤمنين وما لم يوجد منه تعلق به محبته وأمره الدينى ولم يتعلق به مشيئته وما وجد من الكفر والنسوق والمعاصى تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الدينى وما لم يوجد منها لم يتعلق به مشيئته ولا محبته فالنفس المشيئة كونى وللفظ المحبة دينى شرعى وللفظ الارادة ينقسم الى ارادة كونية فتكون هى المشيئة وارادة دينية فتكون هى المحبة اذا عرفت هذا فقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) وقوله (لا يحب الفساد) وقوله (ولا يريد بكم العسر) لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره فان المحبة غير المشيئة والامر غير الخلق ونظير هذا لفظ الامر فانه نوعان أمر تكوين وأمر تشريع والثانى قد يعصى ويخالف بخلاف الاول فقوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) لا يناقض قوله (ان الله لا يأمر بالفحشاء ولا حاجة الى تكلف تقدير أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها بل الامر ههنا أمر تكوين وتقدير لأمر تشريع لوجوه أحدها ان المستعمل في مثل هذا التركيب أن يكون ما بعد الفاء هو المأمور به كما تقول أمرته فقام وأمرته فاكل كالوصح بلطفه افعل كقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وهذا كما تقول دعوته فاقبل وقال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الثانى ان الامر بالطاعة لا يخص المترفين فلا يصح حمل الآية عليه بل تسقط فائدة ذكر المترفين فان جميع المعوث اليهم مأمورون بالطاعة فلا يصح أن يكون أمر المترفين علة اهلاك جميعهم الثالث ان هذا النسق العجيب والترتيب البديع مقتضى ترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها ترتيب المسبب على سببه والمعلول على علته ألا ترى ان الفسق علة حق القول عليهم وحق القول عليهم علة لندمهم فكذا الامر سبب لفسقهم ومقتضى له وذلك هو أمر التكوين لا التشريع الرابع ان ارادته سبحانه لاهلاكهم انما كانت بعد معصيتهم ومخالفتهم لرسله فمعصيتهم ومخالفتهم قد تقدمت فأراد الله اهلاكهم فعاقبهم بأن قدر عليهم الاعمال التى يتحتم معها هلاكهم فان قيل فمعصيتهم السابقة سبب هلاكهم فما الفائدة في قوله (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) وقد تقدم الفسق منهم قيل المصيبة السابقة وان كانت سببا للهلاك لكن يجوز تخلف الهلاك عنها ولا يتحتم كما هو عادة الرب تعالى المعلومه في خلقه انه لا يتحتم هلاكهم بمعاصيهم فاذا أراد اهلاكهم ولا بد احدث سببا آخر يتحتم معه الهلاك ألا ترى ان نمود لم يهلككم بكفرهم السابق حتى أخرج لهم النافقة فعقروها فاهلكوا حينئذ قوم فرعون لم يهلككم بكفرهم السابق بموسى حتى أراهم الآيات المتتابعة واستحكم بغيرهم وعنادهم حينئذ اهلكوا وكذلك قوم لوط لما أراد هلاكهم أرسل الملائكة الى لوط في صورة الاضياف فقصصوهم بالفاحشة ونالوا من لوط وتواعدوه وكذلك سائر الامم اذا اراد الله هلاكها احدث لها بنيا وعدوانا يأخذها على أثره وهذه عادته مع عبادته عموما وخصوصا فيعصيه العبد وهو يحلم عنه ولا يعاجله حتى اذا أراد أخذها قبض له عملا يأخذ به مضافا الى أعماله الاولى فيظن الظان انه أخذها بذلك العمل وحده وليس كذلك بل حق عليه القول بذلك وكان قبل ذلك

لم يحق عليه القول بأعماله الأولى حيث عمل ما يقتضى ثبوت الحق عليه ولكن لم يحكم به أحكم الحاكمين ولم يرض الحكم فإذا عمل بعد ذلك ما يقرر غضب الرب عليه أمضى حكمه عليه وأثقه قال تعالى (فلما أسفونا اتقمنا منهم) وقد كانوا قبل ذلك أغضبوه بمعية رسوله ولكن لم يكن غضبه سبحانه قد استقر واستحكم عليهم إذ كان يصعدان يزول بآياتهم فلما أيس من إيمانهم تقرر الغضب واستحكم خلت العقوبة فهذا الموضع من أسرار القرآن وأسرار التقدير الإلهي وفكر العبد فيه من أنفع الأمور له فإنه لا يدري أى المعاصي هى الموجبة التى يتحتم عندها عقوبته فلا يقال بعدها والله المستعان وسنعتقد لهذا الفصل بابا في الفرق بين القضاء الكوني والديني نشيخ الكلام فيه ان شاء الله لشدة الحاجة اليه اذ المقصود في هذا الباب مشيئة الرب وانها الموجبة لكل موجود كان عدم مشيئته موجب لعدم وجود الشيء فهما الموجبتان ما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ وجب عدمه وامتناعه وهذا أمر يعلم كل مقدور من الاعيان والانفال والحركات والسكنات فسبحانه أن يكون في ملكته ما لا يشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون وان كان فيها ما لا يحب ولا يرضاه وان كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له ولو شاء لوجد

الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء

والقدر وهى مرتبة خلق الله سبحانه الاعمال وتكوينه وإيجاده لها

وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعليه اتفقت الكتب الالهية والفطر والعقول والاعتبار وخالف في ذلك مجوس الامة فاخرجت طاعات ملائكته وانبياؤه ورسله وعباده المؤمنين وهى أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته بل جعلواهم هم الخالقون لها ولا تعلق لها بمشيئته ولا تدخل تحت قدرته وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية فعندهم انه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا ولا يقدر أن يحمل المسلم مسلما والكافر كافرا والمصلى مصليا وانما ذلك يجعلهم أنفسهم كذلك لا يجمله تعالى وقد نادى القرآن بل الكتب السماوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بطلان قولهم وصاح بهم أهل العلم والايمان من أقطار الارض وصنف حزب الاسلام وعصابة الرسول وعسكره التصانيف في الرد عليهم وهى أكثر من أن يحصىها الا الله ولم تزل أيدى السلف وأئمة السنة في أفقيتهم ونواصيهم تحت أرجلهم إذ كانوا يردون باطلهم بالحق المحض وبدعهم بالسنة والسنة لا يقوم لها شيء فكانوا معهم كالذمة مع المسلمين الى أن نبغ تافهة ردوا بدعهم ببدة تقابلها وقابلوا باطلهم بباطل من جسده وقالوا العبد مجبور على أفعاله مقيهور عليها لا تأثير له في وجودها البتة وهى واقعة بإرادته واختياره وغلا غلاتهم فقالوا بل هى عين أفعال الله ولا ينسب الى العبد الاعلى الحجاز والله سبحانه يلوم العبد ويعاقبه ويخلده في النار على ما لم يكن للعبد فيه صنع ولا هو فعله بل هو محض فعل الله وهذا قول الجبرية وهو ان لم يكن شرا من القدرية فليس هو بدونه في البطلان واجماع الرسل واتفاق الكتب الالهية وأدلة العقول والفطر واليمان يكذب هذا القول ويرده والطائفتان في عمي عن الحق القويم والصراط المستقيم ولما رأى القاضى وغيره بطلان هذا القول وتناقضه للشرائع والعدل والحيلة قالوا قدرة العبد وان لم تؤثر في وجود الفعل فهى مؤثرة في صفة من صفاته

وتلك الصفة تسمى كسبا وهي متعاقب الامر والنهي والثواب والعقاب فان الحركة التي هي من طاعته والحركة التي هي من معصيته قد اشتركا في نفس الحركة وامتازت إحداهما عن الأخرى بالطاعة والمعصية فذات الحركة ووجودها واقع بقدرته الله وإيجاده وكونها طاعة ومعصية واقع بقدره العبد وتأثيره وهذا وان كان أقرب الي الصواب فالقائل به لم يوفقه حقه فان كونها طاعة ومعصية هو موافقة الامر ومخالفته فهذه الموافقة والمخالفة إما أن تكون فعلا للعبد يتعلق بقدرته واختياره وان كان لم يكن للعبد اختيار ولا فعل ولا كسب البتة فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمرا معقولا ولهذا يقال محالات الكلام ثلاثة كسب الاشعري وأحوال أبي هاشم وطفرة النظام ولما رأى طائفة فساد هذا قالوا المؤثر في وجود الفعل هو قدرة الرب على سبيل الاستقلال قالوا ولا يمتنع اجتماع المؤثرين على أثر واحد ولم يستوحش هؤلاء من القول بوقوع مفعول بين فاعلين ولا مقدور بين قادرين قالوا كما يمتنع وقوع معلوم بين علمين ومراد بين مرئيين ومحبوب بين محبوبين ومكروه بين مكروهين قالوا ونحن نشاهد قادرين مستقلين كل منهما يمكنه أن يستقل بالفعل يقع بينهما مفعول واحد يشتركان في فعله والتأثير فيه قالوا وليس معكم ما يبطل هذا الاقولكم ان اضافته الى أحدهما على سبيل الاستقلال يمنع اضافته الى الآخر واضافته اليهما وفي هذه الحجة اجمال لا بدله من تفصيل فيجوز وقوع مفعول بين فاعلين لا يستقل أحدهما به كالتعاونين على الامر لا يقدر عليه أحدهما وجهه ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه كل منهما يستقل به على سبيل البدل وهذا ظاهر أيضا ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه وكل منهما يقدر عليه حال الانفرد كحملو بحمله اثنان كل منهما يمكنه أن يستقل بحمله وحده وكل هذه الاقسام ممكنة بل واقعة بقي قسم واحد وهو مفعول بين فاعلين كل منهما فعله على سبيل الاستقلال فهذا محال فان استقلال كل منهما بفعله ينفي فعل الآخر له فاستقلالهما ينافي استقلالهما وأكثر الطوائف يقر بوقوع مقدور بين قادرين وان اختلفوا في كيفية وقوعه • فقالت طائفة الفعل يضاف الى قدرة الله سبحانه على وجه الاستقلال بالتأثير ويضاف الى قدرة العبد لكنهما غير مستقلة فاذا انضمت قدرة الله الى قدرة العبد صارَت قدرة العبد مؤثرة على سبيل الاستقلال بتوسط اعانة قدرة الله وجعل قدرة العبد مؤثرة والقائل بهذا لم يخلص من الخطأ حيث زعم أن قدرة العبد مستقلة باعانة قدرة الله له فماد الامر الى اجتماع مؤثرين على أثر واحد لكن قدرة أحدهما وتأثيره مستند الى قدرة الآخر وتأثيره وكأنه والله أعلم أراد أن قدرة الرب مستقلة بالتأثير في إيجاد الفعل وهذا قد قاله طائفة من العلماء وقائل هذا لم يخلص من الخطأ حيث جعل قدرة العبد مستقلة بالتأثير في إيجاد المقدور وهذا باطل اذ غاية قدرة العبد أن تكون سببا بل جزأ من السبب والسبب لا يستقل بحصول المسبب ولا يوجهه وليس في الوجود ما يوجب حصول المقدور الا مشيئة الله وحده وأصحاب هذا القول زعموا ان الله أعطى العبد قدرة وأرادة وفوض اليههما الفعل والترك وخلاه وما يريد فهو يفعل ويترك بقدرته وأرادته اللتين فوض اليه الفعل والترك بهما وقالت طائفة أخرى مقدور العبد هو عين مقدور الرب بشرط أن يفعله العبد اذا تركه الرب ولم يفعله لاعلى أنه يفعله والرب له فاعل لاستحالة خلق بين خالقين وهذا بعينه مذهب من يقول بوقوع مفعول بين فاعلين على سبيل وهذا مذهب كثير من القدرية منهم الشحام وغيره

وقالت طائفة يجوز وقوع فعل بين فاعلين بنسبتين مختلفتين باحدهما يكون محدثا والآخرى يكون كاسبا وهذا مذهب التجار وضرار بن عمرو ومحمد بن عيسى بن حفص والفرق بين هذا المذهب ومذهب الاشعريين من وجهين أحدهما ان صاحب هذا المذهب يقول العبد فاعل حقيقة وان لم يكن محدثا مخترعا للفعل والاشعري يقول العبد ليس بفاعل وان نسب اليه الفعل وانما الفاعل في الحقيقة هو الله فلا فاعل سواه الثاني أنهم يقولون الرب هو المحدث والعبد هو الفاعل وقالت فرقة بل أفعال العباد فعل لله على الحقيقة وفعل العبد على المجاز وهذا أحد قولي الاشعري وقالت فرقة أخرى منهم القلانسي وأبو اسحاق في بعض كتبه انها فعل لله على الحقيقة وفعل الانسان على الحقيقة لاعلى معنى انه أحدثها بل على معنى انه كسب له وقالت طائفة أخرى وهم جهم واتباعه ان القادر على الحقيقة هو الله وحده وهو الفاعل حقا ومن سواه ليس بفاعل على الحقيقة ولا كاسب أصلا بل هو مضطر الى جميع ما فيه من حركة وسكون وقول القائل قام وقعد وأكل وشرب مجاز بمنزلة مات وكبر ووقع وطلعت الشمس وغربت وهذا قول الجبرية الغلاة وقابله طائفة أخرى فقالوا العباد موجودون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم واراندهم والرب لا يوصف بالقدرة على مقدور العبد ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته كما لا يوصف العباد بمقدور الرب ولا تدخل أفعاله تحت قدرهم وهذا قول جمهور القدرية وكلهم متفقون على ان الله سبحانه غير فاعل لأفعال العباد واختلفوا هل يوصف بأنه مخترعها ومحدثها وأنه قادر عليها وخالق لها فجهم ورهم نفوا ذلك ومن يقرب منهم الى السنة أثبت كونها مقدورة لله وان الله سبحانه قادر على أعيانها وان العباد أحدثوها باقدار الله لهم على أحداثها وليس معنى قدرة الله عليها عندهم انه قادر على فعلها هذا عندهم عين الحال بل قدرته عليها إقذارهم على أحداثها فأثما أحدثوها بقدرته واقداره وتمكينه وهؤلاء أقرب القدرية الى السنة وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب وبعضهم أقرب الى الصواب وبعضهم أقرب الى الخطأ وأدلة كل منهم وحججه انما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الاخرى لاعلى إبطال ما أصابوا فيه فكل دليل صحيح للجبرية انما يدل على أثبات قدرة الرب تعالى ومشيتته وأنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير لا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الملكات وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادرا مريدا فاعلا بمشيئته وقدرته وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به وانما فعل له لا لله وانما قائمة به لا بالله وكل دليل صحيح يقيم القدرية فانما يدل على أن أفعال العباد فعل لهم قائم بهم واقع بقدرتهم ومشيتهم واراندهم وانهم مختارون لها غير مضطرين ولا مجبورين وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادرا على أفعالهم وهو الذي جعلهم فاعلين فادلة الجبرية متظافرة صحيحة على من نفي قدرة الرب سبحانه على كل شيء من الاعيان والأفعال ونفي عموم مشيئته وخلقه لكل موجود وأثبت في الوجود شيئا بدون مشيئته وخلقه وأدلة القدرية متظافرة صحيحة على من نفي فعل العبد وقدرته ومشيتته واختياره وقال انه ليس بفاعل شيئا والله يعاقبه على ما لم يفعل له والله قدرة عليه بل هو مضطر اليه مجبور عليه وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الايمان لامع هؤلاء ولامع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطنهم فذهبهم جمع حق الطوائف بعضهم الى بعض والقول

به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه ونفى باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة أهله من هذا الوجه فهم حكام بين الطوائف لا يميزون الى فئة منهم على الإطلاق ولا يردون حق طائفة من الطوائف ولا يقابلون بدعة ببدعة ولا يردون باطلاً بباطل ولا يحملهم شئاً قوم بإعادتهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل والله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف فقال (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) فأمره سبحانه أن يدعو الى دينه وكتابه وأن يستقيم في نفسه كما أمره وأن لا يتبع هوى أحد من الفرق وأن يؤمن بالحق جميعه لا يؤمن ببعضه دون بعض وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات وأنت اذا تأملت هذه الآية وجدت أهل الكلام الباطل وأهل الأهواء والبدع من جميع الطوائف أنحس الناس منها حظاً وأقلم نصيباً ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنته هم أحق بها وأهلها وهم في هذه المسئلة وغيرها من المسائل أسعد بالحق من جميع الطوائف فانهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الاعيان والافعال ومشيتته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه مالا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيتته ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنه لا يشاؤون الا أن يشاء الله ولا يفعلون الا من بعد مشيئته وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيتته وخلقه فلا يحرك ذرة فما فوقها الا بمشيئته وعلمه وقدرته فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة الا بالله على الحقيقة اذا قالها غيرهم على المجاز اذا العالم علويه وسفليه وكل حي يفعل فعلاً فان فعله بقوة فيه على الفعل وهو في حول من ترك الى فعل ومن فعل الى ترك ومن فعل الى فعل وذلك كله بالله تعالى لا بالعبد ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ومن يضال فلا هادي له وأنه هو الذي يجعل المسلم مساماً والكافر كافراً والمصل مصلياً والمتحرك متحركاً وهو الذي يسير عبده في البر والبحر وهو المسير والعبد السائر وهو المحرك والعبد المتحرك وهو المقيم والعبد القائم وهو الهادي والعبد المهتدي وأنه المطعم والعبد الطاعم وهو الحي الميت والعبد الذي يحيى ويموت ويثبتون مع ذلك قدرة العبدوارادته واختياره وفعله حقيقة لا مجازاً وهم متفقون على ان الفعل غير المفعول كما حكاه عنهم البغوي وغيره فخركتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهى مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة والذي قام بالبر عز وجل علمه وقدرته ومشيتته وتكوينه والذي قام بهم هو فعاهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون الموصولون القائمون القاعدون حقيقة وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم ومشيتته وفعله بعد مشيئته فما يشاؤون الا أن يشاء الله وما يفعلون الا أن يشاء الله واذا وازنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ووجدت سائر المذاهب خطوطاً عن يمينه وعن شماله فقرب منه وبعيد وبين ذلك واذا أعطيت الفاتحة حقها وجدتها من أولها الى آخرها منادية على ذلك دالة عليه صريحة فيه وان كان حمده لا يقتضى غير ذلك وكذلك كمال ربوبيته للعالمين لا يقتضى غير ذلك فكيف يكون الحمد كله لمن لا يقدر على مقدور أهل سماواته وأرضه من الملائكة والجن والانس والطير والوحش بل يفعلون مالا يقدر عليه ولا يشاءه وبشاء مالا يفعله

كثير منهم فيشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء وهل يقتضى ذلك كمال حمده وهل يقتضيه كمال ربوبيته ثم قوله (اياك نعبد واياك نستعين) مبطل لقول الطائفتين المنحرفتين عن قصد السبيل فإنه يتضمن إثبات فعل العبد وقيام العباد به حقيقة فهو العابد على الحقيقة وإن ذلك لا يحصل له إلا بإعانة رب العالمين عز وجل له فإن لم يعنه ولم يقدره ولم يشأ له العباد لم يتمكن منها ولم يوجد منه البتة فالفعل منه والاقدار والإعانة من الرب عز وجل ثم قوله (اهدنا الصراط المستقيم) يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها وهي بيده إن شاء أعطاها عبده وإن شاء منعه إياها والهداية معرفة الحق والعمل به فمن لم يحمله الله تعالى عالما بالحق عاملا به لم يكن له سبيل إلى الاهتداء فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة للاهتداء التي لا تخاف عنها وهي جعل البعد مريدا للهدى بحاله مؤثرا له عاملا به بهذه الهداية ليست إلى ملك مقرب ولاني مرسل وهي التي قال سبحانه فيها (أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) مع قوله تعالى (وأنك لتهدي إلى صراط مستقيم) فهذه هداية الدعوة والتعليم والإرشاد وهي التي هدى بها نوح فاستجبوا العمي عليها وهي التي قال تعالى فيها (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فهذه هدى البيان الذي تقوم به حجته عليهم ومنهم الهداية الموجبة للاهتداء التي لا يضل من هداه بها فذلك غدله فيهم وهذا حكمته فأعطاهم ما تقوم به الحاجة عليهم ومنعهم ما ليسوا له باهل ولا يليق بهم وسنذكر في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله تعالى ذكر الهدى والضلال ومراتبهما وأقسامهما فإنه عليه مدار مسائل القدر والمقصود ذكر بعض ما يدل على إثبات هذه المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي خلق الله تعالى لأفعال المكلفين ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه وكتابه قال تعالى (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته وليس مخصوصا بذاته وصفاته فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له والالفاظ قد فرق بين الخالق والمخلوق وصفاته سبحانه داخلية في مسمى اسمه فإن الله سبحانه اسم للاله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال والعالم قسمان أعيان وأفعال وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال كما أنه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شيء منه عن عاده ولا عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته قالت القدرية نحن نقول إن الله خالق أفعال العباد لأعلى أنه محدثها ومخترعها لكن على معنى أنه مقدره فإن الخلق التقدير كما قال تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال الشاعر

ولانت تقرى ما خلقت وبسبب القوم يخناق ثم لا يفرى

أي لانت تخفى ما قدرته وتنفذه بعزمك وقدرتك وبعض القوم بقدر ثم لا قوة له ولا عزيمة على إنفاذ ما قدره وامضائه قاله تعالى مقدر أفعال العباد وهم الذين أوجدوها وأحدثوها قال أهل السنة قدماءكم ينكرون تقدير الله سبحانه لأعمال العباد البتة فلا يمكنهم أن يجيبوا بذلك ومن اعترف منكم بالتقدير فهو تقدير لا يرجع إلى تأثير وإنما هو مجرد العلم بها والخبر عنها وليس التقدير عندكم جعلها على قدر كذا وكذا فإن هذا عندكم غير مقدور للرب ولا مصنوع له وإنما هو صنع العبد وأحداثه فرجع التقدير إلى مجرد العلم والخبر وهذا لا يسمى خلقا في لغة أمة من الأمم ولو كان هذا خالقا لكان من علم شيئا وتعلم أسمائه وصفاته وأخبر عنه بذلك خالقا له فالتقدير الذي أبتدوا أن كان متضمنا للتأثير

في إيجاد الفعل فهو خلاف مذهبكم وإن لم يتضمن تأثيرا في إيجادهِ فهو راجع الى محض العلم والخبر . قالت القدريّة قوله الله خالق كل شيء من العام المراد به الخاص ولا سيما فانكم قائم إن القرآن لم يدخل في هذا العموم وهو من أعظم الأشياء وأجلها نقصنا منه أفعال العباد بالأدلة الدالة على كونها فعلهم ومنعهم . قالت أهل السنة القرآن كلام الله سبحانه وكلامه صفة من صفاته وصفات الخالق وذاته لم تدخل في المخلوق فان الخالق غير المخلوق فليس ههنا تخصيصا للشيء بل الله سبحانه بذاته وصفاته الخالق وكل ماعداد مخلوق وذلك عموم لا تخصيص فيه بوجه إذ ليس الا الخالق والمخلوق والله وحده الخالق . وما سواه كله مخلوق واما الأدلة الدالة على ان أفعال العباد صنع لهم وانما أفعالهم القائمة بهم وانهم هم الذين فعلوها فكانها حق نقول بموجبها ولكن لا ينبغي أن تكون أفعالهم ومخلوقة مفعولة لله فان الفعل غير المفعول ولا نقول انها فعل لله والعبد مضطر مجبور عليها ولا نقول انها فعل للعبد والله غير قادر عليها ولا جاعل للعبد فاعلا لها ولا نقول انها مخلوقة بين مخلوقين مستقلين بالإيجاد والتأثير وهذه الأقوال كلها باطلة . قالت القدريّة يعنى قوله تعالى الله خالق كل شيء مما لا يقدر عليه غيره وأما أفعال العباد التي يقدر عليها العباد فاضافتها اليهم ينفي اضافتها اليه والالزم وقوع مفعولين بين فاعلين وهو محال . قالت أهل السنة اضافتها اليهم فعلا وكسبا لا ينفي اضافتها اليه سبحانه خلقا ومشية فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة فلم تكن مضافة الى مشيئته وقدرته وخلقها لاستحالة وقوعها منهم إذ العباد اعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأ الله ولم يقدر عليه ولا خلقه

فصل ١٠ ومما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قوله (والله على كل شيء قدير) واعتراض القدريّة على الاستدلال بذلك والجواب عنه نظير الاعتراض على قوله (الله خالق كل شيء) وجوابه وزيدته تقرير ان أفعالهم أشياء ممكنة والله قادر على كل ممكن فهو الذي جعلهم فاعلين بقدرته ومشيتهم ولو شاء لحال بينهم وبين الفعل مع سلامة آلة الفعل منهم كما قال تعالى (ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم اليئات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال (ولو شاء ربك ما فعلوه) وقال (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه وبين الانسان ونطقه وبين اليد وبطشها وبين الرجل ومشيتها فكيف يظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء انه لا يقدر على ما يقدر عليه عباد الله ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون لقدرة علوا كبيرا نعم ولا نظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء انه يعاقب عباد الله على ما لم يفعلوه ولا قدرة لهم على فعله بل على ما فعلوه هودونهم واضطروهم اليه وجبرهم عليه وذلك بمنزلة عقوبة الزمن اذا لم يطر الى السماء وعقوبة أشل اليد على ترك الكتابة وعقوبة الاخرس على ترك الكلام تعالى الله عن هذين المذهبيين الباطلين المنحرفين عن سواء السبيل

فصل ١١ ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى والله جعل لكم من أفعالكم ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم البس (أنكم) فالخير أنه هو الذي جعل السراويل وهي الدروع والياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سراويل إلا أن بعد تحيائها

صنعة الآدميين وعملهم فإذا كانت مجمولة لله فهي مخلوقة له بحجتها صورتها ومادتها وهياتها ونظير هذا قوله (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم أقامتكم) فأخبر سبحانه أن البيوت المصنوعة المستقرة والمستقلة مجمولة له وهي إنما صارت بيوتا بالصنعة الادمية ونظيره قوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) فأخبر سبحانه أنه خالق الفلك المصنوع للعباد وأبعد من قال أن المراد بمثله هو الأبل فإنه أخرج المماثل حقيقة واعتبار لما هو بعيد عن المماثلة ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله أنه قال لقومه أنعبدون ما تخبون والله خلقكم وما تعملون فإن كانت مامصدرية كما قدره بعضهم فلا استدلال ظاهر وليس بقوى إذ لا تناسب بين أنكاره عليهم عبادة ما يخفون به أيديهم وبين إخبارهم بأن الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها وغير ذلك فالأولى أن تكون مأموصولة أي والله خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له لآلهة شركاء منه فأخبر أنه خالق معمولهم وقد حله عملهم وضعهم ولا يقال المراد مادته فإن مادته غير معمولة لهم وإنما يصير معمولاً بعد عملهم

﴿فصل﴾ وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي جعل أئمة الخير يدعون إلى الهدى وأئمة الشر يدعون إلى النار فلكل الأمامة والدعوة بجعله فهي مجمولة له وفعلهم قال تعالى عن آل فرعون (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) وقال عن أئمة الهدى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) فأخبر أن هذا وهذا يجعله مع كونه كسبا وفعلًا للأئمة ونظير ذلك قول الخليل ربنا واجعلنا مسلمين لك فأخبر الخليل أنه سبحانه هو الذي يجعل المسلم مسلما وعند القدرية هو الذي جعل نفسه مسلما لأن الله جعله مسلما ولا جعله اماما يهدي بأمره ولا جعل الآخر اماما يدعو إلى النار على الحقيقة بل هم الجاعلون لأنفسهم كذلك حقيقة ونسبة هذا الجعل إلى الله مجاز بمعنى التسمية أي سمنا مسلمين لك وكذلك جعلناهم أئمة أي سميناهم كذلك وهم جعلوا أنفسهم أئمة رشد وصال فهم الحقيقة ومنه المجاز والتعير

﴿فصل﴾ ومن ذلك إخباره سبحانه بأنه هو الذي يلهم العبد مجوره وتقواه والالهام الإلقاء في القلب لا مجرد البيان والتعليم كما قاله طائفة من المفسرين إذ لا يقال لمن بين لغيره شيئا وعلمه إياه أنه قد ألهمه ذلك هذا لا يعرف في اللغة البتة بل الصواب ما قاله ابن زيد قال جعل فيها مجورها وتقواها وعليه حديث عمران بن حصين أن رجلا من مريئة أوجبه أن النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس فيه ويكدحون أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سابق أوفيا يستقبلون مما أناهم به نبيهم قال بل شئ قضى عليهم ومضى قال فقيم العمل قال من خلقه الله لأحدى المنزلة استعمله بعمل أهلها وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها قالها فإجورها وتقواها) فقراء هذه الآية عقيب إخباره بتقديم القضاء والقدر السابق يدل على أن المراد بالالهام استعمالها فيما سبق لها لا مجرد تعريفها فإن التعريف والبيان لا يستلزم وقوع ما سبق به القضاء والقدر ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده تعريف مستلزم حصول ذلك لا تعريف مجرد عن الحصول فإنه لا يسمى الهاما والله التوفيق

﴿فصل﴾ ومن ذلك قوله تعالى (واسروا قولكم أو أجهروا به إنه عليم بذات الصدور الإيعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وذات الصدور كلمة لما يشتمل عليه الصدر من الاعتقادات والآراء

والحب والبيض أى صاحبة الصدور فإنها لما كانت فيها قائمة بها نسبت إليها نسبة الصفة والملازمة وقد اختلفت في أعراب من خالق هو النصب أو الرفع فإن كان مرفوعا فهو استدلال على علمه بذلك خلقه له والتقدير أنه يعلم ما تصفونه الصدور وكيف لا يعلم الخالق ما خلقه وهذا الاستدلال في غاية الظهور والصحة فإن الخالق يستلزم حياة الخلق وقدرته وعلمه ومشيتته وإن كان منصوبا فالعلمي الأليعلم مخلوقه وذكر لفظة من تقليدا ليتناول العلم العاقل وصفاته على التقديرين فالآية دالة على خالق ما في الصدور كما هي دالة على علمه سبحانه به وأيضاً فإنه سبحانه خلقه لما في الصدور دليلاً على علمه بها فقال الأليعلم من خالق أى كيف يخفى عليه ما في الصدور وهو الذى خلقه فلو كان ذلك غير مخلوق له لبطل الاستدلال به على العلم بخلافه سبحانه للشيء من أعظم الأدلة على علمه به فإذا اتفق الخالق اتفق دليل العلم فلم يبق ما يدل على علمه بما يتطوى عليه الدر إذا كان غير خالق لذلك وهذا من أعظم الكفر برب العالمين وحيد لما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وعلم بالضرورة أنهم القوة إلى الامم كما قالوا اللهم إنه إله واحد لا شريك له

فصل ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي وقوله فاجعل أئمة من الناس تهوى إليهم وقوله تعالى (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية) وقوله حكاية عن زكريا أنه قال عن ولده (واجعله رب راضيا) وقال في الطرف الآخر (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا في قلوبهم فاسية) وقال (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذه الأكنة والوقر هي شدة البغض والتفرة والاعراض التي لا يستطيعون معها سمعا ولا عقلا والتحقيق أن هذا ناشئ عن الأكنة والوقر فهو موجب ذلك ومقتضاه فمن فسر الأكنة والوقر به فقد فسرهما بموجبهما ومقتضاهما وبكل حال فذلك التفرة والاعراض والبغض من أفعالهم وهي محمولة لله سبحانه كما أن الرأفة والرحمة وميل الأئمة إلى بيته هو من أفعالهم والله جاعله فبما جعله في الجلال للذوات وصفاتها وأفعالها وإراداتها واعتقاداتها فذلك كله محمول مخلوق له وإن كان العبد فاعلا له باختياره وإرادته فإن قيل هذا كله معارض بقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) والبحيرة والسائبة إنما صارت كذلك بجعل العباد لها فخير سبحانه أن ذلك لم يكن بجعله قيل لا تعارض بحمد الله بين نصوص الكتاب بوجه ما والجعل هنا جعل شرعى أمرى لا كونى قدرى فإن الجعل في كتاب الله ينقسم إلى هذه النوعين كما ينقسم إليهما الأمر والأذن والقضاء والكتابة والتحريم كما سيأتى بيانه أن شاء الله فنفى سبحانه عن البحيرة والسائبة جعله الدينى الشرعى أى لم يشرع ذلك ولا أمر به ولكن الذين كفروا افتروا عليه الكذب وجعلوا ذلك دينا له بلا علم ومن ذلك قوله تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والفاسية قلوبهم) فخير سبحانه أن هذه الفتنة الحاصلة بما ألقى الشيطان هي بجعله سبحانه وهذا جعل كونى قدرى ومن هذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الذى رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه اللهم اجعلنى لك شكرا لك ذكرا لك رهابا لك مطواعا لك محببا إليك أو أهما منيأ فسأل ربه أن يجعله كذلك وهذه كلها أفعال اختيارية واقعة بإرادة العبد واختياره وفي هذا الحديث وسدد لسانى وتسديد اللسان جعله ناطقا بالسداد من القول ومثله قوله في الحديث الآخر اللهم اجعلنى لك مخلصا ومثله قوله

اللهم اجعلني أعظم شكرك وأكثر ذكرك واتبع صحبتك واحفظ وصيك ومثله قول المؤمنين ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا فالصبر وثبات الأقدام فلان اختياريان ولكن التصيير والتثبيت فعمل الرب تعالى وهو المسئول والخبر والثبات ففهم القائل بهم حقيقة ومثله قوله (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) وقال ابن عباس والمفسرون بعده الهنفي قال أبو اسحاق وبأويله في اللغة كفى عن الأشياء إلا النفس شكر نعمتك ولهذا يقال في تفسير الموزع المولع ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موزعا بالسؤال أي مولعا به كأنه كلف ومنع الأمانة وقال في الصحاح وزعته أزعه وزعا ككففته فأنزع عنه أي كلف وأوزعته بالشيء أغريته به فأوزع به فهو موزع به واستوزعت الله شكره فأوزعني أي استأنمته فلهمني فقددار معنى اللفظة على معنى الهنفي ذلك واجهاني مغرى به وكفى عما سواه وعند القدرة أن هذا غير مقدور للرب بل هو غير مقدور للعبد

فصل ومن ذلك قوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) فتجيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين هو إلقاء محبة في قلوبهم وهذا لا يقدر عليه سواه وأما تحبيب العبد الشيء إلى غيره فائما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبته فاخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين حبه وحسنه الداعي إلى حبه والقي في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان وإن ذلك محض فضله ومنته عليهم حيث لم يكنهم إلى أنفسهم بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكره ضده بخلافه عليهم به فضلا منه ونعمة والله عليم بمواقع فضله ومن يصلح له ومن لا يصلح حكيم بحمله في مواضعه ومن ذلك قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبلأؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أنه عزيز حكيم وماذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وتألّف القلوب جعل بعضها يألف بعضها ويميل إليه ويحبه وهو من أفعاله الاختيارية وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي فعل ذلك لا غيره ومن ذلك قوله (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم ان يسخطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) فاخبر سبحانه بفعالهم وهو أنهم وبغضه وهو كنههم عما هموا به ولا يصح أن يقال أنه سبحانه أشل أيديهم وأماهم وأنزل عليهم عذابا حل بينهم وبين ما هموا به بل كف قدرهم وأرادتهم مع سلامة حواسهم وبنيتهم وحنة آلات الفعل منهم وعند القدرة هذا محال بل هم الذين يكتفون أنفسهم والقرآن صريح في إبطال قولهم ومثله قوله (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) فهذا كف أيدي الفريقين مع سلامتهما وصحتهما وهو بأن حال بينهم وبين الفعل فكف بعضهم عن بعض ومن ذلك قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) والإيمان والطاعة من أجل النعم بل هما أجل النعم على الإطلاق فهما منه سبحانه تعاليا وإرشادا وإلهاما وتوفيقا ومشئتا وخلقا ولا يصح أن يقال إنما أمرنا وبينا فقط فان ذلك حاصل بالنسبة إلى الكفار والعصاة فتكون نعمته على أكثر الخلق كنعمته على أهل الإيمان والطاعة والبر منهم إذ نعمة البيان والإرشاد مشتركة وهذا قول القدرة وقد صرح به كثير منهم ولم يجملوا لله على العبد نعمة في مشيئته

وخلقه فعليه وتوفيئه اياه حين فعله وهذا من قوهم الذي بانوا به جميع الرسل والكتب
وطردوا اذ كان حين لم يجهلوا الله على العبد منة في اعطائه الجزاء بل قالوا ذلك محض حقه الذي
لامنة الله عليه فيه واحتجوا بقوله (لهم اجر غير ممنون) قالوا أي غير ممنون به عليهم اذ هو جزاء
اعمالهم وأجورها قالوا وانسنة تكسر النعمة والعطية ولم يدعوا هؤلاء للجهل بالله موصفا
وقاسوا منته على منة المخلوق فالهم مشبهة في الافعال معطاة في الصفات وليست المنية في الحقيقة الا الله
فهو المان بفضله وأهل سمواته وأهل أرضه في محض منته عليهم قال تعالى (يؤمنون عليكم ان
أسألوكم ان لاتؤمنوا على اسلامكم بل الله بمن عليكم ان هذاكم الايمان ان كنتم صادقين) وقال تعالى
لكلهم موسى (وانتدنا عليك مرة أخرى) وقال (وانتدنا على موسى وهارون) وقال (وزيد ان بمن على
الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار
ألم أجدكم ضاللا فهداكم الله بنى وعالة فاغناكم الله بنى قالوا الله ورسوله آمن وقال الرسل لقومهم
(ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله بمن على من يشاء من عباده) فنه سبحانه محض احسانه وفضله
ورحمته ومطاب عيش أهل الجنة فيها الايمته عليهم ولهذا قال أهلها وقد أقبل بعضهم على بعض
يتسألون انا كنا قبل في أهلنا مشفقين من الله علينا ووقانا عذاب السموم فاجزوا والمعرفهم برهم وحقه
عليهم ان نجاهم من عذاب السموم بمحض منته عليهم وقد قال اعلم الخالق بالله وأحبهم اليه واقربهم
منه واطوعهم له ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتعدنى
الله برحمته منه وفضل وقال ان الله لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذب بهم وهو غير ظالم لهم ولورحمهم
لكانت رمتهم خيرا من أعمالهم والاول في الصحيح والثاني في المسند والسنن وصححه الحاكم
 وغيره فاخبر سيد العالمين والعالمين انه لا يدخل الجنة بعمله وقالت القدرية أنهم يدخلونها بأعمالهم لثلا
يتكدر نعيمهم عليهم بمشيئة الله بل يكون ذلك التعميم عوضا عما رمى الساف من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم القدرية عن قوس واحدة الإلظام بدعهم ومناقضها لما بعث الله به أنبياءه ورسله فلو أتى
العباد بكل طاعة وكانت أنفاسهم كلها طاعات لله لكانوا في محض منته وفضله وكانت له المنية عليهم وكلما
عظمت طاعة العبد كانت منة الله عليه أعظم فهو المان بفضله فمن أنكر منته فقد أنكر احسانه وأما
قوله تعالى (لهم اجر غير ممنون) فلم يختلف أهل العلم بالله ورسوله وكتابه ان معناه غير مقطوع ومنه
رب المنون وهو الموت لانه يقطع العمر

فصل ومن ذلك قوله تعالى (وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وقوله (والقينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وهذا الاغراء والالقاء محض فعله سبحانه والتعادي والتباغض
أثره وهو محض فعلهم وأصل ضلال القدرية والخيرية من عدم اهتمامهم الى الفرق بين فعله سبحانه
وفعل العبد فالخيرية جعلوا التعادي والتباغض فعل الرب دون المتعادين والمتباغضين والقدرية جعلوا
ذلك محض فعلهم الذي لا صنع لله فيه ولا قدرة ولا مشيئة وأهل الصراط السوى جعلوا ذلك فعلهم وهو
أثر فعل الله وقدرته ومشيئته كما قال تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) قال التفسير فعله والسير
فعل العباد وهو أثر التسيير وكذلك الهدى والاضلال فعله والاهتداء والضلال أثر فعله وهما أفعالنا
القائمة بنا فهو الهادي والعبد المهتدى وهو الذي يضل من يشاء والعبد الضال وهذا حقيقة وهذا

حقيقة والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان

فصل ومن ذلك قوله تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال (رب اجعل هذا البلد آمناً وجنتي وبني عبادتي ليحصل منهم اجتنابها فالاجتناب فعلهم والتجنب فعله ولا سبيل الي فهمهم الا بعد فعله ونظير ذلك قول يوسف الصديق (رب السجن أحب الي مما يدعوني اليه والا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) وصرف كيدهن هو صرف دواعي قلوبهم ومكرهن بالسنتين وأعمالهن وتلك أفعال اختيارية وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والا تصرف أثر فعله وهو فعل النسوة ومن ذلك قوله سبحانه لنبية محمد صلى الله عليه وسلم (ولو لان نبثاك لقدكدت تركن اليهم شياً قليلاً) فالنثيت فعله والثبات فعل رسولهم فهو سبحانه المثبت وعبدته الثابت ومثله قوله (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويصل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) فاخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين وازلال الظالمين فعله فانه يفعل ما يشاء واما الثبات والاضلال فخص أفعالهم ومن ذلك قوله تعالى (فبا نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) فاخبرانه هو الذي قسى قلوبهم حتى صارت قاسية فالقاسوة وصفها وفعلها وهي أثر فعله وهو جعلها قاسية وذلك أثر معاصيهم ونقضهم ميثاقهم وتركهم بعض ماذكروا به فالآية مجتلة لقول القدرية والجبرية

فصل ومن ذلك قوله تعالى (فاخرجناهم من جنات وزيروع ومقام كريم) وهم اما خرجوا باختيارهم وقد أخبر انه هو الذي أخرجهم فالإخراج فعله حقيقة والخروج فعلهم حقيقة ولو لا إخراجهم لما خرجوا وهذا بخلاف قوله (والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يميدكم فيها وينجزكم إخراجاً) وقوله (هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر) وقوله (أخرجكم من بطون أمهاتكم) فان هذا الإخراج لا يصح لهم فيه فانه بغير اختيارهم وإرادتهم وأما قوله (كأأخرجك ربك من بئتك بالحق) فيحتمل أن يكون إخراجاً بقدره ومشيئته فيكون من الاول ويحتمل أن يكون إخراجاً بوجبه بأمره فلا يكون من هذا فيكون الإخراج في كتاب الله ثلاثة أنواع أحدها إخراج الخارج باختياره ومشيئته والثاني إخراجة قهراً وكرها والثالث إخراجة أمراً وشرعاً

فصل وقد ظن طائفة من الناس أن من هذا الباب قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وجعلوا ذلك من أدلهم على القدرية ولم يفهموا مراد الآية وليست من هذا الباب فان هذا خطاب لهم في وقعة بدر حيث أنزل الله سبحانه ملائكته فقتلوا أعداءه فلم يفرد المسلمون بقتلهم بل قتلهم الملائكة وأما رميه صلى الله عليه وسلم فقد ورد كان هو الحذف والالقاء واما إيصال مارمى به الى وجوه العدو مع البعد وإيصال ذلك الى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله ولكنه فعل الله وحده فالرمي يراد به الحذف والإيصال فأنبت له الحذف بقوله إذ رميت ونفى عنه الإيصال بقوله وما رميت

فصل ومن ذلك قوله (وانه هو أضحك وبكى) والضحك والبكاء فعلان اختياريان فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة وتأويل الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام

عن ظاهره بغير موجب ولا منافاة بين ما يذكر من تلك التأويلات وبين ظاهره فان اضعافك الارض بالنبات وابكاء السماء بالمطر واضحا لك العبد وابكاءه بخالق آلات الضحك والبكاء له لاينا في حقيقة اللفظ وموضوعه ومعناه من انه جاعل الضحك والبكاء فيه بل الجميع حق

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (هو الذي يريك البرق خوفا وطمعا) ورؤية البرق أمر واقع باحساسهم فالاراءة فعله والرؤية فعلنا ولا يقال اراءة البرق خلقه فان خلقه لا يسمى اراءة ولا يستلزم رؤيتا له بل اراءتنا له جعلنا نراه وذلك فعله سبحانه ومن ذلك قول الخضر لموسى (فاراد ربك أن يبعثا أشدهما ويستخرجا كنزهما) فبلوغ الأشد ليس من فعلهما واستخراج الكنز من أفعالهما الاختيارية وقد أخبر ان كليهما بآراءته سبحانه ومن ذلك قوله تعالى عن السحرة (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) وليس اذنه هاهنا أمره وشرعه بل قضاءه وقدره ومشيئته فهو إذا كوفى قدرى لادبى أمرى

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وكلمة التقوى هي الكلمة التي يتق الله بها وأعلى أنواع هذه الكلمة هي قول لا اله الا الله ثم كل كلمة يتق الله بها بعددها فهي من كلمة التقوى وقد أخبر سبحانه انه الزمها عباده المؤمنين جعلها لازمة لهم لا ينفكون عنها فبالزامه التزموها ولولا الزامه لهم اياها لما التزموها والتزامها فعل اختياري تابع لارادتهم واختيارهم فهو المزموم وهم الملتزمون

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (ان الانسان خلق هولو اذامسه الشرحزوعا واذا مسه الخير منوعا) وهذا تفسير الهلوع وهو شدة الحرص الذي يترتب عليه الجزع والمنع فالخبر سبحانه انه خالق الانسان كذلك وذلك صريح في أن هلعه مخلوق لله كما ان ذاته مخلوقة فالانسان بمجملة ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه مخلوق لله ليس فيه شئ خلق لله وشئ خلق لغيره بل الله خالق الانسان بمجملة ذاته وأحواله كلها فالحال فعله حقيقة والله خالق ذلك فيه حقيقة فليس الله سبحانه بهلوع ولا العبد هو الخالق لذلك (فصل) ومن ذلك قوله تعالى (وما كان لنفس أن يؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) واذنه هاهنا قضاءه وقدره لا مجرد أمره وشرعه كذلك قال السلف في تفسير هذه الآية قال ابن المبارك عن الثوري بقضاء الله وقال محمد بن جرير يقول جل ذكره لتبييه ومالتفس خلقها من سبيل الى أن تصدقك الا أن يأذن لها في ذلك فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد الله ثم خالفها فان هداها بيد خالقها وما قبل الآية وما بعدها لا يدل الا على ذلك فانه سبحانه قال (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) أى لا تكني دعوتك في حصول الايمان حتى يأذن الله لمن دعوته أن يؤمن ثم قال قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون قال ابن جرير يقول تعالى يا محمد قل لهؤلاء السائلينك الآيات على صحة ما تدعو اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاولان انظروا ايها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقية ما تدعوكم اليه من توحيد الله من شمسها وقرها واختلاف لياها ونهارها ونزول النيث بارزاق العباد من سحابها وفي الارض من جبالها وتصدها بناتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجايبها فان في ذلك لكم ان عقلم وتدبرتم

عظة ومعتبرا ودلالة على ان ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولاله على حفظه وتدييره ظهير بغيكم عما سواها من الآيات وما يغنى عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضى عليهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار فهم لا يؤمنون بشئ من ذلك ولا يصدقون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى ١ وكل انسان أزمان طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يأتاه منشورا) قال ابن جرير وكل انسان أزمان ما قضى له انه عامله وما هو صائر اليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه وهذا ما قاله الناس في الآية وهو ما طار له من الشقاء والسعادة وما طار عنه من العمل ثم ذكر عن ابن عباس قال طائر عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وزائل معه أينما زال وكذلك قال ابن جريج وقتادة ومجاهد هو عمله زاد مجاهد وما كتب له وقال قتادة أيضا سعادته وشقاوته بعمله قال ابن جرير فان قال قائل فكيف قال أزمان طائر في عنقه ان كان الامر على ما وصفت ولم يقل في يديه أو رجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد قيل ان العنق هي موضع السمات وموضع القلائد والاطوق وغير ذلك مما يزين أو يشين فخرى كلام العرب بنسبة الاشياء اللازمة سائر الابدان الى الاعناق كأضافوا اجنابات أعضاء الابدان الى اليد فقالوا ذلك بما كسبت يدها وان كان الذي جره عليه لسانه أو فرجه فكذلك قوله (أزمان طائر في عنقه) وقال الفراء الطائر معناه عندهم العمل قال الازهرى والاصل في هذا ان الله سبحانه لما خلق آدم عم المطيع من ذريته والمعاصي فكتب ماعله منهم أجمعين وقضى بسعادة من علمه مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا فطار لكل ما هو صائر اليه عند خلقه وانشاءه وأما قوله في عنقه فقال أبو اسحاق انما يقال للشئ اللازم هذا في عنق فلان أى لزومه كزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق قال أبو على هذا مثل قولهم طوقك كذا وقلدتك كذا أى صرفته نحوك وألزمك اياه ومنه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق وقيل انما خص العنق لان عمله لا يتخلو اما أن يكون خيرا أو شرا وذلك مما يزين أو يشين كالخلى والغل فاضيف الى الاعناق قالت القدرية الزامه ذلك وسمه به وتعليمه بعلامة يعرف الملائكة انه سعيد أو شقي والخبر عنه لانه ألزمه العمل فجعله لازما له قال أهل السنة هذه طريقة لكم معروفة في تحريف الكلم عن مواضعه سلكتموها في الجنب والطبع والعقل وهذا لا يعرفه أهل اللغة وهو خلاف حقيقة اللفظ وما فسره به اعلم الامه بالقرآن ولا يعرف ما قاتموه عن أحد من سلف الامه البتة ولا يفسر الآية غيركم به ولا يصح حمل الآية عليه فان الخبر عنه بذلك والعلامة اعلم بها انما حصل بعد طائر الزام له من عمله فلما ألزمه ذلك الطائر ولم ينفك عنه أخبر عنه بذلك وصارت عليه علامة وسمه ونحن قد أريناكم أقوال أئمة الهدى وسلف الامه في الطائر فارونا قولكم عن واحد منهم قاله قبلكم وكل طائفة من أهل البدع تجر القرآن الى بدعها وضلالها وتفسره بمذاهبها وآرائها والقرآن برئ من ذلك وبالله التوفيق

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (وما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلك في قلوب الجرمين لا يؤمنون به) وقد وقع هذا المعنى في القرآن في موضعين هذا أحدهما والثاني في سورة الشعراء في قوله (ولو نزلنا على بعض الأعجمين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك نسلكتنا في

قاوب المحرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الآليم) قال ابن عباس سلك الشرك في قلوب المكذبين كما سلك الحرزة في الخيط وقال أبو اسحاق أى كما فعل بالمحرمين الذين استزوا بمن تقدم من الرسل كذلك سلك الضلال في قلوب المحرمين واختافوا في مفسر الضمير في قوله نسلكه فقال ابن عباس سلكنا الشرك وهو قول الحسن وقال الزجاج وغيره هو الضلال وقال الربيع يعنى الاستهزاء وقال الفراء التكذيب وهذه الأقوال ترجع الى شئ واحد والتكذيب والاستهزاء والشرك كل ذلك فعلهم حقيقة وقد أخبر أنه سبحانه هو الذى سلكه في قلوبهم وعتدى في هذه الأقوال شئ فان الظاهر ان الضمير في قوله لا يؤمنون به هو الضمير في قوله سلكناه فلا يصح أن يكون المعنى لا يؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء فلا تصح تلك الأقوال الا باختلاف مفسر الضمير والظاهر اتحادها فالذين لا يؤمنون به هو الذى سلكه في قلوبهم وهو القرآن فان قيل فما معنى سلكه اياه في قلوبهم وهم يتكبرونه قبل سلكه في قلوبهم بهذه الحال أى سلكناه غير مؤمنين به فدخل في قلوبهم مكذبا به كما دخل في قلوب المؤمنين مصدقا به وهذا مراد من قال ان الذى سلكه في قلوبهم هو التكذيب والضلال ولكن فسر الآية بالمعنى فانه اذا دخل في قلوبهم مكذبين به فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم فان قيل فما معنى ادخاله في قلوبهم وهم لا يؤمنون به قيل لتقوم عليهم بذلك حجة الله فدخل في قلوبهم وعلموا انه حق وكذبوا به فلم يدخل في قلوبهم دخول مصدق به مؤمن به مرضى به وتكذبهم به بعد دخوله في قلوبهم أعظم كفرا من تكذبهم به قبل أن يدخل في قلوبهم فان المكذب بالحق بعد معرفته له شر من المكذب به ولم يعرفه فتأمل فانه من فقه التفسير والله الموفق للصواب

فصل ١٠ ومن ذلك قوله تعالى (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) فالارسال هاهنا ارسال كوفى قدرى كالرسال الرياح وليس بالرسال دينى شرعى فهو ارسال تسليط بخلاف قوله في المؤمنين (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) فهذا السلطان المنفى عنه على المؤمنين هو الذى أرسل به جنده على الكافرين قال أبو اسحاق ومعنى الارسال ههنا التسليط تقول قد أرسلت فلانا على فلان اذا سلطته عليه كما قال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من أتبعك من العاوين) فاعلم ان من أتبعه هو مساطع عليه ثلاث ويشهد له قوله تعالى (انما سلطاننا على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقوله (تؤزهم أزا) فالأز في اللغة التحريك والتهيج ومنه يقال غلبان القدر الازيز لتحرك الماء عند الغلبان وفي الحديث كان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل من البكاء وعبارات السائف تدور على هذا المعنى قال ابن عباس تفريهم اغراء وفي رواية أخرى عنه تساهم سلا وفي رواية أخرى تحريضهم تحريضا وفي أخرى ترجيحهم للماصى ازعاجا وفي أخرى توقدهم إيقادا أى كما تحرك الماء بالوقد تحته قال أبو عبيدة الازيز الالهة والحركة كالهتاف النار في الحطب يقال إزقدرك أى ألهب تحمها النار وانتزعت النار اذا اشتد غلبانها وهذا اختيار الاخفش والتحقيق ان اللفظة تجمع المعنيين جميعا قالت القدريّة معنى أرسلنا الشياطين على الكافرين خلبنا بينهم وبينهم ليس معناها التسليط قال أبو على الارسال يستعمل بمعنى التخليّة بين المرسى وما يريد فبنى الآية خلبنا بين الشياطين وبين الكافرين ولم يمنعهم منهم ولم يعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الواحدى الى هذا الوجه يذهب القدريّة في معنى الآية قال ولايس المعنى على

مأذهبوا اليه وقال أبو اسحاق واختار انهم أرسلوا عليهم وقبضوا لهم بكفرهم كما قال تعالى (ومن يمشن
عن ذكر الرحمن نقبض له شيطانا فهو له قرين) وقال ٢ وقبضنا لهم قرينوا لهم ما بين أيديهم
وما خلفهم) وانما معنى الارسال التسليط قلت وهذا هو انهم ممن معنى الارسال كما في الحديث اذا أرسلت
كاتبك المعلم أى سلطته ولو خلى بينه وبين الصيد من غير ارسال منه لم يسبح صيده وكذلك قوله (وفي
عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أى سلطناها وسخرناها عليهم وكذلك قوله (وأرسل عليهم طيرا
أبابيل) وكذلك قوله (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) والتخيلة بين المرسل وبين ما أرسل عليه
من لوازم هذا المعنى ولا يتم التسليط الا به فاذا أرسل الشيء الذى من طبعه وشأنه ان يفعل فعلا ولم
تمعه من فعله فهذا هو التسليط ثم ان القدرة تناقضا في هذا القول فأنهم ان جوزوا منهم منهم
وعصمتهم واعادتهم فقد نقضوا أصلهم فان منع المختار من فعله الاختيارى مع سلامة التية وصحة بنيته
تدل على ان فعله وتركه مقدور لرب وهذا عين قول أهل السنة وان قالوا لا يقدر على منعهم وعصمتهم
منهم واعادتهم فقد جعلوا قدرتهم ومشيتهم بفعل مالا يقدر الرب على المنع منه وهذا باطل الباطل ثم
قالت القدرة تؤزهم اذا تأمرهم بالمعاصى أمرا وحكوا ذلك عن الضحك وهذا لا يلتفت اليه اذ يقال
لمن أمر غيره بشئ قد أزه ولا تساعد اللغة على ذلك ولو كان ذلك صحيحا لكان يؤز المؤمنين أيضا
فانه يأمرهم بالمعاصى أكثر من أمر الكافرين فان الكافر سريع الطاعة والقبول من الشيطان فلا
يحتاج من أمره ما يحتاج اليه من أمر المؤمنين بل يأمر الكافر مرة ويأمر المؤمن مرات فلو كان
الأمر الامر لم يكن له اختصاص بالكافرين

فصل ومن ذلك قوله تعالى (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إلى الناس من شر الوسواس
الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) وقوله (لأعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقوله (فاذا قرأت القرآن فاستمع بالله من الشيطان الرجيم) ومن
المعلوم ان الاعادة من الشيطان الرجيم ليست باماته ولا تعطيل آت كيد وانما هى بان يعصم المستعبد
من أذاه له ويحول بينه وبين فعله الاختيارى له فدل على ان فعله مقدور له سبحانه ان شاء سلطه على
العبد وان شاء حال بينه وبينه وهذا على أصول القدرة باطل فلا يثبتون حقيقة الاعادة وان أثبتوا
حقيقة الاستعاذة من العبد وجعلوا الآية ردا على الجبرية والخبرية أثبتوا حقيقة الاعادة ولم يثبتوا
حقيقة الاستعاذة من العبد بل الاستعاذة فعل الرب حقيقة كما ان الاعادة فعله وقد ضل الطائفتان عن
الصراط المستقيم وأصاب كل طائفة منهما فيما أثبتته من الحق

فصل ومن ذلك قوله تعالى (واصبر وما صبرك الا بالله) وقول هود وما توفيقى الا بالله
ومعلوم ان الصبر والتوفيق فعل اختياري للعبد وقد أخبرنا به لا بالعبد وهذا لا ينغى أن يكون فعلا
للعبد حقيقة ولهذا أمر به وهو لا يأمر عبده بفعل نفسه سبحانه وانما يؤمر العبد بفعله هو ومع هذا
فليس فعله واقعا به وانما هو بالخالق لكل شئ الذى ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فالتصير منه سبحانه
وهو فعله والصبر هو القائم بالعبد وهو فعل العبد ولهذا أتى عنى من يسأله أن يصبر فقال تعالى (ولما
برزوا لجبالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزم موهم
بأذن الله) فى الآية أربعة أدلة أحدها قولهم أفرغ علينا صبرا والصبر فعلهم الاختيارى فسألوه من هو

بيده ومشيئته وأذنه إن شاء أعطاهموه وإن شاء منعهم موه . الثاني قولهم وثبت أقدامنا وثبات الأقدام فعل اختياري ولكن التثبيت فعله والثبات فعلهم ولا سبيل إلى فعلهم إلا بعد فعله . الثالث قولهم وانصرتنا على القوم الكافرين) فأنشأه النصر وذلك بأن يقوى عزائمهم ويشجعهم ويصبرهم ويشبهم ويبقى في قلوب أعداهم الحور والخوف والرعب فيحصل النصر وأيضا فإن كون الإنسان منصورا على غيره إما أن يكون بأفعال الجوارح وهو واقع بقدره العبد واختياره وإما أن يكون بالحجة والبيان والعلم وذلك أيضا فعل العبد وقد أخبر سبحانه أن النصر بحجانه من عنده وأثنى على من طلبه منه وعند القدرة لا يدخل تحت مقدور الرب . الرابع قوله فهزمهم بإذن الله وأذنه هاهنا هو الأذن الكوني القدرى أى بمشيئته وقضائه وقدره ليس هو الأذن الشرعى الذى بمعنى الأمر فإن ذلك لا يستازم الهزيمة بخلاف أذنه الكوني وأمره الكوني فإن المأمور المكون لا يخالف عنه البتة

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتسع هواه) وفي الآية رد ظاهر على الطائفتين وإبطال لقولهما فإنه سبحانه أغفل قلب العبد عن ذكره فغفل هو فالأغفل فعل الله والغفلة فعل العبد ثم أخبر عن أتباعه هواه وذلك فعل العبد حقيقة والقدرة منحرف هذا النص وإمالة بالتسمية والعلم فيقولون معنى أغفلنا قلبه سميئه غافلا أو وجدنا غافلا أى علمناه كذلك وهذا من تحريفهم بل أغفلته مثل أفته وأفدته وأغثيته وأفقرته أى جعلته كذلك وأما أفعلته أو أوجدته كذلك كاحمدته وأجنته وأجخلته وأعجزته فلا يقع في أفعال الله البتة إنما يقع في أفعال العاجزان يجعل جباناً وبخيلاً وعاجزاً فيكون معناه صادفته كذلك وهل يخطر بقلب الداعى اللهم أقدرنى أو أوزعنى والهمنى أى سمنى واعلمنى كذلك وهل هذا الاكذب عليه وعلى المدعو سبحانه والعقلاء يعلمون علما ضروريا أن الداعى إنما سأل الله أن يخلق له ذلك ويشاء له ويقدره عليه حتى القدرى اذا غاب عنه بدعته وما تقلده عن أسيائه وإسلافه وبقي وفعله لم يخطر بقلبه سوى ذلك وأيضا فلا يمكن أن يكون العبد هو المغفل لنفسه عن الشيء فإن اغفاله لنفسه عنه مشروط بشعوره به وذلك مضاد لغفلته عنه بخلاف اغفال الرب تعالى له فإنه لا يضاد علمه بما يغفل عنه العبد بخلاف غفلة العبد فإنها لا تكون إلا مع عدم شعوره بالمغفول عنه وهذا ظاهر جدا فثبت أن الاغفال فعل الله بعبد والغفلة فعل العبد

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى أخبرا عن نبيه شعيب أنه قال لقومه (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نحنيا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) وهذا يبطل تأويل القدرة المشقة في مثل ذلك بمعنى الأمر فقد علمت أنه من الممتنع على الله أن يأمر بالدخول في ملة الكفر والشرك به ولكن استنوا بمشيئته التى يضل بها من يشاء ويهدى من يشاء ثم قال شعيب وسع ربنا كل شئ علما فرد الأمر إلى مشيئته وعلمه فإن له سبحانه في خلقه علم محيط ومشيئته نافذة وراء ما بعلمه الخلاق فامتاعنا من العود فيها هو مبلغ علومنا ومشيئتنا والله علم آخر ومشيئة أخرى وراء علومنا ومشيئتنا فلذلك رد الأمر إليه ومثله قول إبراهيم (ولا أخاف ماتركون به إلا أن يشاء الله ربى شيا وسع ربى كل شئ علما فلا يتذكرون) فأعاد الرسل بكمال معرفتها بالله أمورها إلى مشيئته الرب وعلمه ولهذا أمر الله رسوله أن لا يقول لشيء أنه فاعله حتى يستثنى بمشيئة الله فإنه إن شاء فاعله

وان شاء لم يفعله وقد تقدم تقرير هذا المعنى وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أعمال العباد ولهذا كان اثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس الإيمان بالتقدير نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده

الباب الرابع عشر

في الهدى والضلال ومراتبهما والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم

هذا المذهب هو قلب أبواب القدر ومسائله فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبته المنزلة عليهم على أنه سبحانه يفضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وإن الهدى والاضلال بيده لا بيد العبد وإن العبد هو الضال أو المتهدى فالهداية والاضلال فعله سبحانه وقدره والاعتداء والضلال فعل العبد وكسبه ولا بد قبل الخوض في تقرير ذلك من ذكر مراتب الهدى والضلال في القرآن فاما مراتب الهدى فاربعة . احدها الهدى العام وهو هداية كل نفس الى مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أعم مراتب . المرتبة الثانية الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة الى مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الاولى وأعم من الثالثة . المرتبة الثالثة الهداية المستزمنة للاعتداء وهي هداية التوفيق ومشئة الله لعبده الهداية وخلقته دواعي الهدى وارادته والقدرة عليه للعبد وهذه الهداية التي لا يقدر عليها الا الله عز وجل . المرتبة الرابعة الهداية يوم المعاد الى طريق الجنة والنار

فصل في مراتب الهدى فقد قال سبحانه اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) فذكر سبحانه أربعة أمور عامة الخلق والتسوية والتقدير والهداية وجعل التسوية من تمام الخلق والهداية من تمام التقدير قال عطاء خلق فسوى أحسن ما خلقه وشاهده قوله تعالى (الذي أحسن كل شئ خلقه) فاحسان خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزائه بحيث لم يحصل بينها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال فالخلق الإيجاد والتسوية اتقانه واحسان خلقه وقال الكافي خلق كل ذى روح فجمع خلقه وسواد باليدن والعينين والرجلين وقال مقاتل خلق لكل دابة ما يصلح لها من الخلق وقال أبو اسحاق خلق الانسان مستويا وهذا تمثيل والا فالخلق والتسوية شامل للانسان وغيره قال تعالى (ونفس وما سواها) وقال (فسواهن سبع سموات) فالتسوية شاملة لجميع مخلوقاته (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) وما يوجد من التفاوت وعدم التسوية فهو راجع الى عدم اعطاء التسوية للمخلوق فإن التسوية أمر وجودى تتعاقب بالتأثير والابداع فما عدم منها فاعدم ارادة الخالق للتسوية وذلك أمر عدمى يكفي فيه عدم الابداع والتأثير فتأمل ذلك فإنه يزيل عنك الاشكال في قوله (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) فالتفاوت حصل بسبب عدم مشيئة التسوية كما كان الجهل والصمم والعمى والحرس واليكم يكفي فيها عدم مشيئة خلقها وإيجادها وتام هذا يأتي ان شاء الله في باب دخول الشر في القضاء عند قول النبي صلى الله عليه وسلم والشر ليس إليك والمتعود ان كل

مخلوق فقد سواه خالقه سبحانه في مرتبة خلقه وان فآله التسوية من وجه آخر لم يخلق له
 ﴿فصل﴾ وأما التقدير والهداية فقال مقاتل قدر خلق الذكر والانثى فهدى الذكر للانثى كيف
 يأتيها وقال ابن عباس والكلي وكذا قال عطاء قدر من النسل ما أراد ثم هدى الذكر للانثى واختار
 هذا القول صاحب النظم فقال معنى هدى هداية الذكر لانثى كيف يأتيها لان آسان ذكر ان
 الحيوان لانائه مختلف لاختلاف الصور والخلق والهيآت فلولا انه سبحانه جبل كل ذكر على معرفة
 كيف يأتي أنثى جنسه لما اعتدى لذلك وقال مقاتل أيضا هداية لمعيشته ومرعاه وقال السدي قدر مدة
 الجنين في الرحم ثم هداية للخروج وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة
 وقال الفراء التقدير هدى وأصل فاكتفى من ذكر أحدهما بالآخر قلت الآية أعم من هذا كله
 وأضعف الأقوال فيها قول الفراء إذ المراد هاهنا الهداية العامة لمصالح الحيوان في معاشه ليس المراد
 هداية الإيمان والضلال بمشيئته وهو نظير قوله (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فأعطاء الخلق
 الإيجاد في الخارج والهداية التعاليم والدلالة على سبيل بقائه ومحافظته وبقائه وما ذكر مجاهد فهو تمثيل
 منه لتفسير مطابق للآية فان الآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقه وبهيمه طيرة ودوابه فضيحة وأعجبه
 وكذلك قول من قال انه هداية الذكر لانثى انتمثيل أيضا وهو فرد واحد من أفراد الهداية
 التي لا يخصصها الا الله وكذلك قول من قال هداية للمرعى فان ذلك من الهداية فان الهداية الى التقام
 الثدي عند خروجه من بطن أمه والهداية الى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت والهداية
 الى قود ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه وهداية الطير والوحش والدواب الى الافعال العجيبة
 التي يعجز عنها الانسان كهداية النحل الى سلوك السبل التي فيها مراعيها على تباينها ثم عودها الى بيوتها من
 الشجر والجبال وما يفرس بنو آدم وأمر النحل في هدايتها من أعجب العجائب وذلك أن لها أميرا ومديرا
 وهو العيسوب وهو أكبر جسمان من جميع النحل وأحسن لونا وشكلا وأثبات النحل تد في إقبال
 الربيع وأكثر أولادها يكن اناها واذا وقع فيها ذكر لم تدعه بينها بل امانا ان تطرده واما أن تقتله
 الاطافقة يسيرة منها تكون حول الملك وذلك ان الذكر منها لا تعمل شيئا ولا تكسب ثم تجمع الامهات
 وفرأخها عند الملك فيخرج بها الى المرعى من المروج والرياح والساتين والمراعى في أقصد الطرق
 وأقربها فيجتني منها كفايتها فيرجع بها الملك فإذا انتهوا الى الحلايا وقف على بابها ولم يدع ذكر او اولا
 نحلة غريبة تدخلها فإذا تكامل دخولها دخل بعدها وتواجدت النحل مقاعدها وأما كمها فيتدنى
 الملك بالعمل كانه يعلمها إياه فيأخذ النحل في العمل ويتسارع اليه ويترك الملك العمل ويجلس ناحية
 بحيث يشاهد النحل فيأخذ النحل في إيجاد الشمع من لزوجات الاوراق والانوار ثم تقسم النحل
 فرقافها فرقة تازم الملك ولا تقارقه ولا تعمل ولا تكسب وهم حاشية الملك من الذكورة ومنها
 فرقة تربي الشمع وتصنعه والشمع هو ثقل العسل وفيه حلاوة كحلاوة الزين وللنحل فيه عناية شديدة
 فوق عنايةها بالعسل فينظفه النحل ويصفيه ويخلصه مما يخالطه من أبوالها وغيرها وفرقة تبني البيوت
 وفرقة تنقى الماء وتحمله على متونها وفرقة تكنس الحلايا وتنظفها من الاوساخ والحيف والزبل واذا
 رأت بينها نحلة مهيئة بطالة قطعها وقتلها حتى لا تقصد اعينهن بقية العمال وتعيدهن ببطلتهن ومهايتها وأول
 ما يبني في الحلية مقعد الملك وبيته فيبني له بيتا مربعا يشبه السرير والتخت فيجلس عليه ويستدير حوله

طائفة من المنزل يشبه الامراء والخدم والخواص لا يفارقه ويحمل النحل بين يديه شيأ يشبه الحوض
يصب فيه من العسل أصفى ما يقدر عليه ويأى منه الحوض يكون ذلك طعاما للملك وخواصه ثم يأخذن
في إبتناء البيوت على خطوط متساوية كأنها سكك ومحال وتبنى بيوتها سدسة متساوية الاضلاع كأنها قرأت
كتاب اقليدس حتى عرفت أوفق الاشكال لبيوتها لان المطلوب من بناء الدور هو الوثاقه والسعة
والشكل المسدس دون سائر الاشكال اذا انضمت بعض اشكاله الى بعض صار شكلا مستديرا كاستدارة
الرحى ولا يبقى فيه فروج ولا خلل ويشد بعضه بعضا حتى يصير طبقا واحدا محكما لا يدخل بين
بيوتها رؤس الابرفبارك الذى أهمها أن تبنى بيوتها هذا البناء المحكم الذى يعجز البشر عن صنع مثله
فعلت انها محتاجة الى أن تبنى بيوتها من اشكال موصوفة بصفتين احدهما ان لا يكون زواياها ضيقة
حتى لا يبقى الموضع الضيق معطلا الثانية أن تكون تلك البيوت مشكلة بأشكال اذا انضم بعضها الى
بعض وامتلاأت العرصة منها فلا يبقى منها ضائعا ثم انها علمت ان الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو
المسدس فقط فان المثلثات والمربعات وان أمكن امتلاء العرصة منها الا ان زواياها ضيقة واما سائر
الاشكال وان كانت زواياها واسعة الا انها لا تمتلى العرصة منها بل يبقى فيها بينها فروج خالية ضائعة واما
المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين فهذه اها سبحانه على بناء بيوتها على هذا الشكل من غير مسطر ولا آلة
ولا مثال يحتذى عليه وأصنع بنى آدم لا يقدر على بناء البيت المسدس الا بالآلات الكبيرة فبارك الذى
هداها ان تسلك سبل مراعيها على قوتها وتأتمها ذلالا لا تستعصى عليها ولا تفضل عنها وان يحثنى أطيب
ما في المرعى والطفه وأن آتود الى بيوتها الحالية فتصب فيها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون فاذا فرغت من بناء البيوت خرجت خصاصا تسيح سهلا وجبالا فالت من
الحلاوات المرتفعة على رؤس الازهار وورق الاشجار فترجم بطانا وجعل سبحانه في أفواهها حرارة
منضجة تنضج ما حنثه فتعيده حلاوة ونضجا ثم تمجج في البيوت حتى اذا امتلاأت ختمتها وسدت
رؤسها بالشمع المصفى فاذا امتلاأت تلك البيوت عمدت الى مكان آخر ان صادفته فاتخذت فيه بيوتا
وفعلت كما فعلت في البيوت الاولى فاذا برد الهوى وأخاف المرعى وحيل بينها وبين الكسب لزممت
بيوتها واعتذت بما ادخرته من العسل وهى في أيام الكسب والسعى تخرج بكرة وتسيح في المراتع
وتستعمل كل فرقة منها بما يخصها من العمل فاذا أمت رجعت الى بيوتها واذا كان وقت رجوعها
وقف على باب الخلية بواب منها ومعه أعوان فكل نخلة تريد الدخول يشمها البواب ويتفقدوها فان
وجد منها رائحة منكراة أوراى بها الطخه من قدر منعها من الدخول وعزلها ناحية الى أن يدخل الجميع
فيرجع الى المعزولات المتنوعات من الدخول فيتفقدهن ويكشف أحوالهن مرة ثانية فمن وجدته قد
وقع على شئ منتهن أو نجس قدح نصفين ومن كانت جنائته خفيفة تركه خارج الخلية هذا دأب البواب
كأ عشية وأما الملك فلا يكثر الخروج من الخلية الا نادرا اذا اشتى التزه فيخرج ومعه أمراء النحل
والخدم فيطوف في المروج والرياض والبساتين ساعة من النهار ثم يعود الى مكانه ومن عجيب أمره
انه ربما لحقه أذى من النحل أو من صاحب الخلية أو من خدمه فيغضب ويخرج من الخلية ويتقاعد
عنها ويتبعه جميع النحل وتبقى الخلية خالية فاذا رأى صاحبها ذلك وخاف أن يأخذ النحل وبذهب
بها الى مكان آخر احتال لاسترجاعه وطلب رضاه فيعرف موضعه الذى صار اليه بالنحل فيعرفه

باجتماع النحل اليه فانها لاتفارقه وتجتمع عليه حتى تصير عليه عنقودا وهو اذا خرج غضبا جاس على مكان مرتفع من الشجرة وطافت به النحل وانضمت اليه حتى يصير كالكرة فيأخذ صاحب النحل رمحا أو قصبه طويلة ويشد على رأسه حزمة من النبات الطيب الرائحة العطر النظيف ويدنيه الى محل الملك ويكون معه إما مزهر أو براع أو شيء من آلات الطرب فيحركه وقد أدنى اليه ذلك الحشيش فلا يزال كذلك الى أن يرضى الملك فاذا رضى وزال غضبه طفر ووقع على الضمت وتبعه خدمه وسائر النحل فيحمله صاحبه الى الخلية فينزل ويدخلها هو وجنوده ولا يقع النحل على حيفة ولا حيوان ولا طعام ومن عجيب أمرها أنها تقتل الملوك الظالمة المفسدة ولا تدن لصاعقتها والنحل الصغار المجتمع على الخلق هي العسالة وهي تحاول مقاومة الطوال القليلة النفع واخراجها ونفيها عن الخلايا واذا فعلت ذلك جاد العسل وتجهد أن تقتل ما تريد قتله خارج الخلية صيانة لخليه عن حيفته ومنها صنف قليل النفع كبير الجسم وبينها وبين العسالة حرب فهي تقصدها وتقاتلها وتفتح عليها بيوتها وتقصد هلاكها والعسالة شديدة التيقظ والتحفظ منها فاذا هجمت عليها في بيوتها حاولتها وأجأتها الى أبواب البيوت فتسلخ بالعسل فلا تقدر على العبث بها ولا يفلت منها الاكل طويل العمر فاذا انقضت الحرب وبرد القتال عادت الى القتلى فحملتها وألقها خارج الخلية وقد ذكرنا ان الملك لا يخرج الا في الاحايين واذا خرج خرج في جوع من الفراخ والشبان واذا عزم على الخروج ظل قبل ذلك اليوم أو يومين يعلم الفراخ وينزلها منازلها ويرتبها فيخرج ويخرجن معه على ترتيب ونظام قد دبره معهن لا يخرجن عنه واذا تولدت عنده ذكران عرف أنهم يتطلبن الملك فيجعل كل واحد منهم على طائفة من الفراخ ولا يقتل ملك منها ملكا آخر لما في ذلك من فساد الرعية وهلاكها وتفرقها واذا رأى صاحب الخلية الملوك قد كثرت في الخلية وخاف من تفرق النحل بسببهم احتال عليهم وأخذ الملوك كلها الا واحدا ويحبس الباقي عنده في اثناء ويدع عندهم من العسل ما يكفهم حتى اذا حدث بالملك المنسوب حدث مرض أو موت أو كان مفسدا فقتله النحل أخذ من هؤلاء المحبوسين واحدا وجعله مكانه ثلاثا يبقى النحل بلا ملك فيتشتت أمرها ومن عجيب أمرها ان الملك اذا خرج منزله ومعه الامراء والجنود ربما لحقه إعياء فتحمله الفراخ وفي النحل كرام عمال لها سعي وهمة واجتهاد وفيها لثام كمالى قليلة النفع مؤثرة للبطالة فالكرام دائما تطردها وتسفها عن الخلية ولا تسأكنها خشية ان تعدى كرامها وتفسدها والنحل من ألطف الحيوان وانقاء ولذلك لاتنق زبانا الا حسين تطير وتكره التثني والروائح الخبيثة وابكارها وفراخها أحرس وأشد اجتهادا من الكبار وأقل لسعا وأجود عسلا ولسعها اذا لمعت أقل ضررا من لسع الكبار ولما كانت النحل من أفجع الحيوان وأبركه قد خصت من وحي الرب تعالى وهدايته بما لم يشركها فيه غيرها وكان الخارج من بطونها مادة الشفاء من الاقام والنور الذى يضيء في الظلام بمنزلة الهداة من الانام كان أكثر الحيوان أعداء وكان أعداؤها من أقل الحيوان منفعة وبركة وهذه سنة الله في خلقه وهو العزيز الحكيم

فصل في هدى النمل من اهدى الحيوانات وهدايتها من أعجب شيء فان النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها وان بعدت عليها الطريق فاذا نظرت به حملته وساقته في طرق معوجة بعيدة ذات صعود وهبوط في غاية من التورع حتى تصل الى بيوتها فتخزن فيها أقواتها في وقت الامكان

فإذا خزنتها عمدت الى ما ينبت منها ففلقتة فافقتين لثلاث ينبت فان كان ينبت مع فلقه بامتين فلقته بأربعة
 فذا أصابه بلل وخافت عليه الغن والفساد انظرت به يوما ذا شمس فخرجت بدفشرته على أبواب بيوتها
 ثم أعادته اليها ولا تتغذى منها ثمة مما جمعه غيرها ويكنى في هداية النمل ما حكاه الله سبحانه في القرآن
 عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لاصحابها بقولها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
 سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فاستفتحت خطابها بالداء الذي يسمعه من خطبته ثم أتت بالاسم
 المبهم ثم اتبعته بما يشبه من اسم الجنس ارادة للعموم ثم أمرتهم بان يدخلوا مساكنهم فيحفظون من
 العسكر ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول وهو خشية أن يصيبهم معرفة الجيش فيحطلمهم سليمان
 وجنوده ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك وهذا من أعجب الهداية وتأمل كيف
 عظم الله سبحانه شأن النمل قوله (وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون)
 ثم قال (حتى اذا أتوا على وادى النمل كالأخبر أنهم باجمعهم مروا على ذلك الوادى ودل على ان ذلك
 الوادى معروف بالنمل كوادى السباع ونحوه ثم أخبر بما دل على شدة فطنة هذه النملة ودقة معرفتها
 حيث أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم المختصة بهم فقد عرفت هي والنمل أن لكل طائفة منها مسكنا
 لا يدخل عليهم فيه سواهم ثم قالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فجمعت بين اسمه وعينه وعرفته بهما
 وعرفت جنوده وقائدتها ثم قالت وهم لا يشعرون فكأنها جمعت بين الاعتذار عن مضرة الجيش بكونهم
 لا يشعرون وبين لوم أمة النمل حيث لم يأخذوا حذرهم ويدخلوا مساكنهم ولذلك تبسم نبي الله
 ضاحكا من قولها وانه لموضع تعجب وتبسم وقد روى الزهرى عن عبد الله بن عبد الله بن عينة عن
 ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النمل والنحلة والهدهد والصدرد وفي الصحيح
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل نبي من الانبياء تحت شجرة فقرصته نملة فأمر
 بجهازه فأخرج وأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله اليه أمن أجل أن قرصتك نملة فأحرقت أمة من
 الامم تسبح فهلا نملة واحدة وذكر هشام بن حسان ان أهل الاخنف بن قيس لقوا من النمل شدة
 فأمر الاخنف بكرسى فوضع عند تنورين فجلس عليه ثم تشهد ثم قال لتبين أولي حرقن عليكن ونفعل
 ونفعل قال فذهبن وروى عوف بن أبي جميلة عن قسامة بن زهير قال قال أبو موسى الأشعري ان لكل
 شئ سادة حتى للنمل سادة ومن يحجب هدايتها انها تعرف ربهما فانه فوق سمواته على عرشه كما رواه
 الامام أحمد في كتاب الزهد من حديث أبي هريرة يرفعه قال خرج نبي من الانبياء بالناس يستسقون
 فاذا هم بنملة رافعة قوائمها الى السماء تدعو مستلقية على ظهرها فقال ارجعوا فقد كفيتم أو سقيتم
 بغيركم ولهذا الاثر عدة طرق ورواه الطحاوي في التهذيب وغيره وقال الامام احمد حدثنا

التمل حلة ووضعوها في وسطها وطعموها عضوا عضو اقال شيخنا وقد حكيت له هذه الحكاية فقال هذه التمل فطرها الله سبحانه على قبح الكذب وعقوبة الكذاب والتمل من أحرص الحيوان وبضرب بجرصه المثل وبذكر ان سليمان صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حرص النملة وشدة ادخالها لافذاء استحضرت نملة وسألها كم تأكل النملة من الطعام كل سنة قالت ثلاث حبات من الخطة قاصر بالقائها في قارورة وسد فم القارورة وحمل معها ثلاث حبات خبطة وتركها سنة بعد ما قالت ثم أمر بفتح القارورة عند فراغ السنة فوجد حبة ونصف حبة فقال أين زعمك أنت زعمت ان قوتك كل سنة ثلاث حبات فقالت نعم ولكن لما رأيته مشغولا بمصالح أبناء جنسك حسبت الذي بقي من صغرى فوجده أكثر من المدة المضروبة فالتصرت على نصف القوت واستيقنت نصفه استيقنت لنفسى فجب سليمان من شدة حرصها وهذا من أعجب الهدايا والعطية ومن حرصها أنها تكد طول الصيف وتجميع الشتاء عما منها باعواز الطالب في الشتاء وتمذر الكسب فيه وهي على ضيقها شديدة القوى فانها تحسن أضعاف أضعاف وزنها وتجريه الى بيتها ومن عجيب أمرها انك اذا أخذت عضو كزبرة يابس فادنيه الى أنفك لم تشم له رائحة فاذا وضعته على الارض أقبلت النملة من مكان يمد اليه فان عجزت عن حمله ذهبت وأتت منها نصف من التمل يحتاونه فكيف وجدت رائحة ذلك من جوف بيتها حتى أقبلت بسرعة اليه فهي تدرك بالشم من البعد ما يدركه غيرها بالبصر أو بالسمع فتأتي من مكان يمد الى موضع أكل فيه الانسان وبقي فيه فتات من الحيز أو غيره فتحمله وتذهب به وان كان أكبر منها فان عجزت عن حمله ذهبت الى جحرها وجاءت معها بطائفة من أحمائها فجواك خيط أسود يتبع بعضهم يضا حتى يتساعدوا على حمله ونقله وهي تأتي الى السبلة فتشم فان وجدتها حطت قطعتها ومنبتها وحملتها وان وجدتها شمير افلاطها صدق الشم وبسد الهمة وشدة الحرص والحراة على محاولة نقل ما هو أضعاف أضعاف وزنها وليس لأحد قائد ورئيس يدبرها كما يكون للنجمل الا أن لها رائدا يطلب الرزق فاذا وقف عليه أخبر أحمائها فيخرجن مجتمعات وكل نملة تجتهد في صلاح العامة منها غير محتسنة من الحب شيئا لنفسها دون صوابياتها ومن عجيب أمرها ان الرجل اذا أراد أن يجترز من التمل لا يقطع في عمل أو نحوه فانه يحفر حفرة ويجعل حولها ماء أو يتخذ اناة كبيرا ويملاؤه ماء ثم يضع فيه ذلك الشيء فيأتي الذي يطيب به فلا يقدر عليه فيسلق في الحائط ويمشي على السقف الى أن يحاذي ذلك الشيء فتلقى نفسها عليه وجربنا نحن ذلك وأحس صانع مرة طوقا بالنار ورماء على الارض ليرد واتفق ان اشتمل الطوق على تمل فتوجه في الجهات ليخرج فاحقه ووجع النار فازم المركز ووسط الطوق وكان ذلك مركزا له وهو أبعد مكان من المحيط

فصل في هدى الهدى من أهدى الحيوان وأبصره بمواضع الماء تحت الارض لا يراد غيره ومن هدايته ما حكا الله عنه في كتابه ان قال النبي الله سليمان وقد فقدته وتوعدده فلما جاءه بدرد بالهدى قبل أن ينذره سليمان بالعقوبة وخاطبه خطابا عجيبة به على الاصفاء اليه والقبول منه فقال أحطت بما لم تحط به وفي ضمن هذا أني أتيتك بأمر قد عرفته حتى المعرفة بحيث أحطت به وهو خبر عظيم له شأن فلذلك قال وجئتكم من سبأ نبأ يقين والنبأ هو الخبر الذي له شأن والنفس مطالعة الى معرفته ثم وصفه بأنه نبأ يقين لا شك فيه ولا ريب فهدى مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ استغرقت

قلب الخبير لتلقى الخبر وأوجبت له التشويق التام إلى سماعه ومعرفته وهذا نوع من براعة الاستهلال
وخطاب التبريج ثم يكشف عن حقيقة الخبر كشفاً مؤكداً بأدلة التأكيد فقال اني وجدت امرأة تملككم
ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وانها من اجل الملوكة بحيث اوتيت من كل شيء يصاح ان تؤتاه الملوكة
ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليه وانه عرش عظيم ثم أخبر بما بدعوههم الى قصدهم
وغزوههم في غمر دارهم بعد دعوتهم الى الله فقال وجدهم وقومهم يسجدون للشمس من دون الله
وحذف اداة العطف من هذه الجمل وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إيداناً بأنها هي المقصودة
وما قبلها توطئة لها ثم أخبر عن المغوى لهم الحامل لهم على ذلك وهو ترين الشيطان لهم أعمالهم حتى
صاهم عن السبيل المستقيم وهو السجود لله وحده ثم أخبر ان ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية
والسجود لله الذي لا ينبغي السجود الا له ثم ذكر من أفعاله سبحانه اخراج الحب في السموات والارض
وهو الخبوء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ما ينزل من السماء وما يخرج من الارض وفي ذكر
الهدى هذا الشأن من أفعال الرب تعالى بخصوصه اشعار بما خصه الله به من اخراج الماء الخبير
تحت الارض قال صاحب الكشف وفي اخراج الحب اشارة على انه من كلام الهدى لهدى لهدى ومعرفته
الماء تحت الارض وذلك باهام من يخرج الحب في السموات والارض جات قدرته ولعنف علمه ولا
يكاد يخفى على ذى الفراسة الناظر بشور الله مخايل كل شخص بصناعة أوفى من العلم في روايته ومنطقه
وشمائه فما عمل آدمي عملاً الا أتى الله عليه رداء عمله

فصل وهذا الحلم من عجب الحيوان هداية حتى قال الشافعي أعقل الطير الحمام ويرد الحلم
هي التي تحمل الرسائل والكتب وربما زادت قيمة الطير منها على قيمة المملوك والعبد فان الغرض
الذي يحصل به لا يحصل بمملوك ولا بحيوان غيره لانه يذهب ويرجع الى مكانه من مسيرة ألف فرسخ
قادونها وتسهي الاخبار والأغراض والمقاصد التي تتعلق بها مهمات الممالك والدول والقيوم بأمرها
يعتون بانسابها اعتناء عظيماً فيفرون بين ذكورها وانثاهما وقت السفاد وتنقل الذكور عن انثاهما الى
غيرها والانث عن ذكورها ويحافون عليها من فساد انسابها وحماها من غيرها ويتعرفون حجة طرقها
وحماها لا يأمنون أنفسد الاثني ذكرها من عرض الحلم فتمترها الهجنة والقيوم بأمرها لا يحفظون
أرحام نسايتهم ويحاطون لها كما يحفظون أرحام حمامهم ويحاطون لها والقيوم لهم في ذلك قواعد
وطرق يعتون بها غاية الاعتناء بحيث اذا رآوا حماماً ساقطاً لم يخف عليهم حسنها ونسبها وبلدها ويعلمون
صاحب التجربة والمعرفة وتسمع أنفسهم بالجميل الوافر له ويختارون لحل الكتب والرسائل الذكور
منها ويقولون هو أحسن الى بيتهم لمكان أتاؤه وهو أشد مثلاً وأقوى بدناً وأحسن اهتداءً وطائفة منهم
يختار لذلك الاناث ويقولون الذكر اذا سافر وبعد عهده حن الى الاناث وتأقت نفسه اليهن فرميا
رأى أثني في طريقة ومجيئه فلا يصبر عنها فيترك المسير ومال الى قضاء وطره منها وهدايته على قدر
التعظيم والتوطين والحمام موصوف بالحن والالف للناس ويحب الناس ويحبونه ويألف المكنان ويثبت
على العهد والوفاء لصاحبه وان أساء اليه ويعود اليه من مسافات بعيدة وربما صد فترك وطنه عشر
حجج وهو ثابت على الوفاء حتى اذا وجد فرصة واستطاعة عاد اليه والحمام اذا أراد السفاد يالظف
اللاثي غاية الملقف فيبدأ بنثر ذنبه وارضاء جناحه ثم يدنو من الاثني فيهدر لها ويقلها ويزفها وينفض

ويرفع صدره ثم يعتريه ضرب من الوله والالتى في ذلك مرسله جناحها وكفتها على الارض
 فاذا قضى حاجته منها ركبته الالتى وليس ذلك في شئ من الحيوان سواء واذا علم الذكر انه اودع
 رحم الالتى ما يكون منه الولد يقدم هو والالتى بطالب القصب والخشيش وصغار العيدان فيعملان منه
 أخفوصة وينسجانهما نسجاً متداخلاً في الوضع الذى يكون بقدر حيان الحلمة ويجعلان حرورهما خافضة
 مرتفعة لئلا يتدحرج عنها البيض ويكون حصناً للحاضن ثم يتعاونان ذلك المكان ويتعاقبان الاخفوص
 يستخانه ويطيانه ويشقيان طباعه الاول ويجدان فيه طبعا آخر مشتقاً ومستخرجاً من طباع ابدانهما
 ورائعتهما لكي تقع البيضة اذا وقعت في مكان هو أشبه المواضع بارحام اللحم ويكون على مقدار من الحر
 والبرد والرطوبة والصلابة ثم اذا ضربها الخاض بادرت الى ذلك المكان ووضعت فيه البيض فان أفرعها
 رعد قاصف رمت بالبيضة دون ذلك المكان الذى هيأته كالمرأة التى تسقط من الفرج فاذا وضعت البيض
 في ذلك المكان لم يزالا يتعاقبان الحاضن حتى اذا بلغ الحاضن مداه وانتهت أيامه انصدع عن الفرج
 فاعالاه على خروجه فيبدآن أولاً بنفخ الريح في حلقه حتى تتسع حوصلته عالمهما بان الجوصلة تضيق
 عن الغذاء فتسع الجوصلة بعد التحامها وتتفتق بعد ارتاقها ثم يعلمان ان الجوصلة وان كانت قد اتسعت
 شيئاً فأنها في أول الامر لا تحتمل الغذاء فيزقانه بلعابهما المختلط بالغذاء وفيه قوى الطعم ثم يعلمان ان طبع
 الجوصلة تضعف عن استمرار الغذاء وانها تحتاج الى دفع وتقوية لتكون لها بعض التانة فيلقطان
 من القبطان الحب اللين الرخو ويزقانه الفرج ثم يزقانه بعد ذلك الحب الذى هو أقوى وأشد ولا يزالان
 يزقانه الحب والماء على تدريج بحسب قوة الفرج وهو يطلب ذلك منهما حتى اذا علما انه قد أطلق اللقط
 منعهما بعض المنع ليحتاج الى اللقط ويعتاده واذا علما ان رثته قد قويت ونمت وانهما ان فطماه
 فطماهما قوى على اللقط وتبلغ نفسه ضرباه اذا سألها الزق ومنعهما ثم تنزع تلك الرحمة العجيبة منهما
 وينسيان ذلك التططف المتكمن حين يعلمان انه قد أطلق القيام بنفسه والتكسب ثم يبدآن العمل ابتداء
 على ذلك النظام والحلم يشا كل الناس في أكثر طباعه ومذاهبه فان من اناته أثنى لا تريد الازوجها
 وفيه أخرى لا ترد بدلا من وأخرى لا تنال الا بعد الطلب الحديث وأخرى تركب من أول وهلة وأول
 طلب وأخرى لها ذكر معروف بها وهى تمكن ذكر آخر منها اذا غاب زوجها لم تمتع من ركبها
 وأخرى تمكن من يغنيها عن زوجها وهو يراها ويشاهدهما ولا تبالي بحضوره وأخرى تععط الذكر
 وتدعوه الى نفسها وأثنى تركب أثنى وتساقطها وذكر يركب ذكرها ويسفها وكل حالة توجد في
 الناس ذكورها وانهم توجد في اللحم وفيها من لا يبيض وان باضت أفسدت البيضة كالمرأة التى لا تريد
 الولد كيلا يشغلها عن شأنها وفي أنثى اللحم من اذا عرض لها ذكر أى ذكر كان أسرع هاربة ولا
 توافى غير زوجها البتة بمنزلة المرأة الحرة ومنها ما يأخذ أثنى يتمتع بها ثم ينتقل عنها الى غيرها وكذلك
 الالتى توافق ذكر آخر عن زوجها وتنتقل عنه وان كانوا جميعا في برج واحد ومنها ما يتصالح على
 الالتى منها ذكران أو أكثر فتعايرهم كلهم حتى اذا غلب واحد منهم لرفيقه وقهره مالت اليه
 وأعرضت عن المغلوب وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم زأى حمامة تتبع حمامة فقال شيطان
 يتبع شيطانة ومنها ما يزق فراخه خاصة ومنها ما فيه شفقة ورحمة بالغة يزق فراخه وغيرها ومن يحب
 هداها انما اذا حملت الرسائل سلكت الطرق البعيدة عن القرى ومواضع الناس لئلا يعرض لها من

يصدها ولا يرد مياهم بل يرد المياه التي لا يردها الناس ومن هدايتها أيضا انه اذا رأى الناس في الهواء عرف أى صنف يريد وأى نوع من الأنواع ضده فيخالف فعله ليسلم منه ومن هدايته انه في أول نهوضه يفل ويمر بين السم والعقاب وبين الرخم والبازي وبين الغرب والصقر فيعرف من يقصده ومن لا يقصده وان رأى الشاهين فكأنه يرى السم النافع وتأخذه حيرة كما يأخذ الشاة عند رؤية الذئب والحمار عند مشاهدة الأسد ومن هداية الحمام ان الذكر والانثى يتقاسمان أمر الفراخ فيكون الحضانة والتربية والكفالة على الانثى وجلب القوت والرزق على الذكر فان الاب هو صاحب الميال والكسب لهم والام هي التي تحبل وتلد وترضع ومن عجيب أمرها ما ذكره الجاحظ ان رجلا كان له زوج حمام مقصوص وزوج طيار وللطيار فرخان قال ففتحت لهما في أعلى الغرفة كوة للدخول والخروج وزوج فراخهما قال غبسي السلطان خوة فاهتمت بشأن المقصوص غاية الاهتمام ولم أشك في موتها لانهما لا يقدران على الخروج من الكوة وليس عندهما ما يأكلان وبشران قال فلما خلى سبيل لم يكن لي هم غيرهما ففتحت البيت فوجدت الفراخ قد كبرت ووجدت المقصوص على أحسن حال فعجبت فمالبث ان جاء الزوج الطيار فدنا الزوج المقصوص الى أفواههما يستطعمانها كما يستطعم الفراخ فراقهما فانظر الى هذه الهداية فان المقصوصين لما شاهدوا تلطف الفراخ للابوين وكيف يستطعمانها اذا اشتد بهما الجوع والعطش فعلا كفمل الفرخين فأدركتهما رحمة الطيارين فزقاهما كما يزقان فرخيهما ونظير ذلك ما ذكره الجاحظ وغيره قال الجاحظ وهو أمر مشهور عندنا بالبصرة انه لما وقع الطاعون الجارف أتى على أهل دار فلم يشك أهل تلك الحلة انه لم يبق منهم أحد فعمدوا الى باب الدار فسدوه وكان قد بقي صبي صغير يرضع ولم يفظنوا له فلما كان بعد ذلك بمدة تحول اليها بعض ورثة القوم ففتح الباب فلما أفضى الى عرصة الدار اذاهو بصبي يلعب مع جراء كلبة قد كانت لاهل الدار فراقه ذلك فلم يلبث ان أقبلت كلبة قد كانت لاهل الدار فلما رآها الصبي حبا اليها فلمكنته من أطباها فقصها وذلك ان الصبي لما اشتد جوعه ورأى جراء الكلبة يرتاضعون من أطباء الكلبة حبا اليها فعطفت عليه فلما سقته مرة أدامت له ذلك وأدام هو الطالب ولا يستعده هذا وما هو أعجب منه فان الذي هدى المولود الى مص إمامه ساعة يولد ثم هداه الى التمام حاملة ثدى لم يتقدم له به عادة كأنه قد قبل له هذه خزانة طعامك وشربك التي كأنك لم تنزل بها عارف في هدايته للحيوان الى مصالحه ما هو أعجب من ذلك ومن ذلك ان الديك الشاب اذا لقي حبا لم يأكله حتى يفرقه فاذا هزم وشاخ أكله من غير تفريق كما قال المدائني ان إياس بن معاوية مر بديك ينقر حبا ولا يفرقه فقال ينبغي أن يكون هرا من فان الديك الشاب يفرق الحب ليجتمع الدجاج حوله فتصيب منه والهرم قد فئت رغبته فليس له همة الا نفسه قال إياس والديك يأخذ الحبة فهو يريها الدجاجة حتى يلتقيها من فيه والهرم يتعلمها ولا يلقىها للدجاجة وذكر ابن الاعرابي قال أكلت حبة بيض مكا فجعل المكاء يصوت ويسير على رأسها ويدنو منها حتى اذا فتحت فاتها وهمت به ألقى حسكة فاخذت بحلقها حتى ماتت وأنشد أبو عمرو الشيباني في ذلك قول الاسدي

ان كنت أبصر تتي علا ومصطاما فرمما قتل المكاء تمبا

وهداية الحيوانات الى مصالح معاشها كالبحر حدث عنه ولا حرج ومن عجيب هدايتها ان الثعلب اذا

امتلا من البراغيث أخذ صوفة بضمه ثم عمدا إلى ماء رقيق فنزل فيه قليلا قليلا حتى ترتفع البراغيث إلى الصوفة فيأتيها في الماء وينتزع ومن عجيب أمره أن ذئبا أكل أولاده وكان للذئب أولاد وهناك زبية فعمد الثعالب وألقى نفسه فيها وحفر فيها سرايا يخرج منه ثم عمدا إلى أولاد الذئب فقتلهم وجلس ناحية ينتظر الذئب فلما أقبل وعرف أنها قتلته هرب قدامه وهو يتبعه فالتى نفسه في الزبية ثم خرج من السرداب فالتى الذئب نفسه وراءه فلم يجده ولم يطق الخروج فقتله أهل الناحية ومن عجيب أمر دان رجلا كان معه دجاجتان فاختفى له وخطف أحدهما ففر ثم أعمل فكره في أخذ الأخرى فتراى لصاحبها من يده وفيه شيء شديد الطائر وأطمعه في استعادتها بأن تركه وفر فظن الرجل أنها الدجاجة فأسرع نحوها وخالف الثعالب إلى اختفائها فخذها وذهب ومن عجيب أمره أنه أتى إلى جزيرة فيها طير فاعمل الحيلة كيف يأخذ منها شيئا فلم يطق فذهب وجاء بضغث من حشيش وألقاه في مجرى الماء الذي نحو الطير ففزع منه فلما عرفت أنه حشيش رجعت إلى أمائها فعاد لذلك مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى تواظب الطير على ذلك والفته فعمد إلى جرزة أكبر من ذلك فدخل فيها وعبر إلى الطير فلم يشك الطير أنه من جنس ما قبله فلم تنفر منه فوثب على طائر منها وعدابه ومن عجيب أمر الذئب أنه عرض لإنسان يريد قتله فرأى معه قوسا وسهما فذهب وجاء بعظم رأس جل في فيه وأقبل نحو الرجل فجعل الرجل كلما رماه بسهم اتقاه بذلك العظم حتى أعجزه وعاین نفاذ سهمه فصادف من استعان به على طرد الذئب ومن عجيب أمر القرد ما ذكره البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودي قال رأيت في الجاهلية قردا وقردة زنيا فاجتمع عليهما القردود فرجوهما حتى ماتا فبؤلاء القردود أقاموا حد الله حين عطله بنو آدم وهذه البقرة يضرب ببلادها المثل وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا بنا هو يسوق بقرة إذ ركبها فقالت لم أخلق لهذا فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال فأتى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثم قال وبنا رجل يرعى غنما له أذعدا الذئب على شاة منها فاستفذه منه فقال الذئب هذه استفذتها متى فمن لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيري فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثم ومن هداية الحمار الذي هو من أبلد الحيوان أن الرجل يسير به ويأتي به إلى منزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنزل فإذا خلى جاء إليه ويفرق بين الصوت الذي يستوقف به والصوت الذي يبحث به على السير ومن عجيب أمر الفأر أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلا الحجرة فتقص وعز عليها الوصول إليه ذهبته وحملت في أفواهها ماء وصبته في الحجرة حتى يرتفع الزيت فتشربه والأطباء ترعى أن الحفنة أخذت من طائر طويل المتعار إذا تعمس عليه الذرق جاء إلى البحر المالح وأخذ بمنقاره منه واحتقن به فيخرج الذرق بسرعة وهذا الثعالب إذا اشتد به الجوع انتفخ ورمى بنفسه في الصحراء كأنه جيفة فتداوله الطير فلا يظهر حركة ولا نفسا فلا تشك أنه ميت حتى إذا نقر بمنقاره وثب عليها فضمه ضمة الموت وهذا ابن عرس والقتنفذ إذا أكلا الأفاعى والحيات عمدا إلى الصخر التهرى فأكلاه كالتراب لذلك ومن عجيب أمر الثعالب أنه إذا أصاب القتنفذ قلبه لظهوره لأجل شوكه فيجتمع القتنفذ حتى يصير كبة شوك فيبول الثعالب على بطنه ما بين مغرز عجيبة إلى فكيه فإذا أصابه البول اعتراه الأسر فابسط فبساخه الثعالب من بطنه ويأكل مسلوخه وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أمور اتفقت في معاشه وأخلاقه

وصناعته وحر به وحزمه وصبره وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) قال أبو جعفر الباقر والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلا منها فمن هدى الآتي من السباع إذا وضعت ولدها ان ترفعه في الهواء أيا ما تهرب به من الذر والنمل لأنها تضعه كقطعة من لحم فهي تخاف عليه الذر والنمل فلا تزال ترفعه وتضعه وتحوله من مكان إلى مكان حتى يشتد وقال ابن الأعرابي قيل لشيخ من قريش من علمك هذا كله وإنما يعرف مثله أصحاب التجارب والتكسب قال علمي الله ما علم الحماة تقلب بيضا حتى أعطى الوجهين جميعا نصيبهما من حضائهما وخوف طباع الأرض على البيض إذا استمر على جانب واحد وقيل لآخر من علمك اللجاج في الحاجة والصبر عليها وإن استعصت حتى تظفر بها قال من علم الحنفساء إذا صعدت في الحائط تسقط ثم تصعد ثم تسقط مرارا عديدة حتى تستمر صاعدة وقيل لآخر من علمك البكور في حوائجك أول النهار لا تلج به قال من علم الطير تغدو خماسا كل بكرة في طلب أفواتها على قربها وبعدها لا تسأم ذلك ولا تخاف ما يمرض لها في الجو والأرض وقيل لآخر من علمك السكون والتحفظ والتأبوت حتى تظفر بأربك فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته فقال الذي علم السهر أن ترصد جحر الفأرة فلا تتحرك ولا تتلوى ولا تحتاج كأنها ميتة حتى إذا برزت لها الفأرة وثبت عليها كالأسد وقيل لآخر من علمك الصبر والجلد والاحتمال وعدم السكون قال من علم أبا أيوب صبره على الأثقال والأحمال الثقيلة والمشى والتعب وغلظة الجبال وضربه بالقتل والكل على ظهره ومرارة الجوع والعطش في كبده وجهد التعب والمشقة ملأ جوارحه ولا يعدل به ذلك عن الصبر وقيل لآخر من علمك حسن الأيتام والسباحة بالبذل قال من علم الديك يصادف الحب في الأرض وهو يحتاج إليها فلا يأكلها بل يستدعي الدجاج ويطلبهن طلبا حثيثا حتى تنجي الواحدة منهن فتأكلها وهو مسرور بذلك طيب النفس به وإذا وضع له الحب الكثير فرقه هاهنا وهاهنا وإن لم يكن هناك دجاج لأن طبعه قد ألف البذل والجود فهو يرى من التأثم أن يستبد وحده بالضعام وقيل لآخر من علمك هذا التحيل في طلب الرزق ووجوه تحصيلة قال من علم الثعلب تلك الحيل التي يعجز الغفلاء عن علمها وعملها وهي أكثر من أن تذكر ومن علم الأسد إذا مشى وخاف أن يقتل أثره ويطلب عفي أثر مشيته بذنبه ومن علمه أن يأتي إلى شبله في اليوم الثالث من وضعه فينفخ في منخربيه لأن البوة تضعه جروا كالبيت فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه فيقبل به ذلك ومن العلم كرام الأسود وأشرفها أن لا تأكل إلا من فريستها وإذا مر بفريسة غيره لم يبد منها ولو جهده الجوع ومن علم الأسد أن يخضع للبر ويدل له إذا اجتمعا حتى ينال منه له ومن عجيب أمره أنه إذا استصى عليه شيء من السباع دعا الأسد فاجابه أجابة المملوك لمالكه ثم أمره فربض بين يديه فيبول في أذنيه فإذا رأت السباع ذلك أذعنت له بالطاعة والخضوع ومن علم الثعلب إذا اشتد به الجوع أن يستأني على ظهره ويختلس نفسه إلى داخل بدنه حتى ياتفخ فيظن الظان أنه ميتة فيقع عليه فيشب على من اقتضى عمره منها ومن علمه إذا أصابه صدم أو جرح أن يأتي إلى صبيغ معروف فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم ومن علم الدب إذا أصابه كأم أن يأتي إلى نبت قد عرفه وجهه صاحب الحشائش فيتداوى به فيبرأ ومن علم الآتي من الغزالة إذا دنا وقت ولادتها أن تأتي إلى الماء فتلد فيه لانهادون

الحيوانات لاتلد الا قائمة لان أوصلها على خلاف أوصل الحيوان وهي عالية فيخاف أن تسقطه على الارض فينصدع أو ينشق فتأني ماء وسطا تضعه فيه يكون كالفرش الابن والوطاء الناعم ومن علم الذباب اذا سقط في مائع أن يتق الجناح الذي فيه الداء دون الآخرون علم الكلب اذا عابن الظباء أن يعرف المعتل من غيره والذكر من الانثى فيقصد الذكر مع علمه بان عدو دأشد وأبعد وثبة ويدع الانثى على نقصان عدوها لانه قد علم ان الذكر اذا عدا شوطا أو شوطين حقق ببوله وكل حيوان اذا اشتد فرعه فانه يدركه الحقن واذا حقق الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو فيقل عدوه فيدركه الكلب وأما الانثى فتحذف بولها لسمه القتل وسهولة المخرج فيدوم عدوها ومن علمه انه اذا كسا التاج لارض أن يتأمل الموضع الرقيق الذي قد انخفض فيعلم ان تحته جحر الارنب فينبشه ويصطادها علما منه بان حرارة أنفاسها تذيب بعض التاج فيرق ومن علم الذئب اذا نام أن يجعل النوم نوبا بين عينيه فينام باحداهما حتى اذا نمست الاخرى نام بها وفتح النائمة حتى قال بعض العرب

ينام باحدى مقلتيه ويتقى باخرى المنايا فهو يقظان نائم

ومن علم العصفورة اذا سقط فرحها ان تستغيث فلا يبقى عصفور يجوارها حتى يجيء فيطيرون حول الفرخ ويجركونه بافعالهم ويمجدون له قوة وهمة وحركة حتى يطير معهم قال بعض الصيادين ربما رأيت العصفور على الحائط قاومي بيدي كأي أرميه فلا يطير وربما أهويت الى الارض كأي أنساو شيئا فلا يتحرك فان مسست بيدي أدنى حذاء أو حجر أو نواة طار قبل أن تتمكن منها يدي ومن علم الحمامة اذا حملت أن تأخذ هي والاب في بناء العش وأن يقبلا له حروفا تشبه الحائط ثم يسخناه ويمجدنا فيه طيبة أخرى ثم يقبلان البيض في الايام ومن قسم بينهما الحضنة والكدة فكثر ساعات الحضنة على الانثى وأكثر ساعات جلب القوت على الاب واذا خرج الفرخ عما ضيق حوصلته عن الطعام ففخا فيه فخا متداركا حتى تسع حوصلته ثم يزقانه الاماب أو شيئا قبل الطعام وهو كالبا لاطفل ثم يعلمان احتياج الحوصلة الى دباج فيزقانه من أصل الحيطان من شيء بين الملح والتراب تدبج به الحوصلة فاذا اندبغت زقاه الحب فاذا علما انه أطاق اللقط منماد الزق على التدريج فاذا تكاملت قوته وسألهما الكفالة ضرباه ومن علمهما اذا ارادا السقاد أن يتدئ الذكر بالدعاء فتتعاردا له الانثى قليلا لتذيقه حلاوة المواصلات ثم طيعه في نفسها ثم تمتنع بعض التمتع ليشد طلبه وحبه ثم تهادى وتكسل وتريه معافطها وتعرض محاسنها ثم يحدث بينهما من التغزل والعشق والتقييل والشرف ماهو مشاهد بالعيان ومن علم الرسالة منها اذا سافرت ليلا أن تستدل بالودية ومجارى المياه والجيال ومهاب الرخ ومطلع الشمس ومنزها فتستدل بذلك وبغيره اذا ضلت فاذا عرفت الطريق مرت كالرخ ومن علم اللب وهو صنف من العناكب أن يلعظ بالارض ويجمع نفسه فيرى الذبابة انه لاه عنها ثم يثب عليها ونوب الفهد ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة وتجعل في أعلاها خطا ثم تتعلق به فاذا تفرقت البعوضة في الشبكة تدلت اليها فاصطادتها ومن علم الظبي انه لا يدخل كنانة الا مستبرا ليستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفه ومن علم السنور اذا رأى فأرة في السقف أن يرفع رأسه كالشير اليها بالعود ثم يشير اليها بالرجوع وانما يريد أن يدهشها فتزلق فتسقط ومن علم البربوع أن يحفر بيته في سفح الوادي حيث يرتفع عن مجرى السيل ليسلم من مدق الحافر ومجرى الماء ويعمقه ثم يتخذ في زواياه

أبواب عديدة ويجعل بينها وبين وجه الأرض حاجزا رقيقا فإذا أحس بالمر فتح بعضها بإحدى شئ
 وخرج منه ولما كان كثير النسيان لم يحضر يته إلا عند أهكة أو صخرة علامة له على البيت إذا ضل
 عنه ومن علم الفهد إذا سمن أن يتوارى لثقل الحركة عليه حتى يذهب ذلك السمن ثم يظهر ومن تلم
 الابل إذا سقط قرنه أن يتوارى لأن سلاحه قد ذهب فيسمن لذلك فإذا مكل نبات قرنه تعرض
 للشمس والريح وأكثر من الحركة ليشتد لجه ويزول السمن المانع له من المدو وهذا باب واسع جدا
 ويكتفي فيه قوله سبحانه (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مائتات في
 الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن
 يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت
 بقتلها وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون إخبارا عن أمر غير ممكن فله وهو أن الكلاب أمة
 لا يمكن إفناؤها لكثرةها في الأرض فلو أمكن إعدامها من الأرض لأمرت بقتلها والثاني أن يكون مثل
 قوله امن أجل ان قرصك نمة أحرقت أمة من الأمم تسبح فهي أمة مخلوقة بحكمة ومصاحبة قاعدها
 وأفناؤها يناقض ما خلقت لأجله والله أعلم بما أراد رسوله قال ابن عباس في رواية عطاء الأم أمثالكم يريد
 يعرفوني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني مثل قوله تعالى (وان من شئ إلا يسبح بحمده) ومثل
 قوله (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات ومن في الأرض والطير صافات كل قد علم صلواته وتسبيحه)
 ويدل على هذا قوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر
 والنجوم والحبال والشجر والدواب) وقوله (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) ويدل
 عليه قوله تعالى (يا جبال أوبي معه والطير) ويدل عليه قوله (وأوحى ربك إلى النحل) وقوله
 (قالت نمة يا أيها النمل) وقول سليمان (علمنا منطلق الطير) وقال مجاهد أمم أمثالكم أصناف مصنفة تعرف
 بأسمائها وقال الزجاج أمم أمثالكم في أنها تمت وقال ابن قتيبة أمم أمثالكم في طلب الغذاء واتباء الرزق
 وتوق الممالك وقال سفيان بن عيينة ما في الأرض آدمى إلا وفيه شبه من البهائم فمنهم من يهتصر اهتصار
 الاسد ومنهم من يعدو العدو الذئب ومنهم من ينبس نباح الكلب ومنهم من يتقوس كفعل الطاووس
 ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقى إليها الطعام الطيب عافته فإذا قام الرجل عن رجليه وافق فيه
 فذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها وإن أخطأ رجل ترواد وحفظه
 قال الخطابي ما أحسن ما أول سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة وذلك ان الكلام إذا لم
 يكن حكمه مطاوعا للظاهر ووجب المصير إلى باطنه وقد أخبر الله عن وجود الملائكة بين الانسان وبين كل طائر
 ودابة وذلك تمتع من جهة الخلقة والصورة وعدم من جهة النطق والمعرفة فوجب أن يكون منصرفا
 إلى الملائكة في الطباع والأخلاق وإذا كان الأمر كذلك فاعلم انك إنما تعاشر البهائم والباع فليكن
 حذرهم ومباعدتك إياهم عن حسب ذلك انتهى كلامه والله سبحانه تد جعل بعض الدواب
 كدواب محتالا وبعضها متوكلا غير محتال وبعض الحشرات بدخر لنفسه قوت سته وبعضها يتشكل على
 الثفة بأن له في كل يوم قدر كفايته رزقا مضمونا أو أراما مقطوعا وبعضها يدخر وبعضها لا يتكسب له وبعض
 الذكور يعول ولده وبعضها لا يعرف ولده البتة وبعض الاناث تكفل ولدها لا تدود وبعضها تضع
 ولدها وتكفل ولدها غير ها وبعضها لا تعرف ولدها إذا استغنى عنها وبعضها لا تزال تعرفه وتعنت عليه

وجعل بعض الحيوانات يتها من قبل أمهاتها وبعضها يتها من قبل آبائها وبعضها لا يلتصق الولد
وبعضها يستقر في طلبة وبعضها يعرف الاحسان ويشكره وبعضها ليس ذلك عنده شيئا وبعضها يؤثر
على نفسه وبعضها اذا نظرت بما يكفي أمة من جنسه لم يدع أحدا يدنو منه وبعضها يحب السفاد ويكثر
منه وبعضها لا يفضل في السنة الأمرة وبعضها يقتصر على أئاده وبعضها لا يقف على أئتي ولو كانت أمه
أو اخته وبعضها لا تمكن غير زوجها من نفسها وبعضها لا ترد يد لأمس وبعضها يألف بني آدم ويأنس بهم
وبعضها يستوحش منهم وينفر غاية النفر وبعضها لا يأكل الا الطيب وبعضها لا يأكل الا الحباثت وبعضها
يجمع بين الاربن وبعضها لا يؤذى الا من بالغ في أذاها وبعضها يؤذى من لا يؤذيها وبعضها حقود
لانسي الاساءة وبعضها لا يذكرها البتة وبعضها لا يفض وبعضها يشتد غضبه فلا يزال يسترضى حتى
يرضى وبعضها عنده علم ومعرفة بأمور دقيقة لا يمتدئ اليها أكثر الناس وبعضها لا معرفة له بشئ من
ذلك البتة وبعضها يستقبح القبيح وينفر منه وبعضها الحسن والتقيح سواء عنده وبعضها يقبل التعليم
بسرعة وبعضها مع الطول وبعضها لا يقبل ذلك بحال وهذا كله من أدل الدلائل على الخالق لها سبحانه
وعلى إلتان نعمته وعجيب تدبيره ولطيف حكمته فان فيما أودعها من غرائب المعارف وغوامض الحيل
وحسن التدبير والثاني لما تريد ما يستحق الافواه بالتسبيح ويملا القلوب من معرفته ومعرفة حكمته
وقدرته وما يعلم به كل عاقل انه لم يخلق عبدا ولم يترك سدى وان له سبحانه في كل مخلوق حكمة باهرة
وأية ظاهرة وبرهان قاطع يدل على انه رب كل شئ ومليكه وانه المنفرد بكل كمال دون خلقه وانه
على كل شئ قدير وبكل شئ عليم

(فصل) فانرجع الى ما سألنا الى هذا الموضع وهو الكلام على الهداية العامة التي هي قرينة الخلق في
الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسماؤه وصفاته وتوحيده قال تعالى إخبارا عن فرعون انه
قال (فن ربكم يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) قال مجاهد أعطى كل شئ
خلقته لم يعط الانسان خلق البهائم ولا البهائم خلق الانسان وأقوال أكثر المفسرين تدور
على هذا المعنى قال عدلية ومقاتل أعطى كل شئ صورته وقال الحسن وقادة أعطى كل شئ صلاحه
والمعنى اعطاه من الخلق والتصور ما يصاح به لما خلق له ثم هداه لما خلق له وهداه لما يصاح به
معيشته ونظامه ومشربه ومنكره وتقابه وتصرفه هذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور
المفسرين فيكون نظير قوله (قدر فهدى) وقال الكلبي والسدي أعطى الرجل المرأة والبعر الناقة
والذكر الاثني من جنسه ونظف السدي أعطى الذكر الاثني مثل خلقه ثم هدى الى الجماع وهذا
القول اخيار ابن قتيبة والفراء قال الفراء أعطى الذكر من الناس امرأة مثله والشاة شاة والثور بقرة
ثم اعلم الذكر كيف يأتيها قال أبو اسحاق وهذا التفسير جائز لان ترى الذكر من الحيوان ياتي الاثني
ولم ير ذكر اثنى قبله فاعلم الله ذلك وهداه اليه قال والقول الاول ينظم هذا المعنى لانه اذا
هداه لمصاحته فهذا داخل في المصاحبة قالت أرباب هذا القول هضموا الآية معناها فان معناها أجل
وأعظم مما ذكره في قوله تعالى كل شئ أي هذا التفسير فان حمل كل شئ على ذكر الحيوان وانه
يستخرج لا وجه له وكفى خرج من هذا اللفظ الملائكة والجن ومن لم يتزوج من بني آدم ومن
لم يسافر من الحيوان وكيف يسمى الحيوان الذي يأتيه الذكر خلقه واین نظیر هذا في القرآن

وهو سبحانه لما أراد التعبير عن هذا المعنى الذى ذكره ذكره بادل عبارة عليه **وَأَوْسَجَهَا فَعَلَّامٌ** (والمعنى خالق الزوجين الذكر والانثى) فجعل قوله أعطى كل شيء خلقه على هذا المعنى غير صحيح فقام به وفي الآية قول آخر قاله الضحاك قال أعطى كل شيء خلقه أعطى السيد البش ورجل المشى واللسان النطق والعين البصر والاذن السمع ومعنى هذا القول أعطى كل عضو من الأعضاء ما خلق له والخلق على هذا بمعنى المفعول أى أعطى كل عضو مخلوقه الذى خلقه له فان هذه المعاني كما اختصه الله أودعها الأعضاء وهذا المعنى وإن كان صحيحا في نفسه لكن معنى الآية أعظم والقول هو **الاول** والله سبحانه أعطى كل شيء خلقه المختص به ثم هداه لما خلق له ولاخلق سواه سبحانه ولاهدى غيره فهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية ووحدانيته فهذا وجه الاستدلال على عدو الله فرعون ولهذا لما علم فرعون ان هذه حجة قاطعة لامطعن فيها بوجه من الوجود عدل الى **يَوْمَ تَأْتِي سَأْلُهُ** فقال (فما بال القرون الاولى) أى فمالقرون الاولى لم تقر بهذا الرب ولم تجده بل **جِئْتُمُ الْاَوَّلِينَ** ولو كان ما تقوله حقا لم يخف على القرون الاولى ولم يملوه فاحتج عليه بما يشاهده هو وغيره من آيات ربوبية رب العالمين فعارضه عدو الله بكفر الكافرين به وشرك المشركين وهذا شأن كل مبطل ولهذا صار هذا ميزانا في ورثته يعارضون نصوص الانبياء باقوال الزنادقة والملاحدة وافراس الملاحسة والصابئة والسحرة ومبتدعة الامة وأهل الضلال منهم فاجابه موسى عن معارضته باحسن جواب فقال (عليه اعند ربى) أى أعمال تلك القرون وكفرهم وشركهم معلوم ارنى قد أحصاه وحطه وأودعه في كتاب فيجازيهم عليه يوم القيامة ولم يودعه في كتاب خشية النسيان والضلال فانه سبحانه لا يضل ولا ينسى وعلى هذا فالكتاب هاهنا كتاب الاعمال وقال الكلبي يعنى به الماوح المحفوظ وعلى هذا فهو كتاب القدر السابق والمعنى على هذا انه سبحانه قد علم أعمالهم وكتبها عنده قبل ان يعملوها فيكون هذا من تمام قوله الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فقام به

فصل وهو سبحانه في القرآن كثيرا ما يجمع بين الخلق والهداية كقوله في أول سورة أنزلها على رسوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق خالق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وقوله (الرحمن علم القرآن خالق الانسان علمه البيان) وقوله (لم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة) وقوله (انا خالقنا لاسان من نطفة أمشاج نبتليه فجمانه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) وقوله (من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فتنبياه حقائق ذات بهجة) الآية ثم قال (من رحمهم فى ظلمات السبر والبحر) فالخلق اعطاء الوجود العي الخارجى والهدى اعطاء الوجود العي الهى فهذا خلقه وهذا هداه وتعليمه

فصل المرتبة الثانية من مراتب الهداية هداية الارشاد والبيان للمكلفين وهذه الهداية لا تستازم حصول التوفيق واتباع الحق وان كانت شرط فيه أوجزه سبب وذلك لا يستازم حصول المشروط والمسبب بل قد يخالف عنه المقتضى اما لعدم كمال السبب أو لوجود مانع ولهذا قال تعالى (وأما نمود فهديناهم فاستجابوا لعمى على الهدى) وقال (وما كان ليعمل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فهذه الهدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضاهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولا

بعد أن عرفوا الهدى فاعترضوا عنه فنعاهم عنه بعد أن أراحهموه وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها فانه يسابه ايها بعد ان كانت نسيبه وحظه كقَالَ تعالى (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال تعالى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أى جحدوا بآياتنا بعد أن نيقنوا بحجتها وقال (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) وهذه الهداية هي التي أنبتها لرسوله حيث قال (وانك لن تهدي الى صراط مستقيم) ونفى عنه ملك الهداية الموحية وهي هداية التوفيق والالهام بقوله (انك لن تهدي من أحببت) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت داعيا وبلغا وليس الى من الهداية شيء بعثت ابليس مزينا ومغويا وليس اليه من الضلالة شيء قال تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) فجمع سبحانه بين الهداء بتبيين العامة والخاصة فعم بالدعوة حجة مشيئة وعدلا وخص بالهداية نعمة مشيئة وفضلا وهذه المرتبة أخص من التي قبلها فانها هداية تخص المكلفين وهي حجة الله على خلقه التي لا يهذب أحدا الا بعد إقامتها عليه قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال (ان تقول نفس يا مسر تا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هداني لكانت من المتقين) وقال (كلما اتقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذر قالوا بلى قد جئنا نذير فكذبنا وقلنا مازلل الله من شيء ان آثم الا في ضلال كبير) فان قيل كيف تقوم حجة عليهم وقد منعهم من الهدى وحال بينهم وبينه قيل حجة قائمة عليهم بتجليته بينهم وبين الهدى وبيان الرسل لهم واراءتهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عيانا وأقام لهم أسباب الهداية ظاهرا وباطنا ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب ومن حال بينه وبينهم منهم بزوال عقل أو صغر لآتين معه أو كونه بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رساله فانه لا يعذبه حتى يقيم عليه حجته فلم يمنعه من هذا الهدى ولم يحل بينهم وبينه نعم قطع عنهم توفيقه ولم يرد من نفسه اعانتهم والاقبال بقولهم اليه فلم يحل بينهم وبين ما هو مقدور لهم وان حال بينهم وبين ما لا يقدر عليهم وهو فضله ومشيتته وتوفيقه فهذا غير مقدور لهم وهو الذي منعوه وحيل بينهم وبينه فتأمل هذا الموضع واعرف قدره والله المستعان

فصل في المرتبة الثالثة من مراتب الهداية هداية التوفيق والالهام وخلق المشيئة المستزمنة للفعل وهذه المرتبة أخص من التي قبلها وهي التي ضل جهال القدرة بانكارها وصاح عليهم سلف الامة وأهل السنة منهم من نواحي الأرض عصرا بعد عصر الى وقتنا هذا ولكن الجبرية ظلمتهم ولم تصفهم كما ظهروا أنفسهم بانكار الأسباب والقوى وانكار فعل العبد وقدرته وأن يكون له تأثير في الفعل البتة فلم يمتدوا لقول هؤلاء بل زادهم ضلالا على ضلالهم وتمسك بما هم عليه وهذا شأن الباطل اذا دعى مجتلا آخر الى ترك مذهبه لقوله ومذهبه الباطل كلنصراني اذا دعى اليهودي الى التثليث وعبادة الصليب وان المسيح اله تاه غير مخلوق الى أمثال ذلك من الباطل الذي هو عليه وهذه المرتبة تستلزم أمرين أحدهما فعل الرب تعالى وهو الهدى والثاني فعل العبد وهو الاهتداء وهو أثر فله سبحانه فهو الهدى والعبد المهتدى قال تعالى (من يهدي الله فهو المهتد) ولا سبيل الى وجود الأثر

الايثاره التام فان لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد ولهذا قال تعالى (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) وهذا صريح في ان هذا الهدى ليس له صلى الله عليه وسلم ولو حرص عليه ولا الى أحد غير الله وان الله سبحانه اذا أضل عبدا لم يكن لأحد سبيل الى هدايته كما قال تعالى (من يضل الله فلا هادي له) وقال تعالى (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشأ ويهدي من يشأ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وقال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشأ) وقال (ولو شئنا لآتيناك نفس هداها) وقال (أفم يأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) وقال (فمن يرده الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يبخل صدره ضيقا حرجا كأنما يصمد في السماء) وقال أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) ولم يريدوا ان بعض الهدى منه وبعضه منهم بل الهدى كله منه ولولا هدايته لهم لما اهتدوا وقال تعالى (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فإله من هاد ومن يهد الله فإله من مضل أليس الله بعزيز ذواتنقام) وقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فضل الله من يشأ ويهدي من يشأ وهو العزيز الحليم) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال تعالى (كذلك يضل الله من يشأ ويهدي من يشأ وما يعلم جنود ربك الا هو) وقال (يضل به كثير او يهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) وقال (يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجه من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم) وأمر سبحانه عباده كلهم ان يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس وذلك يتضمن الهداية الى الصراط والهداية فيه كان الضلال نوعان ضلال عن الصراط فلا يهتدى اليه وضلال فيه فالاول ضلال عن معرفته والثاني ضلال عن تفاصيله أو بعضها قال شيخنا ولما كان العبد في كل حال مقتفرا الى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أنها على غير الهداية فهو محتاج الى التوبة منها وأمور هدى الى أصلها دون تفصيلها أو هدى اليها من وجه دون وجه فهو محتاج الى تمام الهداية فيها ليزداد هدى وأمور هو محتاج الى ان يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو محتاج الى الهداية وأمور لم يفعلها فهو محتاج الى فعلها على وجه الهداية الى غير ذلك من أنواع الهدايات فرض الله عليه ان يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله وهي الصلاة مرات متعددة في اليوم واللباة انتهى كلامه ولا يتم المقصود الا بالهداية الى الطريق والهداية فيها فان العبد قديم يهتدى الى طريق قصده وتنزله عن غيرها ولا يهتدى الى تفاصيل سيره فيها وأوقات السير من غيره وزاد المسير وأفات الطريق ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى (لكل جملة منكم شرعة ومنهاج) قال سيلا وسنة وهذا التفسير يحتاج الى تفسير فالسبيل الطريق وهي المنهاج والسنة الشرعة وهي تفاصيل الطريق وحزونه وكيفية السير فيه وأوقات المسير وعلى هذا قوله سيلا وسنة يكون السبيل المنهاج

والسنة الشريعة فالمقدم في الآية لا مؤخر في التفسير وفي لفظ آخر سنة وسبيلاً فيكون المقدم للمقدم والمؤخر للتالي

فصل ومن هذا إخباره سبحانه بأنه طبع على قلوب الكافرين وختم عليها وأنه أصمها عن الحق وأعمى أبصارها عنه كما قال تعالى (أن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) والوقف التام هنا ثم قال (وعلى أبصارهم غشاوة) كقوله (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غاف بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين . كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين . ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) وأخبر سبحانه أن على بعض القلوب أقفالاً تمنعها من أن تنفتح لدخول الهدى إليها وقال (قل هو الله الذي هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) فهذا الوقر والعمى حال بينهم وبين أن يكون لهم هدى وشفاء . وقال تعالى (أنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأها الكوفيون وصد بضم الصاد حملا على زين وقال تعالى (أن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وقال (والله لا يهدي القوم الظالمين) ومعلوم أنه لم ينف هدى البيان والدلالة الذي تقوم به الحجة فانه حجته على عباده والقدرة ترد هذا كله الى المتشابه وتجمعه من متشابه القرآن وتأوله على غير تأويله بل تأوله بما يقطع بطلانه وعدم ارادة المتكلم له كقول بعضهم المراد من ذلك تسمية الله العبد مهتديا وضالاً فجعلوا هداة واذلاله مجرد تسمية العبد بذلك وهذا مما يعلم قطعاً انه لا يصح حمل هذه الآيات عليه وأنت اذا تأملتها وجدتها لا تحتل ما ذكره البتة وليس في لغة أمة من الامم فضلا عن أفصح اللغات وأكملها هداة بمعنى سماء مهتديا وأضله سماء ضالا وهل يصح أن يقال علمه اذا سماء عالما وفهمه اذا سماء فهما وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) فهل فهم أحد غير القدرة المحرقة للقرآن من هذا ليس عليك تسميتهم مهتدين ولكن الله يسمى من يشاء مهتديا وهل فهم أحد قط من قوله تعالى (انك لا تهدي من أحببت لا تسميه مهتديا ولكن الله يسميه بهذا الاسم) وهل فهم أحد من قول الداعي اهدنا الصراط المستقيم وقوله اللهم اهدني من عندك ونحوه اللهم سمى مهتديا وهذا من جنابة القدرة على القرآن ومعناه نظير جنابة إخوانهم من الجهمية على نصوص الصفات وشعرها عن مواضعها وفتحوا للزنادقة والملاحدة جناباتهم على نصوص المعاد وتأويلها وتأويلات ان لم تكن أقوى من تأويلاتهم لم تكن دونها وفتحوا القرامطة والباطنية تأويل نصوص الأمر والنهي بنحو تأويلاتهم فتأويل التحريف الذي سلسلته هذه الطوائف أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم وسفرد ان شاء الله كتابا نذكر فيه جنابة المتأولين على الدنيا والدين وأنت اذا وازيت بين تأويلات القدرة والجهمية والرافضة لم تجد بينها وبين تأويلات الملاحدة والزنادقة من القرامطة والباطنية وأمثالهم كبير فرق والتأويل الباطل يتضمن تعطيل ما جاء به الرسول والكذب على المتكلم انه أراد ذلك المعنى فتضمن ابطال الحق وتحقيق الباطل ونسبة المتكلم الى ما لا يليق به من التليس والالغاز مع القول عليه بلا علم انه أراد هذا المعنى فالتأويل عليه أن يبين صلاحية اللفظ للمعنى الذي ذكره أولا واستعمال المتكلم له في ذلك المعنى في أكثر

المواضع حتى اذا استعمله فيما يحتمل غيره حل على ما عهد منه استعماله فيه وعليه ان يقيم دليلا سالما عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته الى مجازه واستعارته والا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تقبل. وتأويل بعضهم هذه النصوص على ان المراد بها هداية البيان والتعريف لاخلق الهدى في القلب فان الله سبحانه لا يقدر على ذلك عند هذه الطاقة وهذا التأويل من ابطال الباطل فان الله سبحانه يخبر انه قسم هدايته للعبد قسمين قسما لا يقدر عليه غيره وقسما مقدورا للعباد فقال في القدم المقدور للغير (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) وقال في غير المقدور للغير (انك لاتهدي من احببت) وقال (من يضلل الله فلا هادي له) ومعلوم قطعا ان البيان والدلالة قد تحصل له ولا تنفي عنه وكذلك قوله (فان الله لا يهدي من يضل) لا يصح حمله على هداية الدعوة والبيان فان هذا يهدي وان اضله الله بالدعوة والبيان وكذا قوله (واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) هل يجوز حمله على معنى فمن يدعو الى الهدى ويبين له ما تقوم به حجة الله عليه وكيف يضع هؤلاء بالنصوص التي فيها انه سبحانه هو الذي اضلهم أيحوز لهم حملها على انه دعاهم الى الضلال فان قالوا ليس ذلك معناها وانما معناها الفاهم ووجدتهم كذلك او اعلم ملائكته ورسله بضالهم او جعل على قلوبهم علامة يعرف الملائكة بها انهم ضالون قبل هذا من جنس قولكم ان هداية سبحانه واضلاله بتسميتهم مهتدين وضالين فهذه اربع تحريفات لكم وهو انه ساهم بذلك واعلمهم بعلامة يعرفهم بها الملائكة واخبر عنهم بذلك ووجدتهم كذلك فالأخبار من جنس التسمية وقد بينا ان اللغة لا تحتل ذلك وان النصوص اذا تأملها المتأمل وجدها أبعد شيء من هذا المعنى وأما العلامة فيانما الفرقة التحريف وما جئت على القرآن والایمان في أي لغة وأي لسان يدل قوله تعالى (انك لاتهدي من احببت) على معنى انك لاتعالمه بعلامة ولكن الله هو الذي يعلمه بها وقوله (من يضلل الله فلا هادي له) من يعالمه الله بعلامة الضلال لم يعلمه غيره بعلامة الهدى وقوله (ولو شئنا لآتيناك كل نفس هداها) لعالمنا بعلامة الهدى الذي خلقته هي لنفسها وأعطته نفسها وفي أي لغة يفهم من قول الداسي اهدنا الصراط المستقيم علمنا بعلامة يعرف الملائكة بها اننا مهتدون وقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا لاتعلمها بعلامة أهل الزيغ وقوله يا مقاب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك وأمثال ذلك من النصوص في أي لغة وأي لسان يفهم من هذا علمنا بعلامة الثبات والتصرف على طاعتك وفي أي لغة يكون معنى قوله (وجعلنا قلوبهم قاسية) لعلمنا بعلامة القسوة أو وجدناها كذلك نعم لو نزل القرآن بأ لغة التقديرية والجمعية وأهل البدع لا يمكن حمله على ذلك أو كان الحق تعالى لا هوأئهم وكانت نصوصه تبعا لبدع المبتدعين وآراء المتحيرين وأنت تجد جميع هذه الطوائف نزل القرآن على مذاهبها وبدعها وآرائها فالقرآن عند الجمعية جهمي وعند المعتزلة معتزلي وعند القدرة قدرى وعند الرافضة رافضي وكذلك هو عند جميع أهل الباطل وما كانوا أولياءه ان أوليائه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وأما تحريفهم هذه النصوص وأمثالها بان المعنى ألفاهم ووجدتهم في أي لسان وأي لغة وجدتهم هديت الرجل ادا وجدته مهتديا وختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة ووجدته كذلك وجعل هذا الافتراء محض على القرآن والباغة فان قالوا نحن لم نقل هذا في نحو ذلك وانما قلناه في نحو اضله الله أي وجده ضالا كما يقال احدث الرجل وأجخلته وأجخته اذا

وجده كذلك أو نسبت به فيقال لفرقة التحريف هذا لما ورد في الفاظ معدودة نادرة والافوض
 هذا البناء على أنك فعلت ذلك به ولا سيما إذا كانت الهمة للتعمية من الثلاث كقام وأتمته وقعدوا فعدته
 وذهب وأذهبته وسمع وأسمعته ونام وأتمته وكذا ضل وأضله الله وأسعدته وأشقاء وأعطاه وأخزاه
 وأمانته وأزاع قلبه وأقامه الى طاعته وأيقظه من غفلته وأراه آياته وأنزله منزلا مباركا وأسكنه
 جنته الى أضعاف ذلك هل تجد فيه الفاظا واحدا معناه انه وجده كذلك تعالى الله عما يقول المحرفون
 ثم انظر في كتاب فعل واعمل هل تظفر فيه بأفعلة بمعنى وجده مع سعة الباب الا في الحرفين أو
 الثلاثة فلا عن أهل اللغة ثم انظر هل قال أحد من الاولين والآخرين من أهل اللغة ان العرب
 وضعت أضله الله وهداه وختم على سمعه وقلبه وأزاع قلبه وصرفه عن طاعته ونحو ذلك لمعنى وجده
 كذلك ولما أراد سبحانه الابانة عن هذا المعنى قال (ووجدك ضالا فهدى) ولم يقل وأضلك وقال في
 حق من خالف الرسول وكفر بما جاء به وأضله على علم ولم يقل ووجده الله ضالا ثم أى توحيد
 وتمدح وتعرف للعباد ان الامر كله لله وبيده وانه ليس لاحد من أمره شئ في مجرد التسمية والعلامة
 ومصادفة الرب تعالى عباده كذلك ووجوده لهم على هذه الصفات من غير أن يكون له فيها صنع أو
 خلق أو مشيئة وهل يعجز البشر عن التسمية والمصادفة والوجود كذلك فأى مدح وأى ثناء يحسن
 على الرب تعالى بمجرد ذلك فأتهم واخوانكم من الجبرية لم تمدحوا الرب بما يستحق أن يمدح به ولم تتنوا
 عليه بأوصاف كماله ولم تقدره حق قدره واتباع الرسول وحزبه وخاصته يريون منكم ومنهم في
 باطلكم وباطلهم وهم معكم ومعهم فيما عندكم من الحق لا يتخزون الى غير ما بينه الرسول وجاء به ولا
 يخرفون عنه نصرة لآراء الرجال المختلفة وأهوائهم المتشعبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
 الفضل العظيم قال ابن مسعود علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة
 ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل
 فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقرأ ثلاث آيات (اتقوا الله حق
 تقاه الآية اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا)
 الآية قال الترمذى هذا حديث صحيح وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن خالد
 الحذاء عن عبد الاعلى عن عبد الله بن الحارث قال خطب عمر بن الخطاب بالجابية فحمد الله وأثنى
 عليه وعنده جاثليق يرحم له ما يقول فقال من يهد الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي فنفض جبينه
 كالمسكر لما يقول قال عمر ما يقول قالوا يا أمير المؤمنين يزعم ان الله لا يضل أحدا قال عمر كذبت أى
 عدو الله بل الله خلقك وقد أضلك ثم يدخلك النار أما والله لولا عهد لك لضربت عنقك ان الله
 عز وجل خلق اهل الجنة وما هم عاملون وخلق اهل النار وما هم عاملون فقال هؤلاء هؤلاء هؤلاء
 هؤلاء قال ففرق الناس وما يختلفون في القدر

فصل في المرتبة الرابعة من مراتب الهداية الهداية الى الجنة والنار يوم القيامة قال تعالى
 (أحسروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) وقال
 تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فان يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم) فهذه هداية بعد قتلهم فبطل
 المعنى سيديهم الى طريق الجنة ويصلح حالهم في الآخرة بارضاء خصومهم وقبول أعمالهم وقال ابن

عباس سيدهم الى أرشد الامور وبصمهم أيام حياتهم في الدنيا واستشكك هذا لقول لانه أخبر عن
المقتولين في سبيله باتهم سيدهم واحداه الزجاج وقال يصلح بالهم في انفس واحكام الدنيا قال
واراد به يجمع لهم خير الدنيا والآخرة وعلى هذا القول فلا بد من حمل قوله قتلوا في سبيل الله على
معنى يصح معه اثبات الهداية واصلاح البال

الباب الخامس عشر

في الطبع والختم والقفل والغل والسد والشاوة والحائل بين الكافر وبين الايمان

وان ذلك مجعول للرب تعالى

قال تعالى (ان الذين كفروا وساءوا عليهم أنذرهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على عاونه وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلفت بل
طبع الله عليها بكفرهم) وقال (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) وقال (ونطبع على قلوبهم فهم
لا يسمعون) وقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال لقد حقق القول على أكثرهم فهم
لا يؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن
خلفهم سدا فاعشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أنذرهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقد دخل هذه
الآيات ونحوها طائفتا القدريه والخبرية فخرها القدريه بأنواع من التحريف المبطل لمعانيها وما أريد منها
وزعمت الخبرية ان الله أكرهها على ذلك وقهرها عليه وأجبرها من غير فعل منها ولا ارادة ولا اختيار
ولا كسب البتة بل حال بينها وبين الهدى ابتداء من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضى ذلك بل أمره
وحال مع أمره بينه وبين الهدى فلم ييسر اليه سيلا ولا اعطاه عليه قدرة ولا مكنته منه بوجه وأراد
بعضهم بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي ورضيه منه فهدى أهل السنة والحديث واتباع الرسول لما
اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. قالت القدريه لا يجوز
حمل هذه الآيات على انه منهم من الايمان وحال بينهم وبينه اذ يكون لهم الحجة على الله ويقولون كيف
يا مرنا بامر ثم يحول بيننا وبينه ويعاقبنا عليه وقد منعنا من فعله وكف بكلفنا بأمر لا قدرة لنا عليه وهل
هذا الابطالة من امر عبده بالدخول من باب ثم سد عليه الباب سدا محكما لا يمكنه الدخول معه البتة ثم
عاقبه أشد العقوبة على عدم الدخول وبمنزلة من أمره بالمشي الى مكان ثم قيده بقيد لا يمكنه معه نقل قدمه
ثم أخذ يعاقبه على ترك المشي واذا كان هذا قبيحا في حق الخلق الفقير المحتاج فكيف ينسب الى الرب
تعالى مع كمال غناه وعلمه واحسانه ورحمته قالوا وقد كذب الله سبحانه الذين قالوا قلوبنا غلفت وفي أكنة
وانها قد طبع عليها وذمهم على هذا القول فكيف ينسب اليه تعالى ولكن القوم لما عرضوا تركوا
الاهتداء بهداه الذي بعث به رسله حتى صار ذلك الاعراض والتفارب كالألف والطبيعة والسجية أشبه
حاله من منع عن الشيء وصده عنه وصار هذا وقرا في آذانهم وختم على قلوبهم وغشاوة على
أعينهم فلا يخلص اليها الهدى وانما أضاف الله تعالى ذلك اليه لان هذه الصفة قد صارت في تمكينا
وقوة ثباتها كالحلقة التي خاق عليها العبد قالوا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا

يكسبون) وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) وأمر الله ان الذي قاله هؤلاء حق أكثر من باطله وصحيحة أكثر من سقيمه ولكن لم يوفوه حقه وعظماؤا الله من جهة وأخلاقا بعظماؤه من جهة فعظموا بترزيه عن الظلم وخلاف الحكمة وأخلاقا بعظماؤه من جهة التوحيد وكال القدرة ونفوذ المشيئة والقرآن يدل على صحة ما قالوه في الران والطبع والحق من وجه وبطلانه من وجه وأما صحته فانه سبحانه جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم وأعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه كما قال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقال (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وقد اعترف بعض القدرة بأن ذلك خلق الله سبحانه ولكنه عقوبة على كفرهم وأعراضهم السابق فانه سبحانه يعاقب على الضلال المقدور بالضلال بعده ويثيب على الهدى بهدى بعده كما يعاقب على السيئة بسئة مثلهما ويثيب على الحسنة بحسنة مثلهما وقال تعالى (والذين اهدتوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (يا أيها الذين آمنوا آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر) ومن الفرقان الهدى الذي يفرق به بين الحق والباطل وقال في ضد ذلك (فإنكم في المنافقين فتين والله أركسهم بما كسبوا) وقال (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وهذا الذي ذهب اليه هؤلاء حق والقرآن دل عليه وهو موجب العدل والله سبحانه ماض في العبد حكمه عدل في عبده قضاءه فانه اذا دعى عبده الى معرفته ومحبة وذكره وشكره فأبى العبد الاعراضا وكفرا قضى عليه بأن اغفل قلبه عن ذكره وصده عن الايمان به وحال بنين قلبه وبين قبول الهدى وذلك عدل منه فيه وتكون عقوبته بالحق والطبع والصدق عن الايمان كعقوبته له بذلك في الآخرة مع دخول النار كما قال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالو الجحيم) فحجابه عنهم اضلال لهم وصده عن رؤيتهم وكال معرفته كما عاقب قلوبهم في هذه الدار بصدها عن الايمان وكذلك عقوبته لهم بصدهم عن الجود له يوم القيامة مع الساجدين هو جزاء امتناعهم من الجود له في الدنيا وكذلك عماهم عن الهدى في الآخرة عقوبة لهم على عماهم في الدنيا ولكن أسباب هذه الجرائم في الدنيا كانت مقدورة لهم واقعة باختيارهم وارادتهم وفعالهم فاذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم وقال تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ومن هنا يفتح للعبد باب واسع عظيم النفع جدا في قضاء الله المعصية والكفر والفسوق على العبد وان ذلك محض عدل فيه وليس المراد بالعدل ما يقوله الجبرية انه الممكن فكل ما يمكن فعله بالعبد فهو عندهم عدل والظالم هو الممتنع لذاته فهو لا قد سدوا على أنفسهم باب الكلام في الاسباب والحكم والمراد به ما يقوله القدرة الفناء انه انكار عموم قدرة الله ومشيئته على أفعال عباده وهدايتهم واضلالهم وعموم مشيئته لذلك وان الامر اليهم لا اليه وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك عدل في قضائك كيف ذكر العبد في القضاء مع الحكم النافذ وفي ذلك رد لقول الطائفتين القدرة والجبرية فان العدل الذي أثبتته القدرة مناف للتوحيد معطل

لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته والعدل الذي أثبتة الجبرية مضاف للحكمة والرحمة وحقيقة العدل والعدل الذي هو اسمه وصفته وامتة سبحانه خارج عن هذا وهذا ولم يعرفه الا بالرسول وآتباعهم ولهذا قال هود عليه الصلاة والسلام لقومه (انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) فآخبر عن عموم قدرته ونفوذ مشيئته وتصرفه في خلقه كيف شاء ثم آخبر انه في هذا التصرف والحكم على صراط مستقيم وقال أبو اسحاق أى هو سبحانه وان كانت قدرته تنالهم بما شاء فانه لا يشاء الا بالعدل والعدل ابن الانبارى لما قال هو آخذ بناصيتها كان في معنى لا يخرج من قبضته وانه قاهر بعظيم سلطانه لكل دابة فاتبع قوله ان ربي على صراط مستقيم قال وهذا نحو كلام العرب اذا وصفوا بحسن السيرة والعدل والانصاف قالوا فلان على طريقة حسنة وليس ثم طريق ثم ذكر وجهها آخر فقال لما ذكر ان سلطانه قد قهر كل دابة أتبع هذا قوله ان ربي على صراط مستقيم أى لا تخفى عليه مشيئته ولا يمدل عنه هارب فذكر الصراط المستقيم وهو يعنى به الطريق الذى لا يكون لاحد مسلك الا عليه كما قال ان ربك لبالمرصاد قلت فعلى هذا القول الاول يكون المراد انه في تصرفه في ملكه يتصرف بالعدل ومجازات المحسن باحسانه والمسيء باسائه ولا يظلم مثقال ذرة ولا يعاقب أحدا بما لم يجنه ولا يميزه ثواب ما عمله ولا يحمل عليه ذنب غيره ولا يأخذ أحدا بجريرة أحد ولا يكاتب نفسا ما لا تطيقه فيكون من باب له الملك وله الحمد ومن باب ماض في حكمك عدل في قضاؤك ومن باب الحمد لله رب العالمين أى كما انه رب العالمين المتصرف فيهم بقدرته ومشيتة فهو المحمود على هذا التصرف وله الحمد على جميعه وعلى القول الثانى المراد به التهديد والوعيد وان مصير العباد اليه وطريقهم عليه لا يفوته منهم أحد كما قال تعالى (قال هذا صراط على مستقيم) قال الفراء يقول مرجمهم الى فاجازيهم كقوله ان ربك لبالمرصاد قال وهذا كما تقول في الكلام طريقك على وأنا على طريقك من أوعده وكذلك قال الكلبى والكسائى ومثل قوله وعلى الله قصد السبيل على احدى القولين في الآية وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه ومنها أى ومن السبيل ما هو جائر عن الحق ولو شاء لهذاكم أجعين فآخبر عن عموم مشيئته وان طريق الحق عليه موصلة اليه فمن سلكها فاليه يصل ومن عدل عنها فانه يضل عنه والمقصود ان هذه الايات تتضمن عدل الرب تعالى وتوحيده والله يتصرف في خلقه بملكه وحده وعدله وأحسانه فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وشرعه وقدره ونوابه وعقابه يقول الحق ويفعل العدل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فهذا العدل والتوحيد الذين دل عليهما القرآن لا يتناقضان وأما توحيد أهل القدر والجبر وعدلهم فكل منهما يبطل الآخر ويناقضه

فصل ومن سلك من القدرية هذه الطريق فقد توسط بين الطائفتين لكنه يلزمه الرجوع الى ميثاق القدر قطعا والاتناقض أبين تناقض فانه اذا زعم ان الضلال والطبع والحتم والفعل والوقر وما يحول بين العبد وبين الايمان مخلوق لله وهو واقع بقدرته ومشيتة فقد أعطى ان أفعال العباد مخلوقة وانها واهمة بمشيئته فلا فرق بين الفعل الابتدائى والفعل الجرائى ان كان هذا مقدور الله وأفعاله بمشيئته والآخر كذلك وان لم يكن ذلك مقدورا ولا يصح دخوله تحت المشيئة فهذا كذلك والتفريق بين النوعين تناقض محض وقد حكى هذا التفريق عن بعض القدرية أبو القاسم الانصارى في شرحه

الارشاد فقال ولقد اعترف بعض القدرية بان الختم والطبع توابع غير انها عقوبات من الله لاجحاب الجرائم قال ومن صار الى هذا المذهب عبد الواحد بن زيد البصري وبكر ابن اخته قال وسبيل المنعاقين بذلك سبيل المماقبيين بالنار وهؤلاء قد بقي عليهم درجة واحدة وقد تحيزوا الى اهل السنة والحديث

فصل وقال طائفة منهم الكافر هو الذي طبع على قلب نفسه في الحقيقة وختم على قلبه والشیطان أيضا فعل ذلك ولكن لما كان الله سبحانه هو الذي أقدر العبد والشیطان على ذلك نسب الفعل اليه لاقراره للتفاعل على ذلك لانه هو الذي فعله . قال اهل السنة والعدل هذا الكلام فيه حق وباطل فلا يقبل مطلقا ولا يرد مطلقا فتقولكم ان الله سبحانه أقدر الكافر والشیطان على الطبع والختم كلام باطل فانه لم يقدره الاعلى التزين والوسوسة والدعوة الى الكفر ولم يقدره على خلق ذلك في قلب ابد البتة وهو اقل من ذلك وأعجز وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بثت داعيا ومبلغا وليس الى من الهداية شيء وخلق ابليس مزينيا وليس اليه من الضلالة شيء فقدور الشيطان أن يدعو العبد الى فعل الاسباب التي اذا فعلها ختم الله على قلبه وسمعه وطبع عليه كما يدعو الى الاسباب التي اذا فعلها عاقبه الله بالنار فمقابله بالنار كعقابه بالختم والطبع واسباب العقاب فعله وتزينها وتحسينها فعل الشيطان والجميع مخلوق لله . واماما في هذا الكلام من الحق فهو ان الله سبحانه أقدر العبد على الفعل الذي أوجب الطبع والختم على قلبه . فلولا اقدار الله له على ذلك لم يفعله وهذا حق لكن القدرية لم توف هذا الموضع حقه وقالت أقدره قدرة تصلح للضدين فكان فعل أحدهما باختياره ومشيته التي لا تدخل تحت مقدور الرب وان دخلت قدرته الصالحة لهما تحت مقدوره سبحانه فمشيته واختياره وقوله غير واقع تحت مقدور الرب وهذا من ابطال الباطل فان كل ماسواه تعالى مخلوق له داخل تحت قدرته واقع بمشيته ولو لم يشأ لم يكن . قلت القدرية لما عرضوا عن التدبير ولم يصفوا الى التذكر وكان ذلك مقارنا لايراد الله سبحانه حجة عليهم أضيفت أفعالهم الى الله لان حدوثها انما اتفق عند ايراد الحجة عليهم . قال اهل السنة هذا من احوال الحال أن يضيف الرب الى نفسه أمر الاضافة اليه البتة لمقارنته ماهو من فعله ومن المعلوم ان الضدين يقارن الضد فالشر يقارن الخير والحق يقارن الباطل والصدق يقارن الكذب وهل يقال ان الله يحب الكفر والفسوق والعصيان لمقارنتها ما يحبه من الايمان والطاعة وانما يحب ابليس لمقارنته وجوده لوجود الملائكة فان قيل قد ينسب الشيء الى الشيء لمقارنته له وان لم يكن له فيه تأثير كقوله تعالى (واذا ما أنزلت سورة فهم من يقول انكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وما تواوهم كافرون) ومعلوم ان السورة لم تحدث لهم زيادة رجس بل قارن زيادة رجسهم نزولها فنسب اليها قيل لم ينحصر الامر في هذين الامرين اللذين ذكرتموهما وهما احداث السورة الرجس والثاني مقارنته لنزولها بل ههنا أمر ثالث وهو ان السورة لما أنزلت اقضى نزولها الايمان بها والتصديق والادعان لأوامرها ونواهيها والعمل بما فيها فوطن المؤمنون أنفسهم على ذلك فازدادوا ايمانا بسببها فنسبت زيادة الايمان اليها اذ هي السبب في زيادته وكذبها الكافرون وجحدوها وكذبوا من جاء بها ووطنوا أنفسهم على مخالفة ما تضمنته وانكاره فازدادوا بذلك رجسا فنسب اليها اذ كان نزولها ووصولها اليهم هو السبب في تلك

الزيادة فإن هذا من نسبة الافعال القيحة عندكم التي لا تجوز نسبتها الى الله عند دعوتهم الى الايمان وتذكر آياته على ان افعالهم القيحة لا تنسب الى الله سبحانه وانما هي منسوبة اليهم والمنسوب اليه سبحانه أفعاله الحسنة الجليلة المتضمنة للغايات المحمودة والحكم المطلوبة والحتم والطبع والفعل والاضلال أفعال حسنة من الله وخبرها في أليق المواضع بها اذ لا يليق بذلك المحل الخبيث غيرها والشرك والكفر والمعاصي والظلم أفعالهم القيحة التي لا تنسب الى الله فعلا وان نسبت اليه خلقا خلقها غيرها والخلق غير الخلق والفعل غير المفعول والقضاء غير المقضى وانقدر غير المقدور وستمربك هذه المسئلة مستوفاة ان شاء الله في باب اجتماع الرضاء بالقضاء وسخط الكفر والفسوق والعصيان ان شاء الله . قالت القدري لما بانوا في الكفر الى حيث لم يبق طريق الى الايمان لهم الا بالقسر والالقاء ولم تقتض حكمته تعالى ان يفسرهم على الايمان ثلاثا تزول حكمة التكليف عنهم عن ترك الالقاء والقسر بالحتم والطبع إعلاما لهم بانهم اتهموا في الكفر والاعراض الى حيث لا يتهون عنه الا بالقسر وتلك الغاية في وصف لجاحهم وتماذيرهم في الكفر . قال أهل السنة هذا كلام باطل فانه سبحانه قادر على أن يخلق فيهم مشيئة الايمان وارادته ومحبه فيؤمنون بغير قسر ولا الالقاء بل ايمان اختيار وطاعة كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جيعا) وايمان القسر والالقاء لا يسمى ايمانا ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة ولا يسمى ذلك ايمانا لانه عن الجاء واضطرار قال تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وما يحصل للنفوس من المنعزة والتصديق بطريق الالقاء والاضطرار والقسر لا يسمى هدى وكذلك قوله (أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فقولكم لم يبق طريق الى الايمان الا بالقسر باطل فانه بقي الى ايمانهم طريق لم يرهم الله اياه وهو مشيئته وتوفيقه والهامة وامالة قلوبهم الى الهدى واقامتها على الصراط المستقيم وذلك أمر لا يعجز عنه رب كل شيء ومليكه بل هو القادر عليه كقدرته على خلقه ذواتهم وصفاتهم ودرائهم ولكن منهم ذلك لحكمته وعدله فيهم وعدم استحقاقهم وأهليتهم لبذل ذلك لهم كما منع السفل خصائص العلو ومنع الحار خصائص البارد ومنع الخبيث خصائص الطيب ولا يقال فلم فعل هذا فان ذلك من لوازم ملكه وربوبيته ومن مقتضيات أسمائه وصفاته وهل يليق بحكمته أن يسوى بين الطيب والخبيث والحسن والقبيح والجيد والردي ومن لوازم الربوبية خلق الزوجين وتنويع المخلوقات وأخلاقها . فقول القائل لم خلق الردي والخبيث واللئيم سؤال جاهل باسمائه وصفاته وملكه وربوبيته وهو سبحانه فرق بين خلقه أعظم تفريق وذلك من كمال قدرته وربوبيته فجعل منه ما يقبل جميع الكمالات الممكن ومنه ما لا يقبل شيئا منه وبين ذلك درجات متفاوتة لايحصيها الا الخلاق العليم وهدى كل نفس الى حصول ما هي قابلة له والقابل والمقبول والقبول كله مفعوله ومخلوقه وأثر فعله وخلقته وهذا هو الذي ذهب عن الجبرية والقدريية ولم يهتدوا اليه وبالله التوفيق . قالت القدريية الحتم والطبع هو شهادته سبحانه عليهم بانهم لا يؤمنون وعلى اسماعهم وعلى قلوبهم . قال أهل السنة هذا هو قولكم بان الحتم والطبع هو الاخبار عنهم بذلك وقد تقدم فساد هذا بما فيه كفاية وانه لا يقال في لغة من لغات الامم من أخبر عن غيره بانه مطبوع على قلبه وان عليه حتما أنه قد طبع على قلبه وختم عليه بل هذا كذب على المفاات وعلى القرآن وكذلك قول من قال ان حتمه على قلوبهم اطلاعه على ما فيها من الكفر ونذلك قول من قال انه احصاؤه

عليهم حتى يجازيهم به وقول من قال انه اعلامها بعلامه تعرفها بها الملائكة وقد بنا بطلان ذلك بما فيه كفاية . قالت القدرية لا يلزم من الطبع والحتم والقفل أن تكون مانعة من الايمان بل يجوز أن يجعل الله فيهم ذلك من غير أن يكون منهم من الايمان بل يكون ذلك من جنس الغفلة والبلادة والغشا في البصر فيورث ذلك اعراضا عن الحق وتعاميا عنه ولو أنعم النظر وتفكر وتدبر لما آثر على الايمان غيره وهذا الذي قالوه يجوز أن يكون في أول الامر فإذا تمكن واستحكم من القلب ورسخ فيه امتنع معه الايمان ومع هذا فهو أثر فعله وإعراضه وغفلته وإثبات شهوته وكبره على الحق والهدى فلما تمكن فيه واستحكم صار صفة راسخة وطبعاً وختماً وقفلاً ورائاً فكان مبداء غير حائل بينهم وبين الايمان والايمان تمكن معه لو شاؤا لآمنوا مع مبادئ تلك الموانع فلما استحكمت لم يبق الى الايمان سبيل ونظير هذا ان العبد يستحسن ما يهواه فيميل اليه بعض الميل في هذه الحال يمكن صرف الداعية له اذ الاسباب لم تستحكم فإذا استمر على ميله واستدعى أسبابه واستمكن لم يمكنه صرف قلبه عن الهوى والحجة فيطبع على قلبه ويحتم عليه فلا يبقى فيه محل لغير ما يهواه ويحببه وكان الانصراف مقدورا له في أول الامر فلما تمكن أسبابه لم يبق مقدورا له كما قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظننها موجة فلما تمكن منها غرق

فلو أنهم بادروا في مبدأ الامر الى مخالفة الاسباب الصادة عن الهدى لسهل عليهم ولما استعصى عليهم ولقدروا عليه ونظير ذلك المبادرة الى ازالة العلة قبل استحكام أسبابها ولزومها للبدن لزوما لا ينفك منها فإذا استحكمت العلة وصارت كالجزء من البدن عز على الطبيب استنقاذ العليل منها ونظير ذلك المتوكل في حمة فانه ما لم يدخل تحتها فهو قادر على التخلص فإذا توسط معضلها عز عليه وعلى غيره انقاذه فبادئ الامر مقدورة للعبد فإذا استحكمت أسبابها وتمكنت لم يبق الأمر مقدورا له فتأمل هذا الموضع حق التأمل فانه من انفع الاشياء في باب القدر والله الموفق للصواب والله سبحانه جاعل ذلك كله وخلقه فيهم باسباب منهم وتلك الاسباب قد تكون أمورا عديمة يكفي فيها عدم مشيئة اضدادها فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى فيبقى على العدم الاصلى وأن أراد من عبده الهداية فهي لا تحصل حتى يريد من نفسه اعانته وتوفيقه فإذا لم يرد سبحانه من نفسه ذلك لم تحصل الهداية

فصل ١٠ وما ينبغي أن يعلم انه لا يمتنع مع الطبع والحتم والقفل حصول الايمان بأن يفك الذي ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل ذلك الحتم والطابع والقفل ويهديه بعد ضلاله ويعاينه بعد جهله ويرشده بعد غيه ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يحموها ويكتب عليه السعادة والايمان وقرأ قارئ عند عمر بن الخطاب أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وعنده شاب فقال اللهم عليها أقفالها ومفاتيحها بيدك لا يفتحها سواك فمرفها له عمر وزادته عنده خيرا وكان عمر يقول في دعائه اللهم ان كنت كنتي شقيا فاحني واكتبني سعيدا فانك تمحو ما تشاء وتثبت فالرب تعالى فعال لما يريد لا حرج عليه وقد ضل ههنا فريقان القدرية حيث زعمت ان ذلك ليس مقدورا للرب ولا يدخل تحت فعله اذ لو كان مقدورا له ومنعه العبد لناقض جووده ولطفه والجزرية حيث زعمت انه سبحانه اذا قدر قدرا أو علم

شيئا فانه لا يغيره بعد هذا ولا يتصرف فيه بخلاف ما قدره وعلمه والطائفتان حجرت على من لا يدخل تحت حجر احد اصلا وجميع خلقه تحت حجره شرعا وقدرنا وهذه المسئلة من أكبر مسائل القدر وسيمر بك ان شاء الله في باب المحو والاثبات ما يشفيك فيها والمقصود انه مع الطبع والحتم والقفل لو تعرض العبد أمكنه فك ذلك الحتم والطابع وفتح ذلك القفل يفتح من بيده مفاتيح كل شيء وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير متممة عليه وان كان فك الحتم وفتح القفل غير مقدوره كما ان شرب الدواء مقدور له وزوال العلة وحصول المافية غير مقدور فاذا استحكم به المرض وصار صفة لازمة له لم يكن له عذر في تطاعى ماله من أسباب الشفاء وان كان غير مقدور له ولكن لما الف العلة وساكها ولم يجب زوالها ولا آثر ضدها عليها مع معرفته بما بينها وبين ضدها من التفاوت فقد سد على نفسه باب الشفاء بالكلية والله سبحانه يهدي عبده اذا كان ضالا وهو يحسب انه على هدى فاذا تبين له الهدى لم يعدل عنه لمحبهه وملائمته لنفسه فاذا عرف الهدى فلم يحبه ولم يرض به وآثر عليه الضلال مع تكرر تعرفه منعمة هذا وخيره ومضرة هذا وشره فقد سد على نفسه باب الهدى بالكلية فهو انه في هذه الحال تعرض واقتصر الى من بيده هداه وعلم انه ليس اليه هدى نفسه وانه ان لم يهد الله فهو ضال وسأل الله أن يقبل بقلبه وان يقيه شر نفسه وقفه وهداه بل لو علم الله منه كراهية لما هو عليه من الضلال وانه مرض قاتل ان لم يشفه منه أهلكه لكأن كراهته وبغضه اياه مع كونه مبتلي به من أسباب الشفاء والهداية ولكن من أعظم أسباب الشقاء والضلال محبته له ورضاه به وكراهته الهدى والحق فلو ان المطبوع على قلبه الختوم عليه كره ذلك ورغب الى الله في فك ذلك عنه وفعل مقدوره لكن كان هداه أقرب شيء اليه ولكن اذا استحكم الطبع والحتم حال بينه وبين كراهة ذلك وسؤال الرب فكها وفتح قلبه

(فصل) فان قيل فاذا جوزتم أن يكون الطبع والحتم والقفل عقوبة وجزاء على الجرائم والاعراض والكفر السابق على فعل الجرائم قيل هذا موضع يغلط فيه أكثر الناس ويظنون بالله سبحانه خلاف موجب أسأله وصفاته والقرآن من أوله الى آخره انما يدل على ان الطبع والحتم والقفاوة لم يفعها الرب سبحانه بعبد من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بينه له وانما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والارشاد وتكرار الاعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد فحينئذ يطبع على قلوبهم ويحتم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك والاعراض والكفر الاول لم يكن مع ختم وطبع بل كان اختيارا فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية فتأمل هذا المعنى في قوله (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) ومعلوم ان هذا ليس حكما يعم جميع الكفار بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كفارا قبل ذلك ولم يحتم على قلوبهم وعلى آسماعهم فهذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار فعل الله بهم ذلك عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة كما عاقب بعضهم بالمسخ قرده وخازيره وبمضهم بالطمس على أعينهم فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب كما يعاقب بالطمس على الأعين وهو سبحانه قد يعاقب بالضلal عن الحق عقوبة دائمة مستمرة وقد يعاقب به الى وقت ثم يعافي عبده ويهديه كما يعاقب بالنداب كذلك

(فصل) وهما عدة أمور عاقب بها الكفار بمنعمهم عن الايمان وهى الحتم والطبع والاكنة والغطاء والغلاف والحجاب والوقر والفاشاة والران والغل والسد والقفل والسمم والبكم والعوى والصد والصرف والشدة على القلب والضلال والاغفال والمرض وتقلب الافئدة والحول بين المرء وقلبه وازاغة القلوب والخذلان والاركاس والتشيط والتزيين وعدم ارادة هداهم وتطهيرهم وامانة قلوبهم بعد خلق الحياة فيها فتبقى على الموت الاصلى وامساك النور عنها فتبقى في الظلمة الاصلية وجعل القلب قاسيا لا ينطبع فيه مثال الهدى وصورته وجعل الصدر ضيقا حرجا لا يقبل الايمان وهذه الامور منها ما يرجع الى القلب كالحتم والطبع والقفل والاكنة والاغفال والمرض ونحوها ومنها ما يرجع الى رسوله الموصول اليه الهدى كاصم والوقر ومنها ما يرجع الى طبيعته ورائده كالعمى والفاشاة ومنها ما يرجع الى ترجمانه ورسوله المبلغ عنه كالبكم النطقى وهو نتيجة البكم القلبي فاذا بكم القلب بكم اللسان ولا تصغ الى قول من يقول ان هذه مجازات واستعارات فانه قال بحسب مبالغه من العلم والفهم عن الله ورسوله وكان هذا القائل حقيقة القمل عنده ان يكون من حديد والحتم ان يكون بشمع او طين والمرض ان يكون حصى بنافض او قولنج او غيرهما من امراض البدن والموت هو مفارقة الروح للبدن ليس الا والعمى ذهاب ضوء العين الذى تبصر به وهذه الفرقه من اغفل الناس حجابا فان هذه الامور اذا اضيفت الى محالها كانت بحسب تلك المحال فنبهت قفل القلب الى القلب كنسبة قفل الباب اليه وكذلك الحتم والطابع الذى عليه هو بالنسبة اليه كالحتم والطابع الذى على الباب والصندوق ونحوهما وكذلك نسبة الصمم والعمى الى الاذن والعين وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته بل هذه الامور الزم للقلب منها للبدن فلو قيل انها حقيقة في ذلك مجاز في الاجسام المحسوسة لكان مثل قول هؤلاء واقتوى منه وكلامهما باطل فالعمى في الحقيقة والبكم والموت والقفل للقلب ثم قال تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور والمعنى انه معظم العمى وأصله وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم انما الربا في النسيئة وقوله انما الماء من الماء وقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقوله ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والقررة والتمران انما المسكين الذى لا يجد ما يعينه ولا يفتن له فيتصدق عليه وقوله ليس الشديد بالصرعه انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ولم يزد فى الاسم عن هذه المسيمات انما أراد ان هؤلاء اولى بهذه الاسماء واحق ممن يسمونه بها فهكذا قوله لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور وقريب من هذا قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وعلى التقديرين فقد أثبت للقلب عمى حقيقة وهكذا جميع مناسب اليه ولما كان القلب ملك الاعضاء وهى جنوده وهو الذى يحركها ويستعملها والارادة والقوى والحركة الاختيارية تنبعث كانت هذه الامثال أصلا ولا أعضاء تيمنا فلذلك هذه الامور مفضلة ومواقفها في القرآن فقد تقدم الحتم قال الازهرى وأصله التغطية وختم البذر في الارض اذا غطاه قال أبو اسحاق معنى ختم وطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشئ والاستتياق منه فلا يدخله شئ كما قال تعالى أم على قلوب أقفاؤها وكذلك قوله طبع الله على قلوبهم قلت الحتم والطبع يشتركان فيما ذكر ويفترقان في معنى آخر وهو ان الطبع ختم يصير سجيبة وطبيعة فهو تأثير لازم لا

يفارق وأما الأكنة ففي قوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة) يفهموه وهي جمع كنان كنان واعنة وأصله من الستر والتغطية ويقال كنه وأكنه وكنان بمعنى واحد بل بينهما فرق فأكنه إذا ستره واخفاه كقوله تعالى (أو أكنتم في أنفسكم) وكنه إذا صانه وحفظه كقوله يضيض مكنون ويشتركان في الستر والكنان ما أكن الشيء وستره وهو كالعلاف وقد أقرأوا على أنفسهم بذلك فقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا قفر ومن بيننا وبينك حجاب فذكروا غطاء القلب وهي الأكنة وغطاء الأذن وهو القبر وغطاء الدين، وهو الحجاب والمعنى لا تنفقه كلامك ولا نسمة ولا تارك والمعنى أنا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفقه ما تقول ولا يراك قال ابن عباس قلوبنا في أكنة مثل الكنانة التي فيها السهام وقال مجاهد كجعبة النبل وقال مقاتل عليها غطاء فلا يفقه ما تقول

فصل وأما الغطاء فقال تعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاء من ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً) وهذا يتضمن معنيين أحدهما أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله وأدلة توحيده ومجائب قدرته والثاني أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره والاهتداء به وهذا الغطاء للقلب أولاً ثم يسرى منه إلى العين

فصل وأما العلاف فقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل لنعم الله بكفرهم) وقد اختلف في معنى قولهم قلوبنا غلف فقالت طائفة المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به أولاً تحتاج إليك وعلى هذا فيكون غلف جمع غلاف والصحيح قول أكثر المفسرين أن المعنى قلوبنا لا تفقه ولا تفهم ما تقول وعلى هذا فهو جمع أغلف كأجر وجر قال أبو عبيدة كل شيء في غلاف فهو أغلف كما يقال سيف أغلف وقوس أغلف ورجل أغلف غير محتون قال ابن عباس وقادة ومجاهد على قلوبنا غشاوة فهي في أوعية فلا تسمى ولا تفقه ما تقول وهذا هو الصواب في معنى الآية لتكرر نظائره في القرآن كقولهم (قلوبنا في أكنة) وقوله تعالى (كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) ونظائر ذلك وأما قول من قال هي أوعية للحكمة فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة وليس له في القرآن نظير يحمل عليه ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الإنسان نفسه بالعالم والحكمة فإن وجدتم في الاستعمال قول القائل قلمي غلاف وقلوب المؤمنين العالمين غائف أي أوعية للعلم والغلاف قد يكون وعاء للجيد والردئ فلا يلزم من كون القلب غلافاً أن يكون داخله العلم والحكمة وهذا ظاهر جداً فإن قيل فالأضراب ببل على هذا القول الذي قويتموه مامعناه وأما على القول الآخر فظاهر أي ليست قلوبكم محلا للعلم والحكمة بل مطبوع عليها قيل وجه الاضراب في غاية الظهور وهو أنهم احتجوا بأن الله لم يفتح لهم الطريق إلى فهم ما جاء به الرسول ومعرفته بل جعل قلوبهم داخلة في غاف فلا تفقهه فكيف تقوم به عليهم الحجة وكانهم ادعوا أن قلوبهم خلقت في غاف فهم معذورون في عدم الإيمان فأكد بهم الله وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وفي الآية الأخرى (بل لنعم الله بكفرهم) فآخبر سبحانه أن الطبع والابعاد عن توقيفه وفضله إنما كان بكفرهم الذي اختاروه لأنفسهم وآثروه على الإيمان فعاقبهم عليه بالطبع واللغة والمعنى لم يخلق قلوبهم غافلاً لا تسمى ولا تفقه ثم نأمرهم بالإيمان وهم لا يفهمونه ولا يفقهونه بل اكتسبوا أمثالاً عاقبتهم عليها بالطبع على القلوب والحقم عليها

فصل وأما الحجاب ففي قوله تعالى حكاية عنهم (ومن بيننا وبينك حجاب) وقوله (فإذا قرأت

القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججا مستورا (على أصحاب التولين والمعنى جعلنا بين القرآن اذا قرأته وبينهم حججا يحول بينهم وبين فهمه وتدبره والايمان به وبينه قوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذه الثلاثة هي الثلاثة المذكورة في قوله (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) فأخبر سبحانه أن ذلك جعله فالحجاب يمنع رؤية الحق والأكنة تمنع من فهمه والوقر يمنع من سماعه وقال الكلبي الحجاب ههنا مانع يمنعهم من الوصول الى رسول الله بالأذى من الرعب ومحوره مما يصددهم عن الاقدام عليه ووصفه بكونه مستورا فقليل بمعنى سائر وقيل على النسب أى ذو ستر والصحيح أنه على بابه أى مستورا عن الابصار فلا يرى ويحجب مفهول بمعنى فاعل لا يثبت والنسب في مفهول لم يشتق من فعله كمكان مفهول أى ذى هول ورجل مرطوب أى ذى رطوبة فأما مفهول فهو جار على فعله فهو الذى وقع عليه الفعل كضروب ومجروح ومستور

(فصل) وأما الران فقد قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال أبو عبيدة غلب عليها وأحقر ترين على عقل السكران والموت يرون على الميت فيذهب به ومن هذا حديث اسينج جهنمة وقول عمر فاصبح قدرين به أى غلب عليه واحاط به الرين وقال أبو معاذ التجوى الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والافعال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب وقال الفراء كثرت الذنوب والمعاصي منهم فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وقال أبو اسحق ران غطي يقال ران على قلبه الذنوب يرين رينا أى غشي قال والرین كانشاء يفشى القلب ومثله الغين قلت اخطأ أبو اسحاق فالغين أنطفت شئ وأرقه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه لغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وأما الرين والران فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثفها وقال مجاهد هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتشاء فيموت القلب وقال مقاتل غمرت القلوب أعمالهم الحبيثة وفي سنن النسائي والترمذى من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان زاد زيد فيها حتى تملو قلبه وهو الران الذى ذكر الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال الترمذى هذا حديث صحيح وقال عبد الله بن مسعود كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله فأخبر سبحانه ان ذنوبهم التى اكتسبوها أوجبت لهم رينا على قلوبهم فكان سبب الران منهم وهو خلق الله فيهم فهو خالق السبب ومسببه لكن السبب باختيار العبد والمسبب خارج عن قدرته واختياره

(فصل) وأما الغل فقال تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) قال الفراء حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله وقال أبو عبيدة منعناهم عن الايمان بموانع ولما كان الغل مانعا لا يفلو من التصرف والتقلب كان الغل الذى على القلب مانعا من الايمان فان قيل فالغل المانع من الايمان هو الذى في القلب فكيف ذكر الغل الذى في العنق قيل لما كان عادة الغل أن يوضع في العنق ناسب ذكر محله والمراد به الغل كقوله تعالى (وكل انسان أئتمناه

طائر في عنقه) ومن هذا قولهم أئتم في عنقك وهذا في عنقك ومن هذا قوله (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) شبه الامساك عن الاتفاق باليد اذا غلت إلى العنق ومن هذا قال الفراء انا جعلنا في أعناقهم أغلالا حبسناهم عن الاتفاق قال أبو اسحاق واما يقال لأشئ اللازم هذا في عنق فلان أى لزومه كزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق قال أبو على هذا مثل قولهم طوئتك كذا وقادتك كذا ومنه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قلت ومن هذا قولهم قلدت فلانا حكيم كذا وكذا كانك جعلته طوقا في عنقه وقد سمي الله التكليف الشاقة اغلالا في قوله (ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم) فشبها بالأغلال لشدها وصعوبتها قال الحسن هي الشدائد التي كانت في العبادة كقطع أثر البدل وقتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الحاطة وتبع العروق من اللحم وقال ابن قتيبة هي تحريم الله سبحانه عليهم كثيرا مما أطلقه لامة محمد صلى الله عليه وسلم وجعلها اغلالا لأن التحريم يمنع كما يقبض الغل اليد وقوله فهي إلى الأذقان قالت طائفة الضمير يعود إلى الأيدي وان لم تذكر لدلالة السياق عليها قالوا لان الغل يكون في العنق فتجمع إليه اليد ولذلك سمي جامعة وعلى هذا فالغنى فأيديهم أو أيمانهم مضمومة إلى أذقانهم هذا قول الفراء والزجاج وقالت طائفة الضمير يرجع إلى الأغلال وهذا هو الظاهر وقوله فهي إلى الأذقان أى واصلة ومزودة إليها فهو غل عريض قد احاط بالعنق حتى وصل إلى الذقن وقوله فهم مقمحوون قال الفراء والزجاج المقمح هو الغاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الاقماح في اللثة رفع الرأس وغض البصر يقال أقمح البعير رأسه وقح وقال الأصمعي بعير قامح اذا رفع رأسه عن الجوض ولم يشرب قال الازهرى لما غلت أيديهم إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤسهم سعدا كالابل الرافعة رؤسها انتهى فان قيل فما وجه التشبيه بين هذا وبين حبس القلب عن الهدى والایمان قيل أحسن وجه وأبينه فان الغل اذا كان في العنق واليد مجموعة اليها منع اليد عن التصرف والبطش فاذا كان عريضا قد ملأ العنق ووصل إلى الذقن منع الرأس من تصويبه وجعل صاحبه شاخص الرأس منتصبه لا يستطيع له حركة ثم أكد هذا المعنى والحبس بقوله (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) قال ابن عباس منعهم من الهدى لما سبق في علمه والسد الذي جعل من بين أيديهم ومن خلفهم هو الذي سد عليهم طريق الهدى فاخبر سبحانه عن الموانع التي منعهم بها من الايمان عقوبة لهم ومنهلا باحسن تمثيل وأبلغه وذلك حال قوم قد وضعت الأغلال العريضة الواصلة إلى الأذقان في أعناقهم وضمت أيديهم اليها وجعلوا بين السدين لا يستطيعون النفوذ من بينهما وأغشيت أبصارهم فهم لا يرون شيئا واذا تأملت حال الكافر الذي عرف الحق وتبين له ثم جحدته وكفر به وعاداه أعظم معاداة وجسدت هذا المثل مطابقا له اتم مطابقة وأنه قد حيل بينه وبين الايمان كاحيل بين هذا وبين التصرف والله المستعان

(فصل) واما الغفل فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) قال ابن عباس يريد على قلوب هؤلاء أقفال وقال مقاتل يعنى الطبع على القلب وكأن القلب بمنزلة الباب المرتج الذي قد ضرب عليه قفل فانه ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول إلى ما وراءه وكذلك ما لم يرفع الحتم والقفل عن القلب لم يدخل الايمان والقرآن وتأمل تنكير القلب وتعريف الاقفال فان تنكير القلوب يتضمن

ارادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة ولوقل ألم على القلوب أقفالها لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة وفي قوله أفتاها بالتعريف نوع تأكيد فانه لو قال أفتال لذهب الوهم الى ما يعرف بهذا الاسم فلما أضافها الى القلوب علم ان المراد بها ما هو للقلب بمنزلة النفل للباب فكأنه أراد أفتاها المختصة بها التي لا تكون لغيرها والله أعلم

(فصل) وأما الصمم والوقر ففي قوله تعالى (صم بكم عني) وقوله (أولئك الذين لعنهم الله فاصمم وأعمى أبصارهم) وقوله (ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وأولئك هم الغافلون) وقوله (والذين لا يؤمنون بالآخرة في آذانهم وقر وهو عليهم عني أولئك ينادون من مكان بعيد) قال ابن عباس في آذانهم صمم عن سماع القرآن وهو عليهم عني أعمى الله قلوبهم فلا يفقهون أولئك ينادون من مكان بعيد مثل البهيمة التي لا تفهم الادعاء ونداء وقال مجاهد بعيد من قلوبهم وقال الفراء تقول لارجيل الذي لا يفهم كذلك أنت تتادى من مكان بعيد قال وجاء في التفسير كأنما ينادون من السماء فلا يسمعون أتبى والمعنى أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما ان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم

(فصل) وأما البكم فقال تعالى (صم بكم عني) والبكم جمع أ بكم وهو الذي لا ينطق والبكم نوعان بكم القلب وبكم اللسان كان النطق نطقا نطق القلب ونطق اللسان وأشد هما بكم القلب كما ان عماء وصممه أشد من عمي العين وصمم الأذن فوصفهم سبحانه بأنهم لا يفقهون الحق ولا تنطق به السنتهم والمعلم يدخل الى البعد من ثلاثة أبواب من سمعه وبصره وقلبه وقد سدت عليهم هذه الابواب الثلاثة فسد السمع بالصمم والبصر بالعمى والقلب بالبكم ونظيره قوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) وقد جمع سبحانه بين الثلاثة في قوله (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله) فاذا أراد سبحانه هداية عبد فتح قلبه وسمعه وبصره واذا أراد ضلاله أصممه وأعماه وأبكمه وبالله التوفيق

(فصل) وأما الغشاوة فهو غطاء العين كما قال تعالى (وجعل على بصره غشاوة) وهذا الغطاء سري اليهامن غشاء القلب فان ما في القلب يظهر على العين من الخير والشر فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه وأنت اذا أبغضت رجلا بغضا شديدا أو أبغضت كلاما ومجالسته تجدد على عينك غشاوة عند رؤيته ومخالطته فتلك أثر البغض والاعراض عنه وغلظت على الكفار عقوبة لهم على اعراضهم ونفورهم عن الرسول وجعل الغشاوة عليها يشعر بالاحاطة على ماتحته كالعمامة ولمعاشوا عن ذكره الذي أنزله صار ذلك العشاء غشاوة على أعينهم فلا تبصر مواقع الهدى

(فصل) وأما الصد فقال تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأ أهل الكوفة على البناء للمفعول حملا على زين وقرأ الباقون وصد بفتح الصاد ويحتمل وجهين أحدهما اعرض فيكون لازما والثاني يكون صد غيره فيكون متعديا والقراءتان كالأيتين لا يتناقضان وأما الشد على القلب ففي قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن

سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد احييت دعوتكما فاستقيا) فهذا الشد على القلب هو الصد والمنع ولهذا قال ابن عباس يريدان منها والمنع قسما واطمع عليهما حتى لا تلتين ولا تنتشرح للايمان وهذا مطابق لما في التوراة ان الله سبحانه قال لموسى اذهب الى فرعون فاني ساقى قلبه فلا يؤمن حتى تظهر آياتي وعجائبي بعصر وهذا الشد والتقسمة من كمال عدل الرب سبحانه في أعدائه جعله عقوبة لهم على كفرهم واعراضهم كعقوبته لهم بالمصائب ولهذا كان محمودا عليه فهو حسن منه وأتبع شئ منهم فانه عدل منه وحكمة وهو ظالم منهم وسنة بالقضاء والقدر فعمل عادل حكيم غنى علم يضع الخير والشر في اليق الموضع بما والمتنقى المقدر يكون ظلما وجورا وسفها وهو فعل جاهل ظالم سفه

(فصل) وأما الضرف فقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) فآخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف وعن فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره لانهم ليسوا اهل له فآخلى غير صالح ولا قابل فان صلاحية المحل بشئين حسن فهم وحسن قصد وهؤلاء قلوبهم لا تفقه وقصودهم سيئة وقد صرح سبحانه بهذا في قوله (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) فآخبر سبحانه عن عدم قابلية الايمان فيهم وانهم لاخير فيهم يدخل بسببه الى قلوبهم فلم يسمعهم سماع إفهام ينتفعون به وان سمعوه سماعا تقوم به عليهم حاجته فسمع الفهم الذي سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم ثم آخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعه من الايمان لو اسمعهم هذا السماع الخاص وهو الكبر والتولى والاعراض فالاول مانع من الفهم والثاني مانع من الانتباه والاذعان فانهم سيئة وقصود رديئة وهذه نسخة الضلال وعلم الشقاء كما ان نسخة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح وقصد صالح والله المستعان وتأمل قوله سبحانه (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) كيف جعل هذه الجملة الثانية سواء كانت خبرا أو اعادة عقوبة لانصرافهم فاعقبهم عليه بصرف آخر غير الصرف الاول فان انصرفهم كان لعدم ارادته سبحانه ومشيتة لا قباليهم لانه لصلاحية فيهم لا قبول فلم ينالهم الاقبال والاذعان فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل والظلم عن القرآن فجازاهم على ذلك صرفا آخر غير الصرف الاول كجوازهم على زيف قلوبهم عن الهدى ازاغة غير الزيف الاول كما قال (فاما زاغوا ازاع الله قلوبهم) وهكذا اذا عرض العبد عن ربه سبحانه جازاه بان يمرض عنه فلا يمكنه من الاقبال عليه ولكن قصة ابليس منك على ذكر تتفجع بها أتم انتفاع فانه لما عصى ربه تعالى ولم يتقذ الامر واصر على ذلك عاقبه بان جعله داعيا الى كل معصية فعاقبه على معصيته الاولى بان جعله داعيا الى كل معصية وفروعهما صغيرها وكبيرها وصار هذا الاعراض والكفر منه عقوبة لذلك الاعراض والكفر السابق فمن عقاب السيئة السيئة بعدها كما ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فان قيل فكيف يلتم انكاره سبحانه عليهم الانصراف والاعراض عنه وقد قال تعالى (فاني يصرفون) وأنى يؤفكون وقال فلهم عن التذكرة معرضين) فاذا كان هو الذى صرفهم وجعلهم معرضين وما فوكن فكيف ينفى ذلك عليهم قيل هم دائرون بين عدله وحجته عليهم فكأنهم وفتح لهم الباب ونهج لهم الطريق وهما لهم الاسباب فارسل اليهم رساله وأنزل عليهم كتبه ودعاهم على السنة رساله وجعل لهم عقولا تميز بين الخير والشر والنافع والضار والاسباب

الردى وأسباب الفلاح وجعل لهم اسماء وأبصارا فأثروا الهوى على التقوى واستحبوا العمى على الهدى وقالوا مصيبتك أتر عندنا من طاعتك والشرك أحب إلينا من توحيدك وعبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك فأعرضت قلوبهم عن ربهم وخالتهم ومليكهم وانصرفت عن طاعته ومحبه فهدأ عدله فيهم وتلك حجيته عليهم فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى إرادة منهم واختيارا ففسده عليهم اضطرابا فخلاهم وما اختاروا لانفسهم وولاهم ماتولوه ومكنهم فيما ارتضوه وأدخلهم من الباب الذي استبقوا اليه وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون فلا أقبح من قبحهم ولا أحسن من فعله ولو شاء خلقتهم على غير هذه الصفة ولأنشأهم على غير هذه النشأة ولكنه سبحانه خالق العلو والسفل والنور والظلمة والتافع والضار والطيب والحيث والملائكة والشياطين والشاء والذباب ومعطيها آلاتها وصفاتها وقواها وأفعالها ومستعملها فيما خلقت له فبعضها بطاعها وبعضها بآرادها ومشيتها وكل ذلك جار على وفق حكمته وهو موجب حمده ومقتضى كماله المقدس ومملكه التام ولا نسبة لما عمله الخالق من ذلك الى ماخفي عليهم بوجه ما ان هو الا كقتره عصفور من البحر

(فصل) وأما الاغفال فقال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) سئل أبو العباس ثعلب عن قوله (أغفلنا قلبه عن ذكرنا) فقال جعلناه غافلا قال ويكون في الكلام أغفلته سميته غافلا ووجدته غافلا قلت الغفل الشيء الفارغ والارض الغفل التي لا علامة بها والكتاب الغفل الذي لا شكل عليه فاغفلناه تركناه غفلا عن الذكر فارغا منه فهو ابقاء له على العدم الاصلى لانه سبحانه لم يشأ له الذكر فبقى غافلا فالغفلة وصفه والاغفال فعل الله فيه بمشيئته وعدم مشيئته لتذكره فكل منهما مقتضى لغفلته فاذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر واذا شاء غفلته امتنع منه التذكر فإن قيل فهل تضاف الغفلة والكفر والاعراض ونحوها الى عدم مشيئة الرب اضدادها أم الى مشيئته لوقوعها قيل القرآن قد نطق بهذا وبهذا قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطرهم قلوبهم) وقال (ومن يرد الله فتنته فلان تملك له من الله شئ ومن يرد أن يضله) فان قيل فكيف يكون عدم السبب المقتضى موجبا للأثر قيل الاثر ان كان وجوديا فلا بد له من مؤثر وجودي واما العدم فيكفي فيه عدم سببه وموجبه فيبقى على العدم الاصلى فاذا أضيف اليه كان من باب اضافة الشيء الى دليله فعدم السبب دليل على عدم المسبب واذا سمى موجبا ومقتضيا بهذا الاعتبار فلا مشاحة في ذلك واما أن يكون العدم أثرا ومؤثرا فلا وهذا الاغفال ترتب عليه اتباع هواه وتفريطه في أمره قال مجاهد كان أمره فرطا أى ضياعا وقال قتادة أضاع أكبر الضيعة وقال السدى هلاكا وقال أبو الهيثم أمر فرط أى متهاون به مضيع والتفريط تقديم العجز قال أبو اسحاق من قدم العجز في أمراضه وأهلكه قال الليث الفرط الامر الذي يفرط فيه يقول كل أمر فلان فرط قال الفراء فرطا متروكا يفرط فيما لا ينبغي التفريط فيه واتباع ما لا ينبغي اتباعه وغفل عما لا يحسن الغفلة عنه

(فصل) وأما المرض فقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) وقال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ومرض القلب خروج عن حقيقته واعتداله فان حوته أن يكون عارفا بالحق مجالا له مؤثرا له على غيره فمرضه اما بالشك فيه واما بإيثار غيره عليه فمرض

المتأقين مرض شك ورب ومرض العصاة مرض غي وشهوة وقد سمي الله سبحانه كلا منهما مرضا قال ابن الأنباري أصل المرض في اللغة الفساد مرض فلان فسد جسمه وتغيرت حاله ومرضت بالمرض تغيرت وفست قالت ليلي الاخيلية

إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاه

وقال آخر

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد الحسين والبلاد أقشعت
والمرض يدور على أربعة أشياء فساد وضعف ونقصان وظلمة ومنه مرض الرجل في الامر اذا ضعف
فيعلم بالبالغ وعين مريضة النظر أى فطرة ضعيفة وريح مريضة اذا هب هبوبا كما قال

* راحت لاربك الريح مريضة *

أى لينة ضعيفة حتى لا يعنى أثرها وقال ابن الاعرابي أصل المرض النقصان ومنه بدن مريض أى ناقص
القوة وقلب مريض ناقص الذين ومرض في حاجتي اذا نقصت حركته وقال الأزهري عن المنذري عن
بعض أصحابه المرض اظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها قال وألمرض الظلمة وأنشد

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضي لها شمس ولا قر

هذا أصله في اللغة ثم الشك والجهل والحيرة والضلال وارادة الغي وشهوة الفجور في القلب تعود
الى هذه الامور الاربعة فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض فيعاقبه الله بزيادة المرض لا يثارة
أسبابه وتعاطيه لها

(فصل) وأما قلب الأفتدة فقال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون) وهذا عطف على أنها اذا جاءت لا يؤمنون أى تحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم
تلك الآية فلا يؤمنون واختلف في قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة فقال كثير من المفسرين المعنى
تحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم الآية كما حلنا بينهم وبين الايمان أول مرة قال ابن عباس في رواية
عطاء عنه ونقلب أفئدتهم وأبصارهم حتى يرجعوا الى ما سبق عليهم من علمي قال وهذا كقوله واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه وقال آخرون المعنى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركمهم الايمان به أول
مرة فعاقبتهم بتقلب أفئدتهم وأبصارهم وهذا معنى حسن فان كاف التشبيه تتضمن نوعا من التعليل
كقوله (وأحسن كما أحسن الله اليك) وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم) والذي حسن اجتماع
التعليل والتشبيه الاعلام بان الجزء من جنس العمل في الخير والشر والتقلب تحويل الشيء من وجه
الى وجه وكان الواجب من مقتضى إنزال الآية ووصولهم اليها كما سألوا ان يؤمنوا اذا جاءتهم لانهم
رأوها عيانا وعرفوا أدلتها وتحققوا صدقها فاذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليا لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها
الذي ينبغي أن تكون عليه وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على
طاعتك وروى الترمذي من حديث أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول ياقلب

القلوب ثبت قاي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء قال هذا حديث حسن وروى حماد عن أبوب وهشام ويعلى بن زياد عن الحسن قال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها دعوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها ياقلب القلب ثبت قاي على دينك فقلت يا رسول الله دعوة كثيرا ما يدعو بها قال انه ليس من عبد الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله فاذا شاء أن يقيمه اقامه واذا شاء أن يزيقه ازاعه وقوله (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) قال ابن عباس أخذهم وأدعهم في ضلالهم يتعادون

فصل وأما ازاعة القلوب فقال تعالى (فلما ازاعوا أزاع الله قلوبهم) وقال عن عباده المؤمنين انهم سألوهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وأصل الزيع الميل ومنه زاعت الشمس اذا مالت فازاعة القلب امالته وزيقه ميله عن الهدى الى الضلال والزيع يوصف به القلب والبصر كما قال تعالى (واذا زاعت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) وقال قتادة ومقاتل شخضت فرقا وهذا اقرب للمعنى فان الشخوص غير الزيع وهو أن يفتح عينه ينظر الى الشيء فلا يطرق ومنه شخض بصر الميت ولما مالت الابصار عن كل شيء فلم تنظر الا الى هؤلاء الذين أقبلوا اليهم من كل جانب اشتغلت عن النظر الى شيء آخر فمالت عنه وشخضت بالنظر الى الاحزاب وقال الكلبي مالت ابصارهم الا من النظر اليهم وقال الفراء زاعت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها متجيرة تنظر اليه قلت القلب اذا امتلأ زعيا شغاه ذلك عن ملاحظة ما سوى الخوف فراغ البصر عن الوقوع عليه وهو مقابله **فصل** وأما الخذلان فقال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) وأصل الخذلان الترك والتخلى ويقال للبقرة والشاة اذا تخلفت مع ولدها في المرعى وتركت صاحباتها خذول قال محمد بن اسحاق في هذه الآية ان ينصركم الله فلا غالب لك من الناس ولن يضرك خذلان من خذلك وأن يخذلك فلن ينصرك الناس أى لا تترك أمرى للناس وارفض الناس لامرى والخذلان أن يحل الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكفه اليها والتوفيق ضده أن لا يدعه ونفسه ولا يكفه اليها بل يصنع له ويلطف به ويعينه ويدفع عنه ويكأله كالألة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه فمن خلئ بينه وبين نفسه فقد هلك كل الهالك ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم يا حي يا قيوم يا بدیع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا انت برحمتك أستغيث اصلح لى شأنى كله ولا تكن الى نفسى ظرفة عين ولا الى أحد من خلقك فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه ابليس فان تولاه الله لم يظفر به عدوه وان خذله وأعرض عنه افترسه الشيطان كما يفترس الذئب الشاة فان قيل فما ذنب الشاة اذا خلئ الراعى بين الذئب وبينها وهل يمكنه أن تقوى على الذئب وتخومه قيل لعمر الله ان الشيطان ذئب الانسان كما قاله الصادق المصدوق ولكن لم يجعل الله لهذا الذئب العين على هذه الشاة سلطانا مع ضعفها فاذا أعطت يديها وسالت الذئب ودعاها فلبت بدعوتة وأجابت أمره ولم تخاف بل أقبلت نحوه سريعة مطيعة وفارقت حى الراعى الذى ليس للذئب عليه سبيل ودخلت في محل الذئب الذى من دخله كان صيدا لهم فهل الذئب كل الذئب الا الشاة فكيف والراعى يحذرهما ويخوفهما وينذرهما وقد أراها مصارع الشاة التى انفردت عن الراعى ودخلت وادى

الذئب قال أحد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة سمعت ابن أبي الدنيا يقول ان الله سبحانه من العلوم ما لا يحصى يعطي كل واحد من ذلك ما لا يعطى غيره لقد حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سعيد القطان ثنا عبيد الله بن بكر السهمي عن أبيه ان قوما كانوا في سفر فكان فيهم رجل من بالطائر فيقول أندرون ما تقول هؤلاء فيقولون لا فيقول تقول كذا وكذا فيجئنا على شيء لا ندري أصادق فيه هوام كاذب الى ان مروا على غم وفيها شاة قد تحافت على سخلة لها خجلت تخنو عنقها اليها وتغو فقال أندرون ما تقول هذه الشاة قلنا لا قال تقول للسخلة الحق لا يا كلك الذئب كما أكل أخاك عام أول في هذا المكان قال فانهينا الى الراعي فقلنا له ولدت هذه الشاة قبل عامك هذا قال نعم ولدت سخلة عام أول فاكلها الذئب بهذا المكان ثم أتينا على قوم فيهم طعينة على جمل لها وهو يرغو ويخنو عنقها لها فقال أندرون ما تقول هذا البعير قلنا لا قال فانه يلعن راكبه ويزعم انها رحلته على مخيط وهو في سنامه قال فانهينا اليهم فقلنا يا هؤلاء ان صاحبنا هذا يزعم ان هذا البعير يلعن راكبه ويزعم انها رحلته على مخيط وانه في سنامه قال فأناخوا البعير وحطوا عنه فاذا هو كما قال فهذه شاة قد حذرت سخلتها من الذئب مرة فحذرت وقد حذر الله سبحانه ابن آدم من ذئبه مرة بعد مرة وهو يأبى الا أن يستجيب له اذا دعاه ويبيت معه ويصبح (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدهم وقال الحق ووعدهم فأكلفتمكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) انى كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم (فصل) وأما الاركاس فقال تعالى (فألكم في المناقضين فتنين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فان تجد له سبيلا) قال الفراء أركسهم ردهم الى الكفر وقال أبو عبيدة يقال ركست الشيء وأركسته لغتان اذا رددته والركس قاب الشيء على رأسه أو رده على آخره والارتكاس الارتداد قال أمية

فاركسوا في حيم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والازورا

ومن هذا يقال للروث الركنس لانه رد الى حال النجاسة ولهذا المعنى سمي رجيماً والركنس والنكس والمركوس والمنكوس بمعنى واحد قال الزجاج أركسهم نكسهم وردهم والمعنى انه ردهم الى حكم الكفار من النذل والصغار واخبر سبحانه عن حكمه وقضائه فيهم وعدله وان كان أركانه كان بسبب كسبهم واعمالهم كما قال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فهذا هو حيد وهذا عدله لاما تقوله القدرية المعطلة من ان التوحيد انكار الصفات والمثل والتكذيب بالقدر

فصل وما التبيط فقال تعالى (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبياءهم فنبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين) والتبيط رد الانسان عن الشيء الذي يفعله قال ابن عباس يريد خذلهم وكسبهم عن الخروج وقال في رواية أخرى حبسهم قال مقاتل وأوحى الى قلوبهم أقعدوا مع القاعدين وقد بين سبحانه حكمته في هذا التبيط والخذلان قبل وبعد فقال (انما يستأذن الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتأت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبياءهم فنبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين) فلما تركوا الايمان به وبلغائه وارتأوا بما لا ريب فيه ولم يريدوا الخروج في طاعة الله ولم يستعدوا له ولا اخذوا أهبة ذلك كره سبحانه انبياءه من هذا شأنه فان من لم يرفع به وبرسوله أو كتابه رأسه ولم يقبل هديته انى أهداها اليه على يد أحب

خافه اليه وأكرمهم عليه ولم يعرف قدر هذه النعمة ولا شكرها بل بدلها كفرًا فان طاعة هذا وخروجه مع رسوله يكرهه الله سبحانه فبطله لئلا يقع ما يكره من خروجه وأوحى الى قلبه قدر اوكونا أن يقعد مع القاعدین ثم اخبر سبحانه عن الحكمة التي تتعلق بالمؤمنين في تبطل هؤلاء عنهم فقال (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولأضعوا) والخيال الفساد والاضطراب فلو خرجوا مع المؤمنين لافسدوا عليهم امرهم فافقوا بينهم الاضطراب والاختلاف قال ابن عباس ما زادوكم الا خبالاً عجزا وجبنًا يعني ينجبونها عن لقاء العدو بتحويل امرهم وتعليقهم في صدورهم ثم قال ولا وضعوا خلالكم أى اسرعوا في الدخول بينكم للتفريق والافساد قال ابن عباس يريد ضعفوا شجاعتكم معنى بالتفريق بينهم لتفرق الكلمة فيجبنوا عن العدو وقال الحسن لا وضعوا خلالكم بالنميمة لافساد ذات الين وقال الكلبي ساروا بينكم يبعونكم العيب قال ليد

أرانا مؤمنين حتم عيب وسحر بالطعام والشراب

أى مسرعين ومنه قول عمر بن أبى ربيعة

تياهن بالمرقان لما عرفنى وقان امرؤ باغ أكلوا وضعا

أى اسرع حتى كالت مطيته (يبعونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) قال قتادة وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم وقال ابن اسحاق وفيكم قوم اهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم ومعناه على هذا القول وفيكم اهل سمع وطاعة لهم لو صحبهم هؤلاء المنافقون افسدوهم عليكم قلت فضمن سماعين معنى مستجيبين وقال مجاهد وابن زيد والكلبي لافى وفيكم عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم أى جواسيس والقول هو الاول كما قال تعالى سماعون للكذب اى قائلون له ولم يكن في المؤمنين جواسيس للمنافقين فان المنافقين كانوا مختلطين بالمؤمنين ينزلون معهم ويرحلون ويصلون معهم ويخالسونهم ولم يكونوا متجيزين عنهم قد ارسلوهم فيهم العيون ينقلون اليهم اخبارهم فان هذا انما يفعله من الخائن طائفة ولم يخالفها وأرصد بينهم عيوناً له فالقول قول قتادة وابن اسحاق والله أعلم فان قيل انبغاثهم الى طاعته طاعة له فكيف يكرهها اذا كان سبحانه يكرهها فهو يحب ضدها لا محالة إذ كراهة أحد الضدين تستلزم محبة الضد الآخر فيكون قعودهم محبوا له فكيف يعاقبهم عليه قيل هذا سؤال له شأن وهو من أكبر الاسئلة في هذا الباب وأجوبة الطوائف على حسب أصولهم فالجيرية تحجب عنه بان أفعاله لا تعمل بالحكم والمصالح وكما يمكن فهو جائز عليه ويجوز أن يعذبهم على فعل ما يحبه ويرضاه وترك ما يبغضه ويسخطه والجميع بالنسبة اليه سواء وهذه الفرقة قد سدت على نفسها باب الحكمة والتعليل والقدرية تحجب عنه على أصولها بانه سبحانه لم يبطئهم حقيقة ولم ينمهم بل هم منعوا أنفسهم ونبطوها عن الخروج وفعلوا ما لا يريد ولما كان في خروجهم المفسدة التي ذكرها الله سبحانه التي في نفوسهم كراهة الخروج مع رسوله قالوا وجعل سبحانه القاء كراهة الانبعاث في قلوبهم كراهة مشيئة من غير أن يكره هو سبحانه انبعاثهم فانه أمرهم به قالوا وكيف يأمرهم بما يكرهه ولا يخفى على من نور الله بصيرته فساد هذين الجوابين وبعدهما من دلالة القرآن فالجواب الصحيح انه سبحانه أمرهم بالخروج طاعة له ولامره واتباعا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصرة له وللمؤمنين وأحب ذلك منهم ورضيه لهم ديناً وعلم سبحانه ان خروجهم لو خرجوا لم يقع على هذا

الوجه بل يكون خروجهم خذلان لرسوله وللمؤمنين فكان خروجاً يتضمن خلاف ما يحبه ويرضاه ويستلزم وقوع ما يكرهه ويبغضه فكان مكرهاً له من هذا الوجه ومحبوباً له من الوجه الذي خرج عليه أوليائه وهو يعلم أنه لا يقع منهم إلا على الوجه المكروه إليه فكرهه وعاقبهم على ترك الخروج الذي يحبه ويرضاه لأعلى ترك الخروج الذي يبغضه ويسخطه وعلى هذا فليس الخروج الذي كرهه منهم طاعة حتى لو فعلوه لم يشبههم عليه ولم يرزهم منهم وهذا الخروج المكروه له ضدان أحدهما الخروج المرضى المحبوب وهذا الضد هو الذي يحبه والثاني التخلف عن رسوله والتمسك عن الغزو معه وهذا الضد يبغضه ويكرهه أيضاً وكراسته للخروج على الوجه الذي كانوا يخرجون عليه لا ينافي كراسته لهذا الضد فتقول للسائل قعودهم مبعوض له ولكن ههنا أمران مكروهان له سبحانه وأحدهما أكره له من الآخر لأنه أعظم مفسدة فإن قعودهم مكروه له وخروجهم على الوجه الذي ذكره أكره إليه ولم يكن لهم بد من أحد المكروهين إليه سبحانه فدفغ المكروه الأعلى بالمكروه الأدنى فإن مفسدة قعودهم عنه أصغر من مفسدة خروجهم معه فإن مفسدة قعودهم تخص بهم ومفسدة خروجهم تعود على المؤمنين فتأمل هذا الموضع فإن قلت فهلا وفقهم للخروج الذي يحبه ويرضاه وهو الذي خرج عليه المؤمنون قلت قد تقدم جواب مثل هذا السؤال مراراً وإن حكمته سبحانه تأتي أن يضع التوفيق في غير محله وعند غير أهله فآله أعلم حيث يجعل هدايته وتوفيقه وفضله وليس كل محل يصلح لذلك ووضع الشيء في غير محله لا يليق بحكمته فإن قلت وعلى ذلك فهلا جعل المحال كلها صالحة قلت يأباه كمال ربوبيته وملكوته وظهور آثار أسماؤه وصفاته في الخلق والأمر وهو سبحانه لو فعل ذلك لكان محبوباً له فانه يجب أن يذكر ويشكر ويطاع ويوحده ويعبد ولكن كان ذلك يستلزم فوات ما هو أحب إليه من استواء أقدام الخلائق في الطاعة والإيمان وهو محبة لحماز أعدائه والانتقام منهم وإظهار قدر أوليائه وشرفهم وتخصيصهم بفضله وبذل نفوسهم له في معاداة من عاداه وظهور عزته وقدرته وسطوته وشدة أخذه وأليم عقابه وأضعاف أضعاف هذه الحكم التي لا سبيل للخلق ولو تناهوا في العلم والمعرفة إلى الاحاطة بها ونسبة ما عقلوه منها إلى ما خفي عليهم كمنقرة عصفور في بحر


(فصل ١٠) وأما التزيين فقال تعالى (وكذلك زيننا لكل أمة عمامهم) وقال آفان زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقال (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فاضاف التزيين إليه منه سبحانه خلقاً ومشيئة وحذف فاعله تارة ونسبه إلى سببه ومن أجراء على يده تارة وهذا التزيين سبحانه حسن إذ هو ابتلاء واختبار بعد لتمييز المطيع منهم من العاصي والمؤمن من الكافر كما قال تعالى (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لتبلوهم أيهم أحسن عملاً) وهو من الشيطان قبيح وأيضاً قزينة سبحانه للبعد عمله السيئ عقوبة منه له على اعراضه عن توحيده وعبوديته وإثارة سيئ العمل على حسنه فانه لا بد أن يعرفه سبحانه السيئ من الحسن فإذا أثر القبيح واختاره وأحبه ورضيه لنفسه زينه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحه بعد أن رآه قبيحاً وكل ظالم وفاجر وفاسق لا بد أن يرى الله تعالى ظلمه وغفوره وفسقه قبيحاً فإذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه فربما رآه حسناً عقوبة له فانه إنما يكشف له عن قبحه بالنور الذي في قلبه وهو حجة الله عليه فإذا تمادى في غيه وظلمه ذهب

ذلك النور فلم يرقبه في ظلمات الجهل والفسوق والظلم ومع هذا خُفِجَ الله قائمة عليه بالرسالة وبالعرش الأول فترين الرب تعالى عدل وعقوبته حكمة وتزيين الشيطان إغواء وظلم وهو السبب الخارج عن العبد والسبب الداخِل فيه حبه وبغضه وأعراضه والرب سبحانه خالق الجميع والجميع واقع بمشيئته وقدرته ولولاء لهدى خلقه أجمعين والمعصوم من عصمه الله والمُخَذَّل من خذله الله أَلَا اله الخالق والأمر تبارك الله رب العالمين

(فصل) وأما عدم مشيئته سبحانه وإرادته فكما قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطلع قلوبهم) وقال (ولوشئنا لأتينا كل نفس هداها) ولولاء ربك لا من من في الأرض كلهم جميعا) وعدم مشيئته لاشئ مستلزم لعدم وجوده كما أن مشيئته تستلزم وجوده فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده وقد أخبر سبحانه أن العباد لا يشاؤون إلا بعد مشيئته ولا يفعلون شيئا إلا بعد مشيئته فقال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وقال (وما يدركون إلا أن يشاء الله) فان قيل فهل يكون الفعل مقدورا للعبد في حال عدم مشيئة الله له أن يفعله قيل إن أريد بكونه مقدورا سلامة آلة العبد التي يتمكن بها من الفعل وصحة أعضائه ووجود قواه وتمكينه من أسباب الفعل وتهبته طريق فعله وفتح الطريق له فنعم هو مقدور بهذا الاعتبار وإن أريد بكونه مقدورا القدرة المقارنة للفعل وهي الموجبة له التي إذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل فليس بمقدور بهذا الاعتبار وتقرر ذلك أن القدرة نوعان قدرة مصححة وهي قدرة الأسباب والشروط وسلامة الآلة وهي مناط التكليف وهذه متقدمة على الفعل غير موجبة له وقدرة مقارنة للفعل مستلزمة له لا يتخلف الفعل عنها وهذه ليست شرطا في التكليف فلا يتوقف صحته وحسنه عليها فإيمان من لم يشأ الله إيمانه وطاعة من لم يشأ طاعته مقدور بالاعتبار الأول غير مقدور بالاعتبار الثاني وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف ما لا يطاق كما يأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى فإذا قيل هل خالق لمن علم أنه لا يؤمن قدرة على الإيمان أم لم يخلق له قدرة قيل خالق له قدرة مصححة متقدمة على الفعل هي مناط الأمر والنهي ولم يخلق له قدرة موجبة للفعل مستلزمة له لا يتخلف عنها فهذه فضله يؤتية من يشاء وتلك عدله التي تقوم بها حاجته على عبده فان قيل فهل يتمكن الفعل ولم يخلق له هذه القدرة قيل هذا هو السؤال السابق بعينه وقد عرفت جوابه وبالله التوفيق

(فصل) وأما إمامة قلوبهم ففي قوله (أنك لا تسمع الموتى) وقوله (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقوله (لينذر من كان حيا) وقوله (وما أنت بمسمع من في القبور) فوصف الكافر بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور وذلك أن القلب الحي هو الذي يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره فإذا مات القلب لم يبق فيه احساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا إرادة للحق وكراهة للباطل بمنزلة الجسد الميت الذي لا يحس بلذة الطعام والشراب ولم يفدعهما وكذلك وصف سبحانه كتابه ووحيه بأنه روح لحصول حياة القلب به فيكون القلب حيا ويزداد حياة بروح الوحي فيحصل له حياة على حياة ونور على نور نور الوحي على نور الفطرة قال (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فجعله روحا لما يحصل

به من الحياة ونور الما يحصل به من الهدى والاضاءة وذلك نور وحياة زائدة على نور الفطرة وحياتها فهو نور على نور وحياة على حياة ولهذا يضرب سبحانه لمن عدم ذلك مثلاً بمسوقد النار التي ذهب عنه ضوؤها وبصاحب الصيب الذي كان حظه منه الصواعق والظلمات والرعد والبرق فلا استتار بما أوقد من النار ولا حي بما في الصيب من الماء ولذلك ضرب هذين المثلين في سورة الرعد لمن استجاب له فحصل على الحياة والنور ولمن لم يستجب له وكان حظه الموت والظلمة فاخبر عن أمسك عنه نوره بأنه في الظلمة ليس له من نفسه نور فقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) ثم ذكر من أمسك عنه هذا النور ولم يجعله له فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظلمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) أو كظلمات في بحر لحى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم التي عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله وقال تعالى (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ الله يجعله على صراط مستقيم) وهذه الظلمات ضد الانوار التي يتقلب فيها المؤمن فان نور الايمان في قلبه ومدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور ومشيته في الناس نور وكلامه نور ومصيره الى نور والكافر بالصد* ولما كان النور من أسمائه الحسنی وصفاته كان دينه نورا ورسوله نورا وكلامه نورا وداره نورا يتلأ* والنور يوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجرى على السنتهم ويظهر على وجوههم وكذلك لما كان الايمان واسمه المؤمن لم يعطه الا أحب خلقه اليه وكذلك الاحسان صفته وهو الحسن ويجب المحسنين وهو صابر يجب الصابرين شاكر يجب الشاكرين غفور يجب أهل الغفر حتى يجب أهل الحياء ستر يجب أهل الستر قوى يجب أهل القوة من المؤمنين عليم يجب أهل العلم من عباده جواد يجب أهل الجود جميل يجب المتجملين ير يجب الاررار رحيم يجب الرحماء عدل يجب أهل العدل رشيد يجب أهل الرشده وهو الذي جعل من يحبه من خلقه كذلك وأعطاء من هذه الصفات ماشاء وأمسكها عن يفيضه وجعله على أضدادها فهذا عدله وذاك فضله والله ذو الفضل العظيم

فصل  وأما جعله القلب قاسية فقال تعالى (فما نقصهم ميتاتهم لنعامهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) والقسوة الشدة والصلابة في كل شيء يقال حجر قاس وأرض قاسية لا تثبت شيئا قال ابن عباس قاسية عن الايمان وقال الحسن طبع عليها والقلوب ثلاثة قلب قاس وهو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ولا تطيع فيه وضده القلب اللين المتعاسك وهو السليم من المرض الذي يقبل صورة الحق بليته ويحفظه بتأسكه بخلاف المرضى الذي لا يحفظ ما تطيع فيه يلعانه ورخاوة كالمائع الذي اذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين ولكن رخاوة تمنعه من حفظها خفي القلوب القلب الصلب الصافي اللين فهو يرى الحق بصفاته ويقبله بليته

ومخفظة بصلابته وفي المسند وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم القلوب آية الله في أرضه فاجبها اليه أصنامها وأرقمها وأصفاها وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله (ليجعل ما ياتي الشيطان فتنه للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليلعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) فذكر القلب المريض وهو الضعيف المتحل الذي لا تثبت فيه صورة الحق والقلب القاسي اليابس الذي لا يقبل ولا تنطق فيه فهذان القلبان شقيان معذبان ثم ذكر القلب الخبت المظلم إلى وهو الذي يتنفع بالقرآن ويذكره قال الكلبي فتخبت له قلوبهم فترق القرآن قلوبهم وقد بين سبحانه حقيقة الاختبات ووصف الخبتين في قوله (وبشر الخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مأسأهم والمقيمي الصلاة وما رزقناهم ينفقون) فذكر له مختارين أربع علامات وجل قلوبهم عند ذكره والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة وصبرهم على أقداره وآياتهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرا وباطنا واحسانهم الى عبادهم بالانفاق مما آتاهم وهذا إنما يتأتى للقلب الخبت قال ابن عباس الخبتين المتواضعين وقال مجاهد المظلمتين الى الله وقال الأخفش الخاشعين وقال ابن جرير الخاضعين قال الزجاج اشتقاقه من الخبت وهو المنخفض من الأرض وكل تخبت متواضع فالاختبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله* فإن قيل فإذا كان معناه التواضع والخشوع فكيف عدى بالي في قوله (واخبتوا الى ربهم) قيل ضمن معنى أنابوا واطمأنوا وتابوا وهذه عبارات السلف في هذا الموضع والمقصود ان القلب الخبت ضد القاسي والمريض وهو سبحانه الذي جعل بعض القلوب مخبتا اليه وبعضها قاسيا وجعل للنسوة آثارا وللأختبات آثارا فمن آثار النسوة تحريف الكلام عن مواضعه وذلك من سوء الفهم وسوء القصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب ومنها نسيان ما ذكر به وهو ترك ما أمر به علما وعملا ومن آثار الاختبات وجل القلوب لذكره سبحانه والصبر على أقداره والاخلاص في عبادته والاحسان الى خلقه

﴿فصل﴾ وأما تضيق الصدر وجعله حرجا لا يقبل الايمان فقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) والحرج هو الشديد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم يقال رجل حرج وحرج أى ضيق الصدر قال الشاعر * لا حرج الصدر ولا عنيف * وقال عبيد بن عمير قرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قالوا الوادى الكثير الشجر الذى لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال أيتونى رجلا من كنانة واجعلوه راعيا فأنوده فقال عمر يافى ما الحرجة فيكم فقال الشجرة تحرق بها الأشجار الكثيرة فلا تصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب الكافر لا يصل اليه شئ من الخير قال ابن عباس يجعل صدره ضيقا حرجا إذا سمع ذكر الله أشمأز قلبه وإن ذكر شئ من عبادة الأصنام ارتاح الى ذلك ولما كان القلب محلا للمعرفة والعلم والحجة والاثابة وكانت هذه الاشياء إنما تدخل في القلب إذا اتسع لها فإذا أراد الله هداية عبد وسع صدره وشرحه فدخلت فيه وسكنته وإذا أراد ضلاله ضيق صدره وأحرجه فلم يجد محلا يدخل فيه فيعدل عنه ولا يساكنه وكل أناة فارغ إذا دخل فيه الشئ ضاق به وكلما أفرغت فيه الشئ ضاق الا القلب البين فكلما أفرغ فيه الايمان والعلم اتسع وانفسح

وهذا من آيات قدرة الرب تعالى وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل
التور القلب انفسح وانشرح قالوا فما علامة ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله فشرح الصدر من أعظم أسباب الهدى وتضييقه من
أسباب الضلال كما ان شرحه من أجل النعم وتضييقه من أعظم النقم فالنعم منشرح الصدر منفسحه
في هذه الدار على ما ناله من مكروهها واذا قوى الايمان وخالطت بشاشته القلوب كان على مكارهها انشرح
صدرا منه على شهواتها ومحايها فاذا فارقتها كان انفساح روحه والشرح الحاصل له بفراقها أعظم
بكثير كحال من خرج من سجن ضيق الى قضاء واسع موافق له فانها سجن المؤمن فاذا بعث الله
يوم القيامة رأى من انشراح صدره وسعته ما لا نسبة لما قبله اليه فشرح الصدر كأنه سبب الهداية فهو
أصل كل نعمة وأساس كل خير وقد سأل كلهم الرحمن موسى بن عمران وبه أن يشرح له صدره لما علم
انه لا يمكن من تبليغ رسالته والقيام بابعائها الا اذا شرح له صدره وقد عدد سبحانه من نعمه على
خاتم أنبيائه ورسله شرح صدره له وأخبر عن اتباعه انه شرح صدورهم للإسلام* فان قلت فما الاسباب
التي تشرح الصدور والتي تضيقه قلت السبب الذي يشرح الصدر الثور الذي يقذه الله فيه فاذا دخله
ذلك النور اتسع بحسب قوة النور وضعفه واذا فقد ذلك النور أضلم وتضيق* فان قلت فهل يمكن
اكتساب هذا النور أم هو وهى قات هو وهى وكسبى واكتسابه أيضا مجرد موهبة من الله تعالى
فالامر كله لله والحمد كله له والخير كله بيديه وليس مع العبد من نفسه شئ البتة بل الله واهب الاسباب
ومسبباتها وجاعلها أسبابا ومانعها من يشاء ومانعها من يشاء اذا أراد بعبد خيرا وفقه لاستفراغ
وسعه وبذل جهده في الرغبة والرهبة اليه فانهما مادتا التوفيق فيفسد قيام الرغبة والرهبة في
القلب يحصل التوفيق* فان قلت فالرغبة والرهبة بيده لا بيد العبد قلت نعم والله وهما مجرد فضله
ومنته وانما يجعلاهما في المحل الذي يليق بهما ويحبسهما عن لا يصلح لهما فان قلت فما ذنب من لا يصلح
قلت أكبر ذنوبه انه لا يصلح لأن صلاحيته بما اختاره لنفسه وآثره واجبه من الضلال والغى على
بصيرة من أمره فآثر هواه على حقربه ومرضاته واستحب العمى على الهدى وكان كفر المنعم عليه بصفوف
النعم وجحداً لهيئته والشرك به والسعى في مساخطه أحب اليه من شكره وتوحيده والسعى في مرضاته
فهذا من عدم صلاحيته لتوفيق خالقه ومالكة وأى ذنب فوق هذا فاذا أمسك الحكم العدل توفيقه
عن هذا شأنه كان قد عدل فيه وانسدت عليه أبواب الهداية وطرق الرشاد فانظّم قلبه فضاق عن
دخول الاسلام والايمان فيه فلوجاهته كل آية لم تزده الا ضلالا وكفرا واذا تأمل من شرح الله صدره
للالسلام والايمان هذه الآية وما تضمنته من أسرار التوحيد والعدل وعظيمة شأن الربوبية
صار لقلبه عبودية أخرى ومعرفة خاصة وعلم انه عبد من كل وجه وبكل اعتبار وان الرب تعالى
رب كل شئ ومليكه من الاعيان والصفات والأفعال والامر كله بيده والحمد كله له وأزمة الامور
بيده ومرجمها كلها اليه ولهذه الآية شأن فوق عقولنا وأجل من أفهامنا وأعظم مما قال فيها المتكلمون
الذين ظله وهامعناها وأنفسهم كانوا يظلمون بالله لقد غاظ عنها حجابهم وكفّت عنها أفهامهم وضعتهم
من الوصول الى المراد بها أصولهم التي أصولها وقواعدهم التي أسسوها فانها تضمنت اثبات التوحيد
والعدل الذي بعث الله به رساله وأنزل به كتبه والعدل الذي يقوله معطلو الصفات ونفاة القدر

وتضمنت اثبات الحكمة والقدر والشرع والقدر والسبب والحكم والذنب والعقوبة ففتحت للقلب الصحيح بابا واسما من معرفة الرب تعالى بآبائيه وصفاته كآله ونعوت جلاله وحكمته في شرعه وقدره وعدله في عقابه وفضله في ثوابه وتضمنت كمال توحيد ورؤيته وقبومته وإلهيته وإن مصادر الأمور كلها عن محض إرادته ومرادها إلى كمال حكمته وإن المهدي من خصه الله بهدياته وشرح صدره لدينه وشرعته وإن الضال من جعل صدره ضيقا حرجا عن معرفته ومحبه كآئنا يتصاعد في السماء وليس ذلك في قدرته وإن ذلك عدل في عقوبته لمن لم يقدره حق قدره وسجد كمال رؤيته وكفر بنعمته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته فسد عليه باب توفيقه وهدياته وفتح عليه أبواب غيه وضلاله فضاقت صدره وقسا قلبه وتعطلت من عبودية ربها حوارحه وامتلاّت بالظلمة جوارحه والذنب له حيث أعرض عن الإيمان واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان ورضى عموالة الشيطان وهانت عليه معاداة الرحمن فلا يتحدث نفسه بالرجوع إلى مولاه ولا يعزم يوما على إقلاعه عن هواه قد ضلّ الله في أمره بحب ما يبغضه وببغض ما يحبه ويؤلى من يعاديه ويعادى من يواليه يغضب إذا رضى الرب ويرضى إذا غضب هذا وهو يتقلب في أحسانه ويسكن في داره ويتغذى برزقه ويتقوى على معاصيه بنعمه فمن أعدل منه سبحانه غما يصفه به الجاهلون والظالمون إذا جعل الوحي على أمثال هذا من الذين لا يؤمنون

فصل وادّشّر الله صدر عبده بنوره الذي يقذفه في قلبه أراه في ضوء ذلك النور حقائق الاسماء والصفات التي تضل فيها معرفة العبد اذ لا يمكن أن يعرفها العبد على ما هي عليه في نفس الامر وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الإيمان وحقائق العبودية وما يصححها وما يفسدها وتفاوت معرفة الاسماء والصفات والإيمان والاخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في هذا النور قال تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) فيكشف لقلب المؤمن في ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الأعلى مستويا على عرش الإيمان في قلب العبد المؤمن فيشهد بقلبه رباعظيا قاهرا قادرا أكبر من كل شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله السموات السبع قبضة إحدى يديه والأرضون السبع قبضة اليد الأخرى يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والحيال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك فالسموات السبع في كفه كخردلة في كف العبد يحيط ولا يحاط به ويحصر خلقه ولا يحصرونه ويدركهم ولا يدركونه لو أن الناس من لدن آدم إلى آخر الخلق قاموا صفوا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ثم يشهد في علمه فوق كل عليم وفي قدرته فوق كل قدير وفي جوده فوق كل جواد وفي رحمته فوق كل رحيم وفي جلاله فوق كل جليل حتى لو كان جمال الخلق كلهم على شخص واحد منهم ثم أعطى الخلق كلهم مثل ذلك الجمال لكانت نسبته إلى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس ولو اجتمعت قوى الخلق على شخص واحد منهم ثم أعطى كل منهم مثل تلك القوة لكانت نسبته إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حمة العرش ولو كان جودهم على رجل واحد وكل الخلق على ذلك الجود لكانت نسبته إلى جوده دون نسبة قطرة إلى

البحر وكذلك علم الخلائق اذا نسب الى علمه كان كمنقورة عصفور من البحر وكذلك سائر صفاته كحياته وسمعه وبصره وارادته فلو فرض البحر المحيط بالارض مدادا محيط به سبعة ابحر وجميع أشجار الارض شيئا بعد شيء اقلام لفتى ذلك المداد والاقلام ولافتى كلماته ولافتد فهو أكبر في علمه من كل عالم وفي قدرته من كل قادر وفي جوده من كل جواد وفي غناه من كل غنى وفي علوه من كل عال وفي رحمته من كل رحيم استوى على عرشه واستولى على خلقه متفرد بتدبير مملكته فلا قبض ولا بسط ولا منع ولا هدى ولا ضلال ولا سعادة ولا شقاوة ولا موت ولا حياة ولا نفع ولا ضرر الا بيده لا مالك غيره ولا مدبر سواه لا يستقل أحد معه بملك مثقال ذرة في السموات والارض ولا له شركة في ملكها ولا يحتاج الى وزير ولا ظهور ولا معين ولا يغيب في خلقه غيره ولا يبي فيعينه سواه ولا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه الا من بعد اذنه لمن شاء وفيمن شاء فهو أول مشاهد المرفة ثم يترقى منه الى مشهد فوقه لا يتم الا به وهو مشهد الالهية فيشهد سبحانه متجليا في كاله بأمره ونهيه ووعد ووعده وثواب وعقابه وفضله في ثوابه فيشهد ربا قيوما متكلما آمرا ناهيا يحب ويبغض ويرضى ويبغض قد أرسل رسله وأنزل كتبه وأقام على عباده الحجة البالغة وأتم عليهم نعمته السانعة يهدى من يشاء منه نعمة وفضلا ويضل من يشاء حكمة منه وعدلا ينزل اليهم أوامره وتعرض عليه أعمالهم لم يخلتهم عبنا ولم يتركهم سدى بل أمره جار عليهم في حركاتهم وسكناتهم وظواهرهم وبواطنهم فله عليهم حكم وأمر في كل تحريك وتسكينة ولحظة ولقطة وينكشف له في هذا النور عدله وحكمته ورحمته وإلقائه وإحسانه وبره في شرعه وأحكامه وإنها أحكام رب رحيم محسن لطيف حكيم قد بهرت حكمته العقول وأقرت بها الفطر وشهدت لمنزلها بالوحداية ولمن جاء بها بالرسالة والنسوة وينكشف له في ضوء ذلك النور اثبات صفاته الكمال وتنزهه سبحانه عن التقص والمثال وان كل كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحق به وأولى وكل نقص وعيب فهو سبحانه منزّه متعال عنه وينكشف له في ضوء هذا النور حقائق المعاد واليوم الآخر وما أخبر به الرسول عنه حتى كأنه يشاهده عيانا وكأنه يخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأمره ونهيه ووعد ووعده وإخبار من كأنه قد رأى وعابن وشاهد ما أخبر به فن أراد سبحانه هدايته شرح صدره لهذا فاتسع له وانفسح ومن أراد ضلالتة جعل صدره من ذلك في ضيق وحرر لا يجذبه مسلكا ولا منفذا والله الموفق المعين وهذا الباب يكفي اللبيب في معرفة التقدير والحكمة وإطلاعه على العدل والتوحيد الذي تضمنهما قوله (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالنسط لا إله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام).

الباب السادس عشر

فيما جاء في السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما

هو متفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم

قال البخارى في كتاب خلق أفعال العباد حدثنا علي بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك

عن ربيع بن خراش عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يصنع كل صانع وصنعه قال البخارى وتلا بعضهم عند ذلك (والله خلقكم وما تعملون) حدثنا محمد أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة نحوه موقوفا عليه وأما استشهاد بعضهم بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) بحمل ماعلى المصدر أى خلقكم وأعمالكم فالظاهر خلاف هذا وانها موصولة أى خالقكم وخلق الاصنام التى تعملونها فهو يدل على خلق أعمالهم من جهة الزوم فان الصنم اسم للآلة التى حل فيها العمل المخصوص فاذا كان مخلوقا لله كان خلقه متناولا لمادته وصورته قال البخارى وحدثنا عمرو بن محمد حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن طاووس عن ابن عمر كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك قال البخارى وحدثني اسماعيل قال حدثني مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر حتى العجز والكس ورواه مسلم في تحيجه عن طاووس وقال سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكس قال البخارى وقال ليث عن طاووس عن ابن عباس (انا كل شئ بخلقناه بقدر) حتى العجز والكس قال البخارى سمعت عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة قال البخارى حرركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتاباتهم مخلوقة وقال جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انه استخبرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمى حاجته قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح فقوله اذا هم أحدكم بالأمر صريح في أنه الفعل الاختيارى المتعلق بإرادة العبد واذا علم ذلك فقوله استقدرك بقدرتك أى أسألك أن تقدرنى على فعله بقدرتك ومعلوم انه لم يسأل القدرة المصححة التى هى سلامة الاعضاء وصحة البنية وانما سأل القدرة التى توجب الفعل فعمل انما مقدورة لله ومخلوقة له وأكد ذلك بقوله فانك تقدر ولا أقدر أى تقدر أن تجعلنى قادرا فاعلا ولا أقدر أن أجعل نفسى كذلك وكذلك قوله تعلم ولا أعلم أى حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلاتها والنافع منها والضرار عندك وليس عندى وقوله يسر لى أو اصرفه عني فانه طلب من الله تيسيره ان كان له فيه مصاحبة وصرفه عنه ان كان فيه مفسدة وهذا التيسير والصرف متضمن للقاء داعية الفعل في القلب أو اللقاء لداعية الترك فيه ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل وداعية الترك أمتنع الفعل وعند القدرة ترجيح فاعلية العبد على الترك منه ليس للرب فيه صنع ولا تأثير فطلب هذا التيسير منه لامعنى له عندهم فان تيسير الاسباب التى لاقدرة للعبد عليها موجود ولم يسأله العبد وقوله ثم رضني به يدل على ان حصول الرضا وهو فعل اختياري من أفعال القلوب أمر مقدور للرب تعالى وهو الذى يجعل نفسه راضيا وقوله فأصرفه عني واصرفني عنه صريح في أنه سبحانه هو الذى يصرف عبده عن فعله الاختيارى اذا شاء صرفه عنه كما قال تعالى في حق يوسف الصديق (كذلك لنصرف عنه

السوء والفحشاء) وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعي القلب وميله اليهما فينصرفان عنه بصرف
دواعيهما وقوله وأقدر لي الخير حيث كان يعم الخير المقدور للعبد من طاعته وغير المقدور له فلم ان
فصل العبد للطاعة والخير أمر مقدور لله ان لم يقدره الله لعبد لم يقع من العبد ففي هذا الحديث
الشفاء في مسألة القدر وأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الداعي به ان يقدم بين يدي هذا الدعاء
ركعتين عبودية منه بين يدي نجهواه وان يكونا من غير الفريضة ليتجدد فعلهما لهذا الغرض المطلوب
ولما كان الفعل الاختياري متوقفا على العلم والقدرة والارادة لا يحصل الا بها توسل الداعي الى الله
بعلمه وقدرته وارادته التي يؤتيه بها من فضله وأكد هذا المعنى بتجرده وبرائه من ذلك فقال انك
تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأمر الداعي أن يعلق التيسير بالخير والصرف بالشر وهو علم الله سبحانه
تحقيقا للتفويض اليه واعترافاً بجعل العبد بمواقب الامور كما اعترف بعجزه ففي هذا الدعاء اعطاء
العبودية حقها واعطاء الربوبية حقها وبالله المستعان • وفي الترمذي وغيره من حديث الحسن بن علي
قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن
عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضي عليك انه
لا يذل من واليت تباركت وتعاليت • فقوله اهدني سؤال للهداية المطلقة التي لا يتخلف عنها الاهتداء
وعند القدرة ان الرب سبحانه وتعالى عن قولهم لا يقدر على هذه الهداية وانما يقدر على هداية
البيان والدلالة المشتركة بين المؤمنين والكفار وقوله فيمن هديت فيه فوائد أحدها أنه سؤال له
أن يدخله في جملة المهديين وزمرتهم ورفقتهم الثانية توسل اليه باحسانه وانعامه أي ياربي قد هديت
من عبادك بشرا كثيرا فضلائك واحسانا فاحسن الي كما أحسنت اليهم كما يقول الرجل للملك
احماني من جملة من أغنيته وأعطيته وأحسنته اليه الثالثة ان يحصل الاولئك من الهدى لم يكن منهم
ولا بانفسهم وانما كان منك فانت الذي هديتهم وقوله وعافني فيمن عافيت انما يسأل ربه العافية المطلقة
وهي العافية من الكفر والفسوق والمصيان والغفلة والاعراض وفعل ما لا يحبه وترك ما يحبه فهذا
حقيقة العافية ولهذا ما سأل الرب شيئا أحب اليه من العافية لانها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله
وأسبابه وقوله وتولني فيمن توليت سؤال للتولي الكامل ليس المراد به ما فعله بالكافرين من خلق
القدرة وسلامة الآلة وبيان الطريق فان كان هذا هو ولايته للمؤمنين فهو ولي الكفار كما هو ولي
المؤمنين وهو سبحانه يتولى أولياءه بامور لا توجد في حق الكفار من توفيقهم والهامهم وجعلهم
مهيئين مطيعين وبدل عليه قوله انه لا يذل من واليت فانه منصور عزيز غالب بسبب توليك له وفي
هذا تنبيه على أن من حصل له ذل في الناس فهو بنقصان ما فاته من من تولى الله والافع الولاية الكاملة
ينبغي الذل كله ولوسلط عليه بالاذى من في أقطارها فهو العزيز غير الذليل وقوله وقني شر ما قضيت
يتضمن ان الشر بقضائه فانه هو الذي يقني منه وفي المسند وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعاذ بن جبل يا معاذ والله اني لاحبك فلانكس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك وهذه أفعال اختيارية وقد سأل الله أن يعينه على فعلها وهذا الطلب لامعنى
له عند القدرة فان الاعانة عندهم الاقدار والتمكين وازاحة الاعذار وسلامة الآلة وهذا حاصل
للسائل وللکفار أيضا والاعانة التي سألتها أن يجعلها ذاكرة شاكرة محسنة لعبادته كما في حديث ابن

عباس عنه صلى الله عليه وسلم في دعائه المشهور رب أعني ولا تمن علي وانصرني ولا تنصر علي وأمكرني ولا تمكر علي وأهدني ويسر الهدي لي وانصرني علي من بقي علي رب اجعلني لك شكرا لك ذكرا لك رهبا لك مطوعا لك محببا إليك أو اها منيبا رب قبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبى وسدد لساني واسلل سخيمة صدرى رواه الامام أحمد في المستند وفيه أحد وعشرون دليلا قاطعا وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد انقضاء صلاته لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وكان يقول ذلك الدعاء عند اعتداله من الركوع ففي هذا نفى الشريك عنه بكل اعتبار واثبات عموم الملك له بكل اعتبار واثبات عموم الحمد واثبات عموم القدرة وان الله سبحانه اذا أعطى عبدا فلا مانع له واذا منعه فلا معطي له وعند القدرة ان العبد قد يمنع من أعطى الله ويعطى من منعه فانه يفعل باختياره عطاء ومنعاً لم يشأ الله ولم يحمله معطيا مانعا فيقتصرون أن يكون لمن أعطى مانع ولن يمنع معط وفي الصحيح ان رجلا سأله أن يدلّه على عمل يدخل به الجنة فقال انه ليسير على من يسره الله عليه فدل على ان التيسير الصادر من قبله سبحانه يوجب اليسر في العمل وعدم التيسير يستلزم عدم العمل لانه ملازمه والملازم يتفق لانتفاء لازمه والتيسير بمعنى التمكين وخلق الفعل وازاحة الاعذار وسلامة الاعضاء حاصل للمؤمن والكافر والتيسير المذكور في الحديث أمر آخر وراء ذلك وبالله التوفيق والتيسير وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لابي موسى الا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله وقد أجمع المساهون على هذه الكلمة وتلقاها بالتبجيل وهي شافية كافية في اثبات القدر وإبطال قول القدرة وفي بعض الحديث اذا قالها العبد قال الله أسلم عبدي واستسلم وفي بعضه فوض الى عبدي قال بعض المنتسبين للقدر لما كانت القدرة بالنسبة الى الفعل والى الترك بحصول الدواعي على التسوية ومادام الامر كذلك امتنع صدور الفعل فاذا رجح جانب الفعل على الترك بحصول الدواعي وازالة الصوارف حصل الفعل وهذه القوة هي المشار اليها بقولنا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وشأن الكلمة أعظم مما قال فان العالم العلوى والسفلى له شمول من حال الى حال وذلك التحول لا يقع الا بقوة يقع بها التحول فكذلك الحول وتلك القوة قائمة بالله وحده ليست بالتحويل فيدخل في هذا كل حركة في العالم العلوى والسفلى وكل قوة على تلك الحركة سواء كانت الحركة قسرية أو ارادية أو طيعية وسواء كانت من الوسط أو الى الوسط أو على الوسط وسواء كانت في الكم أو الكيف أو في الالين كحركة الثبات وحركة الطبيعة وحركة الحيوان وحركة الفلك وحركة النفس والقلب والقوة على هذه الحركات التي هي حول فلا حول ولا قوة الا بالله ولما كان الكثر هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كنزا من كنوز الجنة فأوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش وكان قائلاً أسلم واستسلم لمن أزمه الامور بيديه وفوض أمره اليه وفي المسند والسنن عن أبي الداهلي قال آيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شئ من القدر فحدثني بشئ لعل الله يذهب عني من قلبي فقال ان الله لعذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذيبهم وهو غير ظالم لهم ولورحمتهم لكانت رحمة خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله

منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولومت على غير ذلك كنت من أهل النار قال فآيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكل منهم حدثني بمثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه وله شأن عظيم وهو دال على ان من تكلم به أعرف الخلق بالله وأعظمهم له توحيدا وأكثرهم له تعظيما وفيه الشفاء التام في باب العدل والتوحيد فانه لا يزال يحول في نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر والامر والنهي وكيف يجتمع العدل والعقاب على المقضى المقدر الذي لا بد للعبد من فعله ثم سلك كل طائفة في هذا المقام واديا وطريقا فسلكت الجبرية وادى الجبر وطريق المشيئة المحضة الذي يرجح مثلا على مثل من غير اعتبار علة ولا غاية ولا حكمة قالوا وكل ممكن عدل والظلم هو الممتنع لذاته فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان متصرفا في ملكه والظلم تصرف القادر في غير ملكه وذلك مستحيل عليه سبحانه قالوا ولما كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم تكن الاعمال سببا للتجاة فكانت رحمته للامداد هي المستقلة بنجاتهم فكانت رحمته خيرا من أعمالهم وهؤلاء راعوا جانب الملك وعطلوا جانب الحمد والله سبحانه له الملك وله الحمد وسلكت القدرية وادى العدل والحكمة ولم يوفوه حقه وعطلوا جانب التوحيد وحاروا في هذا الحديث ولم يدروا ما وجهه وربما قابله كثير منهم بالكذب والردالة وان الرسول لم يقل ذلك قالوا وأى ظلم يكون أعظم من تعذيب من استغنى أوقات عمره كلها واستفرغ قواه في طاعته وفعل ما يحبه ولم يصبه طرفة عين وكان يعمل بامر دأبا فكيف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ان تعذيب هذا يكون عدلا لظلمه قالوا ولا يقال ان حقه عليهم وما ينبغي له أعظم من طاعتهم فلا تقع تلك الطاعات في مقابلة نعمه وحقوقه فلو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم لانهم اذا فعلوا مقدورهم من طاعته لم يكفوا بفسيره فكيف يعذبون على ترك ما لا قدرة لهم عليه وهل ذلك الامثلة بمعذبتهم على كونهم لم يتخلقوا السموات والارض ونحو ذلك مما لا يدخل تحت مقدورهم قالوا فلا وجه لهذا الحديث الارده أو تأويله وحمله على معنى يصح وهو انه لو أراد تعذيبهم جميعهم أمة واحدة على الكفر فلو عذبهم في هذه الحال لكان غير ظالم لهم وهو لم يقل لو عذبهم مع كونهم مطيعين له عابدين له لعذبهم وهو غير ظالم لهم ثم أخبر انه لو عذبهم بالرحمة لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ثم أخبر انه لا يقبل من العبد عمل حتى يؤمن بالقدر والقدر هو علم الله بالكائنات وحكمه فيها ووقفت طائفة أخرى في وادى الحيرة بين القدر والامر والثواب والعقاب فتارة يغلب عليهم شهود القدر فيغيبون به عن الامر وتارة يغلب عليهم شهود الامر فيغيبون عن القدر وتارة يبقون في حيرة وعمى وهذا كله انما سببه الاصول الفاسدة والقواعد الباطلة التي بنوا عليها ولو جمعوا بين الملك والحمد والربوبية والالهية والحكمة والقدرة وأثبتوا له الكمال المطلق ووصفوه بالقدرة التامة الشاملة والمشيئة العامة النافذة التي لا يوجد كائن الا بعد وجودها والحكمة البالغة التي ظهرت في كل موجود لعلوا حقيقة الامر وزالت عنهم الحيرة ودخلوا الى الله سبحانه من باب أوسع من السموات السبع وعرفوا انه لا يليق بكماله المقدس الا ما أخبر به عن نفسه على السنة رساله وان مخالفه ظنون كاذبة وأوهام باطلة تولدت بين أفكار باطلة وآراء مظلمة فتقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله* الرب تبارك اسمه وتعالى جده ولاله

غيره هو المنعم على الحقيقة بصنوف النعم التي لا يحصوها أهل سمواته وأرضه فإيجادهم نعمة منه وجعلهم أحياء ناطقين نعمة منه واعطاهم الاسماع والابصار والعقول نعمة منه وادار الارزاق عليهم على اختلاف أنواعها وأصنافها نعمة منه وتدريبهم نفسه بأسمائه وصفاته وأفعاله نعمة منه واجراء ذكره على ألسنتهم ومحبة ومعرفة على قلوبهم نعمة منه وحفظهم بعد إيجادهم نعمة منه وقيامه بمصالحهم دقيقها وجليلها نعمة منه وهديهم الى أسباب مصالحهم ومعايشهم نعمة منه وذكر نعمة على سبيل التفصيل لا سبيل اليه ولا قدرة للبشر عليه ويكفي ان النفس من أدنى نعمة التي لا يكادون يعدونها وهو أربعة وعشرون الف نفس في كل يوم وليلة لله على العبد في النفس خاصة أربعة وعشرون الف نعمة كل يوم ولية دع ما عدا ذلك من أصناف نعمة على العبد ولكل نعمة من هذه النعم حق من الشكر يستدعيه ويتقاضيه فإذا زعت طاعات العبد كلها على هذه النعم لم يخرج قسط كل نعمة منها الا جزء يسير جدا لا نسبته الى قدر تلك النعمة بوجه من الوجود قال أنس بن مالك ينشر للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه ذنوبه وديوان فيه العمل الصالح فيأمر الله تعالى أصغر نعمة من نعمة فقوم فتستوعب عمله كله ثم تقول أي رب عزتك وجلالك ما ستوفيت ثمنى وقد بقيت الذنوب والنعم فإذا أَراد الله بعبد خيرا قال ابن آدم ضمفت حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك وهبت لك نعمي فيما بيني وبينك وفي صحيح الحاكم حديث صاحب الرمانة الذي عبد الله خمسمائة سنة يأكل كل يوم رمانة تخرج له من شجرة ثم يقوم الى صلاته فسأل ربه وقت الاجل أن يقضه ساجدا وان لا يجعل للارض عليه سبيلا حتى يبعث وهو ساجد فإذا كان يوم القيامة وقف بين يدي الرب فيقول تعالى ادخلوا عبادي الجنة برحمتي فيقول رب بل بعمل فيقول الرب جل جلاله قايصوا عبادي بتمتعى عليه وبعمله فؤخذ نعمة البصر بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول ادخلوا عبادي النار فيجبر الى النار فينادى رب برحمتك رب برحمتك ادخلني الجنة فيقول ردوه فوق وقف بين يديه فيقول يا عبادي من خلقك ولم تكن شيئا فيقول أنت يارب فيقول من قواك على عبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يارب فيقول من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل يوم رمانة وانما تخرج مرة في السنة وسألتني ان اقبضك ساجدا ففعلت ذلك بك فيقول أنت يارب فيقول الله فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة رواه من طريق يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن سليمان بن هرم عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والاستناد صحيح ومعناه تخيير لارب فيه فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لن يججو أحد منكم بعمله وفي لفظ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا أو لا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنني الله برحمة منه وفضل فقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه لا يجبي أحدا عمله من الاولين ولا من الآخرين الا أن يرحمه ربه سبحانه فتكون رحمته خيرا له من عمله لان رحمته تحبه وعمله لا يجبه فعمل انه سبحانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم ببعض حقه عليهم ومما يوضحه انه كلما ذكرت نعمة الله على العبد عظم حقه عليه وكان ما يطالب به من الشكر أكثر مما يطالب من دونه فيكون حق الله عليه أعظم وأعماله لا تنفي بحقه عليه وهذا انما يعرفه حق المعرفة من عرف الله وعرف نفسه هذا كله لو لم يحصل للعبد من الغفلة والاعراض والذنوب ما يكون في قبالة طاعاته فكيف اذا حصل له من ذلك ما يورث طاعاته أو يزيد عليها فان من حق الله على عبده ان يعبد لا يشرك به

شيئا وإن يذكره ولا ينسأه وإن يشكره ولا يكفره وإن يرضى به ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وليس الرضا بذلك مجرد إطلاق هذا اللفظ وحاله وإرادته وتكذبه وتخالفه فكيف يرضى به ربا من يستخط ما يقضيه له إذا لم يكن موافقا لإرادته وهو اهـ فيضل سخطا به متبرما يرضى وره غضبان ويغضب وره راض فهذا إنما يرضى من ربه حظا لم يرض بالله ربا وكفى يدعى الرضا بالإسلام ديناً من يئذ أصوله خلف ظهره إذا خالفت بدعته وهو اهـ وفروعه وراءه إذا لم يوافق غرضه وشهوته وكيف يصح الرضا بمحمد رسولا من لم يحكمه على ظاهره وباطنه ويتلقى أصول دينه وفروعه من مشكاته وحده وكيف يرضى به رسولا من يترك ما جاءه أقول وغيره ولا يترك قول غيره لقوله ولا يحكمه ويحتج بقوله إلا إذا وافق تقليده ومذهبه فإذا خالفه لم يلتفت إلى قوله والمقصود أن من حقه سبحانه على كل أحد من عبده أن يرضى به ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا وإن يكون حبه كله لله وبفضله في الله وقوله لله وتركه لله وإن يذكره ولا ينسأه ويطيعه ولا يعصيه ويشكره ولا يكفره وإذا قام بذلك كله كانت نعم الله عليه أكثر من عمله بل ذلك نفسه من نعم الله عليه حيث وقفه ويسره وأعانته عليه وجعله من أهله واختصه به على غيره فهو يستدعي شكراً آخر عليه ولا سبيل له إلى القيام بما يجب لله من الشكر أبداً فنعلم الله تعالى بالشكر وأعماله لا تقابلها وذنوبه وغفلة وتقصيره قد استغفد عمله فديوان النعم وديوان الذنوب يستفدان طاعاته كلها هذا وأعمال العبد مستحقة عليه بمقتضى كونه عبداً مملوكاً مستعلاً فيما يأمره به سيده نفسه مملوكة وأعماله مستحقة بموجب العبودية فليس له شيء من أعماله كأنه ليس له ذرة من نفسه فلا هو مالك لنفسه ولا صفاته ولا أعماله ولا ما يده من المال في الحقيقة بل كل ذلك ملك عليه مستحق عليه المالك أعظم استحقاقاً من سيد اشترى عبداً بخالص ماله ثم قال العمل وأدلى فليس لك في نفسك ولا في كسبك شيء فلو عمل هذا العبد من الأعمال ما عمل فإن ذلك كله مستحق عليه لسيدته وحق من حقوقه عليه فكيف بالتمتع المالك على الحقيقة الذي لا تمتد نعمه وحقوقه على عبده ولا يمكن أن تقابلها طاعاته بوجه فلو عذبه سبحانه لعذبه وهو غير ظالم له وإذا رحمه فرحمته خير له من أعماله ولا تكون أعماله ثمناً لرحمة البتة فلو لا فضل الله ورحمته ومغفرته ما هنا أحد عيش البتة ولا عرف خالقه ولا ذكره ولا آمن به ولا أطاعه فكما أن وجود العبد محض وجوده وفضله ومنتته عليه وهو الحمود على إيجاده فتوابع وجوده كلها كذلك ليس للعبد منها شيء كما ليس له في وجوده شيء فالحمد كله لله والفضل كله له والأناعم كله له والحق له على جميع خلقه ومن لم ينظر في حقه عليه وتقصيره ويحجزه عن القيام به فهو من أجهل الخلق بربه وبنفسه ولا تنفعه طاعاته ولا يسمع دعاؤه قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا جبر بن حازم عن وهب قال بلغني أن نبي الله موسى مر برجل يدعو ويتضرع فقال يا رب ارحم فاني قد رحمته فأوحى الله تعالى إليه لودعاني حتى ينقطع فؤاده ما استجبت له حتى ينظر في حقى عليه والعبد يسير إلى الله سبحانه بين مشاهدة منتته عليه ونعمه وحقوقه وبين رؤية عيب نفسه وعمله وتفريطه وأضاعته فهو يعلم أن ربه لو عذبه أشد العذاب لكان قد عدل فيه وإن أقضته كلها عدل فيه وإن مافيه من الخير فجرد فضله ومنتته وصدقته عليه ولهذا كان في حديث سيد الاستغفار أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فلا يرى نفسه الاقتصاراً مذنباً ولا يرى ربه الا محسناً

مفضلاً وقد قسم الله خلقه الى قسمين لئلا تلهما تائبين وظالمين فقال (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وكذلك جعلهم قسمين معذبين وتائبين فمن لم يتب فهو معذب ولا بد قال تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وأمر جميع المؤمنين من أولهم الى آخرهم بالتوبة ولا يستثنى من ذلك أحد وعلق فلاحهم بها قال تعالى (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وعدد سبحانه من حجة نعمه على خير خلقه وأكرمهم عليه وأطوعهم له وأخشاهم له ان تاب عليه وعلى خواص اتباعه فقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) ثم كرر توبته عليهم فقال (ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم) وقدم توبته عليهم على توبة الثلاثة الذين خلفوا واخبر سبحانه ان الجنة التي وعدوا أهلها في التوراة والانجيل انها يدخلها التائبون فذكر عموم التائبين أولاً ثم خص النبي والمهاجرين والانصار بها ثم خص الثلاثة الذين خلفوا فعلم بذلك احتياج جميع الخلق الى توبته عليهم ومغفرته لهم وعفوه عنهم وقد قال تعالى لسيد ولد آدم وأحب خلقه اليه عفا الله عنك فهذا خبر منه وهو أصدق القائلين أو دعاء لرسوله بعفوه عنه وهو طلب من نفسه وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده أقرب ما يكون من ربه أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أئنت على نفسك وقال لاطوع نساء الامة وأفضاهن وخيرهن الصديقة بنت الصديق وقد قالت له يا رسول الله لئن وافقت ليلة القدر فما أدعوه قال قولي اللهم انك عفوتحب العفو فاعف عني قال الترمذي حديث حسن صحيح وهو سبحانه لمحبه العفو والتوبة خالق خلقه على صفات وهيئات وأحوال تقتضى توبتهم اليه واستغفارهم وطاهم عفوهم ومغفرته وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم والله تعالى يحب التوابين والتوبة من أحب الطاعات اليه ويكفي في محبتها شدة فرحه بها كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في الفلاة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى ادركه العطش ثم قال أرجع الى المكان الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه فالتفت إليه أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته وزاده وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير يرفعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده على بعير ثم سار حتى كان بفلاة فأدركته القائمة فنزل فقال لحت شجرة فغلبته عينه وانسل بعيره فاستيقظ فسعى شرفاً فلم ير شيئاً ثم سعى شرفاً ثانياً ثم سعى شرفاً ثالثاً فلم ير شيئاً فأقبل حتى أتى الى مكانه الذي قال فيه فيبتا هو قاعد فيه اذ جاء بعيره يمشى حتى وضع خطامه في يده فالتفت إليه أشد فرحاً بتوبة العبد من هذا حين وجد بعيره فتأمل محبة سبحانه لهذه الطاعة التي هي أصل الطاعات وأساسها فان من زعم أن أحداً من الناس يستغنى عنها ولا حاجة

به اليها فقد جهل حق الربوبية ومرتبة العبودية وينتقص بمن أغناه برزعه عن التوبة من حيث زعم أنه معظم له إذ عطله عن هذه الطاعة العظيمة التي هي من أجل الطاعات والقرابة الشريفة التي هي من أجل القربات وقال لست من أهل هذه الطاعة ولا حاجة بك اليها فلا أقدر الله حق قدره ولا أقدر العبد حق قدره وقد جعل بعض عباده غنيا عن مغفرة الله وعفوه وتوبته اليه وزعم أنه لا يحتاج الى ربه في ذلك وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب عن أحدكم من رجل كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع وقد يس من راحلته فينأى هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح وأكل الخلق أكلهم توبة وأكثرهم استغفارا وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله أنى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولما سمع أبو هريرة هذا من النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما رواه الامام أحمد في كتاب الزهد عنه انى لاستغفر الله في اليوم والليلة اثني عشر ألف مرة بقدر ديتي ثم ساقه من طريق آخر وقال بقدر ذنبه وقال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أن أبانا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبى هريرة قال ما جلست الى أحد أكثر استغفارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرجل وما جلست الى أحد أكثر استغفارا من أبى هريرة وفي صحيح مسلم عن الاغر المزنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي السنن والمسند من حديث ابن عمر قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب على انك أنت التواب الرحيم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل ثنا يونس عن حميد بن هلال عن أبى بردة قال جلست الى شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الكوفة فحدثني قال سمعت رسول الله أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الناس توبوا الى الله عز وجل واستغفروه فأتى أتوب الى الله واستغفره كل يوم مائة مرة قال الامام أحمد وتناجي عن شعبة ثنا عمرو بن مرة قال سمعت أبا بردة قال سمعت الاغر يحدث ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأبى الناس توبوا الى ربكم عز وجل فأتى أتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال أحمد ثنا يزيد أن حماد بن سامة عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجمعنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أسأوا استغفروا وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في أول الصلاة عند الاستفتاح بعد التكبير اللهم أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا أنت ليك وسعديك والخير في يدك وأنا بك واليك تباركت وتعالى استغفرك وأتوب اليك رواه مسلم وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في دعائه اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقى من خطاياى بالماء والثلج والبرد وكان يقول هذا سرا لم يعلم به من خلفه حتى سأله عنه أبو هريرة وروى عنه على بن أبى طالب انه كان اذا استفتح الصلاة قال لا اله الا أنت ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر

الذنوب الا أنت وفي الصحيحين انه كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانه اللهم ربنا وبمحمدك
 اللهم اغفر لي وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع
 رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملأ السموات وملأ الارض وملأ
 ما شئت من شئ بعد اللهم طهرني بالراح والبرد والماء البارد اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى
 الثوب الأبيض من الوسخ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره وفي مسند الامام
 أحمد انه كان يقول في صلاته اللهم اغفر لي ووسع علي في ذاتي وبارك لي فيما رزقتني وفي صحيح
 مسلم عن فروة بن نوفل قال قلت لعائشة حديثي بشئ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به
 في صلاته قالت نعم كان يقول اللهم اني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم وكان يقول بين
 السجدين اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني وكان يقول في قيامه الى الصلاة بالليل
 اللهم لك الحمد الحديث وفيه فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما
 أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري
 ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري
 وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير * وحقيقة الامر ان العبد فقير
 الى الله من كل وجه وبكل اعتبار فهو فقير اليه من جهة ربوبيته له واحسانه اليه وقيامه بمصالحه
 وتدبيره له وفقير اليه من جهة إلهيته وكونه معبوده وإلهه ومحجوبه الاعظم الذي لا صلاح له ولا فلاح
 ولا نعيم ولا سرور الا بان يكون أحب شئ اليه فيكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله ووالده
 وولده ومن الخلق كلهم وفقير اليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء فانه ان لم يعافه منها هلك
 ببعضها وفقير اليه من جهة عفو عنه ومغفرته له فان لم يعف عن العبد ويغفر له فلا سبيل الى
 النجاة فما نجى أحد الا بفؤ الله ولا دخل الجنة الا برحمة الله وكثير من الناس ينظر الى نفس ما يتأب
 منه فيراه نقصا ولا ينظر الى كمال الغاية الحاصلة بالتوبة وان العبد بعد التوبة التصوح خير منه قبل
 الذنب ولا ينظر الى كمال الربوبية وتفرد الرب بالكمال وحده وان لوازم البشرية لا يتفك منها
 البشر وان التوبة غاية كل أحد من ولد آدم وكاله كما كانت هي غايته وكاله فليس للعبد كمال بدون
 التوبة البتة كما انه ليس له انفسك عن سببها فانه سبحانه هو المتفرد المستأثر بالغنى والحمد من كل
 وجه وبكل اعتبار والعبد هو الفقير المحتاج اليه المضطر اليه بكل وجه وبكل اعتبار فرحمته للعبد خير
 له من عمله فان عمله لا يستقل بنجاته ولا سعادته ولو وكل الى عمله لم ينج به البتة فهذا بعض ما يتعلق
 بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لوعذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبتهم وهو غير ظالم لهم * وما
 يوضحه ان شكره سبحانه مستحق عليهم بحجة ربوبيته لهم وكونهم عبيده ومماليكه وذلك بوجوب
 عليهم أن يعرفوه ويعظموه ويوحدوه ويتقربوا اليه تقرب العبد المحب الذي يتقبل في نعمه ولا غناء
 به عنه طرفه عين فهو يدأب في التقرب اليه بجهده ويستفرغ في ذلك وسمه وطاقته ولا يعدل به سواء
 في شئ من الاشياء ويؤثر رضا سيده على ارادته وهواه بل لاهوى له ولا ارادة الا فيما يريد سيده
 ويحبه وهذا يستلزم علوما وأعمالا وارادات وغرائم لا يعارضها غيرها ولا يبق له معها التفات الى

غيره بوجه ومعلوم ان ما يطبع عليه البشر لا يفي بذلك وما يستحقه الرب تعالى لذاته وانه اهل أن يعبد أعظم مما يستحقه لاحسانه فهو المستحق لهاية العبادة والخنوع والذل لذاته ولا حسانه وانعامه وفي بعض الآثار لو لم أخلق حنسة ولا نارا لكنت أهلا أن أعبد ولهذا يقول أعبد خلقه له يوم القيامة وهم الملائكة سبحانه ما عبادتك حق عبادتك فمن كرمه وجوده ورحمته ان رضى من عباده بدون اليسير مما ينبغي ان يعبد به ويستحقه لذاته واحسانه فلا نسبة للواقع منهم الى ما يستحقه بوجه من الوجوه فلا يسمهم الا عفوه وتجاوزوه وهو سبحانه أعلم بعباده منهم بأنفسهم فلو عذبهم لعذبهم بما يعلمه منهم وان لم يحيطوا به علما ولو عذبهم قبل أن يرسل رساله اليهم على أعمالهم لم يكن ظلما لهم كما أنه سبحانه لم يظلمهم بمقتضى لهم قبل ارسال رسوله على كفرهم وشركهم وقبائحهم فانه سبحانه نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب ولكن أوجب على نفسه اذ كتب عليها الرحمة أنه لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه برسالته وسر المسئلة ان لما كان شكر النعم على قدره وعلى قدر نعمه ولا يقوم بذلك أحد كان حقه سبحانه على كل أحد وله المطالبة به وان لم يغفر له ويرحمه والا عذبه فحاجتهم الى مغفرته ورحمته وعفوه كحاجتهم الى حفظه وكلايته ورزقه فان لم يحفظهم هلكوا وان لم يرزقهم هلكوا وان لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا ولهذا قال أبوهم آدم وأبوهم حواء (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا شأن ولده من بعده وقد قال موسى كلمه سبحانه (رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى) وقال (سبحانك تب اليك وأنا اول المؤمنين) وقال (رب اغفر لى ولاخى وادخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) وقال (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وقال خليله ابراهيم (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذرىتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقال (الذى خلقنى فهو يهدين) الى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقال أول رساله الى أهل الارض رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين وقال لا كرم خلقه عليه وأوجبهم اليه (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وقال (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) الى قوله واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيمًا وقال (انا فتحننا لك فتحنًا ميينا يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) وقد تقدم حديث ابن عباس فى دعائه صلى الله عليه وسلم رب أعنى ولا تمن على وفىه رب تقبل توبتى واغسل حوبتى الحديث وقد أخبر سبحانه عن أعبد البشر داود انه استغفر ربه وخز راكعا وأتاب وقال تعالى (فغفرنا له ذلك) وقال عن نبيه سايان (واقدر فتنا سايان وألقينا على كرسىه جسدا ثم أتاب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك أنت الوهاب) وقال عن نبيه يونس انه ناداه فى الظلمات (لا اله الا أنت سبحانه انى كنت من الظالمين) وقال صديق الامه وخيرها وأبرها وأتقها لله بعد رسوله يارسول الله علمنى دعاء أدعوه به فى صلاتى فقال قل اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كبيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم فاستفتح الخبر عن نفسه باداة التوكيد التى تقتضى تقرير ما بعدها ثم ثنى بالاخبار عن ظلمه لنفسه ثم وصف ذلك الظلم بكونه ظلما كبيرا ثم طلب من ربه ان يغفر له مغفرة من عنده أى لا يبالغها

علمه ولا سعيه بل هي محض منتسه واحسانه وأكبر من عمله فاذا كان هذا شأن من وزن بالامة
فرجح بهم فكيف بمن دونه

الباب السابع عشر

في الكسب والجبر ومعناها لغة واصطلاحاً واطلاقهما نفيًا وإثباتًا

وما دل عليه السمع والعقل من ذلك * أما الكسب فاصله في اللغة الجمع قاله الجوهري وهو طلب
الرزق يقال كسبت شيئاً واكتسبته بمعنى وكسبت أهلي خيراً وكسبت الرجل مالا فكسبه وهذا مما
جاء على فلتته ففعل والكواصب الجوارح وتكسب تكلف الكسب انتهى والكسب قد وقع في القرآن
على ثلاثة أوجه أحدها عقد القلب وعزيمه كقوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أى بما عزمتم عليه وقصدتموه وقال الزجاج أى يؤاخذكم بعزمكم على
أن لا تبرأ وأن لا تتقوا وأن تعملوا في ذلك بأنكم حلفتم وكأنه ألقت الى لفظ المؤاخذه وانها تقتضى
تعمدًا فجعل كسب قلوبهم عزيمهم على ترك البر والتقوى لمكان اليمين والقول الاول أضح وهو قول
جمهور أهل التفسير فانه قابل به لغو اليمين وهو أن لا يقصد اليمين فكسب القلب المقابل للغو اليمين
هو عقده وعزمه كما قال في الآية الأخرى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان) فتعقيد الإيمان هو
كسب القلب (الوجه الثانى) من الكسب كسب المال من التجارة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا
من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض) فالاول للتجار والثانى للزراع (الوجه الثالث)
من الكسب السعى والعمل كقوله تعالى (لا يكلف الله نفسه الاوسمه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)
وقوله (بما كنتم تكسبون .) وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت) فهذا كله للعمل واختلاف الناس في
الكسب والاكتساب هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق فقالت طائفة معانها واحد قال أبو الحسن
على بن أحمد وهو الصحيح عند أهل اللغة ولا فرق بينهما قال ذو الرمة
* ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب * وقال الآخرون الاكتساب أخص من الكسب لان الكسب
ينقسم الى كسبه لنفسه ولغيره ولا يقال يكتسب قال الخطيب

ألفت كاسبهم في قعر مظلمة فافغر هداك ملكك الناس يا عمر .

قلت والاكتساب افعال وهو يستدعي اهتماماً وتعملاً واجتهاداً وأما الكسب فيصح نسبته بآدى
شئ ففي جانب الفضل جعل لها ما لها فيه آدى سعى وفي جانب العدل لم يجعل عليها الا ما لها فيه اجتهاد
واهتمام وأما الجبر فيرجع في اللغة الى ثلاثة أصول أحدها أن يغنى الرجل من فقر أو يحجر عظمه
من كسر وهذا من الإصلاح وهذا الاصل يستعمل لازماً ومتعمداً يقول جبريت العظم وجبر وقد
جمع العجاج بينهما في قوله * قد جبر الدين الاله جبر * الاصل الثانى الاكراه والقهر وأكثر
ما يستعمل هذا على افعال يقال اجبرته على كذا اذا كرهته عليه ولا يكاد يحىء جبرته عليه الا
قليلاً والاصل الثالث من العز والامتناع ومنه نخلة جبارة قال الجوهري والحيار من التخل ماطال
وفات اليد قال الاعشى

طريق وجبار رواء اصوله عليه ابايل من الطير تنعب

وقال الاخفش في قوله تعالى ان فيها قوما جبارين قال أراد الطول والقوة والعظم ذهب في هذا الى الجبار من التخل وهو الطويل الذي فأت الايدى ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبها بالجبار من التخل قال قتادة كانت لهم اجسام وخلق عجيب ليست لغيرهم وقيل الجبار ههنا من جبره على الامر اذا أكرهه عليه قال الازهرى وهى لغة معروفة وكثير من الحجازيين يقولونها وكان الشافعى رحمه الله يقول جبره السلطان ويجوز أن يكون الجبار من أجبره على الامر اذا أكرهه قال الفراء لم أسمع فعلا من أفعل الا في حرفين وهما جبار من أجبر ودراك من أدرك وهذا اختيار الزجاج قال الجبار من الناس العاقى الذى يجبر الناس على ما يريد وأما الجبار من أسماء الرب تعالى فقد فسر به الذى يجبر الكثير ويفى الفقير والرب سبحانه كذلك ولكن ليس هذا معنى اسمه الجبار ولهذا قرنه باسمه المتكبر وانما هو الجبروت وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالتكبر والملك والعظيم والقهار قال ابن عباس في قوله تعالى الجبار المتكبر هو العظيم وجبروت الله عظمته والجبار من أسماء الملوك والجبر الملك والجبارة الملوك قال الشاعر * وأنعم صباحا أيها الجبر * أى أيها الملك وقال السدى هو الذى يجبر الناس ويقرهم على ما يريد وعلى هذا فالجبار معناه القهار وقال محمد بن كعب انماسمى الجبار لانه جبر الخلق على ما أراد والخلق أدق شأنا من أن يعصوا ربه من طرفه عين الا بمشيئته قال الزجاج الجبار الذى جبر الخلق على ما أراد وقال ابن الانبارى الجبار في صفة الرب سبحانه الذى لا ينال ومنه قولهم نخلة جبارة اذا قامت يد المتناول فالجبار في صفة الرب سبحانه ترجع الى ثلاثة معان الملك والقهر والعلو فان النخلة اذا طالت وارتفعت وفأت الايدى سميت جبارة ولهذا جعل سبحانه اسمه الجبار مقرونا بالعزىز والمتكبر وكل واحد من هذه الاسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين وهذه الاسماء الثلاثة نظائر الاسماء الثلاثة وهى الخالق البارئ المصور فالجبار المتكبر يجربان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزىز كما ان البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق فالجبار من أوصافه يرجع الى كل القدرة والعزة والملك ولهذا كان من أسمائه الحسنى وأما الخلق فأتصافه بالجبار ذم له ونقص كما قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وما أنت عليهم بجبار رأى مساطم تقهرهم وتكرهم على الايمان وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس

فصل اذا عرف هذا فالفظ الكسب أطلقه التقديرية على معنى والجبرية على معنى وأهل السنة والحديث على معنى فكسب التقديرية هو وقوع الفعل عندهم بإيجاد العبد واحداثه ومشيئته من غير أن يكون الله شاء أو أوجزه وكسب الجبرية لفظ لامعنى له ولا حاصل تحته وقد اختلفت عباراتهم فيه وضرىوا له الامثال وأطالوا فيه المقال فقال القاضى الكسب ما وجدوا عليه قدرة محدثة وقيل انه المتعلق بالقادر على غير جهة الحدوث وقيل انه المقدور بالقدرة الحادثة قالوا ولنا نريد بقولنا ما وجدوا عليه قدرة محدثة انها قدرة على وجوده فان القادر على وجوده هو الله وحده وانما نعنى بذلك ان للكسب تعلقا بالقدرة الحادثة لامن باب الحدوث والوجود وقال الاسفرائينى حقيقة الخلق من الخالق وقوعه بقدرة من حيث صح انفراد به وحقيقة الفعل وقوعه بقدرة وحقيقة

الكسب من المكتسب وقوعه بقدرته مع انفراده به ويختص القديم تعالى بالخلق ويشترك القديم والمحدث في الفعل ويختص المحدث بالكسب قلت مراده ان اطلاق لفظ الخلق لا يجوز الا على الله وحده واطلاق لفظ الكسب يختص بالمحدث واطلاق لفظ الفعل يصح على الرب سبحانه والعبد وقال ايضا كل فعل يقع على التعاون كان كسبا من المستعين قلت يريد ان الخلق يستقل بالخلق واليجاد والكسب انما يقع منه الفعل على جهة المعاونة والمشاركة منه ومن غيره لا يمكنه أن يستقل بإيجاد شيء البتة وقال آخرون قدرة المكتسب تتعلق بمقدوره على وجهه وقدرة الخالق تتعلق به من جميع الوجوه قالوا وليس كون الفعل كسبا من حقائقه التي تخصه بل هو معنى طرأ عليه كما يقول منازعوننا من المعتزلة ان هذه الحركة لطيفة وهذا الفعل لطيف وصيغة أفعل تصير أمرا بالارادة لانها حدثت بالارادة واعتقاد الشيء على ما هو به يصير علما بسكون النفس اليه لانه يحدث كذلك به والاشياء قد تقترن في الوجود فتتغير أوصافها وأحكامها قالوا فالحركة اذا صادفت المتحرك بها على وجه مخصوص تسمى سباحة مثلا ولطما ومشيا ورقصا وقال الأشعري وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما ولخص بعض متأخريهم هذه العبارات بان قال الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثه والفعل فان الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته لاهمافهاذا الاقتران هو الكسب ولهذا قال كثير من العقلاء ان هذا من محالات الكلام وانه شقيق أحوال أبي هاشم وطرفة النظام والمعنى القائم بالنفس الذي يسميه الفاعلون به كلاما وشيء من ذلك غير معقول ولا متصور والذي استقر عليه قول الأشعري ان القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها ولم يقع المقدور ولاصفة من صفاته بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه وتابعه على ذلك عامة أصحابه والقاضي أبو بكر يوافقه مرة ومرة يقول القدرة الحادثة لا تؤثر في اثبات الذات واحداثها ولكنها تقتضي صفة للمقدور زائدة على ذاته تكون حالا له ثم تارة يقول تلك الصفة التي هي من أثر القدرة الحادثة مقدورة لله تعالى ولم يتمتع من اثبات هذا المقدور بين قادرين على هذا الوجه وقد اضطربت آراء اتباع الأشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافًا كثيرا وقد ذكره كله أبو القاسم سليمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد وذكر اختلاف طرائقهم واضطرابهم فيه ثم قال وقد قال الاستاذ في المختصر قول أهل الحق في الكسب لا يرجع الى اثبات قدرة للعبد عليه كما يقال انه معلوم له الا ان الامام ادعى على الاستاذ انه أثبت للقدرة الحادثة أثرًا في الحدوث فانه لما نفى الاحوال وأثبت للقدرة الحادثة أثرًا فلا يعقل الجمع بينهما الا أن يكون الأثر في الحدوث ثم ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب وهو قريب من مذهب المعتزلة والخلاف بينه وبينهم فيسه في الاسم قال وهذه العقدة التي تورط الاصحاب فيها في الكسب شبيهة بالعقدة التي وقعت بين الأئمة في القراءة والمقروء قال وما ذكره الامام في النظامية له وجه غير انه مما انفرد باطلافة وكل ناظر نظره والله يرحمنا وإياه قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الأشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بإفعله قد تقرّر عند كل حافظ بعقله مترق عن مراتب التقايد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه يطالب عباده

بأعمالهم في حياتهم ودواعيهم اليها ومثيبتهم ومعاقبتهم عليها في مآلهم وتبيين بالنصوص التي لاتعرض
للتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به وممكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكشاف
عن مواقع الزجر ولو ذهبت اتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع
قطع الريب المتصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن الفواحش
الموبقات وما ينيط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تأملت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من
تصديق المرسلين في الانباء عما يتوجه على المردة العتاة من الحساب والعقاب وسوء المتقلب والمآب
وقول الله لهم لم تعدتيم وعصيتيم وأيتيم وقد أرحيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل
وأوضحت المحجة لكلا يكون للناس على حجة وأحاط بذلك كله ثم استرأب في أن أفعال العباد واقعة
على حسب إثارهم واختيارهم واقدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله
ففي المصير اليه انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون
فإن زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا وإذا طوب بتعلق طلب
الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال الله أن يفعل مايشاء ولا يتعرض
للاعتراض عليه المعتضون لايسئل عما يفعل وهم يسئلون قيل له ليس لما حيث به حاصل كلمة حق
أريد بها باطل نعم يفعل الله مايشاء وبحكم مايريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد
فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عبادته بما أخبر أنهم ممكنون من
الوفاء به فلم يكنهم الا على مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة
في مقدورها كما لا أثر للعالم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان ثبت في نفسه
ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والحال وفيه ابطال الشرع ورد
ماجاء به التبيون فاذا لزم المصير بان القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها واستحالة القول بان
العبد خالق أعماله فان فيه الخروج عما درج عليه سائر الامة واقتحام ورطبات الضلال ولا سبيل
الى المصير الى وقوع فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه
بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرة الله استقل بها وأسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل
ان يقع بعضه بقدرة الله تعالى فان الفعل الواحد لا يعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا
مرشد موفق اذ المرء بين أن يدعي الاستبداد وبين أن يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع
وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين أن يثبت نفسه شريكا لله في إيجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
بجملتها باطلة ولا ينجي من هذه الملتصم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان
قائلوا قال العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب سبحانه خالق لما العبد مكتسب له قيل له
فما الكسب وما معناه وأديرت الاقسام المتقدمة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا ثم قال فنقول قدرة
العبد مخلوقة لله تعالى بانفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعاً ولكنه
يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقاً فانه وقع بفعل الله وهو القدرة فعلا للعبد وانما هي صفته وهي
ملك لله وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا
وقد ملك الله تعالى العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله

من حيث انه وقع بفعل الله ولو اهتمت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا وأصلوا وتبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فاننا لم أضفنا فعل العبد الى تقدير الاله سبحانه قلنا أحدث الله تعالى القدرة في العبد على اقدار أحاط بها علمه وهياً أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالفاصل وأراد من العبدان يفعل فاحدث فيه دواع مستحثة وخيرة وأرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها العبد على ما علم وأراد فاختارهم واتصافهم بالافتداء والقدرة خالق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلماً وفضاء وخلقا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هياً أسباب وقوعه ومن هدى لهذا استمر له الحق المين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منه وفعله تقدير لله من أدلة خالق مقضى ونحن نضرب في ذلك مثلاً شرعياً يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فاذا أذن له في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزو الى السيد من حيث ان سيده اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويؤخذ على الخالفة وما يقاب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا مرء فيه لمن وعاه حق وعيه وأما الفرقة الضالة فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا الى انه اذا عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره له فكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحماً لربه في التدبير موقفاً ما أراد ابقاءه شاء الرب أو كرهه* فان قيل على ماذا تحملون آيات الطبع والحتم والاضلال في القرآن وهي متضمنة اضطراب الرب سبحانه للاشياء الى ضلالتهم* قلنا اذا أباح الله حل هذا الاشكال والجواب عن هذا السؤال لم يبق على ذوى البصائر بعده غموض فنقول أولاً من أنبأ الله سبحانه عن الطبع على قلوبهم كانوا مخاطبين بالايان مطالبين بالاسلام والتزام الاحكام مطالبة تكليف ودعاء مع وصفهم بالتمكن والافتدار والايثار كما سبق تقريره ومن اعتقد انهم كانوا ممنوعين مأمورين مصدودين قهراً مدعويين بالتكليف عنده اذا بمثابة مالوشد من الرجل يده ورجلاه رباطاً وأتى في البحر ثم قيل له لا تبطل وهذا أمر لا يحمل شرائع الرسل عليه الاعائب بنفسه تجتري على ربه ولا فرق عند هذا القائل بين أمر التسخير والتكوين في قوله (كونوا قردة خاسئين) وقوله (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وبين أمر التكليف فاذا بطل ذلك فالوجه في الكلام على هذه الآى وقد غوى في حقائقها أكثر الفرق أن يقول اذا أراد الله بعبد خيراً أكمل عقله وأنم بصيرته ثم صرف عنه العوائق والدوافع وأزاح عنه الموانع ووفق له قرناه الخير وسهل له سبله وقطع عنه الملهيات واسباب الغفلات وقبض له ما يقربه الى القربات فيوافيها ثم يعادها ويمرّن عليها واذا أراد الله بعبد شراً قدر له ما يبعده عن الخير ويقصيه وهياً له أسباب تماديهِ في الغى وحجب اليه التشوف الى الشهوات وعرضه للآفات وكلما غلبت عليه دواعي النفس خنس دواعي الخير ثم يستمر على الشرور على مر الدهور ويأتى مهاوياً ويتعاون عليه الوسواس وتزغات الشيطان وتزفات النفس الامارة بالسوء فتفسج الغفلة على قلبه غشاوة بقضاء الله وقدره فذلكم الطبع والحتم والاكنة وأنا أضرب في ذلك مثلاً فاقول لو فرضنا شاباً حديث العهد بحمله لم تهذب المذاهب ولم تحنك التجارب وهو على نهاية في غلمته وشهوته وقد استمكن من بلغة من الخطام

وخص بمسحة من الجمال ولم يقم عليه قوام يزعه عن ورطات الردى ويمتنعه عن الارتباك في شبكات
 الطوى ووافاه أخذان الفساد وهو في غلواء شبابه يحدث نفسه بالبقاء أمدا بعيدا ما أقرب من هذا
 وصفه من خلع السذار والبدار الى شيم الاشرار وهو مع ذلك كله مؤثر مختار ايس مجبرا على
 المعاصى والزلات ولا مصدودا عن الطاعات ومعه من العقل ما يستوجب به الائمة اذا عصى فمن هذا
 سبيله لا يستحيل في العقل تكليفه فانه ليس ممنوعا ولكن ان سبق له من الله سوء القضاء فهو صائر
 الى حكم الله الجزم وقضائه الفصل محجوج بحجة الله الا ان يتعمده الله برحمته وهو ارحم الراحمين
 وهذا الذى ذكرته بين في معانى الآيات لا يمارى فيه موفق قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من
 بعد ذلك فهى كالخجارة أراد انهم استمروا على المخالفات وأصروا بانتهاك الحرمان فقتت قلوبهم وقال
 تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فقد جمعت بين تفويض الأمور كلها نفعا وضرها خيرا
 وشرها الى الاله جلت قدرته وبين اثبات حقائق التكليف وتقرير قواعد الشرع على الوجه المعلوم
 ألت في هذا أهدي سبيلا وأقوم قيدا ممن يقدر الطبع منعا واختم صدا ودفعنا ثم ينفي التكليف
 بزعمه وقد افترق الخلق في هذا المقام فرقا فذهب ذاهبون الى أن الخذولين ممنوعون مدفوعون
 لا اقتدار لهم على اجابة دعاة الحق وهم مع ذلك ملزمون وهذا خطب جسيم وأمر عظيم وهو طعن
 في الشرائع وابطال للدعوات وقد قال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) وقال لا بليس
 (ما منعك أن تسجد) نعوذ بالله من سوء النظر في مواقع الخطر وذهب طوائف من الضلال الى ان
 العبد يعصى والرب لما يأتى به كاره فهذا خبط في الاحكام الالهية ومزاحة في الربوبية ولو لم يرد الرب
 من الفجار ما علم منهم في أوليته لما فطرهم مع علمه بهم كيف وقد أكمل قواهم وأمدهم بالعدد
 والعدد والعتاد وسهل لهم طريق الحيد عن السداد* فان قيل فعل ذلك بهم ليطعوه* قلنا انى يستقيم
 ذلك وقد علم أنهم يعصونه ويهلكون أنفسهم ويهلكون أولياءه وأولياءه ويشقون شقاوة لا يسعدون بها أبدا
 ولو علم سيد عن وحى أو اخبار نبي انه لو أمد عبده بالسال لغنى وأبق وقطع الطريق فامده بالمال
 زاعما انه يرد منه ابتداء الفناطر والمساجد وهو مع ذلك يقول أعلم انه لا يفضل ذلك قطعا فهذا السيد
 مفسد عبده وليس مصلا له باتفاق من أبواب الالباب فقد زاعت الثمتان وضلت الفرقان واعترضت
 احدهما على القواعد الشرعية وزاحت الاخرى احكام الربوبية واقتصد الموفقون فقالوا مراد الله
 من عباده ما علم أنهم اليه يصيرون ولكنه لم يسلمهم قدرتهم ولم يمتنعهم مرادهم فقرت الشريعة في
 نصابها وجرت العقيدة في الاحكام الالهية على صوابها* فان قيل كيف يريد الحكيم السفة فقد أوضحنا
 ان الافعال متساوية في حق من لا يتنفع ولا يتضرر ولكن اذا أخبر انه مكاتب مطالب عباده مزيج
 علمهم فقوله الحق وكلامه الصدق وأقرب أمر يعارضون به ان الحكيم منا اذا رأى جواربه وعبيده
 يترج بعضهم في بعض وهم على محارمهم يترأى منه ومسمع فلا يحسن تركهم على ما هم عليه والرب
 سبحانه يطاع على سوء أفعالهم ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال قد أطلقت أفتاسى ولكن لو
 وجدت في اقتباس هذا العلم من يسرد الى هذا الفصل لكان بحق القائم على كل نفس بما كسبت
 أحب الى من ملك الدنيا بخذا فبها أطول امدها انتهى كلامه بانقله وهذا توسط حسن بين الفريقين
 وقد انكره عليه عامة اصحابه منهم الانصارى شارح الارشاد وغيره وقالوا هو اقرب من مذهب

المعتزلة ولا يرجع الخلاف بينه وبينهم الا الى الاسم فقط وان هذا مما انفرد به ولكن بقى عليه فيه امور منها انه نفى كراهة الله لما قدره من المعاصي بناء على اصله ان كل مراد له فهو محبوب له وانه اذا كان قد قدر الكفر والفسوق والعصيان فهو يريد به ويحبه ولا يبكره وان كانت قدرة العبد واختياره مؤثرة في إيجاد الفعل عنده باقدار الرب سبحانه وقد اصاب في هذا واجاد ولكن القول بان الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يبكره اذا كان واقعا قول في غاية البطالان وهو مخالف لصريح العقل والنقل والذي قاده الى ذلك قوله ان الحبة هي الارادة والمشيئة وان كل ماشاء فقد اراده واحبه ومن لم يفرق بين المشيئة والحبة لزمه احد امرين باطلين لا بد له من التزامه اما القول بأن الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان او القول بانه ماشاء ذلك ولا قدره ولا قضاء وقد قال بكل من المتلازمين طائفة قالت طائفة لا يحبها ولا يرضاها فما شاءها ولا قضاها وقالت طائفة هي واقعة بمشيئته وارادته فهو يحبها ويرضاها فاشترك الطائفتان في هذا الاصل وتباينا في لازمه وقد انكر الله سبحانه على من احتج على محبته بمشيئته في ثلاثة مواضع من كتابه في سورة الانعام والنحل والزخرف فقال تعالى (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما شركننا ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تبعونا الا الظن وان اتمم الا تحرصون) وكذلك حكى عنهم في النحل ثم قال (كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) وقال في الزخرف (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) فاحتجوا على محبته لشركهم ورضاه به بكونه اقرهم عليه وانه لولا محبته له ورضاه به لما شاء منهم وعارضوا بذلك امره ونهيه ودعوة الرسل قالوا كيف يأمر بالشيء قد شاء منا خلافة وكيف يبكره منا شيئا قد شاء وقوعه ولو كرهه لم يمكننا منه ولحال بيننا وبينه فكذبهم سبحانه في ذلك واخبر ان هذا تكذيب منهم ارسله وان رسله متفقون على انه سبحانه يبكره شركهم ويبغضه ويمقتهم وانه لولا بغضه وكراهته لما اذاق المشركين بالله عذابه فانه لا يعذب عبده على ما يحبه ثم طالهم بالعلم على صحة مذهبهم بان الله اذن فيه وانه يحبه ويرضى به ومجرد اقراره لهم قدرا لا يدل على ذلك عند احد من العقلاء والاكابر والظلم والفواحش والسعي في الارض بالفساد والبغى محبوبا له مرضيا ثم اخبر سبحانه ان مستندهم في ذلك انما هو الظن وهو اكذب الحديث وانهم لذلك كانوا اهل الحرص والكذب ثم اخبر سبحانه ان له الحجة عليهم من جهتين احدهما ما ركب فيه من العقول التي يفرقون بها بين الحسن والقبيح والباطل والاسماع والابصار التي هي آلة ادراك الحق والتي يفرق بها بينه وبين الباطل والثانية ارسال رسله وانزال كتبه وتمكينهم من الايمان والاسلام ولم يؤاخذهم بأحد الامرين بل بمجموعهما لكمال عدله وقطعا لعذرهم من جميع الوجود ولذلك سعى بحجته عليهم بالغة اى قد بلغت غاية البيان واقصاه بحيث لم يبق معها مقال لقائل ولا عذر لمعتذر ومن اعتذر اليه سبحانه بعذر صحيح قبله ثم ختم الآية بقوله (فلو شاء لهداكم اجمعين) وانه لا يكون شيء الا بمشيئته وهذا من تمام حجته البالغة فانه اذا امتنع الشيء لعدم مشيئته لزم وجوده عند مشيئته فإما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كان هذا من أعظم أدلة التوحيد ومن أبين أدلة بطلان ما أتم عليه من الشرك واتخاذ الانداد من دونه فما احتججتم به من المشيئة على ما أتم عليه من الشرك هو من

أظهر الأدلة على بطلانه وفساده فلو أنهم ذكروا القدر والمشيئة توحيدا له وافترقا والرجاء اليه وبراءة من الحول والقوة الا به ورغبة اليه أن يقيام مما لو شاء أن لا يقع منهم لما وقع لتفهم ذلك وافتح لهم باب الهداية ولكن ذكروه معارضين به أمره ومبطلين به دعوة الرسل فما ازدادوا به الا ضلالا والمقصود أنه سبحانه قد فرق بين حجبته ومشيبته وقد حكى أبو الحسن الأشعري في مقالاته اتفاق أهل السنة والحديث على ذلك والذي حكى عنه ابن فورك في كتاب تجريد له لمقالاته أنه كان يفرق بين ذلك قال وكان لا يفرق بين الود والحب والارادة والمشيئة والرضا وكان لا يقول ان شيئا منها يخص بعض المرادات دون بعض بل كان يقول ان كل واحد منها بمعنى صاحبه على جهة التقيد الذي يزول معه الابهام وهو ان المؤمن محبوب لله ان يكون مؤمنا من أهل الخير كما علم والكافر ايضا مراد أن يكون كافرا كما علم من أهل الشر ويجب أن يكون ذلك كذلك كما علم وكذلك كان يقول في الرضا والاصطفاء والاختيار ويقيد اللفظ بذلك حتى لا يتوهم فيه الخطأ انتهى والذي عليه أهل الحديث والسنة قاطبة والفقهاء كلهم وجهور المتكلمين والصوفية أنه سبحانه يكره بعض الاعيان والافعال والصفات وان كانت واقعة بمشيئته فهو يبغضها ويمقتها كما يبغض ذات ابليس وذوات جنوده ويبغض أعمالهم ولا يحب ذلك وان وجد بمشيئته قال الله تعالى (والله لا يحب الفساد) وقال (والله لا يحب الظالمين) وقال (ان الله لا يحب كل مختال فخور) وقال (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) وقال (ولا تعدوا ان الله لا يحب المتكبرين) وقال (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) فهذا اخبار عن عدم محبته لهذه الامور ورضاه بها بعد وقوعها فهذا صريح في ابطال قول من تأول النصوص على أنه لا يحبها ممن لم تقع منه ونجها اذا وقعت فهو يحبها ممن وقعت منه ولا يحبها ممن لم تقع منه وهذا من اعظم الباطل والكذب على الله بل هو سبحانه يكرها ويبغضها قبل وقوعها وحال وقوعها وبعد وقوعها فانها قبايح وخبائث والله منزّه عن محبة القبيح والخبيث بل هو أكره شيء اليه قال الله تعالى (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقد أخبر سبحانه أنه يكره طاعات المنافقين ولاجل ذلك يشبههم عنها فكيف يحب تفاقمهم ورضاه ويكون أهله محبوبين له مصطفين عنده مرضيين ومع هذا الاصل الباطل نشأ قولهم باستواء الافعال بالنسبة الى الرب سبحانه وانها لا تنقسم في نفسها الى حسن وقبيح فلا فرق بالنسبة اليه سبحانه بين الشكر والكفر ولذلك قالوا لا يجب شكره على نعمه عقلا فعن هذا الاصل قالوا ان مشيئته هي عين محبته وان كل ما شاء فهو محبوب له ومرضى له ومصطفى ومختار فلم يمكنهم بعد تأصل هذا الاصل أن يقولوا انه يبغض الاعيان والافعال التي خلقها ويجب بعضها بل كل ما فعله وخلقته فهو محبوب له والمكروه المبعوض مالم يشاء ولم يخلقه وانما أصلا هذا الاصل محافظة منهم على القدر خشوا به على الشرع والقدر والتمروا لاحله لوازء شوشوا بها على القدر والحكمة وكابروا لاجلها صرح العقل وسووا بين أقبح القبايح وأحسن الحسنات في نفس الامر وقالوا هما سواء لا فرق بينهما الا بمجرد الامر والتمى فالكذب عندهم والظلم والبغى والعُدوان مساو للصدق والعدل والاحسان في نفس الامر ليس في هذا ما يقتضي حسنه ولا في هذا ما يقتضي قبحه وجعلوا هذا المذهب شعارا لأهل السنة والقول بخلافه قول أهل البدع من المعتزلة وغيرهم وأمر الله أنه لم يبطال الاقوال وأشهدا منافاة

لأقل والشرع والقطرة الله التي فطر عليها خلقه وقد بينا بطلانه من أكثر من خمسين وجها في كتاب المفتاح والمقصود انه لما انضم القول به الى القول بانه سبحانه لا يجب شيئا ويقتض شيئا بل كل موجود فهو محبوب له وكل معدوم فهو مكروه له وانضم الى هذين الآخريين انكار الحكم والغايات المطلوبة في أفعاله سبحانه وانه لا يفضل شيئا لمعنى البتة وانضم الى ذلك انكار الاسباب وانه لا يفعل شيئا بشئ وانكار القوى والطبائع والغرائز وأن تكون أسبابا أو يكون لها أثر انسدهم عليهم باب الصواب في مسائل القدر والتزموا لهذه الاصول الباطلة لوازيم هي أنظهر بطلانها وفسادها وهي من أدل شيء على فساد هذه الاصول وبطلانها فان فساد اللازم من فساد ما زومه فان قيل الكراهة والحبة ترجع الى المنافرة والملائمة للطبع وذلك محال في حق من لا يوصف بطبع ولا منافرة ولا ملائمة قيل قد دلت النصوص التي لا تدفع على وصفه تعالى بالحبة والكراهة فتبينكم حقائق ما دلت عليه بالتعبير عنها بملائمة الطبع ومنافرة بطل وهو كفى كل مبطل حقائق أسمائه وصفاته بالتعبير عنها بعبارات اصطلاحية توصل بها الى نفى ما وصف به نفسه كتسمية الجبهة المعطلة صفاته اعراضا ثم توصلوا بهذه التسمية الى نفيها وسعوا أفعاله القائمة به حوادث ثم توصلوا بهذه التسمية الى نفيها وقالوا لا تخله الحوادث كما قالت المعطلة لا تقوم به الاعراض وسعوا علوه على خلقه واستواءه على عرشه وكونه قاهرا فوق عباده تحيزا وتجسما ثم توصلوا بنفى ذلك الى نفى علوه عن خلقه واستواءه على عرشه وسعوا ما أخبر به عن نفسه من الوجه واليدين والاصبع جوارح واعضاء ثم نفوا ما أثبتته لنفسه بتسميته له بغير تلك الاسماء ان هي الأسماء سميتوها ثم وأبواكم ما أنزل الله بهامن سلطان ان تتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فتوصلوا بالتشبيه والتجسيم والتركيب والحوادث والاعراض والتجيز الى تعطيل صفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله وأخلوا تلك الاسماء من معانيها وعطلوها من حقائقها فيقال ان نفى محبته وكراهته لاستزامهما ميل الطبع ونفرتة ما لفرق بينك وبين من نفى كونه مريدا لاستزام الارادة حركة النفس الى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها ونفى سمعه وبصره لاستزام ذلك تأثر السمع والبصر بالمسموع والمبصر وانطباع صورة المرئي في الرائي وحمل الهواء الصوت المسموع الى اذن السامع ومن نفى علمه لاستزامه انطباع صورة المعلوم في النفس الناطقة ونفى غضبه ورضاه لاستزام ذلك حركة القلب وانفعاله بما يرد عليه من المؤلم والسار ونفى كلامه لاستزام الكلام محلا يقوم به ويظهر منه من شفة ولسان ولهوات ولما لم يمكن أحدا أن يوجود رب العالمين طرد ذلك وقع في التناقض ولا بد فانه أي شيء أثبت له فيه ما لا يزم كمن أثبت ما نفاه هو من غير فرق البتة ولهذا قال الامام احمد وغيره من أئمة السنة لا تزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين والمقصود اننا لا نجد محبة تعالى لما يحبه وكراهته لما يكرهه لتسمية الثناء ذلك ملائمة ومنافرة وبأنفى التفتن لهذا الموضع فانه من اعظم اصول الضلال فلا نسمى العرش حيزا ولا نسمى الاستواء تحيزا ولا نسمى الصفات اعراضا ولا الافعال حوادث ولا الوجه واليدين والاصابع جوارح واعضاء ولا اثبات صفات كماله التي وصف بها نفسه تجسما وتشبيها فجنى جنتين عظيمتين جناية على التلطف وجناية على المعنى فتبدل الاسم ونعطل معناه ونظير هذا تسمية خلقه سبحانه لأفعال عباده وقضاء السابق جبرا ولذلك أنكر أئمة السنة كالأوزاعي

وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي والامام أحمد وغيرهم هذا اللفظ قال الاوزاعي والزبيدي ليس في الكتاب والسنة لفظ جبر وانما جاءت السنة بلفظ الجبر كما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد القيس ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والاناة فقال أخلفين خلقت بهما أم جبلت عليهما فقال بل جبلت عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على ما يحب فآخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله جبله على الحلم والاناة وهما من الافعال الاختيارية وان كانا خلقين قائمين بالعبد فان من الاخلاق ما هو كسبي ومنها ما لا يدخل تحت الكسب والنوعان قد جبل الله العبد عليهما وهو سبحانه يحب ما جبل عبده عليه من محاسن الاخلاق ويكره ما جبله عليه من مساوئها فكلاهما يحبهما وهذا محبوب له وهذا مكروه كما ان جبريل صلوات الله عليه مخلوق له وابليس عليه لعائن الله مخلوق له وجبريل محبوب له مصطفى عنده وابليس أبغض خلقه اليه ومما يوضح ذلك ان لفظ الجبر لفظ مجمل فانه يقال اجبر الاب ابنته على النكاح وجبر اخاكم الرجل على البيع ومعنى هذا الجبر أكرهه عليه ليس معناه انه جعله محبا لذلك راضيا به مختارا له والله تعالى اذا خلق فعل العبد جعله محبا له مختارا ليقاعه راضيا به كاره العدمه فاطلاق لفظ الجبر على ذلك فاسد لفظا ومعنى فان الله سبحانه أجل وأعز من أن يجبر عبده بذلك المعنى وانما يجبر العاجز عن أن يجعل غيره فاعلا بارادته ومحبه ورضاه وأما من جعل فعل العبد مریدا محبا مؤثرا لما يفعله فكيف يقال انه جبره عليه فهو سبحانه أجل وأعظم وأقدر من أن يجبر عبده ويكرهه على فعل يشاؤه منه بل اذا شاء من عبده أن يفعل فعلا جعله قادرا عليه مریدا له محبا مختارا ليقاعه وهو أيضا قادر على أن يجعله فاعلا له باختياره مع كراهته له وبغضه ونفرته عنه فكل ما يقع من العباد بارادتهم ومشيتاتهم فهو سبحانه الذي جعلهم فاعلين له سواء أحبوه أو أبغضوه وكرهوه وهو سبحانه لم يجبرهم في النوعين كما يجبر غيره من لا يقدر على جعله فاعلا بارادته ومشيته نعم نحن لا ننكر استعمال لفظ الجبر فيما هو أعم من ذلك بحيث يتناول من قهر غيره وقدر على جعله فاعلا لما يشاء فعله وتاركا لما لا يشاء فعله فانه سبحانه المحدث لارادته له وقدرته عليه قال محمد بن كعب القرطبي في اسم الجبار انه سبحانه هو الذي جبر العباد على ما أراد وفي الدعاء المعروف عن علي رضي الله عنه اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها فالجبر بهذا المعنى معناه القهر والقدرة وانه سبحانه قادر على أن يفعل بعبد ما شاء واذا شاء منه شيئا وقع ولا بدوان لم يشأ لم يكن ليس كالعاجز الذي يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء والفرق بين هذا الجبر وجبر المخلوق لغيره من وجوده* أحدها ان المخلوق لا قدرة له على جعل الغير مریدا للفعل محبا له والرب تعالى قادر على جعل عبده كذلك* الثاني ان المخلوق قد يجبر غيره اجبارا يكون به ظلما معتديا عليه والرب أعدل من ذلك فانه لا يظلم أحدا من خلقه بل مشيئته نافذة فيهم بالعدل والاحسان بل عدله فيهم من احسانه اليهم كما سنبينه ان شاء الله تعالى* الثالث ان المخلوق يكون في جبره لغيره سفيا أو غائبا أو جاهلا والرب تعالى اذا جبر عبده على أمر من الامور كان له في ذلك من الحكمة والعدل والاحسان والرحمة ما هو محمود عليه بجميع وجوه الحمد* الرابع ان المخلوق يجبر غيره لحاجته الى ما جبره عليه ولا تنفاعة بذلك وهذا لانه فقير بالذات وأما الرب تعالى فهو الغني بذاته الذي كل ماسواء محتاج اليه وليس به حاجة الى أحد* الخامس ان المخلوق يجبر غيره

لنقصه فيجبره ليحصل له الكمال بما أجبره عليه والرب تعالى له الكمال المطابق من جميع الوجوه وكاله من لوازم ذاته لم يستفده من خلقه بل هو الذي أعطاهم من الكمال ما يابق بهم فالحق يوجب غيره ليتكامل والرب تعالى منزعه عن كل نقص فكماله المقدس ينفي الجبر * السادس ان الحلق يوجب غيره على فعل يعينه به على غرضه لعجزه عن التوصل اليه الا بمعاونته له فصار الفعل من هذا والقهر والاكراه من هذا محصلا لغرض المكروه كما أن المدين لغيره باختياره شريك له في الفعل والرب تعالى غنى عما سواه بكل وجه فيستحيل في حقه الجبر * السابع ان الجبور على مالا يريد فعله يحمى من نفسه فراقضوا ربائنه وبين ما يريد فعله باختياره ومحبة بالتسوية بين الامر من تسوية بين ماعلم بالحق والاضطرار الفرق بينهما وهو كالتسوية بين حركة المرتعش وحركة الكاتب وهذا من أبطال الباطل * الثامن ان الله سبحانه قد فطر العباد على أن الجبور المكروه على الفعل معذور لا يستحق الذم والعقوبة ويقولون قد أكره على كذا وجبره السلطان عليه وكما أنهم مفلطرون على هذا فهم مفلطرون ايضا على ذم من فعل القبائح باختياره وشريعته سبحانه موافقة لفطرته في ذلك فمن سوى بين الامرين فقد خرج عن موجب الشرع والعقل والفطرة * التاسع ان من أمر غيره بمصاحبة المأمور وما هو محتاج اليه ولا سعادة له ولا فلاح الا به لا يقال جبره على ذلك وانما يقال نصحه وأرشده ونفعه وهداه ونحو ذلك وقد لا يختار المأمور المنهى ذلك فيجبره النصيح له على ذلك من له ولاية الاجبار وهذا جبر الحق وهو جائز بل واقع في شرع الرب وقدره وحكمته ورحمته واحسانه لا تنفع هذا الجبر * العاشر ان الرب ليس كمثل شئ في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فجملة العبد فاعلا لقدرته ومشيئته واختياره أمر يختص به تبارك وتعالى والحلق لا يقدر أن يجعل غيره فاعلا الا باكراهه له على ذلك فان لم يكرهه لم يقدر على غير الدعاء والامر بالفعل وذلك لا يصير العبد فاعلا فالحلق هو يوجب غيره على الفعل ويكرهه عليه فنبه ذلك الى الرب تشبيه له في أفعاله بالحلق الذي لا يجعل غيره فاعلا الا بجبره له واكراهه فكمال قدرته تعالى وكمال علمه وكمال مشيئته وكمال عدله واحسانه وكمال غناه وكمال ملكه وكمال حاجته على عبده تنفي الجبر

فصل فالطوائف كلها متفقة على الكسب ومختلفون في حقيقته فقالت القدرية هو احداث العبد لفعله بقدرته ومشيئته استقلا وليس للرب صنع فيه ولا هو خالق فعله ولا مكنونه ولا مريدا له وقالت الجبرية الكسب اقتران الفعل بالقدره الحادثة من غير ان يكون لها فيه أمر وكلا الطائفتين فرق بين الخلق والكسب ثم اختلفوا فيما وقع به الفرق فقال الاشعري في عامة كتبه معنى الكسب ان يكون الفعل بقدره محدث فن وقع منه الفعل بقدره قديمة فهو فاعل خالق ومن وقع منه بقدره محدث فهو مكتسب وقال قائلون من يفعل بغير آلة ولا جراحة فهو خالق ومن يحتاج في فعله الى الآلات والجوارح فهو مكتسب وهذا قول الاسكافي وطوائف من المعتزلة قال واختلفوا هل يقال ان الانسان فاعل على الحقيقة فقالت المعتزلة كلها الا الثنائي ان الانسان فاعل محدث ومخترع ومنشئ على الحقيقة دون المجاز وقال الثنائي الانسان لا يفعل في الحقيقة ولا يحدث في الحقيقة وكان يقول ان الباري أحدث كسب الانسان قال فلزمه محدث لا يحدث في الحقيقة ومفعول لا لفاعل في الحقيقة قلت وجه الزامه ذلك انه قد أعطى ان الانسان غير فاعل

لفعله وقوله مفعول وليس هو فعلا لله ولا فعلا للعبد فلزمه مفعول من غير فاعل ولعمركم ان هذا الالتزام لازم لآي الحسن وللجبرية فان عندهم الانسان ليس بفاعل حقيقة والفاعل هو الله وأعمال الانسان قائمة لم تقم بالله فاذا لم يكن الانسان فاعلا مع قيامها به فكيف يكون الله سبحانه هو فاعلاها ولو كان فاعلا لمادت أحكامها عليه واشتقت له منها أسماء وذلك مستحيل على الله فيلزمك أن تكون أفعالا لا فاعلا لها فان العبد ليس بفاعل عندك ولو كان الرب فاعلا لها لاشتقت له منها أسماء وعاد حكمها عايه * فان قيل فما تقولون أتم في هذا المقام قلنا لانقول بواحد من القولين بل نقول هي أفعال للعبد حقيقة ومفعولة للرب فالفاعل عندنا غير المفعول وهو اجماع من أهل السنة حكاه الحسين بن مسعود البغوى وغيره فالعبد فاعله حقيقة والله خالقه وخالق ما فعل به من القدرة والارادة وخالق فاعليته وسر المسئلة ان العبد فاعل منفعل باعتبارين هل هو منفعل في فاعليته فربه تعالى هو الذى جعله فاعلا بقدرته ومشئته وأقدره على الفعل وأحدث له المشيئة التى يفعل بها قال الاشعرى وكثير من أهل الاثبات يقولون ان الانسان فاعل في الحقيقة بمعنى مكتسب ويتمنعون أنه محدث قلت هؤلاء وقفوا عند الفاظ الكتاب والسنة فأنهما مملوآن من نسبة الأفعال الى العبد باسمها العام وأسمائها الخاصة فالاسم العام كقوله تعالى تعملون تفعلون تكسبون والأسماء الخاصة يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤمنون ويخافون ويتوبون ويجاهدون وأما لفظ الاحداث فلم يجئ الا في الذم كقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله من أحدث حدثا أو آوى محدثا فهذا ليس بمعنى الفعل والكسب وكذلك قول عبد الله بن مغفل لأبنة اياك والحدث في الاسلام ولا يمنع اطلاقه على فعل الخير مع التقييد قال بعض السلف اذا أحدث الله لك نعمة فاحدث لها شكرا واذا احدثت ذنبا فاحدث له توبة ومنه قوله هل احدثت توبة واحداث للذنوب استغفارا ولا يلزم من ذلك اطلاق اسم المحداث عليه والاحداث على فعله قال الاشعرى وبلغنى ان بعضهم اطلق في الانسان انه محدث في الحقيقة بمعنى مكتسب قلت ههنا الفاظ وهى فاعل وعامل ومكتسب وكاسب وصانع ومحدث وجاعل ومؤثر ومنشئ وموجد وخالق وبارئ ومصور وقادر ومريد وهذه الالفاظ ثلاثة اقسام قسم لم يطلق الا على الرب سبحانه كالبارئ والبديع والمبدع وقسم لا يطلق الا على العبد كالكاسب والمكتسب وقسم وقع اطلاقه على الرب والعبد كاسم صانع وفاعل وعامل ومنشئ ومريد وقادر وأما الخالق والمصور فان استعمالا مطلقين غير مقيدين لم يطلق الا على الرب كقوله الخالق البارئ المصور وان استعمالا مقيدين اطلقا على العبد كما يقال لمن قدر شيئا في نفسه انه خلقه قال ولان ترى ما خلقت وبه* فض القوم بخالق ثم لا يفر

أى لك قدرة تمضى وتنفذها ما قدرته في نفسك وغيرك بقدر أشياء وهو عاجز عن انفاذها وامضاءها وهذا الاعتبار صح اطلاق خالق على العبد في قوله تعالى (فتبارك الله احسن الخالقين) أى أحسن المصورين والمقدرين والعرب تقول قدرت الادمي وخالقته اذا قسمته لتقطع منه مزادة أو قربة ونحوها قال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين وقال الليث رجل خالق أى صانع وهن الخالقات للنساء وقال مقاتل يقول تعالى هو أحسن خلقا من الذين يخلقون التماثيل وغيرها التى لا يتحرك منها شئ وأما البارئ فلا يصح اطلاقه الا عليه سبحانه فانه الذى برأ الخليفة وأوجدها بعد عدمها

والعبد لاتعماق قدرته بذلك اذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى وبراه وتغيرها من حال الى حال على وجه مخصوص لاتتعداه قدرته وليس من هذا برئت التلم لانه معتل لاهموز ولا برأت من المرض لانه فعل لازم غير متعد وكذلك مبدع الشيء وبديعه لايصح اطلاقه الا على الرب كقوله بديع السموات والارض والابداع إيجاد المبدع على غير مثال سبق والعبد يسمى مبتدعا لكونه أحدث قولا لم يتض به سنة ثم يقال لمن اتبعه عليه مبتدع أيضا وأما لفظ الموجد فلم يقع في أسمائه سبحانه وان كان هو الموجد على الحقيقة ووقع في أسمائه الواجد وهو بمعنى الغنى الذي له الوجد وأما الموجد فهو مفعول من أوجد وله معنيان أحدهما أن يجعل الشيء موجودا وهو تعديعية وجده وأوجدته قال الجوهري وجد الشيء عن عدم فهو موجد مثل حم فهو محموم وأوجدته الله ولا يقال وجده والمعنى الثاني أوجده جعل له جدة وغنى وهذا يتعدى الى مفعولين قال في الصحاح أوجدته الله مطلوبه أى أظهره به وأوجدته أى أغناه قلت وهذا يحتمل أمرين أحدهما أن يكون من باب حذف أحد المفعولين أى أوجده مالا وغنى وان يكون من باب صيره واجدا مثل أغناه وأفقره اذا صيره غنيا وفقيرا فعلى التقدير الاول يكون تعديعية وجد مالا وغنى وأوجدته الله أيام وعلى الثاني يكون تعديعية وجد واجدا اذا استغنى ومصدر هذا الوجد بالضم والفتح والكسر قال تعالى (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) فغير متمتع أن يطلق على من يفعل بالقدرة المحدثه انه أوجد مقدوره كما يطلق عليه انه فعله وعمله وصنعه وأحدثه لاعلى سبيل الاستقلال وكذلك لفظ المؤثر لم يرد اطلاقه في أسماء الرب وقد وقع اطلاق الاثر والتأثير على فعل العبد قال تعالى (انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) قال ابن عباس مأثروا من خير أو شر فسمي ذلك آثارا لحصوله بتأثيرهم ومن العجب ان المتكلمين يمتنعون من اطلاق التأثير والمؤثر على من أطلق عليه في القرآن والسنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة دياركم تكتب آثاركم أى الزموا دياركم ويخصونه بمن لم يقع اطلاقه عليه في كتاب ولا سنة وان استعمل في حقه الاثار والاستتار كقال أخو يوسف تالله لقد أترك الله علينا وفي الاثر اذا استأثر الله بشئ قاله عنه وقال النازم

استأثر الله بالثناء وبالحمْد وولى الملامة الرجال

ولما كان التأثير تفعيلا من أثرت في كذا تأثيرا فانا مؤثر لم يتمتع اطلاقه على العبد قال في الصحاح التأثير ابقاء الاثر في الشيء وأما لفظ الصانع فلم يرد في أسماء الرب سبحانه ولا يمكن ورودها فان الصانع من صنع شيئا عدلا كان او ظلما سفها او حكمة جائرا او غير جائر وما انقسم مساه الى مدح وذم لم يجي اسمه المطلق في الاسماء الحسنى كلفاعل والعامل والصانع والمريد والمتكلم لاتقسام معاني هذه الاسماء الى محمود ومذموم بخلاف العالم والقادر والحي والسميع والبصير وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم العبد صانعا قال البخارى حدثنا على بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربيع بن خراش عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يصنع كل صانع وصنعه وقد أطلق سبحانه على فعله اسم الصنع فقال صنع الله الذى أتقن كل شئ وهو منصوب على المصدر لان قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) يدل على الصنعة وقيل هو نصب على المفعولية أى انظروا صنع الله فعلى الاول يكون صنع الله مصدرا بمعنى الفعل وعلى الثاني يكون

بمعنى المصنوع المفعول فانه الذى يمكن وقوع النظر والرؤية عليه وأما الانشاء فانما وقع اطلاقه عليه سبحانه فعلا كقوله (وينشئ السحاب النقال) وقوله (فأنشأنا لكم به جنات) وقوله (وننشئكم فيما لانعلمون) وهو كثير ولم يرد لفظ المنشئ وأما العبد فيطابق عليه الانشاء باعتبار آخر وهو شروعه في الفعل وابتدأؤه له يقول أنشأ يحدثننا وأنشأ السير فهو منشئ لذلك وهذا انشاء مقيدوانشاء الرب انشاء مطلق وهذه اللفظة تدور على معنى الابتداء أنشأ الله أى ابتدأ خلقه وأنشأ يفعل كذا ابتدأ ونلان ينشئ الاحاديث أى يتبدئ وضعها والنشئ أول مايشأ من السحاب قال الجوهري وناشئة الليل أول ساعاته قلت هذا قد قاله غير واحد من السلف ان ناشئة الليل أوله التى منها ينشأ الليل والصحيح انها لا تختص بالساعة الاولى بل هي ساعاته ناشئة بعد ناشئة كلما انقضت ساعة نشأت بعدها أخرى وقال أبو عبيدة ناشئة الليل ساعاته وأنأؤه ناشئة بعد ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كلما نشأ منه أى حدث منه فهو ناشئة قال ابن قتيبة هي آناء الليل وساعاته مأخوذة من نشأت نشأ نشأ أى ابتدأت وأقبلت شيئا بعدشيء وأنشأها الله فنشأت والمعنى ان ساعات الليل الناشئة وقول صاحب الصحاح منقول عن كثير من السلف قال على بن الحسين ناشئة الليل ما بين المغرب الى العشاء وهذا قول أنس ونابت وسعيد بن جبير والضحاك والحكم واختيار الكسائي قالوا ناشئة الليل أوله وهؤلاء راعوا معنى الاولى في الناشئة وفيها قول ثالث ان الليل كله ناشئة وهذا قول عكرمة وأبى مجاز ومجاهد والسدى وابن الزبير وابن عباس في رواية قال ابن أبى مليكة سألت ابن الزبير وابن عباس عن ناشئة الليل فقالا الليل كله ناشئة فهذه أقوال من جعل ناشئة الليل زمانا وأما من جعلها فعلا ينشأ بالليل فالناشئة عندهم اسم لما يفعل بالليل من القيام وهذا قول ابن مسعود ومعاوية بن قرة وجاعة قالوا ناشئة الليل قيام الليل وقال آخرون منهم عائشة انما يكون القيام ناشئة اذا تقدمه نوم قالت عائشة ناشئة الليل القيام بعد النوم وهذا قول ابن الاعرابى قال اذا نمت من أول الليل نومة ثم قمت فذلك النشأة ومنه ناشئة الليل فعلى قول الاولين ناشئة الليل بمعنى من اضافة نوع الى جنسه أى ناشئة منه وعلى قول هؤلاء اضافة بمعنى في أى طاعة ناشئة فيه والمقصود ان الانشاء ابتداء سواء تقدمه مثله كالنشأة الثانية أو لم يتقدمه كالنشأة الاولى وأما الجعل فقد أطلق على الله سبحانه بمعنىين أحدهما الإيجاد والخلق والثاني التصيير فالاول يتعدى الى مفعول كقوله وجعلنا الظلمات والنور والثاني أ كثر ما يتعدى الى مفعولين كقوله (انا جعلناه قرآنا عربيا) وأطلق على العبد بالمعنى الثاني خاصة كقوله (وجعلوا لله عما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) وغالب ما يستعمل في حق العبد في جعل التسمية والاعتقاد حيث لا يكون له صنع في الجعول كقوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انانا) وقوله ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا﴾ وهذا يتعدى الى واحد وهو جعل اعتقاد وتسمية وأما الفعل والعمل فاطلاقة على العبد كثير لبس ما كانوا يفعلون لبس ما كانوا يعملون بما كنتم تعملون وأطلقه على نفسه فعلا واسما فالاول كقوله ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ والثاني كقوله ﴿فعل ما يريد﴾ وقوله ﴿وكنا فاعلين﴾ في موضعين من كتابه أحدهما قوله ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والغير وكنا فاعلين﴾ والثاني قوله ﴿يوم نطوى السماء كطلى السجل للكتب﴾ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين فتأمل قوله كنا فاعلين في هذين الموضعين

المتضمنين للصنع العجيب الخارج عن العادة كيف تجده كالدليل على ما أخبر به وأنه لا يستعصى على الفاعل حقيقة أى شأنا الفعل كما لا يخفى الجهر والأسرار بالقول على من شأنه العلم والخبرة ولا تصعب المنفرة على من شأنه أن يغفر الذنوب ولا الرزق على من شأنه أن يرزق العباد وقد وقع الزجاج على هذا المعنى بعينه فقال وكنا فاعلين قادرين على فعل ما نشاء

الباب الثامن عشر

في فعل وافعل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والانفعال

ينبغي الاعتناء بكشف هذا الباب وتحقيق معناه فبذلك يتحل عن العبد أنواع من ضلالات القدرية والجزئية حيث لم يعطوا هذا الباب حقه من العرفان * اعلم أن الرب سبحانه فاعل غير منفعل والعبد فاعل منفعل وهو في فاعليته منفعل للفاعل الذي لا ينفعل بوجه فالجزئية شهدت كونه منفعلا بحري عليه الحكم بمنزلة الآلة والحل وجعلوا حركته بمنزلة حركات الأشجار ولم يجعلوه فاعلا الاعلى سبيل المجاز فقام وقعد وأكل وشرب وصلى وصام عندهم بمنزلة مرض وألم ومات ونحو ذلك مما هو فيه منفعل محض والقدرية شهدت كونه فاعلا محضا غير منفعل في فعله وكل من الطائفتين نظر بعين عوراء وأهل العلم والاعتدال أعطوا أكلا المقامين حقه ولم يبتلوا أحد الأمرين بالآخر فاستقام لهم نظرهم ومناظرتهم واستقر عندهم الشرع والقدر في نصابه ومهدوا وقوع الثواب والعقاب على من هو أولى به فالتبوا نطق العبد حقيقة وانطلق الله له حقيقة قال تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فالانطلاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله والنطق فعل العبد الذي لا يمكن انكاره كما قال تعالى (فأوب السماء والارض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فلم أن كونهم ينطقون هو أمر حقيقي حتى شبه به في تحقيق كون ما أخبر به وأن هذا حقيقة لا مجاز ومن جعل إضافة نطق العبد إليه مجازا لم يكن ناطقا عنده حقيقة فلا يكون التشبيه بنطقه محققا لما أخبر به فتأمل ونظير هذا قوله تعالى (وأنه هو أضحكك وأبكى) فهو المضحك المبكى حقيقة والعبد الضاحك الباكي حقيقة كما قال تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وقال (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) فلولو المنطق الذى أنطق والمضحك المبكى الذى أضحك وأبكى لم يوجد ناطق ولا ضاحك ولا باك فاذا أحب عبدا أنطقه بما يحب وأتابه عليه وإذا أبغضه أنطقه بما يكرهه فعاقبه عليه وهو الذى أنطق هذا وهذا وأجرى ما يجب على لسان هذا وما يكره على لسان هذا كما أنه أجرى على قلب هذا ما ضحكك وعلى قلب هذا ما أبكاك وكذلك قوله تعالى (هو الذى يسركم في البر والبحر) وقوله (قل سيروا في الارض) فالتسير فعله حقيقة والتسير فعل العبد حقيقة فالتسير فعل محض والتسير فعل وانفعال ومن هذا قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكم) فهو سبحانه المزوج ورسوله المتزوج وكذلك قوله (وزوجناهم بحور عين) فهو المزوج وهم المتزوجون وقد جمع سبحانه بين الأمرين في قوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) فالازاغة فعله والزاغ فعلهم فان قيل أتم قررتهم أنه لم يقع منهم الفعل الا بعد فعله وأنه لولا انطاقه لهم واضحا كما وابتكاؤه لسا نطقوا ولا ضحكوا ولا بكوا وقد دلت هذه الآية على أن فعله بعد فعلهم وأنه أزاغ قلوبهم بعد أن

زاعوا وهذا يدل على ان ازاغة قلوبهم هو حكمه عليها بالزيف لاجتماعها زائفة وكذلك قوله انطقا الله المراد جعل لنا آلة النطق واضحك وأبكى جعل لهم آلة الضحك والبكاء قيل أما الازاغة المترتبة على زيفهم فهي ازاغة أخرى غير الازاغة التي زاعوا بها أولا عقوبة لهم على زيفهم والرب تعالى يعاقب على السيئة بمثلا كما يثيب على الحسنة بمثلا فحدث لهم زيف آخر غير الزيف الاول فهم زاعوا أولا فجازاهم الله بازاغة فوق زيفهم * فان قيل فالزيف الاول من فعاهم وهو مخلوق لله فيهم على غير وجه الجزاء والا تسلسل الامر * قيل بل الزيف الاول وقع جزاء لهم وعقوبة على تركهم الايمان والتصديق لما جاءهم من الهدى وهذا الترك امر عديم لا يستدعي فاعلا فان تأثير الفاعل انما هو في الوجود لا في العدم * فان قيل فهذا الترك العدمي له سبب اول لا سبب له * قيل سببه عدم سبب ضده فبقى على العدم الاصلى وبشبه هذا قوله (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) عاقبهم على نسيانهم له بان انساهم انفسهم فنسوا مصالحها ان يفعلوها ويعيوبها ان يصالحوها وحظوظها ان يتناولوها ومن اعظم مصالحها وانفع حظوظها ذكرها لربها وفاطرها وهي لانهم لها ولا سرور ولا فلاح ولا صلاح الا بذكره وحبه وطاعته والاقبال عليه والاعراض عما سواه فانساهم ذلك لما نسوه واحداث لهم هذا النسيان نسيانا آخر وهذا ضد حال الذين ذكروه ولم ينسوه فذكرهم مصالح نفوسهم ففعلوها واوقفتهم على عيوبها فاصالحوها وعرفهم حظوظها العالية فبادروا اليها فجازى اولئك على نسيانهم بان انساهم الايمان ومحبه وذكره وشكره فلما خلت قلوبهم من ذلك لم يجدوا عن ضده محيصا وهذا يبين لك كمال عدله سبحانه في تقدير الكفر والذنوب عليها واذا كان قضاءؤه عليها بالكفر والذنوب عدلا منه عليها فقضاءؤه عليها بالعقوبة اعدل واعدل فهو سبحانه ماض في عيده حكمه عدل فيه قضاءؤه وله فيها قضا آن قضاء السبب وقضاء المسبب وكلاهما عدل فيه فانه لما ترك ذكره وترك فعل ما يحبه عاقبه بنسيان نفسه فاحداث له هذا النسيان ارتكاب ما يغضوه ويسخطه بقضائه الذي هو عدل فترتب له على هذا الفعل والترك عقوبات وآلام لم يكن له منها بد يلهي مرتبة عليه ترتب المسببات على اسبابها فهو عدل محض من الرب تعالى فعدل في العبد او لا وآخرا فهو محسن في عدله محبوب عليه محمود فيه مجمده من عدل فيه طوعا وكرها قال الحسن لقد دخلوا النار وان حدهم في قلوبهم ما وجدوا عليه سيلا وسرزيد هذا الموضع بسطا وبيانا في باب دخول الشر في القضاء الالهي ان شاء الله اذ المقصود ههنا بيان كون العبد فاعلا منفعلا والفرق في هذا الباب بين فعل وافعل وان الله سبحانه افعل والعبد فعل فهو الذي اقام العبد واصله واماته والعبد هو الذي قام وضل ومات واما قولكم ان معنى انطقه واضحكه وابكاه جعل له آلة ينطق بها ويضحك ويبكي فاعطاءؤه الآلة وحدها لا يكفي في صدق الفعل بانه انطقه واضحكه فلو ان رجلا صمت يوما كاملا خاف خائف ان الله انطقه لكان كاذبا حاتا ولو دعوت كافرين الى الاسلام فطلق احدهما بكامة الشهادة وسكت الآخر لم يقتل احد قط ان الله قد انطق الساك كذا انطق المتكلم وكلاهما قد اعطى آلة النطق ومتعلق الامر والنهي والثواب والعقاب الفعل لا الافعال * فان قيل هل تطردون هذا في جميع افعال العبد من كفره وزناه وسرقته فتقولون ان الله افعله وهو الذي فعل ام تحضون ذلك ببعض الافعال فيظهر تناقضكم * قيل ههنا امر ان امر لغوي وامر معنوي فاما اللغوي فان ذلك لا يطرد في لغة

العرب لا يقولون أذن الله الرجل وأسرقه وأشربه وأقبله اذا جعله يزني ويسرق ويشرب ويقتل وان كان في لغتها أقامه وأقعدته وأنطقه وأضحكه وأبكاه وأخله وقد يأتي هذا مضاعفا كقوله وعلمه وسيره وقال تعالى (فجعلناها سلبان) فالتفهم منه سبحانه والفهم من نبيه سليمان وكذلك قوله (وعلمناه من لدنا علما) فالتعليم منه سبحانه وكذلك التسيير والسير والتعلم من العبد فهذا المعنى ثابت في جميع الافعال فهو سبحانه هو الذي جعل العبد فاعلا كما قال ﴿وبما نأثمهم أثمة يهدون بأمرنا وجعلناهم أثمة يدعون الى النار﴾ فهو سبحانه الذي جعل أثمة الهدي يهدون بأمره وجعل أثمة الضلال والبدع يدعون الى النار فامتناع اطلاق كلمته فتكلم لا يمنع من اطلاق أطلقه فقط وكذا امتناع اطلاق أعداء بأمره وادعاه الى النار لا يمنع من اطلاق جعله يهدى بأمره ويدعو الى النار* فان قيل ومع ذلك كله هل تقولون ان الله سبحانه هو الذي جعل الزانيين يزنيان وهو الذي جمع بينهما على الفعل وساق أحدهما الى صاحبه * قيل أصل بلاء أكثر الناس من جهة الالفاظ المجمة التي تشتمل على حق وباطل فيطلقها من يريد حقها فينكرها من يريد باطلها فيريد عليه من يريد حقها وهذا باب اذا تأمله الذكي الفطن رأى منه عجائب وخلصه من ورطات تورط فيها أكثر الطوائف فالجمل المضاف الى الله سبحانه يراد به الجمل الذي يحبه ويرضاه والجمل الذي قدره وقضاه قال الله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) فهذا نفى لجعله الشرعى الدينى أى ما شرع ذلك ولا أمر به ولا أحبه ورضيه وقال تعالى ﴿وجعلناهم أثمة يدعون الى النار﴾ فهذا جعل كوفى قدرى اى قدرنا ذلك وقضيناه وجعل العبد اماما يدعو الى النار ابلاغ من جعله يزني ويسرق ويقتل وجعله كذلك ايضا لفظ يحمل يراد به انه جبره واكرهه عليه واضطره اليه وهذا محال في حق الرب تعالى وكاله المقدس يأتي ذلك وصفات كاله تمنع منه كما تقدم ويراد به انه مكنه من ذلك واقدره عليه من غير ان يضطره اليه ولا اكرهه ولا اجبره فهذا حق * فان قيل هذا كله عدول عن المقصود فمن احدث معصية واوجدها وبرزها من العدم الى الوجود * قيل الفاعل لها هو الذى اوجدها وحدثها وبرزها من العدم الى الوجود باقدار الله له على ذلك وتمكينه منه من غير إلجاء له ولا اضطرار منه الى فعلها * فان قيل فمن الذى خلقها اذا * قيل انكم ومن الذى فعلها فان قام الرب سبحانه هو الفاعل للفسوق والعصيان اكد بكم العقل والفطرة وكتب الله المنزلة واجماع رساله واثبات حمده وصفات كاله فان فعله سبحانه كله خير وتعالى ان يفعل شرا بوجه من الوجوه فالشر ليس اليه والخير هو الذى اليه ولا يفعل الا خيرا ولا يريد الا خيرا ولو شاء لفعل غير ذلك ولكنه تعالى تنزه عن فعل مالا ينبغي وارادته ومشيتته كما هو منزّه عن الوصف به والتسمية به * وان قلتم العبد هو الذى فعلها بما خالق فيه من الارادة والمشية * قيل فالله سبحانه خالق افعال العباد كما بهذا الاعتبار ولو سلك الجبري مع القدرى هذا المسلك لاستراح معه وراحه وكذلك القدرى معه ولكن انحراف الفرقان عن سواء السبيل كما قال

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فان قيل فهل يمكنه الامتناع منها وقد خلقت فيه نفسها او اسبابها الموجبة لها وخالق السبب الموجب خلق لمسيبه وموجبه قيل هذا السؤال يورد على وجهين أحدهما ان يراد به انه يصير مضطرا اليها

ملجأ إلى فعلها بخلقها أو خلق أسبابها بحيث لا يبق له اختيار في نفسه ولا إرادة وتبقى حركته قسرية لا إرادة الثاني أنه هل لاختياره وإرادته وقدرته تأثير فيهما أو التأثير لقدرة الرب ومشيته فقط وذلك هو السبب الموجب للفعل فإن أوردتموه على الوجه الأول فخوابه أنه يمكنه أن يفعل وإن لا يفعل ولا يصير مضطرا ملجأ بخلقها فيه ولا بخلق أسبابها ودواعيها فإنها إنما خلقت فيه على وجه يمكنه فعلها وتركها ولو لم يمكنه الترك لزم اجتماع التقيضين وإن يكون مريدا غير مريد فاعلا غير فاعل ملجأ غير ملجأ وإن أوردتموه على الوجه الثاني فخوابه أن لإرادته واختياره وقدرته أثر فيها وهي السبب الذي خلقها الله في العبد فقولكم أنه لا يمكنه الترك مع الاعتراف بكونه متمكننا من الفعل جمع بين التقيضين فإنه إذا تمكن من الفعل كان الفعل اختياريا إن شاء فعله وإن شاء لم يفعله فكيف يصح أن يقال لا يمكنه ترك الفعل الاختياري الممكن هذا خالف من القول وحققة الأمر أنه يمكنه الترك لو أراد لكنه لا يريد فصار لازما بالإرادة الجازمة * فإن قيل فهذا يكفي في كونه مجبورا عليه * قيل هذا من أدل شيء على بطلان الجبر فإنه إنما لزم بإرادته المتنافية للجبر ولو كان وجوب الفعل بالإرادة يقتضي الجبر لكان الرب تعالى وتقدس مجبورا على أفعاله لوجوبها بإرادته ومشيته وذلك محال * فإن قيل الفرق أن إرادة الرب تعالى من نفسه لم يفعله غيره مريدا والعبد إرادته من ربه أذهى مخلوقه فإنه هو الذي جعله مريدا * قيل هذا موضع اضطرب فيه الناس فسلكت فيه القدرية واديا وسلكت الجبرية واديا فقالت القدرية العبد هو الذي يحدث إرادته والله مكنه من أحداث إرادته بان خلقه كذلك وقالت الجبرية بسل الله هو الذي يحدث إرادات العبد شيئا بعد شيء فأحداث الإرادات فيه كإحداث لونه وطوله وقصره وسواده وبياضه مما لا صنع له فيه الية فلو أراد أن لا يريد لما أمكنه ذلك وكان كالموآراد أن يكون طوله وقصره ولونه على غير ما هو عليه فهو مضطرا إلى الإرادة وكل إرادة من إراداته فهي متوقفة على مشيئة الرب لها بخصوصها فهي مرادلة سبحانه كما هي معلومة مقدورة فلزمهم القول بالجبر من هذه الجهة ومن جهة فهمهم أن يكون لإرادة العبد وقدرته أثر في الفعل * فإن قيل فأي واد تسلكونه غير هذين الواديين وأي طريق تمرن فيها سوى هذين الطريقين * قيل نعم ههنا طريقة ثالثة لم يسلكها الفريقان ولم يمتد إليها الطائفتان ولو حكمت كل طاقة مامعها من الحق والتزم لوازمه وطرده لساقها إلى هذه الطريق ولأوقعها على الحجة المستقيمة فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله * العبد يهملته مخلوق لله جسمه وروحه وصفاته وأفعاله وأحواله فهو مخلوق من جميع الوجوه وخلق على نشأة وصفة يمكن بها من أحداث إرادته وأفعاله وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه فهو الذي خلقه وكونه كذلك وهو لم يحمل نفسه كذلك بل خلقه وبأمره جملته محدثا لإرادته وأفعاله وبذلك أمره ونهاه وأقام عليه حجته وعرضه للأواب والمقاب فأمرو بما هو متمكن من أحداثه ونهاه عما هو متمكن من تركه ورتب ثوابه وعقابه على هذه الأفعال والتزك التي مكنه منها وأقدره عليها وناطها به وفقر خلقه على مدحه وذمه عليها مؤمنهم وكافرهم المقر بالشرايع منهم والجاحد لها فكان مريدا شائيا بمشيئة الله له ولولا مشيئة الله أن يكون شائيا لكان أعجز وأضعف من أن يحمل نفسه شائيا فالرب سبحانه أعطاه مشيئة وقدره وإرادته وعرفه ما ينفعه وما يضره وأمره أن يجري مشيئته وإرادته

وقدرته في الطريق التي يصل بها الى غاية صلاحه فاجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرسا يركبها وأوقفه على طريق نجاة وهلكة وقال أجرها في هذه الطريق فعدل بها الى الطريق الاخرى واجراها فيها فغلبتها بقوة رأسها وشدة سيرها وعز عليه ردها عن جهة جريها وحيل بينه وبين ادارتها الى ورائها مع اختيارها وارادتها فلو قلت كان ردها عن طريقها ممكنا له مقدورا أصبت وان قلت لم يبق في هذه الحال يسده من أمرها شيء ولا هو متمكن أصبت بل قد حال بينه وبين ردها من يحول بين المرء وقلبه ومن يقلب أفئدة المعاندين وأبصارهم وإذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عرضت له صورة بارعة الجمال فدعاه حسنها الى محبتها فنهاه عقله وذكره مافي ذلك من التلف والعطب واره مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه فعاد يعاود النظر مرة مرة ويحث نفسه على التعلق وقوة الارادة ويحرض على أسباب المحبة ويدنى الوقود من النار حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها ورمت بشررها وقد أحاطت به طلب الخلاص قال له القلب هيئات لات حين مناص وانشد

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

فكان الترك أولا مقدوراله لما لم يوجد السبب التام والارادة الحازمة الموجبة للفعل فلما تمكن الداعي واستحكمت الارادة قال المحب لعاذله

يا عاذلي والامر في يده هلا عذلت وفي يدي الامر

فكان أول الامر ارادة واختيارا ومحبة ووسطه اضطرارا وآخره عقوبة وبلاء ومثل هذا برجل ركب فرسا لا يملكه رايه ولا يتمكن من رده واجراء في طريق ينتهي به الى موضع هلاك فكان الامر اليه قبل ركوبها فلما توسطت به الميدان خرج الامر عن يده فلما وصلت به الى الغاية حصل على الهلاك ويشبه هذا حال السكران الذي قد زال عقله اذا جنى عليه في حال سكره لم يكن معذورا لتعاطيه السبب اختيارا فلم يكن معذورا بما ترتب عليه اضطرارا وهذا مأخذ من أوقع طلاقه من الائمة ولهذا قالوا اذا زال عقله بسبب يعذر فيه لم يقع طلاقه ففعلوا وقوع الطلاق عليه من تمام عقوبته والذين لم يوقعوا الطلاق قوهم افقه كما أفتى به عثمان بن عفان ولم يعلمه في الصحابة مخالف ورجع عليه الامام أحمد واستقر عليه قوله فان الطلاق ما كان عن وطر والسكران لاوطرله في الطلاق وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم وقوع الطلاق في حال الغلق والسكر من الغلق كان الاكراه والجنون من الغلق بل قد نص الامام أحمد وأبو عبيد وأبو داود على ان الغضب اغلاق وفسره الامام أحمد الحديث في رواية ابن طالب وهذا يدل على ان مذهبه ان طلاق الغضبان لا يقع وهذا هو الصحيح الذي يفتي به اذا كان الغضب شديدا قد أغلق عليه قصده فانه يصير بمنزلة السكران والمكره بل قد يكونان أحسن حالا منه فان العبد في حال شدة غضبه يصدر منه ما لا يصدر من السكران والمكره بل قد والافعال وقد أخبر الله سبحانه انه لا يحيب دعاءه على نفسه وولده في هذه الحال ولو أجابه لقتى اليه أجله وقد عذر سبحانه من اشتد به الفرح بوجود راحلته في الارض المملوكة بعد ما يأس منها فقال اللهم أنت عبيدي وأنا ربك ولم يجعله بذلك كافرا لانه أخطأ بهذا القول من شدة الفرح فكما قال

رحمته واحسانه وجوده يقتضى ان لا يؤخذ من اشتد غضبه بدعائه على نفسه وأهله وولده ولا بإطلاقه زوجته وأما اذا زال عقله بالنضب فلم يعقل ما يقول فان الأمة متفقة على انه لا يتبع طلاقه ولا عتقه ولا يكفر بما يجرى على لسانه من كلمة الكفر

الباب التاسع عشر

في ذكر مناظرة جرت بين جبري وسني جمعهما مجلس مذاكرة

قال الجبري القول بالجبر لازم لصحة التوحيد ولا يستقيم التوحيد الا به لانا ان لم نقل بالجبر ابتناءا للحوادث مع الله ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وهذا شرك ظاهر لا يختص منه الا القول بالجبر قال السني بل القول بالجبر مناف للتوحيد ومع منافاته للتوحيد فهو مناف للشرائع ودعوة الرسل والثواب والعقاب فلو صح الجبر لبطلت الشرائع وبطل الامر والنهي وبنزاه من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب قال الجبري ليس من العجب دعواك منافاة الجبر للامر والنهي والثواب والعقاب فان هذا لم يزل يقال وانما العجب دعواك منافاته للتوحيد وهو من أقوى أدلة التوحيد فكيف يكون المصور للشيء المقوى له منافيا له قال السني منافاته للتوحيد من أظهر الامور ولعلمها أظهر من منافاته للامر والنهي وبان ذلك ان أصل عقد التوحيد واثباته هو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والجبر يناقض الكلمتين فان الاله هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال وهو الذي تأله القلوب وتصد اليه بالحب والخوف والرجاء فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو افراد الرب بالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانتقاد له مع كمال المحبة والاثابة وبذل الجهد في طاعته ومَرْضاه واثار محابه ومراده الديني على محبة المبدوم مراده فهذا أصل دعوة الرسل واليه دعوا الامم وهو التوحيد الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه الا من الاولين والامن الآخرين وهو الذي أمر به رساله وأُزِلَ به كُتِبَ ودعا اليه عباده ووضع لهم دار الثواب والعقاب لاحبه وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله وكان من قولك أيها الجبري ان العبد لا قدرته على هذا البتة ولا أثر له فيه ولا هو فعله وأمره بهذا أمره بما لا يطيق بل أمره بما يجاد فعل الرب وان الرب سبحانه أمره بذلك واحبره على ضده وحال ينعو بين مأموره به ومنعه منه وصدده عنه ولم يجعل له اليه سبيلا بوجه من الوجود مع قولك انه لا يحب ولا يحب فلا تاتاه القلوب بالحب والود والشوق والطالب وارادة وجهه والتوحيد معنى يتظم من اثبات الالهية واثبات العبودية فرفعت معنى الالهية بانكار كونه محبوبا مودودا تنافس القلوب في محبته وارادة وجهه والشوق الى لقائه ورفعت حقيقة العبودية بانكار كون العبد فاعلا وعابدا ومحبا فان هذا كله مجاز لاحقيقة له عندك فضع التوحيد بين الجبر وانكار محبته وارادة وجهه لاسيا والوصف الذي وصفته به منفر للقلوب عنه حائل بينها وبين محبته فانك وصفته بانها مأمرة بعبادة بما لا قدرته على فعله وينها عما لا يقدر على تركه بل بأمره بفعله هو سبحانه وينها عن فعله هو سبحانه ثم يعاقب أشد العقوبة على ما لم يفعله البتة بل يعاقبه على أفعاله هو سبحانه وصرحت بان عقوبته على ترك مأموره وفعل ما نهاه بمنزلة عقوبته على ترك طيرانه الى السماء وترك تحويله للجناب عن اماكنها ونقله مياه البحار عن مواضعها وبمنزلة عقوبته له على ما لا صنع له فيه من لونه وطوله وقصره وصرحت بان يجوز عليه ان يعذب أشد العذاب لمن لم يعصه طرفة عين وان حكمته ورحمته

لا تمتنع ذلك بل هو جائز عليه ولولا خبره عن نفسه بأنه لا يفعل ذلك لم ينزهه عنه وقلت ان تكليفه عبادته بما كلفهم به بمنزلة تكليف الاعمى للكتابة والزمن للطيران فبغضت الرب الى من دعوته الى هذا الاعتقاد ونفرت عنه وزعمت انك تقرر بذلك توحيد وقد قامت شجرة التوحيد من اصحابها وأما منافاة الجبر للشرائع فامر ظاهر لاختفاءه فان مبنى الشرائع على الامر والنهي وأمر الامر غيره بفعل نفسه لا بفعل المأمور ونهيه عن فعله لا بفعل المنهى عبث ظاهر فان متعلق الامر والنهي فعل العبد وطاعته ومعصيته فمن لا فعل له كيف يتصور ان يوقعه بطاعة أو معصية واذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمعصية ارتفعت حقيقة الثواب والعقاب وكان ما يفعله الله بعباده يوم القيامة من النعم والعذاب أحكاما جارية عليهم بمنحصر المشيئة والقدرة لانها باسباب طاعاتهم ومعاصيهم بل ههنا أمر آخر وهو ان الجبر مناف لخالق كما هو مناف للامر فان الله سبحانه له الخلق والأمر وما قامت السموات والابعد له فالخلق قام بعبده وعبده ظهر كما ان الامر بعبده وعبده وجد فالعدل سبب وجود الخلق والامر وغايته فهو عليه الفاعلية الغائية والجبر لا يجامع العدل ولا يجامع الشرع والتوحيد قال الجبري لقد نطقت أيها السني بعظيم وفهت بكبير وناقضت بين متوافقين وخالفتم بين متلازمين فان أدلة العقول والشرع المتقول قائمة على الجبر ومادل عليه العقل والنقل كيف ينافي موجب العقل والشرع فاسمع الآن الدليل الباهر والبرهان القاهر على الجبر ثم يتبعه بامثال فتقول صدور الفعل عند حصول القدرة والداعي اما أن يكون واجبا أولا يكون واجبا فان كان واجبا كان فعل العبد اضطراريا وذلك عين الجبر لان حصول القدرة والداعي ليس بالعبد والالزام التسلسل وهو ظاهر واذا كان كذلك فعند حصولهما يكون واجبا وعند عدم حصولهما يكون الفعل ممتعا فكان الجبر لازما لاحالة وأما ان لم يكن حصول الفعل عند حصول القدرة والداعي واجبا فاما أن يتوقف رجحان الفعل على رجحان الترك على مرجح أولا يتوقف فان توقف كان حصول ذلك الفعل عند حصول المرجح واجبا والاعاد الكلام ولزم التسلسل واذا كان واجبا كان اضطراريا وهو عين الجبر وان لم يتوقف على مرجح كان جائز الوقوع وجائز العدم فوقوعه بغير مرجح يستلزم حصول الأثر بالامور وذلك محال * فان قلت المرجح هو ارادة العبد * قلت لك ارادة العبد حادث والكلام في حدودها كالكل في حدوث المراد بها ويلازم التسلسل قال السني هذا أحد سهم في كنهاتك وهو بحمد الله سهم لا يرش له ولا انصل مع عوجه وعدم استقامته وأنا استفسرك عما في هذه الحجة من الالفاظ المجعلة المستعملة على حق وباطل وابين فسادها فما تعني بقولك ان كان الفعل عند القدرة والداعي واجبا كان فعل العبد اضطراريا وهو عين الجبر أتعني به ان يكون مع القدرة والداعي بمنزلة حركة المرتعش وحركة من نفخته الحمى وحركة من رمى به من مكان عال فهو يتحرك في نزوله اضطرارا منه أم تعني به ان الفعل عند اجتماع القدرة والداعي يكون لازم الوقوع بالقدرة فان أردت بكونه اضطراريا المعنى الاول كذبتك العقول والفطر والحس والعيان فان الله فطر عباده على التفريق بين حركة من رمى به من شاطئ فهو يتحرك الى أسفل وبين حركة من يرقى في الجبل الى علوه وبين حركة المرتعش وبين حركة المصفق وبين حركة الزاني والسارق والمجاهد والمسلح وحركة المكتوف الذي قد أوثق رباطا وجر على الارض فمن سوى الحركتين فقد خلع ربة العقل والظنرة

والشرعة من عنقه وان أردت المعنى الثاني وهو كون العقل لازم الوجود عند القدرة والداعي كان لازم الوجود وهذا لا فائدة فيه وكونه لازما وواجبا بهذا المعنى لا ينافي كونه مختارا مراداله مقدورا له غير مكره عليه ولا يجبر بهذا الوجوب والازوم لا ينافي الاختيار ثم نقول لو سحت هذه الحجة لزم أن يكون الرب سبحانه مضطرا على أفعاله مجبورا عليها بمعنى ما ذكرت من مقدمتها وانه سبحانه يفعل بقدرته ومشيئته وما ذكرت من وجوب الفعل عند القدرة والداعي وامتناعه عند عدمها ثابت في حقه سبحانه وقد اعترف أصحابك بهذا الالتزام وأجابوا عنه بما لا يجدي شيئا قال ابن الخطيب عقيب ذكر هذه الشبهة فان قلت هذا ينفي كونه فاعلا مختارا قلت الفرق ان ارادة العبد محدثة فافتقرت الى ارادة يمجدها الله دفعا للتسلسل وارادة الباري قديمة فلم تقتصر الى ارادة أخرى ورد هذا الفرق صاحب التحصيل فقال ولما قل ان يقول هذا لا يدفع التقسيم المذكور قلت فان التقسيم متردد بين لزوم الفعل عند الداعي وامتناعه عند عدمه وهذا التقسيم ثابت في حق الغائب والشاهد وكون ارادة الرب سبحانه قديمة من لوازم ذاته لا فاعل لها لا يمنع هذا التردد والتقسيم فان عند تعلفها بالمراد يلزم وقوعه وعند عدم تعلفها به يتمتع وقوعه وهذا الازوم والامتناع لا يخرج سبحانه عن كونه فاعلا مختارا ثم نقول هذا المعنى لا يسمى جبريا ولا اضطرا فان حقيقة الجبر ما حصل باكره غير الفاعل على الفعل وحمله على ايقاعه بغير رضاه واختياره والرب سبحانه هو الخالق للارادة والمحبة والرضا في قلب العبد فلا يسمى ذلك جبريا لالاعة ولا اعتقلا ولا شرعا ومن العجب احتجاجك بالقدرة والداعي على ان الفعل الواقع بهما اضطراري من العبد والفعل عندكم لم يقع بهما ولا هو فعل العبد بوجه وانما هو عين فعل الله وذلك لا يتوقف على قدرة من العبد ولا داع منه ولا هناك ترجيح له عند وجودهما ولا عدم ترجيح عند عدمهما بل نسبة الفعل الى القدرة والداعي كنسبته الى عدمهما فالفعل عندك غير فعل الله فلا ترجيح هناك من العبد ولا مرجح ولا تأخير ولا تأخر قال السني وقد أجابك اخوانك من القدرية عن هذه الحجة باجوبة أخرى فقال أبو هاشم وأصحابه لا يتوقف فعل القادر على الداعي بل يكفي في فعله مجرد قدرته قالوا فتقولك عند حصول الداعي اما ان يجب الفعل أو لا يجب عندنا لا يجب الفعل بالداعي ولا يتوقف عليه ولا يمكنك أيها الجبري الرد على هؤلاء فان الداعي عندك لا تأثر له في الفعل البتة ولا هو متوقف عليه ولا على القدرة فان القدرة الحادثة عندك لا تؤثر في مقدورها فكيف يؤثر الداعي في الفعل فهذه الحجة لا تتوجه على أصولك البتة وغايتها التزام خصوصك بها على أصولهم وقال أبو الحسين البصري وأصحابه يتوقف الفعل على الداعي ثم قال أبو الحسين اذا تجرد الداعي وجب وقوع الفعل ولا يخرج بهذا الوجوب عن كونه اختياريا وقال محمود الخوارزمي صاحبه لا ينبغي بهذا الداعي الى حد الوجوب بل يكون وجوده أولى قالوا فنجيبك عن هذه الشبهة على الرأيين جميعا أما على رأي أبي هاشم فنقول صدور احدي الحركتين عنه دون الاخرى لا يحتاج الى مرجح بل من شأن القادر أن يوقع الفعل من غير مرجح لجانب وجوده على عدمه قالوا ولا استبعاد في العقل في وجود مخلوق متمكن من الفعل بدلا عن الترك وبالضد من غير مرجح كما ان النائم والساهي يتحركان من غير داع وارادة فان قائم بل هناك داع وارادة لا يذكرها النائم والناسي كان ذلك مكبرة قلت وأصحاب هذا القول يقولون ان

القادر هو الذي يفعل مع جواز ان لا يفعل وأصحاب القول الاول يقولون بل يفعل مع وجوب ان يفعل ويمتدود الحوار زمي توسط بين المذهبين وقال بل يفعل مع أولوية ان يفعل ولا ينتهي الترجيح الى حد الوجوب فالاقوال خمسة أحدها ان الفعل موقوف على الداعي فاذا انضمت القدرة اليه وجب الفعل بمجموع الامرين وهذا قول جمهور المعتزلة ولم يصنع ابن الخطيب شيئا في نسبته الى الفلاسفة وأبي الحسين البصري من المعتزلة الثاني ان الفعل يجب بقدرة الله وقدرة العبد وهذا قول من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في مقدوره مع قدرة الله على عين مقدور العبد وهذا قول أبي اسحق واختيار الجويني في النظامية الثالث قول من يقول يجب بقدرة الله فقط وهذا قول الاشعري والقاضي أبي بكر ثم اختلفا فقال القاضي كونه فعلا واقع بقدرة الله وكونه صلاة أو حجا أو زنا أو سرقة واقع بقدرة العبد فتأثير قدرة الله في ذات الفعل وتأثير قدرة العبد في صفة الفعل وقال الاشعري أصل الفعل ووصفه واقعان بقدرة الله ولاتأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا الرابع قول من يقول لا يجب الفعل من القادر البتة بل القادر هو الذي يفعل مع جواز ان لا يفعل فلا ينتهي فعل القادر المختار الى الوجوب أصلا وهذا قول أبي هاشم وأصحابه الخامس ان يكون عند الداعي أولى بالوقوع ولا ينتهي الى حد الوجوب وهذا قول الحوار زمي وقد سلم أبو الحسين ان الفعل يجب مع الداعي وسلم ان الداعي مخلوق لله وقال ان العبد مستقل بإيجاد فعله قال والعلم بذلك ضروري قال ابن الخطيب وهذا غلوه في القدر وقوله انه يتوقف على الداعي والداعي خالق لله غلو في الجبر فجمع بين القدر والجبر مع غلوه فيهما ولم ينصفه فليس ما ذهب اليه غلو في قدر ولا جبر فان توقف الفعل على الداعي ووجوبه عنده بقدرة العبد ليس جبرا فضلا ان يكون غلوا فيه وكون العبد محدثا لفعله ضرورة بما خلقه الله فيه من القدرة والاختيار ليس قولنا بمذهب القدرية فضلا عن كونه غلوا فيه

فصل قال الجبري اذا كان الداعي ليس من أفعالنا وهو علم القادران في ذلك الفعل مصالحة له وذلك أمر مركوز في طبيعته التي خلق عليها وذلك مفعول لله فيه والفعل واجب عنده فلا معنى للجبر الا هذا * قال له السني أخوك القسدرى يحيبك عن هذا بان ذلك الداعي قد يكون جهلا وغافلا وهذه أمور يحدثها الانسان في نفسه فيفعل على حسب ما يتوهم ان فيه مصلحته صادفها أو لم يصادفها فالداعي لا ينحصر في العلم خاصة * قال الجبري لا يساوى هذا الجواب شيئا فان العطشان مثلا يدعوه الداعي الى شرب الماء لعلمه بنفقه وشهوته وميله الى شربه وذلك العلم وتلك الشهوة والميل الى الشرب من فعل الله فيجب على القدرى أن يترك مذهبه صاغرا داخرا ويعترف بان ذلك الفعل مضاف الى من خلق فيه الداعي مقتضى * قال القدرى ذلك الداعي وان كان من فعل الله الا أنه جار مجرى فعل المكلف لانه قادر على أن يبطل أثره بان يستحضر صارقاعن الشرب مثل أن يحجم عن الشرب تجربة هل يقدر على مخالفة الداعي أم لا فالحجامة لاجل التجربة أثر داع نان هو المعارف يعارض الداعي فالحق قادر على تحصيله وقادر على ابقاء الداعي الاول بحاله فبقاؤه الداعي الاول بحاله واعراضه عن احضار المعارض له أمر لولاه ما حصل الشرب فن هذا الوجه كان الشرب فعلا له لانه قادر على تحصيل الاسباب المختلفة التي تصدر عنها الآثار ويصير هذا

كمن شاهد انسانا في نار متأججة وهو قادر على اطفائها عنه من غير مشقة ولا مانع فانه ان لم يطفها
 استحق الذم وان كان الاحراق من أثر النار وقد أجاب ابن أبي الحديد بجواب آخر فقال ويمكن
 أن يقال اذا تجرد الداعي كما ذكرتم في صورة العطشان فان التكليف بالفعل والترك يسقط لانه يصير
 أسوأ حالا من الملجأ وهذا من أفسد الاحوبة على أصول جميع الفرق فان مقتضى التكليف قائم
 فكيف يسقط مع حضور الفعل والقدرة وهذا قدم رابع من الذين رفع عنهم التكليف أنه هذا
 القدرى زائدا على الثلاثة الذين رفع عنهم القلم وهذا خرق منه لاجماع الامة للمعلوم بالضرورة ولو
 سقط التكليف عند تجرد الداعي لكان كل من تجرد داعيه الى فعل ما امر به قد سقط عنه التكليف
 وهذا القول أقبح من القول بتكليف مالا يطاق ولهذا كان القائلون به أكثر من هذا القائل وقولهم
 يحكى ويتاخر عليه * قال الجبري اذا كان الداعي من الله وهو سبب الفعل والفعل واجب عنده كان
 خالق الفعل هو خالق الداعي أى خالق السبب * قال السنى هذا حق فان الداعي مخلوق لله في العبد
 وهو سبب الفعل والفعل يضاف الى الفاعل لانه صدر منه ووقع بقدرته ومشيئته واختياره وذلك
 لا يمنع اضافته بطريق العدم الى من هو خالق كل شئ وهو على كل شئ قدير وأيضا فالداعي ليس
 هو المؤثر بل هو شرط في تأثير القادر في مقدوره وكون الشرط ليس من العبد لا يخرج عنه كونه
 فاعلا وغاية قدرة العبد وارادته الجازمة ان يكون شرطا أو جزءا سببا والفعل موقوف على شروط
 وأسباب لاصنع للعبد فيها البتة وأسهل الافعال رفع العين لرؤية الشئ فب ان فتح العين فعل العبد
 الا أنه لا يستقل بالادراك فان تمام الادراك موقوف على خالق الدرك وكونه قابلا للرؤية وخالق آلة
 الادراك وسلامتها وصرف الموانع عنها فتوقف عليه الرؤية من الاسباب والشروط التي لا تدخل
 تحت مقدور العبد أضعافا مضاعفة ما يقدر عليه من تقليب حقيقته نحو المرئي فكيف يقول عاقل ان
 جزء السبب أو الشرط موجب مستقل لوجود الفعل وهذا الموضع مما ضل فيه الفريقان حيث زعمت
 القدرية انه موجب للفعل وزعمت الجبرية انه لا أثر له فيه فخالفت الفاضلتان صريح المعقول والمنقول
 وخرجت عن السمع والعقل والتحقيق ان قدرة العبد وارادته ودواعيه جزء من أجزاء السبب التام
 الذى يجب به الفعل فمن زعم ان العبد مستقل بالفعل مع ان أكثر أسبابه ليست اليه فقد خرج عن
 موجب العقل والشرع فب ان دواعي حركة الضرب منك مستقلا بها فهل سلامة الآلة منك وهل
 وجود المحل المتفعل وقبوله منك وهل خلق الفضاء بينك وبين المضروب وخلوه عن المانع منك
 وهل امساك قدرته عن مضاربك وغلبك منك وهل القوة التي في اليد والرباطات والاتصالات
 التي بين عظامها وشد أسرها منك ومن زعم انه لا أثر للعبد بوجه ما في الفعل وان وجود قدرته
 وارادته وعدمهما بالنسبة الى الفعل على السواء فقد كابر العقل والحس * قال الجبري ان انتهت
 سلسلة الترتيبات الى مرجح من العبد فذلك المرجح ممكن لاحتمال فان ترجح بلا مرجح انسد
 عليكم باب اثبات الصانع اذا جوزتم رجحان أحد طرفي الممكن وان توقف على مرجح آخر لزم
 التسلسل فلا بد من انتهائه الى مرجح من الله لاصنع للعبد فيه قال السنى اما اخوانك القدرية فانهم
 يقولون القادر المختار يحدث ارادته وداعيته بلا مرجح من غيره قالوا والقطرة شاهدة بذلك فانا
 لا نفعل ما لم نرد ولا نريد ما لم نعلم ان في الفعل منفعة لها أو دفع مضرة ولا نجد لهذه الارادة ارادة

أحدثها ولا لعلنا بان ذلك نافع علما آخر أحدثه فالمرجح هو ما خلق عليه العبد وفطر عليه من صفاته القائمة به فالله سبحانه أنشأ العبد نشأة يتحرك فيها بالطبع فحركته بالارادة والمشية من لوازم نشئه وكونه حيوانا فارادته وميله من لوازم كونه حيا فافعال العبد الخاصة به هي الدواعي والارادات لا غير وما يقع بها من الافعال شبيه بالفعل المتولد من حيث كان المتولد سببا وهذه الافعال صادرة عن الدواعي التي عرفها العبد ابتداء من غير واسطة فاشتراكهما في ان كل واحد منهما مستند الى فعل خاص بالعبد فهما متماثلان من هذه الجهة قال السفي وهذا جواب باطل بأبطل منه ورد فاسد بأفسد منه ومعاذ الله والله أكبر وأجل وأعظم وأعز أن يكون في عبده شيء غير مخلوق له ولا هو داخل تحت قدرته ومشيته فما قدر الله حق قدره من زعم ذلك ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق تعظيمه بل العبد جسمه وروحه وصفاته وأفعاله ودواعيه وكل ذرة فيه مخلوق لله خلقا تصرف به في عبده وقد بينا ان قدرته وادارته ودواعيه جزء من أجزاء سبب الفعل غير مستقل بإيجاده ومع ذلك فهذا الجزء مخلوق لله فيه فهو عبد مخلوق من كل وجه وبكل اعتبار وفقره الى خالقه وبارئه من لوازم ذاته وقلبه يدخالقه وبين أصابعه يقلبه كيف يشاء فيجعله مريدا لما شاء وقهره منه كارها لما لم يشأ وقوعه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ونعم والله سلسلة المرجحات تنتهي الى أمر الله الكوني ومشيته النافذة التي لا سبيل لمخلوق الى الخروج عنها ولكن الجبر لفظ مجمل يراد به حق وباطل كما تقدم فان أردتم به ان العبد مضطرب في أفعاله وحركته في الصعود في السلم كحركته في وقوعه منه فهذا مكابرة لاعتقول والفطر وان أردتم به انه لا حول له ولا قوة الا بربه وقاضيه فتم لا حول ولا قوة الا بالله وهي كلمة عامة لا تخص فيها بوجه ما القوة والقدرة والحوال بالله فلا قدرة له ولا فعل الا بالله فلا تنكر هذا ولا ينحده لتسمية القدرة له جبرا فليس الشأن في الاسماء ان هي الاسماء سميتوها اتم وآبرؤكم ما أنزل الله بها من سلطان فلا تترك لهذه الاسماء مقتضى العقل والايمان والمحذور كل المحذور ان تقول ان الله يعذب عبده على ما لصنع له فيه ولا قدرة له عليه ولا تأثير له في فعله بوجه ما بل يعذبه على فعله هو سبحانه وعلى حركته اذا سقط من علو الى سفلى نعم لا يمتنع أن يعذبه على ذلك اذا كان قد تعاطى أسبابه بارادته ومحبه كما يعاقب السكران على ما جناه في حال سكره لغير طئه وعدوانه بارتكاب السبب وكما يعاقب العاشق الذي غلب على صبره وعقله وخروج الامر عن يده لتفريطه السابق بتعاطي أسباب العشق وكما يعاقب الذي آل به اعراضه وبغضه ليجق الى ان صار طبعها وفلا ورينا على قلبه خفرج الامر عن يده وحيل بينه وبين الهدى فيعاقبه على ما لم يبق له قدرة عليه ولا ارادة بل هو ممنوع منه وعقوبته عليه عدل محض لا ظلم فيه بوجه ما * فان قيل فهل يصير في هذه الحال مكافاة وقد حيل بينه وبين ما أمر به وصده عنه ومنع منه أم يزول التكليف * قيل يستق على الجواب الشافي ان شاء الله عن هذا السؤال في باب القتل في تكليف ما لا يطاق قريبا فانه سؤال حبيد اذ المقصود ههنا الكلام في الجبر وما في انفضه من الاجمال وما في معناه من الهدى والضلال

فصل قال الجبري اذا صدر من العبد حركة معينة فلما أن تكون مقدورة لارب وحده أو العبد وحده أو لارب والعبد أو لا لارب ولا للعبد وهذا القسم الاخير باطل قطعيا والاقسام

الثلاثة قد قال بكل واحد منها طائفة فان كانت مقدورة للرب وحده فهو الذي يقوله وذلك عين الجبر وان كانت مقدورة للعبد وحده فذلك اخراج لبعض الاشياء عن قدرة الرب تعالى فلا يكون على كل شيء قدير ويكون العبد الخلق الضعيف قادرا على ما لم يقدر عليه خالقه وفاعله وهذا هو الذي فارقت به القدريّة للتوحيد وضاعت به الجوس وان كانت مقدورة للرب والعبد لزمت الشركة ووقوع مفعول بين فاعلين ومقدور بين قادرين وأثر بين مؤثرين وذلك محال لان المؤثرين اذا اجتمعا استقلالا على اثر واحد فهو غنى عن كل منهما بكل منهما فيكون محتاجا اليهما مستغنيا عنهما قال السني قد افترق الناس في هذا المقام فرقا شتى ففرقة قالت انما تقع الحركة بقدرة الله وحده لا بقدرة العبد وتأثير قدرة العبد في كونها طاعة او معصية فقدرة الرب وحده اقتضت وجودها وقدرة العبد اقتضت صفتها * وهذا قول القاضي ابى بكر ومن اتبعه ولعمري الله انه لغير شاف ولا كاف فان صفة الحركة ان كان اثر وجوديا فقد أثرت قدرته في امر موجود فلا يمتنع تأثيرها في نفس الحركة وان كان صفتها أمرا عديميا كان متعاق قدرته عندما لا وجودا وذلك ممتنع اذا أثر القدرة لا يكون عندما صرفا وفرقة اخرى قالت بل الفعل وصفته واقع بمحض قدرة الله وحده ولا تأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا وهذا قول الاشعري ومن اتبعه وفرقة قالت بل المؤثر قدرة العبد وحده دون قدرة الرب ثم انقسمت هذه الفرقة الى فرقتين فرقة قالت ان قدرة العبد هي المؤثرة مع كون الرب قادرا على الحركة وقالت ان مقدرات العباد مقدورة لله تعالى وهذا قول ابى الحسين البصري واتباعه الحسينية وفرقة قالت ان قدرة العبد هي المؤثرة والله سبحانه غير قادر على مقدور وهذا قول المشايخية اتباع ابى على وابى هاشم وليس عند ابن الخطيب وجهور المتكلمين غير هذه الاقوال التي لا تنفي عينا ولا تروى غاليليا وليس عند اربابها الا مناقضة بعضهم بعضا * وقد اجاب بعض اصحاب ابى الحسين عن هذا السؤال انه وان كان يقول بمقدور بين قادرين فله ان يقول في هذا المقام ان كان الدليل الذي ذكرته دليلا صحيحا على استحالة اجتماعهما على فعل واحد فانما يدل على استحالة على فعلهما على سبيل الجمع ولا يستحيل على سبيل البديل كما يستحيل حصول جوهرين في مكان واحد ولا يستحيل حصولهما فيه على البديل وهذا جواب باطل قطعا فان مضمونه ان أحدهما لا يقدر عليه الا اذا تركه الآخر فحال تلبس العبد بالفعل بقدرته وارادته ان كان مقدورا لله فهو القول بمقدور بين قادرين وان لم يكن مقدورا له لزم اخراج بعض الممكنات عن قدرته * فان قلت هو قادر عليه بشرط أن لا يقدر عليه العبد * قيل لك فهذا تصريح منك بانه في حال قدرة العبد عليه لا يقدر عليه الرب فلا ينفك القول بانه قادر عليه على البديل وأيضا فان قدر عليه بشرط ان لا يقدر عليه العبد فاذا قدر العبد عليه انتفت قدرة الرب لانتفاء شرطها وهذا مما صاح به عليكم أهل التوحيد من أقطار الارض ورموكم به عن قوس واحدة وانما صانعكم به أهل السنة مصانعة والا حقيقة هذا القول ان العبد يقدر على ما لا يقدر عليه الرب وحكاية هذا الرأي الباطل كافية في فساد * فان قلت كما لا يمتنع معلوم واحد بين عالمين ومراد واحد بين مردين * قيل هذا من أفسد القياس لان المعلوم لا يتأثر بالعالم والمراد لا يتأثر بالمريد فيصح الاشتراك في المعلوم والمراد كما يصح الاشتراك في المرئي والمسموع وأما المقدور فيجوز اشتراك القادرين فيه بالقدرة المصححة

وهي صحة وقوعه من كل واحد منهما وصحة التأثير من أحدهما لاتنافي تحتها من الآخر اما اشتراكهما فيه بالقدرة الموجبة المقارنة لمقدورها فهو عين المحال الا أن يراد الاشتراك على البديل فيكون تأثير أحدهما فيه شرطا في تأثير الآخر ولما تفطن أبو الحسين لهذا قال لست أقول ان اضافته الى أحدهما هي اضافته الى الآخر كما ان الشيء الواحد يكون معلوما لعالين ويتمتع ان يكون علم أحدهما به هو علم الآخر فهكذا أقول في المقدور بين قادرين ليست قدرة أحدهما عليه هي قدرة الآخر والمفعول بين فاعلين ليس فعل أحدهما فيه هو فعل الآخر وانما معنى قولي هذا انه فعل لهذا وتأثير له انه لقدرته وداعيته وجد وليس معنى كونه وجد لقدرة هذا وداعيته هو معنى كونه وجد لقدرة الآخر وداعيته قال وليس يتمتع في العقل اضافة شيء واحد الى شيئين لكنه يتمتع ان يكون اضافته الى أحدهما هي عين اضافته الى الآخر * وهذا لا يجدى عنه شيئا فان اتقسيم المذكور دائر فيه ونحن نقول قد دل الدليل على شمول قدرة الرب سبحانه لكل ممكن من الذوات والصفات والافعال وانه لا يخرج شيء عن مقدوره البتة ودل الدليل ايضا على ان العبد فاعل لفعله بقدرته وارادته وانه فعل له حقيقة يمدح ويذم به عقلا وعرفا وشرعا وفطرة فطر الله عليها العباد حتى الحيوان البهي ودل الدليل على استحالة مفعول واحد بالعين بين فاعلين مستقلين وائر واحد بين مؤثرين فيه على سبيل الاستقلال ودل الدليل ايضا على استحالة وقوع حادث لا يحدث له ورجحان راجح لأمر جرح له * وهذه أمور كتبها الله سبحانه في العقول وحجج العقل لاتناقض ولا تعارض ولا يجوز ان يضرب بعضها ببعض بل يقال بها كلها ويذهب الى موجهها فانها يصدق بعضها بعضا وانما يعارض بينهما من ضعف بصيرته وان كثرت كلامه وكثرت شكوكه والعلم امر آخر وراء الشكوك والاشكالات ولهذا تناقض الخصوم * وهذا رأس مال المتكلمين والقول الحق لم ينحصر في هذه الاقوال التي حكوها في المسئلة * والصواب ان يقال تقع الحركة بقدرة العبد وارادته التي جعلها الله فيه فالله سبحانه اذا اراد فعل العبد خلق له القدرة والداعى الى فعله فيضاف الفعل الى قدرة العبد اضافة السبب الى مسببه ويضاف الى قدرة الرب اضافة المخلوق الى الخالق فلا يتمتع وقوع مقدور بين قادرين قدرة أحدهما اثر لقدرة الآخر وهي جزء سبب وقدرة القادر الآخر مستقلة بالتأثير والتعبير عن هذا المعنى بمقدور بين قادرين تعبیر فاسد وتليس فانه يومهم انهما متكافئان في القدرة كما تقول هذا الثوب بين هذين الرجلين وهذه الدار بين هذين الشريكين وانما المقدور واقع بالقدرة الخادثة وقوع المسبب بسببه والسبب أو المسبب والتفاعل والآلة كانه أثر القدرة القديمة ولا تعطل قدرة الرب سبحانه عن شمولها وكالها وتناولها لكل ممكن ولا تعطل قدرة الرب التي هي سبب عما جعلها الله سببها ومؤثرة فيه وليس في الوجود شيء مستقل بالتأثير سوى مشيئة الرب سبحانه وقدرته وكل ماسواد مخلوق له وهو أثر قدرته ومشيتته ومن أنكر ذلك لزمه اثبات خالق سوى الله أو القول بوجود مخلوق لا خالق له فان فعل العبد ان لم يكن مخلوقا لله كان مخلوقا للعبد اما استقلاله واما على سبيل الشركة واما ان يقع بغير خالق ولا يختص عن هذه الاقسام لمشكر دخول الافعال تحت قدرة الرب ومشيتته وخلقها وانما عرف هذا فتقول الفعل وقع بقدرة الرب خلقا وتكوينا كما وقعت سائر المخلوقات بقدرة وتكوينه وبقدرة العبد سببا ومباشرة والله خالق الفعل

والعبد فعله وباشره والقدرة الحادثة وأثرها واقمان بقدرة الرب ومشيتته

فصل قال الجبري لو كان العبد فاعلا لافاعاله لكان عالما بتفاصيلها لانه يمكن أن يكون الفعل أزيد مما فعله أو انقص فوقوعه على ذلك الوجه مشروط بالعلم بتفصيله ومعلوم ان الثائم والغافل قد يفعل الفعل ولا يشعر بكيفية ولاقدرة وأيضا فالتحرك يقطع المسافة ولاشعوره بتفاصيل الحركة ولا اجزاء المسافة ومحرك أصبعه محرك لاجزائها ولا يشعر بمدد اجزائها ولا بعدد احيائها والمنفس يتفلس باختياره ولا يشعر في الغالب بنفسه فضلا عن أن يشعر بكميته وكيفية ومبدئه ونهايته والغافل قد يتكلم بالكلمة ويفعل الفعل باختياره ثم بعد فراغه منه يعلم انه لم يكن قاصدا له فحين نعلم علما ضروريا من أنفسنا عدم علمنا بوجود أكثر حركاتنا وسكناتنا في حالة المشي والقيام والنعوذ ولو أردنا فصل كل جزء من أجزاء حركاتنا في حالة اسراعنا بالمشي والحركة والاحاطة لم يمكننا ذلك بل ونعلم ذلك من حل أكل العقلاء فما الظن بالحيوانات العجم في مشيها وطيرانها وسباحتها حتى الذر والبعوض وهذا مشاهد في السكران ومن اشتد به الغضب ولهذا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فدل على أن السكران يصدر منه أقوال لا يعلم بها فكيف يكون هو المحدث لتلك الاتوال وهو لا يشعر بها والارادة فرع الشعور ولهذا ففي الصحابة بأنه لا يقع طارق السكران نزلوا حركة لسانه منزلة تحريك غيره بل بغير ارادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا طلاق في الاغلاق لان الاغلاق يمنع العلم والارادة فكيف يكون التطبيق فعله وهو غير عالم به ولا مریده وأيضا فقد قال جمهور الفقهاء ان الناسي غير مكلف لان فعله لا يدخل تحت الاختيار ففعله غير مضاف اليه مع انه وقع باختياره وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بعينه في قوله من أكل أو شرب ناسيا فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه فاضاف فعله الى الله لانه لم يكن له فعل في الاكل والشرب فلم يطر به قال السني هذا موضع تفصيل لا يليق به الاجمال فنقول ما يصدر من العبد من الافعال ينقسم أقساما متعددة بحسب قدرته وعلمه وداعيته وارادته فتارة يكون ملجأ الى الفعل لارادته فيه برجه ما كمن أمسك يده وضرب بها غيره أو أمسك أصبعه وقلع بها عين غيره فهذا فعله بمنزلة حركات الاشجار بالريح ولهذا لا يترتب عليه حكم البتة ولا يمدح عليه ولا يذم ولا يثاب ولا يعاقب وهذا لا يسمى فاعلا عقلا ولا شرعا ولا عرفا وتارة يكون مكرها على أن يفعل فهذا فعله يضاف اليه وليس كالملجأ الذي لا فعل له واختلاف الناس هل يقال انه فعل باختياره وأنه يختار ما فعله أو لا يطاق عليه ذلك على قولين والتحقيق ان النزاع لفظي فانه فعل بارادة هو محمول عليها مكره عليها فهو مكره مختار مكره على ان يفعل بارادته مرید ليفعل ما كره عليه فان أريد باختار من يفعل بارادته وان كان كارهه لا يفعل فالمكره مختار وأيضا فهو مختار ليفعل ما كره لتخصمه مما هوأ كره اليه من الفعل فلما عرض له مكره وهان أحدهما أكره اليه من الآخر اختار اسرهما دفعا لاشقهما ولهذا يقتل قيسا اذا قتل عند الجمهور والمملجأ لا يقتل باتفاق الناس وبما يوضح هذا ان المكره على التكلم لا يثنى منه التكلم الا باختياره وارادته ولهذا أوقع طائفة وعناقه بعض العلماء والجمهور قولوا لا يقع لان الله جعل كلام المكره على كلمة الكفر لغو لا يترتب عليه أثر لانه وان قصد التكلم باللفظ دفعا عن نفسه فلم يقصد معناه وموجبه حتى قال بعض الفقهاء لو قصد الطلاق بقلبه مع الاكراه لم

يقع طلاقه لان قوله هدر وانفو عند الشارع فوجوده كعدمه في حكمه فبقي مجرد القصد وهو غير موجب للعلاق وهذا ضعف فان الشارع انما النفي قول المكره اذا تجرد عن القصد وكان قلبه مطمئنا بضده فاما اذا قارن اللفظ القصد واطمأن القلب بموجبه فانه لا يضر* فان قيل فماتقولون فيمن ظن ان الاكراه لا يمنع وقوع الطلاق فقصد جها لابان الاكراه مانع من وقوعه* نيل هذا لا يقع طلاقه لانه لما ظن ان الاكراه على الطلاق يوجب وقوعه اذا تكلم به كان حكم قصده حكم لفظه فانه انما قصده دفعا عن نفسه لما علم انه لا يختص الابه ولم يظن ان الكلمة بدون القصد لغوا ودهش عن ذلك ولاو طر له في الطلاق فهذا لا يقع بخلاف الاول فانه لما أكره على الطلاق نشأ له قصد طلاقها اذ لا غرض له ان يقيم مع امرأه أكره على طلاقها وان كان لو لم يكره لم يتبدى طلاقها والمقصود ان المكره مرید لفعله غير ملجأ اليه

فصل في النائم فلا ريب في وقوع الفعل القليل منه والكلام المفيد واختلاف الناس هل تلك الافعال مقدورة له أو مكتسبة أو ضرورية بعد اتفاقهم على انها غير داخلة تحت التكليف فقالت المعتزلة وبعض الاشعرية هي مقدورة له والنوم لا يضاد القدرة وان كان يضاد العلم وغيره من الادراكات وذهب أبو اسحاق وغيره الى ان ذلك الفعل غير مقدور له وأن النوم يضاد القدرة كما يضاد العلم وذهب القاضي أبو بكر وكثير من الاشعرية الى ان فعل النائم لا يقطع بكونه مكتسبا ولا بكونه ضروريا وكل من الامرين ممكن قال أصحاب القدرة كان النائم قادرا في يقظته وقدرته باقية والنوم لا ينافيها فوجب استصحاب حكمها قالوا وأيضا فالنائم اذا انتبه فهو على ما كان عليه في نومه ولا يتجدد أمر وراء زوال النوم وهو قادر بعد الانتباه وزوال النوم غير موجب للاقتدار ولا وجوده نافيا للقدرة قالوا وأيضا قد يوجد من النائم ما لو وجد منه في حال اليقظة لكان واقعا على حسب الداعي والاختيار والنوم وان نافي القصد فلا ينافي القدرة قال النافون للقدرة قولكم النوم لا ينافي القدرة دعوى كاذبة فان النائم منفعل محض متأثر صرف ولهذا لا يمتنع من يؤثر فيه وقولكم لم يتجدد له أمر غير زوال النوم فالتجدد زوال المانع من القدرة فعاد الى ما كان عليه كمن أوثق غيره رباطا ومنعه من الحركة فاذا حل رباطه تجدد زوال المانع قالوا نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المرتشم والمنفلوج وما ذاك الا أن حركته مقدورة له وحركة المرتشم غير مقدورة له والتحقق ان حركة النائم ضرورية له غير مكتسبة وكافرقنا في حق المستيقظ بين حركة ارتعاشه وحركة تصفيقه كذلك نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المستيقظ

فصل في ما زائل العقل بجنون أو سكر فليست أفعاله اضطرارية كأفعال الملجأ ولا اختيارية بمنزلة أفعال العامل العالم بما يفعله بل هي قسم آخر من الاضطرابية وهي جارية مجرى أفعال الحيوان وفعل الصبي الذي لا يتميز له بل لكل واحد من هؤلاء داعية الى الفعل يتصورها وله ارادة يقصد بها وقدرة ينفذ بها وان كان داعية نوع آخر غير داعي العاقل العالم بما يفعله فلا بد أن يتصور ما في الفعل من الغرض ثم يريد ويفعله وهذه أفعال طبيعية واقعة بالداعي والارادة والقدرة والدواعي والارادات تختلف ولهذا لا يكف أحد هؤلاء بالفعل فافعله لا تدخل تحت التكليف وليست كأفعال الملجأ ولا المكره وهي مضافة اليهم مباشرة والى خالق ذواتهم وصفتهم خلقا فهي مفعولة وأفعال

لهم والساهي الذي يفعل الفعل مع غفلة وذهوة فهو انما يفعله بقدرته انه لو كان عاجزا لما أتى منه الفعل وله ارادة لكنه غافل عنها فالارادة شيء والشعور بها شيء آخر فالعبد قد يكون له ارادة وهو ذاهل عن شعوره بها لاشتغال محل التصور منه بامر آخر منعه من الشعور بالارادة فعماه وهي غير مشعور بها وان كان لا بد من الشعور عند كل جزء من أجزائه وبالله الوفيق وبالجملة فالفعل الاختياري يستلزم الشعور بالفعل في الجملة وأما الشعور به على التفصيل فلا يستلزمه

فصل قال الجبري ضلال الكافر وجهله عند القدرى مخلوق له موجود بإيجاده اختيارا وهذا ممتنع فانه لو كان كذلك لكان قاصدا له اذ القصد من لوازم الفعل اختيارا واللازم متبع فان عاقلا لا يريد لنفسه الضلال والجهل فلا يكون فاعلا له اختيارا * قال السني عجبا لك أيها الجبري تنزه العبد أن يكون فاعلا للكفر والجهل والظلم ثم يحمل ذلك كله فعل الله سبحانه ومن العجب قولك ان العاقل لا يقصد لنفسه الكفر والجهل وأنت ترى كثيرا من الناس يقصد لنفسه ذلك عنادا وبغيا وحسدا مع علمه بان الرشد والحق في خلافه فيطيع دواعي هواه وغيه وجهله ويخالف داعي رشده وهده ويسلك طريق الضلال ويتنكب عن طريق الهدى وهو يراهما جميعا * قال أصدق القائلين (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) * وقال تعالى (وأما نوح فهديناهم فاستجبوا لعمي على الهدى) وقال تعالى عن قوم فرعون (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال تعالى (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقال تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) وقال (بس ما اشتروا بأنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) وقال (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء) وهذا في القرآن كثير يبين سبحانه فيه اختيارهم الضلال والكفر عمدا على علم هذا وكم من قاصد أمرا يظن انه رشد وهو ضلال وغى

فصل قال الجبري لو جاز تأثير قدرة العبد في القول بالإيجاد لجاز تأثيرها في إيجاد كل موجود لان الوجود قضية واحدة مشتركة بين الموجودات الممكنة وان اختلفت عماله وجهاته ويازم من صحة تأثير القدرة في بعضه صحة تأثيرها في جميعه لاتحاد المتعاق وان ثابت لاحد المنان ثبت للآخر وأيضاً فالصحيح للتأثير هو الامكان ويازم من الاشتراك في الصحيح للتأثير الاشتراك في الصحة ومعلم قطعاً ان قدرة العبد لاتعلق بإيجاد الاجسام وأكثر الاعراض انما تتعلق ببعض الاعراض القائمة لمحل قدرته * قال السني انقد كشف الله عوار مذهب يكون اثباته مستند الى مثل هذه الحرافات التي حاصها انه يازم من صحة قدرة العبد على قلع حصاة من الأرض صحة قدرته على قلع الجبل ومن امكان حمله لرطل امكان حمله لمائة ألف رطل ومن إيجاد للفعل القائم به من الاكل والشرب والصلاة وغيرها صحة إيجاد خلق السموات والأرض وما بينهما وهل سمع في الهذيان

باسم من هذا واغث منه واشترك الموجودات في مسمى الوجود الكلي العام لا يازم منه ان ماجاز على موجود ماجاز على كل موجود وهذا اجمع من الاول وأبين فسادا ولا يازم من ذلك تماثل البعوضة والفيل وتماثل الاجسام والاعراض ومن يحمل من الجبرية للقدرته الحادثة نعلقا ما فعل العبد يعترف بالفرق ويقول قدرته تتعلق ببعض الاعراض ولا تتعلق بالاجسام ولا بكل الاعراض فان احتج على ابطال التأثير بهذه الشبهة الغثة ألزم بها بعضها في عموم تماثل قدرته بكل موجود

فصل تيسر قال الجبري دليل التوحيد ينبغي كون العبد فاعلا وأن يكون لقدرته تأثير في فعله وتقريره بدليل التماثل * قال السفي دليل التوحيد انما ينبغي وجود رب ثان ويدل على انه لا رب الا هو سبحانه ولا يدل على امتناع وجود مخلوق له قدرة وارادة مخلوقة يحدث بها وهو وقدرته وارادته وفعله مخلوق لله فهو بعد طول مقدماته واعتراف فضلائكم بالمعجز عن تقريره وذكر ما في مقدماته من منع ومعارضة انما ينبغي وجود قادرين متكافئين قدرة كل واحد منهما من لوازم ذاته ليست مستفادة من الآخر وهو دليل صحيح في نفسه وان عجزتم عن تقريره ولكن ليس فيه ما ينبغي ان تكون قدرة العبد وارادته سببا لوجود مقدوره وتأثيرها فيه تأثير الاسباب في مسبباتها فلا للتوحيد قررت بدليل التماثل ولا للجبر وقد كفنا افضل متأخريكم بيان تنافي هذا الدليل من المنوع والمعارضات * قال الجبري دعنا من هذا كله أليس في القول بتأثير قدرة العبد في مقدوره مع الاعتراف بان الله سبحانه قادر على مقدور العبد الزام وقوع المقدور الواحد بين القادرين والدليل بنفيه * قال السفي ما تعنى بقولك يازم وقوع مقدور بين قادرين أن تعنى به قادرين مستقلين متكافئين أم تعنى به قادرين تكون قدرة أحدهما مستفادة من الآخر فان عنت الاول منته المألزمة وان عنت الثاني منع انتفاء اللازم ومثبتو الكسب يحبون عن هذا بانه لا يمتنع وقوع مقدور بين قادرين لقدرة أحدهما تأثير في إيجاده ولقدرة الآخر تأثير في صفته كما يقوله القاضي أبو بكر ومن تبعه والاشعري يجيب عنه على أحد بان الفعل وقع بين قادرين لا تأثير لقدرة أحدهما في المقدور بل تماثل قدرته بمقدورها كما تماثل العلم بعلومه وانما المتنع عنده وقوع مقدور بين قادرين مؤثرين وهذا الاعتذار لا يخرج عن الجبر وان زخرقت له العبارات * وأجاب عنه الحسينية بما حكيناه انه لا يمتنع مقدور بين قادرين على سبيل البذل ويمتنع على سبيل الجمع وقد تقدم فساده وأجاب عنه المشايخ بانه مقدور للعبد وليس مقدورا للرب وهذا أبطل الاجوبة وأفسدها والمثاقنون به يقولون ان الله سبحانه عن افكهم يريد الشيء فلا يكون ويكون الشيء بغير ارادته ومشيتته فيريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد وكفى بهذا بطلانا ونسادا * قال الجبري الفعل عند المرجح التام واجب والمرجح ليس من العبد واللازم التسلسل فهو من الرب فاذا وجب الفعل عنده فهو الجبر بعينه * قال السفي قد تقدم هذا الدليل وبيان ما فيه وحيث أعدموه بهذه العبارة الواجزة المختصرة فنحن نذكر الاجوبة عنه كذلك قواكم لا بد من مرجح يرجح الفعل على التارك أو بالعكس مسلم قولكم المرجح ان كان من العبد لزم التسلسل وان كان من الرب لزم الجبر جوابه ما لمانع أن يكون من فعل العبد ولا يازم التسلسل بان يكون من فعله على وجه لا يكون التارك ممكنا له حينئذ ولا يازم من سلب الاختيار عنه في فعل المرجح سلبه عنه مطلقا ثم ما لمانع أن يكون المرجح من فعل الله ولا يازم الجبر فانكم ان

عنتم بالجبر انه غير مختار للفعل ولا مریده لم يلزم الجبر بهذا الاعتبار لان الرب سبحانه جعل
المرجح اختيار العبد ومشيئته فاتقى الجبر وان عنتم بالجبر انه وجد لايجاد العبد لم يلزم الجبر أيضا
بهذا الاعتبار وان عنتم انه يجب عند وجود المرجح وانه لا بد منه فيجن لاتقى الجبر بهذا الاعتبار
وتسمية ذلك جبرا اصطلاح يختص بكم وهو اصطلاح فاسد فان فعل الرب سبحانه يجب عند وجود
مرجح التام ولا يكون ذلك جبرا بالنسبة اليه سبحانه ثم هذا لازم على من أثبت الكسب منكم
فنقول له في الكسب ماقله في أصل الفعل سواء ومن لم يثبت الكسب لزم ذلك في فعل الرب كما
نق. م فان قلتم الفرق ان صدور الفعل عن القادر موقوف على الارادة وارادة العبد محدثة فافتقرت
الى محدث فان كان ذلك المحدث هو العبد لزم التسلسل فوجب انتهاء جميع الارادات الى ارادة
ضرورية يخلفها الله في القلب ابتداء ويلزم منه الجبر بخلاف ارادة الرب سبحانه فانها قديمة مستغنية
عن ارادة أخرى فلا تسلسل قيل لكم لايجدى هذا عليكم في دفع الالتزام فان الارادة القديمة
اما ان يصح معها الفعل بدلا عن الترك وبالعكس أولا فان كان الاول فلا بد لاحد الطرفين من
مرجح والكلام في ذلك المرجح كالكلام في الاول ويلزم التسلسل وان كان الثاني لزم الجبر* قال
الجبري معتمدى في الجبر على حرف لاخلاص لكم منه الا بالزام الجبر وهو ان العبد لو كان فاعلا
لفعله لكان محدثا له ولو كان محدثا له لكان خالقا له والشرع والعقل ينفيه قال تعالى ياأيها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لاله الا هو فأنى
تؤفكون* قال السفي قد دل العقل والشرع والحس على ان العبد فاعل له وانه يستحق عليه الذم
واللعن كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى حمرا قد وسم في وجهه فقال ألم انه عن هذا
لعن الله من فعل هذا وقال تعالى (ولو طأ آتينا حكما وعلمنا ننجيه من القرية التي كانت تعمل
الجبائث) وقال (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) وقال (ووفيت كل نفس ما عملت) وهذا في القرآن
أكثر من أن يذكر والحس شاهد به فلا تقبل شبهة تقام على خلافه ويكون حكم تلك الشبهة حكم
القدح في الضروريات فلا يانتم اليه ولا يجب على العالم حل كل شبهة تعرض لكل أحد فان هذا
لا آخر له فقولكم لو كان فاعلا لفعله لكان محدثا له ان أردتم بكونه محدثا صدور الفعل منه اتحاد
اللازم والمزوم وصار حقيقة قولكم لو كان فاعلا لكان فاعلا وان أردتم بكونه محدثا كونه خالقا
سألناكم ماتعنون بكونه خالقا هل تمنون به كونه فاعلا أم تمنون به أمرا آخر فان أردتم الاول
كان اللازم فيه عين المزوم وان أردتم أمرا آخر غير كونه فاعلا فينبو* فان قلتم نفي به كونه
موجدا للفعل من العدم الى الوجود* قبل هذا معنى كونه فاعلا فما الدليل على احالة هذا المعنى
فسموه ماشقما احدائا أو ايجادا أو خالقا فليس الشأن في التسميات وليس الممتنع الا أن يكون مستقلا
بالايجاد وهذا غير لازم لكونه فاعلا فانا قد بينا ان غاية قدرة العبد وارادته ودعايه وحركته أن
تكون جزء سبب وما توقف عليه الفعل من الاسباب التي لا تدخل تحت قدرته أكثر من الجزء
الذهي اليه بأضاف مضاعفة والفعل لا يتم الا بها* فان قيل فهذا الجبر بعينه* قيل ذلك السبب الذي
أعنى به من القدرة والارادة هو الذي أخرجه من الجبر وأدخله في الاختيار وكون ذلك السبب
من خالقه وفطره ومشيئه هو الذي أخرجه من الشرك والتعطيل وأدخله في باب التوحيد فالاول

أدخل في باب العدل والبنى أدخل في باب التوحيد ولم يكن من نقض التوحيد بالعدل ولا من نقض
العدل بالتوحيد فهم لا جئوا على التوحيد وهؤلاء جئوا على العدل وهدى الله أهل السنة للتوحيد
والعدل والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم


الباب العشرون

في ذكر مناظرة بين قدرى وسنى

قال القدرى قد أضاف الله الاعمال الى العباد بانواع الاضافة العامة والخاصة فاضافها اليهم بالاستطاعة
تارة كقوله (ومن لم يستطع منكم طولا ان يشكح الحفصات المؤنات) وبالمشيئة تارة كقوله ان شاء منكم
أن يستقيم وبالارادة تارة كقول الخضر فارتد ان أعياها وبالفعل والكسب والصنع كقوله يفعلون
يعملون بما كنتم تكسبون لبس ما كانوا يصنعون وأما بالاضافة الخاصة فكأضافة الصلاة والصيام والحج
والظهار والزنا والسرقة والقتل والكذب والكفر والفسوق وسائر أفعالهم اليهم وهذه الاضافة
تمتع اضافتها اليه كما ان اضافة أفعاله تعالى تمتع اضافتها اليهم فلا يجوز اضافة أفعالهم اليه سبحانه دونهم
ولاليه معهم فهي اذا مضافة اليهم دونه قال السنى هذا الكلام مشتمل على حق وباطل أما قولك انه
أضاف الأفعال اليهم فحق لا ريب فيه وهذا حجة لك على خصومك من الجبرية وهم يجيبونك بان
هذا الاسناد لاحقيقة له وانما هو نسبة مجازية صحيحها قيام الأفعال بهم كما يقال جرى الماء ويرد
وسخن ومات زيد ونحن نساعدك على بطلان هذا الجواب ومنافاته للقول والشرائع والفطر
ولكن قولك هذا الاضافة تمتع اضافتها اليه سبحانه كلام فيه اجمال وتليس فان أردت بتمتع الاضافة
اليه منع قيامها به ووصفه بها وجران أحكامها عليه واشتقاق الاسماء منه له فنعيم هي غير مضافة اليه
بشيء من هذه الاعتبارات والوجوه وان أردت بعدم اضافتها اليه عدم اضافتها الى علمه بها وقدرته
عليها ومشيئته العامة وخلقه فهذا باطل فانها معلومة له سبحانه مقدورة له مخلوقة واضافتها اليهم لا تمتع
هذه الاضافة كالاموال فانها مخلوقة له سبحانه وهي ملكه حقيقة قد أضافها اليهم فالاعمال والاموال
خلقهم وملكهم وهو سبحانه يضيفها الى عبيده وهو الذى جعلهم مالكيها وعاملها فصحت النسبتان وحصول
الاموال بكسبهم وارادتهم كحصول الاعمال وهو الذى خلق الاموال وكسبها والاعمال وعاملها
فاموالهم وأعمالهم ملكه ويبدد كما ان اسماعهم وأبصارهم وأنفسهم ملكه ويده فهو الذى جعلهم
يسمعون ويبصرون ويعملون فاعطاهم حاسة السمع والبصر وقوة السمع والبصر وفعل الاسماع
والابصار واعطاهم آلة العمل وقوة العمل ونفس العمل فنسبة قوة العمل الى اليد والكلام الى
اللسان كنسبة قوة السمع الى الاذن والبصر الى العين ونسبة الرؤية والاستماع اختيارا الى مخيلها
كنسبة الكلام والبطش الى محملها وان كانوا هم الذين خلقوا لانفسهم الرؤية والسمع فهل خلقوا
محملها وقوى المحل والاسباب الكثيرة التى تصاح معها الرؤية والسمع أم الكل خالق من هو خالق
كل شيء وهو الواحد القهار قال القدرى لو كان الله سبحانه هو الفاعل لافعالهم لاشتقت له منها
الاسماء وكان أولى باسمائها منهم اذ لا يعقل الناس على اختلاف لغاتهم وعاداتهم ودياناتهم قائما الامن فعل
القيام وآكل الامن فعل الاكل وسارق الامن فعل السرقة وهكذا جميع الأفعال لازمها ومتعديها

فقلبت أتم الامر وقلبت الحقائق فلقم من فعل هذه الافعال حقيقة لا يشتق له منها اسم وانما يشتق منها الاسماء لمن لم يفهمها ولم يحدسها وهذا خلاف العقول والافان وماتعارفه الامم قال السنى هذا انما يازم اخوانك وخصومك الحبرية القائلين بان العبد لم يفعل شيئا البتة وأما من قال العبد فاعل لفعله حقيقة والله خالقه وخالق آلات فعله الظاهرة والباطنة فانه انما يشتق الاسماء لمن فعل تلك الافعال فهو القائم والقاعد والمصلى والسارق والزاني حقيقة فان الفعل اذا قام بالفعل عاد حكمه اليه ولم يعد الى غيره واشتق له منه اسم ولم يشتق لمن لم يفهم به ففهمنا أربعة أمور أمران معنويان في النفي والاثبات وأمران لفظيان فيما قام الاكل والشرب والزنا والسرقة بالعبد عادت أحكام هذه الافعال اليه واشتق له منها الاسماء وامتنع عود أحكامها الى الرب واشتقاق أسماؤها له ولكن من أين منع هذا أن تكون معلومة للرب سبحانه مقدوره له . مكنونه واقعة من العباد بقدرة ربه وتكوينه قال القدرى لو كان خالقا لها لزمته هذه الامور قال السنى هذا باطل ودعوى كاذبة فانه سبحانه لا يشتق له اسم مما خلقه في غيره ولا يعود حكمه عليه وانما يشتق الاسم لمن قام به ذلك فانه سبحانه خلق الألوان والطبوع والروائح والحركات في محالها ولم يشتق له منها اسم ولا عادت أحكامها اليه ومعنى عود الحكم الى المحل الاخبار عنه بانه يقوم ويقعد ويأكل ويشرب قال السنى ومن ههنا علم ضلال المعتزلة الذين يقولون ان القرآن مخلوقا خلقه الله في محل ثم اشتق له اسم المتكلم باعتبار خلقه له وعاد حكمه اليه فاخبر عنه انه تكلم به ومعلوم ان الله سبحانه خالق صفات الاجسام واعراضها وقواها فكيف جاز ان يشتق له اسم مما خلقه من الكلام في غيره ولم يشتق له اسم مما خلقه من الصفات والاعراض في غيره فانت أيها القدرى نقضت أصولك بعضها ببعض وأفسدت قولك في مسألة الكلام بقولك في مسألة القدر وقولك في القدر بقولك في الكلام فجعلته متكلمًا بكلام قائم بغيره وأبطلت أن يكون فاعل الفعل قائمًا بغيره فان كنت أصبت في مسألة الكلام فقد نقضت أصلك في القدر وان أصبت في هذا الاصل لزم خطأك في مسألة الكلام فانت مخطئ على التقديرين قال القدرى فاقول أنت في هذا المقام قال السنى لاتناقض في هذا ولا في هذا بل احسنه سبحانه بما قام به وامتنع من وصفه بما لم يقم قال القدرى فالآن هي الوطيس فانت والمسلمون وسائر الخلق تسمونه تعالى خالقا ورازقا ومميتا والخلق والرزق والموت قائم بالخلق والرزق والميت اذ لو قام ذلك بالرب سبحانه فالخلق اما قديم واما حادث فان كان قديما لزم قدم الخلق لانه نسبة بين الخلق والخلق وازم من كونها قديمة قدم المصحح لها وان كان حادثا لزم قيام الحوادث به وافتر ذلك الخلق الى خلق آخر فلزم التسلسل فثبت ان الخلق غير قائم به سبحانه وقد اشتق له منه اسم قال السنى أى لازم من هذه الالزام التزمه المرء كان خيرا من أن ينفي صفة الخالق عن الرب سبحانه فان حقيقة هذا القول انه غير خالق فان اثبات خالق بلا خلق اثبات اسم لا مكنى له وهو كاثبات سميع لاسمعه وبصر لابصر لهومتيكهم وقادر لا كلام له ولاقدرة تعطيل الرب سبحانه عن فعله القائم به كتعطيله عن صفاته القائمة به والتعطيل انواع تعطيل المصنوع عن الصانع وهو تعطيل الدهرية والزنادقة وتعطيل الصانع عن صفات كماله ونعوت جلالة وهو تعطيل الجهمية نقاة الصفات وتعطيله عن أفعاله وهو أيضا تعطيل الجهمية وههم أبنائه ودب فيمن عداهم من الطوائف فقالوا لا يقوم بذاته فعل لان الفعل

حادث وليس محال للحوادث كما قال اخوانهم لا تقوم بذاته صفة لان الصفة عرض وليس محالا
 للاعراض فلو التزم المتلزم أى قول التزمه كان خيرا من تعطيل صفات الرب وأفعاله فالمشبهة ضالهم
 وبدعتهم خير من المعطلة ومعطلة الصفات خير من معطلة الذات وان كان التعطيلان متلازمين
 لاستحالة وجود ذات قائمة بنفسها لا توصف بصفة فوجود هذه محال في الذهن وفي الخارج ومعطلة
 الافعال خير من معطلة الصفات فان هؤلاء نفوا صفة الفعل واخوانهم نفوا صفات الذات
 وأهل السمع والعقل وحزب الرسول والفرقة الناجية برآء من تعطيل هؤلاء كلهم فانهم
 أثبتوا الذات والصفات والافعال وحقائق الاسماء الحسنى اذ جعلها المعطلة مجازا لاحقيقه
 فشر هذه الفرق لخيرها الفداء والمقصود انه أى قول لزمه المتلزم كان خيرا من نفى الحلق وتعطيل
 هذه الصفة عن الله واذا عرض على العقل السليم مفعول لا فاعل له ومفعول لا فاعل لفعله لم يجد
 بين الامرين فرقا في الاحالة فمفعول بلا فعل كمفعول بلا فاعل لا فرق بينهما البتة فليعرض العاقل
 على نفسه القول بتسلسل الحوادث والقول بقيام الافعال بذات الرب سبحانه والقول بوجود مخلوق
 حادث عن خلق قديم قائم بذات الرب سبحانه والقول بوجود مفعول بلا فعل ولينظر أى هذه
 الاقوال أبعد عن العقل والسمع وأبها أقرب اليهما ونحن نذكر أجوبة الطوائف عن هذا السؤال
 فقالت طائفة يختار من هذا التقسيم والترديد كون الحلق والتكوين قديما قائما بذات الرب سبحانه ولا
 يلزمنا قدم المخلوق المكون كما نقول نحن وأنت ان الارادة قديمة ولا يلزم من قدمها قدم المارد وكل
 ما أحبت به في صورة الازم فهو جوابنا بعينه في مسألة المكون وهذا جواب سديد وهو جواب
 جمهور الحنفية والصوفية واتباع الاثمة فان قائم اما لا يلزم من قدم الارادة قدم المارد لانها تتعلق
 بوجود المارد في وقته فهو يريد كون الشيء في ذلك الوقت واما تكوينه وخلقه قبل وجوده فمحال
 قيل لكم لسنا نقول انه كونه قبل وقت كونه بل التكوين القديم اقتضى كونه في وقته كما اقتضت
 الارادة القديمة كونه في وقته فان قائم كيف يعقل تكوين ولا يكون قيل كما عقلم ارادة ولا مراد
 فان قائم المرید قد يريد الشيء قبل كونه ولا يكونه قبل كونه قيل كلامنا في الارادة المستلزمة
 لوجوده في الارادة التي لا تستلزم المارد و ارادة الرب سبحانه ومشيئته تستلزم وجود مراده
 وكذلك التكوين يوضحه ان التكوين هو اجتماع القدرة والارادة وكلمة التكوين وذلك كله قديم
 ولم يلزم منه قدم المكون قالوا واذا عرضنا هذا على العقول السليمة وعرضنا عليها مفعولا بلا فعل
 بادرت الى قبول ذلك وانكار هذا فهذا جواب هؤلاء وقالت الكرامية بل نختار من هذا الترديد
 كون التكوين حادثا وقولكم يلزم من ذلك قيام الحوادث بذات الرب سبحانه فالتكوين هو فعله
 وهو قائم به وكانكم قائم يلزم من قيام فعله به قيامه به وسميت أفعاله حوادث وتوسلت بهذه التسمية
 الى تعطيلها كما سمى اخوانكم صفاته اعراضا وتوسلوا بهذه التسمية الى نفيها عنه وكما سموا علوه
 على مخلوقاته واستواءه على عرشه تحيزا وتوسلوا بهذه الى نفيه وكما سموا وجهه الاعلى وبديه جوارح
 وتوسلوا بذلك الى نفيها قالوا ونحن لا نشكر أفعال خالق السموات والارض وما بينهما وكلامه
 وتكليمه ونزوله الى السماء واستواءه على عرشه وبجيته يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده وندائه
 لانبيائه ورسله ولائكته وفعله ماشاء بتسميتكم لهذا كله حوادث ومن أنكر ذلك فقد أنكر كونه

رب العالمين فانه لا يتقرر في العقول والفطركونه ربا للعالمين الا بان يثبت له الافعال الاختيارية وذات
لا تفعل ليست مستحقة للرؤية ولا للإلهية فالاحلال من هذا الاحلال واجب والتزيه عن هذا
التزيه متعين فتزيه الرب سبحانه عن قيام الافعال به تزيه له عن الرؤية وملكه قالوا ولنا على صحة
هذه المسألة أكثر من ألف دليل من القرآن والسنة والعقول وقد اعترف أفضل متأخريكم بفساد
شبهكم كلهم على انكار هذه وذكرها شبهة شبهة وأفسدها والتزم بها جميع الطوائف حتى الفلاسفة
الذين هم أبعد الطوائف من اثبات الصفات والافعال قالوا ولا يمكن اثبات حدوث العالم وكون الرب
خالقا ومتكلما وسامعا ومبصرا ومحيا للمدعوات ومدبرا للمخلوقات وقادرا ومريدا الا القول بان
فعال وان أفعاله قائمة به فاذا بطل أن يكون له فعل وان تقوم بذاته الامور المتجددة بطل هذا كله
فصل  وقد أجاب عن هذا عبد العزيز بن يحيى الكنتاني في حيسدته فقال في سؤاله
للعريسي بأى شيء حدثت الاشياء فقال له أحدثها الله بقدرته التي لم يزل فقلت له أحدثها بقدرته كما
ذكرت أو ليس تقول انه لم يزل قادرا قال بلى قلت فتقول انه لم يزل يفعل قال لأقول هذا قلت
فلا بد ان نلزملك أن تقول انه خالق بالفعل الذى كان بالقدرة لان القدرة صفة ثم قال عبد العزيز
لم أقل لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل وانما الفعل صفة والله يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع
فأثبت عبد العزيز فعلا مقدورا لله هو صفة ليس من الخلوقات وانه خالق الخلوقات وهذا صريح
في ان مذهبه كمذهب السلف وأهل الحديث لان الخالق غير المخلوق والفعل غير المفعول كما حكاه
البعوى اجماعا لاهل السنة وقد صرح عبد العزيز ان فعله سبحانه القائم به وانه خالق به الخلوقات كما
صرح به البخارى في آخر صحيحه وفي كتاب خلق الافعال قال في صحيحه باب مجاء في تخليق
السموات والارض وغيرهما من الخلق وفعل الرب وأمره فالرب سبحانه بصفاته وفعله وأمره
وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق
مكون فصرح امام السنة ان صفة التخليق هي فعل الرب وأمره وانه خالق بفعله وكلامه وجميع
جند الرسول وحزبه مع محمد بن اسماعيل في هذا القرآن مملوء من الدلالة عليه كما دل عليه العقل
والفطرة قال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثاهم) ثم أجاب
نفسه بقوله (بلى وهو الخالق العالم) فأخبر أنه قادر على نفس فعله وهو أن يخلق نفس أن يخلق
فعل له وهو قادر عليه ومن يقول لا فعل له وان الفعل هو عين المفعول يقول لا يقدر على فعل
يتوهم به البتة بل لا يقدر الا على المفعول المبين له الحادث بغير فعل منه سبحانه وهذا أبلغ في الاحالة
من حدونه بغير قدرة بل هو في الاحالة كحدونه بغير فاعل فان المفعول يدل على قدرة الفاعل
باللزوم العقلى ويدل على فعله الذى وجد به بالعضد فاذا سابت دلالاته التضمينية كان سلب دلالاته
اللزومية أسهل ودلالة المفعول على فاعله وفعله دلالة واحدة وهي أظهر بكثير من دلالاته على قدرته
وارادته وذكر قدرة الرب سبحانه على أفعاله وتكوينه في القرآن كثير كقوله قل هو القادر على
أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم وأن يبعث نفس فعله والعذاب هو مفعوله المبين له وكذلك
قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) فأحيا الموتى نفس فعله وحياهم مفعوله المبين له
وكلاهما مقدور له وقال تعالى (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) فتسوية البنان فعله واستواؤها

مفعوله ومنكره والافعال يقولون ان الرب سبحانه يقدر على المفعولات المبانية له ولا يقدر على فعل يقوم بنفسه لا لازم ولا متعدد أهل السنة يقولون الرب سبحانه يقدر على هذا وعلى هذا وهو سبحانه له الخلق والامر فالجهمية أنكرت خلقه وأمره وقالوا خلقه نفس مخلوقة وأمره مخلوق من مخلوقاته فلا خلق ولا أمر ومن أثبت له الكلام القائم بذاته ونفى أن يكون له فعل ففسد أثبت الأمر دون الخلق ولم يقل أحد بقيام أفعاله به ونفى صفة الكلام عنه فثبت الأمر دون الخلق وأهل السنة يثبتون له تعالى ما أثبتته لنفسه من الخلق والامر فالخلق فاعله والامر قوله وهو سبحانه يقول ويفعل وأجاب طائفة أخرى من أهل السنة والحديث عن هذا بالترام التسلسل وقالوا ليس في العقل ولا في الشرع ما ينفي دوام فاعلية الرب سبحانه وتعاقب أفعاله شيئا قبل شيء إلى غير غاية كما تعاقب شيئا بعد شيء إلى غير غاية فلم تزل أفعالا قالوا والفعل صفة كمال ومن يفعل أكمل ممن لا يفعل قالوا ولا يقتضى صريح العقل الا هذا ومن زعم ان الفعل كان متمعا عليه سبحانه في مدد غير مقدره لانهية لها ولا يقدر أن يفعل ثم انقلب الفعل من الاستحالة الذاتية الى الامكان الذاتي من غير حدوث سبب ولا تغير في الفاعل فقد نادى على عقله بين الانام قالوا واذا كان هذا في العقول جاز أن ينقلب العالم من العدم الى الوجود من غير فاعل وان امتنع هذا في بداية العقول فكذلك نجد امكان الفعل وانقلابه من الامتناع الذاتي الى الامكان الذاتي بلا سبب واما أن يكون هذا ممكنا وذلك متمعا فليس في العقول ما يقتضى بذلك قالوا والتسلسل لفظ مجمل لم يرد بنفيه ولا اثباته كتاب ناطق ولا سنة متبعة فيجب مراعاة لفظه وهو ينقسم الى واجب وممتنع وممكن كالتسلسل في المؤثر محال متمتع لذاته وهو أن يكون مؤثرين كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لالى غاية والتسلسل الواجب مادل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الابد وانه كلما انقضى لاهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لانقضاء له وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرق الازل وان كل فعل مسبوق بفعل آخر فهذا واجب في كلامه فانه لم يزل متمكنا اذا شاء ولم يتحدث له صفة الكلام في وقت وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته فان كل حي فعال والفرق بين الحي والميت بالفعل ولهذا قال غير واحد من السلف الحكي الفعالم * وقال عثمان بن سعيد كل حي فعال ولم يكن ربنا سبحانه قط في وقت من الاوقات الحقيقة أو المقدرة معطلا عن كماله من الكلام والارادة الفعل واما التسلسل الممكن فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف كما يتسلسل في طرف الابد فانه اذا لم يزل حيا قادرا مريدا متمكنا وذلك من لوازم ذاته فالفعل ممكن له بوجود هذه الصفات له وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل ولا يازم من هذا انه لم يزل الخالق معه فانه سبحانه مقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدم لأول له فلكل مخلوق أول والخالق سبحانه لأول له فهو وحده الخالق وكل ماسواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن قالوا بكل قول سوى هذا فصرح العقل يردده ويقتضى بطلانه وكل من اعترف بان الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل لزمه أحد الامرين لا بدله منهما اما أن يقول بان الفعل لم يزل ممكنا واما أن يقول لم يزل واقعا والا تناقض تناقضا بينا حيث زعم ان الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل والفعل محال متمتع لذاته لو أراد لم يمكن وجوده بل فرض ارادته عنده محال وهو مقدور له وهذا قول ينقض بعضه بعضا وأجاب طائفة أخرى بالجواب المركب على جميع التقادير فقالوا

تسلسل الآثار اما أن يكون ممكنا أو ممثعا فان كان ممكنا فلا محذور في التزامه وان كان ممثعا لم يلزم من بطلانه بطلان الفعل الذى لا يكون الخلق الا به فاتا نعم أن المفعول المنفصل لا يكون الا بفعل والخلق لا يكون الا بخلق قبل العلم بجواز التسلسل وبطلانه * ولهذا كثير من الطوائف يقولون الخلق غير الخلق والفعل غير المفعول مع قولهم بطلان التسلسل مثل كثير من اتباع الائمة الاربعة وكثير من أهل الحديث والصوفية والمتكلمين ثم من هؤلاء من يقول الخلق الذى هو التكوين صفة كالارادة ومنهم من يقول بل هى حادثة بعد ان لم تكن كالكلام والارادة وهى قائمة به سبحانه وهم الكرامية ومن وافقهم أثبتوا حدوثها وقيامها بذاته وأبطلوا دوامها فرارا من القول بحدوث لأول لها وكلا الفريقين لا يقولان ذلك التكوين والخلق مخلوق بل يقولان الخلق وجود به كما وجد بالقدرة قالوا فاذا كان القول بالتسلسل لازما لكل من قال ان الرب تعالى لم يزل قادرا على الخلق يمكنه أن يفعل بلا مانع فهو لازم لك كما ألزمته خصومك فلا ينفردون بجوابه دونك واما ما ألزموك به من وجود مفعول بلا فعل ومخوق بلا خاق فهو لازم لك وحدك قالوا ونحن انما قلنا الفعل صفة قائمة به سبحانه وهو قادر عليه لا يمتنع منه مانع والفعل القائم به ليس هو الخلق المنفصل عنه فلا يلزم أن يكون معه مخلوق في الازل الا اذا ثبت ان الفعل اللازم يستلزم الفعل المتعدى وان المتعدى يستلزم دوام نوع المفعولات ودوام نوعها يستلزم أن يكون معه سبحانه في الازل شئ منها وهذه الامور لا سبيل لك ولا لغيرك الى الاستدلال على ثبوتها كلها وحيثئذ فنقول أى لازم لزم من اثبات فعله كان القول به خيرا من نفي الفعل وتمطيله فان ثبت قيام فعله به من غير قيام الحوادث به كما بقوله كثير من الناس بطل قولكم وان لزم من اثبات فعله قيام الامور الاختيارية به والقول بأنها مفتوحة ولها أول فهو خير من قولكم كما نقوله الكرامية وان لزم تسلسلها وعدم اوليتها في الافعال اللازمة فهو خير من قولكم وان لزم تسلسل الآثار وكونه سبحانه لم يزل خالقا كما دل عليه النص والعقل فهو خير من قولكم ولو قدر انه يلزم ان الخلق لم يزل مع الله قديما بقدمه كان خيرا من قولكم مع ان هذا لا يلزم ولم يقل به أحد من أهل الاسلام بل ولا أهل الملل فكلامهم متفقون على ان الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق موجود بعد عدمه وليس معه غيره من المخلوقات يكون وجوده مساويا لوجوده فالزم بعد هذا من اثبات خلقه وأمره وصفات كماله ونعوت جلالة وكونه رب العالمين وأن كماله المقدس من لوازم ذاته قانابه قائلون وله ملتزمون كما أنا ملتزمون لكل ما لزم من كونه حيا عالما قديرا سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه بأن من خلقه يراه المؤمنون بأبصارهم عيانا في الجنة وفي عرصات القيامة ويكلمهم ويكلمونه فان هذا حق ولازم الحق مثله وما لم يلزم من اثبات ذلك من الباطل الذى تتخيله خفافيش العقول فتحن له منكرون وعن القول به عادلون وبالله التوفيق * قال القدرى كون العبد موحدا لافعاله وهو الفاعل لها من أجلى الضروريات والبدنيات فان كل عاقل يعلم من نفسه انه فاعل لما يصدر منه من الافعال الواقعة على وفق قصده وداعيته بخلاف حركة المرتش والجروور على وجهه وهذا لا يمارى فيه الماقل ولا يقبل التشكيك والقدح في ذلك والاستدلال على خلافه استدلال على بطلان ما علمت صحته بالضرورة فلا يكون مقبولا * قال السفى قد اجابك خصومك من الجبرية عن هذا بان الماقل يعلم من نفسه وقوع الفعل مقارنا لقدرته

ولا يعلم من نفسه انه واقع بقدرته والفرق بين الاسرين ظاهر ولو كان وقوعه بقدرته هو المعلوم بالضرورة لما خالف فيه جمع عظيم من العقلاء يستحيل عليهم الاتباع على جحد الضروريات وهذا الجواب مما لا يشفى عيالا ولا يروى غايلا وهو عبارات لاحصل تحتها فان كل عاقل يجد من نفسه وقوع الفعل بقدرته وادارته وداعيته فان ذلك هو المؤثر في الفعل ويجحد تفرقة ضرورية بين مقارنة القدرة والداعية للفعل ومقارنة طول له ولونه وشمه وغير ذلك من صفاته للفعل ونسبة ذلك كله عند الجبرى الى الفعل نسبة واحدة والله سبحانه أجرى العادة بخاق الفعل عند القدرة والداعى لاهما وانما اقترن الداعى والقدرة بالفعل اقترانا مجردا ومعلوم ان هذا قدح في الضروريات ولا ريب ان من نظر الى تصرفات العقلاء ومعاملاتهم مع بعضهم بعضا وجدهم يطالبون الفعل من غيرهم طاب عالم بالاضطرار ان المطلوب منه الفعل هو المحصل له الواقع بقدرته وادارته ولذلك يتلطفون لوقوع الفعل منه بكل لطيفة ويحتالون عليه بكل حيلة فيعطونه تارة ويزجرونه تارة ويخوفونه تارة ويتوصلون الى اخراج الفعل منه بأنواع الرغبة والرهبة ويقولون قد فعل فلان كذا فلان لا تفعل كذا ففعل وهذا أمر مشاهد بالحس والضرورة فالعقلاء ساكنو الانفس الى ان الفعل من العبد يقع وبه يحصل ولو حرك أحدهم أصبعه فستمت الحرك لها الغضب وشتمك وقال كيف تشتمنى ولم يقل لم تشتم رضى وهذا أوضح من أن يضرب له الامثال أو يبسط فيه المقال وما يمرض في ذلك من الشبه جار مجرى السفسطة وقد فطر الله العقلاء على ذم فاعل الاساءة ومدح فاعل الاحسان وهذا يدل على انهم مفسطرون على العلم بأنه فاعل لان الذم فرع عليه ويستحيل أن يكون الفرع معلوما باضطرار والاصل ليس كذلك والعقلاء قاطبة يعلمون ان الكاتب مثلا يكتب اذا أراد ويمسك اذا أراد وكذلك الباني والصانع وانه اذا عجزت قدرته أو عذمت ارادته بطل فعله فان عادت اليه القدرة والارادة عاد الفعل وقولك لو كان ذلك أمرا ضروريا لاشتراك العقلاء فيه جوابك انه لا يجب الاشتراك في الضروريات فكثير من العقلاء يخالفون كثيرا من الضروريات لدخول شبهة عليهم ولا سيما اذا تواطوا عليها وتناقلوها كخالفه الفلاسفة في الالهيات ييسر من الضروريات وهم جمع كثير من العقلاء وهؤلاء النصارى يقولون ما يعلم فساد ضرورة العقل وهم يناظرون عليه وينصرون وهؤلاء الرافضة يزعمون أن أبا بكر وعمر لم يؤمنا بالله ورسوله طرفة عين ولم يزا لعدوين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مترصدين لقتله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام عليا على رؤس جميع الصحابة وهم ينظرون اليه جبهة وقال هذا وصي وولى العهد من بعدى فكذلك له تسمعون وأطيعوا على كتمان هذا النص وعصيان هؤلاء الجهمية ومن قال بقولهم يقولون ما يخالف صريح العقل من وجود مفعول بلا فعل ومخلوق بلا خالق وهؤلاء الفلاسفة وهم المدلون بمقولهم يثبتون ذواتا قائمة بأنفسهم خارج الذهن ليست في العالم ولا خارجة عن العالم ولا متصلة به ولا منفصلة عنه ولا مباينة له ولا محتاجة وهو ما يعلم بصريح العقل فساد هؤلاء طائفة الاتحادية تزعم أن الله هو هذا الوجود وان التعدد والتكثير فيه وهم مخض وهؤلاء منكرو الاسباب يزعمون أنه لا حرارة في النار تحرق بها ولا رطوبة في الماء يروى بها وليس في الاجسام أصلا لا قوى ولا طبائع ولا في العالم شئ يكون سببا لشيء آخر البتة وان لم تكن هذه الامور جحدا للضروريات فليس في العالم من جحد الضروريات وان كانت جحدا

للضروريات بإطل قولكم ان جمعا من العقلاء لا يتفقون على ذلك والافعال التي يجحد بها المستحسنون
الضروريات أضفاف ماذكرناه فهم أبجد الناس لما يعلم بضرورة العقل وكيف يصح في عقل
سليم سميع لاسمع له بصيرا لبصر له حتى لا حياة له أم كيف يصح عند ذى عقل مرئى يرى بالابصار
عيانا لا فوق الرأى ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا عن يساره ولا خلفه ولا امامه أم كيف
يصح عند ذى عقل اثبات كلام قديم أزلى لو كان البحر يمدد من بعده سبعة أبحر وجميع أشجار
الارض على اختلافها وكبرها وصغرها أقلام يكتب به لتفدت البحار وفيت الأقلام ولا يفتن ذلك
الكلام ومع هذا فهو معنى واحد لاجزاء له ولا ينقسم وهو والنهى فيه عين الامر والنهى فيه عين
الاثبات والخبر فيه عين الاستخبار والتوراة فيه عين الانجيل وعين القرآن وذلك كله أمر واحدنا
يختلف بسمياته ونسبه وقد أطبق على هذا جمع عظيم من العقلاء وكفروا من خالفهم فيه واستحلوا
منهم ما حرمه الله وهؤلاء الجهمية يقولون ان للعالم صانعا قائما بذاته ليس في العالم ولا هو خرج العالم
ولا فوق العالم ولا تحته ولا خلفه ولا امامه ولا عن يمينه ولا عن يسره ولا هو مبان له ولا محتات
له فوصفوا واجب الوجود بصفة متنع الوجود وكفروا من خالفهم في ذلك واستحلوا دمه وقالوا
ما يعلم فساد العقل ولو ذهبنا نذكر ما يجحد فيه أكثر الطوائف للضروريات لطال الكتاب
جدا وهؤلاء النصارى قد طبقت شرق الارض وغربها وهم من أعظم الناس جحدا للضروريات
وهؤلاء الفلاسفة هم أهل العقول والمعتولات وهم من أكثر الناس جحدا للضروريات فالتفاق طائفة من
الطوائف على المقالة لا يدل على مخالفتها لصريح العقل وبالله التوفيق

فصل قال القدرى قال الله سبحانه (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة
فمن نفسك) وعند الجبرى ان الكل فعل الله وليس من العبد شئ * قال الجبرى في الكلام استفهام
مقدر تقديره أفمن نفسك فهو انكار لا اثبات وقرأها بعضهم فمن نفسك بفتح الميم ورفع نفسك أى
من أنت حتى تغفها قال ولا بد من تأويل الآية والانقض قوله في الآية التي قبلها (وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله) فآخبر
ان الحسنات والسيئات جميعا من عنده لامن عند العبد * قال السنى أخطأنا جميعا في فهم الآية
أقبح الخطأ ومنشأ غلطكما ان الحسنات والسيئات في الآية المراد بها الطاعات والمعاصى التي هي
فعل العبد الاختيارى وهذا وهم محض في الآية وانما المراد بها النعم والمصائب ولفظ الحسنات
والسيئات في كتاب الله يراد به هذا تارة وهذا تارة فتقوله تعالى (ان تمسككم حسنة تسوءهم وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقوله (ان تصيبك حسنة تسوءهم وان تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا
من قبل) وقوله (ولولا نعمهم بالحسنات والسيئات) وقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الاسان
كفور) وقوله (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطغروا بموسى ومن معه) وقوله
(ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) المراد في هذا كله النعم والمصائب
وأما قوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثما) وقوله (ان الحسنات
يذهبن السيئات) وقوله (فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) والمراد به في هذا كله الاحمال المأمور
بها والنهى عنها وهو سبحانه انما قال ما أصابك ولم يقل ما أصبت وما كسبت فما يفعل العبد يقال فيه

مأصبت وكسبت وعملت كقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) وكقوله (من يعمل سواء يجز به ومن كسب خطيئة أو اثماً) وقول المذنب التائب يا رسول الله أصبت ذنباً فأقم على كتاب الله ولا يقال في هذا أصابك ذنب وأصابتك سيئة وما يفعل به بغير اختياره يقال فيه أصابك كقوله (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله (وان تصيبكم مصيبة يقولوا قد أخذنا أمراً من قبل) وقوله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلياً) فجمع الله في الآية بين مأصبا وبفعلاهم وكسبهم وما أصابهم مما ليس فعلا لهم وقوله (ونحن نترص بكم أن يصيبكم الله بمذاب من عنده) وقوله (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنوا قارعة) وقوله (فأصابتكم مصيبة الموت) فقوله (مأصابك من حسنة) هو من هذا القسم الذى يصيبه العبد لا باختياره وهذا اجماع من السلف في تفسير هذه الآية * قال أبو العالية وان تصيبكم حسنة هذا في السراء وان تصيبهم سيئة هذا في الضراء * قال السدى الحسنة الحسب تنتج مواشيم وانعامهم ويحسن حالهم قلند نساؤهم الغلمان قالوا هذا من عند الله وان تصيبهم سيئة قال الضر في أمواهم تشاءموا بمحمد وقالوا هذه من عنده قالوا بتركنا ديننا واتباعنا محمداً أصابنا مأصبا فازل الله سبحانه ردا عليهم قل كل من عند الله الحسنة والسيئة وقال الواجب عن ابن عباس مأصابك من حسنة فمن الله قال مافتح الله عليك يوم بدر وقال أيضا هو الغنية والفتح والسيئة مأصابه يوم أحد شج في وجهه وكسرت رابعته وقال اما الحسنة فأنعم الله بها عليك وأما السيئة فابتلاك بها وقال أيضا مأصابك من نكبة فذنبك وأنا قدرت ذلك عليك ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم وفي تفسير أبى صالح عن ابن عباس ان تصيبك حسنة الحسب وان تصيبك سيئة الجذب والبلاء وقال ابن قتيبة في هذه الآية الحسنة النعمة والسيئة البلية فان قيل فقد حكى أبو الفرج بن الجوزى عن أبى العالية انه فسر الحسنة والسيئة في هذه الآية بالطاعة والمعصية وهو من أعلم التابعين فالجواب انه لم يذكر بذلك اسنادا ولا نعلم صحته عن أبى العالية وقد ذكر ابن أبى حاتم باسناده عن أبى العالية ما تقدم حكايته ان ذلك في السراء والضراء وهذا هو المعروف عن أبى العالية ولم يذكر ابن أبى حاتم عنه غيره وهو الذى حكاه ابن قتيبة عنه وقد يقال ان المعنيين جميعا مرادان باعتبار ان ما يوفقه الله من الطاعات فهو نعمة في حقه أصابته من الله كما قال وما بكم من نعمة فمن الله فهذا يدخل فيه نعم الدين والدنيا وما يقع منه من المعصية فهو مصيبة أصابته من الله وان كان سببها منه والذى يوضح ذلك ان الله سبحانه اذا جعل السيئة هي الجزاء على المعصية من نفس العبد بقوله ومأصابك من سيئة فمن نفسك فالعمل الذى أوجب الجزاء أولى أن يكون من نفسه فلا منافاة بين أن تكون سيئة العمل من نفسه وسيئة الجزاء من نفسه ولا ينافي ذلك ان يكون الجزاء من الله قضاء وقدر وليكن هو من الله عدل وحكمة ومصاحبة وحسن ومن العبد سيئة وقبيح وقد روى عن ابن عباس انه كان يقرأها وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا قدرت بها عليك وهذه القراءة زيادة بيان ولا نقدر دل قوله تبيل ذلك قل كل من عند الله على القضاء السابق والقدر اللاحق والمنعاصى قد تكون بعضها عقوبة بعض فيكون لله على المعصية عقوبتان عقوبة بمعصية تتولد منها وتكون الاولى سببا فيها وعقوبة بمؤلم يكون جزاءها كما في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة

ولا يزال الرجل يصدق ويحرقى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويحرقى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً وقد ذكر الله سبحانه في غير موضع من كتابه ان الحسنه الثانية قد تكون من ثواب الحسنه الاولى وان المعصية قد تكون عقوبة للمعصية الاولى فالاول كقوله تعالى ولوانهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد ثبوتاً واذا آتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً وقال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وأما قوله (والذين قتلوا في سبيل الله فان يصل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم) فيحتمل أن لا يكون من هذا وتكون الهداية في الآخرة الى طريق الجنة فانه رتب هذا الجزاء على قتلهم ويحتمل أن يكون منه ويكون قوله سيديهم ويصلح بالهم اخباراً منه سبحانه عما يفعله هؤلاء الذين قتلوا في سبيله قبل ان قتلوا وأتى به بصيغة المستقبل اعلاماً منه بأنه يجدد له كل وقت نوعاً من انواع الهداية واصلاح البال شيئاً بعد شئ فان قلت فكيف يكون ذلك المستقبل خبراً عن الذين قتلوا قلت الخبر قوله فان يصل أعمالهم أى انه لا يبطأ عليهم ولا يترهم اياها هذا بعد ان قتلوا ثم أخبر سبحانه خبراً مستأنفا عنهم انه سيهديهم ويصلح بالهم لما علم انهم سيقولون في سبيله وانهم بذلوا أنفسهم له فاهم جزاً آن جزاء في الدنيا بالهداية على الجهاد وجزء في الآخرة بدخول الجنة فيرد السامع كل جملة الى وقتها لظهور المعنى وعدم التباسه وهو في القرآن كثير والله أعلم وقال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) وقال (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي الحسنين) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) وقال (وان تطيعوه تهتدوا) وقال (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن) فضمن التمام معنى الانعام فعده على أى انعاماً منا على الذى أحسن وهذا جزء على الطاعات بالطاعات وأما الجزاء بالمعاصى على المعاصى فكقوله (فلما زاغوا أنراغ الله قلوبهم) وقوله (ولانكرونا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم) وقوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقوله (ان الذين تولوا منكم يوم اتقوا الجمعان انما امسأزهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقوله (وقالوا قلوبنا غلفت بل لعنهم الله بكفرهم قليلاً ما يؤمنون) وقوله (ويوم نحسبن اذ نمجبتكم كثرتمكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) وهو كثير في القرآن وعلى هذا فيكون النوعان من السيئات أعنى المصائب والمعايب من نفس الانسان وكلاهما بقدر الله فشر النفس هو الذى أوجب هذا وهذا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته المعروفة ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فشر النفس نوعان صفة وعمل والعمل ينشأ عن الصفة والصفة تنأكد وتقوى بالعمل فكل منهما يمد الآخر وسيئات الاعمال نوعان قد فسرهما الحديث أحدهما مساوياً وقبائحها فتكون الاضافة فيه من النوع الى جنسه وهى اضافة بمعنى من أى السيئات من أعمالنا والثانى انها ما يسوء العامل مما يعود عليه من عقوبة عمله فيكون من اضافة المسبب الى سببه وتكون الاضافة على معنى اللام وقد يرجح الاول بأنه يكون قد استعاذ من الصفة والعمل الناشئ عنها وذاك يتضمن الاستعاذة من الجزاء السيئ

لترتب على ذلك قضيت الاستعاذة ثلاثة أمور الاستعاذة من العذاب ومن سببه الذى هو العمل ومن سبب العمل الذى هو الصفة وقد يرجح الثانى ان شر النفس بعم النوعين كما تقدم فسيئات الاعمال مايسوء من جزائها وبه بقوله سيئات اعمالنا على ان الذى يسوء من الجزاء انما هو بسبب الاعمال الارادية لامن الصفات التى ليست من اعمالنا ولما كانت تلك الصفة شرا استعاذ منها وأدخلها في شر النفس وقال الصديق رضى الله تعالى عنه لانبى صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء ادعوه فى صلاتى قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليك اشهد أن لا إله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسى سوءا أو أوجره الى مسلم قلبه اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعت * ولما كان الشر له مصدر يتدى منه وغاية يتهى اليها وكان مصدرها امان نفس الانسان وإما من الشيطان وغايته ان يعود على صاحبه أو على أخيه المسلم تضمن الدعاء هذه المراتب الاربعة باو جز لفظ وأوضحه وأبينه

فصل قال السنى فليس لك أيها القدرى أن تحتج بالآية التى نحن فيها لمذهبك لوجوه أحدها أنك تقول فعل العبد حسنة كان أوسيته هو منه لامن الله بل الله سبحانه قد أعطى كل واحد من الاستطاعة ما يفعل به الحسنات والسيئات ولكن هذا احدث من عند نفسه ارادة فعل بها الحسنات وهذا احدث ارادة فعل بها السيئات وليست واحدة من الارادتين من احدث الرب سبحانه البتة ولا أوجبتها مشيئة والآية قد فرقت بين الحسنة والسيئة وأتم لاتفرقون بينهما فان الله عندهم لم يشاء هذا ولا هذا قال القدرى اضافة السيئة الى نفس العبد لكونه هو الذى أحدثها وأوجدتها وأضاف الحسنة اليه سبحانه لكونه هو الذى أمر بها وشرعها قال السنى الله سبحانه أضاف الى العبد ما أصابه من سيئة وأضاف الى نفسه ما أصاب العبد من حسنة ومعلوم ان الذى أصاب العبد هو الذى قام به الامر لم يقم بالعبد وانما قام به المأمور وهو الذى أصابه فالذى أصابه لاتصح اضافته الى الرب عندهم والمضاف الى الرب لم يقم بالعبد فعلم ان الذى أصابه من هذا وهذا أمر قائمه فلو كان المراد به الافعال الاختيارية من الطاعات والمعاصى لاستوت الاضافة ولم يصح الفرق وان افترقا في كون أحدهما مأمورا به والآخر منها عنه على ان النهى أيضا من الله كما ان الامر منه فلو كانت الاضافة لاجل الامر لاستوى المأمور والمنهى فى الاضافة لان هذا مطلوب إيجابه وهذا مطلوب اعدامه قال القدرى أنا جواز تعلق الطاعة والمعصية بمشيئة الرب سبحانه واحداً على وجه الجزاء لاعلى سبيل الابتداء وذلك ان الله سبحانه يعاقب عبده بما شاء ويثيبه فكما يعاقبه بخلاف الجزاء الذى يسوءه وخلق الثواب الذى يسره ولذلك يحسن أن يعاقبه بخلاف المعصية وخلق الطاعة فان هذا يكون عدلا منه واما ان يخاف في الكفر والمعصية ابتداء بلا سبب فعاد الله من ذلك قال السنى هذا توسط حسن جدا لا يباه العقل ولا الشرع ولكن من ابتداء الاول وليس هو عندك مقدورا لله ولا واقعا بمشيئته فقد أثبت في ملكه ما لا يقدر عليه وادخلت فيه ما لا يشاء وتقتضى أصابك كله فانك أصلت ان فعل العبد الاختيارى قدرة العبد عليه واختياره ومشئته تنفع قدرة الرب عليه ومشيئته له وهذا الاصل لا فرق فيه بين الابتدائى والجزائى قال القدرى فالقرآن قد فرق بين النوعين وجعل الكفر والفسوق الثانى جزءا على الاول فعلم ان الاول من العبد قطعاً والالم يستقيم

جعل أحدهما عقوبة على الآخر وقد صرح بذلك في قوله (فبا نقضهم ميثاقهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فاضاف نقض الميثاق اليهم وتقسية القلوب اليه فالاول سبب منهم والثاني جزاء منه سبحانه قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فاضاف عدم الايمان أولا اليهم اذ هو السبب وتقلب القلوب وتركهم في طغيانهم هو الجزاء ومثله قوله (قلما زاغوا أزرار الله قلوبهم) والآيات التي سمعتموها آنفا إنما تبدل على هذا قال السنى نعم هذا حق لكن ليس فيه اخراج السبب عن كونه مقدورا للرب سبحانه واقعا بمشيئته ولو شاء لحال بين العبد وبينه ووقفه لضده فهي البقية التي بقيت عليك من القدر كما ان انكار اثبات الاسباب واقتضاها لمسبباتها وترتبها عليها هي البقية التي بقيت على الجبري في المسئلة أيضا وكلاهما مصيب من وجه مخفي من وجه ولو خلاص كل منكما من البقية التي بقيت عليه لوجدتما روح الوفاق واصطاحبا على الحق والله التوفيق قال القدرى فما تقول انت أيها السنى في العبد الاول اذا لم يكن جزاء فما وجهه وانت ممن يقول بالحكمة والتعالم وتنزه الرب سبحانه عن الظلم الذي هو ظلم لا ما يقوله الجبري انه الجمع بين التقيضين قال السنى لا يلزم في هذا المقام بيان ذلك فاني لم أنصبه انما اتصبت لابطال احتجاجك بالآية لمذهبك الباطل وقد وفيت به والله في ذلك حكم وغايات محمودة لاتباعها عقول العقلاء ومباحث الاذكياء فالله سبحانه انما يضع فضله وتوفيقه وامداده في المحل الذي يصلح له وما لا يصلح له من المحال يدعه غفلا فارغا من الهدى والتوفيق فيجري مع طبعه الذي خلق عليه ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم ولو أسعهم لتولوا وهم معرضون قال القدرى فاذا كان الله سبحانه قد أحدث فيهم تلك الارادة والمشيئة المستازمة لوجود الفعل كان ذلك إيجادا منه سبحانه لذلك فيهم كما أوجد الهدى والايمان في أهله قال السنى هذا معترك النزال وتفرق طرق العالم والله سبحانه أعطى العبد مشيئة وقدرة وارادة تصلح لهذا ولهذا ثم أمدها بالفضل بأمور وجودية زائدة على ذلك المشترك أوجب له الهداية والايمان وأمسك ذلك الامداد عمن علم انه لا يصلح له ولا يليق به فانصرفت قوى ارادته ومشيئته الى ضده اختيارا منه ومحبة لاكرها واضطرارا قال القدرى فهل كان يتمكن ارادة ما لم يمن عليه ولم يوفق له بامداد زائد على خالق الارادة قال السنى ان أردت بالامكان انه يمكن فعله لو اراده ففعم هو ممكن بهذا الاعتبار مقدوره وان أردت به انه ممكن وقوعه بدون مشيئة الرب واذنه فليس يمكن فانه ماشاء الله كان ووجب وجوده وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده قال القدرى فقد سلمت حينئذ انه غير ممكن للعبد اذا لم يشأ الله منه ان يفعله فصار غير مقدور للعبد فقد عوقب على ترك ما لا يقدر على فعله قال السنى عدم ارادة الله سبحانه للعبد ومشيئته ان يفعل لا يوجب كون الفعل غير مقدوره فانه سبحانه لا يريد من نفسه ان يعينه عليه مع كونه اقدره عليه ولا يلزم من اقداره عليه وقوعه حتى توجد منه اعانة أخرى فانتفاء تلك الاعانة لا يخرج الفعل عن كونه مقدورا للعبد فانه قد يكون قادرا على الفعل لكن يتركه كسلا وتهاونا وايتارا لفعل ضده فلا يصرف الله عنه ترك الواقع ولا يوجب عدم صرفه كونه عاجزا عن الفعل فان الله سبحانه يعلم انه قادر عليه بالقدرة التي أقدره بها ويعلم انه لا يريد مع كونه قادرا عليه فهو سبحانه مريد له ومنه الفعل ولا يريد من نفسه اعانته وتوفيقه وقطع هذه الاعانة والتوفيق لا يخرج الفعل عن كونه مقدورا له وان جعلته غير مراد وسر

المسئلة الفرق بين تعاق الارادة بفعل العبد وتعاقها بفعله هو سبحانه بعده فمن لم يحط معرفة بهذا الفرق فكشف له حجاب المسئلة قال الجبرى اما أن تقول ان الله علم ان العبد لا يفعل أو لم يعلم ذلك واتانى محال واذا كان قد علم انه لا يفعله صار الفعل متمعا قطعاً لأدولفعله لانقلب العلم القديم جهلاً قال السفى هذه حجة باطلة من وجوه أحدها ان هذا بعينه يقال فيما علم الله انه لا يفعله وهو مقدوره فانه لا يثنع البتة مع كونه مقدوره فاما كان جوابك عن ذلك فهو جوابنا لك وثانها ان الله سبحانه يعلم الامور على ما هي عليه فهو يعلم انه لا يفعله لعدم ارادته له لا لعدم قدرته عليه وثالثها ان العلم كاشف لا موجب وانما الموجب مشيئة الرب والعلم يكشف حقائق المعلومات * عدنا الى الكلام على الآية التى احتج بها القدرى وبيان انه لا حجة فيها من ثلاثة أوجه أحدها انه قال ما أصابك ولم يقل ما أدبت الثانى ان المراد بالחסنة والسيئة النعمة والمصيبة الثالث انه قال (قل كل من عند الله) فالانسان هو فاعل السيئات ويستحق عليها العقاب والله هو المنعم عليه بالחסنات وعملا وجزاء والعادل فيه بالسيئات قضاء وجزاء ولو كان العمل الصالح من نفس العبد كما كان السيء من نفسه لكان الامر ان كلاهما من نفسه والله سبحانه قد فرق بين النوعين وفي الحديث الصحيح الا الهى يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الانفسه

فصل قال الجبرى أول الآية محكم وهو قوله كل من عند الله وآخرها متشابه وهو قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قال القدرى آخرها محكم وأولها متشابه قال السفى أخطأنا جميعا بل كلاهما محكم مبين وانما ألتبنا من قلة الفهم في القرآن وتدره فليس بين اللفظين تناقض لافي المعنى ولا في العبارة فانه سبحانه وتعالى ذكر عن هؤلاء التاكيد عن الجهاد انهم ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه من عندك أى بسبب ما أمرتاه من دينك وتركتنا ما كنا عليه أصابتنا هذه السيئات لانك أمرتنا بما أوجها السيئات ههنا هى المصائب والاعمال التى ظنوا انها سبب المصائب هى التى أمروا بها وقولهم في السيئة التى تصبهم هذه من عندك تتناول مصائب الجهاد التى حصلت لهم من الهزيمة والجراح وقتل من قتل منهم وتناول مصائب الرزق على وجه التطير والتشاؤم أى أصابنا هذا بسبب دينك كما قال تعالى عن قوم فرعون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه أى اذا جاءهم ما يسرون به ويتنعمون به من النعم قالوا نحن أهل ذلك ومستحقوه وان أصابهم ما يسوءهم قالوا هذا بسبب ما جاء به موسى وقال أهل القرية للمرسلين انا نطيرنا بكم وقال قوم صالح له عليه الصلاة والسلام اطيروا بك وبمن معك وكانوا يقولون لما ينالهم من سبب الحرب هذا منك لانك أمرتنا بالأعمال الموجبة له وللمصائب الحاصلة من غير جهة العدو وهذا أيضا منك أى بسبب مفارقتنا لدينا ودين آبائنا والدخول في طاعتك وهذه حال كل من جعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سببا لشر أصابه من السماء أو من الأرض وهؤلاء كثير في الناس وهم الافلون عند الله تعالى قدرا الارذلون عنده ومعلوم انهم لم يقولوا هذه من عندك بمعنى أحدثها ومن فهم هذا تبين له ان قوله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) لا يناقض قوله تعالى قل كل من عند الله بل هذا تحقيق له فانه سبحانه

بين ان النعم والمصائب كلها من عنده فهو الخالق لها المقدر لها المبتلى خلقه بها فبهي من عنده ليس بعضها من عنده وبعضها خلقا غيره فكيف يضاف بعضها الى الرسول صلى الله عليه وسلم وبعضها الى الله تعالى ومعلوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدثها فلم يبق الا ظنهم انه سبب حصولها اما في الجملة كحال أهل التطير واما في الواقعة المعينة كحال اللاتمين له في الجهاد فباطل الله سبحانه ذلك الوهم الكاذب والظن الباطل وبين ان مجاء به لا يوجب الشر البتة بل الخير كله فيما جاء صلى الله عليه وسلم به والشر بسبب أفعالهم وذنوبهم كما قال الرسل عليهم السلام لاهل القرية طائر كم معكم ولا يناقض هذا قول صالح عليه السلام لقومه طائر كم عند الله وقوله تعالى عن قوم فرعون (وان اتصهم سيئة يطيراوا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله) بل هاتان النسبتان نظير هاتين النسبتين في هذه الآية وهي نسبة السيئة الى نفس العبد ونسبة الحسنة والسيئة الى أنهما من عند الله عز وجل فأمل اتفاق القرآن وتصديق بعضه بعضا حيث جعل الطائر معهم والسيئة من نفس العبد فهو على جهة السبب والموجب أى الشر والشؤم الذى أصابكم هو منكم ومعكم فان أسبابه قائمة بكم كما تقول شرك منك وشؤمك فيك يراد به العمل وطائر كم معك وحيث جعل ذلك كله من عنده فهو لانه الخالق له الحجازى به عدلا وحكمة فالطائر يراد به العمل وجزاءه فالمضاف الى العبد العمل والمضاف الى الرب الجزاء فطائر كم معكم طائر العمل وطائر كم عند الله الجزاء فما جاءت به الرسل ليس سببا لشيء من المصائب ولا تكون طاعة الله ورسوله سببا لمصيبة قط بل طاعة الله ورسوله لا توجب الا خيرا في الدنيا والآخرة ولكن قد يصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم وتقصيرهم في طاعة الله ورسوله كما لحقهم يوم أحد ويوم حنين وكذلك ما امتحنوا به من الضراء وأذى الكفار لهم ليس هو بسبب نفس إيمانهم ولا هو موجب له وإنما امتحنوا به ليخلص ما فيهم من الشر فامتحنوا بذلك كما يمتحن الذهب بالنار ليخلص من غشسه والنفوس فيها ما هو من مقتضى طبعها فالامتحان يمحص المؤمن من ذلك الذى هو من موجبات طبعه كما قال تعالى (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) وقال (وليبلى الله ما في صدوركم) فطاعة الله ورسوله لا تجلب الا خيرا ومعصيته لا تجلب الا شرا * ولهذا قال سبحانه فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فانهم لو فقهوا الحديث لعلموا انه ليس في الحديث الذى أنزله الله على رسوله ما يوجب شرا البتة ولعلموا انه سبب كل خير ولو فقهوا القرآن لعلموا انه أمرهم بكل خير ونهاهم عن كل شر وهذا مما يبين ان ما أمر الله به يعلم حسنة بالعقل وانه كله مصالحة ورحمة ومنفعة واحسان بخلاف ما يقوله كثير من أهل الكلام الباطل انه سبحانه يأمر العباد بما لا مصالحة لهم فيه بل يأمرهم بما فيه مضرة لهم وقول هؤلاء تصديق وتقرير لقول المتطهرين بالرسل

فصل ١٠ وما يوضح الامر في ذلك انه سبحانه لما قال (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) عقب ذلك بقوله (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) وذلك يتضمن أشياء منها تنبيه أمة على أن رسوله الذى شهد له بالرسالة اذا أصابه ما يكره فمن نفسه فالظن بغيره ومنها ان حجة الله قد قامت عليهم بارساله فإذا أصابهم سبحانه بما يسوءهم لم يكن ظلما لهم في ذلك لانه قد أرسل رسوله اليهم يعلمهم بما فيه مصالحهم وما يحلها لهم وما فيه مضرتهم وما يحلها لهم

فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الانفسه ومنها أنه سبحانه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات الدالة على صدقه وأنه رسوله حقا فلا ينصره جحد هؤلاء الجاهلين الظالمين المتعطين به لرسالته ومن شهد له رب السموات والارض ومنها أنهم أرادوا أن يحملوا سيئاتهم وعقوباتها حجة على ابطال رسالته فشهد له بالرسالة وأخبر ان شهادته كافية فكان في ضمن ذلك ابطال قولهم ان المصائب من عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأثبت أنها من عند أنفسهم بطريق الاولى ومنها ابطال قول الجهمية الجبيرة ومن وافقهم في قولهم ان الله قد يعذب العباد بلا ذنب ومنها ابطال قول القدرية الذين يقولون ان أسباب الحسنات والسيئات ليست من الله بل هي من العبد ومنها أنه من لم تدبر القرآن ولم يفقهه وان اعراضه عن تدبره وفقهه يوجب له من الضلال والشقاء بحسب اعراضه ومنها اثبات الاسباب وابطال قول من ينفيها ولا يرى لها ارتباطا بتسبباتها ومنها ان الخير كله من الله والشر كله من النفس فان الشر هو الذنوب وعقوبتها والذنوب من النفس وعقوباتها مترتبة عليها والله هو الذى قدر ذلك وقضاه وكل من عنده قضاء وقدر وان كانت نفس العبد سببه بخلاف الخير والحسنات فان سببها مجرد فضل الله ومنه وتوفيقه كما تقدم تقريره ومنها أنه سبحانه لما رد قولهم ان الحسنات من الله والسيئات من رسوله وأبطله بقوله (قل كل من عند الله) رفع وهم من توهم ان نفسه لاتأثير لها في السيئة ولا هي منها أصلا بقوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وخاطبه بهذا تنبيها لغيره كما تقدم ومنها أنه قال في الرد عليهم (قل كل من عند الله) ولم يقل من الله لما جمع بين الحسنات والسيئات والحسنة مضافة الى الله من كل وجه والسيئة تنضاف اليه قضاء وقدرًا وخالقًا وأنه خالقها كما هو خالق الحسنات فلهذا قال (قل كل من عند الله) وهو سبحانه انما خلقها لحكمة فلا تضاف اليه من جهة كونها سيئة بل من جهة ما تضمنته من الحكمة والعدل والحمد وتضاف الى النفس كونها سيئة ولما ذكر الحسنات مفردة عن السيئة قال (ما أصابك من حسنة فمن الله) ولم يقل من عند الله فالخير منه وأنه موجب أسماؤه وصفاته والشر الذى هو بالنسبة الى العبد شر من عنده سبحانه فانه مخلوق له عدلا منه وحكمة ثم قال (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ولم يقل من عندك لان النفس طبعها ومقتضاها ذلك فهو من نفسها والجميع من عند الله فالسيئة من نفس الانسان بلا ريب والحسنة من الله بلا ريب وكلاهما من عنده سبحانه قضاء وقدرًا وخالقًا ففرق بين مامن الله وبين مامن عنده والشر لا يضاف الى الله ارادة ولا محبة ولا فعلا ولا وصفا ولا اسما فانه لا يريد الا الخير ولا يحب الا الخير ولا يفعل شرا ولا يوصف به ولا يسمى باسمه وستذكر في باب دخول الشر في القضاء الالهى وجه نسبته الى قضاءه وقدره ان شاء الله

فصل وقد اختلف في كاف الخطاب في قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) هل هي لرسول الله أو هي لكل واحد من الآدميين * فقال ابن عباس في رواية الوالى عنه الحسنات ما فتح الله عليه يوم بدر من الغنمة والفتح والسيئة ما أصابه يوم أحد ان شج في وجهه وكسرت ربعيته * وقالت طائفة بل المراد جنس ابن آدم كقوله (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) روى سعيد عن قتادة (ما أصابك من سيئة فمن نفسك) قال عقوبة لابن آدم بذنبك

ورجيت طائفة القول الاول * واحتجوا بقوله (وأرسلناك للناس رسولا) قالوا وأيضا فإنه لم يتقدم ذكر الانسان ولا خطابه وانما تقدم ذكر الطائفة قالوا ما حكاك الله عنهم فلو كانوا هم المرادين لقال ما أصابهم أو ما أصابكم على طريق الالتفات قالوا وهذا من باب السبب لأنه اذا كان سيد ولد آدم وهكذا حكمه فكيف بغيره ورجيت طائفة القول الآخر * واحتجت بان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه ما يوجب أن تصيبه به سيئة قالوا والخطاب وان كان له في الصورة فالمراد به الامة كقوله (يا أيها النبي اذا طلعت النساء) قالوا ولما كان أول الآية خطابا له أجرى الخطاب جميعه على وجه واحد فافرده في الثاني والمراد به الجميع والمعنى وما أصابكم من سيئة فمن أنفسكم فالاول له والثاني لامة ولهذا لما أفرد اصابة السيئة قال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (وأولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (ويوم حنين اذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم توأمت مدينتين) ثم أنزل الله سبحانه على رسوله وعلى المؤمنين) فآخبر ان الهزيمة بذنوبهم وعما بهم وان النصر بما أنزله على رسوله وأيده به اذ لم يكن منه من سبب الهزيمة ما كان منه وجمعت طائفة ثالثة بين القولين وقالوا صورة الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد العموم كقوله (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) ثم قال (واتبع ما يوحى اليك من ربك) ثم قال (وتوكل على الله) وكقوله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ان أشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين بل الله قانعسد وكن من الشاكرين) وقوله (فان كنت في شك عما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) قالوا وهذا الخطاب نوعان نوع يختص لفظة به لكر يتناول غيره بطريق الاولى كقوله (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك بتبغى مرضات أزواجك) ثم قال (قد فرض الله لكم تحلة آيتانكم) ونوع يكون الخطاب له وللامة فافرده بالخطاب لكونه هو المواجه بالوحي وهو الأصل فيه والمبلغ الامة والسفر بينهم وبين الله وهذا معنى قول كثير من المفسرين الخطاب له والمراد غيره ولم يزيدوا بذلك أنه لم يخاطب بذلك أصلا ولم يد به البتة بل المراد انه لما كان امام الخلائق ومقدمهم ومتبوعهم أفرد بالخطاب وتبعته الامة في حكمه كما يقول السلطان لمقدم العساكر أخرج غدا وأنزل بمكان كذا واحمل على العدو وقت كذا قالوا فقلوه (ما أصابكم من حسنة فمن الله وما أصابكم من سيئة فمن نفسك) خطاب له وجميع الامة داخلون في ذلك بطريق الاولى بخلاف قوله (وأرسلناك للناس رسولا) فان هذا له خاصة قالوا وهذه الشرطية لاستنارته الوقوع بل تربط الجزاء بالشرط وأما وقوع الشرط والجزاء فلا يدل عليه فهو مقدر في حقه محقق في حق غيره والله أعلم * قال القدرى اذا كانت الطاعات والمعاصى مقدره والنعمة والمصائب مقدره فلم يفرق سبحانه بين الحسنات التى هى النعم والسيات التى هى المصائب فجعل هذه منه سبحانه وهذه من نفس الانسان والجميع مقدر * قال السنى بينهما فروق الفرق الاول ان نعم الله واحسانه الى عباده يقع بلا كسب منهم أصلا بل الرب سبحانه ينعم عليهم بالعافية والرزق والنصر وارسال الرسل وانزال الكتب وأسباب الهداية فيعمل ذلك من لم يكن منه سبب يقتضيه ويشئ للجنة خلقا يسكنهم ايها بغير سبب منهم ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة بلا عمل وأما العقاب فلا يعاقب أحدا الا بعملة * افرق الثانى ان عمل الحسنات من احسان الله

ومنه وتفضله عليه بالهداية والايمان كما قال اهل الجنة ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ نفاق الرب سبحانه لهم الحياة والسمع والبصر والعقول والافتدة وارسال الرسل وتبليغهم البلاغ الذى اهتموا به والهامهم الايمان وتحبيبه اليهم وتزيينه في قلوبهم وتكريه ضده اليهم كل ذلك من نعمه كما قال تعالى ﴿ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعزيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾ فجميع ما يتقلب فيه العالم من خير الدنيا والآخرة هو نعمة محضة بلا سبب سابق يوجب ذلك لهم ومن غير حول وقوة منهم الا به وهو خالقهم وخالق اعمالهم الصالحة وخالق جزائها وهذا كله منه سبحانه بخلاف الشر فانه لا يكون الا بذنوب العبد وذنبه من نفسه واذا تدبر العبد هذا علم ان ماهو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر ربه على ذلك فزاده من فضله عملا صالحا ونعما يفيضها عليه واذا علم ان الشر لا يحصل له الا من نفسه وبذنوبه استغفر ربه وتاب فزال عنه سبب الشر فيكون دائما مكرما مستغفرا فلا يزال الخير يتضاعف له والشر يتدفع عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الحمد لله فيشكر الله ثم يقول نستعينه ونستغفره نستعينه على طاعته ونستغفره من معصيته ونحمده على فضله وأحسنه ثم قال ونعوذ بالله من شرور أنفسنا لما استغفره من الذنوب الماضية استعاذ به من الذنوب التى لم تقع بعد ثم قال ومن سيئات أعمالنا فهذه استعاذة من عقوبتها كما تقدم ثم قال من يهده الله فلا مضل له ومن يصلح فلا هادى له فهذه شهادة للرب بانه المتصرف في خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء فاذا هدى عبدا لم يضل أحد واذا أضل لم يهد أحد وفى ذلك اثبات ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وقضائه وقدره الذى هو عقد نظام التوحيد وأساسه وكل هذا مقدمة بين يدى قوله وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فان الشهادتين انما يتحققان بحمد الله واستعانه واستغفاره والابحاج اليه والايمان باقداره والمقصود أنه سبحانه فرق بين الحسنات والسيئات بعد ان جمع بينهما في قوله كل من عند الله فجمع بينهما الجمع الذى لا يتم الايمان الا به وهو اجتماعهما في قضائه وقدره ومشيئته وخلقته ثم فرق بينهما الفرق الذى ينتفعون به وهو ان هذا الخير والحسنة نعمة منه فاشكروه عليه يزدكم من فضله ونعمه وهذا الشر والسيئة بذنوبكم فاستغفروه يرفع عنكم وأصله من شرور أنفسكم فاستعينوا به بخلصكم منها ولا يتم ذلك الا بالايمان بالله وحده وهو الذى يهدى ويضل وهو الايمان بالقدر فادخلوا عليه من باب فان أزمة الامور بيده فاذا فاعتم ذلك صدق منكم شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فهذه الخطبة العظيمة عقد نظام الاسلام والايمان فلو اقتصر لهم على الجمع دون الفرق أعرض العاصى والمذنب عن ذم نفسه والتوبة من ذنوبه والاستعاذة من شرها وقام في قلبه شاهد الاحتجاج على ربه بالقدر وتلك حجة داحضة تبغ الاشقياء فيها ابليس وهى لا تزيد صاحبها الا شقاء وعذابا كما زادت ابليس طردا وبعدا عن ربه وكما زادت المشركين ضلالا وشقاء حين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا بأؤنا وكما تزيد الذى يقول يوم القيامة لو أن الله هدانى لكنت من المتقين حسرة وعذابا ولو اقتصر لهم على الفرق دون الجمع لغابوا به في التوحيد والايمان بالقدر والابحاج الى الله في الهداية والترقيق والاستعاذة من شر النفس وسيئات العمل والافتقار التام الى اعانه وفضله وكان في الجمع والفرق

بيان حق العبودية وسيأتي تمام هذا الكلام على هذا الموضع العظيم القدر ان شاء الله باثبات اجتماع
القدر والشرع واقتراحهما * الفرق الثالث ان الحسنة يضاعفها الله سبحانه وينمها ويكتبها للعبد بادن
سعى ويثب على اهلها والسيئة لا يؤخذ على اهلها ولا يضاعفها ويطلعها بالتوبة والحسنة الماحية
والمصائب المكفرة فكانت الحسنة أولى بالاضافة اليه تعالى والسيئة أولى بالاضافة الى النفس * الفرق
الرابع ان الحسنة التي هي الطاعة والنعمة يجبها ويرضاها فهو سبحانه يجب أن يطاع ويجب أن ينعم
ويحسن ويجود وان قدر المصيبة وأراد المنع فالطاعة أحب اليه والبذل والعطاء آثر عنده فكان
اضافة نوعي الحسنة له وضافة نوعي السيئة الى النفس أولى ولهذا تأدب العارفون من عباده بهذا
الادب فأضافوا اليه النعم والخيرات وأضافوا الشرور الى محالها كما قال امام الخلفاء الذي خلقني فهو
بهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى
ربه * وقال الخضر أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعياها ثم قال وأما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما
ويستخرجا كنزهما * وقال مؤمنو الجن وأنا لاندري أشر أريد من في الارض أم أراد بهم ربهم
رشدا * الفرق الخامس ان الحسنة مضافة اليه لانه أحسن بها من كل وجه وبكل اعتبار كما تقدم فها
من وجهه من وجوها الا وهو يقتضى الاضافة اليه وأما السيئة فهو سبحانه انما قدرها وقضاها
لحكمته وهي باعتبار تلك الحكمة من احسانه فان الرب سبحانه لا يفعل سوا قط كما لا يوصف به
ولا يسمى باسمه بل فعله كله حسن وخير وحكمة كما قال تعالى بيده الخير وقال أعرف الخلق به
والشر ليس اليك فهو لا يخلق شرا محضاً من كل وجه بل كل ما خلقه في خلقه مصلحة وحكمة وان
كان في بعضه شر جزئى اضافي وأما الشر الكلي المطابق من كل وجه فهو تعالى منزّه عنه وليس اليه
* الفرق السادس ان ما يحصل للانسان من الحسنات التي يعملها فهي أمور وجودية متعلقة بمشيئة الرب
وقدره ورحمته وحكمته وليست أموراً عديمة تضاف الى غير الله بل هي كلها أمور وجودية وكل
موجود حادث والله محدثه وخالفه وذلك ان الحسنات اما فعل مأمور أو ترك محظور والتترك أمر
وجودى فترك الانسان لما نهى عنه ومعرفة بانه ذنب فيجرب بانه سبب العذاب فيفضله وكرهته له
ومنعه نفسه اذا هو بته وطلبته منه أمور وجودية كما أن معرفته بالحسنات كالعدل والصدق حسنة
وفعله لها أمر وجودى والانسان انما يثاب على ترك السيئات اذا تركها على وجه الكراهة لها والامتناع
عنها وكف النفس عنها قال تعالى ﴿ولكن الله جيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان﴾ وقال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ وقال ﴿ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ * وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله
ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن ياتي في النار وقد جعل صلى
الله عليه وسلم البغض في الله من أوثق عرى الايمان وهو أصل التزك وجعل المنع من الله من كمال الايمان
وهو أصل التزك فقال من أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقال من أحب لله
وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وجعل انكار المنكر بالقلب من مراتب الايمان

وهو بغضه وكرهاته المستازم لتركه فلم يكن الترك من الإيمان الا بهذه الكراهة والبغض والامتناع
والمنع لله وكذلك براءة الخليل وقومه من المشركين ومعبودهم ليست تركا محضاً بل تركاً صادراً عن
بغض ومعاداة وكرهاته هي أمور وجودية هي عبودية للقلب يترتب عليها خلو الجوارح من العمل
كما أن التصديق والارادة والحجة للطاعة من عبودية القلب يترتب عليها آثارها في الجوارح وهذا
الحب والبغض تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وهو اثبات تأله القلب لله ومحبه وتوفى تألهه لغيره وكرهاته
فلا يكفي أن يعبد الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب اليه ويخافه ويرجوه حتى يترك عبادة غيره والتوكل
عليه والانابة اليه وخوفه ورجاه ويبغض ذلك وهذه كلها أمور وجودية وهي الحسنات التي يثيب الله
عليها وأما مجرد عدم السيئات من غير أن يعرف أنها سيئة ولا يكرها بقلبه ويكف نفسه عنها بل
يكون تركها لعدم خطورها بقلبه ولا يثاب على هذا الترك فهذا تكون السيئات في حقها بمنزلة في حق
الطفل والنائم لكن قد يثاب على اعتقاد محرمة وإن لم يكن له اليها داعية البتة فالترك ثلاثة أقسام قسم
يثاب عليه وقسم يعاقب عليه وقسم لا يثاب ولا يعاقب فالاول ترك العالم بتحريمها الكاف نفسه عنها الله
مع قدرته عليها والثاني كترك من يتركها لغير الله لانه فهذا يعاقب على تركه لغير الله كما يعاقب على
فعله لغير الله فان ذلك الترك والامتناع فعل من أفعال القلب فاذا عبد به غير الله استحق العقوبة
* والثالث كترك من لم يخطر على قلبه علماً ولا محبة ولا كراهة بل بمنزلة ترك النائم والطفل * فان
قيل كيف يعاقب على ترك المعصية حياء من الخلق وابقاء على جاهة بينهم وخوفا منهم أن يتسلطوا
عليه والله سبحانه لا يذم على ذلك ولا يمنع منه * قيل لا ريب أنه لا يعاقب على ذلك وإنما يعاقب على
تقربه الى الناس بالترك ومراآتهم به وانه تركها خوفاً من الله وسراقبة وهو في الباطن بخلاف ذلك
فالفرق بين ترك يتقرب به اليهم ومراآتهم به وترك يكون مصدره الحياء منهم وخوف أذاهم له
وسقوطه من أعينهم فهذا لا يعاقب عليه بل قد يثاب عليه اذا كان له فيه غرض يحبه الله من حفظ
مقام الدعوة الى الله وقبولهم منه ونحو ذلك وقد تنازع الناس في الترك هل هو أمر وجودى أم
عدمى والا كثرون على أنه وجودى * وقال أبو هاشم وأتباعه هو عدمى وان المأمور يعاقب على
مجرد عدم الفعل لا على ترك يقوم بقلبه وهؤلاء رتبوا الذم والعقاب على العدم المحض والا كثرون
يقولون انما يثاب من ترك المحذور على ترك وجودى يقوم بنفسه ويعاقب تارك المأمور على ترك
وجودى يقوم بنفسه وهو امتناعه وكفه نفسه عن فعل مأمور به اذا تبين هذا فالحسنات التي يثاب
عليها كلها وجودية فهو سبحانه الذى حبيب الإيمان والطاعة الى العبد وزينه في قلبه وكره اليه اضرارها
وأما السيئات فمنشأها من الجهل والظلم فان العبد لا يفعل القبيح الا لعدم علمه بكونه قبيحاً أو لخواه
وشهوته مع علمه بقبحه فالاول جهل والثاني ظلم ولا يترك حسنة الا لجهله بكونها حسنة أو لرغبته
في ضدها لموافقته هواه وغرضه وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع الى الجهل والا فلو كان علمه تاماً
برجحان ضررها لم يفعلها فان هذا خاصة الفعل فانه اذا علم ان القاء نفسه من مكان عال يضره لم
يقدم عليه وكذلك ابته تحت حائط مائل والقائه نفسه في ماء يغرق فيه وأكله طعاماً مسموماً لا يفعلها
لعلمه التام بضرته الراجحة بل هذه فطرة فطر الله عليها الحيوان بهيمة وانطقه ومن لم يعلم ان ذلك
يضره كالطفل والمجنون والسكران الذى انتهى سكره فقد فعله وأما من أقدم على ما يضره مع علمه

بما فيه من الضرر فلا بد أن يقوم بقلبه ان منفعة له راحجة ولا بد من رجحان المنفعة عنده اما في
الظن واما في المظنون ولو جزم راكب البحر بأنه يغرق ويذهب ماله لم يركب أبدا بسل لابد من
رجحان الانتفاع في ظنه وان أخطأ في ذلك وكذلك الذنوب والمعاصي فلو حزم السارق بأنه يؤخذ
ويقطع لم يقدم على السرقة بل يظن أنه يسلم ويظفر بالمال وكذلك القاتل والشارب والزاني فلو
جزم طالب الذنب بأنه يحصل له الضرر الراجح لم يفعله بل اما أن لا يكون جازما بتجريمه أو لا يجزم
بعقوبته بل يرجو العفو والمغفرة وأن يتوب ويأتى بحسنات تمحو أثره وقد يغفل عن هذا كله بقوة
وارادة الشهوة واستيلاء سلطانها على قلبه بحيث تغيبه عن مطالعة مضرة الذنب والغفلة من اضرار
العلم كالغفلة والشهوة أصل الشر كله قال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
وكان أمرا فرطا) وينبغي أن يعلم الهوى وحده لا يستقل بفساد السيئات الا مع الجهل والافصاح
الهوى لو جزم بأن ارتكاب هواه يضره ولا بد ضررا راجحا لانصرفت نفسه عن طاعة له بالطبع
فان الله سبحانه جعل في النفس حبا لما ينفعها وبغضا لما يضرها فلا تفعل مع حضور عقلها ما تجزم بأنه يضرها
ضررا راجحا ولهذا يوصف تارك ذلك بالعقل والحجى والاب قابلية من ترك من تزيين الشيطان
وجهل النفس فانه يزين لها السيئات ويربها أنها في صور المنافع والاشذات والطيبات ويفنها عن
مطالعها لمضرتها فتولد من بين هذا التزيين وهذا الاغفال والانساء لها ارادة وشهوة ثم يمدّها
بأنواع التزيين فلا يزال يقوى حتى يصير عزا ما جازما يقتدرن به الفعل كما زين للابوين
الاصل من الشجرة وأغفلهما عن مطالعة مضرة المعصية فالتزيين هو سبب ايشار
الخير والشر كما قال تعالى وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وقال أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا
وقال في تزيين الخير (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) وقال في تزيين النوعين كذلك
زيننا لكل أمة علمهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وتزيين الخير والهدى
بواسطة الملائكة والمؤمنين وتزيين الشر والضلال بواسطة الشياطين من الجن والانس كما قال
تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم وحققة الامر ان التزيين انما يفتقر
به الجاهل لانه يلبس له الباطل والضار المؤذى صورة الحق والنافع الملائم فاصل البلاء كله من الجهل
وعدم العلم ولهذا قال الصحابة كل من عصى الله فهو جاهل وقال تعالى (انما التوبة على الله للذين
يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) وقال (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة ان من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم)
قال أبو العالية سألت أختاب محمد عن قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون
من قريب فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وقال قتادة
اجمع أختاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن
وكل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد من شيخ أو شاب فهو بجهالة وقال من عصى ربه فهو
جاهل حتى ينزع عن خطيئته وقال هو وعطاء الجهالة العمد وقال مجاهد من عمل سوءا خطأ أو عمدا
فهو جاهل حتى ينزع منه ذكر هذه الآثار ان أبى حاتم ثم قال وروى عن قتادة وعمر بن مرة
والثوري نحو ذلك خطأ أو عمدا وروى عن مجاهد والضحاك ليس من جهالته أن لا يعلم حلالا ولا

حراما ولكن من جهالة حين دخل فيه وقال عكرمة الدماء كلها جهالة ومما يبين ذلك قوله انما يخشى الله من عباده العلماء وكل من خشي فاطاعه بفعل أو امره وترك نواهيه فهو عالم كما قال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال رجل للمعمر أيها العالم فقال لينا بعلما انما العالم من يخشى الله وقال ابن مسعود وكفى بخشية الله علما وبالاغترار بالله جهلا وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء يقتضى الحصر من الطرفين ان لا يخشاه الا العلماء ولا يكون عالما الا من يخشاه فلا يخشاه الا العلم وما من عالم الا هو يخشاه فاذا اتنى العلم انتفت الحشية واذا انتفت الحشية دلت على انتفاء العلم لكن وقع الغلط في معنى العلم اللازم للخشية حيث يظن انه يحصل بدونها وهذا ممتنع فانه ليس في الطبيعة ان لا يخشى النار والاسد والدم من هو عالم بها مواجه لها وانه لا يخشى الموت من التى نفسه من شاهر نحو ذلك فانه في هذه المواطن دليل عدم علمه وأحسن أحواله أن يكون معه ظن لا يصل الى رتبة العلم اليقيني فان قيل فهذا ينتقض عليكم بمعصية ابيليس فانها كانت عن علم لا عن جهل وبقوله وأما نوح فهدى بنهم فاستجابوا لعمى على الهدى وقال وآتينا نوحا القافة مبصرة وقال عن قوم فرعون وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال (وعادا ونمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر) وقال (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) يعنى القرآن وأوحى صلى الله عليه وسلم وقال (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) وقال فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والجحدون انكار الحق بعد معرفته وهذا كثير في القرآن قيل حجج الله لاتناقض بل كلها حق يصدق بعضها بعضا واذا كان سبحانه قد أثبت الجهالة لمن عمل السوء وقد أقر به وبرسالته وبانه حرم ذلك وتوعد عليه بالعقاب ومع ذلك يحكم عليه بالجهالة التى لاجلها عمل السوء فكيف بمن أشرك به وكفر بآياته وعادى رسوله اليس ذلك أجهل الجاهلين وقد سعى تعالى اعداءه جاهلين بعد اقامة الحجة عليهم فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فامرهم بالاعراض عنهم بعد ان أقام عليهم الحجة وعلموا انه صادق وقال (واذا خاطبهم الجاهلون قلوا سلاما) فالجاهلون هنا الكفار الذين علموا انه رسول الله فهذا العلم لا ينافي الحكم على صاحبه بالجهل بل يثبت له العلم وينافي عنه في موضع واحد كما قال تعالى عن السحرة من اليهود ولقد علموا لمن شتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبنس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فثبت لهم العلم الذى تقوم به عليهم الحجة ونفى عنهم العلم النافع الموجب لترك الضار وهذا نكتة المسئلة وسر الجواب فما دخل النار الاعالم ولا دخلها الا جاهل وهذا العلم لا يجتمع مع الجهل في الرجل الواحد يوضحه ان الهوى والغفلة والاعراض تصد عن كماله واستحضاره ومعرفة موجه على التفصيل وتقيم لصاحبه شها وتأويلات تعارضه فلا يزال المقتضى يصفى والعارض يعمل عمله حتى كأنه لم يكن ويصير صاحبه بمنزلة الجاهل من كل وجه فلو علم ابيليس ان تركه للسجود لا يدم يبلغ به ما بلغ وانه يوجب له أعظم العقوبة وتيقن ذلك لم يتركه ولكن حال الله بينه وبين هذا العلم ليقتضى أمره

وينفذ قضاؤه وقدره ولو ظن آدم وحواء أنهما إذا كذبا من الشجرة خرجا من الجنة وأجرى عليهما ما جرى ما قبلها ولو علم أعداء الرسل تقاضيل ما يجري عليهم وما يصيبهم يوم القيامة وحزوا بذلك لما عادوهم قال تعالى عن قوم فرعون ﴿وَلَقَدْ أَذْهَبْنَا قِبَارَهُم بِاللَّيْلِ وَأَنزَلْنَا بِهِمُ الْيُسْفَىٰ﴾ وحين بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل أنهم كانوا في شك مرعب وقال عن المنافقين وقد شاهدوا آيات الرسول وبراهين صدقه عيانا وأرتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون وقال ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وقال في قلوبهم مرض وهو الشك ولو كان هذا لعدم العلم الذي تقوم به الحجة عليهم لما كانوا في الدرك الأسفل من النار بل هذا بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم الذي لم يفهمه فاعلم يضعف قطعاً بالغة والأعراض واتباع الهوى وإثارة الشهوات وهذه الأمور توجب شبهات وآويلات تضاده فتأمل هذا الموضع حتى التأمل فإنه من أسرار اقتدر والشرع والمعدل فاعلم برادبه العلم التام المستلزم لآثره ويراد به المقتضى وإن لم يتم بوجود شروطه وانقضاء مؤانته فالثاني يجتمع الجهل دون الأول فبين أن أصل السيئات الجهل وعدم العلم وإن كان كذلك فعدم العلم ليس أمراً وجودياً بل هو لعدم السمع والبصر والقدرة والإرادة والعدم ليس شيئاً حتى يستدعي فعلاً مؤثراً فيه بل يكفي فيه عدم مشيئة ضده وعدم السبب المنوجب لاضده والعدم المحض لا يضاف إلى الله فإنه شر والشر ليس إليه فإذا اتقينا هذا الجازم عن العبد ونفسه بطبعها متحركة مريدة وذلك من لوازم شأنها تحرك بمقتضى الطبع والشهوة وغلب ذلك فيها على داعي العلم والمعرفة فوقعت في أسباب الشر ولا بد

فصل ﴿والله سبحانه قد أنعم على عباده من جملة إحسانه ونعمه بأمريهما أصل السعادة أحدهما أن خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وشبه ذلك بخروج الهميمة بحبيحة سالمة حتى يجدها صاحبها وثبت عنه أنه قال يقول الله تعالى أني خلقت عبادي حنفاء فاتهم الشياطين فاحتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما حلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً فإذا تركت النفس وفطرتها لم تؤثر على محبة بارئها وفطرها وعبادته وحده شيئاً ولم تشرك به ولم يجحد كمال ربوبيته وكان أحب شيء إليها وأطوع شيء لها وآثر شيء عندها ولكن بعدها من يقترب بها من شياطين الجن والانس يزينيه واغوائه حتى ينغمس موحياً وحكماً الأمر الثاني أنه سبحانه هدى الناس هداية عامة بما أودعه فيهم من المعرفة ومكنهم من أسبابها وبما أنزل إليهم من الكتب وأرسل إليهم من الرسل وعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه في كل نفس ما يقتضى معرفتها بالحق ومحبتها وقد هدى الله كل عبد إلى أنواع من العلم يمكنه الاتوصل بها إلى سعادة الآخرة وجعل في فطرته محبة لذلك لكن قد يعرض العبد عن طلب علم ما ينفعه فلا يريد ولا يعرفه وكونه لا يريد ذلك ولا يعرفه أمر عدمي فلا يضاف إلى الرب لا هذا ولا هذا فإنه من هذه الخبيثة شر والذي يضاف إلى الرب علمه به وقضاؤه له بعدم مشيئته لضده وإبقائه على عدمه الأصلي وهو من هذه الجهة خير فإن العلم بالشر خير من الجهل به وعدم رفعه بآيات ضده إذا كان مقتضى الحكمة كان خيراً وإن كان شرراً بالنسبة إلى محله وسيأتي تمام تقرير هذا في باب دخول الشر في القضاء الإلهي إن شاء الله سبحانه

فصل ﴿وهنا حياة أخرى غير الحياة الطبيعية الحيوانية نسبتها إلى القلب كنسبة حياة

البس يحمى مد عبده بان الحياة اثمرت له من محبته واجلاله وتعظيمه والحياة منه ومراقبته وطاعته
مثل مدته حياة المدد له من التصرف والقول وسعادة النفس ونجاتها وفلاحها بهذه الحياة وهى
حياة دائمة سرمدية لا تنقطع ومضى فقدت هذه الحياة واعتاضت عنها بحياتها الطبيعية الحيوانية كانت
ضالة مغذية شقية ولم تسبح راحة الاموات ولم تمس عيش الاحياء كما قال تعالى (سبذكر من يخشى
وتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) فان الجزاء من جنس العمل فانه في
الدنيا لما لم يحى الحياة النافعة الحقيقية التى خالق لها بل كانت حياته من جنس حياة البهائم ولم يكن
مبتاعا عديم الاحساس كانت حياته في الآخرة كذلك فان مقصود الحياة حصول ما يتفجع به ويلتذ به
والحى لا بد له من لذة أو ألم فاذا لم تحصل له اللذة لم يحصل له مقصود الحياة كمن هو حى في الدنيا وفيه
أمراض عظيمة تحول بينه وبين التمتع بما يتنعم به الاحياء فهو يختار الموت ويمتأه ولا يحصل له فلاحه
مع الاحياء ولا مع الاموات اذا عرف هذا فالشر من لوازم هذه الحياة وعدمها شر وهو ليس
بشيء حتى يكون مخلوقا والله خالق كل شيء فاذا أمسك عن عبد هذه الحياة كان امساها خيرا بالنسبة
اليه سبحانه وان كان شرا بالاضافة الى العبد لفوات ما يلتذ ويتنعم به فالياسات من طبيعة النفس ولم
يمد بهذه الحياة التى تحول بينها وبينها فصار الشر كله من النفس والخير كله من الله والجميع بقضائه
وقدره وحكمته وبالله التوفيق


فصل فى قدرى ونحن نعرف بهذا جميعه ونقر بان الله خلق الانسان مريدا ولكن جعله
على خلقه يريد بها وهو مريد بالقوة والقبول أى خلقه قابلا لان يريد هذا وهذا وأما كونه مريدا
لهذا المعنى فليس ذلك بخاق الله ولكنه هو الذى أحدثه بنفسه ليس هو من احدث الله قال الجبرى
هذه الارادة حادثة فلا بد لها من محدث فالحادث لها اما أن يكون نفس الانسان أو مخلوق خارج عنها
أوربها وفاطرها وخالقها والتمسان الاولان محاك فتعين الثالث أما المقدمة الاولى فظاهرة اذا احدث
أما النفس وأما أمر خارج عنها والخارج عنها اما الخالق أو المخلوق وأما المقدمة الثانية فيبينا ان
النفس لا يصح أن تكون هى المحدثة لارادتها فانها اما ان تحدثها بارادة أو بغير ارادة وكلاهما تمتع
فانها لو توقفت احداثها على ارادة أخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل الى غير
نهاية فلا توجد ارادة حتى يتقدمها ارادات لا تنهاى وان لم يتوقف احداثها على ارادة منها بطل ان
تكون هى المؤثرة في احداثها اذ وقوع الحادث بلا ارادة من الفاعل المختار محال واذا بطل أن تكون
محدثة للارادة بارادة وان يحدثها بغير ارادة تعين ان يكون الحادث لتلك الارادة أمرا خارجا عنها
فحينئذ اما أن يكون مخلوقا أو يكون هو الخالق سبحانه والاول محال لان ذلك الحادث ان كان غير
مريد لم يمكنه جعل الانسان مريدا وان كان مريدا فالكلام في ارادته كالكلام في ارادة الانسان
سواء فتعين أن يكون الحادث لتلك الارادة هو الخالق لكل شيء الذى ماشاه كان وما لم يشأ لم يكن
قال القدرى قد احتشفت طرق أصحابنا في الجواب عن هذا الالتزام فقال الجاحظ العبد يحدث أفعاله
بغير ارادة منه بل بمجرد قدرته وعلمه بما فى الفعل من الملازمة فاذا علم موافقة الفعل له وهو قادر عليه
أحدثه بقدرته وعلمه وأبكر توقفه على ارادة محدثة وأنكر حقيقة الارادة في الشاهد ولم ينكر الميل
والشهوة ولكن لا يتوقف احداث عليها فان الانسان قد يفعل ما لا يشتهي ولا يميل اليه وخالفه جميع


الاصحاب وأثبتوا الإرادة الحادثة ثم اختلفوا في سبب حدوثها فقال طائفة منهم كون النفس مريدة أمر ذاتي لها وما بالذات لا يعمل ولا يطلب سبب وجوده وطريقة التعليل تسلك ما لم يمنع منها وانع اختصاص الذات بالصفة الذاتية لا تعمل فهكذا اختصاص النفس بكونها مريدة هو أمر ذاتي لها وبذلك كانت نفسا فقول القائل لم أردت كذا وما الذي أوجب لها إرادته كقوله لم كانت نفسا وكقوله لم كانت النار محرقة أو متحركة ولم كان الماء مائما سيالا ولم كان الهواء خفيفا فكانت النفس مريدة متحركة بالإرادة هو معنى كونها نفسا فهو بمنزلة قول القائل لم كنت نفسا وحركتها بمنزلة حركة الفلك فهي خلقت هكذا وقالت طائفة أخرى بل الله سبحانه أحدث فيها الإرادة والإرادة صالحة للضدين فخلق فيها إرادة تصالح للخير والشر فأرزت هي أحدهما على الآخر بشهوتهما وأميلهما فأعطاها القدرة صالحة للضدين وإرادة صالحة لهما فكانت القدرة والإرادة من أحداثه سبحانه واختيارها أحد المقدورين المرادين من قبلها فهي التي رجحتهما قالوا والقادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بغير مرجح كالعاشقان إذا قدم له قدحان متساويان من كل وجه والمارب إذا علم له طريقان كذلك فإنه يرجح أحدهما بالا مرجح فالله سبحانه أحدث فيه إرادة الفعل ولكن الإرادة لا توجب المراد فحدثها فيه امتحانها وإتداء وإقداره على خلافها وأمره بمخالفها ولا ريب أنه قادر على مخالفتها فلا يزم من كونها مخلوقة لله صالحة بأحدثه وجوب الفعل عندها وقال أبو الحسين البصري إن الفعل يتوقف على الداعي والقدرة وهما من الله خلقا فيه وعندهما يجب وجود الفعل باختيار العبد وداعيه فيكون هو المحدث له بما فيه من الدواعي والقدرة فهذه طرق انخباثنا في الجواب عما ذكرتم قال السني ثم تخلصوا بذلك من الالتزام ولم يتنوا به بطلان حجبتهم المذكورة فلا منعم بمقدمتها وينتم فسادها ولا عارضتموها بما هو أقوى منها كما أنهم لم يتخلصوا من التزامكم ولم يدنوا بطلان دليلكم وكان غاية ما عندكم وعندهم المعارضة وبيان كل منكم تناقض الآخر وهذا لا يفيد نصرة الحق وإبطال الباطل بل يفيد بيان خصاكم وخطأكم وعدوكم وإياهم عن منهج الصواب فقول وبالله التوفيق مع كل منكما صواب من وجه وخطأ من وجه فالما صواب الجبري فمن جهة استاده الحوادث كلها إلى مشيئة الله وخالقه وقضائه وقدره والقدري خالف الضرورة في ذلك فإن كون العبد مريدا فاعلا بعد أن لم يكن أمر حادث فالما أن يكون له محدث وأما أن لا يكون فإن لم يكن له محدث لزم حدوث الحوادث بلا محدث وإن كان له محدث فالما أن يكون هو العبد أو الله سبحانه أو غيره فالما أن كان هو العبد فالقول في أحداثه تلك الفاعلية كالقول في أحداث سببها ويلزم التسلسل وهو باطل ههنا بالاتفاق لأن العبد كائن بعد أن لم يكن فيمتنع أن تقوم به حوادث لأول لها وإن كان غير الله فالقول فيه كالقول في العبد فنعين أن يكون الله هو الخالق المكون لإرادة العبد وقدرته وأحداثه وفعله وهذه مقدمات يقينية لا يمكن القدح فيها فمن كان أن إرادة العبد وأحداثه حصل بغير سبب اقتضى حدوث ذلك والعبد أحدث ذلك وحاله عند حدوثه كما كان قبله بل خص أحد الوقتين بالأحداث من غير سبب اقتضى تحججه وإن صار مريدا فاعلا محدثا بعد أن لم يكن كذلك من غير من يجعله كذلك فقد قال مالا يعقل بل يخالف صريح العقل وقال بمحدث حوادث بلا محدث وقولكم أن الإرادة لا أمل كلام باطل لا حقيقة له فإن الإرادة أمر حادث فلا بد له من محدث ونظير هذا المحال قولكم في فعل الرب سبحانه أنه بواسطة إرادته يحدثها

لا في محل من غير سبب اقتضى حدوثها يكون مريدا بها للمخلوقات فارتبكت ثلاث محالات حدوث
 حادث بلا ارادة من الفاعل وحدوث حادث بلا سبب حادث وقيام الصفة بنفسها لا في محل وادعيم
 مع ذلك انكم ارباب العقول والنظر فالى معقول افسد من هذا واى نظر اعمى منه وان شئت قلت
 كون العبد مريدا امر ممكن والممكن لا يترجح وجوده على عدمه الا مرجح تام والمرجح التام اما
 من العبد واما من مخلوق آخر ولما من الله سبحانه والقسمان الاولان باطلان فمعين الثالث كما تقدم
 فهذه الحجة لا يمكن دفعها ولا يمكن دفع العلم الضرورى باستناد اننا الاختيارية الى ارادتنا وقدرتنا
 وانا اذا اردنا الحركة بمنة لم تقع بمرءة وبالعكس فهذه الحجة لا يمكن دفعها والجمع بين الحجتين هو
 الحق فان الله سبحانه خالق ارادة العبد وقدرته وجعلها سببا لاحداثه الفعل فالعبد محدث لفعله
 بارادته واختياره وقدرته حقيقة وخالق السبب خالق للمسبب ولو لم يشأ سبحانه وجود فعله لما
 خالق له السبب الموجود له فقال الفريقان للسفى كيف يكون الرب تعالى محدثا لها والعبد ايضا قال
 السفى احداث الله سبحانه لها بمعنى أنه خالقها منفصلة عنه قائمة بمجراها وهو العبد فجعل العبد فاعلا لها
 بما أحدث فيه من القدرة ومشئته واحداث العبد لها بمعنى أنها قامت به وحدت بارادته وقدرته
 وكل من الاحداثين مستازم للآخر ولكن جهة الاضافة مختلفة فما أحدثه الرب سبحانه من ذلك
 فهو مباين له قائم بالمخلوق معقول له لا فعل وما أحدثه العبد فهو فعل له قائم به يعود اليه حكمه ويشق
 له منه اسمه وقد اضاف الله سبحانه كثيرا من الحوادث اليه وأضافها الى بعض مخلوقاته كقوله الله
 يتوفي الانفس حين موتها وانى لم تمت في منامها * وقال قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال
 نوحه رسائنا وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فتبتوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين
 كفروا الرعب وقال ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا * وقال وانزل الله عليك
 الكتاب وقال قل نزل به روح القدس من ربك بالحق وقال فأنزله العذاب وأخذتهم الصيحة وقال
 (وكلا أخذنا بذنبه فأنزلهما أخذ عزيز مقتدر) وهذا كثير فأضاف هذه الأفعال الى نفسه اذهى
 وادعى بخلقته ومشئته وقضائه وأضافها الى أسبابها اذ هو الذى جعلها أسبابا لخصولها بين الاضافتين
 ولا تناقض بين السببين واذا كان كذلك تبين ان اضافة الفعل الاختيارى الى الحيوان بطريق التسبب
 وقيامه به ووقوعه بارادته لا يناهى اضافته الى الرب سبحانه خلفا ومشئته وقدره ونظيره قوله تعالى
 (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) وقال نوح فاحمل فيها من كل زوجين اثنين فالرب سبحانه
 هو الذى حملهم فيها بذنبه وامره ومشئته ونوح حملهم بفعله ومباشرته

فصل ١٠ — وأما قول الجاحظ ان العبد يحدث أفعاله الاختيارية من غير ارادة منه بل بمجرد
 القدرة والداعى فان أراد نفى ارادة العبد وجحد هذه الصفة عنه فمكبرة لا تنكر من طوائف هم
 أكثر الناس بمكبرة وجحد المعلوم بالضرورة فلا أرخص من ذلك عندهم وان أراد أن الارادة
 أمر عدى وهو كونه غير مغلوب ولا ملجأ فيقال هذا العدم من لوازم الارادة لأنه انفسا وكون
 الارادة أمرا عديا مكبرة أخرى وهى بمنزلة قول القائل القدرة أمر عدى لا ثم بمعنى عدم العجز
 والكلام عدى لانه عدم الخرس والسمع والبصر عدى لانهما عدم الصمم والعمى. وأما قوله ان
 الفعل يقع بمجرد القدرة وعلم الفاعل بما فيه من الملازمة فمكبرة نالته فان العبد يحد من نفسه قدرة

على الفعل وعاملا بمصلحته ولا يفعله لعدم ارادته له لما في فعله من قوأت محبوب له أو حصول مكروه اليه فلا يوجب القدوة والعلم وقوع الفعل مالم تقارنهما الارادة

فصل  وأما قول الآخر ان كون النفس مريدة أمر ذاتي لها فلا تعلل الى آخره كلام في غاية البطلان فنبأنا لانطلب علة كونها مريدة فكونها كذلك هو مخلوق فيها أم غير مخلوق وهي التي جمعت نفسها كذلك أم فطرها وخالقها هو الذي جمعا كذلك وإذا كان سبحانه هو الذي أنشأها بجميع صفاتها وطبيعتها وهياتها فكونها مريدة هو وصف لها وخالقها خالق لاوصافها فهو خالق لصفة المريدة فيها فإذا كانت تلك الصفة سببا للفعل وخالق السبب خالق للمسبب والمسبب واقع بقدرته ومشئته وتكوينه وهذا عما لاينكره الا مكابر معاند

فصل  وأما قول الطائفة الاخرى ان الله سبحانه خلق فيه ارادة سالحة للضدين فاختار أحدهما على الآخر ولا ريب ان الامر كذلك ولكن وقوع أحد الضدين باختياره وإيثاره له وداعيه اليه لايجزجه عن كونه مخلوقا للرب سبحانه مقدورا له مقدرا على العبد واقعا بقضاء الرب وقدره وانه لو شاء لصرف داعية العبد وارادته عنه الى ضده فهذه هي البقية التي بقيت على هذه الفرقة من انكار القدر فلو ضموها الى قولهم لاصابوا كل الاصابة ولكانوا أسعد بالحق في هذه المسئلة من سائر الطوائف وتحقيق ذلك ان الله سبحانه بعده وحكمته أعطى العبد قدرة وارادة يتمكن بها من جلب ماينفعه ودفع ما يضره فأعانه بأسباب ظاهرة وباطنة ومن جملة تلك الاسباب القدرة والارادة وعزفه طريق الخير والشر ونهجه الى الطريق وأعانه بارسال رسله وانزال كتبه وقرن به ملائكته وأزال عنه كل علة محتج بها عليه ثم فطرهم سبحانه على ارادة ماينفعهم وبكراهة ما يؤذيهم ويضرهم كما فطر على ذلك الحيوان اليبس ثم كان كثير مما ينفعهم لاعلم لهم به على التفصيل والذي يعلمونه من المنافع أمر مشترك بينهم وبين الحيوانات وثم أمور عظيمة هي أنفع شيء لهم لاصلاحهم ولا فلاح ولا سعادة الا بمعرفتها وطلبها وفعلها ولا سيدل لهم الى ذلك الا بوحى منه وتعريف خاص فأرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه فعرّفهم ماهو الأنفع لهم وما فيه سعادتهم وفلاحهم فصادقهم الرسل مشغولين باضدادها قد ألفوها وساكنوها وجرت عليها عوائدهم حين الفتها الطباع فأخبرهم الرسل انها أضر شيء عليهم وانها من أعظم أسباب ألمهم وفوات أربهم وسرورهم فنهضت الارادة طالبة للسعادة والفلاح إذ الدعوة الى ذلك محرّكة للقلوب والاسماع والابصار الى الاستجابة فقام داعي الطبع والالف والعادة في وجهه ذلك الداعي معارضا له يعد النفس ويمنيها ويرغبها ويزين لها ما لفته واعتادته لكونه ملائما له وهو نقد عاجل وراحة مؤثرة ولذة مطلوبة ولهو ولعب ووزينة وتفاخر وتكبر وداعي الفلاح يدعو الى أمر أجل في دار غير هذه الدار لا ينال الا بفارقة ملاذها وطيباتها ومسرّاتها وتجرع مرارتها والتعرض لآفاتها وإيثار الغير لحوائتها ومشتبهاتها يقول خدماتراه ودع ماسمعت به فقامت الارادة بين الداعيين تصفى الى هذا مرة وإلى هذا مرة فهنا معركة الحرب ومحل الحنة فقتيل وأسير وفائز بالظفر والنعمة فإذا شاء الله سبحانه رحمة عبد جذب قوى ارادته وعزيمته الى ما ينفعه ويحييه الحياة الطيبة فأوحى الى ملائكته أن نبثوا عبيدى واصرفوا همته وارادته الى مرضاتى وطاعتى كما قال تعالى (اذيوحى ربك الى الملائكة انى معكم فقبتوا الذين آمنوا)

* وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان للملك بقل ابن آدم لمة ولا شيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير
وتصدق بالوعد ولة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) واذا أراد خذلان عبد أمسك عنه تأييده وتأييده وخلي بينه
وبين نفسه ولم يكن بذلك ضلالة لانه قد أعطاه قدرة وارادة وعرفه الخير والشر وحذر طريق
الهلاك وعرفه بها وحضه على سلوك طريق النجاة وعرفه بها ثم تركه وما اختار لنفسه وولاه ما تولى
فاذا وجد شرا فلا يلومن الا نفسه * قال القدرى فلكل الارادة المعينة المستازمة بالفعل المعين ان
كانت باحداث العبد فهو قولنا وان كانت باحداث الرب سبحانه فهو قول الجبرى وان كانت بغير
محدث لزم الخال * قال السنى لا تقتصر كل ارادة من العبد الى مشيئة خاصة من الله توجب حدودها
بل يكفي في ذلك المشيئة العامة لجمله مريدا فان الارادة هى حركة النفس والله سبحانه شاء أن
تكون متحركة وأما أن تكون كل حركة تستدعى مشيئة مفردة فلا وهذا كما أنه سبحانه شاء أن
يكون الحي متنفسا ولا يفتقر كل نفس من أنفاسه الى مشيئة خاصة وكذلك شاء أن يكون هذا الماء
بجملته جاريا ولا يفتقر كل قطرة منه الى مشيئة خاصة يجرى بها الماء وكذلك مشيئة لحركات الافلاك
وهبوب الرياح ونزول الغيث وكذلك خطرات القلوب ووساوس النفس وكذلك مشيئة أن يكون
العبد متكلما لا يستلزم أن يكون كل حرف بمشيئة غير مشيئة الحرف الآخر واذا تبين ذلك فهو
سبحانه شاء أن يكون عبده شائيا مريدا وتلك الارادة والمشيئة صالحة للضدين فاذا شاء أن يهذى عبدا
صرف داعيه ومشيئته وارادته الى معاشه ومعهده واذا شاء أن يضله تركه ونفسه وتخلي عنه والنفس
متحركة بطبعها لا يدها من مراد محبوب هو مألوها ومعبودها فان لم يكن الله وحده هو معبودها
ومرادها والا كان غيره لها معبودا ومرادا ولا يد فان حركتها ومحبتها من لوازم ذاتها فان لم يحب
ربها وفاطرها وتعبده أحببت غيره وعبده وان لم تتعلق ارادتها بما ينفعها في معادها تعلقت بما يضرها
فيه ولا بد فلا تعطيل في طبيعتها وهكذا خلقت * فان قلت فإين مشيئة الله لهداها وضلالها * قلت
إذا شاء اضلالها تركها ودواعيها وخلي بينها وبين ما يختاره واذا شاء هداها جذب دواعيها وارادتها
اليه وصرف عنها موانع القبول فيمدها على القدر المشترك بينها وبين سائر النفوس بامداد وجودى
ويصرف عنها الموانع التى خلى بينها وبين غيرها فيها وهذا بمشيئته وقدرته فلم يخرج شئ من
الموجودات عن مشيئته وقدرته وتكونه بالية لكن يكون ما يشاء بأسباب وحكم ولو أن الجبرية أثبتت
الاسباب والحكم لانحلت عنها عقد هذه المسئلة ولو أن القدرية سحبت ذيل المشيئة والقدر والخلق
على جميع الكائنات مع اثبات الحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب سبحانه لانحلت عنها عقدها
وبالله التوفيق

الباب الحادى والعشرون

في تنزيه القضاء الالهى عن الشر

قال الله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء
وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير) فصدر الآية سبحانه بتفردة بالملك كله وانه هو

سبحانه هو الذى يؤتیه من يشاء وينزعه من يشاء لا غير فلاول تفرده بالملك والثانى تفرده بالتصرف فيه وانه سبحانه هو الذى يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه وان الخير كله بيديه ليس لاحد معه منه شئ ثم ختمها بقوله انك على كل شئ قدير فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته وتضمنت ان هذه التصرفات كلها بيده وانها كلها خير فسلبه الملك عن يشاء واذلاله من يشاء خير وان كان شرا بالنسبة الى المسلوب الذليل فان هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصاحبة لا تخرج عن ذلك وهذا كله خير بحمد عليه الرب ويثني عليه به كما يحمد ويثني عليه بتزيهه عن الشر وانه ليس اليه كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله ليبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك أنابك واليك تباركت وتعاليت فتبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه بل كل مانسب اليه فهو خير والشر انما صار شرا لانقطاع نسبته واضافته اليه فلو اضيف اليه لم يكن شرا كما سيأتى بيانه وهو سبحانه خالق الخير والشر فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله وخلقه وقضاؤه وقدره خير كله ولهذا نزه سبحانه عن الظلم الذى حقيقته وضع الشئ في غير موضعه كما تقدم فلا يضع الاشياء الا في مواضعها اللائقة بها وذلك خير كله والشر وضع الشئ في غير محله فاذا وضع في محله لم يكن شرا فلم ان الشر ليس اليه واسأؤه الحسنى تشهد بذلك فان منها القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر فالقدوس المنزه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به وهذا قول أهل اللغة وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة ومنه بيت المقدس لانه مكان يظهر فيه من الذنوب ومن أمه لا يريد الا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا ومنه سمى جبريل روح القدس لانه طاهر من كل عيب ومنه قول الملائكة ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك فقيل المعنى وتقدس أنفسنا لك فعدى باللام وهذا ليس بشئ والصواب ان المعنى وتقدسك ونزهك عما لا يليق بك هذا قول جمهور أهل التفسير * وقال ابن جرير وتقدس لك تنسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الادناس وما أضاف اليك أهل الكفر بك قال وقال بعضهم تعظمك وتجدك قاله أبو صالح * وقال مجاهد تعظمك وتكبرك انتهى وقال بعضهم نزهك عن سوء فلا تنسب اليك واللام فيه على حدها في قوله ردف لكم لان المعنى تنزيه الله لانزبه نفوسهم لاجله قلت ولهذا قرن هذا اللفظ بقوله نسيح بحمدك فان التسبيح تنزيه الله سبحانه عن كل سوء * قال ميمون بن مهران سبحانه الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من سوء وقال ابن عباس هي تنزيه لله من كل سوء وأصل اللفظة من المباعضة من قولهم سبحت في الارض اذا تباعدت فيها ومنه كل في فلك يسبحون فمن أثنى على الله ونزهه عن سوء فقد سبحه ويقال سبح الله وسبح له وقدمه وقدم له وكذلك اسمه السلام فانه الذى سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسلام أبغ في ذلك من وصفه بالسلم ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه هم فسلم سبحانه من ارادة الظلم والشر ومن التسمية به ومن فعله ومن نسبته اليه فهو السلام من صفات التقص وأفعال التقص وأسماء التقص المسلم خلقه من الظلم ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بانها سلام والجنة بانها دار السلام ونحية أهلها السلام وأثنى على أوليائه بالقول السلام

كل ذلك السالم من العيوب وكذلك الكبير من أسائه والمتكبر * قال قتادة وغيره هو الذى تكبر عن السوء وقال أيضا الذى تكبر عن السيآت وقال مقاتل المتعظم عن كل سوء * وقال أبو اسحق الذى يكبر عن ظلم عباده وكذلك اسمه العزيز الذى له العزة التامة ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب فان ذلك ينافي العزة التامة وكذلك اسمه العلى الذى علا عن كل عيب وسوء ونقص ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شئ بل يكون فوق كل شئ وكذلك اسمه الحميد وهو الذى له الحمد كله فكمال حمده يوجب أن لا ينسب اليه شر ولا سوء ولا نقص لافى أسائه ولا فى أفعاله ولا فى صفاته فاسمائه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم اليه مع أنه سبحانه الخالق لكل شئ فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم والعباد اذا فعل القبيح المنهى عنه كان قد فعل الشر والسوء والرب سبحانه هو الذى جعله فاعلا لذلك وهذا الجمل منه عدل وحكمة وصواب فجعله فاعلا خيرا والمنفعل شرقيح فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشئ موضعه لماله فى ذلك من الحكمة البالغة التى يحمد عليها فهو خير وحكمة ومصلحة وان كان وقوعه من العبد عيبا ونقصا وشرًا وهذا أمر معقول فى الشاهد فان المصانع الخيرة اذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور والنبذة الناقصة فوضع ذلك فى موضع يليق به ويناسبه كان ذلك منه عدلا وصوابا يمدح به وان كان فى المحل عوج ونقص وعيب يذم به المحل ومن وضع الخبائث فى موضعها ومحالها الاقبح بها كان ذلك حكمة وعدلا وصوابا وانما السفه والظلم أن يضعها فى غير موضعها فمن وضع العمامة على الرأس والتعل فى الرجل والكحل فى العين والزبالة فى الكناسة فقد وضع الشئ موضعه ولم ينظم العمل والزبالة اذ هذا محالها ومن أسائه سبحانه العدل والحكيم الذى لا يضع الشئ الا فى موضعه فهو المحسن الجواد الحكيم العدل فى كل ما خلقه وفى كل ما وضعه فى محله وهبائه له وهو سبحانه له الخالق والامر فيكما أنه فى أمره لا يأمر الا بأرجح الامرين ويأمر بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها واذا تعارض أمران رجح أحسنهما وأصلحهما وليس فى الشريعة أمر يفعل الا ووجوده للأمر خير من عدمه ولا نهى عن فعل الا وعدمه خير من وجوده فان قلت فاذا كان وجوده خيرا من عدمه فكيف لا يشاء وجوده فاذا كان عدمه خيرا من وجوده فكيف يشاء وجوده فالمشيئة العامة تنقض عليك هذه القاعدة الكلية قلت لاتنقضها لان وجوده وان كان خيرا من عدمه فقد يستلزم وجوده فوات محبوب له هو أحب اليه من وقوع هذا المأمور من هذا المعنى وعدم المنهى وان كان خيرا من وجوده فقد يكون وجوده وسيلة وسببا الى ما هو أحب اليه من عدمه وسيأتى تمام تقرير ذلك فى باب اجتماع القدر والشرع واقتراحهما ان شاء الله والرب سبحانه اذا أمر بشئ فقد أحبه ورضيه وأراد به وهو لا يحب شئ الا ووجوده خير من عدمه وما نهى عنه فقد أبغضه وكرهه وهو لا يبغض شئ الا وعدمه خير من وجوده هذا بالنظر الى ذات هذا وهذا وأما باعتبار افضائه الى ما يحب ويكره فله حكم آخر ولهذا أمر سبحانه عباده ان يأخذوا بأحسن ما أنزل اليهم فالأحسن هو المأمور به وهو خير من المنهى عنه واذا كانت هذه سنته فى أمره وشرعه فهكذا سنته فى خلقه وقضائه وقدره فما أراد أن يخلق أو يفعله كان أن يخلقه ويضعه خيرا من أن لا يخلقه ولا يفعله وبالعكس وما كان عدمه خيرا من وجوده فوجوده شر وهو لا يفعله بل هو متره عنه والشر ليس

اليه * فان قلت فلم خلقه وهو شر * قلت خلقه له وفعله خير لاشرف فان الخلق والفعل قائم به سبحانه والشر يستحيل قيامه به وانضاف به وما كان في المخلوق من شر فلمدم اضافته ونسبته اليه والفعل والخلق يضاف اليه فكان خيرا والذي شاء كله خير والذي لم يشأ وجوده بقى على العدم الاصلى وهو الشر فان الشر كله عدم وان سببه جهل وهو عدم العلم أو ظلم وهو عدم العدل وما يترتب على ذلك من الآلام فهو من عدم استعداد المحل وقبوله لاسباب الخيرات واللذات * فان قلت كثير من الناس يطلق القول بان الخير كله من الوجود ولو ازمه والشر كله من العدم ولو ازمه والوجود خير والشر اخير لا يكون الا عدما * قلت هذا اللفظ فيه اجمال فان أريد به ان كل ما خلقه الله وأوجده فخير والشر هو وجوده خير من عدمه ولم يخلق له شيء فهو المعدوم الباقى على عدمه ولا خير فيه اذ لو كان فيه خير لفعله فانه بيده الخير فهذا صحيح فالشر العدمى هو عدم الخير وان أريد ان كل ما يازم الوجود فهو خير وكل ما يازم العدم فهو شر فليس بصحيح فان الوجود قد يلزمه شر مرجوح والعدم قد يلزمه خير راجح مثال الاول النار والمطر والحر والبرد والتلج ووجود الحيوانات فان هذا موجود ويلزمه شر جزئى مغموور بالنسبة الى ما في وجود ذلك من الخير وكذلك المأمور به قد يلزمه من الألم والمعقبة ما هو شر جزئى مغموور بالنسبة الى ما فيه من الخير

فصل وتحقق الامران الشر نوعان شر محض حقيقى من كل وجه وشر نسي اضافى من وجه دون وجه فالاول لا يدخل في الوجود اذ لو دخل في الوجود لم يكن شرا محضا والثانى هو الذى يدخل في الوجود فالامور التى يقال هى شرور اما ان تكون أمورا عديمة أو أمورا وجودية فان كانت عديمة فانها اما ان تكون عدما لامور ضرورية لشيء في وجوده أو ضرورية له في دوام وجوده وبقاءه أو ضرورية له في كاله واما ان تكون غير ضرورية له في وجوده ولا بقاءه ولا كاله وان كان وجودها خيرا من عدمها فهذا أربعة اقسام فالاول كالاحساس والحركة والنفس للحيوان والثانى كقوة الاغتذاء والنمو للحيوان المغتذى التامى والثالث كصحته وسمعه وبصره وقوته والرابع كالعالم بدقائق المعلومات التى العلم بها خير من الجهل وليست ضرورية له وأما الامور الوجودية فوجو د كل ما يضاد الحياة والبقاء والكمال كالامراض واسبابها والآلام واسبابها والموانع الوجودية التى تمنع حصول الخير ووصوله الى المحل القابل له المستعد لحصوله كالغذاء الرديئة المفسدة من وصول الغذاء الى أعضاء البدن وانتفاعه به وكالعقائد الباطلة والارادات الفاسدة المانعة لحصول أضرارها للقلب اذا عرف هذا فالشر بالذات هو عدم ما هو ضرورى لشيء في وجوده أو بقاءه أو كاله ولهذا العدم لوازم من شر أيضا فان عدم العلم والعدل يلزمهما من الجهل والظلم ما هو شرور وجودية وعدم الصحة والاعتدال يلزمهما من الألم والضرر ما هو شر وجودى وأما عدم الامور المستغنى عنها كعدم الغنى المفرط والعلوم التى لا يضر الجهل بها فليس بشر في الحقيقة ولا وجودها سببا للشر فان العلم منه حيث هو علم والغنى منه حيث هو غنى لم يوضع سببا للشر وانما يترتب الشر من عدم صفة تقتضى الخير كعدم العفة والضرر والعدل في حق الغنى فيحصل الشر له في غناه بعدم هذه الصفات وكذلك عدم الحكمة ووضع الشيء موضعه وعدم ارادة الحكمة في حق صاحب العلم يوجب ترتب الشر له على ذلك فظهر ان الشر لم يترتب الا على عدمه والا فالوجود من حيث وجوده لا يكون شرا ولا سببا للشر فالامور الوجودية ليست شرورا

بالذات بل بالعرض من حيث انها تتضمن عدم أمور ضرورية أو نافعة فانك لاتجد شيأ من الافعال التى هى شر الا وهى كل بالنسبة الى أمور وجهة الشرفيه بالنسبة الى أمور أخر مثال ذلك ان الظلم يصدر عن قوة تطلب الغلبة والقهر وهى القوة الغضبية التى كلها بالغلبة ولهذا خلقت فليس فى ترتب أثرها عليها شر من حيث وجوده بل الشر عدم ترتب أثرها عليها البتة فتكون ضئيفة عاجزة مقهورة وانما الشر الوجودى الحاصل شر اضافى بالنسبة الى المظلوم يفوات نفسه أو ماله أو تصرفه بالنسبة الى الظالم لا من حيث الغلبة والاستيلاء ولكن من حيث وضع الغلبة والقهر والاستيلاء فى غير موضعة فعدل به من محله الى غير محله ولو استعمل قوة الغضب فى قهر المؤذى الباغى من الحيوانات الناطقة والبهيمة لكان ذلك خيرا ولكن عدليه الى غير محله فوضع القهر والغلبة موضع العدل والنصفة ووضع الناطقة موضع الرحمة فلم يكن الشر فى وجود هذه القوة ولا فى ترتب أثرها عليها من حيث هما كذلك بل فى اجرائها فى غير مجراها ومثال ذلك ماء جار فى نهر الى أرض يسقيها وينفعها فكماله فى جريانه حتى يصل اليها فاذا عدله عن مجراه وطريقه الى أرض يضرها ويخرب دورها كان الشر فى العدول به عما أعدله وعدم وصوله اليه فهكذا الارادة والغضب أعين بهما العبد ليتوصل بهما الى حصول ما ينفعه وقهر ما يؤذيه وبهلكه فاذا استعمالا فى ذلك فهو كمالها وهو خير واذا صرفا عن ذلك الى استعمال هذه القوة فى غير محلهما وهذه فى غير محلها صار ذلك شرا اضافيا نسبيا وكذلك النار كمالها فى احراقها فاذا احترقت ما ينبغى احراقه فهو خير وان صادفت ما لا ينبغى احراقه فافسدته فهو شر اضافى بالنسبة الى المحل المعين وكذلك القتل مثلا هو استعمال الآلة القطاعة فى تفريق اتصال البدن فتقوة الانسان على استعمال الآلة خير وكون الآلة قابلة للتأثير خير وكون المحل قابلا لتلك خير وانما الشر نسبى اضافى وهو وضع هذا التأثير فى غير موضعه والعدول به عن المحل المؤذى الى غيره وهذا بالنسبة الى الفاعل واما بالنسبة الى المفعول فهو شر اضافى أيضا وهو ما حصل له من التألم وفاته من الحياة وقد يكون ذلك خيرا له من جهة أخرى وخيرا للغير وكذلك الوطء فان قوة الفاعل وقبول المحل كمال ولكن الشر فى المدول به عن المحل الذى يليق به الى المحل لا يحسن ولا يليق وهكذا حركة اللسان وحركات الجوارح كلها جارية على هذا المجرى فظهر ان دخول الشر فى الامور الوجودية انما هو بالنسبة والاضافة لانها من حيث وجودها وذواتها وشروطها كذلك السجود ليس هو شرا من حيث ذاته ووجوده فاذا أضيف الى غير الله كان شرا بهذه النسبة والاضافة وكذلك كل ما وجوده كفر وشرك انما كان شرا باضافته الى ما جعله كذلك كتعظيم الاصنام والتعظيم من حيث هو تعظيم لا يمدح ولا يذم بالاعتبار متعاقه فاذا كان تعظيما لله وكتابه ودينه ورسوله كان خيرا محضا وان كان تعظيما للصنم وللشيطان فاضافته الى هذا المحل جعلته شرا كما ان اضافة السجود الى غير الله جعلته كذلك

فصل وما ينبغى أن يعلم أن الاشياء المكونة من موادها شيأ فشيأ كالنبات والحيوان ايمان يعرض لها النقص الذى هو شر فى ابتدائها أو بعد تكونها فالاول هو بان يعرض لمادتها من الاسباب ما يجعلها ردية المزاج ناقصة الاستعداد فيقع الشر فيها والنقص فى خاتمة بذلك السبب وليس ذلك بان الفاعل حرمة وأذهب عنه أمرا وجوديا به كماله بل لان المتفعل لم يقبل الكمال والتمام وعدم قبوله

أمر عدمى ليس بالفاعل وأما الذى بالفاعل فهو الخير الوجودى الذى يتقبل به كماله وتماه ونقصه والشر الذى حصل فيه هو من عدم امداده بسبب الكمال فبقى على العدم الاصلى وبهذا يفهم سر قوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) فان ما خلقه فهو أمر وجودى به كمال الخلق وتماهه وأما عيه ونقصه فمن عدم قبوله وعدم القبول ليس أمرا مخلوقا يتعلق بفعل الفاعل فالخلق الوجودى ليس فيه تفاوت والتفاوت إنما حصل بسبب هذا الخلق فان الخالق سبحانه لم يخلق له استعدادا لفصل التفاوت فيه من عدم الخلق لامن نفس الخلق فتأمله والذى الى الرب سبحانه هو الخلق وأما العدم فليس هو بفاعل فاذا لم يكمل في مادة الجنين في الرحم ما يقتضى كماله وسلامته أعضائه واعتدالها حصل فيه التفاوت وكذلك النبات

فصل وأما الثانى وهو ان الشر الحاصل بعد تكونه وبإيجاده فهو نوعان أيضا أحدهما أن يقطع عنه الامداد الذى به كماله بعد وجوده كما يقطع عن النبات امداده بالسقى وعن الحيوان امداده بالغذاء فهو شر مضاف الى العدم أيضا وهو عدم ما يكمل به الثانى حصول مضاد مناف وهو نوعان أحدهما قيام مانع في المحل يمنع تأثير الاسباب الصالحة فيه كما تقوم بالبدن اخلاط ردية تمنع تأثير الغذاء فيه واتقاعه به وكما تقوم بالقلب ارادات واعتقادات فاسدة تمنع اتقاعه بهدى والعلم فهذا الشر وان كان وجوديا وأسبابه وجودية فهو أيضا من عدم القوة والارادة التى يدفع بها ذلك المانع فلو وجدت قوة وارادة تدفعه لم يتأثر المحل به مثاله ان غلبة الاخلاط واستيلائها من عده القوة المتضجة لها أو القوة الدافعة لمسا يحتاج الى خروج وكذلك استيلاء الارادات الفاسدة لضعف قوة العفة والصبر واستيلاء الاعتقادات الباطلة لعدم العلم المطابق لمعلومه فكل شر ونقص قائما حصل لعدم سبب ضده وعدم سبب ضده ليس فاعلا له بل يكفي فيه بقاؤه على العدم الاصلى الثانى مانع من خارج كالبرد الشديد والحرق والفرق ونحو ذلك مما يصيب الحيوان والنبات فيحدث فيه الفساد فهذا لا ريب انه شر وجودى مستند الى سبب وجودى ولكنه شر نسبي اضافى وهو خير من وجه آخر فان وجود ذلك الحر والبرد والماء يترتب عليه مصالح وخيرات كلية هذا الشر بالنسبة اليها جزئى فتعطيل تلك الاسباب لتفويت هذا الشر الجزئى يتضمن شرا أكثر منه وهو فوات تلك الخيرات الحاصلة بها فان ما يحصل بالشمس والرياح والمطر والتلج والحر والبرد من مصالح الخلق أضغاف أضغاف ما يحصل بذلك من مفسد جزئية هى في جنب تلك المصالح كقطرة في بحر هذا لو كان شرها حقيقيا فكيف وهى خير من وجه شر من وجه وان لم يعلم جهة الخير فيها كثير من الناس فما قدرها الرب سبحانه سدى ولا خلقها باطلا وعند هذا يقال الوجود اما أن يكون خيرا من كل وجه أو شرا من كل وجه أو خيرا من وجه شر من وجه وهذا على ثلاثة أقسام قسم خيره راجح على شره وعكسه وقسم مستو خيره وشره وأما أن لا يكون فيه خير ولا شر فهذه ستة أقسام ولا مزيد عاينها فبعضها واقع وبعضها غير واقع فاما القسم الاول وهو الخير الخفى من كل وجه الذى لا شر فيه بوجه ما فهو أشرف الموجودات على الاطلاق وأكملها وأجلها وكل كمال وخير فيها فهو مستفاد من خيره وكاله في نفسه وهى تستمد منه وهو لا يستمد منها وهى فقيرة اليه وهو غنى عنها كل منها يسأله كاله فالملائكة تسأله ما لا حياة لها الا به واعانته على ذكره وشكره وحسن

عبادته وتنفيذ أوامره والقيام بما جعل اليهم من مصالح العالم العلوى والسفلى وتسأله أن يغفر لبنى آدم والرسل تسأله أن يعينهم على أداء رسالاته وتبليغها وأن يتصرهم على استعدادهم وغير ذلك من مصالحهم في معاشهم ومعادهم وبنو آدم كلهم يسألونه مصالحهم على تنوعها واختلافها والحيوان كله يسأله رزقه وغذاءه وقوته وما يقيمه ويسأله الدفع عنه والشجر والنبات يسأله غذاءه وما ياكل به والكون كله يسأله امداده بقاله وحاله (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان) فأكف جميع العالم ممتدة اليه بالطلب والسؤال وبده مبسوطه لهم بالاعطاء والنوال يمينه ملاى لا يفرضها نفقة سبحانه الليل والنهار وعطاؤه وخيره مبذول للابرار والتجازل كل كمال ومنه كل خير له الحمد كله وله الشاء كله ويبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله تبارك اسمه وتباركت أوصافه وتباركت أفعاله وتباركت ذاته فالبركة كلها له ومنه لا يتعاضده خير سئله ولا تنقص خزائنه على كثرة عطاؤه وبذله فلو صور كل كمال في العالم صورة واحدة ثم كان العالم كله على تلك الصورة لكان نسبة ذلك الى كماله وجلاله وجلاله دون نسبة سراج ضعيف الى عين الشمس

فصل — وأما الاقسام الخمسة الباقية فلا يدخل منها في الوجود الاما كانت المصلحة والحكمة والخير في ايجادها أكثر من المنفعة والانسام الاربعة لا تدخل في الوجود أما الشر المحض الذى لاخير فيه فذاك ليس له حقيقة بل هو العدم المحض * فان قيل فابليس شر محض والكفر والشرك كذلك وقد دخلوا في الوجود دفعاً خير في ابليس وفي وجود الكفر * قيل في خلق ابليس من الحكم والمصالح والخبرات التى ترتبت على وجوده ما لا يعلمه الا الله كما سنبه على بعضه فالله سبحانه لم يخلقه عبثاً ولا قصد بخلافه اضرار عباده وهلاكهم فحكم الله في خلقه من حكمة باهرة وحجة قاهرة وآية ظاهرة ونعمة سابغة وهو وان كان للاديان والايمان كالمسموم للاديان ففي ايجاد المسموم من المصالح والحكم ما هو خير من تفويتها وأما الذى لاخير فيه ولا شر فلا يدخل أيضاً في الوجود فانه عبث فعمالى الله عنه واذا امتنع وجود هذا القسم في الوجود فدخول ما للشر في ايجادها أغلب من الخير أولى بالامتناع ومن تأمل هذا الوجود علم ان الخير فيه غالب وان الامراض وان كثرت فالصحة أكثر منها والملاذات أكثر من الآلام والعافية أعظم من البلاء والفرق والحرق والهدم ونحوها وان كثرت فالسلامة أكثر ولولم يوجد هذا القسم الذى خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب وفوات الخير الغالب شر غالب ومثال ذلك النار فان في وجودها منافع كثيرة وفيها مفساد لكن اذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة الى مصالحها وكذلك المطر والرياح والحر والبرد وبالجملة فمناصر هذا العالم السفلى خيرها ممتزج بشرها ولكن خيرها غالب وأما العالم العلوى فببرى من ذلك * فان قيل فهلا خلق الخلاق الحكيم هذه خالية من الشر بحيث تكون خيرات محضة فان قائم اقتضت الحكمة خالق هذا العالم ممتزجاً فيه اللذة بالالم والخير بالشر فقد كان يمكن خلقه على حالة لا يكون فيه شر كالعالم العلوى سلمنا ان وجود ما الخير فيه أغلب من الشر أولى من عدمه فإى خير ومصلحة في وجود رأس الشر كله ومنبعه وقبوة أهله فيه ابليس وأى خير في ابقائه الى آخر الدهر وأى خير يغلب في نشأة يكون فيها تسعة وتسعون الى النار وواحد في الجنة وأى خير غالب حصل باخراج الابوين من الجنة حتى جرى على الاولاد ما جرى ولودا ما في الجنة لا يرتفع

الشر بالكلية وإذا كان قد خلقهم لعبادته فكيف اقتضت حكمته أن صرف إليهم عنا ووفق لها الأقل من الناس وأى خير يغلب في خلق الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغى وأى خير في إيلاء غير المكلفين كالاطفال والحماة فإن قلتم فأنه التعويض انقض عليكم بإيلاء البهائم ثم وأى خير في خالق الدجال وتمكينه من الظهور والافتان به واذ قد اقتضت الحكمة ذلك فأى خير حصل في تمكينه من اظهار تلك الحوارق والعجائب وأى خير في السحر وما يترتب عليه من المناسد والمضار وأى خير في لباس الخلق شيئا واذقة بعضهم بأس بعض وأى خير في خلق السموم وذات السموم والحيوانات العادية المؤذية بطبعها وأى خير في خراب هذه البنية بعد خلقها في أحسن تقويم وردّها الى أرذل العمر بعد استقامتها وصلاحتها وكذلك خراب هذا الدار ومحو أثرها فإن كان وجود ذلك خيرا غالبا فباطلنا لاختيار الغالب دع هذا كله فأى خير راجح أو مرجوح في النار وهى دار الشر الأعظم والبلاء الأكبر ولا خلاص لكم عن هذه الأسئلة إلا بسد باب الحكم والتعليل واستناد الكون الى محض المشيئة أو القول بالإيجاب الناقى وإن الرب لا يفعل باختياره ومشيئته وهذه الأسئلة إنما ترد على من يقول بالفاعل المختار فأن هذا لما القائلون الى انكار التعليل حجة فاختاروا أحد المذهبين وتحيزوا الى احدى الفئتين والافكيف تجمعون بين القول بالحكمة والتعليل وبين هذه الأمور فالجواب بعد أن نقول سبحانه الله والحمد لله ولاله الا الله والله أكبر بل في تحقيق هذه الكلمات الجواب الشافى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لأعين ما خلقناهما الا بالحق وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أنحببتم انما خلقناكم عبداً وانكم الينا لارجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وإن الله قد أحاط بكل شىء علما فجعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وإن الله بكل شىء عليم صنع الله الذى أتقن كل شىء وأحسن كل شىء خلقه ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بل هو في غاية التناسب واقع على أكل الوجوه وأقربها الى حصول الغايات المحموده والحكم المطلوبة فلم يكن تحصل تلك الحكم والغايات التى انفرد الله سبحانه بعلمها على التفصيل وأطلع من شاء من عباده على أسير السير منها الا بهذه الاسباب والبدائيات وقد سأله الملائكة المقربون عن جنس هذه الأسئلة وأصلها فقال انى أعلم ما لا تعلمون وأقروا له بكمال العلم والحكمة وأنه في جميع أمهاله على صراط مستقيم وقالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ولما ظهر لهم بعض حكمته فيما سألو عنه وأنهم لم يكونوا يعلمون قال (لم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

فصل ١٠ ونحن نذكر أصولاً مهمة نبين بها جواب هذه الأسئلة وقد اعترف كثير من المتكلمين ممن له نظر في الفلسفة والكلام انه لا يمكن الجواب عنها الا بالالتزام القول بالموجب بالذات أو القول بإبطال الحكمة والتعليل وأنه سبحانه لا يفعل شيئا لشيء ولا يأمر بشىء لحكمة ولا يعمل شيئا من الاشياء سببا لغيره وأنما المشيئة محضة وقدرة ترجح مثلا على مثل بلا سبب ولا علة وأنه لا يقال

في فعه لم ولا كيف ولا لاي سبب وحكمة ولا هو معال بالمصالح قال الرازى في مباحثه فان قيل فلم لم يخلق الخالق هذه الاشياء عرية عن كل الشرور فتقول لانه لو جعلها كذلك لكان هذا هو القسم الاول وذلك مما خرج عنه معنى كان ذلك هو القسم الذى هو خير محض لاشرفيه قال وبقي في الفعل قسم آخر وهو الذى يكون خيره غالبا على شره وقد بينا ان الاولى بهذا القسم ان يكون موجودا قال وهذا الجواب لا ينجى لان لقائل ان يقول ان جميع هذه الخيرات والشرور انما توجد باختيار الله سبحانه وارادته فالاحتراق الجاصل عقيب النار ليس موجبا عن النار بل الله اختار خلقه عقيب مماسة النار واذا كان حصول الاحتراق عقيب مماسة النار باختيار الله وارادته فكان يمكنه ان يختار خالق الاحتراق عند ما يكون خيرا ولا يختار خلقه عند ما يكون شرا ولا خلاص عن هذه المطالبة الابيان كونه فاعلا بالذات بالافسد والاختيار ويرجع حاصل الكلام في هذه المسألة الى مسألة القدم والحدوث فانظر كيف اعترف بانه لا خلاص عن هذه الاسئلة الابتكديب جميع الرسل من اولهم الى آخرهم وابطال جميع الكتب المنزلة من عند الله ومخالفة صريح العقل في ان خالق العالم سبحانه مرید مختار ماشاء كان بمشيئته وما لم يشأ لم يكن لعدم مشيئته وانه ليس في الكون شئ حاصل بدون مشيئته البتة فاقر على نفسه انه لا خلاص له في تلك الاسئلة الابالتزام طريقة اعداء الرسل والممال القائلين بان الله لم يخلق السموات والارض في ستة ايام ولا اوجد العالم بعد عدمه ولا يقنيه بعد ايجاده وصدور ما صدر عنه بغير اختياره ومشيئته فلم يكن مختارا مريدا للعالم وليس عنده الا هذا القول أو قول الجبرية منكرى الاسباب والحكم والتعليل أو قول المعتزلة الذين أثبتوا حكمة لا ترجع الى الفاعل وأوجبوا رعاية مصالح شهبوا فيها الخالق بالخلق وجعلوا له بعقولهم شريعة أو جبو اعليه فيها وحرّموا وحجروا اعليه فالاقوال الثلاثة تتردد في صدره وتتقاذف به مواجها تقاذف السفينة اذا لعبت بها الرياح الشديدة والعافل لا يرضى لنفسه بواحد من هذه الاقوال لمنافاتها العقل والنقل والقطرة والقول الحق في هذه الاقوال كيوم الجمعة في الايام اضل الله عنه اهل الكتابين قبل هذه الامة وهداهم اليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الجمعة اضل الله عنها من كان قبلنا فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للتصارى ونحن هكذا نقول بحمد الله ومنه القول الوسط الصواب لنا وانكار الفاعل بالمشيئة والاختيار لاعداء الرسل وانكار الحكمة والمصاحبة والتمايل والاسباب للجهمية والجبرية وانكار عموم القدرة والمشيئة العائدة الى الرب سبحانه من محبته وكرهته وموجب حده ومقتضى اسمائه وصفاته ومعانها وآثارها القدريّة الجوسية ونحن نبرأ الى الله من هذه الاقوال وقائلها الامن حق تتضمنه مقالة كل فرقة منهم فنحن به قائلون واليه متقادون وله ذاهبون

فصل الاصل الاول اثبات عموم علمه سبحانه واحاطته بكل معلوم وانه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض بل قد احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا والخراف في هذا الاصل مع فرقتين احدهما اعداء الرسل كلهم وهم الذين ينفون علمه بالجزئيات وحاصل قولهم انه لا يعلم موجودا البتة فان كل موجود جزئى معين فاذا لم يعلم الجزئيات لم يكن عالما بشئ من العالم العلوى والسفلى والفرقة الثانية غلاة القدريّة الذين اتفق السانف على كفرهم وحكموا بقتلهم الذين يقولون لا يعلم اعمال الابد حتى يعملوها ولم يعلمها قبل ذلك ولا كتبها ولا قدرها فضلا

عن أن يكون شاءها وكونها وقول هؤلاء معلوم البطالان بالضرورة من أديان جميع المرسلين وكتب
الله المنزل وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم مملوء بتكذيبهم وإبطال قولهم وإثبات عموم علمه الذى
لا يشاركه فيه خلقه ولا يحيطون بشئ منه إلا بما شاء أن يطلعهم عليه ويعلمهم به وما أخفاه عنهم ولم يطاعهم
عليه لانه لم يعرفوه اليه الا دون نسبة قطرة واحدة الى البحار كلها كما قال الخضر لموسى وهما
أعلم أهل الارض حينئذ ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا المصفور من البحر ويكفى
أن ما يتكلم به من علمه لو قدر أن البحر يمد من بعده سبعة أبحر مداد وأشجار الارض كلها من
أول الدهر الى آخره أقلام يكتب به ما يتكلم به بما يعلمه لتنفذ البحار وفيت الاقلام ولم تنفذ كتاباته
فنسبة علوم الخلاق الى علمه سبحانه كنسبة قدرتهم الى قدرته وغناهم الى غناه وحكمتهم الى حكمته
وإذا كان أعلم الخلق به على الإطلاق يقول لأخصى نناء عليك أنت كما أئيت على نفسك ويقول في
دعاء الاستخارة فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ويقول سبحانه للملائكة انى
أعلم ما لاتعلمون ويقول سبحانه لأعلم الامم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كتب عليكم القتال وهو
كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وآية يعلم وأنتم
لاتعلمون ويقول لاهل الكتاب وما أوتيتم من العلم الا قليلا ويقول رسله يوم القيامة حين يسألهم ماذا
أجبت قالوا لأعلم لنا انك أنت علام الغيوب وهذا هو الادب المطابق لاحق في نفس الامر فان
علومهم وعلوم الخلاق تضاهل وتتلاشى في علمه سبحانه كما يضاهل ضوء السراج الضعيف في
عين الشمس فمن أظلم الظلم وأبين الجهل وأقبح القبيح وأعظم الفجحة والجراءة أن يعترض من
لانسبة لعلمه الى علوم الناس الى لانسبة لها الى علوم الرسل الى لانسبة لها الى علم رب العالمين عليه
ويقدح في حكمته ويظن أن الصواب والاولى أن يكون غير ماجرى به فله وسبق به علمه وأن يكون
الامر بخلاف ذلك فسيبحان الله رب العالمين تنزيها لربوبيته وإلهيته وعظمته وجلاله عما يليق به من
كل ما نسب اليه الجاهلون الظالمون فسيبحان الله كلمة يباحث الله بها عن كل ما يخالف كماله من سوء
ونقص وعيب فهو المنزه التنزيه التام من كل وجه وبكل اعتبار عن كل نقص متوهم وإثبات
عموم حمده وكماله وتماه ينفى ذلك واتصافه بصفات الالهية التى لا تكون لغيره وكونه أكبر من كل
شئ في ذاته وأوصافه وأفعاله ينفى ذلك لمن رسخت معرفته في معنى سبحانه الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله أكبر وسافر قلبه في منازلها وتلقى معانيها من مشكاة النبوة لامن مشكاة الفلسفة والكلام
الباطل وآراء المتكلمين فهذا أصل يجب التمسك به في هذا المقام وان يعلم أن عقول العالمين ومعارفهم
وعولمهم وحكمهم تنقص عن الاحاطة بتفاصيل حكمة الرب سبحانه في أصغر مخلوقاته * الاصل
الثانى انه سبحانه حى حقيقة وحياته أكمل الحياة وأتمها وهى حياة تستلزم جميع صفات الكمال
ونفى أضدادها من جميع الوجوه ومن لوازم الحياة الفعل الاختيارى فان كل حى فعال وصدور
الفعل عن الحى بحسب كمال حياته ونقصها وكل من كانت حياته أكمل من غيره كان فعله أقوى
وأكمل وكذلك قدرته ولذلك كان الرب سبحانه على كل شئ قدير وهو فعال لما يريد وقد ذكر
البخارى في كتاب خلق الافعال عن نعيم بن حماد انه قال الحى هو الافعال وكل حى فعال فلا فرق
بين الحى والميت بالافعال والشعور وإذا كانت الحياة مستلزمة للفعل وهو الاصل الثالث فالفعل

الذى لا يعقل الناس سواه هو الفعل الاختيارى الارادى الحاصل بقدره الفاعل وارادته ومشيئته وما يصدر عن الذات من غير سفير قدرته منها ولا ارادة لا يسميه أحد من العقلاء فعلا وان كان أثره من آثارها ومتولدا عنها كتأثير النار في الاحراق والمساء في الاغراق والشمس في الحرارة فهذه آثار صادرة عن هذه الاجسام وليست أفعالا لها وان كانت بقوى وطبائع جعلها الله فيها فالفعل والعمل من الحى العالم لا يقع الا بمشيئته وقدرته وكون الرب سبحانه حيا فاعلا مختارا مريدا مما اتفقت عليه الرسل والكتب ودل عليه العقل والفطرة وههنا به الموجودات ناطقها وصامتها جمادها وحيوانها علوها وسفلها فمن أنكر فعل الرب الواقع بمشيئته واختياره وفعله فقد حجب ربه وغطاه وأنكر أن يكون للعالم رب* الاصل الرابع انه سبحانه ربط الاسباب بمسبباتها شرعا وقدرًا وجعل الاسباب محل حكمته في أمره الدينى والشرعى وأمره الكونى القدرى ومحل ملكه وتصرفه فانكار الاسباب والقوى والطبائع حجب للضروريات وقبح في العقول والفطر ومكابرة للحس وحجب للشرع والجزاء فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والامور والنواهي والجل والحرمه كل ذلك مرتبطا بالاسباب قائما بها بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه بل الموجودات كلها أسباب ومسببات والشرع كله أسباب ومسببات والمقادير أسباب ومسببات والقدر جار عليها متصرف فيها فالاسباب محل الشرع والقدر والقرآن مملوء من اثبات الاسباب كقوله بما كنتم تعلمون بما كنتم تكسبون ذلك بما قدمت يداك بما كسبت أيديكم كلوا واشربوا بما أسلفتم في الايام الخالية جزاء وفاقا فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف الى قوله وبكفرهم وقولهم على مريم بهتنا عظيمًا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية وقوله فيها رحمة من الله لنت لهم وقوله ذلك بأنهم كانت تأتيمهم رسالهم بالنيات فكفروا فاخذهم الله وقوله ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وقوله ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم وقوله (فعضوا رسول ربهم فاخذهم أخذه راية) وقوله فكذبوها فكانوا من المهلكين فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذًا وبيلا فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها وقوله فلما أسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجللناهم سلفا ومثلا للاخرين وقوله (وأزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به حنات وحب الحصيد) وقوله (حتى اذا قلت سبحا نقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات) وقوله (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم الآية) وقوله (وأزلنا من المعصرات ماء نجاسا لخرج به حيا ونباتا وحنات الفافا) وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعى أو الجزائى على الوصف افاد كونه سببا كقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) وقوله (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وقوله (والذين يسكنون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لنضع أجرا للمصلحين) وقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) وهذا أكثر من أن يستوعب وكل موضع تضمن الشرط والجزاء افاد سببية

الشرط والجزاء وهو أكثر من أن يستوعب كقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا) وقوله (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبب وقد تقدم وكل موضع تقدم ذكرته فيه الباء تعميلا لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزء لكذا أفاد التسبب فإن العلة الغائية علة للفاعلة ولوتبعنا ما يفيد اثبات الاسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر ولهذا قال من قال من أهل العلم تكلم قوم في انكار الاسباب فاضحكوا ذوى العقول على عقولهم وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فشابهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب ونفوت كماله وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبته وتكليمه للملائكة وعباده وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فها أفادهم الاتكذيب الله ورسله وتنزيهه عن كل كمال ووصفه بصفات المعدم والمستحيل ونفاه عن زه الله في أفعاله وإن يقوم به فعل البتة وظن انه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقا بعد ان لم يكن وقد أنكرك أصل الفعل والخلق جملة ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس ان التوحيد لا يتم الا بانكار الاسباب فاذا رأى المستقل انه لا يمكن اثبات توحيد الرب سبحانه الا بابطال الاسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به وأنت لتجد كتابا من الكتب أعظم اثباتا للاسباب من القرآن وبالله العجب اذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذى جعل هذا سببا لهذا والاسباب والمسببات طوع مشيئة وقدرته متقادة لحكمه ان شاء أن يبطل سببية الشئ أبطلها كما أبطل احراق النار على خليله ابراهيم واغراق الماء على كلميه وقومه وان شاء أقام لتلك الاسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها وان شاء خلى بينها وبين اقضاءه لآثارها فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا فأى قدح يوجب ذلك في التوحيد وأى شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه ولكن ضعفاء العقول اذا سمعوا ان النار لا تحرق والماء لا يفرق والخبر لا يشيع والسيف لا يقطع ولا تأثير لشيء من ذلك البتة ولا هو سبب لهذا الاثر وليس فيه قوة وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقة كذا لكذا قالت هذا هو التوحيد وافراد الرب بالخلق والتأثير ولم يدرك هذا القائل ان هذا اساءة ظن بالتوحيد وتسلط لاعداء الرسل على ما جاؤا به كما تراه عيانا في كتبهم ينفرون به الناس عن الايمان ولا ريب ان الصديق الجاهل قد يضر مالا يضره العدو العاقل قال تعالى عن ذى القرنين (وآتيناه من كل شئ سببا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس علما قال قتادة وابن زيد وابن جريج والضحاك علما تسبب به الى ما يريد وكذلك قال اسحق علما يوصله الى حيث يريد وقال المبرد وكل ما وصل شيئا بشئ فهو سبب وقال كثير من المفسرين آتيناه من كل ما بالخلق اليه حاجة علما ومعمونة له وقد سمي الله سبحانه الطريق سببا في قوله فاتبع سببا قال مجاهد طريقا وقيل السبب الثانى هو الاول أى اتبع سببا من تلك الاسباب التى أوتيتها مما يوصله الى مقصوده وسمى سبحانه أبواب السماء أسبابا اذ منها يدخل الى السماء قال تعالى عن فرعون (لعلنى أبليغ الاسباب أسباب السموات) أى أبوابها التى أدخل منها اليها وقال زهير

ومن هاب أسباب المنايا ينلته ولو رام أسباب السماء بلم

وسمى الجبل سببا لايصاله الى المتصود قال تعالى (فليمدد بسبب الى السماء) قال بعض أهل اللغة السبب من الجبال القمى الطويل قال ولا يدعى الجبل سببا حتى يصعده وينزل ثم قيل لكل شئ وصلت به الى موضع أو حاجة تريد سبب يقال ما بينى وبين فلان سبب أى أسرة رحم أو عاطفة مودة وقد سمى تعالى وصل الناس بينهم أسبابا وهى التى يتسببون بها الى قضاء خواجهم بعضهم من بعض قال تعالى (اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) يعنى الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا وقال ابن عباس وأخاياه يعنى أسباب المودة الوصلات التى كانت بينهم فى الدنيا وقال ابن زيد هى الاعمال التى كانوا يؤملون أن يصلوا بها الى ثواب الله وقيل هى الارحام التى كانوا يتعاطفون بها وبالجملة فسمى الله سبحانه ذلك كله أسبابا لانها كانت يتوصل بها الى مسبباتها وهذا كله عند نقاة الاسباب مجاز لاحقيقة له وبالله التوفيق

فصل - الاصل الخامس أنه سبحانه حكيم لايفعل شأ عبثا ولا غير معنى ومصلحة وحكمة هى الغاية المتصودة بالفعل بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لاجلها فعل كما هى ناشئة عن أسباب بها فعل وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا فى مواضع لا تكاد تحصى ولا سبيل الى استيعاب أفرادها فنذكر بعض أنواعها * النوع الاول التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله (حكمة بالغة) وقوله (وأمر بكذا لكذا كقوله) (ذلك تعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) وقوله (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) ينزل الامر بينهما لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) وقال (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وأن الله بكل شئ عليم) وقوله (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أريد الله) وقوله (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدر على شئ من فضل الله) وقوله (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه) وقوله (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أباحوا رسالات ربهم) أى ليعلموا بهذا الحفظ والرصد من تبليغ رسالاته فيعلم الله ذلك واقعا وقوله (وينزل من السماء ماء ليظهركم به وبريط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقوله (ويبطل الباطل) وقوله (وما جعلنا الله ولتطمئن قلوبكم به) وقوله (قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) وقوله (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب

ويرزاد الذين آمنوا ايماناً) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقوله (وأنزّلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وقوله (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولو الالباب) وقوله (ولقد أرسلنا رسالنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) وقوله (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) وقوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) وهذا في القرآن فان قيل اللام في هذا كله لام العاقبة كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقوله (وكذلك فتنا بعضهم بعضا ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) وقوله (ليجعل ما بيننا الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) وقوله (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة) وقوله (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ماههم مقترفون) فان ما بعد اللام في هذا ليس هو الغاية المطلوبة ولكن لما كان الفعل منتهيا اليه وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل وهى في الحقيقة لام العاقبة * فالجواب من وجهين * أحدهما ان لام العاقبة انما تكون في حق من هو جاهل أو هو عاجز عن دفعها فالاول كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) والثانى كقول الشاعر

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب

وأما من هو بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير فيستحيل في حقه دخول هذه اللام وانما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة * الجواب الثانى افراد كل موضع من تلك المواضع بالجواب أما قوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) فهو تعليل لقضاء الله سبحانه بالتقاطه وتقديره له فان التقاطهم له انما كان بقضائه وقدره فهو سبحانه قدر ذلك وقضى به ليكون لهم عدوا وحزنا وذكر فعلمهم دون قضائه لانه أبلغ في كونه حزنا لهم وحسرة عليهم فان من اختار أخذ ما يكون هلاكه على يديه اذا أصيب به كان أعظم لحزنه وغمه وحسرتة من أن لا يكون فيه صنع ولا اختيار فانه سبحانه أراد أن يظهر افعاله وقومه ولغيرهم من خلقه كمال قدرته وعلمه وحكمته الباهرة وان هذا الذى يذبح فرعون الابناء في طلبه هو الذى يتولى تربيته في حجره وبهتة باختياره وارادته ويكون في قبضته وتحت تصرفه فذكر فعلمهم به في هذا أبلغ وأعجب من أن يذكر القضاء والقدر وقد أعلمنا سبحانه ان أفعال عباده كلها واقعة بقضائه وقدره وأما قوله تعالى (وكذلك فتنا بعضهم بعضا ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فلا ريب ان هذا تعليل لفعله المذكور وهو امتحان بعض خلقه ببعض كما امتحن السادات والاشراف بالعبيد والضعفاء والموالى فاذا نظر الشريف والسيد الى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم أنف وحمى أن يسلم معه أو بعده ويقول هذا يسبقنى الى الخير والفلاح وأتخاف أنا فلو كان ذلك خيرا وسعادة ماسبقنا هؤلاء اليه فهذا القول منهم هو بعض الحكم والغاية المطلوبة بهذا الامتحان فان هذا القول دال على اباء واستكبار وترك الانقياد للحق بعد المعرفة التامة به وهذا وان كان علة فهو مطلوب لغيره والعلل الغائية تارة تطالب لنفسها وتارة تطالب لغيرها فتكون وسيلة الى مطلوب لنفسه وقول هؤلاء ما قالوه وما يترتب عليه هذا القول موجب لأنار مطلوبة للفاعل من اظهار عدله وحكمته وعزه وقهره وسلطانه وعظمته من يستحق

عطاءه وبحسن وضعه عنده ومنعه من يستحق المنع ولا يابق به غيره ولهذا قال تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون المنعم عليهم فيها من عليهم من بين من لا يعرفها ولا يشكر ربه عليها وكانت فتنة بعضهم ببعض لحصول هذا التمييز الذى ترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء .

فصل وأما قوله (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فهى على بابها وهى لام الحكمة والتعليل أخبر الله سبحانه أنه جعل ما ألقاه الشيطان فى أمانة الرسول حنة واختبار العبادة فافتتن به فريقان وهم الذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وعلم المؤمنون ان القرآن والرسول حق وان لقاء الشيطان باطل فآمنوا بذلك وأحببت له قلوبهم فهذه غاية مطلوبة مقصودة بهذا القضاء والقدر والله سبحانه جعل القلوب على ثلاثة أقسام مريضة وقاسية ومحبطة وذلك لانها إما أن تكون باسطة جامدة لا تلتين لاحق اعترافا واذعاناً أو لا تكون كذلك فالاول حال القلوب القاسية الحجرية التى لا تقبل ما يبت فيها ولا ينطبع فيها الحق ولا ترسم فيها العلوم الثاقفة ولا تلتين لاعطاء الاعمال الصالحة وأما النوع الثانى فلا يخلو إما أن يكون الحق ثابتاً فيه لا يزول عنه لقوته مع إسنه أو يكون ثابتاً مع ضعف وأحلال والثانى هو القلب المريض والاول هو الصحيح الخبت وهو جمع الصلابة والصفاء واللين فيصير الحق بصفائه ويشدد فيه بصلابته ويرحم الخلق بليته كما فى أثر مرقى القلوب آية الله فى أرضه فأحبها الى الله أصلها وأرقها وأصفها كما قال تعالى فى أصحاب هذه القلوب (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فهذا وصف منه للمؤمنين الذين عرفوا الايمان بصفاء قلوبهم واشتدوا على الكفار بصلابتها وتراحوا فى بينهم بليتها وذلك ان القلب عضو من أعضاء البدن وهو أشرف أعضائه وملكمها المطاع وكل عضو كاليد مثلاً إما أن تكون جامدة وباسطة لا تلتوى ولا تبطش أو تبطش بضعف فذلك مثل القلب القاسى أو تكون مريضة ضعيفة عاجزة ولضعفها ومرضاها فذلك مثل الذى فيه مرض أو تكون باطشة بقوة ولين فذلك مثل القلب العليم الرحيم فبالعلم خرج عن المرض الذى ينشأ من الشهوة والشبهة وبالرحمة خرج عن القسوة ولهذا وصف سبحانه من عدا أصحاب القلوب المريضة والقاسية بالعلم والايمان والاخبات فتأمل ظهور حكمته سبحانه فى أصحاب هذه القلوب وهم كل الامة فأخبر ان الذين أوتوا العلم علموا أنه الحق من ربهم كما أخبر أنهم فى التشابه يقولون آمنا به كل من عند ربنا وكلا الوصفين موضع شبهة فكان حفظهم منه الايمان وحفظ أبواب القلوب المنحرفة عن الصحة الاقتتان ولهذا جعل سبحانه احكام آياته فى مقابلة ما يلقى الشيطان بازاء الآيات المحكمات فى مقابلة التشابهات فالاحكام ههنا بمنزلة انزال المحكمات هناك ونسخ ما يلقى الشيطان ههنا فى مقابلة رد التشابه الى المحكم هناك والنسخ ههنا رفع ما ألقاه الشيطان لارفع ما شرعه الرب سبحانه وللنسخ معنى آخر وهو النسخ من افهام المخاطبين ما فهموه مما لم يرده ولا دل اللفظ عليه وان أوجه كما أطلق الصحابة النسخ على قوله (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) قالوا نسختها بقوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) الآية فهذا نسخ من الفهم لانسح للاحكم الثابت فان الحاسبة لاستلزام العقاب فى الآخرة ولا فى الدنيا أيضاً ولهذا عمهم بالحاسبة ثم أخبر بعدها أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ففهم

المؤاخذه التى هى المعاقبة من الآيه تحمى لها فوق وسما فرفع هذا المعنى من فهمه بقوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) الى آخرها فمذا رفع لفهم غير المراد من اللقاء الملك وذلك رفع لما ألقاه غير الملك في اسماعهم أو في التمنى وللنسخ معنى ثالث عند الصحابة والتابعين وهو ترك الظاهر اما بتخصيص عام أو بتقييد مطلق وهذا كثير في كلامهم جدا وله معنى رابع وهو الذى يعرفه المتأخرون وعاييه اصطلاحا وهو رفع الحكم بحملته بعد ثبوته بدليل رافع له فهذه أربعة معان للنسخ والاحكام له ثلاثة معان * أحدها الاحكام الذى في مقابلة المتشابه كقوله **منه** آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) والثانى الاحكام في مقابلة نسخ ما ياتى الشيطان كقوله فينسخ الله ما ياتى الشيطان ثم يحكم الله آياته وهذه الاحكام يعم جميع آياته وهو اثباتها وتقريرها وبيانها ومنه قوله (كتاب أحكمت آياته) * الثالث احكام في مقابلة الآيات المنسوخة كما بقوله السلف كثير اهذه الآيه محكمة غير منسوخة وذلك لان الاحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلة ما يلقى الشيطان في أميته ما يلقى المبلغ أو في سمع المبلغ فالحكم هنا هو المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من اشتباهه بغير المنزل وفصل منه ما ليس منه بإبطاله وتارة يكون في ابقاء المنزل واستمراره فلا ينسخ بعد ثبوته وتارة يكون في معنى المنزل وتأويله وهو تميز المعنى المقصود من غيره حتى لا يشتبه به والمقصود ان قوله ليجعل ما ياتى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض هى لام التعليل على بابها وهذا الاختبار والامتحان مظهر لمختلف القلوب الثلاثة فالقاسية والمریضة ظهر خبؤها من الشك والكفر والحجة ظهر خبؤها من الايمان والهدى وزيادة محبته وزيادة بغض الكفر والشرك والتفرد عنه وهذا من أعظم حكمة هذا اللقاء

فصل وأما اللام في قوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى بينة فلام التعليل على بابها فانها مذكورة في بيان حكمته في جمع أوليائه وأعدائه على غير معاد ونصرة أوليائه مع قتلهم ورفقهم وضعف عددهم وعدتهم على أصحاب الشوكة والعدد والحد والحديد الذى لا يتوهم بشر أنهم ينصرون عليهم فكانت تلك آية من أعظم آيات الرب سبحانه صدق بها رسوله وكتابه ليهلك بعدها من اختار لنفسه الكفر والعناد عن بينة فلا يكون له على الله حجة ويحيى من حى بالايمان بالله ورسوله عن بينة فلا يبقى عنده شك ولا ريب وهذا من أعظم الحكم ونظير هذا قوله (ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين)

(فصل) وأما اللام في قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة فهى على بابها للتعليل فانها ان كانت تعليلاً للفعل العبدى وهو ايماء بعضهم الى بعض فظاهر وعلى هذا فيكون عطفا على قوله غرورا فانه مفعول لاجله أى ليغروهم بهذا الوحى ولتصغى اليه أفئدة من ياتى اليه فيرضاه ويأمل بموجبه فيكون سبحانه قد أخبر بمقصودهم من الايماء المذكور وهو أربعة أمور غرور من يوحون اليه واصفاء أفئدتهم اليهم ومحبتهم لذلك وانفالمهم عنده بالافتراف وان كان ذلك تعليلاً لجملة سبحانه لكل نبى عدوا فيكون هذا الحكم من جملة الغايات والحكم المطلوبة بهذا الجعل وهى غاية وحكمة مقصودة لغيرها لانها مفضية الى أمور هى محبوبة مطلوبة للرب سبحانه وفوائدها يستلزم فوات ما هو أحب اليه من حصولها وعلى التقديرين فاللام لام التعليل والحكمة

(فصل) النوع الثالث الاتيان بكى الصريحة في التعليل كقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم فليل سبحانه تسمية الفى بين هذه الاصناف كى لا يتداوله الاغنياء دون الفقراء والاقوياء دون الضعفاء وقوله سبحانه (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فأخبر سبحانه انه قدر ما يصيبهم من البلاء فى أنفسهم قبل أن يبرأ الانفس أو المصيبة أو الارض أو المجموع وهو الاحسن ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وانه يسير عليه وحكمته البالغة التى منها أن لا يحزن عباده على ما فاتهم اذا علموا ان المصيبة فيه بقدره وكتابته ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم النيات فلم يأسوا عليه ولم يفرحوا بالخاصل لعلمهم ان المصيبة مقدرة فى كل ماعلى الارض فكيف يفرح بشئ قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه ولما كانت المصيبة تتضمن فوات محبوب أو خوف فواته أو حصول مكروه أو خوف حصوله به بالأسى على الفاتئ على مفارقة المحبوب بعد حصوله وعلى فوته حيث لم يحصل وبه بعدم الفرح به اذا وجد على توطين النفس لمفارقته قبل وقوعها وعلى الصبر على مرارتها بعد الوقوع وهذه هى أنواع المصائب فاذا تيقن العبد انها مكتوبة مقدرة وان ما أصابه منها لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه هانت عليه وخف حملها وأزهد منزلة الحر والبرد

(فصل) النوع الرابع ذكر المفعول له وهو علة للفعل المعمل به كقوله (وأزولنا اليك الكتاب نبينا لكل شئ وهدى ورحمة) ونسب ذلك على المفعول له أحسن من غيره كما صرح به فى قوله لنبيين للناس ما نزل اليهم وفى قوله (ولأنتم نعتى عليكم ولعلمكم تهتدون) فإتمام النعمة هو الرحمة وقوله (وما أهلكنا من قرية الا الهام منذرون ذكرى وما كنا ظالمين) وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكرى أى لاجل الذكر كما قال (فإنما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون) وقوله فالمفقيات ذكرنا عذرا أو نذرا أى للاعذار والانذار وقوله (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون) فهذا كله مفعول لاجله وقوله (انا صينا الماء صبا) الى قوله (متاعا ليكم ولأنعامكم) والمتاع واقع موقع التمتع كما يقع السلام موقع التسليم والعتاء موضع الاعطاء وأما قوله (يربكم البرق خوفا وطمعا) فيحتمل أن يكون من ذلك أى اخافة لكم واطمعا وهو أحسن ويحتمل أن يكون مفعول فعل محذوف أى فيرونها خوفا وطمعا فيكونان حالا وقوله (أو لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) الى قوله (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أى لاجل التبصرة والذكرى والفرق بينهما ان التبصرة توجب العلم والمعرفة والذكرى توجب الانابة والانقياد وبهما تم الهداية

(فصل) النوع الخامس الاتيان بان والفعل المستقبل بعدها تعليل لما قبله كقوله (أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقوله أن تقول نفس يا حسرتنا وقوله أن تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى ونظاره وفى ذلك طريقان أحدهما للكوفيين والمعنى ثلاثا تقولوا ولثلاثا تقول نفس والثانى للبصريين ان المفعول له محذوف أى كراهية أن تقولوا أو حذار أن تقولوا فان قيل كيف يستقيم الطريقان فى قوله تعالى أن تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى فانك ان

قدرت لئلا تضل احداهما لم يستقم العطف فتذكر احداهما عايه وان قدرت حذار أن تضل احداهما لم يستقم العطف أيضا وان قدرت ارادة أن تضل لم تصح أيضا * قيل هذا من الكلام الذى ظهور معناه مزيل للاشكال فان المقصود اذكار احداهما الاخرى اذا ضلت ونسيت فلما كان الضلال سببا للاذكار جعل محل موضع العلة كما تقول أعددت هذه الحشبة أن يميل الحائط فادع به فاما أعددتها للدعم للاميل وأعددت هذا الدواء أن أمرض فتداوى به ونحوه وهذا قول سيدويه والبصريين قال أصل الكوفة تقديره كى تذكر احداهما الاخرى ان ضلت فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله ففتحت أن قال القراء ومثله قوله ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى مضاه ليعجبني أن يعطى السائل ان سأل لانه انما يرجيه الاعطاء لا السؤال ومن ذلك قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فذكر سبحانه من حكم أخذ الميثاق عليهم أن لا يحتجوا يوم القيامة بغفلتهم عن هذا الامر ولا بتقليد الاسلاف ومنه قوله وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت فالضمير في به للقرآن وأن تبسل في محل نصب على أنه مفعول له أى حذار أن تسلم نفس الى الملكة والعذاب وترتن بسوء عملها

(فصل) النوع السادس ذكر ماهو من صرائع التعليل وهو من أجل كفوته من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقد ظنت طائفة ان قوله من أجل ذلك تعليل لقوله فأصبح من النادمين أى من أجل قتله لآخيه وهذا ليس بشئ لانه يشوش صحة النظم وتقل الفائدة بذكره ويذهب شأن التعليل بذلك للكتابة المذكورة وتعظيم شأن القتل حين جعل علة لهذه الكتابة فتأمل * فان قلت كيف يكون قتل أحد بنى آدم الاخر علة لحكمه على أمة أخرى بذلك الحكم واذا كان علة فكيف كان قاتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم * قلت الرب سبحانه يجعل أقضية واقداره عللا وأسبابا للشرع وأمره يفعل حكمه الكونى القدرى علة لحكمه الدينى الامرى وذلك ان القتل عنده لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد نغم أمره وعظم شأنه وجعل ثمة أعظم من اثم غيره ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الانفس كلها ولا يازم من التشبيه أن يكون المشبه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه فاذا كان قاتل الانفس كلها يضى النار وقاتل النفس الواحدة يصلها صاح تشبيه به كما يأنم من شرب قطرة واحدة من الخمر ومن شرب عدة قناطير وان اختلف مقدار الانم وكذلك من زنى مرة واحدة واخرى مرارا كثيرة كلاهما آثم وان اختلف قدر الانم وهذا معنى قول مجاهد من قتل نفسا واحدة يضى النار بقاتلها كما يصلها من قتل الناس جميعا وعلى هذا فالتشبيه في أصل العذاب لافى وصفه وان شئت قلت التشبيه في أصل العقوبة الدينية وقدرها فانه لا يختلف بقلة القتل وكثرته كما لو شرب قطرة فان حده حد من شرب راوية ومن زنى بامرأة واحدة حده حد من زنى بألف وهذا تأويل الحسن وابن زيد قال يجب عايه من القصاص بقاتلها مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ولك أن تجعل التشبيه في الاذى والغم الواصل الى المؤمنين بقتل الواحد منهم فقد جعلهم كلهم خصماء وأوصل اليهم من الاذى والغم ما يشبه القتل وهذا تأويل ابن الأنبارى وفي الآية تدويلات أخر

فصل النوع السابع التعليل باعل وهى في كلام الله سبحانه للتعليل مجردة عن معنى الترجى فانها انما يقر بها معنى الترجى اذا كانت من المخلوق واما في حق من لا يصح عليه الترجى فهى للتعليل المحض كقوله أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فقيل هو تعليل لقوله أعبدوا ربكم وقيل تعليل لقوله الذى خلقكم والصواب انه تعليل للامرين لشرعه وخلقه ومنه قوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقوله (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقوله (لعلكم) تذكرون لعله يذكر أو يحشى) فامل في هذا كله قد اخلاصت للتعليل والرجاء الذى فيها متعلق بالمخاطبين

فصل النوع الثامن ذكر الحكم الكونى والشرعى عقيب الوصف المناسب له وتارة يذكر بان وتارة يقر بانفاء وتارة يذكر مجردا فالاول كقوله (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تدركنى فردا وأنت خير الوارئين) فاستجباله ووهبته يحيى وأصلح حاله زوجه أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) وقوله (ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم أنهم كانوا قبل ذلك محسنين) وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وقوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لانضيع أجر المخلصين) والثاني كقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والثالث كقوله ان المتقين في جنات وعيون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم وهذا في التنزيل يزيد على عدة آلاف موضع بل القرآن ملوء منه فان قيل هذا انما يفيد كون تلك الافعال أسبابا لما رتب عليها لا يقتضى اثبات التعليل في فعل الرب وأمره فإن هذا من هذا قيل لما جعل الرب سبحانه هذه الاوصاف عللا لهذه الاحكام وأسبابا لما دل ذلك على انه حكم به شرعا وقدرنا لاجل تلك الاوصاف وانه لم يحكم بها لغير علة ولا حكمة ولهذا كان كل من نفى التعليل والحكم نفى الاسباب ولم يحكم الرب الكونى والدينى سببا ولا حكمة هى العلة الغائية وهؤلاء ينفون الاسباب والحكم ومن تأمل شرع الرب وقدره وحزاه جزم جزما ضروريا ببيان قول النفاة والله سبحانه قد رتب الاحكام على أسبابها وعللها وبين ذلك خبرا وحسا وفطرة وعقلا ولو ذكرنا ذلك على التفصيل لقام منه عدة أسفار

فصل النوع التاسع تعليله سبحانه عدم الحكم القدري والشرعى بوجود المانع منه كقوله (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خير بصير) وقوله وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون أى آيات الافتراح لا الآيات الدالة على صدق الرسل التي يقمها هو سبحانه ابتداء وقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أنجمي وعربي) وقوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) فاخبر سبحانه عن المانع الذى منع من انزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه وان حكمته وعنايته بخلقه منعت من ذلك فانه لو أنزل الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا لمعوجبوا

بالعبودية ولم ينظروا وايضا فانه جعل الرسول بشرا ليحكمهم اتفق عنه والرجوع اليه ولو جمعه ملكا
 فلما أن يدعه على هيئة الملائكة أو يجعله على هيئة البشر والاول يتبعهم من الثاني عنه والثاني لا يحصل
 مقصودهم اذ كانوا يقولون هو بشر لملك وقال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
 الا أن قالوا ائمت الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من
 السماء ملكا رسولا) فاخبر سبحانه عن المانع من انزال الملائكة وهو انه لم يجعل الارض مسكنا لهم
 ولا يستقرون فيها مطمئين بل يكون نزولهم لينفذوا أوامر الرب سبحانه ثم يرجون اليه ومن
 هذا قوله (وما معنا) أن نرسل بالآيات الآن كذب بها الاولون) فاخبر سبحانه عن حكمته في الامتناع
 من ارسال رسله بآيات الاقتراح والتشبهى وهى انها لا توجب الايمان فقد سأله الاولون فلما أوتوها
 كذبوا بها فاهلكوا فليس لهم مصالحة في الارسال بها بل حكمته سبحانه تبنى ذلك كل الاباء ثم نبه على
 ما أصاب ثمود من ذلك فانهم اقترحوا الناقة فلما أعطوا ما سألوا ظاهروا ولم يؤمنوا فكان في اجابتهم
 الى ما سألوا هلاكهم واستصالحهم ثم قال (وما نرسل بالآيات الا تخويفا) أى لاجل التخويف فهو
 منصوب نصب المفعول لاجله قال قتادة ان الله يخوف الناس بما شاء من آياته ليعلمهم يعتبون أو يذكرون
 أو يرجعون وهذا يعلم آياته التى تكون مع الرسل والتى تقع بعدهم في كل زمان فانه سبحانه لا يزال
 يتحدث لعباده من الآيات ما يخوفهم بها ويذكرهم بها ومن ذلك قوله (وقالوا لولا أنزل عليه آية
 من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى لا يعلمون حكمته تعالى
 ومصالحة عباده في الامتناع من انزال الآيات التى يقتربها الناس على الانبياء وليس المراد أن أكثر
 الناس لا يعلمون ان الله قادر فانه لم يتنازع في قدرة الله أحد من المقرين بوجوده سبحانه ولكن حكمته
 في ذلك لا يعلمها أكثر الناس

(فصل) النوع العاشر اخباره عن الحكم والغايات التى جعلها في خلقه وأمره كقوله (الذى جعل
 لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) وقوله (ألم
 نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
 النهار معاشا) الى قوله (وأنزلنا من المعصرات ماء تنحالا لنخرج به حبا ونباتا وجنت الفافا) وقوله (ألم
 نجعل الارض كفنا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسى شاخات وأسقيناكم ماء فراتا) وقوله (والله
 جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
 ومن أضواها وأوبارها وأشعارها أثانا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم
 سرايل تقيكم الحر وسرايل تقيكم بأسكم) وقوله (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قوله (متاعا لكم
 ولا تمائمكم) وقوله (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) وقوله (الله الذى
 خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الليل
 لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم النهار وسخر لكم الشمس والقمر دائمين وسخر لكم الليل
 والنهار) وقوله (الله الذى سخر البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتقوا من فضله ولعلكم تشكرون)
 الى أضاعاف أضاعاف ذلك في القرآن مما يفيد من له أدنى تأمل التطلع بانه سبحانه فعل ذلك للحكم
 والمصالح التى ذكرها وغيرها مما لم يذكره وقوله (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال

يوتا ومن اشجر وما يمشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقوله (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم بما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) وقوله (والانعام خالقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها حال حين تريحون وحين ترححون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والجيل والبالغ والحير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) فهل يستقيم ذلك ويصح فيمن لا يفعل الحكمة ولا مصلحة ولا غاية هي مقصودة بالفعل ومعلوم بالضرورة ان هذا الالتهاب وهذا النفي متقابلان أعظم التقابل

فصل النوع الحادى عشر انكاره سبحانه على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا الحكمة كقوله (أخسبتم انما خلقناكم عبثا) وقوله (أحسب الانسان أن يترك سدى) وقوله (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عين ما خلقناهما الا بالحق) والحق هو الحكم والغايات المأمورة الى لاجلها خلق ذلك كله وهو أنواع كثيرة منها أن يعرف الله تعالى بلسانه وصفاته وأفعاله وآياته ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر ويطاع ومنها أن يأمر وينهى ويشعر الشرائع ومنها أن يدبر الامر ويبرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات ومنها أن يثيب ويعاقب فيجازى الحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فيوجد أثر عدله ونصائه موجودا مشهودا فيحمد على ذلك ويشكر ومنها أن يعلم خلقه انه لا إله غيره ولارب سواه ومنها أن يصدق الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيمينه ومنها ظهور آثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذنى والخرجى فيعلم عباده ذلك علما مطابقا لما في الواقع ومنها شهادة مخلوقاته كلها بانه وحده ربها وفاطرها ومليكمها وانه وحده إلهها ومعبودها ومنها ظهور أثر كماله المتقدس فى الخلق والصنع لازم كماله فانه حتى قدبر ومن كان كذلك لم يكن الاطلا مختارا ومنها أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذى يليق به ومحبة على الوجه الذى تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة ومنها انه سبحانه يحب أن يوجد ونعم ويعفو ويغفر ويسامح ولا بد من لوازم ذلك خلقا وشرعا ومنها أنه يحب أن يثى عليه ويمجد ويمجد ويسبح ويعظم ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحديته وإلهيته الى غير ذلك من الحكم التى تضمها الخلق لخلق مخلوقاته بسبب الحق ولاجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو في نفسه حق فصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أثنى على عباده المؤمنين حيث زهوه عن إيجاد الخلق الاثنى رلا غاية فقال تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) وأخبر ان هذا خلق أعدائه لأطن أولياءه فقال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك من الذين كفروا) وكيف يتوهم انه عرفه من يقول انه لم يخلق الحكمة مطلوبه ولا أمر الحكمة ولاهى الحكمة وانما يصدر الخلق والامر عن مشيئة وقدرة محضة للحكمة ولا غاية مقصودة وهل هذا الا انكار حقيقة حمده بل الخلق والامر انما قام بالحكم والغايات فهما مظهران بحمده وحكمته انكار الحكمة انكار حقيقة خلقه وأمره فان الذى أثبت المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبته اليه فانهم أثبتوا خلقا وأمرالارحة فيه ولا مصلحة ولا حكمة بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بها لامصلحة للمكلف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز

عندهم أن يأمر بكل ما نهي عنه وينهى عن جميع ما أمر به ولا يفرق بين هذا وهذا الجبرد الامر والنهي ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفة عين بل أفنى عمره في طاعته وشكره وذكره وينعم على من لم يعطه طرفة عين بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والتجور فلا سبيل الى أن يعرف خلاف ذلك منه الا بتجريح الرسول والافهوا جائز عليه وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور بل هذا هو عين الظلم الذي يتعالى الله عنه والعجب العجيب أن كثيرا من أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ولعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تحسيم وتشبيه ولا ينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون انه عدل وحق وان التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الا بانكار استوائه على عرشه وعلوه فوق سمواته وتكلمه وتكليمه وصفات كاله فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا النفي وذلك الامنيات والله ولي التوفيق

(فصل) النوع الثاني عشر انكاره سبحانه أن يسوى بين المختلفين أو يفرق بين المتماثلين وان حكمته وعدله يأبى ذلك اما الاول فكتة وله (أن يجعل المسامين كالجبر من مالكم كيف تحكمون) فاخبر ان هذا حكم باطل جائز يستحيل نسبته اليه كما يستحيل نسبة الفقر والحاجة والظلم اليه ومنكرو الحكمة والتعالي يجوزون نسبة ذلك اليه بل يقولون بوقوعه وقال تعالى (أم يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفسدين في الارض أم يجعل المتقين كالفجار) وقال (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فجعل سبحانه ذلك حكما سيئا يتعالى ويتقدس عن أن يجوز عينه فضلا عن أن ينسب اليه بل أبغ من هذا انه أنكر على من حسب أن يدخل الجنة بغير امتحان له وتكليف يبين به صبره وشكره وان حكمته تأبى ذلك كما قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) وقال (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) فانكر عليهم هذا الظن والحسبان لمخالفته لحكمته وأما الثاني وهو أن لا يفرق بين المتماثلين فكقوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وقوله (والؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقوله (المتافقون والمتفقات بعضهم من بعض) وقوله (فاستجاب لهم ربهم اني لأصبع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض) وقوله (ولما بلغ أشدهم آيينا حكما وعاما وكذلك نجزي المحسنين) وقوله (أكفراركم خيرا من أولائكم) وقوله (دمر الله عليهم ولا كفار من أمثالها) وقوله (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا نتجد لسننتنا تحويلا) وقوله (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقوله (سنة الله التي قد خلت من قبل) فسمته سبحانه عادته المعلومة في أوليائه وأعدائه بأكرام هؤلاء واعزازهم ونصرتهم واهانة أولئك وإزلالهم وكتبهم. وقال تعالى (ان الذين يجادلون الله ورسوله كتبوا ككبت الذين من قبلهم) والقرآن ملأه من هذا فيغير تعالى ان حكم الشيء في حكمته وعدله حكم نظيره ومثاله ضد حكم مضاده ومخالفه وكل نوع من هذه

الانواع لو استوعبناه جاء كتابا مفردا

فصل النوع الثالث عشر أمره سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه وفي أوامره ونواهيه وزواجره ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة والمواقب الحميدة التى هى محل الفكر لما كان للتفكر فيه معنى وانما دعاهم الى التفكير والتدبر ليطلعهم ذلك على حكمته البالغة ونما فيه من الغايات والمصالح المحمودة التى توجب لمن عرفها اقراره بأنه تنزيل من حكم حديد فلو كان الحق ما يقوله النفاة وان مرجع ذلك وتصوره مجرد القدرة والمشيئة التى يجوز عليها تأييد الكاذب بالمعجزة ونصره واعلاؤه واهانة الحق واذلاله وكسره لما كان في التدبر والتفكر مما يدلهم على صدق رساله وقيم عليهم حجتهم وكان غاية ما دعوا اليه انقدر الحُضْ وذلك مشترك بين الصادق والكاذب والبر والفاجر فهؤلاء بانكارهم الحكمة والتعليل سدوا على نفوسهم باب الايمان والهدى وفتحوا عليهم باب المكابرة وجحد الضروريات فان ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والامر والغايات الحميدة أمر تشهد به الفطر والعقول ولا ينكره سلب الفطرة وهم لا ينكرون ذلك وانما يقولون وقع بطريق الاتفاق لا بالقصد كما تسقط خشبة عظيمة فيتنفق عبور حيوان مؤذنتها قهلا ولا ريب ان هذا ينفي حمد الرب سبحانه على حصول هذه المنافع والحكم لانها لم تحصل بقصده وارادته بل بطريق الاتفاق الذى لا يحمد عليه صاحبه ولا يثنى عليه بل هو عندهم بمثابة ما لو رمى رجل درهما للبغرض ولا لفائدة بل لجرد قدرته ومشيئته على طرحه فاتفق أن وقع في يد محتاج انتفع به فهذا من شأن الحكم والمصالح عند المنكرين

فصل النوع الرابع عشر اخباره عن صدور الخلق والامر عن حكمته وعلمه فيذكر مآخذ الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه تبييناً على أنهما انما صدرتا عن حكمته مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام لقوله (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) وقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) فذكر العزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والعلم وقوله (والسارق والسارقة فاقضوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) وسمع بعض الاعراب قارئاً يقرأها والله غفور رحيم فقال ليس هذا كلام الله فقال انكذب بالقرآن فقال لا ولكن لا يخفى هذا فرجع القارئ الى خطبته فقال عزيز حكيم فقال صدقت واذا تأملت ختم الآيات بالاسماء والصفات وجدت كلامه مختتماً بذكر الصفة التى يقتضيها ذلك المقام حتى كأنها ذكرت دليلاً عليه وموجبة له وهذا كقوله (ان مذهبهم فأنهم عبادة) وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) أى فان مغفرتك لهم مصدر عن عزة هى كمال القدرة لاعن عجز وجهل وقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) في عدة مواضع من القرآن يذكر ذلك عقيب ذكره الاحرام العلوية وما تضمنه من فلق الاصباح وحمل الليل مسكنا واجراء الشمس والقمر بحسب لا يعدوانه وترتيب النماء الدنيا بالنجوم وحراستها وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه ليس أمرا اتفاقيا لا يدمج به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الامور الاتفاقية ومن هذا ختمه سبحانه قصص الانبياء وأهمهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة (وان ربك هو العزيز الرحيم) فان ما حكم به لرسله واتباعهم ولاعدائهم صادر عن عزة ورحمة فوضع الرحمة في محلها واتمم من أعدائه بعزته ونجى رسله واتباعهم برحمته والحكمة

الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود وهى غاية النعل زأنها أمر اتماق

(فصل) النوع الخامس عشر اخباره بان حكمه أحسن الاحكام وتقديره أحسن التقادير ولولا مطابقته للحكمة والصلحة المقصودة المرادة لما كان كذلك اذ لو كان حسنه لكونه مقدورا معلوما كما يقوله الثناة لكان هو ووضده سواء فانه بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير فكان كل معلوم مقدور أحسن الاحكام وأحسن التقادير وهذا تمتع قال تعالى ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن فجعل هذا أن يختار لهم دينا سواء ويرضى دينا غيره كما تمتع عليه العيب والظلم وقال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً) وقال (اننى من المسلمين) وقال (فقد رنا ندم القادرون) وقال (فتبارك الله أحسن الخالقين) فلا أحسن من تقديره وخلقه لوقوعه على الوجه الذى اقتضته حكمته برحمته وعلمه وقال تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ولولا بحبسه على أكمل الوجوه وحسنها ومطابقها للغايات المحمودة والحكم المطلوبة لكان كله متناوئا أو كان عدم تفاوته أمرا اتفاقيا لا يحمده فاعله لانه لم يردده ولم يقصده وانما اتفق ان صار كذلك

(فصل) النوع السابع عشر اخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه أحدهما قوله حاكيا عن نبيه هود (انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) والثانى قوله (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أيقابو جهة لايات بخير هل يستوى هو ومن ياءر بالبدل وهو على صراط مستقيم) قال أبو اسحاق أخبر أنه وان كانت قدرته تتاهم بما شاء فهو لا يشاء الا العدل قال ابن الانبارى لما قال الا هو آخذ بناصيتها كان في معنى لا يخرج عن قبضته قاهر بعظيم سلطانه كل دابة فاتبع ذلك قوله (ان ربي على صراط مستقيم) أى انه على الحق قال وهذا نحو كلام العرب اذا وصفوا رجلا حسن السيرة والعدل والانصاف قالوا فلان طريقه حسنة وليس ثم طريق وذكر في معنى الآية أقوال أخر هى من لوازم هذا المعنى وآثاره كقول بعضهم ان ربي يدل على صراط مستقيم فدلالته على الصراط من موجبات كونه في نفسه على صراط مستقيم فان تلك الدلالة والتعريف من تمام رحمته واحسانه وعدله وحكمته وقال بعضهم معناه لا يخفى عليه شئ ولا يعدل عنه هارب وقال بعضهم المعنى لا مسلك لاحد ولا طريق له الا عليه كقوله (ان ربك بالمرصاد) وهذا المعنى حق ولكن كونه هو المراد بالآية ليس بالبين فان الناس كلهم لا يسلكون الصراط المستقيم حتى يقال أنهم يعدلون سلوكه اليه ولما أراد سبحانه هذا المعنى قال الينا مرجعهم ان ربك بالمرصاد وان الى ربك المنتهى وأما وصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم فهو كونه يقول الحق ويفعل الصواب فكلاماته صدق وعدل كانه صواب وخير والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فلا يقول الا ما يحمده عليه لكونه حقا وعدلا وصدقا وحكمة في نفسه وهذا معروف في كلام العرب قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

أمير المؤمنين على صراط اذا اوج الموارد مستقيم

واذا عرف هذا فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفعل شأ الا بحكمة يحمدها عليها وغاية هى

أولى بالأرادة من غيرها فلا تخرج أفعاله عن الحكمة والمصاحبة والاحسان والرحمة والعدل والصواب كما لا تخرج أقواله عن العدل والصدق

(فصل) النوع السابع عشر حمده سبحانه لنفسه على جميع ما يفعله وأمره عبادته بحمده وهذا لما في أفعاله من الغايات والعواقب الحميدة التي يستحق فاعلها الحمد فهو يحمده على نفس الفعل وعلى قصد الغاية الحميدة به وعلى حصولها فهنا ثلاث أمور ومنكرو الحكم والتعليل ليس عندهم محمود على قصد الغاية ولا على حصولها إذ قصدها عندهم مستحيل عليه وحصولها عندهم أمر اتفاقي غير مقصود كما صرحوا به فلا يحمده على ما لا يجوز قصده ولا على حصوله فلم يبق الانفس الفعل ومعلوم أن الفاعل لا يحمده على فعله أن لم يكن له فيه غاية مطلوبة هي أولى به من عدمها والاف مجرد الفعل الصادر عن الفاعل إذا لم يكن له غاية يقصده بها لا يحمده عليه بل وقوع هذا الفعل من القادر المختار الحكيم محال ولا يقع الفعل على هذا الوجه إلا من عائب والله منزّه من العيب فحمده سبحانه من أعظم الأدلة على كمال حكمته وقصده بما فعل يقع خلفه والاحسان إليهم ورحمتهم وإتمام نعمته عليهم وغير ذلك من الحكم والغايات التي تعطيلها تعطيل حقيقة حمده

(فصل) النوع الثامن عشر أخباره بأنعامه على خلقه وإحسانه إليهم وأنه خلق لهم ما في السموات وما في الأرض وأعطاهم السمع والابصار والأفئدة ليم نعمته عليهم ومعلوم أن المنعم الحسن لا يكون كذلك ولا يستحق هذا الاسم حتى يقصده الأنعام على غيره والاحسان إليه قالو لم يفعل سبحانه لغرض الأنعام والاحسان لم يكن منعمًا في الحقيقة ولا محسنًا إذ يستحيل أن يكون كذلك من لم يقصد الأنعام والاحسان وهذا غنى عن التقرير يوضحه أنه سبحانه حيث ذكر أنعامه وإحسانه قائمًا يذكره مقرونًا بالحكم والمصالح والمنافع التي خلق الخلق وشرع الشرائع لأجلها كقوله في آخر سورة النحل والله جعل لكم ما خاف ظلالًا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرائيل تقيمكم الحر وسرايل تقيمكم بأسمكم كذلك يمت نعمته عليكم لعلكم تسامون فهذا في الخلق وقال في التمرع في أمره باستقبال الكعبة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوههم واخشون ولا تهم بعمى عليكم وعلكم تهتدون وقال في أمره بالوضوء والتميم ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون فجعل تمام نعمته في أن خلق ما خلق للاحسان وأمر بما أمر لذلك

(فصل) النوع التاسع عشر اتصافه بالرحمة وأنه أرحم الراحمين وإن رحمته وسعت كل شيء وذلك لا يتحقق إلا بأن تقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم وبما أمرهم به فلم تكن أو أمره لأجل الرحمة والحكمة والمصاحبة وأرادة الاحسان إليهم لما كان رحمة ولو حصلت بها الرحمة لكانت اتفاقية لا مقصودة وذلك لا يوجب أن يكون الأمر سبحانه أرحم الراحمين فتعطيل حكمته والغاية المقصودة التي لأجلها يفعل إنكار لرحمته في الحقيقة وتعطيل لها وكان شيخ هذا المذهب جهل بن صفوان يقف على الجنامي ويشاهد ما هم فيه من البلايا ويقول أرحم الراحمين يفعل مثل هذا يعني أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة وإن الأمر راجع إلى محض المشيئة الخالية عن الحكمة والرحمة ولا حكمة

عنده ولا رحمة فان الرحمة لا تعقل الا من فعل من يفعل الشئ لرحمة غيره ونقمة والاحسان اليه فاذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة لم يفعل الرحمة والاحسان

فصل النوع العشرون جوابه سبحانه لمن سأل عن التخصيص والتميز الواقع في أفعاله بانه حكمته يعلمها هو سبحانه وان كان السائل لا يعلمها كما أحب الملائكة لما قال لهم (انى جاعل في الارض خليفة) فقالوا (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فأجابهم بقوله (انى أعلم ما لا تعلمون) ولو كان فعله مجردا عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم به ان سألوا هذا السؤال ولم يصح جوابهم بتفرده بعلم ما لا يعلمونه من الحكم والمصلحة التى فى خلق هذه الخليفة ولهذا كان سؤالهم انما وقع عن وجه الحكمة لم يكن اعتراضا على الرب تعالى ولو قدر أنه على وجه الاعتراض فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شئ الا لحكمة فلما رأوا ان خلق هذا الخليفة مناف للحكمة فى الظاهر سألوه عن ذلك ومن هذا قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نأتى مثل ما أتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته فاجابهم بان حكمته وعلمه يأبى أن يضع رسالته فى غير محله وعند غير أهلها ولو كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم يكن فى هذا جوابا بل كان الجواب ان أفعاله لا تعمل وهو يرجح مثلا على مثل بغير مرجح والامر عائد الى مجرد القدرة كما يقوله المنكرون وكذلك قوله (وكذلك فتنا بعضهم لبعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) فلما سألوا عن التخصيص بمشيئة الله وأنكروا ذلك أجيبوا بان الله أعلم بمن يصاح لمشيئته وهو أهل لها وهم الشاكرون الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون عليها المنعم فمؤلا يصاحون لمشيئته ولو كان الامر عائدا الى محض المشيئة لم يحسن هذا الجواب ولهذا يذكر سبحانه حكمة العلم حيث يذكر التخصيص والتفصيل بينهما على انه انما حصل بعلمه سبحانه بما فى التخصيص المفصل مما يقتضى تخصيصه وتفصيله وهو الذى جعله أهلا لذلك كما قال تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين) فذكر علمه عقيب ذكر تخصيصه سليمان بتسخير الريح له وتخصيصه الارض المذكورة بالبركة ومنه قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد) ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم) فذكر صفة العلم التى اقتضت تخصيص هذا المكان وهذا الزمان بأمر اختصاص به دون سائر الامكنة والازمنة ومن ذلك قوله سبحانه (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما) فأخبر أنه وضع هذه الكلمة عند أهلها ومن هم أحق بها وأنه أعلم بمن يستحقها من غيرهم فهل هذا وصف من يخص بمحض المشيئة لاسباب وغاية

فصل النوع الحادى والعشرون اخباره سبحانه عن تركه بعض مقدوره لما يستلزمه من المفسدة وان المصلحة فى تركه ولو كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم يكن ذلك علة لاجل تركه كقوله تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) فكل سبحانه عدم اسماعهم الصم البكم الذى يتشبهون به وهو سماع الهم بأنهم لا خير فيهم يحسن معه أن يسمعهم وبأن فهمهم ما لنا آخر يمنع من الانتفاع بالمسموع لو سمعوه وهو الكبر

والاعراض فالاول من باب تعليل عدم الحكم بعدم ما يقتضيه والثانى من باب تعليله بوجود مانعه وهذا انما يصح بمن يأمر وينهى ويفعل للحكم والمصالح وأما من مجرد فعله عن ذلك فانه لا يضاف عدم الحكم الا الى مجرد مسببه فقط ومن هذا تزيمه نفسه عن كثير مما يقدر عليه فلا يشمله لمنافاته لحكمته وحده كقوله تعالى (ما كان الله ليلز المؤمنين على ما أتمم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليعطاكم على الغيب) وقوله (وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون) وقوله (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون) وقوله (وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو آياتنا) فتره نفسه عن هذه الافال لانه لا يليق بكماله وبنافي حكمته وحده وعند انتفاء أنها ليست مما يتره الرب عنه لانها مقدورة له وهو انما يتره عما لا يقدر عليه ولكن علمنا انها لا تقع لعدم مسببه لها لا لقبحها في نفسها

فصل ١٢ — النوع الثانى والعشرون ان تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفاعل اما ان يكون لعدم علم الفاعل بها او تفادها وهذا محال في حق من هو بكل شئ عليم واما لمجزه عن تخصيصها وهذا يتمتع في حق من هو على كل شئ قدير واما لعدم ارادته ومشيئته الاحسان الى غيره وايصال النفع اليه وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين ومن احسانه من لوازم ذاته فلا يكون الاحسانا منعنا مانا واما لما منع يمنع من ارادتها وقصدها وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد واما لاستازامها نقضا ومنافاتها كلا وهذا باطل بل هو قاب للحقائق وعكس للنظر ومناقضة لقضايا العقول فان من يفعل الحكمة وغاية مطلوبة يحمدها عليها أكمل ممن يفعل اللئى البتة كما ان من يخاف أكمل ممن لا يخاف ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ومن يقدر ويريد أكمل ممن لا يتصرف بذلك وهذا مركز في النظر مستقر في العقول ففي حكمته بمنزلة نفي هذه الاوصاف عنه وذلك يستلزم وصفه باضدادها وهى أقص النقائص ولهذا صرح كثير من الثقات كالجوينى والرازى بانه لم يرق على نفي النقائص عن الله دليل عقلى الا مستند بالنفي السمع والاجماع وحديث فيقال لهؤلاء ان لم يكن في اثبات الحكمة نقص لم يحز نفيها وان كانت نقضا فإني في السمع أو في الاجماع نفي هذا النقص وجهور الامة ثبت حكمته سبحانه والغايات المحمودة في أفعاله فليس مع انتفاء سمع ولا عقل ولا اجماع بل السمع والعقل والاجماع والظرة تشهد بطلان قولهم والله الموفق للصواب وجماع ذلك ان كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته وعدله ورحمته وقدرته واحسانه وحده ومجده وحقائق اسمائه الحسنى تمتع كون أفعاله صادرة منه للحكمة وللاغاية مطلوبة وجميع اسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد بطلانه وانما نبهنا على بعض طرق القرآن والاقتدالة التى تضمنها اثبات ذلك اضعاف اضعاف ما ذكرنا وبالله اتوفيق

فصل ١٣ — وكيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك وهذا الوجود شاهد بحكمته وغاياته بخلقه أتم غاية وما في مخلوقاته من الحكم والمصالح والمنافع والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة أعظم من أن يحيط به وصف أو يحصره عقل ويكفى الانسان فكره في نفسه وخلقته وأعضائه ومنافعها وقواه وصفاته وهياته فانه لو استغنى عمره لم يحيط علما بجميع ما تضمنه خلقه من الحكم والمنافع على التفصيل والعالم كله عليه وسفليه بهذه المثابة ولكن لشدة ظهور الحكمة ووضوحها وجد الجاحد

السبيل الى انكارها وهذا شأن النفوس الجاهلة الظالمة كما أنكرت وجود الصانع تعالى مع فرط ظهور آياته ودلائل ربوبيته بحيث استوعبت كل موجود ومع هذا فسمحت بالمكابرة في انكاره وهكذا أدلة علوه سبحانه فوق مخلوقاته مع شدة ظهورها وكثرة سمحت نفوس الجهمية بانكارها وهكذا سواها كصدق أنبيائه ورساله ولا سيما خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه فإن أدلة صدقه في الوضوح للعقول كالشمس في دلائلها على النهار ومع هذا فلم يأنف الجاحدون والمكابرون من الانكار وهكذا أدلة ثبوت صفات الكمال لمعطى الكمال هي من أظهر الاشياء وأوضحها وقد أنكرها من أنكرها ولا يستكر هذا فانك تجد الرجل منعسا في النعم وقد أحاطت به من كل جانب وهو يشكى حاله ويسخط مما هو فيه وربما أنكر النعمة فضلال النفوس وغيرها لاحدلة تنتهى اليه ولا سيما النفوس الجاهلة الظالمة ومن أعجب العجب ان تسمح نفس بانكار الحكم والعمل الغائية والمصالح الى تضمنتها هذه الشريعة الكاملة التي هي من أدل الدلائل على صدق من جاءها وأنه رسول الله حقا ولوم يأت بمعجزة سواها لكانت كافية شافية فان ما تضمنته من الحكم والمصالح والغايات الحميدة والعواقب السديدة شاهدة بان الذى شرعها وأزهلها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وشهود ذلك في تضاعيفها ومضمونها كشهود الحكم والمصالح والمنافع في المخلوقات العلوية والسفلية وما بينهما من الحيوان والنبات والعناصر والآثار التي بها انتظام مصالح المعاش فكيف يرضى أحد لنفسه انكار ذلك وجحده وان تحمل واستحى من العقلاء قال ذلك أمر اتفاق غير مقصود بالامر والخلق وسبحان الله كيف يستجيز أحد أن يظن برب العالمين وأحكم الحاكمين أنه يذب كثيرا من خلقه أشد العذاب الابدى لغير غاية ولا حكمة ولا سبب وانما هو محض مشيئة مجردة عن الحكمة والسبب فلا سبب هناك ولا حكمة ولا غاية وهل هذا الا من أسوأ الظن بالرب تعالى وكيف يستجيز أن يظن بربه أنه أمر ونهى وأباح وحرم وأحب وكره وشرع الشرائع وأمر بالحدود والحكمة ولا مصلحة يقصدها بل ما ثم الا مشيئة محضة رجحت مثلا على مثل بغير مرجح وإى رحمة تكون في هذه الشريعة وكيف يكون المبعوث بها رحمة مهداة للعالمين لو كان الامر كما يقول النفاة وهل يكون الامر والنهى الا عقوبة وكلفة وعبء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالا من حكمة الله في خلقه وأمره لزد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا ونقص عقولنا ومعارفنا وتلاشينا وتلاشى علوم الخلاق جميعهم في علم الله كتلاشى ضوء السراج في عين الشمس وهذا تقريب والا فالامر فوق ذلك وهل ابطاله الحكم والمناسبات والافاضات التي شرعت الاحكام لاجلها الا بطلان للشرع جملة وهل يمكن فقيها على وجه الارض أن يتكلم في الفقه مع اعتقاده بطلان الحكمة والمناسبة والتعليل وقصد الشارع بالاحكام مصالح العباد وجناية هذا القول على الشرائع من أعظم الجنايات فان العقلاء لا يمكنهم انكار الاسباب والحكم والمصالح والعمل الغائية فاذا رأوا ان هذا لا يمكن القول به مع موافقة الشرائع ولا يمكنهم رفعه عن نفوسهم خلوا الشرائع وراء ظهورهم وأسأوا بها الظن وقالوا لا يمكننا الجمع بينها وبين عقولنا ولا سبيل لنا الى الخروج عن عقولنا ورأوا ان القول بالفاعل المختار لا يمكن الا مع نفى الاسباب والحكم والقوى والطبائع ولا سبيل الى فنيها فنقلوا النافع وأولئك لم يمكنهم القول بنفى الفاعل المختار ورأوا انه لا يمكنهم اثباته مع اثبات الاسباب والحكم والقوى

والعلل فنفيها وبين الطائفتين بعد المشرقين ولا تستهن بامر هذه المسئلة فان شأنها أعظم وخطرها أحل وفروعها كثيرة ومن فروعها أنهم لما تكلموا فيما يحدثه الله تعالى من المطر والنبات والحيوان والحر والبرد والليل والنهار والاهلال والابدال والكسوف والاستمرار وحوادث الجو وحوادث الارض انقسموا قسمين وصاروا طائفتين فطائفة جعلت الموجب لذلك مجرد مارأوه علة وسببا من الحركات الفلكية والقوى الطبيعية والنفوس والعقول فليس عندهم لذلك فاعل مختار مريد وقابلهم طائفة من المتكلمين فلم يسيبوا لذلك سببا الا مجرد المشيئة والقدرة وان الفاعل المختار يرجح مثلا على مثل بلامرجح ولا سبب ولا حكمة ولا غاية يفعل لاجلها ونفوا الاسباب والقوى والطبائع والقرائن والحكم والغايات حتى يقول من أثبت الجوهر الفرد منهم أن الفلك والرحا ونحوهما ما يدور متفكك دائما عند الدوران والقادر المختار يميده كل وقت كما كان وان الألوان والمقادير والاشكال والصفات تعدم على تعاقب الآتات والقادر المختار يميدها كل وقت وان ملوحة ماء البحر كل لحظة تعدم وتذهب ويميدها القادر المختار كل ذلك بلا سبب ولا حكمة ولا علة غائية ورأوا أنهم لا يمكنهم التخلص من قول الفلاسفة أعداء الرسل الا بذلك ورأى أعداء الرسل أنهم لا يمكنهم الدخول في الشريعة بالالتزام أصول هؤلاء ولم يمتد الطائفتان للحق الذي لا يجوز غيره وهو انه سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته وارادته وبفعل ما يفعله باسباب وحكم وغايات محدودة وقد أودع العالم من القوى والطبائع والغرائز والاسباب والمسببات ما به قام الخلق والامر وهذا قول جمهور أهل الاسلام وأكثر طوائف النظار وهو قول الفقهاء قاطبة الا من خلى الفقه ناحية وتكلم باصول النفاة فعمادى فقهه أصول دينه

الباب الثاني والعشرون

في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل وذكر الاجوبة عنها

قالت النفاة قد اجلبتم علينا بما استطعتم من خيل الادلة ورجلها فاسمعوا الآن ما يبطله ثم احيوا عنه ان أمكنكم الجواب فتقول ما قاله أفضل متأخريهم محمد بن عمر الرازي كل من فعل فعلا لاجل تحصيل مصلحة أولدفع مفسدة فان كان تحصيل تلك المصلحة أولى من عدم تحصيلها كان ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفعل تحصيل ذلك ومن كان كذلك كان ناقصا بذاته مستكملا بغيره وهو في حق الله محال وان كان تحصيلها وعدمه بالنسبة اليه سواء فع ذلك لا يحصل الرجحان فامتنع تحصيلها ثم أورد سؤالاً وهو لا يقال حصولها والاحصوها بالنسبة اليه وان كان على التساوى الآن حصولها للعبد أولى من عدم حصولها فلاجل هذه الاولوية العائدة الى العبد يرجح الله سبحانه الوجود على العدم ثم أجاب باننا نقول تحصيل تلك المصلحة وعدم تحصيلها له اما أن يكونا متساويين بالنسبة الى الله أولا يستويان وحينئذ يعود التقسيم المذكور قال المشتون الجواب عن هذه الشبهة من وجود أحدها أن قولك أن كل من فعل لغرض يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره ماتهني بقولك انه يكون ناقصا بذاته أتعني به أنه يكون عادما لشيء من الكمال الذي لا يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد أم تعني به أن يكون عادما لما ليس كمالا قبل وجوده أم تعني به معنى ثالثا

فإن غنيت الاول فالدعوى باطلة فانه لا يلزم من فقائه لغرض حصوله أولى من عدمه أن يكون عادما لشيء من الكمالات الواجب قبل حدوث المراد فانه يتمتع أن يكون كالا قبل حصوله وإن غنيت الثاني لم يكن عدمه نقضا فإن الغرض ليس كالا قبل وجوده وما ليس بكمال في وقت لا يكون عدمه نقضا فيه فما كان قبل وجوده عدمه أولى من وجوده وبعد وجوده وجوده أولى من عدمه لم يكن عدمه قبل وجوده نقضا ولا وجوده بعد عدمه نقضا بل الكمال عدمه قبل وقت وجوده ووجوده وقت وجوده وإذا كان كذلك فالحكم المطبوعة والغايات من هذا النوع وجودها وقت وجودها هو الكمال وعدمها حينئذ نقص وعدمها وقت عدمها كل وجودها حينئذ نقص وعلى هذا فالإثبات هو الذي نسب النقص الى الله الماثبت وإن غنيت به أمرا ثالثا فلا بد من يسهانه حتى تنظر فيه الجواب الثاني أن قولك يلزم أن يكون ناقضا بذاته مستكملا بغيره أتعنى به أن الحكمة التي يجب وجودها إما حصلت له من شيء خارج عنه أم تعنى أن تلك الحكمة نفسها غير له وهو مستكمل بها فإن غنيت الاول فهو باطل فانه لا رب غيره ولا خلق سواه ولم يستفد سبحانه من غيره كالا بوجه من الوجوه بل العالم كله إنما استفاد الكمال الذي فيه منه سبحانه وهو لم يستفد كاله من غيره كالم يستفد وجوده من غيره وإن غنيت الثاني فتلك الحكمة صفته سبحانه وصفاته ليست غيرا له فإن حكمته قائمة به وهو الحكيم الذي له الحكمة كما أنه العالم الذي له العلم والسميع الذي له السمع والبصير الذي له البصر فثبوت حكمته لا يستلزم استكماله بغير منفصل عنه كما أن كاله سبحانه بصفاته وهو لم يستفدها من غيره الجواب الثالث أنه سبحانه إذا كان إنما يفعل لأجل أمر هو أحب إليه من عدمه كان اللازم من ذلك حصول مراده الذي يحبه وفعله لأجله وهذا غاية الكمال وعدمه هو النقص فإن من كان قادرا على تحصيل ما يحبه وفعله في الوقت الذي يجب على الوجه الذي يجب فهو الكامل حقا لا من المحبوب له أو له محبوب لا يقدر على فعله الجواب الرابع أن يقال أنت ذكرت في كتابك أنه لم يبق على نفي النقص عن الله دليل عقلي وأثبت في ذلك الجوابي وغيره وقلتم إنما ينفي النقص عنه عز وجل بالسمع وهو الاجماع فلم تقوه عن الله عز وجل بالعقول ولا بنص منقول عن الرسول بل بما ذكرتموه من الاجماع وحينئذ فأنما ينفي بالاجماع ما انعقد الاجماع على نفيه والفعل بحكمة لم ينعقد الاجماع على نفيه فلم يجمع الأمة على انتفاء التعليل لأفعال الله فإذا سميت أنت ذلك نقصا لم تكن هذه التسمية موجبة لانعقاد الاجماع على نفيه فإن أهل الاجماع أجمعوا على نفي النقص وهذا نقص قيل نعم الأمة مجمعة على ذلك ولكن الشأن في هذا الوصف المعنى فهو نقص فيكون قد أجمعت على نفيه فهذا أول المسئلة والتأولون بإثباته ليس هو عندهم نقص بل هو عين الكمال ونفيه عين النقص وحينئذ فنقول في الجواب الخامس أن اثبات الحكمة كمال كما تقدم تقريره ونفيه نقص والأمة مجمعة على انتفاء النقص عن الله بل العلم بانتفائه عن الله تعالى من أعلى العلوم الضرورية المستقرة في فطر الخلق فلو كانت أفعاله معطاة عن الحكم والغايات المحمودة لزم النقص وهو محال ولزوم النقص من انتفاء الحكم أظهر في العقول والفطر والعلوم الضرورية والنظرية من لزوم النقص من اثبات ذلك وحينئذ فنقول في الجواب السادس النقص إما أن يكون جزئيا أو متماثا فإن كان جزئيا بطل دليلك وإن كان متماثا بطل دليلك أيضا فبطل الدليل على التقديرين الجواب السابع أن النقص منتف عن الله عز

وجل عقلا كما هو متفق عنه سماعا والعقل والنقل يوجب اتصافه بصفات الكمال والنقص هو ما يضاد صفات الكمال فالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكالام والحياة صفات كمال وأضدادها نقص فوجب تنزيه عنها لثباتها لكمالها وأما حصول ما يحبه الرب تعالى في الوقت الذي يحبه فانما يكون كالا اذا حصل على الوجه الذي يحبه فعدمه قبل ذلك ليس نقضا اذ كان لا يجب وجوده قبل ذلك الجواب الثامن أن يقال الكمال الذي يستحقه سبحانه وتعالى هو الكمال الممكن أو الممتنع فالاول مسلم والثاني باطل قطعا فلم قلت ان وجود الحادث في غير وقته الذي وجد فيه ممكن بل وجود الحادث في الازل ممتنع فعدمه لا يكون نقضا الجواب التاسع ان عدم الممتنع لا يكون كالا فان الممتنع ليس بشئ في الخارج وما ليس بشئ لا يكون عدمه نقضا فانه ان كان في المقدور ما لا يحدث الا شيئا بعد شئ كان وجوده في الازل ممتنعا فلا يكون عدمه نقضا وانما يكون الكمال وجوده حين يمكن وجوده * الجواب العاشر أن يقال انه تعالى أحدث أشياء بعد ان لم يكن محدثا لها كالحوادث المشهودة حتى أن القائلين بكون الفلك قديما عن علة موجبة يقرون بذلك ويقولون أنه يحدث الحوادث بواسطته وحينئذ فنقول هذا الاحداث اما ان يكون صفة كمال واما ان لا يكون فان كان صفة كمال فقد كان قافدا لها قبل ذلك وان لم يكن صفة كمال فقد اتصف بالنقص فان قلت نحن نقول بانه ليس صفة كمال ولا نقص قيل فهلا قلتم ذلك في التعليل وأيضا فهذا محال في حق الرب تعالى فان كل ما يضافه يستحق عليه الحمد وكل ما يقوم من صفاته فهو صفة كمال وضده نقص وقد ينافع النظر في القاعلية هل هي صفة كمال أم لا وجهور المسلمين من جميع الفرق يقولون هي صفة كمال وقالت طائفة ليست صفة كمال ولا نقص وهو قول أكثر الاشعية فاذا التزم له هذا القول قيل له الجواب من وجهين أحدهما ان من المعلوم تصریح العقل ان من يخلق أكمل من الخلق كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وهذا استفهام انكار يتضمن الانكار على من سوى الامرين يعلم ان أحدهما أكمل من الآخر قطعا ولا ريب أن تفضيل من يخلق على من لا يخلق في الفطر والعقول كتفضيل من يعلم على من لا يعلم ومن يقدر على من لا يقدر ومن يسمع ويبصر على من لا يسمع ولا يبصر ولما كان هذا مستقرا في فطر بنى آدم جعله الله تعالى من آله توحيدة وحججه على عباده قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه مزارقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستويون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وقال تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى (وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الخلل ولا الحرور وما يستوي الا الحياء ولا الاموات) وقال تعالى (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) فمن سوى بين صفة الخلقية وعدمها فلم يجعل وجودها كالا ولا عدمها نقضا فقد أبطل حجج الله وأدلة توحيدة وسوى بين ما جعل بينهما أعظم التفاوت وحينئذ فنقول في الجواب الحادي عشر اذا كان الامر كما ذكرتم فلم لا يجوز أن يفعل الحكمة يكون وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء كما أنه عندكم لم يحدث ما يحدثه مع كون الاحداث والخلق وعدمه بالنسبة اليه سواء مع ان هذه ارادة لا تعقل في

الشاهد فقولوا مثل ذلك في الحكمة وإن ذلك لا يعقل لاسيما والفعل عندكم غير معمول المتفصل
 فيجوزوا أيضا أن يفعل الحكمة متعصبة وأنهم إنما فهم ذلك فرارا من قيام الحوادث به ومن التسلسل
 فكذلك قولوا بنظر ذلك في الحكمة والذي يازم أولئك فهو نظير ما يازمكم سواء * الجواب الثاني
 عشر. أن يقال العقل الصريح يقضى بأن من لا حكمة لفعله ولا غاية يقصدها به أولى بالنقص ممن يفعل
 الحكمة كانت ممدومة ثم صارت موجودة في الوقت الذي اقتضت حكمته أحداث الفعل فيه فكيف
 يسوغ لعاقل أن يقول فعله لا للحكمة يستلزم النقص وفعله لا للحكمة لا تنقص فيه * الجواب الثالث عشر
 أن هؤلاء النفاة يقولون أنه سبحانه يفعل ما يشاء من غير اعتبار حكمة فيجوزون عليه كل ممكن
 حتى الأمر بالشرك والكذب والظلم والفواحش والنهي عن التوحيد والصدق والعدل والعقاب
 وحينئذ فنقول إذا جازت عليه هذه المراتد وليس في إرادتها نقص وهذا مراد فلا نقص فيه
 فتوهم من فعل شيء لشيء كان ناقصا بدونه قضية كلية ممنوعة العموم وعمومها أولى بالمتع من قول
 القائل من أكرم أهل الجهل والظلم والفساد وأهان أهل العلم والعدل والبر كان سفها جائزا وهذا
 عند النفاة جائز على الله ولا يمكن به سفها جائزا وكذلك قول القائل من أرسل أماء وعبيده فيحرق
 بعضهم ببعض ويقتل بعضهم بعضا وهو قادر على أن يكفهم كان سفها والله قد فعل ذلك ولم يدخل
 في عموم هذه القضية فكذلك القضية الكلية التي ادعوا ثبوتها في محل النزاع أولى أن تكون باطلة
 منتزعة * الجواب الرابع عشر أنه لو سلم لهم أنه مستكمل بامر حادث لكان هذا من الحوادث المراتد
 وكل ما هو حادث مراد عندهم فليس بقبيح فإن القبح عندهم ليس بالمتخالف الأمر والنهي والله
 ليس فوقه أمر ولا ناه فلا يبرزه عندهم عن شيء من الممكنات البتة إلا ما أخبر بأنه لا يكون فأنهم
 ينزهونه عن كونه لمخالفة حكمته والقبيح عندهم هو المتع الذي لا يدخل تحت القدرة وما دخل
 تحت القدرة لم يكن قبيحا ولا مستلزما نقضا عندهم وجماع ذلك بالجواب الخامس عشر أنه مامن
 محذور يلزم من تجويز فعله لحكمة الأول والمخادير التي يلزم من كونه يفعل الحكمة أعظم امتناعا
 فإن كانت تلك المخادير غير متممة كانت محاذير اثبات الحكمة أولى بعدم الامتناع وإن كانت محاذير
 اثبات الحكمة متممة فمحاذير نفيها أولى بالامتناع * الجواب السادس عشر أن فعل الحي الغام الاختياري
 لا غاية ولا لغرض يدعو إلى فعله لا يعقل بل هو من المتعات ولهذا لا يصدر الأمن بمجنون أو نائم
 أو زائل العقل فإن الحكمة والعلة الغاية هي التي تجعل المرید مريدا فانه إذا علم بمصلحة الفعل ونفعه
 وغايته انبعثت إرادته إليه فإذا لم يعلم في الفعل مصلحة ولا كان له فيه غرض صحيح ولاداع يدعو
 إليه فلا يقع منه الأعلى سبيل العتب هذا الذي لا يعقل العقلاء سواء وحينئذ فنفي الحكمة والعلة
 والغاية عن فعل أحكم الحاكمين نفي لفعله الاختياري في الحقيقة وذلك أنقص النقص وقد تقدم
 تقرير ذلك وبالله التوفيق

فصل في نفاة الحكمة شب أن الحجة بطلت فلا يلزم من بطلان دليل بطلان الحكم
 فيجوز نذكر حجة غيرها فنقول لو كان فعله تعالى معللا بعلة فذلك العلة أن كانت قديمة لزم من
 قدمها قدم الفعل وهو محال وإن كانت محدثة افتقر كونه موجدا لتلك العلة إلى علة أخرى وهو
 محال وهذا معنى قول القائل علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه قالوا ونحن نقرر هذه الحجة تقريراً

أبسط من هذا فنقول لو كان فعله تعالى الحكمة فتلك الحكمة اما قديمة أو محدثة فإن كانت قديمة فاما أن يلزم من قدمها قدم الفعل أو لا يلزم فإن لزم فهو محال وان لم يلزم القدم والفعل موجود بدونها فالحكمة غير حاصلة من ذلك الفعل لحصوله دونها ومالا يكون الحكمة متوقفة على حصوله لا يكون متوقفا عليها وهو المطلوب وان كانت الحكمة حادثة بحدوث الفعل فاما أن تقتصر الى فاعل أولا تقتصر الى فاعل فإن لم تقتصر لزم حدوث من غير فاعل وهو محال وإن اقتصر الى فاعل فذلك الفاعل اما أن يكون هو الله أو غيره لا يجوز أن يكون غيره لانه لا خالق الا الله وان كان هو الله فاما أن يكون له في فعله غرض أولا غرض له فيه فإن كان الاول فالكلام فيه كالكلام في الاول ويلزم التسلسل وان كان الثاني فقد خلا فله عن الغرض وهو المطلوب فان قات فعله لذلك الغرض لغرض هو نفسه فما خلا عن غرض ولم يلزم التسلسل قلنا فيلزم مثله في كل مفعول مخلوق وهو أن يكون الغرض منه هو نفسه من غير حاجة الى غرض آخر وهو المطلوب فهذه حجة باهرة وافية بالغرض قال أهل الحكمة بل هي حجة داحضة باطلة من وجوه والجواب عنها من وجوه الجواب الاول أن نقول لا يخلو اما أن يمكن أن يكون الفعل قديم العين أو قديم النوع أو لا يمكن واحد منهما فان أمكن أن يكون قديم العين أو النوع أمكن في الحكمة التي يكون الفعل لاجلها أن تكون كذلك وان لم يمكن أن يكون الفعل قديم العين ولا النوع فيقال اذا كان فعله حادث العين أو النوع كانت الحكمة كذلك فالحكمة يحذى بها حدوث الفعل فما جاز عليه جاز عليها وما امتنع عليه امتنع عليها الجواب الثاني أن من قال انه خالق مكن في الازل لما لم يكن بعد قال قولي هذا كقول من قال هو مريد في الازل لما لم يكن بعد فقولي بقديم كونه فاعلا كقول هؤلاء بقديم كونه مريدا وعلى هذا فيمكنني أن أقول بقديم الحكمة التي يخاق ويريد لاجلها ولا يلزم من قدم الحكمة قدم الفعل كما يلزم من قدم الارادة قدم المراد وكما يلزم من قدم صفة التكوين قدم المكنون فقولي في قدم الحكمة مع حدوث الفعل التي فعل لاجلها كقولكم في قدم الارادة والتكوين سواء وما لزمني لزكم مثله وجوابكم هو جوابي بعينه ولا يمتنع ذلك على أصول طائفة من الطوائف فان من قال من الفلاسفة ان فعله قديم للمفعول المعنى يقول ان الحكمة قديمة ومن قال بحدوث أعيان الفعل ودوام نوعه يقول ذلك في الحكمة سواء ومن قال بحدوث نوع الفعل وقيامه بالرب قال ذلك في الحكمة أيضا كما يقوله كثير من النظار فلا يمتنع على أصل طائفة من الطوائف اثبات الحكمة في فعله سبحانه الجواب الثالث قولك يقتصر كونه محدثا لتلك العلة الى علة أخرى متنوعة فإن هذا انما يلزم ان لو قيل كل حادث فلا بد له من علة ونحن لا نقول هذا بل نقول يفعله الحكمة ومعلوم ان المفعول لاجله مراد للفاعل محبوبه والمراد المحبوب تارة يكون مرادا لنفسه وتارة يكون مرادا لغيره والمراد لغيره لا بد أن ينتهي الى المراد لنفسه قطعاً لتسلسل وهذا كما نقوله في خلقه بالاسباب أنه يخاق كذا بسبب كذا وكذا بسبب كذا حتى ينتهي الامر الى أسباب لا سبب لها سوى مشيئة الرب فكذلك يخاق الحكمة وتلك الحكمة الحكمة حتى ينتهي الامر الى حكمة لاحكمة فوقها الجواب الرابع ان النفاة يقولون كل مخلوق فهو مراد لنفسه لا لغيره وحينئذ فلا يمتنع أن يكون بعض الخلق مرادا لغيره وينتهي الامر الى مراد لنفسه بل هذا أولى بالجواز من جعل كل مخلوق مرادا لنفسه وكذلك في الامر يكون مرادا لغيره حتى

ينتهي الى أمر مراد لنفسه الجواب الخامس أن يقال غاية ما ذكرتم انه يستلزم التسلسل ولكن أى نوعي التسلسل هو اللازم التسلسل المتع أو الحائز فان عنيتم الأول منع الزوم وان عنيتم الثاني منع انتفاء اللازم فان التسلسل في الآثار المستقبلة ممكن بل واجب وفي الآثار الماضية فيه قولان للناس والتسلسل في العلل والفاعلين محل باتفاق اهتلاء بان يكون لهذا الفاعل فاعل قبله وكذلك ما قبله الى غير نهاية وأما أن يكون الفاعل الواحد القديم الأبدى لم يزل يفعل ولا يزال فهذا غير متع اذا عرف هذا فالحكمة التي لاجبها يفعل الفعل تكبر حصوله بعده فإذا كان بعدها حكمة أخرى فغاية ذلك ان يازم حوادث لانهاية لها وهذا جائز بل واجب باتفاق المسلمين ولم ينازع الا بعض أهل البدع من الحكيمة والمعزلة فان قيل فيلزم من هذا ان لا تحصل الغاية المطلوبة أبدا قيل بل اللازم أن لا تزال الغاية المطلوبة حاصلة دائما وهذا أمر معقول في الشاهد فان الواحد من الناس يفعل الشيء لحكمة يحصل بها محبوبه ثم يازم من حصول محبوبه محبوب آخر يفعل لاجله وهلم جرا حتى لو تصور دوامه أبدا لكانت هذه حاله وكجمله فلم تزل محبوباته تحصل شيئا بعد شيء وهذا هو الكمال الذي يريده مع غناه التام الكمال عن كل ماسواه وفقر ماسواه اليه من جميع الوجوه وهل الكمال الا ذلك وفواته هو النقص وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة والاحسان فرحمته واحسانه من لوازم ذاته فلا يكون الارجحيا محسنا وهو سبحانه إنما أمر العباد بما يحبه ويرضاه واراد لهم من احسانه ورحمته ما يحبه ويرضاه لكن فرق بين ما يريد هو سبحانه أن يخلقه ويفعله لما يحصل به من الحكمة التي يجبها فهذا يفعله سبحانه ولا بد من وجوده وبين ما يريد من العباد أن يفعلوه ويأمرهم بفعله ويجب أن يقع منهم ولا يشاء خلقه وتكوينه ففرق بين ما يريد خلقه وما يأمر به ولا يريد خلقه فان الفرق بين ما يريد الفاعل أن يفعله وما يريد من المأمور أن يفعله فرق واضح والله سبحانه له الخلق والامر فالخلق ففعل والامر قوله ومتعلقه أفعال عبادته وهو سبحانه قد يأمر عبده ويريد من نفسه أن يعين عبده على فعل مأموره لتحصل حكمته ومحبه من ذلك المأمور به وقد يأمره ولا يريد من نفسه اعانته على فعل المأمور لماله من الحكمة الثابتة في هذا الامر وهذا الترك يأمره لئلا يكون له عليه حجة ولئلا يقول ما جاني من نذير ولم أمرتني لبادرت الى طاعتك ولم يرد من نفسه اعانته لان محله غير قابل لهذه النعمة والحكمة التامة تقتضي أن لا توضع النعم عند غير أهلها وان لا تمتع من أهلها قال تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال (أليس الله باعلم بالشاكرين) وقال (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم) ولا يقال فهلا سوى بين خلقه في جملتهم كلهم أهلا لذلك فان هذا ممكن له ولأن يقال فهلا سوى بين صورهم وأشكالهم وأعمارهم وازراقهم ومعاشهم وهذا وإن كان ممكنا فالذي وقع من التفاوت بينهم هو مقتضى حكمته البالغة وملكه التام وربوبته فاقضت حكمته ان سوى بينهم في الامر وفوات بينهم في الاعانة عليه كما فوات بينهم في العلوم والقدر والفني والحسن والفصاحة وغير ذلك والتخصيصات الواقعة في ملكه لا تناقض حكمته بل هي من أدل شيء على كمال حكمته ولولاها لم يظهر فضله ومنه قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والفسيان أولئك هم الراشدون) فضلا من الله ونعمة والله عليم بمن يصلح لهذه النعمة حكيم في وضعها عند أهلها ومنعها غير أهلها وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لأفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) وقالت الرسل لقومهم (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) وقال تعالى (وقالوا لو أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية وفي حديث مثل المؤمنين واليهود والنصارى قال تعالى لاهل الكتاب هل ظلمتكم من حقكم من شيء قلوا لا قال فهو فضلى أوتيته من أشاء وقال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما) أى يعلم أين يضع فضله ومن يصاح له ممن لا يصاح بل بمنعه غير أهله ولا يضمه عند غير أهله وهذا كثير في القرآن يذكر أن تخصيصه هو فضله ورحمته فلو ساوى بين الخلائق لم يعرف قدر فضله ونعمته ورحمته فهذا بعض ما في تخصيصه من الحكمة وفي كتاب الزهد للإمام أحمد أن موسى قال يارب هلا سويت بين عبادك قال أنى أحيت أن أشكر فمواقع التحصل ومواقع الفضل التي يقدح بها نفاة الحكمة هي من أدل شيء على كمال حكمته سبحانه ووضعها لتفضل مواضع وجهه عند أهله الذين هم أحق به وأولى من غيرهم وهو الذى جعلهم كذلك بحكمته وعلمه وعزته وملكه فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ولا يجب بل لا يمكن المشاركة في حكمته بل ما حصل للخلائق كلهم من العلم بها كنفرة عصفور في البحر المحيط وأى نقص في دوام حكمته شئ بعد شئ كما تدوم إرادته وكلامه وأفعاله وأحسانه وجوده وأنعامه وهل الكمال إلا في هذا التسلسل فإذا نفى النفاة منه أقرهم أن يقال لم ينزل ولا يزال حيا علما قديرا حكيما متكاملا محسنا جوادا ملكا موصوفا بكل كمال غنيا عن كل ما سواه لا تنتد كلاماته ولا تنهاى حكمته ولا تعجز قدرته ولا يبيد ملكه ولا تقطع إرادته ومشيتته بل لم ينزل ولا يزال الله الخالق والامر والحكمة والحكم وهل النقص الأسلب ذلك عنه والله الموفق بفضله وإعانتة الجواب السادس إن الرب تبارك وتعالى إذا خلق شئ فلا بد من وجود لوازمه ولا بد من عدم أضداده فوجود المازوم بدون لازمه محال ووجود الضد مع ضده تمتع والمحال الممتنع ليس بشئ ولا تصور العقل وجوده في الخارج وإذا كان هذا التسلسل الجائز من لوازم خلقه وحكمته لم يكن في القول محذور بل كان المخذور في نفيه توضيحه الجواب السابع أنه لم يتم دليل عقلى ولا سمعى على امتناع دوام أفعال الرب في الماضي والمستقبل أصلا وكل أدلة النفاة من أولها إلى آخرها باطلة وقد كفى مؤنة إبطالها الرازى والأمدى في أكثر كتبهما وغيرهما وأما اثبات الحكمة فقد قام على صحة العقل والسمع والظن وسائر أنواع الأدلة مما تقدمت الإشارة إلى بعض

ذلك فكيف يقدح في هذا المعلوم الصحيح بذلك الذي لم يرقم على صحته دليل البتة الجواب
 الثامن أن التسلسل إما أن يكون ممكناً أو متعناً فإن كان ممكناً بطل استدلالكم وإن كان متعناً أمكن
 أن يقال في دفعه تنبئ المرادات إلى مراد لنفسه لا غيره وينقطع لتسلسل الجواب التاسع أن يقال
 ما المانع أن تكون الفاعلية معاملة بآلة قديمة قولكم يلزم من قدمها قدم المعلوم ينشئ عليكم بالإرادة
 قائلها قديمة ولم يلزم من قدمها قدم المراد فإن قلتم الإرادة القديمة تعاقبت بالمراد الحادث في وقت
 حدوثه واقتضت وجوده حينئذ فهل قلتم إن الحكمة القديمة تعاقبت بالمراد وقت حدوثه كما قلتم في
 الإرادة فإن قلتم شأن الإرادة التخصيص قيل لكم وكذلك الحكمة شأنها تخصيص الشيء بزمانه
 ومكانه وصفته فالتخصيص مصدره الحكمة والإرادة والعلم والقدرة فإن لم يلزم من قدم الحكمة قدم
 الفعل لزم من قدم الإرادة قدمه وإن لم يلزم ذلك لم يلزم هذا الجواب العاشر أن يقال لو لم يكن فعله
 لحكمة وغاية مطلوبة لم يكن مريداً فإن المريد لا يعتل كونه مريداً إذا كان يريد الغرض وحكمة فإذا
 انتفت الحكمة والغرض انتفت الإرادة ويلزم من انتفاء الإرادة أن يكون موجبا بالذات وهو علة تامة
 في الازل لمعلوله فيلزم أن يقارنه جميع معلوله ولا يتأخر فيلزم من ذلك قدم الحوادث المشهودة وإنما
 لزم ذلك من انتفاء الحكمة والغرض المستلزما لتفي الإرادة المستلزما للإيمان الذاتي المستلزم لتقديم
 الحوادث وتقدير هذا وبسطه في غير هذا الموضع

﴿فصل﴾ قال نفاة الحكمة جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيءين تحصيل البتة والسرور
 ودفع الألم والحزن والغم والله سبحانه قادر على تحصيل هذين المطلوبين ابتداء من غير شيء من
 الوسائط ومن كان قادراً على تحصيل المطلوب ابتداء بغير واسطة كان توسله إلى تحصيله بالوسائط
 عبثاً وهو على الله محال قال أصحاب الحكمة عن هذه الشبهة أجوبة الجواب الأول أن يقال لا ريب
 أن الله على كل شيء قدير لكن لا يلزم إذا كان الشيء مقدوراً أن تكون الحكمة المطلوبة لوجوده
 يمكن تحصيلها مع عدمه فإن الموقوف على الشيء يتمتع حصوله بدون كما يتمتع حصول الدين بكونه ديناً
 بدون الدين فإن وجود الملزوم بدون لازمه محال والجمع بين الضدين محال ولا يقال فيلزم العجز
 لأن المحال ليس بشيء فلا تتعاقب به القدرة والله على كل شيء قدير فلا يخرج من قدرته البتة
 * الجواب الثاني أن دعوى كون توسط أحد الأمرين إذا كان شرطاً أو سبباً عبث دعوى كاذبة
 باطلة فإن العبث هو الذي لا فائدة فيه وأما توسط الشرط أو السبب أو المادة التي يحدث فيها ما يحدثه
 فليس بعبث توضيحه * الجواب الثالث أن حصول الأعراض والصفات التي يحدثها الله سبحانه في
 موادها شروط لحصول تلك المواد ولا يتصور وجودها بدونها فتوسطها أمر ضروري لا بد منه
 فينقلب عليكم دليلكم وتقول هل يقدر سبحانه على إيجاد تلك الحوادث بدون توسط موادها
 الحاملة لها أو لا يمكن فإن قلتم يمكن ذلك كان توسطها عبثاً وإن قلتم لا يقدر كان تعجزاً فإن قلتم هذا
 فرض مستحيل والحال ليس بشيء قيل صدقتم وهذا جوابنا بعينه * الجواب الرابع أن يقال إذا
 كان في خالق تلك الوسائط حكم أخرى تحصل بخلافها للفاعل وفي خلقها مصالح ومنافع تلك الوسائط
 لم يكن توسطها عبثاً ولم تكن الحكمة حاصلة بعدد ما كما أنه سبحانه إذا جعل رزق بعض خلقه في
 البغارات مثلاً فاقضى ذلك أن يخلق الصانع إلى من يحتاج فينتفع هؤلاء بالصانع هؤلاء الذين

كان في ذلك مصاحبة هؤلاء وهؤلاء وإذا تأملت الوجود رأيت أنه قائما بذلك شاهدا على منكري الحكمة فكلم الله سبحانه في أحداث تلك الوسائط من حكم ومصالح ومنافع للعباد لو بطلت تلك الوسائط لفاتت تلك الحكم والمصالح * الجواب الخامس قولك يلزم العتب وهو على الله محال فيقال ان كان العتب عليه محال لا يلزم أن لا يفعل ولا يأمر الا لمصاحبة وحكمة فبطل قولك بقولك وان لم يكن العتب عليه محالا بطلت هذه الحجة فيتحقق بطلانها على التقديرين * الجواب السادس أن يقال ما المانع أن يفضل سبحانه أشياء معللة وأشياء غير معللة بل مرادة لذاتها وإذا جاز هذا جاز أن يقال ان هذه الوسائط غير معللة ولا يتكهنك نفى هذا القسم الا بان تقول ان شئاً من أفعاله غير معلل البتة وأنت إنما نفيت هذا بازوم العتب في توسط تلك الامور ولا يلزم من انتفاء التعليل في بعض الافعال انتفاؤه في الجميع فإنه لا يجب أن يكون كل شئ معللة فانت نفيت جواز التعليل وغاية هذه الحجة لو بحث أن تدل على أنه لا يجب في كل شئ أن يكون معللة فلم يثبت الحكم والدليل وهذا كما يقول الفقيه مع قولهم بالتعليل ان من الاحكام ما يفيد غير معلل فهل قلت في الخلق كقولهم في الامر وهذا انما هو بطريق الالتزام والافالحنى ان جميع أفعاله وشرعه لها حكم وغايات لاجلها شرع وفعل وان لم يعلمها الخلق على التفصيل فلا يلزم من عدم علمهم بها انتفاؤها في نفسها * الجواب السادس ان غاية هذه الشبهة أن يكون سبحانه قادرا على تحصيل تلك الحكم بدون تلك الوسائط كما هو قادر على تخصيصها بها وإذا كان الامر مقدورا له لم يكن العدول عن أحد المقدورين الى الآخر عبثا الا اذا كان المقدور الآخر مساويا لهذا من كل وجه ولا يمكن عاقلا أن يقول أن تعطيل تلك الوسائط وعدمها مساو من كل وجه لوجودها وهذا من أعظم البهت وأبطل الباطل وهو يتضمن القدح في الحس والعقل والشرع كما هو قدح في الحكمة فان من جعل وجود الرسل وعدمهم سواء ووجود الشمس والقمر والنجوم والمطر والنبات والحيوان وعدمها سواء ووجود هذه الوسائط جميعها وعدمها سواء فلم يدع للمكابرة موضعا * الجواب السابع قولك جميع الاغراض يرجع حاصلها الى شيئين تحصيل اللذة ودفع الهم والحزن أتريد به الفرض الذي يفعل لاجلها الحيوان أو الحكمة التي يفعل الله سبحانه لاجلها أم تريد به ما هو أعم من ذلك فان أردت الاول لم تفدك شئ وان أردت الثاني أو الثالث كانت دعوى مجردة لا برهان عليها فان حكمة الرب تعالى فوق تحصيل اللذة ودفع الهم والحزن فإنه يتعالى عن ذلك بل ليس كمثل حكمته شئ كما أنه موصوف بالارادة وليست كراداة الحيوان فان الحيوان يريد ما يريد له ليجلب له منفعة أو يدفع به عنه مضرة وكذلك غضبه ليس مشابها لغضب خلقه فان غضب المخلوق هو غلبان دم قلبه طلبا للانتقام والله يتعالى عن ذلك وكذلك سائر صفاته فكما أنه ليس كمثل شئ في ارادته ورضاه وغضبه ورحمته وسائر صفاته فكذلك حكمته سبحانه لا تمثل حكمة المخلوقين بل هي أجل وأعلى من أن يقال أنها تحصيل لذة أو دفع حزن فالمخلوق انقصه يحتاج أن يفعل ذلك لان مصالحه لا تتم الا به والله سبحانه غنى بذاته عن كل ما سواه لا يستفيد من خلقه كالا بل خلقهم يستفيدون كالم من * الجواب الثامن أن يقال قد دل الوحي مع العقل على انه سبحانه يحب ويبغض أما الوحي فالقرآن مملوء من ذلك وأما العقل فانا شاهد في العالم من اكرام أوليائه وأهل طاعته وإهانة أعدائه وأهل معصيته شاهد لحبه هؤلاء ورضاه

عنهم وبغضه لهؤلاء وسخطه عليهم ومعلوم قطعا ان من يحب ويبغض أكمل محبة وبغض وهو قادر على تحصيل محابه فان حكمته فيما يفعله ويتركه أتم حكمة وأكمل فهو يفعل ما يفعله لانه يوصل الى محابه ويترك ما يترك لانه لا يحب به وإذا فعل ما يكرهه لم يفعله الا لأفضائه الى ما يحب وان كان مكرها في نفسه فان أردت بالبذة والسرور والهضم والحزن الحب والبغض فأرب تعالى يحب ويبغض لم يازم من كونه يفعل لحكمة ان يتصف بذلك * الجواب التاسع أنه سبحانه اذا كان قادرا على تحصيل ذلك بدون الوسائط وهو قادر على تحصيله بها كان فعل النوعين أكمل وأبلغ في القدرة وأعظم في ملكه وربوبيته من كونه لا يفعل الا بإحد النوعين والرب تعالى يتنوع أفعاله لكمال قدرته وحكمته وربوبيته فهو سبحانه قادر على تحصيل تلك الحكمة بواسطة احدث مخوق منفصل وبدون احدثه بل بما يقوم به من أفعاله اللازمة وكلماته وثنائه على نفسه وحمده لنفسه فمحبوه يحصل بهذا وهذا وذلك أكمل ممن لا يحصل محبوه الا بإحد النوعين * الجواب العاشر أن الرب سبحانه كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله فلا بد من ظهور آثارها في العالم فانه محسن ويستحيل وجود الاحسان بدون من يحسن اليه وزراق فلا بد من وجود من يرزقه وغفار وحام وجواد ولطيف بعباده ومنان ووهاب وقابض وباسط وخافض ورافع وممزرع ومذل وهذه الاسماء تقتضي متعلقات تعاق بها وآثارا تتحقق بها فلم يكن بدمن وجود متعلقاتها والا تعطلت تلك الاوصاف وبطلت تلك الاسماء فتوسط تلك الآثار لابد منه في تحقق معاني تلك الاسماء والصفات فكيف يقال أنه عبث لا فائدة فيه وبالله التوفيق

فصل قال فناء الحكمة لو وجب أن يكون خلقه وأمره معللا بحكمة وغرض لكان خلق الله العالم في وقت معين دون ما قبله ودون ما بعده معللا برعاية غرض ومصالحة ثم تلك المصالحة والغرض اما أن يقال كان حاصل قبل ذلك الوقت أو لم يكن حاصل قبله فان كان الما قبله أوجد الله العالم في ذلك الوقت حاصل قبل أن أوجده فيلزم أن يقال أنه كان موجدا له قبل ان لم يكن موجدا له وذلك محال وان قلنا ان ذلك الغرض والمصالحة لم يكن حاصل قبل ذلك الوقت وانما حدث في ذلك الوقت فتقول حصول ذلك الغرض في ذلك الوقت اما أن يكون مقترا الى الحدث أو لا يقتقر فان لم يقتقر فقد حدث الشيء لاعن موجود ومحدث وهو محال وان اقتقر الى محدث فان اقتقر فمخصص احدث ذلك الغرض بذلك الوقت الى غرض آخر عاد التقسيم الاول فيه ولزم التسلسل وان لم يقتقر الى رعاية غرض آخر فحينئذ تكون موجدية الله سبحانه وخالفته غيبة عن الاغراض والمصالح وهذا هو المطلوب قالوا وهذه الحجة كما أنها قائمة في اختصاص العالم بذلك الوقت المعين فهي قائمة في اختصاص كل حادث من الاحداث بوقته المعين وملخصها ان احدث الاحداث في وقته ان كان لغرض فان كان ذلك الغرض حاصل قبله لزم حدوثه قبل حدوثه والا اقتقر الى الاحداث فاحداثه ان كان لغرض تسلسل والا ثبت المطلوب قال أهل الحكمة هذه الحجة بسببها من كونه في ضمن الحجة الثانية التي تقدمت وكانكم يعجبكم التشيع بكرة الباطل وجميع ما أجبناكم به هناك فهو الجواب هنا بعينه فالية هذا أنه تسلسل في الآثار لافي المؤثرات وتسلسل في الحوادث المستقبلة وذلك جائز بل واجب باتفاق المسلمين سوى قول جهنم والعالف وغاية الامر أن يكون في الاحداث

ما يراد لنفسه وفيها ما يراد لغيره والحكمة المطلوبة لنفسها لا تنفقر الى أخرى تراد لاجلها وان هذا الدليل او تحت مقدماته وهيئات فاعلم يدل على ان أفعاله تعالى لا يجب تعليلها ولا يلزم من ذلك أن لا يجوز تعليلها ففى الوجوب شئ وفى الجواز شئ فهب أنا سلمنا الاول فاين دليل الثانى وغايتها أنها تدل على عدم تعليل بعض الحوادث لعل عدم تعليل جميعها وبالجملة فما تقدم هناك مغزاها عن الاضالة فى الاجوبة وسر المسئلة ان دوام قاعليته فى المستقبل متفق عليه والسائق على دوامها فى الماضى وانما خالف فى ذلك كثير من أهل الكلام

(فصل) قال نفاة الحكمة قد قام الدليل على أنه سبحانه خالق كل شئ فإى حكمة أو مصلحة فى خالق الكفر والفسوق والعصيان وأى حكمة فى خالق من علم أنه يكفر ويفسق ويظلم ويفسد الدنيا والدين وأى حكمة فى خلق كثير من الجمادات التى وجودها وعدمها سواء وكذلك كثير من الاشجار والنبات والمعادن المطعنة والحيوانات المهمة بل العادية المؤذية وأى حكمة فى خلق السموم والاشياء المضرة وأى حكمة فى خلق ابليس والشياطين وان كان فى خلقهم حكمة فإى حكمة فى بقاءه الى آخر الدهر وامانة الرسل والانبياء وأى حكمة فى اخراج آدم وحواء من الجنة وتعريض الذرية لهذا البلاء العظيم وقد أمكن أن يكونوا فى أعظم العافية وأى حكمة فى ايلام الحيوانات وان كان فى ايلام المكنتين منها حكمة فما الحكمة فى ايلام غير المكنت كالبهائم والاطفال والمجانين وأى حكمة له فى خلقه خلقا يعذبهم بأنواع العذاب الدائم الذى لا ينقطع وأى حكمة فى تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب قتلا وأمرأ وعقوبة واستعبادا وأى حكمة فى تكليف التلدين وتعريضهم للتكليف لأنواع المشاق والعذاب قالوا ونحن والعقلاء نعم علما ضروريا ان خلود أهل النار فيها فعل الله ونعم ضرورة أنه لا فائدة فى ذلك تعود اليه ولا الى المعذبين ولا الى غيرهم قالوا وكيف فى ذلك مناظرة الأشعرى لآبى هاشم ٣ الحيائى حين سأله عن ثلاثة أخوة مات أحدهم مساما قبل البلوغ وبلغ الآخران فمات أحدهما مساما والآخر كافرا فاجتمعوا عند رب العالمين فباع المسلم البالغ المرتبة العالية بعمله واسلامه فقال أخوه يارب هلا رفعتنى الى منزلة أخى المسلم فقال انه عمل أعمالا لم تعملها فقال يارب فهلا أحييتنى حتى أعمل مثل عمله قال علمت ان موتهك صغيرا خير لك اذ لو بلغت لكفرت فصاح الاخ الثالث من اطباق الجحيم وقال يارب فهلا أمتنى صغيرا قبل البلوغ كما قلت بأخى فما جوابه قال فانقطع الشيخ ولم يذكر جوابا قال نفاة الحكمة وهذا قاطع فى المسئلة لا غبار عليه وقال تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) وقال (لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولا يسئل عما يفعل) فرد الامر الى محض مشيئته وأخبر ان صدور الاشياء كلها عنها وقالوا وأصل ضلال الخلق هو طاب تعليل أفعال الرب كما قال شيخ الاسلام فى تائمه

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة * هو الخوض فى فعل الاله بعلة

فهم لما طردوا علة أفعاله فاعجزهم العلم بها انفرقوا بعد ذلك فطائفة ردت الامر الى الطبيعة والافلاك التزمت مكابرة الحس والمقل وقالوا ان خلود أهل النار فى النار أنفع لهم وأصلح

٣ الذى فى كتب الكلام ان المناظرة كانت بين أبى الحسن وشيخه أبى غلى الحيائى

من كونهم في الجنة وان ابقاء ابليس يغوى الخلق ويضاهم أنفع لهم من امانته وان امانة الانبياء أصالح للامم من ابقائهم بينهم وان تعذيب الاطفال خير لهم من رحمتهم الى غير ذلك من الحالات التي قادهم اليها الخوض في تعليل أفعال من لا يستل عما يفعل فلذلك قلنا ان الصواب القول بعدم التعليل وتخلصنا من الجائيل والاشراك التي وقعت فيها قال أهل الحكمة ليست هذه الاسئلة والاعتراضات التي قد جئتم بها في حكمة أحكم الحاكمين بأقوى من الاسئلة والاعتراضات التي قدح بها أهل الالحاد في وجوده سبحانه وقد أقاموا أربعين شبهة تنفي وجوده وكذلك اعتراضات المنكذبين لرسله وقد حكيمتم أتم عنهم ثمانين اعتراضا وكذلك الاعتراضات التي قدح بها المعطلة في اثبات صفات كماله قد علمتم شأنها وكبرها وكذلك الاعتراضات التي نفى بها الجهمية علوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه اعباده وقد علمتم الاعتراضات التي اعترض بها أهل الفلسفة على كونه خالقا للعالم في ستة أيام وعلى كونه يقيم الناس من قبورهم ويعينهم الى دار السعادة أو الشقاء ويبدل هذا العالم ويأتي بغيره واعتراضات هؤلاء وأسئلتهم أضعاف اعتراضات نفاة الحكمة وغايات أفعاله المقصودة وكذلك اعتراضات نفاة القدر واستلهم الى غير ذلك وقد اقتضت حكمة الحاكمين أن أقام في هذا العالم لكل حق جاحدا ولكل صواب معاندا كما أقام لكل نعمة حاسدا ولكل شر زائدا وهذا من تمام حكمته الباهرة وقدرته القاهرة ليم عليه كلمته وينفذ فيه مشيئته ويظهر فيه حكمته ويقضى بينهم بحكمه ويفاضل بينهم بعلمه ويظهر فيهم آثار صفاته العليا وأسماؤه الحسنى ويتبين لاوليائه وأعدائه يوم القيامة انه لم يخل لحكمته ولم يخفق خلقه عبثا ولا يتركهم سدا وانه لم يخفق السموات والارض وما بينهما باطلا وان له الحمد التام الكامل على جميع ما خلقه وقدره وقضاه وعلى ما أمر به ونهى عنه وعلى ثوابه وعقابه وانه لم يضع من ذلك شيئا الا في محله الذي لا يليق به سواه قال تعالى (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لايبحث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون ليعين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) واذا تبين لاهل الموقف ونفذ فيه قضاءه الفصل وحكمه العدل نطق الكون أجمعه بحمده كما قال تعالى (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) وجواب هذه الاسئلة من وجوه أحدها أن الحكمة انما تتعلق بالحدوث والوجود والكفر والشرور وأنواع المعاصي راجعة الى مخالفة نهي الله ورسوله وترك ما أمر به وليس ذلك من متعلق اليجاد في شيء ونحن انما التزمنا ان مافعله الله وأوجده فله فيه حكمة وغاية مطلوبة وأما ما تركه سبحانه فلم يفعله فانه وان كان انما تركه لحكمة في ذلك فلم يدخل في كلامنا فلا يرد علينا وقد قيل ان الشر ليس اليه بوجه فانه عدم الخير وأسبابه والعدم ليس بشيء كاسمه فاذا قلنا ان أفعال الرب تعالى واقعة بحكمة وغاية محمودة لم يرد علينا تركه بوضحه الجواب الثاني وهو انه سبحانه قد يترك ما لو خلقه لكان في خلقه له حكمة فيتركه لعدم محبته لوجوده أو لكون وجوده يضاد ما هو أحب أو لاستلزام وجوده فوات محبوب له آخر وعلى هذا فتكون حكمته في عدم خلقه أرجح من حكمته في خلقه والجمع بين الضدين مستحيل فرجح سبحانه أعلى الحكمتين بتفويت أدناها وهذا غاية الحكمة تخلق وأمره مبنى على تحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة بتفويت المرجوحة التي لا يمكن الجمع بينها وبين تلك الراجحة وعلى دفع المفاسد

الخاصة والراجحة وان وجدت المناسد المرجوحة التي لا يمكن الجمع بين عدمها وعدم تلك الراجحة وخلاف هذا هو خلاف الحكمة والصواب الجواب الثالث أن يقال غاية ذلك انتفاء الحكمة في هذا النوع من المقددورات فيأزم من ذلك انتفاؤها في جميع خاقه وحكمه فبأن هذا النوع لاحكمة فيه فمن أين يستأزم ذلك نفى الحكمة والفرض في كل شيء كيف وفيه من الحكم والغايات الحمودة ما هو معلوم لأهل البصائر الراسخين في العلم كما سننبه على ذلك منه إن شاء الله * الجواب الرابع أنا لم ندع حكمة يجب أو يمكن اطلاع الخلق على تفاصيلها فان حكمة الله أعظم وأجل من من ذلك فالمانع من اشتغال ماذكرتهم من الصور وغيرها على الحكم حجة بنفرد الله بعماله كما قال للملائكة وقد سأله عن ذلك أني أعلم ما لا تعلمون فن يقول بازوم الحكمة لأفعاله وأحكامه مطلقا لا يوجب مشاركة خلقه في العلم بها * الجواب الخامس أن الله سبحانه ليس كمثل شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وله في جميع ماذكرتهم وغيره حكمة ليست من جنس الحكمة التي لا يخلو قين كما أن فعله ليس مما لا فاعلمهم ولا قدرته وإرادته ومشيئته ومحبه ورضاه وغضبه مما لا لصفات المخلوقين * الجواب السادس أن الحكمة تابعة للعلم والقدرة فمن كان أعلم وأقدر كانت أفعاله أحكم وأكمل والرب منفرد بكمال العلم والقدرة فخكمته بحسب علمه وقدرته كما تقدم تقريره فخكمته متعلقة بكل ما تعلق به علمه وقدرته * الجواب السابع أن الأدلة القاطعة قد قامت على أنه حكيم في أفعاله وأحكامه فيجب القول بموجبه وعدم العلم بحكمته في الصور المذكورة لا يكون مسوغا لمخالفة تلك الأدلة القاطعة لاسيما وعدم العلم بالشيء لا يستأزم العلم بعدمه * الجواب الثامن أن كماله المقدس يمنع خلو هذه الصور التي تقتضي عن الحكمة وكلامه أيضا يأتي اطلاع خلقه على جميع حكمته فخكمته تمنع اطلاع خلقه على جميع حكمته بل الواحد منا لو أطلع غيره على جميع شأنه وأمره عذفها جاهلا وشأن الرب أعظم من أن يطلع كل واحد من خلقه على تفاصيل حكمته * الجواب التاسع أنكم أمان أن تترفوا بأن له حكمة في شيء من خلقه وأمره أو تنكروا أن يكون له في شيء من خلقه وأمره حكمة فإن أنكرتم ذلك وما هو من الظالمين بعبادكم جميع كتب الله ورسوله والمقل والقطرة والحس وكذبتم عقولكم قبل تكذيب العقلاء فان جحد حكمة الله الباهرة في خلقه وأمره بمنزلة جحد الشمس والقمر والمبالي والنهار وغير مستنكر لكثير من الجوائف أهل الكلام المكابرة في جحد الضروريات وان أقرتم بحكمته في بعض خلقه وأمره قيل لكم فأي الأمرين أولى به وجود تلك الحكمة أم عدمها فان قلتم عدمها أولى من وجودها كان هذا غاية الكذب والبهت والمحال وان قلتم وجودها أكل قيل فهل هو قادر على تخصيصها في جميع خلقه وأحكامه أم غير قادر فان قلتم غير قادر جئتم بالمعزيمة في العقل والدين وانسلختم من عقولكم وأذهانكم وان قلتم بل هو قادر على ذلك قيل فإذا كان قادرا على شيء وهو كمال في نفسه ووجوده خير من عدمه وهو أولى به فكيف يجوز نفيه عنه فان قلتم انما نفيتم لاننا لم نطلع على حقيقته قيل صدقتم والله سائلكم في جميع ما تنفون عنه عن الله انما مستندكم في نفيه عدم الاطلاع على حقيقته ولم تكلفوا بقبول قول الرسل فصرتم إلى النفي * الجواب العاشر ان العقلاء قاطبة متفقون على أن الفاعل اذا فعل أفعالا ظهرت فيها حكمته ووقفت على أتم الوجوه ووقفها لله صالح المقصود تبين ان اذا رأوا أفعاله قد تكررت كذلك ثم جاءهم من أفعاله ما لا يعمدون وجه حكمته فيه لم يسهم غير التسام

لما عرفوا من حكمته واستقر في عقولهم منها وردوا منها ما جهلوه الى محكم ما علموه هكذا نجد أرباب كل صناعة مع استاذهم حتى ان النفاة يسلكون هذا المسلك بعينه مع أئمتهم وشيوخهم فاذا جاءهم اشكال على قواعدهم وأئمتهم ومذاهبهم قالوا هم أعلم منا وهم فوقنا في كل علم ومعرفة وحكمة ونحن معهم كالصبي مع معلمه وأستاذهم فهنا سلكوا هذا السبيل مع ربهم وخالقهم الذي بهرت حكمته العقول وكان نسبته الى حكمته أولى من نسبة عين الحفاس الى جرم الشمس ولو أن العالم الفاضل المبرز في علوم كثيرة أعرض على من لا يشاركه في صنعته ولا هو من أهلها وقدر في أوضاعها لخرج عن موجب العقل والعلم وعد ذلك نقصا وسفها فكيف بأحكم الحاكمين وأعلم العالمين وأقدر القادرين * الجواب الحادي عشر ان الحكمة انما تتم بخلق المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار والعلو والسفل والظلم والحيث والحيف والثقيل والحلو والمر والبرد والام والاذة والحياة والموت والداء والدواء تخلف هذه المتقابلات هو محل ظهور الحكمة الباهرة ومحل ظهور القدرة القاهرة والمشيئة النافذة والملك الكامل انما قوهم تعطيل خلق هذه المتضادات تعطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها وآثارها وذلك عين الحال فان لكل صفة من الصفات الملائكة ومقتضيات وأثرها هو مظهر كمالها وان كانت كاملة في نفسها لكن ظهور آثارها وأحكامها من كمالها فلا يجوز تعطيلها فان صفة القادر تستدعي مقدورا وصفة الخالق تستدعي مخلوقا وصفة الوهاب الرازق المعطي المانع الضار النافع المتقدم المؤخر المعز المذل العفو الرؤف تستدعي آثارها وأحكامها فلو عطلت تلك الصفات عن الخلق المرزوق المغفور له المرحوم المعفو عنه لم يظهر كمالها وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها فلو كان الخلق كلهم مطيعون عابدون حامدون لتعطل أثر كثير من الصفات العلى والاسباء الحسنى وكيف كان يظهر أثر صفة العفو والمغفرة والصفح والتجاوز والانتقام والعز والقهر والعدل والحكمة التي تنزل الاشياء منازلها وتضعها مواضعها فلو كان الخلق كلهم أمة واحدة انقأت الحكم والآيات والمبر والغايات المحمودة في خلقهم على هذا الوجه وفات كمال الملك والتصرف فان الملك اذا اقتصر تصرفه على مقدور واحد من مقدوراته فاما أن يكون عاجزا عن غيره فيتركه عجزا أو جاهلا بما في تصرفه في غيره من المصلحة فيتركه جاهلا وأما أقدر القادرين وأعلم العالمين وأحكم الحاكمين فتصرفه في مملكته لا يقف على مقدور واحد لان ذلك نقص في ملكه فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع والخفض والرفع والثواب والعقاب والاکرام والاهانة والاعزاز والاذلال والتقديم والتأخير والضر والنفع وتخصيص هذا على هذا وإتار هذا على هذا ولو فعل هذا كله بنوع واحد مماثل الافراد لكان ذلك منافيا لحكمته وحكمته تباها كل الاباء فانه لا يفرق بين متماثلين ولا يسوى بين مختلفين وقد عاب على من يفعل ذلك وأنكر على من نسبه اليه والقرآن مملوء من عيبه على من يفعل ذلك فكيف يجعل له العبيد مايكرهون ويضربون له مثل السوء وقد فطر الله عباده على انكار ذلك من بعضهم على بعض وطعنهم على من يفعله وكيف يعيب الرب سبحانه من عباده شيئا ويتصف به وهو سبحانه انما عابه لانه نقص فهو أولى أن يتزه عنه واذا كان لا بد من ظهور آثار الاسماء والصفات ولا يمكن ظهور آثارها الا في المتقابلات والمتضادات لم يكن في الحكمة بدم إيجادها اذ لو فقدت لتعطلت الاحكام تلك الصفات وهو محال بوضحه الوجه الثاني عشر ان من أسمائه الاسماء المزدوجة

كالمز المذل والحافض الرافع والقباض الباسط والمعطي المانع ومن صفاته الصفات المتقابلة كالرضا والسخط والحب والبغض والغنى والافتقار وهذه صفات كمال والام يتصف بها ولم يقسم باسمائها وإذا كانت صفات كمال فاما أن يتعطل مقتضاها وموجبها وذلك يستلزم تعطيلها في أنفسها واما أن تتعاقب بغير محالها الذي ياتي بأحكامها وذلك نقص وعيب يتعالى عنه فيتعين تعلقها بمحالها التي تاتي بها وهذا وحده كاف في الجواب لمن كان له فقه في باب الاسماء والصفات ولا غيره يغيره يوضحه الوجه الثالث عشر ان من أسمائه الملك ومعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال اذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة ولا ارادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعطي ولا يمنع ولا يعز ويذل ويهين ويكرم وينعم ويتنعم ويخفف ويرفع ويرسل الرسل الى أقطار مملكته ويتقدم الى عبيده بأوامره ونواهيه فأى ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك وهذا يبين ان المعطيان لاسمائه وصفاته جعلوا تماثيله اكمل منه ويأتى أحدهم أن يقال في اميرة وملكه مايقوله هو في ربه فصفة ملكية الحق مستلزمة لوجود ما لا يتم التصرف الا به والكل منه سبحانه فلم يتوقف كمال ملكه على غيره فان كل ما سواه مسند اليه متوقف في وجوده على مشيئته وخلقته يوضحه الوجه الرابع عشر ان كمال ملكه بان يكون مقارنا بحمده فله الملك وله الحمد والناس في هذا المقام ثلاث فرق فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد وهذا مذهب من أثبت له القدر والحكمة وحقائق الاسماء والصفات وزهه عن النقائص ومشابهة الخلوقات وبوحشك في هذا المقام جميع الطوائف غير أهل السنة الذين لم يتجزوا الى نخلة ولا مقالة ولا مشبوع من أهل الكلام الفرقة الثانية الذين أثبتوا له الملك وعطّلوا حقيقة الحمد وهم الجبرية نفاة الحكمة والتعليل القائلين بانه يجوز عليه كل ممكن ولا ينزه عن فعل قبيح بل كل ممكن فانه لا يقبح منه وانما القبيح المستحيل لذاته كاجتماع بين القبيضين فيجوز عليه تعذيب ملائكته وأنبيائه ورسله وأهل طاعته واكرام ابليس وجنوده وجعلهم فوق أوليائه في النعيم المقيم أبدا ولا سبيل لنا الى العلم باستحالة ذلك الا من نفى الخلف في خبره فقط فيجوز أن يأمر بمشيئته ومشئة أنبيائه والسجود للاصنام وبالكذب والفجور وسفك نهب الاموال وينهى عن البر والصدق والاحسان والعفاف ولا فرق في نفس الامر بين ما أمر به ونهى عنه الا التحكم بمحض المشيئة وانه أمر بهذا ونهى عن هذا من غير أن يكون فيما أمر به صفة حسن تقتضى محبته والامر به ولا فيما نهى عنه صفة قبيح تقتضى كراهته والى الله عليه فهو لا عطّلوا حمده في الحقيقة وأثبتوا له ملكا بلا حمد مع أنهم في الحقيقة لم يثبتوا له ملكا فانهم جعلوه معطلا في الازل والابد لا يقوم به فعل البتة وكثير منهم عطّلوا عن صفات الكمال التي لا يتحقق كونه ملكا وربا وإلها الا بها فلا ملك أثبتوا ولا حمد الفرقة الثالثة أثبتوا له نوعا من الحمد وعطّلوا كمال ملكه وهم القدريّة الذين أثبتوا نوعا من الحكمة ونفوا لاجلها كمال قدرته فخافوا على نوع من الحمد عطّلوا له كمال الملك وفي الحقيقة لم يثبتوا لاهذا ولا هذا فان الحكمة التي أثبتوها جعلوها راجعة الى المخلوق لا يعود اليه سبحانه حكمها والملك الذي أثبتوه فانهم في الحقيقة انما قرروا نفية لنفي قيام الصفات التي لا يكون ملكا حقا الا بها ونفي قيام الافعال

الاجتبارية فلم يبق به عندهم وصف ولا فعل ولا له ارادة ولا كلام ولا سميع ولا بصر ولا فعل ولا له حب ولا بغض معطل عن حقيقة الملك والحمد والمقصود ان عموم ملكه يستلزم اثبات القدر وأن لا يكون في ملكه شيء يغير مشيئته فאלله أكبر من ذلك وأجل وعموم حمده يستلزم أن لا يكون في خلقه وأمره مالا حكمة فيه ولا غاية محمودة يفعل لاجبائها وأيسر لاجبائها فאלله أكبر وأجل من ذلك يوضحه الوجه الخامس عشر ان مجرد الفعل من غير قصد ولا حكمة ولا مصلحة يقصده الفاعل لاجبائها لا يكون متعلقا بالحمد فلا يحمد عليه حتى لو حصلت به مصلحة من غير قصد الفاعل لحصولها لم يستحق الحمد عليها كما تقدم تقريره بل الذي يقصد الفعل لمصلحة وحكمة وغاية محمودة وهو عاجز عن تنفيذ مراده أحق بالحمد من قادر لا يفعل لحكمة ولا لمصلحة ولا لقصد الاحسان هذا المستقر في فطر الخلق والرب سبحانه حمده قد ملأ السموات والارض وما بينهما وما بعد ذلك فثلاً العالم العلوي والسفلي والدنيا والآخرة ووسع حمده ما وسع علمه فله الحمد التام على جميع خلقه ولا حكم يحكم الا بحمده ولا قامت السموات والارض الا بحمده ولا يتحول شيء في العالم العلوي والسفلي من حال الى حال الا بحمده ولا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار الا بحمده كما قال الحسن رحمه الله عليه لقد دخل أهل النار النار وان حمده افي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلا وهو سبحانه انما أنزل الكتاب بحمده وأرسل الرسل بحمده وأما خلقه بحمده وبحمده وحده وهذا حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك كله فالحمد لله رب العالمين وحمد نفسه على انزال كتبه فالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وحمد نفسه على خالق السموات والارض الحمد لله الذي خالق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وحمد نفسه على كمال ملكه الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير فحمد ملاً الزمان والمكان والاعيان وعم الاقوال كلها فسيحان الله حين تسمون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تغفرون وكيف لا يحمد على خلقه كله وهو الذي أحسن كل شيء خلقه وعلى صنعه وقد أنفقه صنع الله الذي أنفق كل شيء وعلى أمره وكله حكمة ورحمة وعدل ومصلحة وعلى نبيه وكل مانه عن شره وفساد وعلى ثوابه وكله رحمة واحسان وعلى عقابه وكله عدل وحق فله الحمد كله وله الملك كله ويده الخير كله واليه يرجع الامر كله والمقصود أنه كلما كان الفاعل أعظم حكمة كان أعظم حمداً واذا عدم الحكمة ولم يقصدها بفعاله وأمره عدم الحمد الوجه السادس عشر أنه سبحانه يجب أن يشكر ويجب أن يشكر عقلاً وشرعاً وفطرة فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب وكيف لا يجب على العباد حمده وتوحيده ومحبته وذكر آلائه واحسانه وتعظيمه وتكبيره والختنوع له والتحدث بنعمته والافراز بها بجميع طرق الوجوب فالشكر أحب شيء اليه وأعظم ثوابا وانه خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وذلك يستلزم خلق الاسباب التي يكون الشكر بها أكمل ومن جملتها ان قاوت بين عباده في صفاتهم الظاهرة والباطنة في خلقهم واخلقهم وأديانهم وأرزاقهم ومعايشهم وآجالهم فاذا رأى المعافي المبلى والغنى الفقير والمؤمن الكافر عظم شكره لله وعرف قدر نعمته عليه وما خضه به وفضله به على غيره فازداد شكرا وخضوعا واعترافاً بالنعمة وفي أثر ذكره الامام أحمد في الزهد أن موسى قال يارب هلا سويت بين عبادك قال اني أحببت أن أشكر فان قيل فقد كان

من الممكن أن يسوى بينهم في النعم ويسوى بينهم في الشكر كما فعل بالملائكة قبل لو فعل ذلك
 لكان الحاصل من الشكر نوع آخر غير النوع الحاصل منه على هذا الوجه والشكر الواقع على
 التفضيل والتخصيص أعلى وأفضل من غيره ولهذا كان شكر الملائكة وخضوعهم وذلم لغلمته
 وجلاله بعد أن شاهدوا من إبليس ما جرى له ومن هاروت وماروت ما شاهدوه أعلى وأكمل مما
 كان قبله وهذه حكمة الرب ولهذا كان شكر الأنبياء وأتباعهم بعد أن عاينوا هلاك أعدائهم وانتقام
 الرب منهم وما أنزل بهم من بأسه أعلى وأكمل وكذلك شكر أهل الجنة في الجنة وهم يشاهدون
 أعداءه المكذبين لرسله المشركين به في ذلك العذاب فلا ريب أن شكرهم حينئذ ورضاهم ومحبتهم
 لربهم أكمل وأعظم مما لو قدر اشتراك جميع الخلق في النعم فالجنة الحاصلة من أوليائه له والرضا
 والشكر وهم يشاهدون بين جنسهم في ضد ذلك من كل وجه أكمل وأتم * فالضد يظهر حسنه الضد *
 * ويضدها تبين الأشياء * ولولا خالق القيسح لما عرفت فضيلة الجمال والحسن ولولا خالق الفلالم
 لما عرفت فضيلة النور ولولا خالق أنواع البلاء لما عرفت قدر العافية ولولا الجحيم لما عرفت قدر الجنة
 ولو جعل الله سبحانه النهار سرمدا لما عرفت قدره ولو جعل الليل سرمدا لما عرفت قدره وأعرف
 الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء وأعرفهم بقدر الفقر من قاسى مرار الفقر والحاجة ولو كان الناس
 كلهم على صورة واحدة من الجمال لما عرفت قدر الجمال وكذلك لو كانوا كلهم يؤمنين لما عرفت قدر
 الايمان والنعمة به فبارك من له في خلقه وأمره الحكيم البواع والنعم السوابغ يوضحه الوجه السابع
 عشر أنه سبحانه يجب أن يعبد بأنواع العبودية ومن أعلاها وأجلاها عبودية الموالاة فيه والمعاداة فيه
 والحب فيه والبغض فيه والجهاد في سبيله وبذل مهج النفوس في مرضاته ومعارضة أعدائه وهذا
 النوع هو ذروة سنام العبودية وأعلى مراتبها وهو أحب أنواعها إليه وهو موقوف على ما لا يحصل
 بدونه من خالق الارواح التي تواليه وتشكره وتؤمن به والارواح التي تعاديه وتكفر به ويسلط
 بعضها على بعض لتحصيل بذلك محابه على أتم الوجود وتقرب أولياء الله للجهاد أعدائه ومعارضتهم
 فيه واذلالهم وكتبهم ومخالفة سبيلهم فتعلموا كلمته ودعوته على كلمة الباطل ودعوته ويتبين بذلك
 شرف علوها وظهورها ولو لم يكن للباطل والكفر والشرك وجود فعلى أى شئ كانت كلمته ودعوته
 تعلموا أن الأمر لشيء يستلزم غالبا ما يعلى عليه وعلو الشئ يعلى نفسه محال والوقوف على الشئ
 لا يحصل بدونه يوضحه الوجه الثامن عشر أن من عبوديته العتق والصدقة والايثار والمواساة والعتفو
 والصفح والصبر وكظم الغيظ واحتمال المكآره ونحو ذلك مما لا يتم الا بوجود متعلقه وأسبابه فلو لا
 لم تحصل عبودية العتق فالرق من أثر الكفر ولولا الظلم والاساءة والعدوان لم تحصل عبودية الصبر
 والمغفرة وكظم الغيظ ولولا الفقر والحاجة لم تحصل عبودية الصدقة والايثار والمواساة فلو سوى
 بين خلقه جميعهم لتعطلت هذه العبوديات التي هي أحب شئ إليه ولا خالها خلق الجن والانس
 ولاجلها شرع الشرائع وأنزل الكتب وأرسل الرسل وخلق الدنيا والآخرة وكأن ذلك من
 صفات كماله فلو لم يقدر الاسباب التي يحصل بها ذلك لغاب هذا الكمال وتعطلت أحكام تلك الصفات
 كما مر توضيحه الوجه التاسع عشر أنه سبحانه يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أعظم فرح يقدر أو
 يحظر ببال أو يدور في خلد وحصول هذا الفرح موقوف على التوبة الموقوفة على وجود ما يتاب منه

وما يتوقف عليه الشيء لا يوجد بدونه فإن وجود المازوم بدون لازمه محال ولا رب أن وجود الفرح أكمل من عدمه فمن تمام الحكمة تقدير أسبابه ولو أزمه وقد نبه أعلم الخلق بالله على هذا المعنى بعينه حيث يقول في الحديث الصحيح لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم فلو لم يقدر الذنوب والمعاصي فلم يغفر وعلى من يتوب وعمن يعفو ويسقط حقه ويظهر فضله وجوده وحله وكرمه وهو واسع المنفرة فكيف يعطى هذه الصفة أم كيف يتحقق بدون ما يغفر ومن يغفر له ومن يتوب وما يتاب عنه فلو لم يكن في تقدير الذنوب والمعاصي والمخالفات إلا هذا وحده لكانت به حكمة ونزاهة محدودة فكيف والحكم والمصالح والغايات المحمودات التي في ضمن هذا التقدير فوق ما يحظر بالبال وكان بعض العباد يدعو في طوافه اللهم اعصمني من المعاصي ويكرر ذلك قليل له في المنام أنت سألني العصمة وعبادى يسألوني العصمة فإذا عصمتكم من الذنوب فلمن أغفر وعلى من أتوب وعمن أعفو ولو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنوب أكرم الخلق عليه يوضحه الوجه العشرون أنه قد يترتب على خلق من يكفر به ويشرك به ويعاديه من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة ما لم يكن يحصل بدون ذلك فلو لا كفر قوم نوح لما ظهرت آية الطوفان وبقيت يتحدث بها الناس على عمر الزمان ولو لا كفر عاد لما ظهرت آية الریح العقيم التي دمرت مامرت عليه ولو لا كفر قوم صالح لما ظهرت آية اهلاكهم بالصيحة ولو لا كفر فرعون لما ظهرت تلك الآيات والهجائب يتحدث بها الامم أمة بعد أمة واهتدى من شاء الله فهلك بها من هلك عن بينة وحى بها من حى عن بينة وظهر بها فضل الله وعدله وحكمته وآيات رساله وصدقهم فمأرضة الرسل وكسر حججهم ودحضها والجواب عنها واهلاك الله لهم من أعظم أدلة صدقهم وبراهينه ولو لا محجى المشركين بالحد والحديد والعدد والشوكة يوم بدر لما حصلت تلك الآيات العظيمة التي يترتب عليهما من الايمان والهدى والخير مما يمكن حاصله مع عدمها وقد بينا أن الموقوف على الشيء لا يوجد بدونه ووجود المازوم بدون لازمه فلهذا علمت قصة بدر من ربيع أصبح أهلا بالايمان وقد فتحت لاولى النبي من باب وصولا منه الى الهدى والايقان وكم حصل بها من محبوب للرحمن وغبط للشيطان وتلك المفسدة التي نحصت في ضمنها للكفار مغمورة جدا بالنسبة الى مصالحها وحكمها وهي كمفسدة المطر اذا قطع المسافر وبلى الثياب وخرب بعض البيوت بالنسبة الى مصالحة العامة وتأمل ما حصل بالطوفان وغرق آل فرعون الامم من الهدى والايمان الذي غمر مفسدة من هلك به حتى تلاشت في جنب مصاحته وحكمته فكأن الله من حكمة في آياته التي ابتلى بها أعداءه وأكرم فيها أوليائه وكم له فيها من آية وحنة وتبصرة وتذكارة ولهذا أمر سبحانه رسوله أن يذكر بها أمته فقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى آياتنا أن أخرج قومه من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) وأذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك للاء لمن ربكم عظيم) فذكرهم بأيامه وانامه وشجائهم من عدوهم واهلاكهم وهم ينظرون فحصل بذلك من ذكره وشكره ومحبته وتعظيمه واجلاله ما تلاشت فيه مفسدة اهلاك الابناء ونجبتهم واضمحلت فانهم صاروا الى النعم وخلعوا من مفسدة العبودية لفرعون اذا كبروا وجروهم له سوء العذاب وكان الام الذي

ذاته الابوان عند الذبح أيسر من الآلام التي كانوا تجرعوها باستعباد فرعون وقومه لهم بكثير خطي بذلك الآباء والأبناء وأراد سبحانه أن يرى عباده ماهو من أعظم آياته وهو أن يرى هذا المولود الذي ذبح فرعون ماشاء الله من الاولاد في طلبه في حجر فرعون وفي بيته وعلى فراشه فكف في ضمن هذه الآية من حكمة ومصالحة ورحمة وهداية وتبصرة وهي موقوفة على لوازمها وأسبابها ولم تكن لتوجد بدونها فانه تمتع فصاحة تلك الآية وحكمتها غمرت مفسدة ذبح الابناء وجعلتها كان لم تكن وكذلك الآيات التي أظهرها سبحانه على يد الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم والعجائب والحكم والمصالح والفوائد التي في تلك القصة التي تزيد على الالف لم تكن لتحصل بدون ذلك السبب الذي كان فيه مفسدة حزونة يعقوب ويوسف ثم انقلبت تلك المفسدة مصالح اضمحلت في جنبها تلك المفسدة بالكلية وبصارت سببا لاعظم المصالح في حقه وحق يوسف وحق الاخوة وحق امرأة العزيز وحق أهل مصر وحق المؤمنين الى يوم القيامة فكف جنى أهل المعرفة بالله وأسائه وصفاته ورساله من هذه القصة من ثمرة وكم استفادوا بها من علم وحكمة وتبصرة وكذلك المفسدة التي حصلت لايوب من مس الشيطان له بنصب وعذاب اضمحلت وتلاشت في جنب المصلحة والمنفعة التي حصلت له ولغيره عند مفارقة البلاء وتبدله بالنعماء بل كان ذلك السبب المذكور هو الطريق الموصل اليها والشجرة التي جنت ثمار تلك النعم منها وكذلك الاسباب التي أوصلت خليل الرحمن الى ان صارت النار عليه بردا وسلاما من كفر قومه وشركهم وتكسيده أعضائهم وغضهم لها وإيقاد النيران العظيمة له والثائه فيها بالتعذيب حتى وقع في روضة خضراء في وسط النار وصارت آية وحجة وعبرة ودلالة للامم قرنا بعد قرن فكف لله سبحانه في ضمن هذه الآية من حكمة باغة ونعمة سابعة ورحمة وحجة وبينة لو تعطلت تلك الاسباب لتعطلت هذه الحكم والمصالح والآيات وحكمته وكاله المقدس بأبي ذلك وحصول الشيء بدون لازمه تمتع وكم بين ماوقع من المفساد الجزئية في هذه القصة وبين جعل صاحبها اماما للحنفاء الى يوم القيامة وهل تلك المفساد الجزئية الا دون مفسدة الحر والبرد والمطر والتلج بالنسبة الى مصالحها بكثير ولكن الانسان كما قال الله تعالى ظلوم جهول ظلوم لنفسه جهول بربه وعظمته وجلاله وحكمته وأتقن صنعته وكم بين اخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة على تلك الحال ودخوله اليها ذلك الدخول الذي لم يفرض به بشر جهورا لله وقد اكتنفته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله والمهاجرون والانصار قد أحدقوا به والملائكة من فوقهم والوحي من الله ينزل عليه وقد أدخله حرمة ذلك الدخول فاين مفسدة ذلك الاخراج الذي كان كأن لم يكن ولو لامعارضة السحرة لموسى بالقاء العصي والخيال حتى أخذوا أعين الناس واسترهبوهم لما ظهرت آية عصا موسى حتى ابتلعت عصمهم وجبالهم ولهذا أمرهم موسى أن يلقوا أولائهم يلقى هو بعدهم ومن تمام ظهور آيات الرب تعالى وكال اقتداره وحكمته أن يخلق مثل جبريل صلوات الله وسلامه عليه الذي هو أطيب الارواح العلوية وأزكاها وأطهرها وأشرفها وهو السفير في كل خير وهدى وإيمان وصالح ومخلق مقابله مثل روح اللعين ابليس الذي هو أخبث الارواح وأنجسها وشرها وهو الداعي الى كل شر وأصله ومادته وكذلك من تمام قدرته وحكمته ان خلق الضياء والظلام والارض والسما والجنة والنار

وسدرة المنتهى وشجرة الزقوم وليلة القدر وليلة الوباء والملائكة والشياطين والمؤمنين والكفار والابرار والفجار والحر والبرد والداء والدواء والآلام والذات والاحزان والمسررات واستخرج سبحانه من بين ماهو من أحب الاشياء اليه من أنواع العبوديات والتعرف الى خلقه بانواع الدلالات ولولا خلق الشياطين والهوى والنفس الامارة لما حصلت عبودية الصبر ومجاهدة النفس والشيطان ومخالفتها وترك ما يهواه العبد ويحبه الله فان لهذه العبودية شأنًا ليس لغيرها ولولا وجود الكفار لما حصلت عبودية الجهاد ولما نال أهله درجة الشهادة ولما ظهر من يقدم بحبة فاطره وخالقه على نفسه وأهله وولده ومن يقدم أدنى حظ من الحفظ عليه فإن صبر الرسل واتباعهم وجهادهم وتحملهم لله أنواع المكارة والمشاق وأنواع العبودية المتعلقة بالدعوة وإظهارها ولولا وجود الكفار وتلك العبودية تقتضى علمه وفضله وحكمته ويستخرج منه حمده وشكره ومحبة والرضا عنه يوضحه الوجه الحادى والعشرون انه قد استقرت حكمته سبحانه ان السعادة والنعيم والراحة لا يوصل اليها الا على جسر المشقة والتعب ولا يدخل اليها الا من باب المكارة والصبر وتحمل المشاق ولذلك حنف الجنة بالمكارة والنار بالشهوات ولذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد خلقها واقتضت حكمته أن لا يدخلها دخول استقرار الابد التعب والنصب فأنخرجه منها الا ليدخلها اليها أتم دخول فله كم بين الدخول الاول والدخول الثانى من التفاوت وكم بين دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في جواد المطعم بن عدى ودخوله اليها يوم الفتح وكم بين راحة المؤمنين ولذتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبين لذتهم لو خلقوا فيها وكم بين فرحة من عافاه بعد ابتلائه وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله وجمع قلبه بعد شتائه وفرحة من لم يذق تلك المرات وقد سبقت ما لحكمة الالهية ان المكارة أسباب الذات والخبرات كقَالَ تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

وربما كان مكروه النفوس الى محبوبيها سبباً ما مثله سبب

يوضحه الوجه الثانى والعشرون ان العقلاء قاطبة متفقون على استحسان آتاعب النفوس في تحصيل كالاتها من العلم بالنافع والعمل الصالح والاخلاق الفاضلة وطلب محمدة من ينفعهم حمده وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالاً وأرفع قدراً وكذلك يستحسنون آتاعب النفوس في تحصيل الغنى والعز والشرف ويذمون القاعد عن ذلك وينسبونهم الى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر

دع المكالم لاتعزز لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وهذا التعب والكذب يستازم الآماو حصول مكارة ومشاق هي الطريق الى تلك الكالات ولا يقدحوا بتحمل تلك في حكمة من يحماها ولا يدعونه عائباً بل هو العقل الوافر ومن أمر غيره به فهو حكيم في أمره ومن نهاه عن ذلك فهو سفيه عدوله هذا في مصالح المماس فكيف بمصالح الحياة الابدية الدائمة والنعيم المقيم كيف لا يكون الأمر بالتعب القليل في الزمن اليسير الموصل الى الخير الدائم حكيماً رحيماً محسناً نافعاً لمن يأمره وينهاه عن ضده من الراحة واللذة التي تقطعه عن كماله ولذته ومسرته الدائمة هذا الى ما في أمره ونهيه من المصالح العاجلة التي بها سعادته وفلاحه وصلاحه ونهيه عما فيه

مضرته وعطبه وشقاوته فأوامر الرب تعالى رحمة واحسان وشفاء ودواء وغذاء للقلوب وزينة للظاهر والباطن وحياة للقلب والبدن وكرم في ضمنه من مسرة وفرحة ولذة وبهجة ونعيم وقرة عين فما يسميه هؤلاء تكاليف إنما هو قرة العيون وبهجة النفوس وحياة القلوب ونور العقول وتكميل للقطر واحسان تام الى النوع الانساني أعظم من احسانه اليه بالصحة والعافية والطعام والشراب واللباس فنعته على عباده بارسال انزل اليهم وانزال كتبه عليهم وتعريفهم أمره ونهيه وما يحبه وما يكره أعظم النعم وأجلها وأعلاها وأفضلها بل لانسبة لرحمتهم بالشمس والقمر والغيث والنبات الى رحمتهم بالعلم والايمان والشرائع والحلال والحرام فكيف يقال أى حكمة في ذلك وإنما هو مجرد مشقة ونصب بغير فائدة فوالله ان من زعم ذلك وظنه في أحكم الحاكمين لاضل من الانعام وأسوأ حالا من الحمار ونعوذ بالله من الخذلان والجهل بالرحمن وأسائه وصفاته وهل قامت مصالح الوجود الا بالامر والنهي وارسال الرسل وانزال الكتب ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يتهارجون في الطرقات ويتسافدون تسافدا لحيوانات لا يعرفون معروف ولا يشكرون منكرا ولا يمتنعون من قبيح ولا يهتدون الى صواب وأنت ترى الامكنة والازمنة التي خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها وما دخل عليهم من الجهل والظلم والكفر بالخالق والشرك بالخلق واستحسان القبائح وفساد العقائد والاعمال فان الشرائع بتزليل الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذي يعلم مافي ضمنها من مصالح العباد في المعاش والمعاد وأسباب سعادتهم الدنيوية والاخرية فجعلها غداء ودواء وشفاء وعصمة وحصنا وماجأ وجنة ووقاية وكانت القياس الى مصالح الابدان بمنزلة حكيم عالم ركب للناس أمرا يصلح لكل مرض ولكل ألم وجعله مع ذلك غداء للأعضاء فمن يغذى به من الاعضاء غذاء ومن يداوى به من المرض شفاء وشرائع الرب تعالى فوق ذلك وأجل منه وإنما هو تمثيل وتقريب فلا أحسن من أمره ونهيه وتحليله وتوجيه أمره قوت وغذاء وشفاء ونهيه حية وصيانة فلم يأمر عباده بما أمرهم به حاجة منه اليهم ولا عبثا بل رحمة واحسانا ومصلحة ولا تهاهم عما تهاهم عنه بخلافه عليهم بل حماية وصيانة عما يؤذيهم ويعود عليهم بالضرر ان تناولوه فكيف يتوهم من له مسكة من عقل خلوها من الحكم والغايات المحمودة المطلوبة لأجلها ولهذا استدل كثير من العقلاء على النبوة بنفس الشريعة واستغنوا بها عن طلب المعجزة وهذا من أحسن الاستدلال فان دعوة الرسل من أكبر شواهد صدقهم وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم اذا رأى حاذقا قد صنف فيه كتابا جليلا عرف أنه من أهل ذلك العلم بنظره في كتابه وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخبرة بأقوال الرسل ودعوتهم اذا نظر في هذه الشريعة قطع قطعاً نظير القطع بالمحسوسات ان الذي جاء بهذه الشريعة رسول صادق وان الذي شرعها أحكم الحاكمين ولقد شهد لها عقلاء الفلاسفة بالكمال والتمام وانه لم يطرئ العالم ناموس أكمل ولا أحكم هذه شهادة الاعداء وشهد لها من زعم أنه من الاولياء بانها لم تشرع لحكمة ولا لمصلحة وقالوا أى حكمة في الازام بهذه التكاليف الشاقة المتعبة وأى مصلحة للمكلف في ذلك وأى غرض للمكلف وماهى الاحمض المشيئة المجردة من قصد غاية أو حكمة ولو استحيى هؤلاء من العقلاء لمنعهم الحياء من تسويد القلوب والاوراق بمثل ذلك وهل تركت الشريعة خبيرا ومصلحة الاجاءت به وأمرت به ونذبت اليه وهل تركت شررا ومفسدة الانتهت عنه وهل تركت لمفرح أفرحا

أولمتعت نعمتا أولسائل مطلباً من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون وعند نفاة الحكم أنه يجوز عليه ضد ذلك الحكم من كل وجه وأنه لا فرق بينه وبين ضده في نفس الامر المجرد التحكم والمشيمة فلو اجتمعت حكمة جميع الحكماء من أول الدهر الى آخره ثم قيست الى حكمة هذه الشريعة الكاملة الحكيمه الفاضلة لكانت كقطرة من بحر وانما نفى بذلك الشريعة التي أنزلها الله على رسوله وشرعها للامة ودعاهم اليها لا للشريعة المبذلة والمأولة ولا ما غلط فيه الغالطون وتأوله المتأولون فان هذين النوعين قد يشتملان على فساد وشر بل الشر والفساد الواقع بين الامة من هاتين الشريعتين اللتين نسبتا الى الشريعة المنزلة من عند الله عمداً أو خطأً أو لا فالشريعة على وجهها خير محض ومصلحة من كل وجه ورحمة وحكمة ولطف بالمكافئين وقيام مصالحهم بها فوق قيام مصالح أبدانهم بالطعام والشراب فهي مكملة لا فطر والعقول مرشدة الى ما يحبه الله ويرضاه ناهية عما يبغضه ويسخطه مستعملة لكل قوة وعضو حركة في كاله الذي لا كاله سواه أمرة بمكارم الاخلاق ومعالها ناهية عن دنياها وسفسافها واختصار ذلك انه شرع استعمال كل قوة وكل عضو وكل حركة في كاله ولا سبيل الى معرفة كاله على الحقيقة الا بالوحى فكانت الشرائع ضرورية في مصالح الخلق وضرورتها له فوق كل ضرورة تقدر فهي أسباب موصلة الى سعادة الدارين ورأس الاسباب الموصلة الى حفظ صحة البدن وقوته واستفراغ اخلاطه ومن لم يتصور الشريعة على هذه الصورة فهو من أبعد الناس عنها وقد جعل الحكيم العالم لكل قوة من القوى ولكل حاسة من الحواس ولكل عضو من الاعضاء كالا حسياً وكالا معنوياً وفقد كاله المعنوى شر من فقد كاله الحسى فكاله المعنوى بمنزلة الروح والحسى بمنزلة الجيم فاعطاه كاله الحسى خلقاً وقدراً واعطاه كاله المعنوى شرعاً وأمراً فبلغ بذلك غاية السعادة والارتفاع بنفسه فلم يدع للاحسان اليه والاعتناء بمصالحه وارشاده اليها واعاته على تحصيلها أفرحاً يفرحه ولا شفاء يطلبه بل أعطاه من ذلك ما لم يصل اليه أفرحاً ولا تدرك معرفته ويكفي العاقل البصير الحى القلب فكرة في فرع واحد من فروع الامر والنهى وهو الصلاة وما اشتملت عليه من الحكم الباهرة والمصالح الباطنة والظاهرة والمنافع المتصلة بالقلب والروح والبدن والقوى التي لو اجتمع حكماء العالم قاطبة واستفرغوا قواهم وأذهنهم لما أحاطوا بتفاصيل حكمها وأسرارها وغاياتها الممودة بل انقطعوا اكلم دون أسرار الفاتحة وما فيها من المعارف الالهية والحكم الربانية والعلوم النافعة والتوحيد التام والثناء على الله باصول أممائه وصفاته وذكر أقسام الخائفة باعتبار غاياتهم ووسائلهم وما في مقدماتها وشروطها من الحكم العجيبة من تطهير الاعضاء والسياب والمكان واخذ الزينة واستقبال بيته الذى جعله اماماً للناس وتقريغ القلب لله واخلاص النية واقتراحها بكلمة جامعة لمعانى العبودية دالة على أصول الثناء وفروعه مخرجة من القلب الالتفات الى مانواه والاقبال على غيره فيقدم قلبه الوقوف بين يدى عظيم جليل أكبر من كل شئ وأجل من كل شئ وأعظم من كل شئ بلا سبب في كبريائه السموات وما أظلت والارض وما أقلت والعوالم كلها غنت له الوجوه وخضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة قاهر فوق عباده ناظر اليهم عالم بما تكن صدورهم يسمع كلامهم ويرى مكنهم لا يخفى عليه خافية من أمرهم ثم أخذ في تسيبته وحده وذكر تبارك اسمه وتعالى جده وتقرده بالالهية ثم أخذ في الثناء عليه بأفضل ما يثنى عليه به من حمده وذكر ربه يوتيه للعالم واحسانه اليهم

ورحمته بهم وتمجيده بالملك الاعظم في اليوم الذي لا يكون فيه ملك سواه حتى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ويدينهم بأعمالهم ثم افراده بنوعى التوحيد توحيد ربوبيته استعانة به وتوحيد إلهيته عبودية له ثم سؤله أفضل مسؤول وأجل مطلوب على الاطلاق وهو هداية الصراط المستقيم الذي نصبه لآلبيائه ورسله واتباعهم وجعله صراطا موصلامن سلكه اليه والى جنته وأنه صراط من اختصهم بنعمته بان عرفهم الحق وحملهم متبعين له دون صراط امة الغضب الذي عرفوا الحق ولم يتبعوه واهل الضلال الذين ضلوا عن معرفته واتباعه قُضمت تعريف الرب والطريق الموصل اليه والغاية بعد الوصول وتضمنت الثناء والدعاء واشرف الغايات وهى العبودية وأقرب الوسائل اليها وهى الاستعانة مقدما فيها على الوسيلة والمعبود المستعان على الفعل ايدانا لاختصاصه وان ذلك لا يصلح الاله سبحانه وتضمنت ذكر الالهية والربوبية والرحمة فيثنى عليه ويعبد باهل بيته ويخاف ويرزق ويميت ويحيى ويدبر الملك ويضل من يستحق الاضلال ويغضب على من يستحق الغضب بربوبيته وحكمته وينعم ويرحم ويجود ويعفو ويغفر ويهدى ويتوب برحمته فله كم في هذه السورة من أنواع المعارف والعلوم والتوحيد وحقائق الايمان ثم يأخذ بعد ذلك في تلاوة ربيع القلوب وشفاء الصدور ونور البصائر وحياة الارواح وهو كلام رب العالمين فيحل به في مائئتين من روضات موفقات وحدائق معجبات زاهية ازهارها موفقة ثمارها قد ذلت قطوفها تذليلًا وسهلت لمنازلها تسهلا فهو يجتني من تلك الثمار خيرا يؤمر به وشرًا ينهى عنه وحكمة وموعظة وتبصرة وتذكيرة وعبرة وتقريرًا لحق ودحضًا لباطل وازالة لشبهة وجوابا عن مسئلة وايضا حلا لمشكل وترغيا في أسباب فلاح وسعادة وتحذيرا من أسباب خسران وشقاوة ودعوة الى هدى وترد عن ردى فتزل على القلوب نزول الغيث على الارض التى لاحياة لها بدونه ويحل منها محل الارواح من أبدانها فإى نعيم وقررة عين ولذة قلب واتباع وسرور لا يحصل له في هذه المناجاة والرب تعالى يسمع لكلامه جارا على لسان عبده ويقول حمدنى عبدي أننى على عبدي محمدنى عبدي ثم يعود الى تكبير ربه عز وجل فيجد ربه عهد التذكرة كونه أكبر من كل شئ بحق عبوديته وما ينبغي أن يعامل به ثم يرجع جانيا له ظهره خضوعا لعظمته وتذلا لعزته واستكانة لجبروته مسبحا له بذكر اسمه العظيم فزده عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع قد تظامن وطأ طأ رأسه وطوى ظهره وربه فوقه يرى خضوعه وذله ويسمع كلامه فهو ركن تعظيم واجلال كما قال صلى الله عليه وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب ثم عاد الى حاله من القيام حامدا لربه مثنيا عليه باكمل محامده وأجمعها وأعظمها مثنيا عليه بأنه أهل الثناء والمجد معترفا بعبوديته شاهدا بتوحيده وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأنه لا ينفع أصحاب الجحود والاموال والحفظ جودهم عنه ولو عظمت ثم يعود الى تكبيره ويحز له ساجدا على أشرف ما فيه وهو الوجه فيعفره في التراب ذلا بين يديه ومسكنة وانكسارا وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتى أطراف الانامل ورؤس الاصابع ونذب له أن يسجد معه ثيابا وشره فلا يكفيه وأن لا يكون بعضه محمولا على بعض وان يتأسر التراب بحبته وينال قبل وجهة المصلى ويكون رأسه أسفل مائه تكميلا للخضوع والتذليل لمن له العز كله والعظمة كلها وهذا أيسر اليسير من حقه على عبده فلو

دام كذلك من حين خالق الى أن يموت لما أدى حق ربه عليه ثم أمر أن يسبح ربه الاعلى
 فيذكر علوه سبحانه في حال سفوله هو وينزهه عن مثل هذه الحال وان من هو فوق كل شيء
 وعال على كل شيء ينزه عن السفول بكل معنى بل هو الاعلى بكل معنى من معاني العلو ولما كان
 هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره كان أقرب ما يكون الرب منه في هذه الحال فامر أن يجتهد
 في الدعاء اقربه من القرب المحيى وقد قال تعالى فاسجد واقترب وكان الركوع كالمقدمة بين يدي
 السجود والتوطئة له فينقل من خضوع الى خضوع أكمل وأتم منه وأرفع شأنًا وفصل بينهما بركن
 مقصود في نفسه يجتهد فيه بالحمد والثناء والتمجيد وجعل بين خضوع قلبه وخضوع بعده
 وجعل خضوع السجود بعد الحمد والثناء والمجد كما جعل خضوع الركوع بعد ذلك فتأمل هذا
 الترتيب العجيب وهذا التنقل في مراتب العبودية كيف ينتقل من مقام الثناء على الرب بأحسن
 أوصافه وأسمائه وأكمل محامده الى من له خضوعه وتذلل ان له هذا الثناء ويستصح في مقامه
 خضوعه بما يناسب ذلك المقام ويليق به فتذكر عظمة الرب في حال خضوعه وعلوه في حال سفوله
 ولما كان أشرف اذكار الصلاة القرآن شرع في أشرف أحوال الانسان وهي هيئة القيام التي قد
 اتصفت فيها قائما على أحسن هيئة ولما كان أفضل أركانها الفعلية السجود شرع فيها بوصف التكرار
 وجعل خاتمة الركعة وغايتها التي انتهت إليها مطابق افتتاح الركعة بالقرآن واختتامها بالسجود أول
 سورة افتتح بها الوحي فأنها بدئت بالقراءة وختمت بالسجود وشرع له بين هذين الخشوعين أن
 يجلس جلسة العبد ويسأل ربه أن يغفر له ويرحمه ويرزقه ويهديه ويعافيه وهذه الدعوات تجمع له
 خير دنياه وآخرته ثم شرع له تكرار هذه الركعة مرة بعد مرة كما شرع تكرار الاذكار والدعوات
 مرة بعد مرة ليستعد بالاول لتكثيل ما بعده ويجبر بما بعده ما قبله وليشبع القلب من هذا الغذاء
 وليأخذ رواء ونصيبه وافرا من الدواء ليقاومه فان منزلة الصلاة من القلب منزلة الغذاء والدواء
 فاذا تناول الخبيث الشديد الجوع من اللقمة أو اللقمتين كان غناؤها عنه وسدها من جوعه يسيرا جدا
 وكذلك المرض الذي يحتاج الى قدر يقنى من الدواء اذا أخذ منه المريض قيراطا من ذلك لم يزل
 مرضه بالكلفة وأزال بحسبه فما حصل الغذاء أو الشفاء للقلب بمثل الصلاة وهي لصحته ودوائه
 بمنزلة غذاء البدن ودوائه ثم لما أكمل صلاته شرع له أن يقعد بقعدة العبد الذليل المسكين لسيده ويشئ
 عليه بافضل التحيات ويسلم على من جاء بهذا الحظ الجزيل ومن ناله الامة على يديه ثم يسلم على نفسه
 وعلى سائر عباد الله المشاركين له في هذه العبودية ثم يشهد شهادة الحق ثم يعود فيصل على من علم
 الامة هذا الخير ودلهم عليه ثم شرع له أن يسأل حوائجه ويدعو بما أحب مادام بين يدي ربه
 مقبلا عليه فاذا قضى ذلك أذن له في الخروج منها بالتسليم على المشاركين له في الصلاة
 هذا الى ما تضمنته الاحوال والمعارف من أول المقامات الى آخرها فلا يجد منزلة من منازل السير
 الى الله ولا مقاما من مقامات العارفين الا وهو في ضمن الصلاة وهذا الذي ذكرناه من شأنها
 كقطرة من بحر فكيف يقال أنها تكليف محض لم يشرع حكمه ولا لغاية قصدها الشارع بل هي
 محض وكلفة ومشقة مستعدة الى محض المشيئة لا لغرض ولا لفائدة البتة بل مجرد قهر وتكليف
 وليست سببا لشيء من مصالح الدنيا والآخرة ثم تأمل أبواب الشريعة ووسائلها وغاياتها كيف

تجدها مشحونة بالحكم المقصودة والذيات الحميدة التي شرعت لأجلها التي لولاها لكان الناس كالبهائم بل أسوأ حالا فكم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبطن وتفرغ القلب وتنشيط للجوارح وتخفيف من أحمال مأوجبه الطبيعة والقادح النفس من درن الخالفات فبى منظفة للقلب والروح والبدن وفي غسل الجنبه من زيادة النعومة والاختلاف على البدن نظير ما تخمل منه الجنبه ما هو من أنفع الامور وتأمل كون الوضوء في الاطراف التي هي محل الكسب والعمل تجمل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق وهذه الابواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها منها يدخل اليها ثم جمل في اليدين وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويعطى ثم في الرجلين اللتين بهما يمشى ويسعى ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة جعل مكانه المسح وجعل ذلك مخرجا لمخاطيا من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان يبسطها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب رواه مسلم وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان ابن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى يخرج من تحت أظفاره فهذا من أجل حكم الوضوء وفوائده وقال نفاة الحكمة أنه تكليف ومشقة وعناء محض لا مصلحة فيه ولا حكمة شرع لأجلها ولو لم يكن في مصاحته وحكمته الا أنه سماء هذه الامة وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الامم ليست لاحد غيرهم ولو لم يكن فيه من المصاحبة والحكمة الا أن المتوضئ يظهر يديه بالماء وقابه بالتوبة ليستعد للدخول على ربه ومناجاة والوقوف بين يديه طاهر البدن والثوب والقلب فاي حكمة ورحمة ومصاحبة فوق هذا ولما كانت الشهوة تجرى في جميع البدن حتى ان تحت كل شعرة شهوة سرى غسل الجنبه الى حيث سرت الشهوة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان تحت كل شعرة جنابة فامر أن يوصل الماء الى أصل كل شعرة فيبرد حرارة الشهوة فتسكن النفس وتطمئن الى ذكر الله وتلاوة كلامه والوقوف بين يديه فوالله لو أن أبراط ودونه أو صوا يمثل هذا الخضع أتباعهم لهم فيه وعظموهم عليه غاية التعظيم وأبدوا له من الحكم والفوائد ما قدروا عليه ثم لما كان العبد خارج الصلاة مهمل جوارحه قد أساءها في مراتع الشهوات والحظوظ أمر الصودية بجميع جوارحه كلها على ربه وتأخذ بمحظا من عبوديته فيسلم قلبه وبدنه وجوارحه وحواسه وقواه لربه عز وجل واقفا بين يديه مقبلا بكله عليه معرضا عن سواه متصلا من اعراضه عنه وجنابته على حقه ولما كان هذا طبعه وذاته أمر ان يجد هذا الركوع اليه والاقبال عليه وقتا بعد وقت لئلا يطول عليه الامد فينسى ربه وينقطع عنه بالكلية وكانت الصلاة من أعظم نعم الله عليه وأفضل هداياه التي ساقها اليه فابى نفاة الحكمة الا جعلها كلفة وعناء وتعبا لا حكمة ولا مصلحة التبتة الا مجرد القهر والمشقة وقد فتح ذلك الباب فساق الشرعية كلها من أولها الى آخرها هذا المساق واستدل بما ظهر لك على ما خفي عنك ولعل الحكمة فيها لم تعلمه أعظم منها فيما علمته فان الذي علمته على قدر عقلك وفهمك وما خفي عنك فهو فوق

عقلك وفهمك ولو تتبعنا تفصيل ذلك لحاء عدة اسفار فيكتفي منه بادنى بيعة والله المستعان * الوجه الثالث والعشرون ان هذه الجمادات والحيوانات المختلفة الاشكال والمقادير والصفات والمنافع والقوى والاغذية والنباتات التي هي كذلك فيها من الحكم والمنافع ما قد اكثرت الالهم في وصفه ويجربته على ممر الدهور ومع ذلك فلم يصلوا منه الا الى ايسر شئ وأقله بل لو اتفق جميع الالهم لم يحيطوا علما بجميع ما اودع واحدا من ذلك النوع من الحكم والمصالح هذا الى ما في ضمن ذلك من الاعتبار والدلالة الظاهرة على وجود الخالق ومشيئته واختياره وعلمه وقدرته وحكمته فان المادة الواحدة لا تحتل بنفسها هذه الصور الغريبة والاشكال المتنوعة والمنافع والصفات ولو تركت مع غيرها فليس حدوث هذه الانواع والصور بنفس التركيب أيضا ولا هو مقيض له حصول هذا التنوع والتفاوت والاختلاف في الحيوان والنبات من أعظم آيات الرب تعالى ودلائل ربوبيته وقدرته وحكمته وعلمه وأنه فعال لما يريد اختيارا ومشيئة فتتويع مخلوقاته وحدوثها شأ بعد شئ من أظهر الدلالات وتأمل كيف أرشد القرآن الى ذلك في غير موضع كقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقوله تعالى ان في خالق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقوله ومن آياته خالق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وقوله هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون يثبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل النورات ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وقال تعالى والله خالق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير فتأمل كيف نبه سبحانه باختلاف الحيوانات في المشي مع اشتراكها في المساعدة على الاختلاف فيما وراء ذلك من أعضائها واشكالها وقواها وافعالها وأغديتها ومساكنها فبه على الاشتراك والاختلاف فيسير الى يسير منه الطائر كلها تشترك في الريش والجناح وتفاوت فيما وراء ذلك أعظم تفاوت عجز البشر الى الآن عن حصره كالنرس والحمار والبغل وتفاوتها في ما وراء ذلك واشتراك ذوات الاطراف في الغائب وتفاوتها في غير ذلك واشتراك ذوات القرون فيها وتفاوتها في الخلق والمنافع والاشكال واشتراك حيوانات الماء في كونها سابحة تأوى فيها وتتكون فيها وتفاوتها أعظم تفاوت عجز البشر الى الآن عن حصره واشتراك الوحوش في البعد عن الناس والتفاوت عنهم وعن مساكنهم وتفاوتها في صفاتها واشكالها وطبائعها وافعالها أعظم تفاوت يعجز البشر عن حصره واشتراك الماشي منها على بطنه في ذلك وتفاوت نوعه واشتراك الماشي على رجلين في ذلك وتفاوت نوعه أعظم تفاوت عجز البشر عن هذه الانواع له علم وادراك وتحيل على جاب مصالحه ودفع مضاره يعجز كثير منه نوع الانسان من أعظم الحكم الدلالة الظاهرة على معرفة الخالق الواحد المستولى بقوته وقدرته وحكمته على ذلك كله بحيث جاءت كلها مطبوعة متباددة منساقة الى ما خلقها له على وفق مشيئته وحكمته وذلك قول شئ على قوته

القاهرة وحكمته البالغة وعلمه الشامل فيعلم احاطة قدرة واحدة وعلم واحد وحكمة واحدة أعنى
بالنوع من قادر واحد حكيم واحد بجميع هذه الانواع وأضافها مما لاتعلمه العقول البشرية كما قال
ويخاف ما لاتعلمون وقال فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون فيجمع غايات فعلها وحكمة خلقه وأمره
الى غاية واحدة هي منتهى الغايات وهي إلهية الحق التي كل الهية سواها فهي باطل ومحال فهي غاية
الغايات ثم ينزل منها الى غايات أخر هي وسائل بالنسبة اليها وغايات بالنسبة الى مادونها وان الى
ربك الملتئى فليس وراءه معلوم ولا مطلوب ولا مذكور الا العدم المحض وليس في الوجود الا الله
ومفعولاته وهي آثار أفعاله وأفعاله آثار صفاته وصفاته قائمة به من لوازم ذاته والمقصود ان الغايات
المطلوبة العلم باحاطة علم واحد من عالم واحد وفعل واحد من فاعل واحد وقدرة واحدة من قادر
واحد وحكمة واحدة من حكيم واحد بجميع ما فيه على اختلاف ما فيه واجتمعت غايات فعله وأمره
الى غاية واحدة وذلك من اظهر أدلة توحيد الألهية كما ابتدأت كلها من خالق واحد وقادر واحد
ورب واحد ودل على الامرين أعنى توحيد الربوبية والألهية النظام الواحد والحكمة الجامعة
للانواع المختلفة مع ضدها وتبذرها ودل افتقار بعضها الى بعض وتشبك بعضها ببعض ومعاونة
بعضها ببعض وارتباطه به على أنها صنع فاعل واحد ورب واحد فلو كان معه آلهة وأرباب غيره كما
لا ترضى ملوك الدنيا أن يحتاج ملوك أحدهم الى ملوك غيره مثله لما في ذلك من النقص والعيب
المتنافي لكمال الاقدار والغناء ودل اتضامها في الوجود ووقوعها في مراتبها واختلافها على أكل الوجوه
وأحسنها على انتهائها الى غاية واحدة ومطلوب واحد هو إلهها الحق ومعبودها الاعلى الذي لا إله
لها غيره ولا معبود لها سواه فتأمل كيف دل اختلاف الموجودات وثباتها واجتماعها فيما اجتمعت فيه
وافترقا فيما افترقت على إله واحد ورب واحد ودل على صفات كماله ونوعوت - بلاله فالوجودات
باسرها كمسكر واحد له ملك واحد وسلطان واحد يحفظ بعضه ببعض وينظم مصالح بعضه ببعض
ويسد خلل بعضه ببعض فيمد هذا بهذا ويقوى هذا بهذا وينقص من هذا فيزيده في الآخر يوجب
الليل في النهار ويوجب النهار في الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويبد هذا فينشى
مكانه من جنبه ما يقوم مقامه ويسد مسده فيشهد حدوث الثانى ان الذى أحده وأوجده هو الذى
أحدث الاول لا غيره وان حكمته لم يتغير وعلمه لم ينقص وقدرته لم تضعف وانه لا يتغير بتغير ما يغير
منها ولا يضمحل باضمحلاله ولا يتلاشى بتلاشيه بل هو الحى القيوم العزيز الحكيم هذا الى ما في
لوازم مكبرها واتظام بعضها ببعض وما يصدر عنها من الافعال والآثار من حكم وأفعال أخرى
وغايات أخر حكمها حكم موادها وحوايلها كما نشاهده في أشخاصها وأعيانها مثال ذلك في احداثه
واحدة انك ترى المعدة تشاق الغذاء وتجتذبه اليها فانظر لوازم ذلك قبل تناوله ولوازمه بعد تناوله وما
يترتب على تلك اللوازم من عمارة الدنيا فاذا جذبت اليها أنضجته وطبخته كما تتبجح القدر ما فيها
فتنضجه الانضاج الذى تمد له تغذى جميع أجزاء البدن وقواه وأرواحه به وهي اذا أنضجته لاجل
نصيبها الذى ينالها منه فهو قليل من كثير بالنسبة الى انتفاع غيرها به فيدفع ما فضل عن غذائها عنها
الى من هو شديد الحاجة اليه على قدر حاجته من غير أن يقصد ذلك أو يشعر به ولكن قد قصد
وأحكمه من هو بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير يدره بحكمته وعلمه وساقه في الجارى التى لا ينفذ

ففي الإبر لدقة مسالكها حتى أوصله إلى المحتاج إليه الذي لإصلاح له الإبوصوله إليه وكانت طبيعة الكبد ومزاجها في ذلك تلي طبيعة المعدة وفعلها يلي فعلها وكذلك الأمعاء وباقي الأعضاء كالكبد للقلب في أعداد الغذاء والقلب للرئة والرئة للقلب في أعداد الهواء وإصلاحه فالأعضاء الموجودة في الشخص إذا تأملتم وتأملت أفعالها ومنافعها وما تضمنه كل واحد منها من حكمة اختصت به كشكله ووصفه ومزاجه ووضعه من الشخص بذلك الموضع المعين علمت علما يقينا أن ذلك صادر عن خالق واحد ومدير واحد وحكيم واحد فانتقل من هذا إلى أشخاص العالم شخصا شخصا من النوع الإنساني تجد الحكمة الواحدة الظاهرة في تلك الأفراد الكثيرة قد نفعت بعضهم ببعض وأعانت بعضهم ببعض حرانا لزراع وزراعا لحاصد وحائك لحياط وخياط النجار ونجارا لبناء فهذا يعين هذا بيده وهذا يرحله وهذا يعينه بعينه وهذا يذنه وهذا بلسانه وهذا بماله وإذا لا يقدر أحدهم على جميع مصالحه ولا يقوم بحاجة ولا توجد في كل واحد منهم جميع خواص نوعه فهم بأشخاصهم الكثيرة كالإنسان واحد يقوم بعضه بمصالح بعض قد كمل خواص الإنسانية في صفاته وأفعاله وصناعاته وما يرام منه فإن الواحد منهم لا يفي بأن يجمع جميع الفضائل العلمية والعملية والقوة والبقاء فجعل ذلك في النوع الإنساني بحيلته والله سبحانه قد فرق كالات النوع في أشخاصه وجعل لكل شخص منها ما هو مستعد قابل له بحيث لو قيل أكثر من ذلك لأعطاء فانه جواد لذاته قد فاض جوده وخيره على العالم كله وفضل عنه أضعاف ما فاض عليه فهو يفيضه على أتاقب الآت أبدا وكذلك يفضل في الجنة فضل عن أهلها فينشئ لها خلقا يسكنهم فضائها وأما يتخصص فضله بحسب استعداد العوامل والمعدات وذلك بمشيئته وحكمته فهو الذي أوجدها وهو الذي أعدها وهو الذي أمدّها ولما كان جوده وفضله أوسع من حاجة الخلق لما يكن بدم من بقاء كثير منه مبدولا في الوجود مهملا وهذا كضوء الشمس مثلا فإن مصالح الحيوان لا تتم إلا به وهي تشرق على مواضع فضلت عن حوائج بني آدم والحيوان وكذلك المطر والنبات وسائر النعم ومع ذلك فلم يعطل وجودها عن حكم ومصالح وعبر ودلالات وعطاء الرب ونعمه أوسع من حوائج خلقه فلا بد أن يبق في المياه والأقوات والنبات وغير ذلك أجزاء مهمة ولا يقال ما الحكمة في خلقها فإن هذا سؤال جاهل ظالم فإن الحكمة في خلق الأرض وما عليها ظاهرة لكل بصير والمصور بعضها لأكلها والرب تعالى واسع الجود دائم تجوده وخيره عام دائم فلا يكون إلا كذلك فإن ذلك من لوازم علمه وقدرته وحكمته ولعلمه وقدرته وحكمته العموم والشمول والكمال المطلق بكل اعتبار فيعلم من استقراء العالم وأحواله إنه أود إلى عالم واحد وقادر واحد وحكيم واحد أقن نظامه أحسن الاتقان وأوجده على أتم الوجود وهو سبحانه ناظم أفعال الفاعلين مع كثرتها ورباط بعضها ببعض ومعين بعضها ببعض وجعل بعضها سببا لبعض وغاية لبعض وهذا من أدل الدليل على أنه خالق واحد ورب واحد وقادر واحد دل على قدرته كثرة أفعاله وتنوعها في الوقت الواحد وتماقبا على تالي الآت وتعين تصرفاته في مخلوقاته على كثرتها ودل على علمه وحكمته كون كل شيء كبير وصغير ودقيق وجليل داخل في النظام الحكمي ليس منها شيء حتى مسام الشعر في الجلد ومرشح العباب في النعم ومجارى الشعب الدقيقة من العروق في أصغر الحيوانات التي تعجز عنها أبصارنا ولا تاتلها قدرتها وهذا فيما دق لصغره وفيما جل لعظمه كالرياح الحاملة للمسحب إلى الأرض

الجزر التي لانبات بها فيمطرها عليها فيخرج بها نباتا ويحيي بها حيوانا ويجعل فيها جزئين من الطعام والشراب والاقوات والادوية دع ما فرق ذلك من تسخير الشمس والقمر والنجوم واختلاف مطالعها ومغارها لاقامة دولة الليل والنهار وفصول العام التي بها نظام مصالح من عليها فإذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع عبادته فالسما سقفه والارض بساطه والنجوم زينه والشمس سراجها ومصالح سكانه والليل سكنهم والنهار معاشهم والمطر سقيهم والنبات غذاؤهم ودواهم وفاكهم والحيوان خدمهم ومنه قوتهم ولباسهم والحوار كنوزهم وزخائرهم كل شيء منها لما يباح له فضرر النبات لجميع حاجتهم وصنوف الحيوانات معدة لجميع مصالحهم وذلك أدل دليل على وحدانية خالقه وقدرته فلم يكن لون السماء أزرق اتفاقا بل الحكمة بالهارة فان هذا اللون أشد الالوان موافقة للبصر حتى ان في وصف الاطباء لمن أصابه ما أضر بصره أو كالم بصره ادمان النظر الى الخضرة وما قرب منها الى السواد فجعل أحكم الحاكمين أديم السماء بهذا اللون ليسك الابصار الراجعة فلا ينكأ فيها فهذا الذي أدركه الناس بمد الفكر والتجربة قد وجد مفروغا منه في الخاتمة ولم يكن طلوع الشمس وغروبها على هذا النظام لغير علة ولا حكمة مطبوعة فكم من حكمة ومصالحة في ذلك من اقامة الليل والسكن فيه والنهار والمعاش فيه فلو جعل الله عالمهم الليل سرمدا لتعطلت مصالحهم وأكثر معاشهم والحكمة في طلوعها أظهر من أن تنكر ولكن تأمل الحكمة في غروبها إذ لو لا ذلك لم يكن للناس هدوء ولا قرار ولا راحة وكان الكد الدائم يتكافؤ أبدانهم وتسرع فسادها وكان ما على الارض يحرق بدوام شروق الشمس من حيه ان ونبات فضاير النور والضامة على تضادها متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ونظامه وكذلك الحكمة في ارتفاع الشمس وانخفاضها لاقامة هذه الازمنة الاربع وما في ذلك من الحكمة فان في الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد من ذلك مواد النار وتكيف الهواء فنشأ منه السحاب ويحدث المطر الذي به حياة الارض والحيوان وتستند أفعال الحيوان وتقوى الافعال الطبيعية وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر المواد الكامنة في الشتاء وفي الصيف يسخن الهواء فتتضج النمار ويتحلى فضول الابدان ويخف وجه الارض فينبأ للبناء وغيره وفي الخريف يصفو الهواء ويمتدل فيذهب بسورة حر الصيف وسمومه الى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم وكذلك الحكمة في تنقل الشمس فانها لو كانت واقفة في موضع واحد لفاتت مصالح العالم ولما وصل شعاعها الى كثير من الجهات لان الخيال والجدران يحجبانها عنها فاقضت الحكمة الباهرة ان جعلت تطلع أول النهار من المشرق وتشرق على مقابها من وجه الغرب ثم لا تزال تمشي وجها بعد وجه حتى تنتهي الى الغرب فتشرق على ما استتر عنها أول النهار فتأخذ جميع الجهات منها قسطا من النفع وكذلك الحكمة الباهرة في انتهاء مقدار الليل والنهار الى هذا الحد فلو زاد مقدار أحدهما زيادة عظيمة لتعطلت المصالح والمنافع وفسد النظام وكذلك الحكمة في ابتداء القمر دقيقا ثم أخذه في الزيادة حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان حتى يعود الى حالته الأولى فكم في ذلك من حكمة ومصالحة ومنفعة للخلق فان بذلك يعرفون السهور والسنين والآجال وأشهر الحج والتاريخ ومقادير الاعمار ومدد الاجارات وغيرها وهذا وان كان يحصل بالشمس الآن معرفة بالشمس وزيدته ونقصانه أمر يشترك فيه الناس كلهم وكذلك الحكمة في

اثارة القمر والكواكب في ظلمة الليل فانه مع الحاجة الى الليل وظلمته لهدوء الحيوان وبرد الهواء عليه وعلى النبات لم يجعل الليل ظلاما محضا لاضياء فيه فلا يمكن فيه سفر ولا عمل وربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار ولشدة الحر فيمتكثون في ضوء القمر من أعمال كثيرة وجعل نوره باردا ليقاوم حرارة نور الشمس فبدر سموه فيعتدل الامر ويكسر كيفية كل منهما كيفية الآخر ويزيل ضررها وكذلك الحكمة في خالق النجوم فان فيها من الهداية في البر والبحر والاستدلال على الاوقات وزينة السماء وغير ذلك ما لم يكن حاصلا بمجرد الاتفاق كما يقوله نفاة الحكمة واقتضت هذه الحكمة ان جعلت نوعين نوعا منها يظهر وقتا ويختبئ آخر ونوعا آخر لا يزال ظاهرا غير محتجب بل جعل ظاهرا بمنزلة الاعلام التي يتهدى بها الناس في الطرقات المجهولة وهم ينظرون اليها متى ارادوا ويهتدون بها الى حيث شاءوا وجعلت الحكمة في النوع الاول الاستدلال بظهوره على أمور تعاديه متى طلع في وقت يعنى دل على تلك الامور فقامت المصلحة والحكمة بالنوعين مع ما في خلقها من حكم أخرى ومصلح لا يمتدى اليها الصادفها خلق الله شيئا سدى وقد نظم الله سبحانه الحوادث الارضية بالازواج والاجرام العلوية أكمل نظام يعجز عقول البشر عن الاحاطة ببعضه وقد استفرغت الامم السابقة قوى اذهانها في ادراكه ذاك فلم يصل منه الا الى ما لا نسبة له الى ما خفي عليها بوجهها وقد جعل الخالق العليم سبحانه النجوم فرقتين فرقة منها لازمة مراكزها من الفلك ولا تسير الا بسيره وفرقة أخرى مطلقه تنقل في البروج وتسير بانفسها غير سير فلكها فلكل منها مسيران مختلفان أحدهما مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو المشرق وقد شبه هذا النوع بنملة تدب على رجا والرحا تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال فلنملة في تلك الحال حركتان مختلفتان احدهما حركة بنفسها تتوجه أمامها والآخرى يغيرها هي مقهورة عليها تبعاً للرحى تجذبها الى خلفها فافذا النوع من النجوم حركتان مختلفتان على وزن وتقدير لا يعدوه فزعم نفاة الحكمة ان ذلك أمر اتفق لالحكمة ولا لغرض مقصود فان قلت فما الغرض المقصود بذلك وأى حكمة فيه قيل استدل بما عرفت من الحكمة على ماخفي عنك منها ولا تجمل ماخفي عليك دليلا على بطلانها مع ان من بعض الحكم في ذلك انها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي تكون من تنقل المتنقل منها ومسيرها في كل واحد من البروج كما يستدل على أمور كثيرة وحوادث جمة بتنقل الشمس والقمر والسيارات في منازلها ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولارسم يقاس عليه فانه انما يقاس مسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يقاس سير السائر على الارض بالمنازل التي يقطعها وبالجملة فلو كانت كلها بحال واحدة لبطل النظام الذي اقتضته الحكمة التي جعلها هكذا فذلك تقدير العزيز العليم وضع الرب الحكيم وكيف يرتب ذو بصيرة ان ذلك كله تقدير مقدر حكيم أقن ماضعه وأحكم مادبره ويعرف بما فيه من الحكم والمصلح والمنافع الى خلقه فشدت العقول والفطر بانه ذو الحكمة الباهرة والقدرة القاهرة والعلم التام المحيط وانه لم يخلق ذلك باطلا ولا من الحكمة عطلا وكذلك الحكمة في تقاب الحر والبرد على التدرج على ابدان الحيوان والنبات فان قيامها وكاملها لما كان بذلك اقتضت الحكمة الالهية ان لا يدخل أحدهما على الآخر وهلة فلا يتجمله بل بالتدرج قليلا قليلا الى أن ينتهي منه ويحصل المقصود به من غير ضرر بعم وهذا كله باسباب هي

منشأ الحكم والمصالح فلا يبطال السبب باثبات الحكمة ولا الحكمة بالسبب ولا السبب بالحكمة بالمشيئة
 فيكون من الذين يبخس حظهم من العقل والسمع وكذلك الحكمة في خلق النار على ما هي عليه كامنة
 في حاملها فانها لو كانت ظاهرة كالهواء والماء والتراب لاحت العالَم وما فيه ولم يكن بدمن ظهورها في
 الاحياء بل الحاجة اليها فعملت مخزونة في الاجسام نوري عند الحاجة اليها فتمسك بالمادة والخطب
 ما احتسج الى بقائها ثم تخبو اذ استغنى عنها فعملت على خلقه وتقدير وتدير حصل به الاستمتاع
 بها والاتفاع مع السلامة من ضررها ثم في النار خلة أخرى وهي أنها مما خص به الانسان دون
 سائر الحيوان فان الحيوانات لا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما اقتضت الحكمة الباهرة ذلك اغتنت
 الحيوانات عنها في لباسها وأقواتها فاعطيت من السمور والابواب ما يغنيها عنها وجملت أغذيتها
 بالمفردات التي لا تحتاج الى طبخ وخبز ولما كانت الحاجة اليها شديدة جعلت من الآلات والاسباب
 ما يمكن به من انارتها اذا شاء ومن ابطالها ومن حكمها هذه المصاييح التي يوقدها الناس فيمكنون
 بها من كثير حاجاتهم ولولاها لكان نصف أعمارهم بمنزلة أصحاب القبور واما منافعها في انضاج
 الاغذية والادوية والدفء فلا يخفى وقد نبه تعالى على ذلك بقوله أفرأيتم النار التي تورون أنتم
 أنتم شجرتها أم نحن المنشؤون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين أى تذكر بنار الآخرة فيحترز
 منها ويستمتع بها المقوون وهم النازلون بالقيء وهي الارض الحالية وخص هؤلاء بالذكر اشد
 حاجتهم اليها في خبزهم وطبخهم حيث لا يجودون ما يشترونه فيغنيهم عن ما يصنعونه بالنار وكذلك
 الحكمة في خلق النسيم وما فيه من المصالح والعبر فانه حياة هذه الابدان وقوامها من
 خارج ومن داخل وفيه طرد هذه الاصوات فيؤديها الى السامع وهو الحامل لهذه الاريايح يؤديها الى
 المسام وينقها من موضع الى موضع وهو الذى يزجي السحاب ويسوقه من مكان الى مكان على ظهره
 كالروايا على ظهور الابل وهو الذى يسير السحاب أولا فيكون كسفا متفرقة فيؤانف بينه ثانيا فيصير
 طبقا واحدا ثم يلقح الفحل الانثى فيحمل الماء كما تحمل الانثى من لقاح الفحل ثم يسوقه
 رابعا الى احوج الاماكن والحيوان اليه ثم يعصره خامسا حتى يخرج مائه ثم يذروا مائه بعد عصره سادسا
 حتى لا يسقط حمأة فيها لك ما يعى عليه ثم يربى النبات سابعا فيكون له بمنزلة الماء والغذاء يحفظه بحارته
 ثامنا لئلا يعفن ولا يمكن نقاؤه ولهذا اقتضت الحكمة الباهرة أن تكون الرياح مختلفة المهاب والصفات
 والطبائع فرغم نقاة الحكمة ان هذا كله أمر اتفاقى لاسبب ولا غاية وهذا لو تنفذه لجا عدة أسفار
 بل لو تتبعنا خلقه الانسان وحده وما فيها من الحكم والغايات لمجزنا نحن وأهل الارض عن
 الاحاطة بتفصيل ذلك فلنرجع الى جواب نقاة الحكمة والتعليل فنقول * في الوجه الرابع والعشرين
 قولهم أى حكمة في خلق ابليس وخنوده ففي ذلك من الحكم ما لا يحيط بتفصيله الا الله فنها ان
 يكمل لانيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وخرجه ومخالفته ومراغمته في الله واغاظته
 واغاطة أوليائه والاستعاذة به منه والابعاء اليه أن يعيدهم من شره وكيدته فيرتب لهم على ذلك من
 المصالح الدنيوية والاخروية ما لم يحصل بدونه وقد منا أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه ومنها
 خوف الملائكة والمؤمنين من ذنوبهم بعد مشاهدوا من حال ابليس لما شاهدوه وسقوطه من المرتبة
 الملكية الى المنزلة الابليسية يكون أقوى وأتم ولا ريب ان الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم

عبودية أخرى للرب تعالى وخضوع آخر وخوف آخر كما هو المشاهد من حل عبيد الملك اذارأوه
قد أهان أحدهم الالهة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه فلا ريب أن خوفهم وحذرهم
يكون أشد ومنها أنه سبحانه جعله عبدة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته كما
جعل ذنب أبي البشر عبدة لمن ارتكب نهيته أو عصى أمره ثم تاب ونده ورجع الى ربه فاقبلى أبوى
الحزن والانس بالذنب وجعل هذا الاب عبدة لمن أصر وأقام على ذنبه وهذا الاب عبدة لمن تاب
ورجع الى ربه فله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة ومنها أنه محك امتحن الله به
خالقه ليقين به خيئهم من طيبهم فانه سبحانه خالق النوع الانساني من الارض وفيها السهل والحزن
والطيب والحديث فلا بد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم كما في الحديث الذي رواه الترمذى مرفوعا
ان الله خالق آدم من قبضة قبضه من جميع الارض فجاءوا آدم على مثل ذلك منهم الطيب والحديث
والسهل والحزن وغير ذلك فما كان في المادة الاصلية فهو كائن في المخلوق منها فالتقت الحكمة
الالهية اخراجه وظهوره فلا بد اذا من سبب يظهر ذلك وكان ابليس محكا يميز به الطيب من الخبيث
كما جعل أنبيائه ورسله محكا لذلك التمييز قال تعالى ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز
الحديث من الطيب فارسل رسله الى المكلفين وفيهم الطيب والحديث فانضاف الطيب الى الطيب
والحديث الى الخبيث واقتضت حكمته البالغة ان خالفهم في دار الامتحان فاذا صاروا الى دار القرار
يميز بينهم وجعل لهؤلاء دارا على حدة ولهؤلاء دارا على حدة حكمة بالغية وقدرة قاهرة ومنها ان
يظهر كل قدرته في خالق مثل جبريل وملائكة وابليس وشياطين وذلك من أعظم آيات قدرته
ومشيئته وسلطانه فانه خالق الاضداد كالماء والارض والضياء والظلام والخفة والنار والماء والنار
والحر والبرد والطيب والخبيث ومنها أن خالق أحد الضدين من كمال حسن ضده فان الضدان هما
يظهر حسنه بضده فلو لا التيسير لم تعرف فضيلة الخليل ولو لا الفقر لم يعرف قدر الغنا كما تقدم بيانه
قريبا ومنها أنه سبحانه يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه ولا ريب أن أوليائه كانوا بوجود
عدو الله ابليس وجنوده وامتحنهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه فكهم بين
شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها وبين شكره بعد أن ابتلى بعدوه ثم اجتبا به وتاب
عابه وقبله ومنها أن المحبة والانابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية الى الله سبحانه
وهذه العبودية انما تتحقق بالجهد وبذل النفس لله وتقديم محبته على كل ماسواه فالجهد ذروة سنام
العبودية وأحبها الى الرب سبحانه فكان في خلق ابليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها
التي لا يحصى حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح الا الله ومنها أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم
ويعادهم من تمام ظهور آياته ومعجائب قدرته ولطائف صنعه ما وجوده أحب اليه وأنفع لاوليائه من
عدمه كما تقدم من ظهور آية الطوفان والعصا والسيد وفاق البحر ولقاء الخليل في النار وأضعاف
أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته فلم يكن بد من وجود الاسباب التي يترب عليها
ذلك كما تقدم ومنها أن المساعدة النارية فيها الاحراق والعلو والفساد وفيها الاشراق والاضاءة والنور
فاخرج منها سبحانه هذا وهذا كما ان المادة الترابية الارضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن
والاحمر والاسود والابيض فاخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة قاهرة وآية دالة على أنه ليس

كأنه شيء وهو السميع البصير ومنها أن من أسائه الخافض الرافع المعز المذل الحكم العدل المنتقم
وهذه الأسماء تستدعي متعاقبات يظهر فيها إحكامها كاسماء الاحسان والرزق والرحمة ونحوها ولا بد
من ظهور متعلقات هذه وهذه ومنها أنه سبحانه الملك التام الملك ومن تمام ملكه عموم تصرفه
وتنوعه بالذواب واعتماد الاكرام والاهانة والعدل والفضل والاعزاز والاذلال فلا بد من وجود
من يتعاقب به أحد النوعين كما أوجب من يتعاقب به النوع الآخر ومنها أن من أسائه الحكيم والحكمة
من صفاته سبحانه وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواء فاقضت خلق
المتضادات وتخصيص كل واحد منها لا يليق به غيره من الاحكام والصفات والخصائص وهل تم
الحكمة الا بذلك فوجود هذا النوع من تمام الحكمة كأنه من كمال القدرة ومنها ان حمده سبحانه
تام كامل من جميع الوجوه فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه واهانته كما هو محمود على
فضله وعظائه ورفقه واکرامه فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا وهو يحمده نفسه على ذلك كله
ويحمده عليه ملائكته ورسله وأوليائه ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم وما كان من لوازم كمال
حمده وتماه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة كاله عليه الحمد التام فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز
تعطيل حكمته ومنها أنه سبحانه يجب أن يظهر لعباده حمده وصبره وإثباته وسعته وقوته وجوده فاقضى
ذلك خالق من يشرك به ويضاده في حكمه ويجهده في مخالفته ويسعى في مساخطه بل يشبهه سبحانه
وهو مع ذلك يسوق اليه أنواع الطيبات ويرزقه ويعاقبه ويمكن له من أسباب ما يلبذه من أصناف النعم
ويجب دعاءه ويكشف عنه السوء ويعامله من بره وإحسانه بفسد ما يعامله هو به من كفره وشركه
واساءته فله كم في ذلك من حكمة وحمد ويتعجب الى أوليائه ويتعرف بنوع كالاته كافي الصحيح عنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال لأحد أصبر على أذى يسمعه من الله يجول له الولد وهو يرزقهم ويعاقبهم
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن
آدم وما ينبغي له ذلك أما شتمه أياي فقلوه اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم
يكن لي كفؤاً أحد وأما تكذيبه إياي فقلوه ان يميني كما بدأني وليس أول الخلق باهون عليه
من أعادته وهو سبحانه مع هذا الشتم له وأنكذب يرزق الشاتم المكذب ويعاقبه ويدفع عنه ويدعوه
الى جنته ويقبل توبته اذا تاب اليه ويبدله بسيئاته حسنات ويلطف به في جميع أحواله ويؤمله
لارسال رسله ويأمرهم بان يلبسوا له القول ويرفقوا به قال الفضيل بن عياض ما من ليللة يختلط
ظلامها الا نادى الجليل جل جلاله من أعظم مني جودا الخلاق لي عاصون وأنا أكلاهم في
مضاجعهم كأنهم لم يعصوني وأتولى حفاهم كأنهم لم يذنبوا أجود بالفضل على العاصي واقض على
المعصية من ذا الذي دعاني فلم ألبس ومن ذا الذي سألتني فلم أعطه أنا الجواد ومنى الجود أنا الكريم
ومنى الكريم ومن كرمي انى أعطى العبد مأسأني وأعطيه ما لم يسألتني ومن كرمي انى أعطى التائب
كانه لم يعصني فإن عني يهرب الخلق وأن عن يميني يتنجس العاصون وفي أثر يميني انى والانس والجن
في باب أعظم الخلق ويميد غيري وارزق ويسكر سواي وفي أثر حسن ابن آدم ما أصفقني حيرى اليك نازل
وشركك الى صاعدكم المحب اليك بالنعم وأناغني عنك وكم تنبض الى بلعاصي وأنت فقير الى ولايزال
الملك الكريم يرجع الى ملك يعمل قبيح وفي الحديث الصحيح لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم

يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم فهو سبحانه لكمان محبة لاسمائه وصفاته اقتضى حمده وحكمته أن
يخلق خلقا يظهر فيهم أحكامها وأنارها فالحجة للعفو خالق من يحسن العفو عنه ولحجته للمغفرة خالق
من يغفر له ويحكم عنه ويسر عليه ولا يعاجله بل يكون يجب أمانه وأمهاله ولحجته لعدله وحكمته
خالق من يظهر فيهم عدله وحكمته ولحجته للجود والاحسان والبر خالق من يعامله بالاساءة والعصيان
وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والاحسان فلولا خلق من يجرى على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات
لغات هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعاف أضعافها فتبارك الله رب العالمين وحكم الحاكمين
ذو الحكمة البالغة والنعمة السابغة الذي وصلت حكمته الى حيث وصلت قدرته وله في كل شيء حكمة
باهرة كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات انما ذكرنا منه قطرة من بحر والا فتقول البشر أعجز
وأضعف وأقصر من أن تحيط بكمال حكمته في شيء من خلقه فكم حصل بسبب هذا الخلق البغيض
للرب المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى يتصل في حبه ما حصل به من مكروهه والحكم الماهر
الحكمة هو الذي يحصل أحب الامرين اليه باحتمال المكروه الذي يبغضه ويسخطه اذا كان طريقا الى
حصول ذلك المحبوب ووجود الملزوم بدون لازمه محال فان يكن قد حصل بعدو الله ابليس من
السرور والمعاصي ما حصل فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحب الى الله
وأرضى له من جهاد في سبيله ومخالفة هوى النفس وشهواتها له ويحتمل المشاق والمكارد في محبته
ومرضاته وأحب شيء للحبيب أن يرى محبة يتحمل لاجله من الاذى والوصب ما يصدق محبته
من أجالا قد جعلت خدى أرضا للشامت والحدود حتى ترضا

وفي أثر الهى بقى ما يتحمل المتعاملون من أحلى فله ما أحب اليه احتمال محبه اذا أعداه لهم ليسه
وفي مرضاته وما أنفع ذلك الاذى لهم وما أجدهم لعاقبته وما ذا يتأولون به من كرامة حبيبهم وقر به
قوة عيونهم به ولكن حرام على منكرى محبة الرب تعالى أن يشعروا بذلك رائحة أو يدخلوا من
هذا الباب أو يذوقوا من هذا الشراب

فقل للعيون العمى للشمس أعين سواك يراها في مغيب ومطامع

وسامح يؤسالم يؤهل لحبهم فليحسن التخصيص في كل موضع

فان أغضب هذا الخلق ربه فقد أرضاه فيه أنبيائه ورسله وأوليائه وذلك الرضاء أعظم من ذلك
الغضب وان أسخطه ما يجرى على يديه من المعاصي والمخالفات فانه سبحانه أشد فرحا بتوبة عبده
من الفاقد لراحته التي عليها طعامه وشرابه اذا وجدها في المفاوز المملكت وان أغضبه ما جرى
على أنبيائه ورسله من هذا العدو فقد سره وأرضاه ما جرى على أيديهم من حربه ومعصيته
ومراغمته وكبته وغيبه وهذا الرضاء أعظم عنده وابر لديه من فوات ذلك المكروه المستازم لفوات
هذا المرضي المحبوب وان أسخطه أكل آدم من الشجرة فقد أرضاه توبته وأتابته وخضوعه وتذله
بين يديه وانكساره له وان أغضبه اخراج أعدائه لرسوله من حرمة وبلدته ذلك الخروج فقد
أرضاه أعظم الرضاء دخوله اليها ذلك الدخول وان أسخطه قتالهم وأوليائه وأحبائه وتمزيق لحومهم
واراقة دمائهم فقد أرضاه نياهم الحياة الى لأطيب منها ولا أتم ولا أبقى قومه وخياره وان
أسخطه معاصي عباده فقد أرضاه شهود ملائكمته وأنبيائه ورسله وأوليائه سعة

مغفرته وعفو دوبره وكرمه وجوده والثناء عليه بذلك وحمده وتمجيده بهذا الاوصاف التي حمد بها وأثنى عليه بها أحب اليه وأرضى له من قواف تلك الاماني وقواف همد المحبوبات واعلم أن الحمد هو الاصل الجامع لذلك كله فهو عقد نظام الخلق والامر والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه فما خاق شيئا ولا حكم بشيء الا وله فيه الحمد فوصل حمد الى حيث وصل خلقه وأمره حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه والثناء عليه والاقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمر به ف تعطيل حكمته غير تسويل حمد كما تقدم بانه فكما أنه لا يكون الاحيداء فلا يكون الا حكماً فحمد وحكمته كماله وقدرته وحياته من لوازم ذاته ولا يجوز تعطيل شيء من صفاته وأسمائه عن مقتضياتها وانارها فان ذلك يستازم النقص الذي يناقض كماله وكبريائه وعظمته يوضحه الوجه الخامس والعشرون انه كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء انه يجود ويعطي ويمنح فمنها أن يعيد وينصر ويعيث فكما يجب أن يلوذ به اللائذون يجب أن يعوذ به العائذون وكال الملوكة أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم كما قال أحمد بن حنبل الكندي في مدوحه
يا من الود به فيما أومأ له ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجير الناس عظما أنت كاسره ولا يعضون عظما أنت جاره

ولو قال ذلك في ربه وقاظره لكان أسعد به من مخلوق مثله والمتصور أن ملك الملوكة يجب أن يلوذ به ملكه وأن يعوذوا به كما أمر رسوله أن يستعذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه وبذلك يظهر تمام نعمته على عدوه اذا أعاده وأجارد من عدوه فلم يكن أعادته وأجارتها منه بأدنى النعمتين والله تعالى يحب أن يكل نعمته على عباد المؤمنين ويريم نصره لهم على عدوهم وحمايتهم منه وظهرهم بهم فيا لها من نعمة كل بها سرورهم ونعيمهم وعبدل أظهره في أعدائه وخصمائه

ومابنهما الاله فيسه حكمه يقصر عن ادراكها كل باحث

الوجه السادس والعشرون قوله أي حكمه في ابتلاء بليس الى آخر الدهر وامانة الرسل فكلم الله في ذلك من حكمه تضيق بها الاوهام فمنها أنه سبحانه لا يحد بحكمته فخرج به السلب من حيث ووليه من عدوه اقتضت حكمته ابقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلق ولواماته لئلا ذلك الغرض كما ان الحكمه اقتضت بقاء أعدائه الكفار في الارض الى آخر الدهر ولو أهلكهم البتة لعطلت الحكم الكثيرة في ابقائهم فكما اقتضت حكمته امتحان أبي البشر اقتضت امتحان أولاده من بعده به فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداد ويخاز اليه من واقفه ووالده ومنها أنه لما سبق حلمه وحكمته أنه لا ينصيب له في الآخرة وقد سبق له طاعة وعبادة جزاء بها في الدنيا بان إعطاء البقاء فيها الى آخر الدهر فانه سبحانه لا يظلم أحدا حسنة عملها فالما المؤمن فيجزيه بحسناته في الدنيا وفي الآخرة وأما الكافر فيجزيه بخسرات ما عمل في الدنيا فاذا أفضى الى الآخرة لم يكن له شيء كآثت هذا المعنى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها ان ابتلاء لم يكن كرامة في حق فانه لو مات كان خيرا له وأخف لعذابه وأقل لشدة ولكن لما غلظ ذنبه بالأصرار على المعصية ومخاضة من ينبغي التسليم لحكمه والقدح في حكمته واختلف على اقتطاع عبادته وصدهم عن عبوديته كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة بحسب تماثلها فابقى في الدنيا

وأملى له ليزداد هذا اثماً على إثم ذلك الذنب فيستوجب العقوبة التي لانصالح لغيره فيكون رأس أهل الشر في العقوبة كاذن رأسهم في الشر والكفر ولمسا كان مادة كل شر فنهت ينشأ جوزي في النار مثل فعله فكل عذاب ينزل باهل النار يبدأ به فيه ثم يسرى منه الى اتباعه عدلاً ظاهراً وأحكمة باللغة ومنها أنه قال في مخاطبته لربه أرأيتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتني الى يوم القيامة لاحتسكن ذريته الا قليلاً وعلم سبحانه أن في الذرية من لا يصالح لمساكنته في داره ولا يصالح الا بما يصالحه الشوك والروت أبقاده وقال له لسان القدر هؤلاء أختائك وأوليائك فاجلس في انتظارهم وكلاماً صريحاً واحد منهم فشأنك به فلوصاح لي لما ملكتك منه فاني أتولى الصالحين وهم الذي يصاحبون لي وأنت ولي المجرمين الذين غنوا عن موالاتي وابتغاء مرضاتي قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتكفلون) انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فاما امانة الانبياء والمرسلين فلم يكن ذلك هو انهم عليه ولكن ليصلوا الى محل كرامته ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها ومقاساة أعدائهم وأتباعهم وليحي الرسل بعدهم يرى رسولا بعد رهول فقامت بهم أصالح لهم والامانة اما هم فلراحتهم من الدنيا ولحوقهم بالرفيق الاعلى في أكل لذة وسرور ولاسيما وقد خیرهم ربهم بين البقاء في الدنيا واللاحاق به وأما الائم فيعلم أنهم لم يطعواهم في حياتهم خاصة بل أطاعواهم بعد موتهم كما أطاعواهم في حياتهم وان اتباعهم لم يكنوا يعبدونهم بل يعبدون الله بأمرهم ونهيهم والله هو الحى الذى لا يموت فكف في ايمانهم من حكمة ومصلحة لهم وللائم هذا وهم بشر ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقه قابلة للدوام بل جعلهم خلائف في الارض يخلف بعضهم بعضاً ففوا بقاهاهم لفات المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف وانضقت بهم الارض فلموت كمال لكل مؤمن ولو لا الموت لما طاب العيش في الدنيا ولا هناء لاهلها بها فالحكمة في الموت كالحكمة في الحياة الوجه السابع والعشرون قوله أى حكمة ومصلحة في اخراج آدم من الجنة الى دار الابتلاء والامتحان فالجواب أن يقال كم لله سبحانه في ذلك من حكمة وكم فيه من نعمة ومصلحة تعجز العقول عن معرفتها على التفصيل ولو استغرقت قواها كلها في معرفة ذلك واهباط آدم واخراجه من الجنة كان يسر كماله ليعود اليها على أحسن أحواله وهو سبحانه انما خلقه ليستعمره وذريته في الارض ويجعلهم خلفاء يخلف بعضهم بعضاً خلفهم سبحانه ليأمرهم وينهاهم ويبتليهم وليست الجنة دار ابتلاء وتكليف فالخرج الابوين الى الدار التي خلقوا منها وفيها يترددوا منها الى الدار التي خلقوا لها فاذوا وفوا تعب دار التكليف ونصبها عرفوا قدر تلك الدار وشرفها وفضائها ولو نشأوا في تلك الدار لما عرفوا قدر نعمته عليهم بها فاسكنهم دار الامتحان وعرضهم فيها لامرهم ونهيهم لينالوا بالطاعة أفضل ثوابه وكرامته وكان من الممكن أن يحصل لهم النعيم المقيم هناك لكن الحاصل عقب الابتلاء والامتحان ومعانات الموت وما بعده وأحوال القيامة والعبور على المضراط نوع آخر من النعيم لا يدرك قدره وهو أكمل من نعيم من خلق في الجنة من الولدان والطور المين بما لا يشبه بينهما بوجه من الوجود ومن الحكم في ذلك أنه سبحانه أراد أن يتخذ من ذرية آدم وسلاً وأنباء وشهداء يحبهم ويحبونه وينزل عليهم كتبه ويعهد اليهم عهده ويستعبدهم له في السراء والضراء ويؤثرون محابه ومراخيه على شهواتهم وما يحبون به ويهوونه فانتضت حكمته انزلهم الى دار ابتلاهم فيها بما ابتلاهم ليكملوا بذلك الابتلاء مراتب

عبوديته ويعبدونه بما تكرهه نفوسهم وذلك محض العبودية والافن يعبد الله لما يحب به وهو وهواه فهو في الحقيقة انما يعبد نفسه وهو سبحانه يحب من أوليائه أن يوالوا فيه ويعادوا فيه ويبدلوا نفوسهم في مرضاته ومحابه وهذا كله لا يحصل في دار النعيم المطلق ومن الحكمة في اخراجه من الجنة ما تقدم التنبيه عليه من اقتضاء أسماء الله الحسنى لمسمياتها وعلقاتها كالغفور الرحيم التواب الغفور المنتقم الخافض الرافع المعز المذل المحيي المميت الوارث ولا بد من ظهور أثر هذه الاسماء ووجود ما يتعلق به فافتتحت حكمته ان انزال الابوين من الجنة ليظهر مقتضى أسمائه وصفاته فيهما وفي ذريتهما فلو تربت الذرية في الجنة لفات آثار هذه الاسماء وعلقاتها والكمال الالهي بأى ذلك فانه الملك الحق المبين والملك هو الذى يأمر وينهى ويكرم ويهين ويثيب ويعاقب ويعطى ويمنع ويعز ويذل فأنزل الابوين والذرية الى دار تجرى عليهم هذه الاحكام وايضا قالهم أنزلوا الى دار يكون إيمانهم تاما فان الايمان قول وعمل وجهاد وصبر واحتمال وهذا كله انما يكون في دار الامتحان لافي جنة النعيم وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم أبو الوفا بن عقيل وغيره ان أعمال الرسل والانبياء والمؤمنين في الدنيا أفضل من نعيم الجنة قالوا لأن نعيم الجنة حظهم وتنعيمهم فان يقاس الى الايمان وأعماله والصلوات وقراءة القرآن والجهاد في سبيل الله وبذل النفوس في مرضاته واثاره على هواها وشهواتها فالإيمان متعلق به سبحانه وهو حقة عليهم ونعيم الجنة متعلق بهم وهو حظهم فهم انما خلقوا للعبادة والجنة دار نعيم لادار تكليف وعبادة وايضا فانه سبحانه سبق حكمه وحكمته بان يجعل في الارض خليفة وأعلم بذلك ملائكته فهو سبحانه قد أراد بكون هذا الخليفة وذريته في الارض قبل خلقه لئلا يملأ في ذلك من الحكم والغايات الحميدة فلم يكن بد من اخراجه من الجنة الى دار قد سكنناهم فيها قبل أن يخلفه وكان ذلك التقدير باسباب وحكم فمن أسبابه النبى عن تلك الشجرة وتخلتته بينه وبين عدوه حتى وسوس اليه بالاكل وتخلتته بينه وبين نفسه حتى وقع في المعصية وكانت تلك الاسباب موصلة الى غايات محمودة مطلوبة يترتب على خروجه من الجنة ثم يترتب على خروجه اسباب أخر جعلت غايات لحكم أخرى ومن تلك الغايات عودته اليها على أكمل الوجوه فذلك التقدير وتلك الاسباب وغاياتها صادرة عن محض الحكمة البالغة التي بحمده عليها أهل السموات والارض والدنيا والآخرة فاقدر أحكم الحاكمين ذلك باطلا ولادبره عبنا ولا أخلاه من حكمته البالغة وحده التام وايضا فانه سبحانه قال للملائكة (انى جعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون) ثم أظهر سبحانه من علمه وحكمته الذى خفى على الملائكة من أمر هذا الخليفة ما لم يكونوا يعرفونه بان جعل من نسله من أوليائه وأحبابه ورسله وأنبيائه من يتقرب اليه بأنواع التقرب وبذل نفسه في محبته ومرضاته يسبح بحمده أثناء الليل وأطراف النهار ويذكره قائما وقاعدا وعلى جنبه ويمده ويدكره ويشكره في السراء والضراء والعافية والبلاء والشدة والرخاء فلا يشبهه عن ذكره وشكره وعبادته شدة ولا بلاء ولا فقر ولا مرض ويعبده مع معارضة الشهوة وغلبات الهوى وتعاضد الطباع لا حكامها ومعاداة بنى جنسه وغيرهم له فلا يصده ذلك عن عبادته وشكره وذكره والتقرب اليه فان كانت عبادتكى بلا معارضة ولا مانع فعبادة هؤلاء مع هذه المعارضات والموانع والشواغل وايضا فانه سبحانه أراد أن يظهر لهم

ما خفي عليهم من شأن ما كانوا يعظّمونه ويخلّونه ولا يعرفون ما في نفسه من الكبر والجسد والنسر
 فذلك الخير وهذا الشر كامن في نقوس لا يعلمونها فلا بد من اخراجه وبراظه لكي يعلم حكمه
 أحكم الحاكمين في مقابلة كل منهما بما يليق به وأيضا فانه سبحانه لما خالق خلقه أطوارا وأصنافا
 وسبق في حكمه وحكمته تفضيل آدم وبذبه على كثير ممن خالق تفضيلا جعل عبوديتهم أكمل من
 عبودية غيرهم وكانت العبودية أفضل أحوالهم وأعلى درجاتهم أعنى العبودية الاختيارية التي يأتون
 بها طوعا واختيارا لا كرها واضطرارا ولهذا أرسل الله جبريل الى سيد هذا النوع الانساني يخبره
 بين أن يكون عبدا رسولاً أو ملكاً نبياً فاختار بتوفيق ربه لأن يكون عبداً رسولاً وذكره سبحانه
 بأتم العبودية في أشرف مقاماته وأفضل أحواله كتمام الدعوة والتجدي والاسراء وانزال القرآن
 وانه لما قام عبد الله بدعوه وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا سبحانه الذي أسرى يعقوب تبارك
 الذي نزل الفرقان على عبده فثني عليه ونوه به بعبوديته التامة له ولهذا يقول أهل الموقف حين
 يطلبون الشفاعة اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلما كانت العبودية أشرف
 أحوال بنى آدم وأحبها الى الله وكان لها لوازم وأسباب مشروطة لا يحصل الا بها كان من أعظم
 الحكمة أن أخرجوا الى دار تجرى عليهم فيها أحكام العبودية وأسبابها وشروطها وموجباتها فكان
 اخر اجتهاد من الجنة تكديلا لهم وتما لنعمته عليهم مع ما في ذلك من محبوبات الرب تعالى فانه يجب
 اجابة الدعوات وتفرغ الكربات واغائة الماهضات ومغفرة الزلات وتكفير السيئات ودفع البليات
 واعزاز من يستحق العز والذلال من يستحق الذل ونصر المظلوم وجبر الكسير ورفع بعض خلقه
 على بعض وجهاً درجات ليعرف قدر فضله وتخصيصه فاقضى ملكه التام وحده الكامل أن
 يخرجهم الى دار يحصل فيها محبوباته سبحانه وان كان لكثير منها طرق وأسباب يكرها فبالوقوف
 على الشيء لا بدونه واجداد لوازم الحكمة من الحكمة كما أن إيجاد لوازم العدل من العدل كما
 ستقف عليه في فصل ايلام الاطفال ان شاء الله * الوجه الثامن والعشرون أنه سبحانه أبرز خلقه
 من العدم الى الوجود ليجرى عليه أحكام أسمائه وصفاته فيظهر كماله المقدس وان كان لم يزل كاملاً
 فمن كماله ظهور آثار كماله في خلقه وأمره وقضائه وقدره ووعدته ووعيده ومنعه واعطائه واكرامه
 واهاتته وعذله وفضله وعفوه وانعامه وسعة حلمه وشدة بطشه وقد اقتضى كماله المقدس سبحانه انه
 كل يوم هو في شأن فمن جملة شؤونته أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويشفي مريضاً ويفك غانياً وينصر
 مظلوماً ويفتح مملوفاً ويجبر كسيرا ويغني فقيراً ويحبب دعوة ويثقل عثرة ويعز ذليلاً وبذل متكبراً
 ويقسم جباراً ويميت وحياً ويضحك ويبكي ويخفف ويرفع ويعطي ويتع ويرسل رسلاً من الملائكة
 ومن البشر في تنفيذ أوامره وسوق مقاديره التي قدرها الى موافقتها التي وقفها لها وهذا كله لم يكن
 ليحصل في ذات البقاء وانما اقتضت حكمته البالغة حصوله في دار الامتحان والابتلاء بوضوحه * الوجه
 التاسع والعشرون ان كمال ملكه التام اقتضى كمال تصرفه فيه بانواع التصرف ولهذا جعل الله سبحانه
 الدور ثلاثة داراً اخلاصاً للنعيم واللذة والبهجة والسرور وداراً اخلاصاً للآل والنصب وأنواع البلاء
 والسرور وداراً خالط خبيرها بشرها ومنج نعيمها بشقاءها ومنج لذتها بألمها لتيقن وبطالبا وجعل
 عمارة بيتك الدارين من هذه الدار وأجرى أحكامه على خلقه في الدور الثلاثة بمقتضى ربوبيته

والهتية وعزته وحكمته وعدله ورحمته فلو أسكنهم كلهم دار البقاء من حين أوجدتهم لتعطلت أحكام هذه الصفات ولم يترتب عليها آثارها يوضحه * الوجه الثالثون أن يوم المعاد الأكبر يوم مظهر الاسماء والصفات وأحكامها ولهذا يقول سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال الملك يومئذ الحق للرحمن وقال (يوم لا يملك نفس نفس شيئا والامر يومئذ لله) حتى أن الله سبحانه يُعترف إلى عبادته ذلك اليوم باسماء وصفات لم يعرفوها في هذه الدار فهو يوم ظهور المملوكة العظمى والاسماء الحسنى والصفات العلى فتأمل ما أخبر به الله ورسوله من شأن ذلك اليوم وأحكامه وظهور عزته تعالى وعظمته وعدله وفضله ورحمته وآثار صفاته المقدسة التي لو خلقوا في دار البقاء لتعطلت وكماله سبحانه ينفي ذلك وهذا دليل مستقل لمن عرف الله تعالى واسمائه وصفاته على وقوع المعاد وصدق الرسل فيما أخبروا به عن الله عنه فيطابق دليل العقل ودليل السمع على وقوعه * الوجه الحادى والثلاثون أن الله سبحانه يجب أن يعبد بانواع التعبدات كلها ولا يليق ذلك إلا بعظمته وجلاله ولا يحسن ولا ينبغي إلا له وحده ومن المعلوم أن أنواع التعبد الخاصة في دار الابتلاء والامتحان لا يكون في دار المجازاة وإن كان في هذه الدار بعض المجازاة وكما لها ونهاها إنما هو في تلك الدار وليست دار عمل وإنما هي دار جزاء وثواب أو جبر كاله المقدس أن يجزى فيها الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فلم يكن بدم من دار تقع فيها الاساءة والاحسان ويجزى على أهلها أحكام الاسماء والصفات ثم يعقبا دارا يجازى فيها المحسن والمسيئ ويجزى على أهلها فيها أحكام الاسماء والصفات فتعطل أسماؤه وصفاته متمتع ومستحيل وهو تعطل لربوبيته والهتية وملكوته وعزته وحكمته فمن فتح له باب من النفاة في أحكام الاسماء والصفات وعلم اختصاصها لآثارها ومقتضاها واستحالة تعطيها علم أن الامر كما أخبرته بالرسول وأنه لا يجوز عليه سبحانه ولا ينبغي له غيره وأنه يتره عن خلاف ذلك كما يتره عن سائر العيوب والنقائص وهذا باب عزيز من أبواب الايمان فيفتح الله على من يشاء من عبادته ويجرمه من يشاء * الوجه الثانى والثلاثون أنه كم لله سبحانه من حكمة وحمد وأمر ونهى وقضاء وقدر في جعل بعض عبادته فتنه لبعض كما قال تعالى ' وكذلك فتننا بعضهم ببعض' وقال تعالى (وجعلنا بعضهم لبعض فتنه أتصبرون) فهو سبحانه جعل أوليئله فتنه لاعدائه وأعدائه فتنه لأوليائه والملوك فتنه للرمية والرمية فتنه لهم والرجال فتنه للنساء وهن فتنه لهم والاعنياء فتنه للفقراء والفقراء فتنه لهم وإبلى كل أحد بضد جعله متقابلا فما استقرت أقدام الابوين على الارض الا وضدهما مقابلهما واستمر الامر في الذرية كذلك الى أن يطوى الله الدنيا ومن عليها وكم له سبحانه في مثل هذا الابتلاء والامتحان من حكمة بالغة ونعمة سابقة وحكم نافذ وأمر ونهى وتصريف دال على ربوبيته وإلهيته وملكوته وحده وكذلك ابتلاء عبادته بالخير والشر في هذه الدار هو من كمال حكمته ومقتضى حده التام * الوجه الثالث والثلاثون أنه لو لا هذا الابتلاء والامتحان لما ظهر فضل الصبر والرضا واتوكل والجهاد والعفة والشجاعة الحلم والعفو والصفح والله سبحانه يحسن أن يكرم أوليائه بهذه الكمالات ويجب ظهورها عليهم لينبئ بها عليهم هو وملائكته وينالوا باتصافهم بها غاية الكرامة واللذة والسرور وإن كانت مرة أسوأ فلا أحلى من عواقيها ووجود المنزوم بدون لازمه فتمتعت وقد أجرى الله سبحانه حكمته بأن كمال الغايات تابعة لقوة أسبابها وكما هو نقصانها لتقصانها فمن كمال

أسباب النعيم واللذة كملت له غاياتها ومن حرّمها حرّمها ومن نقصها نقص له من غاياتها وعلى هذا قام
الجزء بالقسط والثواب والعقاب وكفى بهذا العالم شاهدا لذلك قرب الدنيا والآخرة واحد وحكمته
مطردة فيهما وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون **بوضحة** الوجه الرابع والثلاثون
وهو أن أفضل العطاء وأجله على الإطلاق الإيمان وجزاؤه وهو لا يفتقر إلا بالامتحان والاختبار
قال تعالى (الم أحسب أناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون
من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنا نجاهد لنفسه إن الله
لغني عن العالمين) فذكر سبحانه في هذه السورة أنه لا بد أن يتمحن خلقه ويفتنهم ليتبين الصادق من
الكاذب والمؤمن من الكافر ومن يشكره ويعبده ممن يكفره ويعرض عنه ويعبد غيره وذكر أحوال
المتحسين في العاجل والآجل وذكر أئمة المتحسين في الدنيا وهم الرسل وأتباعهم وعاقبة أمرهم
وما صاروا إليه وافتتح بالإنكار على من يحسب أنه يتخلص من الامتحان والفتنة في هذه الدار إذا
دعى الإيمان وإن حكمته سبحانه ودانته في خلقه بأبي ذلك وأخبر عن سر هذه الفتنة والحنة وهو
تبيين الصادق من الكاذب والمؤمن من الكافر وهو سبحانه كان يعلم ذلك قبل وقوعه ولكن اقتضى
عدله وحده أنه لا يجوز العباد بمجرد علمه فيهم بل بمعلومه إذا وجد وتحقق والفتنة هي التي أظهرته
وأخرجته إلى الوجود غيثا حسن وقوع الجزاء عليه ثم أنكر سبحانه على من لم يلتزم الإيمان به
ومتابعة رسوله خوف الفتنة والحنة التي يتمحن بها رسوله وأتباعهم ظنه وحسبانه أنه باعراضه عن الإيمان
وتصديق رسوله يتخلص من الفتنة والحنة فإن بين يديه من الفتنة والحنة والعذاب أعظم وأشق مما
فرغه فإن المكلفين بعد إرسال الرسل إليهم بين أمرين إما أن يقول أحدهم آمنت وإما أن لا يقول
بل يستمر على السيئات فمن قال آمنا امتحنه الرب تعالى وأبلاه لتحقيق بالإيمان حجة إيمانه وثباته
عليه وأنه ليس بإيمان عافية ورحاء فقط بل إيمان ناهي في حالتي النعماء والبلاء ومن لم يؤمن فلا يحسب
أنه يعجز ربه تعالى ويفوته بل هو في قبضته وناصيته بيده فله من البلاء أعظم مما ابتلى به من قال
آمنت فمن آمن به ورسوله فلا بد أن يبتلى من أعدائه وأعداء رسوله بما يؤلمه ويشق عليه
ومن لم يؤمن به ورسوله فلا بد أن يعاقبه فيحصل له من الألم والمشقة أضعاف ألم المؤمنين فلا بد
من حصول الألم لكل نفس مؤمنة أو كافرة لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا أشد ثم ينقطع
ويعقبه أعظم اللذة والكافر يحصل له اللذة والسرور ابتداء ثم ينقطع ويعقبه أعظم الألم والمشقة
وهكذا حال الذين يتبعون الشهوات فيلتذون بها ابتداء ثم تعقبها الآلام بحسب ما نالوه منها والذين
يصبرون عنها ينالون بفقدائها ابتداء ثم يعقب ذلك الألم من اللذة والسرور بحسب ما صبروا عنه
وتركوه منها فالألم واللذة أمر ضروري لكل إنسان لكن الفرق بين العاجل المتقطع اليسير والآجل
الدائم العظيم ولهذا كان خاصة العقل النظر في العواقب والغايات فمن ظن أنه يتخلص من الألم بحيث
لا يصيبه البتة فظنه أكذب الحديث فإن الإنسان خالق عرضة للذة والألم والسرور والحزن والفرح
والغم وذلك من جهتين من جهة تركه وطبيعته وهيئته فانه مركب من اخلاط متفاوتة متضادة
يتنوع أو يعز اعتدالها من كل وجه بل لا بد أن ينبغي بعضها على بعض فيخرج عن حد الاعتدال

فيحصل الالم ومن جهة بنى حسنه فانه مدنى بالطبع لا يمكنه أن يعيش وحده بل لا يعيش الا معهم وله ولهم لذات وحساب متضادة ومعارضة لا يمكن الجمع بينها بل اذا حصل منها شيء فات منها أشياء فهو يريد منهم أن يوافقوه على معالجه وإرادته وهم يريدون منه ذلك فان وافقهم حصل له من الالم والشقة بحسب مآلته من إرادته وان لم يوافقهم اتوه وعدوه وسعوا في تفصيل مراداته كما لم يوافقهم على مراداتهم فيحصل له من الالم والتعذيب بحسب ذلك فهو في الالم وشقة وعناء وافقهم أو خافهم ولا سيما اذا كانت موافقتهم على أمور يعلم أنها عقائد باطلة وإرادات فاسدة وأعمال تضرة في عواقبها ففي موافقتهم أعظم الالم وفي مخالفتهم حصول الالم فالسقل والدين والمروءة والعلم تأمره باحتمال أخف الالمين تخلفا من أشدهما وبإثبات المنقطع منها لينجو من الدائم المستمر فمن كان ظهيرا للمجرمين من الظامة على ظاههم ومن أهل الأهواء والبدع على أهوائهم وبدعهم ومن أهل الفجور والشهوات على فجورهم وشهواتهم ليتخاص بمظاهرتهم من الماذاهم أصابه من الالم الموافقة لهم عاجلا وأجلا أصناف أصناف وأمر منه وسنة الله في خلقه أن يعصيه بانداز من إيمانهم ومظاهرتهم وان صبر على مخالفتهم ومجانبتهم أعقبه ذلك لذة عاجلة وأجلة تزيد على لذة الموافقة باضفاف مضاعفة وسنة الله في خلقه أن يرفعه عليهم ويذهب له بحسب صبره وتقواه وتوكله وإخلاصه واذا كان لا من الالم والعذاب فذلك في الله وفي مرضاته ومتابعة رساله أولى وأنفع منه في الناس ورضائهم وتحصيل مراداتهم ولما كان زمن التألم والعذاب قصيره طويل ذاتفاسه ساعات وساعات أيام وأيامه شهور وأعوام بلا سبحانه المستحقين فيه بان ذلك الاتلاء آجلا ثم ينقطع وضرب الله آجلا لبقاء سليمان به وبشكر نفوسهم ويهون عليهم أمثاله فقال (من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم) فإذا تصور العبد أجل ذلك البلاء واقطاعه وأجل لقاء المبتلى سبحانه وإثباته هان عليه ما هو فيه وخف عليه حمله ثم لما كان ذلك لا يحصل الا بمجاهدة للنفس وللشيطان ولبنى حسنه وكان العامل اذا علم ان ثمرة علمه وتعبه يعود عليه وحده لا يشركه فيه غيره كان أتم اجتهدا وأوفر سعيا فقال تعالى (ومن جاهد فإنا نجاهد لنفسه ان الله اكفى عن العالمين) وأيضا فلا يتوهم متوهم أن منفعة هذه المجاهدة والصبر والاحتمال يعود على الله سبحانه فانه غنى عن العالمين ثم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه اليهم ولأنهاهم عما نهاهم عنه بخلافه منه عليهم بل أمرهم بما يعود نفعه ومصلحته عليهم في معاشهم ومعادهم ونهاهم عما يعود مضرتهم وعقبة عليهم في معاشهم ومعادهم فكانت ثمرة هذا الابتلاء والامتحان مختصة بهم واقتضت حكمته ان نصب ذلك سببا مقتضيا الى تميز الخبيث من الطيب والشقي من القوى ومن يصلح له من لا يصلح قال تعالى (ما كان الله ليزل المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فابتلاهم سبحانه بارسال الرسل اليهم بأوامره ونواهيه واختياره فامتاز برساله طيبهم من خبيثهم وجيدهم من رديهم فوق الثواب والعقاب على معلوم أظهره ذلك الابتلاء والامتحان ثم لما كان المحتج لابد أن يتحرف عن طريق الصبر والمجاهدة لدواعي طبيعته وهواه وضعفه عن مقاومة ما يقابل به وعده سبحانه أن يتجاوز له عن ذلك ويكفره عنه لانه لما أمر به والتزم طاعته اقتضت رحمته ان كفر عنه سيئاته وجزاه باحسن أعماله ثم ذكر سبحانه ابتلاء العبد بابويه وما أمر به من طاعتها وصبره على مجاهدتها له على أن لا يشرك به فيصبر على هذه الحنة والفتنة ولا يبطئها بل يصاحبهما على هذه الحال معروفا ويرض عنهما الى متابعة سبيل رساله

وفي الاعراض عنهما وعن سبيلهما والاقبال على من خلفهما وعلى سبيله من الامتحان والابتلاء ما فيه ثم ذكر سبحانه حال من دخل في الايمان على ضعف عزم وقلة صبر وعده ثبات على الهمة والابتلاء وانه اذا اودى في الله كما حيرت به سنة الله وانقضت حكمته من ابتلاء اوليائه باعدائه وتسلطهم عليهم بانواع المكازة والاذى لم يصبر على ذلك وجزع منه وفر منه ومن اسبابه كما يفر من عذاب الله فجعل فتنة الناس له على الايمان وطاعة رساله كعذاب الله لمن يعذبه على الشرك ومخالفة رساله وهذا يدل على عدم البصيرة وان الايمان لم يدخل قلبه ولا ذاق خلواته حتى سوى بين عذاب الله له على الايمان بالله ورسوله وبين عذاب الله لمن لم يؤمن به وبرسوله وهذا حال من يعبد الله على حرف واحد لم ترسخ قدمه في الايمان وعبادة الله فهو من المختارين المعذبين وان فر من عذاب الناس له على الايمان ثم ذكر حال هذا عند نصرة المؤمنين وانهم اذا نصروا لحق اليهم وقال كنت معكم والله سبحانه يعلم من قلبه خلاف قوله ثم ذكر سبحانه ابتلاء نوح بقومه ألف سنة الا خمسين عاما وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه فابتلاهم بالفرق ثم بعثه بالحرث ثم ذكر ابتلاء ابراهيم بقربه وماردوا عليه وابتلاهم بطاعته ومتابعته ثم ذكر ابتلاء لوط بقومه وابتلاءهم به وما صار اليه امره وأمرهم ثم ذكر ابتلاء شعيب بقومه وابتلاءهم به وما انتهت اليه حالهم وحاله ثم ذكر ما ابتلى به عادا وثمودا وقارون وفرعون وهامان وجنودهم من الايمان به وعبادته وحده ثم ما ابتلاءهم به من أنواع العقوبات ثم ذكر ابتلاء رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بانواع الكفار من المشركين وأهل الكتاب وأمره أن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن ثم أمر عباده المبشرين باعدائه أن يهاجروا من أرضهم الى أرضه الواسعة فيعبدونه فيها ثم نبههم بالثقله الكبرى من دار الدنيا الى دار الآخرة على قتلهم الصغرى من أرض الى أرض وأخبرهم أن مرجعهم اليه فلا قرار لهم في هذه الدار دون لقائه ثم بين لهم حال الصابرين على الابتلاء فيه بأنه يبوؤهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فسالاهم عن أرضهم ودارهم التي تركوها لاجله وكانت مياه لهم بأن يوأهم دارا أحسن منها وأجمع لكل خير ولذة وأنهم مع خلود الابد وان ذلك بصبرهم على الابتلاء وتوكلهم على ربهم ثم أخبرهم بأنه ضامن لرزقهم في غير أرضهم كما كان يرزقهم في أرضهم فلا يهتموا بحمل الرزق فيكم من دابة سافرت من مكان الى مكان لا تحمل رزقها ثم أخبرهم أن مدة الابتلاء والامتحان في هذه الدار قصيرة جدا بالنسبة الى دار الحيوان والبقاء ثم ذكر سبحانه عقوبة أهل الابتلاء ممن لم يؤمن به وان مقامهم في هذه الدار تمتع وسوف يعلمون عند الثقله منها ما فاتهم من النعيم المقيم وما حصلوا عليه من العذاب الاليم وذكر عقوبة أهل الابتلاء ممن آمن به وأطاع رساله وجاهد نفسه وعدوه في دار الابتلاء ما به هاديه وناصره فآخبر سبحانه أن أجل عطاء وأفضله في الدنيا والآخرة هو لاهل الابتلاء الذين صبروا على ابتلائه وتوكلوا عليه وأخبر أن أعظم عذابه وأشقاه هو للذين لم يصبروا على ابتلائه وفروا منه وآثروا النعيم العاجل عايه فمضمون هذه السورة هو سر الحقائق والامر فانها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة ومن تأمل فائقتها ووسطها وخاتمتها وجد في ضمناها أن أول الامر ابتلاء وامتحان ووسطه صبر وتوكل وآخره هداية ونصر والله المستعان يوضحه * الوجه الخامس والثلاثون وهو أنه سبحانه أخبر أنه خالق السموات والارض العالم الغايب والسفلى

ليلوئانا أحسن عملا وأخبر أنه زين الأرض بما عليها من حيوان ونبات ومعادن وغيرها لهذا الابتلاء وأنه خالق الموت والحياة لهذا الابتلاء فكان هذا الابتلاء غاية الخلق والامر فلم يكن من يد من دار يقع فيها هذا الابتلاء وهي دار التكليف ولما سبق في حكمته أن الجنة دار نعيم لادار ابتلاء وامتحان جعل قبلها دار الابتلاء جسرا يعبر عليه إليها ومزرعة يبذر فيها ومينا يزود منها وهذا هو الحق الذي خالق الخلق به ولا جله وهو أن يعبد وحده بما أمر به على السنة ورسله فامر ونهى على السنة ووعدها بالثواب والعقاب ولم يخلق خلقه سدى لايأمرهم ولا ينههم ولا يتركهم هملا لايثيبهم ولا يعاقبهم بل خلقوا للأمر والنهي والثواب والعقاب ولا يلق بحكمته وحده غير ذلك

فصل وقد عرف من هذا الجواب عن قولهم أي حكمة في خالق النفس مريدة للخير والشر وها خلقت مريدة للخير وحده وكيف اقتضت الحكمة تمكينها من الشر مع القدرة على منعها منه وأي حكمة في إعطائها قوة وأسبابا يعلم المعطي أنها لا يفعل بها الا الشر وحده وأي حكمة في اقرار هذه النفوس على غيرها وظلمها وعدوانها ومعلوم أن يفعل الحكمة لا يفعل ذلك وان من يفعل الحكمة اذا رأى عبيده يقتل بعضهم بغضا ويفسد بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا وهو قادر على منعهم فلا بد من حكمته ومما لهم بحيث يتركهم كذلك فاما أن يكون عالما بما يأتيون أولا يكون قادرا على منعهم أولا يكون ممن يفعل اضر وحكمة والاولان مستحيلان في حق الرب تعالى فتعين الثالث ومبنى هذه الشبهة على أصل فاسد وهو قياس الرب على خلقه وتشبيههم في أفعاله بحيث يحسن منه ما يحسن منهم ويتبع منه ما يتبع منهم ولهذا كانت القدرة مشبهة الأفعال ومتأخر وهم جمهورا بين هذا التشبيه وبين تعاطيل الصفات فصاروا معطلين للصفات مشبهين في الأفعال وهذا الأصل الفاسد مما رده عليهم سائر العقلاء وقالوا بقياس أفعال الرب على أفعال العباد من أفسد القياس وكذلك قياس حكمته على حكمته وصفاته على صفاتهم ومن المعلوم أن الرب تعالى علم ان عباده يقع منهم الكفر والظلم والفسوق وكان قادرا على أن لا يوجد لهم وان يوجد منهم كلهم أمة واحدة على ما يحب ويرضى وان يحول بينهم وبين بغى بعضهم ولكن حكمته البالغة أثبت ذلك واقتضت إيجادهم على الوجه الذي هم عليه وهو منبجانه خالق النفوس أصنافا فنصف مريد للخير وحده وهي نفوس الملائكة ونصف مريد للشر وحده وهي نفوس الشياطين ونصف فيه ارادة النوعين وهي النفوس البشرية فالاولى الخير لهم طباع وهي محودة عليه والشر للنفوس الثانية طباع وهي مذمومة عليه والصنف الثالث بحسب الغالب عليه من الوصفين فمن غلب عليه وصف الخير التحق بالصنف الاول ومن غلب عليه وصف الشر التحق بالصنف الثالث فاذا اقتضت الحكمة وجود هذا الصنف الثالث فان يقتضى وجود الثاني أولى وأحرى والرب تعالى اقتضت قدرته وعزته وحكمته إيجاد المتقابلات في الذوات والصفات والأفعال كما تقدم وقد نوع خلقه تنوعا دالا على كمال قدرته وربوبيته فمن أعظم الجهل والضلال أن يقول القائل هلا كان خلقه كلهم نوعا واحدا فيكون العالم علوا كاله أو نورا كاله أو الحيوان ملكا كاله وقد يقع في الاوهام الخاسدة ان هذا كان أولى وأكمل ويعرض الوهم الخامس ما ليس بممكنا كالا الوجه السادس والثلاثون قوله وأي حكمة في ايلام الحيوانات غير المكلفة فهذه مسألة تنكلم الناس

فيها قديما وحديثا وتباينت طرقهم في الجواب عنها فالجاحدون للأفعال الختار الذي يفعل بمشيئته وقدرته يحلون ذلك على الطبيعة المجردة وان ذلك من لوازمها ومقتضياتها ليس بفعل فاعل ولا قدرة قادر ولا ارادة مرهيد ومنكروا الحكمة والتعليل يردون ذلك الى محض المشيئة وصرف الارادة تخصص مثلا على مثل بلا موجب ولا غاية ولا حكمة مطلوبة ولا سبب أصلا وظنوا أنهم بذلك يتخلصون من السؤال ويسدون على نفوسهم باب المطالبة وانما سدوا على نفوسهم باب معرفة الرب وكأله وكال أمائه وأوصافه وأفعاله فغطوا حكمته وحقيقة إلهيته وحمده وكانوا كالمستجبرين من الرضاء بالنار وأما من أثبت حكمة وتعالى لا يعود الى الخلق بل الى المخلوق سلكوا طريقة التعويض على تلك الآلام في حق من يعث للثواب والعقاب وقالوا قد يكون في ذلك إجابة لآلئهم بصبرهم وتألمهم وإجابة لهم وتعويض في القيامة بما نالهم من تلك الآلام فلما أورد عليهم آلام الحيوانات التي لا تثاب ولا تعاقب (١) وأما المتبوتون لحقائق أسماء الرب وصفاته وحكمته التي هي وصفه ولاجلها تسمى بالحكم وعنها صدر خلقه وأمره فهم أعلم الفرق بهذا الشأن ومسلكتهم فيه أصح المسالك وأسلم من التناقض والاضطراب فانهم جمعوا بين اثبات القدرة والمشيئة العامة والحكمة الشاملة التي هي غاية الفعل وروبطوا ذلك بالاسماء والصفات فتصادق عندهم السمع والعقل والشرع والفطرة وعلموا ان ذلك مقتضى الحكمة البالغة وانه من لوازمها وان لازم الحق لازم العدل عدل ولو ازم الحكمة من الحكمة فاعلم أن ههنا أمرين نفسا متحركة بالارادة والاختيار وطبيعة متحركة بتغير الاختيار والارادة وان الشر منشأ من هذين المتحركين وعن هاتين الحركتين وخلقت هذه النفس وهذه الطبيعة على هذا الوجه فهذه تتحرك لكما لها وهذه تتحرك لكما لها وينشأ عن الحركتين خير وشر كما ينشأ عن حركة الافلاك والشمس والقمر وحركة الرياح والماء والنار خير وشر فالخيرات الناشئة عن هذه الحركات مقصودة بالقصد الاول اما لذاتها واما لكونها وسيلة الى خيرات أتم منها والشرور الناشئة عنها غير مقصودة بالذات وان قصدت قصد الوسائل والالزام طاق لا بد منها فاجابت عليه النفس من الحركة هو من لوازم ذاتها فلا تكون النفس البشرية نفسا الالهيا اللازم فاذا قيل لم خلقت متحركة على الدوام فهو بمنزلة أن يقال لم كانت انفس نفسا ولم كانت النار نارا والريح ريحا فلولم يخلق هذا ما كانت نفسا ولولم يخلق الطبيعة هكذا ما كانت طبيعة ولولم يخلق الانسان على هذه الصفة والخالقة ما كان انسانا فان قيل فلم خلقت النفس على هذه الصفة قيل من كمال الوجود خلقتها على هذه الصفة كما تقدم وكذلك كمال فاطرها ومبدعها اقتضى خلقتها على هذه الصفة لما في ذلك من الحكم التي لا يحصيها الابدعها سبحانه وان كان في إيجاد هذه النفس شرا فهو شر جزئى بالنسبة الى الخير الكلى الذي هو سبب إيجادها فوجودها خير من أن لا توجد فلولم يخلق مثل هذه النفس لكان في الوجود نقص وفوات حكم ومصلح عظيمة موقوفة على خلق مثل هذه النفس ولهذا لما اعترضت الملائكة على خلق الانسان وقالوا (أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) أجابهم سبحانه بان في خلقه من الحكم والمصلح ما لا تعلمه الملائكة والخالق سبحانه يعلمه واذا كانت الملائكة لا تعلم ما في خلق هذا الانسان الذي يفسد في الارض ويسفك الدماء من الحكم والمصلح فغيرهم أولى أن لا يحيط به علما فخلق هذا الانسان من تمام الحكمة والرحمة والمصلحة وان كان وجوده مستلزما لشر فهو شر

مغمور بها في إيجادها من الخير كإزال المطر والتلج وهبوب الريح وطلوع الشمس وخلق الحيوان والنبات والحيال والبحار وهذا كما أنه في خلقه فهو في شرعه ودينه وأمره فان ما أمر به من الاعمال السالحة خيره وعصا حته راجح وان كان فيه شر فهو مغمور جدا بالنسبة الى خيره وما نهى عنه من الاعمال والاقوال السيئة فشره ومفسده راجح والخير الذي فيه مغمور جدا بالنسبة الى شره فستته سبحانه في خلقه وأمره فعل الخير الخالص والراجح والأمر بالخير الخالص والراجح فاذا تناقضت أسباب الخير والشر والجمع بين التقيضين محال قدم أسباب الخير الراجحة على المرجوحة ولم يكن تقويت المرجوحة شرا ودفع أسباب الشر الراجحة بالاسباب المرجوحة ولم يكن حصول المرجوحة شرا بالنسبة الى ما ندفع بها من الشر الراجح وكذلك سنته في شرعه وأمره فهو يقدم الخير الراجح وان كان في ضمنه شر مرجوح ويمطل الشر الراجح وان فات بتعطيله خير مرجوح هذه سنته فيما يحدته ويبدعه في سمواته وأرضه وما يأمر به وينهى عنه وكذلك سنته في الآخرة وهو سبحانه قد أحسن كل شئ خلقه وقد أتقن كل ما صنع وهذا أمر يعلمه العالمون بالله حملة ويتفاوتون في العلم بتفاصيله واذا عرف ذلك فالآلام والمشاق اما احسان ورحمة واما عدل وحكمة واما اصلاح وتهيئة خير يحصل بعدها واما لدفع ألم هو أصعب منها واما لتولدها عن لذات ونعم يولدها عنها أمر لازم لتلك اللذات واما أن يكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والاحسان فيكون من لوازم الخير التي ان عطلت لازمتها فات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام والشرع والقدر أعدلا شاهد بذلك حكم في طلوع الشمس من ألم لمسافر وحاضر وكف في نزول الغيث والشلوج من اذى كما ساء الله بقوله وان كان بكم اذى من مطر وكف في هذا الحر والبرد والرياح من اذى موجب لانواع من الآلام لصنوف الحيوانات وأعظم لذات الدنيا لذة الاكل والشرب والنكاح واللباس والرياسة ومعظم آلام أهل الارض أوجاعها ناشئة عنها ومتولدة منها بل الكمالات الانسانية لاتصال الآلام بالآلام والمشاق كالعلم والشجاعة والزهد والعفة والحلم والمرؤة والصبر والاحسان كما قال

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

واذا كانت الآلام أسبابا للذات أعظم منها وأدوم كان العقل يقضى باحتمالها وكثيرا ما تكون الآلام أسبابا للصحة لولا تلك الآلام لفات وهذا شأن أكبر أمراض الابدان فهذه الحمى فيها من المنافع للابدان ما لا يعلمه الا الله وفيها من اذابة الفضلات وانفاج المواد الفجة وإخراجها ما لا يصل اليه دواء غيرها وكثير من الامراض اذا عرض اصحابها الحمى استبشر بها الطبيب واما انتفاع القلب والروح بالآلام والامراض فأمر لا يحسب له الا من فيه حياة فضحة القلوب والارواح موقوفة على آلام الابدان ومشاقها وقد أصبحت فوائد الامراض فزادت على مائة فائدة وقد حجب الله سبحانه أعظم اللذات بانواع المكروه وجعلها جسرا موصلا اليها كما حجب أعظم الآلام بالشهوات والذات وجعلها جسرا موصلا اليها ولهذا قالت العقلاء قاطبة على أن النعم لا يدرك بالنعم وان الراحة لاتال بالراحة وان من آثر اللذات فاتته اللذات فهذه الآلام والامراض والمشاق من أعظم النعم اذهى أسباب النعم وما تنال الحيوانات غير المكفة منها فمغمور جدا بالنسبة الى مصالحها ومنافعها كما ينالها من حر

الصيف وبرد الشتاء وحبس المطر والثلج وألم الحمل والولادة والسعي في طاب أوقاتها وغير ذلك ولكن لذاتها أضعاف أضعاف الآمال وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام فسنه الله في خلقه وأمره هي التي أوجبها لكل عالمه وحكمته وعزته ولو اجتمعت عقول العقلاء كلهم على أن يقترحوا أحسن منها لمجزوا عن ذلك وقيل لكل منهم أرجح بصر العقل فهل ترى من خال (ثم أرجح البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاشئا وهو حسير) فبارك الذي من كل حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضعادها والأشياء من خلافها فخرج الحي من الميت والميت من الحي والرطب من اليابس واليابس من الرطب فكذلك أنشأ اللذات من الآلام والآلام من اللذات فأعظم اللذات ثمرات الآلام وتناجها وأعظم الآلام ثمرات اللذات وتناجها وبعد فاللذة والسرور والخير والنعم والعافية والمصاحبة والرحمة في هذه الدار المملوءة بالحن والبلاء أكثر من أضعادها بأضعاف مضاعفة فإن آلام الحيوان من لذته وأين سقمه من مخته وأين جوعه وعطشه من شبعه ووربه وتعبه من راحته قال تعالى (فان مع العسر يسرا) ولين مع العسر يسرين وهذا لأن الرحمة غلبت الغضب والغفو سبق العقوبة والنعمة تقدمت العقوبة وأما في الصفات والأفعال والشر في المنعولات لافي الأفعال فوضاؤه كلها كمال وأفعاله كلها خيريات فإن ألم الحيوان لم يعدم بألمه عافية من ألم هو أشد من ذلك الألم أوتيه قوة وصحة وكال أو عوضا لانسبة لذلك الألم اليه بوجه ما قال ألم الدنيا جميعها نسبتها إلى لذات الآخرة وخيراتها أقل من نسبة ذرة إلى جبال الدنيا بكثير وكذلك لذات الدنيا جميعها بالنسبة إلى آلام الآخرة والله سبحانه لم يخلق الآلام واللذات سدى ولم يقدرهما عبثا ومن كل قدرته وحكمته أن جعل كل واحد منهما يشر الآخرى وهذا ولو أزم الحلقه يستحيل ارتفاعها كما يستحيل ارتفاع الفقر والحاجة والنقص عن الخلق فلا يكون الخلق الفقرا محتاجا ناقص العلم والقدرة فلو كان الإنسان وغيره من الحيوان لا يجمع ولا يعطش ولا يتألم في عالم الكون والفساد لم يكن حيوانا ولكانت هذه الدار دار بقاء ولذة مطابقة كاملة والله لم يجعلها كذلك وإنما جعلها دارا ممتزا لها بذاتها وسرورها بأجزائها وغمومها وبخمتها بسقمها بحكمة منه بالغة

فصل ١٠ ولما كانت الآلام أدوية للأرواح والأبدان كانت كلالا للحيوان خصوصا لنوع الإنسان فإن فطره وبأمره أنما مرضه ليشفيه وإنما ابتلاه ليعافيه وإنما أماته ليحييه فهو سبحانه يسوق الحيوان والإنسان في مراتب كماله طورا وبمطورا إلى آخر كماله بأسباب لا بد منها وكاله موقف على تلك الأسباب ووجود المازوم بدون لازمه تمتع كوجود المحقوق بدون الحاجة والفقر والتقص ولو أزم ذلك ولو أزم تلك الأوزان ولكن أكثر النفوس جاهلة بالله وحكمته وعلمه وكاله يفرض أمورا متممة ويقدرها تقديرا ذهنيًا ويحسب أنها كمال من الممكن الواقع ومع هذا فربما يرحمها لحملها ويعجزها ونقصها فإن اعترفت بذلك واعترفت له بكماله وحمده وقامت بمقتضى هذين الاعترافين كان نصيبها من الرحمة أوفر والله سبحانه افتتح الخلق بالحمد وختم أمر هذا العالم بالحمد فقال (المجد لله الذي خلق السموات والأرض) وقف (وقضى بينهم بالحق) وقيل الحمد لله رب العالمين) وأنزل كتابه بالحمد وشرع دينه بالحمد وأوجب ثوابه وعقابه بالحمد فحمده من لوازم ذاته أذ يستحيل أن يكون الامحودا فالحمد سبب الخلق ونابته الحمد أوجب له والحمد وجد فحمده واسع

لما وسعه علمه ورحمته وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما فلم يوجد شيئا لم يقدره ولم يشعه الا بحمده
والحمده وكل ما خلقه وشرعه فهو متضمن للغايات الحميدة ولا بد من لوازمها ولوازم لوازمها ولهذا
ملا حمده سمواته وأرضه وما بينهما وما شاء من شيء بعد مما خلقه ويخلق به بعد هذا الخلق
فحمده ملا ذلك كله وحمده تعالى أنواع حمد على ربوبيته وحمد على تقرده بها وحمد على الوهية
وتقرده وحمد على نعمته وحمد على منته وحمد على حكمته وحمد على عدله في خلقه
وحمد على غناه عن إيجاد الولد والشريك والولي من الذل وحمده على كماله الذي لا يابق بغيره فهو
محمود على كل حال وفي كل آن ونفس وعلى كل ما فعل وكل ما شرع وعلى كل ما هو متصف به وعلى
كل ما هو منزعه عنه وعلى كل ما في الوجود من خير وشر ولذة وألم وعافية وبلاء فكما أن الملك كله
له والقدرة كلها له والعزة كلها له والعلم كله له والجمال كله له والحمد كله له كما في الدعاء المأثور اللهم لك
الحمد كله ولك الملك كله ويسدك الخير كله واليك يرجع الأمر كله وأنت أهل لأن تحمد وما عمرت
الدنيا الا بحمده ولا الجنة الا بحمده ولا النار الا بحمده حتى أن أهلها يحمدهونه كما قال الحسن لقد دخل
أهل النار النار وان قلوبهم لتحمده ما وجدوا عليه من حجة ولا سبيل

فصل في ما قيل في لذو وأى خير ينشأ من العذاب الشديد الدائم الذي لا ينقطع ولا يفتقر
عن أهله بل أهله فيه أبد الآباد كلما تضجرت جلودهم بدلوا جلودا غيرها لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم طرفة عين قيل لعمر الله هذا سؤال يقلقل الجبال فضلا عن قلوب الرجال وعن هذا
السؤال أنكر من أنكر حكمة العزيز الحكيم ورد الأمر الى مشيئة محضه لاسبب لها ولا غاية وجوز
على الله أن يعذب أهل طاعته وأوليائه ويترهم الى أسفل الجحيم فينعم أعداءه المشركين به ويرفعهم
الى أعلى جنات النعيم أبد الآباد وأن يدخل النار من شاء بغير سبب ولا عمل أصلا وإن تفاوت بين
أهلها مع مساوئهم في الاعمال ويسوي بينهم في العذاب مع تفاوتهم في الاعمال وإن يعذب الرجل
بذنوب غيره وإن يظل حسنة كلها فلا يثيب بها أو يثيب بها غيره وكل ذلك جائز عليه لا يعلم أنه
لا يفعله الا بخبر صادق اذ نسبة ذلك وضده اليه على حد سواء وقالوا ولا مخلص عن هذا السؤال الا
بهذا الأصل وربما تمسكوا بظاهر من القول لم يضعوه على مواضعه ولم يحكموا بينه وبين أدلة العدل
والحكمة وتعليق الامور بأسبابها وترتيبها عليها وآثار الموازنة والمقابلة وأخطأوا في فهم القرآن كما
أخطأوا في وصف الرب بما لا يابق به وفي التجوز عليه ما لا يجوز عليه وقابلهم مثبتوا الاسباب
والحكم من القدرة وزعموا أنهم يخلصون من قبس القول بما أثبتوه من الحكمة والتعليل ولكن
وقعوا في نظيره أو ما هو شر منه حيث أوجبوا على الله سبحانه تخليد من أفنى عمره في طاعته ثم
أرتكب كبيرة واحدة ومات مصرا عليها في النار مع أعدائه الكفار أبد الآباد ولم يرقبوا له طاعة
ولم يرعوا له اسلا ما وهم في هذا المذهب شر قولاً من اخوانهم الجبرية فإن أولئك لم يوجبوا على الله
ذلك الحكم وإنما جوزوه عليه وجوزوا أن لا يفعله وهؤلاء أوجبوا عليه تخليد أهل الكبائر مع
الكفار ولم يجوزوا عليه إخراجهم منها وأصابهم في غلظهم على القرآن والسنة وما يجوز على الرب وما
لا يجوز عليه ما أصاب اخوانهم من الجبرية ولما ظن غيرهم من أهل النظر والبحث أن هذا هو الفساد
الذي أخبرت به الرسل وعلّموا أن هذا مناف للحكمة والرحمة والعدل والمصلحة قالوا أن ذلك

تخويف وتخييل لاحقيقة له يزرع النفوس السبعية والبهيمية عن عدوانها وشهواتها فتقوم بذلك مصلحة الوجود وكان من أكبر أسباب الحاد هؤلاء وكفرهم بالله واليوم الآخر نسبة أولئك مذاهبهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة الى الرسل واخبارهم أنهم دعوا الى الايمان بها كما أصابهم تعمم في باب مسألة حدوث العالم حيث أخبروهم ان الرسل أخبرت عن الله انه لم ينزل معطلا عن الفعل والفعل غير ممكن منه ثم انقلب من الاحالة الذاتية الى الامكان الذاتي عند ابتداءه بالايجاد سبب ولا أمر قام بالفعل وقالوا من لم يعتقد هذا فليس يؤمن ولا يصدق للرسل لهذا في المبدأ وذلك في المعاد ثم جاءت طائفة أخرى فطلوا بساط الخلق والأمر جملة وقالوا كل هذا عمل وتليس ومثم وجودان بل الوجود كله واحد ليس هناك خالق ومخلوق ورب ومربوب وطاعة ومعصية وما الامر الانساق واحد والتفريق من أحكام الوهم والخيال فالسموات والارض والدينا والآخرة والازل والابد والحسن والقيبح كله شئ واحد وهو من عين واحدة ثم استدركوا فقالوا الابل هو العين ونشأ الناس الامن شاء الله بين هؤلاء الطوائف الاربع لا يعرفون سوى أقوالهم ومذاهبهم فعضمت البلية واشتدت المعصية وصار اذكياء الناس زنادقة العالم وأدناهم الى الخلاص اهل البلادة والبله والعقل والسمع عن هذه الفرق بمعزل ومنازلهم منهما أبعد منزل فقول وبالله التوفيق والله المستعان وعليه التكلان* دل القرآن والسنة والفطرة وأدلة العقول أنه سبحانه خلق السموات والارض وما بينهما بالحق ولم يخلق شيئا عبثا ولا سدى ولا باطلا وانما أوجد العالم العلوي والسفلي ومن فيهما بالحق الذي هو وصفه واسمه وقوله وفعله وهو سبحانه الحق المبين فلا يصدر عنه الاحق ليقول الاحقا ولا يفعل الاحقا ولا يأمر بالباطل ولا يجازي الاجبى فالباطل لا يضاف اليه بل الباطل مأم يضاف اليه كالحكم الباطل والدين الباطل الذي لم ياذن فيه ولم يشرعه على السنة رسله والمعبود الباطل الذي لا يستحق العبادة وليس أهلا لها فعبادته باطلة ودعوته باطلة والقول الباطل هو الكذب والزور والحال من القول الذي لا يتعاقب بحق موجود بل متعاقبه باطل لاحقيقة له وهو سبحانه انما خلق الخلق لعبادته ومعرفة أصل عبادته محبته على الاثمة ونعمه وعلى كماله وجلاله وذلك أمر فطرى ابتداء الله عليه خلقه وهي فطرته التي فطر الناس عليها كما فطرهم على الاقرار به كما قالت الرسل لأمهم (أفني الله شك فاطر السموات والارض) فالخلق مقطورون على معرفته وتوحيده فلو خلوا وهذه الفطرة لنشأوا على معرفته وعبادته وحده وهذه الفطرة أمر خاتى خلقوا عليه ولا تبدل خلقته فضى الناس على هذه الفطرة قرونا عديدة ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة بمنزلة ما يعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة مما يوجب خروجها عن الصحة الى الانحراف فارسل رسله ترد الناس الى فطرته الاولى التي فطروا عليها فاقسم الناس معهم ثلاثة أقسام* منهم من استجاب لهم كل الاستجابة وانقاد اليهم كل الانقياد فرجمت فطرته الى ما كانت عليه مع ما حصل لها من الكمال والتمام في قوتى العلم النافع والعمل الصالح فازدادت فطرته كمالا الى كمالها فهؤلاء لا يحتاجون في المعاد الى تهذيب وتأديب ونار تذيب فضائلهم الخبيثة وتطهرهم من الادران والاوزاخ فان انقيادهم للرسل ازال عنهم ذلك كله* وقسم استجابوا لهم من وجه دون وجه فبقيت عليهم بقية من الادران والاوزاخ التي تنافي الحق الذي خلقوا له فهياهم العاليم الحكيم من الادوية الالقاء والامتحان بحسب تلك الادواء

التي قامت بهم قال وقت بإخلاص منها في هذه الدار والامني البرزخ فان وفي بإخلاص والافقي موقف
 القيامة وأعوها ما يخصهم من تلك البقية فان وفي بها والافلابد من المداواة بالدواء الاعظم وآخر
 الطب البكي فيدخلون كير التحصيل والتخليص حتى اذا هذبوا ولم يبق للدواء فائدة أخرجوا من مابستان
 المرضى الى دار أهل العافية كما دل على ذلك السنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصرح به
 في قوله حتى اذا هذبوا وتقوا أذن لهم في دخول الجنة وكذلك قوله تعالى (طبتم فادخلوها
 خالدين) فلم يأذن لهم في دخوله إلا بعد طيبهم فلها دار الطيبين فليس فيها شيء من الخبث أصلا
 وهذا يثبت هؤلاء في النار على قدر حاجتهم الى التطهر وزوال الخبث * القسم الثالث قوم لم يستجيبوا
 للرسول ولا اتقوا لهم بل استمروا على الخروج عن الفطرة ولم يرجعوا اليها واستحكم فسادها
 فيهم أتم استحكام لا يرجي لهم صلاح فهو لاء لا يفي بحجيء الدنيا ومصائب الموت وما بعده وأهوال
 القيامة بزوال أوصاخهم وأدرانهم ولا يبق بنكة العليم الحكيم أن يجاورهم الطيبين في دارهم ولم
 يخافوا الفناء فهو لاء أهل دار الابتلاء والامتحان باقون فيها ببقاء مامعهم من درن الكفر والشرك
 والنار انما أوقدت عليهم بأعمالهم الخبيثة فعذابهم بنفس أعمالهم السيئة لهم منها صور من العذاب يناسبها
 وبما كانوا فالعذاب باق عليهم ما بقيت حقائق تلك الاعمال وما تولد منها فما دامت موجبات العذاب
 باقية فالعذاب باق * يبق أن يقال فهل ذهب أثر الفطرة الاولى بالكلية بحيث صارت كأن لم تكن وبطلت
 بالكلية وانتقل الامر الى العارض المفسد لها على هذا فلا سبيل الى خلاصهم من العذاب إذ هو أثر
 ذلك الفساد الذي أزال الفطرة أو يقال الفطرة لم تذهب بالكلية وانما استحكم مرضها وفسادها
 وأصاها باق كما يستحكم مرض البدن وفساده والحياة قائمة به لكنها حياة لا تنفع فاذا قدر دواء كره
 صعب تناول لا سبيل الى الصحة الا بتكرير تناوله مرارا كثيرة العدد جدا يزيل ذلك المرض العارض
 فيظهر أثر الفطرة الاولى فلا يحتاج بعده الى الدواء هذا سر المسئلة ومن يذهب الى هذا التقدير
 الثاني فانه يقول العقل لا يدل على امتناع ذلك اذ ليس فيه ما يحيله ونقول بل قد دل العقل والنقل والفطرة
 على أن الرب تعالى حكيم رحيم والحكمة والرحمة تأتي بقاء هذه النفوس في العذاب سرمدا أبدا لا يباد
 بحيث يدوم عذابها بدوام الله فهذا ليس من الحكمة والرحمة قالوا وقد دلت الدلائل الكثيرة من
 النصوص والاعتبار على أن ما شرعه الله في هذه الدار وقدره من العذاب والعقوبات فاعلموا انهم ذنوب
 النفوس وتصفيتهما من الشر الذي فيها ولحصول مصلحة الزجر والاتعاظ وفضما للنفوس عن المعاودة
 وغير ذلك من الحكم التي اذا حصلت خلا التعذيب عن الحكمة والمصلحة فيبطل فانه تعذيب عليم
 حكيم رحيم لا يعذب سدى ولا تنفع يعود اليه بالتعذيب بل كلا الامر من محال واذا لا يقع التعذيب
 المصلحة المعذب أو مصلحة غيره ومعلوم أنه لا مصلحة له ولا غيره في بقاءه في العذاب سرمدا
 أبدا لا يباد قالوا فما دل عليه القرآن والسنة ان جنس الآلام لمصلحة بنى آدم قوله تعالى (ذلك بأنهم
 لا يصيبهم نصب ولا خصصة في سبيل الله ولا يظنون موطنًا يفيظ الكفار ولا يتالون من عدو نيل
 الا كتب لهم به عمل صالح) وقوله (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فاخبر ان ألم القتل
 والجراح في سبيله تمحيص أى تطهير وتصفية للمؤمنين وبشر الصابرين على ألم الجوع والخوف
 والغمر وقد الاحباب وغيرهم بصلاته عليهم ورحمته وهدايته وقال تعالى (من يعمل سواء يجزه)

قال أبو بكر الصديق يا رسول الله جاءت قاصمة الظهر وإنما لم تعمل سوا فقال يا أبا بكر ألسنت تنصب
ألسنت تحزن أليس يصيبك الذي قال بلي قال فذلك مما يحزنون به وقال تعالى (وما أصابكم من
مصيبة فيها كسبت أيديكم) وفي هذا تبشير وتحذير إذ أعلن أن مصائب الدنيا عقوبات لنفوسنا وهو
أرحم أن يثني العقوبة على عبده بذنب قد عاقبه به في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم من بلى بشيء
من هذه القاذورات فستره الله فامر به إلى الله أن شاء عذبه وإن شاء غفر له ومن عوقب به في الدنيا
قاله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده وفي الحديث الحدود كفارات لاهلها وفي الصحيحين من
حديث عبادة ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وفي الصحيح عنه صلى الله
عليه وسلم ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر
الله بها من خطاياهم وقال لا يزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة
وفي حديث آخر ان المؤمن اذا مرض خرج مثل البردة في صفاتها ولونها وفي الحديث الآخر ان
الحمل يطفى الذنوب كما يطفى الكبر خبث الحديد وفي حديث آخر لا تنسب الحلى فلها تذهب خطايا بني
آدم ومن أساء الحلى مكفرة الذنوب وفي الحديث الصحيح يقول الله عز وجل يوم القيامة عدى
مرضت فلم تعدنى قال كيف أعودك وأنت رب العالمين قال مرض عيسى فلان فلم تعده أما لو عدته
لو جدتني عنده وهذا أبلغ من قوله في الإطعام والاسقاء لو جدت ذلك عندى فهو سبحانه عند
الميتى بالمرض رحمة منه له وخيرا وقربا منه لكسر قلبه بالمرض فانه عند المنكسرة قلوبهم وهذا أكبر
من أن يذكر ورب الدنيا والآخرة واحد وحكمته ورحمته موجودة في الدنيا والآخرة بل ظهور
رحمته في الآخرة أعظم فعذاب المؤمنين بالنار في الآخرة هو من هذا الباب كذا بهم في الدنيا
بالمصائب والحدود وكذلك حبسهم بين الجنة والنار حتى يهذبوا وينقوا وقد علم بالخصوص الصحيحة
الصريحة ان عذابهم في النار متفاوت قدرا ووقتا بحسب ذنوبهم وانهم لا يخرجون منها جملة واحدة
بل شيئا بعد شيء حتى يبقى رجل هو آخرهم خروجا وكذلك عذاب الكفار فيها متفاوت تفاوتوا
عظيما فالتناقفون في دركها الأسفل وأبو طالب أخف أهلها عذابا في ضحضاح من نار يغلى منه دماغه
وآل فرعون في أشد العذاب قالوا فإذا كان العذاب في الدار التي فيها رحمة واحدة من مائة رحمة
هو رحمة بأهلها ومصلحة لهم ولطف بهم فكيف في الدار التي يظهر فيها مائة رحمة كل رحمة منها طباق
ما بين السماء والأرض وقد قال تعالى (وانذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)
فاخبر أنه يعذبهم رحمة بهم ليردهم العذاب اليه كما يعذب الاب الشقيق ولده اذا فر منه الى عدوه
ليرجع الى بره وكرامته وقال الله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) وأنت تجد تحت هذه
الكلمات أن تعذيبهم لكم لا يزيد في ملكه ولا ينتفع به ولا هو سدى خال من حكمة ومصلحة وانكم
اذا بدلتكم الشكر والامانة بالكفر كان عذابكم منكم وكان كفركم هو الذي عذبتم به والافأى شيء
ياحقه من عذابكم وأى نفع يصل اليه منه قالوا وحينئذ فالحكمة تقتضى أن النفوس التمريرة لا بد
لها من عذاب يهذبها بحسب وقوعها كما دل على ذلك السمع والعقل وذلك يوجب الانتهاء الى الدوام
قالوا والله تعالى لم يخلق الانسان عبثا وانما خلقه ليرحمه لا يعذبه وانما اكتسب موجب العذاب بعد
خلقه له فرحمته له سبقت غضبه وموجب الرحمة فيه سابق على موجب الغضب وغالب له وتعذيبه ليس

هو الغاية لحالته وإنما تعذيب الحكمة ورحمة والحكمة والرحمة تأتي أن يتصل عذابه سرمداً إلى غير نهاية أما الرحمة فتأخر وأما الحكمة فلا نه إنما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها ولم يخلق عليه من أصل الحكمة ولا خلق له فهو لم يخلق إلا شراراً ولا المذاب وإنما خلق للمادة والرحمة ولكن طرأ عليه موجب المذاب فاستحق عليه المذاب وذلك الموجب لادوام له فإنه باطل بخلاف الحق الذي هو موجب الرحمة فإنه دائم بدوام الحق سبحانه وهو الغاية وليس موجب المذاب غاية كأن المذاب ليس بغاية بخلاف الرحمة فإنها غاية وموجبها غاية فتأمله حق التأمل فإنه سر المسئلة * قالوا والرب تعالى تسمى بالغفور الرحيم ولم تسمى بالمعذب ولا بالمعاقب بل جعل المذاب والعقاب في أفعاله كما قال تعالى (نبي عبادي إني أنا الغفور الرحيم وإن عذابي هو المذاب الاليم) وقال تعالى (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) وقال (إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود) وقال (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وهذا كثير في القرآن فإنه سبحانه يمدح بالغفور والمغفرة والرحمة والكرم والحلم ويسمى ولم يمدح بأنه المعاقب ولا الغضبان ولا المعذب ولا المسيقم إلا في الحديث الذي فيه تعديد الاسماء الحسنى ولم يثبت وقد كتب على نفسه كتاباً إن رحمته سبقت غضبه وكذلك هو في أهل النار فإن رحمته فيهم سبقت غضبه فإنه رحمهم أنواعاً من الرحمة قبل أن أغضبوه يشركهم ورحمهم في حال شركهم ورحمهم بأقلامه الحجة عليهم ورحمهم بدعوتهم إليه بعد أن أغضبوه وأذوا رسله وكذبوه وأمهاتهم ولم يعاجلهم بل وسعهم رحمته فرحمته غلبت غضبه ولولا ذلك لحرب العالم وسقطت السموات على الأرض وخرت الحبال وإذا كانت الرحمة غالباً للغضب سابقة عليه أمتع أن يكون موجب الغضب دائماً بدوامه غالباً لرحمته قالوا والتعذيب إما أن يكون عبثاً أو لمصلحة وحكمة وكونه عبثاً مما ينزه أحكم الحاكمين عنه ونسبته إليه نسبة لما هو من أعظم النقصان إليه وإن كان لمصلحة فالمصلحة هي المنفعة ولوازمها ومازوماتها وهي إما أن تعود على الرب تعالى وهو يتعالى عن ذلك ويتقدس عنه وإما أن تعود إلى الخلق أما نفس المعذب وإما غيره أوهما والاول تمتع ولا مصلحة له في دوام العقوبة بلا نهاية وإما مصلحة غيره فإن كانت هي الانماط والانتزاع فقد حصلت وإن كانت تكميل لذته وهيجته وسروره بأن يرى عدوه في تلك الحال وهو في غاية النعيم فهذا لو كان أقصى الخلق لرق لعدوه من طول عذابه ودوام ما يناسبه فلم يبق إلا كسر تلك النفوس الجبارة العتيدة ومداواتها كما تصل إلى مادة أدواها وأمراضها فحسمها وتلك المادة شرطاً على خير خلقت عليه في ابتداء فطرتها قالوا والاقسام الممكنة في الخلق خمسة لا مزيد عليها خير محض ومقابله وخير راجح ومقابله وخير ومتساوٍ والحكمة تقتضي إيجاد قسمين منها وهما الخير الخالص والراجح وأما الشر الخالص أو الراجح فإن الحكمة لا تقتضي وجوده بل تأتي ذلك فإن كل ما خلقه الله سبحانه قائماً خلقه الحكمة وجودها أولى من عدمها وخلق الدواب الشريرة والأفعال التي هي شر لما يترتب على خلقها من الخير المحبوب فلم يخلق لجرد الشر الذي لا يستلزم خيراً بوجه ما هذا غاية الحال فالخير هو المقصود بالذات بالمقصد الاول والشر إنما قصد قصد الوسائل والمبادئ لأقصد الغايات والنهايات وحينئذ إذا حصلت الغاية المقصودة بخلقها بطل وزال كابتطل الوسائل عند الانتهاء إلى غاياتها كما هو معلوم بالحس والعقل وعلى هذا فالعذاب شر وله غاية أطلب به

وهو وسيلة إليها فإذا حصلت غايته كان بمنزلة الطريق الموصلة الى القصد فإذا وصل بها السائر الى مقصده لم يبق لسلوكها فائدة وسر المسئلة أن الرحمة غاية الخلق والامر بالعباد فبالعذاب من مخلوقاته وذلك مقتضى أنه خالقه لغاية محمودة ولا بد من ظهور أسائه وأثر صفاته عموما وإطلاقا فإن هذا هو الكمال والرب جل جلاله موصوف بالكمال منزّه عن النقص قالوا وقد قال تعالى (وأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين مادامت السموات والارض الاما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) وقال (النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله) قال أبو سعيد الخدرى هذه تقضى على كل آية في القرآن ذكره البهقي وحرب وغيرهما وقال عبد الله بن مسعود ليا تين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن عمر بن الخطاب وأبى هريرة مثله ذكره جماعة من المصنفين في السنة وهذا يقتضى أن الدار التي لا يبق فيها أحد هي التي يلبث فيها أهلها أحقابا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخبرنا الله بالذي يشاء لاهل الجنة قتال تعالى (عطاء غير مجدوذ) ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار قالوا ويكفيها ما في سورة الانعام من قوله (ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) الى قوله (يامعشر الجن والانس ألبأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) وهذا خطاب للكفار من الجن والانس من وجوه* أحدهما استكبارهم منهم أى من إغوائهم وإضالهم وانما استكبروا من الكفار* الثاني قوله (وقال أولياؤهم من الانس) وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) خبز الشيطان هم أولياؤه والثالث قوله (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) وجمع هذا فقال (النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله) ثم ختم الآية بقوله (إن ربك حكيم عليم) فعذبتهم متعلق بعلمه وحكمته وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة فهو عليم بما يفعل بهم حكيم في ذلك قالوا وقد ورد في القرآن أنه سبحانه اذا ذكر جزء أهل رحمته وأهل غضبه معا أبد جزاء أهل الرحمة وأطاع جزاء أهل الغضب كقوله (فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجدوذ) وقوله (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية* ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) وقوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) وقد يقرن بينهما في الذكر ويقضى لهم بالخلود كقوله (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وقوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) ولكن مجرد ذكر الخلود والتأيد لا يقتضى عدم النهاية بل الخلود هو المكث الطويل كقولهم قيد مخلد وتأيد كل شئ بحسبه فقد يكون التأيد لمدة الحياة وقد يكون لمدة الدنيا قال تعالى عن اليهود (ولن يتنوه

أبدا بما قدمت أيديهم) ومعلوم أنهم يمتنون في النار حيث يقولون بمات إقض علينا ربك وإنما استبعد عدم انتها نعيم الجنة بقوله (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) وقوله (عطاء غير مجدود) وقوله (له أجر غير ممنون) أي مقطوع ومن قال لا يمتن به عليهم فقد أخطأ أقبح الخطأ ولم يحجج مثل ذلك في عذاب أهل النار وقوله عز وجل (وما هم بخارجين من النار) وما هم منها بخارجين) وقوله (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقوله تعالى كما أرادوا أن يخرجهم منها أعيدوا فيها) في موضعين من القرآن وقوله (كما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) غير مصروف عن ظاهره وحقيقته على الصحيح وقد زعمت طائفة أن إطلاق هذه الآيات مقيسد بآيات التقييد بالاستثناء بالمشيئة فيكون من باب تخصيص العموم وهذا كأنه قول من قال من الساف في آية الاستثناء أنها تقضى على كل وعيد في القرآن والصحيح أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها ولكن ليس فيها ما يدل على أن نفس النار دائمة بدوام الله لانتهاء لها هذا ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه بوجه ما وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائما بدوامها وبين أن يكون هي أبدية لا تقطع لها فلا تستحيل ولا تضعحل فهذا شيء وهذا شيء لا يقال فلا فرق على هذا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة إذ كان كل منهما يوضعحل وينقطع **ف**قال ما أظهر الفروق بينهما أو الأمرين من أن يحتاج إلى فرق وأيضا فعذاب الدنيا ينقطع بموت المذنب وإقلاق العذاب عنه وأما عذاب الآخرة فلا يموت من استحق الجلود فيه ولا يقلع العذاب عنه ولا يدفعه عنه أحد كما قال تعالى (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) وهو لازم لا يفارق قال تعالى (إن عذابها كان غراما) أي لازما ومنه سمي الغريم غريما للملازمة غريمة

فصل وأما الآثار في هذه المسئلة فقال الطبراني حدثنا عبد الرحمن بن سلم حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الله بن مسعر بن كدام عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم لياتين على جهنم يوم كأنها ورق هاج واجر تخفق أبوابها وقال حرب في مسائله سألت إسحاق قلت قول الله عز وجل (خلد في فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) قال أنت هذه الآية على كل وعيد في القرآن حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا أبو نصره عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتي على القرآن كله إلا ما شاء ربك **ف**قال المعتمر قال أي كل وعيد في القرآن ثم تأول حرب ذلك فقال معناه عندي والله أعلم أنها تأتي على كل وعيد في القرآن لأهل التوحيد وكذلك قوله إلا ما شاء ربك استثنى من أهل القبلة الذين يخرجون من النار وهذا التأويل لا يصح لأن الاستثناء إنما هو في وعيد الكفار فإنه سبحانه قال يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا في النار الآية ثم قال وأما الذين سعدوا ففي الجنة فاهل التوحيد من الذين سعدوا شقوا وآية الانعام صريحة في حق الكفار كما تقدم بيانه قال حرب وحدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي ثنا شعبة عن أبي مليخ سمع عمر بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال لياتين على جهنم يوم تصلفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا حدثنا عبيد الله ثنا أبي ثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال أما الذي أقول أنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ فاما الذين شقوا في النار الآية قال عبيد الله كأن أحدا بنا يقولون يعني بها

الموحدين وقد تقدم ان هذا دليل لا يصح والله عبد بن حميد في تفسيره أخبرنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر لو لبث أهل النار في النار بقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه وقال أخبرنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه ورواة هذا الأثر ثمانية نفقات كلهم والحسن سمعه من بعض أتباعه ورواه غير منكر له فدل هذا الحديث انه كان متداولاً بين هؤلاء الأئمة لا يشكرونه وقد كانوا يشكرون على من خرج عن السنة أدنى شيء ويروون الأحاديث المبطلة لفعله وكان الأئمة أحمد يقول أحديث حماد بن سلمة هي الشجاة في حلق المبتدعة أو كان هذا القول عندهم من البدع الخاطئة للسنة والأجاء لاسارعو الى رده وانكاره وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (قال انار منواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) قال لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً قال الفايروزي عن ابن عباس أنه كان يتأول في هذا الاستثناء ان الله جعل أمر هؤلاء في مبلغ عذابه ايهم الى مشيئته وهذا التفسير من ابن عباس يطل قول من تأول الآية على أن معناها سوى ما شاء الله من أنواع العذاب أو قال المعنى الامدة مقامهم قبل الدخول من حين بعثوا الى أن دخلوا أو أنها في أهل القبلة وما يعني من أو أنها يعني الواو أي وما شاء الله وهذه كلها تأويلات باردة ركيكة لا تليق بالآية ومن تأملها حزم بطلانها وقيل السدي في قوله تعالى (لائين فيها أحقاباً) قال سمعنا حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم كانت سنة بما تعدون وتقيدهم لبهم فيها بالأحقاب يدل على مدة مقدرة يحصرها العدد هذا قول الأكثرين ولهذا تأول الزجاج الآية على أن الاحقاب تقييد القول لا يدورون فيها بردوا لشراباً وأما مسدة مكنهم فيها فلا يتقدر بالأحقاب وهذا تأويل فاسد فانه يقتضى أن يكونوا بعد الاحقاب ذائقين للبرد والشراب وقالت طائفة أخرى الآية منسوخة بقوله (وما هم منها بمخرجين) وقوله (هم فيها خالدون) وهذا فاسد أيضاً إن أرادوا بالنسخ الرفع فانه لا يدخل في الخبر اذا كان بمعنى الضرب وإن أرادوا بالنسخ البيان فهو صحيح وهو انما يدل على أن عذابهم دائم مستمر مادامت باقية فهم فيها خالدون وما هم بمخرجين وهذا حق معلوم دلالة القرآن والسنة عليه لكن الشأن في أمر آخر وهو أن النار أبدية دائمة بدوام الرب فإن دليل على هذا من القرآن أو السنة بوجه من الوجوه وقالت طائفة هي في أهل التوحيد وهذا أقبح مما قبله وسياق الآيات يردده رداً صريحاً ولما رأى غيرهم بطلان هذه التأويلات قل لا يدل ذكر الاحقاب على النهاية فانها غير مقدرة بالعدد فانه لم يقل عشرة ولا مائة ولو قدرت بالعدد لم يدل على النهاية الا باللفظ فكيف اذا لم يتدر قولاً فمعنى الآية انه كلما مضى حقب تبعه حقب لالى نهاية وهذا الذي قالوه لا تدل الآية عليه بوجه وقولهم أن الاحقاب فيها غير مقدرة فيتأول أو أريد بالآية بيان عدم انتهاء مدة العذاب لم يقيد بالأحقاب فان ما لا نهاية له لا يقال هو باقى أحقاباً ودهوراً وأعصاراً أو نحو ذلك ولهذا لا يقال ذلك في نعم أهل الجنة ولا يقال للأبدى الذي لا يزول هو باقى أحقاباً أو الآفا من السنين فلهذا جابة أفهم الآية لمعاني القرآن وقد فهم منها عمر بن الخطاب خلاف فهم هؤلاء كما فهم ابن عباس من آية الاستثناء خلاف فهم أولئك وفهم الصحابة في

القرآن هو الغاية التي عليها المعول وقد قال ابن مسعود لياتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً وقال ابن جرير حدثت عن المسيب عن ذكره عن ابن عباس خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود فذكره وقال حدثنا محمد بن حديد ثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعها خراباً قلت لا يدل قوله أسرعها خراباً على خراب الدار الاخرى كما في قوله تعالى (أحباب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) وقوله (الله خير أما يشركون) وقوله في الحديث الله أعلا وأجل وقوله أسرعها عمرانا يحتمل معنيين أحدهما مسارعة الناس الى الاعمال التي يدخلون بها جهنم وإبطاؤهم عن أعمال الدار الاخرى والثاني ان أهلها يدخلونها قبل دخول أهل الجنة اليها فان أهل الجنة انما يدخلونها بعد عبورهم على الصراط وبعد حبسهم على القنطرة التي وراء أهل النار قد تبوأوا منازلهم منها فانهم لا يجوزون على الصراط ولا يجسسون على تلك القنطرة وأيضا في الحديث الصحيح انه لما ينادى المنادى لتبضع كل أمة ما كانت تعبث فتبضع للمشركون أولئهم وآلئهم فتساقط بهم في النار وتبقى هذه الامة في الموقف حتى يأتيها ربها عز وجل ويقول ألا تنظفون حيث انطلق الناس وقد ذكر الخطيب في تاريخه في ترجمة سهل بن عبيد الله بن داود ابن سليمان أبو نصر البخاري حدثنا محمد بن نوح الجندسابوري حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الناقد حدثنا سهل بن عثمان ثنا عبيد الله بن مسعر بن كدام عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على جهنم يوما ما فيها من بني آدم أحد تخفق أبوابها كأنها أبواب الموحدين وليس العمدة على هذا وحده فان استاده ضعيف وقد روى من وجه آخر عن ابن مسعود وقد تقدم

فصل في الذين قطعوا بأبدي النار وانها لا تنفي لهم طرق * أحدها الآيات والاحاديث الدالة على خلودهم فيها وانهم لا يموتون وما هم منها بمخرجين وان الموت يذبح بين الجنة والنار وان الكفار لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الأجل في سم الحياط وأمثال هذه النصوص وهذه الطريق لا تدل على ما ذكره وانما يدل على أنها مادامت باقية فهم فيها فأين فيها ما يدل على عدم فنائها * الطريق الثاني دعوى الاجماع على ذلك وقد ذكرنا من أقوال الصحابة والتابعين ما يدل على أن الامر بخلاف ما قالوا حتى لقد ادعى اجماع الصحابة من هذا الجانب استنادا الى تلك القول التي لا يعلم عنهم خلافها * الطريق الثالث انه كالمعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان الجنة والنار لا تنفان بل هما باقيتان ولهذا أنكر أهل السنة كلهم على أبي الهذيل وجهم وبشيعتهما ممن قال بفنائها وعدوا أقوالهم من أقوال أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ولا ريب ان هذا من أقوال أهل البدع التي خرجوا بها عن السنة ولكن من أين تصح دعوى العلم النظري ان النار باقية بقاء الله دائمة بدوامه فضلا عن العلم الضروري فأين في الأدلة الشرعية أو العقلية دليل واحد يقتضي ذلك * الطريق الرابع ان السنة المستفيضة أو المتواترة أخبرت بخروج أهل التوحيد من النار دون الكفار وهذا معلوم من السنة قطعا وهذا الذي قالوه حق لا ريب فيه ولكن أهل التوحيد خرجوا منها وهي باقية لم تنف ولم تعدم والكفار لا يحصل لهم ذلك بل هم باقون فيها ما بقيت * الطريق الخامس ان العقل يدل على

خلود الكفار فيها وعدم خروجهم منها فان نفوسهم غير قابلة لخير فانهم لو خرجوا منها لعادوا
كفاراً كما كانوا وقد أشار تعالى الى ذلك بقوله (ولو ردوا لعادوا لسانها عنه) وهذا يدل على غاية
عتوهم وإصرارهم وعدم قبول الخير فيهم بوجه من الوجود فلا تصلح نفوسهم الشريعة الحبيبة الا
للعذاب ولو صاحت لصاحت على طول العذاب بحيث لم يؤثر عذابهم تلك الاحقاب الطويلة في
نفوسهم ولم يطيبها علم انه لا قابلية فيهم للخير أصلاً وان أسباب العذاب لم يطف من نفوسهم فلا
يعافى العذاب المترب عليها وهذه الطريق وان أنكرت ببادئ الرأي فهي طريق قوية وهي ترجع
الى طريق الحكمة وان الحكمة التي اقتضت دخولهم هي التي اقتضت خلودهم ولكن هذه الطريق
محرم سلوكها على نفاة الحكمة وعلى مثبتتها من المعتزلة والقدرية أما النفاة فظاهر وأما المثبتة
فالحكمة عندهم ان عذابهم لمصاحبتهم وهذا إنما يصح اذا كان لهم حالتان حالة يذبون فيها لاجل
مصاحبتهم وحالة يزول عنهم العذاب لتحصل لهم تلك المصاحبة والا فكيف تكون مصاحبتهم في عذاب
لا انقطاع له أبداً وأما من يثبت حكمة راجعة الى الرب تعالى فيمكنهم سلوك هذه الطريق لكن يقال
الحكمة لا تقتضى دوام عذابهم بدوام بقائه سبحانه وهو لم يخرج انه خلقهم لذلك وإنما يعذبون لغاية
محمودة اذا حصلت حصل المقصود من عذابهم وهو سبحانه لا يمتدب خلقه سدى وهو قادر على أن
ينشئهم بعد العذاب الطويل نشأة أخرى مجردة عن تلك الشرور والخبائث التي كانت في نفوسهم
وقد أزالها طول العذاب فانهم خلقوا قابلين للخير على الفطرة وهذا القبول لازم لخلقهم وبه أقروا
بصانعهم وفاطرتهم وإنما طرباً عليه ما بطل مقتضاه فاذا زال ذلك الطارئ بالعذاب الطويل بقي أصل
القبول بلا معارض وأما قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا قيل منابرهم للعذاب قال تعالى
(ولو ترى إذ وقفوا على النار قالوا يالنار اتردو ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم
ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لسانها عنه وانهم لكاذبون) فتلک الخبائث والشرور قائمة
بنفوسهم لم ترها النار فلو ردوا لعادوا لقيام المقتضى للعود ولكن أين أخبر سبحانه انه لو ردهم
بعد العذاب الطويل لمرمدى لعادوا لما نهوا عنه وسر المسئلة ان الفطرة الاصلية لا بد أن تعمل عملها
كما عمل الطارئ عليها عمله وهذه الفطرة عامسة للجميع بنى آدم كما في الصحيحين من حديث أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة وفي النفاة على هذه الملة وفي
صحيح مسلم من حديث عياض بن حماد الجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه
قال اني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي
ما لم أنزل به سلطاناً فاخبر ان الاصل فيهم الحنيفية وانهم خلقوا عليها وان صدها عارض فيهم باقتطاع
الشياطين لهم عنها فمن المتع أن يعمل أثر اقتطاع الشياطين ولا يعمل أثر خالق الرحمن جل جلاله
عمله والكل خلقه سبحانه فلا خالق سواه ولكن ذلك خالق يحبه ويرضاه ويضاف أثره اليه وهذا
خالق يبعضه ويسخطه ولا يضاف أثره اليه فان الشر ليس اليه والخير كله في يديه فان قيل فقد قال
سبحانه (ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم) وهذا يقتضى انه لا قابلية فيهم ولا خير عندهم البتة ولو كان
عندهم لخرجوا به من النار مع الموحدين فانه سبحانه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة
من خير فلم ان هؤلاء ليس معهم هذا القدر للسير من الخير قبل الخير في هذا الحديث هو الايمان

بالله ورسله كما في اللفظ الآخر أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان وهو تصديق رساله والانقياد لهما بالباب
 والجوارح وأما الخير في الآية فالمراد به القبول والزكاة ومعرفة قدر النعمة وشكر المتعم عليها فلو
 علم الله سبحانه ذلك فيهم لاسمهم إسماعا ينتفعون به فانهم قد سمعوا سماعا تقوم به عليهم الحجة
 فتلك القابلية ذهب أثرها وعضلت الكفر والجحود وعادت كالشيء المعلوم الذي لا ينتفع به ونما
 ظهر أثرها في قيام الحجة عليهم ولم يظهر أثرها في انتفاعهم بما عملوه وتيقنوه فان قيل فالغلام الذي قتله
 الخضر طبع يوم طبع كافرا وقال نوح عن قومه ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وفي الحديث الذي
 رواه الامام احمد والترمذي مرفوعا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى
 مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا الحديث قيل هذا لا يناقض
 كونه مولودا على الفطرة فانه طبع وولد مقدر كافر اذا عقل والا ففي حال ولادته لا يعرف كفرا
 ولا ايمانا فهي حال مقدره لامقارنة للعامل فهو مولود على الفطرة ومولود كافرا باعتبارين صحيحين
 ثابتين له هذا بالقبول وإيثار الاسلام لو خلى وهذا بالفعل والارادة فاعقل فاذا جمعت بين
 الفطرة السابقة والرحمة السابقة العالسية والحكمة البالغة والغنى التام وقرنت بين فطرته ورحمته
 وحكمته وغناه تبين لك الامر* الطريق السادس قياس دار العدل على دار الفضل وان هذه كل انها
 أبدية فالأخرى كذلك لان هذه توجب عدله وعدله ورحمته من لوازم ذاته وهذه الطريق غير
 نافذة فان العمل حقه سبحانه لا يجب عليه أن يستوفيه ولا يلحقه بتركه نقص ولا ذم بوجبه من
 الوجود والفضل وعده الذي وعده بعباده وأحقه على نفسه والفرق بين الدارين من وجوه عديدة
 شرعا وعملا* أحدها ان الله سبحانه أخبر بان نعيم الجنة ماله من نفاذ وان عطاء أهلها غير محذوذ
 وأنه غير ممنون ولم يجيء ذلك في عذاب أهل النار* الثاني انه أخبر بما يدل على انتهاء عذاب أهل
 النار في عدة آيات كما تقدم ولم يخبر بما يدل على انتهاء نعيم أهل الجنة ولهذا احتاج القائلون بالتأيد
 الذي لا انقطاع له الى تأويل تلك الآيات ولم يجيء في نعيم أهل الجنة ما يتناول الى تخصيصه بالتأويل
 * الثالث ان الاحاديث التي جاءت في انتهاء عذاب النار لم يجيء شيء منها في انتهاء نعيم الجنة* الرابع
 ان الصحابة والتابعين انما ذكروا انقطاع العذاب ولم يذكر أحد منهم انقطاع النعيم* الخامس انه قد
 ثبت ان الله سبحانه يدخل الجنة بلا عمل أصلا بخلاف النار* السادس انه سبحانه ينشئ في الجنة خلقا
 يعنهم فيها ولا ينشئ في النار خلقا يعذبهم بها* السابع ان الجنة من مقتضى رحمته والنار من مقتضى
 غضبه وان الذين يدخلون النار أضعاف أضعاف الذين يدخلون الجنة فلو دام عذاب هؤلاء كدوام
 نعيم هؤلاء لغالغ غضبه رحمته فكان الغضب هو الغالب السابق وهذا متنع* الثامن ان الجنة دار فضله
 والنار دار عدله وفضله يغلب عدله* التاسع ان النار دار استيفاء حقه الذي له والجنة دار وفاء حقه
 الذي أحقه هو على نفسه وهو سبحانه يترك حقه ولا يترك الحق الذي أحقه على نفسه* العاشر ان الجنة هي
 الغاية التي خلقوا لها في الآخرة وأعمالها هي الغاية التي خلقوا لها في الدنيا بخلاف النار فانه سبحانه
 لم يخلق خلقه للكفر به والاشراك وإنما خلقهم لعبادته وليرحمهم* الحادي عشر ان النعيم من موجب
 أسمائه وصفاته والعذاب انما هو من أفعاله قال تعالى (نبى عبادى انى أنا الغفور الرحيم وان عذابى
 هو العذاب الليم) وقال (ان ربك لسريع العقاب وأنه لغفور رحيم) وقال (اعلموا ان الله شديد العقاب

وان الله غفور رحيم) وما كان من مقتضى أسائه وصفاته فانه يدوم بدوامه فان قيل فان العذاب صادر عن عزته وحكمته وعدله وهذه أساء حسنى وصفات كمال فيدوم ماصدر عنها بدوامها قيل لعمر الله أن العذاب صدر عن عزة وحكمة وعدل وانهاؤه عند حصول المقصود منه يصدر عن عزة وحكمة وعدل فلم يخرج العذاب ولا انقطاعه عن عزته وحكمته وعدله ولكن عند انتهائه يكون عزة مقرونة برحمة وحكمة مقرونة بمجود واحسان وعفو وصفح فالعزة والحكمة لم يزالا ولم ينقصا بل صدر جميع ما خلقه وبخلقه وأمر به وبأمره به عن عزته وحكمته * الثاني عشر ان العذاب مقصود لغيره لانفسه وأما الرحمة والاحسان والنعيم فمقصود لنفسه فالاحسان والنعيم غاية والعذاب والام وسيلة فكيف يقاس أحدهما بالآخر * الثالث عشر انه سبحانه أخبر ان رحمته وسعت كل شيء وان رحمته سبقت غضبه وانه كتب على نفسه الرحمة فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المذنبين فلو بقوا في العذاب لالاي غاية لم تسهم رحمته وهذا ظاهر جدا فان قيل فقد قال سبحانه عقيبا فأسأ كتبها للذين يتقون الى آخر الآية يخرج غيرهم منها لخروجهم من الوصف الذي يستحق به قيسل الرحمة المكتوبة هؤلاء هي غير الرحمة الواسعة لجميع الخلق بل هي رحمة خاصة خصهم بها دون غيرهم وكتبها لهم دون من سواهم وهم أهل الفلاح الذين لا يمتدبون بل هم أهل الرحمة والفوز والنعيم وذكر الخاص بعد العام استطراد وهو كثير في القرآن بل قد يستطرد من الخاص الى العام كقوله (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاه حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاها صالحا جعلناه لهما شركاء فيما آتاهم فعلى الله عما يشركون) فهذا استطراد من ذكر الابوين الى ذكر الذرية ومن الاستطراد قوله (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وجعلناها رجوما للشياطين) فالتى جعلت رجوما ليست هي التى زينت بها السماء ولكن استطراد من ذكر النوع الى نوع آخر وأعاد ضمير الثانى على الاول لدخولها تحت جنس واحد فكذلك قوله ورحمتى وسعت كل شيء فأسأ كتبها للذين يتقون فالمكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الواسعة والمقصود ان الرحمة لا بد ان تسع أهل النار ولا بد ان تسع حيث انتهى العلم كما قالت الملائكة ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما * الرابع عشر انه قد صح عنه صلى الله عليه وسلم حديث الشفاعة قول أولى العزم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وهذا صريح في أن ذلك الغضب العظيم لا يدوم. ومعلوم ان أهل النار ائما دخلوها بذلك الغضب فلو دام ذلك الغضب لدام عذابهم اذ هو موجب ذلك الغضب فاذا رضى الرب تبارك وتعالى وزال ذلك الغضب زال موجه وهذا كما أن عقوبات الدنيا امامة وبلاؤها آثار غضبه فاذا استمر غضبه استمر ذلك البلاء فاذا رضى وزال غضبه زال البلاء وخلفته الرحمة * الخامس عشر ان رضاه أحب اليه من غضبه وعفوه أحب اليه من عقوبته ورحمته أحب اليه من عذابه وعطاؤه أحب اليه من منعه وانما يقع الغضب والعقوبة والمنع بأسباب تناقض موجب تلك الصفات والاسماء وهو سبحانه كما يحب أسماء وصفاته ويحب آثارها وموجبها كما في الحديث انه وتر يحب اوتر جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة عفو يحب العفو وهو شكور يحب الشاكرين عام يحب العامين جواد يحب أهل الجود حتى ستر يحب أهل الحياء والستر صبور يحب الصابرين رحيم يحب الرحماء فهو

يكره ما يضاد ذلك وكذلك كره الكفر والفسوق والعصيان والظلم والجهل لمضادة هذه الاوصاف
لاوصاف كله الموافقة لاسمائها وصفاته ولكن يريد سبحانه لاستازامه ما يحبه ويرضاه فهو مرادله
ارادة التوازم المقصودة لغيرها اذ هي معصية الى ما يجب فاذا حصل بها ما يحبه وأدت الى الغاية
المقصودة له سبحانه لم تبق مقصودة لانفسها ولا لغيرها فتزول ويخلفها اشدادها التي هي أحب اليه
سبحانه منها وهي موجب اسمائه وصفاته فان فهمت سر هذا الوجه والا تجاوزته الى ما قبله ولا
تعمل بانكاره هذا وسر المسئلة انه سبحانه حكيم رحيم انما يخاف بحكمة ورحمة فاذا عذب من يعذب
لحكمة كان هذا جاريا على مقتضاها كما يوجد في الدنيا من العقوبات الشرعية والقدرية من التهذيب
والتأديب والزجر والرحمة والاطمئنان يزيك النفوس ويطيها ويمحصها ويخلصها من شرها وخبثها
والنفوس الشريرة الضالمة التي لو ردت الى الدنيا قبل المذب لعادت لما نهى عنه لا يصلح أن تسكن
دار السلام التي تنافي الكذب والشر والظلم فاذا عذبت هذه النفوس بالنار عذابا يخلصها من ذلك
الشر ويخرج خبثها كان هذا معقولا في الحكمة كما يوجد في عذاب الدنيا وخلق من فيه شر يزول
بالتعذيب من تمام الحكمة أما خلق نفوس شريرة لا يزول شرها البتة وانما خلقت للشر المحض
وللعذاب السرمم الدائم بدوام خالقها سبحانه فهذا لا يظهر موافقة للحكمة والرحمة وان دخل تحت
القدرة فدخوله تحت الحكمة والرحمة ليست بالبين فهذا ما وصل اليه النظر في هذه المسئلة التي
تكع فيها عقول العقلاء وكنت سألت عنها شيخ الاسلام قدس الله روحه فقال لي هذه المسئلة
عظيمة كبيرة ولم يجب فيها بشئ ففضي على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي
بعض تلك الآثار التي ذكرت فارسلت اليه الكتاب وهو في مجلسه الاخير وعلمت على ذلك الموضع
وقلت لرسول قل له هذا الموضع يشكل عليه ولا يدرى ما هو فكتب فيها مصنفه المشهور رحمة الله
عليه فن كان عنده فضل علم فليحدثه فان فوق كل ذي علم عليم وإنما في هذه المسئلة على قول أمير
المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فانه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء وعلى مذهب عبد الله بن
عباس رضى الله عنهم حيث يقول لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم الجنة ولا ناراً
وذكر ذلك في تفسير قوله قال النار مثواكم خالد بن فيها الا ماشاء الله وعلى مذهب أبي سعيد
الخدري حيث يقول انتهى القرآن كله الى هذه الآية (ان ربك فعال لما يريد) وعلى مذهب قتادة
حيث يقول في قوله الا ماشاء ربك الله أعلم بتبينه على ما وقعت وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول
أخبرنا الله بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار والقول
بان النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فان لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك والا
كان قولاً عليه بغير علم والنصوص لانهم ذلك والله أعلم

فصل ١٠ وهائنا مذاهب أخرى باطلة منها قول من قال أنهم يعذبون في النار مدة لبشهم
في الدنيا وقول من قال أنها تتقلب عليهم طبيعة نارية يلتذون بها كما يلتذ صاحب الحرب بالهك
وقول من يقول أنها تنفى هي والجنة جميعا ويعودان عدما وقول من يقول تنفى حرارتها وتبقى
أهلهما في سكون دائم ولم يوفق لاصواب في هذا الباب غير الصحابة ومن سلك سبلهم

وبالله التوفيق

فصل فان قيل فما الحكمة في كون الكفار أكثر من المؤمنين وأهل النار أضعاف أضعاف أهل الجنة كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال (وقليل من عبادى الشكور) وقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقال (وان قطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وبعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد الى الجنة وكيف نشأ هذا عن الرحمة الغالبة وعن الحكمة البالغة وهلاك الامر بالزند من ذلك * قيل هذا السؤال من أظهر الأدلة على قول الصحابة والتابعين في هذه المسئلة وان الامر يعود الى الرحمة التي وسعت كل شئ وسبقت الغضب وغلبته وعلى هذا فاندفع السؤال بالكلية ثم نقول المادة الارضية اقتضت حصول التفاوت في النوع الانساني كما في المسند والترمذى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فكان منهم الخبيث والطيب والسهل والحزن وغير ذلك فاقتضت مادة النوع الانساني تفاوتهم في اخلاقهم واراداتهم وأعمالهم ثم اقتضت حكمة العزيز الحكيم ان ابتلى المخلوق من هذه المادة بالشهوة والغضب والحب والبغض ولوازمها وابتلاه بعدوه الذي لا يالهو خيالا ولا يغفل عنه ثم ابتلاه مع ذلك بزينة الدنيا وبالهوى الذي أمر بمخالفته هذا على ضعفه وحاجته وزين له حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المنقطرة من الذهب والفضة والحلل المسومة والانعام والحارث وأمره بترك قضاء أوطاره وشهواته في هذه الدار الحاضرة العتيدة المشاهدة الى دار أخرى غايته انما تحصل فيها بعد طي الدنيا والذهاب بها وكان مقتضى الطبيعة الانسانية أن لا يثبت على هذا الابتلاء أحد وان يذهب كلهم مع ميل الطبع ودواعي الغضب والشهوة فلم يحل بينهم وبين ذلك خالقهم وفاطرهم بل أرسل اليهم رساله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم مواقع رضاه وغضبه ووعدهم على مخالفة هواهم وطبائعهم أكمل الذات في دار النعيم فلم توقع قول الاكثرين على إثارة الآجل المتأخر بعد زوال الدنيا على هذا العاجل الحاضر المشاهد وقالوا كيف يباع نقد حاضر وهو قبض باليد بنسيئة مؤخره وعدنا بحصولها بعد طي الدنيا وخراب العالم ولسان حال أكثرهم يقول (خذ مزاره ودع شئاً سمعت به) فساعد التوفيق الالهى من علم أنه يصلح لمواقع فضله فأمدّه بقوة إيمان وبصيرة رأى في ضوءها حقيقة الآخرة ودوامها وما أعد الله فيها لاهل طاعته وأهل معيته ورأى حقيقة الدنيا وسرعة انقضائها وقلة وفائها وظلم شركائها وأنها كما وصفها الله سبحانه أب وهو وزينة وتفاخر بين أهلها وتكاثر في الاموال والاولاد وانها كفيث أعجب الكفار بناته ثم يهيج فتره مصفراً ثم يكون خطاماً فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لأنأف غيرها وحكمت العادات وقهر سلطان الهوى وساعده داعى النفوس وتقاضاه موجب الطباع وغلب الحس على العقل وكانت الدولة والثاس على دين الملك ولا ريب أن الذى يخرق هذه الحجب ويقطع هذه العلائق ويخالف العوائد ولا يستجيب لدواعى الطبع ويصصى سلطان الهوى لا يكون الا الاقل ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاء لهذا الصنف من المادة الترابية لحفة النار وطيشها وكثرة تقلتها وسرعة حركتها وعدم ثباتها والمساء المادة الملكية فتره من ذلك فذلك كان المخلوق خيراً كله فالعقلاء المخاطبون مخوقون من هذه المواد الثلاث واقتضت الحكمة ان يكونوا على هذه الصفة والخالقة

ولو كانوا على غير ذلك لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء وتنوع العبودية وظهور آثار الاسماء والصفات فلو كان أهل الايمان والخير هم الاكثرين الغالبين لفاتت مصاحبة الجهاد وتوابعه التي هي من أجل أنواع العبودية وفات الكمال المترتب على ذلك فلا أحسن مما اقتضاه حكمة أحكم الحاكمين في الخلق من هذه المواد ثم أنه سبحانه يخلص مافي الخلق من تلك المبادئ من الحب والشكر ويمحصه ويستخرج طيبه الى دار العيين ويعلق خيئه حيث تاتي الخبائث والافساخ وهذا غاية الحكمة كما هو الواقع في جواهر المعادن المنتفع بها من الذهب والفضة والحديد والنفير بخلاصة هذه المواد وطيبها أقل من وسيخها ونخبها والناس زرع الارض والخير الصافي من الزرع بعد زوانه وقصله وعصفه وتبنه أقل من بقية الاجزاء وتلك الاجزاء كالصور له والوقاية كالخطب والشوك للتراب والتراب والحجارة للمعادن النفيسة

فصل الوجه السابع والثلاثون قوله وأى حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب فكم لله في ذلك من حكم باهرة منها حصول محبوبه من عبودية الصبر والجهاد ونحوه الذي فيه والرضى عنه في السراء والضراء وانبات على عبوديته وطاعته مع قوة المعازض وغلبته وشوكته وتمحيص أوليائه من أحكام البشرية ودواعي الطباع يبذل نفوسهم له وأذى أعدائه لهم وتميز الصادق من الكاذب ومن يريد به ويعبده على جميع الحالات ممن يعبده على حرف ويحصل له مرتبة الشهادة التي هي من أعلى المراتب ولا شيء أبر عند الحبيب من بذل محبة نفسه في مرضاته ومجاهدة عبده فكم لله في هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة وإذا شئت أن تعلم ذلك فتأمل الآيات من أواخر آل عمران من قوله (قد خلت من قبلكم سنن) الى قوله (انما ذالكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) الى قوله (ما كان الله ليعذ المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فكان هذا التمييز من بعض حكم ذاك التسليط ولولا ذاك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والنفى والحكم وكظم الغيظ ولا خلاوة النصر والظفر والقهر فان الاشياء يظهر حسبها باضدادها ولولا ذاك التسليط لم تستوجب الاعداء الحق والاهانة والنبذ فاستخرج ذاك التسليط من القوة الى الفعل ما عند أوليائه فاستحقوا اكرامهم عليه وما عند أعدائه فاستحقوا عقوبتهم عايه فكان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته في الفريقين وهو العزيز الحكيم (الوجه الثامن والثلاثون) قوله وأى حكمة في تكليف التقاتين وتريضهم بذلك العقوبة وأنواع المشاق فاعلم أنه لولا التكليف لكان خلق الانسان عبثا وسدى والله تعالى عن ذلك وقد نزه نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائص قال تعالى (أفخبتهم أنما خلقناكم عبثا وانكم لنا لاترجعون) وقال (أحسب الانسان أن يترك سدى) قال الشافعي لا يؤمر ولا ينهى ومعلوم أن ترك الانسان كالبهايم مهمل معطلا مضاد للحكمة فانه خلق لغاية كماله وكماله أن يكون عارفا بربه محبا له قائما بعبوديته قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما) وقال (ذلك ليعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم) فلهذه العرفه وهذه العبودية غاية الحق والأمروهم أحد كل الانسان والله تعالى من عنائته به ورحمته له عرضه لهذا الكمال وهيأله أسبابه الظاهرة والباطنة وممكنه منها

ومدار التكليف على الاسلام والايمان والاحسان وهي ترجع الى ذكر التسميها دقيقها وجليلها
منه وتعظيمه واحلاله ومعاملة بما يليق أن يعامل به فقد كرا لاؤده وتشكر فلا يكفر ويضاع فلا
يعصى ويذكر فلا ينسى هذا مع تضمن التكليف لأصناف العبد لكل خالق جميل وإثباته بكل فعل
جميل وقول سديد واحتجابه لكل خالق سيئ وترك كل فعل قبيح وقول زور فتكليفه متضمن
للمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وصدق القول والاحسان الى الخليفة وتكميل نفسه بانواع الكمالات
وهجر أضرار ذلك والنزه عنها مع تمرضه بذلك التكليف لاثواب الجزيل الدائم ومجاورة ربه في
دار البقاء فأى الامر ين البق بالحكمة هذا أو إرساله حملا كالخيل والبغال والحمير يأكل ويشرب وينسج
كلبهم يفتنى كماله مقدس ذلك فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم وكيف يليق
بذلك الكمال طي بساط الأمر والنهى والثواب والعقاب وترك ارسال ارسال وانزال الكتب وشرع
الشرائع وتقرير الاحكام وهل عرف الله من جوارحه عليه خلاف ذلك وهل ذلك الامن سوء الظن به
قال تعالى (وما قدره الله حتى قدره إذ قلوا ما نزل الله على بشر من شيء) حسن التكليف في العقول
كحسن الاحسان والانعام والفضل والطول بل هو من أبلغ أنواع الاحسان والانعام ولهذا سمي سبحانه
ذلك نعمة ومنة وفضلا ورحمة وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعمة المشتركة بين الابرار والفجار
قال تعالى (الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) فنعمة الله هاهنا نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وما بعته به
من الهدى ودين الحق وقال (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتنا
وزيكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل افي ضلال مبين) وقال تعالى (هو الذى بعث في
الامين رسولا منهم يتلو عليهم آياته وزيكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل افي ضلال
مبين وآخرين منهم لما لم يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
الغظيم) وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال (قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
نما يجعمعون) وقال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال
(واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظيكم به) وقال (واعلموا ان فيكم
رسول الله لو يعلمكم في كثير من الأمر لفتحتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق وامسوا وانك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) وقال لرسوله
(أنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مما تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وهل النعمة والفضل في
الحقيقة الاذن وتوابعه وثمرته في القلوب والابدان في الدنيا والآخرة وهل في العقول السليمة والنفوس
المتسقية أحسن من ذلك وأليق بكمال الرب وأسمائه وصفاته (لوجهات سبع والثلاثون) قوله في مناظرة
الاشعري للجبايى في الاخوة الثلاثة الذين مات أحدهم صغيرا وبلغ الآخر كافرا والثالث مسلما انما
مناظرة كافية في ابطال الحكمة والتعالي ورعاية الاصلح * فلعمر الله انما مبطلة لطريقة أهل البدع
من المعتزلة والقدرية الذين يوجبون على ربهم مراعاة الاصلح لكل عبيد وهو الاصلح عندهم
فيشعرون له شريعة بمقتولهم ويمجرون عليه ويحرمون عليه ان يخرج عنها ويوجبون عليه القيام بها
وكذلك كانوا من أحق الناس وأعظمهم تشبها بالخلاق في أفعاله وأعظمهم تعطيلاً عن
صفات كماله فزهود عن صفات الكمال وتهموه بحلقه في الأفعال وأدخلوه تحت شريعة الموضوعة

بأراء الرجال وسموا ذلك عدلا وتوحيدا بالزور والبهتان وتلك تسمية مأتزل الله بها من سلطان
 فاعدل قيامه بالقسط في أفعاله والتوحيد واثبات صفات كماله شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة
 وأولو العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام فهذا العدل والتوحيد
 الذي جاء به المرسلون وذلك التوحيد والعدل الذي جاء به المعطون * والمقصود ان هذه المناظرة
 وان أبطلت قول هؤلاء وزلزلت قواعدهم فانها لا تبطل حكمة الله التي اختص بها دون خلقه
 وطوى بساط الاحاطة بها عنهم ولم يطعمهم منها الا على ما نسبته الى ما خفي عنهم كقطرة من بحار
 الدنيا فكلم الله سبحانه من حكمة في ذلك الذي أخرجه صغيرا وحكمة في الذي مدله في العمر حتى
 بلغ وأسلم وحكمة في الذي أبقاءه حتى بلغ وكفر ولو كان كل من علم انه اذا بلغ يكفر يخترمه صغيرا
 لتطل الجهاد والعبودية التي يحبها الله ويرضاها ولم يكن هناك معارض وكان الناس أمة واحدة
 ولم تظهر آياته وعجائبه في الائم ووقائمه وأيامه في أعدائه واقامة الحجج وجدال أهل الباطل بما
 يدحض شبهتهم وينصر الحق ويظهره على الباطل الى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم التي لا يحصىها
 الا الله والله سبحانه يحب ظهور أسمائه وصفاته في الخائفة فلو أحترم كل من علم أنه يكفر اذا بلغ
 لفات ذلك وفواته مناف لكمال تلك الاسماء والصفات واقتضاها آثارها وقد تقدم بسط ذلك أم
 من هذا (الوجه الأربعون) قوله انه سبحانه رد الامر الى محض مشيئة بقوله (يعذب من يشاء
 ويرحم من يشاء) وقوله (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقوله (فان الله ينزل من يشاء ويهدي من
 يشاء) وقوله (لا يسئل عما يفعل) فهذا كله حق ولكن أين فيه ابطال حكمته وحمده والغايات المحموده
 المطلوبة بفعله وانه لا يفعل شيئا ولا يأمر بشيء لاجل شيء ولا سبب لفعله ولا غاية لأفترى أصحاب
 الحكمة والتعليل يقولون أنه لا يفعل بمشيئته أو أنه يسئل عما يفعل بل يقولون أنه يفعل بمشيئته مقارنا
 للحكمة والمصلحة ووضع الاشياء مواضعها وانه يفعل ما يشاء بسباب وحكم ولغايات مطلوبة وعواقب
 حميدة فهم مثبتون للملكه وحده وغيرهم ثبت ملكا بلا حمد أو نوعا من الحمد مع هضم الملك إذ
 الرب تعالى له كمال الملك وكمال الحمد فكونه يفعل ما يشاء يمنع أن يشاء بسباب وحكم وغايات وانه
 لا يشاء الا ذلك وأما قوله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) فهذا لكمال علمه وحكمته لالعدم ذلك
 وأيضا فسباق الآية في معنى آخر وهو ابطال إلهية من سواه واثبات الالهية له وحده فانه سبحانه
 قال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم يتشرون لو كان فيها آلهة الا الله لتفسدنا فسيقبح الله رب
 العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) فإين في هذا ما يدل على ابطال التعليل بوجه من
 الوجوه ولكن أهل الباطل يتعلقون بالفاظ نزولها على باطلهم لا تنزل عليه وبمعان متشابهة يشبه فيها
 الحق بالباطل فعمدتهم المتشابه من الالفاظ والمعاني فاذا فصلت وبينت يتبين أنها لا دلالة فيها وانها مع
 مع ذلك قد تدل على نقيض مطلوبهم وبالله التوفيق

الباب الرابع والعشرون

في قول السلف من أصول الايمان بالقدرة خيره وشره حلوه ومره

قد تقدم ان القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه فانه علم الله وقدرته وكتبته ومشيئته وذلك خير محض

وكال من وجه فالشر ليس الى الرب تعالى بوجه من الوجوه لافي ذاته ولا في اسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وانما يدخل الشر الجزئي الاضافي في المقضى المقدر ويكون شرا بالنسبة الى محل وخيرا بالنسبة الى محل آخر وقد يكون خيرا بالنسبة الى المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه بل هذا هو الغالب وهذا كالتقصص واقامة الحدود وقتل الكفار فانه شر بالنسبة اليهم لامن كل وجه بل من وجهه دون وجه وخير بالنسبة الى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والتكال ودفع الناس بعضهم ببعض وكذلك الآلام والامراض وان كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة وقد تقدم تقرير ذلك فالخير والشر من جنس اللذة والالم والنفع والضرر وذلك في المقضى المقدر لافي نفس صفة الرب وفعله القائم به فان قطع يد السارق شر مؤلم ضار له وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعديل خير وحكمة ومصلحة كما يأتي في الباب الذي بعده ان شاء الله * فان قيل فما الفرق بين كون القدر خيرا وشرا وكونه حلوا ومرا * قيل الخلاوة والمرارة تعود الى مباشرة الاسباب في العاجل والخير والشر يرجع الى حسن العاقبة وسؤها فهو حلومر في مبدأه واوله وخير وشر في متناه وعاقبته وقد أجرى الله سبحانه سنته وعادته أن خلوة الاسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل ومرارتها تعقب الخلاوة خلوة الدنيا من الآخرة ومر الدنيا حلوة الآخرة وقد اقتضت حكمته سبحانه أن يجعل اللذات تنعم الآلام والآلام تنعم اللذات والقضاء والقدر منتظم لذلك انتظاما لا يخرج عنه شيء البتة والشر مرجعه الى اللذات وأسبابها والخير المطلوب هو اللذات الدائمة والشر المرهوب هو الآلام الدائمة فالسبب هذه الشرور وان اشتملت على لذة ما وأسباب تلك خيرات وان اشتملت على ألم ما فآلم يعقب اللذة الدائمة أولى بالاثار والتحمل من لذة تعقب الالم الدائم فلذة ساعة في جنب ألم طويل كلال لذة وألم ساعة في جنب لذة طويلة كلال ألم

الباب الخامس والعشرون

في امتناع اطلاق القول نفيًا وإثباتًا ان الرب تعالى مرید للشر وفاعل له

هذا موضع اختلف فيه مثبتو القدر ونفاته فقال النفاة لا يجوز أن يقال ان الله سبحانه مرید للشر أو فاعل له قالوا لا يريد الشر وفاعله شرير هذا هو المعروف لغة وعقلا وشرعا كما أن الظالم فاعل الظلم والفاجر فاعل الفجور ومریده والرب تعالى ويترزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له فان أسماء كلها حسنى وأفعاله كلها خير فيستحيل أن يريد الشر فالشر ليس بإرادته ولا بفعاله قالوا وقد قام الدليل على ان فعله سبحانه غير مفعوله والشر ليس بفعل له فلا يكون مفعولا له وقاباهم الجبرية فقالوا بل الرب سبحانه يريد الشر ويفعله قالوا لان الشر موجود فلا بد له من خالق ولا خالق الا الله وهو سبحانه انما يخفى برادته فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله ووافقوا اخوانهم على أن الفعل عين المفعول والخلق نفس المخلوق ثم قالوا والشر مخلوق له ومفعول فهو فعله وخالقه وواقع بإرادته قالوا وانما لم يطلق القول أنه يريد الشر ويفعل الشر أدبا لغضا فقط كما لا يطاق القول بأنه رب الكلاب والخنازير ويطلق القول بأنه رب كل شيء وخالقه قالوا وأما قولكم ان الشرير مرید الشر وفاعله فجوابه من وجهين * أحدهما انما يمنع ذلك بان الشرير من قام به الشر وفعل الشر لم يقم بذات الرب فان أفعاله

لا تقوم به إذ هي نفس مفعولاته وإنما هي قائمة بالخلق وكذلك اشتمت لهم منها الاسماء كالناجر
والفاسق والمصلح والناجح والصائم ونحوه. * الجواب الثاني ان آلاء الله تعالى توقيفية ولم يسم نفسه الا
باحسن الاسماء قالوا والرب تدلى أعظم من أن يكون في ملكه مالا يريد ولا يخلق فانه انقلب غير
المغلوب * وتحقق القول في ذلك أنه يتمتع اطلاق ارادة الشرع عليه وفعله نقيا وإبائا لما في اطلاق لفظ
الارادة والفعال من إيهام المعنى الباطل ونفى المعنى الصحيح فان الارادة تعاقب بمعنى المشيئة وبمعنى
الحبة والرضا فلاول كقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (ومن يريد أن يغلبه) وقوله (واذا أردنا
أن نهلك قرية) والثاني كقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر) فالارادة بمعنى الاول تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبته والرضا به وبالمعنى الثاني لا تستلزم
وقوع المراد وتستلزم محبته فانها لا تنقسم بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له ففرق بين
ارادة أفعاله وارادة مفعولاته فان أفعاله خير كما وعدك ومصالح وحكمة لشر فيها بوجه من أوجوه
وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام وهذا انما يتحقق على قول أهل السنة ان الفعل غيب المفعول
والخلق غير المخلوق كما هو الموافق للقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث واجماع أهل
السنة كما حكاه البغوي في شرح السنة عنهم وعلى هذا فهاهنا ارادته ومراد ان ارادة أن يفعل
ومرادها فعله القائم به وارادة أن يفعل عبده ومرادها مفعوله المنفصل عنه وليسا بتلازمين فقد
يريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه اعانته على الفعل وتوقيفه له هو صرف موانعه عنه كما أراد
من ابليس أن يسجد لآدم ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود ويوفقه له ويثبت قلبه عليه
ويصرفه اليه ولو أراد ذلك منسه لسجد له لا محالة وقوله (فما لما يريد) إخباره عن ارادته لفعله
لا لأفعال عبده وهذا الفعل والارادة لا ينقسم الى خير وشر كما تقدم وعلى هذا فاذا قيل هو يريد
للشر أو هم أنه يحب له راض به واذا قيل أنه لم يرد أو هم أنه لم يخلق ولا كونه وكلاهما باطل
ولذلك اذا قيل ان الشر فعله أو انه يفعل لشر أو هم ان الشر فعله القائم به وهذا محال واذا قيل
لم يفعله أو ليس بفعله أو هم أنه لم يخلق ولا كونه وهذا محال فخطأ ما في اطلاق هذه اللفظ في
النفى والاثبات من الحق والباطل الذي يتبين بالاستفصال والتفصيل وان الصواب في هذا الباب
مادل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف الى الرب تعالى لأوصاف ولا فعلا ولا يسمى باسمه
بوجه من الوجوه وإنما يدخل في مفعولاته بطريق اعموم كقوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق من
شر ما خلق) فما هاهنا موصولة أو مصدرية والمصدر بمعنى المفعول أى من شر الذى خلقه أو من
شر مخلوقة وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمن الجن (وانا لا ندرى أشر أريد من في الارض
أم أراد بهم ربهم رشدا) وقد يستدل الى محله القائم به كقول ابراهيم الخليل الذى خلقني فهو يهدين
والذى هو بطاعني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقول الحضر أما السفينة فكانت لما كين
يعملون في البحر فارت أن أعياها وقال في بلوغ الغلامين فاراد ربك أن يلبغا أشدهما وقد جمع
الانواع الثلاثة في الفاتحة في قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين) والله تعالى انما نسب الى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى (قل اللهم مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتجزع من تشاء وتبدل من تشاء بيدك الخير انك على

كل شيء قدير وأخطأ من قال المعنى يدرك الخير والشر لثلاثة أوجه * أحدها أنه ليس في اللفظ ما يدل على ارادة هذا المحدث بل ترك ذكره قصدا أو بياناً أنه ليس بمبرأ * الثاني أن الذي يد الله تعالى نوعان فضل وعدل كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يمين الله ملائ لا يفيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايت ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يفض ما في يمينه ويده الأخرى القسط يخفض ويرفع فالفضل لأحدى الدين والعدل للأخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه * الثالث أن قول النبي صلى الله عليه وسلم ليك وسعدك والخير في يدك والشر ليس اليك كالتفسير للآية ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدى الرب سبحانه وقطع إضافة الآخر اليه مع اثبات عموم خلقه لكل شيء

فصل في ما يدل على أن الرب تعالى يشق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به فلو كان يشق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل يسمى متكوناً ومتحركاً وساكناً وطويلاً وأبيض وغير ذلك لأنه خالق هذه الصفات فإما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه علم أنما يشق أسمائه من أفعاله وأوصافه القائمة به وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه ولا يسمى باسمه ولهذا كان قول من قال أنه يسمى متكماً بكلام منفصل عنه وخلقته في غيره ومريد بارادة منفصلة عنه وعادلاً بعدل مخلوق منفصل عنه وخالقاً لخلق منفصل عنه هو المخلوق قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقل واللغة مع تناقضه في نفسه فإن اشق له اسم باعتبار مخلوقاته لزم صرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه وإن خض ذلك ببعض الأفعال والصفات دون بعض كان تحكما لا معنى له وحقيقة قول هؤلاء أنه لم يقم به عدل ولا إحسان ولا كلام ولا ارادة ولا فعل البتة ومن تجههم منهم نفى حقائق الصفات وقال لم يقم به صفة ثبوتية فنفوا صفاته وردوها إلى السلوب والإضافات ونفوا أفعاله وردوها إلى المصنوعات المخلوقات وحقيقة هذا أن أسمائه تعالى المناظر فارغة عن المعاني لا محتاج لها وهذا من الأحاد فيها وإنكار أن يكون حسناً وقد قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقد دل القرآن والسنة على إثبات مصادر هذه الأسماء له سبحانه وصفاً كقوله تعالى (أن القوة لله جميعاً) وقوله (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) وقوله صلى الله عليه وسلم لأحرقت سبعجات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وقول عائشة الخديجة التي وسع سمعه الأصوات وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ برضك من سخيفات وقوله أسألك الغيب وقد ترك على الخلق وقوله أعوذ بعزيت أن تصاني ولو لا هذا لمصادر لانت حقائق الأسماء والصفات والأفعال قل أفعاله غير صفاته وأسأله غير أفعاله وصفاته فإذا لم يقم به فعل ولا صفة فلا معنى للاسم الجبر وهو بمنزلة صوت لا يحدث صوتاً

الباب السادس والعشرون

فما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا اُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك
من تحقيق القدر وأثباته وما تضمنه الحديث من الاسرار العظيمة

قد دل هذا الحديث العظيم القدر على أمور * منها أنه يستعاذ بصفات الرب تعالى
كما يستعاذ بذاته وكذلك يستعاذ بصفاته كما يستعاذ بذاته كما في الحديث يا حي يا قيوم
يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا إله الا أنت برحمتك أستغيث أصاح لي شأني
كله ولا تكن لي الى نفسي طرفعين ولا الى حد من خلقك وكذلك قوله في الحديث الآخر أعوذ بعزتك
أن تضاني وكذلك استعاذته بكلمات الله التامات وبوجهه الكريم وتعظيمه وفي هذا ما يدل على ان هذه صفات
ثابتة وجودية إذ لا يستعاذ بالعدم وانها قائمة به غير مخلوقة إذ لا يستعاذ بالمخلوق وهو احتياج صحيح
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعيز بمخلوق ولا يستغيث به ولا يدل أمته على ذلك * ومنها
ان العفو من صفات الفعل القائمة به وفيه رد على من زعم ان فعله عين مفعوله فان المفعول مخلوق
ولا يستعاذ به * ومنها ان بعض صفاته وأفعاله سبحانه أفضل من بعض فان المستعاذ به أفضل من
المستعاذ منه وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل من صفة الغضب ولذلك كان لها الغلبة والسبق ولذلك
كلامه سبحانه هو صفته ومعالمه ان كلامه الذي يثنى على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل
من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم ولهذا كانت سورة الاخلاص أفضل من سورة
تبت وكانت تعدل ثلث القرآن دونها وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن ولا تصغ الى قول من
غلظ حجابه ان الصفات قديمة والقديم لا يتفاضل فان الأدلة السمية والعقلية تبطل قوله وقد
جعل سبحانه ما كان من الفضل والعطاء والخير وأهل السعادة بيده النقي وما كان من العدل
والقبض يده الأخرى ولهذا جعل أهل السعادة في قبضة اليمين وأهل الشقاوة في القبضة الأخرى
والمقسطون على منابر من نور عن يمينه والسموات مطويات بيمينه والارض بالارض ومنها ان
الغضب والرضا والعفو والعقوبة لما كانت متعاقبة استعاذ بأحدهما من الآخر فلما جاء الى الذات
المقدسة التي لا ضد لها ولا مقابل قال وأعوذ بك منك فاستعاذ بصفة الرضى من صفة الغضب
وبفعل العفو من فعل العقوبة وبالموصوف بهذه الصفات والافعال منه وهذا يتضمن كمال الاثبات
للقدر والتوحيد بأوجز انط وأخصره فان الذي يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء
الرب تعالى وقدره وهو المنفرد بمخلقه وتقديره وتكوينه فشاء كان وما لم يشاء لم يكن فالمستعاذ منه
اما وصفه واما فعله واما مفعوله الذي هو أثر فعله والمفعول ليس اليه تقع ولا ضر ولا يضر الا باذن
خالقه كما قال تعالى في أعظم ما يتضرر به العبد وهو السحر (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله)
فالذي يستعاذ منه هو بمشيئته وقضائه وقدرته واعاذته منه وصرفه عن المستعاذ انما هو بمشيئته
أيضا وقضائه وقدره فهو المعيد من قدره بقدره ومن ما يصدره عن مشيئته واراذته بما يصدره عن

مشيئته وارادته والجميع واقع بارادته الكونية القدرية فهو يعيد من ارادته بارادته إذ الجميع خلقه وقدره وقضاءه فليس هناك خالق اغيره فيعيد منه هو بل المستعاذ منه خالق له فهو الذي يعيد عبده من نفسه بنفسه فيعيد مما يريد به بما يريد به فليس هناك أسباب مخلوقة لغيره يستعيد منها المستعذبه كما يستعيد من رجل ظامه وقهره من رجل أقوى أو نظيره فالمستعاذ منه هو الذنوب وعقوباتها والآلام وأسبابها والسبب من قضائه والمسبب من قضائه والاعادة بقضائه فهو الذي يعيد من قضائه بقضائه فلم يعذ الا بما قدره وشاء وذلك الاستعاذة منه وشائها وقدر الاعادة وشاءها فالجميع قضاؤه وقدره وموجب مشيئته فتجت هذه الكلمة التي لوقاها غير الرسول لبادر المتكلم الجاهل الى انكارها وردّها انه لا يملك الضر والنفع والخلق والامر والاعادة غيرك وان المستعاذ منه هو يدك وتحت تصرفك ومخلوق من خلقك فما استعذت الابك ولا استعذت الامنك وهذا نظير قوله في الحديث الآخر لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك فهو الذي ينجي من نفسه بنفسه ويعيد من نفسه بنفسه وكذلك الفراريض عبده منه اليه وهذا كله تحقيق للتوحيد والقدر وانه لا رب غيره ولا خالق سوا ولا يملك المخلوق لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بل الامر كله لله ليس لاحد سواه منه شيء كما قال تعالى لا كرم خلقه عليه وأحسنهم اليه (ليس لك من الامر شيء) وقال جوابا لمن قال هل لنا من الامر شيء (قل ان الامر كله لله) فالملك كله والامر كله والحمد كله له والشفاعة كلها له والخير كله في يديه وهذا تحقيق تفرده بالربوبية والالوهية فلا إله غيره ولا رب سواه (قل أرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) (وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير) (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا ممسك له من بعده وهو العزيز الحكيم) فالستعذ به منه وفر منه اليه واجعل لجالك منه اليه فالامر كله لا يملك أحد معه منه شيأ فلا يأتي بالحسنات الا هو ولا يذهب بالسيئات الا هو ولا تتحرك ذرة فما فوقها الا باذنه ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره الا باذنه ومشيئته يصيب بذلك من يشاء ويصرفه عن من يشاء فأعترف الخلق به وأقواهم بتوحيده من قال في دعائه وأعوذ بك منك فليس للخلق معاذ سوا ولا مستعاذ منه الا هو وبه وخالفه ومليكه وتحت قهره وسلطانه ثم ختم الدعاء بقوله لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اعترافا بان شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيا أحد من الخلق أو باغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه فهو توحيد في الاسماء والصفات والنعوت وذلك توحيد في العبودية والتسأله وافراد تعالى بالخوف والرجاء والاستعاذة وهذا مضاد الشرك وذاك مضاد التعطيل وبالله التوفيق

الباب السابع والعشرون

في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد
والحكمة تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك
عدل في قضائك وبيان ما في هذا الحديث من القواعد

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اصاب عبدا قط هم ولا غم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امةك ناصيق يديك ماض في حكمك عدل في قضائك أسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي ونعمي ألا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا قالوا يا رسول الله أفلا نتعلمن قال بلى ينبغي لمن يستمعني أن يتعلمن فقد دل هذا الحديث الصحيح منها أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب فالحكم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يتم به القلب والحزن على مكروه ماض من فوات محبوب أو حصول مكروه إذا تذكره أحسبته له حزنا والغم يكون على مكروه جاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وادوائه وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها وتباينت طرقهم في ذلك تباينا لا يحصى إلا الله بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيد بها الأشدة لمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبائرهما إلى أصغرها ولكن يتداوى منها بالله وبالعبادة والثناء وسماع الاصوات المطربة وغير ذلك فأكثر سعي بني آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لازالتها وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وفي الحديث فان الشيطان يقول أهلكم بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبالإله إلا الله فأما رأيت ذلك ثبت فيهم إلا الهوا فهم يذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولذلك كان الدعاء المفرج للكرب محض التوحيد وهو لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا هو رب العرش العظيم لا إله إلا هو رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة أخى ذى النون مادعاها مكروب ألا فرج الله كربه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فالتوحيد يدخل العبد على الله والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه فإذا وصل القلب إليه زال عنه همه وغمه وحزنه وإذا انقطع عنه حصرته الهموم والغموم والأحزان وآتته من كل طريق ودخلت عليه من كل باب فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب اللهم والغم والحزن بالاعتراف له بالعبودية حقا منه ومن آياته ثم اتبع ذلك باعترافيه بأنه في قبضته ومملكته وتحت تصرفه يكون ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء كما عقاد من أمسك بناصره شديد القوى

لا يستطيع الا الانقياد له ثم اتبع ذلك باقراره له بنفاذ حكمه فيه وجريانه عليه شاء أم أبى واذا حكم فيه بحكم لم يستطع غيره برده أبدا وهذا اعتراف لربه بكمال القدرة عليه واعتراف من نفسه بغاية العجز والضعف فكانه قال أنا عبد ضعيف مسكين يحكم فيه قوى قاهر غالب واذا حكم فيه بحكم مضى حكمه فيه ولا بد ثم اتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل قضية ينفذها فيه هذا الحاكم فهي عدل محض منه لا جور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه فقال ماض في حكمك عدل في قضائك وهذا يعم جميع أفضيته سبحانه في عبده قضائه السابق فيه قبل إيجاده وقضائه فيه المقارن لحياته وقضائه فيه بعد مماته وقضائه فيه يوم معاده ويتناول قضاءه فيه بالذنب وقضائه فيه بالجزاء عليه ومن لم يحتاج صدره لهذا ويكون له كالمعذور لم يعرف ربه وكأله ونفسه وعينه ولا عدل في حكمه بل هو جهول ظالم فلا علم ولا إنصاف وفي قوله ماض في حكمك عدل في قضائك رد على طائفتي القدرة والجبرية وان اعترفوا بذلك بالسنتهم فاصولهم تناقضه فان القدرة تنكر قدرته سبحانه على خالق ما به يمتدى العبد غير ما خلقه فيه وجبله عليه فليس عندهم لله حكم نافذ في عبده غير الحكم الشرعي بالامر والنهي ومعلوم أنه لا يصح حل الحديث على هذا الحكم فان العبد يطمعه تارة ويعصيه تارة بخلاف الحكم الكوني القدرى فانه ماض في العبد ولا بد (١) قائمة بكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ثم قوله بعد ذلك عدل في قضائك دليل على ان الله سبحانه عادل في كل ما يفعله بعبده من قضائه كله خيره وشره حلوه ومره فله وحزائه فدل الحديث على الايمان بالقدر والايمان بان الله عادل فيما قضاء فلاول التوحيد والثاني العدل وعند القدرة الثفاة لو كان حكمه فيه ماضيا لكان ظالماله باضاله وعقوبته أما القدرة الجبرية فعندهم الظلم لاحقيقة له بل هو الممتنع لذاته الذي لا يدخل تحت القدرة فلا يقدر الرب تعالى عندهم على ما يسمى ظلمه حتى يقال ترك الظلم وفعل العدل فعلى قولهم لا فائدة في قوله عدل في قضائك بل هو بمنزلة أن يقال نافذ في قضاءك ولا بد وهو معنى قوله ماض في حكمك فيكون تكريرا لا فائدة فيه وعلى قولهم فلا يكون ممدوحا بترك الظلم إذ لا يمدح بترك المستحيل لذاته ولا فائدة في قوله انى حرمت الظلم على نفسى أو يظن معناه انى حرمت على نفسى مالا يدخل تحت قدرتى وهو المستحيلات ولا فائدة في قوله (فلا يخاف ظالمه ولا هضمه) فان كل أحد لا يخاف من المستحيل لذاته أن يقع ولا فائدة في قوله (وما الله يريد ظالمه لآباد) ولا في قوله (وما أنا بظالم للعبيد) فنفوذ حكمه في عباده بملكه وعدله فهم بحمده وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ونظير هذا قوله سبحانه حكاية عن نبيه هود أنه قال (انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) فقوله مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها مثل قوله ناصيتي بيديك ماض في حكمك وقوله ان ربي على صراط مستقيم مثل قوله عدل في قضائك أى لا يتصرف في تلك النواصي الا بالعدل والحكمة والمصلحة والرحمة لا يظلم أحباها ولا يعاقبهم بما لم يعلموه ولا يهضمهم حسنا ما عملوه فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله وفعله يقول الحق ويفعل الخير والرشد وقد أخبر سبحانه أنه على الصراط المستقيم في سورة هود وفي سورة النحل فاعلم في هود أنه على صراط مستقيم في تصرفه في النواصي التي هي في قبضته وتحت يده وأخبر في النحل انه يأمر بالعدل ويفعله وقد زعمت الجبرية ان العدل هو المقدور وزعمت القدرة

أن العدل اخراج أفعال الملائكة والجن والانس عن قدرته وخلقه وأخطأ الطائفتان جميعا في ذلك والصواب ان العدل وضع الاشياء في مواضعها التي تليق بها وانزالها منازلها كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد تسمى سبحانه بالحكم العدل والتقديرية تنكر حقيقة اسم الحكم وترده الى الحكم الشرعى الدينى وترغم أنها تثبت حقيقة العدل والعدل عندهم انكار القدر ومع هذا فينسبونه الى غاية الظلم فانهم يقولون أنه يخاد في المذاب الاليم من أفنى عمره في طاعته ثم فعل كبيرة ومات عليها فان قيل فالقضاء بالجزاء عدل إذ هو عقوبة على الذنب فيكون القضاء بالذنب عدلا على أصول أهل السنة وهذا السؤال لا يلازم التقديرية ولا الجبرية أما التقديرية فعندهم أنه لم يقض المصصة وأما الجبرية فعندهم أن كل مقدور عدل وانما يلزمكم أتم هذا السؤال قيل نعم كل قضاء عدل في عبده فانه وضع له في موضعه الذى لا يحسن في غيره فانه وضع العقوبة ووضع القضاء بسببها وموجبها في موضعه فانه سبحانه كما يجازى بالعقوبة فانه يعاقب بنفس قضاء الذنب فيكون حكمه بالذنب عقوبة على ذنب سابق فان الذنوب تنكسب بعضها بعضا وذلك الذنب السابق عقوبة على غفلته عن ربه واعراضه عنه وتلك الغفلة والاعراض هى في أصل الحياة والنشأة فمن أراد أن يكمله أقبل بقلبه اليه وجذبه اليه وألهمه رشده وألقى فيه أسباب الخير ومن لم يرد أن يكمله تركه وطبعه وخلق بينه وبين نفسه لانه لا يصالح للتكميل وليس بمحلل أهلا ولا قابلا لما وضع فيه من الخير وها هنا انتهى علم العباد بالقدر وأما كونه تعالى جعل هذا يصلح وأعطاه ما يصلح له وهذا لا يصلح فنعمة ما لا يصلح له فذلك موجب ربوبيته وإلهيته وعلمه وحكمته فانه سبحانه خالق الاشياء وأضدادها وهذا مقتضى كماله وظهور اسمائه وصفاته كما تقرر والمقصود أنه أعد العادلين في قضائه بالسبب وقضائه بالمسبب فما قضى في عبده بقضاء الا وهو واقع في محله الذى لا يابق به غيره إذ هو الحكم العدل العفى الحميد

فصل وقوله أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان كانت الرواية محفوظة هكذا ففيها إشكال فانه جعل ما أنزلته في كتابه أو علمه أحدا من خلقه أو استأثرت به في علم الغيب عنده قسما لما سمي به نفسه ومعلوم ان هذا تقسيم وتفصيل لما سمي به نفسه فوجه الكلام أن يقال سميت به نفسك فانزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك فان هذه الاقسام الثلاثة تفصيل لما سمي به نفسه وجواب هذا الاشكال ان أو حرف عطف والمعطوف بها اخضع بما قبله فيكون من باب عطف الخاص على العام فان قيل المهود من عطف الخاص على العام أن يكون بالواو دون سائر حروف العطف قيل المسوغ لذلك في الواو وهو تخصيص المعطوف بالذكر لمرتبة من بين الجنس واختصاصه بخاصة غيره منه حتى كأنه غيره أو ارادتين لذكره مرتين باسمه الخاص وبالفظة العام وهذا لافرق فيه بين العطف بالواو أو بأو مع ان في العطف بأو على العام فائدة أخرى وهى بناء الكلام على التقسيم والتنويع كما بنى عليه تأما فيقال سميت به نفسك فاما أنزلته في كتابك وإما علمته احدا من خلقك وقد دل الحديث على ان أسماء الله غير مخلوقة بل

هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه ولهذا لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها فان الله يقسم عليه بشيء من خلقه فالحديث صريح في ان أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم وأيضا فان أسماءه مشتقة من صفاته وصفاته قديمة به فاسمائها غير مخلوقة فان قيل فالاسم عندهم هو المسمى أو غيره قيل طالما غلط الناس في ذلك وجعلوا الصواب فيه فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى فاذا قلت قال الله كذا واستوى الله على عرشه وسمع الله ورأى وخلق فهذا المراد به المسمى نفسه واذا قلت الله اسم عربي والرحمن اسم عربي والرحمن من أسماء الله والرحمن وزنه فعلان والرحمن مشتق من الرحمة ونحو ذلك فالاسم ههنا للمسمى ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الاجمال فان أريد بالمغايرة ان اللفظ غير المعنى خلق وان أريد ان الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسما أو حتى ساء خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والاحاد فقولوه في الحديث سميت به نفسك ولم يقل خلقته لنفسك ولا قال ساءك به خلقك دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه كما سمي نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة باسمائه وقوله أو استأثرت به في علم الغيب عندك دليل على ان أسماءه أكثر من تسعة وتسعين وان له أسماء وصفات استأثرت بها في علم الغيب عنده لايعلها غيره وعلى هذا فقوله ان الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة لا ينبغي أن يكون له غيرها والكلام جملة واحدة أى له أسماء موصوفة بهذه الصفة كما يقال لفلان مائة عبد أعدهم لاجتارة وله مائة فرس أعدھا لاجتهاد وهذا قول الجمهور وخالفهم ابن حزم فزعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد وقد دل الحديث على ان اتوسل اليه سبحانه باسمائه وصفاته أحب اليه وأقنع لآبئ من التوسل اليه بمخلوقاته وكذلك سائر الاحاديث كما في حديث الاسم الاعظم اللهم اني أسألك بان لك الحمد لا إله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم وفي الحديث الآخر أسألك بانى أشهد أنك أنت الله الذى لا إله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وفي الحديث الآخر اللهم انى أسألك بعلمك الغيب وقد تركت على الخلق وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان والامام أحمد والحاكم وهذا تحقيق لقوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقوله أن تجعل القرآن ربيع قارى ونور صدرى يجمع أصاين الحياة والنور فان الربيع هو المطر الذى يحيى الارض فينبئ الربيع فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته ان يجعل كتابه الذى جعله روحا للعالمين ونورا وحياة لقلبه بتزلة الماء الذى يحيى به الارض ونورا له بمنزلة الشمس التى تستنير بها الارض والحياة والنور جاع الخير كله قال تعالى (ومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فالخبر انه روح تحصل به الحياة ونور تحصل به الحياة ونور تحصل به الهداية فاتباعه لهم الحياة والهداية ومخالفوه لهم الموت والفساد وقد ضرب سبحانه المثل لاوليائه وأعدائه بهذين الايتين في أول سورة البقرة وفي وسط سورة التور وفي سورة الرعد وهما المثل اثنائى والمثل الثارى وقوله وجلاء حزنى وذغاب همى ونمى إن جلاء هذا يتضمن ازالة المؤذى الضار وذلك يتضمن تحصيل النافع السار فضاء

الحديث طلب أصول الخبر كله ودفع الشر وبالله التوفيق

الباب الثامن والعشرون

في احكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس

في ذلك وتحقيق القول فيه

هذا الباب من تمام الايمان بالقضاء والقدر وقد تنازع الناس فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين وهما وجهان لاحباب أحمد فهم من أوجبوه واحتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا بالله ربا وذلك واجب واحتج بآثر اسرائيلي من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ له ربا سواي ومنهم من قال هو مستحب غير واجب فان الايجاب يستلزم دليلا شرعيا ولا دليل يدل على الوجوب وهذا القول أرجح فان الرضا من مقامات الاحسان التي هي من أعلى المتسويات وقد غلط في هذا الاصل طائفتان أقبح غلط فقلت القدرة النفاة الرضا بالقضاء طاعة وقربة والرضا بالمعاصي لا يجوز فايست بقضائه وقدره وقالت غلاة الجبرية الذين طووا بساط الامر والنهي المعاصي بقضاء الله وقدره والرضا بالقضاء قرينة وطاعة فمن نرضى بها ولا نسخطها واختلفت طرق أهل الانبياء في جواب الطائفتين فاجابهم طائفة بأن لها وجهين وجهها يرضى بها منه وهو اضافتها الى الله سبحانه خلقا ومشئته ووجه يسخط منه وهو اضافتها الى العبد فعلا واكتسابا وهذا جواب جيد لو فواه به فان الكسب الذي أثبتته كثير منهم لاحقيقة له اذ هو عندهم مقارنة الفعل للارادة والقدرة إيجاد به من غير أن يكون لهما تأثير بوجه ما وقد تقدم الكلام في ذلك بما فيه كفاية وأجابهم طائفة أخرى بأننا نرضى بالقضاء الذي هو فعل الرب ونسخط المقضى الذي هو فعل العبد وهذا جواب جيد لو يعودوا عليه بالتقصير وبالابصار فانهم قالوا الفعل غير المفعول فالتقصير عندهم نفس المقضى فلو قال الاولون بان للكسب تأثيرا في إيجاد الفعل وانه سبب لوجوده وقال الآخرون بان الفعل غير المفعول لاصابوا في الجواب وأجابهم طائفة أخرى بان من القضاء ما يؤمر بالرضاه ومنه ما ينهى عن الرضاه بالقضاء الذي يحبه الله ويرضاه نرضى به والذي يبغضه ويسخطه لانرضى به وهذا كما أن من الخلق ما يبغضه ويسخطه وهو خلقه كالاعيان المسخوطة له فهكذا الكلام في الافعال والاقوال سواء وهذا جواب جيد غير أنه يحتاج الى تمام فقول الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني فالديني يجب الرضاه وهو من لوازم الاسلام والكوني منه ما يجب الرضاه كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها ومنه ما لا يجوز الرضاه كالمعاصي والذنوب التي يسخطها الله وان كانت بقضائه وقدره ومنه ما يستحب الرضاه كالصواب وفي وجوبه قولان هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضى وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كماله وكتابه وتقديره ومشئته فالرضاه من تمام الرضا بالله ربا وإلهسا ومالكا ومديرا فهذا التفصيل يتيقن الصواب ويحول اللبس في هذه المسئلة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس فان قيل فكيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والثغرة منها وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له وهو كارد له والالم يقتض الكراهة والبغض المضاد للرضا

واجتماع الضدين محال قيل الشيء قد يكون محبوبا مرضيا من جهة ومكروها من جهة أخرى كمشرب الدواء النافع الكريه فان المريض يرضى به مع شدة كراهته له وكصوم اليوم الشديد الحر فان الصائم يرضى به مع شدة كراهته له والجهاد للاعداء قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعمى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) فالجهاد المختص يعلم أن القتال خير له فرضى به وهو يكرهه لما فيه من التعرض لآلئاف النفس وألما ومفارقة المحبوب ومتى قوى الرضا بالشيء وتمكن انقلبت كراهته محبة وان لم يخل من الألم فالألم بالشيء لا ينافي الرضا به وكراهته من وجبه لا ينافي محبته وارا دته والرضاءه من وجه آخر فان قيل فهذا في حكم رضا العبد بقضاء الرب فهل يرضى سبحانه ما قضى به من الكفر والفسوق والعصيان بوجه من الوجوه قيل هذا الموضع أشكل من الذي قبله قال كثير من الاشعرية بل جمهورهم ومن اتبعهم أن الرضا والحبة والارادة في حق الرب بمعنى واحد وأن كل ما شاءه وارا دته فقد أحبه ورضيه ثم أوردوا على أنفسهم هذا السؤال وأجابوا بأنه لا يمتنع أن يقال أنه يرضى بها ولكن لأعلى وجه التخصيص بل يقال يرضى بكل ما خلقه وقضاه وقدره ولا يفرد من ذلك الامور المذمومة كما يقال هو رب كل شيء ولا يقال رب كذا وكذا للاشياء الخلقية الخسيسة وهذا تصريح منهم بأنه راض بها في نفس الامر وانما امتنع الاطلاق أدبا واحتراما فقط فلما أورد عليهم قوله (ولا يرضى لعباده الكفر) أجابوا عنه بجوابين أحدهما أن لم يقع منه وأما من وقع منه فهو رضاء إذ هو بمشيئته وارا دته والثاني لا يرضاه لهم ديناً أي لا يشعره لهم ولا يأمرهم به ويرضاه منهم كونا وعلى قولهم فيكون معنى الآية ولا يرضى لعباده الكفر حيث لم يوجد منهم فلو وجد منهم أحبه ورضيه وهذا في البطلان والفساد كما تراه وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضى ما وجد من ذلك وان وقع بمشيئته كما قال تعالى (وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه وكذلك قوله سبحانه (والله لا يحب الفساد) فهو سبحانه لا يحب كونا ولا ديناً وان وقع بتقديره كما لا يحب ابليس وجنوده وفرعون وحزبه وهو ربههم وخالقهم فمن جعل الحبة والرضا بمعنى الارادة والمشيئة لزمه أن يكون الله سبحانه محبا لابليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون وجميع الكفار وكفرهم والظامة وفعلهم وهذا كما أنه خلاف القرآن والسنة والاجماع المعلوم بالضرورة فهو خلاف ما عليه فطر العالمين التي لم تغير بالتواطي والتواصي بالاقوال الباطلة وقد أخبر سبحانه أنه يمت أفعالا كثيرة ويكرها ويغضها ويستخطها فقال (ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء الا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) وقال (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) وقال (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال (ولكن كره الله انبعاثهم فسططهم) ومحال حمل هذه الكراهة على غير الكراهة الدينية الامرية لأنه أمرهم بالجهاد وقال (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) فآخبر أنه يكره ويغض ويمقت ويستخط ويمادى ويذم ويلعن ومحال أنه يحب ذلك ويرضى به وهو سبحانه يكره ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به بل لا يليق ذلك به بسده فانه نقص وعيب في المخلوق أن يحب الفساد والشر والظلم والبنى والكفر ويرضاه فكيف يجوز نسبة ذلك الى الله تبارك وتعالى وهذا الاصل من أعظم ما غلط فيه كثير من مشيئ القسدر وغلطهم فيه يوازن غلط النفاة في إنكار القدر أو هو أقبح منه وبه تسلط عليهم النفاة وتمادوا على قبح قولهم وأعظموا الشناعة

عليهم به فهو لاء قالوا يجب الكفر والنسوق والعصيان والظلم والبغى والفساد وأولئك قالوا لا يدخل تحت مشيئته وقدرته وخلقه وأولئك قالوا لا يكون في ملكه الامايجه ويرضاه وهؤلاء قالوا يكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون فسيحان الله وتعالى عما يقول الفرشقان علوا كبيرا والحمد لله الذى هدانا لما أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وفطر عليه عباده وبرأنا من بدع هؤلاء وهؤلاء فله الحمد والمنة والفضل والنعمة والتناء الحسن ونسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا مضلات البدع والفتن

الباب التاسع والعشرون

في انقسام القضاء والحكم والارادة والكتابة والامر والاذن والجعل والكلمات

والبعث والارسال والتجريم والانشاء الى كونه متعلق بخلقه والى ديني

متعلق بأمره وما يحقق ذلك من ازالة اللبس والاشكال

هذا الباب متصل بالباب الذى قبله وكل منهما يقرر لصاحبه فما كان من كونه فهو متعلق بربوبيته وخلقه وما كان من الدين فهو متعلق بالاهيته وشرعه وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخاق والأمر فالخاق قضاؤه وقدره وفعله والأمر شرعه ودينه فهو الذى خاق وشرع وأمر وأحكمه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولا خروج لاحد عن حكمه الكونى القدرى وأما حكمه الدينى الشرعى فيعصيه الفجار والنفاق والأمران غير متلازمين فقد يقضى ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم وينتق الأمران عمالم يقع من المعاصى والفسق والكفر وينفرد القضاء الدينى والحكم الشرعى في ما أمر به وشرعه ولم يفعلها المسامور وينفرد الحكم الكونى فيما وقع من المعاصى اذا عرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان كونى قدرى كقوله (فلما قضينا عليه الموت) وقوله (وقضى بينهم بالحق) وشرعى دينى كقوله (وقضى ربك ألا تعبدوا الاياد) أى أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لمساعد غير الله والحكم أيضا نوعان فالكونى كقوله (قل رب احكم بالحق) أى افعل ما تنصير به عبادك وتخذل به أعداءك والدينى كقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقوله (ان الله يحكم ما يريد) وقد يرد بالمعنيين معا كقوله (ولا يشرك في حكمه احدا) فهذا يتناول حكمه الكونى وحكمه الشرعى والارادة أيضا نوعان فالكونية كقوله تعالى (فما لا يريد) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (وزيد ان نحن على الذين استضعفوا في الارض) والدينية كقوله (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فلو كانت هذه الارادة كونية لما حصل العسر لاحد منا ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الامر والارادة هل هما متلازمان أم لا فقالت القدورية الامر يستلزم الارادة واحتجوا بحجج لاتدفع وقالت المثبتة الامر لا يستلزم الارادة واحتجوا بحجج لاتدفع والصواب أن الامر يستلزم الارادة الدينية ولا يستلزم الارادة الكونية فانه لا يأمر الا بما يريد شرعا ودينيا وقد يأمر بما لا يريد كونا وقدرا كما ين

من أمره ولم يوفقه للإيمان مرادله دينا لاكونا وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرد كونا وقدرنا وأمر رسوله بخمسين صلاة ولم يرد ذلك كونا وقدرنا وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق فانه سبحانه لم يجب من إبراهيم ذبح ولده وإنما أحب منه عزمه على الامتنال وإن يوطن نفسه عليه وكذلك أمره محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بخمسين صلاة وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان فانه سبحانه يجب من عباده أن يؤمنوا به وبرسوله ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره ووقفه له وحذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه فلم تحصل مصلحة الامر منهم وحصلت من الامر بالذبح

فصل وأما الكتابة فالكونية كيقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وقوله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقوله (كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير) والشرعية الامرية كيقوله (كتب عليكم الصيام) وقوله (حرمت عليكم أهائكم) الى قوله (كتاب الله عليكم) وقوله (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) فالاولى كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الامر

فصل والامر الكوني كيقوله (إنما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) وقوله (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وقوله (وكان أمر الله مفعولا) وقوله (وكان أمرا مقضيا) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فهذا أمر تقدير كوني لأمر ديني شرعي فان الله لا يأمر بالفتحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه وقالت طائفة بل هو أمر ديني والمعنى أمرناهم بالطاعة تخالفونا وفسقوا والقول الأول أرجح لوجوده * أحدها أن الاضمار على خلاف الاصل فلا يصار اليه الا اذا لم يكن تصحيح الكلام بدون * الثاني أن ذلك يستلزم اضمارن أحدهما أمرناهم بإطاعتنا الثاني تخالفونا وعصونا ونحو ذلك * الثالث أن ما بعد التاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لا يفهم المخاطب غيب هذا * الرابع أنه سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره امدكور ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح ان يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز فان قيل أمره بالطاعة مع النسق هو سبب الهلاك قيل هذا يبطل بالوجه * الخامس وهو أن هذا الامر لا يختص بالمترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الامر بالطاعة بالمترفين بوضوحه * الوجه السادس ان الامر لو كان بالطاعة لكان هو نفس ارسال رسله اليهم ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال ارسلنا رسلا الى مترفيها ففسقوا فيها فان الارسل لو كان الى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل اليها * السابع أن ارادة الله سبحانه اهلاك القرية إنما يكون بعد ارسال الرسل اليهم وتكذيبهم والاقبل ذلك هو لا يريد اهلاكهم لانهم معذرون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة اليهم قال تعالى (وما كان الله ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) فاذا أرسل الرسل فكذبهم أراد اهلاكها فامر رؤسائها ومترفيها أمرا كونيا قديرا لا شرعيا دينيا بالفسق في القرية فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالاهلاك والمقصود ذكر الامر الكوني والديني وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وهو كثير

فصل وأما الاذن الكوني فكقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) أى بمشيئته وقدره وأما الديني فكقوله (ما قطعن من لينة أو تركنموها قائمة على أصولها فبإذن الله) أى بامره ورضاه وقوله (قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلنم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم أم على الله تفترون) وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما يأذن بالله)

فصل وأما الجعل الكوني فكقوله (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) وقوله (وجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وقوله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) وهو كثير وأما الجعل الديني فكقوله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أى ما شرع ذلك ولا أمر به ولا نهى مخلوق له واقع بقدره ومشيئته وأما قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) فهذا يتناول الجملين فانها جعلها كذلك بقدره وشرعه وليس هذا استعمالا للمشترك في معنيه بل اطلاق اللفظ وارادة القدر المشترك بين معنيه فتأمله

فصل وأما الكلمات الكونية فكقوله (وكذلك حققت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فهذه كلماته الكونية التي يخلق بها ويكون ولو كانت الكلمات الدينية هي التي يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار وأما الديني فكقوله (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) والمراد به القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم في النساء واستحلتم فروجهن بكلمة الله أى بإباحته ودينه وقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وقد اجتمع النوعان في قوله (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) فككتبه كلماته التي يأمر بها وينهى ويحل ويحرم وكلماته التي يخلق بها ويكون فاضرب أنها ليست جهمية تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه وتجعلها خلقا من جهة مخلوقاته

فصل وأما البعث الكوني فكقوله (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديدا) وقوله (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) وأما البعث الديني فكقوله (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) وقوله (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)

فصل وأما الارسال الكوني فكقوله (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا) وقوله (وهو الذي أرسل الرياح) وأما الديني فكقوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) وقوله (إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا)

فصل وأما التحريم الكوني فكقوله (وحرمننا عليه المراضع من قبل) وقوله (قال فلما محرمة عليهم أربعين سنة) وقوله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) وأما التحريم الديني فكقوله (حرمت عليكم أمهاتكم وحرمت عليكم المنيعة وحرمت عليكم صيد البر ما دمتم حرما وأحل الله البيع وحرم الربا)

فصل وأما الايتاء الكوني فكقوله (والله يؤتي ملكه من يشاء) وقوله (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) وقوله (وآتيناهم ملكا عظيما) وأما الايتاء الديني فكقوله (وما أناكم

الرسول نفسه وقوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) وأما قوله (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) فهذا يتناول النوعين فإنه يؤتىها من يشاء أمراً ودينها وتوفيقاً وإلهاماً

(فصل) وأيادى ورسله واتباعهم حظهم من هذه الأمور الدينية منها وأعداؤه واقفون مع القسدر الكونى بحيث مآمال القدر مآلوا معه فدينهم دين القدر ودين انرسل واتباعهم دين الأمر فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره وخضعا لله يعصون أمره ويحتجون بقدره لا يقولون نحن واقفون مع مراد الله نعم مع مراده الدينى أو الكونى ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكونى ولا يكون ذلكم عذراً لكم عنده اذ لو عذر بذلك لم يذم أحداً من خلقه ولم يعاقبه ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه كافراً وجميع رسله وبالله التوفيق

الباب الموفى ثلاثين

في ذكر الفطرة الاولى ومعناها واختلاف الناس في المراتبها

وانها لاتنافى القضاء والقدر بالشقاوة والضلال

قال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرنا الله الذى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) متبين اليه واقفوه وأقموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة فإبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما يتبع الهمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ثم قرأ أبو هريرة فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي لفظ آخر ما من مولود الا يولد على هذه الملة وقد اختلف في معنى هذه الفطرة والمراد بها فقال القاضى أبو يعلى في معنى الفطرة هاهنا روايتان عن أحمد أحدهما الاقرار بمعرفة الله تعالى وهو العهد الذى أخذه الله عليهم في أصلاص آبائهم حتى مسح ظهر آدم فاخرج من ذريته الى يوم القيامة أمثال الذرر وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى فليس أحد الا هو يقرباً له صانعاً ومدبراً وان سماه بغير اسمه قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) فكل مولود يولد على ذلك الاقرار الأول قال وليس الفطرة هنا الاسلام لوجهين أحدهما أن معنى الفطرة ابتداء الخلق ومنه قوله تعالى (فاطر السموات والارض) أى مبتدئها واذ كانت الفطرة هى الابتداء وجب أن تكون تلك هى التى وقعت لأول الخليفة وجرى في فطرة المعقول وهو استخراجهم ذرية لأن تلك حالة ابتداءهم ولانها لو كانت الفطرة هنا الاسلام لوجب اذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثهما ولا يرثانه مادام طفلاً لانه مسلم واختلاف الدين يمنع الارث ولوجب أن لا يصح استرقاقه ولا يحكم بإسلامه بإسلام أبيه لانه مسلم قال وهذا تأويل ابن قتيبة وذكره ابن بطه في الابانة قال وليس كل من ثبت له المعرفة حكم بإسلامه كالبالغين من الكفار فان المعرفة حاصلة وليسوا بمسلمين قال وقد أوماً أحمد الى هذا التأويل وفي رواية النعماني

فقال الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها فقال له الميعونى الفطرة الدين قال نعم قل القاضي وأراد
أحمد بالدين المعرفة التي ذكرناها قال والرواية الثانية الفطرة هنا ابتداء خلقه في بطن أمه لأن حماد
على العهد الذي أخذ عليهم وهو الاقرار بمعرفة حمل للفطرة على الاسلام لأن الاقرار بالمعرفة
اقرار بالايان والمؤمن مسلم ولو كانت الفطرة الاسلام لوجب اذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثانه
ولا يرثهما قال ولأن ذلك يمنع أن يكون الكفر خلقا لله وأصول أهل السنة بخلافه قال وقد أوما
أحمد الى هذا في رواية على بن سعيد وقد سأله عن قوله كل مولود يولد على الفطرة فقال على الشقاوة
والسعادة ولذلك نقل محمد بن يحيى الكحال أنه سأله فقال هي التي فطر الناس عليها شق أو سعيد
وكذلك نقل جليل عنه قال الفطرة التي فطر الله عليها العباد من الشقاوة والسعادة قال وهذا كله
يدل من كلامه على أن المراد بالفطرة هاهنا ابتداء خلقه في بطن أمه قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية
أحمد لم يذكر العهد الأول وإنما قال الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها وهي الدين وقال في غير
موضع أن الكافر اذا مات أبواه أو أحدهما حكم بالاسلام واستدل بهذا الحديث فدل على أنه فسر
الحديث بأنه يولد على فطرة الاسلام كجاء ذلك مصرح به في الحديث ولولم تكن الفطرة عنده الاسلام
لما صح استدلاله بالحديث وقوله في موضع آخر يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة لا ينافي ذلك
فإن الله سبحانه قدر السعادة والشقاوة وكتبهما وقدر أنها تكون بالاسباب التي تحصل بها كفعل الابوين
فهو يد الابوين وتنصيرهما وتجييسهما هو ما قدره الله أنه يفعل بالمولود والمولود ولد على الفطرة ساجدا وولد
على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الابوان كما قدر سبحانه ذلك وكتبه كما مثل النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك بقوله كما ينتج البهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء فيبين أن البهيمة تولد سليمة ثم يجدها الناس
وذلك بقضاء الله وقدره فكذلك المولود يولد على الفطرة ساجدا ثم يفسده أبواه وذلك أيضا بقضاء
الله وقدره وإنما قال أحمد وغيره من الأئمة على ما فطر عليه من شقاوة أو سعادة لأن القدرية يحتاجون
بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصي ليس بقضاء الله وقدره بل بما ابتدأ الناس إحداثه ولهذا قالوا
لما لك بن أنس أن القدرية يحتاجون علينا بأول الحديث فقال احتجوا عليهم بآخره وهو قوله الله
أعلم بما كانوا عاملين فيبين الامام أحمد وغيره أنه لا حاجة فيه للقدرية فانهم لا يقولون أن نفس الابوين
خلقاً تهويده وتنصيره بل هو تهود وتنصير بآخريته ولكن كانا سببا في حصول ذلك بالتعليم والتلقين
فاذا أضيف إليهما هذا الاعتبار فلا بد أن يضاف الى الله الذي هو خالق كل شيء بطريق الأولى لأنه
سببانه وان كان خلقه مولودا على الفطرة ساجدا فقد قدر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره وعلم
ذلك كما في الحديث الصحيح ان الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو بلغ لارهق أبويه
طغيانا وكفرا فقله طبع يوم طبع أى قدر وقضى في الكتاب أنه يكفر لان كفره كان موجودا
قبل أن يولد ولا في حال ولادته فانه مولود على الفطرة السليمة وعلى أنه بعد ذلك يتغير ويكفر ومن
ظن أن الطبع على قلبه وهو الطبع المذكور على قلب الكفار فهو غلط فان ذلك لا يقال فيه طبع
يوم طبع اذ كان الصبي على قلبه اما يوجد بعد كفره وقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى انه قال خلقت عبادة حنفاء كلهم
فاختالهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وهذا

صرح في أنه خلقهم على الخنثية وإن الشياطين اختلجهم بعد ذلك وكذلك في حديث الأسود بن سريع الذي رواه أحمد وغيره قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فافضى بهم القتل إلى الذرية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما حملكم على قتل الذرية قالوا يا رسول الله النساء أولاد المشركين قال أوليس خياركم أولاد المشركين ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم خلطيا فقال إلا أن كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فخطبته لهم بهذا الحديث عقيب نفيه لهم عن قتل أولاد المشركين وقوله لهم أوليس خياركم أولاد المشركين نص أنه أرادهم ولدوا غير كفار ثم الكفر طرأ بعد ذلك ولو أراد أن المولود حين يولد يكون إما مسلما وإما كافرا على ما سبق له به القدر لم يكن فيما ذكر حجة على ما قصد من نفيه عن قتل أولاد المشركين وقد ظن بعضهم أن معنى قوله أوليس خياركم أولاد المشركين أنه قد يكون في علم الله أنهم لو بقوا آمنوا فيكون النبي راجعا إلى هذا المعنى من التجوز وليس هذا معنى الحديث لكن مفناه أن خياركم هم السابقون الأولين وهؤلاء من أولاد المشركين فإن آباءهم كانوا كفارا ثم إن البنين أسلموا بعد ذلك فلا يضر الطفل أن يكون من أولاد المشركين إذا كان مؤمنا فإن الله إنما يميزه بعمله لا بعمل أبيه وهو سبحانه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن كما يخرج الحلي من الميت ويخرج الميت من الحلي

(فصل) وهذا الحديث قد روي بالفاظ تفسر بعضها بعضها في الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا على الفطرة فإبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرؤا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيح قال الزهري نصلي على مولود يتوفى وإن كان ٣ من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام إذا استهل صارخا ولا نصلي على من لم يستهل من أجل أنه سقط فإن أباه ريرة كان يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فإبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها وفي الصحيحين من رواية الأعمش ما من مولود إلا وهو على الفطرة وفي رواية ابن معاوية عنه الأعلى هذه الملة حتى يعرب عنه لسانه فهذا صريح بأنه يولد على ملة الإسلام كما فسره ابن شهاب راوى الحديث واستشهد أبي هريرة بالآية يدل على ذلك قال ابن عبد البر وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أئتمز أن يعتقه وهو رضيع قال نعم لانه ولد على الفطرة وقال أبو عمر وقد ذكر النزاع في تفسير الحديث وقال آخرون إنهم فطروا على الإسلام وهو المنعروف عند عامة السانف أهل التأويل قد أجمعوا في تأويل قول الله عز وجل (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قالوا فطرة الله دين الله الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة في هذا الحديث أقرؤا أن شتم فطرة الله التي فطر الناس عليها وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وإبراهيم والضحاك وقادة في قوله عز وجل (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قالوا فطرة الله دين الله الإسلام لا تبديل لخلق الله قالوا لدين الله واحتجوا بحديث محمد بن إسحاق عن ثور بن يزيد عن يحيى بن جابر عن عبد الرحمن بن عابد الأزدي عن عياض بن حماد الجاشعي أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال لئن لم يولدوا لأحدكم بما حدثني الله في الكتاب أن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين وأعطاهم المال حلالا لأحرام فيه شملوا ما أعطاهم الله حراما وحلالا الحديث قال وكذلك روى بكر بن مهاجر عن ثور بن زيد بإسناده مثله في هذا الحديث حنفاء مسلمين قال أبو عمر روى هذا الحديث قتادة عن مطرف بن عبد الله عن عياض ولم يسمه قتادة من معارف ولكن قال حدثني ثلاثة عتبة بن عبد الغافر ويزيد بن عبد الله بن الشخير والعلاء بن زياد أنهم يقولون حدثني مطرف عن عياض عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم لم يقل مسلمين وكذلك روى الحسن عن مطرف ورواه ابن اسحاق عن لاتيهم عن قتادة بإسناده قال فيه وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ولم يقل مسلمين قال فدل هذا على حفظ محمد بن اسحاق وأتقانه وضبطه لأنه ذكر مسلمين في روايته عن ثور بن زيد لهذا الحديث واسقطه من رواية قتادة وقصر فيه عن قوله مسلمين وزاده نور بإسناده قاله أعلم قال والحنيف في كلام العرب المستقيم الخالص ولا استقامة أكثر من الاسلام قال وقد روى عن الحسن الحنيفة حج البيت وهذا يدل أنه أراد الاسلام وكذلك روى عن الضحاك والسدي قال حنفاء حجاجا وعن مجاهد حنفاء متبعين قال وهذا كله يدل على أن الحنيفة الاسلام قال أكثر العلماء الحنيف الخالص وقال الله عز وجل (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) وقال تعالى (ملة إبراهيم حنيفا مسلما) وقال (ملة إبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) وقال الشاعر وهو الراعي

أخليفة الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في أموالنا حق الزكاة مستترا لا تنزيلا

قال فهذا وصف الحنيفة بالاسلام وهو أمر واضح لاختلافه به قال وما احتج به من ذهب في هذا الحديث إلى أن الفطرة في هذا الحديث الاسلام قوله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطرة ويروى عشر من الفطرة قال شيخنا والدلائل على ذلك كثيرة ولولم يكن المراد بالفطرة الاسلام لما سألوها عقيب ذلك أرايت من يموت من اطفال المشركين لأنه لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سألوها والعلم القديم وما يجري مجراه لا يتغير وقوله فابواه يهودانه بين فيه أنهم يغيرون الفطرة التي فطر عليها وأيضا فإنه شبه ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمة الخاق لا تنقص فيها ثم تجتمع بعد ذلك فعلم أن التغيير وارد على الفطرة السليمة التي ولد العبد عليها وأيضا فإن الحديث مطابق للقرآن كقوله (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وهذا يعم جميع الناس فعلم أن الله سبحانه فطر الناس كلهم على فطرته المذكورة وأيضا فإنه أضاف الفطرة إليه إضافة مدح لا إضافة ذم فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة كدين الله وبيته وناقه وأيضا فإنه قال فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها وأيضا فإن هذا تفسير السائب قال ابن جرير يقول فسد وجهك نحو الوجه الذي وجهك الله يا محمد بطاعته وهي الدين حنيفا يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله يقول صنعة الله التي خلق الناس عليها ونصب فطرة على المصدر معنى قوله فاقم وجهك للدين حنيفا لأن المعنى فطر الله الناس على ذلك فطرة قال وبخو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ثم روى عن ابن زيد قال فطرة الله التي فطر الناس عليها قال الاسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعا يقولون بذلك وعن مجاهد فطرة الله قال

الدين الاسلام ثم روى عن يزيد بن ابي مریم قال عمر لمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الامة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهو الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها والصلاة وهي الملة والطاعة وهي العصمة فقال عمر صدقت وقوله لا تبديل لحق الله يقول لا تغير لدين الله اى لا يصاح ذلك ولا ينبغي أن يفعل قال ابن ابي نجیح عن مجاهد لا تبديل لحق الله اى لدين الله ثم ذكر ان مجاهدا أرسل الى عكرمة يسأله عن قوله لا تبديل لحق الله قال هو الحضا فقال مجاهد اخطأ لا تبديل لحق الله انما هو الدين ثم قال لا تبديل لحق الله ذلك الدين القيم وروى عن عكرمة لا تبديل لحق الله قال لدين الله وهو قول سعيد بن جبیر والضحاك وأبراهيم النخعی وابن زيد وعن ابن عباس وعكرمة ومجاهد هو الحضا ولا منافاة بين القولين كما قال تعالى (ولا مرهن فليتبكثن أذان الانعام ولا مرهنهم فليغيرن خلق الله) فتغير ما فطر الله عباده من الدين تغيير خلقه والحضا وقطع أذان الانعام تغيير خلقه أيضا ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما بالآخر فالوكلان يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الحاقة فذلك يغير ما خلقت عليه نفسه وروحه وهذا يغير ما خلق عليه بدنه

فصل ولما صار القدريية يحتجون بهذا الحديث على قولهم صار الناس يتأولونه على تأويلات يخرجونها بها عن مقتضى فقالت القدريية كل مولود يولد على الاسلام والله سبحانه لا يضل أحدا وانما أبواه يضلانه قال لهم أهل السنة أتم لا تقولون بآول الحديث ولا بآخره اما أوله فانه لم يولد أحد عندكم على الاسلام أصلا ولا جعل الله أحدا مسلما ولا كافرا عندكم وهذا أحدث بنفسه الكفر وهذا أحدث لنفسه الاسلام والله لم يخلق واحدا منهما ولكن دعاهما الى الاسلام وأزاح علمهما وأعصاهما قدرة ماثلة فهما يصاح للضدين ولم يخص المؤمن بسبب يقتضى حصول الايمان فان ذلك عندكم غير مقدور له ولو كان مقدورا لكان منع الكافر منه ظالما هذا قول عامة القدريية وان كان أبو الحسن يقول انه خص المؤمن بداعي الايمان ويقول عند الداعي والقدرة يجب وجود الايمان وهذا في الحقيقة موافق لقول أهل السنة قالوا فاتم قائم ان معرفة الله لا تحصل الا بالنظر المشروط بالعقل ويستحيل أن تكون المعرفة عندكم ضرورة أو تكون من فعل الله وأما كونكم لا تقولون بأخذه فهو انه ينسب فيه التهود والتتصير الى الابوين وعندكم أن المولود هو الذي أحدث لنفسه التهود والتتصير دون الابوين والابوان لا قدرة لهما على ذلك البتة وأيضا فقوله الله أعلم بما كانوا عاملين دليل على ان الله يعلم ما يصيرون اليه بعد ولادتهم على الفطرة هل يبقون عليها فيكونون مؤمنين أو يغيرون فيصيرون كفارا فهو دليل على تقدم العلم الذى يشكروه غلاة القدريية واتفق السانف على تكفيرهم بانكاره فالذى استدلتهم به من الحديث على قولكم الباطل وهو قوله فابواه يهودانه وينصرانه لا حجة لكم بل هو حجة عليكم فغير الله لا يتقدر على جعل الهدى أو الضلال في قاب أحد بل المراد بالحديث دعوة الابوين الى ذلك وترتيبهما له وترتيبهما على ذلك بما يفعله المعلم والمرتبى وخص الابوين بالذكور على الغالب انه جعل أبوان والافتد يقع من أحدهما أو من غيرهما

(فصل) قال أبو عمر بن عبد البر اختلف العلماء في الفطرة المذكورة في هذا الحديث اختلافا كثيرا وكذلك اختلفوا في الاطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة فمثل عنه ابن المبارك فقال تفسيره آخر

الحديث وهو قوله الله اعلم بما كانوا عاملين هكذا ذكر ابو عبيد عن ابن المبارك لم يزد شيئاً وذكر انه سأل محمد بن الحسن عن تأويل هذا الحديث فقال كان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر الناس بالجهاد هذا ما ذكره أبو عبيدة قال ابو عمر أما ما ذكره عن ابن المبارك فقد روى عن مالك نحو ذلك وليس فيه مقتع من التأويل ولا شرح موعب في أمر الاطفال ولكنها تؤدى الى الوقوف عن القطع فيهم بكفر وإيمان أو حنة ونار مالم يباغوا العمل قال واما ما ذكره عن محمد بن الحسن فانظر محمد احدث عن الجواب فيه اما لا شكاه واما لجهله به او لما شاء الله واما قوله ان ذلك كان من النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤمر الناس بالجهاد فلا درى ما هذا فان كان اراد ان ذلك منسوخ فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في اخبار الله ورسوله اذ الخبر بشئ كإن اويكون اذا رجع عن ذلك لم يحل رجوعه من تكذيبه لنفسه او غاظه فيما اخبر به او نسيانه وقد حل الله عن ذلك وعصم رسوله منه وهذا لا يجهله ولا يخالف فيه احد وقول محمد بن الحسن ان هذا كان قبل ان يؤمر الناس بالجهاد ليس كما قال ان في حديث الاسود بن سريع ما يتبين ان ذلك كان منه بعد الامر بالجهاد ثم روى باسناده عن الحسن عن الاسود بن سريع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان فقال رجل اوليس اتماهم اولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس خباركم اولاد المشركين انه ليس من مولود يولد الاعلى الفطرة حتى يعبر عنه لسانه ويهوده ابواه او نصرانه قال وروى هذا الحديث عن الحسن جماعة منهم أبو بكر المزني والعملاء بن زياد والمسرئ بن يحيى وقد روى عن الاحنف عن الاسود بن سريع قال وهو حديث بصري صحيح قال وروى عوف الاعرابي عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فمصاداه الناس يارسل الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين قال شيخنا اما ما ذكره ابو عمر عن مالك وابن المبارك فيمكن أن يقال ان المقصود ان آخر الحديث يبين ان الاول قد سبق في علم الله يعماون اذا باغوا أو ان منهم من يؤمن فيدخل الجنة ومنهم من يكفر فيدخل النار فلا يحتاج بقوله كل مولود يولد على الفطرة على نفي القدرة كما احتجت القدريه به وعلى ان اطفال الكفار كلهم في الجنة لكونهم ولدوا على الفطرة فيكون مقصود مالك وابن المبارك ان حكم الاطفال على ما في آخر الحديث وأما قول محمد فانه رأى الشريعة قد استقرت على ان ولد اليهودي والنصراني يتبع أبوه في الدين في أحكام الدنيا فيحكم له بحكم الكفر في أنه لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يرثه المسلمون ويجوز استرقاقهم في يجوز لاحد ان يخرج بهذا الحديث على ان حكم الاطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تعرب عنهم استقامت وهذا حق ولكن ظن أن الحديث اقضى الحكم لهم في الدنيا باحكام المؤمنين فقال هذا منسوخ كان قبل الجهاد لانه بالجهد أصبح استرقق النساء واطفال المؤمنين لاسترقق ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الاحكام الدنيوية أمر مازال مشروعا وما زال الاطفال تبعاً لأبويهم في الامور الدنيوية والحديث لم يقصد بيان هذه الاحكام وانما قصد بيان مولود عليه الاطفال من الفطرة

فصل في ما ينبغي أن يعلم انه اذا قيل انه ولد على الفطرة أو على الاسلام أو على هذه

الملة أو خالق حنيفا فليس المراد به إلا الحق خرج من يمين أمه يعلم هذا الدين ويريد أن الله يقول (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا) ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الاسلام لقربوه ومحبة نفوس الفطرة تستلزم الاقرار بخالقه ومحبهه واخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة اذا ساءت من المعارض وليس المراد أيضا بمجرد قبول الفطرة لذلك فان هذا القبول تغير بتهويد الابوين وتخصيرهما بحيث يخرجان الفطرة عن قبولها وان سعيها بين بينهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول وأيضا فان هذا القبول ليس هو الاسلام وليس هو هذه الملة وليس هو الحنيفية وأيضا فانه شبه تغير الفطرة بمجرد البهيمه الجمعاء ومعلوم انهم لم يغيروا قبوله ولو تغير القبول وزال لم تقم عليه الحججة بارسال الرسل وانزال الكتب بل المراد ان كل مولود فانه يولد على محبة لفطرته واقاراره له بربوبيته وادعائه له بالعبودية فلو خلى وعدم المعارض لم يبدل عن ذلك الى غيره كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الاغذية والاشربة فيشتهي اللبن الذي يناسبه وبغية وهذا من قوله تعالى (ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقوله (الذي خالق فسوى والذي قدر فهدى) فهو سبحانه خالق الحيوان مهتديا الى حجاب ما ينفعه ودفع ما يضره ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئا فشيئا بحسب حاجته ثم قد يعرض لكثير من الابدان ما يفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة فهكذا ما ولد عليه من الفطرة ولهذا شبهت الفطرة باللبن بل كانت اياه في التناول للرؤيا ولما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء اللبن واخذ اللبن فقبل له اخذت الفطرة ولو اخذت الخمر لغوت املك فتناسبه اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره لمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها

فصل ١٠٠ قال ابن عبد البر وقالت طائفة المراد بالفطرة في هذا الحديث الخلقة التي خالق عليها المولود من المعرفة بربه فكانه قال كل مولود يولد على خلقه يعرف بهاربه اذا بلغ مبلغ المعرفة يريد انه خالق خلقة مخالفة خلقة البهائم التي لاتصل بخلقتها الى معرفتها قالوا والقاطر هو الخالق وأنكرت أن يكون المولود يفطر على ايمان أو كفر قال شيخنا صاحب هذا القول ان أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها فهذا ضعيف فان مجرد القدرة على ذلك لا يقتضى أن يكون حنيفا ولا أن يكون على الملة ولا يحتاج أن يذكر تغير أيوبه لفطرته حين يسئل عمن مات صغيرا ولأن القدرة في الكبير أكل منها في الصغير وهو لما نهاهم عن قتل الصبيان فقالوا انهم أولاد المشركين قال أو ليس خياركم أولاد المشركين ما من مولود الا ويولد على الفطرة ولو أريد القدرة لكانت بالغون كذلك مع كونهم مشركين مستوحين للقتل وان أراد بالفطرة القدرة على المعرفة مع ارادتها بالقدرة الكلمة مع الارادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور فدل على انهم فطروا على القدرة على المعرفة وارادتها وذلك مستلزم للايمان

فصل ١٠١ قال أبو عمر وقال آخرون معنى قوله يولد على الفطرة يعني البداء التي ابتدأهم عليها يريد انه مولود على ما فطر الله عليه خلقة من انه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء الى ما يصيرون اليه عند البلوغ من قبولهم غير ايمانهم واعتقادهم قالوا والفطرة في كلام العرب البداء والفاظ المبتدى وكأنه قال يولد على ما ابتدأ الله عليه من الشقاء والسعادة وغير ذلك مما يصير اليه

وقد فطر عليه واحتجوا بقوله تعالى (كبدأكم تعودون فربما هدى وفربقا حق عليه الضلالة) وروى
باسناده الى ابن عباس قال لم أدر ما فطر السموات والارض حتى أنانا اعرابيان يختصمان في بئر
فقال أحدهما أنا فطرتهما أى ابتدأتهما وذكر دعاء على اللهم جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها
قال شيخنا حقيقة هذا القول ان كل مولود فانه يولد على ماسبق في علم الله انه صائر اليه ومعلوم ان جميع المخلوقات
بهذه المثابة فجميع البهائم مولودة على ماسبق في علم الله لها والاشجار مخلوقة على ماسبق
في علم الله وحينئذ فيكون كل مخلوق قد خلق على الفطرة وأيضا فلو كان المراد ذلك لم يكن
لقوله فابواه يهودانه معنى فانها ما هو الفطرة التي ولد عليها وعلى هذا القول فلا فرق
بين التهود والتتصير وبين تلقى الاسلام وتعليمه وبين تعلم سائر الحرف والصنائع فان ذلك كله
واحد فيما سبق به العلم وأيضا فمتي له ذلك بالبهيمة التي ولدت جمعا ثم جدت تبين ان أبويه غيرا ما
ولد عليه وأيضا فبقوله على هذه الملة وقوله انى خلقت عبادى حنفاء يخالف لهذا وأيضا فلا فرق بين
حال الولادة وسائر أحوال الانسان فانه من حين كان جنينا الى مالا نهاية له من أحواله على ماسبق
في علم الله فتخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بلا تخصص وقد ثبت في الصحيح
انه قيل حين نفخ الروح فيه يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فلو قيل كل مولود ينفخ فيه الروح
على الفطرة لكان أشبه بهذا المعنى مع ان النفخ هو بعد الكتابة

فصل قال أبو عمر قال محمد بن نصر المروزي وهذا المذهب شبيه بما حكاه أبو عبيد عن
ابن المبارك انه سئل عن هذا الحديث فقال بفسره قوله الله أعلم بما كانوا عاملين قال المروزي وقد
كان أحمد بن حنبل يذهب الى هذا القول ثم تركه قال أبو عمر وما رسمه مالك في موطاه وذكر
في أبواب القدر فيه من الآثار ما يدل على ان مذهبه في ذلك نحو هذا قال شيخنا أئمة السنة مقصودهم
ان الخلق صائر الى ماسبق في علم الله فيهم من إيمان وكفر كما في الحديث الآخر ان الغلام الذي
قيد الحضر طبع يوم طبع كافرا والطبع الكتاب اى كتب كافرا كما في الحديث الصحيح فيكتب
رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد وليس اذا كان الله كتبه كافرا يقتضى انه حين الولادة كافر بل
يقتضى انه لا بد ان يكفر وذلك الكفر هو التغير كما أن البهيمة التي ولدت جمعا وقد سبق في علمه
انها تجتمع كتب انها مجدوعة بجدغ يحدث لها بعد الولادة ولا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة

فصل وكلام أحمد في اجوبة له أخرى يدل على ان الفطرة عنده الاسلام كما ذكر محمد
ابن نصر عنه انه آخر قوله فانه كان يقول ان صبيان أهل الحرب اذا سبوا بدون الابوين كانوا
مسلمين وان كانوا معهم فهم على دينهما فان سبوا مع أحدهما فتيه عنه وروايتان وكان يحتج بالحديث قال
الخلال في الجامع أنبأنا أبو بكر المروزي أنبأنا عبد الله قال سبي أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا
صغارا وان كانوا مع أحد الابوين وكان يحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه
وينصرانه قال وأما أهل التغر فيقولون اذا كان مع أبويه انهم يخبرونه على الاسلام قال ونحن لانذهب الى
هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه قال الخلال أنبأنا عبد الملك الميموني قال
سألت أبا عبد الله قبل الحبس عن الصغير يخرج من أرض الروم وليس معه أبواه فقال ان مات صلى الله
عليه وسلم قلت يكره على الاسلام قال اذا كانوا صغارا يصلون عليهم أكره عليه قلت فان كان

معه أبواه قال اذا كان معه أبواه أو أحدهما لم يكره ودينه على دين أبويه قلت الى أى شئ يذهب الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه قال نعم وعمر بن عبد العزيز فادى به فلم يردده الى بلاد الروم الا وحكمه حكمهم قالت في الحديث كان معه أبواه قال لا وليس ينبغي الا أن يكون معه أبواه قال الحلال مارواه الميموني قول أول لابي عبد الله ولذلك نقل اسحاق بن منصور ان أبا عبد الله قال اذا لم يكن معه أبواه فهو مسلم قلت لا يجبرونه على الاسلام اذا كان معه أبواه أو أحدهما قال نعم قال الحلال وقد روى هذه المسئلة عن أبي عبد الله خاق كلهم قال اذا كان مع أحد أبويه فهو مسلم وهؤلاء الفر سمعوا من أبي عبد الله بعد المجلس وبعضهم قبل وبعد والذي أذهب اليه مارواه الجماعة قال الحلال وحدنا أبو بكر المروزي قال قلت لابي عبد الله انى كنت بواسط فسألوني عن الذى يموت جو وامرأته ويعدا طفلين ولهما عم ماتقول فيهما فانهم تدكتبوا الى البصرة فيها فقال أكره أن أقول فيها برأى دع حتى أنظر لعل فيهما عمن تقدم فلما كان بعد شهر عاودته قال نظرت فيها فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قال فابواه يهودانه وينصرانه وهذا ليس له أبوان قلت يجبر على الاسلام قال نعم هؤلاء مساهون لقول النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك نقل يعقوب بن سحبان قال قال أبو عبد الله اذا مات الذمى أبواه وهو صغير أحبر على الاسلام وذكر الحديث فابواه يهودانه وينصرانه ونقل عنه عبد الكريم بن الهيثم العاقولي في الجوسيين يولد لهما ولد فيقولان هذا مسلم فيمك خمس سنين ثم يتوفي قال ذاك يدفعه المساهون قال النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه وقال عبد الله بن أحمد سألت أبي عن قوم يزوجون بناتهم من قوم على انه ماكان من ذكر فهو لارجل مسلم وماكان من أثنى فهي مشركة يهودية أو مجوسية أو نصرانية فقال يجبر هؤلاء من أبائهم على الاسلام لأن أباهم مساهما لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه يردون كلهم الى الاسلام ومثل هذا كثير في أجوبته يحتاج بالحديث على انما يصير كافرا بابويه فاذا لم يكن مع أبوين كافرين فهو مسلم فلو لم تكن الفطرة الاسلام لم يكن بعدم أبويه يفسر مساهما فان الحديث انما دل على انه يولد على الفطرة ونقل عنه الميموني ان الفطرة هي الدين وهي الفطرة الاولى قال الحلال أخبرني الميموني انه قال لابي عبد الله كل مولود يولد على الفطرة يدخل عليه اذا كان أبواه يعنى أن يكون حكمه حكم ما كانوا صاغرا فقال لي نعم ولكن يدخل عليك في هذا فتناظرنا بما يدخل على من هذا القول وبما يكون فقوله قلت لابي عبد الله فما تقول انت فيها والى اى شئ تذهب قال اقول انا ماادري أخبرك هي مسلمة كما ترى ثم قال لي والذي يقول كل مولود يولد على الفطرة ينظر أيضا الى الفطرة الاولى التي فطر الناس عليها قلت له فما الفطرة الاولى هي الدين قال نعم فمن الناس من يحتاج بالفطرة الاولى مع قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة قلت لابي عبد الله فما تقول لاعرف قولك قال اقول انه على الفطرة الاولى قال شيخنا جواب احمد انه على الفطرة الاولى وقوله انها الدين يوافق القول بانه على دين الاسلام

فصل ١٠٠ واما جواب احمد انه على ما فطر من شقاوة وسعادة الذى ذكر محمد بن نصر انه كان يقول به ثم تركه فقال الحلال أخبرني محمد بن يحيى الكحال انه قال لابي عبد الله كل

مولود يولد على الفطرة ما نصيرها قال هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها شقي أو سعيد وكذلك نقل عنه الفضل بن زياد وجبيل وأبو الحارث أنهم سمعوا أبا عبد الله في هذه المسئلة قال الفطرة التي فطر الله العباد عليها من الشقاوة والسعادة وكذلك نقل عنه علي بن سعيد أنه سأل أبا عبد الله عن كل مولود يولد على الفطرة قال الشقاوة والسعادة قال يرجع الى ما خلق وعن الحسن بن بواب قال سألت أبا عبد الله عن اولاد المشركين قلت ان ابن ابى شيبة ابا بكر قال هو على الفطرة حتى يهوداه ابواه أو ينصرانه فلم يعجب شئ من هذا القول وقال كل مولود من اطفال المشركين على الفطرة يولد على الفطرة التي خلق عليها من الشقاء والسعادة التي سبقت في ام الكتاب ارفع ذلك الى الاصل هذا معنى كل مولود يولد على الفطرة فمن اصحابه من قال هذا قولاً قديماً له ثم تركه ومنهم من جعل المسئلة على روايتين واطلق ومنهم من حكى عنه فيها ثلاث روايات الثالثة الوقف

(فصل) قال شيخنا والاجماع والآثار المنقولة عن السلف لا تدل الا على القول الذي رجحناه وهو أنهم على الفطرة ثم صاروا الى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة لا يدل على أنهم حين الولادة لم يكونوا على فطرة سلمة مقتضية للايمان ومستازمة له لولا العارض وروى ابن عبد البر بأسناده عن موسى بن عبيدة سمعت محمد بن كعب القرظي في قوله (كابدأكم تعودون فريقيا هدى وفريقيا حق عليهم الضلالة) قال من ابتداء الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان عمل بعمل اهل الضلالة ومن ابتداء خلقه للضلالة صيره الى الضلالة وان عمل بعمل اهل الهدى ابتداء خلق ابايس على الضلالة وعمل بعمل اهل السعادة مع الملائكة ثم رده الله الى ما ابتداء خلقه عليه من الضلالة فقال وكان من الكافرين وابتداء خلق السحرة على الهدى وعملوا بعمل اهل الضلالة ثم هداهم الله الى الهدى والسعادة وتوفاهم عليها مسلمين فهذا المنقول عن محمد بن كعب يبين ان الذي ابتداءهم عليه هو ما كتب انهم صائرون اليه وانهم قد يعملون قبل ذلك غيره وان من ابتدئ على الضلالة اى كتب ان يموت ضالاً فقد يكون قبل ذلك عاملاً بعمل اهل الهدى وحينئذ فمن ولد على الفطرة السليمة المقتضية للهدى لا يمنع ان يعرض لها ما يغيرها فيصير الى ما سبق به القدر كما في الحديث الصحيح ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وقال سعيد بن جبير في قوله كابدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون وقال مجاهد كما بدأكم تعودون وسعيد وقال أيضاً بيعت المسلم مساهما والكافر كافرا وقال أبو العالية عادوا الى علمه فيهم فريقيا هدى وفريقيا حق عليهم الضلالة قلت هذا المعنى صحيح في نفسه دل عليه القرآن والسنة والآثار السلفية واجماع أهل السنة وأما كونه هو المراد بالآية ففيه ما فيه والذي يظهر من الآية ان معناها معنى نظرائها وأمثالها من الآيات التي يحتاج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالاولى وعلى المعاد بالمبدأ فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان فقال كما بدأكم تعودون كقولهم (يا أيها الناس ان كنتم في ريب مما بعثنا فانا خلقناكم من تراب) وقوله (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) الآية وقوله (أليحسب الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من مئى مئى ثم كان علقة خلاق فسوى) الى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) وقوله

(فليظن الانسان ثم خالق خالق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجهه لقادر) أى على رجح الانسان حيا بموته هذا هو الصواب في معنى الآية يبقى أن يقال فكيف يرتبط هذا بقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلال فيقال هذا الذى أوجب لاجتناب ذلك القول ما تأولوا به الآية ومن تأمل الآية علم أن القول أولى بها ووجه الارتباط ان الآية تضمنت قواعد الدين علما وعملا واعتقادا فامر سبحانه فيها بالقسط هو الذى هو حقيقة شرعه ودينه وهو يتضمن التوحيد فانه أعدل العدل والعدل في معاملة الخلق والعدل في العبادة وهو الاقتصاد في السنة ويتضمن الامر بالاقبال على الله واقامة عبوديته في ثبوته ويتضمن الاخلاص له وهو عبوديته وحده لا شريك له فهذا ما فيها من العمل ثم أخير بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق واعادته فذلك الايمان بالمبدأ والمعاد ثم اخبر عن القدر الذى هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فتضمنت الآية الايمان بالقدر والشرع والمبدأ والمعاد والامر بالعدل والاخلاص ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الامر بانه قدوا للشيطان دون ربه وانه على ضلال وهو يحسب انه على هدى والله أعلم

نصل بسم الله الرحمن الرحيم وقال آخرون يعنى قوله كل مولود يولد على الفطرة ان الله فطرهم على الانكار والمعرفة وعلى الكفر والايمان فاخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال الست بربكم قالوا جميعا بلى فاما اهل السعادة فقالوا بلى على معرفة له طوعا من قلوبهم واما اهل الشقاء فقالوا بلى كرها غير طوع قالوا ويصدق ذلك قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) قالوا وكذلك قوله (كما بدأكم تمودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) قال محمد بن نصر المروزي سمعت اسحاق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى واحتج بقول ابى هريرة اقرأوا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال الحق نقول لا تبديل للخلق التي جبل عليها ولد آدم كلهم يعنى من الكفر والايمان والمعرفة والانكار واحتج بقوله تعالى (واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) الآية قال اسحاق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد واستنطقهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى قال انظروا ان لا تقولوا اننا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آبائنا من قبل وذكر حديث أبى بن كعب في قصة الغلام الذى قتله الخضر قال وكان الظاهر ما قال موسى اقلت نفسا زكية بغير نفس فاعلم الله الخضر ما كان الغلام عليه من الفطرة التي فطره عليها وانه لا تبديل لخلق الله فامر بقتله لانه كان قد طبع كافرا وفي صحيح البخارى ان ابن عباس كان يقرأها وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين قال اسحاق فلو ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس ولم يبين لهم حكم الاطفال لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين لانهم لا يدرون ما جبل كل واحد عاياه حتى اخرج من ظهر آدم فبين النبي صلى الله عليه وسلم حكم الاطفال في الدنيا بأن أبوا يهودانه وينصرانه ويمجسانه يقول اتم لانعامون ما طبع عليه في الفطرة الاولى لكن حكم العنقل في الدنيا حكم أبويه فاعرفوا ذلك بالابوين فمن كان صغيرا بين أبوين مسلمين الحق يحكم الاسلام وأما ايمان ذلك وكفره مما يصير اليه فلم ذاك الى الله ويعلم ذلك فضل الله الخضر في علمه هذا على موسى اذ أطلع الله عليه في ذلك الغلام وخصه بذلك قال ولقد سئل ابن عباس عن ولدان

للمؤمنين والمؤمنات فقال حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر قال اسحاق الا ترى الى قول عائشة حين مات صلى الله عليه وسلم بين ابوين مسلمين طوبى له عصفور من عصافير الجنة فرد عليها النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما باعاشة وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا قال اسحاق فهذا الاصل الذي يعتمد عليه اهل العلم وسئل حماد بن سامة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فقال هذا عندنا حيث اخذ العهد عليهم في اصلاب آبائهم قال ابن قتيبة يريد حين مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته الى يوم القيامة امثال الذر واشهدهم على انفسهم ائت بركم قالوا بلى قال شيخنا اصل مقصود الأئمة صحيح وهو منع احتجاج القدرية بهذا الحديث على نفى القدر لكن لا يحتاج مع ذلك ان يفسر القرآن والحديث الا بما هو مراد الله ورسوله ويجب أن يتبع في ذلك ما دل عليه الدليل وما ذكره ان الله فطرهم على الكفر والايمان والمعرفة والتكفر ان ارادوا به ان الله سبق في علمه وقدره بانهم سيؤمنون ويكفرون ويعرفون ويشكرون وان ذلك كان بمشيئة الله وقدره وخالقه فهذا حق ترده القدرية فغلطتهم يشكرون العلم وجميعهم يشكرون نعموم خالقه ومشيتته وقدرته وان ارادوا ان هذه المعرفة والتكفر كانت موجودة حين اخذ الميثاق كافي ظاهر المنقول عن اسحاق فهذا يتضمن شيئين أحدهما انهم حينئذ كانت المعرفة والايمان موجودا فيهم كما قال ذلك طوائف من الساف وهو الذي حكى اسحاق الاجماع عليه وفي تفسير الآيتين نزاع بين الأئمة وكذلك في خلق الارواح قبل الاجساد قولان معروفان لكن المقصود هنا ان هذا ان كان حقا فهو تأكيد لكونهم ولدوا على تلك المعرفة والافرار فهذا لا يخالف ما دلت عليه الاحاديث من أنه يولد على الفطرة وان الله خلق خلقه خفيا بل هو مؤيد لذلك وأما قول القائل انهم في ذلك الافرار انفسهم الى مطيع وكافر فهذا لم ينقل عن أحد من السلف فيما أعلم الا عن السدي في تفسيره قال لما اخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه ذرية يضاء مثل اللؤلؤ كثرة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كثرة الذر فقال ادخلوا النار ولا ابالي ذلك قوله وأصحاب اليمن وأصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بركم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التهمة فقال هو والملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فليس أحد من ولد آدم الا وهو يعرف الله بأنه ربه وذلك قوله عز وجل (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) وكذلك قوله (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين) يعني يوم اخذ الميثاق قال شيخنا وقيل هذا الاثر لا يوثق به فان في تفسير السدي أشياء قد عرف بطلان بعضها وهو ثقة في نفسه وأحسن احوال هذا وأمثاله أن يكون كالمراسيل ان كان مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وسلم فكيف اذا كان مأخوذا عن اهل الكتاب ولو لم يكن في هذا المعارضة لسائر الآثار التي تتضمن التسوية بين جميع الناس في الافرار لكفي واما قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) فلما هو في الاسلام الموجود منهم بعد خلقهم لم يقل انهم حين العهد الاول اسلموا طوعا وكرها يدل على ذلك ان ذلك الافرار الاول جملة الله عليهم حجة على من ينسب ولو كان فيهم كاره لم أقل طوعا وكرها فلا يقوم به عليه حجة واما احتجاج احمد بقول ابى هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي

فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فهذه الآية فيها قولان أحدهما ان معناها النفي كما تقدم عن ابن جرير انه فسرهما فقال أى لا تبدلوا دين الله الذى فطر عليه عباده وهذا قول غير واحد من المفسرين لم يذكروا غيره والثاني ما قاله اسحاق وهو انها خبر على ظاهرها وان خلق الله لا يبدله أحد وظاهر اللفظ خبر فلا يجعل نهايا بفعل حجة وهذا اصح وحينئذ فيكون المراد ان ما جباهم عليه من الفطرة لا يبدل فلا يجيئون على غير الفطرة لا يقع هذا أصلا والمعنى ان الخلق لا يتبدل فيخلقون على غير الفطرة ولم يرد بذلك ان الفطرة لا تتغير بعد الخلق بل نفس الحديث يبين انها تتغير ولهذا شبههم بالهيممة التي تولد جماعة ثم تجدد ولا تولد بهيمة مخصصة ولا مجدوعة وقد قال تعالى عن الشيطان ولا أمرهم فليغيرن خلق الله والله اقدر الخلق على ان يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيئته وانما تبديل الخلق بان يخلقوا على غير تلك الفطرة فهذا لا يقدر عليه الا الله والله لا يفعله كما قال لا تبديل لخلق الله ولم يقل لا تتغير فان تبديل الشيء يكون بذهابه وحصول بدله ولكن اذا غير بعد وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة واما قول القائل لا يتبدل للخلقة التي جبل عليها بنو آدم كلهم من كفر وايمان فان عني به ماسبق به القدر من الكفر والايمان لا يقع خلافه فهذا حق ولكن ذلك لا يقتضى ان تبديل الكفر بالايمان وبالعكس يتمتع ولانه غير مقدور بل العبد قادر على ما امره الله به من الايمان وعلى ترك ما نهاه عنه من الكفر وعلى ان يبدل حسنة بالسيئات وسيئة بالحسنات كما قال الله الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء وهذا التبديل كله بقضاء الله وقدره وهذا بخلاف ما فطر واعليه حين الولادة فان ذلك خلق الله الذى لا يقدر على تبدليه غيره وهو سبحانه لا يبدله بخلاف تبديل الكفر بالايمان وبالعكس فانه يبدله كثيرا والعبد قادر على تبدليه باقدار الرب له على ذلك ومما يوضح ذلك قوله تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) فهذه فطرة محدودة أمر الله بها نبيه فكيف تقسم الى كفر وايمان مع امر الله تعالى بها وقد تقدم تفسير الساف لا تبديل لخلق الله اى لدين الله أو للنبي عن الخصاوصحوة ولم يقل أحد منهم ان المعنى لا يتبدل لاحوال العباد من كفر الى ايمان وتكسبه فان تبديل ذلك موجود ومهما وقع كان هو الذى سبق به القدر والرب تعالى عالم بما سيكون لا يقع خلاف معلومه فاذا وقع التبديل كان هو الذى علمه وأما قوله عن الغلام انه طبع يوم صبح كافرا فالمراد به انه كتب كذلك وقدر وختم فهو من طبع الكتاب ولفظ الطبع لما صار يستعمله كثير من الناس في الطبيعة التي هي بمعنى الخلقة والهيئة ظن الظان ان هذا مراد الحديث وهذا الغلام الذى قتله الحضر ليس في القرآن ما يبين انه كان غير بالغ ولا مكلف بل قرأه ابن عباس عليه السلام على انه كان كافرا في الحال وتسميته غلاما لا يمنع أن يكون مكلفا قريب العهد بالصغر ويدل عليه ان موسى لم يشكر قتله لصغره بل لكونه زاكيا ولم يقتل نفسا لكن يقال في الحديث الصحيح ما يدل على انه كان غير بالغ من وجهين أحدهما انه قال فر بصبي ياب مع الصبيان الثاني انه قال ولو أدرك لارحق أبويه طغيانا وكفرا وهذا دليل على كونه لم يدرك بعد فيقال الكلام على الآية على التقديرين فان كان بالغنا وقد كفر فقد قتل على كفره الواقع بعد البلوغ ولا اشكال وان كان غير بالغ فامل تلك الشريعة كان فيها التكليف قبل الاحتلام عند قوة عقل الصبي وكل تمييزه وان لم يكن التكليف قبل البلوغ بالشرائع واقعا فلا يتمتع وقوعه بالتوحيد ومعرفة الله كما قاله ضوائف من

أهل الكلام والفتنة من أصحاب أبي حنيفة وأحمد وغيرهم وعلى هذا فيمكن أن يكون مكلفا بالإيمان قبل البلوغ وإن لم يكن مكلفا بشراعه وكفر الصبي المميز عندها كثر العلماء مؤاخذه به فإذا ارتد صار مرتدا لكن لا يقتل حتى يبلغ فالغلام الذي قتله الحنظرة أما أن يكون كافرا بعد البلوغ فلا إشكال وأما أن يكون غير بالغ وهو مكلف في تلك الشريعة فلا إشكال أيضا وأما أن يكون مكلفا بالتوحيد والمعرفة غير مكلف بالشرائع فيجوز قتله في تلك الشريعة وأما أن لا يكون مكلفا فقتل لثلاثين أبويه عن دينهما كما يقتل الصبي الكافر في ديننا إذا لم يندفع ضرره عن المسلمين الا بالقتل وأما قتل صبي لم يكفر بعد بين أبوين مؤمنين لعلم بأنه إذا بلغ كفر وقتل أبويه فقد يقال ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه وأيضا فإن الله لم يأمر أن يعاقب أحد بما يعلم أنه يكون منه قبل أن يكون منه ولا هو سبحانه يعاقب العباد على ما يعلم أنهم سيفعلونه حتى يفعلونه وقائل هذا القول يقول انه ليس في قصة الحنظرة شيء من الاطلاع على الغيب الذي لا يعلمه عموم الناس وإنما فيها علمه بأسباب لم يكن علم بها موسى مثل علمه بأن السفينة لمساكين يعملون ورائهم ملك ظالم وهذا أمر يعلمه غيره وكذلك كون الجدار كان لغلامين يتيمين وان ابائهما كان رجلا صالحا وان تحتهم كنزا لهما بما يمكن أن يعلمه كثير من الناس وكذلك كفر الصبي مما يمكن أنه كان يعلمه كثير من الناس حتى أبواه لكن لجهالة لا ينكران عليه أو لا يقبل منهما فإن كان الأمر على ذلك فليس في الآية حجة على قولهم أصلا وإن ذلك الغلام لم يكفر بعد ولكن سبق في العلم انه إذا بلغ كفر فمن يقول هذا يقول ان قتله دفعا لشربه كما قال نوح (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) وعلى هذا فلم يكن قبل قيام الكفر به كافرا وقراءه ابن عباس وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين ظاهرة انه كان حينئذ كافرا فان قيل فهذا الغلام كان أبواه مؤمنين فلو كان مولودا على فطرة الاسلام وهو بين أبوين مسلمين لكان مسلما تبعاهما وبحكم الفطرة فكيف يقتل والحالة هذه قيل ان كان بالغاً فلا إشكال وان كان مميزاً وقد كفر فصيح كفره وردته عند كثير من العلماء وأن لا يقتل حتى يبلغ عندهم فاعلم في تلك الشريعة يجوز قتل المميز الكافر وان كان صغيرا غير مميز فيكون قتله خلاصا به لأن الله أطلع الحنظرة على أنه لو بلغ لا يختار غير دين الابوين وعلى هذا يدل قول ابن عباس لنجدة وقد سأله عن قتل صبيان الكفار فقال لئن علمت فهم ما علمه الحنظرة من الغلام فقاتلهم فان قيل اذا كان مولودا على الفطرة وأبواه مؤمنين فمن أين جاء الكفر قيل انما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك على الغالب والا فالكفر قد يأتيه من قبل غير أبويه فهذا الغلام ان كان كافرا في الحال فقد جاء الكفر من غير جهة أبويه وان كان المراد أنه اذا بلغ سيكفر باختياره فلا إشكال (فصل) وأما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم قابوا بهودانه وينصرانه ويجسانه أنه أراد به مجرد اللاحق في أحكام الدنيا دون أن يكون أراد انهما يغيران الفطرة فهذا خلاف ما يدل عليه الحديث فإنه شبه تكفير الاطفال بجمع البهائم تشبيها بالتغيير والتغيير وأيضا فإنه ذكر هذا الحديث لما قتل أولاد المشركين فقامهم عن قتالهم وقال اليس خباركم أولاد المشركين كل مولود يولد على الفطرة فلو أراد أنه تابع لأبويه في الدنيا لكان هذا حجة لهم يقولون هم كفار كابائهم وكون الصديق يتبع أبواه في أحكام الدنيا هو ضرورة بقاءه في الدنيا فإنه لا بد له من رب يربيه وانما يربيه أبواه فكان

تأبعا لهما ضرورة ولهذا من سب منفردا عنهما صار تابعا لسأبه عند جمهور العلماء كابي حنيفة والشافعي وأحمد والاوزاعي وغيرهم لكونه هو الذي يريه وإذا سب منفردا عن أحدهما أو معهما ففيه نزاع بين العلماء واحتجاج الفقهاء كأحمد وغيره بهذا الحديث على أنه متى سب منفردا عن أبويه بصير مسلما إذا يستلزم أن يكون المراد بكفر الابوين لهما بمجرد لحاقه لهما في الدين ولكن وجه الحجة أنه إذا ولد ولد على الملة فأنما ينقله عنه الابوان اللذان يغيرانه عن الفطرة فبقي سباه المسلمين منفردا عنهما لم يكن هناك من يغير دينه وهو مولود على الملة الحنيفة فيصير مسلما بال مقتضى السلم عن المعارض ولو كان الابوان يجملان كافر في نفس الامر بدون تعليم وتلقين لكان الصبي المسي بمنزلة البالغ الكافر ومعلوم ان البالغ الكافر اذا سباه المسلمون لم يصير مسلما لانه صار كافرا حقيقة فلو كان الصبي التابع لأبويه كافرا حقيقة لم ينقل عن الكفر بالسبأ فملم أنه كان يجري عليه حكم الكفر في الدنيا تبعا لأبويه لأنه صار كافرا في نفس الأمر تبين ذلك أنه لو سباه كفار ولم يكن معه أبواه لم يصير مسلما فهو هنا كافر في حكم الدنيا وان لم يكن أبواه هوداه ونصره فملم ان المراد بالحديث ان الابوين يلتقاه الكفر ويعلمانه إياه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الابوين لانهما الاصل العام الغالب في تربية الاطفال فان كل طفل فلا بد له من أبوين وهما اللذان يربانه مع بقائهما وقدرتهما ومما يبين ذلك قوله في الحديث الآخر كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاما شاكرا واما كفورا فجعله على الفطرة الى أن يعقل ويميز فحينئذ يتبين له أحد الأمرين ولو كان كافرا في الباطن بكفر الابوين لكان ذلك من حين يولد قبل أن يعرب عنه لسانه وكذلك قوله في الحديث الصحيح اني خلقت عبادى حنفاء فاختلأهم الشيطان وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا صريح في أنهم خلقوا على الحنيفة وان الشياطين اختلأهم وحرمت عليهم الحلال وأمرتهم بالشرك فلو كان الطفل يصير كافرا في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع أبويه في الدين قبل أن يعلمه أحد الكفر وينقله إياه لم تكن الشياطين هم الذين غيروهم عن الحنيفة وأمرهم بالشرك

(فصل) ومنشأ الاشتباه في هذه المسئلة اشتباه أحكام الكفر في الدنيا بأحكام الكفر في الآخرة فان أولاد الكفار لما كان تجري عليهم أحكام الكفر في الدنيا مثل ثبوت الولاية عليهم لأبائهم وحضانتهم لهم ويمكنهم من تعليمهم وتأديبهم والموازاة بينهم وبين نبيهم واسترقاقهم وغير ذلك صار يظن من يظن أنهم كفار في نفس الامر كالذى تكلم بالكفر وعمل به ومن هاهنا قال محمد بن الحسن ان هذا الحديث وهو قوله كل مولود يولد على الفطرة كان قبل أن تنزل الأحكام فاذا عرف أن كونهم ولدوا على الفطرة لا ينافي أن يكونوا تبعا لأبائهم في أحكام الدنيا وقد زالت الشبهة وقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن بكم إيمانه ولا يعلم المسلمون حاله فلا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن مع المشركين وهو في الآخرة من أهل الجنة كما أن المنافقين في الدنيا تجري عليهم أحكام المسلمين وهم في الدرك الأسفل من النار فكذلك الدار الآخرة غير حكم الدار الدنيا وقوله كل مولود يولد على الفطرة انما أراد به الاخبار

بالحقيقة التي خلقوا عليها وعلى الثواب والعقاب في الآخرة اذا عملوا بموجبها وسلمت عن المعارض ولم يرد به الاخبار باحكام الدنيا فانه قد علم بالاضطرار من شرع الرسول ان اولاد الكفار تبع لآبائهم في احكام الدنيا وان اولادهم لا ينزعون منهم اذا كانوا ذمة فان كانوا محاربين استرقوا ولم يتنازع المسلمون في ذلك لكن تنازعوا في الطفل اذا مات ابواه او أحدهما هل يحكم باسلامه وعن أحمد في ذلك ثلاث روايات احدها ان يحكم باسلامه بموت الابوين أو أحدهما لقوله قابواه يهودانه وينصرانه وهذا ليس معه أبواه وهو على الفطرة وهي الاسلام لما تقدم فيكون مسلما والثانية لا يحكم باسلامه بذلك وهذا قول الجمهور قال شيخنا وهذا القول هو السوابق هو اجماع قديم من السلف والخلف بل هو ثابت بالسنة التي لا ريب فيها فقد علم أن اهل الذمة كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ووادي القرى وخيبر ونجران واليمن وغير ذلك وكان فيهم من يموت وله ولد صغير ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم عليه باسلام أهل الذمة ولا حلفاءه وأهل الذمة كانوا في زمانهم طبق الارض بالشام ومصر والعراق وخراسان وفيهم من يتأمامهم عدد كثير ولم يحكموا باسلام واحد منهم فان عقد الذمة اقتضى ان يتولى بعضهم بعضا فهم يتولون حضنة يتأمامهم كما كان الابوان يتولون تربيتهم وأحمد يقول ان الذمي اذا مات ورثه ابنه الطفل مع قوله في إحدى الروايات أنه يصير مسلما لأن اهل الذمة مازال اولادهم يرثوهم لأن الاسلام حصل مع استحقاق الارث لم يحصل قبله ونص على أنه اذا مات الذمي عن حمل منه لم يرثه للحكم باسلامه قبل وضعه وكذلك لو كان الحمل من غيره كما اذا مات وخلف امرأة ابنة او اخيه حاملا فاسلمت أمه قبل وضعه لم يرثه لأننا حكمنا باسلامه من حين اسلمت أمه وكذلك هناك حكمنا باسلامه من حين مات أبوه وقد وافق الامام احمد الجمهور على ان الطفل اذا مات ابواه في دار الحرب لا يحكم باسلامه ولو كان موت الابوين يجعله مسلما يحكم الفطرة الاولى لم يفترق الحال بين دار الحرب ودار الاسلام لوجود مقتضى للاسلام وهو الفطرة وعدم المانع وهو الابوان وقد التزم بعض اصحاب الحكم باسلامه وهو باطل قطعا اذ من المعلوم بالضرورة ان اهل الحرب فيهم من بلغ يتيم لغيره واحكام الكفار المحاربين جارية عليهم والرواية الثالثة ان كفله اهل دينه فهو باق على دين ابويه وان كفله المسلمون فهو مسلم نص عليه في رواية يعقوب بن بختان (١) كما ذكره الحلال في جامعه عنه قال سئل ابو عبد الله عن جارية نصرانية لقوم فولدت عندهم ثم ماتت ما يكون الولد قال اذا كفله المسلمون ولم يكن له من يكفله الا هم فهم مسلمون قيل له فان مات بعد الام بقليل قال يدفعه المسلمون وقال في رواية ابى الحارث في جارية نصرانية لرجل مسلم لها زوج نصراني فولدت عنده وماتت عند المسلم وبقي ولدها عنده ما يكون حكم هذا الصبي قال اذا كفله المسلمون فهو مسلم وهذه الرواية ان لم يذكرها عامة الاصحاب وهي من جامع الحلال فهي اصح الاقوال في هذه المسئلة دليلا وهي التي تختارها وبها تجتمع الادلة فان الطفل يتبع ماله وسايه فكذلك يتبع كافله وحاضنه فانه لا يستقل بنفسه بل لا بد له ممن يتبعه ويكون معه فتبعته لحاضنه وكافله أولى من جعله كافرا بكون أبويه كافرين وقد انقطعت تبعته لهما بخلاف

(١) هكذا بالأصل ويعبر

ماذا كفله اهل دين الابوين فانهم يقومون مقامهما ولا اثر لفقد الابوين اذا كفله جده أو وجدته أو غيرهما من اقاربه فهذا القول أرجح في النظر والله اعلم وليس المقصود ذكر هذه المسائل وما يصير به الطفل مسلما فانا قد استوفيناها في كتابنا في احكام اهل الملل بادلها واختلاف العلماء من السلف والخلف فيها وذكر ما أخذهم وانما المقصود ذكر الفطرة وانما هي الخيفية وانما لا تنافي القدر السابق بالشقاوة والله اعلم

فصل قال ابو عمر وقال آخرون في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الفطرة هاهنا كفرا ولا ايمانا ولا معرفة ولا انكارا وانما أراد ان كل مولود يولد على السلامة خالقة وطبعها بنية ليس معها كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار ثم يعتقد الكفر أو الايمان بعد البلوغ اذا ميز واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سالمة هل تحسون فيها ن جدعاء يعني مقطوعة الاذن فمثل قلوب بني آدم بالبهايم لانها تولد كاملة الخلق لا يتبين فيها نقصان ثم تقطع آذانها بعد وانوفها فيقال هذه السوايب وهذه البحائر يقول كذلك قلوب الاطفال في حين ولادتهم ليس لهم حينئذ كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار كالبهايم السالمة فلما بلغوا استبهتهم الشياطين فكفروا كثرهم وعصم الله اقايم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا على شيء من الكفر والايمان في اولية امرهم ما اتفقوا عنه ابدا فقد تجددهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون قالوا ويستحيل في العقول ان يكون الطفل في حال ولادته يفعل كفرا أو ايمانا لأن الله اخبر جهنم من بطون امهاتهم لا يعلمون شيئا فمن لم يعلم شيئا استحال منه كفر أو ايمان او معرفة او انكار قال ابو عمر هذا القول اصح ما قيل في معنى الفطرة التي تولد الولدان عليها وذلك ان الفطرة السلامة والاستقامة بدليل قوله تعالى في حديث عياض بن حماد اني خلقت عبادي حنفاء يعني على استقامة وسلامة وكأنه والله اعلم اراد الذين خالصوا من الآفات كلها والمعاصي والطاعات فلا طاعة منهم ولا معصية اذا لم يعملوا بواحدة منهما ومن الحجة أيضا في هذا قول الله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) وكل نفس بما كسبت رهينة) ومن لم يبلغ وقت العمل يبرهن بشيء قال تعالى (وما كنا معذبين حتى ننبئ رسولا) قال شيخنا هذا القائل ان اراد بهذا القول انهم خالقوا خالين من المعرفة والانكار من غير أن تكون الفطرة تنقض واحدا منهما بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر وهذا هو الذي يشعر به ظاهر الكلام فهذا قول فاسد لانه حينئذ لا فرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة والانكار والتهويد والتصير والاسلام وانما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغي أن يقال فايوا يسلمانه ويهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما ذكر أن أبويه يكفراه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل عن حكم الكفر وأيضا فانه على هذا التقدير لا يكون في القلب سلامة ولا عطب والاستقامة ولا ريب ان نسبته الى كل منهما نسبة واحدة وليس هو باحدهما باولي منه بالآخر كما ان الواح قبل الكتابة لا يثبت له حكم مدح ولا ذم فإكان قابلا للمدح والذم على السواء لم يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى

يقول (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) فافهمه بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها فكيف لا تكون ممدوحة وأيضاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المقتضية الخلق وشبه ما طرأ عليها من الكفر بجدة الانث والاذن ومعلوم ان كاهلها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل القص لا محمود ولا مذمومة

(فصل) وان كان المراد بهذا القول ما قاله طائفة من العلماء ان المراد انهم ولدوا على الفطرة السليمة التي لو تركت مع صحتها لاختارت المعرفة على الانكار والايان على الكفر ولكن بما عرض لها من الفساد خرجت عن هذه الفطرة فهذا القول قد يقال لا يرد عليه ما يرد على القول الذي قبله فان صاحبه يقول في الفطرة قوة تميل بها الى المعرفة والايان كما في البدن السليم قوة يحب بها الاغذية النافعة وبهذا كانت محمود وذم من افسدها لكن يقال فهذه الفطرة التي فيها هذه القوة والقبول والاستعداد والصلاحية هل هي كافية في حصول المعرفة أو تقتض المعرفة على أدلة من خارج فان كانت المعرفة تقتض على أدلة من خارج أمكن أن يوجد تارة ويعدم أخرى ثم ذلك السبب يتمتع أن يكون موجبا للمعرفة بنفسه بل غاية أن يكون معرفا ومذكرا فعند ذلك ان وجب حصول المعرفة كانت واجبة لحصول عند وجود ذلك الاسباب والافلا وحينئذ فلا يكون فيها الا قبول المعرفة والايان وحينئذ فلا فرق فيها بين الايمان والكفر والمعرفة والانكار انما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج وهذا هو القسم الاول الذي ابطلناه وبيننا انه ليس في ذلك مدح للفطرة وأما ان كان فيها قوة تقتضي المعرفة بنفسها وان لم يوجد من يعاينها أدلة المعرفة فيها بدون ما يسمعه من الادلة سواء قيل ان المعرفة ضرورية فيها أو قيل انها تحصل باسباب تنظم في النفس وان لم يسمع كلام مستدل فان النفس قد يقوم بها من النظر والاستدلال ما يحتاج معه الى كلام الناس فان كان كل مولود يولد على هذه الفطرة لزم أن يكون المقتضى للمعرفة حاصل لكل مولود وهو المطلوب والمقتضى التام مستلزم مقتضاه فبين أن احد الامرين لازم اما كون الفطرة مستلزما للمعرفة وأما استواء الامرين بالنسبة اليها وذلك بنفي مدحها وتلخيص ذلك أن يقال المعرفة والايان بالنسبة اليها يمكن بل اريب فما أن تكون هي موجبة مستلزما لذلك وأما أن لا تكون مستلزما له فلا يكون واجبا لها فان كان الثاني لم يكن فرق بين الكفر والايان بالنسبة اليها أو كلاهما يمكن لها فثبت ان المعرفة لازمة لها الان يعارضها معارض فان قيل ليست موجبة مستلزما للمعرفة ولكن هيء اليها الميل مع قبولها للتكرة قيل فحينئذ اذا لم تستلزم المعرفة وجدت تارة وعدم تارة وهي وحدها لا يحصلها فلا يحصل الا بشخص آخر كالأبوين فيكون الاسلام والتهويد والتنصير والتجسس ومعلوم ان هذه أنواع بعضها ابعد عن الفطرة من بعض كالتجسس فان لم تكن الفطرة مقتضية للاسلام صار نسبته الى ذلك كنسبة التهويد والتنصير الى التجسس فوجب أن يذكر كما ذكر ذلك ويكون هذا كالمكون الفطرة لا يقتضي الرضاع الاسباب منفصل وليس كذلك بل الضغل يختار مص اللبن بنفسه فاذا مكن من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة فارتضاعه ضروري اذا لم يوجد معارض وهو مولود

على أن يرضع فكذلك هو مولود على أن يعرف الله والمعرفة ضرورية لاحتمال اذا لم يوجد معارض
وأياها فان حب النفس لله وخضوعها له واخلاصها له مع الكفر به والشرك والاعراض عنه ونسيان
ذكره اما أن يكون نسبتهما الى الفطرة سواء أو الفطرة مقتضية للاول دون الثاني فان كانا سواء
لزم اتقاء المدح كالتقدم وان لم يكن فرق بين دعائها الى الكفر ودعائها الى الايمان ويكون تمجيدها
كتحفيها وقد عرف بطلان هذا وان كان فيها مقتضى لهذا فاما أن يكون مقتضى مستلزم للمقتضاه
عند عدم المعارض واما ان يكون متوقفا على شخص خارج عنها فان كان الاول ثبت ذلك من لوازمها
وانها مفطورة عليه لا يفقد الا اذا فسد الفطرة وان قدر انه متوقف على شخص فذلك الشخص
هو الذي يجعلها حنيفة كما يجعلها مجوسية وحينئذ فلا فرق بين هذا وهذا واذا قيل هي الى الحنيفة
أميل كان كما يقال هي الى غيرها أميل فتبين أن فيها قوة موجبة لحب لله والذلة واخلاص الدين
له وانها موجبة لمقتضاه اذا سلمت من المعارض كما أن فيها قوة تقتضي شرب اللبن الذي فطرت
على محبته وطلبه مما يبين هذا ان كل حركة ارادية فان الموجب لها قوة في المريد فاذا أمكن في
الانسان أن يحب الله ويعبده ويخلص له الدين كان فيه قوة تقتضي ذلك اذ الافعال الارادية
لا يكون سببها الا من نفس الحى المريد الفاعل ولا يشترط في ارادته الا مجرد الشعور بالمراد
فما في النفوس من قوة المحبة له اذا شعرت به تقتضي حبه اذا لم يحصل معارض وهذا موجود
في محبة اطعمة والاشربة والنسكاح والعلم وغيرها وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والاخلاص
والذل له والخضوع وان فيها قوة الشعور به فيأزم قطعاً وجود المحبة له والتعظيم والخضوع بالفعل
لوجود مقتضى اذا سلم عن المعارض وتبين أن المعرفة والمحبة لا يشترطيهما وجود شخص منفصل
وإن كان وجوده قد يذكر ويحرك كالوخطوب الجائع أو الظمآن بوصف طعام أو خطوب المغتلم
بوصف النساء فان هذا مما يذكر ويحركه ويثير شهوته الكامنة بالقوة في نفسه لأنه يحدث له نفس
تلك الارادة والشهوة بعد ان لم تكن فيه فيجعلها موجودة بعد ان كانت عدماً فكذلك الاسباب
الخارجة عن الفطرة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق ومحبته وتعظيمه والخضوع
له وان كان ذلك مذكراً ومحركاً ومنها ومزبلاً للمعارض المانع ولذلك سمى الله سبحانه ما كمل به
موجبات الفطرة بذكراً وذكرى وجعل رسوله مذكراً فقال (فذكر انما أنت مذكر) وقال
(فذكر ان نعت الذكري) وقال (وما يتذكر الامن ينيب) وقال (وما يتذكر الا اولو الالباب)
وقال (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال
(فاثما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون) وهذا كثير في القرآن يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما
هو مركز في فطرهم من معرفته ومحبته وتعظيمه واجباله والخضوع له والاخلاص له ومحبة
شرعه الذي هو العدل المحض وايماره على ما سواه فالفطر مركز فيها معرفته ومحبته والاخلاص له
والاقرار بشرعه وايماره على غيره فهي تعرف ذلك وتشعر به بجملاً ومنفصلاً بعض التفصيل بخلاف
الرسول تذكرها بذلك وتبينها عليه وتفضله لها وتبينه وتعرفها الاسباب المعارضة لموجب الفطرة

المانعة من اقتنائها أثرها وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل فانها أمر بمعروف ونهى عن منكر وباحة طيب وتحريم خبيث وأمر بعديل ونهى عن ظلم وهذا كله مركز في الفطرة وكال تفصيله وتبيينه موقوف على الرسل وهكذا باب التوحيد واثبات الصفات فان في الفطرة الاقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه لاخالق سبحانه ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلاق خلافا لمن قال من المتكلمين انه لم يقم دليل عقلى على تنزيهه عن النقائص وانما علم بالاجماع

قبحا لهايتك العقول فانها عقل على أصحابها ووبال

فليس في العقول أبين ولا اجلى من معرفتها بكمال خالق هذا العالم وتنزيهه عن العيوب والنقائص وجاءت الرسل بالتذكيرة بهذه المعرفة وتفصيلها وكذلك في الفطر الاقرار بسعادة النفوس البشرية وشقاوتها وجزائها بكسبها في غير هذه الدار وأما تفصيل ذلك الجزاء والسعادة والشقاوة فلا تعلم الا بالرسول وكذلك فيها معرفة العدل ومحبة وإيثاره وأما تفاصيل العدل الذي هو شرع الرب تعالى فلا يعلم الا بالرسول فالرسول يذكر بما في الفطر وتفصيله وتبينه ولهذا كان العقل الصريح موافقا للنقل الصحيح والشرعة مطابقة للفطرة يتصادقان ولا يتعارضان خلافا لمن قال اذا تعارض العقل والوحي قدمنا العقل على الوحي

فقبحا لعقل ينقض الوحي حكمه ويشهد حقا انه هو كاذب

والمقصود ان الله فطر عباده على فطرة فيها الاقرار به ومحبة والاخلاص له والابانة اليه واجلاله وتعظيمه وان الشخص الخارج عنها لا يحدث فيها ذلك ويجعلها فيها بعد ان لم يكن وانما يذكرها بما فيها وينبها عليه ويحركها له وبضله لها وبينه ويعرفها الاسباب المقتوية والاسباب المعارضة له والممانعة من كماله كما أن الشخص الخارج لا يجعل في الفطرة شهوة اللبث عند الرضاع والاكل والشرب والنكاح وانما تذكر النفس وتحركها لمسا هو مركز فيها بالقوة

فصل ١٠ ومما يبين ذلك ان الاقرار بالصانع مع خلو القلب عن محبة والخضوع له والاخلاص الدين له لا يكون نافعا بل الاقرار به مع الاعراض عنه وعن محبة وتعظيمه والخضوع له أعظم استحقاقا للعذاب فلا بد ان يكون للفطرة مقتض للعلم ومقتض للمحبة والحببة مشروطة بالعلم فان مالا يشعر به الانسان لا يحبه والحب للمجربوبات لا يكون بسبب من خارج بل هو جبرى فطرى فاذا كانت المحبة جبيلية فطرية فشرطها وهو المعرفة أيضا جبرى فطرى فلا بد ان يكون في الفطرة محبة الخالق مع الاقرار به وهذا أصل الخليفة التي خلق الله خلقه عليها وفطرته فطرتهم عليها فلم ان الخيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها والحب لله والخضوع له والاخلاص هو اصل أعمال الخيفية وذلك مستانم للاقرار والمعرفة لازم اللازم لازم وملزوم الملزوم ملازوم فالفطرة ملازمة لهذه الاحوال وهذه الاحوال لازمة لها

فصل ١١ فقد تبين دلالة الكتاب والسنة والآثار وانما السلف على ان الخالق مفعولون

على دين الله الذي هو معرفته والاقرار به ومحبهه والخضوع له وان ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها
يجب حصوله فيها ان لم يحصل مايعارضه ويتقضى حصول ضده وان حصول ذلك فيها لايقف على
وجود شرط بل على انتفاء المانع فاذا لم يوجد فهو لوجود منافية لاعدم مقتضيه ولهذا لم يذكر النبي
صلى الله عليه وسلم لوجود الفطرة شرطا بل ذكر ماينع موجبها حيث قال فايوايهودانه وينصرانه
ومجسانه فحصول هذا البويد والتنصير موقوف على اسباب خارجة عن الفطرة وحصول الخيفية
والاخلاص ومعرفة الرب والخضوع له لايتوقف اصله على غير الفطرة وان توقف كماله وتقصيه
على غيرها وبالله التوفيق

فصل في قوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى اني خلقت عبادي
حنفاء فاختلهم الشياطين وحرمت عليهم ماأحلت لهم تضمن اصلين عظيمين مقصودين لانفسهما
ووسيلة تعين عليهما أحدهما عبادته وحده لاشريك له والثاني انما يعبد بما شرعه وأجبه وأمر به
وهذان الاصلان هما المقصود الذي خاق له الخاق فصدهما الشرك والبدع فالشرك يعبد مع الله
غيره وصاحب البدعة يتقرب الى الله بما لم يأمر به ولم يشرعه ولاأجبه وجعل سبحانه حل الطيبات
مما يستعان به على ذلك ويتوسل به اليه فمدار الدين على هذين الاصلين وهذه الوسيلة فاخبر سبحانه
ان الشياطين أقطعت عبادته عن هذا المقصود وعن هذه الوسيلة فامرهم أن يشركوا به ما لم ينزل به
سلطانا وهذا يتناول الاشراك بالمعبود الحق بان يعبد معه غيره والاشراك بعبادته الحقة بان يعبد بغير شرعه وكثيرا
مايجتمع الشركان فيعبد المشرك معه غيره بعبادة لم يشرع سبحانه أن يعبد به او قد ينفرد أحد المشركين
فيشرك به غيره في نفس العبادة التي شرعها أو يعبد وحده بعبادة شركية لم يشرعها أو يتوسل الى عبادته
بتحريم ماأحله وقد ذم الله سبحانه المشركين على هذين النوعين في كتابه في سورة الانعام والاعراف
 وغيرهما يذكر فيها ذمهم على ما حرموه من المطاعم والملابس وذمهم على ما شركوا به من عبادة
غيره أو على ما بدعوه من عبادته بما لم يشرعه وفي المسند أحب الدين الى الله الخيفية السمحة
ففي خيفية في التوحيد وعدم الشرك سمحة في العمل وعدم الاصار والاغلال بتجرعهم من الطيبات
الحلال فيعبد سبحانه بما أحبه ويستعان على عبادته بما أحله قال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا) وهذا هو الذي فطر الله عليه خلقه وهو محبوب لكل أحد مستقرسته في
كل فطرة فانه يتضمن التوحيد واخلاص القصد والحب لله وحده وعبادته وحده بما يجب أن يعبد
به والامر بالمعروف الذي تحبه القلوب والنهي عن المنكر الذي تبغضه وتنفر منه ويحلم الطيبات
الثافية وتحريم الخبائث الضارة

فصل في هذا أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أن كل مولود يولد على الفطرة
الخيفية هو الذي تقوم الدلالة العقلية على صحته وانه كما أخبر به الصادق المصدوق ومن خالف ذلك
فقد غلط ويان ذلك من وجوه * أحدها ان الانسان قد يحصل له من الاعتقادات والارادات
مايكون حقا وقد يحصل له منها مايكون باطلا اذا اعتقاداته قد تكون مطابقة لمعتقدا وهي الحق

والخير عنها يسمى صدقا وقد تكون غير مطابقة وهي الباطل والخير عنها يسمى كذبا والارادات تنقسم الى ماتكون نافعة له متضمنة لمصلحته ومرادها هو الخير والحسن والى ما هو ضارة له مخالفة لمصلحته ومرادها هو الشر والقبح واذا كان الانسان تارة يكون معتقدا للحق مريدا للخير وتارة يكون معتقدا للباطل مريدا للشر فلا يخلو اما أن تكون نسبة نفسه الباطنة الى النوعين نسبة واحدة بحيث لا يكون فيها مرجحا لاحدهما على الآخر أو تكون نفسه مرجحة لاحد الامرين على الآخر فان كان الاول لزم أن لا يوجد أحد النوعين الا بمرجح منفصل عنه فاذا قدر رجحان أحدهما ترجح هذا والآخر ترجح هذا فلما ان ينكافأ المرجحان أو يترجح أحدهما فان نكافأ لزم أن لا يحصل واحد منهما وهو خلاف المعلوم بالضرورة فانما نعلم أنه اذا عرض على كل أحد ان يعتقد الحق ويصدق وان يريد ما ينفعه وعرض عليه ان يعتقد الباطل ويكذب ويريد ما يضره مال بفطرته الى الاولى ونظر عن الثاني فم لم ان فطرة الانسان قوة تقتضى اعتقاد الحق واردة للخير وحينئذ الاقرار بوجود فطرته وخالفه ومعرفته ومحبه والايمان به وتعظيمه والاخلاص له اما أن يكون من النوع الاول أو الثاني وكونه من الثاني معلوم الفساد بالضرورة فتعين أن يكون من الاول وحينئذ فيجب ان يكون في الفطرة ما يقتضى محبه ومعرفته والايمان به والتوسل اليه بمحابه* الوجه الثاني ان عبادته وحده بما يحبه اما أن يكون أكمل للناس علما وقصدا أو الاشراك به أكمل والثاني معلوم الفساد بالضرورة فتعين الاول وهو أن يكون في الفطرة مقتضى يقتضى توحيدها وأهلها وتعظيمه* الوجه الثالث ان الحنيفية التي هي دين الله ولا دين له غيرها اما أن تكون مع غيرها من الاديان متماثلين أو الحنيفية أرجح أو تكون مرجوحة والاول والثالث باطلان قطعاً فوجب أن يكون في الفطرة مرجح يرجح الحنيفية وامتنع أن يكون نسبتها ونسبة غيرها من الاديان الى الفطرة سواء* الوجه الرابع انه اذا ثبت ان في الفطرة قوة تقتضى طلب معرفة الحق وإثاره على ماسواه وأن ذلك حاصل مركز فيها من غير تعلم الابوين ولا غيرها بل لو فرض ان الانسان تربى وحده ثم عقل وميز لوجد نفسه مائلة الى ذلك نافرة عن ضده كما يجحد الصبي عند أول تمييزه يعلم ان الحوادث لا بد له من محدث فهو يلتفت اذا ضرب من خلقه لملمه ان تلك الضربة لا بد لها من ضارب فاذا شعر به بكى حتى يقتضى له منه فيسكن فقد ركز في فطرته الاقرار بالاصانع وهو التوحيد ومحبة القصاص وهو العدل واذا ثبت ذلك ثبت ان نفس الفطرة مقتضية لمعرفته سبحانه ومحبه واحلاله وتعظيمه والخضوع له من غير تعليم ولا دعاء الى ذلك وان لم يكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك بل يحتاج كثير منهم الى سبب معين للفطرة مقولها وقد بينا ان هذا السبب لا يحدث في الفطرة مالم يكن فيها بل بعينها ويذكرها ويقويه فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين يدعون العباد الى موجب هذه الفطرة فاذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة عن مقتضاها استجابت لدعوة الرسل ولا بد بما فيها من المقتضى لذلك كمن دعا جأماً أو ظمأ الى شراب وطعام لذيق نافع لا تبعه فيه عليه ولا يكلفه ثمنه فانه مالم يحصل هناك مانع فانه يحبيه ولا بد* الوجه الخامس انا نعلم بالضرورة ان الطفل حين ولادته ليس له معرفة بهذا الامر ولا عنده ارادة له ويعلم انه كلما حصل فيه قوة العلم والارادة

حصل له من معرفته بره ومحبه ما يناسب قوة فطرته وضعتها وهذا كما يشاهد في الاطفال من محبة جاب المنافع ودفع المضار بحسب كمال التمييز وضعته فكلامهما أمر حاصل مع النشأة على التدريج شيئاً فشيئاً الى ان يصل الى حده الذي ليس في الفطرة استعداد لاكثر منه لكن قد يتفق لكثير من الفطر موانع متنوعة تحول بينها وبين مقتضاها وموجبه الوجه السادس انه من المعلوم ان النفوس اذا حصلت لها معلم وداع حصل لها من العلم والارادة بحسبه ومن المعلوم ان كل نفس قابلة لمعرفة الحق وارادة الخير ومجرد التعاليم لا يوجب تلك القابلية فلو لا ان في النفس قوة تقبل ذلك لم يحصل لها القبول فان حصوله في المحل شروط مقبولة له وذلك القبول هو كونه مهياً له مستعداً لحصوله فيه وقد بينا انه يمتنع أن يكون سببه ذلك وضده الى النفس سواء * الوجه السابع انه من المعلوم مشاركة الانسان لنوع الحيوان في الاحساس والحركة الارادية وحسب الشعور وان الحيوان البهيم قد يكون أقوى احساساً وحياةً وشعوراً من الانسان وليس يقابل لما الانسان قابل له من معرفة الحق وارادته دون غيره فلو لا قوة في الفطرة والنفس الناطقة اختص بها الانسان دون الحيوان يقبل بها أن يعرف الحق ويريد الخير لكان هو والحيوان في هذا العدم سواء وحينئذ يلزم أحد أمرين كلامهما ممتنع اما كون الانسان فاقد هذه المعرفة والارادة كغيره من الحيوانات أو تكون خاصة لها كحصولها للانسان فلو لا ان في الفطرة والنفس الناطقة قوة تقتضي ذلك لما حصل لها ولو كان بغير قوة ومقتضى منها لا يمكن حصوله للجمادات والحيوانات لكن فطرها وبارئها خصها بهذه القوة القابلية وفطرها عليها يوضحه * الوجه الثامن انه لو كان السبب بمجرد التعاليم من غير قوة قابلة لحصل ذلك في الجمادات والحيوانات لأن السبب واحد ولا قوة هناك يهيئ بها هذا المحل من غيره فلم ان حصول ذلك في محل دون محل هو لاختلاف القوابل والاستعدادات * الوجه التاسع ان حصول هذه المعرفة والارادة في العدم المحض محال فلا بد من وجود المحل وحصوله في موجود غير قابل محال بل لا بد من قبول المحل وحصوله من غير مدد من الفاعل الى القابل فلو قطع الفاعل امداده لذلك المحل القابل لم يوجد ذلك المقبول فلا بد من اليجاد والاعداد والامداد فاذا استحال وجود القبول من غير إيجاد المحل استحال وجوده من غير اعداده وامداده والخالق العليم سبحانه هو الموجد المعد الممد * الوجه العاشر انه من المعلوم ان النفس لا توجب بنفسها لنفسها حصول العلم والارادة بل لا بد فيها من قوة يقبل بها ذلك لا تكون هي المعطية لتلك القوة وتلك القوة لا تتوقف على أخرى والالزم التسلسل الممتنع والدور الممتنع وكلامهما ممتنع فهاتان ثلاثة أمور أحدها وجود قوة قابلة الثاني ان تلك القوة ليست هي المعطية لها الثالث ان تلك القوة لا تتوقف على قوة أخرى حينئذ يلزم أن يكون فطرها وبارئها قد فطرها على تلك القوة وأعدها بها لقبول ما خلت له وقد علم بالضرورة ان نسبة ذلك اليها وضده ليسا على السواء * الوجه الحادي عشر انا لو فرضنا توقف هذه المعرفة والمحبة على سبب خارج أليس عند حصول ذلك السبب يوجد في الفطرة ترجيح ذلك ومحبه على ضده فهذا الترجيح والمحبة والاامر مركوز في الفطرة * الوجه الثاني عشر انا لو فرضنا انه لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج لكانت الفطرة مقتضية لارادة المصلح واثاره على مساواه واذا كان مقتضى موجودا والمنافع منقودا وجب حصول الاثر فانه لا يتخلف الالعدم مقتضيه أو لوجود مانعه

فاذا كان المنافع زائلا حصل الاثر بالمقتضى السالم عن المعارض المقاوم* انوجه الثالث عشر ان السبب الذي في الفطرة لمعرفة الله ومحبته والاخلاص له اما أن يكون مستازما لذلك واما أن يكون مقتضيا بدون استازام أو يستحيل أن لا يكون له أثر البتة وعلى التقديرين يترتب أثره عليه اما وحده على التقدير الاول واما بانضمام أمر آخر اليه على التقدير الثاني* الوجه الرابع عشر ان النفس الناطقة لا تخلو عن الشعور والارادة بل هذا الخلف متمتع فيها فان الشعور والارادة من لوازم حقيقتها فلا يتصور الا أن تكون شاعرة مريدة ولا يجوز أن يقال انها قد تخلو في حق خالقها وفطرها عن الشعور بوجوده وعن محبته وارادته فلا يكون اقرارها به ومحبته من لوازم ذاتها هذا باطل قطعافان النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها فانها حية وكل حي شاعر متحرك بالارادة واذا كان كذلك فلا بد لكل مريد من مراد والمراد اما أن يكون مراد لنفسه أو لغيره والمراد لغيره لا بد أن يتمهي الى مراد لنفسه قطعافا لتسلسل في الملل الذاتية فانه محال كالتسلسل في الملل الفاعلة واذا كان لا بد للانسان من مراد لنفسه فهو الله الذي لا اله الا هو الذي تأله النفوس وتحميه القلوب وتعرفه الفطر وتقربه العقول وتشهد بانه ربها ومليكيها وفطرها فلا بد لكل أحد من إله يأله وصمد يصمد اليه والعباد مغطورون على محبة الاله الحق ومعلوم بالضرورة انهم ليسوا مغطورين على تأله غيره فاذا اتعسا فطروا على تأله وعبادته وحده فلو خلوا وفطروهم لمسا عبدوا غيره ولا تألهوا سواه يوضحه* الوجه الخامس عشر انه يستحيل أن تكون الفطرة خالية عن التأله والمحبة ويستحيل أن يكون فيها تأله غير الله لوجوه منها ان ذلك خلاف الواقع ومنها ان ذلك المخلوق ليس أولى أن يكون إله لكل المخلوق من المخلوق الآخر ومنها ان المشركن لم ينتقوا على اله واحد بل كل طائفة تعبد ما تستحسنه ومنها ان ذلك المخلوق ان كان ميتا فالحق أكمل منه فيمتنع أن يكون الناس مغطورين على عبادة الميت وان كان حيا فهو أيضا مريد فله إله تأله وحينئذ قلزم الدور المتع أو التسلسل المتع فلا بد للمخلوق كلهم من اله يألهوه ولا يأله هو غيره وهذا برهان قطعي ضروري فان قلت هذا يستلزم انه لا بد لكل حي مخلوق من اله ولكن لم لا يجوز أن يكون مطلوب النفس هو مطلق التأله والمألوه لا إلهام معينا كما تقول طوائف الاتحادية* قلت جذبا يتبين بالوجه السادس عشر وهو ان المراد اما ان يراد النوع أو لعينه فالاول كراداة العطشان والجساع والعمارى لنوع الشراب والطعام واللباس فانه انما يريد النوع وحيث أراد المعين فهو القدر المشترك بين افراده وذلك القدر المشترك كلى لوجوده له في الخارج فيستحيل ان يراد لذاته اذ المراد لذاته لا يكون الا معينا ويستحيل أن يوجد في اثنين فان ارادة كل واحد منهما لذاته تنافي ارادته لذاته اذ المعنى بارادته لذاته انه وحده هو المراد لذاته الخاصة وهذا يمنع أن يراد معه ثان لذاته واذا عرف ذلك فلو كان القدر المشترك بين افراد النوع أو بين الاثنين هو المراد لذاته لزم أن يكون ما يختص به أحدهما ليس مراد لذاته وكذلك ما يختص به الآخر والموجود في الخارج اتما هو الذات المختصة لالكلى المشترك ١ تعالى الثالثة بالقدر المشترك لم يكن للخالف في الخارج اله ولكن إلههم أمرا ذهنيا وجوده في الازهان لافي الاعيان وهذا هو الذي يأله طوائف أهل الوحدة والجهمية الذين أنكروا أن يكون الله تعالى لا خارج العالم ولا داخله فان هذا اتعسا هو اله وفروض يفرضه الذهن كما يفرض سائر

المتعانت الخارجة وتقلته واجب الوجود وليس هو ممكن الوجود فضلا عن وجوبه وبهذا يتبين ان
الجمعية واخوانهم من القائمين بوحدة الوجود ليس لهم اله معين في الخارج يأطونه ويعبدونه بل
هو لا اله الا هو الذي خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما
في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى هو الذى فطر القلوب على محبته والاقرار به واجلاله وتعظيمه واثبات صفات الكمال له
وتنزيهه عن صفات النقائص والعيوب وعلى انه فوق سمواته بائن من خلقه تصعد اليه أعمالهم على
تماقب الاوقات وترفع اليه أيديهم عند الرغبات يخافونه من فوقهم ويرجون رحمته تنزل اليهم من
عنده فهمهم صاعدة الى عرشه تطالب فوقه الها علوا عظيما قد استوى على عرشه واستولى على خلقه
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرض اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك علم
الغيب والشهادة العزيز الرحيم والمقصود انه اذا لم يكن في الحسيات الخارجة عن الازهان ماهو مراد
لذاته لم يكن فيها ما يستحق أن يأطه أحد فضلا ان يكون فيها ما يجب أن يأطه كل أحد فتبين انه
لا بد من اله معين هو المحبوب المراد لذاته ومن الممتع أن يكون هذا غير فاطر السموات والارض
وتبين انه لو كان في السموات والارض إله غيره لفسدتا وان كل مولود يولد على فطرته ومعرفته واجلاله
وتعظيمه وهذا دليل مستقل كاف فيما نحن فيه وبالله التوفيق * تم الكتاب والحمد لله

يقول مصححه العبد المسكين محمد بدر الدين

الحمد لله حمدًا بقضى رضاد وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفاه
واختاره لرسالته واجتباؤه وعلى آله وصحبه المتمسكين بهديه وهداه
وبعد فقد تم والله الحمد طبع كتاب (شفاء العليل) في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل
تأليف الامام أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية نعمة الله برحمته وأسكننا
واياه فسيح جنته وذلك بعد غناء تصحيح النصف الاول منه على نسخة وصلتنا من
صاحب الفضيلة علامة العراق على الاطلاق آلوسى زاده السيد محمود شكرى افندى
حفظه الله مع مقابلة ذلك على النسخة المحفوظة بدار الكتب الحديوية بمصر
ومن ثم الى آخر الكتاب على نسخة دار الكتب الحديوية فقط
وذلك بالمطبعة الحسينية ذات الادوات البهية ادارة صاحبها
الارباب الادياب السيد محمد عبد اللطيف الخطيب
في سنة ١٣٢٣ هجرية أحسن الله ختامها
والحمد لله أولا وآخرا وصلى
الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم

تحيفه

٢ مقدمة الكتاب

٥ فصل في تسمية الكتاب وتعداد ابوابه

٦ الباب الاول في تقدير المقادير قبل خالق السموات والارض

٨ الباب الثاني في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم

قبل خلقهم

١٢ الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى عليهما السلام في ذلك وحكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم

١٩ الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه

٢٢ الباب الخامس في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

٢٣ الباب السادس في ذكر التقدير الخامس اليومي

٢٤ الباب السابع في ان سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضى ترك الاعمال

٢٦ الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقتم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

٢٨ الباب التاسع في قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر

٢٩ الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر

٣٩ الباب الحادى عشر في ذكر المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهى مرتبة الكتابة

٤٣ الباب الثانى عشر في ذكر المرتبة الثالثة وهى مرتبة المشيئة

٤٩ الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة وهى مرتبة خلق الله الاعمال

٦٥ الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهم والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم

٨٥ الباب الخامس عشر في الطبع والحنن والقفل والغل والسد والغشاة والحائل بين الكافر

وبين الايمان وان ذلك مجعول للرب تعالى

١٠٩ الباب السادس عشر فيما جاء في السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما هو منفرد

بخلق ذواتهم وصفاتهم

١٢٠ الباب السابع عشر في الكسب والجبر ومعناها لغة واصطلاحاً واطلاقاً ونفياً وإثباتاً

١٣٤ الباب الثامن عشر في فعل وأفعل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والانتقال

١٣٩ الباب التاسع عشر في ذكر مناظرة جرت بين جبري وسني جمعها مجلس مذاكرة

١٥٢ الباب العشرون في ذكر مناظرة بين قدرى وسنى (وقع خطأ بين قدرى سنى)

١٧٨ الباب الحادى والعشرون في تنزيه القضاء الالهى عن الشر

* الباب الثانى والعشرون في طرق اثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره واثبات الغايات

* المطلوبة والعواقب الحميدة التي فعل وأمر لاجلها

* الباب الثالث والعشرون في استيفاء شبه التافلين للحكمة والتعاليل وذكر الاجوبة عنها

* هكذا وقع بالأصل بدون ان يفصل بين الحادى والعشرون والثالث والعشرون

- ٢٦٨ الباب الرابع والعشرون في قول الساف من أصول الايمان الايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره
- ٢٦٩ الباب الخامس والعشرون في امتناع اطلاق القول نفيا وايجابا ان الرب تعالى مرید لاشر وفاعل له
- ٢٧٢ الباب السادس والعشرون في ما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك (الى آخر الحديث) من تحقيق القدر وايجاباته وما تضمنه الحديث من الاسرار العظيمة
- ٢٧٤ الباب السابع والعشرون في دخول الايمان بالقضاء والقدر والمدل والتوحيد والحكمة تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك (الحديث) وبيان ما فيه من القواعد
- ٢٧٨ الباب الثامن والعشرون في احكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه
- ٢٨٠ الباب التاسع والعشرون في انقسام القضاء والحكم والارادة والكتابة والاذن والجعل والكلمات والبعث والارسال والتجريم والانشاء الى كوني متعلق بخلقه والى ديني متعلق بامرہ وما يحقق ذلك من ازالة اللبس والاشكال
- ٢٨٣ الباب المو في ثلاثين في ذكر الفطرة الاولى واختلاف الناس في المراد بها وانها لا تنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال
- تم

(فهرس مطبوعات المكتبة الخديوية أنشئت سنة ١٣١٧ هجرية)

(لأصحابها) أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه

(تحت عنوان محمد أمين الخانجي وشركاه)

(بإشراف الخلوحي بمصر)

كتاب المعمرين وطرف أخبارهم ومواعظهم للإمام الحجة أبي حاتم السجستاني

كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السمادتين للراغب الاصفهاني

كتاب الظرف والظرفاء (أو كتاب الموشى) لأبي عبد الله الوشاء تلميذ المبرد

كتاب مختصر مكاشفة القلوب للإمام أبي حامد محمد الغزالي

كتاب الحرز المنيع في أحكام وفوائد الصلاة والسلام على الحبيب الشفيق للإجلال السيوطي

كتاب تعديل الصلاة للإمام أحمد وكتاب أحكام تارك الصلاة لابن قيم الجوزية

كتاب الديات وأحكامها ودقائقها للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو النليل أبي عاصم الضحاك

فقه الأكبر للإمام الاعظم أبي حنيفة النعمان مع شرحه لملا على القاري الحنفي

الاضواء البهجة في ابراز دقائق المنفرجه لشيخ الاسلام القاضي زكريا الانصاري

الحكم المدرجة في شرح المنفرجه باللغة التركية للعلامة الانقروى شارح المثنوى

ديوان الخطيئة مع شرحه لامام أهل الادب أبو الحسن السكري

كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للإمام المجتهد أبي محمد علي بن حزم الظاهري وبهامشه

كتاب الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

الآلئ المصنوعة في الاحاديث الموضوعه للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

كتاب جمع الوسائل لشرح المائل لملا على القاري الحنفي وبهامشه شرح العلامة المحدث عبد الرؤف

المناول الشافعي وهما جزآن كبيران

كتاب الصنائع (النثر والنظم) أو الكتابة والشعر تأليف امام أهل الادب في المائة الرابعة أبي

هلال العسكري

شرح شواهد منفي للبيب للعلامة جلال الدين السيوطي وأورد فيه بيت الشاهد وأعقبه بالقصيدة التي

منها الشاهد وتكلم على غريب ما فيها وتطرق لذكر ترجمة شعراء تلك الشواهد

مفتاح العلوم للإمام السكاكي وبهامشه كتاب انعام الدرايه لقراء النقايه للعلامة جلال الدين السيوطي

يحتوى على أربعة عشر فنا مميزة عبارة المتن فيه عن الشرح

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للإمام نضر الدين الرازى مع

تلخيص المحصل للعلامة نصير الطوسى وهو كالشرح له وبهامشه كتاب معالم أصول الدين

لرازى المذكور

كتاب الاعتقاد للإمام أبي حامد محمد الغزالي

فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للإمام أبي حامد المذكور

كتاب محك النظر في فن المنطق للإمام أبي حامد الغزالي أيضا

كتاب القسطاس المستقيم للإمام المذكور يتضمن محاوره جرت بينه وبين أحد الباطنية
كتاب الحكمة في مخلوقات الله تعالى للإمام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي أيضا
فاتحة العلوم للإمام الغزالي أيضا مرتبة على ثمانية أبواب

كتاب مابعد الطبيعة لفيلاسوف الاسلام قاضي القضاة الإمام أبي الوليد أحمد بن رشد
كتاب فلسفة القاضي ابن رشد أيضا يشتمل على فصل المقال فيما بين الحكمة والنمريعة من الاتصال
مع ذيله والكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة

كتاب تاريخ الازهر تأليف صاحب السعادة مصطفى بك بيرم
تفرغ المهج بتلويح الفرج الجامع لثلاث كتب * أولها حل العقال للاديب الفاضل عبد الله الحجازي
الحلي المعروف بابن قضيب البان * الثاني الارج في الفرج للإمام جلال الدين السيوطي * الثالث
معبد النعم ومبيد النقم لقاضي القضاة الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي
كتاب الاتحاف بحب الاشراف للشيخ عبد الله الشبراوي وبهامشه كتاب حسن التوسل في آداب
زيارة أفضل الرسل للعلامة عبد القادر الفاكهي مذيلا باحياء الميت في الاحاديث الواردة في آل
البيت للإمام جلال الدين السيوطي

كتاب المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد لحضرة الاستاذ الشيخ حسن السقا
خطيب الجامع الازهر

فقه اللغة وسر العربية للإمام أبي منصور الثعالبي مضبوط بالشكل الكامل
كتاب أدب الدنيا والدين للإمام أبي الحسن محمد بن حبيب البصري الماوردي وبهامشه كتاب
تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق للعلامة ابن مسكويه

كتاب المبادئ المنطقية للشيخ عبد الله الفيومي بسط فيه الكلام وأوضح الدلائل
كتاب منظومة الكواكب في اصول فقه الحنفية وهي نظام متن المنار مع زيادات عليه للشيخ حسن
الكواكب الحلي تحتوي على نيف وألفي بيت مضبوطة بالشكل

كتاب تأسيس النظائر في اختلاف الفقهاء للإمام الديوبندي وهو أول كتاب دون في هذا الفن لأول إمام كتب فيه
كتاب أفضل الصلوات على سيد السادات جمع الشيخ يوسف افندي التبهاني رئيس محكمة حقوق بيروت
كتاب الخلافة شقيقة الكشكول لبهاء الدين العاملي بهامشه سكران الساطان لابن أبي حجلة المغربي
وبهامها أسرار البلاغة للعاملي أيضا

كتاب فقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان مع كتاب الفقه الأكبر للإمام الشافعي رضى الله
الله عنهما

كتاب نظم الفرائد في المسائل التي وقع الاختلاف فيها بين الماتريدية والاشاعرة من العقائد
متن الشمسية طبع مصر وشرحها طبع الاستانة لامام المحققين سعد الدين التفتازاني
تفسير سورة الاخلاص للشيخ الاسلام أحمد بن تيمية الخبلي .. بسط الكلام فيه على تفسير هذه

السورة الكريمة وبين الرد فيها على كافة الفرق المخالفة للإسلام
جواب أهل العلم والايمان فيما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن

لشيخ الاسلام ابن تيمية المذكور ذكر فيها معنى المفاضلة في آي القرآن وبسط أقوال العلماء في ذلك
مجموعة الرسائل التسعة لشيخ الاسلام ابن تيمية المذكور وهذا بيان تلك الرسائل (كتاب العبودية
(كتاب الواسطة بين الحق والخلق) (كتاب الحسبة في الاسلام) (رسالة المظالم المشتركة)
(كتاب معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول) (رسالة تنوع العبادات)
(رسالة الرد على التصيرية) (رسالة زيارة القبور والاستجداء بالمقبور) (رسالة رفع الملام عن الأئمة
الاعلام)

كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الاسلام ابن تيمية أيضا
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو كتاب الداء والدواء للعلامة شمس الدين بن قيم الجوزية
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للعلامة ابن قيم الجوزية المذكور
مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والارادة للعلامة ابن قيم المذكور
هداية الخيارى من اليهود والنصارى لابن القيم أيضا

المقصد الاسنى شرح أسماء الله الحسنى للإمام أبى حامد الغزالى

لواعيب البنات في شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام نضر الدين الرازى

شرح ديوان زهير بن أبى سلمى المزنى والد سيدنا كعب للإمام الاعلم النجوى الشنتمرى

المفصل للعلامة الزمخشري مع شرح شواهد السيد محمد بدر الدين الحلي

مراتب المدلسين في الحديث للحافظ ابن حجر شارح البخارى وبآخره اخبار أهل الرسوخ في

الفقه والتحديث بمقدار التناسخ والمنسوخ من الحديث للعلامة أبو الفرج ابن الجوزى

مفتاح كنوز القرآن لبعض علماء انروس ٥٥ وهو أكبر قاموس لمفردات آي القرآن

فصوص الحكم للشيخ الأكبر (بشرحه للشيخ عبد الغنى النابلسى ولمولانا ملا جامى) جزآن

رشحات الافلام شرح نظم كفاية الغلام كلاهما للشيخ عبد الغنى النابلسى

الاشباه والنظائر الفقهية للعلامة ابن نجيم المصرى الحنفى صاحب كتاب البحر

الدبر المضيد من مجموعة الحفيد لشيخ الاسلام احمد بن يحيى الهروى الشافعى حفيد السعد التفتازانى

مختصر جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب

الشعر والشعراء أوطبقات الشعراء ٥٥ لابن عبد الله محمد بن قتيبة الدينورى

سفر الخير في الرد على أهل الكتاب باللغة التركية للشيخ عبد الله سالك الانطاكي

الاشارة والايجاز الى ما جاء في القرآن من أنواع المجاز للعلامة الغز بن عبد السلام المصرى

تليق - Qāliq - al-
al-kār tī tīr
دقائق الاخبار
un-al-nār

(في)

﴿ ذكر الجنة والنار ﴾

للإمام عبد الرحيم بن أحمد القاضي

نفعنا الله به آمين



(وهامشه كتاب الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان)

(للسيوطي رحمه الله تعالى)



(الطبعة الثانية)

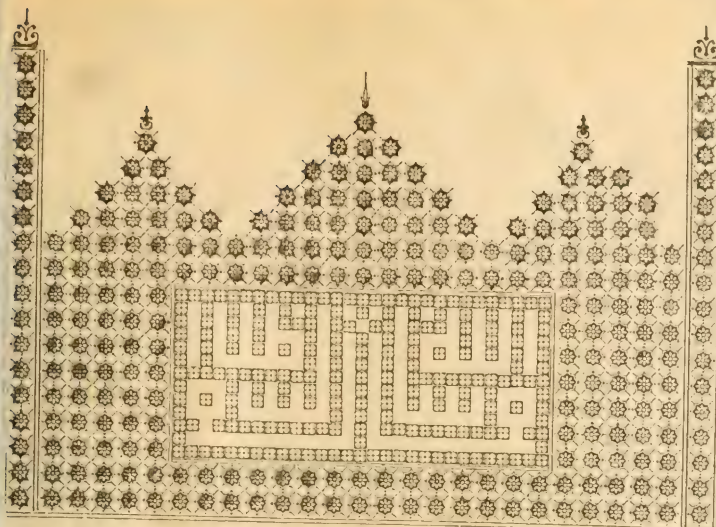
سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

بياع بالمكتبة الجديدة لصاحبها محمد علي صبيح وولده محمد بن الصباغ

بأول شارع الصناديق بجوار الازهر الشريف بمصر

طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بحارة قايد نمره ٣ بشارع عابدين بالقاهرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين وعلى آله وصحبه
أجمعين (أما بعد) فقد جاء في
الخطب أن الله تعالى خلق
شجرة اليقين ثم خلق نور
محمد صلى الله عليه وسلم في
حجاب من درة بيضاء على
هيئة الطائوس ووضعه على
تلك الشجرة فسمي الله تعالى
عليها مقادير سبعين ألف سنة
ثم خلق الله تعالى امرأة الحياة
ووضعهما باستقبال ذلك
الطائوس فلما نظر إليها ذلك
الطائوس رأى صورته أحسن
صورته وأزین هيئة فاستحيا



الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الذي أحسننا
الدين الإسلام على نبيه سيدنا محمد الذي جعلنا من خلقه وصطفاه ﴿ووبعده﴾ فأقول

﴿الباب الاول في خلق الروح الاعظم وهو نور سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام﴾

قد جاء في الخبر ان الله تعالى خلق شجرة لها أربعة أغصان فمحاها شجرة البقيع ثم خلق نور محمد
في حجاب من درة بيضاء كمثل الطاوس ووضعه على تلك الشجرة فتبع عليها متدارر سبعين ألف
سنة ثم خلق مرآة الحياة فوضعت باستقباله فلما نظر الطاوس فيها رأى صورته أحسن صورة
وأزبن هيئة فاستبجى ما بين الله تعالى وفرق فقطر منه ست قطرات فخلق الله تعالى من القطرة الاولى
أبا بكر رضى الله عنه ومن القطرة الثانية عمر رضى الله عنه ومن القطرة الثالثة عثمان رضى
الله عنه ومن القطرة الرابعة عليا رضى الله عنه ومن القطرة الخامسة الزبير ومن القطرة السادسة
الارثم سجد ذلك النور للمحمدى خمس مرات فصارت علينا تلك السجدة فرضا مؤثقا وفاء
الله تعالى خمسه صلوات على محمد وامته ثم نظر الله تعالى الى ذلك النور مرة اخرى فرشق حياء
الله تعالى فن عرق أنفه خالق الله الملائكة ومن عرق وجهه خالق العرش والكرسي والروح
والشمس والقمر والحجب والكواكب وما كان في السماء ومن عرق صدره خالق الأبد
والمرسلين والعلماء والشهداء والصالحين ومن عرق ظهره خلق الله البيت المعمور والكعبة
وبيت المقدس وموضع المساجد في الدنيا ومن عرق جانبه خلق أمة محمد من المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ومن عرق اذنيه خالق ارواح اليهود والنصارى والمجوس
وما أشبه ذلك من الملحدين والجاحدين والمنافقين ومن عرق رجله خلى الأرض
المشرقة الى المغرب وما فيه اسم قال الله تعالى لذلك النور انظر امامك يا نور محمد قد
والمسلمين والمسلمات وخلق من عرق ذنبه اليهود والنصارى والخمسة وخلاف

فراى امامه نورا ومن ورائه نورا وعن يمينه نورا وعن يساره نورا وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله تعالى عنهم ثم صبح ذلك النور سبعين ألف سنة ثم خلق الله نور الانبياء من نور محمد عليه السلام ثم نظر الله الى ذلك النور فخلق منه ارواحهم يعني خالق ارواح الانبياء من عرق روح محمد عليه السلام وخلق ارواح أم هؤلاء الانبياء من هرق ارواح أنبيائهم يعني ارواح كل أمة خلقت من عرق روح نبيها وخلقت ارواح المؤمنين من أمة محمد من هرق محمد عليه السلام فقالوا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم خلق قنديلان من العقيق الاحمر يري ظاهره من باطنه ثم خالق صورة محمد عليه السلام كصورته في الدنيا ثم وضعها في هذا القنديل فقام فيه كقيامه في الصلاة ثم طافت ارواح الانبياء حول نور محمد عليه السلام فسبحوا وهللوا مقدار مائة ألف سنة ثم أمر الله تعالى كل الارواح لينظروا اليها فنظروا اليها ففهم من رأى رأسه فصار خليفة وساطانا بين الخلائق ومنهم من رأى جبهته فصار أميراً عادلاً ومنهم من رأى عينيه فصار حافظاً لكلام الله تعالى ومنهم من رأى حاجبيه فصار نقاشاً ومنهم من رأى أذنيه فصار مستمعا ومتقبلاً ومنهم من رأى خديه فصار محسناً وعاقلاً ومنهم من رأى شفتيه فصار وزيراً ومنهم من رأى أنفه فصار حكيماً ومليئاً به عطاءاً ومنهم من رأى فمه فصار صانعاً ومنهم من رأى سنبه فصار حسن الوجه من الرجال والنساء ومنهم من رأى لسانه فصار رسولاً بين السلاطين ومنهم من رأى حلقه فصار واعظاً وناصحاً ومؤذناً ومنهم من رأى لحية فصار مجاهداً في سبيل الله ومنهم من رأى عنقه فصار ناجراً ومنهم من رأى عضديه فصار فارساً وسيافاً ومنهم من رأى عضداً الايمن فصار حجاجاً ومنهم من رأى عضده الايسر فصار جاهلاً ومنهم من رأى كفه الايمن فصار صرافاً وطارزاً ومنهم من رأى كفه الايسر فصار كياناً ومنهم من رأى يديه فصار سخياً وكيساً ومنهم من رأى كفه الايسر فصار بخيلاً ومنهم من رأى ظهر كفه الايمن فصار طباطباً ومنهم من رأى انامه اليسرى فصار كاتباً ومنهم من رأى أصابع اليسرى فصار حداداً ومنهم من رأى صدره فصار عالماً ومكرماً ومجتهداً ومنهم من رأى ظهره فصار متواضعاً ومطيعاً لامر الشرع ومنهم من رأى جنبه فصار غزياً ومنهم من رأى بطنه فصار قائماً وزاهداً ومنهم من رأى ركبته فصار راكعاً وصاجداً ومنهم من رأى رجله فصار صياداً ومنهم من رأى تحت قدميه فصار ماشياً ومنهم من رأى ظله فصار مفتياً وصاحب طنبور ومنهم من لم ير منه شيئاً فكان يهودياً أو نصرانياً أو كافراً أو مجوسياً ومنهم من لم ينظر منه شيئاً فصار مذهباً للربوبية كالفرعنة وغيرهم من الكفار (واعلم) أن الله تعالى أمر الخلق بالصلاة على صورة اسم احمد ومحمد فالتزام كمثل الالف والركوع والاسجود كاليمين والقعود كالدال وخلق الخلق على صورة اسم محمد عليه السلام فالرأس مدور كاليمين الاولى واليدان كالحاء واللبطن كاليمين الثانية والرجلان كالدال ولا يحرق أحد من الكفار على صورته بل تبدل صورته على صورة الخنزير ثم تحرق بالنار

﴿الباب الثاني في خلق آدم عليه السلام﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى جسد آدم عليه السلام من أقلام الدنيا فرأه من تراب الكعبة وصدره من أقطار الارض وظهره وبطنه من تراب الهند ويده من تراب المشرق ورجلاه من تراب المغرب وفي رواية اخرى قال وهب ابن منبه خلق الله تعالى رأى لحية فصار مجاهداً في سبيل الله تعالى ومنهم من رأى لسانه فصار رسولاً بين الخلائق ومنهم من رأى منكبه الايمن فصار سيافاً

آدم عليه السلام من الارضين السبع فرأسه من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويده من الرابعة وظهره وبطنه من الخامسة وفخذه وعجزه من السادسة وساقاه من السابعة وفي رواية أخرى قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى آدم عليه السلام فرأسه من تراب بيت المقدس ووجهه من تراب الجنة وأذناه من تراب طور سيناء ووجهته من تراب العراق وأسنانه من تراب الكوثر ويده اليمنى من تراب الاصابع من تراب الكعبة ويده اليسرى من تراب فارس ورجلاه مع ساقيه من تراب الهند وعظمه من تراب الجبل وعورته من تراب بابل وظهره من تراب العراق وبطنه من تراب خراسان وقلبه من تراب الفردوس ولسانه من تراب الطائف وعيناه من تراب الحوض ولما كان رأسه من بيت المقدس صار موضع العقل والفطنة والنطق ولما كان أذناه من تراب طور سيناء صار موضع استماع النصيحة ولما كانت جبهته من للعراق صارت موضع السجود لله تعالى ولما كان وجهه من تراب الجنة صار موضع الحسن والرينة ولما كانت أسنانه من الكوثر صارت موضع البركة والمعونة في المعيشة والجود ولما كانت يده اليسرى من فارس صارت موضع الطعام والاشربة وجاء ولما كان بطنه من خراسان صار موضع الجوع ولما كانت عورته من بابل صارت موضع الشهوة والغل والغش ولما كان عظمه من الجبل صار موضع الصلابة ولما كان قلبه من الفردوس صار موضع الايمان ولما كان لسانه من الطائف صار موضع الشهادة والتضرع ولدهاء الى الله وجعل فيه تسعة أبواب سبعة في الرأس عينا وأذناه ومنخره وفه واثنان في بدنه قبله وظهره وجعل له الحواس الخمس البصر في العين والسمع في الاذنين والذوق في الفم واللمس في اليدين والشم في الانف ويقال لما أراد الله أن ينفخ الروح في آدم عليه السلام أمر الله تعالى الروح أن تدخل فيه ويقال أن الروح دخلت من دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم زلت الروح في عيذه فظفر الى نفسه فرأها طينا يابساً فلما بلغ الى اذنيه سمع تسبيح الملائكة ثم زلت خشومه فطمس فلما فرغ من عطاسه زلت الروح الى فيه ولسانه واذنيه ولقنه الله تعالى أن يقول الحمد لله فأجابه بريحك ربك يا آدم ثم زلت الروح الى صدره فجعل القيام فلم يمكنه وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا فلما وصلت الروح الى جوفه اشتبه الطعام ثم انتشرت الروح في كل جسده فصار لحما ودما وعروفاً وعصبا ثم كساه الله تعالى لباساً من ظفر يزداد كل يوم حسناً وجمالا فلما قارف الذنوب بدل الله هذا الظفر بالجلد وبقيت منه بقية في أنامله ليذكر بذلك أول حاله فلما تم الله خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح وألبسه من لباس الجنة ونور محمد يلعب في وجهه كالقمر ليلة البدر ثم رفع على سرير وحمل على أعناق الملائكة قال الله تعالى لهم طوفوا به السموات بسريره ليري عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقال الملائكة ربنا سمعنا وأطعنا خفمته الملائكة على أعناقها وظافت به في السموات مقدار مائة عام ثم خلق فرسا من المسك الابيض والاذقر يقال له ميمون وله جناحان من الدر والمرجان فركبه آدم عليه السلام وجبرائيل أخذ بجامه وميكائيل عليه السلام عن يمينه وسمرافيل عليه السلام عن يساره وطافوا به السموات كلها وهو يسلم على الملائكة فيقول السلام عليكم فيقولون وعليكم السلام فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك ونحية المؤمنين من ذريتك فيا بينهم الى يوم القيامة

باب الثالث في ذكر الملائكة

أعلم أن الله تعالى خلق الملائكة للكرام الاربعة اميرافيل عليه السلام وميكائيل عليه السلام وعيناه من حوض الكوثر فلما كان رأسه من بيت المقدس صار موضع العقل ولما كان وجهه من الجنة صار وجبرائيل

الكوثر صارت موضع الخلاوة ولما كانت يده اليمنى من تراب الكعبة صارت موضع المنة ولما كان ظهره من تراب العراق صار موضع التواضع ولما كانت عروقه من بابل صارت موضع الشهوة ولما كان عظمه من الجبل صار موضع الصلاة ولما كان قلبه من الفردوس صار موضع الايمان ولما كان لسانه من الطائف صار موضع الشهادة ثم ان الله تعالى اسكن البصر في العينين والسمع في الاذنين والذوق في اللسان والشم في الانف واللمس في اليد والمشي في الرجل (فاذنه) لابن آدم نعمة أبواب سبعة في رأسه واثنان في بدنه أما السبعة التي في رأسه فهما عيناه

وجبرائيل عليه السلام وهزرائيل عليه السلام وجعل في أيديهم أمور الخلاق وتبدير العالم كله وجعل جبرائيل عليه السلام صاحب الوحي والرسالة وميكائيل عليه السلام صاحب الامطار والارزاق وهزرائيل عليه السلام صاحب قبض الارواح وامرافيل عليه السلام صاحب القرن يعني الصور قال ابن عباس رضي الله عنهما أن امرافيل عليه السلام سأل الله تعالى أن يعطيه قوة سميع سموات فأعطاه وقوة مبصر أرضين فأعطاه وقوة الرياح فأعطاه وقوة الجبال فأعطاه وقوة الثقلين فأعطاه وقوة السباع فأعطاه ومن تحت قدميه الى رأسه شعور وأفواه وألسن مغطاة بالحجب يسبح الله تعالى بكل لسان بألف لغة ويحناق الله تعالى من نفسه ألف ألف ملك يسبحون الله الى يوم القيامة وهم المقربون عند الله تعالى وحلة العرش الكرام الكاتبون وهم على صورة امرافيل عليه السلام وينظر امرافيل كل يوم وليلة ثلاث مرات الى جهنم ويتضرع فيسبح ويذوب ويصير كوتر التوس ويبيكي بكاء شديدا ولولا أن الله تعالى يمنع دموع بكائه لامتلأت الارض بدموعه فصارت كطوفان نوح عليه السلام ومن عظمه أنه لو صبت جميع مياه البحار والانهار على رأسه ما وقع منها قطرة على الارض

فصل ١٠ وأما ميكائيل عليه السلام فخلق الله تعالى بعد امرافيل عليه السلام بمجمائة عام ومن رأسه الى قدميه شعور من زعفران وأجنحته من زبرجد أخضر وعلى كل شجرة ألف ألف وجه وفي كل وجه ألف ألف عين ويبيكي بكل عين رحمة للمذنبين من المؤمنين وفي كل وجه ألف ألف فم وفي كل فم ألف ألف لسان كل لسان ينطق بألف ألف لغة وكل لسان يستغفر الله تعالى للمؤمنين والمذنبين ويقطر من كل عين سبعون ألف قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا واحدا على صورة ميكائيل عليه السلام يسبحون الله تعالى الى يوم القيامة وأما وهم كروبيون وهم أعوان لميكائيل عليه السلام موكلون على المطر والنباتات والارزاق والثمار فمن شيء في البحار والانهار على الاشجار والنباتات على الارض الاو عليه ملك موكل به

فصل ١١ وأما جبرائيل عليه السلام فخلق الله تعالى بعد ميكائيل عليه السلام بمجمائة عام وله ألف وستائة جناح ومن رأسه الى قدميه شعور من زعفران والشمس بين عينيه وعلى كل شجرة مثل القمر والكواكب وكل يوم يدخل في بحر النور ثلاثمائة وسبعين مرة فاذا خرج سقط من كل جناح ألف ألف قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا واحدا على صورة جبرائيل عليه السلام يسبحون الله تعالى الى يوم القيامة وهم الروحانيون

فصل ١٢ وصورة ملك الموت مثل صورة امرافيل عليه السلام بالوجه واللسان والاجنحة والعظمة والقوة بلا زيادة ولا نقصان

باب الرابع في ذكر خلق ملك الموت

في الخبرين لاني عليه السلام لما خلق الله ملك الموت حجب عن الخلائق بألف ألف حجاب عظمه أكبر من السموات والارضين ولو صب ماء جميع البحار والانهار على رأسه ما وقعت منه قطرة على الارض وان مشارق الدنيا ومقارها بين يديه كخوان وضع عليه كل شيء ووضع بين يدي رجل ليا كاهه فيأكل منه ماشاء فكذلك ملك الموت يقبل الدنيا كما يقبل الآدمي بين يديه وقد شد بسبعين ألف سلسلة كل سلسلة طولها مسيرة ألف عام ولا يقربه الملائكة ولا يداخون مكانه ولا يسمعون صوته ولا يدرون حاله ولا الى أي وقت هو فلما

الى جوفه فاشتهي الطعام ثم انها زلت الى قدميه فصارت له لحاود ما عرقوا وعصبا ثم البسه الله تعالى لباسا من الجنة فصارت له ارجل من الجنة فصارت له يدا من الجنة فصارت له

فكانت الملائكة تنقف خلف آدم صفواً وناصفوا فيسلمون على نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالى خالق فرسان المسك يقال لها ميمونة ولها جناحان من الدر والمرجان فركبها آدم وجبريل أخذ بزمامها وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره فطافوا به السموات للبعث وهو يسلم على الملائكة فيقول السلام عليكم فيقولون عليك السلام يا آدم فصارت تحية المسلمين من أولاد آدم الى يوم القيامة ثم علم ان أول ما خلق الله من الملائكة اربعة اسرافيل صاحب الصور وميكائيل موكل بالامطار وجبريل صاحب الوحي وعزرائيل قابض الارواح ثم ان اسرافيل سأل الله ان يعطيه قوة سبع سموات فاعطاه وقوة سبع ارضين فاعطاه وله من تحت قدميه الى رأسه شعور وأفواه وأسنة وذلك الاسنة فطاة بالاجنة كل لسان فيها اسم الله تعالى باللفظة فيخلق الله تعالى من كل لفظ ملكاً على صورة اسرافيل عليه السلام يسبح الله تعالى الى يوم القيامة وينظر كل يوم وليلة الى جهنم ثلاث مرات فيذوب حتى يصير مثل وتر القوس ويبيكو ولولا ان الله تعالى حبس دموعه لماتت الارض كطوفان نوح عليه السلام ومن عظم امر ايفل أنه لو سب

خلق الله تعالى الموت واسطاً عليه ملك الموت قال ملك الموت يارب وما الموت فأمر الله تعالى الحجب أن تنكشف حتى رآه ملك الموت فقال الله تعالى للملائكة قفوا وانظروا هذا الموت فوقف الملائكة كلهم أجمعون وقال الله تعالى له طر عليهم وانشر الاجنحة كلها وافتح اعينك كلها فلما طار نظرت اليه الملائكة فخبروا مقبضها عليهم ألف عام فلما أقفوا قالوا ربنا اخلفت أعظم من هذا خلقاً قال الله تعالى أنا خلقته وانا اعظمهم منه وقد يذوق كل الخلق منه ثم قال الله يا عزرائيل خذ هذه فقد سلطتك عليه فقال الهي بأى قوة آخذه فانه أعظم منى فاعطاه الله قوة ثم أخذهم فسكرن في يده فقال الموت يارب ائذن لى حتى انادى فى السموات فاذن له فنادى باعلى صوته أنا الموت الذي افرق بين كل حبيب انا الموت الذي افرق بين الزوج والزوجة وأنا الموت الذي افرق بين البنات والامهات وأنا الموت الذي افرق بين الاخ والاخوات وأنا الموت الذي اخرب الدور والقصور وأنا الموت الذى امر القبور وأنا الموت الذى أطلبكم ولو كنتم فى بروج مشيدة ولا يبقى مخلوق الا يذوقنى وان للكافر والمنافق والشقي اذا حضرهم الموت نزل عليهم وعن يساره ملائكة العذاب سود الوجوه زرق العيون ومعه لباس من العذاب فيجاسون بعيداً منه حتى يحبىء ملك الموت واذا جاء ملك الموت احدا منهم قام بين يديه على صورة مهيبة ثم يقول نفس ذلك الشخص من أنت وما تريد فيقول أنا ملك الموت الذى اخرجك من الدنيا واجعل ولدك تبعاً ووزجتك أرملة ومالك موروثاً بين ورثتك الذين لا تحبهم فى حال حياتك وانك لم تقدم خبراً انفسك ولا لاخرك اليوم جئت اليك لاقبض روحك فاذا سمع به الشخص حول وجهه الى الحائط فيرى ملك الموت قائماً بين يديه فيحول وجهه الى الجانب الآخر فيرى ملك الموت بين يديه قائماً فيقول ملك الموت ألم تعرفنى أنا ملك الموت الذى قبضت روح والدك وانت تنظر اليهما ولم تنفهما اليوم أخذ روحك حتى ينظر أولادك وأقرباؤك ورقفاؤك حتى ينتصروا منك اليوم وأنا ملك الموت الذى قد أنفنت من القرون الماضية من هو أكثر قوة منك وأكثر مالاً من مالك وأكثر ولداً من أولادك ثم يقول له ملك الموت كيف رأيت الدنيا فيقول رأيتها مكاراة غدارة ثم يخلق الله تعالى الدنيا على صورة فتقول الدنيا يا عاصي أما تستحي أنت أذنبت فى الدنيا ولم تمنع نفسك عن المعاصي انك طابقتي وما طلبتكم ولم تفرق بين حلال وحرام ظننت انك لا تفارق الدنيا فاني برؤيتك منك ومن هلاك ويرى ماله قد وقف فى ملك غيره فيقول المال يا عاصي كسبتي بغير حق ولم تصرفني ولم تصدق بى على الفقراء والمساكين اليوم قد وقعت فى ملك غيرك وذلك قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم فيقول رب ارجعوني لعلى أعمل صالحاً فانيا تركت فيقول الله تعالى اذا جاء أجلكم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ثم يأخذ روحه ان كان مؤمناً على السمادة وان كان كافراً أو منافقاً على الشفاوة لقوله تعالى كلا ان كتابنا لمتجانس لى سجين

باب الخامس فى أحوال ملك الموت كيف يأخذ الارواح

ذكر فى كتاب السلوك عن مقاتل بن سليمان أن ملك الموت كان له سرير فى السماء السابعة ويقال فى الرابعة خلقه الله تعالى من نور وله سبعون ألف قائمة وله اربعة آلاف جناح ملوه جميع جسده بالعيون والالسن وليس أحد من المخلوق من الادميين والطيور وكل ذى روح الا وله فى جسده وجه وعين ويد وأذن بعدد كل انسان فيأخذ بتلك اليد الروح

بمدا رافيل بمحبة فقام
له من رأسه الى قدمه شعور
من الزعفران وأجنحة من
الزبرجد تحت كل شعرة ألف
وجه وفي كل وجه ألف فم وفي
كل فم ألف لسان يستغفر الله
للمذنبين من المؤمنين وكل
قطرة تنقطر من دمعه يخلق
الله منها ملكا على صورة
ميكائيل يسبح الله تعالى الي
يوم للقيامة موكون بالمطر
ونبات الارض والاوراق
والثمار فامن قطرة في البحار
ولا غرة في الاشجار ولا حبة
في الارض الا وعليها ملك
موكل بها واما جبرائيل
فخلق الله للشمس بين عينيه
وكل يوم يدخل بحر النور
ثلثمائة وستين مرة فاذا خرج
بتساقط من أجنحته قطر
فيخلق الله تعالى من كل قطرة
ملك على صورة جبرئيل عليه
السلام يسبح الله تعالى الي يوم
القيامة وأما صورة ملك
الموت فهي كصورة
امرافيل عليه السلام وفيها
الالسة بمدا دهائم ان الله
تعالى خالق الموت وحجبه
عن الملائكة بالصف حجاب
وله قوة تفوق السموات
والارض وله سلاسل طول
كل سلسلة مسيرة ألف عام فاما
المحجوبون عن الملائكة لا
يقربون اليه ولا يعلمون
كانه ولا يسمعون صوته ولا
يدرون ما هو الى ان خالق الله

وينظر بالوجه الذي يحاذيه ولذلك يقبض روح المخلوقين في كل مكان فاذا ماتت نفس في
الدنيا ذهب من جسده صورتها ويقال أن له أربعة اوجه وجه قدميه والثاني على رأسه
والثالث على ظهره والرابع تحت قدميه فيأخذ أرواح الانبياء والملائكة من وجه رأسه
وارواح المؤمنين من وجه قدميه وأرواح الكافرين من وجه وراء ظهره وارواح الجن
من وجه قدميه واحدى رجله على جمر جهنم والاخرى على لبرير الجنة ويقال في عظمه
انه لو صب ماء جميع البحور والانهار على رأسه ما وقعت منها قطرة على الارض ويقال أن
الله تعالى جعل الدنيا بأمرها في جنب ملك الموت كخوان قد وضع بين يدي رجل لياكل
منه ما شاء فكذلك ملك الموت في الخلائق يقبل الدنيا بما يقبل الآدمي درهما ويقال لا ينزل
ملك الموت الا على الانبياء والمرسلين وله خليفة على قبض ارواح السباع والبهائم ويقال
ان الله تعالى اذا افنى خلقه من الناس وغيرهم أفنى ملك العيون التي في جسده كلها وبقي
ثمانية من المخلوقين يقال لهم امرافيل وميكائيل وجبرائيل ومزرائيل واربعه من همة المرش
✽ وأما معرفة انتهاء الآجال ✽

فان ملك الموت اذا وقع اليه نسخة الموت والمرش للعبد يقول آلمي مقى قبض روح العبد
وعلى أى حال وهيئة ارفعه فيقول الله تعالى يا ملك الموت هذا علم غيبي لا يطلع عليه أحد
غيري ولكن اعلمك بمجيء وقتك واجعل لك علامات تقف عليها أن الملك الذي هو موكل
على الانقاس واحملهم بأقن ليك فيقول ثم نفس فلان والذي على ارزاقه واحماله يقول ثم
رزقه وحمله وان كان من السعداء نبين على اسمه الذي هو مكتوب في صحيفة التي عند
ملك الموت خط من نور أبيض حول اسمه وان كان من الاشقياء تبين فيه خط اسود ثم
لا يتم للملك علم ذلك حتى تسقط عليه ورقة من الشجرة التي تحت المرش مكتوب على
الورقة اسمه فحينئذ يقبض روحه ✽ روى عن كعب الاحبار أن الله تعالى خلق شجرة تحت
العرش عليها اوراق بعدد كل مخلوق واذا قضى اجل العبد وبقي له من عمره أربعون
يوما سقطت ورقته على حجر فزرائيل عليه السلام فيعلم بذلك أنه امر يقبض روح صاحبها
وبعد ذلك يسمونه ميتا في السماء وهو حي على وجه الارض اربعين يوما ويقال ان ميكائيل
عليه السلام ينزل بصحيفة على ملك الموت من عند الله مكتوب فيها اسم من امر يقبض
روحه والموضع الذي يقبض فيه الروح والسبب الذي يقبض عليه ✽ وذكر أبو اليت رضى
الله عنه انه ينزل قطر ثمان من تحت العرش على اسم صاحبها احدها خضراء والاخرى بيضاء
فاذا وقعت الخضراء على أي اسم كان عرف انه شقي واذا وقعت البيضاء على أي اسم كان
عرف انه سعيد واما معرفة الموضع الذي يموت فيه فيقال ان الله تعالى خالق ملكا موكل
بكل مولود يقال له ملك الارحام فاذا خالق المولود امر أن يدرج في النطفة التي في رحم
امه من تراب الارض التي يموت عليها فيدور العبد حينما يدور ثم يعود الى موضع اخذ
ترابه فيموت به وعلى هذا يدل قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم ✽ وعلى هذا حكاية وهي أن ملك الموت كان يظهر في الزمان الاول فدخل
يوما على سليمان عليه السلام فأخذ ينظر الى شاب عنده فارتعد للشباب فلما غاب ملك الموت
قال الشاب يا بني الله اني اريد ان تأمر الريح ان تمحى الى الصين فأمر عليه السلام الريح
فخلته فماد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فسأله عن سبب نظره الى الشاب فقال اني

ادم عليه السلام وأدخله الجنة فمئذ ذلك صلب الله فزرائيل عليه السلام على الموت ان قبض يا عزرائيل على الموت بيدك فلما سمعت

امرت أن اقبض روحه في ذلك اليوم في الصين فرأيتنه عندك فتمجبت من ذلك فأخبره
بقصته من كونه سأله أن يأمر الريح لتجعله الى الصين قال ملك الموت فأنا قبضت روحه
ذلك اليوم في الصين * وفي خبر آخر ان ملك الموت له أعوان يقومون بين يديه بقبض
الارواح ألا ترى انه روي ان رجلاً أتى على لسانه اللهم اغفر لي وملك الشمس فاستأذن
هذا الملك ربه في زيارته فلما نزل ملك الشمس عليه قال له انك تكثر الدعاء لي فإنا حاجتك
قال حاجتي أن نعلمني الى مكانك فأنا أريد أن تسأل لي ملك الموت أن يخبرني باقتراب
أجلي قال فخله واقعدته مقدمه من الشمس ثم ذهب الى ملك الموت وذكر له أن رجلاً من
بنى آدم أتى على لسانه ان يقول كل يا صلي اللهم اغفر لي وملك الشمس وقد طلب مني ان
أطلب ملك أن تعلمه متى يقرب اجله لينأهب له فنظره ملك الموت في كتابه فقال له هيات
ان لصاحبك شأنًا عظيمًا وانه لا يموت حتى يجلس بجانبك من الشمس قال قد جالس بجانب
منها فقال ملك الموت توفي عند رسنا على ذلك وهم لا يعلمون * وفي الخبر من النبي عليه
السلام قال آجال البهائم كلها في ذكر الله تعالى فاذا تركوا ذكر الله قبض الله ارواحهم وليس
لملك الموت من ذلك شيء وقد قيل أن الله تعالى هو قابض الارواح وانما اضيف ذلك الى
ملك الموت كما اضيف القتل الى القاتل والموت الى الامراض وهما هذا يدل قوله تعالى
الله يتولى الاتمس حين موتها والله اعلم

الباب السادس في ذكر جواب الروح *

ورد في الخبر ان ملك الموت اذا اراد ان يقبض روح المؤمن تقول لا اطيعك ما لم تؤمر
بذلك فيقول ملك الموت امرت بذلك فتطلب الروح منه العلامة والبرهان فتقول الروح
ان ربي خلقني وادخاني في جسدي ولم تكن انت عند ذلك فالآن تريد ان تأخذني فيرجع
ملك الموت الى الله تعالى فيقول الله تعالى اقبضت روح عبدي فيقول ملك الموت الهي ان
عبدك يقول كذا وكذا يطلب البرهان مني فيقول الله تعالى صدق روح عبدي ثم يقول
الله تعالى ياملك الموت اذهب الى الجنة وخذ تفاحة عليها علامتي وارها روح عبدي فيذهب
ملك الموت الى الجنة ويأخذ تفاحة وعليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاذا ارها روح
العبد خرجت بانشاط والدوق والصفاء

الباب السابع في ذكر جواب الاعضاء *

وفي الخبر اذا اراد الله تعالى قبض روح العبد يجيء ملك الموت من قبل النعم ليقبض روحه منه
فيخرج الذك من فيه فيقول لا سبيل لك من هذه الجهة فطالما أجرى لسانه في ذكر ربي فيرجع
ملك الموت الى الله تعالى فيقول يارب عبدك قال كذا وكذا فيقول الله تعالى اقبض من جهة أخرى
فيجيء من قبل اليد فتخرج للصدفة فتقول لا سبيل لك اليه فانه تصدق بها كثيرا ومع سبحا رأس
اليتيم وكتب بالفم وضرب باليد أعناق الكفار ثم يجيء الى الرجل فتقول لا سبيل لك من
قبلي فانه مشى الى الجماعة والاعباد ومجالس العلم والتعلم ثم يجيء الى الأذن فتقول لا سبيل لك
من جهتي فانه سمع في القرآن والأذان والذكر فيجيء الى العينين فتقول لا سبيل لك من قبلنا
فانه نظر بنا الى المصالح وجوه العلماء والوالدين والصالحاء فينصرف ملك الموت الى الله تعالى
فيقول يارب اذ عبدك يقول كذا وكذا فيقول الله تعالى ياملك الموت هل أتى اسمي على كفة وأظهره
لروح عبدي حتى يراه فيخرج فيكتب اسم الله على كفة فتراه روح العبد فيجيبه فتخرج روح

الملائكة خطاب الرحمن جل
ثم قال للملائكة انظروا الموت
فلما رآوه غشى عليهم ألف
حام فلما أفاقوا قالوا ياربنا
أخفت خلقاً أعظم من هذا
قال نعم وأنا أعظم من هذا
وقوته وأنتم وكل مخلوق
تحت عظمتي ثم ان ملك الموت
نادى الهى باى قوة أقدر
عليه فاعطاه الله قوة بليغة
فأخذ وقبض عليه فعند
ذلك صاح ملك الموت صيحة
عظيمة ونادى يارب ائذن لي
أن أنادى في السماء مرة
واحدة فأذن له فنادى أنا
الموت أنا الذي أفرق بين
البنات والامهات أنا الموت
الذي أفرق بين الاب والام
أنا الموت أنا الذي أفرق بين
الاخ والاخوات أنا الموت
أنا الذي أفرق بين القوى
والضعيف أنا الموت أنا الذي
لم يبق مخلوق الا ذاقني ويقال
ان ملك الموت له أربعة أوجه
وجه من أمامه ووجه من على
رأسه ووجه خلف ظهره
ووجه تحت قدميه فيأخذ
أرواح الاتبياء والملائكة
بالوجه الذي على رأسه
وأرواح المؤمنين من الوجه
الذى خلف ظهره وأرواح
الجن من الوجه الذي تحت
قدميه ويقال أن ملك الموت
يقلب الدنيا بين يديه كما يقلب
الآدمي درهمه وله في جسده
عيون بعدد الخلائق فاذا

العبد ببركة اسمه فتصرف عنه صرامة التزع افلا ينصرف عنه المذاب الفطيم اذا كتب في صدره اسم الله تعالى لقوله تعالى اقم شريحه لله صدره للإسلام فهو على نور من ربه أفلا ينصرف عنهم المذاب وأهوال القيامة وفي الخبر خمسة أشياء مم قاتل وخمسة أخرى تزيقها فالدين اسم قاتل والهدى تزيقها والمال مم قاتل والرفقة تزيقها والكلام مم قاتل وذكر الله تزيقه والعمر كله مم قاتل والطاعة تزيقه وجميع السنة مم قاتل وتزيقها شهر رمضان وفي الخبر اذا وقع العبد في التزع ينادي مناد من قبل الرحمن دعه حتى يستريح ساعة واذا بلغ الروح الصدر قال دعه حتى يستريح ساعة وكذلك اذا بلغ الركبتين والسرعة واذا بلغ الحلقوم جاء نداء دعه حتى يودع الاعضاء بعضها بعضا فتودع العين العين فتقول في الوداع السلام عليكم اليوم القيامة وكذلك الاذان واليدين والرجلان وتودع الروح النفس فتعوذ بالله من وداع الايمان للسان ونعوذ بالله من وداع المعرفة والايمان للجنان فتبقي اليدين بالحركة والرجلان بالحركة واليمينان بالناظر والاذان بالاسمع واليدين بالارواح ولو بقي اللسان بلا ايمان والقلب بلا معرفة فكيف يكون حال العبد في الاحل لا يرى أحدا لا أبولا أمابولا اولاد ولا اخوانا ولا أصحابا ولا فراشا ولا حجابا فلم يرب يركب ما فقد خسر خسرانا عظيما وقال الامام أبو حنيفة أكثر ما يسلب الايمان من العبد وقت التزع حفظنا الله وإياكم من سلب الايمان

(الباب الثامن في ذكر الشيطان كيف يسلب الايمان)

في الخبر انه يجيء للشيطان لمنه الله فيجلس عند رأس العبد فيقول له اترك هذا الدين فقل الهين اثنين حتى تنجو من هذه الشدة فاذا كان الامر كذلك فالخطر شديد والخوف عظيم فمهلك بالبكاء والتضرع واحياء الليل بكثرة الركوع والسجود حتى تنجو من عذاب الله تعالى وسئل أبو حنيفة أي ذنب أخوف بسلب الايمان قال ترك الشكر على الايمان وترك خوف الخاتمة وعظم العباد فان ما كان في قلبه هذه الحصا الثلاثة فالأغلب أنه يخرج من الدنيا كافرا لا امن ادر كنه السعادة ويقال أشد حال الميت حال العطش واحراق الكبد في ذلك لوقت يجد الشيطان فرصة من تزع ايمان المؤمن لشدة عطشه في ذلك الوقت فيجىء الشيطان عند رأسه معه قدح ماء من الجمد فيحرك القدح له فيقول المؤمن أعطني من الماء ولا يدري أنه شيطان فيقول له قل لاصانع للعالم حتى أعطيك فان كان على السعادة لم يجبه ثم يجىء الشيطان الى موضع قدميه وبحرك القدح له فيقول المؤمن أعطني من الماء فيقول قل كذب الرسول عليه السلام حتى أعطيك منه فن أدركته الشقاوة يجيبه الى ذلك لانه لا يصبر على العطش فيخرج من الدنيا كافرا نعوذ بالله ومن ادر كنه السعادة يرد كلامه ويتفكره امامه كما حكى ابن ابي زكريا الزاهد لما حضرته الوفاة اتاه صديقه وهو في سكرة الموت ولقنه السكامة الطيبة لا اله الا الله محمد رسول الله فاعرض عنه فقال له نالنا فقال له لا اقول ففتش على صديقه فلما افاق ابوزكريا بعد ساعة وجد خفة فتح عينيه فقال لهم هل قلتم لي شيئا قالوا نعم مرنا عليك الشهادة ثلاثا فاعرضت مرتين وقلت في الثالثة لا اقول فقال ابوزكريا أأتاني أبليس ومعه قدح من الماء وقف عن يميني وحرك القدح فقال لي أحتاج الى الماء قلت بلى قال عيسى بن الله فاعرضت منه ثم أأتاني من قبل رجل فقال لي كذلك وفي الثالثة قال قل لا اله الا الله ففرض القدح على الارض وولي هاربا فأنا ناردت على أبليس لا عليك فأشهدنا لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وفي هذا الخبر روى عن منصور بن سمار قال اذا دنا من العبد قمم حاله على خمسة المال للورثة والروح للملك الموت والاحم المدود والعظم للتراب

متيا وهو حتى على الارض أربعين يوما فان كان من أهل السعادة يجده ملك الموت خطا من نور حول الاسم وان كان من أهل الشقاوة يجده من السواد فاذا مضت الاربعون يوما ينزل ملك الموت الى الشخص فيقزع منه ويقول له من أنت وما تريد فيقول أنا ملك الموت أمرني الله بقبض روحك فاذا همم الشخص كلامه حول وجهه عنه وشخص بيصره فيقول له ملك الموت أمارتني أنا ابوت الذي قبضت أرواح أولادك ووالديك واليوم أقبض روحك حتى تنظر أولادك وأقاربك أنا الموت فلهذا أفنيت الأقرن الماضية ذكنا أكثر منك مالا ولدا رقة فكيف رأيت الدنيا وحالها فيقول الشخص رأيها مكاره غدارة ثم يأمر الله الدنيا أن تتصور بين يديه وتقول له يا عاصي ربك أذنبت فكم من موعظة هممها وكم من المعاصي فعلته ولا تنتهي طلبتي وظنك لا تفارقي فأنا بريئة منك ومن عملك ثم انه يرى ماله فيقول له يا عاصي اكتبني بغير حق ولو تصدقت في على الفقراء والمساكين نعمتك فاذا أراد ملك الموت أن يقبض الروح فتقول لا أطيعك حتى يامرني ربي بذلك فيقول لها ملك

في قد خلقني وأدخلني في

ذلك الجسد ولم تكن عندي فكيف أخرج بلا ذن منه فعند ذلك برحمه ملك الموت

الى الله تعالى ويقول يارب
عبدك فلان يقول كذا وكذا
وطلب مني للرهان فيقول
له يا ملك الموت اذهب الى
الجنة فخذ منها نقاعة عليها
علامة وبرهان اذا رأتها
روح عبدى خرجت
فيذهب ملك لموت الى الجنة
ويأخذ منها نقاعة وعليها
مكتوب بسم الله الرحمن
لرحيم فاذا رآها الشخص
تنصرف عنه مرارة الموت
وتخرج منه صريعا وفي الخبر
اذا اراد الله قبض روح عبد
يزل ملك الموت عنده ويريد
ان يقبض روحه من قبل القدم
فيخرج الذكر منه فيقول له
لا سبيل لك من قبل هذه
الجهة لان الله تعالى أجرى
فيه الذكر فيرجع ملك الموت
الى الله تعالى ويقول يارب
ان عبدك فلانا يقول كذا
وكذا فيقول اقبضه من
جهة اخرى فيجيبه له من
قبل لئلا يخرج له لصدقه
فتقول لا سبيل لك من قبل
هذه الجهة لقد صدق بها
كثيرا ومسح بها على رأس
اليتم وكتب به العلم ثم يجيء
الى الرجل فتقول لا سبيل
لك من قبل هذه الجهة لانه
مشي في الى مجالس العلماء
يجيبه الى العين فتقول له لا
سبيل لك من قبل هذه الجهة
لانه نظرت في المصاحف

والحسنات للخصاء ولا شيطان لسلب الايمان ثم قال ان ذهب الوارث بالمال يجوز وان ذهب
ملك الموت بالروح يجوز وان ذهب الدود باللحم يجوز وان ذاب الخصاء بالخصاء بالخصاء يجوز
بأيت الشيطان لا يذهب بالايمان عند الموت فانه يكون فرقا من الدين فانه ايق الروح للجسد
غير فرقا للرب فانه فرقا لا يدرك بعدد وخسارته

باب التاسع في ذكر الداء

وفي الخبر اذا فارق الروح البدن نودي من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم اترك الدنيا
أم الدنيا تركتك أمجعت الدنيا أم الدنيا جمعتك أقلت الدنيا أم الدنيا قتلتك واذا وضع
على المغسل نودي بثلاث صيحات يا ابن آدم ابن بدنك القوي ما أضغفك وابن لسانك
الفم صبح ما أسكتك وابن أحباؤك ما أوحشك واذا وضع في الكفن نودي بثلاث صيحات
يا ابن آدم تذهب الى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلك فلا ترجع وتركب فرسا ولا
تركب مثله أبدا وتسير الى بيت ما أهوله واذا حمل على الجنائز نودي بثلاث صيحات يا ابن
آدم طوبى لك ان كنت تائبا طوبى لك ان كان مملكا خيرا طوبى لك ان كان صاحبك رضوان
الله تعالى وويل لك ان صاحبك سخط الله وانا وضع للصلاة نودي بثلاث صيحات يا ابن
آدم كل عمل عملته تراه الساعة ان كان مملكا خيرا تراه خيرا وان كان مملكا شرا تراه شرا
واذا وضعت الجنائز على شفير القبر نودي بثلاث صيحات يا ابن آدم ما تزودت في العمران
لهذا الخراب وما حملت من الفنى لهذا الفقر وما حملت من النور لهذه الظلمة فاذا وضع في
للحد نودي بثلاث صيحات يا ابن آدم كنت على ظهري ضائكا وصرت في بطنى باكيا
وكنت على ظهري فرحا وصرت في بطنى حزينا وكنت على ظهري ناطقا فصرت في بطنى
ساكتا واذا أدير الناس عنه يقول الله تعالى يا عبدى بقيت فريدا وحيدا وتركوك في ظلمة
القبر وقد عصيتنى لاجلهم وللزوجة والولد وأنا أرحمكم اليوم رحمة يتعجب منها المخلوق
وأنا أشفق عليكم من الوالدة بولدها

باب العاشر في ذكر حال الارض والقبر

قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان الارض تنادى كل يوم عشر كلمات تقول يا ابن
آدم تسعى على ظهري ومصيرك في بطنى وتمعى على ظهري وتمذب في بطنى وتضحك على
ظهري وتبكي في بطنى وتأكل الحرام على ظهري وتأكل لك الدنانير في بطنى وتفرح على ظهري
وتحزن في بطنى وتجمع الحرام على ظهري وتذوب في بطنى وتحتال على ظهري وتذل في بطنى
وتعشى مسرورا على ظهري وتقع حزينا في بطنى وتعشى في النور على ظهري وتقدم في
الظلمات في بطنى وتعشى في الجماعة على ظهري وتقدم وحيدا في بطنى وفي الخبر أن القبر
ينادى كل يوم ثلاث مرات أنا بيت الوحدة والوحشة والعقرب والحية أنا بيت الظلمة وأنا
بيت الدود وماذا أعدت لي ويقال أن القبر ينادى كل يوم خمس مرات أنا بيت الوحدة
فاحمل لك مؤنسا قراءة للقرآن وانا بيت الظلمة فنورنى بصلاة الليل وانا بيت التراب فاحمل
الفرش وهو العمل الصالح وانا بيت الاناعى فاحمل التراب وهو بسم الله الرحمن الرحيم
واهرق الدموع وانا بيت سؤال منكر ونكير فاكثر على ظهري قول لا اله الا الله محمد
رسول الله ليجن لك أن نجيبه

ووجوه العلماء فينصرف ملك الموت الى ربه فيقول يارب ان عبدك فلانا قال كذا وكذا فيقول الله تعالى (الباب)

في الباب الحادي عشر في ذكر نداء الروح بعد الخروج

في الخبر روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت قاعدة متربعة في البيت اذ دخل رسول الله عليه السلام فسلم علي فأردت ان أقوم له كما كانت عادتني منذ دخوله فقال عليه السلام اقمدي مكانك ما كان لك ان تقومي بام المؤمنين قالت فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رأسه على حجرى فنام مستلقيا على قفاه فجعلت اطلب شيبة في لحية فرائت بها تسع عشرة شمرة بيضاء فتفكرت في نفسي فقلت أنه ليخرج من الدنيا قبلني فتبقى الالة بلا نبي فيكتب حقى سال دمع عيني على خدي وتقاطر منه على وجهه فأتته من نومه فقال عليه السلام مالا الذي ابكك بام المؤمنين فقصصت عليه القصة ثم قال عليه السلام أي حال أشد على الميت فقلت قل يا رسول الله فقال عليه السلام بل قولي أنت فقلت لا يكون أشد حالة على الميت من وقت خروجه من داره بمجنون ولاده خلفه بقولوا ووالده واماه وقرل لوالد ابنته فقال عليه السلام هذا شديد فما أشد منه فقلت لا تكون حالة أشد على الميت من حين يوضع في لحده ويفشى التراب عليه ويرجم عنه اقرباؤه وأولاده واحبوه ويسلمونه الى الله تعالى مع قله فيأتيه منكر ونكير في قبره فقال بام المؤمنين ما أشد منه قالت قلت الله ورسوله أعلم قال عليه السلام يا عائشة ان أشد حالة على الميت حين يدخل عليه الفاسل في داره ليفسده فيخرج خاتم للشباب من أصابعه وينزع فيص الغروس من بدنه وينزع صفة المشايخ والفقهاء من رأسه ليفسده فعند ذلك تنادى روحه حين تراه عربا بصوت يسمعه كل الخلائق الا الثقلين تقول يا غسال اسألك بالله ان تنزع ثيابي برفق فاني الساعة قد استرحمت من مجاذبة ملك الموت واذا صب عليه الماء صاح كذلك يقول يا غسال بالله لا تعذب ماءك حارا ولا تجعل ماءك حارا ولا باردًا فان جسدي محترق من نزع الروح فاذا غسلوه تقول الروح بالله يا غسال لا تمسني قويا فان جسدي مجروح بخروج الروح فاذا فرغ من غسله ووضع في كفنه وشد موضع قدميه ناداه بالله يا غسال لا تشد كفني رأسى حتى أرى وجه اهلى واولادى وأقربائى فان هذا آخر ما روي لهم فانا اليوم أمارفهم ولا اراهم الى يوم القيامة فاذا أخرج الميت من الدار نادى بالله يا جماعتي لا تعجلوا بي حتى اوع دارى وأهلى وأقربائى ومالى ثم ينادى بالله يا جماعتي تركت امرأتى أرملة فمليكم أن لا تؤذوها واولادى يتيماء فمليكم أن لا تؤذوهم فاني اليوم أخرج من دارى ولا أرحم اليهم أبدا واذا وضع على الجنازة يقول بالله يا جماعتي لا تعجلوا بي حتى سمع صوت أهلى واولادى وأقربائى فاني اليوم أمارفهم الي يوم القيامة فاذا حل علي الجبارة وحطوا بها ثلاث خطوات ينادى بصوت يسمعه كل شيء الا الثقلين وتقول الروح يا أحبائي ويا اخواني ويا اولادى لا تفرمكم الدنيا كما فرمتي ولا يلعننكم الزمان كما لعن بي واعتبروا بي فاني خلفت ماجعت لورثتي ولم يحملوا من خطيئتي شيئا وعلى الدنيا يحاسبني الله تعالى وانتم تستمعون بها ثم لا تدعون لي واذا صلوا على الجنازة ورح بعض أهله وأصدقائه من المصلى يقول بالله يا اخواني اني كنت أعلم ان الميت ينسئ في الاحياء ولكن لا تدعونى بهذه السرعة قبل ان تدفنونى حتى تطروا لي مكانى ويا اخواني اني كنت أعلم ان وجه الميت أبرد من الزمهرى في قلوب الاحياء ولكن لا يرجعوا بهذه السرعة فاذا وضعوه عند قبره يقول بالله يا جماعتي ويا اخواني ادعواكم ولا تدعوني فاذا وضعوه في لحده يقول بالله يا وارثى ماجعت مالا كثيرا من الدنيا الا

الرحيم وبرحمته الروح المؤمن فتخرج ببركة السمحة وفي الخبر ان ستة اشياء هم قاتل وستة أخرى تزيقها الاول الدنيا سم قاتل والزمه تزيقها الثاني المال سم قاتل والزكاة تزيقه الثالث السلام سم قاتل وذكر الله تزيقه الرابع المعرسم قاتل والطاعة تزيقه الخامس جميع السنن سم قاتل وشهر رمضان تزيقه السادس جميع الليالي سم قاتل وليلة القدر تزيقها ثم ان للمبداذا وقع في نزع الروح ينادى مناد من قبل الله تعالى دعه حتى يستريح فاذا بلغت الي مرتته نادم مناد دعه حتى يستريح فاذا بلغت الي حلقومه نادى منادى دعه حتى يستريح وتودع لاعضاء بعضها فتقول العين العين للعين السلام عليك الي يوم القيامة وتقول لاذن لاذن السلام عليك لي يوم القيامة وتقول لا يلد ليلد السلام عليك الي يوم القيامة وكذا سائر الاعضاء ثم الروح الجسد فتفارقه فعند ذلك ينادى مناد من السماء ثلاث مرات يا ابن آدم أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركك أنت حسنت المال أم المال جمعك يا ابن آدم انت قتلت الدنيا ام الدنيا قتلتك وفي رواية ان للمبداذا حبر لسانه عن السلام يدخل عليه اربعة من الملائكة فيقول

الاول للسلام عليك يا عبد الله انا الموكل برزقك طاعت الارض شرقا وغربا فاجدت لك من الرزق لقمة فرجعت ثم يدخل عليه الثاني

ركبة لكم فتذكروني بكثرة خيركم وقد علمتكم القرآن والادب فلا تنسوني من دعائكم *
وعلى هذا حكاية أبي قلابة رضي الله عنه وهي مروي في المناسم كان للقبور قد
انفتحت وامواتها قد خرجوا منها وقعدوا على شفير القبور وكان بين يدي كل واحد منهم
طبق من نور ورأى فيها بينهم رجلا من جيرانهم لم ير بين يديه شيئا من نور فسأله فقلت
مالي لأرى بين يديك نورا فقال الميت ان لهؤلاء اولادا وأصدقاء يهدون اليهم خيرا
ويتصدقون لاجلهم وهذا النور مما يهدونه اليهم وكان لي ابن غير صالح لا يهدوني ولا
يتصدق لاجل ولهذا لانور لي وأنا خجل بين جبراني فلما انتبه أبو قلابة دعا ابنه واخبره
بما رأى فقال الابن انا ثبت على يدك فلا أعود الي ما كنت عليه أبدا فاشتغل بالطاعات
والدعاء وللمتصدق عن أبيه فلما مضى عليه زمان رأى أبو قلابة صرة اخري في منامه تلك
المقبرة على حالها ورأى نورا بين يدي ذلك الرجل أضوأ من الشمس أكثر من نور اصحابه
فقال لي يا أبا قلابة جزاك الله خيرا فقد نجوت من خجلة الجيران * وفي الخبر ان ملك الموت
دخل على رجل بالاسكندرية فقال من أنت قال انا ملك الموت فارتعدت فرائصه وهي
اللحم بين الجنب والكتف فقال ملك الموت ما هذا الذي اري قال خوفا من النار فقال له
أكتب لك كلاما تنجو به من النار قال بلى فدعا بصحيفة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
وقال هذه براءة من النار * وصحح رجل عارف رجلا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال امم
الحبيب في هذه فكيف رويته ثم قال الناس يقولون ان الدنيا مع ملك الموت لا تساوي
دائما وأنا أقول ان الدنيا بلا ملك الموت لا تساوي دائما لانه يوصل الحبيب الي الحبيب

﴿الباب الثاني عشر في ذكر المصيبة على الميت﴾

روى في الخبر أن من اصاب بمصيبة فخرق بها ثوبا أو ضرب بها صدرها فكأنما أخذ الرمح
وحارب الله تعالى روى عن النبي عليه السلام قال من سود بابا أو ثيابا عند المصيبة أو ضرب
دكانا أو كسر شجرة أو قطع شجرة بني له بكل شجرة بيت في النار ولا يقبل الله تعالى منه
سرفا ولا عدلا مادام ذلك السواد على بابه وضيق الله قبره وشدده عليه حسابه ولمنه كل
ملك في السماء والارض وكتب عليه ألف خطيئة وقام من قبره عربا نوا من خرق على المصيبة
جيبه خرق الله دينه وان لطم خدا أو خدش وجهها حرم الله تعالى عليه النظر الى وجهه
الكريم وفي الخبر اذا مات ابن آدم واجتمعت الصياح في داره يقوم ملك الموت على باب داره
فيقول لهؤلاء ما هذا الصياح فوالله ما نقصت من أحد منكم عمرا ولا زقا ولا ظلمت
أحدا منكم وان كان صياحكم مني فأنا عبد مأمور وان كان من الميت فهو مقهور وان كان
من الله تعالى فأنا مناجهون بالله تعالى أن لي بكم عودة ثم عودة

﴿الباب الثالث عشر في ذكر البكاء على الميت﴾

قال للفقهاء أبو الليث رحمه الله النوح حرام ولا بأس بالبكاء على الميت والمبرر أفضل ان الله
تعالى قال انما يوفى الصابرون اجرهم بنير حساب وروى عن النبي انه قال الناحية ومن حولها
من مستمعها عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقال لما مات الحسن بن الحسن بن علي
استكف امرأته علي قبره سنة واحدة فلما كان رأس الحول رفم القسطاط فسمعوا صوتا من
من جانب القبر هل وجدتم ما فقدتم وستموا صوتا من الجانب الآخر بل اسأتم فاضرفوا
وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه لما مات ابنه ابراهيم عليه السلام دمعت عيناه فقال

من الماء شربة فرجعت ثم
يدخل عليه الثالث فيقول
للسلام عليك يا عبد الله ان
الملك الموكل بنفسك طقت
الارض مشرقا ومغربا ف
وجدت لك نفسا واحدا
فرجعت ثم يدخل عليه الملك
الرابع فيقول للسلام عليك
يا عبد الله انا الموكل باجلك
طقت الارض مشرقا ومغربا
فوجدت لك أجلا فرجعت
ثم يدخل عليه الكرام
الكتابون فيقولان له
السلام عليك يا عبد الله نحن
الموكلون بما يخرج من امانك
ثم يعرضان عليه صحيفة
سوداء ويقولان له انظر
هذا كتابك فعند ذلك تسيل
دموعه وينظر بين رشتي
واما ما خلفا فخرق من قراءة
تلك الصحيفة ثم ينصرفان
بشارة عظيمة وقد ورد ان
الكرام الكتابين ملكان
أحدهما عن يمينه يكتب
الحسنات والاخر عن يساره
يكتب السيئات فاذا جلس
الشخص فقد أحدهما عن
يمينه والاخر عن يساره
فاذا همشي يمشي أحدهما خلفه
والاخر امامه واذا نام قام
أحدهما عند رأسه والاخر
عند رجليه لا يفارقه الا
عند الجماع وعند قضاء الحاجة
الغسل لسانه والدواة حلقه
والمداد ريقه والصحيفة

فأردم يكتبان اسماءه من خير وشرا الى مماته قال صاحب الجوهره بكل عبد حافظون وكوا وكاتبون خيرة لن يهملوا * له

الشمال أن يكتبها يقول له صاحب الجنتين أمسك يدك فيمسك يده سمع سافات فان استغفر الله لم يكتبها وان لم يستغفر الله تعالى كتبها اسيرة واحدة فاذا قبض العبد ووضع في قبره يقول الملاك الموكلان به ربنا وكلتنا بعبدك نكتب عمله والان قبضت روحه فائذن لنا نضعه الى السماء فيقول الله تعالى السماء مملوءة من الملائكة فيسبحون ويكبرون وهللون فيهللوا واكتبوا ثواب ذلك لعبدى حتى يبعث من قبره وقد ورد ان العبد المؤمن اذا حضرته الوفاة ينزل اليه ملك الموت وتنزل معه ملائكة من السماء بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيحلون منه الى البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ثم يقول اخرجني أيتها النفس الطيبة الى مقرة من الله ورضوان فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها ملك الموت في يده ثم رفع تلك الملائكة فيأخذونها ويحملونها في تلك الأكفان والحنوط فيخرج منها رائحة طيبة كرائحة المسك ثم يصعدون بها الى السماء الاولى فيستفتحون الباب فيفتح لهم فيقولون ما هذه الائمة

له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله اليس قد نهيتنا من البكاء قال عليه السلام انما نهيتكم عن الصوتين الفاجرين الاحقين وهو صوت النوح والغناء وعن خدش الوجوه وشق الجيوب ولكن هذه رحمة جعلها الله في قلوب الرحمة ثم قال عليه السلام القلب يحزن والعين تدمع وروى عن وهب ابن كيسان رضى الله عنه أن صرا بصرا امرأة تبكي على الميت فيهاها فقال النبي عليه السلام دعي يا أبا حفص فان العين باكية والنفس مصابة والمهد حديث

باب الرابع عشر في ذكر الصبر على المصيبة *

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عليه السلام أول ما كتب القلم في اللوح المحفوظ بأمر الله تعالى انى أنا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وخيرتى من خلقى من استسلم لتضائى وصبر على بلائى وشكر لنعمائى أكتبته صديقا وابنه مع الصديقين يوم القيامة وأدخله الجنة ومن لم يستسلم لتضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى فليخرج من تحت صمائي وليطلب ربا صوائى * قال الفقيه رحمه الله الصبر على البلاء وذكر الله عند المصائب مما يجب على الانسان لانه اذا ذكر الله في ذلك المكان كان رضا منه بقضاه الله وترغيبا لاشيطان وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه الصبر على ثلاثة أوجه الأول الصبر على الطاعة والثانى الصبر على المصيبة والثالث الصبر على صبر على الطاعة أعطاه الله تعالى مائة درجة كل درجة ما بين السماء والارض ومن صبر عن المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة ما بين السماء والارض ومن صبر على المصيبة أعطاه الله أجره بغير حساب

باب الخامس عشر في ذكر خروج الروح من البدن *

وفي الخبر اذا وقع العبد في النزع حبس لسانه ودخل عليه أربعة من الملائكة فيقول الاول السلام عليكم أنا موكل برزقك طلبت في الارض شرقا وغربا فما وجدت من رزقك لقمة دخلت الساعة ثم يدخل الثانى فيقول السلام عليكم وأنا موكل بشربك من الماء وغيره طلبت شرقا وغربا فما وجدت لك شربة من الماء قربت الساعة ثم يدخل الثالث فيقول السلام عليكم وأنا موكل بانفاسك طلبت شرقا وغربا فما وجدت نفسا واحدا من انفاسك ثم يدخل الرابع فيقول السلام عليكم وأنا موكل باجلك طلبت في الارض شرقا وغربا فما وجدت لك ساعة ثم يدخل عليه الكرام الكاتبون عن الجنتين وعن الشمال فيقول من في الجنتين السلام عليكم أنا موكل بحسبك فيخرج صحيفة بيضاء فيعرضها عليه فيقول أنظر الى أعمالك فعند ذلك يفرح وينشط ويقول من في الشمال السلام عليكم أنا موكل على السيآت فيخرج صحيفة سوداء فيعرضها عليه فيقول انظر اليها فعند ذلك يسيل عرقه ثم ينظر بينا ورشلا خوفا من قراءة الصحيفة فيعمد الملك فيلقمها على الرسادة ثم ينصرف الملك فيدخل ملك الموت وعن يمينه ملائكة الرحمة وعن يساره ملائكة العذاب فنهى من يجذب الروح جذبا ومنهم من ينزع نزعاً ومنهم من ينشط نشاطا فاذا بلغت الخلقوم يأخذ ملك الموت روحه فان كان من أهل السعادة نادى ملائكة الرحمة وان كان من أهل الشقاوة نادى ملائكة العذاب فتأخذ الملائكة الروح فتخرج بها الى حضرة رب العالمين ان كان من أهل السعادة فيقول الله ارجعوها الى بدنها حتى تنظر ما يكون من جسده ثم تهبط الملائكة ومعهم الروح فيضعونها في وسط الدار فينظر من يحزن عليه ومن لا يحزن عليه وهو لا يطيق الكلام ثم تشيع الجنازة الى قبره فيأمر الله تعالى أن يعود الروح الى جسده كما كان في الدنيا

الطيبة فيقولون لهم هذه روح فلان بن فلانة وهكذا حتى ينتهى الى السماء السابعة ويقفوا بها بين يدي الجبار جل جلاله فترى ما أعد

أخرجهم تارة أخرى فينزلوا بها الى الارض فاذا غسل الجسد نادى الروح بصوت يسمعه كل شيء الا الانس والجن بالله عليك يا ماسل انزع ثيابك برفق واذا صب عليه الماء تقول يا غسل لانك بيدك على جسده بقوة فانه محروق فاذا فرغ من غسله ووضع في كفته دخلت بين الجسد والكفن وما بينكم أحد بشيء الا وملت يسمعه لكن منع من النطق فاذا أراد الفاسل أن يربط الكفن نادى الروح فانه لا يربط الكفن حتى أرى وجه أهلي وأولادي وأقاربي لان هذا آخر رؤيتي لهم فاني اليوم أغرقهم فلا أراهم الى يوم القيامة واذا خرجوا به من الدار نادى بالله عليكم مه لوني حتى أودعكم واذا رفع سرير جنازته وخطوبه ثلاث خطوات صاح صيحة يسمعه كل شيء الا الانس والجن بالله يا اخواني لا تميلوا الى الدنيا فتفركم كما غرتني وبلعبكم الزمان كما لعب بي اعتيروا لي لاني خالقت جميع ما ممي لورتي ولا يحمولون من ذنوبي شيئا واذا وضع في قبره يأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له من ربك وما دينك فيقول

واختلفت الرويات فيه قال بعضهم يحمل الروح في جسده كما كان ثم يجلس ويدأل وقال بعضهم يكون السؤال للروح دون جسده وقال بعضهم يدخل الروح في جسده الى صدره وقال الآخرون يكون بين جسده وكفته وفي كل ذلك قد جاءت الآثار والصحيح عند أهل العلم أن يقر للبدن بعذاب القبر ولا يشتغل بكيفيته * قال الفقيه رحمه الله من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء ويجتنب أربعة أشياء أما الاربعة التي يلازمها فالحفاظة على الصلاة والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فان هذه الاشياء تعفي القبر وتوسمه * وأما الاربعة التي يجتنبها فالكذب والحيانة والتميمة والبول على البدن * وقد قل النبي عليه السلام استنزهوا من البول فان طامة عذاب القبر منه ثم يهبط الملكان الغليظان يحرقان الارض بمخاليهما وهما مكر وكبر فيجلسانه فيقولان لمن ربك الى آخره فان كان من أهل السعادة فيقول ربى الله ونبى محمد عليه السلام ودينى الاسلام فيقولان له ثم نومه العروس ويفتحان له كوة عند رأسه فيعطر منها الى منزله ومقدمه في الجنة ثم يرجع الملكان مع الروح الى السماء ويجعلان الروح في القاديل المعلقة بأعرش وروي عن أنى هريرة رضى الله عنهما قال قال عليه السلام يقول لله تعالى لا أخرج عبدا من عبادى من الدنيا وانا أريد أن أغفر له الا تقصت من مئى عمله يسقم في جسده أو بضيق في معيشته أو بما يصيبه من غم فان بقي عليه من سيئاته شيء شددت عليه عند الموت حتى يلقىنى ولا سيئة عليه وعزنى وجلالى لا أخرج عبدا من عبادى وانا أريد أن لا أغفر له الا وفيته بكل حسنة عملها بصحة في جسده وفرح يصيبه وسعة في رزقه فان بقي من حسنة شيء هونت عليه عند الموت حتى يلقىنى ولا حسنة له قال ابو الاسود كنا عند عائشة رضى الله عنها اذا سقط فسطط على انسان فضحكوا فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مؤمن يشاك بشوكة الا كتب الله له بها حسنة وخطأ عنه بها سيئة وقد قيل لا خير في من لا تصيبه الاسقام ولا خير في مال لا تصيبه النوب وفي الخير ان المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال على الآخرة نزلت عليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأزجوههم الشمس ومعهم كفن من اكناف الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون عنده مد البصر ثم يجيئ ملك الموت فيجاس عند رأسه فيقول اخرجى ايتها النفس المطمئنة ارجى الى مغفرة الله ورضوانه قال عليه السلام فتخرج وتسيل من بدنه كما تسيل للقطرة من السقاء فيأخذونها ويضعونها على مافي ايديهم ويدرجونها في تلك الاكفاف ويخرج منها ريح كريخ المسك وفل عليه السلام وما يصمدون على ملائكة لا قولوا ما هذه للريح الطيبة فيقولون هذه ريح فلان فيذكرونه بأحسن اسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا وانا انتهبوا الى السماء استفتحوا ففتح لهم ابواب السماء وبشيعهم من كل السماء ملائكة حتى ينتهبوا بها الى السماء السابعة ثم ينادى مناد من قبل الله اكتبوا كتابه في عليين وردوه الى الارض فانه خلق منها كما بينه بقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال عليه السلام فيردون روحه الى جسده وبأية ملكان مهيان فيجلسانه فيقولان له من ربك الى آخره ثم يقولان له ما قولك في هذا الرجل الذي بعث فيكم يعني محمدا فيقول هو رسول الله انزل القرآن عليه وآمنت به وصدقته فينادى من السماء صدق عبدى فافرشوا له فراشا من الجنة والبسوه لباسا من الجنة وافتحوا له

علمت أنه رسول الله فيقول قرأت القرآن طامنت به وصدت برسالته فينادي من

السماء صدق عبيدي فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة واقتحوا له بابا من الجنة فيأتيه ريحها وريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر ويأتيه رجل حسن الوجه والصورة والثياب طيب الرائحة فيقول له السلام عليك يا ولي الله أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت فيقول أنا مملك الله رب أقم الساعة والحمد لله رب أقم الساعة والمكان اللذان بأيانها منكروا ونكرى كافى الحديث أسودان أزدقان أعينهما كقدور الحاس وأصواتهما كالرعد يجران أنباهما في الأرض فتخرج النار من أفواهها ومناخرها ومسامعها مع كل منهما صمود من جديد لو اجتمعت عليه أهل الأرض ما حركوه وفي رواية أخرى لو ضربت به الجبال الراسيات للذابت وأما القميد الفاسق الفاجر الظالم الكاذب حاصي الله ورسوله شارب الخمر وتارك الصلاة إذا دعا أجله ينزل عليه ملك الموت ومعه ملائكة العذاب ثم إن ملك الموت يجلس منه مد البصر ويرسل إليه ملائكة السخط باليديم سياط من نار فعند ذلك يشخص العبد فيسلبون روحه من جسده سلبا ويجذبونها جذبا وينزعونها

بابا من الجنة قال عليه السلام وأتته من ريحها وطيبها ويوسع له قبره مد البصر قال عليه السلام يأتي رجل حسن الوجه والثياب طيب لريح فيقول له ابشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده فيقول له من أنت يرحمك الله تعالى ما رأيت في الدنيا أحسن منك فيقول له أنا مملك الله فيقول رب أقم الساعة حتى أرحم إلى أعلى قال عليه السلام وإذا كان من أهل الشقاوة فإذا حضره الموت نزل عليه ملائكة من السماء ومعهم لباس من العذاب فيجاسون بعيدا منه ثم يجيء ملك الموت فيجاس عند راسه فيقول بأيانها النفس الطيبة اخرجي إلى سخط الله قال عليه السلام فتفارق روحه جسده فتستخرج روحه من يده كما يستخرج السقود من العنوف المبلول فإذا خرجت من جسده لم يبق شيء لانيه في السماء والأرض فيقسمه كل شيء لا لثقلين فيصعدون بها إلى السماء الدنيا فإذا وصلوا بها إلى السماء الدنيا أغلق دونها باب السماء فينادي من قبل الرحمن ردوه إلى مضجعه فيردوه إلى قبره فيأتيه منكر وكبير باهول ما يكون من الأهوال وأصواتها كالرعد وأبصارها كالبرق الخاطف فيخرقان الأرض بأيانها فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدري فينادي من جانب القبر اضرباه فيضربه مقعقة من حديد لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقلوها ويشتمل منها قبره نارا فيضمه وتختلط أعضاؤه ثم يأتيه رجل قبيح لوجه منتن الريح فيقول جزاك الله شرا فوالله ما علمت بل كنت بطيما على الطاعات وسريما في معصية الله فيقول من أنت طارأت في الدنيا أسوا منك فيقول أنا مملك الخبيث ثم يفتح له بابا في النار فينظر إلى مقعده في النار فلا يزال كذلك حتى تقوم الساعة ويقال يفتن المؤمن في قبره سبعه أيام والكافر أربعين يوما قال النبي عليه السلام من مات يوم الجمعة آمنه الله تعالى من فتنة القبر وفي الخبر عن أبي امامة الباهلي رضى الله عنه إذا توفي الرجل ووضعت في قبره جاء ملك الموت وقعد عند رأسه وعذبه وضربه واحدة بمطرقة لم يبق عضو منه الا انقطع ويلتهب قبره ناراً ثم يقول قم باذن الله فإذا قد مستويا صاح بصيحة يسمعها ما بين السماء والأرض إلا الجن والإنس يقول الملك لما فعلت هذا ولم تعذبني فقد كنت أقيم الصلاة وأؤتي الزكاة واصوم شهر رمضان فيقول أعذبك لانك مروت يوما بمظلوم وهو يستغيث لك فلم تقمته وصليت يوما ولم تتعز من بولك فبان بهذا الخبر أن نصرة المظلوم واجبة كما روي عن النبي عليه السلام من رأى مظلوما فاستغاث به ولم يقمته ضرب في قبره مائة سوط من النار وروي عن النبي عليه السلام أربعة نفر يأتي بهم يوم القيامة على منابر من نور ويدخلهم في رحمة قيل من أولئك يا رسول الله فقال عليه السلام من أشبع جائعا أو جهر غافيا في سبيل الله أو أعان ضعيفا أو أغاث مأمورا وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال قل عليه السلام ذا وضع الميت في القبر واهبل التراب عليه يقول أهله وأولاده واسيدا وشريفاه فيقول الملك الموكل التسمع ما يقولون فيقول نعم فيقول أنت كنت شريفا فيقول العبد هم يقولون ذلك ياليتهم يسكتون فيضغه القبر فتختلط أضراسه وينادي في قبره واعظماء واذل مقاماه واندماؤه وانف سؤالا حتى تدخل أول ليلة جمعة من رجب من عامه ذلك فيقول الله تعالى أشهدكم بما لا تكفون اني غفرت له سيئاته ومحوت خطاياها باحيائه هذه الليلة

نزهة قال ابن عباس رضى الله عنهما سبعون ضربة بالسيف أهون عليه من نزع واحدة فإذا بلغت الروح إلى حلقة القول لها الملائكة

أخرى أيها النفس الخبيثة
تعالى الروح ان تعرف
وتدور حول جسده ويعلم
الله عنها التي كانت تبصرها
في الجسد فلان تبصر شيئا ولا
تسمع شيئا فاذا الخد في قبره
أذن لا اله الا ان تنزل وتلبس
البدن الى نصفه فيسمع
خفقان النعال ونفض
الايادي من التراب ويصير
في قبره قزعا مرعوبا
مستوحشا ثم يدخل عليه
منكر ونكير يخرج من
أفواهها لبيب النار بيد كل
واحد منها مقعقة من حديد
لوضرب بها الجبال الرواسي
لنابت فيقولان له من
ربك وما دينك ومن نبيك
فيفزع ذلك الشخص فزعة
لم يفزع مثلهما فيقول أنا
ربي فيضربانه بالمقعدة
فيقوض في الارض أربعين
ذراعا ثم يجذبانه جذبا من
الارض أسرع من طرفه عين
ويقولان له من ربك وما
دينك فيرد عليهما المقالة
الاولي ويقول لا أعرف في
ربا غير كافر فيضيقان عليه القبر
كالرمح في الثنان ثم تسلط
الحيات والمقارب والقرودة
والخنازير ودواب الارض
تنهش لحمه نحشا ثم يتحاذله
بابا عند رأسه الى النار
ويقولان له انظر ما أعد الله
لك من العذاب ويدخل عليه
لهيما وشره رهاق بانيه رجل

الى مخطأ الله وعذابه فتخرج من جسده كما يخرج السقود من الصوف المبلول ثم يامر الله

﴿الباب السادس عشر في ذكر الملك الذي يدخل القبر قبل منكر ونكير﴾

روى عن عبد الله بن سلام يدخل على الميت ثم يقعد فيقول له اكتب ما عملت من حسنة ومن سيئة فيقول له باي شيء اكتب أين قلني ومدادى ودواني فيقول له ربيك مدادك وقلبك أصبعك فيقول على أي شيء اكتب وليس لي صحيفة قال عليه السلام فيقطع من كفنه قطعة فيناولها اياها فيقول هذه صحيفةك فاكتب فيكتب ما عمل في الدنيا من خير واذا بلغ سيئة استحيها منه فيقول له يا خاطيء لم لا تستحي من خالقك حيث عملتها في الدنيا وتستحي مني الان فيخرج الملك عمودا فيضربه فيقول المبداء رفع في حتى اكتبها فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته ثم يأمره أن يطويها ويختمها فيطويها ويقول باي شيء اختمتها وليس معي خاتم فيقول اختمتها بظفرك فيختمها بظفره ويلامقها في عنقه الى يوم القيامة كما قال الله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ثم يدخل بعد ذلك منكر ونكير كذلك واذا رأى العاصي كتابه يوم للقيامة فاذا أمره الله بالقراءة يقرأ حسناته فاذا بلغ الى سيئاته سكنت فيقول الله تعالى لم لا تقرأ فيقول أسأتحي منك فيقول الله تعالى لم لا تستحي في الدنيا والاكن استحييت مني فيندم العبد ولا ينفعه الندم فيقول الله تعالى خذوه فقلوه ثم الجحيم صلو

(الباب السابع عشر في ذكر سؤال منكر ونكير)

في الخبر اذا وضع الميت في القبر أتاه ملكان أسودان أزرقا العينين صوتهما كالرعد وأبصارهما كالبرق الخاطف يخرقان الارض بانيابهما فيأتيانه من قبل رأسه فتقول الصلاة لا تأتياه من قبلي قرب صلاة صلاها في الليل والنهار حذرا من هذه المواضع ثم يأتيانه من قبل رجله فيقولان لا تأتياه من قبلنا فقد كان يمضي بنا الى الجماعة حذرا من هذا الموضع فيأتيانه من يمينه فتقول الصدقة لا تأتياه من قبلي فقد كان يتصدق بي حذرا من هذا الموضع فيأتيانه من قبل النعال فيقول صومه لا تأتياه من قبلي فقد كان يجوع ويعطش حذرا من هذا الموضع فيستيقظ كما يستيقظ النائم فيقول ماذا تريدان مني فيقولان زيد منك توحيد الله فيقول أشهد أن لا اله الا الله فيقولان ماذا تقول في حق محمد عليه السلام فيقول وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان عشت مؤمنا ومت مؤمنا ثم الحكمة في سؤال المكين ان الملائكة طمعت في بنى آدم عليه السلام حيث قالوا اتحمل فيها من يفسد فيها الآية لما قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة فرد الله عليهم قولهم وقال اني أعلم ما لا تعلمون فبعث الله تعالى ملكين الى قبر المؤمنين ليسالا الميت من ربك الى آخره فيأمرهم الله تعالى أن يشهدا بين يدي الملائكة بما سمعا من القيد المؤمن لان أقل للشهود اثنان ثم يقول الرب يا ملائكتي قد أخذت روحه وتركته ماله لغيره وزوجته في حجر غيره وجاريته لغيره وضياعه لغيره فسألاه في بطن الارض فلم يرض الا عني ولم يجب عن واحد الا عني فقال الله تعالى ربي ومحمد نبي والاسلام ديني ألم تعلموا اني أعلم ما لا تعلمون كاذكر في الكتاب العزيز

(الباب الثامن عشر في ذكر الكرام الكائنين)

روى أن كل انسان معه ملكان أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات من غير شهادة الآخر

قبيح الوجه ممن الراتحة فيقول له جزاك الله شر من أنت فزأيت أسوأ منك حالا في دار الدنيا فيقول أنا والثاني

قبل ان يكره ويكره له ملك يتلوا وجهه كالشمس اسمه رومان فيقدمه ويقول له اكتب ما بعثت من حسنة وحيدة فيقول له باي شيء اكتب وليس لي فلم ولادواة ولا مداد فيقول له الملك ريك مدادك وقلمك اصبعك فيقول في اي شيء اكتب وليس معنى صحيفة فيقطع له من الكفن قطعة ويناولها له ويقول له اكتب فيكتب ما عمله من الخير فاذا بلغ الى السيئات يستحي ان يكتبها فيقول له يا غاشي انت فعلتها ولم تستع من الله فكيف الآن تستحي مني ثم يرفع له صمدا وهم ان يضربه به فيقول له الميت امهني حتى اكتبها الى ان يكتب جميع السيئات ثم يأمر ان يخطمها فيقول باي شيء اخطمها وليس معنى خاتم فيقول له بظفرك فيخطمها بظفره ويلصقها في عنقه الى يوم القيامة فاذا امره الله تعالى بقراءة هذا الكتاب فيقرأ الحسنة فاذا بلغ الى السيئات سكنت فيقول الله تعالى لم لا تقرأ فيقول يارب استحي منك فيقول الله تعالى عصيتني في الدنيا والآن تستحي مني فيندم العبد ولا ينفعه الاندم فيقول له تعالى خذوه فقلوه ثم الحجاب صوره وفي الخبر ان العبد المؤمن

والثاني عن يساره يكتب للسيئات ولا يكتبها الا بشهادة صاحبه فن قد يكون أحدهما عن يمينه والاخر عن يساره فان مشي يكون أحدهما خلفه والاخر امامه فان نام يكون أحدهما عند رأسه والاخر عند رجله وفي رواية أخرى خمسة أملاك ملكان بالليل وملكان بالنهار وملك لا يفارقه في وقت من الاوقات وذلك قوله تعالى له المعقبات من بين يديه ومن خلفه والمراد من المعقبات ملائكة الليل والنهار يحفظونه من الجن والانس والشياطين فلنكان يكتبان الحسنات والسيئات بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواتهما فم ومدادهما رقبته وما يكتبان أعماله الى موته * وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام ان صاحب الجين أمين على صاحب اللجمال فاذا حصل العبد سيئة وأراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب الجين أمك فيمك سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتب وان لم يستغفر الله كتب سيئة واحدة فاذا قبض العبد ووضع في قبره قال الملاك يارب وكلتنا بعبدك نكتب عمله وقد قبضت روحه فائذن لنا نصعد الى السماء فيقول الله تعالى السماء ملوئة من الملائكة يسبحون فارجموا فسبحاني علي قبر عبدي وكبرا وهلا واكتبوا ذلك لعبدى حتى أبعثه من قبره وقال الله تعالى كراما كاتبين مما هم كراما كاتبين لانهم اذا كتبوا حسنة يصدقونها الى السماء ويَرْضونها على الله تعالى ويشهدون على ذلك فيقولون ان عبدك فلانا عمل حسنة كذا وكذا واذا كتبوا على العبد سيئة يصدقونها الى السماء ويَرْضونها مع القم والحزن فيقول الله تعالى يا كراما كاتبين ما فعل عبدي فيسكتون حتى يسأل ثانيا وثالثا فيقولون الهنات ستار العيوب وأمرت عبادك بان يسترواعيهم انهم يقرؤن كل يوم كتابك ويرجون صترنا ويقولون كراما كاتبين يعلمون ما تعملون الاية فاننا نستر عيوبهم وأنت علام الغيوب ولهذا هموا كراما كاتبين

باب التاسع عشر في ان الروح بعد الخروج ياتي الى قبره ومنزله

قال النبي عليه السلام اذا خرج الروح من بدن ابن آدم ومضي ثلاثة ايام يقول الروح رب انذن لي حتى أمشي وأنظر الى جسدي الذي كنت فيه فياذن الله تعالى له فيجزي الى قبره وينظر اليه من بعيد وقد سال من منخره ومن فم دم فيبكي بكاء طويلا ثم يقول أواه يا جسدي المسكين يا حبيبي أنذكر أيام حياتك هذا المنزل الوحشة والبلاء والكرب والحزن والندامة ثم يمضي فاذا كان خمسة أيام يقول يارب انذن لي حتى أنظر الى جسدي فياذن الله له فيأتي الى قبره وينظر من بعيد وقد سال من منخره ومن فم وأذنيه ماء صديد وقبح فيبكي بكاء شديدا ثم يقول يا جسدي المسكين أنذكر أيام حياتك هذا منزل القم والحلم والحنة والديدان والمقارب قد أكلت الديدان لحمتك ومزق جلدك وأعضاءك ثم يمضي فاذا كانت سبعة أيام يقول يارب انذن لي حتى أنظر الى جسدي فياذن الله له فياتي الى قبره وينظر من بعيد وقد وقع فيه دود كثير فيبكي بكاء شديدا فيقول يا جسدي أنذكر أيام حياتك ابن اولادك وابن اقرباؤك وابن زوجتك وابن اخوانك واصدقاؤك وابن رفقاؤك وابن جيرانك الذين كانوا يرضون جوارك اليوم يبكون على وعليك وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا مات المؤمن دارت روحه حول داره شهر افتنظر الى ما خلفه من ماله كيف يقسم أو كيف تؤدي ديونه فاذا تم له شهر ردت الى حفرته فتدور بعد ذلك حتى يتم عليه حول فينظر من يدعو له ومن يحزن عليه فاذا تم الحول رفع روحه

بالليل والنهار حذرا من ١٨ هذه المواضع فأيامها من قبل وجليته مثقولا لأن أيامها من قبل لقد كان يعيش إلى

إلى حيث يجتمع الأرواح إلى يوم القيامة أي يوم ينفخ في الصور قال تعالى نزل الملائكة والروح الآية ويقال معهم الروح والريحان ويقال الروح ملك عظيم ينزل لخدمة المؤمنين كما قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا الآية قيل مضاه روح بني آدم وقيل الروح جبرائيل عليه السلام ويقال الروح روح محمد عليه السلام تحت العرش يستأذن ليلة القدر من الله في النزول ليسلم على جميع المؤمنين والمؤمنات فيمر عليهم ويقال للروح روح الأقباط من الأموات يقولون يا ربنا ائذن لنا بالنزول إلى منازلنا حتى نرى أولادنا وعيالنا فينزلون في ليلة القدر كما فعل ابن عباس رضي الله تعالى عنهم إذا كان يوم العيد ويوم عاشوراء ويوم الجمعة الأولى من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وليلة الجمعة يخرج أرواح الأموات من قبورهم ويقفون على أبواب بيوتهم ويقولون ترجموا علينا في هذه الليلة المباركة بصدقة أو بقلعة فإنا محتاجون إليها فإن بخلتم بها ولم تعطوني فأذكري في بائعة الكتاب في هذه الليلة المباركة هل من أحد يترحم علينا هل من أحد يذكر قربتنا يا من سكن دارنا ويا من نكح نساءنا ويا من أقام في واسع قصورنا ونحن الآن في ضيق قبورنا ويا من قسم أموالنا ويا من استغل أيامنا هل منكم أحدا يذكر غربتنا وصحفنا طوية وكتائبك منشورة وليس للميت في الأحد ثواب فلا تقسونا بكسرة من خيركم ودعائكم فإنا محتاجون إليكم أبدا فإن وجد الميت من الصدقة والدعاء منهم رجع فرحا مسرورا وإن لم يجد رجم محزونا ومحروما وآيسا منهم وقد قيل أن الأرواح في مجموع الحيوانات لا في جميع البدن لكنه في جزء من الأجزاء غير معين بدليل أنه يخرج الواحد جراحات كثيرة فلابد أن يخرج الواحد جراحة واحدة فيموت لأنها أصابت المكان الذي حل فيه الروح وقيل الأرواح حالة في جميع البدن لأن الموت في جميع البدن يدل عليه قوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فإن قيل ما الفرق بين الروح والروان قلنا هما واحد ليس بينهما فرق كما أن البدن مع الريد واحد لكن الريد تذهب ونجى والبدن لا يتحرك قط وكذا الروان يذهب ونجى ولا يتحرك قط ثم موضع الروح في الجسد غير معين وموضع الروان بين الحاجبين فإذا زالت الروح مات العبد لا شك وإذا زال الروان ينالم العبد كما أن المساء إذا صب في القصة وضعت في بيت ووقعت الشمس عليهم من كوة فشماعها في السقف ولم تتحرك القصة من موضعها فكذلك الروح سكنت البدن وشماعها في العرش وهو الروان فيرى الرؤيا في المنام وهو في الملكوت وأما مسكن الروح بعد القبض فقليل مسكنها الصور وفيه تقب بمد كل حيوان بخلاف إلى يوم القيامة وإن كان متنعما فيها وإن كان مذهباً فهناك ويقال أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر في عليين وأرواح الكافرين في حواصل طيور سود في النار ويقال أن أرواح المؤمنين إذا قبضت رفعتها ملائكة الرحمة إلى السماء السابعة بالأكرام والأعزاز فينادي مناد من قبل الرحمن اكتبوها في عليين ثم ردوها إلى الأرض قال فيردون روحه في جسده ويفتح له باب إلى الجنة فينظر إلى موضعه فيها حتى تقوم الساعة وإن أرواح الكافرين إذا قبضت رفعتها ملائكة العذاب إلى السماء الدنيا فتفتق دونها أبوابها ويؤمر بردها إلى موضع جسدها وبضيق قبره ويفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده حتى تقوم الساعة وعلى هذا قوله عليه السلام حتى أنهم ليسمعون صوت نعالهم وإنما منعوا من الكلام ومثل بعض الحكماء عن مكان الأرواح بعد الموت

المساجد حذرا من هذه المواضع فأيامها من قبل هنيهة مثقولا لأن أيامها من قبل لقد كان ينظر إلى الطغاة كثيرا حذرا من هذه المواضع فإذا أيامها من قبل يمينه تقول لأن أيامها من قبل لقد كان يتصدق في كثيرا حذرا من هذه المواضع فأيامها من قبل شمله فيقول صومه لأن أيامها من قبل لقد كان يجوع ويمطش حذرا من هذه المواضع فيوفظ كما يوفظ الدائم فيقول لأن له ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول له كنت مؤمنا ثم بنام كنوم العروس ثم ينصرفان عنه (تنبيه) إذا خرجت الروح من البدن ومضى للميت ثلاثة أيام تقول الروح يارب ائذن لي أن أنظر إلى الجسد كنت فيه فإذا نزلها فخرجت إلى القبر وتنتظر من بعد فترى الماء قد سال من منخربه وفيه فتبكي بكاء طويلا وتقول يا جسدي هذا منزل الوحشة والبلاء والائم والحزن والندامة ثم ترجع فإذ مضى خمسة أيام تأتي إلى القبر فتجد الدم قد صال من فمها والقيح والصدید من أذنيه فتبكي بكاء طويلا ثم تقول يا جسدي هذا منزل الألم والنم والدود والمقارب لأن يأكل الدود لحمك ويمزق جلدك ثم ترجع فإذا مضت فقال

يكون على عليك إلى يوم
القيامة وروى عن أبي هريرة
رضي الله عنه أنه قال إذا مات
الرجل المؤمن تدور روحه
حول إداره شهرا فإذا تم
الشهر جاءت إلى قبره فتدور
حول سنة فإذا تمت رفعت إلى
يوم القيامة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما إذا كان يوم
العید ويوم العشر ويوم
الجمعة لأولى من شهر رجب
وليلة النصف من شعبان
وليلة الجمعة يخرج الأموات
من قبورهم ويقفون على
أبواب بيوتهم ويقولون
رحموا علينا في هذه الليلة
بصدقة ولو بأقصة من خبز طما
محتاجون إليها فأنزلهم يحدوا
شيئا يرجوهم بالحسنة وقال
أنس بن مالك إن الأرض
تنادي كل يوم عشر مرات
يا ابن آدم غشي على ظهري
وتبكي في بطني وتأكل الحرام
وتمدب في بطني وتفرح على
ظهوري ونحزنو بطني وغشي
أمناع على ظهري وتبكي خاتمي
بطني وغشي في النور على
ظهوري وأصير في الظلمة في
بطني وغشي مع الخلائق على
ظهوري وتبكي وحيدا في بطني
وفي الحرقاء القبر ينادي كل
يوم خمس مرات يا ابن آدم أنا
بيت الدود يا ابن آدم أنا بيت
لوحة يا ابن آدم أنا بيت
الوحدة يا ابن آدم أنا بيت
الفرقة وقد ورد أن الشيطان

فقال أن أرواح الأنبياء عليهم السلام في جئات عدن وتكون في القدر ؤاسة لأجسادها
والأجساد ساجدة لربها وأرواح الشهداء في الفردوس في وسط الجنة في حواصل طيور
خضر تطير في الجنة حيث شامت ثم تأتي إلى قناديل معلقة بالمرش وأرواح ولدان المسلمين
في حواصل حفافير الجنة وأرواح ولدان المشركين تدور في الجنة ليس لها أوى إلى يوم
القيامة ثم يحدمون المؤمنين وأرواح المؤمنين الذين عليهم دين ومظالم معلقة بالهواء
لا تصل إلى الجنة ولا إلى السماء حتى يؤدي عنها الدين والمظالم وأرواح المؤمنين المحبرين
تمذب في القبر مع الجسد وأرواح الكافرين والمنافقين في سجين في نار جهنم وتعرض
عليها غدوا وعشيا وقيل أن الروح جسم لطيف ولذلك لا يقال الله تعالى ذو روح لانه
يستحيل أن يكون محلا كالأجسام وقد قيل أن الروح عرض وقيل ينشق من الهواء
وهذان القولان قولان من أنكر عذاب القبر روي أن اليهود أتوا إلى النبي عليه السلام
فسألوه عن الروح وعن أصحاب الرقيم وعن ذى القرنين فنزل في شأنهم سورة البقرة
ونزل في حق الروح قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي قيل معناه من علم ربي
ولا علم لي به وقيل أن الروح ليس بمخلوق لانه أمر الله تعالى وأمر الله تعالى كلام وقيل
معناه يكون من ربي كلمة كن وإن الأمر على ضربين أمر التزام كأمرة بالمبادات كالصلاة
والصوم والحج والزكاة وأمر تكوين وهو أمر كن كقوله تعالى كن فكونا حجارة أو
حديدا أو خلقا وكقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وأما قوله
تعالى نزل به الروح الأمين وقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل معناه في
سورة بنى آدم وأنه ملك عظيم يقوم وحده صفا * وأما قوله تعالى لا آدم فإذا سويته
وتنخس فيه من روعي الآية فمعناه إذا استوى خلق آدم عليه السلام وتنفخت فيه الروح
وهذا إضافة خلق وقيل إضافة تكريم كما قال ناقة الله وبيت الله * وأما قوله تعالى
فنحننا فيها من روحنا فإضافة تكريم فنحننا على ما بيناه وقيل معناه فنحننا فيها من
روحنا يعني جبريل عليه السلام وعلى هذا قيل الروح روح عيسى ابن مريم لانه خلق من
نخعة جبرائيل عليه السلام وقيل معناه لرحمة قال تعالى وأدم روح منه

(الباب العشرون في ذكر الصور والبعث والحشر)

أعلم أن إسرائيل عليه السلام صاحب القرن وخلق الله ألواح لحفوظ من درة بيضاء طوله
ما بين السماء والأرض سبع مرات وعلقه بالعرش مكتوب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة
ولامرافيل أربعة أجنحة جناح بالشرق وجناح بالغرب وجناح يستتره وجناح يغطي به
رأسه ووجهه مصفر من خشية الله تعالى فأكس رأسه شاخص نحو العرش وأحد قوائم
العرش على كاهله ولا يحمل العرش إلا بقدرته لانه يصفر من خشية الله تعالى مثل
المصفر فإذا قضى الله بشيء في الألواح كشف الغطاء عن وجهه ونظر إلى ما قضى الله من
حكم وأمر وليس في الملائكة أقرب مكانا من العرش من إسرائيل عليه السلام وبينه وبين العرش
سبعة حجب من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام وابن جبرائيل وأمر فيل سبعون
حجابا قد وضع الصور على فخذه الأيمن ورأس الصور على فقه فينظر أمر الله تعالى متى
بأني فينفخ فيه فإذا انقضت مدة الدنيا دنا الصور من وجه إسرائيل فيضم إسرائيل
أجنحته الأربعة ثم ينفخ في الصور وقيل يجعل ملك الموت أحدي كفيه تحت الأرض

عليه الهنة يجلس عند رأسه ويقول أترك هذا الدين حتى تنجو من هذه الشدة وورد أن الميت يشهد عايشه وينفخ ربه فيه روح

فيقول له اسقني من هذا الماء فيقول له اترك هذا الدين وأنا اسقيك منه فان لم يجبه يجىء تحت رجله ويحرك الماء فيقول المؤمن اعطني من هذا الماء فيقول له قل كذب الرسول وأنا اعطيك منه فن أدركته للشقاوة يجيبه الى ذلك فيخرج من الدنيا كافرا نفوذ بالله من ذلك ومن أدركته السعادة بترك كلامه ويحكي عن الجلال أن المؤمن يسأل سمعة أيام والكافر يسأل اربعين يوما وقد ورد أن الباركر يا واحد لما حضرته الوفاة أنه صديق له وهو في سكرات الموت فاقم له لاله الا لاله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض بوجهه ولم يقل فقال له ثانيا وثالثا ولم يقل بل قال لا أقول ففشى على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد ابوزكريا خفية ففتح عينيه وقال لم هل قلت لي شيئا فقالوا نعم فرضنا عليك الشهادة ثلاث مرات فأبيت وأعرضت بوجهك في المرتين وقلت في الثالثة لا أقول فقال له واحد ثم اناني ابليس في تلك الساعة ومعه قدح من ماء ووقف عن يميني وقال لي احتاج الى هذا الماء فقلت نعم اني كنت في شدة نزع الروح عطشان فقال لي قل قيسى ابن الله فأعرضت عنه فقال لي الثالثة فقلت لا

السابعة والاخرى فوق السماء السابعة فياخذ ارواح أهل السماء وأهل الارض ولا يبقى في الارض الا ابليس لعنة الله عليه ولا يبقى في السماء الا جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وهم الذين استنظام الله تعالى في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله الآية وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عليه السلام ان الله تعالى خلق الصور وله أربع شعب شعبة منها في المغرب وشعبة منها في المشرق وشعبة منها تحت الارض السابعة السفلى وشعبة فوق السماء السابعة العليا وفي الصور من الابواب بمدد الارواح وفيه سبعون بيتا في واحد منها ارواح الانبياء وفي واحد منها ارواح الجن وفي واحد منها ارواح الانس وفي واحد منها ارواح الشياطين وفي واحد منها ارواح الحشرات والهوام الخلة الى تمام سبعين صنفا أعطاها الله اسرافيل عليه السلام فهو واضحه على فقه ينتظر متى يؤمر فينفخ ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث قال حذيفة يارسول الله كيف يكون الخلائق عند النفخ في الصور قال عليه السلام يا حذيفة والذي نفسى بيده ينفخ في الصور وتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فقه فلا يطعمها والتوب بين يديه ليلاسه فلا يلبسه وللكوز على فقه ليشربه فلا يشربه

الباب الحادى والعشرون في ذكر نفخة الصعق ثم نفخة الفزع

وينفخ في الصور فيبلغ فزعه أهل السموات والارض الا ماشاء الله وتسير الجبال سير او تور السماء مورا وتزحف الارض رجفا مثل السفينة في الماء وتضع الحوامل حملها وتذهل المراضع عن رضعاتها وتصير لولدان شيئا ونهير للشياطين حائرة وقد تناثرت عليهم النجوم وكسفت الشمس وكشفت السماء من فوقهم ولتناس من ذلك في غفلة وذلك قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم ويكون كذلك اربعين يوما * وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأ عليه السلام قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال أندرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال عليه السلام ذلك اليوم الذي يقول الله تعالى فيه لا دم عليه السلام قم وابعث من ولدك بعث النار فيقول آدم عليه السلام كم من كل ألف فيقول الله من كل ألف تسعمائة وتسمة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فشق ذلك على القوم وغلب عليهم البكاء والحزن فقال عليه السلام اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثم قال عليه السلام اني لارجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وقال عليه السلام ابشروا فانما انتم في الامم كالشجرة في جنب البعير انما انتم جزء واحد من ألف جزء وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال عليه السلام ان الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة على الانس والجن والبهائم والهوام في الارض فيما يتعاطون وبها يتراحمون واذخر تسما وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ثم يأمر اسرافيل عليه السلام أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ فيقول أيها الارواح المارية اخرجي بأمر الله تعالى فيصعق ويموت أهل السموات والارض الا من شاء الله تعالى يقال لهم الشهداء فانهم أحياء عند ربهم كما قال الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء الآية وفي الخبر عن النبي عليه السلام ان الله تعالى أكرم الشهداء بخمس كرامات لم يكرمها أحدا ولا أنا احدها أن ارواح الانبياء يقبضها ملك الموت وأنا كذلك وأرواح الشهداء يقبضها الله تعالى والثاني أن الانبياء يفسلون بعد موتهم وأنا كذلك

والشهداء لا يفسلون والثالث أن الانبياء يكفنون وأنا كذلك والشهداء لا يكفنون والرابع أن الانبياء يسمون الموتى وأنا كذلك يقال مات محمد عليه السلام والشهداء أحياء لا يسمون موتى بل يقال أحياء والخامس أن الانبياء يشقون يوم القيامة وأنا كذلك والشهداء يشقون كل يوم الي يوم القيامة ويقال في معنى الامن شاء الله يبقى اثنا عشر نفسا جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام وثمانية من جملة العرش فتبقى الدنيا بلا أنس ولا جن ولا شيطان ولا وحش ثم يقول الله تعالى يا ملك الموت اني خلقت لك بمعد الاولين والآخرين أعوانا وجعلت لك قوة اهل السموات والارضين وانى البسك اليوم ثوب الغضب فانزل بفضي وسعوطي على ابليس عليه اللعنة فأذقه الموت واحمل عليه مرارة موت الاولين والآخرين من الانس والجن اضعاقا مضاعفة وليكن مملك من الزمانية سبعون ألفا مع كل واحد سلسلة من سلاسل لظى فينادي مالكا ليقم ابواب النار فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليه اهل السموات والارضين لما توكلهم فينتهى الى ابليس ويخرجه زجرة فاذا هو قد صمق وله خرخرة لو سمعها اهل السموات والارضين اصمقوا من تلك الخرخرة وملك الموت يقول يا خبيث لا ذنبك الموت اليوم كم من عمر أدرت وكم من قرن أضلكت قال فيهرب ابليس الى المشرق فاذا هو عنده ويهرب الى المغرب فاذا هو عنده فلا يزال الى حيث هرب ثم يقوم ابليس في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام فيقول يا آدم من أجلك صرت رجيا وملعونا ومطرودا فيقول يا ملك الموت بأى كاس تسقيني وبأى عذاب تقبض روحي فيقول بكأس لظى وللسمير وابليس يقع في التراب مرة بعد مرة حتى اذا كان في الموضع الذي هبط فيه ولمن عليه وقد صبت عليه الزمانية بالكلايب فيأخذه الزمانية ويطنونه فيبقى في النزع في سكرات الموت ماشاء الله

الباب الثاني والعشرون في ذكر فناء الاشياء بامر الله تعالى *

وقد ملك الموت أن ينفي البحار كما قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فيأتى ملك الموت الى البحار فيقول قد انقضت مدتك فيقول البحر ائذن لي حتى أروح على نفسي فيقول ابن أمواجي وابن عجائبي وقد جاء أمر الله فيصيح عليها ملك الموت صيحة فكان ماها لم يكن ثم يأتي الى الجبال فيقول قد انقضت مدتك فتقول الجبال ائذن لي حتى أروح على نفسي فتقول ابن سعوددي وأين قوتي وقد جاء أمر الله فيصيح عليها صيحة فتذوب ثم يأتي الى الارض فيقول قد انقضت مدتك فتقول الارض ائذن لي حتى أروح على نفسي فتقول ابن ملوكي واشجارى وانهارى وأنواع نباتي فيصيح عليها ملك الموت صيحة فتساقط حيطانها وتغور عيونها ثم يصمد الى السماء فيصيح فتتكسف الشمس والقمر وتتناثر النجوم ثم يقول الله يا ملك الموت من بقي من خلقي فيقول ألهى أنت الهى الذى لا يموت بقى جبرائيل وميكائيل واسرافيل وجملة العرش وأنا عبدك لا ضميف فيقول الله تعالى اقبص ارواحهم فيقبض ارواحهم ثم يقول الله يا ملك الموت ألم تسهم قولى كل نفس ذائقة الموت وأنت خلق من خلقتى مت أنت فيموت * وفى خبر آخر ثم يامر الله بقبض روح نفسه فيجىء الى موضع بين الجنة والنار ويجعل بصره الى السماء فينزع روحه فيصيح صيحة واحدة لو كانت الخلائق كلهم فى الحياة لما نوا من صيحته ثم يقول لو علمت أن فى نزاع الروح هذه الشدة لكنت على قبض ارواح المؤمنين أشفق ثم يموت فلا يبقى أحد لايحوت ذلك الرجل حتى يجلس مكانك في الشمس فقال له قد جاس في هذه الساعة فذهب اليه ملك الموت وقبض روحه هناك

ومما يحكي عن أبي قلابة أنه ٢٢ رأى في المنام كأن جبانة قد انشقت قبورها وخرجت أمواتها وجلسوا عند

وقى خبر آخر يقول الله اذهب ومت بين الجنة والنار فيموت هناك ولا يبقى شيء غير الله فتبقى الدنيا خرابا إلى ما شاء الله تعالى

❦ للباب الثالث والعشرون في ذكر ما يبشر الله من الخلائق ❦

في الخبر إذا أراد الله أن يبشر الخلائق أحيا جبريل وميكائيل عليهما السلام واسرافيل وهزرائيل عليهما السلام أولهم اسرافيل فيأخذ للصور من العرش فيبث الله إلى رضوان فيقول يا رضوان زين الجنان ورتب الحلال الحمد عليه السلام وأتمته ثم يأذن بالبراق والتاج ولواء الحمد وحلتين من حلل الجنة فأول ما أحيا الله من الدواب للبراق فيقول الله تعالى لهم اكسوه فيكسونه مرسجا مرصعا من باقوة حراء ولجامه من زرجدة خضراء والخلتان أحداهما خضراء والاخرى صفراء فيقول الله تعالى لهم انطلقوا إلى قبر محمد عليه السلام فيذهبون وقد صارت الأرض قاعا صافصفا فلا يدرون أين قبره فيظهر نور محمد عليه السلام فيذهبون المموذين قبره إلى عنان السماء فيقول جبريل عليه السلام ناد أنت يا اسرافيل فانت الذي يبشر الله الخلائق بيدك فيقول له جبريل ناد أنت فانك خليلي في الدنيا فيقول أنا أستحي منه فيقول اسرافيل عليه السلام ناد أنت يا ميكائيل فيقول ميكائيل عليه السلام عليك يا محمد فلا يجيبه فيقولون لملك الموت ناد أنت فيقول ملك الموت أيتها الروح الطيبة أرجعي إلى البدن الطيب فلا يجيبه أحد ثم ينادى اسرافيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة ادخلي إلى البدن الطيب فلا يجيبه ثم ينادى عزرائيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة قومي لفصل القضاء والحساب والمرض على الرحمن فينشق القبر فإذا هو جالس في قبره يتفقد التراب عن رأسه وحليته فيعطيه جبرائيل عليه السلام حلتين والبراق فيقول يا جبرائيل أي يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة ويوم الحسرة والندامة هذا يوم البراق وهذا يوم الفراق وهذا يوم التلاق فيقول يا جبرائيل بشرني فيقول الجنة قد زخرت لقدومك والنار قد أغلقت فيقول لست أسألك عن هذا بل أسألك عن أمي المذنبين لملكك تركتهم على الصراط فيقول اسرافيل وعزقرني يا محمد ما نتخت صور البعث قبل قيامك فيقول الآن طاب قابي وفرت عني فياخذ للتاج والحلة فيلبسهما ويركب البراق

❦ للباب الرابع والعشرون في ذكر صفة البراق ❦

له جناحان يطير بهما بين السماء والأرض ووجهه كوجه الإنسان ولسانه كالسان العرب واضح الحاجبين ضخم القرنين رقيق الاذنين هما من زرجدة خضراء أسود العينين ويقال كالسكوك البردي وناصيته من باقوة حراء ذنبه كذنب البقر مكمل بالذهب الأحمر ويقال هو في الحسن كالطاوس فوق الحمار ودون البغل وأما سمى للبراق رافالان سيره وسرعته كالبرق فلما دنا للذي عليه السلام ليركب اضطرب وقال يا جبريل وعزة ربي لا يركبني إلا الذي الهشي الابطحي القرشي محمد بن عبد الله صاحب القرآن فيقول أنا محمد بن عبد الله قيركبه ثم يطاق إلى الجنة فيخبر ساجدا فينادى مناد ارفع رأسك وسل تعطى فيقول الهى ما وعدتني في أمي فيقول أعطيتك ما ترضى كما في قوله تعالى وسوف أعطيك ربك فترضى ثم يأمر الله تعالى السماء بأن تمطر فتعطر السماء ماء كهي الرجال أربعين يوما فيكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعا فينبث الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل اجسامهم كما كانت في الدنيا ثم يسدل الله تعالى الأرض التي حمل عليها المعاصي فينصب عليها من جيم جهنم

ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة نفر يؤتى بهم يوم القيامة على منابر من نور فتدخل الجنة من أشبع جائعا فيأتي

فبأني بارض من فضة بيضاء فينصب عليها من ماء الجنة وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها
 قالت يا رسول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض أين يكون الناس قال عليه السلام بإثنية
 سالتني من شيء عظيم ما سألتني منه غيرك أن الناس يومئذ على الصراط
 الباب الخامس والعشرون في ذكر نفخة الصور للبعث *

ثم يقول الله تعالى يا إسرائيل قم وانفخ في الصور نفخة البعث فينادي أيتها الأرواح
 الخارجة والمظام النخرة والأجساد البالية والمروق المنقطعة والجلود الممزقة والشعور
 المنساقطة قوموا لفصل القضاء فيقومون بأمر الله تعالى وذلك قوله تعالى فإذا هم قيام
 ينظرون ينظرون إلى السماء قد مارت وإلى الأرض قد بدلت وإلى المشار قد عطلت وإلى
 الوحوش قد حشرت وإلى البحار قد سحرت وإلى النفوس قد زوجت وإلى الزمانية قد
 احضرت وإلى الشمس قد كورت وإلى الموازين قد نصبت وإلى الجنة قد أزلت عنت
 نفس ما أحضرت وذلك قوله تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقنا الآية فيحييهم
 المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيخرجون من القبور حفاة عراة * وسئل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا
 فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بل التراب من دموع عينيه ثم قال عليه السلام
 أيها السائل سألتني عن أمر عظيم أنه يحشر يوم القيامة أقوام من أمي على أني حشر صنفا
 أما الأول فيحشرون على صورة القردة وهم الفتان في الناس كما في قوله تعالى ولتقتة
 أشد من القتل والثاني يحشرون على صورة الخنازير وهم أهل السحت كما في قوله تعالى
 صماعون للكذب أكالون للسحت والثالث يحشرون هميا متحيرين فيعلق بهم لباس وهم
 الذين يتجاوزون في الحكم كما في قوله تعالى وإذا حكم بين الناس أن تحكموا بالعدل أن
 الله نعمًا يعظمكم به أن الله كان محييا بصيرا والرايع يحشرون صابكا وهم المعجبون بأعمالهم
 كما في قوله تعالى إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا والخامس يحشرون بسيل من
 أفواههم للقيح ويمضفون أنفسهم وهم العلماء الذين يخالف أقوالهم أفعالهم كما قال الله
 تعالى أتأمرون للناس بالبر وننسون أنفسكم الآية والسادس يحشرون وعلى أجسادهم
 قروح من النار وهم المشاهدون بالمرور والسابع يحشرون وأقدامهم على جماهم مقودة
 بنواصيرهم وهم أشد نقما من الجيفة وهم الذين يتبعون الشهوات والذات والحرام كما
 قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة والثمان يحشرون كالسكارى
 يسقطون ميثا وشملا وهم الذين يمتعون حق الله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 من طيبات ما كتبتم الآية والثناسع يحشرون وعليهم سراويل من قطران وهم الذين لا
 يتحاشون عن الغيبة كما قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يفتب بعصكم بعضا والعاشر يحشرون
 خارجة أنفسهم من أفتانهم وهم أصحاب الغيبة والحادي عشر يحشرون سكارى وهم
 الذين يحشرون كانوا يتعدون في المساجد بحديث الدنيا كما قال الله تعالى وأن المساجد
 لله والثاني عشر يحشرون على صورة الخنازير وهم الذين كانوا يأكلون الربا كمال قال الله تعالى
 لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة الآية * وفي خبر آخر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن
 النبي عليه الصلاة والسلام قال إذا كان يوم القيامة ويوم الحسرة ولقدماة يحشر الله تعالى
 أمي في قومهم على أني حشر فوجا أما الفوج الأول فيحشرون من قبورهم ليس لهم أيد
 خدش وجهه حره الله تعالى

النظر إلى وجهه يوم القيامة ولا بأس بالكاء على الميت ولكن الصبر أفضل لقوله تعالى إنما في الصبر أجرهم بغير حساب وورد

وفي خبر آخر يقول الله اذهب ومت بين الجنة والنار فيموت هناك ولا يبقى شيء غير الله فتبقى الدنيا خرابا الي ما شاء الله تعالى

❦ للباب الثالث والعشرون في ذكر ما يحشر الله من الخلائق ❦

في الخبر اذا أراد الله أن يحشر الخلائق احيى جبريل وميكائيل عليهما السلام واسرافيل وهزرائيل عليهما السلام أولهم اسرافيل فيأخذ الصور من العرش فيبعث الله الي رضوان فيقول يا رضوان زين الجنان ورتب الخلال لمحمد عليه السلام وأمتهم ثم يأذن بالبراق والتاج ولواء الحمد وحلتين من حلل الجنة فأول ما أحيى الله من الدواب للبراق فيقول الله تعالى لهم اكسوه فيكسونه مرجا مرصعا من باقوة حراء ولجأه من زرجدة خضراء والخلتان أحداهما خضراء والاخرى صفراء فيقول الله تعالى لهم انطلقوا الي قبر محمد عليه السلام فيذهبون وقد صارت الارض قاعا صافصفا فلا يدرون أين قبره فيظهر نور محمد عليه السلام فذهبون المود من قبره الي عنان السماء فيقول جبريل عليه السلام ناد أنت يا اسرافيل فانت الذي يحشر الله الخلائق بيدك فيقول له يا جبريل ناد أنت فانك خليلي في الدنيا فيقول أنا أستحي منه فيقول اسرافيل عليه السلام ناد أنت يا ميكائيل فيقول ميكائيل عليه السلام عليك يا محمد فلا يجيبه فيقولون لملك الموت ناد أنت فيقول ملك الموت أيتها الروح الطيبة أرجعي الي البدن الطيب فلا يجيبه أحد ثم ينادي اسرافيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة ادخلي الي البدن الطيب فلا يجيبه ثم ينادي عزرائيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة قومي لفصل القضاء والحساب والعرض على الرحمن فينشق القبر فإذا هو جالس في قبره يتفقد التراب عن رأسه وحليته فيعطيه جبرائيل عليه السلام حلتين والبراق فيقول يا جبرائيل أي يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة ويوم الحسرة والندامة هذا يوم البراق وهذا يوم الفراق وهذا يوم التلاق فيقول يا جبرائيل بشرني فيقول الجنة قد زخرت لقدومك والنار قد أغلقت فيقول لست أسألك عن هذا بل أسألك عن أمتي المذنبين لملك تركتهم على الصراط فيقول اسرافيل وعزرائيل يا محمد ما نتخت صور البعث قبل قيامك فيقول الآن طاب قايي وفرت عني فباخذ للتاج والحلة فيلبسهما ويركب البراق

❦ للباب الرابع والعشرون في ذكر صفة البراق ❦

له جناحان يتغيرهما بين السماء والارض ووجهه كوجه الانسان ولسانه كلسان العرب واضح الحاجبين ضخم القرنين رقيق الاذنين هما من زرجدة خضراء أسود العينين ويقال كالسكوب لدري وناصيته من باقوة حراء ذنبه كذنب البقر مكل بالذهب الاحمر ويقال هو في الحسن كالطاوس فوق الحمار ودون البغل وانما سمى للبراق رافلان سيره وسرعته كالبرق فلما دنا للذي عليه السلام ليركب اضطرب وقال يا جبريل وعزة ربي لا يركبني الا انبي الهشبي الابطحي القرشي محمد بن عبد الله صاحب القرآن فيقول أنا محمد بن عبد الله فيركبه ثم يطاق الي الجنة فيخبر صاحبها فينادي مناد ارفع رأسك وسل تعطى فيقول الهى ما وعدتني في أمتي فيقول أعطيتك ما ترضى كما في قوله تعالى وسوف اعطيك ريك فترضي ثم يأمر الله تعالى السماء بان تمطر فتعطر السماء ماء كهي الرجال أربعين يوما فيكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعا فينبث الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل اجسامهم كما كانت في الدنيا ثم يسدل الله تعالى الارض التي حمل عليها المعاصي فينصب عليها من جيم جهنم

ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة نفر يؤتى بهم يوم القيامة على منابر من نور فتدخل الجنة من أشجع جانبا فيأتي

فبأني بارض من فضة بيضاء فينصب عليها من ماء الجنة وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض أين يكون الناس قال عليه السلام بأمانة سألني من شيء عظيم ما سألني عنه غيرك أن الناس يومئذ على الصراط

باب الخامس والعشرون في ذكر نفخة الصور للبعث *

ثم يقول الله تعالى يا إسرائيل قم وانفخ في الصور نفخة البعث فينفخ وينادي أيتها الأرواح الخارجة والمظام النخرة والأجساد البالية والمروق المتقطعة والجلود الممزقة والشعور المتساقطة قوموا لفصل القضاء فيقومون بأمر الله تعالى وذلك قوله تعالى فإذا هم قيام ينظرون ينظرون إلى السماء قد مارت وإلى الأرض قد بدلت وإلى المشار قد عطلت وإلى الوحوش قد حشرت وإلى البحار قد سحرت وإلى النفوس قد زوجت وإلى الربانية قد احضرت وإلى الشمس قد كورت وإلى الموازين قد نصبت وإلى الجنة قد أزلت علسات قس ما أحضرت وذلك قوله تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقنا الآية فيحييهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيخرجون من القبور حفاة عراة * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بل التراب من دموع عينيه ثم قال عليه السلام أيها السائل سألتني عن أمر عظيم أنه يحشر يوم القيامة أقوام من أمتي على اثني عشر صنفاً أما الأول فيحشرون على صورة القردة وهم الفتان في الناس كما في قوله تعالى ولقمتنا أشد من القتل والثاني يحشرون على صورة الخنازير وهم أهل السحت كما في قوله تعالى صماعون للكذب أكالون للسحت والثالث يحشرون هميا متحيرين فيهلك بهم الناس وهم الذين يتجاوزون في الحكم كما في قوله تعالى وإذا حكم بين الناس أن تحكموا بالعدل أن الله نعماً يعظمكم به أن الله كان جميعاً بصيراً والرابع يحشرون صابكاً وهم المعجوبون بأعمالهم كما في قوله تعالى إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً والخامس يحشرون بسيل من أفواههم للقيح ويمضفون أنفسهم وهم العلماء الذين يخالف أقوالهم أفعالهم كما قال الله تعالى أنأمروا للناس بالبر وننسون أنفسكم الآية والسادس يحشرون وعلى أجسادهم قروح من النار وهم للشاهدون بالبرور والسابع يحشرون وأقدامهم على جماهم مقودة بنواصيرهم وهم أشد تنماً من الجيفة وهم الذين يتبعون الشهوات واللذات والحرام كما قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة والثمان يحشرون كالسكارى يسقطون يميناً وشمالاً وهم الذين يمتنون حق الله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا من طيبات ما كتبتم الآية والثاسع يحشرون وعليهم سراويل من فطران وهم الذين لا يتحاشون عن الغيبة كما قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يفتب بعصكم بعضاً ولاعاشر يحشرون خارجة أمتهم من أقتاسهم وهم أصحاب الغنيمة والحادي عشر يحشرون سكارى وهم الذين يحشرون كانوا يتعدون في المساجد بحديث الدنيا كما قال الله تعالى وأن المساجد لله والثاني عشر يحشرون على صورة الخنازير وهم للذين كانوا ياكلون الربا كمال قال الله تعالى لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة الآية * وفي خبر آخر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال إذا كان يوم القيامة ويوم الحسرة ولندامة يحشر الله تعالى أمتي في قموهم على اثني عشر فوجاً أما الفوج الأول فيحشرون من قبورهم ليس لهم أيد

الجنة حيث شاءوا وأرواح أولاد الموءنين في حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح أولاد المشركين يترددون ليس لهم مكان مخصوص وأرواح الذين عليهم دين وبأكلون أموال الناس بالباطل معلقة في الهواء لا تصل إلى الجنة ولا إلى السماء وأرواح فساق الكفار تعذب في القبر مع الجسد وأرواح المنافقين في سبعين في نار جهنم وورد أن من أصيب بمصيبة فخرق ثوباً أو ضرب له صدره فكأنما أخذ ومحاو حرب به مولاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سجد باباً على لمصيبة أو ثوباً أو خرق ثوباً أو ضرب له صدره أو قلع له شعرة بنى الله بكل شعرة بيتاً في النار وكما قتل سبعين نبياً ولا يقبل الله منه شيئاً ما دام ذلك السواد على بابه وضيق الله على الميت قبره وشدد عليه حسابه ولعمته كل يوم ملائكة السموات والأرض وكتب عليه ألف خطيئة وقام يوم القيامة عرباً وناو من طام على خدماً أو خدش وجهه حره الله تعالى

النظر إلى وجهه يوم القيامة ولا يلبس بالكاء على الميت ولكن الصبر أفضل له قوله تعالى أنما في الصبر أجرهم بغير حساب وورد

وسلم انه لما مات وله ابواهم
دمعت عيناه فقال له عبد
الرحمن بن عوف يا رسول
الله ائبس قد نهيتنا عن البكاء
فقال انما نهيتكم عن الصوتين
الفاجرين الاحقين صوت
النوح والغناء ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم تدمع
العينان ويحزن القلب
وروى ان صهر رضى الله عنه
رأى امرأة تبكي على ميت
فارادهم ان ينهائهم عن البكاء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم
دمعوا يا اباحفص فان العين
باكية والنفس مصابة ومن
على بن ابي طالب رضى الله
عنه انه قال الصبر على ثلاثة
أقسام الصبر على الطاعة
والصبر عن المصيبة والصبر
على المصيبة فمن صبر على
الطاعة اعطاه الله يوم القيامة
مئة درجة علو كل درجة كما
بين السماء والارض ومن
صبر عن المصيبة اعطاه الله
يوم القيامة مئة درجة علو
كل درجة كما بين السماء
والارض ومن صبر على
المصيبة اعطاه الله يوم القيامة
ثلاثة درجة علو كل درجة
كما بين السماء والارض وعنه
ابن عباس رضى الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اول ما كتب القلبي
اللاوح لحفوظ بامر الله تعالى
اني انا الله لا اله الا انا ومحمد
عبدى ورسولى وخيرتى من
خلقى من استسلم لقضائى وصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليخرج من تحت صفاى وليعبد رباً صوائى الذين

ولا ارجل فينادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين كانوا يؤذون الجيران ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزؤهم ومصيرهم الى النار كما قال تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب
بالجنب الآية وأما الفوج الثانى فيحشرون من قبورهم على صورة دابة يقال لها خنازير
فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يتهاونون فى الصلاة ماتوا ولم يتوبوا فهذا
جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
وأما الفوج الثالث فيحشرون من قبورهم وبطونهم مثل الجبال ملئت من حيات وعقارب
كمثل البغال فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يعمون الزكاة ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها فى سبيل الله فيشربهم بمذاب اليم يوم يحمى عليهم فى نار جهنم فيجعل الله تعالى
بسكل دائق منها لوحا من النار فتكوى به اوجباهم وحزوبهم وظهورهم وهذا ما كنتم
لا تقسمكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وأما الفوج الرابع فيحشرون من قبورهم بحرى من
أفواههم دم وأمعواهم بحرى الى الارض والنار فتخرج من أفواههم فينادى المنادى من
قبل الرحمن هؤلاء الذين كذبوا فى البيع والشراء ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم
الى النار كما قال الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا وأما الفوج الخامس
فيحشرون من قبورهم يستخفون من الناس ويخفون انفس من الحيفه فينادى المنادى من
قبل الرحمن هؤلاء الذين يكتمون الماعصى سرا من الناس ولم يخافوا من الله ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله الآية وأما الفوج السادس فيحشرون من قبورهم مقطوعة حلقهم من الافقية
فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يشهدون الزور والكذب ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى والذين يشهدون الزور الآية وأما
الفوج السابع فيحشرون من قبورهم ليس لهم أسنة يجرى من أفواههم الدم والقيح
فينادى المنادى هؤلاء الذين يعمون شهادة الحق ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم
الى النار كما قال الله تعالى ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه الآية وأما الفوج
الثامن فيحشرون من قبورهم ناكسى رؤسهم وأرجلهم فوق رؤسهم تجرى من فروجهم
انهار من القيح والصدف فينادى مناد من قبل الرحمن هؤلاء الذين يزنون ماتوا ولم يتوبوا
فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية
وأما الفوج التاسع فيحشرون من قبورهم سود الوجوه زرق العينون بطونهم مملوءة من
النار فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ماتوا ولم
يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى
ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا الآية وأما الفوج العاشر فيحشرون من قبورهم بالجذام
والبرص فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين عقوا الوالدین ماتوا ولم يتوبوا فهذا
جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين
احسانا الآية وأما الفوج الحادى عشر فيحشرون من قبورهم صمى القلوب وأسنانهم كقرن
الدور وأسفارهم مطروحة على صدورهم وأسنانهم مطروحة على بطونهم وبطونهم
مطروحة على أفخاذهم يخرج من بطونهم القذر فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء

﴿فائدة﴾ أربعة عشر لا يسألون في قبورهم الم رابط والشهيد والصدق والميت وضع البطن والميت بالاستسقاء ومن داوم على قراءة تبارك كل ليلة والميت ليلة الجمعة ومن مات يومه والغريق والميت بالطاعون وكذلك الميت بغير طعن في زمي الطاعون ان كان يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله عليه وكذلك الانبياء والملائكة ومن قرأ سورة الاخلاص في مرض موته وأما ضمة القبر فلا ينحو أحد منها لكن المؤمن يضعه القبر كما أقسم المرأة الشفوة وله هاضمة خنان وشفقة واه الاكافر فيضمة ضمة عداوة وبغضه (فائدة) خمسة لا تاكل الارض اجسامهم لا نبياء والعلماء والشهداء الذين يقتلون في سبيل الله وقارىء ٢٥ القرآن والمؤذن احسبنا الله تعالى وقد اظلم ابصارهم فقال

لا تاكل الارض جسما للذي ولا لهالم وشهيد قتل معترك ولا لقادى قرآن ومعتب اذنه لاله مجري القلك

(وقد ورد) ان سيدى محمد لم يهدى اذا ظهر ومكث في الارض يخرج هذه المسيح الدجال وهو كما نذر المصطفى

صلى الله عليه وسلم انه رجل عوروله حمار يركبه عرض

ما بين اذنيه اربعون ذراعا يقول للناس انا ربكم

مكتوب بين عينيه قافر بقرؤه كل مؤمن كاتب وغير

كاتب يسبح في الارض اربعين يوما الاول منها

كسنة والثاني كسهر والثالث كجمعة وباقي الايام كايامنا

هذه ويدخل سائر المدائن الا مكة والمدينة المنورة

وبيت المقدس لان على ابوابها ملائكة يطردونه

رمحه جبال من خزوله جنة ونار ويشدد الكرب على

الخلائق حتى أنهم لا يملكون

(٤ - دقائق) تقوت من اطاعة طاعة من الخبز ومن لافلا ومن اطاعة يدخله الذي يسميه الجنة وتكون على نار او من لم يطعه

يدخله الذي يسميه نار افتكون عليه جنة ويبت الله منه شياطين تكلم الناس معه فتنة عظيمة بأمر السماء ان تمطر فتعطر ويقال انه يقتل

الخصر عليه السلام وصلة قتله أن ينشره بالمشار فلقين ويثى بينهما ثم يقول له قم فيقوم فيقول اتؤمن بي فيقول له اخصر ما أنت

له فيأخذه الدجال ليذبحه فيجمل الله عليه صفيحة من نحاس فلا يقدر أن يذبحه ثم ان الناس تفر منه الى جبل بالشام يقال له جبل

الدخان فيقتبهم الدجال بجنوده ويضاهيهم ضحية اشدهم ثم ان عيسى عليه السلام ينزل من السماء على أجنحة ملائكة فيرثه في دمشق وينادي

الذين يشربون الخمر ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الاية وأما الفرج الثاني عشر فيعشرون من قبورهم وجوههم مثل القمر ليلة البدر فيجوزون على الصراط كالبرق الخافق فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يملكون الصالحات وينهون عن المعاصي ويحفظون الصلوات الخمس مع الجماعات ماتوا على التوبة فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى الجنة المرفرة والرضوان والرحمة والنعمة لانهم رضوا عن الله والله تعالى راض عنهم كما قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة أن لا تحزنوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون

﴿قلب السادس والعشرون في ذكر نشور الخلائق من القبور﴾

يقال ان الخلائق اذا نشروا من القبور يقفون وقفا على المواضع التي نشروا عليها اربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قبل يا رسول الله بيم يصر في المؤمنون يوم القيامة قال عليه السلام ان أمي غر محجلون من آثار الوضوء * وفي الخبر اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الخلائق من قبورهم فتأتى الملائكة الى قبور المؤمنين ويمسحون التراب عنهم الا مواضع سجودهم فلا يذهب منها ذلك الاثر فينادي المنادي ليس ذلك للتراب تراب قبورهم وانما هو تراب محاريبهم دعوا ما عليهم حتى يمشروا الصراط ويدخلوا الجنة حتى ان كل من ينظر اليهم يعلم انهم خدامي وعبادي وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام اذا كان يوم القيامة وبعث من في القبور أوحى الله تعالى الى رضوان اني قد أخرجت الصائمين من قبورهم جاءهم عطايا فاستقبحاهم بشواء وفاكهة من الجنان فيصبح رضوان يا أيها الغلمان ويا أيها الولدان الذين لم يباغوا الحلم فيأتون باطباق من نور ويجتمعون عنده أكثر من عدد قطر الامطار وكواكب السماء وأوراق الاشجار بالفاكهة الكثيرة والاطعمة السمينة والاشربة اللذيذة فاذا لقبرهم أطعمهم من ذلك ويقول لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال عليه السلام ثلاثة تصالحهم الملائكة يوم يخرجون من قبورهم الشهداء وصائم شهر رمضان وصائم يوم عرفة وعن عائشة رضي الله عنها قال عليه السلام يا عائشة ان في الجنة قصورا من در وياقوت وزبرجد

(٤ - دقائق) تقوت من اطاعة طاعة من الخبز ومن لافلا ومن اطاعة يدخله الذي يسميه الجنة وتكون على نار او من لم يطعه

يدخله الذي يسميه نار افتكون عليه جنة ويبت الله منه شياطين تكلم الناس معه فتنة عظيمة بأمر السماء ان تمطر فتعطر ويقال انه يقتل

الخصر عليه السلام وصلة قتله أن ينشره بالمشار فلقين ويثى بينهما ثم يقول له قم فيقوم فيقول اتؤمن بي فيقول له اخصر ما أنت

له فيأخذه الدجال ليذبحه فيجمل الله عليه صفيحة من نحاس فلا يقدر أن يذبحه ثم ان الناس تفر منه الى جبل بالشام يقال له جبل

الدخان فيقتبهم الدجال بجنوده ويضاهيهم ضحية اشدهم ثم ان عيسى عليه السلام ينزل من السماء على أجنحة ملائكة فيرثه في دمشق وينادي

وسلم انه لما مات ولده ابراهيم دمعته عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ائبس قد نهيتنا عن البكاء فقال انما نهيتكم عن الصوتين الفاجرين الاحقين صوت النوح والغناء ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم تدمع العينان ويحزن القلب وروى ان صهر رضى الله عنه رأى امرأة تبكى على ميت فارادهم ان ينهائهم عن البكاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم دمعوا يا اباحفص فان العين باكية والنفس مصابة ومن على بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال الصبر على ثلاثة أقسام الصبر على الطاعة والصبر عن المصيبة والصبر على المصيبة فمن صبر على الطاعة اعطاه الله يوم القيامة مائة درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض ومن صبر عن المصيبة اعطاه الله يوم القيامة مائة درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض ومن صبر على المصيبة اعطاه الله يوم القيامة ثمانية درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما كتب القلبي اللوح لحفوظ بار الله تعالى انى اتا الله لاله الانا ومحمد عبدي ورسولي وخيرتي من خلقي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من تحت صفاي وليعبد ربا صوائبي الذين

ولا ارجل فينادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين كانوا يؤذون الجيران ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال تعالى والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب الآية وأما الفوج الثانى فيحشرون من قبورهم على صورة دابة يقال لها خنازير فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يتهاونون في الصلاة ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى فويل للامصيلين الذين هم من صلاتهم ساهون وأما الفوج الثالث فيحشرون من قبورهم وبطونهم مثل الجبال ملئت من حيات وعقارب كمثل البغال فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين ينعمون الزكاة ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشربهم بمذاب اليم يوم يحمى عليهم نار جهنم فيجعل الله تعالى بسكل دائق ما لو حان النار فتكوى بها حبايحهم وحزوبهم وظهورهم وهذا ما كنتم لا تفقهون فذوقوا ما كنتم تكنزون وأما الفوج الرابع فيحشرون من قبورهم بجري من أفواههم دم وأمعواهم تجرى الى الارض والنار تخرج من أفواههم فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين كذبوا في البيع والشراء ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا وأما الفوج الخامس فيحشرون من قبورهم يستخفون من الناس ويخفون انفسهم من الحجة فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يكتمون المماضى سرا من الناس ولم يخافوا من الله ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله الآية وأما الفوج السادس فيحشرون من قبورهم مقطوعة حلقهم من الافقية فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يشهدون الزور والكذب ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى والذين يشهدون الزور الآية وأما الفوج السابع فيحشرون من قبورهم ليس لهم أسنة تجرى من أفواههم الدم والقيح فينادى المنادى هؤلاء الذين ينعمون شهادة الحق ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ولا تنكتموا الشهادة ومن ينكتمها فانه آثم قلبه الآية وأما الفوج الثامن فيحشرون من قبورهم ناكس رؤسهم وأرجلهم فوق رؤسهم تجرى من فروجهم انهار من القيح والصدف فينادى مناد من قبل الرحمن هؤلاء الذين يزنون ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية وأما الفوج التاسع فيحشرون من قبورهم سود الوجوه زرق العينون بطونهم مملوءة من النار فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا الآية وأما الفوج العاشر فيحشرون من قبورهم بالجذام والبرص فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين عقوا الوالدین ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى واحسدوا الله ولا تشرکوا به شيئا وبالوالدين احسانا الآية وأما الفوج الحادى عشر فيحشرون من قبورهم صمي القلوب وأسنانهم كقرن الثور وأشفاقهم مطروحة على صدورهم وأسنتهم مطروحة على بطونهم وبطونهم مطروحة على أفخاذهم يخرج من بطونهم القدر فينادى المنادى من قبل الرحمن هؤلاء

عبدي ورسولي وخيرتي من

خلقى من استسلم لقضائي وصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من تحت صفاي وليعبد ربا صوائبي الذين

﴿ فائدة ﴾ أربعة عشر لا يزالون في قبورهم المرابط والشهيد والصادق والميت بوضع العفن والميت بالاستسقاء ومن داوم على قراءة تبارك كل ليلة والميت ليلة الجمعة ومن مات يومها والغريق والميت بالطاعون وكذا الميت بغير طعن في زمير الطاعون ان كان يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله عليه وكذا الانبياء والملائكة ومن قرأ سورة الاحلاق في مرض موته وأما ضمة القبر فلا تنجو أحد منها. لكن الدوم من ضمة القبر كما أنهم المرأة الشفوة وله ضمة حنان وشفة قواء الكافر فيضمة ضمة عداوة وبغضه (فائدة) خمسة لا تاكل الارض اجسامهم لا نبياء والصلحاء والشهداء الذين يقتلون في سبيل الله وقارىء ٢٥ القرآن والمؤذن احسب ان الله تعالى وقد نظم بعضهم فقال

الذين يشربون الخمر ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى انما الخمر والميسر والالصاب والالزام رجس من عمل الشيطان الآية وأما القوم الثاني عشر فيحشرون من قبورهم ووجوههم مثل القمر ليلة البدر فيجوزون على الصراط كالبرق الخاطف فينادي المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يعملون الصالحات وينهون عن المعاصي ويحفظون لأصول الخمر مع الجماعات ماتوا الى التوبة فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى الجنة والمغفرة والرضوان والرحمة والنعمة لانهم رضوا عن الله والله تعالى راض عنهم كما قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون

﴿ للباب السادس والعشرون في ذكر نشور الخلائق من القبور ﴾

يقال ان الخلائق اذا نشروا من القبور يقفون وقفا على المواضع التي نشروا عليها أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قيل يا رسول الله بيم يصرف المؤمنون يوم القيامة قال عليه السلام ان أمي غر محجلون من آثار الرضوء * وفي الخبر اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الخلائق من قبورهم فتأتى الملائكة الى قبور المؤمنين ويمسحون التراب عنهم الا مواضع سجودهم فلا يذهب منها ذلك الاثر فينادى المنادى ليس ذلك للتراب تراب قبورهم وانما هو تراب محاريبهم دعوا ما عليهم حتى يمشوا الصراط ويدخلوا الجنة حتى ان كل من ينظر اليهم يعلم انهم خدامي وعبادي وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه قال قال عليه السلام اذا كان يوم القيامة وبست من في القبور أوحى الله تعالى الى رضوان يا رضوان اني قد أخرجت الصالحين من قبورهم جاءهم عطايا فاستقبلهم بشواء وفاكهة من الجنان فيصبح رضوان يا أيها الغلمان ويا أيها الولدان الذين لم يبلغوا الحلم فيأتون بطباق من نور ويجتمعون عنده أكثر من عدد قطر الأمطار وكواكب السماء وأوراق الأشجار بالفاكهة الكثيرة والاطعمة السمينية والأشربة اللذيذة فاذا لقيهم أطعمهم من ذلك وبقول لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال عليه السلام ثلاثة تصالحهم الملائكة يوم يخرجون من قبورهم الشهداء وصائف شهر رمضان وصائف يوم عرفة وعن عائشة رضي الله عنها قال عليه السلام يا عائشة ان في الجنة قصورا من در وياقوت وزبرجد

(٤ - دقائق) ثقوت من اطاعة أطعمه من الحيز ومن لا فلا ومن أطاعه يدخله الذي يسميه الجنة يتكوف عليها ناروا لم يطعمه بدخله الذي يسميه نارفا تكون عليه جنة وبعث الله معه شياطين تكلم للناس وبعثه فتنة عظيمة يأمر السحابة ان تطر فتمطر وبقوله انه يقتل الخضر عليه السلام وصفة قتله ان ينشره بالمشارف لقتلين ويشي بينهما ثم يقول لا قم فيقوم فيقول آتو من في فيقول له الخضر ما أنت الة فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله عليه صفحة من نحاس فلا يقدر أن يذبحه ثم أزال الناس قبره منه الى جبل بالشام يقال له جبل الدخان فيقبعهم الدجال بجنوده ويضيقهم ضيقة شديدة ثم أوحى الله عليه السلام ينزل من السماء على أجنحة ملكين شرقي دمشق وبندادي

الذين يشربون الخمر ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى انما الخمر والميسر والالصاب والالزام رجس من عمل الشيطان الآية وأما القوم الثاني عشر فيحشرون من قبورهم ووجوههم مثل القمر ليلة البدر فيجوزون على الصراط كالبرق الخاطف فينادي المنادى من قبل الرحمن هؤلاء الذين يعملون الصالحات وينهون عن المعاصي ويحفظون لأصول الخمر مع الجماعات ماتوا الى التوبة فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى الجنة والمغفرة والرضوان والرحمة والنعمة لانهم رضوا عن الله والله تعالى راض عنهم كما قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون

(٤ - دقائق) ثقوت من اطاعة أطعمه من الحيز ومن لا فلا ومن أطاعه يدخله الذي يسميه الجنة يتكوف عليها ناروا لم يطعمه بدخله الذي يسميه نارفا تكون عليه جنة وبعث الله معه شياطين تكلم للناس وبعثه فتنة عظيمة يأمر السحابة ان تطر فتمطر وبقوله انه يقتل الخضر عليه السلام وصفة قتله ان ينشره بالمشارف لقتلين ويشي بينهما ثم يقول لا قم فيقوم فيقول آتو من في فيقول له الخضر ما أنت الة فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله عليه صفحة من نحاس فلا يقدر أن يذبحه ثم أزال الناس قبره منه الى جبل بالشام يقال له جبل الدخان فيقبعهم الدجال بجنوده ويضيقهم ضيقة شديدة ثم أوحى الله عليه السلام ينزل من السماء على أجنحة ملكين شرقي دمشق وبندادي

ايها الناس ما عنكم أن نخرجوا هذا الكذاب لحيت فينطقون اليه فيجدون عيسى فاذا صلاوة الصبح يخرج اليه عيسى فاذا رآه ولي
 هاربا فينطق اليه عيسى ويقتله بحجرة من الجنة تنزل منه من السماء ويكسر الصليب ويقتل الخنزير وتفتح كنوز الارض ويكثر
 المال وتهلك في زمانه سائر الملل الا الاسلام وتنزل الامامة في الارض والشفقة بين الخلائق حتى يرعى الاسد مع الابل والفرع مع البقر
 والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم ثم أنه يسكن مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويتزوج بأمرأة وتلد منه سم
 يموت ويصلى عليه المسلمون ٢٦ ويدفنون به بجانب قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فاذا انقضت مدة الدنيا فيضم امر فويل

وذهب وقصة قات يار رسول الله ان هذه القصور قال عليه السلام لمن صام يوم عرفة
 وقال عليه السلام يا عائشة ان أحب الايام الي الله يوم الجمعة ويوم عرفة لما فيه من الرحمة
 وان أبغض الايام الي ابيس يوم الجمعة ويوم عرفة يا عائشة من أصبح صائما يوم عرفة
 فتح الله تعالى عليه ثلاثين بابا من الخير وأغلق عنه ثلاثين بابا من الشر فاذا أفاطر ومثرب
 الماء يستغفر الله له كل عرق في جسده يقول اللهم ارحمه الى طلوع الفجر وفي خبر آخر
 يخرج الصائتون من قبورهم ويعرفون بريح أفواهم بصياهم يتلقون بالموائد والاباريق
 يقال لهم كلوا فقد جفتم حين شبع الناس واشربوا فقد عطشتم حين روي الناس
 واستريحوا فباكون ويشربون ويستريحون والناس في الحساب وقد جاء في الخبر لا يلى
 عشرة الانبياء والغزالي والعالم والشهيد وحامل القرآن والامام العادل والمؤذن والمرأة اذا
 ماتت في نقاسها ومن قتل مظلوما ومن مات يوم الجمعة اوليتها وفي الخبر عن النبي عليه السلام
 يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم امهاتهم عراة حفاة قالت عائشة رضى الله تعالى عنها الرجل
 والنساء معا قال عليه السلام نعم قالت واسوأناه ينظر بعضهم بعضا فضرب النبي عليه السلام
 يده على منكبيه وقال يا بنة أبي حفاة اشتغل الناس يومئذ من النظر تشخص أبصارهم الى
 السماء يقولون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ويمر كل واحد منهم حياء من الله
 تعالى فثم من يبلغ العرق قدميه ومنهم من يبلغ ساقيه ومنهم من يبلغ بطنه ومنهم من
 يبلغ صدره ومنهم من يبلغ وجهه والعرق يكون من طول الوقوف قالت يار رسول الله هل
 يحشر أحد كاسيا يوم القيامة قال عليه السلام الانبياء وأهلهم وصاعو رجب وشعبان
 ورمضان على الولاء وكل الناس جائع يومئذ الا الانبياء وأهل بيتهم وصاعو رجب وشعبان
 ورمضان لانهم شباع لا جوع بهم ولا عطش وقال يسوقهم بأجمعهم الى أرض المحشر عند
 بيت المقدس في أرض يقال لها الساهرة كما قال الله تعالى قائما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة
 ويقال أن الخلائق في عرصات القيامة يكونون مائة وعشرين صفاء كل صف مسيرة أربعين
 سنة وعرض كل صف مسيرة عشرين سنة ويقال أن المؤمنين منهم ثلاثة صفوف والباقي كفرة
 روي عن رسول الله عليه السلام ان أمي مائة وعشرون صفاء وهذا أصح وصفة المؤمنين
 انهم بيض الوجوه غير محجلون وصفة الكافرين أنهم سود الوجوه مقرونون مع الشياطين
 ﴿الباب السابع والعشرون في ذكر سوق الخلائق الى المحشر﴾

أجنحته وينفخ في الصور
 نفخة واحدة فتخرج
 الارواح من أهل السموات
 والارض حتى أن الرجل
 يرفق اللقمة الى فيه فلا
 يطعمها والثوب بين
 يديه فلا يلبسه والكوز
 على فيه فلا يشرب ولا يبقى
 في الارض الا ابليس لعنة الله
 عليه ولا في السماء الا الملائكة
 الاربعة المقربون وحمة
 العرش ثم يقول الله تعالى اني
 أجعل لك بمعد الاولين
 والآخرين أعوانا وأعطيك
 قوة أهل السموات
 والارض واعطيك من
 الربانية سبعين ألفا بيد كل
 واحد منهم سلسلة من
 سلاسل لظى وأرسلت الى
 ابليس لتذيقه الموت فيقول
 للسمع والطاعة ثم أن مناديا
 ينادي بأمانك افتح أبواب
 النيران فينزل ملك الموت
 بصورة لوظف إليها أهل
 السموات والارض لما نوا
 ويقول له ذق يا خبيث

لا ذيقك الموت فهرب منه الى المشرق فاذا هو عنده فهرب الى المغرب فاذا هو عنده ثم يقف عند قبر آدم عليه
 السلام ويقول له يا آدم من أجلك صرت رجلا مملونا مطرودا ثم يقول يا مملك الموت بأى كاس تسقي الموت وبأى عذاب تقبض
 روحي فيقول ملك الموت بكاس لظى والسعيرو لربانية تنصب له السلاسل بالكلاليب ويضعون عليه قوته
 وبأخذني نزع الروح فتقبني له خرخرة لوصعها أهل السموات والارض لما نوا من شدتها ثم يأمر الله ملك الموت ان يقف في الأرض فيأمر
 ملك الموت الارض ويقول لها قد انقضت مدتك اذهبي فتقول له الارض يا مملك الموت امهلي حتى أروح على نفسي فتروح لسان

وفصيح أن ملوكي أشجاري ونماري وبنياني وقصوري ثم يصيح بهاملك الموت صيحة واحدة فتذق حيطانها وينور ماؤها
ثم تذهب كأنها لم تكن ثم يصعد إلى السماء ويقول لها قد انقضت مدتك فتقول يا مملك الموت اهلني حتى اروح على نفسي فيعلمها فتروح
بلسان فصيح أن فحسي وقصري ونجومي وأفلاكي ثم يصيح بهاملك الموت صيحة واحدة فتنتطوى كطي السجل للكتب ثم يقول
الله تعالى يا مملك الموت من بقي من خلقي فيقول اللهم أنت اعلم بقي جبريل وميكائيل ورافائيل وحلة العرش وأبعدك الضعيف
فيقول يا مملك الموت اقبض روح جبريل فينتقل إليه فيجده ساجدا أو راكعا فيقول له ٢٧ ان الله تعالى أمرني بقبض

روحك فيقول رب هو
ن على سكرات الموت فيضمه
ملك الموت ضمة بقبض بها
روحه ثم يأتي فيقول له من
بقي فيقول ميكائيل فيقول
قبض روحه فينتقل إليه
ويقول قد أمرني الله بقبض
روحك فيقول رب هو
ن على سكرات الموت فيضمه
ضمة بقبض بها روحه ثم
يأتي فيقول من بقي وهو

اعلم فيقول بقي ارافيل
فيقبض الله من ارافيل
الصورة فيضمه ضمة واحدة
بقبضها روحه فيقول من
بقي وهو أعلم فيقول حلة
العرش فيقول اقبض
ارواحهم فيقبضها ثم يقول
الله تعالى من بقي وهو أعلم
فيقول بقيت انت الهي الذي
لاموت وبقيت انا فيقول
الله تعالى انت خالق من خلقي
خلقتك فت فيذهب الى
موضع بين الجنة والمار
ورقد فيه ويجعل بصره الى
السماء ويقبض روحه بيده

يقال يساق الكفار بأقدامهم ويساق المؤمنون بجنايبهم ومراكبهم كما قال الله تعالى يوم تمش
المتقين الى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين الى جهنم ورداء قال على كرم الله تعالى وجهه بمحشر
المؤمنون ركبانا على جنايبهم يوم القيامة يقول الله تعالى يوم القيامة يا ملائكتي لا تسرعوا
نبأدي راجلين بل اركبهم على جنايبهم فانهم قد اعتادوا الركوب في الدنيا كان في الابتداء
صلب أبيهم صركبهم ثم من بعد ذلك بطن أمهم صركبهم تسعة شهور فحينئذ صركبهم ثم الخيل والبغال والحمير
أماهم سنتين للرضاع ثم ركبهم حتى اذا ترعرعوا فصنق أبيهم صركبهم ثم الخيل والبغال والحمير
مرابهم في البراري والسهل في البحار فحينئذ صركبهم ثم ركبهم وحين قاموا من
قبورهم لآعشهم راجلين فانهم اعتادوا الركوب ولا يقدرون على المشي وقدموا لهم الجنايب
وهي الاضاحي فيركبونها ويقدمون على المولى عز وجل ولذلك قال عليه السلام عظموا
ضحاياكم فانها يوم القيامة مطايا لكم أي مراكبكم

باب الثامن والعشرون في ذكر حر يوم القيامة

في الخبر اذا كان يوم القيامة يجمع الله تعالى الاولين والآخرين في صعيد واحد وتدنو
الشمس من رؤسهم ويشهد عليهم يوم القيامة حرها فتخرج عنق من النار كالظلم ثم ينادي
المادى يا متمر الخلائق انطلقوا الى الظل فينطلقون وهم ثلاث فرق فرقة المؤمنين وفرقة
المنافقين وفرقة الكافرين فاذا صار الخلائق الى الظل صار الظل ثلاثة أقسام قسم للحرارة
وقسم للبرودة وقسم للنور فلذلك قال الله تعالى انطلقوا الى الظل ذي ثلاث شعب لاية
والحرارة تقوم على رؤس المنافقين لانهم يحتززون من الحرارة في الدنيا كما قيل فيهم وقاوا
لا تنفروا في الحر قل بار جهنم أشد حرا لو كانوا بفقهم والسخان ينفذ على رؤس الكافرين
لاهم كما وافي الدنيا في النور وفي الآخرة في الظلمات فذلك قوله تعالى يخرجونهم من النور
الى الظلمات والنور يقف على رؤس المؤمنين لانهم كانوا في الدنيا في الظلمات وفي الآخرة
في النور كما قال الله تعالى والى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال الله تعالى
في صفاتهم يوم القيامة يوم تروى المؤمنين ولؤمنات يسرى نورهم بين أيديهم ويايمانهم
بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الاية قال عليه السلام سمعة يظلمهم الله في ظل
العرش يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجلان محبا في الله
ورجل طلبته امرأة ذات جمال فقال اني اخاف الله رب العالمين ورجل ذكر الله تعالى خاليا

فيمكث أربعين سنة وهو يخالج نفسه ويصيح كل صيحة لو كانت الخلائق احياء لما آمن من صيحة واحدة ويقول لو دلت أن تزع لروح
بهذه الشدة لكنني أشفق على ارواح المؤمنين ثم يموت ولا يبقى الا الله تعالى وتبقى الارض خالية ثم يتجلى الله تعالى ويقول
لمن الملك اليوم فلم يجبه أحد فكرر ثلاث مرات فيجيب نفسه بنفسه الملك الله الواحد لا اله الا هو ان الله تعالى يحيي ويميت وهم يومئذ
ثمانية أرواحهم تحت تخوم الارض السابعة والعرش على أكتافهم ثم ان الله تعالى يحيي ارافيل عليه السلام ويعطيه الصور فيضمه على
فيه ثم يحيي الله جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وهم يركضون ولوزن سبعة لاله الا آتاه كان عهدنا أن ندينك مائة

تساقطاً فالآن استحي منه اذهبوا الى عيسى فياتونه فيقول اهلها لا أسألك من ربهم أمي وأنا أسألك تقضي اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فياتونه وهم يقولون واتحداه اشفع لنا عند ربك في فصل القضاء فينطق معهم حتى ياتي تحت العرش ويخر ساجدا فيبعث الله اليه ملكا فيأخذ بعضده ويقول اهلها محمد فيقول نعم فيقول ارفع رأسك وسل تمط فيقول الله عز وجل شفعتك فيهم فيرجع المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقف مع الناس ثم تنشق السماء الاولى فتزل ملائكتهم اقدرا أهل الارض من أنس وجن ورتين فيقومون من خلفهم حلقة ٣٠ واحدة ثم يزل أهل كل سماء على قدر ذلك من التضعيف ثم يزل الملك بامر الجبار رجل

درهم فلا يزال يستوفي من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيؤخذ من سيئات المظلوم فتترده عليه فاذا فرغت حسناته قيل ارجع الى امك الهاوية فانه لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب يعني سريع المجازاة وعلى هذا جاء في الخبر أوحى الله الى موسى عليه السلام أن قل لقومك ان فعلوا خصالا واحدة أدخلهم الله الجنة فقال موسى عليه السلام وما هي قال الله تعالى أن يرضوا خصالا قال موسى ألهي فان كانوا قد ماتوا قال الله تعالى يا موسى فاني حي لا أموت أبدا قل لهم يرضوني قال كيف يرضونك قال تعالى بأربعة أشياء بندامة القلب والاستغفار بالأسنان ودعم العين وخدمة الروح

الباب التاسع والعمشرون في ذكر قرب الجنة

قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للفاوتين وفي الاخبار اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى يا جبرائيل قوب الجنة للمتقين وبرز الجحيم للفاوتين فنصير الجنة الى عيين العرش والجحيم الى يسار العرش ثم يمد الصراط على النار وينصب الميزان ثم يقول الله تعالى أين صفي آدم وأين خليلي ابراهيم وأين كليمي موسى وأين روعي عيسى وأين حبيبي محمد فتقوا عن عيين الميزان ثم يقول الله تعالى يا رضوان افتح أبواب الجنان وبأمالك افتح أبواب النيران ثم يجيء ملك لرحمة بالحلل وملك العذاب بالانغلاق والسلاسل واواب من القطار وينادي المنادي بالمعشر الخلائق انظروا الى الميزان فانه يوزن عمل فلان بن فلان ثم ينادي المادي بأهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود بلا موت فذلك قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر

الباب العاشر في ذكر عظم الساعة يعني دهشتها

في الخبر روي أن أعظم ساعة ترد على العبد في الدنيا عند خروج روحه اذا شخصت عيناه وانشر منخره وانما قط شفتاه ولحيته وعرق جبينه وانسدت أذناه وانمقد لسانه فلا يجيب جوابا ولا يرد كلاما فغارت عينه واسترخت مفاصله وانقطعت أوصاله وجفاه أحبابه وتفرق عنه أقرباؤه وودعه المالك فبقي متحيرا قد تغير عقله ويمكن الشيطان من اختلاسه وتلك الساعة عظيمة عليه وقد أغلق باب التوبة عنه فافضل ما يكلم به العبد في ذلك الوقت كلمة الشهادة وأما أعظم ساعة ترد عليه في الآخرة فاذا نفخ في الصور وبعث من في القبور وتعلق المظلوم بالظالم وكان الشهود الملائكة والدائل هو الله عليها ألف عام حتى ابيضت

جلاله في ظالم من الغمام والملائكة فيضع كرونيه حيث يشاء من الارض ثم ينادي فيقول يا معشر الانس والجن ان صفكم ستقرأ عليكم فنرجد خير اقل بعد الله تعالى ومن وجد شرا فلا يلومن الا نفسه ثم ينطق ملك الى مالك خازن النار ويقول له سق جهنم الى الموقف فيقول مالك أي يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة فيأمر مالك الربانية أن يجر وهالي الموقف وهي تهب وتريد أن تلتقط أهل الموقف ولا ملاك يجذبونها عنهم بيد كل ملك منهم محمود من ارادوا اجتماع اهل الارض لم يقدروا ان يحركوه وهو بيد الملك أخف من الريشة واذا تكلم أحدهم تطاير الشر من شفته فيضعونها من شمال العرش أرضها من رصاص وسقها من نحاس وحيطها من كبريت أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت

والف عام حتى احمرت وألف عام حتى اسودت فهي الاثني مائة سنة مظللة مزروجة بغضب الله تعالى لا يهدأ لها ولا تعالى بمحمد هاولو ان جرة منها سقطت في الدنيا لاهرق من المشرق الى المغرب ولوان ثوبان ثياب أهل النار عاق بين السماء والارض لما ت الخلائق من شدة حره وتندوهي سبع طباق جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السمير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فالطبقة الاولى لعصاة هذه الامة يعذبون فيها بقدر أعمالهم فمنهم من يعذب قدر لحظة ومنهم من يعذب ساعة ومنهم من يعذب يوما ومنهم من يعذب يوما ومنهم من يعذب سنة والطبقة الثانية للذين هموا بالطبقة الرابعة لها سبعين والطبقة الخامسة

للمجوس والطبقة السادسة لعبد الاضنام والطبقة السابعة للمنافقين فمن كان في الطبقة الاولى ينادي يا حنان يا منان ومن كان في الثانية ينادي ربنا غلبت علينا شقوتنا ومن كان في الثالثة ينادي ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا غاثنا ملون ومن كان في الرابعة ينادي ربنا ظفنا انفسنا ومن كان في الخامسة ينادي ربنا اخرجنا الى اجل قريب ومن كان في السادسة ينادي ادعوا ربكم يخفف عنا بومامن المذاب ومن كان في السابعة ينادي يا مالكة بض عليمنا ربك قال انكم ما تكون وقيل ان مالكا خازن النار ينادي في الطبقة الاولى ويل للمكذبين وفي الثانية فويل لهم مما كتبت ايديهم وفي الثالثة ويل لكل اثمهم وفي ٣١ الرابعة ويل لكل همزة

لنزة وفي الخامسة وويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة وفي السادسة فويل للفاخية فلو بهم من ذكر الله وفي السابعة وويل للطفقين الذين اذا اکتوا لعلی الناس يستوفون اعذا الله منها بمنه وكره آمين ﴿ تنبيه ﴾ ورد أن عصاة المؤمنين اذا دخلوا النار يعضون فيها لحظة يعلم الله مقدارها ثم يموتون فيها حتى لا يحسوا بالهم

تمالي والعذاب في جهنم والنعيم في الجنة ووضعت كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وصارت الولدان شيئا في ذلك اليوم كما قال الله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقال ان كانت الا صيحة واحدة الاية وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الاية ويقال يشهد عليهم سبعة شهود المكان قال تعالى يومئذ نحدث اخبارها الاية والثرمان كما قال في الخبر ينادي كل يوم انا يوم جديد وانا على ما تمعمل شهيد واللسان شاهد كما قال في سورة النور يوم تشهد عليهم ألسنتهم الاية والاعضاء شاهدات كما قال الله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون والمكان الحافظان كما قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما تبين ما تعملون والديوان يشهد كما قال الله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق والرحمن يشهد قال تعالى انا كنا عليكم شهودا الاية فكيف يكون حالكم يا عاصي بعدما يشهد عليك هؤلاء للشهود

﴿ الباب الحادى والثلاثون في ذكر تطاير الكتب يوم القيامة ﴾

لمهم وفي الخبر ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أبكك يا جبريل فقال يا محمد ما جفت لي عين من يوم خلق الله جهنم فقال له صف لي جهنم فقال يا محمد أرضها الرصاص وستفها النحاس وحيطانها الكبريت * حكى ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر بفتى وهو يصلى على صخرة فحو له دم رطب اردد ما يس فقال له عيسى عليه

حكى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا وله في كل يوم صحيفة جديدة فاذا طويت وليس فيها استغفار فهي مظلمة واذا طويت وفيها استغفار يكون لها نور يتلأل (قال التنبيه) رحمه الله تعالى ما من أحد في الدنيا الا عليه ملكان موكلان من الله تعالى بحفظانه ليلا ونهارا ويكتبان أعماله خيرا وشرها هرزا وجدها قال الله تعالى وان عليكم لحافظين الاية ويرفع له كل يوم كتاب وفي كل ليلة كتاب وتجمع كتب كل سنة في ليلة نصف شعبان وي طرح لقوله كلامه ولقوله عمله ويجمع كتاب كل سنة في سجل فاذا كان أجله ووقع في التزج تجمع تلك السجلات مع بعضها فاذا خرجت روحه طوى وعلق على عنقه وختم عليه وجعل معه في القبر وهذا معنى قوله تعالى (وكل انسان أؤمناه طائره في عنقه) أى قلناه ديوان عمله وانما خص للعنق لانه موضع القلادة والطاق وما يزين ويشين (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أى لمطية كتابا ويقال له (اقرأ كتابك) الذى أملت في الدنيا (كفى بنفسك اليوم) لمليك حسيبا) واذا جمع الله الخلائق في حركات القيامة وأراد أن يحاسبهم تطايرت عليهم كتبهم كالنواجيد وينادي من قبل الرحمن يا فلان خذ كتابك يا ميمتك يا فلان خذ كتابك يا هالك يا فلان خذ كتابك من

السلام يا قى ما لى أصابك قال يا روح الله دخل على خوف جهنم فاشتق قلبي ولحمى وجلدى وسأثر جوارحي فهذا الدم يسيل منها فرجع عيسى وجمع الناس فقال هذا من أبناء الدنيا خاف النار فاشتق قلبه فكيف حال من دخلها أعاذ الله منها بمنه وكرمه ثم ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخرجون من النار بشفاعته صلى الله عليه وسلم وآخر من يخرج من النار رجل يقال له جهينة وقيل هناد فيقول لربه اذهب فادخل الجنة فيباني اليها فيخيل له انها قد امتلأت فيرجع فيقول رب وجدتها ملكة فيقول له اذهب فادخل الجنة فان لك الدنيا عشر مرات وهو أدنى اهل الجنة منزلا فان دخل بقول أهل الجنة عند جهينة الخبر لليقين * ويحكى ان كان

نباشاوا * وما حكى من بعض الصالحين أنه قال رايت رجلا حدادا يخرج الحديد بيده من النار ويقلبه باصبعه فقلت في نفسي هذا رجل صالح قد نوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت له يا سيدي بحق من عليك بهذه الكرامة أن تدعولي فبكي وقال يا أخي ما أنا من النوم للصالح ولكن أحدئك يا هري اني كنت رجلا كثير المداصي والذنوب فوقف على امرأة من أجهل النساء قالت هل عندك شيء له فقلت لها فضى معي الى البيت واما أدفع لك ما بكفيك فتركتني وذهبت ثم عادت وقالت والله لقد أخرجني الوقت الى رحمت ٣٢ اليك فاخذته ووضيت بها الى البيت ثم أحلستهم وتقدمت اليها فاذا هي تضطرب كال همة في

الريح فقلت لها سم ذلك الاضطراب فقال خوفان من الله عز وجل أن يرانا في هذه الحالة فاذا تركتني ولم تصبني لا أحرقتك الله بناره لاني الدنيا ولا في الآخرة فتركتها ودفعت لها اما كان معي فخرحت من عندي وقد أغني على فرايت في النوم امرأة أحسن منها وقالت لها من أنت قالت أنا أم الصبية التي جاءتك وهي من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن يا أخي لا أحرقتك الله بناره لا في الدنيا ولا في الآخرة فانتهت فرحها مسرورا فن ذلك اليوم تركت ما كنت عليه من المعاصي ورجعت الى الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل ان في النار كهوف ومغائر أعدت لقاطع الرحم وعاق والدية ثم يفتح باب الجنة عن يمين للعرش وهي سبع جنات الجنة الفردوس وجنة الماري

وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار القيقين وهاتانيتا بواب بين كل باب وباب مسيرة الف عام وعلى الى كل باب جند من الملائكة يدخلون على أهل الجنة ويقولون سلام عليكم يا صبرتم فتم نعم عني الدار أرضها من ذهب وتراها من الماسك وحصباء وها من الياقوت ليس فيها شمس ولا قمر ولا نورها من نور العرش أكاد أداكم واذا كل أهل الجنة منها شيئا يخرج رشحها كالمسك واذا شر وارشح من أداكم مسكوا وليس لاهل الجنة أدبار لان الأدبار جمعت في الدنيا للفاط والجنة لا غايط فيها ولو أن رجلا من أهل الجنة يصب في البهار المالحه للمذنب ولو أخرج أصبعها من أنفها لصابه لهاب ضوء الشمس والقمر وقد ورد ان العبد

المؤمن يخرج بسبعين عوراء وعلى كل حورية سبعون حلة مكللة بالدرى مخ سافها من ورانها كجارى الشراب الاحمر في
الرجاحة البيضاء كالأقلى الى الواحدة وجدها بكر اول ذكر لا يتنى وله في كل دمنة شهوة ولذة ولو وجدها هل الدنيا لشفي عليهم من
شدة حلاوتها وفي الحديث أن الحور العين يأخذن أيديهن بأيدي بعض ويفتنين باصوات لم تسمع الخلائق أحسن منها نحن الراضيات
فلان خطأ بدأ نحن المقيات فلا نعلم أبدأ نحن للناعمت فلا نبيس أبدأ نحن الخالدات فلا تنفني أبدأ وحكي من ابن مكيان الدين الاحمر
أنه رأى حوراء في منامه فكلمته فقدم ثلاثة أشهر كلما يسمع كلام أهل الدنيا يتقيأ من ٣٣ فحبه وكل حوراء مكتوب

فمما على صدرها ثم اذا أراد
الله تعالى أن يرضى بين عباد
فأول من يدعى للحساب
البهايم والوحوش فيقضى الله
بهم للجاء من ذات القرن
فإذا فرغ من ذلك قال لهم
كونوا ترابا فمذ ذلك يقول
للكافر يا ليتني كنت ترابا ثم
يدعى بالماليك فيقول لهم
ما شغلكم عن عبادتي
فيقولون بارنا ابتليت بآبارق
فاشتغلنا بخدمه ساداتنا عن

الى اهله سرورا وأمان اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابه وقوله تعالى وأما
اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدهو ثورا ويصلى سميرا وكل حسنة عملها في بطن كتابه
وكل سيئة عملها في ظهر كتابه وأمان اوتى كتابه بشماله يكون في المذاب ولو كان له حسنة
وذلك للكفار لأن الحسنه مع الكفر لا ثواب لها ومن صفة الكافر أنه يكون جسده مثل
جبل حراء وأبي قبيس وهما جبلان بمكة وعلى رأسه تاج من النازور بلس حلة من نحاس ذائب
وفي عنقه حجرة فتشتمل فيه النار وتقل يده الى عنقه ويسود وجهه وتزرق عيناه فيرجع الى
اخوانه فإذا رآوه فزعوا ونفروا منه فلا يعرفونه حتى يقول أنا فلان ابن فلان ثم يحرقونه على
وجهه الى النار فهو لاء للكفار الذين يؤتون كتبهم بشمالهم فلا يأخذونها بشمالهم ولكن
يأخذونها من وراء ظهورهم كإروى عن النبي عليه السلام أن الكافر اذا دعى للحساب باصمه
يتقدم ملك من ملائكة المذاب فيشق صدره ثم يجر يده اليسرى من وراء ظهره من بين
كتفيه ثم يعطى كتابه

﴿ الباب الثاني والثلاثون في ذكر نصب الميزان ﴾

خدمتك فيدعى بيوسف
عليه السلام فيقول الله تعالى
قد ابتليت هذا فأشغل عن
خدمتي ثم يأمر بهم الى النار
ثم يؤتى بأهل البلاء فيقول
الله تعالى وما شغلكم عن
عبادتي فيقولون بارنا
ابتليت بالبلاء فاشتغلنا به
عبادتك فيدعى بابوب عليه
السلام فيقول هذا ابتليت به
بأشد البلاء وما شغل ذلك
عن عبادتي ثم يأمرهم الى
النار ثم يؤتى بأصحاب
الاموال فيقول الله تعالى

روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ينصب الميزان يوم القيامة على عمد طول كل
عمود منها ما بين المشرق والمغرب وكفة الميزان كاطباق الدنيا طولها ومعرضها واحد
واحد للكفتين من بين المشرق والمغرب وهي كفة الحسنات والاخرى عن يساره وهي كفة
السيئات وبين الميزان كالحبال من أمثال الثقلين مملوءة من الحسنات والسيئات في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة قال عليه السلام يؤتى بالرجل ومعه سبع وسبعون سجلا كل
سجل مد بصره فيه خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة الميزان ويخرج له قرطاس مثل الأكلة
وفيه شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فيوضع في كفة أخرى فترجع عن
الذنوب كلها وذلك قوله تعالى فاما من ثقات موازينه يعني رجعت موازين حسناته بالخير
والطاعات على سيئاته فهو في عيشة راضية أى عيش في الجنة يرضاه ثم قال وأما من خفت
موازينه فامه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية

﴿ الباب الثالث والثلاثون في ذكر الصراط ﴾

قال النبي عليه السلام ان الله تعالى خلق على النار جسرا وهو الصراط على متن جهنم
مدحضة منقطة عليه سبع قناطر كل قنطرة منها مسيرة ثلاثة آلاف سنة ألف منها صمود وألف

(٥ - دقائق) ما شغلكم عن عبادتي فيقولون بارنا أعطيتنا المال فاشتغلنا به عن طاعتك فيدعى سليمان عليه السلام
فيقول الله تعالى هذا أعطيتهم مالا أكثر مما أعطيتكم وما شغل ذلك عن طاعتكم ثم يأمر بهم الى النار وقال بعض الصالحين أن أربعين سنة
ما يغنى شيئا من طلوع الله جرم يدي بالقتل فيأتى كل قاتل قتل في سبيل الله أو داحه تشعب دافيع جعل لله وجهه مثل نور الشمس
ثم تزفه للملائكة الى الجنة ومن قتل قتيلا ظلما قتل به في دار الآخرة فاذا فرغ الله تعالى من حساب الخلائق يجعل لامة ما كانت تعبد فتتبع
صورة العزيز والمسا على صورة عيسى ابن مريم وينادى مناد تسمع الخلائق جميعا صوته ألا فلتتبع كل أمة ما كانت تعبد فتتبع
اليهود الملك الذي على صورة العزير والنصارى الذي على صورة عيسى الى أن يدخلها النار ولم يبق في الموقف الا المؤمنون وفهم

المتفقون فيقول الله سبحانه وتعالى أيها الناس الحقوا بالهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما إلا الله فينجلي لهم ربهم فيعرفونه فيخرجون ساجدين على وجوههم لله تعالى ويحز كل منافق على قتاه قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة تختلف الماعاء في جرم الميزان ولكن قال ابن عمر له كنه ان كاطباق السموات والارض احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض في احدى كفتيه لوسعتهم وهو بيد جبريل اخذ بموده ينظر الى لسانه احدى كفتيه من نور وهي التي توزن فيها الحسنات ٣٤ والاخرى من الظلمة وهي التي توزن فيها السيئات وصفة الوزن ان عمل المؤمن

اذا رجع صعدت حسناته وسقطت سيئاته وان الكافر تسفل كفتيه فخلو الاخرى من الحسنات فاذا تم وزن الماعاء أمر الله ملكين ينصب الصراط على بيتي جهنم ارق من الشعرة واحده من السيف على حافته كلاليب معلقة تأخذ من أدركت باخذ طوله مسيرة ثلاث آلاف سنة ألف منها صعود وألف منها استواء وألف منها هبوط وجاء أن جبريل عليه السلام في أوله وميكائيل في وسطه يسألان الخلق عن أربعة أشياء عن عمر فيها أفوه وعن شبابهم فيها أبوه وعن عامهم ما ذاعملوا به وعن ما لهم من ابن اكتسبه وفيهاذا أنفقوه ونور كل انسان مقصور عليه لا يمتد في غيره وأول من يجوز على الصراط محمد صلى الله عليه وسلم وامته ثم عيسى وامته ثم موسى وامته ثم يدمي كل نبي وامته حتى يكون اخرهم نوحا

منهم هبوط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأظلم من الليل كل قطرة عليها سبع شعب كل شعبة كالريح الطويل يحسد الاسنان يحلس العبد على كل قطرة منها ويسأل عما أمره الله تعالى به في الأولى بحاسب على الايمان فان سلم من الكفر والربا فيه اوالا تردى في النار وفي الثانية يسأل عن الصلاة وفي الثالثة عن الزكاة وفي الرابعة عن الصوم وفي الخامسة عن الحج والعمرة وفي السادسة عن الوضوء والغسل من الجنابة وفي السابعة عن ر الوالدين وصلة الرحم والمظالم فان نجح ما فيها والا تردى في النار قال وهب انه عليه السلام يدعو يارب سلم سلم أمي أمي فيركب الخلائق الجسر حتى يركب بعضهم على بعض والجمهور تضطرب كالسفينه في البحر في الريح للعاصف فتجوز الزمرة الأولى كالبرق العاصف والزمرة الثانية كالبرق العاصف والزمرة الثالثة كالطير الممرع والزمرة الرابعة كالفرس الجواد والزمرة الخامسة كالرجل الممرع والزمرة السادسة كالماشية والزمرة السابعة قدر يوم وليلة وقال بعضهم قدر شهرين وبعضهم قدر سنة وستين وثلاث سنين حتى يكون زمن آخر من يمر على الصراط قدر خمس وعشرين ألف سنة من سنى الدنيا وروى ان الناس يمرون على الصراط والنيران تحت أقدامهم وفوق رؤسهم وعن إيمانهم وعن شاكلهم ومن خلقهم وقدهم وذلك قوله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جحيا) ولذا تعمل في أجسادهم وجلودهم ولحومهم حتى يجوزوها كالفهم سواد الا من نجح منها ومنهم من يجوزها لا يخشى شيئا من أهوالها ولا يناله شيء من نيرانها حتى اذا جاوزها يقول أين الصراط فيقال له قد جزته غير مشقة برحمة الله تعالى وقد جاء في الخبر أنه اذا كان يوم القيامة تجيء امة فاذا صعدت على الصراط التفت اليهم عليه السلام فيقول انتم فيقولون نحن أمنك فيقول هل كنتم على شريعة فيقولون لا فيقولوا منهم ويتركهم فيقولون في جهنم ثم تأتي أخرى فيقول عليه السلام هل كنتم على شريعة فيقولون لا فيقولوا منهم وهل سلكتم طريقه فان اجابوا بنعم جازوا الصراط والاقوموا في النار وبعد الدخول في النار يحتاجون الى شفاة النبي عليه السلام وفي الخبر يأتي قوم يقولون على الصراط ويقولون من ينحسنا من النار ولا يتجاسرون على المرور عليه فيقول جبرائيل عليه السلام فيقول لهم ما منكم ان تعبروا الصراط فيقولون نخاف من النار فيقول جبريل كنتم في الدنيا اذا استقبلتم بحرا محميا كيف كنتم تعبرون فيقولون بالسقينة فياتي جبريل

وامته ففهم من يجوز كالبرق الخاطف ومنهم من يجوز كالريح العاصف ومنهم ممرع من الخيل ومنهم من يجتو على عليه ركبته ومنهم من يجوز كالطير ومنهم من يجوز ماشيا ومنهم من يسقط على وجهه في النار ذكر العلماء أنه لا يجوز أحد على الصراط حتى يسأل على سبع قناطر الأولى يسأل فيها عن الايمان بالله وعن شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا جابهها بخلصا جاز ويسأل في الثانية عن الصلاة فاذا جابهها بامامة جاز وفي الثالثة عن الصوم شهر رمضان فاذا جابهها بامامة جاز ويسأل في الرابعة عن الزكاة فاذا جابهها بامامة جاز ويسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فاذا جابه بها تامين جاز وفي السابعة وليس في القناطر أصعب منها عن مظالم الناس فاذا نجحوا من هذه القناطر وخلصوا منها يشربون من حوض النبي صلى الله عليه وسلم فاذا شربوا منه زال عنهم التعب

والشفاء والظما مأواه أشد بياضاً من اللبن وريحه أطيب من المسك كبراته عدد نجوم السماء من قرب منه شربة واحدة لا يطفئ بعدها أبداً طوله مسيرة شهر وعرضه كذلك على أركانه الصحابة لاربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين فن كان يفيض واحد منهم لم يسقه الآخر ويطرد منه من بدل وغيره وهذا الحوض يختص بنبينا صلى الله عليه وسلم دون غيره من سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين قال الشيخ الشيباني نعمنا الله به في منظومته وحوض رسول الله حقاً أهله الله دون الرسل ماء مردا يشرب منه المؤمنون وكل من * سقى منه كان مأجوراً بعده صداه أباريقه عدد النجوم وعرضه * ٣٥ كطول شهر في المسافة حداً

وقيل أن لكل نبي حوضاً إلا صالحاً فحوضه ضرع ناقته وورد أن الأنبياء يقبأهون أجراً أكثر وأرداءهم تتلقاه الملائكة يقولون أهلاً بكم وينطلقون بهم إلى الجنة فيدخلونها جرداً مرداء على حسن يوسف وعلى طول آدم ستون ذراعاً بالهاشمي والعرض سبعة أذرع في سن عيسى أولاد ثلاث وثلاثين سنة وقيل أنهم يدخلون الجنة ويقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أحراراً ما بيننا وبين زيارتنا المرأة تقول لزوجها في الجنة وعزة ربي سأرك في الجنة شيئاً أحسن منك مطهرين من البول والغائط والخبث والنساء مطهرات والحظ والنساء مطهرات من الخبث (فائدة) قال النبي صلى الله عليه وسلم أن في الجنة باباً يقال له باب الضحى

عليه السلام بالمساجد التي كانوا يصلون فيها كهيفة السقن فيجلسون عليها ويعبرون الصراط فيقال لهم هذه مساجدكم التي صليتم فيها جماعة وفي الخبر أن الله تعالى يحاسب عبداً فترجع سيئاته على حسناته فيأمر الله تعالى به إلى النار فإذا ذهب يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام أدرك عبدي واسأله هل كان يجلس مع العلماء في الدنيا فافقر له بشفاقتهم فيسأله جبرائيل فيقول لا فيقول جبرائيل عليه السلام يارب أنك عالم بحال عبديك فيقول أسأله هل أحب العلماء فيسأله جبرائيل عليه السلام فيقول لا فيقول أسأله هل جلس على مائدة مع العلماء قط فيسأله فيقول لا فيقول هل سكن في مسكن سكن فيه عالم فيسأله فيقول لا فيقول لجبريل عليه السلام سله هل أحب رجلاً يحب العلماء فيقول نعم فيقول الله تعالى لجبريل عليه السلام خذ بيده وأدخله الجنة فإنه كان يحب رجلاً في الدنيا وكان ذلك لرجل يحب العلماء ففقرت له بركة ذلك الرجل وعلى هذا جاء في الخبر ينحصر الله تعالى يوم القيامة مساجد الدنيا كاللابل قوائمها من الدر وأغناقها من الزعفران ورأسها من الملك الأذفر وظهرها من زبرجد أخضر بركيها أهل الجماعة والمؤذنون يقودونها والأئمة يسوقونها فيمبرون في عرصات للقيامة فينادى بأهل العرصات ما هؤلاء من الملائكة المقربين ولا من الأنبياء المرسلين بل هؤلاء من أمة محمد الذين يحفظون صلواتهم مع الجماعة ويقال إن الله تعالى خلق ملكاً يقال له درائيل له جناحان جناح بالمغرب من ياقوته حمراء وجناح بالشرق من زبرجدة خضراء مكل بالدر والياقوت والمرجان ورأسه تحت للعرش وقدماه تحت الأرض السابعة فينادى كل ليلة من رمضان هل من ادع فيستجاب له هل من سأل فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له حتى يطلع فجر

باب الرابع والثلاثون في ذكر النار

في الخبر أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي عليه السلام فقال يا جبرائيل صف لي النار فقال إن الله تعالى خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احترت ثم أوقدها ألف عام حتى أبيضت ثم أوقدها ألف عام حتى أسودت فهي فهي سوداء كالليل المظلم لا يطفأ لها بها ولا تخمد جمرها قال مجاهد إن لهم حيات كعناق البخت وعقارب كالخيل فيهرب أهل النار إلى النار من تلك الحيات والعقارب فتأخذ بشفاقتهم فتكشط ما بين للشر إلى الظفر فما ينجم منها إلا الحرب إلى النار وروي عن عبد الله بن عباس عن رسول الله عليه السلام أن في النار حيات

فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يؤمنون على صلاة الضحى هذا بابكم فدخلوه برحمه الله تعالى وورد أيضاً أن في الجنة باباً يقال له لبان لا يدخله إلا المؤمنون (تنبيهات الأول) ذكر العلماء أن الخلائق تقوم من قبورهم على حالتهم التي كانوا عليها في الدنيا الكبير كبير والصغير صغير والطويل طويل والقصير قصير فإذا دخلوا الجنة دخلوا شاباً * الثاني إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يثوى بالمولت كغنى أملح حتى يقف بين الجنة والنار وينادى مناد يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيقولون بأجمعهم هذا الموت فاذبحوه حتى لا تموت أبداً وينادى مناد يا أهل النار هل تعرفون هذا فيقولون هذا الموت لا نذبحوه وعسى الله أن يقضى علينا بالموت فنستريح من العذاب قال فيذهب بين الجنة والنار ثم ينادي مناد يا أهل الجنة خلود بالموت ويا أهل النار خلود

بلاموت فحينئذ يفرح أهل الجنة بالغلور فيها ويقيم أهل النار بطول العذاب فيها واختلف فيمن يذبحه فتيل يحيى بن زكريا وقيل جبريل عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما فبينما أهل الجنة يتلذذون ويتعممون فيها واذا النداء من قبل الله عز وجل انطلق يا جبريل الى الجنان واثنان بحظيرة القدس لا ضيف فيها محمد صلى الله عليه وسلم وامته فينطلق جبريل الى الجنان ويطوفها طولا وعرضا فلم يجد شيئا فأتى الى ساق العرش ويقول يا رب طفت الجنان كلها فما وجدت شيئا فيقول الله عز وجل انطلق الى جنات عدن وانظر في أعلاها ٣٦ فنها ركن من أركانها فينطلق جبريل الى جنات عدن فيطوفها فاذا هو بحجة

مثل اعناق الابل فتدلىغ أحدهم لدفة يحد ألمها أربعين خريفا وروى عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من تلك النار لولا أنها ضربت في البحر مرتين ما انتفعت منها بشيء فقال مجاهد أن ناركم هذه تنهوض من نار جهنم روى في الخبر أن الله تعالى أرسل جبرائيل عليه السلام الى ملك النار بأن يأخذ من النار فيأتي بها الى آدم عليه السلام حتى يطبخ بها طعاما قال مالك يا جبرائيل كم تريد من النار قال جبرائيل مقدار ثمرة قال مالك يا جبرائيل لو أعطيتك مقدار ثمرة لذاب سبع شعرات وأرضين من حرها قال مقدار نواتها قال لو أعطيتك ما تريد لم تنزل من السماء فطرة ولم ينبت في الأرض نبات ثم نادي جبرائيل الهى كم أخذ من النار قال الله تعالى الى خذ مقدار ذرة منها فاخذ جبريل منها مقدار ذرة وغمسها في النهر سبعين مرة ثم جاء بها الى آدم عليه السلام فوضعها على جبل شاق فذاب ذلك الجبل ثم رد النار الى مكانها وبقي دخانها في أحجار وحديد الى يومنا هذا فهذه النار من دخان تلك الدرة فاعتبروا منها يا مؤمنون قال النبي عليه السلام ان أهون أهل النار عذابا من له نملان من النار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل فيسمع جيرانه وأضراره جمر وشفاه جمر ولهب النار يخرج من أحشاء بطنه من قدميه وأنه يرى نفسه أشد أهل النار عذابا وأنه من أهون أهل النار عذابا قال طاهر ان أهل النار يدعون ما لكافرا يدعون عليهم جوابا أربعين عاما ثم يرد عليهم فيقول انكم ما تكونون يعني دائمون ابدا ثم يدعون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فلا يجيبها مقدار ما كانت الدنيا مرتين ثم يرد عليهم بقوله اخسوا فيها ولا تكلمون قال الذي عليه السلام فوالله ما يتكلم بالقوم بعدها بكلمة واحدة وما كان بعد ذلك الا زفير وشهيق في السار واصواتهم تشبه اصوات الجبرأولها زفير وآخرها شهيق قال جبرائيل عليه السلام والذي بئسك بالحق نبيا لو أن مثل ثقب ابرة فتح منها جهة المشرق لاحترق أهل المغرب من شدة حرها والذي بئسك بالحق نبيا لو ان ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لماؤا من حرها لما يجدون من تنهائها والذي بئسك بالحق نبيا لو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه وضع على جبل لذاب الجبل حتى يبلغ الأرض السابعة والذي بئسك بالحق نبيا لو ان رجلا من أهل النار يعذب بالمغرب لاحترق من المشرق من شدة عذابه حرها شديد وقرها بعيد وحطبا الناس والحجارة وشراها الحميم والصيد وثيابها من قطران

من الدر الأحمر مشرفة على الجنان كلها ولها باب من مسجد أعنى من ذهب أحر فلا يقدر أن يصفا أحد الا الذي قال لها كوني فكانت قصورها عالية وأشجارها باسقة فطورها دانية وأطيارها ناطقة وأنهارها متدفقة تسبح من اللجبال والبقاء قال ابن عباس رضى الله عنهما واذا ملك عظيم قائم على تلك الجنة لأمر الله ذلك الملك أن ينزع قدمه من مكانه لما وسعته السموات والأرض قال فيدون منه جبريل ويقول السلام عليك يا عبد الله فيرد عليه السلام ويقول من تكون أنت من الملائكة أنا جبريل رسول رب العالمين فيقول الملك سبعان رب العالمين منذ خلقني الله تعالى ما سمعت هذا الاسم ثم يقول له وما تريد يا جبريل فيقول اريد أن اعمل حظيرة للقدس بأمر الله

تعالى فيقول الملك يا جبريل هل خلق الله تعالى جنة غير هذه فيقول نعم خلق سبع جنات غير هذه فيقول من (باب) خازنها فيقول رضوان فيقول الملك لجبريل من يحملها معك فيقول ما معي أحد بل أنا حملها وحدي فيقول الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهذا وعدني ربي فيقول جبريل أين مفاتيحها يا أخي فيقول في شدقي اليمين منذ خلقني الله وخلقته قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن مفتاحا منها أخرج من مكانه لما وسعه السموات والأرض فاذا أخذ جبريل عليه السلام المفتاح يضع جناحه تحتها وأمر الله تعالى ريح الصبا أن يعينه على حملها فيحملها بصورها وقباها وغرفها ومدائنها وأشجارها وحورها وولدانها حتى يضعها تحت عرش الرحمن وبين جنة عدن فيأتيه النداء من قبل الرحمن يا جبريل انطلق واثنى محمد وامته وجميع

الانبياء والرسل وادعهم الى ضيافتي وكرامتي قال فينطلق جبريل الى الجنات وينادي بصوت يسمعه القريب والبعيد يا حبيب
يا محمد الله بقرتك السلام ويخصك بالتحية والالزام ويدعوك أنت وامتك وساير الانبياء والرسل الى ضيافته فيقوم النبي صلى الله
عليه وسلم علي قدميه وينزل من قصره ويأتي الى أبيه آدم عليه السلام والى الخليل وساير الانبياء والامم ثم يقدم للنبي صلى الله عليه
وسلم نجيب رأسه من باقونة وعنقه من زمردة وصدرة من ذهب ورجلاه من مرجان ثم ينصب على رأسه قبة الكرامة ويشر لواء
الحمد ويركب آدم والخليل وطائفة من الانبياء والرسل عن يساره ويسرون في موكب ٣٧ واحد صفاء واحدا

والاشجار ينادي بعضها
بعضا تنهوا عن طريق وفد
رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقسدون عليهم صفوفهم
وروي ابن عباس رضي الله
سنة ما عن النبي صلى الله عليه
وسلم أول ما يعمرون بقصر
من فضة طوله ألف عام
وعرضه كذلك فيعمرون عليه
أسرع من طرفه عين ثم يظهر
لهم قصر ثان من ذهب طوله
ألف عام ومثل ذلك عرضه
فيعمرون عليه أسرع من
طرفة عين ثم يظهر لهم قصر
ثالث من زمرد أخضر طوله
ثلاثة آلاف عام وعرضه
كذلك فيعمرون عليه أسرع
من طرفه عين ثم يظهر لهم قصر
رابع من ياقوت أحمر طوله
أربعة آلاف عام وعرضه
كذلك فيعمرون عليه أسرع
من طرفه عين ثم يظهر لهم قصر
خامس من ياقوت أصفر
طوله أربعة آلاف عام
وعرضه كذلك فيعمرون
عليه أسرع من طرفه عين ثم

باب الخامس والثلاثون في ذكر النار

له سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم من الرجال والنساء وروي عن رسول الله
عليه السلام أنه سأل جبريل عليه السلام أكانت أبوابها كابوابنا هذه قال لا ولكنها
مفتوحة بعضها أسفل من بعض من الباب الى الباب مسيرة سبعة مائة سنة كل باب منها
أشد حرا من الذي يليه سبعين ضعفا قال عليه السلام من سكن هذه الابواب قال أما
الباب الاسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمه الهاوية
والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه العصاة وباب سقر والباب
الرابع فيه ابليس ومن تبعه والجوس واسمه لظى والباب الخامس وفيه اليهود واسمه حطمة
والباب السادس منه النصارى واسمه سمير ثم أمسك جبريل فقال عليه السلام يا جبريل لم لا
تخبرني عن سكان الباب السابع فقال يا محمد أستاذني عنه فقال بلى قال يا محمد أهل الكبائر من
أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا فخر النبي عليه السلام مفضيا عليه فلما أفاق قال عليه السلام
يا جبريل عظمت مصيبتني واشتد خوفي أي دخل احد من أمتي النار قال يا جبريل نعم يدخل
أهل الكبائر من أمتك ثم بيكي رسول الله عليه السلام وبيكي جبرائيل لبيكته وقال عليه
السلام يا جبريل لم تبكي أنت وأنت الروح الامين قال جبرائيل أخاف ان أبتلي بما ابتلي به
هاروت وماروت فهو الذي ابكاني فوحي الله تعالى يا جبرائيل ويا محمد اني أبعدتكم من عذاب
النار ولكن لا تاتمنا من عذابي

باب السادس والثلاثون في ذكر جهنم

روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها يؤتى بجهنم يوم القيامة وحولها سبعون ألف
صف من الملائكة كل صف أكثر من الثقلين يجرونها بأزمتهما ووجهن أربع قوائم ما بين
كل قاعة وقاعة ألف عام ولها ثلاثون رأسا وفي كل رأس ثلاثون ألف فم وفي كل فم
ثلاثون ألف خرص وفي كل خرص مثل جبل أحد ألف مرة وفي كل فم شفتان كل شفة
مثل طباق الدنيا وفي شفتيه سلسلتان من حديد لكل سلسلة منها سبعون ألف حلقة
وعيسك كل حلقة ما لا يعد من الملائكة فيؤتى بها عن يسار العرش وهو قوله تعالى
أها ترمي بشرر كالقصر

يظهر لهم قصر سابع طوله سبعة آلاف عام وعرضه مثل ذلك من زمرد فيعمرون عليه أسرع من طرفه عين ثم يظهر لهم قصر ثامن
من طين أبيض طوله ثمانية آلاف عام وعرضه مثل ذلك فيعمرون عليه أسرع من طرفه عين ثم يظهر لهم قصر تاسع من جوهر طوله
تسعة آلاف سنة وعرضه كذلك فيعمرون عليه أسرع من طرفه عين ثم يظهر لهم قصر عاشر من جوهر طوله مسيرة عشرة آلاف
عام وعرضه كذلك فيعمرون عليه أسرع من طرفه عين قال ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يبدو لهم
نور حظيرة القدس هي مسيرة عشرة آلاف عام ويظهر لهم قصورها واشجارها وقصورها واشجارها باسقة تسبح من
له الجلال والبقاء فاذا وصلوا الى حظيرة القدس اذاعي مرج أخضر طوله وعرضه ألف عام وفيه من القصور ما لا يعلم عددها الا الله

يُقال ما إذا دخلوا ذلك المرج ورأوا أعداء الله لهم من النعيم المقيم والكرامة في ذلك المرج فرحوا واستبشروا في حادثة القدس
 مجد كل واحد منهم المجد على قصره ثم ينزلون عن الخيل والنجب وينظرون ما أعد الله لهم من النعيم المقيم ثم يخرجون من ذلك
 المرج إلى مرج أوسع منه ويجلسون على الكرسي والمنابر والأشجار من فوقهم في الشجرة ذهب وأوراقها مثل كل شجرة
 الدنيا بين كل شجرتين من الشجر سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف سرير من الذهب طول كل سرير ثمانية
 ذراع فإذا أراد العبد الموت ٣٨ أن يطمع فوق سريرها يتقاصر حتى يبقى مثل ذراع وإذا جلس فوقه عاد إلى أصله

الاول فإذا أراد أن يمسي به
 مشي وإذا انتهى أن يطير
 به طار به بين الأشجار وإذا
 أراد أن يأكل من النار قطع
 منها ما أراد ثم تنبيه قد
 ورد في الخبر أن على كل سرير
 سبعين فراشا وغارق من
 اللندس والاستبرق حول
 كل سرير سبعون خادما في يد
 كل خادم قدح من ذهب في
 كل قدح سبعون لونا من
 الشراب ولكل ولي سبعون
 حورية على كل حورية
 سبعون حلة يتمتع ولي الله
 بكل ما أراد منهن قال الله
 تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة
 وعشيا يرقد ورد أن أهل
 الجنة يأخذهم ملك يقرع
 أبوابهم فيقول الخور من
 هذا فيقول ملك من عند الله
 جئت لسيديك من يدية صلاة
 الصبح التي كان يصليها في
 الدنيا فيفتحن له الباب
 فيدخل الملك فيقول للسلام
 عليكم ربكم يقرئك السلام
 ويقول لك لقد كنت في الدنيا

الباب السابع والثلاثون في ذكر سوق الناس إلى النار

يساق أعداء الله إلى النار وتسود وجوههم وتزرق أعينهم وتختم أفواههم فإذا انتهوا إلى
 أبوابها استقبلهم الزبانية بالأغلال والسلاسل فتلك السلسلة توضع في فم الكافر وتخرج من
 دبره وتفل يده اليسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في صدره وتنزع من بين كتفيه وبعد
 بالسلاسل ويقرن كل آدمي منهم مع الشيطان في سلسلة ويسحب على وجهه وتضربهم
 الملائكة بمقاعع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها أميدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب
 النار الذي كنتم به تكذبون ثم قالت فاطمة يا رسول الله أألم تسأل من أمتك كيف
 يدخلونها قال عليه السلام تسوقهم الملائكة إلى النار فلا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا
 تختم أفواههم ولا يقرنون مع الشيطان ولا توضع عليهم السلاسل والأغلال فتقال يا رسول
 الله كيف تقودهم الملائكة قال عليه الصلاة والسلام أما للشيخ والشاب فيؤخذان بالهبة
 وأما النساء فبالنواثب والنصاية فيسكن من ذى شبهة من أمتي يقبض على شيبته ويقاد إلى
 النار وهو ينادى واشيبتاه واضمفاه وكمن من شاب من أمتي يقبض من الهبة ويقاد إلى
 النار وهو ينادى واشباباه واحسن صورتاه وكمن من امرأة من أمتي يقبض على ناصيتها
 تقاد إلى النار وهي تنادى وافضيحتاه واهتك ستره حتى ينتهي بها إلى مالك فإذا نظر
 إليهم مالك يقول للملائكة من هؤلاء فما ورد علينا من الاشياء أعجب من هؤلاء لم تسود
 وجوههم ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم فتقول الملائكة هكذا أمرنا أن نأتيهم
 على هذه الحالة فيقول لهم يا معشر الاشقياء من أنتم فيقولون نحن من أمة محمد عليه السلام
 وروي في رواية أخرى لما قادتهم الملائكة ينادون والحمد لله رأوا ملكا نسا اسم محمد
 عليه السلام من هيئته فيقول لهم مالك من أنتم فيقولون نحن من أمة محمد عليه السلام فقاموا
 من بصوم شهر رمضان فيقول مالك ما نزل القرآن الا على محمد عليه السلام فإذا هموا اسم
 محمد عليه السلام صاحوا باجمعهم نحن من أمة فيقول لهم مالك اما كان لكم في القرآن
 زاجر عن المعاصي فإذا وقعوا على شفير جهنم ونظروا إلى النار وإلى الزبانية قالوا يا مالك
 إذن لنا نبي على أنفسنا فيأذن لهم فيبيكون الدموع حتى لا يبقى شيء من الدموع في
 أعينهم فيبيكون دما فيقول مالك ما أحسن هذا البكاء لو كان في الدنيا خشية من الله ما
 مستكم النار اليوم

تفمن صلاة الصبح فيضع الملك مائة من الذهب عليها سبعون صحيفة عشرة من فضة وعشرة من ذهب (باب)

عشرة من در وعشرة من عقيق وعشرة من ياقوت وعشرة من زبرجد وعشرة من مرجان في كل صحيفة ستون لونا من
 الطعام ليس لونها شبه الآخر ولا يختلط به وعليه خبز أبيض من اللبن وأحلى من الشهد لم تحس أنه يدبل كل ذلك بقدره من يقول للشيء
 كن فيكون مائة بمئة من اللندس الأخضر باكون فيها من ذلك الطعام ما يشتهون فيجدون في كل لقمة لذة أحلى من الأولى
 أن الرجل من أهل الجنة يجد في كل لقمة ما يتمناه في دار الدنيا وقال بعض العلماء إن جميع الانبياء والرسل باكون من جهة
 النبي صلى الله عليه وسلم باكل من جهة مع أمته تكربوا وتربوا وقد ورد أن جميع أهل الجنة مائة وعشرون سنة وأمة محمد صلى الله عليه

وسلم ثمانون صفا ثلثا أهل الجنة ثم إن الملك الذي جاء بالهدية يسلم عليهم يخرج فإذا كان وقت الظهور فكذا والعصر كذلك ثم إن الرجل من أهل الجنة يجمع تلك الأطباق والأواني ويردآن بطنه الملك فيضحك الملك ويقول لهم تفعلون هذا كما كنتم تفعلون في الدنيا تاكلون الهدايا وتردون الأواني إلى صاحب الهدايا بأن أهل الدنيا كانوا فقراء محتاجين إلى ما يشترون لكم فيه وما هذه فهدية من عند الغني الكريم الذي لا ينقص ملكه ولا تنفخ خزائنه فلكم الأواني وما فيها ومن كان في الدنيا رفع أكثر من الخس فرائض من نوافل وعبادات يدفع له الحق جل جلاله أكثر من الخس هذا باقدا فرغوا من ذلك ٣٩ يقول الرب جل جلاله مرحبا

الباب الثامن والثلاثون في ذكر الربانية *

قال منصور بن حازم بلغني أن ملك النار له أيد وأرجل بعدد أهل النار وبكل رجل ويد يقوم ويقعد وينزل ويسلسل من أراد فإذا نظر ماله إلى النار أكلت النار بعضها بعضا من خوف ماله وحروف البسملة تسعة عشر حرفا وعدد رؤساء الربانية كذلك يأخذونهم بأيديهم وأرجلهم لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم فيأخذ الواحد منهم عشرة آلاف من الكفار بيد واحدة وعشرة آلاف بيد أخرى وعشرة آلاف بأحدى رجليه وعشرة آلاف بالرجل الأخرى فيلقى في النار أربعين ألف كافر دفعة واحدة لما فيه من القوة والشدة ورئيسهم ماله خازن النار وعثمانية عشرة مثله وهم رؤساء الملائكة تحت يد كل منهم من الخزنة مالا يحصى عددهم إلا الله وأعينهم كالبرق الخاطف وأسنانهم كبياض قرن البقر وشفايفهم كسفن أقلامهم يخرج لهب النار من أفواههم وما بين كفتي كل واحد منهم مسيرة سنة لم يخاف الله تعالى في قلوبهم من الرحمة والرأفة مقدار ذرة يفوس أحدهم في بحار النار مقدار سبعين سنة فلا تضره النار لأن النور يغلب على النار ونموذ بالله من النار ثم يقول ماله الربانية ألقوهم في النار فإذا ألقوهم في النار نادوا بأجهم لا اله إلا الله فترجع عنهم النار فيقول ماله يارب خذهم فتقول النار كيف آخذهم وهم يقولون لا اله إلا الله فيقول ماله بذلك أسر رب العرش العظيم فتأخذهم النار فمنهم من تأخذه إلى ركبته ومنهم من تأخذه إلى حلقه فإذا قربت من وجوههم يقول ماله لا تحترق وجوههم فانهم سجدوا عليها للرحمن ولا تحترق قلوبهم لأنها معدن التوحيد والمعرفة والإيمان وطامسا عطشوا في رمضان فييقون فيها ما شاء الله

* الباب التاسع والثلاثون في ذكر أهل النار وطعامهم وشرابهم *

قال الأنبياء عليه السلام أهل النار سود الوجوه مظلمة أبصارهم ذاهبة عقولهم رأس كل واحد منهم كالقبة وأبدانهم كالجلال وعيونهم زرق وقامتهم كالطود وشعرهم كالنصب ليس لهم موت يموتون ولا حياة يحيون لكل واحد منهم سبعون جلدا من الجلد إلى الجلد سبع طباق من النار وفي أجوافهم حيات من النار يسمعون صوتها كصوت الوحوش وبالسلاسل والأغلال يطوقون وبالمقامع يضربون وعلى وجوههم يسحبون قال عليه السلام مساكين أهل النار يتنادون ياربنا أبطأ بنا العذاب وهم مسجونون فيها مغلولون بغلاها إن سكتوا

من تلك القوا كما يشترون فإذا فرغوا من ذلك يقول الله مرحبا بعبادي وزواري باملائكتي أسقوا عبادي فتاتيهم الملائكة بملابس من حلل الجنة مختلفة الألوان صقولة بنور الرحمن فيكسى كل واحد سبعين حلة كل حلة ملونة سبعين لون ليس فيها حلة تشبه الأخرى وإن الرجل من أهل الجنة يقبض على السبعين حلة كما يقبض على ورقة من شقائق النعمان فإذا فرغوا من ذلك يقول الله تعالى مرحبا بعبادي وزواري باملائكتي خلخوا عبادي فتاتيهم الملائكة بخلاخل من الذهب والفضة فيخلخلونهم إلى نصف الساقين قال ابن عباس رضي الله عنهما إذا سقط الخلاخل يسمع له طنين من مسيرة خمسمائة عام لم يسمع السامعون أقوى منه ولو سمع أهل الدنيا رنين ذلك الخلاخل لما تواقهم شوقا الجنة فإذا فرغوا من ذلك يقول الله عز وجل مرحبا بعبادي وزواري

بالملائكة ختموا عبادي فتأتيهم الملائكة بخواتم من الذهب والفضة والثول والياقوت والوبرجد والعقيق والدر والجوهر
الابيض وفصوصها من الجوهر الاحمر والزمرد الاخضر فيختم كل انسان بمشرة خواتم مكتوب على كل خاتم آية من كتاب
الله تعالى تدل على خلوده في الجنة مكتوب على خاتم الالهام سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين ومكتوب على الخاتم الثاني سلام
قولا من رب رحيم ومكتوب على الخاتم الثالث وقالوا الحمد لله الذي صدقناه وعده وأورثنا الارض تنبؤا من الجنة حيث نفاء
فتم أجر العاملين ومكتوب ٤٠ على الخاتم الرابع الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومكتوب

على الخاتم الخامس ان المتقين لم يحرموا وان صبروا لم ينجو وان نادوا لم يجابوا ينادون بالويل والثبور والصغار مقرنين
في سبعون تخليدين نادين طويل عذابهم ضيق مدخلهم سائل صديدهم بادية عن راتهم متغيرة
ألوانهم الاشقياء يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون قل عليه السلام مساكين اهل الدار خاق الله لم جبالا يقال لها صمود فيصعدون
على وجوههم ألف عام حتي اذا صعدوا فذقتهم الجبال في قدر جهنم خامرين قال عليه السلام
مساكين اهل النار اذا استغاثوا بالمطر ترفع سحابة سوداء فيقولون الفيت جاء من الرحمن
فتمطر عليهم حجارة من نار تقع على رؤوسهم ثم تخرج من أدبارهم ثم يسألون الله تعالى
ألف سنة أن يرزقهم الفيت فتمطر سحابة سوداء فيقولون هذا سحاب المطر فتمطر عليهم
حيات كأمثال أعناق الابل فمن لدغته لدغة لا يذهب عنه ألفا الف سنة وهذا معنى قوله
تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قال عليه السلام مساكين اهل النار
ينادون مالكا سبعين ألف سنة فلا يرد عليهم جوابا فيقولون ربنا أن مالكا لم يجيبنا
فيقول الله تعالى يا مالكا أجب اهل النار ثم أن مالكا يقول ما تقولون يا من غضب الله عليكم
يا اهل النار فيقولون يا مالكا اسقنا شربة ماء نستريح بها فقد أكلت للنار الحرام وعظمانا
وانضجت جلودنا ومزقت عظامنا وقطعت قلوبنا فيسقيهم شربة من الحميم ان تناولوه
بالايدى تستأطت الاصابع فان بلغ الوجوه تناثرت العيون والحدود فاذا دخل البطون قطع
الامعاء والكبود قال عليه السلام مساكين اهل النار اذا استغاثوا بطعام يجاء لهم بالرقوم
فاذا جرى بالرقوم يأكلونه غلى مافي بطونهم وغلى دماغهم وأضراسهم ويخرج الاله من
أفواههم وتتساقط أجسادهم بين أقدامهم قال عليه السلام مساكين اهل النار يلبسون ثيابا
من قطران اذا وضعت على الابدان انسلخت الجلود والاشقياء في النار عني لا يبصرون
بكم لا ينطقون صم لا يسمعون وكل جائع يشتهي الطعام الا اهل النار وكل فار يشتهي
اللباس الا اهل النار وكل ميت يشتهي الحياة الا اهل النار فانهم يتعنون الموت

باب الاربعون في ذكر أنواع العذاب على قدر أعمالهم

قال النبي عليه السلام ينجو من النار من اتمى بعد ألف وستين سنة قوم سامن من اللحوم
موزولون من الدين كساء من الثياب عراة من الطاعات خالدين يملعون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم من الآخرة فاقولون أي جاهلون وهم اهل الاسواق والهوى يكتسبون من

على الخاتم الخامس ان المتقين في جنات ونعيم ومكتوب
على الخاتم السادس ان
أصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكون ومكتوب على الخاتم
الصابع وتلك الجنة التي
أورثتموها بما كنتم
تعملون لكم فيها فأكفة كثيرة
منها أن تكون ومكتوب على
الخاتم الثامن ان المتقين في
جنات ونهر الى مقدر
ومكتوب على الخاتم التاسع
سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار ومكتوب على
الخاتم العاشر لا يسمعون فيها
نصب ومما منها بمخرجين
فاذا فرغوا من ذلك يقول الله
مزوجل صرحبا بعبادي
وزواري بالملائكة ختموا عبادي
فتأتيهم الملائكة
بتيجان من الذهب الاحمر
مكلاة بالدر والجوهر
فيتوجون به الكل تاج منها
أربعة أركان على كل ركن
ياقوته هراء لوعلت ياقوته
منها في سماء الدنيا للنب

ثورها على نور الشمس والقمر فاذا فرغوا من ذلك يقول الله عز وجل مرحبا بعبادي وزواري بالملائكة طيبوا
عبادي فتسير الملائكة الى طيور الجنة فيمسكونها ويغمسونها في المسك الاذفر والعنبر والطيب ثم أن تلك الطيور ترفرف على رؤوسهم
فيطيبونهم من أولهم الى آخرهم فاذا فرغوا من ذلك يقول الله تبارك وتعالى مرحبا بعبادي وزواري بالملائكة طيبوا
عبادي قال فتذهب الملائكة فتحضر مغاني من الحور العين والمزامير معلقة في أغصان الشجر كل شجرة تحمل في كل غصن
سبعين ألف مزمار وتربح من تحت العرش فتدخل في تلك المزامير فيسمع لها انبات لم يسمع السامعون أحسن منها ثم يقول الله
تعالى لا تجور المين اطربوا عبادي كما تزهوا أممهم عن المطربات في الدنيا لاجلي ولتذوب ذكري وسماع كلامي

فاسمعوهم أصواتكم محمدى وثنائى فتغنى لهم الحور العين ونحوا بهم تلك المزامير فتطير أهل الجنة فرحاً بذلك السماع في حضرة
الوصال وتواجدون في محبة الاتصال فإذا هموا من الوجد وشبهوا من المطربات بقولون ربنا كفى الدنيا محب ذكرك ومجامع
كلامك العزيز فيقول الله تعالى لهم لكم عندى ما تشتهى أنفسكم وأنتم فيها خالدون ثم يقول لله تعالى الملك الموكل بحظيرة القدس
يا كروم قرب المنبر لمبادئ فيقرب الملك منبراً من ياقوتة حمراء ارتفاعه ألف عام وله من الدرج بعدد الانبياء والمرسلين فمن ذلك
يصعد كل نبي على درجته ويصعد النبي صلى الله عليه وسلم على درجة الوسيلة ونحوها ٤١ الانبياء والاصفياء

والصديقون والاولياء
والشهداء والماحرون
وجميع الامم من أهل الجنان
على كيشان المسك والمنبر ثم
ينادى المنادى يا ابراهيم
فهم واخطب بامتك فينهض
الخليل قائماً على قدميه ويقرأ
المصحف التي انزلت عليه الى
آخرها ثم يجلس فاذا النداء
من العلى الاعلى يا موسى
فيقول لبيك يارب فيقول
فهم واخطب بامتك فيقوم
ويقرأ التوراة من أولها الى
آخرها ثم يجلس فاذا النداء
من قبل الله تعالى يا عيسى قم
واخطب بامتك فينهض قائماً
ويقرأ الانجيل الى آخره
ثم يجلس فاذا النداء من قبل
الله تعالى يا داود قم واروق
المنبر واسمع أحبائي عشر
سور من الزبور فينهض
فإنما على قدميه ويقرأ الزبور
بتمهين صوتاً يطرب القوم
من صوت داود طرباً عظيماً
ويكون ذلك الصوت
وهو يعدل تسعين زمزماً

أى مال شاءوا ولا يبالي الله تعالى من أى باب يدخلون النار قال الله تعالى يا موسى لورأيت
ناقضى العهد والامانة يسحبون على وجوههم للى النار فاذا طرحوا في جهنم صار كل عضو
منهم في مكان وكل عرق في مكان وقتلهم في مكان وقال ويل لنا قاض العهد والامانة مصلوباً
على شجرة الثقوم وللنار ندخل من دبره ونخرج من فيه وعينيه وقال تعالى يا موسى
لورأيت ناقض العهد والامانة قد قارنه الشيطان في السلاسل والاغلال معلق بلسانه يسيل
دماغه من منخره لانام طرفه عين ولا يجد راحه طرفه عين حتى أن الكافر يطلب الامان
بالموت من العذاب وكذا ناقض العهد يطلب الامان بالموت وكذا الثاني وآكل الربوا تارك
الصلاة يعذبون في النار حقاً قال الله تعالى يا موسى لو كان ماء البهار مداداً والاشجار أقلاماً
والانس والجن كتاباً خلصت الاقلام والانس والجن كتاباً خلصت الاقلام وفنيت الجن
والانس ونفذت البهار كلها قبل أن تكتب عدد حطب جهنم وذلك قوله تعالى لا تبين فيها
أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الا حمى وغساقاً جزاء وفا قال النبي عليه السلام لجبرائيل
ما الحطب قال جبرائيل عليه السلام أربعة الاف سنة قال عليه السلام السنة كم شهراً قال
أربعة الاف شهر قال عليه السلام للشوك يوماً قال أربعة الاف يوم قال عليه السلام
واليوم كم ساعة قال سبعون ألف ساعة وكل ساعة سنة من سنى الدنيا وروى عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يخرج من
النار شيء اسمه حريش يتولد من المقرب وأمه في السماء السابعة وذنبه تحت الارض السفلى
فينادى سميعين صرأه أن من بارز الرحمن وأن من حارب الرحمن فيقول جبرائيل عليه السلام
ماذا تريد يا حريش فيقول أريد خمسة آبن من ترك الصلاة آبن من منع الزكاة وآبن من شرب
الخمر وآبن من أكل الربوا وآبن من يتحدث بحديث الدنيا في المساجد فيجمعهم في فيه ويرجع
بهم الى جهنم نموذجاً لله من المشاوة

باب الحادى والاربعون في ذكر حال شارب الخمر

روى عن أبى كعب قال قال النبي عليه السلام يؤتى يوم القيامة بشارب الخمر والسكر
معلق في عنقه والطنبور في كفيه حتى يصاب على خشية من النار فينادى المنادى هذا فلان
بن فلان من موضع كذا يخرج ربح الخمر من فيه فيتأذى أهل الموقف حتى يستغيثوا الى
الله من نثر ربحهم ثم يكون مصيرهم الى النار فاذا طرحوا في النار ينادون ألف سنة واعطاشه

(٦ دقائق) فاذا أفاقوا من الطرب يقول لهم الرب جل جلاله هل سمعتم صوتاً أحسن من هذا فيقولون لا ياربنا
ما طربنا ما عاننا صوت أطيب من هذا فاذا النداء من قبل الله تعالى يا حبيبى يا محمد ارق المنبر وارقاً طه ويس فير في المنبر فيقرأها
فيزيد في الحسن على صوت داود عليه السلام سبعين ضمة فيطرب القوم والكرامى من تحتهم وقناديل العرش وكذلك الملائكة
تموج من الطرب وكذلك الحور الامين والولدان لا يبق ذى روح الا طرب من صوت النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول الله
تعالى هل سمعتم قراءة أنبيائى ورسلى فيقولون نعم ياربنا فيقول لهم أنريدون أن تسمعوا قرأ ربكم أفيقولون بآجمعهم
أما شوقنا الى ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهم فمعد ذلك يلو الرب جل جلاله سورة الرحمن وفي رواية سورة الانعام فاذا

سمعوا قراءة الحق جل جلاله فأبوا عن الوجود وطارت الاملاك والحجب والستور والقصور والأشجار وصفت
 الاوراق وغردت الاطيار وتماوجت الانهار طربا بالقراءة العزيز الجبار واهتز العرش طربا ومال الكرسي عجباً ولم يبق في
 الجنة شيء الا واهتز حينئذ واشتياق الى الله تعالى وفي الخبر ان اهل الجنة يمتنون أنهم لا يأكلون ولا يشربون اذا سمعوا قراءة
 الرب جل جلاله بل يريدون التلذذ بذلك لحسنه وحلاوته فاذا أقام من الطرب يقول لهم الرب جل جلاله يا عبادي هل بقي لكم
 شيء فيقولون نعم لنا النظر ٤٢ الى وجهك الكريم فمند ذلك يقول الرب جل جلاله يا كرب ارفع الحجاب بيني وبين

عبادي فرفع الملك
 الحجاب فتهب عليهم
 ريح منها انصقلت ثيابهم
 وتهلت وجوههم وصفت
 قلوبهم وسعدت أبدانهم
 ولامت خيولهم وغردت
 اطياريهم وقدهاء أن اهل
 الدنيا الوراء ما في الجنة لما تو
 شوا قال ايها الله يقول الله جل
 جلاله يا كرب ارفع الحجاب
 الاعظم بيني وبين عبادي
 فاذا رفع الحجاب عن وجهه
 ينادي من أنا فيقولون أنت
 الله فيقول الله تعالى أنا السلام
 وأنت المؤمنون وأنا المؤمن
 وأنتم المؤمنون وأنا
 المحبوب وأنتم المحبوبون
 هذا كلامي فاسمعوه وهذا
 نوري فذاهدوه وهذا
 وجهي فانظروه فينظرون
 الى وجه الحق جل جلاله بلا
 واسطة ولا حجاب فاذا
 وقعت أنوار الحق على
 وجوههم أشرقت وجوههم
 ومكثوا ثلثمائة سنة
 شاخصين الى وجه الحق جل

ثم ينادون مالكاً فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة فيكون عرقهم منقذاً يؤذى جيرانهم فينادون
 يا ربنا ارفع عنا العرق فلا يرفع عنهم ثم يحاء بهم الى النار حتى يكونوا جماد ثم يمردون
 خلقاً جديداً ويردون الى ثلثار مقلوبة أبدهم ويسحبون في النار بالسلاسل على وجوههم واذا
 استغاثوا بالشراب يغاثوا بالماء الحميم حتى اذا شربوا قطعت أمعاؤهم فاذا استغاثوا بالطعام
 يجاء بازرقوم فاذا جئ به وأكلوا منه غلى مافي بطونهم ومافي دماغهم فيخرج
 لهب من النار من أفواههم فتساقط أحشاؤهم على أقدامهم ثم يجعل كل واحد منهم في تابوت
 من حجر ألف عام ضيق مدخله ثم يخرج من التابوت بعد ألف عام ويجعل في سجن من النار
 وغل من نار ثم ينادون ألف سنة واعطشاه فلا يرهمون وفي السجن حيات وعقارب تاكل
 البخت تنهش قدميه فلا يبطش ثم يوضع على رأسه ناج من نار ويجعل في مفاصله الحديد
 وفي عنقه السلاسل وفي يده الاغلال ثم يخرج بعد ألف عام ثم يجعل في ويل والويل واد
 من أودية جهنم حرها شديد وقمرها بعيد وللسلاسل والحيات والعقارب فيها كثيرة ويقون
 في الويل مقدار ألف عام ثم ينادون يا محمد افسم صوتهم فيقول يارب سمعت صوت رجل
 من أمي فيقول الله تعالى هذا صوت الرجل الذي يشرب الخمر في الدنيا ومات وهو سكران
 فبيعت الى المحشر وهو سكران فيقول عليه السلام يارب أخرجه من النار بشفاعتي فلا
 يبقى خالداً في النار

✽ الباب الثاني والاربعون في ذكر الخروج من النار ✽

ثم ينادون فيها باحثان بامنان ألف عام وياقيوم ألف عام ويا راحم الراحمين ألف عام فاذا
 انفذ الله تعالى فيهم حكمه وقضاه أمر جبريل عليه السلام فيقول يا جبرائيل ما فعل العاصون
 من أمة محمد فيقول جبرائيل الهى أنت أعلم بحالهم مني فيقول انطلق وانظر ما حالهم فينطلق
 جبرائيل الى مالك وهو على منبر من نار في وسط جهنم فاذا نظر مالك الى جبرائيل عليه
 السلام قام نمظماً له فيقول يا جبرائيل ما أدخلك هذا الموضوع فيقول ما فعلت بالمصاة من
 أمة محمد عليه السلام فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم قد أحرقت لأنار أجسادهم وأكلت
 النار لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألا فيها نور الايمان فيقول جبرائيل عليه السلام
 ارفع الحجاب حتى انظر اليهم فيأمر مالك الخزنة فترفع الحجاب عنهم فاذا انظر والى جبريل
 عليه السلام وانظروه من أحسن الخلق علموا انه ليس من ملائكة المذاب يقولون من هذا

جلاله سبحانه من ليس كمثل شيء وهو السميع البصير (فائدة) ورؤية الحق سبحانه وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة العبد
 والاجماع أما الكتاب فقوله تعالى وحده يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وأما السنة ففي البخاري ومسلم أنك سترون ربكم كما ترون
 القمر ليلة البدر ومن زعم أن الله لا يرى يوم القيامة اوجدها وشك فهو كافر لتكذيبه الكتاب والسنة وفائدة رؤية الله تعالى
 في الجنة زوال الشكوك أن ترى أن من دخل داراً لم يصابها غاف أن يكون منه غير ارض اه فاذا حصلت لهم الرؤية من
 ربهم عز وجل يقولون ألهنا ما عبدناك حق عبادتك انأذن لنا في السجود فيقول الله عز وجل هذه دار ليس فيها ركوع ولا سجود
 وأنما هي دار جزاء وخلود وأنا الآن قد قدموكم الى ضيافتي وكرامتي قد حصل الوعد الذي وعدتكم وقد اذنت لكم

ولا اخيام ولا غروف ولا انهار
ولا حور ولا ولدان الا خروا
لله عز وجل سجدا فيقول
في سجودهم أربعين عاما
لا يعلمون شيئا ثم يقول
الله تعالى يا عبادي ارفعوا
رؤسكم بالتكبير والتهليل
والتقديس والتحميد
والثناء على رب العالمين
فيخاطبهم الحق جل جلاله
بلذيق الخطاب ويناديهم
السلام عليكم يا صفياء
السلام عليكم يا معشر
الاحباب للسلام عليكم
يا أوليائي كما أخبر الله
سبحانه وتعالى بقوله سلام
قولا من رب رحيم تتوا على
ما شئتم فيقولون ألهنا
وسيدنا ومولانا تمنى
رضاك عنا فيقول الله جل
جلاله يا عبادي وضائي
ادخلتكم جنتي وأسكنتكم
حوراي ومتمتكم النظراني
اجوى الكريم ورضيت
عنكم فهل أنتم راضون
عني قال الله تعالى رضى الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن
حشي ره وفي رواية
الطبراني رحمه الله تعالى قال
إذا قال الله تعالى تمناوا على
يقولون ربنا وماذا تمنى
عليك وقد ادخلتنا جنتك
وأحللنا دار كرامتك
فيقول الله عز وجل لم اليوم
أحل عليكم رضواني فلا
أسخط عليكم أبدا ولا

المبد الذي لا يأتي أحد قط أحسن منه فيقول مالك هذا جبريل عليه السلام كان يأتي محمدا
بالوحي فاذا سمعوا ذكر محمد عليه السلام صاحوا بأجمعهم يبكون ويقولون يا جبريل أقرئ
محمدا منا السلام وأخبره بسوء حالنا قد نسينا وتركنا في الدار فينطلق جبريل حتى يقوم بين
بدي الله تعالى فيقول الله تعالى كيف رأيت أمة محمد فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم
فيقول الله تعالى هل سألوكم شيئا فيقول نعم يا رب سألوني أن اقرأ محمدا عنهم السلام وأخبره
بسوء حالهم فيقول الله انطلق اليه قبله فينطلق جبريل عليه السلام الى النبي باكيا وهو في
الجنة تحت شجرة طوبى في خيمة من درة بيضاء ولها أربعة آلاف باب لكل باب
مصراع من ذهب ومصراع من فضة بيضاء فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم ما بك يا نبي
يا جبريل فيقول يا محمد لو رأيت ما رأيت لبكيت أشد من بكائي قد جئت من عند عصاة امتك
الذين يمدبون وهم يقرؤنك السلام ويقولون ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا وبصيحون
يا محمد ثم يقول جبريل اسمع صياحهم وهم يقولون يا محمداه فيسميهم النبي صلى الله عليه
وسلم فيقول لبيك لبيك يا نبي فيقول النبي صلى الله عليه وسلم باكيا فيأتي عند العرش والانبيا
خلفه ويخبر ساجدا فيمنى على الله تعالى ثناء لم يكن أحد مثله فيقول الله تعالى يا محمد ارفع
رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول عليه السلام يا رب الاشقياء من امتي قد نفذ فيهم
قضاؤك وحكم أسرك وانتقمت منهم فشفعني فيهم فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم فأتني
النبي صلى الله عليه وسلم مع الانبياء ليخرج كل من كان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
فينطلق النبي صلى الله عليه وسلم الى جهنم فاذا نظر مالك الى محمد عليه السلام قام تعظيما له
فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم لما حال أمتي الاشقياء فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم
فيقول النبي صلى الله عليه وسلم افتح الباب وارفع الطبق فاذا نظر أهل النار الى محمد عليه السلام
صاحوا بأجمعهم وقالوا يا محمداه قد أحرقت النار جلودنا ولحمنا وقد تركتنا ونسيتنا في النار فيمترد
لهم بأني لأعلم حالكم فيخرجون منها جميعا وقد صاروا أحما فداكلتهم النار فينطلق بهم الى نهر عند
باب الجنة يسمى نهر الحياة فيفعلون فيه فيخرجون منه شيئا بجر داما مكيحلين كان وجودهم في
النهر مكتوب على جباههم هؤلاء عتقاء الرحمن من النار فيدخلون الجنة فيعمرون فيها فيمددون
الله أن يحو عنهم ذلك الخط فيمحوه منهم فاذا رأى أهل النار أن المسلمين قد خرجوا من النار قالوا
يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار وهو قوله تعالى ربنا ما كنا نعلم انهم قد خرجوا من النار
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا نبي يوم القيامة ما موت كأنه كبش أملح فيقال يا أهل الجنة هل
تعرفون هذا فيقولون نعم فينظرون فيمرفون أنه الموت ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا
فيقولون نعم فينظرون فيمرفون أنه الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلودوا ولا
موت فيها يا أهل النار خلودوا ولا موت فيها فذلك قوله تعالى وانذروهم يوم الحسرة إذ قضى الامر
وفي الخبر اذ اجبى بهنم زفرت زفرة فتجثوا كل أمة على ركبهم من الخوف والذهشة وهو قوله
تعالى وتري كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون فاذا نظروا الى
النار وهموا وزفيرها كما قال الله تعالى صموا لها سموا لها فظاؤن زفير من مسيرة خمسمائة عام فيقول كل واحد
نفسى نفسى حتى الخليل والكلبم الاحبيب فيقول امتي امتي فاذا قربت يقول يا نار بحق المصلين
وبحق المتصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصابرين ارجعي فلا ترجع فيقول جبريل عليه السلام لها
بحق التائبين ودموعهم وبكاهم على الذنوب ارجعي فترجع ويحيا بدموع المصاة فترش عليهم افتخمد

يزالون في كل وشرب مائة ألف عام ثم يأون الى ضيافة النبي صلى الله عليه وسلم وهي خمسون ألف عام ثم يأون ضيافة أبي بكر الصديق

حتى يصير كبار الدنيا نطقاً بالماء والتراب وفي الخبر إذا كان يوم القيامة تحشر الخلائق في المحشر ويحياهم بهم بمحمة مفتوحة أبوابها فتحيط بأهل المحشر من قدامهم وأيمانهم وشمالهم فيستغيثون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى جبريل عليه السلام فيقول الله يا محمد لا تخف اتقض غبار رأسك فينفض فيصير الله غبار رأسه سحب مطر بقف على رؤس المؤمنين ثم يقول الله يا محمد انقض غبار لحيتك فينفض فيصير الله من غبار لحيتك ستراً بينهم وبين النار ثم يأمره بأن ينقض غبار بنفسه فيصير الله تعالى من غبار نفسه بساطاً تحت أقدامهم ويمنع عنهم نار لظى بر كته عليه السلام * جاء في الخبر يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيئاته على حسناته فيؤمر به إلى النار فتكلم شجرة من شجر عنيبه وتقول يا رب أذن رسولك محمداً عليه السلام قال أي عين بك من خشية الله تعالى حرماً على النار فاني بكيت من خشيتك فأجرني منها فيغفر الله تعالى له ويستخلصه من النار ببركة بكائه من خشية الله في الدنيا ثم ينادي المذابي بحاقان ابن فلان ببركة شجرة واحدة

الباب الثالث والأربعون في مقدار الجنان السبع *

قال وهب إن الله خلق الجنة يوم خلقها عرضها كعرض السماء والأرض وطولها ليلته أحدلاً الله فإذا كان يوم القيامة ذهبت الأرض السبع والسموات السبع وصار موضعها عضة في الجنة فتقسم إلى سبع أهال * والجنان كلها مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام أنهارها جارية وأنهارها متدلية فيها ما تشتهي الأنفس وتلذذ الأعين فيها أزواج مطهرة من الجوارح خلقهم الله من نور (كأنهم الأياقوت والمرجان * فيهن قاصرات الطرف) عن غير أزواجهن فلا ينظرن إلي أحد سوام (لم يطمعنهن أنس قبلهن ولا جان) كلاً أصابها زوجها وجدها بكرًا وعليها سبعون حلة وكل حلة طاهون حلها أخف عليها من شجرة في بدنها يري مخ صافها من وراء لحها ومظمها وجدها كبري الشراب الآخر من الزاج الأخضر والشراب الآخر من الزاج الأبيض رؤسهن مكللة بالدر مرصعة بالياقوت

الباب الرابع والأربعون في ذكر أبواب الجنة *

قال ابن عباس رضي الله عنهما للجنان ثمانية أبواب من ذهب مرصع بالجواهر مكتوب على الباب الأول لا اله الا الله محمد رسول الله وهو باب الأنبياء والمرسلين والشهداء والاسخياء والباب الثاني باب المسلمين الذين يحسنون الوضوء وأركان الصلاة والباب الثالث باب المزينين بطيب أنفسهم والباب الرابع باب الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر والباب الخامس باب من يقطع نفسه عن الشهوات وغناها من الهوى والباب السادس باب الحجاج والمتمسكين والباب السابع باب المجاهدين والباب الثامن باب المتقين الذين يفضون أبصارهم عن المحارم ويمهلون الخيرات من بر الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك وهي ثمان جنات أولها دار الجلال وهي من نوءاً أبيض وثانيها دار السلام وهي من ياقوت أحمر وثالثها جنة المأوى وهي من زبرجدا أخضر ورابعها جنة الخلد وهي من مرجان أحمر وأصفر وخامسها جنة النعيم وهي من فضة بيضاء وسادسها جنة الفردوس وهي من ذهب أحمر وسابعها جنة عدن وهي من درة بيضاء وثامنها دار القرار وهي من ذهب أحمر وهي قصبة الجنان وهي مشرفة على الجنان كلها ولها بابان ومصرعان مصرع من ذهب ومصرع من فضة وطبها المسك وترابها العنبر وحشيشها الزعفران وقصورها الآلؤ والغرر والياقوت وأبوابها الجوهر وفيها أنهار نهر الرحمة وهو يجري في جميع الجنان حسبأوه

وهي ستة آلاف سنة وماتم للرجال من الضيافة والكرامة يتم للنساء ولكن بين النساء والرجال حجاب من نور ولا ينظر بعضهم إلى بعض ثم يقول الله تعالى يا ملائكتي ادخلوا عبادي سوق المعرفة فيدخلونهم فيأتي الرجل صاحبه فيقول له أين أنت فيقول في الجنة للملائكة في المحل الثلاني فيتمتارفون ثم ينظرون في ذلك السوق فيجدون فيه حملاً باجنحة فتقول لهم الملائكة من استشي مسكن يطير فليأخذ من هذه الحبل فيلبسها فيطير فيلبسوها ويطيرون إلى انتهاء ما أرادوا ثم يقول يا ملائكتي قدموا لمبادئ الجنات فتقدم لهم الملائكة خيلاً من ياقوت أحمر مروجها من ياقوت أخضر مكللة بالآلؤ وفوق كل فرس غلام خلقهم الله في تلك الساعة لا وليائهم ويقدم للنساء نجائب من الذهب مروجها من ياقوت أخضر ثم يري بينه وبينهم حجاب ويقول ارجعوا إلى منازلكم فأتى عكراماً فادخل المؤمنين منزله فنلقاه الجوارح العيون وتقول له طال شوقي إليك يا رب الله الحمد لله الذي جمع بيني وبينك فيقول لهما من أين تعرفين وما رأيته في قبل هذا فتقول له إن الله قد خلقني لك وكتب اسمك على صدرى وخاقى القلم أن يكتب اسمك على صدرهم أحسن من القلمة الآلؤ

يخرجن من أبواب القصور
يقولن لمن رضى أن يدخلن
منازلكن فيقلن لا ندخل
حتى نرى ساداتنا فيجولن
رضوان إلى أعلى الجنان
فتنظر كل حوراء إلى سيدها
وهو لا يعلم فاذا وجدته
يصل في ظلام الليل ترحب
وتقول له استندم تخدع أزع
تحصن من جد وجدوه من
خسرندم يا سيدي رفع الله
تعالى درجاتك وتقبل
طاعتك وجمع بيني وبينك
بعدمير طويل فاذا وجدته
غافلا حزنت ثم يرجعن إلى
منازلهن اه سم يسرون
إلى منازلهم ويدخلون
للقصور فتقول المرأة
لزوجها ما أشد حسنك اليوم
وما أكثر نور وجهك فيقول
لها انظري إلى وجهي فوق
نوره على وجهي ويقول لها
الرجل وأنت والله قد عظم
حسنك وناور وجهك فتقول
له كيف لا بنور وجهي وقد
وقع عليه نور ربي ثم يهب
عليهم نسمة ريح من تحت
العرش فتفرق شعورهن
وتنثر المسك والعنبر عليهم
وهم مثل ذلك في كل يوم
جمعة فاشى أحب إليهم من
يوم الجمعة وهو يوم المزيد
فإن الرجل من أهل الجنة إذا
رأى صورة وأعجبته صار
مثلها وزالت عنه الصورة
التي كان فيها بقدره الله تعالى

اللوأ أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل وفيها نهر زبيبا محمد عليه السلام
أشجاره الدر والياقوت وفيها نهر الكافور وفيها نهر التفسير وفيها نهر السلسبيل وفيها نهر
الحيق المختوم وراء ذلك أنهار لا يحصى مددها وفي الخبر عن أبيه عليه السلام أنه قال ليلة
أمرني إلى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار من ماء غير آسن ونهر من
لبن لم يتغير طعمه ونهر من خروجر من عسل مصفى كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار
من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى الآية فقلت
يا جبرائيل من أين تحيي هذه الأنهار وإلى أين تذهب قال جبرائيل عليه السلام تذهب إلى
حوض الكوثر ولا تدري من أين تحيي فسل الله تعالى أن يملكك أو يملك قدما ربه فإملاك فلم
على النبي عليه السلام وقال يا محمد غنض عينيك فغمضت عيني ثم قال افتح عينيك ففتحت فاذا
أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بياض ولها باب من ياقوت أخضر وقوله من ذهب أحر
لأن جميع ما في الدنيا من الانس والجن وقفروا على تلك القبة لكانوا مثل طير جالس على جبل
فرأيت هذه الأنهار الأربعة تجري من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرحم قال لي ملك لم
لا تدخل في القبة قلت كيف أدخل وبها مقبول قال افتحه قلت كيف افتحه قال مفتاحه
في يدك قلت وما هو قال بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت منه قلت بسم الله الرحمن الرحيم
فانفتح القفل فدخلت في القبة فرأيت هذه الأنهار تجري من أربعة أركان القبة فلما أردت
الخروج من القبة قال لي ذلك الملك هل نظرت ورأيت قلت نعم قال لي انظري ثانيا فلما نظرت
رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم
بسم ونهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم
الرحيم ففعلت أن أصل هذه الأنهار الأربعة من البسملة فقال الله يا محمد من ذكرني بهذه
الاسماء من امتك فقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سميته من هذه الأنهار الأربعة
ثم أن الله تعالى يسقي أهل الجنة يوم السبت من ماء الجنة ويوم الأحد يشربون من عسلها
ويوم الاثنين يشربون من لبنها ويوم الثلاثاء يشربون من خمرها وإذا شربوا سكروا وإذا
سكروا طاروا ألف عام حتى ينتهوا إلى جبل عظيم من مسك أذقر خالص يخرج السلسبيل
من تحتها فيشربون منه وذلك يوم الأربعاء ثم يطيرون ألف عام حتى ينتهوا إلى قصر منيف
وفيه مرور مرفوعة وأكواب موضوعة كما في الآية فيجلس كل واحد منهم على ممر فينزل
عليه شراب الزنجبيل فيشربون منه وذلك يوم الخميس ثم يطير عليهم غيم أبيض ألف عام
جواهر يتلق بكل جوهره حوراء ثم يطيرون ألف عام حتى ينتهوا إلى مقعد صدق وذلك
يوم الجمعة فيقعدون على مائدة الخلد فينزل عليهم رحيق مخنوم بخنوم المسك فيكسرون
ختامه ويشربون قال عليه السلام ومع الذين يملكون الصالحات ويحبتون المعاصي

فصل في ذكر أشجار الجنة

قال كتب رضى الله عنه سألت رسول الله عليه السلام عن أشجار الجنة فقال عليه السلام
لا تيسر أغصانها ولا تتساقط أوراقها ولا يفنى رطبها وإن أكبر أشجار الجنة شجرة طوبى
أصلها من در ووسطها من ياقوت وأغصانها من زبرجد وأوراقها من سندس وعليها سبعون
ألف غصن أغصانها متصلة بساق العرش وأدنى أغصانها في السماء الدنيا ليس في الجنة غرفة
ولا قبة ولا شجرة إلا فيها غصن منها يظل عليها وفيها من الثمار ما تشتهى الأنفس نظيره

وقد ورد أن الرجل من أهل الجنة يدخل عليه الملك ومعه ألوان مثل الحلال مطرزة بالذهب مكتوب عليها أسماء من أماء الله تعالى ويقول

في الدنيا الشمس أصلها في السماء وضوءها واصل الى كل مكان قال على رضى الله عنه أبقنا من الاخبار أن أصل اشجار الجنة من الفضة وأوراقها بعضها من فضة وبعضها من ذهب ان كان أصل الشجرة من ذهب تكون أغصانها من الفضة وان كان أصلها من الفضة تكون أغصانها من ذهب واشجار الدنيا أصلها في الارض وفرعها الى الهواء لانها دار الفناء وليس كذلك أشجار الجنة فان أصلها في الهواء وأغصانها في الارض كما قال الله تعالى قطوفها دانية أى غرتها قريبة كوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية وتراب أرضها مسك وعنبر وكافور وأنها راها ابن عسل وخمر وماء صاف واذا هبت الريح يضرب الورق بعضها بعضا فيخرج منه صوت مسمع أحسن منه وبإسناد عن على رضى الله عنه أنه قال عليه السلام أن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحبل ومن أسفلها خيل ذات أجنحة مسرعة ملجمة مرصعة بالدر والياقوت لانزوت ولا تبول فيركب عليها أولياء الله تعالى فتطير بهم في الجنة فيقول الذين هم أسفل منها يارب بماذا بلغ عبادك هؤلاء هذه الكرامة فيقول لهم هؤلاء الذين كانوا يصلون وأنتم نائمون وكانوا يصومون وأنتم تقطرون وكانوا يجاهدون وأنتم تقعدون عند نسائك وكانوا ينفقون أموالهم في سبيلى وأنتم تبخلون وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها كما قال الله تعالى وظل عذو وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ونظيره في الدنيا الوقت الذي قبل طلوع الشمس وبعد غروبها الى أن يغيب الشفق وبحيط سواد الليل بالدنيا فانه ظل ممدود كما قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعنى قيل طلوع الشمس وبعد غروبها الى أن يدخل سواد الليل روى عن النبي عليه السلام أنه قال ألا أنبئكم بساعة هي أشبهه ساعات الجنة وهي الساعات التي قبل طلوع الشمس ظاهرا ومدود ورحمتها عامة وبركتها كثيرة

باب الخامس والاربعون في ذكر الحور

في الخبر عن النبي عليه السلام أنه قال خلق الله تعالى وجوه الحور من أربعة ألوان أبيض وأخضر وأصفر وأحمر وخلق بدنهن من الزعفران والمسك والعنبر والكافور وشعرها من القز ومن أصابع رجليهن الى ركبتيهن من زعفران والطيب ومن ركبتيهن الى ثدييهن من المسك ومن ثدييهن الى عنقهن من العنبر ومن عنقهن الى رأسهن من الكافور ولو بزقت بزقة في الدنيا لصارت مسكا مكتوب في صدرها اسم زوجها واسم من السماء الله تعالى وفي كل يد من يديها عشرة أسورة من ذهب وفي أصابعها عشرة خواتم وفي رجليها عشرة خلاخل من الجوهر والؤلؤ وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عليه السلام ان في الجنة حوراء يقال لها الميمنة خلقت من أربعة أشياء من المسك والكافور والعنبر والزعفران عجنحت طينتها بماء الحياة وجميع الحور أشقات لازواجهن ولو بزقت في البحر بزقة لعذب ماء البحر من ريقها مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربه وفي الخبر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال عليه السلام ان الله تعالى لما خلق جنسة عدن دعا جبريل فقال له انطلق اليها وانظر الى ما خلقت لعبادى وأولياي فذهب جبريل وطاف في تلك الجنات فاشرفت عليه جارية من الحور للعين من بعض تلك القصور فتسمت الى جبريل فاضاعت جنسة عدن من ضوء ثيابها وجبريل ساجد فظن أنه من نور رب العزة

وليلانه والى الله بالطاعة وأولاده بالمغفرة وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الجنة ليل أو نهار فأجاب النبي عليه الصلاة والسلام ليس في الجنة ظلمة أبدا ما فيها الانوار وانهم في نور للعرش أبد الابد ونهارا وأن للعرش سقف الجنة كما أن للسماء سقف الدنيا والعرش نوره يتلأل وهو مخلوق من نور أخضر ومن نور أحمر ومن نور أصفر ومن نور أبيض فن نور العرش صفت الالوان في الدنيا والآخرة والشمس وضع فيها الحق جل جلاله قدر الخردلة من نور العرش فأشرقت لها الدنيا وعلامة الليل أن أبواب القصور تفتح وترخي الستور وتسبح الابطار للواحد القها وتسلم عليهم الملائكة وتأنيبهم بالهدايا ولتجحف من الحق سبحانه وتعالى وتزورهم اخوانهم في الله تعالى وأولادهم وأقاربهم الذين دخلوا معهم الجنة وقد ورد أن المؤمن اذا خطله أن يرى صاحبه يعيش به للسرير أمرع من القفرس الجيد فيتلقى مع صاحبه في ميدان الجنة فيحدثان ويتفرجان في تلك البساتين ثم يرجع كل واحد الى قصره وفي كل قصر غرفة مشرفة لكل غرة سبعون بابا منها مصراع من الذهب على كل باب من تلك الابواب شجرة ساقها من المرجان اكمل شجرة فنادته

سبعون ألف غصن وفي كل غصن سبعون ألف لؤلؤة فإذا قطعوا اللؤلؤة نبتت مكانها
فنادته الجارية بأمين الله ارفع رأسك فرفع رأسه فنظر إليها فقال سبحانه الذي خلقك
قالت الجارية بأمين الله أتدري لمن خلقت قال لا اقل لا قالت ان الله خلقني لمن آثر رضا
الله تعالى على هوى نفسه وعلى هذا جاء في الخبر أن النبي عليه السلام قال رأيت في الجنة
ملائكة يديون قصورا لبننة من فضة ولبننة من ذهب فبناؤهم كذلك فلما كفوا عن لبننة
قالوا قد تمت نفقتنا قلت ما نفقتكم قالوا ذكر الله لان صاحب القصور يذكر الله تعالى فلما
كف عن ذكر الله كفتمنا عن بنائه وفي الخبر ما من عبد يصوم رمضان الا زوجة الله من
الطور العين في خيمة من درة بيضاء محبوبة كما قال الله تعالى حور مقصورات في الخيام أي
مخدرات مستورات فيهن وعلى كل امرأة منهن سبعون حلة ولكل رجل سبعون ميرا
من ياقوتة حمراء وعلى كل سرير سبعون فراشا ولكل فراش امرأة ولكل امرأة ألف وصيفة
مع كل وصيفة صحفة من ذهب تطعمها وزوجها مثل ذلك وهذا كله لمن يصوم شهر
رمضان سوى ما حصل فيه من الحسنات

بَابُ السَّادِسُ وَالْأَرْبَعُونَ فِي ذِكْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا

في الخبر ان من وراء الصراط صحراء فيها أشجار طيبة تحت كل شجرة عينا ماء انفجرنا
من الجنة أحدهما عن الجن والآخرى عن الشمال والمؤمنون حين يجوزون الصراط وقد
قاموا من القبور قاموا الى الحساب ووقفوا في الشمس وقرؤا الكتب وجاوزوا للنيران
وجاءوا الى تلك الصحراء شربوا من إحدى العينين فإذا بلغ ماء العين الى صدورهم خرج
كل ما كان فيهم من غل وغش وحسد وزال عنفا فإذا استقر الماء في بطونهم خرج كل ما
كان فيها من فساد وداء وبول فيطهر ظاهرهم وبطنهم ثم يجيئون الى العين الاخرى فيقتلون
فيها قصير وجوهرهم كالقمر ليلة البدر وتطيب نفوسهم وقلوبهم وتطيب أجسامهم كالمسك
فيبتهون الى باب الجنة فإذا حلقتهم من ياقوتة حمراء فيضربونها فتستقبلهم الحور بصحائف
في أيديهن فتخرج كل حورية الى صاحبها فتعانقه وتقول له أنت جيتني وأنا راضية عنك
وأحبك ابدا وتدخل معه بيته وفي البيت سبعون ميرا على كل ممرير سبعون فراشا وعلى
كل فراش حورية عليها سبعون حلة يري مخ ساقها من لطائف الحلال ولو ان شمرة من
شعر نساء الجنة سقطت الى الارض لاضاءت لاهل الارض قال للنبي عليه السلام حلل
الجنة تلالا لاشمس ولا ليل فيها ولا نوم لان النوم أخو الموت وسور الجنة سبع
حوائط محيطة بالجنان كلها الاولى من فضة والثاني من ذهب والثالث من زبرجد والرابع
من لؤلؤ والخامس من در والسادس ياقوت والسابع من نوو وتلالا وما بين كل حائطين
مسيرة خمسمائة عام وأما أهل الجنة فهم جرد مرد مكحلون ولرجال شوارب خضراء فاج
بلج ولا يكون ذلك للنساء لغيرهن عن الرجال وفي الخبر ان أهل الجنة يكون على كل
واحد منهم سبعون حلة كل حلة تتألف في كل ساعة سبعين لونا وبري وجهه في وجه
زوجته وترى هي وجهها في وجه زوجها وصدرها وساقها في صدره وساقها لا يترقون ولا
يمتخطون وليس بهم شعر الا الحاجبان وشعر الرأس والعين وعن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه والذي أزل للكتاب على نبيه ان أهل الجنة يزدادون كل يوم جمالا وحسنا كما
يزدادون في الدنيا شبابا وهر ما يعطى الرجل قوة مائة في الاكل والشرب والجماع فيجامعها
كما يجامع أهله في الدنيا حقبا والحقب ثمانون سنة لا مئ ولا مئتين وكل يوم يجد مائة
أراد من نساءه وخدمته فتسببهم مسيرة سبعين عاما في ساعة واحدة فبينما هو سائر في تلك القصور إذا أشرفت عليه حورية من

قصورها فيرفع بصرة اليها فتعجب ويوقع لها في قلبه حب عظيم فيقبل على نفسه بالووم ويقول أنا لا أحق فتقول الحورية يا ولي الله نحن من الذين قال الله فيهم ولدينا مريدوا ولا يزال سائرا في وسط الجنة فيجد ههنا من نور وفيه شجرة من جوهر حملا خيل وورقها حلل تمر كل ثمرة مثل شقة الراوية أحلى من العسل فإذا أكل الثمرة بقي الحب تخرج من وسط كل حبة جارية وغلام ثم ينظر بين تلك القصور فيرى أنهارا من ماء غير آسن وأنهارا من لبن ثم يغير طعمه وأنهارا من خمر لذة لا تشار بين وأنهارا من عسل مصفى وعلى تلك الأنهار قباب من الياقوت وقباب من الزمرد وقباب من المرجان فيأخذ من بين حور وولدان فيقي لوز ياولي الله طال شوقنا إليك فيحكك ٤٨ في نعيم ولذة مع كل زوجة من أزواجه يتمتع بها ما هو وتمتع به في جماله مكتوب اسمها على صدره ومكتوب اسمه على صدرها ويرى وجهه في نور وجهها وترى هي وجهه في نور وجهه فيناهم كذلك وإذا علا نكهة من عند الله تعالى يدخلون عليهم بهدية ويقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فيأكل هو وزوجته الأدمية لأن نصف الهدية لها بما جاهدت في طاعة الله تعالى قال بعضهم ان في الجنة نهر يسمى للعرفك يبيت على شاطئ ذلك النهر الحور العين ثم يأخذن ايديهن بأيدي بعض ويفننن جميعا فتعز تنجعة طوي لتلك الاصوات يقلن نحن الخالدات فلا يفنى أبدنا نحن الناعمات فلا نبس أبدنا نحن الراضيات فلا نخطأ أبدنا نحن المقيجات فلا نطقن أبدنا نحن السكاسيات فلا نعري أبدنا نحن الضاحكات فلا نبكي أبدنا نحن الصبيحات فلا نسقم أبدنا ولي لمن كان لنا وكنا له وقد سئل حماد بن

طعام قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم فإذا أكل ولي الله من الطعام ما شاء واشتاق الى طعام امر الله تعالى ان قدموا له الطعام فيأتونه بسبعين طبقا وسبعين مائدة من در وياقوت على كل مائدة ألف صفحة من ذهب كما قال الله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهي الانفس وتلك الاعين وانتم فيها خالدون وفي كل صفحة ألوان من الطعام لم تسمه النار ولم يبلطحه الطباخ ولم يعمل في قدور النحاس وغيره ولكن الله قال لها كوني فتكون بلا تعب ولا نصب فيأكل ولي الله من تلك الصحائف ما شاء فإذا شبع نزل عليه طيور من طيور الجنة كالغياض في الأعظم فتقوم أجنتها على رأس ولي الله وتقول كل لحما طريا يا ولي الله أنا كذا وكذا وشربت من ماء الساميل ومن ماء الكافور وورعت من رياض الجنة فيشتاق ولي الله الى لحم تلك الطيور فيأمر الله تعالى ان تقم على أى لون شاء فتكون شواء فيأكل ولي الله تعالى من لحومهم ثم يرفع طيور باذن الله تعالى كما كانت فالجنة لا ينقص طعامها وان أكل منه لا ينقص منه شيء نظيره في الدنيا القرآن يتعلمه الناس ويعلمونه وهو على حاله لا ينقص منه شيء قل عليه السلام ان أهل الجنة ياكلون ويشربون ثم يخرج من أجسادهم ريح كريج المسك وهكذا الى أبد الاباد يقول الراعي غفر ربه الودود * الشيخ محمد أدريس مسمود الحمد لله على نعمه والشكر له على مواهب كرمه والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه ما أضاء نور في أفقه (أما بعد) فقد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب دقائق الاخبار في ذكر الجنة والنار بحسب الهوامش بالدرر الحسن في المبحث ونعيم الجنان وهو كتاب يرقى القلوب القاصية ويحماها على الأعمال الراقية وذلك طبع بالمطبعة التجارية السكسرى سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م تم بحمد الله

سليمان من أى شيء خلقت الحور العين قال من النور وقال غير من الزعفران يباضن كباض الثور أو وصفاء لو هن كصفاء الياقوت فذلك قوله تعالى كما نهن الياقوت والمرجان وبروي عن الطبراني أنه قال للعبد الصالح مسيرة ألف عام فإذا اراد الرب جل جلاله أن يرسله كتب اليه كتابا مكتوبا فيه اسم الله الرحمن الرحيم من الحي الذي لا يموت الى العبد الذي صار حيا لا يموت من العز الذي صار عززا لا يذل من الغنى الذي لا يفقر الى العبد الذي صار غنيا لا يفقر يا عبيدى زنى فاني مشتاق اليك فربك ذلك العبد على نحيب من نحيب الجنة ويسير الى زيارته عز وجل فإذا اراد به صرف الى منزله لم ير على طريق غير الطريق الذي جاء منه فيعبر على قنطرة من جوهر أحر وذلك لما لا يعلمه الا الله لو أن الله تعالى بهديه الى منزله لناه من عظيم ما حصل له من النور قال الله تعالى ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم الاية

al-Ṭabāṭib al-Ḥamad li-Huḥammad
li-Ṭabāṭib

كتاب
Qisa' al-anbiya'
قصص الانبياء

(المسمى) بالعوائس

تأليف

الإمام العالم العلامة

أبي إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الشامي
تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

و بهامشه مختصر روض الراحين في مناقب الصالحين للعلامة اليافعي
نفع الله تعالى به ومعه في الفردوس مع اهل قرره

بسم الله الرحمن الرحيم

طبع على نفقة

محمد بن عبد الله

« بيدان الازهر الشريف بمصر »

مطبعة العلوم الأدبية

لصاحبها محمد بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله العظيم المنان *
الرحيم الرحمن * الذي
خلق الانسان * وزينه
بنطق اللسان * وفضل
من شاء من عبادہ وهداه
الى طريق الايمان وشرف
هذه الامة بالصلاة
والصيام وتلاوة القرآن
وجعل منهم الاولياء
والاصفياء والشهداء
والصالحين اهل العرفان
واولى الفضل والايمان
شرح لهم صدورهم وغفر
لهم ذنوبهم وهداهم الى
صراط مستقيم صراط الله
العزيز الممان وانهم عليهم
بانامه وجاد عليهم
باكرامه وسقاهم من
كؤس محبته فانهشت من
شراب قربه القلوب
والايدان * ووعدهم
بالنظر في وجهه الكريم
فتوجههم بتساج الوقار
والبهيم من حال رضائه
الوان فسبحان من فضله
عميم وجوده عظيم طاقته
قديم وهو الباقي وكل من
عليها فان (احده) على
طول الزمان واتوب اليه
واسئله غفره استغفرا
يوجب الغفران واشهد
ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له الرحيم
الرحمن * وأشهد ان

الحمد لله حق حمده والصلاة على جد وآله (قال) الاساتذة ابواسحق احمد بن محمد بن ابراهيم التلملي رحمه الله تعالى
هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة بالقرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان
* (باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقييده تعالى اخبار الماضين على سيد المرسلين) *
قال الله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى
صلى الله عليه وسلم اخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لئلا يملأوا رأيه بحكم (الحكمة الاولى) منها انه اظهر
لنبيوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يختلف الى مؤدب
ولا الي معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيه الا تقطاع على علم اخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طالب شيء
من العلوم الى ان كان من امره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولفته ذلك فاخذه يحدث الناس باخبار
ما مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقل ما فصادق بما يوحى
الله اليه واخبره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك سيجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم
عدوا فماعد احسده وجده وانكر ما جاء به وقال كما اخبر الله تعالى وقالوا اساطير الاولين اكتبتم افيعي تلى
عليه بكرة واصيلا قال الله تعالى تكذبون بالهم وتصدقا للنبي عليه السلام قل الذي يعلم السر في
السموات والارض (والحكمة الثانية) انما غاصص عليه القصص ليكون له اسوة وقدوة بكمم اخلاق
الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما اخبرته تعالى عنهم واثى عليهم ولتتنبى امته عن امور
عوقبت ائمة الانبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتتم الله بذلك معالي
الاخلاق فلما امتثل امر الله تعالى واستعمل ادب الانبياء اثنى الله عليه فقال تعالى وانك اولى خلق عظيم
والذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه
القرآن (والحكمة الثالثة) انما غاصص عليه القصص ثبته بالاعلام باشرافه وشرف امته وعلا قدرهم وذلك
انما نظر الى اخبار الامم قبله علم انه عوفي هو رآهم من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم
في السرائع ورفع عنهم الاثقال والاعلال التي كانت على الامم الماضية كمال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى
واسخ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ان النعمة ظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج قال تعالى يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما غاصص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل امته وعلم
ان الله خصه هو وامته بكرامات لم يخص بها احدا من الانبياء والامم فوصل قيام اليه بنهاره وصيامه بقيامه
لا يفتر عبادته به اداء لشكره حتى تورمت قدماء فيل يارسول الله اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قال افلا كون عبدك كوراثم افتخر عليه السلام فقال بشت الخبيثة اسمحة (والحكمة الرابعة)
انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتذكيرا لانه ذكرا لانبياهم ونوابهم والاعداء وعقابهم

سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم عبده ورسوله خير
الخلق من أنس وجان
* اللهم فصل وسلم على
هذا النبي الكريم
والرسول العظيم صلاة
وسلاما دائمين متلازمين
على طول الزمان * (أما
بعد) فهذه فوائد جلية
عظيمة نقلت عن كتاب
روض الياحين في
مناقب بعض الصالحين
أعاد الله علينا من بركاتهم
في الدارين فبذكرهم تنزل
الرحمات * ونحل البركات
* وقد أوردت فيها من
أخبار السادات ومناقب
الغادات ومحاسن أهل
السعادات * روايات
صحيحة * لينزل عن
مطالعها المعلوم والفكر
ويطرب سامعها لحاسن
تلك السير فمعها يندش
الابدان ومطامعها تزيل
الاخران * وهذا وإن
الشروع في ذلك ونسأل
الله تعالى ان ينفعنا بآياته
وان يحشرنا في زمرة أهل
ولائه (فمنها ما حكى عن
سيدى ذي النون
المصرى رضى الله عنه)
قال ركبت البحر مرة
وركب معي شاب صبيح
الوجه فلما توسطنا
البحر فقد صاحب المركب
كيسنا فيه مال

ثم ذكر في غيره وضع محمد برد اياهم عن صنع الإعداء وحتمهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان في يوسف
واخوته آيات للسائين وقال لقد كان في قصصهم عبرة لأولئى الاباب وقال وهدى وه وعظة للمؤمنين ونحوها
من الآيات وكان الشئلى رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص
بالاعتبار من النقص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكورهم
وأزهرهم ليكون الحسن منهم في إبقاء ذكره مشبها له تعجبل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى
قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام في إبقاء اثناء الحسن فقال واجدلى لسان صدق في
الاخرين والناس احاديث يقال مامات ميت والذكر يحيميه وقيل ما اتفق الملوك والاغنياء الاموال على
المصانع والحصون والقصور واللباء المذكور * وأشدنا ناصر بن محمد المرزى قال أنشدنى الدريدى
وأما المرء حديث بده * فكبح حديثا حسنا لمن وعى
(يجلس في صفة خلق الارض) قال الله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرهما
كثيرة في القرآن (واعلم) أن الكلام في نعمت خلق الارض على سبعة أبواب
(الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها)
روت الراواة بالفاظ مختلفة وأما الله تعالى لما أراد ان يخلق السموات والارض خلق جوهره
خضراء أضغاث طباق السموات والارض ثم انظر اليها ظهريية قصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارفع منه
زبد ودخان وبحار وأرعد من خشية الله في ذلك اليوم برعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء
فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أى قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد
الارض فاول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكتبة فحدث الله الارض من تحتها فذلك سميت أم
الفرى بمعنى أصلها وهي قوله تعالى والارض بعد ذلك دحائها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها
وصيرها سبعة وأذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بث الله
تعالى من تحت العرش ملكا يهبط الى الارض حتى يدخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى
يديه في المشرق والاخرى في المغرب باسطين باضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه
موضع قرار فحبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا لسمعون ألف قرن وأربون ألف قائمة وجعل قرار
قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدث الله باقوته خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها بحسنة
غام فوضعها بين سنام الثورالى اذ نه فاستقرت عليها قدماه وقرن ذلك الثور خراجة من أقطار الارض وهي
كالحسكة تحت العرش ومنه خرد ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مدا البحر واذا ردت نفسه
جزر ولم يكن لفوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كما غلظ سبع سموات وسبع
ارضين فاستقرت فوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يا بني انما لك مثقال حبة من خرد فتكن
في صخرة او في السموات او في الارض يا بني الله الآية * روي ان لقمان لما قال له هذه الكلمة افطرت
من هيبتها رارات ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت
العظيم اسمه لوتيا وكتبته بلهوت وانبه مهموت فوضع الصخرة على ظهر دوسائر جسده خال قال والحوت على
البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة ونفل الدنيا وما عليها احرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار
كوني فكانت فذلك قوله عز وجل أعما أمرنا الشئى اذ أرادنا ان نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء
الشعراء لا تخضعن لخلق على طمع * فان ذلك نص منك في الدين
واستقرز الله في خزائنه * فان رزقك بين الكاف والذون

فتمش كل من كان في
المركب فلم يوصل الى
الشاب ليقشه وب من
المركب حتي جلس في
البحر فقام له الموج على
مثل السرى ونحن ننظر
اليه من المركب ثم قال
يا مولاي انت هؤلاء
انتم موتى وانى اقسم عليك
يا حبيب قاي ان تا مركل
دابة من هذا البحر ان
تخرج رأسهم او فيهم كل
واحدة منهم جوهره
قال ذوالنون فأتى الشاب
كلامه حتى رأينا دواب
البحر قد اخرجت
رؤسها وفيهم كل واحدة
منهن جوهره تتلأل
وتلمع كالسرى ثم وب
الشاب فانما من البحر في
الموج وصار يشي ولم يتبل
قدماءه وهو يقول يا لك نهد
واباك نستعين حتى غاب
عن بصرى قال ذو النون
فوجدني ذلك على السباحة
وتذكرت قول النبي صلى
الله عليه وسلم لا يزال في
أمتي ثلاثون رجلا قلوبهم
على قلب ابراهيم خليل
الرحمن كلمات واحد بل
الله مكانه واحدا (وحكى
عن سيدي ابراهيم
الخواص رضي الله تعالى
عنه) أنه قال طاب لبي
نسى في وقت من
الاقوات بالخروج

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كتب الاحبار ان ابليس تغفل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أندري
ما على ظهرك يا تيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغـيرها التي تقضيها أرائقهم عن ظهرها اجمع لكن
ذلك أرى بعك قال فيهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعت الله تعالى اليه دابة فدخلت في منجزة فوصلت الى دماغه فخرج
الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت قال كتب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها
ونظر اليه انهم يشي من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذى أقسم الله تعالى به فقال بن والقلم وما
يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكلم على الماء كما تتكلم السفينة على الماء فارساها الله تعالى الجبال وذلك
قوله تعالى والجبال رساها وقوله تعالى والجبال أوتاد او قوله تعالى وألقى في الارض رماي أن تميم بكم يعني
لكيلا تتحرك بكم * قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يارب
تجمل علي بن آدم يعملون علي الخطايا ويلقون علي الجبال فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فافقرها
وخلق الله تعالى جبالا غايما من زرجة خضراء خضراء من الماء منة فقال جبل قاف فاحاط بها كلها وهو الذي
أقسم الله به فقال ق والقرآن الجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا أصنارا فقال
له من انت قال ان قاف قال فخيرني ما هذه الجبال التي حولك فقال هي عروفي فاذا اراد الله ان يزلزل ارضه أمرني
فحركت عروفا من عروفي فزلزل الارض المتصلة به فقال يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن
ربنا العظيم تفصر عنه الصفات وتمضي دونه الا وهما قال فخيرني باني ما يوصف منها قال ان ورائي ارضا
لمسيرة بحمالة عام من جبال التاج بحلم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها لولا ذلك التاج والبرد
لا تحترق الدنيا من حرجهم قال زدني فقال جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائضه
فيخافى الله من كل رعدة ما ألف ملك وهم صوف بين يدي الله تعالى منكس رؤوسهم لا يؤذن لهم في الكلام
الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن
سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما خلق الله تعالى الارض جملت تميم فخلق الجبال
وألقاها عليها فاستقامت فمجيبت الملائكة من شدة الجبال فقال يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال
نعم الحديد فقال يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقال يارب هل من خلقك شيء أشد
من النار قال نعم الماء فقال يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقال يارب هل من
خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

* (الباب الثاني في حدود الارض ومساقتها واطباقها وسكانها) *

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل ارض الى التي تليها مسيرة
خمسمائة عام وهي سبعة اطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها يخرج
الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصرى الرياح في الارض الخالصة خاق رجوههم مثل وجوه بني آدم فافواهم
مثل افواه الكلاب ويديهم كأيدي الانس وارجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المزمز واسماهم
كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أبواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها
حجارة الكبريت التي أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ان فيها لا دودية من كبريت لو ارسلت فيها الجبال الزواصي لانتفعت قال وهب بن منبه هي مثل
الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة

* أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزني قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرئ قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص النشيري قال حدثنا علي بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا اردت الحج إذ دفت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلمة فانفردت من أصحابي ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول يبكائه الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمصيتي بخالفتك ولكني عصيتك إذ عصيتك بحبلى وخالفتك إذ خالفتك لشعوتي فلا أن من عذابك من ينقذني ويحبل من اتصل إذا انقطع حبلك عني وإذ نوباه واغترناه بالله قال منصور فابكاني والله فوضعت فمي على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطراباً شديداً ثم خمد الصوت فوضعت حجراً على الباب لأعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فإذا با كفن أصابحت ويجوز تدخل لدار باكية وتخرج باكية فقلت لها يا هذه ما هذا الميت لك فقالت اليك عني يا عبد الله لا تجدد على أحزاني فقلت اني اريد هذا لوجه الله الكريم املك تستودعني دعوة فاني منصور بن عمار واعط اهل العراق قالت يا منصور هذا ولدي قلت فسا كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب ما يكتسب فيجعله ثلثاً لثاني وثلثاً لثالث ومنه يقطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ في بكائه وتضرعه فرجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي بضرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى (وقال) منصور بن عمار ودخلت يوماً خربة فوجدت شاباً يصلي صلاة الخائفين فقلت لنفسي ان لهذا الفتى لشأنًا عظيم له من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلم سلمت عليه فردي فقلت له ألم تعلم ان في جهنم واديا يسبحي الظي زعاعة للشوى تدعون من ادبر وتوتى وجمع فارعى فشوق شعقة وخرم فشتيا عليه فلما أفاق قال زدني فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة الآية فخره ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوباً بابل الذريرة فوق في عبشة راضية في جنة تالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرائيته في المنام جالسا على سرى بر وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك فقال آتاني تواب اهل بدر وزادني فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وانا قتلتم بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب اهل النار كما مثال البغال لها انا ب كمال الرماح لكل ذنب منها اثنا عشر وستون قناراً في كل قنار ثمانية وستون قراق من المم كل فرق منها ثمانية وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك المم في وسط الارض لمات جميع اهل الدنيا من ننته وفسد منه كل شيء وفيها ايضا حيات اهل النار كما مثل الاديبة لكل حية منها ثمانية عشر الف ناب كل ناب منها كالخلة الطويلة في أصل كل ناب ثمانية عشر الف من المم لو امر الله حية منها ان تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في الارض له دنته حتى يعود مياؤها الى النقي الكافر فسمته فتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواو من اهل النار وعمالهم وارادهم الخبيثة واسمها سجين قال الله تعالى كلان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكناً لالبس وجنوده وفيها عشة في احد جانبيه سموم وفي الآخر زهر برود احتوشته من المردة وعتاة الجن ومنها بيت سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبني آدم وروي سلمة بن كهيل عن ابى الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السمات السابعة فإذا كان غد جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فإذا كان غد جعلها الله حيث يشاء * واما بمدية الارض فكفاك به حديث قارون حيث خسف الله به الارض و بداره و بامواله ففى الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبالغ

الى بسلا الروم
 خوفت نفسي ان تكفي
 ذلك فصرت على نفسي
 الخاطر فلم تلتفت الى ذلك
 فخر جثا اخترق ديارهم
 واجول انظارهم والعناية
 تكفيني والرعاية مخفي
 لا ألقى نصرايا الاغض
 بصره عني وتباعدني الى
 ان انبت مدينة من المدائن
 فرأيت على بابها رجلا
 لا يسمن السلاح وبأيديهم
 الات الكفاح فلما راوتني
 اتوا الى وقالوا طيب انت
 قلت نعم فقالوا ارجب المالك
 فحدثت اليه فلما راى قال
 انت الطيب قلت نعم
 فقال المالك احمد له اليه
 وعرفوه بالشرط قبل
 الدخول عليها قال ابراهيم
 فاخبروني وقالوا ان للمالك
 ابنة قد اصابها اعتلال
 أشد بد وقد أعيا الاطبا
 علاجها وما من طبيب
 دخل عليها وعالجها ولم يبرأ
 الا قتله الملك فانظر الى
 نفسك قبل الدخول اليها
 قال ابراهيم فقلت لا حول
 ولا قوة الا بالله العلى العظيم
 ثم قلت ان الملك ساقى اليها
 فادخلوني عايماً فاخبروني
 ومضوا بي اليها فلما
 وصلت الى باب القصر
 اذاهى تنادي من داخل
 الباب ادنوا بالطبيب فلي
 وله سر عجيب فبينما أنا

فُتِح الباب مسرعاً وقال
ادخل فدخلت فاذا بيئت
مبسوط مفروش بأنواع
الفرش وبستر موضوع
ومن خلفه اثنين ضعيف
يخرجون جسدهم نحيف
قال ابراهيم فعدت من
داخل الباب متفكراً
واردت ان اسلم فتذكرت
قول النبي صلى الله عليه
وسلم لا تبذلوا اليهود
والنصارى بالسلم
فامسكت عن السلم
فنادت من داخل البئر
اين سلام التوحيد
والاخلاص يا ابا سحقي
يا خرواص قال فنهجت
من اجابتهما بمخبات
الضماير ثم قالت يا ابراهيم
سألت رب العزة البارحة
ان يرسل الي وليا من
اوليائه يكون على يده
الخلاص فتوديت
سيحضر عندك ابراهيم
الخرواص قال ابراهيم
فقلت لها هي خطر عليك
هذا الامر فالت منذاربع
سنين وقد لاح لي الحق
المبين فهو المحسب
والانيس والمفسر
والجالس فلما رأوا حالي
رمقوني بالهين ورموني
بالجبن فما دخل على
طبيب الا اوحشني ولا
زائر الا ادشني قال
ابراهيم فقلت وما هذا

فمرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينا رجل يتبحر في بريدته و ينظر في عطفه وقد
أعجبته نفسه فتخسف الله به الارض فهو يتجاذل فيها الى يوم القيامة
(الباب الثالث في ذكر الالام التي خالق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى قل انتم لكفر و ن بالذي خلق الارض في يومين الآية قال ابو اسحق قال شريك بيدي ابو
بكر محمد بن احمد القطان قال شريك بيدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شريك بيدي ابراهيم بن يحيى قال
شريك بيدي صفوان بن ابيهم قال شريك بيدي أبيوب بن خالد الانصاري قال شريك بيدي عبد الله بن ابي
رافع قال شريك بيدي أبوهريرة قال شريك بيدي أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض
يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والنظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء
والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

(الباب الرابع في ذكر اسمائها والقابها)

(قال) وهب بن منبه الاول من الارض تسمى اديا واثنائية بسطة اربعة ايام والارابعة بطيخة والارابعة
متنقلة والسابعة ماسكة والسابعة تسمى (وأسماءها المذكرة في القرآن) فهي سبعة أيضاً سماها الله فراشا
فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قراة قال ام بن جمل الارض قراة وسماها رتقا قال اولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا فافشاها الله فاعلم ان الله جمل لكم الارض بساطا وسماها
مهادا فقبل الم يحمل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها
كفنا فقال الم يحمل الارض كفنا قال خالد بن سعيد كنت امشي مع الشعبي يظهر الكوفة فظنر الى بيوت
الكوفة فقال هذه كفنا الاحياء ثم نظر الى القبرة فقال هذه كفنا الاموات (ويحكي) عن عبد الله بن
طاهر لا قدم نيسابور صحبه من اراد الجوس شاب متطرب يدعى تحقيق الكلام واظهر مسئلة تحرق
الانفس بالاركان وكان يزعم ان الجسد كيف متين في حالة الحياة فاذا مات فلاحكة في دفته والتسبب الى زيادة
تدنه وان الواجب احرقه واذا رماه فليل لبعض الفقهاء ان الناس قد اختلفوا بعقافة هذا الجوسى فكتب
الفقيه الى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا و هذا الجوسى لنسمع منه فاجتمعت وعنده عبد الله فلما تكلم الجوسى
بقائه تلك قال له الفقيه اخبرنا عن صبي تدعيه امه وحضنتها امه الى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي
الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها ان يردوا اليها فاجتمعت الجوسى وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت
والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

(وسئل) يحيى بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدري ان الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق
فهي أمه وفيها نشأ فهي عشوه ومنها رزق فهي عشوه اليها يعود فهي كفناه وهي عمر الصالحين الى الجنة
(الفصل الخامس في ذكر ما بن الله به الارض)

وهي سبعة أشياء لازمة وزين الازمنة بربع اشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في
كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة محرم فلما ربه الاشهر الحرم منها ثلاثة تسرد وواحد فرد
فلكثرة السرد والقعدة وذو الحجة والحرم والفرد يجب والا مكنة وزينها بربع اشياء مكة والمدينة
وبيت المقدس ومسجد العشار وزينها ايضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء بربع ابراهيم
الحليل وهوسى النكيم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم اجمعين وهم أهل الكتاب واصحاب
الشرائع وأولو العزم وزينها ايضا بال محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم ايضا بربعه على وقاطمة والحسن
والحسين رضي الله عنهم (وروي) بن برد القاسم عن أنس بن مالك قال صلى بنارس رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذي أوصلها اليه قالت
براهينه الواضحة وإياته
اللاحة فلذا وضع لك
السبيل شاهدت المدلول
والدليل قال ابراهيم قبيتها
أما أكلها اذا الشيع
الموكل بها قد دخل عليها
وقال لها ما فعل طيبك
هذا قالت عرف السلة
وأصاب الداء وظهر على
يديه السرور وقال بي بالبرود
قال ابراهيم فسار الشيخ
للكل واخبره بمقالتهم
فصرت اتردد عليها مدة
سبعة ايام فقالت يا أبا
اسحق أر يد الهجرة معك
إلى بلاد الاسلام فقلت
وكيف يكون ذلك ومن
يتجاسر على الخروج من
تلك المساكن والجنود
فقلت يا ابراهيم لا تخف
ان الذي ادخلك على
وسائق الى هو الذي يخرجني
معك ولم يشرب بنا أحد
فقلت نعم انه على كل شيء
قدير فلما كان الغد خرجنا
من باب من الابواب
خفية عن العيون بارادة
من يقول للشيء كن فيكون
فوالذي وفقها وهبها
ما رأيت أصبر منها على
الصيام والقائم وحيت
على عيبتها لذت المنام
وجاورت بيت الله الحرام
مدة سبعة أعوام ثم قضت

صلاة الفجر فلما انقضى من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال يا معشر المسلمين من افتقد الشمس
فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقليل
يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقان فقال انا الشمس وعلى القمر وفاطمة الزهرة والحسن
والحسين الفرقان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتي يردا على الخوض وزنها أيضا بالصداقة وزينهم أيضا
باربعة ابني بكر وعمر وعثمان وعلى وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضي الله عنهم اجمعين (وروى)
عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن
قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله وزينهم أيضا بأربعين مؤمنا وزينهم باربعة العلماء والفراء والفراء والعباد
وزينهم أيضا بانواع الحيوانات والنبات والجمادات

*(الباب السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها) *

اعلم ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي
الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخز النقي الحواري لم يصب الله عليها قطرة عين ولا وسم فيها ولا قصم
مستوية كالصواب المهند * والثاني الزلزلة قال الله تعالى ان زلزلات الارض زلزله الاية وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتي يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج
يا رسول الله قال القتل فلذا كانت أمي الربا كانت الزلزلة واذا جروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت
الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قطروا ولولا البهائم لم عطروا وفي الحديث ان الارض
تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فاخذ بعض اداتي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة
انكم رجفتم وان الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمرين قللة الصدقة وانكم احدثتم أشياء حتي اعجلتم
فهل اتم منتمون أو يفرع من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعني الفصل
القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذ رجعت الارض رجفا قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتي يتكسر
كل شيء عليهم افرقنا زبها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد
حتى تتخلى وتلقي ما في بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألفت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال
تعالى اذ دكت الارض دك دكا وقال تعالى فدكتنا دكتنا واحدة ويحك ان الربيع من خثيم كان اذا قرأ هذه
الاية اخذ يجلد ذراعيه ويقول بالحامه وبادماه اين انما يومئذ

*(الباب السابع في وجوده الارض المذكورة في القرآن) *

وهي سبعة أو ثمانية خاصة قال الله تعالى في الرد والانبيا ولم يروا انات الارض تنقصها من أطرافها يعني
ارض مكة ولو لوجود الثاني ارض المدينة قال الله تعالى الم تنكب ارضي الله واسمة فتهاجروا فيها يعني ارض المدينة
وقال تعالى وان ارض واسعة وقال تعالى وان كان الاستغفر ونك من الارض ليخرجنوك منها والثالث ارض
الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الاية يعني بلاد الشام وقال تعالى ونحيتهن ولو طوا الى الاض
التي باركنها فيها للمؤمنين والوجه الرابع ارض مصر قال تعالى وكذلك مكننا يوسف في الارض أي ارض مصر
وقوله تعالى اجمعني على خزان الارض اني حفيظ علم وقوله فان ابرح الارض اي ارض مصر وقوله تعالى
ان فرعون علا في الارض وقال ويستخذمكم في الارض أي ارض مصر والخاص ارض المشرق فذلك قوله
تعالى ان يا جوج وما جوج مفسدون في الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة في
الارض الا عنى الله زكوا وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امنا أمنا لكم يعني
الام في التصاوير أمنا لكم في التسخير وقال تعالى ولوان ما في الارض من شجرة أو قلام وقال تعالى الذي جعل

لكم الارض فراشا والسابع ارض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك ان الارض يرثها عبادي الصالحون وقوله تعالى وأوردنا الارض نقياً ومن الجنة حيث نشاء فنعمهم أجر الماعلين
 * (بحسب في ذكر خلق السموات وما يتصل به) *

وترتيب الكلام في هذا الجالس أيضاً على جمعة أبواب أقول وهب من منبه كادت الاشياء ان تكون سبعة فاسموات سبع والارضون والجلال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهي السارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سبعة ورمي الجارة سبعة وابواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث في السجن بضع سنين واية آدم ملك، صر سبع سنين وقال الملك اني ارى سبع سنين بقرات سيحان وكرامة الله للهصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد اتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلق من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الى قوله فتبارك الله حسن الخلقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة اشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله تعالى لكم ولا تعلمكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

* (الباب الاول في بدء خلق السموات) *

بروي في الاخبار المشهورة المأثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليم نظرة هبة فصارت مائة ثم نظرا للماء فعلا وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان أى قصد ثم فتحها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

* (الباب الثاني في جواهرها واجناسها) *

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا وج مكشوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس وال خامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

* (الباب الثالث في هيئتها وحدودها) *

قال الله تعالى ولله خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثالثة بالثالثة وكذلك الى السابعة والساابعة بالمرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أني هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون قال فيم أنتم تفكرون قالوا تفكر في الخالق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة وتفكروا في ان الله خلق السموات سبعاً والارضين سبعاً ونحت كل ارض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام ونحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء بين خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

* (الباب الرابع في أسماؤها وألقابها) *

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا يباح والثانية ويقال الثالثة رقيق والرابعة فيلون والخامسة طفطاف والسادسة سمساق والسابعة اسجاقاقل وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فسمية أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظاً والطرأيق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطريق قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقاً والشداد قال الله تعالى وبينا فوقكم سبعاً شدادا

سبحها وحلفت برها وصور باب الملى قبرها رحمة الله تعالى عليها ونقمنا بها في الدنيا والاخرة آمين (رحمى عندنا رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت من بلدى على عادتي الى سياحتي طالبا مكة من غير ركب ولا قافلة فتفت عن الطريق فبينما أنا متجدي ان انا براهب نصراني قد اقبل على واعترضني في الطريق ثم قال لي يا راهب المسلمين هل الى مرافقتك سبيل فقلت له لا امكنك عن مرادك فشدنا ثلاثة أيام لم نستطع فيها بطعام قتال الراهب لآبراهيم يا راهب المسلمين ما تحتاج في أسرا نخبر او قد مضنا الجوع فها ت فوجئت الى الله عز وجل وقلت الهى وسيسيدى ومولاي لا تفضحنى بين يدي عدوى وعدوك قال فما ائمت دعنى حتى نزلت امامانة عليها خبز ولحم وتمر وماء فاكلنا وشربنا ومضينا ثلاثة ايام أخر لم نأكل فيها شيئا فلما اصبحنا ابتردت الراهب وقلت له يا راهب النصراني هات ما عندك قال فتوجه الراهب الى الله عز وجل واذا بمائتين

والرق والفتق قال الله تعالى كانوا رتقا ففتقناهما ولدخان قال الله تعالى ثم استوي الى السماء وهي دخان
(ووري) ان الملائكة قالت يارب لوان السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا لها قال
كنت أمر دابهم من دوابي فتبعهم ما قالت يارب فأين تلك الدابة قال في مرج من مرجي قالت يارب فأين ذلك
المرج قال في علم من علمي قالت الملائكة سبحان ذي الباطن العزى (وفي) ورد عن الضحاك بن مزاحم
الهمالي حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها
وأهلها وسكانها واسماؤها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا أحمد بن
جهمر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحاق بن بشر عن جويري عن
الضحاك ومقاتل قالوا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهي ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام
وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلي واسمها ارقيعا وبينها وبين السماء الثانية
مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقه وامر نازور يوح وعاليهم ذلك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب
والماطر يقول سبحان ذي الملك والمكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام
وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لوقبست شعرة بين
مناكبهم لما انقاست رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والحجوت واسمها اقيديم وخلق الله فيها ملائكة
يقال له حبيب نصفهم من نار ونصفهم من ثلج وبينهم ارقق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول
يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء
الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة دوو اجنحة الملك منهم له
جنانح وله اربعة اجنحة وله ستة اجنحة ووجوه شتى رافعون اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى
الذى لا يموت أبدا صفوف قيام كانهم نبيان مرصوص لوقبست شعرة بين مناكبهم لما انقاست لا يعرف
أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة
عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون القضة البيضاء واسمها افيولون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة
السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التي تليها الى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة
لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام
وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملاك منهم في امر من اموره فينطق الملاك ثم
ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جانبهم من سدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله
الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها اللاحقون
ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم
ركوع وسجود لم يرفوا ابصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قانوا بنالهم عندك حق
عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام
وفيها جند الله الاعظم الاكبر الكبريون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعاليهم ملك جنده سيمون ألف
ملك وكل ملك منهم جنوده سيمون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في اموره الى أهل الدنيا رافعون اصواتهم
بالتسبيح والتسبيح واسمها عاروس وهي من ياقوتة حراء ثم خلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة
عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبع مائة ألف ملك منهم له من الجنود
مثل قطر السماء وتراب الثرى والسيل والزلزل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات وسبع
أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم مائتا واسمها الرقيع وهي من درة بيضاء ومن السماء السابعة

عليها كما كان على الاول
من الخبز والاحصم والتمر
والماء قال ابراهيم فلما
رايت ذلك قالت الراهب
وعزته وجلاله لا آكل
من ذلك ما لم تخبرني فقال
الراهب يا ابراهيم لا تخشيتك
حل نظرك على فعمرت ان
الذى عليه نفسي بحال وقد
ضيمت زمني في اتباع
الضلال فتوسلت الى الله
واعتمدت عليه بكرامتك
لديه ان لا يفضحني منك
فكن ما رايت وقاسم
كما تقول واشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان سيدنا محمدا
رَسُولُ اللهِ قال ابراهيم
فقرحت بذلك فرحمتك بدا
وسرنا حتى دخلنا مكة
شرقا الله تعالى فلما قضينا
ما كان علينا من فرائض
الحج اقمنا بها اياما قلائل
فلما كان بعض الايام
فقدته فقصيت الى الحرم
فوجدته قائما يصلي فلما
احسبني اسرع في صلاته
فلما سلم من الصلاة التفت
الى وقال يا ابراهيم قد آن
قاه الله تعالى فاحفظ حق
مرافقتي لك وصحبتك معك
م شوق شقيقة فأت رحمة الله
عليه قال ابراهيم فتأسفت
عليه اسفا شديدا ثم جهزته
ودفنته فلما كان الليل
رأيتني في المنام وهو في
أحسن صورة وعليه ثياب

الى مكان يقال له مروهنا مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحمة الدرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وانوار شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافقوا صوامعهم بالهابل ينظرون الى العرش لا يطر فون لوان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بر يشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غظاها كغلاظ سبع سموات وسبع ارضين ومن السماء السابعة اليها كباين سبع سموات وسبع ارضين والعرش فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر الانبياء التي خلق الله الاشياء فيها)

روت الرواة ان الله تعالى ابدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق في يوم الخميس ثلاثة اشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في السماء الاولى الاوقات والاعمال وفي الثانية الارزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام ذلك قوله عز وجل فغضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل مائة أمرها الآية

(الباب السادس في ذكر ما بن الله به السموات)

وهي عشرة اشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا واهجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والوكواكب قال الله تعالى اننا زينا السماء الدنيا ببنية الكواكب وهي على ضربين منها معلق كمناليلق المتناديل في المساجد ومنها مركب كتركيب الفص في الخاتم وهي مع كثرتها مختلفة الصور ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب (وفي بعض الاخبار) ما يكون من حيوان في الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفي خلق الكواكب ثلثا * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش (روي) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش مثل جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وان ما بين الغائمة من قوائم العرش والدائمة ثمانية لطفان الطير الممرع ثمانية الف عام وارض يكس كل يوم سبعين الف لون من الزور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحفلة ملفاة في فلاة وار الله ملكا يسمى حزيق ليل ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطره خطره بل يقدر أن ينظر الى العرش فراده الله تعالى في الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ قائمه من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الاجنحة والقوة وأمره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة فلم يبلغ رأس قائمه من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليها الملك لو طرت الى ان ينفخ في الصور مع اجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشى فقال الملك سبحان ربى الاعلى فانزل الله سبحانه وتعالى وسبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم (وقال) كتب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيئا اعظم منى فاعترفوا لله بحمده فاسبعون الف جناح في كل جناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف انسان يخرج من افواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد ايام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالمرش الى نصف الحية وهي ملتوية به * والكرسى قال الله تعالى وسبع كرسية السموات والارض (وروي) علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكرسى اقفاؤه طولها حيث لا يملها العالمون وقد جعل الله آية الكرسى أمانا لا اله الايمان من شر الشيطان (وروي) اسمعيل بن مسلم عن

فقلت له ألسنت صاحبي بالامس قال نعم ففرحت بذلك فرحاً شديداً قلت له ما فعل الله بك قال يا ابراهيم أنت به بذنوب كثيرة فجداها عني لحسن ظني به وجعلني كما صححتك في الدنيا جارك في الآخرة رضى الله تعالى عنه رفته نابه (وروي) ان غلاما كان لجمعة الصادق رضى الله عنه صب الماء على يدي سيده ومانه الايام فسقط الماء من يده في الطشت فطار الماء على ثوبه فظفر اليه نظرة منكورة فقال السلام يا مولاي والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظي فقال السلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال السلام والله يحب الحسنيين قال جعفر اذهب فانت حر لوجه الله تعالى ولك الف دينار من مالي وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم (وحكى عن بعضهم رضى الله عنه وفتعنا به) * قال رأيت بعض المذنبين في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال وزنت حسنة ثنى وسبائة فرحجت سبائة على جسدى فصرمت متحيرة فبينما انا كذلك ان وقعت

صرة من السماء سقطت

في كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان ههنا حبة من خردل أتيناها وكفى بنا حاسبين قال ثم حملت الصرة فاذا فيها كف من تراب كنت القيتة في قدير مسلم فغفر الله لي بذلك وادخلني الجنة فانظر الي كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده (وحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه) ان ملكا ببني دارا واحسن بناءها وزينها وصنع فيها طاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج ويقولون هل رأيتم عينا فيقولون لا وهم لا يفتنون أحدا من الدخول حتى جاء أناس في آخر الناس عليهم مرقات فلما دخلوا واكلا من تلك الوثيمة تلقتهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عينا فقالوا نعم رأينا عيين اثنين قال فخبسوه ورجعوا للملك فآخه - بروه بما قال هؤلاء فقال الملك ما كنت ارضي بعيب واحد فكيف ارضي بعينين ثم قال أتوتني بهم فاحضروهم بين يديه وسألهم عن العيين ماها فقالوا تخرب الدار

أبى المتوكل الناجي عن أبي هريرة رضى الله عنه انه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمرة قد اخذتمته مل الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد اخذتمته مثل ذلك فذكر ذلك ابوهريرة رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ابصر ك ان تأخذ قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخر لك الحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عبد الله انت صاحب القفل قال نعم ثم قال لا اعود ما كنت اخذت منه الا لاهل بيت فقرأ من الجن فتركا ثم عاد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابصر ك ان تأخذ قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل سبحان من سخر لك الحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عبد الله ابصر ك اعدا عهدي اني لا اعود فقال دعني هذه المرة فاني لا اعود فتركا ثم عاد فاخذته الثالثة فقال ابصر ك اعدا عهدي اني لا اعود لا ادعك اليوم حتى اذهب بك الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كما نادا قلمها لم يقر بك احد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فهاهي قال لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركا فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك ابوهريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذيان كذلك صدق الخبيث * والروح والقلم قال الله تعالى وكل شيء احصيناه في امام بين و قال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال ابن عباس ان ما خلق الله تعالى لوحا محنوظا من درة بيضاء دفناه من باقوة حمراء كئنا به نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثمانية وستين نظرة منها يحاق وبرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن (و يروى) ان اول ما خلق الله القلم فظهر اليه نظرة هيبية وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال كتب فذل يارب وما كتب قال كتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له لاجر بما هو وكان الي يوم القيمة (و يوحى) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده ممعوما فقال له روح عني يا ابن الزيات فاشد يقول

الهم فضل والقضاء غالب * وكأن ما خط في اللوح

فلتمس الروح وأسبابه * أيا س ما كنت من الروح

والبيت الممور (روى) الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور ويحيط الكعبة وان في السماء اسما بعة بحرام نور يمال اليه الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فيتمس فيه انعاما ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون الف قطرة من نور فيخاق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصهلون فيه فيأمنونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة اصلها ثبت في الجنة وعريتها تحت الكرسي واغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل ورقة منها تغزل امة من الامم بنشأها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من دخل الجنة حتى لا يموت ومنهم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال ابنة من ذهب وابنة من فضة بلا طها مسك زعفران وحصباءؤها لاؤاف والياقوت ونزاجها الزعفران (و يروى) بحاء هـ عن مسروق عن أنس ذكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء اطمت وحق لها ان تظلم ليس منها موضع ارفع اصابع الاوفيه ملك ساجدا وراكع اقام ثم او قاعد

ويعت صاحبا فقال
الملك هل تعرفون دارا
لا تخرب ولا يموت
صاحبها فقالوا نعم فقال
الملك فاين ذكروا له الجنة
ونعيمها وشوقه اليها
وذكروا له النار وخوفه
منها ودعوه الى عبادة الله
تعالى فاجابهم الى ذلك
وخرج من ملكه هاربا
تائبا الى الله تعالى نساه
تعالى التوبة والمغفرة
(وحكى عن بعضهم رضى
الله تعالى عنه) ونفعا به
قال كان لى أخ في الله تعالى
وكان من الاولياء وكان
رجلا جميلا حسن الخلق
طيب الحديث وكان له زوجة
من اهل الخير والصالح
وكانت على قدمه فكانا
يشغلان في صنعة
المراوح والاطباق فكانت
اوده وأزوره وأنس منه
الدعاء فكانت كلما دخلت
بيته فوجدت عنده
ريشاً من ريش الطيور
العاتية مثل الغنقاء والنسر
والعقاب والظاوس
على سائر الجنوس الجبيلة
يشغل بذلك الریش
صنعة المراوح فكانت
اتعجب من ذلك فقلت له
يا أخى من اينك بهذا
الريش مع قلة خروجك
للجبال والادوية فقال
يا أخى ان الله سبحانه
وتعالى سخر لى ملكا

يذكر الله تعالى لونهما لون ما علم لصحتكم قليلا ولبيكن كثير او لخرجنى الى صحراء تتجرون الى الله تعالى

*) (الباب السابع في ذكر ما لها وآخرها) *

اعلم ان الله تعالى وعد الممياء بسبعة اشياء احدها ما اورق الله تعالى يوم تمور السماء مورا بمعنى تدور كدوران
الرحا من هول يوم القيامة والثاني اخبر انها تصير كالملح فقال تعالى يوم تكون السماء كالملح يعني ردى
الزيت والثاني اخبر انها تصير وردة كالداهان قال الله تعالى فاذا اشقت السماء فكانت وردة كالدهان
والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت
والسابع المنظر به والانفطار ا كثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت
والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أى نزعته من مكانها وطويت طيات قال الله تعالى يوم
نطوى السماء كطى السجل للكتب الآية واحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذى السما * فليس سواه له مضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

*) (بحسب في ذكر خاق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبداهتهما وما دها) *

وهو ما اخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الفقيه الامين بقراءته عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين
وثلاثة ائمة قال اخبرني ابو حامد احمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف
السلمي قال حدثنا ابو عصمة يحيى بن أبي مريم الخراساني قال انبا نأما قال عن عكرمة عن ابن عباس رضى
الله عنهم قال بينهما مجالس ذات يوم من الابل ان انا رجل فقال يا ابن عباس انى سمعت العجيب من كعب
الاحبار اريد كرفي الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتمى ثم قال وماذا قال قال زعم كعب الاحبار انه
يحياه بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما نوران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس
شظية ووقت اخري غضبا ثم قال كذب كعب الاحبار قاله ثلاثا بل هذه هدية يريدها خالها في الاسلام
والله تعالى اكرم واجل من ان يعذب اهل طاعته ا لم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعنى
دأبهما في طاعته فكيف يعذب عبيد ائمتي عليهم السلام ما ادبانا في طاعته قاتل الله هذا الخبر وقبح حديثه
ما أجراه على الله وأعظم فريته على هذين العبدین المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من
الارض فجعل ينكت به في الارض وظل كذلك ماشاء الله ثم انرفع رأسه ورعى بالعود وقال الاحاديثكم
بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبد خلقهما ومصير امرهما قلنا
بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما اتفق خلقه
احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمس من نور عرشه فاما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يدعو شمساً فانه
خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله ان يطمسها ويحولها قرا فانه خلقها
دون الشمس في العظم ولكن اعا يري صفرها من شدة ارتفاع السماء وما بداهة ان الارض فلو ترك الله تعالى
الشمس كما كان بدأ الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الاجري متى يعمل ولا متى
ياخذ اجرة ولا يدري الصائم الى متى يصوم ولا متى يضر ولا يدري المرأة كيف تمتد ولا يدري المسلمون
متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدري المديون متى يحل دينهم ولا يدري الناس متى يزرعون
ومتى يسكنون راحلة لا بدانهم وكان الله انظر اعباده ورحمهم فارس جبريل عليه السلام قام رجلا حه
على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عند الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي في جوف القمر مثل

من الملائكة يا ميني بذلك
 في كل جمعة لاجل الممونة
 على القوت فلما كان في
 بعض الايام فقدته ففضت
 اليه في بعض الاسواق
 التي كان يبيع فيها المراوح
 فلم اجده ففضت الى داره
 وطرقت الباب فخرجت
 زوجته وقالت من بالباب
 فقلت لها فلان اخو
 زوجك يريد العشاء
 عنه هل هو غائب ام
 ضميم فقلت يا سيدي
 انه مقيم الا انه مشغول
 بذكر ربه عز وجل
 فقلت لها اني احب ان اراه
 فاني مشتاق اليه فضمت
 وعادت الى وقالت
 ادخل فدخلت اليه
 فرأيت في بيت ميني له
 للمعبادة وعليه اوار
 السعادة فلما رآني قام الى
 واعتنقني وسلم على سلام
 الخمين ثم جلسنا وتحدثنا
 ساعة فبينما نحن في
 الحديث اذ بعثت امة
 وضمت بين ايدينا فيها
 من جميع الالوان فاكلنا
 من تلك المائدة فلما رفعت
 اذ ابعدت من ماء قد وضع
 بين ايدينا فشربنا منه فما
 اكلت احسن من ذلك
 الطعام ولا احلى من ذلك
 الماء فرفعت ان ذلك
 الطعام والماء من الجنة ثم
 سأته بمد ذلك عن سبب
 امتناعه عن الخروج الى

الخطوط فيه انما هو اثر الحوتم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها
 ثمانية وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثمانية وستون من الملائكة من اهل سماء الدنيا قد تعلق كل
 منهم بعروة من تلك العرا وخفي الله تعالى مشارق ومقارب في اقطار الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين
 في المشرق من طينة سوداء ثمانين ومائة عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلي القدر اذا
 ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعني حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع
 جديد ومغرب جديد ما بين اولها مطلعها او اولها مغربها بطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعها مشرقا
 ومغربا ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها ههنا واولها
 ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جهماء بذلك فقال رب المشارق والمغرب فذلك عدة تلك
 العيون كلها ثم خلق الله تعالى بمرادون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكثوف قائم في الهواء باذن
 الله تعالى لا ينظر منه قطرة ولا نجوم كلها كنية في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في
 الهواء مستوكا به جبل محدود ما بين المشرق والمغرب يحرق الشمس القمر والحسن في سرعة دوران الرحا
 من احوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى كل في فلك يسبحون والملك في دوران العجلة
 في لجة غمرة ما ذلك البحر والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شيء
 على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتن به اهل الارض حتى
 يمدونه من دون الله تعالى لاناشاء الله ان يصممه من اوليائه واهل طاعته قال ابن عباس رضي الله عنه قال
 علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا ائت وامي يا رسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد
 أقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ما كان ذكره اليوم فبالخنس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب
 الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة اطالعات
 الجارات مع الشمس والقمر في الفلك واماسائر الكواكب فكما هم مغلفات في العماكة تليق القاديل في
 المساجد وهي تدور مع السماء ودورانها بالتسميع والتفديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
 وان احببت ان تسميتينوا ذلك فاطفروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تسميتينوا الفلك فجرة
 وياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى
 هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من احوال
 يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تورد السماء مورا يعني تدور دورانها وتسير الجبال سيرافاذا طلعت الشمس
 فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجائتها ومعها ثمانية وستون ملكا تسمى اجنتهم يجرون في الفلك
 بالتسميع والتفديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والنمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطل
 والنصر في الشتاء كان ذلك اوفي الصيف او ما بينهما من الحر يرف والريبع فاذا احب الله ان يبتلي القمر
 والشمس ويرى العباد آية من الايات يستعملهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس
 عن العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ما ذلك البحر وهو الفلك فاذا اراد الله تعالى ان
 ينظم لك الآيات يشد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلابقى على العجلة شيء منها فذلك حين ينظم
 النهار وتبدل النجوم وذلك هو المنتهي من كسوفها فاذا اراد الله ان يجعل آية دون آية وقع النصف منها الرامات
 او اثنتان في ايام ويقتي سائر ذلك على العجلة وهو كسوفه ذلك كسوف اجلاء الشمس والقمر وذلك نحو يرف
 للعبان واستتاب من الله تعالى فاني ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على
 الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجبرها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها

تسببه فتبسم وقال يا خنى
وقم لي حكمة عظيمة
فقلت وما هي فقال
خرجت يومالبيع المراح
على عاتق فضيت الى
اسواق بغداد فلم يفتح على
بشيء ولم يكن عندنا شيء
من الفسوت فخرجت
ومضيت الى بعض
الحارات حتى انتهيت الى
حارة ليمض الوزراء فبينما
انا ما بها اذا بامرأة جالسة
في قصر عال مشيد الاركان
فلما رايتني ارسلت الى
جارية من بعض جوارها
كانها اقطة من جبل فلما
اقبلت على لم تهاني دون
ان احتملتي فلم اشعر
بنفسي الا واناني وسط
الدار فاحتملتي الجواري
ثانيا الى ذلك القصر فاغشى
على ناله افقت نظرت الى
سرى من عاج مرصع
بالواقيت مزين بأنواع
لذهب والفضة فدهشت
من ذلك اذا بامرأة قد
اقبلت على كانها من
الخور السنين وعليها من
الحلى والحلل ما لا أقدرا
أصفه فلما دنت مني
أغمضت بصري عنها
فقلت مرحبا بك ضيافة
ثلاثة ايام فتعيرت عند
كلما حيرة شديدة ادم
اجدلى مخلصا اتخلص به
منها فقلت لها لا بد من ذلك
فقلت نعم فقلت لها يكون

في الفلك على مقدار ساعات النهار واساعات الليل لئلا كان انهارا الكيل لا يزيد في طولها شيء وقد اهلهم الله
تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك
السواد الذي يملوه فهو من عمر ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا خرجوها كلها اجتمعت
الملائكة كلها فاحتملوا حتى يضموا على العجلة وذلك حين تتجلى للعالم حتى يحمده الله تعالى على ما قوام
لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجرها باذن الله تعالى في لحظة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب
ادخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من افو السماء في المين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجيبت من خلق
الله وما بين من القدرة فبالمخاق أعجبته منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لاسارة العجيبين من امر
الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احدهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة
آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التي بالمشرق من بقايا اعداء من نسل
مؤمنهم الذين كانوا آمنوا به وعلية السلام واسمها بالعربانية رقيشا وبالعبرانية جابلق واسم المدينة التي
بالمغرب بالعربانية برجيسا وبالعبرانية جابرسانبوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف
رجل في الحراسة عليهم السلاح وهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور
والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج اصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين
تطلع وحين تغرب من ورائهم ثلاث ام لا يعلم عدد دم الله تعالى وهم منشك ونارس وتاول ومن ورائهم
يا جوج وما جوج وان جبريل عليه السلام انطلق في اليوم ليلة أسرى في الى السماء فدعوت يا جوج
وما جوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في الاربع من عصي الله من ولد آدم وولدا بليس
ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا بانهم اخوانا في الدين
من أحسن منهم فهم من الحسين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق في الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين
الله وعبادته فابوا على وكفرو بالله وكذبوا برسله فهم مع يا جوج وما جوج وساء لهم من عصي الله تعالى في النار
فاذا ما غربت الشمس رفعها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش تستأذن
من أين تومر بالطلوع من مغربها أم من مطالها وتكسي ضوءا وان كان القمر رفورا على قدر ساعات الليل
والنهار ثم يطابق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فينحدر
حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر القجرع الصبح فاذا انحدرت
من بعض تلك العيون فذلك حين يضى الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضى النهار
فذلك مطالها ومغارها ما بين وألها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام ستة اشهر ثم اذا
رجعت كذلك من عين الى عين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها
ثمانية وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضه على البحر السابعة مقدار عدة الليالي في
الدنيا منذ خلقه الله تعالى الى يوم تنصرف فاذا كان عند غروب الشمس اقبل ملك من الملائكة الذين قد
وكروا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال
أصابه قليلا قليلا وهو يرعى الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيبذل ان اقطار
الارض وكفى السماء وبحارها ما شاء الله خارجا في الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح
والتمجيد حتى يبلغ غرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم
يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكف يده ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناولها من
الحجاب بالمشرق ثم يضمها عند المغرب على البحر السابعة من هنالك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى

المشرق إلى المغرب فإذا انفتح في الصور انقضت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والهيك كذلك من مظلمة إلى مفر بها إلى ارتفاعها إلى السماء السابعة إلى محبسها تحت الأرض حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر الممات في الأرض وبذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويشوق المنكر فلا ينهي عنه أحد فإذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يحبسها مدة ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة إلا الله جل جلاله وفي الأرض وهم يومئذ عاصبة قليلة في الأرض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فيأثم أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينأى قلبها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاته فيصلي وردة ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر إلى السماء فإذا هو بالليل مكاه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيه الظنون ويقول أخففت قراءتي أم قصرت صلاتي أم قت قبل حين قال ثم يقول فيمودالي مصلاته فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فإذا هو بالليل مكانه فيز يده ذلك انكساراً ويحاطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت صلاتي وأخففت قراءتي أو قت في أول الليل ثم يود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضاً مثل وردة كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج إلى السماء فإذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها من أول الليل فيشتق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضاً وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المنهجون من أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجدهم من مساجدهم يجأرون إلى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فإذا ماتهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام إليهما فيقول لهما إن الرب تعالى بأمر كان يرجمكما إلى مفر بكما فظلما منه لا وضوء لكما عندنا ولا نور في مكان عند ذلك وجسلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاه يسمعه أهل السبع سموات ومن دونهما أهل سرادقات العرش ومن فوقهم فيكون جميع البكائين لما لا حظ لهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مفرهما قال فيبين المنهجون فيكونون ويصرعون إلى الله تعالى والنافلو في غفلتهم إذا نادى مناد ألا إن الشمس والقمر قد ظلما من مفرهما فينظر الناس فإذا هم بالوردان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى إذا الشمس كورت غير نفعاً من ذلك مثل البعيرين القرنين يتنازع كل واحد منهما صاحبه استباحا فارتصاخ أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها والأحبة عن غرات فؤادها فاشتغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكأومهم يومئذ يكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حمرة فاذا بلغ الشمس والقمر رسرة السماء وهي منتصفهما جاءهم جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونها ويردها إلى المغرب فلا يفر من مفرهما من تلك الايام ولكن يفر بها من باب التوبة فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بالالتوبة خلف المغرب له مصرعان من ذهب مكال بالدر والجوهر ما بين المصراع إلى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالأصل وإسالة الدنيا فليحذر اه مصححه

ذلك بعد أن أوصى في أعلى ذلك القصر وأرجع فقال اناداك على بيت الماء فاضاه حاجتك وأخذ منك بنفسى فمات لا يمكن ذلك إلا أن اتوصل إلى أعلى ذلك القصر ثم غلبت عليها بالحيلة فقامت وأرشدتني إلى باب مغلق يتوصل منه إلى أعلاه ثم فوجته وقالت امض ولا تقب عني فصعدت مسرعاً إلى أعلاه ونظرت إلى الأرض فرأتها بعيدة فرفعت بصري إلى السماء وقالت سيدى لا تخنى عليك أمرى الموت ولا مصيبتك ثم هان على الوقوع من أعلى ذلك القصر فأقيمت تقسى إلى الأرض فأرسل الله تعالى إلى ملك من الملائكة فاحملنى على جناحه فلم أشعر بنفسى إلا وأنا على باب دارى فحمدت الله تعالى على ذلك وأخبرت زوجتى فسجدت شكراً لله تعالى ثم عاهدت الله أن لا أخرج من بيتى حتى أموت فبذل أحد بنى أخى قال فيخرجت من عنده متعجبا وقرأت هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزق من حيث لا يحتسب وصار على ذلك الحل حتى مات رحمه الله تعالى وتوفاه

(و) حكى عن الامام ابن

عنه انه قال حجبت
سنة من السنين الى بيت
لله الحرام وزيارة النبي عليه
الصلاة والسلام في بيتنا اناني
الطريق اذ سمعت صوتا
موزونا يخرج من كبد
محزون قال الجنيذ
في بادرت الى ذلك الصوت
حتى اذ كنت في بسلام كلفني
فلما رايتي قال مرحبا بك
يا أبا القاسم قال فحجبت
منه عجباً شديداً وقلت له
حبيبي ومن اعلمك باسمي
ولم ترني
قبل ذلك فقال التقت
روحى وروحك في
الملوكوت فاعلمني باسمك
الحبي الذي لا يموت ثم قال
بالله عليك يا جنيذ اذا أنا
مت ففلسني وكفني في
ثيابي هذه واطلع على هذه
الراية وناد الصلوة على هذا
الغريب برحمتك الله قال
الجنيذ ثم ان الشاب عرق
منه العجين واشتد به
الانين ثم قال بالله عليك
يا جنيذ اذ قضيت حاجتك
ورجعت فاقصد بغداد
واسأل عن درب الزعفران
واسأل عن والدتي وعن
ولدي وقل لهما أنت
الغريب يقرنكما السلام
ثم شوق شهوة فمات رحمة
الله تعالى عليه قال الجنيذ
فتأسفت عليه أسفا
شديداً ثم غسلته وكفنته

الشمس والقمر من مغربهما ولم يبق عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم
الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم رفع الى الله تعالى فقال مما بين جبل بأني انت وأمي يا رسول الله
وما التوبة النصوح قال ان يندم العبد على الذنب الذي اصاب فيه منذ الى الله تعالى لم لا يعود اليه كالا يعود
الان الى الضرع قال فيرهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم رد المصراعين ثم يثمن ما بينهما فيصير
كما بهلم بك فيما بينهما صمد عظم واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في
الاسلام الا من كان قبل ذلك حسنا فانه يحرق عليه ما كان يحرق عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم
يا بني بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ائمانها الا نكت من قبيل او كبت في ايمانها خيرا فقال أبي بن
كعب بأني أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبا
ان الشمس والقمر يكسان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغر بان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم
مع ما راها من فظاعة تلك الآفة وعظما ما راها من على الدنيا فيحرقون فيها الا بها و يفسرون فيها الاشجار
ويبنون فيها البيدان واما الدنيا فلو تبيح للرجل منهم فيها مهر لم يركه حتى تقوم الساعة لذ من طلوع الشمس
من مغربها الى ان ينفخ في الصور فقال حد يفة جداني الله فداك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور
قال يا حد يفة والذي نفسي بيده لينفخ في الصور ولتقوم الساعة والرجل قد لا طوحه ولا شرع فيه الماء
ولتقوم الساعة وقد اخذ ابن لفتحته من تحتها فلا ينشر برادة ومن الساعة وثوب بين الرجلين فلا ينشرا به
ولا يطو يانه ولا يبيمانه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع الله في يده فلا يطعمهم ثم تلا هذه الآية ولما بينهم
بغته وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين اهل الدارين وميز بين الفريقين اهل الجنة والنار
وقبل ان يدخلوها يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما اسود بن لانور لهما مكدر بن قدومهما في
الزلزال والبالا يفرانصهما ترعد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن تخافة الرحمن تعالى فاذا انا هذا
العرش خراسا جدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأ بناف طاعتك وسرعتنا للمضي في
امرك أيام الدنيا فلا تمنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انان ندعهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك
فيقول الله تعالى صدقنا اني قد قضيت على نفسي ان ابدى وأعيداني معيد كما الى ما بدا لكما منه فارجا الى
ما خلفتكما منه فيقولان ربنا ما خلفتنا فيقول خلفتكما من نور عرشى فارجعا اليه فيجمع من كل واحد منهما
برقة تكاد تحطف الابصار نوراً فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدى ويعدى قال عكرمة فتمت مع
النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من مر الشمس والقمر حتى اتدناه فاخبرناه بنضاب ابن عباس وما
وجدوه من حديثه وما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ما بين مبدئهما الى ما عداهما فقال كعب
الاحبار اني حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدي وابن عباس حدثت عن كتاب حديث
الهمداني عن رجل جليله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال
بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وانى استغفر الله من ذلك مع اني لم اتقوله من تلقاء نفسي ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان
فيه من تديل الكفار واليهود وانت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث الهمداني عن ناسخ للكتب وعن
سيد المرسلين وأنا أحب ان تحذرتي بما حدثت به احبا بك من حديث الشمس والقمر فاحفظ عنك الحديث
فاذا حدثت بشئ من امر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كانت هذا الحديث
الذي تحذرتي به مكان حديثي الاول قال عكرمة فوالله لقد اعدا علي ابن عباس الحديث وانى لاستغفره في
قلبي بابا باغازا شياً ولا نقص شياً ولا قدم ولا أخر فاذني ذلك في ابن عباس رغبة لاجدث حفظا والله

وباديت الصلاة على
 الغريب يرحمك الله قال
 الجنيدي وإذا بجامعة قد
 أقبلوا من كل فجح عميق
 كأنهم البذور فصلبتا عليه
 ودفناه وانصرفت متحسرة
 عليه فلما قضيت حجي
 رجعت الى بغداد ثم سألت
 عن ذلك الدرب فأرشدت
 اليه فلما دخلت الدرب
 نظرت فإذا بصبيان يلعبون
 في الزقاق فنفض من بينهم
 غلام صغير السن حسن
 الوجه فصيح اللسان فقال
 يا أبا القاسم لك جئت
 تخبرني بموت والدي قال
 الجنيدي فذهبت من كلام
 السلام على صغر سنه
 ومكاشفته ثم سلم على
 واخذني يدى واتى الى باب
 دار وطرق الباب فخرجت
 لي عجوز عليها سماء الخدير
 والصلاح فسلمت على وهي
 باكية العين حزينة القلب
 ثم قالت يا جنيدي ابن مات
 ولدى وقرة عيني فلهله
 مات بعرفة فقلت لها لا
 فقلت لها لا فقلت لها لا
 مات بالمزدلفة فقلت لها لا
 فقلت لها لا مات بالبادية
 تحت شجرة غيلان فقلت
 لها نعم قال فصاحت صيحة
 عظيمة وقالت يا ولدا لا الى
 بيته أوصله ولا معنا تركه
 ثم شبت شقة فارقت

اعلم * (بحسب في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة) *

(الباب الاول في ذكر جوده الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام) قال الحكماء خالق الله تعالى الخلق ليظهر
 وجوده ولو لم يخلق لما عرف انه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتعقبة بالحكمة لانه لا تأنى الا
 من قادر وحكيم لا يعبد قاته بحب عبادة العبادين ويهديهم عليه على قدر فضله لا على قدر أفضالهم وان كان غنيا
 عن عبادة خائنه لا تزني في ملكه طاعة المايمين ولا تنقص من ملكه بمصيبة الا حين قال الله تعالى وما خلقت
 الجن والانس الا ليعبدون وايظهر احد انه لا نه تحسن في وجودهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيما مل بعضا
 بالعدل وبعضا بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة قال عز وجل وكان بالؤمنين رحيمًا قال تعالى ولا يزالون
 تحت ظلي الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الضحاك بن مزاحم اي للرحمة خلقهم وليحمدوه
 لانه يحب الحمد (و يروى) ان آدم عليه السلام لما خلقة الله تعالى وعرض عليه ذريته ووجد فيهم الصحيح
 والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يا رب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى اني أحب ان
 أشكر (قال) ابوالحسن القتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للبرة وخلقك لله عند قال تعالى
 الله الذي خلقهم ثم زرعهم فيهم ثم يحييهم (قال العلماء) خلقهم لاظهار القدرة ثم زرعهم لاظهار الكرم ثم
 يمتكهم لاظهار الفهم والجبروت ثم يحييهم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق
 الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم * عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال اوحى الله
 تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر امتك أن يؤاياه فلو لا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا
 النار ولا قد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكسبت عليه لاله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم
 لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى انما خلقناكم عبداً وانك الينا
 لاترجعون وقال علي بن طالب رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فخلق آدم وعاء فيه علم ولا أهمل سدى
 فيلن * وقال الاوزاعي بلغني ان في السماء ملكا ينادي كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا لبيتهم اذ خلقوا عرفوا
 ما خلقوا له وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا عاموا ماذا خلقوا له وجلسوا فندوا كروا ماذا عملوا وكان
 ابو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته الهى غيبت عني أجلي وأحسيت على عملي ولا أدري الى اي الدارين
 منقلبى لقد اوقفتني وقفة الحزوين ابدما بقيتي (وقال) ابوالقاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ان آدم بين
 البلوي والبلوي والبلوي (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك في الدارين ربك حالف
 لاملان جهنم من الجنة وانباس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبذرتك لا غوينهم أجمعين الاعبادك
 منهم الخالصين وأنت يا مسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح ساه لاه والله اعلم

* (الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصنفته) *

قال المنصورون بالفاظ مختلفة وهما من متفق ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله
 الى الارض اني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن
 عصاني أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما اتاها جبريل
 ليقبض منها القبضة قالت له الارض اني أعوذ بعزة الله الذي أرسلاك أن تأخذ مني شيئا يكون فيه غدا
 للناصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربهم ولم يأخذ منها شيئا وقال يا رب استمأزت بك فكرهت
 أن أقدم عليها فامر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستمأزت بالله ان يأخذ منها شيئا
 فرجع الى ربهم ولم يأخذ منها شيئا فبعث الله تعالى ملك الموت فأتى الارض فاستمأزت بالله أن يأخذ منها

شيأ فقال ملك الموت واني أعوذ بالله أن أعصي له أمراً فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها
 الأعلى ومن سبختها وطينها وأجرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم
 الطيب والخبث والصالح والطالح والجيل والجيل والقبيل والقبيل ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى
 ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السندك وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى
 فأمره أن يحملها طينا ويخمرها فوجئها بالماء المر والعذب والمالح حتى جاءها طينا وخمرها فلذلك
 اختلفت اخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأته بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها
 ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المرفين الكروبيين
 وملائكة الصفح الأعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بيضاء نقية
 فوجئت عاتقها وعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست في انهار الجنة كلها فلما خرجت من
 الانهار انظرا الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرّة الطاهرة فأنفضت من خشية الله تعالى فغطرت منها مائة ألف
 قطرة واربعه وعشرون الف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله
 على نبينا وعليهم من نوره خلّوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والأرض فعرقت الملائكة
 حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل أن تعرف آدم ثم بعثها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم ركبها أربعين
 سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم ركبها أربعين سنة حتى صارت صلصلا كالخمار وهو الطين اليابس
 الذي انما ضرب به يده صلصل أي صوت ايماء امره بالصنع واقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس
 لا ينفذ ولا يتأني تصوره ثم جعله جسدا ولفاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتعود منه
 أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم
 والحين أربعون سنة كان آدم جسدا لم يلق على باب الجنة وفي صحيح الترمذي بالاسناد عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في تفسير اول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل
 والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الأرض وسأل عبد الله بن سلام رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلقني من راس آدم وجهه من راس الكعبة وصدرة
 ظهره من بيت المقدس وخصيه من أرض اليمن وساقه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز و يده
 اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم خلقني على باب الجنة فكلمني عليه السلام من الملائكة
 عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فرب به ابليس فرأ فقال
 لا امر ما خلقت ثم ضرب به يده فاذا هو اجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لصحابه الذين معه من
 الملائكة هذا خلق اجوف لا يثبت ولا يتناك ثم قال لهم اراهم ان فضل هذا عليكم فما أتم فاعلموا قالوا
 نطبع ربنا فقال ابليس في نفسه والله اني فضل هذا على اعصمته وان فضلت عليه لا يمكنه فذلك قوله
 تعالى وإعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأمر ابليس من العصية وقوله
 تعالى الا ابليس ابني واستكبر وكان من الكافرين * وفي الخبر ان جسدا من عليه الصلاة والسلام كان ملقى
 أربعين سنة يطر عليه طرا الحزن ثم أمطر عليه السمور سنة واحدة فذلك كثرت الهدوم في اولاده وتصير
 غاقبتا الى القرح والراحة * وانشدنا في هذا المعنى أبو عوانة المهرجاني

يقولون ان الدهر بومان كله * فيوم محبتات ويوم مكاره
 وما صدقوا قالدهر يوم محبة * وايام مكروه كثير البداه
 وانشدني ابن الاعرابي فقال

روح الدنارحة لله عيلا
 قال الجنيد فظفر الغلام
 الى السماء وقال الهى
 وسدي ومولاى لامع
 أبى اخذتني ولا مع جدني
 خلفتني اللهم بهما الحقني
 ثم شيق شقيقة فبات رحمة
 الله تعالى عليهم أجمعين
 * قل الجنيد فاخذت
 في غسلها وتجهيزها
 ودفعها رحمة الله عليها
 والمسلمين (وحكى عن
 المرمى السقطي رحمه الله
 تعالى وقدمابه) قال كنت
 جالسا ببيت المقدس سنة
 من السنين عند الصخرة
 وكان ذلك في أيام العشر
 وأنا متحسر حزينا على
 التخلف عن الحج في تلك
 السنة وقلت في نفسي ان
 الناس قد توجهوا الى مكة
 ولم يبق الا ايام قلائد وأنا
 ههنا مقسم قال المرمى
 فبكيت على فواتي وتخلفتي
 عن الحج في تلك السنة
 فسمعت هاتفا يقول
 يا مرمى لا تبك فان الله
 سبحانه وتعالى يبعث لك
 من يوصلك الى الحج في
 هذا الساعة قال المرمى
 فقلت كيف يكون ذلك
 وقد بقي ايام قلائد وأنا
 مقم ببيت المقدس بعيد
 عن مكة فقال الهاتف ثانيا
 لا تخف فان الملك القدير
 يسهل عليك المسير قال
 المرمى فسيادت شكرا

محسن الزمان كثيرة لا تنفضي * وسروره ياتيك بالملكات
وانشدني ابو بكر الصولي لابن المعز
أي شيء يكون اعجب من ذا * لوتفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تسكال بالافزاع
* (الباب الثالث في صفته نفخ الروح) *

قال العلماء فلما اراد الله ان ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمره أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد
الفر مغال المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة إلى أن قال في الرابعة ادخلي كرها
واخرجي كرها فلما أمره الله تعالى بذلك دخلت في فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت
فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت في عينيه * والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يري آدم بعده خلقه واصله
حتى إذا تابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا الهيج بنفسه ثم نزلت في خياشيمه عطس فحين فراغه
من عطاسة نزلت الروح إلى فيه ولسانه فلفته الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى
على لسانه فاجابه به عز وجل فقال برحمتك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سمعت رجلي غضبي ثم نزلت
الروح إلى صدره وشراسيفه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الإنسان عبيداً لقوله
تعالى خالق الإنسان من عجل فلما وصلت الروح إلى جوفه اشتبه الطعام في أول حرص دخل جوف
آدم عليه الصلاة والسلام * وفي بعض الاخبار أن آدم عليه السلام لما قال له برحمتك ربك يا آدم مد يده
ووضعه على رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال أني ذنبت ذنباً فقال من ابن عامت ذلك فقال
لأن الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده إذا أصاب احدكم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه
وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله فصار لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وعصفاً ثم كساه الله تعالى لباساً
من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسناً فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد وبقيت منه بقية في أناله ليتذكر
به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النمر
يأق الحوت في البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء
النمر إلى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقاً فلو رأيت اليوم شيئاً ليزناني من وكري ولخرجك من البحر
فلما أنم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشقه وصوره وختمه ومنطقه وألبسه
من لباس الجنة وزينه بأنواع الزينة يخرج من ناياه نور كشمع الشمس ونور بينا نخل صلى الله عليه وسلم
في جبينه كالنمر ليلة البدر ثم رفعه على سريره وحمله على كتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سمواتي ليري
عجائبها وما فيها فيزداد يقيناً فقالت الملائكة ليكر بناسه منا وأطعنا خلقه الملائكة على اعناقهم وأطاعت
به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شيء من آياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسان المسك الأذفر
يقال له الميمون له جناحان من الدر والخواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل أخذ بجناحه وميكائيل
عن يمينه واسرافيل عن شماله وطفوا به بالسموات كما هو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله يتقون وعليكم
السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يادم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم إلى يوم القيامة
ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس عليه اسم كل شيء حتى القصعة
والقصعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كقائل الله تعالى فإذا سجدت فقل في حق ربي فقلوا
ساجدين وأكثر العلماء على أن الأمر بالسجود لا آدم إنما توجه على الملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة

لله عز وجل ثم جلست
ارتقب صدق الهاتف
فبينما أنا كذلك إذ ابابرة
شبان قد دخلوا من باب
المسجد كان الشمس
تشرق من وجوههم
والنور يلهم من جباههم
يقدمهم شاب عليه هبة
وجلالة وهم يمشون خلقه
وعليهم لباس الشعر وفي
أرجلهم نعال الخوص
فدنوا من الصخرة ودعوا
الله عز وجل فامتلاً
المسجد من أنوارهم نوراً
قال السري ففتت إليهم
وقلت لمن هؤلاء يكونون
هم الذين رخصي ربى
ورزقي فحبتهم قال السري
فدخلوا القبة واشاب قائم
بناجي ربه ثم صلى كل منهم
ركعتين قال فدنوت من
الشاب لاسمع كلامه
ومناجاة فبكى وكبر وصلى
صلاة سبعت فنادى فلما
فرغ من صلاته جلس
وجلس ثلاثة بين يديه
قال السري فدنوت منهم
وسلمت عليهم فقال
الشاب وعليك السلام
يا سري يا صاحب الهاتف
الذي هتف بك اليوم
وبشرك أن لا يفوتك الحج
في هذه السنة قال السري
فكدت أن أصدق وأمتلاً
قائي فراح وسروا ثم قلت
نعم يا سيدي هتف بي
الهاتف قبل ورودكم

دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم ونحية لاسجود صلاة وعبادة فلما امرهم بالسجود
سجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما سكن الله تعالى آدم الجنة كان عيشي فيها وحشيا لم يكن له من بجانبه وبؤاسه فلقى الله تعالى
عليه النوم فنام فاخذ الله ضلعا من اضلاعه من شقه يسرى فقال له العصى خذى منه حواء من غير ان احس
آدم بذلك ولا وجوده لما ولأولاً ولم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم اليهم من لباس الجنة وز بها
بانواع الزينة واجلسا عند راسه فلما هب ادم من نومه راها قاعدة عند راسه فقالت الملائكة لا آدم
يتمتعون علمه ما هذا ادم قال امرأ ذقوا وما اسماها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لانها
خلقت من شئ حي قالوا ولما اذ خلقه الله تعالى قال لتسكن الى واسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان
تقها لا تكسرهما وان تركها انتمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في ان الرجل يزيدون على مرور الايام
والاعوام حسنا وجسالا لامهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حدة وجمالا والنساء يزددن على مرور
الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم والاحم يزداد على مرور الايام فسادا * وفي بعض الاخبار ان آدم عليه
السلام لما رأى حواء مديده اليه افتالت الملائكة به يا ادم فقال ولم قد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة
حتى تؤدى مهرها قال ومهرها قالوا ان تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن مجد قالوا
آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت * وروى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله ان يخاق جارية بعث اليها ملكين اصفين ملكين بالدر والياقوت
فيضع احدهما يده على راسها ويضع الاخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضعيفة خلقت من
ضعيفة المتفق عليها ما ان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكرا متجان الله آ الى ادم عليه الصلوة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال اهل التاريخ لما سكن الله تعالى ادم وحواء عليهما السلام الجنة اباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة
واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا)
في هذه الشجرة التي هي شجرة الجنة ما هي فقال على رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة
العلم وفيها من كل شئ عذبة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الخنطة وقيل هي الكرمه
فوسوس لها الشيطان حتى زين لها الشجرة فاكلامتها ههنا ما عن اكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن
لها مصيبة الله تعالى في ذلك حتى اكلامتها وركن وصول عدو الله ابليس اليها وتز بينه ذلك لها على ما ذكره
اصحاب الاخبار ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحواء فنهه الخنزرة من ذلك فأتى الحية
وكانت من احسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها اربعة قوائم كقوائم البهيرو وكانت من خزان الجنة
وكانت لابليس صديقه فساألها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته في فها وموت به على الخنزرة وهما يملكون
فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعم والكرامة فقال طيب لو كان
خذا فاقنتم ذلك الشيطان منه فانه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال
يا ربنا انما عبدك منذ كنا وكذا الف سنة ولم يدخل الجنة وهذا خافي خلقه الله تعالى الى ان فادخله
الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتميد ثمانية سنة هنالك حتى
اشتهر بالبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فشكك على

بِسْأَةِ فَعَالَ الشَّابِّ بِالسَّرِيِّ
كنا قبل ان يمتد بك
الهايف في بلاد خراسان
قاصدين بغداد فقصينا
حوادثنا وعزمتنا على
التوجه الى بيت الله الحرام
واحبيننا زيارة قبره
الانبياء بالشام ثم بعد ذلك
نقصد مكة شرفها الله تعالى
وعظمتها وقد قضينا
حقوقهم وزيارتهم واتينا
الى هنا زور بيت المقدس
قال السري فقلت له
ياسيدي وما كنت تصنع
بخراسان قل لاجل
الاجتماع ببراهيم بن ادم
وبعروف السرخي
اخوانا فخرجنا جميعا
نقصد مكة فجيئت الى
بيت المقدس وذهباها من
طريق البادية الى مكة قال
السري فقلت يرحم الله
ان من خراسان الى بيت
المقدس مسيرة سنة فقال
يسرى لو كانت الطريق
ألف سنة العبيد عبيده
والارض ارضه والزيارة
لبنته والقصدي والبالغ
عليه والقوة والقعدة لاما
تري الشمس كيف تسير
من المشرق الى المغرب في
يوم واحد فهي تسير بتوفا
امرة والقادر وادارته فاذا
كانت الشمس وهي جاد
لاحساب عليها ولا عقاب
نقطس من المشرق الى
المغرب في يوم واحد فليس

عبيده من خراسان الى
بيت المقدس في ساءة
واحدة قال الله تعالى له
القدرة وخرق العوائد ان
يحب ويختار ثم قال يا يسرى
عليك من الدنيا والاخرة
واياك ان تصل الى ذل
الدنيا والاخرة فملت له
يا يسرى ارشدني الى عز
الدنيا والاخرة مرحب الله
تعالى فقال من اراد غي بلا
مال وعلم بلا نعلم وعز بلا
عشيرة فليخرج حب الدنيا
من قلبه ولا يركن اليها ولا
يطعن قلبه حبها قال
العري فقلت له يا يسرى
بالذي خصصك بانواره
واطعمك على أسرارها ان
تقصد قال الحج الى بيت
الله الحرام وزار قبر النبي
عليه افضل الصلاة
والسلام فقلت له والله
لا افارقكم فان فراقكم على
أشد من فراق الروح
للجسد فقال بسم الله وخرج
بمخرجت معهم من بيت
المقدس فلم ينزل اسير حتى
وال يا يسرى هذا وقت
الظهور فما تصلي فقلت بلى
وعزمت على التيمم بالتراب
فقال ان ههنا عين ماء
عذب فذلك بنا عن
الطريق فاذا بين ماء احلى
من الشهد فتوضأت
وشربت ثم فلت له والله
يا يسرى لقد ملكك هذا

باب الجنة ثلثة مئة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فيدنا هو كذلك اذ خرج اليه الطائوس وكان
سعيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال لها يا الخلق الكرم من انت وما علمك فما رأيت من خلق
الله أحسن منك قال انما طائر من طيور الجنة اسمي طائوس فيكي ابليس فقال له الطائوس من انت وم
بكوك فقلت له ابليس انما ملك من الملائكة الكرويين وانما بكيت تأسفاً على ما يفوقك من حسنك ويكال
خلفتك فقال له الطائوس ايقوتني ما تأفقه قال بلى وانك تقني وتبيد وكل الخلائق يبيدون الا من تناول من
شجرة الخلد فانهم الخلدون من تلك الخلائق فقال الطائوس وان تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال
الطائوس ومن بدا إمكانها قال ابليس ان ادلك عليها ان ادخلتني الجنة قال الطائوس كيف لي باذلك الجنة
ولاسيما لي الى ذلك لما كان رضواناً فانه لا يدخل الجنة احد ولا يخرج منها احد الا باذنه ولكني سأدلك
على خلق من خلق الله تعالى يدخلكم افا انه ان قدر على ذلك اذ فهو هو دون غيره فانه خادم خليفة لله تعالى
آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان افيقه سمادة لا بد لها ان قدر على ذلك فاج الطائوس الى
الحية واخبرها بمكان ابليس وبما سمع منه وقال ان رأيت باب الجنة ملكاً من الكرويين من صفة تكت
وكيت فهل لك ان تدخله الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحو
من مقاتله للطائوس فقالت كيف لي باذلك الجنة ورضوان اذراك لم يمكنك من دخولها فقال لها انحول
ريحا فتجمليني بين انيابك قالت نعم فتحوّل ابليس لعنه الله ريحاً ودخل في فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل
ابليس الجنة ارأها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم فحواه عليهما السلام
وهما لا يعلمان انه ابليس فراح عليهما نباحاً حزنتهما فيكي وكان أول من ناح فقال له ما يكيك فقال ابكي عليكما
تموتان ففارقان ما اتا فيهم من النعم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهم واتفقا لذلك وبكى ابليس وبكى ثم ان
ابليس أتاهما بعد ذلك وقداثر قوله فيهما فقال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وذلك لا يبلى قال نعم قل
كل من هذه الشجرة شجرة الجنة فقال نهى ربي عنها فقال له ابليس ما نكار بك عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى ان يقبل منه فاقسم لهما بانته انه لهما المن الناصحين فاعتزا بذلك وما كانا
بظنان ان احداً يخلف بالله كانا فبادرت حواء الى كل الشجرة ثم زينت لا آدم حتى أكلها (روي) محمد بن
اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبا يعقوب سمعت
جدي يقول سمعت سعيد بن المسيب يخلف بالله ولا يستغني آدم ما كل من الشجرة وهو يغفل ولكن حواء
سقتة الخمر حتى اذا سكرت اذنتها فاكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر جمع الخبائث وأم
الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لا دم وحواء لا تقربا هذه الشجرة فلا نعم لا تقربها ولا تأكل منها ولم
يستغنيا في قولهما بشيئة الله تعالى فوكهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلتا المنهى عنه * وقال سمعت
الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الأشعث يقول سمعت ابراهيم بن ادهم
يقول لقد اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا (وقال) الثبلي أول الذين دردي هذا ابونا آدم باع به بكف
من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) مما تبهت اياها
على ذلك بقوله ألم انهك عن تلك الشجرة وأقل لك ان الشيطان لك عدو مبين (والثانية)
الضحية فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سواتهما وتهاافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتجبر
آدم وصار هاربا في الجنة فتناثرت شجرة العناب فاخذت بناصرته ونادها ربه اغفراني يا آدم قال بلى
يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالقصر حياء يوم القيامة * ويروي ان آدم لما بدت نمواته

ولم يكن هنا ماء فتبسم وقال الحمد لله على طقه بعباده قال المصري فصلينا صلاة الظهر وسرنا الى قريب المصر فبانت لنا اعلام الحجاز ولاحت لنا حيطان مكة فملت هذه ارض الحجاز فقال وصلت الى مكة فاخذني البكاء ثم قال يا مري تدخل معنا فقلت نعم فدخلنا من باب الندوة فראيت رجلا من احدهما كمل والاخر شاب فلما نظراهما تبسما وقاما فماتاه وقال الحمد لله على السلامة فقلت له يا سيدي من هؤلاء فقال اما الكمل فابراهيم بن ادهم واما الشاب فمروفي الكوخي قال المصري فسلمت عليهما ثم جلسنا الى ان صليت صلاة العصر والمغرب والمشا بالحرم فقام كل منهم الى صلاته وقمت معهم بحسب طاقتي فقلنا النوم في المسجد فنمت فلما انتهت لم اجد منهم احدا فصرت كالنومون الله انهم وطئت عليهم في المسجد لحرام في مكة وفي فلم اجد منهم احدا فرجعت باكية حزينا على التخلف عنهم رضي الله عنهم اجمعين وحكى عن عثمان الجرجاني رضي الله عنه قال خرجت يوما من الكوفة

وظهرت عورته طاف باشجار الجنة يسأل منها ورقة يعطى بها عورته فزجرته اشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فاعطته ورقة فطفاق يعني آدم وحواء يخصفان عليهم ما من ورق الجنة فكفا الله التين بان سوى ظاهره وباطنه في الخلاوة والمنفعة واعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) اوهن جلده وصبره مضلما بعد ان كان جلده كله كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على اناه له ليتذكر بذاك اول حاله (والرابعة) اخرجهم من جواره ونودي انه لا ينبغي ان يجاورني من عصافي فذلك قوله تعالى اهبطوا بهضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر لاية بني آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فبط آدم بسر تديب من ارض الهند وقيل على جبل من ارض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بحدة بلدم من ارض الحجاز وابليس بالابله من ارض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية باصبعها والطاوس بارض بابل * ويقال ان الحكمة من اخراج آدم من الجنة انه كان في صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا اخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها ويقال ان الله تعالى اخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة ولم يقل في الجنة * اخبرني نافع بن اذفر بن احمد باسناد عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا تسلا من نسل الجنة - بابا بليس بالخطيئة الى الارض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء ما دمنا في دار السياء حتى نرد الى الدار التي سببنا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرونوا به - يعني راقدا * ومشاهد الالام غير مشاهد
منك نفسك وصلة فاجتهد * سبل الرجا وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درج الجنان بها وفوز المايد
ونسيت ان الله اخرج آدم * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) المفرقة فرق بينه وبين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذا بحدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب احدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمي جمعا وتعارفا بمرقة في يوم عرفة فسمي للموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التي بينهم العداوة اليغضاء كما قال الله تعالى بعضهم لبعض عدو قال انسان عدو الحية يشدح رأسها حيث يراها والطاوس عدو الحية عدوته تلدها غدا ما كبتها وابليس عدوهم جميعا وفيه اشارة الى ان الاحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى * وروي ان ابراهيم عليه السلام تذكر ذات ليلة من الاليالي في امر آدم فقال يا رب خلقت آدم بيدك وتنفخت فيه من روحك واسجدت له ولا تكنتك واسكنته جنتك بلا عمل ثم ابتلته واحدة ناديت عليه بالمعصية واخرجته من جوارك من الجنة فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم اعلما علمت ان مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على اولاده وابتلاء بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحرق فيها ولم يكن له بها معهلك ودواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمس ولا زمهرير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سحر لا حرف فيها ولا قر (والعاشر) التمسق والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزورك فلا تخرجنكم من الجنة فتشقى فهو اول خلق عرق جبينه من التعب والنصب

(فصل) وابتليت حواء وبناتها هذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن (الاولى) الخيض يروى انها لما تنازلت الشجرة قدمت الشجرة قال الله تعالى ان لك على ان آدميك انت وبناتك في كل شهر مرة كما آدميت

الطريق امرأة عجوز عليها
جبة من صوف وخزام
مشروعي تشي وتقول ألهي
ما ابد الطريق على من لم
تكن له دليلا وبأمر حش
الطريق على من لم تكن له
أنيسا قل عثمان فدنوت
منها وسألت عليها فودت
على السلام وقالت من أنت
يرحمك الله فقلت لها عثمان
الجرجاني فقالت حياك
الله يا عثمان أين تريد فقلت
أريد البصرة لحاجة فقالت
يا عثمان هلا علمت صاحب
الحاجة يوجه بها اليك ولا
يتعبك فقلت ليس ببني
وبينه تلك المعرفة فقالت
وما الذي قطعك عن
معرفة قلت كثرة الذنوب
فقالت والله ببس ما صنعت
أما والله وصلت حبلك
بجملته لم تسكت منه بأقوى
سبب وقضى حوائجك
من غير تعب قال عثمان فلما
سمعت قولي لها بكيت وقالت
هلاز يدملك الدعاء فقالت
عانك الله على طاعته
وجنبك معصيته قال فلما
عزمت على الانصراف
اخرجت من جيب
دراهم كانت معي
فقسمتها ببني وبينها وقلت
خذي هذه النفقة لستعيني
بها على حالك فقالت يا عثمان
من أين لك هذه الدراهم
فقلت لها اني رجل اصدقه

هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحبيص ان هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانية)
نفل الحل (الثالثة) الطاق وألم الوضع قال الله تعالى حملة أمه كرها ووضعته كرها وفي الخبر لو لا الزلة التي أصابت
حواء كان النساء لم يحضن ولكن حملات وكريه حملن سرا ويضمن سرا (الرابعة) نقصان دينها (الخامسة)
نقصان عقلمها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات
عقل ودين أذهب للرجل الحازم من احدا كن فتقن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال ليس
شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلمها وليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم يحم قلن بلى
قال فذلك نقصان دينها (السادسة) ان ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ
الأنثيين (السابعة) تخصيهم بالعدة (الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجل قوامون
على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شيء ولا
يمكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن المهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي (الثانية عشر) ليس
منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشر) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعة عشر) لا تعتقد بهن
الجمه (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن * وعاقب بليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء * اولها عزله عن الولاية
وكان له ملك الارض وملك مياه الدنيا وكان خازن الجنة * الثانية أخرجه من جواره واهبطه الى الارض
* الثالثة مسح الله صورته فيه شيطانا بعدما كان ملكا * الرابعة غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه ابليس
لانه ابليس من رحمة الله تعالى * الخامسة جعله امام الاشقياء * السادسة لعنه الله * السابعة نزع منه
المعرفة * الثامنة أغلق عنه باب التوبة * التاسعة جعله مریدا أي خاليا من الخير والرحمة * العاشرة جعله
خطيب أهل النار * وعاقب أخيه خمسة أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسح صورتها بدمان كانت
أحسن للوراب وجعل غذاءه التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعل اعدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما
يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفي حال الاحرام * عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألنا من مذبح حار بناه من ترك شيئا منهن خيفة منه فليس مني يعني
الحيات اخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال اخبرنا داود عن محمد بن ابي الاعين الميموني عن ابي
الاحوص الحنفي قال بينا ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها
بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد
حل دمه

(*) الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه *

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما هبط آدم الى الارض على جبل سردنبد وذكرا ن ذروته أقرب من
ذري جبال الارض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة
وتسبحهم وكان آدم يأنس بذلك فهاجته الملائكة واشتكت الى ربها فخطت قامته الى ستين ذراعا
وكان قبل ذلك بمس رأسه المسحاب فضلع وأخذ أولاده الصلح فلما نقص من قامته ذلك قال رب كنت
جارك في دار ليس لي رب سواك ولا قريب دونك اكل فيها رغدا وأسلك حيث احببت فاهبطني
الى هذا الجبل وكنت اسمع اصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعشرتك واجد ربك الجنة وطيبها
ثم اهبطني الى الارض وحططني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني راحة الجنة
فاجابه الله تعالى بمصيتك يا آدم فقال آدم ذلك بك يارب * وقال وهب بن منبه لما هبط الله آدم

من الجنة واستقر جالساً على الارض عطس عطسة فقال الله وما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دماً هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالجمجم ففزع آدم من ذلك فزعا شديداً فذكر الجنة وما كان من الراحة ففزع فغشا عليه وبكى اربعين عاماً فبعث الله اليه ملكاً ففسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والنمى فاستراح كما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب ان آدم عليه الصلاة والسلام لما اهربط الى الارض مكث ثمانية سنين لم يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتها من نعم الجنة ثمانين سنة ولم يلبس الا ثياباً من ريش اربعين سنة ولم يقرب آدم حواء ثمانية سنين فلما اراد الله تعالى ان يرحم عبده آدم ففقدته كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فلتقي آدم من رب كلمات فتأب عليه الآية واختلوا في تلك الكلمات ما هي فقال ابن عباس هي ان آدم عليه السلام قال يا رب ألم تخلقني يدك قال بلى قال ألم تنفخ في منى روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجني منها قال لمؤم مصيبتك قال اي رب ارايت ان انا ثبتت واصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يا رب ارايت ما ابتغيه شيئاً يتدعته من تلقاء نفسي اوشى * قدرته على قولك لا بل شيء * قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته على فاغفر لي * وقال جندب بن كعب القرظي هي قول لاله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فنب على انك انت التواب الرحيم لاله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لاله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين * وقال سعيد بن جبيرة والحسن ومجاهد وعكرمة هي قوله تعالى بناظلمنا انفسنا الآية ثم انزل الله تعالى يا قوم تعمن بواقبت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيهما اقتاديل من نور ثم اوحى الله تعالى الى آدم ان الى حرماً يحيا لعرشي فانه فظف به كيا طاف حول عرشي وصل عنده كيا يصلي عند عرشي فبنا لك اسنيج دعاءك فانطق آدم من ارض الهند الى ارض مكك بدار البيت وقبض الله له ملكاً يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه محرماً او ما تعده ما وزع وقفاً فلما وقف بعرفات وكانت حواء طالبت به وقصده من جدة فاتمها بعرفات يوم عرفه فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرف الى منى قبل لا آدم عن قال امني الغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرف الى ارض الهند قال مجاهد حدثني ابن عباس ان آدم حج من ارض الهند اربعين حجة على رجله فقيل لجاهداً يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وادى شيء كان يحمله فولد ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها ثلثة الملائكة يمينونه بالحج وقبول التوبة فقالوا برحمتك يا آدم فدخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام فتناصرت الى آدم نفسه (وقال) ابو الواليه خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض ببس ذلك الاكليل ونحات الورقه فنبت منه أنواع الطيب فذلك كان اصل كل طيب بالهند وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في اوديتها وكان اصله من الجنة فامتلاً ما هنالك طيباً فمن ثباتي بالطيب من الهند واصاله من ربيع آدم عليه السلام وربيحه من ربيع الجنة وانزل الله معه الحجر الاسود وكان اشد ابيضاً من الخالص وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربيع بن حراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى

على رأسه حطاباً وراحله على رأسه وايمه في اذواق المسامين وابتقى ثمنه قالت نعم الكعب الخلال احصل ما ليس الرءى من كعب يمينه ولكن يا عثمان لو صححت محاسبة ذي الجلال وانكبت عليه حق الاستكمال لكنتك حل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قالت يا عثمان اريد ان اريك كيف صححت مما باتي مع سيدي وصدق التوكل عليه فملت بلى فبسطت يديها وهممت بشقها فاذا بداها فملحوه تان دنابر ففانث اخذ هذذانت يا عثمان فوالله ما طبع عاها اسم ملك ولا سلطان واعلم انك لو احببت مولاك لا غناك عن الخلق وكنتاك ثم غابت عني فلم اراها فنعنا الله تعالى بها آمين (وحسنه) عن بعض انصار الحين رضى الله تعالى عنه انه قال كنت ملاحاً بذي مصر اعدى من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما انا يوم من الايام جالس في الزورق اذا بانيشخ ذي وجه مشرق قد اقبل على وسلم على وقال تحملى الله قلت نعم ثم قال نايساً وتعامنى لله ذات نعم فطلع الزورق فسدنيته الى

مرقمة ويده عصا وركوة
فلما نزل قال ار يدان احلاك
امانه قلت وماهي فقال
اذا كان في غد عند الظهور
تجدني ميتا تحت تلك
الشجرة ففساسي وكفني في
الكفن الذي تجده تحت
رأسي وصل على وادفني
تحت تلك الشجرة فان
قبري بهيما فاذا فرغت من
امري خذ هذه المرقمة
والركوة والمصا فاذا جاءك
من يظلمهم فادفعهم اليها قال
فتعجبته منه ثم تركني
ومضى فبنت تلك اللبلة
متفكرها فلما اصبحت
انتظرت الوقت الذي قال
عليه الشيخ فلما جاء وقت
الظهور نسيت في المهمة
الاقر بيب العصر فسرت
اليه مسرعا فوجدته تحت
الشجرة ميتا ووجدت
كفنا تحت راسه فتوح منه
رائحة المسك قال ففسلته
وكفنته فيه وصليت عليه
وحفرت تحت الشجرة
فوجدت قبرا مبنيا مرخا
فدفنته فيه ثم عدت الي
موضعي ليلا والمارقة
والركوة والمصا معي فلما
طلع الفجر وبان الجوا اذا
انا بشاب قد اقبل
شدت النظرا فيه ففرقه
وكان من بعض صبيان
الملاهي رقص ويغني
وعليه ثياب رقاق وهو

الله عليه وسلم يقول لما هبط آدم من الجنة الى ارض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة
فبمس وتطير بارض الهند فبق شجر العمود والصندل والمسك والبنبر والكانفور من ذلك الورق فقالوا
يا رسول الله المسك هو من الدواب ام من الشجر قال اجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر
فصير الله المسك في سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكوا وتساقط فينتفع به الاكديون قالوا يا رسول
الله فان يقع قال قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شيء من الارض الا فيها ارض الهند وارض
السعدى وارض التبت قالوا يا رسول الله المنبر انما هي دابة في البحر قال اجل كانت هذه الدابة بارض
الهند تسمى في البر فيمت الله اليها جبريل عليه السلام فاقام ايامها في البحر وهي اعظم ما تكون
من الدواب غلظها الف ذراع واغارني به كما ترمي البقر اخذها فافر بما يخرج من جوفها الف مرة رطل
وخمسة انة رطل ونحو ذلك ثم ادم وجد ضرر بان في رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه
جبريل بشجرة تسمى بقره وان اخذ ثمرا وبصره فقال ان في هذه الشجرة شفاء من كل داء الا اسام
ودله جبريل عليه السلام على شجرة الا هلياج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان بك يتركك السلام
ويقول لك كل من هذه فانك ان تداءي انت يذرت بك دواء افضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقي
في جوفك لم تخف منه وان خرج اخرج الماء كله وابراه فاكاه ادم فبري (قال) اهل الاخبار ان ادم عليه
السلام لما هبط الى الارض واصاب جسده اذي الهواء واحس به اشتكى وحشة يجسده وكان قد
اعتمد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العري فانزل الله عليه ثمانية اذراج المذكورة
في سورة الانعام من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم امره ان يذبح
كبشاً منها فذبحه ثم اخذ صوفه فمزنته حواء ونسجه ادم فجعل منه حبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا
فلبسها وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء اول من غزلت وادم اول من نسج ولبس الصوف
(عن) ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ما تقول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حرفتك فقال انارجل حائك قال حرفتك
حرفة ابنا ادم عليه السلام وكان اول من نسج ادم وكان جبريل يملئه وادم يلبسه ثلاثة ايام وان الله
عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فن قال منكم القبيح قابونا ادم
خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من ادم ومن اذكم فقد اذكم من ادم ومن اذاكم فقد اذكم من ادم وهو
خصمه يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتك حرفة مباركة ويكون ادم قائمكم الي الجنة
(وعن) أبي امامه الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجسدون قلة
الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان النظر في الصوف ليورث القلب التفكير
والفكر يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثرت فكره قل طعمه وكل
من قل تفكره كثرت طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب
من النار قالوا ثم ان ادم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذي اصابك
فقال اجد في نفسي قلعا واضطرابا لا اجد الى المباداة منه سبيلا ولا اجد الى جدي لي حلي وجلدي يديسا
كدبيب الخسل فقال له جبريل في ذلك يسمى الجوع قل وكيف الخلاص من ذلك قال سوف اهديك
الى ذلك فقاب عنه ثم جاء بثورين احمرين والهامة يعني السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين
ثم جاء بشر من جهنم فوقع في يده ادم فطار منه شرارة فوقت في البحر فدخل جبريل اليها واتى بها
فدفعها الى ادم فطارت منه ايضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان

نارك هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ويد ان غسلت بماء سبع مرات فلما جاء بها في الغمامة نظمت
 النار فقال يا آدم اني اطايعك واني منتقمه من عصاة اولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انما انطايعك
 وليكني اسجنها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحد يد ذلك قوله
 تعالى افرأيت النار التي توروون انهم الآتية ويروي أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فبخل عنها فقال
 لجبريل ما لها تحرق يدي ولا تحرق يدك قال لا ذلك عصيت الله باني لم أعصه ثم أمره جبريل بالتحاذي لآلة الحث
 فهو أول من عمل الحد بتم اناه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء
 حبة فذلك صار الذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال
 آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا في الدنيا
 وبها تنفني الفتنة أنت وأولادك الي ان تقوم الساعة ثم أمره ان يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه
 عليهم افعمل ذلك وجعل يحرث الارض عليهم افهو أول من حرث الارض وبكى الثوران على ما فاتهم من
 راحت الجنة فقطرت دموعها على الارض فنبت منها الجوارس وبلا فبنت منه الحنص ورأى فبنت منه
 العرس ثم كسر جبريل بين تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من سمها فقال آدم عليه الصلاة والسلام
 آكله فقال لا اصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرل قال آكله قال لا راعله الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا
 وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا راعله النعنة فلما نفاه قال آكله قال لا واجبه يحجر بين وعلمه
 الطحن فلما طحن قال آكله قال لا راعله النعجة فلما نفاه قال آكله قال لا واجبه يحجر بين وعلمه
 جبريل ان يبيت النخالة في الارض المستحصدة فنبت فيها النشور فلما نجا قال آكله قال لا فأمه ان يحفر
 حفيرة يضع الحطب فيها ويوقع عليهم ان ارا فقول ذلك ثم وضع عجيبة عليه فجذب حتى جله خبز فلما هو أول
 من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد آكله فلما أكله دمع عينا آدم عليه السلام وقال
 ما هذا التعب والنصب قال هذا وعد الله الذي وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا أعدوك ولزجرك فلا
 يخرج جنسك من الجنة فقتلي أما أنك ان تأكل من كدينيك وعرق جدينيك أنت وذريتك فلما استوفى
 آدم من الطعام تشكا من طعمه ولم يدرك ما هو فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فم
 أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه وهو المعول وقال له احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبة فنبع الماء من
 تحت رجليه ماء زلالا أبر من النخيل وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه ثمرة بقشر بها فاطمأن ثم انه
 به ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي أبجده قال لا أدري فبعث الله اليه
 ملكا فتلقى قلبه ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخزج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريمه بكى على ذلك
 سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله على آدم الحد ينظر الى قضيب من حد يدنايت على الجبل فقال هذا من هذا
 فجعل يكسر اشجارا فدمعت وبهت فاقرع على ذلك الحد يد حتى ذب وكان أول شيء ضرب منه مديدة
 فسكان به مله ثم ضرب الثور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فاز بالذهب بالهند
 (قالوا) لما هبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرجه معهم من الجنة قطعة من ذهب فلذلك بقي الذهب
 لا يبلى بالثرى ولا يصد من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حل (وقيل) ان الله تعالى
 زود آدم حين أهبطه الى الارض من النار ثلاثين نوعا عشرة منها في النشور وعشرة لها نوى وعشرة لا عشورها
 ولا نوى فاما التي هي في النشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبوط والشاهد البوط والدارنج
 والمان والموز وما لاني لها نوى فالنوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغريباء والنبق
 وازعرور والمفل وما لاني لا قشر لها ولا نوى فالنفاح والسفرجل والكثير والعنب والتوت والتمين والارج

حرا ب فاحتجت بناء
حائط سقطت منها
فخرجت الى موقف
البنائين لانظر رجلا لبناء
الحائط فنظرت الى شاب
نحيف ذي وجه نظيف
فجئت اليه ووقفت بين
يديه ثم قلت له يا حبيبي
انريد الخدمة فقال نعم
فقلت سر على بركة الله
تعالى فقال بشرط اشترط
عليك فقلت وما هو قال
الاجرة درهم ورائق فقلت
نعم قال وان اذن المؤذن
تدعني اصلي مع الجماعة
فقلت نعم فصار معي الى
مبنى فخدم خدمة المار
مثلا ولا احسن منها
فذكرت له الغداء فقال لا
فمرفت انه صائم فلما جاء
وقت صلاة الظهر وسع
الاذان قال الشرط
يا سيدي فقلت نعم فجل
حزامه وتوضأ وضوأ
مارأيت احسن منه ثم
خرج الى الصلاة
مع الجماعة في المسجد
ثم عاد الى خدمته الى ان
سرع اذان العصر فقال
الشرط يا سيدي فقلت
له نعم فخرج وصلى العصر
مع الجماعة وعاد الى خدمته
فأبقت اليه وقالت له حبيبي
ان خدمة البنائين الى
العصر فما تستريح فقال
سبحان الله انما كانت
خدمتي الى الليل قال فلما

والخروب والخيال والبطيخ (وقال) ابن جريج اهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آية فيها بزعر ريشة
من عنب وريحان ففرس آدم العريش فلما طمعت جاء إبليس فدبرق ثم رها فقال له آدم وبلك اخرجني من
الجنة ولا تربدان تحمل لي رزقا فقال له ان لي فيها حنائقا ولما حنقت قال تشوهاوا لكم سائرهما (وقال) ابن عباس
هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسفة وهي سيدة رباحين الدنيا وبالسنبلة وهي سيدة طعام اهل الدنيا
وبالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا (روى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها راي أول البكرة وعليكم بالخمر البرني فكهوه فانه يسبح في
شجره ويستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما هبط آدم الى الارض كان أول شيء اكله من الثمارتين وقال
كسب اكل من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصح الماشية الا بها وقال وهب بن منبه ان آدم لما هبط
الى الارض ورأى سمعتها ولم يرفها احدا غيره فقال يا رب أم لا أرضك هذه من عامر يسبحك ويحمدك
ويقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيها من يسبحني ويحمدني ويقدسني وسأجعل فيها
بيو تارفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويزكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني حق عبادتي
وسأجعل من تلك البيوت بيتا خصه بكرامتي وأثره باسمي فاسميه بيتي وأطلقه بعظامي وعايه وضعت
جلالي وأجعل ذلك البيت حراما يحرم بعرته ماحوله ووافقه وما حته فمن حرمه بجرمته استوجب كرامتي
بذلك ومن أخاف اهله فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل
هذا البيت أول بيت وضع للناس يطمعون فيه مباركاته وتنهى عنه مشاهيرها وعلى كل ضامري اثنين من كل فج عميق
يرجون بالتمني جميعا ويضجون بالبكاء جميعا ويهجون بالكبر عجيبة ما من اعتمره لا ير يدغمه فقد
وفدالي وزارني واستضافني حتى على الكرم ان يكرم وفده واضيافه وان يسعف كل ما يحتاجه يا آدم تممره
مادمت حيا ثم تممره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر
آدم بيده واخرج منه كل نسيه وخالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان عرفه قررة بمكة ثم أخذ عليهم
الميثاق وكلمهم وقال الست بر بكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن
الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خالق آدم ومسح
ظهوره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة وبمهل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج
ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبمهل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال ان الله
تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بمعمل اهل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بمعمل اهل
النار حتى يموت على ذلك فهو من اهل النار (وقال) وهب بن منبه رحم الله اوحى الله الى آدم
ما تاب عليه يا آدم اني أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة على واحدة لك واحدة بيني وبينك
واحدة فيما بينك وبين الناس فاما التي في قفصتي لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاجز بك بمالك
أحوج ما تكون اليه واما التي بيني وبينك فذلك الدعاء وفي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فانت
ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم يا رب شملت بطالب الميعة والرزق عن التسييح والعبادة واست
اعرف ساعات التسييح في أيام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ريكا فأسمعه اصوات الملائكة بالتسييح
فهو اول داجن اتخذ آدم من الخلق فكان ذلك اذا سمع التسييح في السماء سببح في الارض
فيسبح آدم بتسييحه (و روى) ان الله تعالى اوحى الى آدم لما اراد ان يهبطه الى الارض يا آدم اني
منزلك انت وزدريك دار مبنية على أربع قواعد ما لا اول في انقطع ما تملون وامانة نية فاني افرق ما يتجهمون
واما الثلاثة فاني اخرب ما تبون والارابعة املت ما تدون ولذلك قيل

جاء الابليل أخرجت له
 درهمين فله رآهما قال
 ماهذا قلت والله ياسيدي
 هما من بعض أخرجتك
 لاجتهادك في خدمتك
 فرماهما الى وقال والله
 لا أزد على ما بيني وبينك
 شيئا فرغبته فلم أقدر عليه
 فآخذ الدرهم والداق
 وتوجه فلما كان الف ليلة
 الى الموقف فلم أجده
 فسألت عنه فقيل لي انه لم
 يات هنا الا من السبب الى
 السبب فلما جاء السبب
 جئت اليه فوجدته فلما
 رآني تبسم فقلت له باسم
 الله على الشرط الذي تعلمه
 فقال نعم وسارهمي فخدم
 يومه كما تقدم وزاد على ذلك
 فسدفنت اليه الاجرة
 فآخذها وسار فلما كان
 السبت الثالث أتيت
 الموقف فلم أجده فسألت
 عنه فقيل لي انه ضعيف في
 خيمة فلانة وكانت امرأة
 عجوزها خيمة في الجبانة
 وكانت مشهورة بالصالح
 والعبادة قال فمرت اليها
 فوجدت الشاب بهو هو
 مضطجع على الارض
 وليس تحته شيء وتحت
 رأسه لبنة ووجهه يتهاى
 نور قال فسلمت عليه فرد
 علي السلام فقدمت عند
 رأسه ابكى على صغر سنه
 وغرته ثم قلت له حبيبي
 لك من حاجة فقال نعم

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكوا بصيرا الى ذهاب

(الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة) *

قال الله تعالى قال اهبطوا بضكم ليهض عدو الآية (قال الشعبي) انزل ابليس من السماء عليه عمامة لبس تحت
 ذقنه منها شيء اعور في إحدى رجليه نعل (وروي) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره ان يه
 خضر في الصلاة لان ابليس هبط متخضرا (وروي) حماد عن ثابت وحميد بن عبد الله بن عبيد بن عمير ان
 ابليس قال يارب اخرجني من الجنة من أجل ادم وانى لا استطيعه الا بساطا لك قال فاك مساط عليه
 قال يارب زدني قال لا يولد له ولد الا ولدك مثله قال يارب زدني قال صدورهم مسا كن لك وتجري منهم
 مجرى الدم قال يارب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال ولا ولاد وعودهم وما يهدم
 الشيطان الا غرورا قال ادم يارب قد سلطت على واني لا اتمتع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكنت به من
 يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنه بعشر امثالها وازيدها والسنة بمثلها واحدة واحبوها
 قال يارب زدني قال قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنوا من رحمة الله الآية قال يارب زدني قال
 التوبة لانزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدني قال اغنروا البلى قال حسي (وروي) ان
 ابليس قال يارب لعنتني واخرجتني من الجنة وجعلتني شيطانا رجيا مذموما مدحورا وبشت في بني ادم
 الرسل وازلت عليهم الكتب فاسر لي قال الكهنة قال فما كتمتي قال الوشم قال فاحدثني قال حدثك
 الكذب قال فما قرأتني قال قراءتك الشعر قال فما مؤذني قال مؤذني المزار قال فما مسجدني قال مسجدك
 السوق قال فما بيتك قال بيتك الحرام قال فما طامى قال طامك بالمذم كراسمي عليه قال فما شرابك
 كل مسكر قال فما مصاريدي قال مصاريدي النساء (وروي) مقاتل وجوير عن الضحاك عن ابن عباس ان
 ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الحرقه والغلمة فنكح نفسه فباض اربع بنات فنهادرته (وروي)
 اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغني ان ابليس تزوج الحية التي دخل في فيها حين كادهم عليه السلام
 بعد ما اخرج من الجنة فنهادرته

(الباب الثامن في ذكر ما روي من الاخبار فيه من تراءى له ابليس فرادعا باركته شفاها) *

يروى ان ادم التقى بابليس في ارض فلاة فلامه على صنيعه وقال يا مومن اى شيء هذا الذي احدثت بي
 غررتني واخرجتني من الجنة وفعلت بي ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا ادم انى فعلت بك ما تقول وانزلت
 هذه المنزلة فمن فعل بي ما انا فيه واحلني هذه المنزلة (وروي) ان ابليس تصور لفسرعون في
 صورة الانس بمصر في الحسام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك اما تعرفني فقال لا قال فكيف وان
 خافني الست الغائل انا ربكم الاعلى (وروي) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال اى
 الاعمال احب اليك وابض الى الله تعالى فقال لا منزلة عند الله تعالى ما اخبرتك انى لست اعلم شيئا
 احب الى وابض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (وروي) عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال ما من آدمى الا وقد عمل خطيئة ارفعهم الا يحيى بن زكريا فاقامه عمل خطيئة ولا يحرمها
 ولقد قال رب ارنى ابليس كما هو اعظم عليه ان لا يكتفني شيئا سأله عنه فاجابني الله تعالى الى ابليس
 ان انت عبدى يحيى بن زكريا كما عبطت الى الارض ولا تسكتهم شيئا يسألك عنه فتاه وقال يا يحيى انا
 ابليس امرنى ربى ان اتيك كما عبطت الى الارض فظن اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وجقوا
 محفو فان با كوار كور هبنا وكور هبنا وفي رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التى تطير على رأسك
 قال بها اخطف عقول بني آدم قال فما هذه الخلاخيل التى في رجليك قال احركم البنى آدم حتى ينفى اربفنى

والكان في غدا تأتي ههنا
عند الضحى تجدي ميتا
ففسلني وكفني في هذه
الخيمة واخفر قبري بها ولا
تعلم بذلك احدا وافق
جيب هذه الخيمة واخرج
ما فيها ورامسكه عندك فاذا
دفنتي وفرغت من امري
فصل الى هرون الرشيد
وادفع له ما تحبده في
الجيب واقرئه في السلام
قال فلما كان الغد وصلت
الى تلك الخيمة فوجدته
قد مات رحمة الله تعالى
عليه قال فتأسست
عليه أسفا شديدا
ثم أخذت في غسله
وتجهيزه وكنته وصليت
عليه في الخيمة وحفرت
قبره بها كما قال ثم فتقت
جيبه فرايت فيه يا قيامة
تساوي الف دينار قال
فتعجبت من ذلك وقلت
والله افر زهدي الدنيا كل
نزهة قال فلما فرغت من
امره وانصرفت من عنده
انتظرت خروج هرون
الرشيد فلي اخرج في موكبه
تعرضت له في بعض
الطريق ودفعت اليه
الياقوتة فلما راها خرم شيئا
عليه فاحتشني الخدمة
وداروا بي فلما اتفق قال
خلوا عنه ثم اخذ يدي
ومضي بي الى مجلته رقة
ياخي ما فعل الله بصاحب
هذه الياقوتة فلما مات

له قال فاي ساعة انت على ابن ادم اقدر قال حين يمتلى وشبهما ويرى قال فهل وجدت في نفسي شيئا قال لا قال ولا
على حال قال نعم قد علم اليك طامامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشمته اليك حتي اكلت اكثر من عادتك
فتناقلت عن وردك وعادتك فقال لي يحي لا اجرم لا الشبع ابدا فقال ابليس لا اجرم لا انصح ادميا ابدا وقيل
لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا في جنازه وخرج الناس واخلوا الموضع قال ابن عباس قال
على ان ابي طاب رضى الله عنه لما وضعت على الله عليه وسلم على المقتل اذ اذهبها فبقيت من زاوية البيت
يا على لا تفعلوا هذا فانه ظاهر مطهر قال فوقع في قلبي من ذلك شيء وقلت ويلا من انت قال النبي صلى
الله عليه وسلم امرنا بهذا وهذه سنته واذا ماتت اخر ميت با على صوته غسله يا على فان الحائف الاول
كان الشيطان حسد محمد صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره من سلا قال على جزاك الله خيرا قد اخبرني
أز ذلك ابليس فمن انت قال انا الخضر حضرت جنازة محمد على الله عليه وسلم (ويحكى) ان قواما من بني
اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تفقه بين يدي الله تعالى حسبا كنت تقف قبل ان
عصيت ربك فقال انكم لا تطيعون رؤي بذلك فاحذروا عليه فوقت وقفة فلما نظر واليه والى خشوعه وخضوعه
ما تواضع اخرهم (وبري) ان رجلا كان يامن ابليس كل يوم الف مرة فبينما هو ذات يوم قائما اذناه شخص
وأيقظه فقال قم فان الجدارها هو يسقط فقال له من انت الذي اسفقت على هذه الشغفة فقال له انا ابليس
فقال كيف هذا وانا العنك كل يوم الف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فيخشيت ان
تكون منهم فتعال معهم كما ينالون

(الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبا ابني ادم باحق اذكر باقر بانا الى اخر القصة قال اهل العلم بقصص النبيين
واخبار الماضين ان حواء كانت تلد ادم توأمين في كل بطن غلاما واربعة اشيا فان اولدته منفردة وكان
جميع من ولدته حواء بعين من ذكر واثني في عشرين بطناً ولهم قابيل وتوأمته اقابا واخرهم عبد المغيث
وتوأمته أم المغيث ثم كثر الله في نسل ادم فكانا يا أيها الناس انقروا بكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية
(قال ابن عباس) لم يمت ادم حتى رأي من ولده وولد له اربع بعين انا ورأي ادم فيهم اذنا وشرب الخمر
والفساد واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى ادم حواء بعد مهبطهم الى الارض
بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقبلياني بطن ثم هابيل وتوأمته ابودا في بطن واحد وقال محمد بن اسحق
عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يعشي حواء في الجنة قبل ان تهبط الى الارض فخلدت له
بقابيل وتوأمته فلم يجد عليهما وحا ولا نصيب ولا طمعا حين ولدتهما المطهرة لهنه فلما بهطلا الى الارض واطمأنا
بها تغشاهما خلدت هابيل وتوأمته ابودا فوجدت فيهما الوحمة والنصب والطاقي والدم حتى اذا شب
أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الاخر وزوج جارية هذا البطن علام البطن الاخر وكان الرجل
منهم يتزوج اى اخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا اخواتهم
وامهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقبلياني بطن واحد وهابيل وتوأمته ابودا في بطن واحد وكان بينهما ستان
في قول الكشي وادركوا امر الله تعالى ادم ان يتكح ابودا اخت هابيل ويتكح هابيل اقبلياني اخت قابيل
وكانت اخت قابيل من أجل النساء واحسنهن خلقا فذكر ادم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط
قابيل وقال هي اختي ولدت ممي في بطن وعى احسن من اخت هابيل فانما احق به ان نحن من اولاد الجنة وهما
من اولاد الارض فانما احق باختي فقال له ابودا لم لا تحل لك فاني ان يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره
بذلك وانه هو من رأيه فقال لهما ادم قد باقر باقايكما يقبل ربه فانه هو احق بها (وقال محمد بن جرير) سألت

الى رحمة الله تعالى ثم
وصفت له كل ما كان منه
قال فيجمل الرشيد بيكي
ويقول انتفع الولد وخاب
والد ثم نادى يا فلانة
فجسأت امرأة كأنها
سحورية فلما رايتي ارادت
ان ترجع فقال لها الرشيد
ادخلي فدخلت وسلمت
فرمي لها اليقوتة فلما رايتها
صاحت صيحة ونشئ
عليها فلما افافت قالت
يا امير المؤمنين ما فعل
بولدي صاحب هذه
اليقوتة فقال لي صف لها
صنفته وقص عليها قصته
قال فقصة علي ما كان
منه فيجملت تبكي وتقول
ما شوقني اليك يا قرة عيني
ليتني ما كنت اسقيك اذ لم
تجد ساقيا وانك ذلك اذ لم
تجد مؤنسا ثم بكيت بكاء
شديدا فقال لي امير
المؤمنين اخي هذا ولدي
كان دعي قبل ولا بقي هذا
الامر فسكان يتردد على
العلماء ويحاسب الصالحاء
فلما وابت هذا الامر نفر
عني وتباعدهني فقلت لامة
هذه ان ولدك انقطع الى الله
سبحانه وتعالى فلا بد ان
تصيبه الشدائد ومكابد
الاحزان فادفني اليه هذه
اليقوتة ليتنفع بها عند
الاحتياج اليها فزفعتها له
فحزمت عليه ان يسكنها
فجاب عفا حديثه الى ان

جدهم الصادق اكان آدم زوج ابنته من ابند فقال ماذا الله او فعل ذلك آدم لما رغبت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولده بنت فسمها عاقا فبنت رحى اول من بني في الارض فسلط الله عليهما ان قتلهم اوفولدا آدم على انهما قاييل ثم ولده هابيل فلما أدرك قاييل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله الي آدم ان زوجها من قاييل فزوجها منه فلما أدرك هابيل اهبط الله الى آدم حوراء في صورة انسية وخلق لها رحما وكان اسمها تركه فلما نظر اليها هابيل ورمقها أوحى الله الى آدم أن زوجها من هابيل ففعل قاييل بالي الست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكن آثرته على بهوك فقال له ان كنت تريد ان تمل ذلك فقر باقر بانا فابكنا يقول قربانه فهو أولى بهان صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذ قبلت نزلت نار من السماء فأكلها واذ لم تقبل لم تنزل نار لا كلها وتأكل السباع فخر جال يقر باوكا قاييل صاحب زرع فحرب صيرة من الطام من أردأ زرعه وأضر في نفسه ما بألى أيقيل مهي ام لا لا يتر وج اختي ابدار كان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا ثميننا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضر في نفسه الرضا بالله والتسليم لاهره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قرب به قال فوضعا قربانها على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد والابن ولم تأكل من قربان قاييل حبة لانه لم يكن يراكي القلب وقيل قربان هابيل لانه كان زكي القلب فآزال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يقبل من الآخر اى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قاييل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغى وكان يضرهم اقبل ذلك في نفسه الى ان أتى مكة ليزور ابيه فلما أراد ان يأتي مكة قال لاله اعظم احمطى ولدى بالامانة فأتى فقال ذلك للارض والجبال فأبىا فقال ذلك للفاييل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قاييل هابيل فذلك قوله تعالى ان عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفغن منها وحملها الانسان ان كان ظولما يجوه لا يعني قاييل حين حمل امانة ابيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قاييل الى هابيل وهو في غنمه فقال لقتلناك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنكح اختي الحسنة وانكح اختك الذميمة فيمحدث الناس انك خير مني وأفضل وبقمخير ولدك علي ولدي فقال له هابيل وما ذنبى انما ايتى به بل الله من المتقين لمن بسطت اليك يدك لتقتل ما أنا باسسط يدي اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمران ان قتول الآية أى طاعته وساعده فقتله قال السدى الى أخيه يدق قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أى طاعته وساعده فقتله قال السدى لما قصد قاييل قتل هابيل زاعا هابيل في رؤس الجبال ثم اتاه يوما من الايام وهو قائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جرير لم يدرك قاييل كيف يقتل اخاه فقتله له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدد بحجر آخر وكان هابيل يوم قتل عشرون سنة واختلعا في مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقيل بعضهم على غابة حراء وحكي محمد بن جرير الطبري قال جدهم الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدرك ما صنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحملته في جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطيور والسباع بنظرون ابن يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمقاره ورجله حتى ممكن له في الارض ثم الفاه في الحفرة ووارده وقاييل بنظر اليه فلما رأى ذلك قال يا بني اعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فاواري

سواء أختي فاصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الأزرعي قال حدثني المطلب عبد الله بن
الحزومي لما قتل بن آدم أخاه رجعت الأرض بما عليها اسمها أبهم ثم شربت الأرض دمه كما شرب الماء فناداه
ابن أخوك ها بيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيباً فقال الله تعالى آدم أخيك أين أدبني من الأرض فلم تقتل
أخاك قال فإين دمه ان كنت قتلتك خرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دماً بعده إياها (وعن) الضعيف
عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم عكة أشك الشجرة وتغيرت الاطعمة وتحمضت الفواكه ورم الماء
وأغبرت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فآقا بيل قتل هابيل فأنشأ يقول وهو
أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجد الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال أن آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالآثم وإن محمداً
صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولكن
لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سر يائي وأما يقول الشعر من تكلم بالمرية فلما قال آدم مريته في
ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الأرض قال آدم أشيت يائي أنك وصي فأخفظ هذا الكلام ليتوارثه
الناس فلم يزل ينقل حتى وصل إلى مرعب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالمرية بالمرية والعربية
أول من ركب الخيل وتكلم بالمرية وقال الشعر فنظر في المرية فأنشأه وسجع فقال إن هذا ليقوم شعراً فرد
المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فوزنه شعراً فإزاد فيه ولا نقص حرفاً من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

وقا بيل أذاق الموت هابيل - فوا حزناً لقد فقد الملبح

وما لي لأجود بسك دمع * وهابيل تضمه الضرب

وجاءت شدة وطارئين * لها بلها وقابلها يصيح

لقتل ابن النسي بغير جرم * فقلبي عند قتله جريح

وجاورنا لعين ليس يفي * عدو لا يموت فنتريج

(وقال حواء)

دع الشكوى فقد هلك جميعا * بموت ليس بالتمن الربيع

وما يفي البكاء عن البواكي * إذا ما المرء غيب في الضرب

فارك النفس وانزل عن هواها * فاست مخلصاً بعد الذريح

فاجابها ابليس لعنة الله شامتا بها

تنسج عن البلاد وما كانها * ففي الجنة ضائق بك التسميح

وكنت بها وزوجك في رخاء * وقلبك من أذى الدنيا مريح

ها زالت مكيدتي ومكرى * إلى فانك التمن الربيع

فولاً رحمة الجبار أضحي * بكفك من جنان الخلد ربيع

(وقال) سالم بن أبي الجهم لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقبل له حياء الله
واضحك ولا يبكاه قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمسين

رمى لنا دينا فأتى الله تعالى
تقبلاً فأنشأ قائلاً يا بني
قبره فبكي بكاء طويلاً
وسألني الصبيحة فقلت له
يا امير المؤمنين ان لي في
ولدت عظة وعبرة ثم مضت
من عنده حزناً على ذلك
الشاب رحمه الله تعالى
ورضى عنه (وحكى عن
الاصمعي رضى الله تعالى
عنه أنه قال) حبيبت منه
من السنين إلى أيت الله
الحرام وزيرة النبي عليه
افضل الصلاة والسلام فيهما
أنافي الطريق إذا رجل
اعرابي بيده سيف عربض
ورح طويلاً كان يقطع
بهم الطريق لا خداسباب
المسلمين وأموالهم فلماذا
مني اراد ان ياخذ ثيابي
فامرعت نحوه وسلمت
عليه فرد على السلام ثم
قال من ابن الرجل فقلت
له فقير وطاير سبيل فقال
ما صنعائك فقلت اقرأ
القرآن واعلمه لاطفال
المسلمين فقال وما يكون
القرآن فقلت كلام الله
عز وجل فقال والله كلام
فقلت له نعم فقال الاعرابي
فأنشأ من كلامه بيتاً
قال الاصمعي فقرأت بهم
الله الرحمن الرحيم وفي
السماء رزقهم وما توعدون
فرمى الاعرابي سيفه ورحمه
وقال ثباً لعاطع طريق

ولده شيث ونفسه هبة الله بمعنى انه خلف الله من هابل وسمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وانزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأد قابيل فقتل له اذ ذهب فذهب طر يدا شر يدا فزاعمرعو بالآمن من راه فاخذ بيد اخته اقليم وذهبها الى عدن من ارض النين فأتى اليها يليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويبددها فانصب أيضاً أنت ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعندها قال وكان لا يمر بواحد من ولده الارماه وكن لقابيل ولد أعشى ومعه ابن له فقال ابن الأعشى لايه هذا أبوك قابيل فرمى الاعشى اباد قابيل فقتله قال فقال ابن الاعشى انه أبوك فرجع يده فلطمه فمات فقال الاعشى ولى قتل أبي برميقي وقتلت ابني بلطمي قال بحده فماتت احدى يدي قابيل الى نخذه واساقها وعلمت من يومئذ الى يوم القيامة ورجعت الى الشمس حيامد ارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثجاج قالوا وانخذ أولاد قابيل آلات الله من أنواع الطبول والمزامير والطناوير وانهم كوا في الله وشرب الخمر وانزلوا عبادة النار والاولاد والنساء والحوش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل سيث عليه السلام والله اعلم

*(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام) *

ذكر أهل النار بنح وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعهم الى شيث وأمره ان يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابل حسدا منه له حين خصه آدم بزوج اخته اقليم خاف عليه أيضاً ان يقتله حين خصه آدم بالدم فاخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به * وروي ابوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يمرضهم حتى آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذ انهم رجل يزهاو وهو أضواء نعم نور فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا ان تز يده أنت من عمره ك فقد جف القلم بأعمار بني آدم وكان عمر آدم الف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعاً وتسعون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجبت على ياملك الموت قال ما فعلت بل انت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري اربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيئاً فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهوداً ثم ان الله أكل لآدم الف سنة وأكل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد خفيحت ذريته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتهدت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيئت واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي اول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام ليا ليلين فلما اجتمعت عليه الملائكة بمات الله اليه بمنحوط وكفن من الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنته فمسله بالسدرو الماوتر وكفنوه في ثلاثة ثياب ثم حملوه له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال لجبريل صل على ابيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة واما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم * وقد اختلف في موضه قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة رقيل في غاراني قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير (وروى) ابوصالح عن ابن عباس انه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم بيت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليها السلام والله اعلم

ويطلبه في الارض ثم تاب الى الله تعالى وعاهده ان لا يعود الى ما كان فيه قال الاصمعي ففرحت بذلك الرحاشد يدا فلما كان العام فأتى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما انا طائف بالبيت اذ رجل عليه سيما الخير والصلاح قد اقبل نحوى وسلم على وقال الست صاحبي بالعام الماضي فماتت نعم فقال انشدني من كلام الله عز وجل بيتاً ذليلاً قال لا صمعي فترأت عليه فورب السماء والارض انه الحق مثل ما انكم تنظنون قال فرفع الاعرابي راسه وقال يا صمعي فيما الذي الجاء الي هذا القسم ثم خر مغشياً عليه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه ودفنوا به امين (رحمك عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) انه قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف اذ سمع اعرايا يقول يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه اكرمه فضى الاعرابي الى جهة الركن الباقى وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فضى الاعرابي الى جهة الميزاب وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

الاعراب الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا صبيح الوجه يا شقيق القصد انما اب لكوفي اعرايا والله لولا حاجة وجهك ورساقه قرك اشكوك الى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم قال فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اما تعرف نبيك يا خال العرب فقال الاعرابي لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما ايمانك به فقال آمنت بنبوته ولم أره وصعدت رسالته ولم ألقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عرابي اعلم اني نبيك في الدنيا وفي الآخرة قال فاقبل الاعرابي يقبل قدمي النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما يا خال العرب لا تقول لي كما تقول الاعاجم بلوكها فان الله سبحانه وتعالى بعثني لأممكم ولأمتكم ولأمتكم لا متكم ولا تتجبروا بل بعثني بالحق بشيرا ونذيرا قال فبهض جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يحمد السلام بقرئك الاسلام ويخصك بالجنة والاكرام ويقول لك قل للاعرابي لا يغتره كرمنا ولا حلفنا فقد انجاسه على القليل والكثير والتفتل والقطير فقال الاعرابي

﴿باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام﴾

قال الامام ذوق الله ادم ببدنه ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلق في احسن صورة واقسم عليه فقال عز من قائل والذين انزلهن وصورهن في هذا البلد الامين لخلقنا الانسان في احسن تقويم واقتنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسميت له رحمته غضبه واسكنه بمد خلقه الجنة بلا عمل والباح له جميع الجنة الاشجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها واهم ملائكته بالسجود له وامره بالخلقين وجعله بالبشر وجملة خلقه في الارض وعرف الملائكة فضله عليها وامن الميس من اجله مع كثرة عبادته وعاب الملائكة بسببه وهو اول حامد واول نائب واول محبي واول مصطفى واول خليفة لله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فيموت الناس من ذرية هذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله اعلم

﴿مجلس في ذكر النبي ادر يس عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذا كرفي الكتاب ادر يس انه كان صديقا نبيا (قال اهل العلم باخبار الماضين وقصص النبيين هو ادر يس بن يرد وقيل ياريد بن مهلائيل بن قين بن انوش بن شيث بن ادم واسمه اخنوخ وسمى ادر يس لكثرة درسه الكتب وصحف ادم وشيث واهم اشوت وكان ادر يس اول من خط بالعلم وأول من خط الثياب ولبس الخيط واول من نظري علم النجوم والحساب بماء الله له ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قاله بن عباس واكثر الناس انه سار ذات يوم فاصابه وهيج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما فذا بفت فكيف بمن يحملها خمسة ايام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فاحال الذي قضيت علي فيه فقال تعالى ان عبدى ادر يس سألني ان اخفف عنك ثقلها وحرها فاجبتني الى ذلك فقال يارب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن الله فكان ادر يس يساله وكان مما سألناه قال اخبرت انك اكرم الملائكة على ملائكة الموت واهل كنههم عنده فاشفع لي اليه لئلا يخرجني فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذ جاء اجلها قال قد علمت ذلك ولكنك اطيب لنفسي فقال انا مكلمه لك وما كان يستطيع ان يفعل لاحد من بني آدم ثم فاعاله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه اتى الى ملائكة الموت فقال له الىك حاجة فقال له امل لك كل شيء استطيعه فقال لي صديق من بني آدم تشفع لي اليك لتؤخر اجله فقال ليس ذلك الي ولكن ان احببت اعلمته اجله ومتى يموت فيتقد في نفسه قال نعم فنظري ديوانه فاخبره باسمه وقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدأ قال وكيف ذلك قال اني لاجده يموت عند مطلع الشمس قال فاني أيتك وتركتك هناك فقال له فانطلق فلا رالك تحبده الاوقد مات والله ما بقي من اجل ادر يس شيء فرجع الملك فوجدده ميتا (قال وهب) كان يرفعه لكل يوم من العبادة مثل ما يرفعه لاهل الارض جميعهم في زمانه فتمت حاجته منه الملائكة واشتاق اليه له الموت فاستاذن الله في زيارته فاذن له فانا في صورة بني آدم وكان ادر يس يصوم الدهر فلما كان وقت انظاره دعاه الى طعامه فاني ان اكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأكبره وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت قال انا ملائكة الموت استاذنت ربى ان ازورك واصحابك فاذن لي في ذلك فقال له ادر يس لي اليك حاجة قال وما هي قال اقبض روحي فاحي الله تعالى اليه ان اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة قال له ملائكة الموت فما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لا ذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال لي اليك حاجة اخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة فاذن لي في ذلك

فلما أقرب من النار قال لي إليك حاجة قال وماز يدعك قال سأل مالك ما يفتح لي أبواب النار حتى أروها فعمل ذلك ثم قال فكيف أرى بني النافاري الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت أخرج لعمري مفرق فعملق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا يحكم بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لأن الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد زنته وقال تعالى وإن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم فيها بمجرجين فليست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فإنه باذني دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حي هناك فتارة يهد الله في السماء الرابعة وتارة يقتلهم في الجنة والله أعلم

(قصّة هاروت وماروت)

قال تعالى واتبعوا ما ملأوا الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير إن الشياطين كتبوا السحر والتنجيم على لسان آدم في مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم أصحابي بن برخيا سليمان الملك ثم فوهوا تحت مصباهم في شهر بذلك ساميان فلهما مات استخرجوهما من تحت مصباهما وقالوا لأناس ما ملكتكم سليمان إلا بهذه قال السدي وذلك أن شيطانا تمثل على صورة إنسان فأتى نفران من بني إسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا يتفدأ بدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسي سليمان وذهب معهم فارغم المسكن وقام ناحية فقالوا لادن فقال لا ولكني هنا فإن لم تجدوه فاقبلوني وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدن من الكرسي إلا احترق خفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوهما قال الشيطان إن سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بني إسرائيل وصلحوا ثم فقالوا لادن الله أن يكون هذا علم سليمان فإن كان هذا علمه فقد هلك سليمان واما التجمل والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظها راعذر سليمان وبيا نالبراهة فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

فقال المفسرون إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثرية وذلك في زمن أدريس النبي عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلقا في الأرض واخذتهم فيهم يصنعونك فقال تعالى لو أنزلناكم إلى الأرض ركبتم فيكم ماركبت فيهم لنعلم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا أن نصيبك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض فاختراروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبد الله قال السكبي قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختراروا عزرا وهو هاروت وعازيا وهو ماروت وعزرا يائيل وأما غير اسمهما لما قرعنا الذنوب كما غير الله اسم إبليس وكان اسمه عزرا يل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبها في آدم واهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فلما عزرا يائيل فاته لما وقتت الشهوة في قلبه استقال به وهو ساله أن يدفعه إلى السماء فآخذه ورفع وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطعنا رأسه حيا من الله تعالى وأما الآخران فقامتا بنتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا الله تعالى الأعظم وصعد إلى السماء قال قتادة فامر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك أنه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أهل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رأياها أخذتا بقولهما فراوداهما عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلتا مثل ذلك فقالت لا إلا أن تعبدنا ما عبد وتصلنا لهذا الصنم وتقتل النفس وتشرب بالخمر فقالا لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهاها عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ففعلتا ما فعلتا من جروفي نفسها من الميل اليهما ما فيها فراوداهما عن نفسها فابت

أو بحاسبي: بني يارسل
الله قال نعم بحاسبك إن شاء
فقال الاعرابي وعزته
وجدا لاله إن حاسبني
لاحادته فقال صل الله
عليه وسلم وعلى ماذا
نحاسب بك يا خا امرب
فقال الاعرابي إن حاسبني
ربي على ذنبي حاسبته على
مغفرته وإن حاسبني على
مصيبتي حاسبته على عقوبه
وإن حاسبني على مجني
حاسبته على كرمه قال
فبكى النبي صلى الله عليه
وسلم حتى ابتلت لحيتة
فهبط جبريل عليه السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا عبد السلام بقرأك
السلام ويقول لك يا عبد
قال من بكائك فقد البت
حمة العرش عن تسبيحهم
قل لا خيك الاعرابي لا
يحاسبنا ولا نحاسبه فانه
رفيقك في الجنة (وحكى
عن عبد الرحمن بن المذهب
رضي الله عنه أنه قال
مررت يوما بسوق الرقيق
فوجدت دلا لا ينادي على
عبد ويقول ايمه على عيبه
فقلت للدلال ما العيب
الذي في هذا العبد فقال
يا مولاي سله فدنوت من
العالم وقلت ما العيب
الذي فيك فقال يا سدي
عيوبي كثيرة ولا أدري
بأشهر وني فقلت للدلال
اخبرني ما العيب الذي في

هذا الغلام فقال بهاء

الجاهلون فقلت للغلام
كيف يأتيك هذا الصرخ في
كل سنة أم في كل شهر أم
في كل جمعة أم في كل يوم
فقال يا مولاي إذا استولى
داه الحجة على القلب سري
في الأعضاء وإذا استولى
على الجوارح نشر خمار
الحجة على سائر الجسد
فيطيش العقل بذكر
الحبيب فيحدث على
القلب استتراقا وعلى
البدن سكونا فيمتعه
الجاهل جنونا قال عبيد
الرحمن فقلت ان الغلام
من اولياء الله تعالى فقلت
للدلال كم من هذا الغلام
فقال مائتا درهم فقلت
ولك عشرون فوزنت له
انتمن واخذت الغلام
وانت به الى الدار ثم امرته
بالدخول فاني وقائي
يا سيدي ألك اهل فقلت
نعم فقال ومن يستطيع النظر
الى غير محرمه فقلت له قد
احت لك ذلك فقال معاذ
الله ولكن مهما كان لك
من الخواص قضيتها وانا
دون الباب قال عبد الرحمن
فسكت عنه وتركته ثم
اخرجته له انشداء فقال
اني صائم فلما كان الليل
اخرجته له المشاء فقال اني
طاو فاقام عندي في دهلز
الدار فخرجت اليه نصف
الليل فوجدته قائما يصلي

وعرضت عليهم ما قالت بالامس فعلا الصلاة لير الله امر عظيم وقتل النفس عظيم واعوز الثلاثة شرب
الخمر فشر بالخمر فانتشروا وبقوا بالمرأوز نيا بها ففرأها انسان فقتلاده قال الربيع بن انس وسجد للصنم فسحق
الله الزهرة كوكبا وقال على رضي الله عنه والسدي والكني انها قالت لا تدركني حتي تملأني الذي تصعدان
به الى السماء فقالوا تصعد بأم الله الاعظام فقاتل فيا التامدركي حتي تملأنيته قال احدهما لصاحبه تملأها فقال
اني اخاف الله فقال الآخر فابن رحمة الله تعالى فلما هاذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فسحق الله
تعالى كوكبا (قال الاستاذ) فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقال آخرون هي هذا الكوكب الاحمر واسمها
بالفارسية ناهيد وبالعبطية بارخت يدل على صحة هذا القول ما خبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناد عن علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سويلا ل لعن الله سويلانه كان عشرا
بالنم ولعن الله الزهرة فانما فتنت ملكين هاروت وماروت (وقال) بحج هكنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال
لى ارمق الكوكب يعني الزهرة فاذا طلمت فايقظني فلما طلمت انبظتة فلما انظر اليها سمعها شيدا بدافلت
برحمك الله تسبحا سامعا مطيما فقال ان هذه كانت بهيا فاني املك ان منها ملأيا وكذلك قال ابن عباس
وانكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للباد واقسم
بها فقال تعالى فلا أقسم بالجنس الجارى الكس واما كانت التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى
زهرة الجاهل فلما زنت مسخها باللهار أى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرافقة
لهذا الاسم فلمنها وكذلك سويل الكواكب رجال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق
اسمه لاسم هذا الرجل لعمه بدل عليه ماروى قيس بن عبيد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة
فضأت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما امسى هاروت
وماروت بدما قارفا لذهب هما بالصدمة والى السماء فم تطههما الجحيمهما فلما احل بهما فقصده الى ادريس
عليه السلام فاخبره بامرهما وسأله ان يشفع لهما الى الله تعالى وقال لا ارايتك يصمد لك من العبادة
مثل ما يصمد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى الله مالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة فاخترنا عذاب الدنيا لانه ينقطع فمما يابل بعدان (واختلف) العلماء على كيفية
عذابهما فقال ابن مسعود وهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلان اقدمهما الى
اصول انخازهما وقال مجاهد ملى جيب نار اخملا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسات في
السم لا سسل بضرب بارب بسياط الحديد (وروى) ان رجلا قصدهما لتعلم السحر فوجدهما معلقين
بارجلهما من زرقا اعينهما مسودة وجوههما ليس بين السنمهما وبين الماء الا اربعة اصابع وهما يعذبان
بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لاله الله فلما سمعا كلامه قال لاله الله الا الله من أنت قال رجل
من الناس قال لاهون أى امة أنت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قلأوا بهت محمد صلى الله عليه وسلم
قال نعم فحمد الله تعالى وأظهر الاستبشار فقال الرجل وم استبشاري قال انه نبي الساعة وقد دن انقضاه
عذابنا (وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبني رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شىء دخلت فيه من امر السحر وما تملى به فبالت عائشة لمرويا بن اخنوخ
فأريتها تبكي حين لم تحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتي رحمتها ثم قالت انى لا تخاف ان
اكون قد هلكت ثم قالت كان لى زوج غاب عني فدخلت على عجز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما
أترك به جهلمه ياتيك فلما كان الليل جاء نبي بكين اسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير
حتى وقتنا ببابل واذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أنتم السحر فقال اتما نحن فتنة فلا

ولم يشمر بنى فلما فرغ من
صلاة المسجد وبكى بكاء
شديدا فسمعه يقول
في مناجاته الى اغلقت
المملك ابوابها وبابك
مفتوح لساثنين * الهى
وارت النجوم ونامت
العيون رأت الهى القيوم
الذى لا تأخذك سنة ولا
نوم * الهى فرشت الفرس
وخلا كل حبيب بحبيبه
وانت حبيب المجتهدين
وابنيس المستوحشين *
الهى ان طردتني عن بابك
قالي باب من التجرى *
الهى ان قطعتني عن
جنابك قالي جناب من
التجرى * الهى ان عذبتني
فانى مستحق للعذاب
والنقم وان عفوت عني
فانت اهل الجود والكرم
ثم جلس ورفع يديه وبكى
وقال ياسيدى لك اخلص
العارفون وبفضلك نجى
الصالحون وبرحمك
اناب المنصرون يا جميل
العفو اذقتني برد عقوبك
وحلاوة مغفرتك فان لم
اكن اهلا لذلك فانت اهل
لذلك يامن هو اهل
التقوى واهل المغفرة قال
عبد الرحمن فدخلت
موضعى ولم اشوش عليه
فلما اصبح الصبح
خرجت اليه وسلمت
عليه وقالت له كيف تمت
البارحة فقال ياسيدى او

تَكْفُرِي فَارْجَمِي مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ فَقُلْتَ لَا قَلَا فَاذْهَبِي إِلَى ذَلِكَ النَّوْرِ فَقَبُولِي فِيهِ وَفَهِمْتُ لَا بُولَ فَفَرَعْتُ
فَلَمْ أَفْعَلْ فَرَجَعْتُ فَفَعَلًا فَقُلْتُ قُلْتَ نَعَمْ فَقَالَا هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا قُلْتَ لَمْ أَرِ شَيْئًا فَقَالَا لَمْ نَعْمَلْ شَيْئًا فَارْجَمِي
إِلَى بِلَادِكَ وَلَا تَكْفُرِي فَابْتَغِ فَفَعَلَا أَذْهَبِي إِلَى ذَلِكَ النَّوْرِ فَقَبُولِي فِيهِ فَفَهِمْتُ فَاقْشُرْ جِلْدِي وَخَفْتُ
فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمَا فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ فَقَالَا مَا رَأَيْتَ قُلْتَ لَمْ أَرِ شَيْئًا قَالَا كَذَبْتَ لَمْ نَعْمَلْ فَارْجَمِي إِلَى بِلَادِكَ وَلَا
تَكْفُرِي فَانْكِ عَلَى رَأْسِ امْرَأَتِكَ فَقُلْتُ لَا فَقَالَا لِي أَذْهَبِي إِلَى ذَلِكَ النَّوْرِ فَقَبُولِي فِيهِ فَفَهِمْتُ إِلَيْهِ فَقَبَلْتُ فِيهِ فَأَرَأَيْتَ
فَارْسًا مَقْنَعًا بِحَدِيدٍ خَرَجَ مِنِّي حَتَّى ذَهَبَ فِي السَّمَاءِ وَغَابَ حَتَّى مَا رَأَيْتُ فَجِئْتُهُمَا فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ قَالَا فَارَأَيْتَ
قُلْتَ رَأَيْتَ فَارْسًا مَقْنَعًا بِالْحَدِيدِ خَرَجَ مِنِّي وَذَهَبَ فِي السَّمَاءِ فَلَمْ أَرَهُ قَالَا صَدَقْتَ ذَلِكَ إِيْمَانُكَ خَرَجَ مِنْكَ
فَاذْهَبِي فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ شَيْئًا وَلَا قَالَا لِي شَيْئًا فَقَالَا لَا نَرِي بَيْنَ شَيْئٍ إِلَّا كَانَ خَذِي هَذَا الْقَمْعُ فَابْذُرِيهِ
فَبِذَرْتُهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ اطْلُعْ فَطَلَعَ فَقُلْتُ لَهُ انْخَصِدْ وَفَجِئْتُ أَتَفَرَّقُ فَتَفَرَّقَ ثُمَّ قُلْتُ أَطْغِنْ فَطَغَنَ ثُمَّ قُلْتُ
انْخُضْ فَخَبَزَ فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ لَارِي شَيْئًا إِلَّا كَأَنَّ سَقَطَ فِي يَدِي فَرَجَعْتُ وَنَدِمْتُ وَاللَّهِ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنِينَ مَا فَعَلْتُ
شَيْئًا قَطُّ وَلَا أَفَعَلُهُ أَبَدًا (قَالَ) الْأَوْزَاعِيُّ يُلَانِي أَنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ
يَا جَبْرِيْلُ صِفْ لِي النَّهَارَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ بِأَقْوَابِ عَلَيْهِمُ الْفَعَامُ حَتَّى اجْتَرَحَتْ ثُمَّ ارْقَدَ عَلَيْهَا الْفَعَامُ
حَتَّى اسْوَدَّتْ فِيهِ سَوْدَاءُ عِظْمَةٍ لَا يَطْفَأُ جَهْرًا وَلَا يَخْفِئُ لَهَا وَالَّذِي يَمْشِي بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ نَوَّابًا مِنْ نِيَابِ أَهْلِ
النَّارِ ظَهَرَ لَرَأَى أَهْلَ الْأَرْضِ لَمَاتُوا جَمِيعًا وَلَوْ أَنَّ ذُو بَابُنِ شَرَاهَا صَبَّ فِي مَاءِ الْأَرْضِ جَمِيعًا لَقُتِلَ مَنْ ذَاقَهُ وَلَوْ أَنَّ
حُلْمَةً مِنَ السَّلَامَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ وَصَفَتْ عَلَى جِبَالِ أَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعًا لَذَابَتْ وَمَا اسْتَقْبَلَتْ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا
دَخَلَ النَّارَ وَخَرَجَ لِمَاتِ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ تَنْزِيلِ رِيحِهِ وَتَشْوِيهِ خَلْقِهِ وَعِظْمِهِ فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَبَكَى جَبْرِيْلُ بِكَأَمِهِ وَقَالَ أَتَبْكِي بِالْحَمْدِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا
شَاكِرًا وَبَكَى جَبْرِيْلُ فَقَالَ يَا جَبْرِيْلُ أَتَبْكِي وَأَنْتَ الرُّوحُ الْأَمِينُ آمِينَ اللَّهُ عَلَى وَحْيِهِ قَالَ أَخَافُ أَنْ يَبْتَلِي
بِمَا يَبْتَلِي بِهِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ فَهَذَا الَّذِي مَنَعَنِي مِنْ أَنْ يَكُنِيَ عَلَيَّ نَزَاجِي عُنْدِي فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَمْنْتُ مَكْرَهُ فَلَمْ
يَزَالِ الْيَكِيَانُ حَتَّى نَوِيَّ بِأَمَنِ السَّمَاءِ يَا جَبْرِيْلُ وَيَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمْنَكَ مِنْ غَضَبِهِ فَلَا يَمُذِّبُكَ وَأَوْ فَضَّلَ مُحَمَّدُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ كَرَفِضَلِ جَبْرِيْلَ عَلَى سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ

(مَجْلِسُ فِي قِصَّةِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قال الله تعالى لتبني عليه السلام وائل عليهم بنانوح اذ قال لقومه الاية وهونوح بن لك بن متوشلخ بن اخنوخ بن برد بن مهليل بن قينان بن انوش بن شيث عليه السلام واهمه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابين بن مخزئيل بن اخنوخ ارسله الله تعالى الى ولد قاييل ومن تابعهم من ولد شيث (قال ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم احدثهم يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل في صورة غلام فاتجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيئا مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبالغ ذلك من هولهم فاتهم متهمين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة ففتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم اوصى ان لا يناكح بنو شيث بني قاييل فجعل بنو شيث آدم في مفارقة وجهه لوالعليا حفاظا لثلاثيقر به احدهم اولاد قاييل وكان الذي اتوا زوا يستغفر لهم ابني شيث فذل المائة من بني شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون في قاييل فهبطت المائة الى نساء السهل صباح

الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ما شاء الله فقال سئة اخرى لو نظرنا فذل اخوتنا
فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبسهم النساء ثم هبط بنو شيت كلهم فظلمت المعصية ونذا كنعوا واختلطوا
وكثر بنو قابيل حتى ملأوا الارض واكثر الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا رها بن خمسين سنة فلبث
فيهم الف سنة للاحسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم باسمه ويحذرهم سطوته كما اخبر الله تعالى بقوله
رب افر دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزد دعائي الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا اهل
اطمى واطفى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا اقساما سقين (وروى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان
نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقي في بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى آيس من ايمان
قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنته يتوكل على عصا فقال يا بني انظر الى هذا الشيخ اياك ان يفرك فقال يا بـ
مكثي من العصا فاعطاه العصا فقال ضمتي في الارض فوضعه فمشى اليه فضر به بالعصا فقال نوح رب
قدر ترى ما يصنع بي عبادك فان لم يكن في عبادك حاجة فاهد هم وان لم يكن غير ذلك فصبه في ان تحمك
يا بني وبينهم * وانت خير الخاكين فارحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن ولا تبتس بما كانوا
يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق في اصلا ب الرجال ولا ارحام النساء مؤمن فشد ذلك دعا
عليهم وقال رب انهم عصوني الآية الى قوله ولا تذرن دوا ولا سواعا ولا نفوت و يعوق ونسرا وقد اخذوا
كثيرا وهي ادياء اصنام لهم كانوا يبدونها من دون الله وقوله تعالى ولا تذرن دوا ولا سواعا ولا نفوت
ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يبدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تذرن دوا ولا سواعا ولا نفوت
ودمارا فاجاب الله دعاه وامره ان يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الآية قال نوح
يا رب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء حتى اغرق اهل المعصية واربع ارضي منهم قال
نوح يا رب ابن الماء قال يا نوح اني على ماشاء قد برك قال نوح يا رب وابن الخشب قال اغرس الشجر
فغرس الساج واقي على ذلك اربون سنة وكف في تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاقم الله تعالى
ارحام ناسهم فلم يولد لهم ولد فلما ادرك الشجر امره به ان يقطع الشجر فطعمه وجفنتهم
قال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله اوزر على ثلاثة صور رأسه كرس الديك وجوفه كجوف
الطير وزينه كزنب الدبك ما لا واجملها مطابقة واجمل ابوابها في جنبها واجملها ثلاث طبقات
واجمل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب
هذا قول اهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يلهم نوحا صمعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد
ويهيى عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يعرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد
صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون ان الذين الى هذا الجنون يتخذون نبياسير به على الماء ويضجون منه وذلك
قوله تعالى ويصنع الفلك زكرا عليه ملا من قومه سخر وراحمه فيقول نوح ان تسخر واما نانا تسخر عنكم
كما تخرن فسوف تعلمون من آية عذاب يخزيه ويحمل عليه عذاب مقيم وادعى الله الى نوح ان عجل
صناعة الفلك فقد اشد غضبي على من عصاني فاستاجر نوح اجراء يعملون معه وأولاده سام وحام ويافت
يتحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها تسائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثمانون ذراعا وطولها
في السماء ثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلالها بالفاردا خلم واخراجها وشدها
بالدسر وهي مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة
تغلي غليا نأحي طلالها به فلما فرغ من صنع السفينة وحي الله اليه ان اهل فيها من كل زوجين اثنين من انواع
الحوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وتدخل الله فوران

بنام من يحضف النصارى
والعرض على الملك الجبار
والنوب يخ غدا على الذنوب
والاوار ثم بكاء
طوبى لافلت له انت حر
لوجه الله تعالى فبكى وقال
باسمى كان لي اجران
جر المودة راجرا لخدمة
وقد ذهب عني احدهما
اعتك الله من حر نار جهنم
قال عبد الرحمن قد رمت
اليه نفقة فاني قبولها وقال
ان المكشوف بالارزاق حي
لا يموت ثم خرج ها معا على
وجهه لا ادري اين ذهب
رضى الله تعالى عنه *
واشوقاه الى ارباب الفلوب
واحمرته على فوات
المطلوب * يا محبوبا في
سجن الغفلة لو اشرقت
على وادي الدجى لرأيت
خيام القوم مضرو بقية على
شاطئ البحر كانوا قبل الامن
الليل ما به جهنم واسمعت
اطيار السمجج انهم على
اغصان احزانهم اترنم
بالحان والاسمجارهم
يستغفرون لذنهم السهر
وصفا وقتهم من الكدر
وخلا بالحبوب وفازوا
بالشهادة والنظر شعر
هذا الحبيب مع المحبوب
قد حضرا
وساع الكل عمدا قدمضي
وجرى
وقد اذاع المشاق خمرته
صرفا بكاء سناها يخطف

ياسم مدكر اناد كرا الحبيب
 لند
 بليت اسماعنا يا مطرب
 الغزرا
 ما زكب الحمى مالت
 ومعاطفه
 لاشك ان حبيب القوم قد
 حضرا
 وعندنا نتظر الاعلام قد
 رفعت
 يؤمهم على الوصول قد نشرا
 فبحسب الانس للمحبوب
 يتجرمه
 والكاس قد دار فيما بينهم
 سجرا
 ومن سقام تحبلى لاشبهه
 حاشاه بشبه شمس ولا قرا
 ومن اناد فقيرا الامرد له
 سواء يكتم به من جملة الغزرا
 هذا السماع الذى تشفى
 الصدور به
 هذا الحبيب الذى قد حبرا
 الفكر
 صوفية عند ما مضت
 صدوره
 ازال عنهم جميع الشك
 والكبرا
 (وحكى عن جلد بن الفضل
 رضى الله تعالى عنه انه قال)
 رأيت شابا راقدا على
 الارض وقد افترش
 التراب تحته وهو بين اثنا
 شديدا فقامت لصاحبه
 اعدت بنا اليه فلله عليل
 اتقال ما هذا عليل هذا من
 الحبين وفي الظاهر انه من
 الجانين فقلبه بحب مولا

التنويرية بينه وبين نوح وعبد الله اليه فقال اذا رأيت التنوير فارق ربك انت ومن معك على الفلك واحمل فيها
 من كل زوجين اثنين كما قاله الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا فارقا التنوير راى عذابنا وهو الظهور فان قلنا احمل فيها من
 كل زوجين اثنين الاية (واختلف) العلماء في قوله تعالى وفارقا التنوير قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يعنى طلع
 التنوير ونور الصبح وقال ابن عباس انجس المساء من وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنويرا وقال
 قتادة التنوير أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنوير الذى يخبر فيه وكان تنويرا من
 حجارة وكان لا دم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت المساء فمريم من التنوير فارقا ربك انت وأصحابك فنبع الماء
 من التنوير فملته بامراء ثم فاختلته وفي موضعه فقال بحمد الله كان ذلك في ناحية الكوفة (وروى)
 السدي عن الشعبي انه كان يخاف بالله ما فارق التنوير الا في ناحية الكوفة وقال اخذ نوح السفينة في جوف
 مسجد الكوفة وكان التنوير عن عين الدخال لما يلي باب كندة وكان نور الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه
 وقال مقاتل ذلك تنوير آدم وانما كان بالشام في موضع يقال له عين ورد وقال ابن عباس كان التنوير بالهند
 والفوران هو الفيلان فلما رأه نوح أيقن بزول المذاب خضع من كل زوجين اثنين من انواع الحيوانات كما
 أمر الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر اربعين يوما وليلة قاطبت الوحوش والطيور والدواب الى
 نوح حين اصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من
 الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره ثعالب يس بدنه فلم يستقل رجلا فجعل نوح
 يقول ادخل فينفض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان ملك كله نزل به السنان فلما قالها
 نوح حتى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك باعد والله فقال ألم تقل ادخل
 ولو كان الشيطان ملك قال اخرج باعد والله قال ما اخرج وما كان بذلك ان تخشى معك وكان فيما يزعمون على
 ظيهر الهالك (قال) مالك بن ساجان الهروي ان الحية والعقرب انيا تنوحا فالا احملها فقال انكاسب الضر والبلايا
 فلا احاسك قالوا احملنا ونحن نضمن لك ان لا تضرا احداث كرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهم اسلاما على نوح
 في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا مؤمنين بل يصراه (عن وهب بن منبه) قال لما امر الله تعالى نوحا
 ان يحمل من كل زوجين اثنين قل كيف اصنع بالاسد والبقر وكيف اصنع بالاناق والذئب وكيف اصنع
 بالحمام والحرق قال الله تعالى له من ألقي بينهم المدواة قال انت يارب قال فانأولف بينهم حتى لا يتضاروا فحمل
 نوح السباع والدواب في الطبقة الاولى فأنهى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل
 وما لك بكمب محموا وان طال عمره * لعمرك ما المحموم ومساوى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من اولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة
 العليا شافعة عليها الثلاثة على شيء * واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى واهلك الامم
 سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد ان ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا اراد ان
 تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله تجر اها ومرساها الاية * ومن آمن وما آمن معه
 الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة الا نوح وامرأته ثلاثون من بنيه سام وحام ويافت رنساوهم
 فنجهمهم ثمانية فاصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح ربها قال فتغيرت نظفتهم فنجاهم بالسودان (قال الكشي)
 أمر نوح ان لا يتربذ كراشي مادام في السفينة فوئب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم
 اجعله عسرا وقال الاعمش كافوا سمعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كذئب له قال ابن اسحق كانوا عشرة تسوي
 نسايم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافت وستة اناث ممن كانوا آمنوا معه وازواجهم جميعا وقال مقاتل
 كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساوهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم

منهون وهو اسرف ويميد
 الجنون قال فنقررت اليه
 فاذا هو شاب نحيف الجسم
 وعليه جبة من صوف بالية
 وهو يقول يحبا لمن ذاق
 حلالة محبته كيف ينبت طع
 عن خدمته ثم لم يزل يردد
 القول حتى غشي عليه
 فقالت لصاحبي والله ما هو
 مجنون وانما الجنون الذي
 لا يصل الى هذا المقام فلما
 أفاق من غشيته قال ما بالكم
 تنظرون الى فلما مل دواء
 يشفي من الداء الذي تجده
 فقال الذي ابلى بالداء عنده
 الدواء ولـسكن الذي
 يتداوي يحمي قلنا باءاذا
 يحمي قال بترك الحرام
 وتجنب الاستام ومراية
 الملك الامام والتعبد بالملك
 والناس نيام ثم بكى بكاء
 طويلا وبكىنا معه فقلنا له
 نحن اضيافك فادع لنا
 فقال است من خيل هذا
 الميدان فاقسمنا عليه فقال
 جعل الله قراكم المغفرة
 وهواكم الجنة وجعل ذكر
 الموت في وعظكم على بل
 قال فانصرفنا عنه وقد
 عجبنا من استواء لفظه
 وعاشرت قلوبنا بكلامه
 ووعظه به ذاهذه حالة
 الحائرين من حب الحبيب
 فكيف بك ايها الماقل
 اللبيب بدعوك مولاك فلا
 تحيب ويستحضر في
 حضرة قربه وانت في

نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا ورجل نوح جسد آدم معه وجعله من ضاحا جزا بين
 الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر رجب بالرومية
 فلما دخل وحل معه من حل تحركت يابيع الارض وتنفط الاكبر وأمطرت السماء كافوا القرب كما قال
 تعالى ففتحن أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر ربنا المتقي ماء
 السماء وماء الأرض فيجعل الماء يزل من السماء وينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء
 وبين احتمال الماء الفلك اربعين يوما وإليه تم احتمال الماء الفلك وكان كنهان بن نوح يخلف عن أبيه قال قيادة
 لم يركب في السفينة ففاداه نوح بركان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكفار فن قال ساوتني الى جبل
 يصمى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم وكان عهد كنهان الجبال انها تحصن من المطر فظن
 ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم وحال بينهما الموج فكان من المفترقين
 وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت)
 عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لورحم الله أحدان قوم نوح لرحم المرأة
 أم الصبي وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت
 قلته فلما بلنها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبته ارفمته بيدها حتى ذهب
 بهما الماء فلورحم الله أحدانهم لرحم هذه قالوا طافت السفينة بالماء الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على
 شيء حتى أنت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان بحججه آدم صيانة له من
 الفرق وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت
 في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه
 قال مجاهد تشابخت الجبال وتطارت لثلاثا بلهاها ففعل الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لأم ربه
 الجودي فلم يبق فارقست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودي (وقال ابن عباس استوت
 السفينة على الجودي وقد بادى على وجه الارض من الكنغار ومن كل شيء فيه الروح والاشجار فلم يبق
 شيء من الحيوانات الا نوح ومن معه في الفلك والاعوج بن عتيق فذلك قوله تعالى وقيل بعد القوم الظالمين
 أى هلاك قال ابن عباس كان عوج يجتاز بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول الحوت من
 قرار البحر فيشويه بيمين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج يا عبد الله فاني
 لم أؤمر بمحلك وأطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عتيق فلما استوت
 السفينة على الجودي قيل يا أرض اباهي ماءك اي انشقي يا مياه اقلعي اي احبسى ماءك وغضض الماء اي
 ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الارض لانها آخر ما بقي في الارض من ماء الطوفان
 وبقي في الارض اربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن علي بن زيد بن جندب عن يوسف بن مهران عن ابن
 عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بثت انارا جلا شهد السفينة لحدثنا عن ما نعلق بهم
 حتى انتهى بهم الى كتيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال أأدرين ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم
 قال هذا كعب سام بن نوح قال ضرب الكتيب بعصاه وقال له قم باذن الله فادعوا قائم بنقض التراب عن
 رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهلكذا هلكت قال لا بل مت وانساب ولكني ظننت انها الساعة فمن
 ثم شبت فقال لحدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع
 وكانت ثلاث طبقات فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الاناس وطبقة فيها الطير فلما كثرت
 أرباب الدواب اوحى الله الى نوح أن اغمر ذنب النمل فغمزه فوق قمم من خبز يروخ برة قبلا على الزوت

المسيب الى متى انت تضع
عمرك وما نالت منه نصيب
الاهم تب عنايا ووقفا
لطاعتك يا حبيب (وحكى
عن محمد بن ابي الفرج
رضي الله تعالى عنه انه قال)
احتببت في شهر رمضان
الى جارية تصنع الطعام
فرأيت في السوق جارية
ينادي عليها بعمى يسير
وهي تصفره كالون نحيلة
الوجه مبسوسة الجسد
فاشترتها رحمة لها وابتعت
بها الى المنزل فقلت لها
خذى أوعية وامضي
معي الى السوق لنشتري
حوائج رمضان فقالت
ياسيدي انا كنت عند قوم
كل زمانهم رمضان فعلمت
انهم من الصالحات فكانت
تقوم الليل كله في شهور
رمضان فلما كانت ليلة
العید قامت لها دوى بنالى
السوق لشتري حوائج
العید فالتى بامولادى
حوائج العید تريد حوائج
العوام أم حوائج الخواص
فقلت لها صفلى حوائج
العوام وحوائج الخواص
فقالت ياسيدي حوائج
العوام الطعام المعهود في
العید وحوائج الخواص
الاعتزال عن الخلق
والتمتع بدوا تفرغ لخدمة
والتمتع بدوا تفرغ لخدمة
والتمتع بدوا تفرغ لخدمة
باطاعة لملك الحيد والزام
ذل العید فقلت لها انما

فاكله فلما كثرت الفأري السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك انه والدي السفينة وحي الله تعالى الى نوح
ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من مخبره سنور وسنورة فاقبل على الفأري فاكله فقال له عيسى
كيف علم نوح ان البلاد قد يهتت قال بهت نوح غرابا تيه بالخبر فوجد حقيقة فوقع عليها واشتغل عن
الرجوع فبدا عليه نوح بالخوف فلذلك لا ياب البيوت ثم بهت الحماة فجاءت بورق زيتون فغارها واطين
برجلها فلم ان البلاد رجفت قال فطوقها بالخضر التي في عنقه ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم
تألف البيوت فقالوا ليارسول الله لا تطبق به الى اهنا فيجاس معنا ويحدثنا قال كيف يتبرك من لارزق له
ثم قال له عبد بن الله تعالى فادترابا * قال هل اتا ربح ارسل الله الطوفان اثلاثة عشر يوما خلعت من آب
ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتمة الف سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن اهبط آدم الى
الارض وركب نوح ومن معه في السفينة الا مشرخلون من رجب وخرجوا منها في العاشر من الحرم فلذلك
سمى يوم عاشوراء واقاموا في ذلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وامر
جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا وشكر الله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت
قد أخذت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء فامر بالا كتحليل يوم عاشوراء الذي خرجوا
فيه من السفينة (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل تحليل يوم عاشوراء
لم تره عينا ابدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية من ارض الجزيرة موضعا وابنى
هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابني فيها لم آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق
ثمانين فوحي الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثمانمائة وخمسين
سنة فكان جميع عمره الف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاله العلماء وكذلك
هو في التوراة وقالعون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان الف سنة الا خمسين عاما وقبله ثمانمائة وخمسين
سنة فعمل هذا القول يكون مبلغ عمر نوح الف وثمانمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت
الدنيا قال كبئت لبلاب دخلت من احدها وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة اوصى ابنه ساما وجعله
ولي عهده وكان ولده سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره
فقال يا بني اوصيك باثنتين وانها لك عن اثنتين فاما اللذان انهما لك عنهما فلا شرك بالله والكبر فانه لا يدخل
الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر واما اللذان اوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران اللو لوج الى الله
تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع
لخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جمعت لاله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع
وما فيها واوصيك بسبحان الله فانها صلوات الخلق وبها يرفعون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه ومسمى بذلك لكثرة توحه على نفسه وكان اول نبي
من انبياء البشرية واول داع من الله تعالى واول نذير عن الشرك واول من عدته امتلأ دمه ودعوه واهلك
أهل ارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى اوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وامرهم بطاعتي
فاتهم كواهم بصيتي فاشتد ذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع
خلقي في خلقت اني لا أعذب مثل هذا العذاب أحد من خلقي ودها ولكن اجعل الدنيا ولا بين عبادي
ثم اجزهم بعامهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل لما كبر الانبياء وشيخ
المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبلغ أحد من

طعام تنهى طعام الاجساد
 أم طعام القلوب فقالت لها
 صميمى ما لى فقالت اما طعام
 الاجساد فهو القوت المتداد
 وأما طعام القلوب فتك
 الذنوب واصلاح العيوب
 والتمتع بمشاهدة الحبوب
 والرضا بحصول المطلوب
 وحواسنجي الخشوع
 والتقوى وترك الكبر
 والدعوى والرجوع الى
 المولى والتوكل عليه في السر
 والتجوى ثم انها قامت
 تصلى ففترأت في الزكاة
 الاولى صورة البقرة الى
 آخرها ثم شرعت في آل
 عمران الى آخرها فلم تزل
 تحت سورة بعد سورة حتى
 وصلت الى سورة ابراهيم
 الى قوله تعالى يتجرعه ولا
 يكاد يسهقه وبأية الموت
 من كل مكان وما هو ميت
 ومن ورأه عذاب غليظ
 قال فلم تزل تكره هذه الآية
 وتبكي الى ان اغشى عليها
 وسقطت الى الارض
 فخركنها فاذا هي مبتعدة
 الله تعالى عليها (وحكى عن
 الاصمعي رضى الله تعالى
 عنه انه قال) خرجت حاجا
 الى بيت الله الحرام من
 طريق الشام فبينما نحن
 سائرون اذ خرج علينا
 أسد عظيم هائل المنظر
 فقطع عن الركب الطريق
 فقالت لرجل بجانبى أمانى

الرسول في الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرا ولم يلق نبي من أمته من الضرب
 والشم وأتوا الاذى والجفاء ما لقي لذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل
 ثنى المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحى قال الله تعالى واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
 نوح وقال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والذين من بعده وفي البعث هو اول من تنشق عنه الارض
 يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم واعطاه الفلك وعلمه صنيعته وحفظه بما فيه واجراه فوق الماء وسماه
 شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح
 اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم منك الآية (قال) محمد بن كعب القرظى دخل في ذلك السلام
 كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذرية هم الباقيين فهو اول البشر واصل النسل (يروي) عن الحسن
 عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام وياث فسام ابو
 العرب وفارس والروم وحام بالسودان وياث ابوالترك ويا جوج وما جوج (قال) عطاء ودعا نوح على
 حام ان لا يمدوا شعر ولده اثمهم وحيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام وياث ولا يهبط نوح وذرية من
 الفلك قسم الارض بين ولده اثلاثا فيجعل سام وسط الارض فيها بيت المقدس والتيل والقرات ودجلة
 وسيحون وجيحون وذلك ما بين قيسون الى شرقي النيل وما بين مجري الجنوب الى مجرى الشمال وجعل
 غر في النيل وما بين مجرى ريع الجنوب وما وراءه الى سيحون الى مجرى ريع الدبور وجعل قسم يافث
 من قيسون لما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجمعنا نذر يتهم الباقيين وتركنا عليه في الاخرين
 سلام على نوح في المالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
 * (مجلس في قصة هو عليه السلام) *

قال الله تعالى الى والى عاد اخاهم هو دالى تتقون وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الازلى وكاوا
 يزلون النمن وكانت منازلهم منها بالشعر والاحفاف كما قال الله تعالى واذا كراعا دادا اذمقومه بالا حفاف
 وقد خلت النذر الاية وهو مال يقال لما رمل عالج وهو ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشا
 في الارض وكثروا وقهروا اهلهما لنصل قوتهم التي اناهم الله تعالى وكان قد اعطاهم الله من القوة والقامة
 ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى واذا كروا اذما جاكم خلفاء من بعد قوم نوح وزاد في الخلق بسطة اوى
 عظما وطولا وقوة وشدة (قال) ابو حمزة الثماني كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا قال ابن عباس
 ثمانين ذراعا وقال الكشي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا (وقال) وهب كان رأس
 احدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا اصحاب
 اوزن يبدونها من دون الله تعالى فيها صمى يقال له ردى وصمى يقال له ردى وصمى يقال له ردى وصمى يقال له ردى
 هوذا نيبا وهو من اوسطهم نسبوا فاضلمهم حبا وهو هو بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص
 ابن ارم بن سام بن نوح * وقال محمد بن اسحق ابن يسار وهو بن عابر بن شالخ بن ارغش بن سام بن نوح
 وولد لخالخ عابر بعد ان مضى من عمره ثلاثون سنة فامرهم هودان بوحداوا الله تعالى ولا يجعلوا معه لها
 غيره وان يكووا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بنير ذلك فابوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة
 وبنا المصانع ويطشوا فيها بطش الجبار ين كما قال تعالى ان الذين بكل ريع آية تهبون ويتخذون مصانع
 لملك تخذلون واذا بطش بطشهم جبار ين فلما فاولوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى اضر بهم
 ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلا رجم دبلوا ومن الله تعالى الفرج وكان طابهم ذلك من الله
 تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة ادانيهم وكابهم بمختلفة لمكة

سيفاً يردعها هذا الاسد
فقال اما رجل فلا أعرف
ولكني اعرف امرأته
من غير سيف فقلت وأين
هي فقام وقت معه الى
هودج قريب منا فنادى
يا بنية انزلي وردى عنا هذا
الاسد فنالت يا ابي
ايطيب قلبك ان ينظر الى
الاسد وهو ذكروا انني
ولكن قل لاني فاطمه
تفرك السلام وتسم
عليك بالذي لا تأخذ منه
ولانوم الاماء ملت عن
طريق القوم قال الاصمعي
فوالله ما سمعت كلامها
حتى رايت الاسد ذاهبا
أماننا * هذه والله لا ان
الصالحين وامارة العارفين
نعمنا الله تعالى بهم آمين
(دروى عن بعض
الصالحين رضي الله تعالى
عنه) انه رأى جارية
البادية وهي تمشي وتفرح
وليس معها احد فقال من
اين اقبلت فنالت لهن
عند الحبيب قل والى ابن
تريدن قالت الى الحبيب
قال فاستوحشين وحدي
في هذه البرية فرفعت
صوتها ونادت بأعلاه يعلم
بليغ في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما
يخرج فيها وهو معكم اينا
كنتم والله بما تعملون
بصيرنم قالت يا بطل من

عارف بمرستها ومكانتها عند الله تعالى واهل مكة يومئذ العالقي وانما سموها العالقي لان اباهم عماليق بن سام
ابن نوح وكان سيد العالقي اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت
الخبيري رجل من عاد فلما غطط المطر عن عاد جرد اوراقهم واجهوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا
منهم قيل بن عذروا فبين هزال بن هزبل وعبيد بن ضد بن عاد الاكبر ومن بن سعد بن عفير وكان مسلما
كنتم اسلامه وجه لمعة بن الخبيري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا ايضا لهما بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فافظق
كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على
معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصحابه فقاموا عند شهر
يشر بون الخمر وتغنيهم الجرادان وهما قيتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأوا
معاوية بطول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالى
وأصحابي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيقي والله ما أدري كيف أصنعهم فاستعجى أن أمرهم بالخروج الى
ما بهشوا اليه فيظنون انه ضيق مبي فتأففهم عندي وقدهلك من وراءهم من قومهم جردوا عطفاشا فشكل ذلك من
امرهم الى قيتي الجرادتين فقال لانه قل شراغنيهم به ولا يدرون قاتله بل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر
الا يا قيل ويحك قم فبينهم * لعل الله يمنحنا غنا ما
فتسقى ارض عادان عاد * قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجوا * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نسأؤهموا بخير * فقد أمتت نسأؤهموا عيامي
وارالوحش يأتهم جهازا * ولا يخشى امادي سها ما
وانتم ههنا فيما اشتبهتم * نهاركوا وليلكوا تما ما
فنبج ردفكم من وفد قوم * ولا فلوا التحية والسلاما
فلما غتمهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما نتممكم يومئذ بشون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم
وقد اخطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا منكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا
انكم والله لا تستسقون بدعائكم ولكن ان اطعمت نبيكم وانبت لي ربكم سقيتم فظهر اسلامه عند ذلك قال جلهمه
ابن الخبيري خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام
أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وامك من نمود
فانا لا نطليمك ما بقينا * ولستنا قاعلين لما تريد
أنا مرنا لتترك دين وفد * ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى وتبع دين هود
ثم قال لمعاوية بن بكر وابيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عن امرئ بن سعد حتى لا يقدم منه ما مكة فانه قد تبع
دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسعون لادبها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل
معاوية حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله شيئا مما خرجوا اليه فلما انتهى قام بدعوا لله وفدعا قد أخذوا
يدعون فيقول اللهم اعطني وئلى وحدي ولا بدخاني في شي مما يدعوا به وفدعا وكان قيل بن عذروا رأس
وفدعا قد أمرهم أن يأمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قبيلا مأسألك وأجعل سؤنا مع - وواله كان تخلف
عن وفد عاد لهما بن عاد ولم يدخل في دعوتهم فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي وقال
قيل بن عذروا حين دعى واستسقي اللهم لم أجىء لمرض قادي به ولا لاسير فاقادته اللهم اسق عادا ما كنت

ما سواد ومن طاب رضاء
صبر على قضاء ثم غابت
عني فلم ارها رضى الله تعالى
عنها (وحكى عن المري
السقطي رضى الله تعالى
عنه انه قال) اقرت لمسلة
من اليايلى فلم استطيع
النفص فملت في نفسي
اخر ج الى المقابر لم اعتر
برؤية القبور والتمه كرى
اليمت والنشور فغزل همي
وغني فخر جنت اليها لها
وجدت قايي منشرحا لهما
فقلت ادخل الاسواق
الى باختلاط الناس يزول
عني اليباس فقامت ذلك ف
اشرح قايي هنالك فقامت
ادخل المارستان وانظر
الى المرضى والحجانب والى
افعالهم لم اعتر باحوالهم
فدخلت اليه فوجدت
قايي مقبلا عليه فملت الهى
وسيدى الي ههنا سرتنى
ولا جله من ماسى ايقظتني
فنفوت في سرى ماتينا
بك الى هذا المكان الا ولنا
فيه نبا وشان قال السرى
فقد سدت الى مكان
الحزين فرأيت فيه جارية
مصفرة اللون متفيرة
ويدها مغلولة الى عنقه
وحى مشمولة بذكر الله
تعالى قال السرى فقلت
للقم على الجانين ماشان
هذه الجارية فقال جارية
اختل عقلها فحبسها

استقيم بالهنا ان كان هود صا دقا فسقنا فاقد حله فانشأ الله سبحانه ثلاثا واحدة يضاهى واحدة جراه
واحدة سوداهم ناداه مناد من السحاب الا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحاب الثلاث فقال قيل
اخترت السحابة السوداء فانما اكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول اخترت يا قيل رما دار مدد الم تبق من
آل عاد احدثا ولدا انتركه ولا ولد الا جملتهم رما يد الماء والى الوديدة هط من هزال بن
هز بل بن بكر وكنا وسكانا بمكة مع اخوانهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الاخرة فساق الله السحابة
السوداء التى اختارها قيل عا فيها من النعمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم فقال له المغيث فلما
راوها استبشروا بها وقالوا هذا غرض مطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلكم به ريح فيها عذاب
ألم تدمر كل شيء بامر ربها اذ كل شيء مرت به وكان أول من أضر ما فيها وعرف اضرار ريحها لمكة
امرأة من عاد يقال لها مهد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صمعت فلما أفاقته قالوا ما رايت
قالت رايت ربحا فيها كسشب النار أمامها رجال يقودونها (اخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين ابنا
محمد بن جعفر ابنا الحسن بن عروة انما ناسم على بن عيسى ابنا اسحق بن بشر اخبرني انني بن الصباح
عن عمر بن شبيب عن أبيه عن جده قال اوحى الله تعالى الى الربيع المقيم ان يخرج على قوم عرفت ففتنهم
له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على منخر نور حتى رجعت الارض مما يلي المشرق والمغرب قال فقال
الخرن ان يارب ان يطيقوها ولو خرجت على حالها لاهلك ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليها
ان ارجعي فاخرجي على قدر خرمه الخاتم وهي الحلقة قال فخرجها الله عليهم سبعة ايام
حسوما الى داء فممتا بعة فلم تدع احدا من عاد الا هلكته وكان هود ومن معه قد اعزوا في حظيرة ما يصيدهم
من الريح الاما يلين جلودهم والذبة الانفس وانما من عاد اطمعن فتجملهم ما بين الداء والارض وترفعهم
بالجسارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدى بمس الله على عاد الريح المقيم فلما دنت منهم نظروا
الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح
فاخرجتهم منها فهلكوا فلما اهلكهم الله تعالى ارسل عليهم طيور اسودت لثمتهم في البحر فالتفتهم فيه (قال)
ابن بشار اخرجت الريح على عاد من الوادى قال تسعة رط منهم احدثهم الخلعين وكان رئيسهم وكبيرهم
في ذلك الزمان تعالوا حتى تقوم على رأس الوادى ففردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتجعله
ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تفلع الشجرة العظيمة ببروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقامهم فتتركهم
كما قال الله تعالى كانهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخاجان قال الى الجبل فاخذ بجانب منه فهزه
فاهتز يده ثم انشأ يقول

لم يبق الا الخلعجان نفسه * يالك من يوم دهان امسه

نبات الوطء شديد بطشه * لو لم يحمي جنته وحبسه

فقال له هود ويحك يا خلعجان اسلم تسلم فقال له ما على عذر بك اذا اسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين اراهم
في السحاب كانهم البخت قال هود ذلك الملائكة قال ان اسلمت ايقيدنى ربك منهم اقومي قال ويحك هل
رايت ملكا يقيد من جنوده فقل لو فعل ما رزيت فجاءت الريح فالحقت بها بحبابه واهلكته وافنى الله عادا
سوي من بقى من قومهم بمكة ونواحيها (اخبرنا) الحسين بن محمد الدينوري اخبرنا احمد بن محمد بن اسحق
السني اخبرنا ابو يعلى الموصلي اخبرنا اسحق بن ابي امرئيل وعبيد الله بن عمر القوارى يرى اخبرنا جعفر
بن سليمان الضبيعي اخبرنا فرقد السبخي عن عاصم عن عمر والجبلي عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ببيت قوم من هذا الامه على طعام وشراب وهو فيصحبون قردة وخنازير ويصحبهم

الجارية كلامه تمهدت
وانشدت تقول هذه
الابيات شعرا
ممشر الناس ماجنت
ولكن

اناسكرانة وقلبي صاحي
قد غلّتم بدى ولم آت ذنبا
غير هتكي في حبه
وافضاحي

انا مفتونة بحب حبيب
استأخي عن بابه من
براح
فصلاحي الذي رأيتم
فسادي

وفسادي الذي رأيتم
صلاحي

قال المري فلما سمعت
كلامها اقلفتني وابكاني

وهيج لوعتي واشجاني
فلما رأته دعي به جدر على

وجهي قالت ياسرى
ما جهلت منذ عرفت ولا

فترت منذ خدمت ولا
قطعت منذ وصلت ولا

حجبت منذ وقفت واهل
الدرجات يعرف بعضهم

بعضا قال السرى فقلت لها
يا جارية اراك للامجة

تذكرين وللتوحيد
تظنن فلن تحبين فقلت

لمن تعرف علينا باكرامه
وتحجب اليتا بانعامه وحاد

علينا بجزيل عطائه فهو
قريب الى القلوب مفرج

للكروب حلیم على من
عصاه يجيب لمن دعاه قال

خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة بيني فلان وليس ان علمهم الربيع المقيم التي اهلك عاداتهم
الخبر واكلمهم الربيع انما خدعهم القينات وليسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة
حتى مروا بمناوية بن بكر فزولوا عليه فبيناهم عنده اذا اقبل رجل على ذقنه في ليله مقمرة من امصار
عاد فاخبرهم بهلاك عاد فقالوا له اين فارقت هودا واصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكلمهم شكوا
فيما حدثهم به فقالت همرلة بنت بكر صرق ورب الكعبة ومنور بن مفران اخي معاوية بن بكر معهم
قاروا قد قيل لم نردين سعد ولفان بن عاد وقيل بن عزيز دعوا عكة قد اعطيتكم مناكم فاخذوا ولا انفسكم
فقال مرثد اللهم اعطني ربوا صدقا فاعطى ذلك وقال قيل اختارنا بصبري ما اصاب قومي فقل له هلاك
فقال لا ابالي لاحاجة لي في البقاء بعد قومي فاصاب بالذي اصاب عاد من العذاب فهلك وقال لفان يارب اعطني
عمر اقل قيل له اختر لنفسك بقاء سبع بركات سدر من اطب عقر لا يمسا القطرار عمر سبعة انما اذهاض
انسر حوات الى نسر آخر فاستحق بقاء الامار واختر عمر النور فممر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ حين
يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها القوة فيدب به حتى اذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى اتي
الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما ايق غير السابع قال ابن اخ لفان يا عم لم يبق من عمرك
الا هذا النسر فقال لفان يا ابن اخي هذا ليد ولبيد بلعناهم الدهر فلما انقضى عمر ليد طارت النور
غداة من رأس الجبل ولم ينقض ليد فيها وكانت نسر ورلفان لا تغيب عنه قال فلما رأى ليدا لم ينقض مع
النور قام الى الجبل لينظره فلم يلب فوجد لفان في نفسه وهما لم يكن يحده قيل ذلك فلما انتهى الى الجبل
رأى نمره ليدا واقفا بين النور فاداه امض ابد فذهب لينقض فلم يستطع فقط ومات لفان معه وفيه
جرى المثل اني ابد ليد وقال النابتة الدنياي

أضحت قفارا واضحي اهاما احتملوا * أخنى عليها الذي اخني على ليد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول انراكب الذي اخبر بهلاك عاد شعرا

عصبت عاد رسوهم فامسوا * عطاشا ما تلبهم السما

وسير وفتحهم شهرا ليسقوا * فاردفهم مع العطش العناء

بكفرهم بر بهم جهارا * على آناهم عاد العفاء

الانزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم فقير هواء

من الرب المهيم اذ عصوه * وماتني النصيحة والشفاء

فقمي وابنتساي وام ولدي * لنفس نينا هود فداء

انا والقلوب مميات * على ظلم وقد ذهب الضياء

لنا صتم يقال له صمود * يقابله صدى الهباء

* قابصره الذين له اناوا * وادرك من يكذبه الشقاء

واني سوف الحق من آل هود * واخوته ادا جن المساء

ثم انخلق بهود ومن آمن معه وبقي هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال ابو الطفيل عامر
ابن وائلة سمعت عليا رضي الله عنه يقول لرجل من اهل حضر موت هل رأيت كتيبا حمر يخالطه مدره حمراء
واراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضر موت قال نعم يا امير المؤمنين انك لتنتهلي نعمت رجل قد
راه قال لا واكنه قد حدثت عنه فقال الحضرمي وانشأ نيا امير المؤمنين فقال فيه قير النبي هود عليه السلام
اخبرنا ابو عمرو احمد بن ابي العرابي ابا ناسا الغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام

أنبأنا الفضل بن يحيى الجندى أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفیان الثوري عن عطاء
عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام زمزم قبر تسعة وتسعون نبيا وإن قبر هود
وصالح وشعيب واسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة (وفي رواية أخرى) كان النبي من الأنبياء إذا هلك قومه
وتجاووز الصالحون مدياني مكة هو ومن معه يبكون لله تعالى حتى يروا الله أعلم
﴿مجلس في قصة صالح عليه السلام﴾

قال الله تعالى وإلى نوح أخاه صالحا وهو نوح بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس
وارادهم في القبيلة قال ابو عمرو بن العلاء سميت نوحوا لقلة ما ماتوا والله الماء القليل وكانت مساكن
نوح والحجر بين الحجواز والشام وكان من قصتهم على ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار والسدى والسكبي
وهوب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتاب دخل كلام بعضهم في بعض ان عادا الاوليا لما احلهم
الله تعالى وانقضي امرهم عمريت نوح بدغم واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها فبكثروا وعمرها حتى
جعل بعضهم بيوت المسكن من الحجر والمدر فينهلهم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فانتجسوا
منها وجابوها وجوفوها وكانوا في سمة من معاشهم كما قال الله تعالى واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من
بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سواها قصورا تتحدثون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله
ولا تمثوا في الارض مفسدين فحالفوا امر الله وعبدوا غيره وأفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا
وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حازم بن نوح وكانوا قوم ماعر باؤا كان صالح بن اوسطهم
نسبا وأفضلهم حسبا فبعث الله تعالى اليهم رسولا فلا يسمع الى الله تعالى ولا يعبده فلم يتبعه الا قليل مستضعفون
فلما ألع عليهم صالح الدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التحذير فالتجذروا لئلا يريهم آية تكون مصداقا لما
يقول فقال اللهم أرهم آية ليتوبوا ثم قال لهم أي آية تريدون قالوا نخرج معنا الى عيونا وكان لهم عيد
يخرجون اليه باصنامهم في يوم معلوم من السنة فدعوا الهك وتدعوا للهتان استجيب لك انبعثك وان
استجب لنا انبعثنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فسعوا وانهم
وسألوا ان لا يستجاب لصلح في شيء مما بدعوا به ثم قال جنس بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد
نوح يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنقردة عن الجبال في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة ناقة
مخرجة جوفاء براء عشره والخترجة ماشا كلت البعثة من الابل فان فمات ذلك صديقنا له وآمننا بك فاخذ
عليهم صالح الميثاق انهم ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك
فتمحضت الصخرة فمخض النروج بولدها ثم تحركت الهضبة فاصدعت عن ناقة عشره جوفاء براء كما
سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظماء وهم ينظرون ثم نتجت سبعة مثلها في العظم فآمن به جند بن
عمرو ورهط من قومه وأراد اشراف نوح ان يامنوا بصالح وياتوه فنهضهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد
والخياط صاحبها أوثانهم ورياب بن صمر وكانوا من اشراف نوح وكان لجنس بن عمرو بن لبيد
شهاب بن خليفة فاراد ان يسلم فنهضه أولئك الرهط فاطاعهم فقال رجل من نوح

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز نوح كلهم جميعا * فهمت ان تحيى لواجبا
لا يصيح صالح فينا عزيزا * وماعدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذؤابا
فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولا تشرب يوم معلوم فبكنت الناقة ومعهما سقيهما في ارض

المرى فماتت من حبسك
في هذا المسكن فقالت
حاسدون مبغضون
تماونوا على ورموني
بالجنون وهم أحق بهم هذا
الاسم في وانشدت تقول
يا من رأي وحشي قانسني
بالقرب من وصله فانعشتني
يا ما كفى لاخلوت من
سكني

دهري وياغدني على
الزمن

او حشني ما فقدت منه فقد

عاد باحسانه يقرني

وجدا يضاعلي منه ظنا

كذلك قد كنت حين

عرفني

حسبي من الكون من

شفقت به

احصيه مؤنسا ويصحبني

وكنت في غفلة فنبهني

وكنت في رقدة فاية ظفني

قال السري فماتت لهما

الاسم فقالت دع الاسم

يكفيناك فاسمعت يغنيك

فبينما نحن كذلك ان اقبل

سيدها فقال للمولى عليها

أن بدعة فقال قد دخل

عليها الشيخ السري

فكلمها بكلام اصغت اليه

فدخل سيدها فرأى

المرى عندها نظمه وقبل

يده وقال يا سيدي لقد

رحمت ببركتك فقال له اي

شيء انكرت منها فقال

يا سيدي هذه جارية كانت

تقرب بالود فاعتجبتني

فشربتها بجميع مالي وهو
عشرون نف درهم لفرط
حسنها وحسن ضربها
بالمود وراحت ان ارض فيها
مثل ثمنها فدخلت عليها في
بعض الايام والود في
حجرها وهي تني وتشد
هذه الابيات شعرا

وحقك ما نقصت الدهر
عهدا
ولا كدرت بعد الصفوودا
مالت جواحي والقلب
وجدا

فكيف اقر يا سكتي واحد
فيا من ليس لي مولى سواه
لقد صيرتني في الناس عبدا
قل فدا فرغت من غنائها
بكيت بكاء طويلا ثم
ضربت بالدودي الارض
فكسرتة وجعلت تهم
وتصيح وهي ذاهلة العقل
فانتمت بها بحجة الخلق ثم
كشفت عن حالها فلم اجد
لذلك اثرا قال السري
فلست لها يا جاريه هكذا
جري عليك فاجابه بهذا
الكلام تقول شعرا

جار بني الحق من جناتي
وكان وعظي على اساني
قر بني منه بعد بمد
وحصني منه واصطفاني
اجبت لما رعيت طوعا
مليبا للذي دعاني

وخفت لما جنت فيه
ما يوقع الحب بالاماني
قال السري فقلت لسيدها
اطلقها وعلى دفع ثمنها

ثم ردعي الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولحوم يوما فاذا كان يوما وضعت رأسها في بر بارض
الحجر يقال لها بر الناقة فيرتفع الماء اليها ثم ترفع رأسها الارقدشمر بت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها
فتنهج ثم تروح عليهم فيجاءون من لبنها ماشاؤا بفشر يور ويدخرون ويلون او انهم لكن تصدر من
غير التاج الذي وردت منه لئلا لا تقدر ان تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال ابو موسي الاشعري
أثبت ارض ثمود فذرت وصدور الناقة فوجدته ستين زارعا فاذا كان الغد من يومهم شر بومان الماء وقد
أخرجه الله تعالى لهم من البر وادخرها ماشاؤا فذكر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة وورعه وكانت
الناقة في الضيق اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها اغنامهم وبقريهم وابلهم وتبسط الى بطن الوادي
في حره وحده فكانت كل المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتعرب
مواشيتهم الى ظهر الوادي في البرد والحدة فضر ذلك مواشيتهم للبلاء والاخبار فكان مراتهم الجبال فكبر
ذلك عليهم حتى حملوا على عرق الناقة فاحتالوا في عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنزة بنت غنم بن مخلد
وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهمل وكانت امرأة ذؤاب بن محرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان
ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت الحيايين وهو وكانت غنية جميلة ذات
مواش كثيرة وكانت همار المرأان من أشد الناس عداوة لصالح وكانا يخالدا في عرق الناقة من كفرها بصالح
عاضرت بمواشيتهم او كانت صدوق عند ابن خذل لها يقال له صنيح بن هراوة بن سمد بن القطر يف بن هلال
فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فرضت اليد ما لها فانفقته على من اسلمه منه من اصحاب صالح عليه
الصلاة والسلام حتى تقدم لمل فاطمت صدوق على اسلامه فما اتبعه على ذلك فاعطاهم لها ينسده ودعاها الى الله
تعالى فابت عليه واخذت اولادها فبقيتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على اولادي فلما
الح عليها قالت حتى احاكت الى بني عمي وذلك ان بني زوجها كانوا مسلمين فابت ان تحاكمهم اليهم فقال
لها وبعمها والله لتهطيه ولده طائفة او كارهة فمأرت ذلك اعطته اولاده ثم ان صدوق وعنزة احبانا في
عرق الناقة للشقاء الذي كتب عليهم فدرعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الجباب فامرته بعرق الناقة وعرضت
عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجملة له نفسها ان
هو عرق الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا واكثرهم مالا واحسنهم بكالا فاجابها الى ذلك ودرعت عنزة قدار بن
سالف من اهل قرح واسم امه قديرة وكان رجلا شرفا زرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنبة رجل يقال له
صفوان ولم يكن لسالف وليكنته قد ولد على فراشه فمالت له يا قدار اعطيك من بناتي ايتا شئت على ان تعقر
الناقة وكان قدار عز زباني قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبث اشقاها رجلا عز زباني
قومه مثل ان زنمة قالوا فانطاق قدار ومصدع فاستعانوا بن استعانوا من ثمود فابهم سبعة نفر وكانوا
تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيم هدايات
بن مبلع خال قدارو عز زباني من اهل الحجر وزع بن غنم بن داعر اخي مصدع وخسعة لم نذكر اسماؤهم
فاجتهدوا على عرق الناقة قال السدي وغيره اوحى الله الى صالح ان قومك سيمكرون الناقة فقال لهم ذلك
فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولدن شبرك هذا غلام بعقرها ويكون هلا ككم على يديه فقالوا
لا جرم لا يولدن في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولدت تسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فنجحوا اولادهم وولد
للعاشر ابن قابي ابن يذبح ابنته وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرع احمر فبنت
بناتاسر يعا وكان اذ امر بالتسعة وراوه ندهوا على ذبح اولادهم وقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا
فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل اولادهم فتعاسوا بالله لئلا يتيهته واهله قالوا انخرج فزري الناس انا

فصاح سيدها واقره من
 ابن لك فمن هذا الجارية
 قاتل المري فقتل لا تمج
 وامكت في هذا المسكن
 حتى آتت بتمها قال
 السرى فضيت الى منزل
 وعيناي تذران بالدموع
 وقلبي بسبب جهام ودوع
 وصرت اتضرع الى الله
 تعالى واتوجه اليه واتوكل
 في قضاء حاجتي عليه فينبأ
 انا كذلك اذا قارع بقرع
 الباب فقلت من باباب
 من حبيب من الاحباب
 فظنرت قازا هو شاب من
 احسن الناس وجها ومرة
 خادم على رأسه خمس بدر
 فقلت من انت رحمة الله
 فقال احمد بن المثنى قد
 اعطاني الجبار جل جلاله
 وما يحل على بطأه ورزقي
 من الاموال ما به عجز عن
 حمله الرجال فينبأ انا انما اذ
 هتف في هاتف من قبيل
 الله عز وجل فقال يا احمد
 هل لك في ماملتنا فقلت
 وقد زال النوم عني ومن
 اولي بذلك في فناداني
 ان احمل الى الشيخ السري
 خمس بدر يطيبها لمولى
 بدعة ليك اسرها من الرق
 ويحظى منها بالحق فلما بها
 عناية ولطف ورعاية
 خلعت اليك هذا المال
 واطاعتك على الحال قال
 السرى فسجدت شكرا
 لله تعالى واخذت بيد احمد

قد خرجنا السفر ثانی الفار فكن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده افتناه فقلته ثم نرجع
 الى الفار فكن فيه ثم نصرف بعد ذلك الى رحا لنا فنقول ماشهدنا مهلاك اهله وانا اصادقون فيصدقوننا
 ويظنون ان قد خرجنا الى سفر وكنا صالحا لينا مل معهم في القرية وكان يآري الى مسجد يقال له
 مسجد صالح بيت فيه في الليل فاذا أصبح انا هم وعظمم وذكروهم فاذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه
 فلما دخلوا الفار واضمر وانهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه فطقت عليهم صخرة من الفار فقتلهم فانطلق
 رجال من كان قد اطلع على ذلك الفار فاذا هم رضى فرجعوا يصيغون في الترية باعداد الله ما قنع صالح
 ان امرهم يقتل اولادهم حتى قتلهم فاجع اهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان
 تقاسم التسعة على تبيت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالذاب وذلك ان
 التسعة الذين عقروا الناقة قالوا لهم فلتقتل صالحا فان كان صادقا كنا نجعلنا قتله وان كان كاذبا الحناؤه
 بنافته فتوه ليل للبيتوه في اهل فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما ايقظوا على اصحابهم اتى اصحابهم منزل
 صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلهم وهما به فقامت عشرين
 دونه واخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلوه ابدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كانت
 صادقا لمز يدوار بكم عليكم الاغصبا وان كان كاذبا فانت من وراء ما ترى يدون فانصر فواعظهم ليلتهم تلك
 (قال) السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قد ارا ركان يشب في كل يوم شباب غيره في الجمعة ويشب
 في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جالس مع اناس يصيدون
 من الشراب فارادوا ما يعجزون به شراهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد مشر به الناقة فاشتد
 عليهم ذلك وقالوا ما صنعت الابن لو كنا نأخذ الماء الذي تشر به هذه الناقة فيه اقمنا حزننا كان خيرا لنا
 فقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها قالوا نعم (وقال) كذب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا
 كانت قد ملكت عمود فلما اقبل الناس على صالح لاصرات الرئاسة اليه حسدت فقتلت امرأة يقال لها قطام
 وكانت مشوقة قدار بن سالف ولا مراه يقال لها قبال وكانت مشوقة مصدع بن مهران وكان قدار
 ومصدع محبة من مهاب كل ليلة بشر بن الحر فقتلت لهما ملكا انا كيا ليلية قدار ومصدع فلا تلبياهما
 وقولا لهما ان الملكا حزينة لاجل صالح وناقته فتحن لا نطيع كما حتى تعمرا الناقة فان عقرتها ما اطعنا كما فلما
 اتياهما قاتلا لهما هذه المغالة فقالا نحن نعلمها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع واصحابهما
 السيمة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كن لها قدار في اصل شجرة على طريقها وكن لها مصدع
 في اصل شجرة اخرى فمرت الناقة على مصدع فترها بسهم فانظم بدعضلة ساقها وخرجت أم غم
 وعذرة وامرت ابتها وكانت من احسن النساء وجها فترام لقد اراوا سفرت له عن وجهها وحرصته على
 عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فارادها وطمن في ابتها فبحر ما وخرج اهل البلدة
 واقتسموها واكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى ستمها ذلك انطلق حتى أتى جبالها يعني اقال له
 ضوء وقيل اسمه قارة وروي ذلك مستند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب
 عن عمر بن خارجه فأتى صالح عليه السلام فقيل له ادركنا فقلت فقد عقرت فاقبل وخرجوا يلقونه
 ويعتدرون اليه ويقولون يا بني الله اعما عقرها فلان ولا نذب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون
 فصليا فان ادركتموه فسمي ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما اراوه على الجبل ذهبوا لياخذوه
 فأوحى الله الى الجبل فتناول في السماء حتى مات له الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصل بكى
 حتى سالت دموعهم رغا ثلثا وانجمرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا

ومضية إلى المارستان وإذا
بالوكل عليها بالفتة عينا
وشمالا فلما رأى قال
مرحبا أدخل عليها فانها
لطفًا نطقًا عند الله حرمه
ومكانة قال فدخلنا عليها
فسمعناها تقول شعرا
قد تصبرت إلى أن
عيل في حبك صبري
وكنيت الوجدلكن
ليس يخفى فيك امري
ان تكن عني راض
لا بألى طول دهرى
أنت لى خير انيس
يا مناسؤلى وذخرى
من برد يعتق رقى
ويذك اليوم اسرى
غيرك اللهم ربي
انت لى كاشف ضرى
قال في نهاي تشد اذا قبل
مولاه وهو يسكى
و ينتجب قال للمرى
فقلت له لا بأس عليك قد
اتيناك بالذى وزنته فى
الجارية بربح خمسة
آلاف درهم فقال لا والله
فقلت بربح عشرة آلاف
درهم فقال لا والله فقلت
برخ المثل فقال لا والله ولو
اعطيتى الدنيا بما فيها لما
قبلت منها شيئا ولكن هي
حرة لوجه الله تعالى قال
السرى فقلت له اخبرنى
ما الخبر فقال يا استاذى
أتانى البارحة آت فى النوم
ويخنى فى المنام واغاظ
عنى فى الكلام وقال تهين

في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار تابع الفصيل
اربعه نفر من التسمية الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع واخوه ذؤاب ولد لمصرح فرماه مصدع منهم فانظم
قلبه ثم حر برجله فأنزلوا وقالوا الحمد مع لحمه فقال لهم صالح عليه السلام انتم كنتم حرمة الله فابشروا بعذاب
الله تعالى ونفثة فقالوا مستهزئين به وفى ذلك يا صالح وما آية ذالك وكانوا يسعدون الايام فيوم الاحد الاول
والاثنين اعدون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شببار
وفيه يقول الشاعر

أولم ان اعيش وان يومي * بأول او بأهون او جبار

أو للمردى دبار قالت افته * مؤنس أو عروبة او شببار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن رقت العذاب وآيته
انكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم الاربعاء ووجوهكم حمرة ثم تصبحون
يوم شببار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فاصبحوا يوم الخميس ووجوهكم مصفرة
كأنما طابت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكركم وانثاهم فاقبوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فظلموه
لية لموه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من نمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم
رجل منهم يقال له نقيل ويكنى ابا هذب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدر وعاليه ففسدوا على اصحاب
صالح يعذبونهم ليدلوه عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يابى الله انهم ليمذبونا
لندلهم عليك افندك فلم نعم فدلهم عليه مبدع قالوا ابا هذب فكلوه فى ذلك فقال نعم هو عندى وليس
لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما نزل الله تعالى بهم من عذاب به فجعل بعضهم يخبر بعضا
عما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثانى اذا
وجوههم حمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا ان العذاب واقع بهم فلما أمسوا
صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم
مسودة كأنما طابت بالفر فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه
السلام من بين اظفارهم وخرج معه من آمن به حتى جاؤا الشام فنزلوا رمة فلسطين فلما أصبح النوم تسكنوا
وتخبطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت كفائهم لا تطاع ثم القوا أنفسهم بالارض فجعوا يلقبون
ابصارهم الى السماء مرة الى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضجى من يوم الاحد
اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت فى الارض فقطعت قلوبهم فى
صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا فى دارهم جائعين كأنهم يغنوا فيها ألا
ان نمود كفروا ربهم ألا بعبدا لنمود ولم ينسج منهم الاجارعة فعدده يقال لهازرعة بنت شاف وكانت كافرة
شديدة العداوة لصالح فطابق الله لها رجلا يها بدماء عانت العذاب اجمع فخرجت كاسرع شئ يكون حتى
انت قرحا وهو وادى القرى حذما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينت من العذاب وما صاب نمود ثم
استسقت من الماء فسقيت فلما بشرت بمات (ودوى) ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما رآني صلى الله
عليه وسلم بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احدنكم هذه القرية ولا تشر بوا من ما هو ولا
تدخلوا على هؤلاء المذنبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذى اصابهم ثم قال أما بعد فلا تسئلوا
رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سألوهم الاية فبث الله لهم الناقة فكانت رد من هذا النج
وتصدروا من هذا النج فشراب ماءهم يوم ورودها واداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل

ولية لبايعا والله فذهب

مرعوباً وقد هانت
على الدنيا وخرجت
عن جميع مأملي
الله تعالى وأنا هارب إليه
عسى أن يقبلي ثم بكى
وخرج على وجهه هاماً
قال المرى فالتفت إلى
احمد بن المثنى فوجدته
يبكي ويتعجب ودموعه
تجري على خده وقد
ظهرت آثار القبول عليه

وقلت ما يبكيك يا احمد
فقال ما رضىنى مولاي
الى ما ندى اليه ولا
وجدت المالى قبولا بين
يديه أشهدك انى قد
خرجت عنه وهو صدقة

لوجه الله تعالى قال المرى
فقلت ما كان اعظم بركات
بدعة على الجميع ثم قامت
بدعة وزعت جميع ما كان
عليها ولبست جبة من
صوف ونجارا من شعر
وخرجت هائمة على
وجهها فخرجنا معها وهي
تشدد وتقول شعرا

هربت منه اليه

بكيت منه عليه

وحقه وهو مولى

لا زلت بين يديه

حتى انال واحظى

ما قدر رجوت اليه

(قال السرى) فما زلنا

نقبه حتى خرجت الى

ظاهر المدينة وهي تشدد

وتقول هذه الايات شعرا

حين ارتقي في القارفتوا عن امرهم وعقرها فهاك الله تعالى من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض
ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ارغل رها وبرئيف كل في حرم الله تعالى فمنه حرم الله من عذاب الله
تعالى فلما خرج اصابه ما صاب قومه وبقي معد غصن من ذهب واراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر
ابى رغل انزل القوم فابتدوه باسياقهم وبحثوا عليه فامتهجروا ذلك الغصن من الذهب ثم اتبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه واسرع السرحى حتى جاوز الوادى وقال اهل التوفى صالح عليه السلام
بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعدما هلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله
تعالى هناك حتى مات وكان قد اقام في قومه عشرين سنة (اخبرنا) محمد بن عبد الله بن جردون (قال) اخبرنا عبد
الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة ابو عثمان عن ابيه
عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على اتدري ما اشقى الاولين قل قلت الله
ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال يا على اتدري من اشقى الاخرين قل قلت الله ورسوله اعلم قال قال
والله اعلم

(مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنوروز)

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام
ابن نوح وكان اسم ابي ابراهيم الذي سماه به ابو تارخ فلما صار مع النمرود قيا على خزائن آلهته سماه اكر و قال
بجاهدان اكر ليس اسم آية وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو
بمعنى معوج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد امضى من عمره سبع وعشرون سنة
وهذا المجلس يشتغل على أبواب والله اعلم

(الباب الاول في مولدا ابراهيم عليه السلام)

اختلف العلماء في الموضع الذى ولد فيه فمل بعضهم كان مولدا بالسوس من ارض الاهاواز وقال بعضهم كان
مولدا ببابل من ارض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولدا باوركاه ناحية في حدود كسكر ثم
نقله ابو الى الموضع الذى كان به نمرود من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولدا بجران ولكن ابو نقله الى
ارض بابل وقال عامة المفسرين من اهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان وكان بين الطوفان
وبين مولدا ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بدخا آدم عليه السلام بثلاث
آلاف وثمانمائة وسبع وثلاثين سنة ونمرود الذى ولد في ملكه ابراهيم وهو نمرود بن كنعان بن سنجار بن
ابن كورش بن حام بن نوح (وفي الحديث) ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان فسلطان بن داود
وزوالقرين عليهما السلام وأما الكافران فنمرود ونمرود بن نمرود بن كنعان بن سنجار بن داود بن نوح بن حام بن نوح
الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كنان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يبردين
أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال لهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدى
رأى نمرود في منامه كأنه كواكب اطاع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى يبق لهما ضوء ففرغ من ذلك فرعا
شديد اودعا السجرة والكمينة والنافاة وهم الذين يحطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في
ناحية هذه السنة يكون هلاكك وهلاك اهل بيتك على يديه قال فامر نمرود بذبح كل غلام يولد في تلك
الناحية تلك السنة وأمر بزل الرجال عن النساء بجمال على كل عشرة رجلا رقيقا أميناً فاذا حاضت المرأة
خلى بيتهم وبينها اذا من الواقة فاذا ظهرت عزل الرجل عنها فرجعاً زراً ابواب ابراهيم فوجد امرأته قد ظهرت
من الحيض فوقع عليها في ظهرها فحملت بابراهيم عليه السلام (وقال) محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امرأة

حبيلى بقر يته خبئها عنده الاما كان من أم ابراهيم فلم يعلم بحملها واذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم ين في بطنها (وقال السدي) خرج عمروذ بالرجال الى المسكر ونحاحهم عن النساء وتخوفامن ذلك المولود ان يكون فسكت كذلك ماشاه الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم تأمن عليها احدامن قيمه الا آزر فدعاه وقال له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم يملك الا ان يفتى بك فاقسمت عليك الا تدنومن أهلك ولا تواقها فقال آزر أنا أشجع على ديني من ذلك فارصاه بمحاجة ثم سمعه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لودخلت الى أهلى فظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال السكمان للعمروذ ان الغلام الذى اخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فامر عمروذ بذهم الغلمان فلما دنت ولادته أم ابراهيم وأخذها الخاض خرجت عار بقهقافية أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعتها في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلقاه ورجعت فاخبرت زوجها بانهم وانما قد ولدت وإن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فاخذه من ذلك المسكن وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابا به بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضه (قال السدي) لما عظم بطن أم ابراهيم خشى آزر ان يذبح فانطلق بها الى ارض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فانزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتمهد لها ويكنم ذلك من اصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة استعطت عنه طمع النباحين ثم ذكر آزر لربلا سخا به ان له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت أم ابراهيم الطاق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريب منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام واصبحت من شأنه ما يصلحها بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطامه في المغارة فتجده حيا يصعب ابيهاه قال ابو زريق كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يصعب ابيهاه فقالت ذات يوم لا نظرن الى اصابعه فوجدته يصعب من اصبع مائه ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعلت فقالت ولدت غلاما مات فصرته ثم اسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى ابيه آزر فاخبره انه ابنه واخبرته بما كانت صنعت في شأنه فمر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا (الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه ومحاجته اياهم في الدين والفاهم اياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال اهل العلم) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربي قالت ابوك قال فمن ربي ابى قالت له عمروذ قال فمن ربي عمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذى يحدث انه يعبردين اهل الارض فانه ابنتك ثم اخبرته بما قال لها فانا ابوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام ايتا به من ربي قال له امك قال فمن ربي امى قال انا قال فمن ربي بك قال عمروذ قال فمن ربي عمروذ فاطمعه لطمه وقال له اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكننا به علمين ثم قال لا بو به اخرجاني فاخرجه من السرب فانطاما به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبق والغنم والحيل يراحمها فسأل اياه قال ما هذا فقال هذا ابل وبق وغنم فقال ما هذه بدم من ان يكون هارب خالق ثم نظروا تفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطممني وسقاني لربي مالى الا غيره ثم نظر فاذا المشتري قطلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر ربيع الكوكب قبل القمر فقال هذار بي فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا احب الا اثنين

حبيلى

ياسرور السرور انت

سرورى

يا حياة النفوس انت حياتي

واللهم انت نور لنورى

قال السرى ثم مضت حتى

غابت عن اعيننا ثم اتى

مولاها وصحبني وكذلك

أحمد بن المثنى برهة من

الزمان الى ان توفي سيدها

وبقيت انا واهل البيت

فمرنا على الحج الى بيت

الله الحرام فيمن نحن

نطوف بالكعبة اذا بصوت

مقروح يخرج من كبد

مقروح وهو يشدو يقول

هذه الايات

قد تمسكت بحبل

كيف لي منك بقر بك

فترقى بثؤاد

يشكى شدة بعدك

حيث ياتقس اذا لا

يضر ريك ذيك

قال الى الفوجهارا

والرضا من عند ريك

قال السرى قائمت

الصوت فاذا بامرأة

كالخيال ذاهلة العقل والبال

فلمسا راني قالت السلام

عليك يا سري فقلت عليك

السلام من انت يرحمك الله

فقال لا اله الا الله وقع

التاكر بعد المعرفة انت

الى الا لا يحجب وقلبك

مسلوب ثم قالت انا بدعة

قال السرى فقلت لها

مالذي أفادك الحق رب

انفسرادك عن الناس

وقالت شعرا

افادني كل النبي

وخص قلبي بالنبي

وقد ازال سيدي

عن باطني نمل العنا

ان لم يدركني بما

أرجو والا من أنا

قال فلما فرغت من كلامها

بكت وانشجت وهاجت

واضطربت ثم رفعت

رأسها وقالت ياسيدي

ومولاي فازأهل التقي

ونجأ من اتقى وخاب من

حظله الطرد والاشقا

فاسألك ياسيدي إلا ما

قربت الوصل واللقاء قد

توانبت عليك فخذني

اليك فلاحاجة لي في البقا

ثم صرخت ووقمت الى

الارض فصرختها فاذا هي

ميتة رحمة الله عليها قل

فنظر اليها احمد بن المثنى

فطار قلبه وحاربه ثم بكى

واتعجب واهتز

واضطرب واصعد

الزفرات واطهر

الحسرات ثم صرخ ووقع

على الارض فحركته فاذا

هو قد مات قال السري

فتمعجبت من حالها

وقرب آجالها وأخذت

في غسلها وتجهيزها

ودفنها رحمة الله تعالى

عليها وتعتنباها (وحكى

عن السري ايضا رضى الله

فلما رأى القمر بازغ قال هذا ربى فلما أفل قال لمن لم يدرك ربى لا كونه من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغ قال هذا ربى هذا أكبر لانه رأى صواها أعظم فلما أفلت قال يا قوم انى يرى من تشرقون انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما نامن من المشركين قالوا وكان ابوه يصنع الاصنام فلما ضام ابراهيم الى نفسه جمل يصنع الاصنام ويطعمها ابراهيم يليقها فيذهب ابراهيم عليه السلام فينادي من يشتري ما يجزى ولا ينفع فلا يشتري احد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى شهر فضرب رؤسها وقال لها شربى كسدت استهناء بقومهم وباعهم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشى عييه اياها واستهنأوه بها في قومهم واهل قريته فاجتمع قومهم في دينه فقال لهم المخرجونى في الله وقد هددنا الاكيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومهم نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا ابيه ازر الى دينه فقال يا ابت لم تعبد الا سمع ولا تبصر ولا نفى عنك شي الى آخر القصة فان ابيه الاجابة الى مادعا اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاءه قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون واطهر وبنه فقال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الا قدمون فانهم عدوا لى الارباب العالمين قالوا فن تعبدوا بت قال رب العالمين قالوا اتنى عمرو ذقال لا الذى خلفنى فهو يهدين الى آخر القصة ففهمنا ذلك في الناس حتى بلغ عمرو الجبار فداءه فقال يا ابراهيم اربأ الهك الذى يمشى وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظمها بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال عمرو انا احيى واميت قال ابراهيم كيف يحيى ويميت قال اخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكي فقتل احدهما فاكون قد اتممته ثم انفعوه من الآخر فارتكبه فاكون قد احييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله بانى بالشمس من المشرق فالت بها من المغرب فبهت عند ذلك عمرو ولم يرجع اليه شيئا ولم يمتها الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يري قومه ضعف الاثران التى كانوا يعبدون من دون الله ويجزها الزمان للحجة عليهم فجعل ينتظر لذلك فرصة ويحتمل فيه الى ان حضر عيدهم (قال السدى) كان لهم في كل سنة عيد يخرجون اليه ويحتملون فيه فكانوا اذا رجعو من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضغفاء الناس وتالله لا كيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسموهم وامنتهم (وقال مجاهد) وقادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى افشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الالهة فاذا فى البيت منمر مستقبل باب النهر صم عظم يليه اصغر من الى باب النهر واذ هم قد جعلوا طعاما فوضوه بين يدي الالهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا رجعتا وقد باركت الالهة فى طعامنا كنانا لم نأظر ابراهيم الى الاصنام والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريقتى الاستهناء الا نأكلون فلما لم تحبهم قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرب بابائين وجعل يكسرن بناس فى يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فراقى نفاس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جنذا لا اكبر لهم اللهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت الهتهم ورأوا هاتلك الحالة قالوا من فعل هذا باكتنا انه من الظالمين قالوا سمعنا فى بذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى فطنه صنع هذا فبلغ ذلك عمرو والجبار واشرف قومه فقالوا فتأوبوا على أعين الناس اللهم يشهدون عليه انه هو الذى فعل ذلك وكروا ان يأخذوه بغير بينة قاله وقادة والسدى وقال الضحاك اللهم يشهدون بما نصنع به ونماقيه فلما أحضره قالوا له أنت فعلت هذا باكتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا

معه هذه الاصنام الصغار وحرأ كبر عنها فأكسرها فأسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبي صلى الله عليه وسلم
 لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها في الله تعالى قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا
 وقوله لئلا يأتى عرسل امة هي اخوتي فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم
 الظالمون هذا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آفةكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فأسألوها وذلك قول
 ابراهيم عليه السلام فأسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كالكاهن (وقيل) انكم أنتم
 الظالمون بمبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبريتم فكسروا على رؤوسهم متصدعين في أمره وعلموا
 أنها لا تخطى ولا تخطى فقالوا اندعنا ماؤلاء ينطقون فلما انجحت الحجة عليهم لم يابراهيم عليه السلام
 قائمهم اقم عبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولم يعبدون من دون الله فلا تعقلون فلما
 لزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حر قوه وانصروا آلهكم ان كنتم فاعلم قال عبد الله بن عمران الذي
 اشار عليهم يتحرق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شبيب الجبالي اسمه هيتون فحسب
 الله تعالى بالارض فهو يتجلى فيها الى يوم القيامة قال فلما اجتمع غرود وقومه على احراق ابراهيم عليه
 السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالخطيرة فذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا لنا نقالاقوه في الجحيم ثم
 جموا له من اصاب الحطب واصناف الخشب حتى ان كانت المرأة تفرض فتقول لان عاقا لله لا جمن
 حطب الا ابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض مناطق مكة تحب انة لكان اصدا ابته لتحتطب من حطبها وتحميه
 في النار التي يحرق بها ابراهيم احتسابا في دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجتمعون الحطب شهر راحتي اذا كثرت
 الحطب وجموا منه ما ارادوا اشعلوا النار في كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى اذا كان الطير يمر بها فيحترق
 من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا
 باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من الفائه في النار من شدة حرها فتخذوا المنجنيق ووضعوه
 فيه مقيما من لولا صلات الله تعالى عليه فضجيت السموات والارض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع
 الخلق الا القليلين ضجعا واحدة وقالوا اى ربنا ابراهيم ليس في ارضك أحد يعبدك غيره يحرق في النار فاذن
 لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم ان اسمعنا شئ منكم اودعوه فليصره فقد اذنت لكم في ذلك وان لم يدع
 غيري فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا الفاه في النار اناه ملك المياه فقال ان اردت ان احدث
 النار فان خزائن المياه والامطار بيدي وانا ه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم
 لا حاجة لي اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم ان أنت الواحد في السماء وفي الارض ليس في الارض أحد
 يعبدك غيري وروى المعتز عن ابى بن كعب عن ارقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أنفقوه ليلته
 في النار اياه الا أنت سببحناك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم روى ابن المنجنيق الى النار
 في موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما لك فلا قال جبريل فأسأل
 ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحال حسبي الله ومنه الوكيل وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام
 اتخاها بقوله حسبي الله ومنه الوكيل قال الله عز وجل يا نازكوف بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدي) كان
 جبريل عليه السلام هو الذي ناداها باسم الله تعالى قال على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس لو لم يقل
 وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يكن حينئذ نار الاطعت ظنت لها اني قاله كتب الاحبار روي قيادة
 والزهرى ما انقزع أحد من الارض يوما بنار ولا احرق النار بومئذ شيا الا نوافي ابراهيم عليه السلام
 ولم يبق بومئذ دابة الا اطاعت عنه النار الا الوزع فذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماؤه يسفا
 قال السدي فاخذت الملائكة بضبعي ابراهيم عليه السلام فاقعدته على الارض فاذا عين ماء وورد احمر

حجبته سنة من السنين
 الى بيت الله الحرام وزيارة
 النبي عليه افضل الصلوة
 والسلام فينا في الطريق
 اذا أنا بأمره حسناء ذات
 جمال بديع فقلت لها يا
 جارية أين تريدين فقلت
 الى بيت الحبيب فقلت لها
 ان الطريق بعيدة فقلت
 بعيدة على كسلان اودى
 ملائكة واما على المشاق
 فهي قريبة ثم قالت انهم
 يرونه بعيدا ونراه قريبا
 قال فلما وصلت الى بيت
 الله الحرام رأيتها تطوف
 بالبيت فقالت يا مريم أنا
 تلك الخادمة لولاي جئته
 بضمي غلني بقوته هذه
 صفات قوم فاروقا ديار
 الله وخلصوا ثياب الزهو
 آثروا المحبوب بالنفوس
 والآثروا وقفوا بين يديه
 في حلل الانكسار هيجرو
 الراحة في الاوطان
 والاطوار فتهدر دم خلمو
 ثياب الاصطبار ومزقوا
 ستر الاستتار وافشوا
 وجدعهم مع كتمان الاسرار
 ناداهم بالمانية في الاصلاب
 والارحام حرام عليكم ان
 تنظروا الى غيري حرام
 وجمع لهم مجلس مناجاته
 وسبقاهم لذيق شراب
 مصافاته يا هذا هل لك في
 هذا المجلس نديم هل لك في
 هذا الغرام غريم هل لك

في هذا الرع أنيس هل

لك في هذه الروضة جليس
فأرادت إليها العبد رضا
الرب المطيب فتقرب إليه
بقاب منكسر وجسم
تحيف (قيل) أه لا نزل
البلاء على أيوب عليه
السلام فأدأطوس السماء
جبريل عليه السلام بأمر
الله عز وجل فقل له
يا أيوب سينزل بك ولأك
من البلاء والأهوال ما
يمجز عن حمله الجبال فقال
أيوب ان دمت على
مواصلته الحبيب صابر
حتى يقال تعجب تعجب
فنودي يا أيوب استمع
إبراهيم وأصبر على نزول
حكى وقضائي وكان
السبب في ابتلائه ان
إبليس اللعين حسده
وتحيل عليه بأنواع الحيل
والمكر فلم يقدر عليه فقال
الهي أعاصب شكري
أيوب لك وطاعة ما
وسمت له في الاموال
والاولاد والارزاق
والعافية فلو سلطتني عليه
وسابتني ذلك لما أطاعت
طرفة عين فقال الله جل
جلاله ان رب قد سلطتك
عليه زانه ليقربه ذلك قال
قائل يوم ابتلاه بأخذ
الاولاد فزاني في الخدمة
واجتهد غاية الاجتهاد وفي
اليوم الثاني اخذ الأموال
فأحرقها ومزقها فقال

ونرجس قالوا فإقام إبراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال إبراهيم خليل الله ما كنت أبا قط أنعم
منى عيشا في الأيام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وعيره وبث الله ملك الظن في صورة إبراهيم عليه
السلام ففهم فيها إلى جنب إبراهيم وهو يؤنسه فأنه جبريل عليه السلام بقميص من حر يدور قال يا إبراهيم
ان ربك يقول أسألت ان النار لا تضر احبائي والبسه القميص ثم أشرف عمرو من صرح عال ونظر إلى
إبراهيم عليه السلام وما يشك انه قد هلك فزأه جالسا في روضه ورأى الملك قاعدا إلى جنبه وحوله نار
تخرق ما جموا من الحطب فناداه عمرو يا إبراهيم كبير الهلك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين النار حتى
لم تضرك يا إبراهيم فهل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان اقتت فيه ان تضرك قال لا قال
فقم فخرج منها فقام إبراهيم عليه السلام بشئ فيها حتى خرج منها فخرج اليه قال يا إبراهيم من الرجل
الذي رايت معك في مثل صورتك قاعدا إلى جنبك قال ملك الظن أرسله إلى رب ليؤنسني فيها فقال
عمرو يا إبراهيم اني مقرب إلى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فيما صنع بك حين آتت الاعبادته
وتوحيده اني ذابح نه اربعة آلاف بقرة فقال له إبراهيم لا يقبل الله منك شيئا ما كنت على دينك حتى
تعارف إلى ديني فقال يا إبراهيم لا تستطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبحها فانه ذبحها وقر بها ومنع
الذباب عن إبراهيم ثم انه قال لا إبراهيم نعم الرب ربك يا إبراهيم (قال الشامي) القى إبراهيم عليه
السلام في النار وهو ابن ست عشر سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولده سارة رضى الله عنها وهي
ابنة تسعين سنة وكان مذهبهم بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد اسحق بقيت يومين
وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لإبراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا
ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من عمرو وما هم قائلون به لوط وكان
ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو اخو إبراهيم عليه السلام وكان له الخا ذك
يقال له تاحور بن تارخ فهاران ابولوط وتاحور ابوتوبيل وتوبيل ابولان ورفقا بنت توبيل امرأة
اسحق بن إبراهيم أم يعقوب وابراهم راحيل زوجة يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وتمت أيضا
به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الا كبرعم إبراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت
ملك حران وذلك ان إبراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقى إبراهيم سارة وهي ابنة ملك
حران وكانت قد طمنت على قومها في دينهم فترجها إبراهيم عليه السلام على ان لا يضرها (قال ابن
اسحق) خرج إبراهيم عليه السلام من كوثان من ارض العراق مهاجرا إلى ربه عز وجل وخرج معه لوط
وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى قائلون لوط وقال اني مهاجرا إلى ربى فخرج حتى نزل فمكث بها ماشاء
الله تعالى ان يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل السبع من فلسطين وهي بركة
الشام ونزل لوط بالمؤتة فكانت هي من السبع على مسيرة يوم ويلة فبثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل ونجبناه
ولوط إلى الارض التي باركنا فيها للامم يعني الشام فبركتم ان بهت منها اكثر الانبياء وهي الارض المقدسة
وأرض الحشر والمنشور بها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب
لدوهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار وانهار يطيب فيها العيش للنبي والعقير (قال أبي بن كعب)
ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم ينفرق في الارض والله اعلم

*(الباب الثالث في ذكر عولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول

اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة رزمزم) *

(قال اهل العلم بسير الماضين) لما نبى الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابوه على فراق

قومهم واهل البراءة منهم فقالوا اننا رآكم كرماتة بدين من دون الله كرماتكم ايها المعبودين من دون الله
وبدا يبتنا و بينكم المداوة والبعضاء ايها الما بدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام
مهاجرا الى ربه فخرج معه لوط عليه السلام ونزوح ابراهيم عليه السلام وابنته عمه سارة فخرج بها بتمس
القرار بدينه والايمان على عبادته لرب حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ان يمكث ثم خرج منها مهاجرا
حتى قدم مصر وبها افرعون من القرائنة الاول وكانت سارة من احسن النساء واجملهن وكانت لاتعصى
ابراهيم عليه السلام في شيء وبذلك اكرمهم الله تعالى قل فاني الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة
من احسن النساء ووصف له حسنهما فهاها فرسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجهده فقال له هذه المرأة
منك فقال هي اختي وتخوف ان قل هي امرأتى ان يقتله فقال له زينها وارسلها الى حتى انظر اليها فرجع
ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها هذا الجبار سألني عنك فاخبرته انك اختي فلا تكذبي عنده
فانك اختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري ثم اعطاه ثم اعطاه سارة الى الجبار
وقدم ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورأها هوى اليها يتناولها بيده فبيست يده الى صدره فلما
رأى الجبار ذلك اعظم امرها وقال لها سري بك ان يطاق يدى فوالله لا آذ بك فقلت سارة اللهم ان كان
صادقا فاطاق له يد فاطاق الله تعالى يده وفي بعض الاخبار المسندة انه قتل ذلك ثلاث مرات يقصد ان
يتناولها فيمس يده فاما رأي ذلك ردها الى ابراهيم وهوب لها هاجروها جاز بقطعة فاقبلت الى ابراهيم
فلما احس بها ابراهيم انتقل من صلاته قال مهم ففالت كفي الله كيد الفاجر وأخذته في هاجر قل محمد بن
سيرين كان ابوهريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت امك يا بني ماء السماء
وفي بعض الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها
من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية يقات
هيئة فوهيتها مسارة لا ابراهيم فقالت انى اراها امرأة وضيفة لعل الله تعالى ان يرزق منها ولد وكانت سارة
قد منمت الولد حتى اسنت وقوع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام (روى) محمد بن اسحق
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقتنحت
مصر فاستوصوا بالهاهم خيرا فان لهم ذمة ورحمنا قال ابن اسحق فسالته الزهري ما لرحم الله الذى ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر ام اسمعيل منهم قالوا نعم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك
الملك الذى كان بها واشفق من شره فنزل السبع من ارض فلسطين واحترف بها يبرا واتخذها مسجدا وكان
ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه تردها فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم اهلها آذوه فيها
ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من ارض فلسطين بين الرملة وانيابا ببديقال لها قطة فلما خرج من
بين اظهريهم غضب ماء تلك العين وذهب فقدم أهل السبع جميعا على ماصنه واولوا اخرجنهم بين اظهر نار جلا
صالحا فابعوا اثره حتى ادركوه وسألوه ان يرجع فقال ما نأبرجهم الى بلد اخرجت منه قالوا ان الماء الذى كنت
تشرّب وتشرّب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة اعز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا
أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقرنوها المرأة حائض فخرجوا بالاغز
قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهى على تلك الحالة حتى اتتها امرأة طامث فاغترفت منها
فركبت معها الى الذى هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلدة وكان يضيّف من نزل به وقد أوسع الله
تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما اراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسوله
يامرونه بالخروج من بين اظهريهم وامرهم ان يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق

سليمها وان شاء أطلقها وفي
اليوم اثلاث ففخ ابليس في
جسده وهو في صلالة
التي جردت في الدود في جميع
بدنه ولم يزل يذكر الله تعالى
في سره وعلايته وقال
الحمد لله الذى اصطفانى
خلقه منى ومن على بفضل
وسخيره ولم يشأنى نفسه
قال ولم يزل ايوب ذا كرا
لرب به حامدا وشاكر ان
تمزق جسده وذاب لحمه
ورق عظمه فصار الدود
يفدو في جسده وروح
وهو بالشكري لا يوبح
وكان كلما سقط من جسده
دودة الى الارض يردّها
لى مكانها ويقول كلى
افهذه مائدة من جسدى
مدودة قال فنزل الامين
جبريل عليه السلام فسلم
عليه فلم يرد عليه السلام
لا شغف لانه عن الكلام
فسلم عليه ثانيا قال فرد عليه
السلام فسأله عن عدم الرد
في أول مرة فقال يا اخي
يا جبريل ان الملك الودود
أرسل الى اضياف من الدود
لاطعمهم من لحمى على مائدة
عنايى فكان بعض اضيافى
على لساني فخشيت ان ارد
عليك السلام فتسقط من
مكانها فاكون سببا لمنع
قوتها وأطالب برزقها
وأكون عاصيا لربى وربها
(وحكى عن الامام محمد بن

وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا ياكل الا مع ضيف مامكنه فلما رآهم في صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالاً فقال لا يخرج لحولاه القوم الا أنا فخرج جاء بمجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقر به اليهم فاسكوا ايديهم عنه فقال لهم انا كاون فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا تأكل طعاما الا بمن قال فان لهذا عنها قالوا ولمن قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحملونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال بحق لهذا ان يتخذهم به خيالا ثم قالوا له لا تخف ولا تحزن اما ارسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة بخدمةهم و ابراهيم فاعدمهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشره باسحق ويعقوب ضحكتم سارة واختلف العلماء في الملة الجالبة لضحكها منهي فقال السدي انما ضحكتم سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت عابجا الا ضيا فنا هؤلاء انما تخدومهم بالنسنا تكرمهم وهم لا يكون طعامنا وقال قتادة ضحكتم من غفلة قوم لوط وقرب المذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكتم من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيها بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكتم تعجباً من أن يكون له اولد على كرسنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة و ابراهيم ابن مائة وعشر بن سنة قال السدي قالت سارة لخير بل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ يبيده عودا يا سافواه بين أعصابه فاهترا خضر فقال ابراهيم هو الله اذ ذبح وقال بجاهد وعكرمة فضحكتم أي حاضت في الوقت وتقول العرب ضحكتم الارنب اذا حاضت وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باماعيل فوضعتا معا فشب الغلامان فبينهما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اماعيل فاخذوه واجلسه في حجره واجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجره وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد جعلت ألا تضربي ولا تسوذي وأخذها ما يؤخذ النساء من الفرية فجلت لنفط من بضعة منها ولتغير خلقها ثم تاب اليها فقبلها فبقيت متحجرة في ذلك فقال لها ابراهيم اخفضيها وانقي اذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تسكنيني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يزلها عنها فاحس الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن ياتي هاجر وابنها مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسمل وسمر وبحواليها خارج مكة ناس يقال لهم العالقي وموضع البيت يومئذ بوة حراء فقال ابراهيم عليه السلام لخير بل عليه السلام ههنا أمرت ان تضعها قال نعم فمديهم الى موضع الحجر فانزلها فيه وامر هاجر أم اسمعيل ان يتخذع يشاتم قال ر بنائي اسكنتم من ذري بادي غير ذري زرع عند بيتك المحرم بناليتهموا الصلاة فاجعل أئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات انهم يشكرون ثم انصرف فاتبته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيئا فقالت الله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيع نعمائنا انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فطش وطش الصبي فظرت اى الجبال ادنى من الارض فضربت الصبي الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيئا ولم تراه فحدثها انها سمعت اصوات سبع الوادى نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لئلا يسمعه ثم سمعت صوتا نحو المروة فصعدت ومارى يد السبي كالنسان الجهود في أول من سعي بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعوا اسمعيل تدعى بالله قد اسمعتني صوتك فاعنى فقد هلك وهلك من معنى فاذا

وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا ياكل الا مع ضيف مامكنه فلما رآهم في صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالاً فقال لا يخرج لحولاه القوم الا أنا فخرج جاء بمجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقر به اليهم فاسكوا ايديهم عنه فقال لهم انا كاون فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا تأكل طعاما الا بمن قال فان لهذا عنها قالوا ولمن قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحملونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال بحق لهذا ان يتخذهم به خيالا ثم قالوا له لا تخف ولا تحزن اما ارسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة بخدمةهم و ابراهيم فاعدمهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشره باسحق ويعقوب ضحكتم سارة واختلف العلماء في الملة الجالبة لضحكها منهي فقال السدي انما ضحكتم سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت عابجا الا ضيا فنا هؤلاء انما تخدومهم بالنسنا تكرمهم وهم لا يكون طعامنا وقال قتادة ضحكتم من غفلة قوم لوط وقرب المذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكتم من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيها بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكتم تعجباً من أن يكون له اولد على كرسنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة و ابراهيم ابن مائة وعشر بن سنة قال السدي قالت سارة لخير بل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ يبيده عودا يا سافواه بين أعصابه فاهترا خضر فقال ابراهيم هو الله اذ ذبح وقال بجاهد وعكرمة فضحكتم أي حاضت في الوقت وتقول العرب ضحكتم الارنب اذا حاضت وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باماعيل فوضعتا معا فشب الغلامان فبينهما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اماعيل فاخذوه واجلسه في حجره واجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجره وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد جعلت ألا تضربي ولا تسوذي وأخذها ما يؤخذ النساء من الفرية فجلت لنفط من بضعة منها ولتغير خلقها ثم تاب اليها فقبلها فبقيت متحجرة في ذلك فقال لها ابراهيم اخفضيها وانقي اذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تسكنيني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يزلها عنها فاحس الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن ياتي هاجر وابنها مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسمل وسمر وبحواليها خارج مكة ناس يقال لهم العالقي وموضع البيت يومئذ بوة حراء فقال ابراهيم عليه السلام لخير بل عليه السلام ههنا أمرت ان تضعها قال نعم فمديهم الى موضع الحجر فانزلها فيه وامر هاجر أم اسمعيل ان يتخذع يشاتم قال ر بنائي اسكنتم من ذري بادي غير ذري زرع عند بيتك المحرم بناليتهموا الصلاة فاجعل أئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات انهم يشكرون ثم انصرف فاتبته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيئا فقالت الله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيع نعمائنا انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فطش وطش الصبي فظرت اى الجبال ادنى من الارض فضربت الصبي الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيئا ولم تراه فحدثها انها سمعت اصوات سبع الوادى نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لئلا يسمعه ثم سمعت صوتا نحو المروة فصعدت ومارى يد السبي كالنسان الجهود في أول من سعي بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعوا اسمعيل تدعى بالله قد اسمعتني صوتك فاعنى فقد هلك وهلك من معنى فاذا

وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا ياكل الا مع ضيف مامكنه فلما رآهم في صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالاً فقال لا يخرج لحولاه القوم الا أنا فخرج جاء بمجل سمين حنيذ وهو المشوي بالحجارة فقر به اليهم فاسكوا ايديهم عنه فقال لهم انا كاون فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا تأكل طعاما الا بمن قال فان لهذا عنها قالوا ولمن قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحملونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال بحق لهذا ان يتخذهم به خيالا ثم قالوا له لا تخف ولا تحزن اما ارسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة بخدمةهم و ابراهيم فاعدمهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشره باسحق ويعقوب ضحكتم سارة واختلف العلماء في الملة الجالبة لضحكها منهي فقال السدي انما ضحكتم سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت عابجا الا ضيا فنا هؤلاء انما تخدومهم بالنسنا تكرمهم وهم لا يكون طعامنا وقال قتادة ضحكتم من غفلة قوم لوط وقرب المذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكتم من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيها بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكتم تعجباً من أن يكون له اولد على كرسنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة و ابراهيم ابن مائة وعشر بن سنة قال السدي قالت سارة لخير بل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخذ يبيده عودا يا سافواه بين أعصابه فاهترا خضر فقال ابراهيم هو الله اذ ذبح وقال بجاهد وعكرمة فضحكتم أي حاضت في الوقت وتقول العرب ضحكتم الارنب اذا حاضت وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باماعيل فوضعتا معا فشب الغلامان فبينهما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اماعيل فاخذوه واجلسه في حجره واجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فاجلسته في حجره وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد جعلت ألا تضربي ولا تسوذي وأخذها ما يؤخذ النساء من الفرية فجلت لنفط من بضعة منها ولتغير خلقها ثم تاب اليها فقبلها فبقيت متحجرة في ذلك فقال لها ابراهيم اخفضيها وانقي اذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تسكنيني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يزلها عنها فاحس الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن ياتي هاجر وابنها مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسمل وسمر وبحواليها خارج مكة ناس يقال لهم العالقي وموضع البيت يومئذ بوة حراء فقال ابراهيم عليه السلام لخير بل عليه السلام ههنا أمرت ان تضعها قال نعم فمديهم الى موضع الحجر فانزلها فيه وامر هاجر أم اسمعيل ان يتخذع يشاتم قال ر بنائي اسكنتم من ذري بادي غير ذري زرع عند بيتك المحرم بناليتهموا الصلاة فاجعل أئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات انهم يشكرون ثم انصرف فاتبته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيئا فقالت الله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيع نعمائنا انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فطش وطش الصبي فظرت اى الجبال ادنى من الارض فضربت الصبي الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيئا ولم تراه فحدثها انها سمعت اصوات سبع الوادى نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لئلا يسمعه ثم سمعت صوتا نحو المروة فصعدت ومارى يد السبي كالنسان الجهود في أول من سعي بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعوا اسمعيل تدعى بالله قد اسمعتني صوتك فاعنى فقد هلك وهلك من معنى فاذا

هي يحجر بل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت امرأته ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكما قالت وكما الى الله تعالى قال لقد وكما كك الى كرم كافتم جاء بها ودفعت طعامهم ماوشراهم ما حتى انتهى الى موضعهم فزعم ففرض بقدومه ففارت عين ففذلك فقال لزمنم ركضة جبر بل عليه السلام فلما تبع الماء أخذت شنة لها وجعلت تستقي فيها وتندخره فقال لها جبر بل عليه السلام انها رى وجعلت اسم اسميل تحبسها احبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا مينا وقال لها جبر بل لا تخافي الظما على اهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها ما ان اهاذا الفلام سيجي فبيدنا الله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا وموت رفقة من جرهم نريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء قافس في افانهم بلأه فقالوا لها جبران شئت كما لك فانسانك والماء ماؤك فاذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة ففذلك كانت العرب تقول تلبيتها

لهم ان جرهماء عادك * الناس طارف وهم تلاك * وهم قديما عمروا بلادك فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم ففرض بهم فهم أولاد العرب المتعرب * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جارا وبها فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل ففقد ابراهيم عليه السلام مكة وقدمت هاجر وبقاها فاذنت له واشترطت ففقد اسمعيل ففقال لا امرأته ابن صاحبك قالت ليس هم ذهاب تصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم بتصيد ثم يرجع وكان مولما بالصيد ففخص بالفنص والقروسية والرمى والصرع فقال له ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام او شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذاجا زوجك فاقترئته مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابي فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ربح ابيه فقال لا امرأته هل جاءك احد فقال جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة يشانه قال فمأقال لك قالت قل اقترئ زوجك السلام وقولي فليغير عتبة بابي فظلمها وتزوج اخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ماشا والله تعالى ثم استأذن سارة ان يزورها اسمعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل ففقد ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لا امرأته ابن صاحبك قالت ذهب بتصيد وهو يحبي والآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قل لاهل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت بالخبز واللحم فدعاهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو برأوشه وبرأوشه لمكان مكة اكثر ارض الله براوشه وبرأوشه ثم قالت له انزل حتى اغسل رأسك وشمتك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت عنده شقة لايمن فوضع قدمه عليه فبقى اثر قدمه فيه ففسلت شق رأسه لايمن ثم جعلت المقام الى شقة لايمن فسلت شق رأسه لايمن فقال لها اذاجا زوجك فاقترئته مني السلام وقولي له قد استقامت عتبت بابك فلما جاء اسمعيل وجد ربح ابيه فقال لا امرأته هل جاءك احد قالت نعم جاءني شيخ احسن الناس وجهها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت لراسه وخذلته فوضعت قدمه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) نس بن مالك رأيت في المقام اثرا صايع ابراهيم عليه السلام وعقبه وخصه قدميه غير انه ذهبه مسح الناس بايديهم (واخبرنا) محمد بن احمد بن عبدون قال اخبرنا محمد بن حمد بن بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح القرشي قال سمعت مسافرا بن مشية يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول اشهد ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام باقوتان من باقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس الله نورهما لأضآبنا بين المشرق والمغرب

الله على الكفار فلي
مبعضهم لمة الملك الجبار
وما واد جهنم وبئس انقرار
فما زالت تقول هذه
الكلمات الى ان طامع
الفيجر فلما همت
بالانصراف قالت لا اله الا
الله الملك المجيد محمد رسول
الله الهادي الرشيد أبو
بكر الصديق الصادق
الشديد عمر بن الخطاب
سورن حديد عثمان بن
عقان الفتيل الشهيد على
ابن ابي طالب وذوالبأس
الشديد فلي مبعضهم لمة
الرب المجيد قال فلما رأت
تلك الدابة الى البراد اراسها
رأس نعامه ووجه اوجه
انسان وقوامها قوام بهير
وذنبها ذنب سمكة ففخت
على نفسي منها ففالتفت الى
وقالت قب فوقفت لها
فقلت لي ما دينك فقلت
هادين النصرانية ففالت
بئس الدين ويحك يا خامس
ارجع الي دين الخنيفة
فالك قد حلت بفناء قوم
منه وضمني الجن ولا ينجو
منهم الا كل مسلم قال ففالت
لها وكيف الاسلام ففالت
تشهد ان لا اله الا الله وان
محمد رسول الله قال ففقتها
ففالت كل اسلامك
بالترضى عن ابى بكر وعمر
وعثمان وعلى ففالت ذلك ثم
قلت لها من اخبركم بذلك
ففالت قوم حضر واعند

رسول الله صلى الله عليه

وسلم فسمعه يقول اذا

كان يوم القيامة تانى الجنة

فقتادي بسان طلق الهم

انك قد وعدتني ان تشيد

اركانى فبقول له الجليل

جل جلاله قد شيدت

أركانك ياى بكر وعمر

وعثمان وعيسى رضى الله

تعالى عنهم اجمعين ثم

قالتلى الدابة تريد ان

تكون عندنا و الرجوع

الى اهلك فاخترت

الرجوع الى اهلى فقات

امكث مكانك حتى تاتي

مركب قال فكمت، كاني

ونزلت الدابة الى البحر فها

غابت عن عيني غير ساعة

واحدة حتى مرت على

مركب عظامه وقرى اركاب

فاشرت اليهم فلوى منهم

فقطرت فانى المركب انا

عشر رجل كلهم نصارى

فاخذهم برتهم بخيرى

وقصصت عليهم قصتى

فاسلموا كلهم فملت ان

لهؤلاء الاقوام سرا عظيما

ببركتهم حصلوا الاسلام

ولذا اعلى مقام والله الحمد

على التوفيق و بلوغ المرام

وانشدت أقول شعرا

قوم لهم عند رب العرش

منزلة

وحرمة و بشارات و اكرام

فازوا بصحبة خير الخلق

واتصفوا

لوصفة فهم للناس اعلام

*(الباب الرابع فى القول على بقية قصة زمزم) *

(روت الرواة) عن ابن ابي طالب رضى الله عنه قال قال عبدالمطلب بن هاشم يئسا نانا فى الحجر اذ اناى
أت فقال لى احفر طيبة فقلت رماطية فذهب عني ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثانية جاءنى فقال احفر درة
قلت ومادرة فذهب عني ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثالثة اناى فقال احفر المصوفة قلت وما المصوفة فذهب
عني فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فذمت فجاءنى فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست
وغار ماؤها الماس مضمت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئس بستي الحجاج منه عند منجر قر يش عند نقرة
الغراب وقرية النخل فلما تبين له قام فدل على موضعه وعرى انه قد صدق فقدا بموله ومعه الحارث
بن عبدالمطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قر يش قاموا اليه فقالوا يا عبدالمطلب انما من نار
ابن اسمعيل وان لنا فيها حقا فشر كننا فيها فقال ما ذا بفعل ان هذا شئى خصصت به وونكم وأعطيت به من
بينكم قالوا له فانصتنا فانا غير اتركك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم اخاصمكم اليه قالوا
كاهنة بنى سعد بن هذيل قال نعم وكانت فى اطراف الشام فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني عبد مناف
فركب من كل قبيلة من قر يش نفر قال والارض ائذ لك منافوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المنافوز
نفسد ما كان معهم من الماء حتى ايقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قر يش فابوا اعياهم وقالوا
انا بمغازة وانا نخشى على أنفسنا ان يصيبنا به مثل ما صابكم فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم قال لاصحابه
ما ذا نرون قالوا اننا نابع لربك فامرنا بما شئت قال فاني ارى ان يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة عما يجد
من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه فى حفرة قال فحفر واوجسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد
المطلب وما لئلا تضرب فى الارض فمضى الله تعالى ان يرزقنا ماء وان يحلوا ومن معهم من قر يش بنظروا
اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبدالمطلب الى راحلته فركبها فلما سال ان يمت به اتتجرت من تحت حوافر دابة
اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبدالمطلب الى راحلته فركبها فلما سال ان يمت به اتتجرت من تحت حوافر دابة
اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبدالمطلب الى راحلته فركبها فلما سال ان يمت به اتتجرت من تحت حوافر دابة
اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبدالمطلب الى راحلته فركبها فلما سال ان يمت به اتتجرت من تحت حوافر دابة

يا أيها المداح احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم

وهى تراث من أتيك الاعظم * تسقى الحجاج حافلا لم ينقم

فلما سمعه عبدالمطلب قال وابن موضع زمزم قيل له عند قرية النخل حيث ينقر الغراب الاعظم قال فقدا
عبدالمطلب ومعه ابنه الحارث فوجد قرية النخل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين لسانا ونائلة اللذين كانت
قر يش تعبدهما وتنجر عندهما فجاء بالمولى وقام ليحفر حيث امر فقامت قر يش اليه وقالوا والله لا ترك
ان تحفرها ووثنا ومنجر ناعنها وكانت قر يش حسدوه على ذلك لانهم اخبروا ان جرهما لما سكنت
مكة أو دعت فى زمزم أو لا واسا حدة لمصطفى صلى الله عليه وسلم لما اخبرته ان الله تعالى باعث فى هذه
القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكنوا عرفوا موضعا فلما اخبر بذلك عبدالمطلب نازعه
فى ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له الامارات فكبر
فمر فوا انهم يخطئ فنادى حتى بلغ الى عنان من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتما جرحهما ووجدت فيهما سيفا
ودروعا فقال له قر يش يا عبدالمطلب انما لك فى هذا شركه قال لا ولكن لضرب بالقادح عليه قالوا وكيف

وردت

آثار فضل لها في الذكر

احكام

وبده عمر الفاروق

صاحبه

به تكن في الاتفاق اسلام

وهكذا البرهان الشهيد له

في الليل ورد وبالفرآن

قوام

وللامام على المضى منح

له احترام واعزوا كرام

هم الصديقه له مختار قد

وضحو

طرق الهدى وعلى

الخيرات قد داموا

عليهم من سلام الله اطيبه

ما اظير الناس يوم التث

اوصاموا

(وردى عن ابى سعيد

الخدري رضي الله تعالى

عنه) عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال رحات

الجنة فيبنا اما اطوف

برياضها وانهم سارها

واشجارها ان رأيت

شجرة فضربت يدي الى

ثمرة فاختتمت فاختلقت في

يدي عن اربع قطع فخرج

من كل قطعة حورية لو

أخرجت طرفها لفتنت

أهل السموات والارض

وان اظهرت كفها لقلب

ضوء الشمس والقمر ولو

تبسمت لمسلات ما بين

السماء والارض مسسكا

فقلت لمن انت فقلت

نصنع قل اجعلوا للكعبة قدحين ولقدحين ولكم قدحين فنخرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفته فيجعل قدحين احمر للكمية وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين احمرين لفرس ثم اعطوا الفراح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدع فخرج سهمان الاسودان على الزاين للكمية وخرج الاسودان على الاسياف والادرع عبد المطلب وتختلف قدحاق يش قال فملقى عبد المطلب الاسياف والادرع بياب الكعبة وضرب في الباب الغزائين الذهب فكان اول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرئاسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها واخرج منها ما اخرج ازداد بذلك في قر يش عظما وجهه ونزلة وعافت الحبيج المياه التي كانت بمكة ونواحيها واقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة ماؤها لكونهم من ائراسهم على السلام وافتخرت بذلك بنوع بد مناف على قر يش وعلى سائر العرب والله اعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء امرها الى وقتنا هذا)

(اخبرنا) أبو عمر وأحمد بن أبي أحمد القرائي اخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المغمري بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المنفل حدثنا عبد الله بن أبي غسان النخعي حدثنا أبوهمام حدثنا محمد بن زاذان ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال النخعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يموتون اليه في يوم القيامة هذا الكعبة الحرام وان الله تعالى اهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وانزل عليه الحجر الاسود وهو يتلأأ كانه اولوة بيضاء فاخذته آدم فوضعه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم مئة قهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم المعصاة ثم قال يا آدم تحط فتخطي فانها برض الهند فكثرت هناك ماشاء الله ان يمكث ثم استوحش الى البيت فتيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مغاوير حتى قدم مكة فابتهى الملائكة فقالت برحمتك يا آدم لقد حججتنا هذا البيت قبلك بالتي عام قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل وبالنهار سبع وعشرون فقال آدم يا رب اجعل لهذا البيت عمارا يصبر عنه من ذري فادخرني الله تعالى اليه انى عمره بنى من ذر يتك اسمه ابراهيم اخذ خيلا أقضى عليه عمارته وانيط له سقايته وورثه حله وحرمة ومواقفه واعلمه مشاعر ومناسك فلما فرغ من بناءه نادى باليهما الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فاسمع ما بين الخفين فاقبل من الحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك ابيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يا رب اسألك لمن مات في هذا البيت من ذري لا يشرك بك شيئا ان تلحقه في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئا بمثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) باسناد مختلف ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام اهل السماء ودعاهم وتسميهم وهم يأنس انهم فيها الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنصفه الله تعالى الى ستة نذر اذاع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من اصوات الملائكة وتسميهم استوحش وشك ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الا ان ثم قال يا آدم انى اهبط لك بيتا تطرف به كما تطرف حول عرشي وتصلني عنده كما كنت تصلني عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وردى) أبو صانع عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى

لاني بكر الصديق رضي الله عنه فقلت لها امضي الى قصر بلاك ففضت وقلت للثانية لمن أنت فقالت امر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بلاك ففضت ثم قلت للثالثة لمن انت فقالت للمختضب بدمه المقتول ظلمنا وعدونا اعمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بلاك ففضت وقلت للرابعة لمن أنت فسمكت ثم قالت يا رسول الله ان الله سبحانه وتعالى خلقني على حسن فاطمة وقد سماني باسمها وزوجني لاسى بن ابى طالب رضي الله عنه قبل ان يتزوج بفاطمة الزهراء بألف عام * فهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وانصاره وانبايعاه وهم حافون به يوم القيامة الى دار الكرامة رضي الله تعالى عنهم ورضي الله عنا بهم آمين (وحكى عن رافع ابن عبد الله رضي الله عنه أنه قال) قال لي هاشم بن يحيى الكنانى الاحدثك حديثا رأته بعنى وسميته بأذى وشهدته بنفسى ونفسي الله به فدمعي ان ينفعك فقلت حدثني يا أبا الوليد فقال غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له

الى آدم عليه السلام ان الى حرمنا بحيال عرشى فانطلق قابلي بن يثافيته ثم حلف به كما رأيت الملائكة يخفون بعرضي فمنالك استجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا اهتدى اليه فقبض الله ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة يمكن به جبريل قال لذلك انزل في هنا فيقول له الملك مكانك حتى أقدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مغاورا وقفارا ثم بنى البيت فادفع من يده خراج به الملك الى عرفات فاراد الممالك كل التي فعلها الناس كلها اليوم ثم قدم بمكة وطاف بالبيت اسمعائيل ثم رجع الى ارض الهند فقاتل على ثور * قال ابو يحيى بائع الفت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند وادخل حج منها رعين حجة على رجله فقلت له يا أبا الحجاج الا كان يركب قال رأى شيئا كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما هبط الى الارض فرأى سمعائيل ولم يفرقه أحد اغريه قال يارب الما هذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدمك غيري قال الله تعالى اني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدمني وسأجعل فيها نورا ترفع بكركى ويسبح في خلقتي ويزكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا اخضعه بكراحتي وأترده باسمي واسمه يدعي انطقه بعظمتي وعليه رخصت جلالتي ثم اجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحتها ومن فوقه فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كراحتي ومن أخاف اهله فقد ضيع ديني وخفرتي واباح حرمتي اجعله اول بيت وضع للناس يا نوحه شعا غرا وعلى كل ضامر يا نين من كل فيج عميق يضيئون بالنسبية ضجيجوا ويحجون بالبكاء أجججوا يهجون بالكبير عجيجوا فمن أثره لا ير يدغره فتدرفد الى وذرتي وضافني وحق على الكريم ان يكرم زوجه واضياقه وان يدمه وفضل ويسعف كلا حاجته تعمه يا آدم ما كنت حياتهم بدمه الالهة والقرون والا نبياه من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فكذا كان بدو أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم نت على ذلك الى ايام الطوفان فلما كان ايام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة ويصير جبريل عليه السلام حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابى قيس صيا نفعه من الفرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بسد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في اي موضع يبنيه فسأل الله عز وجل ان يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بهت الله تعالى اليهم السكينة لتدل على موضع البيت كما حدث مالك بن حرب عن خالد بن عروة ان رجلا قام الى علي بن ابى طالب رضي الله عنه فقال لا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع للناس فقال لا ولكنة اول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت انبأ لك كيف بنى الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام ان ابن لي بيتا في الارض فضايا بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهوى ريج نوحج ولها رأسان قاتع احدهما صاحبه حتى انتهتا الى مكة فطوقت على موضوع البيت كطوق الحجنة وأمر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون ارسل الله تعالى اليه سبحانه على قدر الكعبة فيجعل تمير معه الى ان قدم مكة فوقعت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ان على ظلم لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذي خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالة على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذا بوا نالا براهيم مكان البيت الالية فاوجع ابراهيم بنيه واسمعيل بناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فاهلهم الله تعالى احدهما اسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لي كذا يعني هات لي حجرا فيقول له اسمعيل هالك خذ فبينا الكعبة من خمسة اجبل طور سيناء و طور زيبا ولبان والجدودي و بنيت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب اسمعيل ببنيه ثم رجع فوجدته قد ركب الحجر في مكانه

فقال يا بخت من أهلك بهذا الحجر فقال له اتاني به من لم يكن لي اليك ثم قال ابراهيم واسماعيل التفتي بحجر حسن
أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه ابو قيس يا ابراهيم انك عندى ودعة فهلك فخذها فاخرج
ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل ابي قيس وركبه في موضعه فلم فرغ ابراهيم واسماعيل من
بناء البيت وأعدوا رءوسهم فذبحوا فذبح ابراهيم الفداء عند من البيت واسماعيل وبنات قتل منا
انك انت السميع العليم الي قوله تعالى وارنا ما نسكننا وما كتب علينا انك انت الثواب الرحيم فاجاب الله تعالى
دعاهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما ما نسكنك الحج فخرج بهما يوم الترويض ففصل بينهما
الظهار والمغرب والعشاء ثم أتى بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى
إذا مدت الشمس جمع بين الصلوتين الظهار والمغرب ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوق قف بهما على الموضع
الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلوتين المغرب والعشاء
ثم أتى بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوق قف بهما على قرح حتى إذا أسفر الصبح أقاض بهما
الى منى فاراعما كيف يرمان الجار ثم امرهما بالذبح واراها المنحرف منى وأمرهما بالخلق ثم أقاض بهما
الى البيت فأوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان تبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان
وعلى البلاغ فعلا نبيرا فنادى يا عباد الله ان ذكركم قد بنا بيتا فخجوه وأجوبوا داعي الله فسمعوا ما بين السماء
والارض وما بين الابحر ومن في أصلا ب الرجال وأرحام النساء فاجابوا كل من آمن بالله ممن سيق في علم
الله تعالى اني حجج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (يقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمر استقبل ابراهيم عليه
السلام النبي والمشرق والمغرب والشام فعلى الحج فاجب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن في
الناس بالحج بانوك رجالا وعلى كل ضامر انا من كل فجع بحميت الايات فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم
عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم ذلك قبل مبعده بنحو سنين
فهدمت قرىش الكعبة ثم بنتها وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار
ان الكعبة كانت رضة فوق الغمامة فاردوا ردمها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جنة لرجل من
تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعادوه لاسقيفها وكان يكثر رجل قبلي تجار فهاهم في أنفسهم بعض
ما يصبهوا وكان حية تخرج من بئر الكعبة فلقى بطرح فيها ما يمدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا
يهايونه وذلك انه كان لا يدنو منها احد الا كشرت وفنت فاما فكاوا بها وبها فيمنعها هي ذات يوم على جدار
الكعبة كما كانت تصنع فبث الله طائرا فاقتطفها فذهب بها وقالت قرىش انا انزلوا ان الله تعالى قد رضى
ما أردناه من عمارة بيته وان عندنا عملا رفيقا وخشبنا وقد كملنا لله تعالى الحية وذلك بعد حرب القحجار
بنحو خمس عشرة سنة فلما اجتمعوا امرهم على هدمها وبنائها قام ابو وهب بن عمرو بن عمرو بن عامر بن عمرو بن
خزوم فتنالوا من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معاشر قرىش لا تدخلوا في
بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بنى ولا يبيع ربا ولا مظلمة احد من الناس ثم ان
الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا ابدأ لكم في هدمها فاخذوا المول ثم قام عليها وهو يقول
لهم لا تزد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فترى الناس به تلك الليلة وقاروا ننفقوا فان اصاب
لم يهدم منها شيئا وردناها كما كانت وان لم يصعب شيء فقد رضى الله تعالى بما فعلنا فامسح الوليد من بيته غاديا
على عمله فهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فاقضوا الى حجارة خضر كلهم السنة الا بل
أخذ بعضهم بيمض فاخذ رجل من قرىش عتلة بين حجر من منى الرفع احداهما فلما تحرك الحجر تحركت

سورة النحر وكان ذا
حفظ من العبادة يصوم
النهار ويقوم الليل فان
سرا درس القرآن وان افئنا
ذكر الله تعالى فجاءت ليلة
خفتها فيها فخرجت انا واباه
نحرس القسوم وكنا
محاورين العدو وعند
حصن من الحصون صب
علينا امره فرأيت من
سعيد من العبادة في تلك
الليلة وصبره على التعب
ما تعجب منه فلما طلع
الفجر قلت له يرحمك الله ان
لشكك عليك حقا فلورحمته
كان خير لك فبكى وقال
أخي انما هي انفس تهمد
وعمر يفتي وأيام تنقضي
وانا رجل ارتقب الموت
قال فابكاني ذلك فقلت له
اقسمت عليك بالله ما
دخلت الخيام واسترحت
فدخل ونام قليلا وانا
جالس ظاهر الخيمة
فسمعت كلاما في الخيمة
ولم يكن في الخيمة سواه
فتقدمت اليه فاداه هو
يضحك في نومه ويتكلم
بكلام فحفظت من كلامه
ان قال لا أحب ان ارجع
ثم مديده المنى كانه يلتمس
شيئا ثم ردها رديا وهو
يضحك ثم قال والليالة ثم
وثب من نومه وهو يرتعد
فاخذتني الى صدرى مليا
وهو يتلقت عينا وشمالا
حتى سكن وعاد اليه فهدمه

مكة بالمرها فلموا أنهم قسائنها الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت ليناها فجمعت كل قبيلة
تجمع على حدها ثم بنوا فلما بلغوا البنيان الى موضع الركن اخصموا فيه فكل قبيلة ارادت ان تضمه في
صفة دون الاخرى حتى تحالفوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فمرت بنوعبد الدار جفنة مملوءة وما تم
تعاقدوا هم بنوعدي بن كعب على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم فسموا العمة الدم بذلك فكمشوا اربع
ليال او خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة ان ابا
أمية بن المغيرة كان حينئذ من قر يش كلها فقال لهم يا معشر قر يش اجمعوا بينكم فباختلافون فيه ايل من
يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان اول من دخل عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر
قال لهموا الى نو باقاتوبه فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لأخذ كل قبيلة بناحية من اثواب ثم رافوه
جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته
قر يش الى سنة اربع وستين من الهجرة حتى حاصر الخصمين بن نمر السكوني في عبد الله بن الزبير فقتلوا
البيت بالمثنيق واخذوا ويربحون ويقولون

حظارة مثل القتيق المسز بد * ترمي بها عيبدان هذا المسجد

وقال آخر منهم

كيف تري صنيع أم فروه * تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروة قام منثنيق فالت حيطان الكعبة بماريت به من حجارة المنثنيق وانما من ذلك احترقت وكان
السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فالت ثمرات هبت بها الى برج فاحترقت باب الكعبة واحترق خشب
البيت (وقال الواقدي) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم
احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورايت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فملت ما صاب
الكعبة فشاها الى رجل من اصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأسه عليه
فطارت الريح به فضررت استار الكعبة ما بين الركن الثاني والحجر الاسود (وقال) بعضهم كان
السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ماتكم
الناس في القدر يومئذ فقال قوم هومن قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهم عبد الله بن الزبير
الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون الى موضعها ورجل
الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقه من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب
وطب عند الحجابة في خزانة البيت ثم أعاد بناه وقال اني اسماء بنت أبي بكر حدثني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لما شئتوا لولادة عهد قومك بالكفر لردت الكعبة على أساس ابراهيم فزيد
في الكعبة الحجر وان قر يشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت ولجأت لها بنين بإبائهم قبايا باغريا
قامر به ان الزبير فحفر فوجدوا قلاعا مثل الال فحركوا منها صخرة فبرقت رقة فقالوا قرها على اساسها
فبناها ابن الزبير وادخل فيها الحجر وجعل لها بنين يدخل من احدى ما يخرج من الاخر فكانت الكعبة
على ما بناها ابن الزبير الى سنة اربع وسبعين حتى قبل الحجاج بن يوسف ثم توفي عبد الله بن الزبير وولى
الحجاج من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير امر عبد الملك
واعادها الى بنائها الاول بشهد مشايخهم من قر يش ففي اليوم على ما بناها الحجاج الاما كان من قلع انظر على
صاحب البحر بن لمت الله الحجاج الاسود عام ارقم بالحجيج مكة فذهب به مع أسر من الحجاج الى البحرين

أخذوا في حسن أنقام من
القول الحسن مختلف
الآخان وهم يقولون هذا
ولي الله قد جاء فرحاً به
وسيلاً فسرنا حتى انتهينا
إلى مجلس ذات امرأة من
ذهب وهاج مكالمة
بالجواهر تحفون بكرة
من البواقيت وعلى كل
سر يرجو إياه أحسن من
الشمس والشمس لا يستطيع
أحد من الخلق أن يصفها
وفي وسطهن واحدة عالية
عاهن في طولها وكملها
وجملها فقال الرجلان هذا
منزلك وهؤلاء أهلك وهما
مقابلك ثم انصرفا عني
فوثبت الجوارى إلى
بالترحيب والاستبشار كما
يكون من أهل العائب
عند قدومه عليهن ثم
جعلوني حتى اجلسوني على
السرير لا وسطاً إلى جانب
الجارية ثم قلن هذه
زوجتك ولك أخرى مثملا
وقد طل انتظارهن إليك
فكلمتهما وكلمتني فقلت لها
وإني أنا فقلت في جنة
الأموي فقلت من أنت
فقالنا أزواجك الخلد
فقلنا وإني الأخرى
فقلنا في قصرك الآخر
فقلت لها أقم اليوم عندك
والحصول في غد إلى
الأخرى ثم مدت يدي
إليها فردتها ردافاً ثم
قالت أما اليوم فلا فأنك

ثم أخذتمه ورد إلى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري
رحمة الله عليه

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ عدل السعي قال يابني أني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفسل ما
تؤمر مستجدي أن شاء الله من الصابرين * واختلاف السلف من علماء المسلمين في الذي أمر إبراهيم عليه
السلام بذبحه من ابنه بعد اجتماع أهل الكتاب على أنه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب
من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى بن أبي طالب ومن التابعين وأتباعهم كتب الأجبار وسعيد
ابن جبيرة والقاسم بن أبي مرة ومسروق بن أبي الأحرص عن أبي اسحق عن أبي الأحرص رجل عبد الله بن مسعود قال أنا
والسدي (روى) شعبة عن أبي اسحق عن أبي الأحرص قال أخبر رجل عبد الله بن مسعود قال أنا
فلان ابن فلان بن الأشياخ الكرام فقال عبد الله ذلك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبح الله ابن إبراهيم
خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن اسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى
عليه السلام يا رب يقولون بالله إبراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال إن إبراهيم لم يذبح شيئا قط
الاختراني عليه وإن اسحق جادلي بالذبح فهو بغير ذلك أجود وإن يعقوب كله أزدته بلأزادني حسن
ظن (وروى) حمزة بن الزيات عن أبي اسحق عن أبي مبصرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر أرغب
أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحق ذبح الله ابن إبراهيم خليل الله * وقال
الآخرون هو اسمعيل وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن عمرو بن الطفيل عامر بن وائلة وسعيد بن المسيب
والشعبي ويوسف بن مهراون ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني السكبش منوطين بالسكبة (وروى)
عمرو بن عبيد عن الحسن البصري أنه قال لا يشك في أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم عليه السلام
هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال قال المقدسي اسمعيل وزعمت اليهود أنه
اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول إن الذي أمر الله
تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه اسمعيل وأنا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة الخلق عن إبراهيم عليه
السلام وما أمر به من ذبح ابنه اسمعيل وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبح من ابني
إبراهيم وبشرناه باسمحق ندياً من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسمحق ومن وراءه اسحق يعقوب يقول يا بني
وإني ابن فلم يكن يامر به بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود وما وعده وما الذي أمر به اسمعيل
قال محمد بن كعب القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة أذ كنت معه بالشام فقال لي عمران هذا
الشيء ما كنت أنظر فيه وأني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام وكان يهودياً فاسلم وحسن
إسلامه وكان يرى أنه من علماء اليهود فساله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أي ابن إبراهيم
الذي كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا عمر المؤمنين أن اليهود تعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم كما حسد
العرب على أن يكون أبوكم النبي كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكرناه كان منه بصيرة على
ما أمر به فهم يحسدون ذلك ويحرمون أنه اسحق لأن اسحق أبوه وقد روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلاً التولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يمهز عبد الله إلى غيره * فما الرواة التي روت عنه
أن النبي ذبح اسحق فأخبرني أبو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي أراد إبراهيم أن يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الذي فداه الله بذبح عظيم
اسحق وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى

راجع الى الدنيا وسقتم

ثلاثا فقلت لاحب ان
ارجع فقلت لا بد من
ذلك وستفطر عندنا بعد
الذلة ايام ان شاء الله تعالى
ثم نهضت من مجلسها
فنهضت اودعها
فاتيقت ياخي ولا صبر
لى عنها قال هشام فقلني
البكاء وقلت هنيا لك
ياسعيد جدد الله شكرا
فقد كشف الله لك عن
ثواب عملك قال هل
راى احد غيرك ما رأيت
فقلت لا فقال بالله عليك
ياخي اكنتم ماسهت منى
مادمت في الحياة ثم قام
فقطر وتطيب واخذ
سلاحه وتوجه الى موضع
القتال وهو صام فقال الى
اليسل ثم انصرفت
فتحدث الناس بقتاله
وقالوا مارا مثل ما فعل
سميد اليوم حتى انه كان
يطرح نفسه تحت سهام
العدو وحجارتهم فكهم
بتون عليه قال فقلت في
نفسى لو يعلمون شأنه
لنتافسوا في مثل عمله ثم
مكث قائما يصلى الى آخر
الليل ثم اصبح معا
يقاى بلع ما فعل بالامس
قال ابو الوليد فانطلقت
معه لا نظن ماذا يكون منه
فلم يزل يلغى نفسه في
المهلك الى غايه النهار وهو
لا يصل اليه شيء مما كانوا

ابن اسمعيل انبا ثالمبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفق اسحق بدمى فيقول يا رب صدقت نبيك وجدت بنفسى
لأنى فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيئا قال فيقول الله وعزى لا أدخل النار من لا يشرك في شيئا وأخبرنا
أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزني قراءة عليه سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة أنبا ناجدى أبو بكر
ابن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الأئمة أنبا ناعلى بن حجر أنبا نعمر بن حفص عن أبان عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرني بين ان يفر لنفسى اوتى وبين اخي شفاعتي فاخترت
شفاعتي ورجوت ان يكون ذلك اعم لامتى ولولا الذي سيقى اليه المبدأ الصالح لتهيجلت منها دعوتى وذلك
ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعطى فقال ما والذى نفسي بيده لا تهيجلها
قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وادخله الجنة * وأما الرواة التي روت عنه
صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي باسناده عن الصباحي قال كنا عند
معاوية بن أبي سفيان فذكروا ان الذبيح اسمعيل اراسحق فقال على الخير ستطعم كنت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله اعد على ما فاء الله عليك يا بن الذبيحين فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر نزم زلزل به ان سهل الله
عليه أمره هاليه يمن أحد ولد به قال فخرج السهم على عبد الله فتمعه أخواله وقالوا لاندولك بما تمه من الابل
فقدها بما تمه من الابل وانما ابى اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين
فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى اخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع
سارة ولوط وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين انه دعا فقال رب هب لى من الصالحين يعنى ولدا صالحا من
الصالحين وذلك قيل ان يعرف هاجر وقيل ان نصيره ام اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره
ايه بفلام حليم وعن رؤيا ابراهيم ان يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس في القرآن انه
بشر بولد ذكر الا بالاسحق واما الدليل على انه اسمعيل فاذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبران قرنى
الكسب كانا معلمين بالكمبة الى ان احترق البيت فاحترق القرنان في ايام ابن الزبير والحجاج وهذا دليل
على ان الذبيح اسمعيل

﴿وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم عليه السلام﴾

قال السدي باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هار بارينه كما قال تعالى وقال
انى ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله ان يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لى من الصالحين فلما نزل به
أخبراه من الملائكة المرسلين الى المؤمنين بشروه بفلام حليم فقال ابراهيم لى بشر به هوذا الله ذبيح فلما
ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل لى اوفى بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في
أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق تقرب قربانا الى الله تعالى
واخذ نسكنا وحبلنا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت أين قربانك فقال يا بني انى
أرى في المنام انى اذبحك أرى رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر
ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فينود
من الشام فيقبل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند اهلها بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه
ورجاءه لما كان يأمل فيه من عبادته به وتعظيم حرمانه رأى في المنام ان يذبحه فلما أمر بذلك قال لا يابى انى
الجيل والمدة به ثم انطلق بنا الى هذا الشعب ليجتنب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب نبيرا خبره بما أمر به وقال

يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك الالهة فقال له ابنه الذي اراد ان يذبحه يا ابت أشددر باطلي حتي لأضطرب
واكفف عني ثيابك حتي لا ينتضح عليها دمي فينقص اجري وترامى فتعجزن واشتد شفرتك والسرع
بر السكين على حلقه ايه يكون الموت على فان الموت شد بدقانه انبت أمي فاقرنهم ابي السلام فان رأيت
ان ترد قصي اليها فاقبل فانه عسى ان يكون اسلي لها عني فقال له ابراهيم نعم الموت يا بني أنت على ما امر الله به
فقل ل ابراهيم ما أمر اياه ثم انما قبل عليه يقبله وقدر بطله وهو يبكي والان يبكي حتي استسبح الدموع تحت
خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم يمل السكين شيأ قال السدي وضرب الله تعالى صفة حدة من
نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا ابت كني على وجهي فانك ان نظرت الي وجهي رحمتي وادركتني على
رقعة تحول بينك وبين امر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلهما العاصاة وتلهما الجريم ثم انه وضع السكين على
قفاه فانقلب وتودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الالهة هذو يذبحك فداء لانك فاذبحها وانه فظن ابراهيم
عاهه الاسلام فذا هو بحجر يل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه
فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة
قد رعى فيها اربعين خرفا وروى عنه أيضا ان الكبش الذي فدي به عن ابن ابراهيم عليه السلام هو
الكبش الذي قرب به ايل بن آدم فتنبيل منه فاسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش واتى به المتجر من هني فذبحه
فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان اول الاسلام وان رأس الكبش لما بقى بقريه في ميازب الكعبة قد
وحش يعني ببس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابيه انه كان يقول ما فدي اسمعيل الا بكبش من
الاروى ابط عليه بنبر وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) ابو هريرة عن كعب
الاحبار وابن اسحق عن دجال قالوا لما رأى ابراهيم في المنام ان يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن
لم افقت عند هذا آل ابراهيم والام افقت احدا منهم ابدا ففعل لهم الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها
اندر بين ابن ذهاب ابراهيم بانك قالت ذهب به ليحطب من هذا الشعب فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه
قالت كذبا هو ارحم بهني وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره
بذلك فقد أحسن في امثال طاعة ربو في استلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتي
أدرك الابن وهو يمشي على أنزايه فقال يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال نخطب لاهلنا
من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا لذبك قال ولم قال يزعم ان الله أمره بذلك قال له فليفعل ما امره الله
به فسمما وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال
أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لا أرى الشيطان قد جاءك في منامك يارك بذبح ابنك هذا
فمر فله ابراهيم فقال له اليك عني يا ملعون فوالله لا مضمين لامر ربى فخرج ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب
من ابراهيم واهله شيأ ما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده (وروى) ابو الطيقيل عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسايقه فبيعه
ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى حجرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتي ذهب ثم عرض
له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتي ذهب ثم ادركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن ابى الصلت الثقفي في
ذلك شعرا

ولا ابراهيم الموفي بنذر * احتسابا وحامدا لاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه في معشر اقتال

وغيرها حتى غربت
الشمس فجاه سهم في
منجره فخرصر بها وأنا
أنظر اليه وهو يضحك
فضجت الناس وبادروا
اليه فاخذوه وجاؤا به الى
الحيام وقدمات رحمة الله
تعالى عليه فقلت له هنيئا
لك يا سعيد ماذا تفطر الليلة
باليمني كنت معك قال
هشام ففرض على شففته
السدي وضحك في وده
وقال الحمد لله الذي صدقنا
وعده قال فصيحيت يا عباد
الله لمثل هذا فليعمل
العاملون فاستمعوا الخبركم
بأعجب مما رأيتموه من
اخيكم هذا فقبل الناس
باجعهم فاخبرتهم بحكايتهم
وما كان منه فما رأيت باكيأ
كاليوم ثم كبرنا تكبيريا
اضطرب له العسكري وشاع
الحديث وبلغ الخبر الى
مسلمه فجاه وقد وضعناه
لنعلي عليه فقلت صل
عليه ايها الامير فقال بل
يصلي عليه الذي عرف
من أمره ما عرف فصاينا
عليه ودقناه في موضعه
وبات الناس يتحدثون به
فلما طلع النهار تذاكرنا
حديثه وصاح المأمون
صيحة واحدة وحملوا على
المشركين وفتح الله تعالى
ذلك الحصن في ذلك اليوم
برحمته رحمة الله تعالى

عليه ونقدناه في الدارين
 آمين (حكى عن أنى
 به توب الطبري رضي الله
 تعالى عنه) انه قال خرجت
 في سفر اريد الشام فوفقت
 في التيه اياما حتى اشرقت
 على الهلاك فبينما انا كذلك
 اذ رايت راهبين سائرين
 كأنهما قد خرجا من مكان
 واحد يريدان دبرا لهما
 بالغرب قلت اليهما وقلت
 لهما اين تريدان فقالا
 لا ندرى فقلت لهما هل
 اين اقبلنا فقالا لا ندرى
 الا اننا في ملكو وبين يديه
 قال فسيرت من ذلك
 وقلت في نفسي ان هذين
 الراهبين متعققات التوكل
 دونك فقلت لهما اتاؤنان
 لي في الصحبة معكما فقالا
 ذلك اليك فسرنا حتى
 اُسبنا قاما الى صلاتهما
 وقت الى صلاة المغرب
 فتيممت وصليت فلما
 نظرا الى حين تيممت
 وصليت تعجبا من ذلك
 فلما فرغا من صلاتهما
 بحث احدهما في الارض
 فانتجرت عين ماء والى
 جانبه طعام موضوع
 فزدت تعجبا من ذلك
 فقالا لى اذن وكل واشرب
 قال فاكلنا وشربنا
 وتوضأت للصلاة ثم غار
 الماء وذهب الطعام فلما
 كانت الليلة الثانية فل
 انثاني كما فعل الاول فلما

* ابني انى نذرتك لله شحيطا قصير فذلك حالى
 واشدد العضد عند جبذى للسكين جبذ الاسير للاغلال
 وله مدينة تحاليل فى اللجم م غلام جبينه كالهلال
 بيدنا يخلع السراويل عنه * فذكر به بكيمش حلال
 فخذ ذا فدا لابتك انى * للذى قد فعلنا غير قالى
 ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل المسائل
 * (الباب السادس فى هلاك الخمر وذن كتمان وما حل الله تعالى به من نعمته وقصة الصريح) *

قال الله تعالى قدمكر الذين من قبلهم فاقى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وَاَتَاهُمُ الْمَذَابُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (روت الرواة) بأسانها مختلفة ان اول جبار كان فى الارض الخمر وذن كتمان وكان
 الناس يخرجون اليه و يتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم عتار مع من يتارون وكان الخمر وذا ما مر به
 الناس قال لهم من ربكم قالوا انت حتى مر ابراهيم فقال له من ربك قال ربى الذى يحى ويميت قال انا حى
 وأميت قال ابراهيم فان الله بانى بالشمس من المشرق فأتها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير
 طعام فرجع ابراهيم الى اهله ثم بكى يبأس فقال لا تخزن من هذا فأتى به اهلى فطيب به قلوبهم
 حين ادخل اليهم فاخذ ابراهيم منه فأتى به اهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه فتعجته فاذا هو
 باوجود قيق رأته فاخذته وصنعت منه طعاما فأتى القاق قدمته اليه وكان عهد اهله ان ليس معهم شئ ولا عندهم
 طعام فقال لهم من اين هذا فقالوا من الطعام الذى جئت به فلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان
 الخمر وذا الجبار الحاجة ابراهيم عليه السلام في ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلاننا نبى حتى اعلم
 من فى السماء فبنى صرحا عظيما عليا بابل ورام منه الصمود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم قال
 ابن عباس ووهب كان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين
 ثم عمد الى اربعة أفراس من النور فلما بالاجم والخبز ورباه حتى شبت واد تعجته ثم قف فى ثيابوت ومعه
 غلام وقد حمل قوسه ونشاب وجعل لذلك الثابوت بياض اعلاه وبياض اسفله ثم رمل الثابوت بارجل
 النور وعلق الاجم على عصافوق الثابوت ثم خلى عن النور وفطارت وصعدت طعاما فى الاجم حتى ابدت
 فى الهواء فقال الخمر وذا لفناه افتتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قر بنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر
 فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال اري الارض
 مثل الحبة البيضاء والجبال كالذخا وطارب النور وارتفعت حتى حالت الى ربح بيننا وبين الطير
 فقال لعلنا افتتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء
 ومظلمة ونودى اليها الطاغى الباغى ابن تيريد قال عكرمة فامر عند ذلك غلامه فرمى بهم فماد
 اليه السهم فتلخا بالدم فقال كفت شغل اله السماء واختلاف فى ذلك السهم من اى شئ تلوخ فقال عكرمة
 من سمك فى بحر معلق فى الهواء بين السماء والارض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم اصاب السهم طائرا
 من الطير فتلخ من دمه ثم أمر الخمر وذا غلامه ان يصوب العصا وينكس الاجم ففعل ذلك فنبطت النور
 بالثابوت فسحمت الجبال خفية بالثابوت والنور ونفرت وظننت انه امر حدث فى السماء وان الساعة
 قد قامت فذلك قوله تعالى وقدم بكر واكمركم وغند الله مكرم اى جزاء مكرمهم وان كان مكرمهم ليرول منه
 الجبال وقرأ على وعمر وابن مسعود وان كان مكرمهم ليرول منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى ارسل رجلا
 على صرح الخمر وذا فلقت رأسه فى البحر فخر عليهم الباقى وانقلب بيوتهم واخذت الخمر وذردة وتبليت

كانت اللبلة القائمة قال لا
باسم اللبلة نوبك قال
محمد بن يعقوب
فما تجيت من قولهما
وداخلني هم شديد وامر
غريب وقلت في نفسي
المهم في اعم ان نوني لم
تد على عندك جارا ليس
أسالك بجاه نيك محمد
صلى الله عليه وسلم ان لا
تفضحني عندهما ولا
تشتهر بهما بدين نيك محمد
صلى الله عليه وسلم قال فاذا
بعين ماء قد انفجرت
وبطعام كثير الى جنبها
فالكلنا وشربنا ثم حمدنا الله
تعالى على ذلك قال ثم نزل
على تلك الحالة حتى بلغت
النوبة الثالثة فلما ظهر الماء
والطعام غلبني البكاء فلم
استطع رده فاصابهم امل
ما احصايني وارتفعت
اصواتنا بالبكاء فلما فرغنا
قال لا ما ييكك فقلت اني
رجل مسرف على نفسي
وليس على عباد الله من الجاه
والنزلة ما يبلغي هذه
الكرامة فقال لا وكيف
ظهر لك فقلت انما
توسلت اليه بجاه نيك محمد
صلى الله عليه وسلم ان لا
يفضحني معك فاستجاب
لي فقال قد عرفنا ان ذنبه
هو الحق وهو عندنا عظيم
فامدد يدك فاننا نشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله قال فاسلموا وخرجننا

ألسن الناس حين سقط صرح التمرود من الفزع فتكلموا بابلات وسبعين اسما فاذلكت سميت ابل لتبيل
الاسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وانا هم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان
الله تعالى بعث الى التمرود ملكا ارأمن حتى اتركك على ملكك قال فهل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فابى
عليه فقال له انك اجمع جموعك الى نزلته ايام نجم التمرود جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك ان يفتح
عليه اباما من البعوض فتعل فطاعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعث الله تعالى على التمرود
وقومه فاكلت لحومهم وشرب دماهم فلم يبق منهم الا العظام والتمرود كاهو لم يصبه شيء من ذلك
فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فبكثارت بعوضة فبكت راسه بالمطارق
فاحرق الناس به من جمع يديهم يضربهم مارا سه وكان جبارا ربما سنة فعد به القدر ربما سنة كعدة ملك
ثم ان البعوضة اكلت دماغه واهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكور ابراهيم وولده)

قال الله تعالى اتبعين من امر الله رحمته الله وبركاته الآية قال اهل العلم باخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة
مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجابرة من ارض كنعان في جيرون في مزرعة اشترتها ابراهيم
عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بماتت دفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج
ابراهيم بامرأته من الكهنة ايتين يقال لها قطورا ابنة بيطان فولدت له ستة نفر يشان وزمران
ومدان ومدا واشنيق بن وشوخ وتزوج ايضا بامرأة اخرى من العرب اسمها حيجون بنت اهيوب فولدت
له خمسة بنين كيسان وفروخ وهايم ولوطان ونافس فكان جميع بني ابراهيم مع اسحق واسماعيل ثلاثة
عشر وكان اسمعيل بكره واكبر اولاده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر
ولده في البلاد فقالوا لابراهيم يا ابانا انزلت اسحق معك واسماعيل بقرية واهرنا ان نزل بارض القرية
والوحشة قال بذلك امرت ثم علمهم اسماء من اسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال اهل التاريخ والسيرك اراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام ارسل الله اليه ملك الموت في
صورة شيخ هرم قال السدي باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام بطعم الناس ويضيئهم فبينما هو يطعم
الناس اذاعوا بشيخ كبير عشي في الحادة فمات اليه بحمار فركبه فلما اتاهم قدم اليه الطعام فجعل الشيخ
ياخذ اللقمة ويريد ان يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة في اذنه مرة ثم اذا ادخلها في فيه وحصلت في
بحر فخرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت
فقال للشيخ حين رآه حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال انك انت قال كبريت وكبرت
فغضب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت
عمرك صرت مثلك قال نعم قال ابراهيم الاله اقبضني قبل ذلك فنام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك
الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيلا مائة وخمسة وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة جيرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلالا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث انه قيل
لنبي صلى الله عليه وسلم باسمه البشر قال ذلك ابراهيم وهو ابو الضيفان وكان لا يتعدى ولا يتعشى الا مع
ضيفه ورعا مشي عياين او كثر حتى يجد ضيفا فغاضا فته قائم الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله
تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح ان الله تعالى ان يجعل النوبة في نفسه فاستجاب له وجعل النوبة

تمالى فقنا ٣٠ هـ
وخرجنا الى الشام ففترقا
فوالله ما ذكرتهما الا
وهانت على الدنيا
وصغرت في عيني
(وانشدت شعرا في المعنى)
لما رأيته حاضر

في القاب زادني الحار
وبقيت فيك محيرا
والناب ليس له قرار
فامزج كومي بالرضا
جهرا فهاض الصطبار
دارت على موسى الكليب
هم فلاح نحو الطور نار
لطغت فلما ذاقها
لا حجاب نحو الحب طاروا
يدلوا اليه نفوسهم
وعلى خيول القوم غاروا
واليه في بحر الهوى
ركبوا وبالأرواح ساروا
طلبوه حقا بالثألو
بوعندما نظروه حاروا
هادوا به حتى لقد

أنست بقرهم الديار
ورأوا اشارات الهوى
لاحت لديهم فاستاروا
هذان راهبان لاح لهما قدر
خرم ابرة من الايمان قرأنا
الطريق وسلكوا منوبج
التصديق وانت يا مسكين
عمرك قد انقضى ومضى في
الصبيان وزمانك قد ذهب
في الخسران وانت في
بحر الغفلة غريق وقد هبت
نسيمات القبول والتوفيق
انت سكران نحو المصا

في شبي اسمعيل واسحق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمت على ثمانية الاف نبي
اربعة الاف من بني اسرائيل وهو الجوز له ان الصدق في الآخرين فليس من نبي تحريم السنة الخالق كلهم
بتصديقه وتفضله تبجله كل امة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجمل الى لسان صدوق في الاخر بن وهو
المجتبى بازواج البلاء المشهود له بالوفاء قال الله تعالى وانا ابتلي ابراهيم ربه بكلمات فاتمهم وقال ابراهيم الذي
وفي اي عامر به وهو الامة الثقات قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر
الآية ومعني الامة ان كان مسلما بالخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وانواع الفضل ما يجتمع في امة كذا قال
الكاعر
ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

وهو الذي اوتي رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى
الحق بلسان الحجة من صفه الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها لابراهيم الابن الاول من سمائه الله حقيقا
صامعا قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما ويراها من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاشهاد
فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الا بية وهو اول من اختن (قال) ابو منصور والحشاري حدثنا
ابو عباس الملقب اخبرنا عبد الحكيم اخبرنا ابن وهب اخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على بن وهب اخبرنا ابن
سهمان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال اختن ابراهيم عليه السلام
بالتقدم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (واخبرنا) الحسين بن محمد بن فضال بن
محمد بن مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن عاوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن
الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم اول من اضاف الضيف وأول من نذر ان يذبحه وأول من لبس الثياب
وأول من قمم الثياب وأول من قاتل بالسيف وأول من اختن واختن على رأس مائة وعشرين سنة قمم ميلاده
ختن نفسه في موضع يقال له التقدم بالتقدم وهو الناس وذلك انه كان وقع بينه وبين العمالة وقمة عظيمة
فتن من الفقر يقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم فيجل الختان علامة الاسلام فاختن
يومئذ بالتقدم وهو أول من اتخذ السراويل (اخبرنا) الحسن الدينوري اخبرنا احمد بن شداد بن عمر بن أحمد
القطان اخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان اخبرنا وكيع اخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال
أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك اكرم اهل الارض على فاذن سجدت فلا ترى الارض قال
عورتك فتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يا رب ما هذا قال الوفا فقال يا رب زدني
وقاروا وهو أول من اقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وادنا مناسكنا فاستجب له وهو أول من ضجى
وهو الذي بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بمدد ربه حتى بناه قال الله تعالى واذنونا لابراهيم مكان
البيت الآية وهو أول من القى في النار في الله فجملت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله الموتى
بسؤاله حيث قال رب اني كيف يحيى الموتى الآية وهو الذي كان اذا سافر وتحنى سارة واشتاق اليها
رفع الله الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذي يكسب حلة بيضا يوم القيامة ويضع له
منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاهما وهو أول من
يكسب ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه
وأول من قلم أظفاره وأول من استحدو وأول من تنف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول
من تغمض وأول من استنشق وأول من استنجز بلاءه وأول من هاجر لله قال الله تعالى فانه لوط وقال
اني مهاجرا الى ربى وجعل مقاما قبلته للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس
قال الله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وابراهيم وخير الانبياء

وأمنه خير الامم باع ملته قال تعالى ثم اوحينا اليك ان انجب ملة ابراهيم حينما قال قل بل ملة ابراهيم حنيفا
وسماه حنبلما نبينا او اءا قال تعالى ان ابراهيم حليم اولاه منيب الحليم السعيد الذي عاك نفسه عند الغضب
والاواه الذي يكسر التاره عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه بهذه ست وأر بمون خصه
من خصاله الى اكرمه الله (ويروي) ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم انك لمسلمات ممالك الى
الضغنان وابك الى القر بان ونفسك الى التيران وقلبك الى الرحمن اتخذك خيلا (وروي) اباوديس
الخولاني عن ابي ذر الغفاري قال قلت لارسول الله كم كتابا انزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأر بمة كتب
أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى اوديس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم
عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل وانز بور والفراقان قال فقلت لارسول الله ها كانت صحيف ابراهيم
قال كانت اءا لكاه ايم الملك المبتلى المساطل المغروران لم بمك لتجمع الدنيا بعضها على بعض وليكني بمك
لتدعي دعوة المظالم فاني لا أردھا ولو كانت من كافر وكان فيها أمل على العاقل الملم يكن مغلو باعلى عقله أن
يكون له أر بع ساعات ساعة يتاجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه
على ما قدم وأخر وساعة يحلوفها لحاجته من الحلال والحرام في المطام والمشر وغيرهما على العاقل ان
لا يكون ظاننا لاني ثلاث تزود لمادو وقولما شاة وذفة غير محرم على العاقل ان يكون بصيرا بانه مقبلا
على شانه فاعطالسا نه ومن علم ان كلامه مشر من عمله قل كلامه فبالا يهنيته والله عن كل بخور يهنيته

﴿مجلس في بعض اخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام﴾

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجراني مكة واسكانه ايامهما اولسا كبر اسمعيل وبلغ
النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قد منا ذكره ثم طلقها بامر أبيه ثم تزوج بامرأة
أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذ جاء
زوجك فأقرنيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بك فولدت السيدة لاسمعيل اثني عشر رجلا
ثابتا وقيدار واديب وإسام ومسمع وذمو ومساوح وافياء بطور ونافس وقيدامون ثابت وقيدار
ابني اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الي العماليق وقبائل اليمن فلما
حضرت اسمعيل الوفاة وصى الى اخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل
مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروي) عمر بن عبد الز بزانه قال شكنا
اسمعيل الى ربه تعالى خر مكة فادوحى الله تعالى اليه اني فاتج لك بابان الجنة يخري عليك روحها الى يوم
القيامة وفي ذلك المكان دفن * واما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتو يل فولدت له
عيسا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولها قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقا في
بطن واحد بفلا من فلما ارادت ان تضع افتتل الفلامان في بطنها فاراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال
عيس والله لن يخرج قبلي لا اعتراض في بطن امي فاقبلما فتاخرا يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيسا
لانه عصا فخرج قبل يعقوب ومعهما الآخر يعقوب لا يخرج آخرهما يعقوب عيص وكان يعقوب اكبرهما
في البطن ولكن عيسا خرج قبله فلما كبر الفلامان كان عيص احبهما الى أبيه ويعقوب احبهما الى امه وكان
عيس صاحب صيد فلما كبر اسحق وعصى قال ليعص ابني اطعمني لحم صيد واقتر بمني ادع لك بدعاء
وعابه أبي وكان عيص رجلا شمره ويعقوب رجلا جرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت امه الكلام
فمالت ليعقوب بابني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها البس جلد هانم فقدمها الى ابيك وقل له انا
ابنك عيص ففعل ذلك واتى الى أبيه وقال يا ابتاه كل فقال من انت قال انا عيص فسمه وقال المس مس عيص

الفرشي رحمه الله تعالى ا
قال) كنت صاحب ابراهيم
ابن ادع رحمته الله تعالى
واسمع معه فسرنا يرامن
الايام نريد الحجاز فشدنا
ثلاثة ايام لم نستطع فيها
بظلام ولا شراب فقلت له
انعرف ماني من الجوع
يا يدي قال فرمق بطرفه
الى السماء بمسدان جلس
وجلس بجانبه فاذا
رغيف سخخن سنة طفي
حجري فرفع ابراهيم رأسه
الى وقال كل فاكلت نصفه
وشدعت ثم سرنا فمرنا
بفاولة حبسها الاسد عن
المسير فتقدم ابراهيم اليه
وقال له يا مسورة ان كنت
قد امرت فينا بشي فامض
الى ما امرت به والا
فانهب فولى الاسد هاربا
وسار القوم فقالوا له يا
عليك بالمدري الامادعوت
لنا فجن تخف في السقر
فقال لهم قولوا اللهم
احرسنا بعينك التي لا تنام
واكفنا بكفئك الذي
لا يرام وارحمنا بقدرتك
علينا فلا تهلكننا وانت
رجاؤنا قال عبد الله
فلما نزل رجلا من اسهل
الفاولة بعد مدة فسألته
فقال والله لم كنا ندعوا
بهذا الدعاء الذي علمه لنا
الشيخ ماراينا سبعا وقال
الصائم ٧ ركب معنا ذلك

الرجل في مركب في البحر

فقصصت الربع وهاجت
 لا مواج واضطرب
 المركب خفنا من العرق
 خافت الناس وبكوا
 وضجوا فقال الرجل يا قوم
 معنا في السفينة رجل صالح
 كان من امره كذا وكذا
 فاسألوه ان يدعوكم فاثقوا
 اليه وهو قائم في ناحية
 للمركب يلقوف رأسه في
 السماء قال فايقظناه وقلنا
 له يا سيدي ما ترى من
 حالنا وما نحن فيه من الشره
 والفرق فرجع رأسه الى
 السماء وقال انتم اربنا
 قسوتك وقد ترك فارنا
 حلكم وعقولك قال فما
 استقم كلامه حتى سكن
 الريح وهده الموج وسارت
 السفينة فقال عبدالله فلما
 نزلنا من السفينة سمرنا اياها
 فهاكيت من الجوع
 وشكيت اليه فاخذنا المزدود
 ورقى الى شجرة البلوط
 فلما المزدود من اورا قوا ثم
 اتى به الى وقال كل فاذا هو
 رطب جنى ما كالت الذي
 منه ولا اطيب قال
 وعطشت معه في بعض
 السياحات ليل فشكلت
 اليه ذلك فقال لي امر رب
 فظننت الى دلو تدلى في
 الهواء وفيه ماء لم اذق
 اطيب منه طامنا ولا
 احسن منه ربحا فشربت
 منه حتى رويت فكنيت

والمرح بجمع يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيسى فادخله فقال قدم طامنا فقدمه فاكل منه ثم قال له اذن
 متى قد نامته فدعاه ان يحول في ذريته الانبياء المولود ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيسى بعده فقال يا ابت قد
 جئتكم بالصبي الذي اردته فقال يا بني قد سمعك اذكرك يعقوب فغضب عيسى وقال والله لا تلتفه فقال يا بني
 قد بقيت لك دعوة فله اذع لك بها فقدم اليه فدعاه فقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا يملككم احد غيري
 ثم ان ام يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه ان يقتله عيسى فانطلق يعقوب الى خاله
 وكان يسير في الليل ولا يكن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو اول من سرى بالليل فأتى يعقوب الى خاله
 وكان اسمحق امره ان لا ينكح امرأته من الكنعانيين وامره ان ينكح امرأة من بنات خاله لئان بن ناهر وان
 يعقوب لما مكث عند خاله فخطب ابنته راحيل وكان لابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال
 له هل لك من مال فازوجك عليه فقال لا لكن اخذكم اجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صدقها
 ان تحمديني سبع حجيج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانهم اصغر ولا جاءها اخذك فقال له خاله ذلك لبي
 وبنك فرعى له يعقوب سبع سمين فلما وفي لثمر طره دفع له ابنته الكبرى ليا وادخلها عليه لئلا فلما اصبح
 وجد غير ما شرط فجاهد يعقوب وهو في ناد من قومه فقال له غرتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين
 ودلست على غير امرائي فقال له خاله يا ابن اختي اردت ان لا يدخل على في ذلك الدار والبلد وانا خلك
 وبالذلك متى رايت للناس بزواج الصغرى قبل الكبرى فهم لا يخدموني سبع سنين اخرى حتى ازوجك
 الاخرى ون الناس يومئذ يحمدون بن الاخيرين الى ان يموت موسى وانزل التوراة فرعى له يعقوب سبع
 سنين اخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا اربعة اسباط روبيل وكان اكبرهم وهو وذو اشوشه ومن
 ولاوى وولدت لراحيل يوسف وبنيامين وهو بالعرية شداد وانما سمي بنيامين لان امه راحيل
 ماتت في نفاسها وبنيامين بالمرية لتشاكل وكان ليا ن دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب ايتين يقال
 لاحدهما زلفة والاخرى بلهة فوطي والامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة اسباط فولدت
 زلفة ليعقوب دان ونفتالي وروباون وولدت لبلهة جاد وياسجر وشر وفسكان بنو يعقوب اثني عشر
 رجلا اثنا عشر من راحيل واربع من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماع الله تعالى
 الاسباط وسماهم بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة المثمرة
 الكثيرة الاغصان والاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من المعجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق
 خاله ليا وانصرف بولده وامراتيه وجارتيه المذكورات الى منزل ابيه من فلسطين على خوف شديد من اخيه
 عيسى فلم ير منه الا خيرا فانزال اخاه واقفه وتلفه حتى تركه البلاد وتقل في الشام وصار الى السواحل
 ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده وقال ابن اسحق تزوج عيسى بن اسحق بنت عمه
 نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيسى فكل بني الاصغر من ولده وكان عيسى فيما
 يذكر سمي آدم لادامته ولذلك سمي ولده بني الاصغر قالوا وعاش اسحق بمدا ولد عيسى ويعقوب
 مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفعه ابناءه عند قبر ابيه ابراهيم عليهم السلام في مزرعة جبرون
 والله اعلم

(*) مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام *

وهو لوط بن هاران بن تارح بن اخي ابراهيم عليه السلام واسم سمي لوط لان حبه لوط بالقلب ابراهيم عليه
 السلام اى تعلق به واصلق ومنه حديث ابى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اهلهم غفرا لولده لوط اى
 الصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من امر لوط فيما ذكر اهل العلم باخبار الانبياء وذكر

بعيد ذلك اصوم في

الطواجر فلا اجوع ولا

اعتاش فهذا كله ببركته

فقد در رجال ماتوا في

قلوبهم لم يرحمهم محلا قد

سبلوا الميراث على

الوجنات (شهر)

لقد در رجال واصلوا الهرا

واستعذبوا الوجنات

والنهر يبع والفكر

فيهم نجوم الهدى والليل

يعرفهم

اذا انظرتم هم سادة بر

كل غدا فاقه بالله مشتغلا

عن سواه وللذات قد

هجرا

يحيى ويصبح في وجد

وفي فائق

مساكنه من المصيان

منذرا

يقول يا مدي قد جئت

معترا

بالذنب فاغفر لي يا خير من

عقرا

حمت ذنبا عظيما لا اطيع له

ولما طع سبيدي في كل

مالا

عبيته وهو برخي ستر

كرا

يا طالم قد عفى عني وقد ستر

يا طالم كان لي كل نائمة

اذا استغفرت به في كربة

انصرا

واني اطلب مما جنت وقد

وافيت بابك يا مولا

معتبرا

لعل تقبل عذري ثم تجبرني

وهب في المبتدأ لانه شخص من ارض بابل مع عمه ابراهيم وثمانه سمعته على يده وهاجر معه الى الشام
وهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح ابوا ابراهيم بخلاف ابراهيم في دينه ومقما على كفره الى ان
وصلوا الى حران ومكثوا بها فالت تارح وهاجر ابوا ابراهيم بجران على كفره وشخص ابراهيم ولوط
وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونان فرأتهما فقال لسان بن عاران بن عبيد بن عوج
ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعو اعود الى ارض الشام فنزل ابراهيم فلسطين
وانزل لوطا الاردن فبعه الله تعالى الى ارض سدوم ومابيلما وكانوا اهل كفر بالله وركوب فواحش كما
اخبر الله عنهم بقوله تعالى ان اتون الفاحشة ما سيعكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة دون
النساء بل انتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قويم لوط وقال تعالى
انكم لتأتون الرجال وتطفونهم وتذللونهم وتأتون في ناركم المنكر فكان قطعهم البيل في ذكراهم النار بل
ان اتيانهم الفاحشة مع من ورد بدعهم واتيانهم المنكر هم نادهم قال النضر بن حواشم كانوا يجلسون في مجالسهم
على الطريق فيحدثون من مبرهم ويتضارطون في مجالسهم ويتكلم بعضهم بمضاي الطريق وقال مجاهد
كانوا يجتمعون الرجال في مجالسهم على الطريق وروى ابو صالح عن ام هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحدثون من مبرهم ويسخرون به وهو المنكر
الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينههم عن ذلك ويدعوهم الى عباد الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ما هم عليه
وامرهم بالتوب بزمته ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يترجمهم عن ذلك وعده ولا يزبدعهم وعظه الامتدايا
وعتوا واستعجلا بهاذب الله تعالى وانكارا وتكذبا وبوقولوا لانا بمذاب اللذان كنت من الصادقين
حتى سأل لوط ربه ان يصرد عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجاب الله دعاه وبث جبريل
وهيكائيل واسرافيل عليهم السلام بهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فقبلوا مشاة في صورة
رجال مردحسان حتى نزول على ابراهيم عليه السلام فضيقوه وبشروه بالسحق وقدمضت القصة فلما
فرغوا من ذلك واخبروا ابراهيم ان الله تعالى بهم هلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم في ذلك كما قال
الله تعالى فلهذا ذهب عن ابراهيم الروح ورجاهته البشرية يجادل في قوم لوط وكان جد الياهم على ما ذكره ابن
عباس وغيرهم لما قالوا لانا بهلكوا اهل هذه القرية قال لهم انهم لكون قرية فيها اربعمائة مؤمن قالوا قال
أفهم لكون قرية فيها اثنتان مؤمن قالوا قال أفهم لكون قرية فيها اربعة مؤمن قالوا قال أفهم لكون قرية فيها
مائة مؤمن قالوا قال أفهم لكون قرية فيها اربعمائة مؤمن قالوا قال أفهم لكون قرية فيها اربعة عشر مؤمنا
قالوا وكان ابراهيم يمدحهم اربعة عشر بامر لوط فسكت عنهم واطمأننت له وروى سعيد عن ابن
عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم المذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال
لارسل ان فيهم لوطا قالوا انما فاقته عليه فقالت له الرسل نحن اعلمين فيم التزجينة والاله الامر انه (قال) قتادة
في هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن فلما مضى رسول الله تعالى نحو سدوم فلما اتوا الهاله الوطاني
ارض له يعمل فيها قال قتادة راوا باع حذيفة ان الله تعالى قال لاهلاك لاهلاك لاهلك لاهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع
شهادات فاقوه فقالوا انما تضييق لاهلك لاهلكوهم فلما مضى ساعة التفت لهم وقال اوما بكم امر هذه القرية
قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها الشريعة في الارض وما علم على وجه الارض اناسا اخبرت منهم قال ذلك
اربعة مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط انهم يحتاج الى المساعدة عن اضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك
قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوط امسى بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أي شديد (قال السدي)
بامداد لما خرجت الملا لشكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاقوا انها نصف النهار فلما بانوا سدوم افوا بنت لوط

تستقي الماء لها وكان له ابنتان اسم الكبير ريثا والاخرى غيثا فذالوا لها باجارية هل من منزل قالت نعم
 مكانكم لاندخلوا حتى آتيكم كفرت عليهم من قومها ثم اتت اباهما فقالت يا ابتاه أدركتني يا ناعلى باب المدينة
 مارايت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضضوك وقد كاد قومهم نهوه أن يضيف رجلا
 وقالوا خل عنا فلتضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم تنهك عن العالمين فجاءهم لوط إلى منزله ما يعلمهم أحد
 الأهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت إن في بيت لوط رجلا مارايت مثلهما حسنا
 قط (قال أبو حمزة الثمالى) بلغنا أن الملم الذى كان بين امرأة لوط وقومها إذا أتتهم الضيفان يقول رسولها هيهوا
 لنا ما جئنا دعوه بذلك إلى الفاحشة تضاياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط
 قومها بضيفاف زوجها جاءه قومهم يهرعون إليه أى يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله
 ولا تخزنون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم قالوا أولم تنهك عن العالمين
 أن تضيف الرجال وقالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لعل ما تريد فلما لم يقلوا منه ما عرض عليهم
 قال لو أنى بكم قوة وآوى إلى ركن شديد قالوا ما بعث الله نبيا بعده إلا فى شرف من قومه ومنعمة من عشيرته
 وقال صلى الله عليه وسلم لآخر هذه الآية رحم الله أخى لوط لقد كان يأوى إلى ركن شديد قال ابن عباس وغيره
 وغلق بابهم والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يمالجون تسود الدار فلما رأت
 للملائكة ما فى لوط من الكبر والنصب والتعصب بسببهم قالوا له لوط إن ركنك لشديد وإنهم آتهم عذاب
 غير مردود أناسل ربك أن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا لفتح الباب ودعنا وإياهم
 ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به فى عقوبتهم فآذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها قشر
 جناحيه وثناحان وعليه وشاح من درمنظوم وهو راقى الشياطين الجين ورأسه حيك مثل المرجان كأنه
 التلج يا ضاؤه قدماه إلى الخضره فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد
 راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهدون إلى بيوتهم ثم إنهم انصرفوا
 وهم يقولون نتجاه النجاة إن فى بيت لوط أسحر قوم فى الأرض وقالوا لوط جئتنا بقوم سحرة سحرنا كن
 كما كنت حتى نصبح يقولونه فلما علم لوط أن ضيفه قد أرسلوا به وأنهم أرسلوا بهلاك قومهم قال لهم اهلكم
 الساعة فقال له جبريل إن موعدهم الصبح أبس الصبح بقرىب ثم أمره أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا
 يلتفت منهم أحد إلا أمره فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى آل لوط
 نجيناهم بسحر أمة من عندنا كذلك نجزي من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم
 فأقتلع قرى قوم لوط الأربع وكان فى كل قرية مائة ألف فرقمهم على جناحه بين السماء والأرض حتى
 سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلدها فجعل عليها سافلها كما قال الله تعالى
 فجعلنا عليها سافلها ثم أتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من
 سجيل منضود متومة عند ربك وما هي من الظالمين ببيعدى عنى بمن يفعل كذا فمهم * أخبرنا الحسين بن
 محمد بن فضال عن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن عروة أخبرنا إسماعيل بن عيسى
 أخبرنا إسحق بن بشر أخبرنا جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضى
 الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى لا أسمع العواصف والقواصف من الرعد فأخشي
 أنها الحجارة التى أعدت لغوم لوط أو من يفعل فمهم وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عتيل التظان
 أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسن بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازى أخبرنا أبو النعمان الحكي بن
 نافع الحصى عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان إلى أن أتى شعيب قاضى

منكمرا
 وقد أنبت بذن راجيسا
 كرما
 اليك يا مسكين السادات
 مقترا
 ها قد تشفت بالحادى
 النى ومن
 فاق النيسين والإسلاك
 والوزنا
 تالله لو لم يكن فى الأرض
 ما نبت
 زرع ولا نزل البارى لها
 مطرا
 متى أسير إلى ذاك الحناب
 متى
 احطى برؤيته اقضى بها
 وطرا
 صلى عليه اله المرش
 ماركت
 نوق وما زمزم الحادى لها
 وسرى
 (وحكى عن أبى سليمان
 الدارنى رحمه الله تعالى
 ونقنا به) أنه كان يقول
 فى بعض مناجاته سيدى
 لئن طالبتى بذنى لاطالبك
 بفوك ولئن طالبتى ببغلى
 لاطالبك ببجورك وكركم
 ولئن طالبتى بساقتى
 لاطالبك بإسائك ولئن
 ادخلت النار لا خيرن أهلى
 بعجبتى لك فنىدى يا أبا
 سليمان لاندخلك النار ولا
 لندخلك هم البابل ندخلك
 الجنة لتخير أهلى بعجبتى
 لك ولا تخبر أهلى النار

حصى وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطي قال ان رموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المذنبين وقال تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التي يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهرة فالتفت وقالت راقومها فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين اي اليافقين في المذاب وقال تعالى انه مصيها ما أصابهم الا به (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين اخبرنا موسى بن محمد بن علي اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى قال اخبرنا المسيب قال سمعت ابا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين اي اى خلقت فمذخت حجرا وكانت تسمى هلسقع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قري قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا فأما سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية اربعة آلاف فاحتلها جبريل على جناحه فقتلها فذلك سميت المؤن فمكثت اى المتقلبات واما القرية الخامسة فانها تسمى صغرة ونجت من المذاب لان اهلها آمنوا بلوط (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سلك بسماء ففسرها لي قال وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم اهدى فاخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قري قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا اصواتهم واصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فاخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران متى قلت لها او كلفتهما فتفتح ابواب الجنان او النيران فتجأها قال فاخبرني عن قوله تعالى امين قال ان الله تعالى انزل من السماء مائة واربعة كتب على انبيائه لم يأتعن عليها غيري (أخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد النعماني اخبرنا ابو عثمان بن احمد بن سمان البراري اخبرنا عبد الله بن قحطبة اخبرنا يثرب بن ثوبه اخبرنا محمد بن راموز اخبرنا ابو بكر بن عياش قال سألت ابا جعفر اعذب الله النساء من قوم لوط بهل رجالهم فقال الله تعالى اعدل من ذلك بل استعني الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (أخبرنا) ابن فتحويه اخبرنا محمد بن جعفر اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لجاهد يابا الحجاج هل بقي من قوم لوط احد قال لا الا للرجل بقى اربعين يوما وكان بمكة فجاهد حجر ليصبيه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا لا حجر ارجع من حيث جئت فان الرجال في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم اربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج اصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن ابي نصره عن ابي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا وديفا لا يبالغون الى اربعين فاهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر اولاده منكم بالعقوبة جميعا

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام) *

قال الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الآية قال سعد بن ابي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثنا قال فانزل الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص يا أوحى اياك هذا القرآن الآية فندلهم الله تعالى في هذه الآية على احسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص احسن القصص فقال بعض أهل المعاني الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو اوهون عليه قال الشاعر

الحسين الجنة وه مكان الاعداء
النار اخوان الحية عروس
مهرها النفوس ولها تخضع
الرقاب والرؤس وهي تجلي
على أهلها الاسرار وتصفو
بها الا كدار وتروق ماني
ابكر الانكار وهي للمارف
نور والجاهل نار اذا مزجت
نخرة الحبة على أهل الجنة
الوصال يتعمون فيها
بالغدو والاصال والحبيب
يتجلى عليهم بلا حجاب
وملائكة السرور يدخلون
عليهم من كل باب فالذين
يتلون كتاب الله عاين لهم
وحسن ما بمتكئين فيها
على الارائك نعم الثواب
(وحكى عن يوسف بن
الحسين رحمه الله تعالى) انه
قال سمعت ذا النور
المصري رضي الله عنه يقول
بينما أنا في شوارع مصر اذا
رأيت جارية يسفرة عن
وجهها وهي تمشي من غير
خمار فقلت لها يا جارية أما
تستحي من الله تعالى فقالت
يا ذا النور وما يصنع الخمار
بوجه علاه الا صفرار قال
ذا النور فقالت لها عماك
تناولت شيئا من شراب
القوم فقالت اسكت يا بطل
شربت البارحة بكأس وده
مسرورة فاصبحت بحجة
نخورة قال ذا النور فقلت
لها يا جارية عسى فائدة
ملك أو وصية أحفظها

عليك بالسكوة حتى
يتهموك أنك مبهوت
وارض من الله بالسير من
القوت بن لك بيت في
الجفة من الياقوت قول
أوحى الله تعالى الى نبيه
دارد عليه السلام يادارد
أحبيتي وأحب من يحبي
وحبيتي الى عبادي فقال
داود يارب كيف أحبك
وأحب من يحبك وأحبيتك
الى عبادك فقال تذكرني
لهم وتذكرهم لأني وإنه
فانهم لم يدروا الى الازل
والاحسان * قيل أوحى
الله تعالى الى نبيه الخليل
عليه السلام يا ابراهيم انك
لي خليل وأنا لك خليل
فاحذر أن أطاع على قلبك
فاجده مشغولا بفيري
فينقطع حبك مني فانما
اختار لي من لو احرقته
بالنار لم يلفقت قلبه عني ولم
يشتمل بفيري فاذا كان
كذلك اسكنت محبتي في
قلبه فتوارث عليه الطافي
فقرته مني ووجهته بمحبي
فني نعيم يمدد ذلك
عنسدي واهي شرف
اشرف منه لدى فوعزني
لاشقين صدره بالنظر الي
وذلك اني محب لمن احبني
(اخواني) اذا كانت محبته
سبقت للعبد بالانابة
القدسية كيف لا يسلك
العبد الطريق المستقيمة

ان الذي سمك السماء بنالنا * بيتا دعائيه اعز وأطول

أراد عز يزة طوبى له واجراه اليافون على الظاهر فأناراهي احسن القصص ثم اختلفوا في وجوها فروى مقاتل
عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان
حدثنا عن التوراة يا احسن ما فيها فانزل الله تعالى نحن ننص عليك احسن القصص بمعنى ان قصص القرآن
احسن مما في التوراة وقيل سمي الله هذه القصص احسن لتقصص لانها ليست قصة في الفرائض تضمن من العبر
والحكم والمجائب والظلال فمضممت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات
للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الابالياب وقيل سماها احسن القصص لحسن مجازاة
يوسف واخوته وصبره على اذاهم واغصائه عند الالتقاء بهم من ذكر ماته اطو مدعه وكرمه في العفو عنهم حيث
قال لا ترب عليك اليوم بقدر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشمياطين والجن
والانس والانعام والظواهر وسير الملوك والممالك والامراء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء
ومكرهن وحيلهن وفيها ايضا ذكر العفة والوحيد وعلم السيرة وعبير الرؤيا واداب السياسة والمعاشرة وتدابير
المعاش فصارت احسن القصص لما فيها من الجزالة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري
الدنيا والعقبى قال اهل الاشارة سماها الله احسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

(*) الباب الاول في ذكر تسببه عليه الصلاة والسلام

هو يوسف الصديق ابن يعقوب الصفي ابن اسحق النبي ان ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كراه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم
واختلقوا في معنى اسم يوسف فقالوا كثر الله بهم هواسم عبري فلذلك لا يجبر وقال بعضهم هواسم عربي
سميت الاسماء ابا القاسم الحنظلي يقول سمعت ابا الحسن الاقطع كان حكيمًا يسئل عن
يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسف العبد واجتمع افيد لذلك سمي يوسف

(*) الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام ولحيته ونعت خلقه وصفة صورته

قال الله تعالى فلما راى بندة كبرته الآية (اخبرنا) ابو عبد الله العفي اخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان اخبرنا محمد بن محمد
ابن سليمان اخبرنا محمد بن حميد الرازي اخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال
حدثني عمارة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت ليلة أسري بي الى السماء
فرايت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رايت به يا رسول الله قال كان عمره ليلة ابدر
واخبرني الحسن بن محمد اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا حامد بن سعدان اخبرنا ابي اخبرنا يعقوب
اخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت واه به شطر الحسن وعن
ابي اسحق بن عبد الله بن ابي فروة قال كان يوسف اذا سافر في ازمة مصر يري تلاقؤ وجهه على الجدران كما
يري نور الشمس والتمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لا تدبر به بمنزلة الذر فاد الانبياء
عليهم السلام نبي انبياء واراد في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار تزي الحلة الشرف من تدبير اداء الكرامة
مقصدا بقصص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن عينا سمون انهم ملك وعن يساره سبعون الف ملك ومن
خلقهم امم الانبياء لهم زجل بالسميح والتمقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه جبالها وتحوّل معه
حيثما حل فلما اراد آدم قال لي من هذا الكريم الذي اجبت له بحبوحة الكرامة ورفته الدرجة العالية قال
يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتته يا آدم انجحه قال آدم قد اخجلتني حسن ذريتي ثم ان آدم ضم يوسف الى

كما قيل ان الله اتي رسول
يا جبريل اني فلان انا يظ
فالحب بين يدي محبو به
قام ولقد منه ما نزل
حبسه هائم فما عليه من
الماثل واللام (شعر)
يا عادل القلب في صباه
ولا ثم الصب في تصاييه
اترك ملازمي وخبر عن
عذلي
فالحب معني واست تدر به
وفي ضميري من لا ابرح له
وفي فؤادي من لا اسميه
قد ادهش الطرف في
محاسنه
وحير القلب في معانيه
محبب والقلوب تشبه
مقريب والفرام بيديه
ووجهه حيث كنت
واجبني
لاشي يخفيه او يواريه
ان جنته صار عافيا ملي
يقول انبئك في تاليه
هنا انزل ومنك مقرب
خذ من الوصل ورد صافيه
(وعن ذي النون المصري
رحمه الله تعالى) انه قال
رايت في ظهري الجنون
وباطنه القنون فليت انه
محب مولد مفتون فمعنته
يبكي ويقول في مناجاته
مولي قربت الحبين
وطردتني فما ذنبي
وخصصتهم بالوصل منك
وهجررتني فواكرني
وايقظتهم للقيام بين يديك
وانعتني فواندهم وللذتهم

صدره وقبله بين عينيه وقل يا بني لا تأسف فانت يوسف فاول من ساء يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف
من الجبل الثمين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خاتمه الله تعالى ايده وصوره ونفخ
فيه من روحه قبل ان يصيب المصيبة وقد كان الله اعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى فرع
ذلك منه واعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجبال الذي كان انزعه منه وذلك ان الله
تعالى احب ان يرى العباد انقادوا على ما يشاء فعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه احد من الناس
ثم اعطاه العلم بما في الارض باركان يخبر بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا وكذا من قبل ان يكون ذلك
الامر عاده الله ذلك كما علم الاسماء كلها آدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف ابيض اللون جميل
الوجه جمده الشعر ضخيم العينين مستوى الخلفه غليظ الساقين والمضامين والساعدان يحمي البطن اقبني
الانف صغير السرة وكان ينفذ اليه من خال اسود وكان ذلك الخلق بين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء
كانها القدر لاله البدر وكانت اهداب عينيه تشبه قوائم النور وكان اذا تبسم روى النور من ضوا حكة اذا
تكلم رايت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم بل احد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام
ويقول انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان احسن الناس واسحق هو الغضاضك بالامرانية
وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحر والعين ولكن لم يعطها صفاء هن واعطى
يوسف من الحسن والجمال وصفاه اللون ونقاء البشرة لم يعطه احد من العالمين وانه كان ليا كل القول
والفواكه فترى حين يزدردها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها احواء
(وقال زهير) الحن عشرة اجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس (وعن عبد الله بن مسعود عن
النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف
من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشى وقيل لبعض الحكماء يوسف احسن أم محمد فقال كان
يوسف من احسن الناس محمد صلى الله عليه وسلم احسن الناس وبدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال
نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو احسن في عيني
من القمر * (القول في القصة) *
قال اهل العلم بقصص الانبياء واخبار الماضين كان ابتداء امر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة
يعقوب له وايداره على سائر ولده ان الله تعالى انبت ليعقوب شجرة في صحن داره فكان كلما ولد له ولد اخرج
الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع
يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد
له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيئا فلما كبر وشب قال لايه يا بني الله انك لست احسن من اخواني
الا ولغصن الانافذ ان الله تعالى ان يختصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم اني اسالك
ان تهب ليوسف غصنا من الجنة فيفتخر به على جميع اخواته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه
قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته
قال فرأى يوسف في اري النائم وهو اذ ذلك صبي كان قضيبه غرس في الارض فنام وتدلغ اغصانه وانما
من كل ثمرة ثم اتى باغصان اخوته ففرت حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تنمر واذا انصن يوسف اقصرها
واصغرهما فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طلع على اغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت اغصان
اخوته من غصونها والقتها في البحر وثبت غصن يوسف في الارض قائما فاقبته فرعا مرعوبا فقال له ابوه
ما الذي هالك يا بني فقص عليه رؤياه فياخوته فقالوا يا ابن را حيل لقد رايت عجايبا يوشك ان تدعى انك

في المسحور به: اجانك وما
لنذتني فوالله لم اكن
البيك والنجيب قال ذو
النون فتركه في ما كان
ساكما وخرج من شوقي
ما كان كمننا فقلت يا فتى
ما هذا البيك فقال يا
النون اخبرني سواد الثوب
يزول بالساء والاصارن
وسواد الثوب يزول بماذا
قال ذو النون فقلت انار الله
في طاب ما انت في طلبه
وما رقت منه لافي الحيرة
والغيبه وانشد يقول شعرا
راى سوادي فقلت وبلى
اشد منه سواد فلي
طلبت منه لذلك غصلا

فقال لي ليس ذا بصعب
كذلك قلبي به سواد
فازدت كربا لمظم كربى
(اخواني) سكت نار الحبة
في القلوب فاستنارت
بانوار المحبوب قال بعضهم
سبعة اشياء لاتم معرفة
الزب الا بالامم الاخلاص النية
للعز وجل وصدق العزيمة
مع الله والصدق في الله
والشوق الى الله وحسن
الظن بالله والخوف من الله
فهذه السبعة لاتم معرفة
الله الا بها كما كان المصباح لا
توقد الا بسبعة اشياء لا بد
منها الزاد والحجر
والحراق والكبريت
المرجعة والزيت والفتيلة
فبدون هذه السبعة اشياء
لا سبيل الى ايقاد المصباح

مولانا نحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسده بعض الحسد قال وهب راى يوسف هذه الرؤيا يعني
الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انراى وهو ابن اثني عشر سنة الرؤيا التي قصها الله على كسائه ان قال تعالى
اذ قال يوسف لايه يا ابت انى رايت احد عشر كوكبا والاية وكان يومه الى جانبها فبينما يوسف قائم عند
أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فتابه من هناك فرأى
مرعوبا بالترمة به قوب وضحه الى صدره وقيل بين عينيه وقال يا حبيب ايه ما الذي اصابك فقال رايت رايت
رؤيا افزعني فقال يا بني خيرا رايت ما الذى رايت قال يوسف رايت كبرا ابواب السماء ففتحت وقد اشرق
منها النور فاستنارت النجوم واشرفت الجبال وزخرت البحار وعلت امواجها وسمعت الحيتان بانواع
اللغات ورايت كاني ابلست رداءه اشرق الارض من حسنه ونوره ورايت كان مقام مع خزان الارض
أفريت بين يدي فبينما اننا كذلك اذ رايت احد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعهما الشمس والقمر فخرقا الى
ساجدين فقال يهوب يا بني لا تفحص رؤياك على اخوتك الاية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجب ان يكون
وامامك من تاييل الاحاديث الاية قال فسمعت امرأة يعقوب قال يوسف لايه فقال لها يعقوب
اكنمى ما قال يوسف ولا تخبري اولادك بذلك فقلت نعم فلما اقبل الراحلة يعقوب من مراعيهم اخبرتهم
بالرؤيا التي امرها يعقوب بكنمها فاتفقت اورداجهم واقشمت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما غنى
بالشمس غيرا بيننا ولا القمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا قالوا ان ابن را حبل يربدان يتكلم عليه فيقول اننا
سيدكم واتم عبيدك فحسده على ذلك فذلك قيل في الحكمة لا نأمن قارا على حيلة ولا شاكيا على امرأة ولا
امراة على سر (وروى) الحكيم بن ظهير عن اسمعيل السدي عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله قال جاء
رجل من اليهود فقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن النجوم التي راها
يوسف ساجدة مما اسماها فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه شي حتى نزل جبريل عليه
السلام فاخبره باسماء الفارس الى اليهودي ودعا وقال ان اخوتك باسماء اسلم قال نعم فقال له جريان
والطارق والذبال وذرا الكنفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والمليق والضروح راها
يوسف في افق السماء ساجدة فلما قص رؤياه على أبيه قال اري شيئا مشتوا بحمد الله لك فقال اليهودي
هذه والله اسماءها ويقال كان بين رؤيا يوسف في الغصن ورؤياه في الكواكب سبع سنين فلما كان من
امر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالحبة والقر بقسده اخوته
وحلمهم الحسد على ان تآمروا بينهم في ان يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما
بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى اذ قالوا ليوסף وأخوه احب الى ايماننا ونحن عصبة ان انا انى
ضلال مبين اى خطا بين في اثاره يوسف واخاه علينا اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه
أبيكم وتكونوا من بعده قوماصالحين اى تائبين فاستعدوا لاتبوة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو
يهودا وكان افضلهم واعقلهم لاقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقود في غيا بالحب وهو البر غير المطوبة
يلتقطه بعض السياره ان كنتم قاتلين قيل للحسن المجاهد المؤمن فقال للسائل ما انالك بنى يعقوب وهذا
قيل الاب جلاب والاخ سلاب فمئذ ذلك اجعوا بهم ان يدخلوا على يهوب ويكذوب وارسال
يوسف معهم الى البرية فقال لهم رويل وهو اكبر ولد يعقوب ان اباكم لا يمانكم الا يوسف ولكن انطلقوا
بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فانظر اليما كيف نرج ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف وهو
قاعديس فجعلوا يلعبون ويتضاحون بين يديه فلما راى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل عليهم
وقال يا اخواته هكذا لعبون في مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف انك لورايتنا ونحن نلعب في مراعينا فخنيت ان

تكون معنات وقوله الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه اطلقوا الى ابي واسألوه ان يرسلني
معكم فاقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يقولون هكذا اذا ارادوا ان يسألوه حاجة فلما رآهم بين
يديه ووقفوا صفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا اباك انك لا تأمننا على يوسف واذله لنا صحن نحو حله ونحو ظنه
حتى زده اليك ارسله معنا غدا نبيع و يلبس في الصحرى ويا ما الخ فظنون فقال لهم يعقوب اني ليعجزني ان
تذهبوا به وأخاف ان ياكل الذئب وانتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك
يعقوب لانه رأى في منامه كان يوسف على رأس جبل وكان عمرة من الذئب قسده واعلمه لياكله واذا
ذئب منها لم يحمى عنه وكان الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلما رأى
يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فذلك قال لهم واخاف ان ياكله الذئب (اخبرنا) الحسين
ابن محمد بن فتحويه اخبرنا عبد الله بن شبة اخبرنا أبو نعيم وعبد الرحمن بن قريش اخبرنا محمد بن عمرو
ابن الحكم الهروي اخبرنا مالك بن سليمان الهروي اخبرنا عبد الله بن عمر العمري عن افع عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلتفتوا للناس الكذب فيكذبوا فان بني يعقوب لم يعلموا ان الذئب
ياكل الا نعان حتى انهم ابرهم فلما انهم وقال اني أخاف ان ياكله الذئب قالوا اكله الذئب فقال بنوه لئن
اكل الذئب ونحن عصبة اى عشرة رجال اذا دخلنا من عجرة فمفكروا ثم قالوا يا بني الله كيف ياكله
الذئب وفيما هم من اذا غضب لا يسكن غضبه حتى يصيرح فاذ صاحح لا تسد عليه الا وضعت ماني
بطنهم وفيما هم اذا غضب شقق السبع تصفيين فلما سمع منهم يعقوب ذلك اطمان اليهم
واقبل يوسف حتى وقف بين يدي ابيه ثم قال له يا ابي ارسلي معهم قال او تحب ذلك يا بني
قال نعم قال اذا كان غدا اذن لك في ذلك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشهد عليه منطقته
واخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عبد يعقوب الى السلة اني حل فيم ابراهيم زاء اسحق فحمل فيها زادا
ليوسف وخرج ليشيرهم فقالوا يا بني الله ارجع فقال يعقوب يا بني ارحمكم بقوى الله وبحملي يوسف
أسألكم بالله ان جاع فاطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تمسوه ولا تمخضوه وكونوا متواصلين
متراحمين قالوا نعم يا ابا انا لا ناك رد وهو اخونا كاحدا نابل له الفضل علينا بمحبة اياه فقال نعم يا بني الله خالفتني
مع اني خائف ان اكون قد ضيعته ثم انه اقبل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال
استودعك الله رب العالمين وانصرف راجعا (وروى) السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن جابر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن
بحريرة عن كعب الاحبار وسعيد بن ابى عمرو بن عنة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا ارسل يعقوب
يوسف مع اخوته فاخرجوه فظهر بنو الكرامة فلما برزوا به الى البرية اظهروا له المداواة وضربوه فجعل
يستغيث بهم واحدا بعد واحد ثم يضر بونه فلما رى منهم رجاء وادوا أخذوا ما كان زوده يعقوب واطعموه
الكلاب وضربوه حتى كانوا يقتلونوه وعطش عطشه شديدا فقال لهم اسقوني جرة من ماء قبل ان تقتلوني
فلم يسقوه فمذ ذلك بكى الملا نكرا رحمة ليوسف فلما رأى يوسف ان ليس احد منهم يعطف عليه جعل
يصيح ويقول يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما تصنع بانيك بنو الالكه فلما هموا بقتله قال لهم هوذا كان ابن خالة
يوسف واحسنهم فيه ربا وليس انك قد اعطيتهم مني موتا فان لا تقتلوه فمذ ذلك اجروا على الغائث في الجب
كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به واهموا ان يحملوه في غياطة فاجب فاطمقوا به الى الجب ليرحوه فيه وكان ذلك
الجب في الاردن بين مدين وصرى وقيل بين طبرية والتيس على قارة الطاريق في وادي من اودية على ثلاثة
فراخ من منزل يعقوب وكانت ثرا وحشة مظلمة اسفلها واسمع واهلا حاضق يهلك من طرح فيها من سمه

مصباح قلبك بمشاهدة
ربك فلا بد من زناد
الجماعة وحجر المكابدة
وحراق الاشواق
وكبريت المحبة ومسرحة
التوكل وزيت الشكر
وفتيحة الصبر ثم تعاق
المصباح في سلاسل
التضرع الى ربك فمذ ذلك
يتوقد نور في قلبك (وحكى
عن عبد بن احمد المقيدر رحمه
الله تعالى) انه قال سمعت
الجنيد رضى الله تعالى عنه
يقول كنت قائما عند
السرى السقطي رضى الله
تعالى عنه ليلة من الليالي
قايقظني وقال يا جنيد
رايت كافي وفتت بين
يدى الله تعالى فقال
يا سري خلقت الخلق
فادعى كلهم محبة
وخلقت الدنيا فهرب مني
تسعة اعشارهم وبقى
العشر وخلقت الجنة
فهرب مني تسعة اعشار
العشر وبقى عشر العشر
فلطقت عليهم ذرة من
البلاء فهرب مني تسعة
اعشار عشر العشر وبقى
عشر عشر العشر فقلت
للاباقين لا الى الدنيا اردتم
ولا الى الجنة علمتم ولا من
البلاء هربتم فما الذي
تريدون وما الذي تطالبون
فقالوا انت المراد ولو قطعنا
بالبلاء لم تحل عن المحبة

والوداد فقلت لهم اني مسلط

عليكم من البلاء والا هوال
ملاة قوم بحمله الجبال
انصرون على البلاء قوا وبني
اذا كنت انت المبلى لنا
قافل ماشئت بنا فاولاء
عبادي حقوا واحباني صدقا
(الخزاني) البلاء موكل
بالجنتين قد اخني منهم
الاجساد وتمكن من
القلوب فلا يزالون كذلك
حق يصلوا الى المحبوب
وانشد بعض السارفين
يقول شعرا
ياي الله للاحساب بيتا
سماؤه
هوم واحزان وحيلاته
الضر
وحصباؤه كرب وغم
وسفقه
صفام وآلام يضيق به
الصدر
واخلهم فيد واغلق بابها
وقال لهم ففتاح بيتكم لصبر
(وعن ابراهيم الخواص
رضي الله تعالى عنه) يرتفعنا
به انه قال كان عتبة العالم
من الشواص المسرورين
بالاخلاص وكان يزورني
في بعض الايام وللايلي
وكان صائما الدهر قائم الليل
فبات عندي ليلة فندمت
اليه المشاء لينظر عليه فلم
يقطر عندي الا على الماء
فما صلي المشاء الاخيرة
احرم وقام يصلي الى
السحر فسمعت يقول في

أسلم الا لا يمكنه الصمود وكان داهما ملجئا وكان الجب بن حفر سام بن نوح ويسمى جب الخزان فلما
أرادوا ان يلقوه فيه جعلوا يدونه في البئر يمتلئ بشفير البئر فبطوا يديه الى عنقه وترعوا قبرصه فقتلوا بالخير تاء
ردواعي قيصي استمره عورتى ويكون لي كفنا بعدد ثمان واطلوا وايدى الطردم هاهنا هرام الجب فقاواله
ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا لتلبسك وتؤنسك فلما في البئر بحل فلما بلغ نصفهم اقتطعوا الحبل
وسقط فيبعوت فيه فاخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة لعلها نائمة ورغمه الى يوسف فقب عليه ارجل
يوسف بيكي فنادوه فظن امر رحمة لخطيئتهم فاجابهم فهو وان برضه غوه بالخطارة فيقتله فلهتهم بهم وذا وقال
لقد اعطيتهم مني ومثاقنا لا تقتلوه قالوا فلما أني يوسف في الجب اضاه له الجب وعذب ماؤه حتى كان يضيئه
عن الطعام والشراب وبست الله تعالى اليه ملكا خال عنه قيده وكان ابراهيم حين أني في النار يردد من تبابه
وقذف في النار عر بافاقانه يجريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة قاله سياهه وكان ذلك القميص عند
ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فله اسب يوسف جعل يعقوب ذلك
القميص في ثوب يذوع غنائه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما أني في الجب عر بانا جاءه
الملك وكان عليه التوءم يذافخرج القميص والبسة اياه وجعل يؤنس به البهار (يروي) ان الملك اتاه بحفر جنة
من الجنة فاطعمه اياه فلما امسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني استوحش
فقال له الملك قل اذا همت شيئا بصريح المستصرخين ياغيث المستغثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترمي
مكاني وتعرف حالي ولا تخني عليك شيء من ادري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا خففوا
به وآسوه في البئر ثلاثة ايام فلما كان في اليوم الرابع اتاه جويل عليه السلام وقل يا غلام من طرحك هو اني
هذا الجب قال يا خوف لا يني قال ولم قاله حسدوني على عزاتي من اني قل احب ان يخرج من هذا الجب قال نعم
قال قل يا صاحفكل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد
ويا مؤنس كل وحيد ويا غابا غير مغلوب ويا اعلام القيوب ويا حيا لا يموت ويا حي فوق لا يلدأ أنت
سيحانك أسألك يا من له الحمد يا دبع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك
أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وان تجعل لي من أمري ومن ضيقي فرجا وخرجا وترزقي من حيث أحتسب
ومن حيث لا أحتسب فلما لبس يوسف فجدل الله له الجب محر جاز من كيد اخوته فرجارتاه ذلك صر من
حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئ اخوتك بما عملوا وعملوا به لعل انك يوسف فذلك
قوله تعالى لتنبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ستم
سنتين ثم يفر ويجمع الله بينهم وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) ابو عبد الله بنوري اخبرنا ابو العباس احمد بن
محمد بن يوسف الصرصي اخبرنا ابو جعفر محمد بن جبر الطاطري اخبرنا عمران بن القزاز اخبرنا عبد الوارث اخبرنا
يونس بن الحسن قال أني يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في اليهودية والمالك والسجين
ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا
الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما أني في الجب فلما ألوه في الجب عمدا الى سجنه من الغم
فنبجوه واطاخوا قيص يوسف بدما وشوهوا واكلوا لحمهم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قائم على قارعة
الطريق ينتظرهم حتى ياتون بيوسف فلما نوا منه اصطر خواصر اخرج رجل واحد ورؤفوا اصواتهم بالبكاء
فلم يعقوب انهم قاصصا صبيبا مصيبة فلما افروا واجتوا وارتقدوا بين يديه وشعرا جويهم وبكوا ففرغ
يعقوب وقال ما لكم يا بني وأن يوسف قالوا بانا اذ هبنا نسبك اى نتفضل وكذلك هو في قراءة عبد الله
وتركنا يوسف عندمنا فأكاه الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا كفارا بمقتضى ما فعلتخ به فذلك

قوله تعالى وجاؤا بأبهم عشاء بيكون واتموا ذلك ليكونوا في الظلمة أجراً على الاعتذار وتزوير ما مكروا
فقدوا واللائع بال حاجة في الليل فان الحياء في البنين ولا تتعذر في النهار من قبح فعلك فتتلعج في الاعتذار
فلا تقدر على اتصافه (روى) الشعبي قال جاءت امرأة الى شريح فبع فيه فملمت تبكي فقال رجل الا ترى الى هذه
المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء بيكون ثم انه أشد في معناه
أغرك من شيخ بكاء وممانته * أم اللحية البيضاء للنفث مطلقه
فان بسني يعقوب جاؤا بأبهم * عشاء وهم يبيكون زورا وعشقة
قال فلما قالوا يا ابا نازة بنا نسيتك اى نتفضل وتركنا يوسف عند متاعنا فكله الذئب الا يقال قوله بدم
كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجزة اى طرى فلما
قالوا لذل يعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم ارونى قميصه فاروه فقال ثافته ما رأيت كاليوم ولا ذبا أحلم من
هذا أكل انى ويشق له جيبا ولا خرقه شفا وصاح صديقه وخبره بنسبائه عليه فلم يبق الا بعد ساعة طوبى له
فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم اخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضمه على وجهه وعينه (اخبرنا) ابن
فتحويه اخبرنا احمد بن ابراهيم بن شاذان اخبرنا عبد الله بن ثابت اخبرنا ابو سعيد الاشج اخبرنا ساماعة حدثني
زكريا عن سنان عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما اجاؤا به الى ابيه فقالوا أكله الذئب فقال
ابوه ان اكله الذئب لبشر قميصه وحين سمي نحو الباب بثقت قميصه من خلف فعرف الوزر به انه لو كان
هو الذى راودها لكان الشق من بين يديه وحين أتى على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح إخوة
يوسف من الغدر رجوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيت ما كان من تكذيب ابيكم لبارحة فان
اردتم ان يصدقكم ويخرجكم من الملامة فروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين اضلاله ولحمه
ونجي به فقال لهم هوذا يا اخوتاه ابن العبد الذى بيني وبينكم والله لئن فلمت ما تقولون لا خيرن يعقوب عا
كان منكم ليه ثم لا كون لكم عدوا ما بقيت فتكوه ثم انهم رجوا الى ابيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم
صادقين ان الذئب اكله فان الذئب اتونى به فمعدوا الى حبالهم وعصيمهم فاخذوها وضوا الى الصحراء
فاضطادوا وابوا وشدوه وأرنتوه كذا فتم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله خلوه فقال له
يعقوب أقبل فاقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدي يعقوب منكسرا رأسه فقال له يعقوب أما
الذئب كالت ولدى وقرعة عيني وحبيب قلبي ومرة تؤادى لقد أرتنى حزننا طويلا وألما عظيما قال فتكلم
الذئب وقال له وحق شيتك يا بني الله ما كلاك ولدوا وان حوكمك ودماءكم معشر الانبياء لحرمة علينا وانى
لما ظلموك مكذبون على وانى لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وماؤ خلك ارض كنمان قال جئت
لاجل قرابة لى من الذئاب ازورهم واصلمهم فتمتدنى قال يعقوب لا ولاده بل سوات لكم انفسكم امر افصير
جميل وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان علي متصفون * قال ابن عباس انما كان سبب
بلاء يعقوب انه ببع شاة ووه وصائم فاستظمه جواره فلم يطعمه فاتت به الله تعالى بامر يوسف قال فمكث
يوسف في الجب ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ودع بالداء الذى علمه جبريل عليه السلام جاءت سبيارة
اى رفقة مارة من قبل مدين تر بد صر فاخذوا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قرب باب الجب قال وكان
الجب في قفر بعيد من العمران وانما هو للراة والجناتارة وكان مؤهرا للحافذب حين التي فيه يوسف فلما
نزلت السبيارة ارسلوا رجلا من العرب من اهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى
وجاءت سبيارة فارسلوا رجلا من العرب قالوا لوالى الذى يتقدم الرفقة الى الماء فيمهيئ الارشمية والدلاء
فوصل الوارد الى البئر فالى دلوه اى ارسلها فتمعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى قم البئر ورآه مالك بن دعر

تمنى في قاتالك يحب وان
ترجى فاقبالك يحب ثم بكى
وشوق شقة عظيمة وخر
مغشيا عليه فلما أفاق قلت
له يا عتبة كيف كانت
لياسك قصر صرخة
عظيمة ثم قال يا ابراهيم
ذكر العرض على اسرع
الحاسين قطع اوصال
الحسين ثم غشي عليه فلما
افاق رفع رأسه وقال
يا سيدى اترك تعذب
من أحبك بالخير ان تبتلى
قلبه بالمجران فسبحها فلما
يقول حاشاه ان يمدب
من أحبه واجتبه
واختره واصطفاه
وانشد يقول لشرما
في وصف حبك ما يفتي
عن أفزل
وفي حديثك ما يلى عن
الذل
ولمكت كلى فكلى ذلك
محتمل
فالامر أمرك ليس الامر
من قبل
وحق حبك ما قلبي
بمنقلب
الى سواك وما حسبي
بمنحل
ولوسف مكث دعى عمدا بلا
سبب
ليكان عين الرضا حقا بلا
ملل
(وعن ابن بكر بن عبد الله
رضي الله تعالى عنه انه قال

فأرى أحسن ما يكون من العبادان فقال مالك يا بشر أي هذا غلام ببشر أحياه أنه أصاب عبدوا مسروعه بضاعة
قال المفسرون أسير مالك بن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها
من بعض الناس إلى مصر خيفة أن يجلبوا عنهم فيه الشر كما أن علموا حاله قال وكان هو ذا يأتي يوسف بالطعام
كل يوم سرهم إلى خوته فقامه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجد في البئر فنظر فإياه هو مالك وأصحابه زولا
ويوسف معهم فرجع هو ذا وأخبر خوته بذلك فأتوا إلى ملك وقالوا له هذا عبدنا في مناوكتهم يوسف حاله
مخافاً أن يقتلوه فقال مالك أنا أشتريته منهمكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين أي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لأن عن الحرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة
واعتاق ذلك لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يترنون ما كان وزنه أقل من أوقية سائر بعين درهمهما إنما كانوا
يعدونها عندا فإذا بلغ ارقية وزنه لأن أقل وزانهم وأصغرها يومئذ اوقية أربع درهما (واختلف العلماء
في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقائدة والسدي عشرون درهما وأبو عبد الله
بثمنهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنتان وعشرون درهما وقال عكرمة ابن بعون درهما وأما باعوه بهذا
الدين لأنهم كانوا فيه من الزاهدين لم يزلوا أكرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال إن السبب في استرقاق
يوسف وبهيم إبادان إبراهيم دخل مصر في بعض الأزمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة
أي أراهم فواسخ نظمياله واجلالاً ولم يترجل لهم إبراهيم فوحى الله إليه أنك لم تنزل أبادي وهم يشعرون معك
حفاة ولا عاقبتك بأن يباع ولهم أولادك في هذه المدينة ثم إن مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه يوسف
وهمهم أخوته يقولون لهم استأمنوا منه فأنه آبق سارق كاذب وقدرنا إليك بن عيو به خفاه مالك على ناقته
وساروا به إلى مصر وكان طريقهم على قبراهم فلما رأى قبراهم لم يبال أن يرى نفسه عن الناقه إلى القبر وهو
يقول يا بني إياي أراحيل حل على عنك عقدة الردي ورفعى رأسك من أثري وانظري إلى ولدك يوسف ومالتي
بملك من البلايا ما ملو رأيت ضمني وذلي لرحمتي يا مالاه لو رأيتني وقبحي وشدوني وفي الحب
النفوس وعلى حر وجعي إماموني وبالحجارة رجوني ولم رجوني وكما تبع العبيد باعوني وكما يحل الأسير
حملوني (قال كعب الأحبار) فسمع يوسف منادياً من خلفه وهو يقول اصبر وماصبرك إلا بالله قال فافتقده
مالك على الناقه التي كان عليها فلم يجد نصاح في القافلة إلا أن الغلام قد رجع إلى أهله فطلب القوم يوسف
فأروه فأقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد أخبرنا مولىك بأنك سارق فلم تصدق حتى رأياك فعمل ذلك
فقال والله ما بقت ولا كنتم مكررتي على قبراهم فلم يملك أن رميت نفسه على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده
وأظم حر وجهه وجرحه حتى حمله على ناقته وروى أنهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت
منزلاً ولا زلت تحت الاستقبال لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحاً ومساءً وكنت أنظر إلى
نخامة بيضاء تغلفه وتسير فوق رأسه إذا سار وتقف على رأسه إذا رافق فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن
يفتسل فافتسل والبسه ثوباً حسناً وعرضه للبيع فاشترته قبطية من رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان
على خزان الملك الأعظم وكان الملك يوسف يذبح مصر ونواحيها الزيان بن الوليد بن ثروان بن أراش بن قاراز بن
عمرو بن عملاق بن لادزين سام بن نوح عليه السلام يروي أن هذا الملك مات حتى آمن يوسف وتبعه
على دينه ثم مات يوسف حتى ثم ملك بعده قايوس بن مصعب بن معاوية بن عمار بن السلاوس بن قاراز بن
عمر بن عملاق بن لادزين سام بن نوح عليه السلام وكان كافراً فباعه يوسف إلى الأسلام قايوس بن لادزين
(قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تاتي قطار في السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر ! شرير ديناراً وزوج
نمالوثين بين ابنيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة إلى مصر فدخلوا يوسف إلى السوق بمرضونه

للبيع فترافع الناس في غمته وتزايدوا حتى بلغ غمته وزنه مسكاً وورقاً حراً يرافقه قطعة من هذا الفخ من مالِك
فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا واسمه ياراعيل بنت رعيائيل
قاله اسحق بن يسار * واخبرني أن فيجويه اخبرنا ابن أبي شيبة اخبرنا ابو حنيفة السلمي اخبرنا ابو هاشم
الرقاعي قال اسم امرأة العزيز بكاء بنت فيوش قالوا فقال لها اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا اتيناها
وقال ابن ابي حنيفة كان قطيفة لابن النسياء وكانت امرأة راعيل حسناء نادمة في ملك وديان (اخبرنا) ابو بكر
الجوزقي اخبرنا ابو العباس الدعولي سمر حنين اخبرنا علي بن الحسين الهلال اخبرنا ابو نعيم اخبرنا زهير عن ابن
اسحق عن ابن عبد بن عبد الله بن مسعود قال افرس الناس ثلاثة اهل من يرحل يرحل يرحل يرحل يرحل يرحل يرحل يرحل يرحل
اكرمي مثواه والمرأة التي انت موسى فقال لا يها يا ابنت استأجره وابو بكر حنين استخلف عمر قال الله
تعالى وكذلك مكنا ليعوسف في الارض يعني ارض مصر قال اهل الكتاب لما سمع ليعوسف في الارض
ثلاثون سنة استوزر فزوجوه مصر وجهه على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليعوسف في الارض
ولنعاصه من تأويل الاحاديث الآية قالوا فلما أتى العزيز بـ يوسف وقال لامرأته اكرمي
مثواه فتأملت امرأة العزيز ورأت حسنه وجهه وقع حبسه في قلبها وعشقته فراودته اى طلبت
منه متابعها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغانم الابواب وقالت هيئت
لك اى هلم تدعوا الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انى احسن مثواى يعني زوجك قطيفة سيدى
انه احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت عدوا نخبتك في اهلك بعد ما اكرمني واتمنى فانا ظالمه
ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولم تدمت به وهمهم لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشئ ما حدث المرء
به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

هممت ولم افعل وكنت وليفتي * تركت على عثمان نبيك حلاله

واما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهما به فاختلاف اهل العلم في ذلك قاله السدي وابن اسحق لما رايت امرأة
العزيز مرادة يوسف عن نفسه جملة تذكر له بحسن نفسه وتشوقه الى نفسه فقال له يا يوسف ما احسن
شعرك قال هو اودى شي ينترون جسدى قالت يا يوسف ما احسن عينيك قاله هو اول ما يسيل في الارض
قالت ما احسن وجهك قال التراب يا كاهل فلم تزل تأمره مرة وتخطه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب
مستقبل مجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لم يرى من كثرة ما به ولم يخوف منها حتى خلوها في
بعض البيوت وجمعها (وروى) اسحق بن يسار عن جوير عن الضحاك ومقاتل جيمعان ابن عباس فيما
كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول شيء يبلى اذ امت قالت يا يوسف
ما احسن وجهك قال ربى تعالى صورنى في الرحم قالت يا يوسف قد انحلت جسمي بصورة وجهك قال
الشيطان بعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنة قد فاسقت فارقها فاطفئها فقال ان اطفأها فمنها احتراق
قالت يا يوسف الجنة قد غطت قم فاسقها قال من كان الفتاح يده فهو احق ان يقيم امنى قالت يا يوسف
بساط الحر يرقد بسط لك قم فاقض حاجتي قال ان اذهب تعصي من الجنة قالت يا يوسف ادخل معي
تحت الستر فاسترك به قال ليس شيء يستترى من ربى تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدرى
تشفني بذلك قال سيدى احق بذلك هي قالت اما سيدك فاسقيه كاس فيه زئبق الذهب فيدنا رجليه
ويتساقط عظمتهم الفيه في الاستبرق والقيه في القيطون يعني الخرع لا يلم به احدهم الناس وأوليك ما كره
قايله وكثيره قال فان الجزء يوم الجزء قالت يا يوسف ان كثيرة الدر والياقوت والذمير ذفاعطيك ذلك كله
حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في الماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهما فغضب

فكشفت عن وجهه لا يجوز
فأذا هي مئة فتمجبت من
ذلك ثم قالت للجارية من
هذان الغلمان فماتت بها
شريفان يجمعان وان هذه
أختهم ولها منذ ثلاثين
سنة لم تستأنس بكلام
احد من الناس واذا نزلوا
بواد اعتزلت عنهم بعيدا
وضربت خيمتها في الغلالة
فكانت تأكل في كل ثلاثة
ايام مرة واحدة رضى الله
عنهما (اخواني) الى متى
تشفلون بالذات الغايات
عن الباقيات الصالحات
فبادروا الى الاوقات
واسعدركوا الغفوات
وكفوا عن الشهوات اما
يتظلم منادي الشنات
اما هم كم حديث الصالحين
والصالحات اذا جاء النهار
قطامه بمقاطعة اللذات
واذا أقبل الليل ضجوا
بجنين الاصوات ليس لهم
الى غير محبوبهم التفات
(شعر)

حياتنا باطل غرور
وعمرنا ذاهب تصوير
واناس في غفلة نيام
وقد دعهم طالع القبور
والعمر يخفى وليس ندرى
مثل سنين بنا تدور
يانفس ماسر فموجزن
لا تحسبي انه سرور
فذكرى الموت واستعدي
له فقد جاءك النذير

باحدى يديه الى جنب يوسف و باليد الاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم
 يوسف الى ان حل الهيمان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وي) جابر عن الضحاك عن ابن عباس
 همت بيوسف ان يفرشها ويحجمها رضى منها هان تكون له زوجة وأما الرمان الذي رآه يوسف وكان سبب
 النجدة وصرف الفاحشة عنها فاختلقوا فيه (اخبرنا) أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني اخبرنا
 حسن بن عطية عن اسرائيل بن أبي حصين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه
 قال مثل له يعقوب فضر به يده على صدره فخرجت شهوته من أمله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة
 والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل نبي يعقوب ولده اما عشر ولدا
 الا يوسف فانه ولده أحد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة ابنته فاستحيته وقال
 قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء
 (وقال السدي) نودى يا يوسف لا توقها انما مثلك عالم تراقها مثل الطير في جو السماء لا يطاق
 ومثلك ان واقتها مثله اذامات ووقع في الارض لا يقدر ان يدفع عن نفسه ومثلك عالم تواقها مثل الثور
 الصعب الذي لا يعمل عليه ومثلك ان واقتها مثل الثور الذي يموت فيدخل الثمن في اصل قرنيه فلا
 يستطيع ان يدفع عن نفسه (اخبرنا) عبد الله بن حامد بن عبد الاصفهاني اخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد
 السكوني اخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصري ببغداد اخبرنا خالد بن يزيد
 البصري اخبرنا جبر بن رعن لبيت عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهمهم ما فقد حل
 سراويله وقد سجد منها مقدم الرجل من المرأة فاذابكف قد بدت فيا بينهما اليس لها عضد ولا مصم مكتوب
 فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هار باقرا فلما ذهب عنهم الزرع والرعب
 عادت وعاد فلما قدم منها مقدم الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما اليس لها عضد ولا مصم
 مكتوب فيها واة وابو امرأته فيمالي الله الاية فقام هار باقرا فقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما
 قدم منها مقدم الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما اليس لها عضد ولا مصم مكتوب فيها ولا
 تقر بوا الزنا ان كان فاحشة وساء سبيلا فقام هار باقرا فقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما
 قدم منها مقدم الرجل من امرأته قال الله تعالى الخبر بل عابه السلام يا جبريل ادرك عيدي قبل ان يصيب
 الخطيئة فاحطل جبريل عاضا على أصبعه أركفه وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
 عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا الخالصين (اخبرنا)
 يعقوب بن أحمد اخبرنا محمد بن عبد الله النعماني اخبرنا عبد الله بن أحمد بن عمار الطبراني حدثني أبي قال
 حدثني علي بن وهب الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي بن الحسين
 في قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه قال قامت امرأة المؤمن الى الصنم فظلمت دونه ثوب قال فقال لها
 يوسف ما هذا قالت استحيي ان يرانا فقال لها يوسف استحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا
 استحيي ان يخلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام بمبادرا الى باب البيت هار با
 مما أرادته فاقبته المرأة فذلك قوله تعالى واستساقا الياب يعني تبادر يوسف ورعايل الى الباب اما يوسف
 ففرار من ركوب الفاحشة واما المرأة فطلب اليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فلما ركنته فسلقت بقميصه
 من خلفه فيجذبه اليها ما ناله من الخروج فقدت اى خرقته وشئت قميصه من دبرأى من خلقه لان يوسف
 كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا الفيا سيد هالدى الباب اى وجدوا زوجها اقطعه عند الباب جالسا مع ابن
 عم لراعيل فلما رأته هابت وقالت سابقة بالقول لزوجها ما اجزاء من أراد باعلك سواء يعنى الزنا الا ان يستحيين

او عن اب العيص يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر خذ المص قبلي ان يا خذك فقال يوسف
 بل هي راودتني عن نفسي فليت وفرت منها فاذا ركعتي وشقت قريصى قال نوب الشامي ما كان يوسف يريد
 ان يذكرها فلما قالت ما جزاء من اراد باعلاك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهله
 واختلافوا في هذا الشاهد من موسى (قال) سعيد بن جبير والضحاك بن صبياني المهداة انطقة الله تعالى بدل عليه
 حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة في المهدوم وصغار بن ماسطة بنت فروع بن وشاهد
 يوسف وصاحب جريج اربع وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقادة ما كان صبيبا ولكن كان رجلا
 حكما وله رأي وكان من خاصة الملوك وقال اسدي هرا بن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بها
 اخبر الله تعالى عنه ان كان قريصة قد من قبل فصعدت وهو من الكاذبين وان كان قريصة قد من دبر فكذب
 وهو من الصادقين فلما رأى قريصة قد من دبر عرف خيانة امرأته وراة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن
 ان كيدكن عظيم فم اقبل على يوسف فقال يا يوسف اعرض عن هذا الحديث لا تذكره لا خدمت قال لا امرأته
 واستغفر في ذلك انك كنت من الخاطئين أى من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما
 استصحبهم كذبت عليه (قالوا) فشاخ أمر يوسف ورا عيل وتحدث الناس بذلك وقال انسوة في المدينة وهن
 امرأه اساق وامرأة الحجاز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأه العزيز
 تراودنهم اغنى نفسه اى عبد الله الكيماني قد شغفها حب اى دخل حبه في شفاف قلبها وهو حجاب به وغلافها
 لئلا هاف في ضلال مبین أى خطأ بين حيث تراود عبد الله عن نفسه فلما سمعت راعيل يكرهن أى بقولهن
 وحديثهن وقال ابن اسحق بنى بكيدهن وذلك انما قلته مكرها لهن يوسف لا يطلعن من حسنه وجهاله
 فاختذت راعيل مائة ودعته ربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرتها فذلك قوله تعالى وأرسلت اليهن
 واعدت لهن متكئا اعتدت أى هيات لهن بحال الاطعام وما يتكفن عليه من الثمار والوسائد (عن ابن
 عباس) وسعيد بن جبير وقادة بنى هيات طاما وقرا بجاهد عكا خفيفا غير ممرز وهو كل طعام نحى
 بالسكين وقال وهب اعتدت لهن اترجار بطبخا وهو زوار زمانا ووردا واثكل واحدة منهن سكيننا وقالت
 ليوسف اخرج عليهن وكانت قد اجلست في مجلس غير المجلس الذى فيه فيه جلوس فخرج عليهن يوسف
 فلما رأته أكرهته وهالته امره وبهتن وقطن من أيديهن بالسكاكين الثلاثي منهن وهن يحسن أنهن يقطعن
 الارح وغيره (قال قتادة) ابن أيديهن حتى أنفينها فحسنا الإبلدم ولم يحدن من حزالا يدي ألما لشغل
 قوهن يوسف عليه السلام (قال وهب) بلغني أن سمعا من الاربعين امرأة منهن في ذلك المجلس وجدا
 يوسف عليه السلام وقلن حاش لله اى معاذ الله ما هذا بشر ان هذا الاملاك كريم فقالت راعيل عند ذلك
 للنسوة فذلك الذى لم ينفى فيه اى فى حبه وشغفه فتم انهما احدثا للميل الذى عندها فقالت لقد راودته
 عن نفسه فاستصحبهم اى لم يمتنع واستصحبى ففان النسوة ليوسف أطع مولانا فقالت راعيل ان لم ينفل
 ما أمره بسجنين وليكونا من الصاغرين فاذا يوسف حين عاودته المرأة وتوعدته بالسجنين على الخالعة
 السجنين فقال رب السجن احب الى ما يدعونى اليه ولا تصرف عني كيد عن أصب اليهن أى أمل وأنا بعين
 وأكن من الخاطئين فاستجاب له ربه نصرف عنه كيدهن اى هو الصبيح المبعث لم يمتع بهد اى الزنى وامحبا به من
 بهد ما رواه النكيات الدالة على براءة يوسف وهو قد التقيص من دبر وخش الوجه وقطع النسوة أيديهن
 لم يمتنع حتى حين (قال اسدي) وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا عبد المبراني قد فضحني في الناس
 يعتذروا ليهم فيخرجهم اى راودته عن نفسه واستأطق أن اعتذر بذكر فاما أن تأذن لي آخرج فاعتذر وامان
 تحبسه كما حدثني فخره بدعاه براءته فدعاه لائمه فعسى امرأته وذلك ان الله تعالى جل ذلك الحبس اظهرها

حين قال لك وقطرنا
 قلبه من اجلك قال المصري
 فتصيح من ذلك وقالت
 من أخبرك بذلك فقال
 الذى طهر قلبى من سوءه
 وجاد على بغيره ورضاه
 (عن السرى أيضا رضى
 الله تعالى عنه) انه قال
 دخلت الجبساند فرايت
 بهلول الجنون على قبر
 مترا على التراب فقلت
 له ما جالسك هنا فقال
 عند قوم اذا حضرت
 عندهم لا يؤذونى وانت
 غبت عنهم لا يقتربونى
 ففان له يا هذا ان الحزن قد
 غلب فقال والله ما ألبى ولو
 صارت كل حبة بديار
 عليان ان فيه كما أسرا
 وعليان يزرع كما زرنا
 (نقيل) ان راحة البدوية
 رضى الله عنها امرت برجل
 وهو يذكر الجنة وما أعد
 الله فيها لاهلها فقالت له
 يا هذا الى متى تشغل
 بلا غير عن الواحد الفهار
 ويحك عليك بالجار ثم
 الدار فقال لها انهم
 بالجنونة فقالت است
 بمنجنون فقرأت الجنون
 لم يفهم ما أقول ثم قالت
 يا مسكين الجنة جنة من لم
 يكن الله انسه وبجلسه الا
 ترى الى آدم عليه السلام
 لما كان في الجنة اربع فلما
 تعرض له ابليس الاكل

يوسف من همهم وتكثير لزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فحين قال له كن
 عند ربك فابت في السجن بضع ستمين وحين قال لآخرته انكم اسارى قوا وان يسرق فقه سرق اخيه من قبل
 * ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الرمان ملك مصر الا كبير احدهما
 خباز وصاحب طعامه واسمه محراب والاخر ساقية رصا حب مشرا به واسمه ايوص غضب عليهم الملك
 فحبسهما وذلك انه لمعه عنهما ان خبازه ير يدان يسهما وان ساقية وافقه على ذلك وكان السبب فيه ان جماعة
 من مصر أرادوا والمكبر بالملك راغته الى هذين الغلامين وخصموا لهما لئلا يعلما الطعام للملك والشراب
 فاجابهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقيل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته واحضر
 الطعام قال الساقى ايها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك
 للساقى اشرب فمشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فاشرب ذلك الطعام في دابة من الدواب فاشرب
 فهلك قامر الملك بحبهما وكان يوسف عليه السلام لم يدخل السجن قال لاهله اني اعرس الاطلام
 فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد المبراني فنتره له ونسأله من غير ان يكون نارا يشيا
 قال عبد الله بن مسعود ما رأي صاحب يوسف شيئا وانما كانا نحالما ليحجرا باله ويؤلف قوم ل كانت
 رؤياهما على صحة وحقيقة فسألهما وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالوا له والله قد ادرنا بك
 حين رأيناك فقال لهما يوسف انشدكما الله تعالى لا تخيانا فوالله ما احبني احد قط الا دخل
 على من حبه بلاه لقد احببني عمتي فدخل على من حبه بلاه ثم احببني ابي فدخل على من حبه بلاه ثم
 احببني زوجة صاحبي فدخل على من حبه بلاه فلا تخيانا بارك الله فيكما قال فايها الاحب والافاض حيث
 كان وجعل يعجبهما ما يريا من فهمه وعقله وقد كانا رايما حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال
 الساقى ايها العالم اني رايت كافي في بستان فالا انا باصل كرمة عليهما ثلاث عناقيد من ذهب فنجبتهما
 وكان كاس الملك يدي ففصرتهما وسقيتهما انك شرية فذلك قوله تعالى قال احدهما اني اراني اعصر
 خمر ا يعني عنبا بلغة عثمان يدل عليه قراءة ابن مسعود اعصر خمر اى عنبا وقال الخباز اني رايت
 كان فوق راسي ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه فنبأنا تأويله اننا نراك من المحسنين اخبرنا ابو بكر
 محمد بن احمد بن محمد بن عتيل اخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قايه (اخبرنا) محمد بن
 يزيد السامي اخبرنا ابو الربيع الزهراني اخبرنا خنف بن خليفة اخبرنا سليمان بن الضحاح بن مزاحم في
 قوله تعالى انا نراك من الحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل في السجن قام عليه فاذا ضاق عليه
 وسع له وان احتاج جمع له وسأله وبه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوى مرضيهم ويمزي حزينهم
 ويحبهم لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجائهم واشتد بلاؤهم وطال
 حزنهم فجعل يقول ابشر واواصبر واؤجر وان في هذا الاجر واذا قالوا يافتي بارك الله فيك ما احسن
 وجهك وخلفك وحدبك لقد بورك لنا في جوارك انا لا نحجب ان نكون في غير هذا المكان منذ
 رايناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن انت يافتي قال انا يوسف بن صفي الله
 يعقوب ابن زبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يافتي
 لو استطعت لخليت سبيلك ولكن ساحن جوارك واحسن ايثارك فكفي في اى بيت شئت قال
 فكره يوسف ان يعرلها ماسالاه لما علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض يوسف عن
 سؤالها واخذ في غيره قال لا يا تيكا طعام ترزقانه الا نباتا كانا بوايله قبل ان ياتيكما فقال له هذا قمل
 الكهنة والهجرة فقال ما انا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلنا كما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه

من الشجرة فصارت عليه
 سجننا و ابراهيم الخليل لما
 حفظ من مولاه قبر به
 واجتباء ولما طرح في
 الساسارات عليه بردا
 وسلاما وأنشدت تقول
 شعرا
 فروحى وريحانى اذا
 كنت حاضرا
 وان غبت فالدنيا ساعلى
 محابس
 اذا لم انفس في هواك
 ولم غر
 عليك فنى من ليت شمري
 انافس
 (وقيل) كان حبيب النجار
 رحمه الله تعالى من الاولياء
 الاخير وكان يقوم الليل
 ويصوم النهار ويؤثر
 بطعامه عند الافطار
 ويبيت طواييف خدومة
 الملك الفسار فاذا كان
 وقت الاستسار ناجى ربه
 بالسان الذل والانكسار
 وقال الهى غرقت فى بحار
 غفلتى وركضت في ميدان
 صبورى وعثرت في اذيل
 ذلى في زينة شوقى ومالى
 غيرك اعتمد عليه ولا
 اعرف بابا غير بابك النجى
 اليه وها انا عبدك الدليل
 للذنب قد رقت ببائك
 ولدت مجنا بك فان لم تقهرلى
 فوذا لى وحسرتى وان لم
 تغف عني فواطولى حيرتى
 ثم يسجد فلا يرفع راسه
 حتى يطالع النجر فاذا صلى

فقال اني تركت هذه قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعته ملة ابني ابراهيم واسحق
 ويعقوب الى آخر الآية فارأى يوسف فظنته ودرايته ثم دعاها الى الاسلام واقبل عليهما وعلى
 اهل السجين وكان بين ايديهم اصنام يعبدها من دون الله فقال الزاما للحجة يا صاحبي السجين
 الرباب متفكرون خرام الله اواحد النهار ماتعبدون من دوني الآية ثم فسر رؤياهما المالحا عليه فقال
 يا صاحبي السجين اما احديكما وهو الساقى فيسقي ربه خمر يا يعني الملك ريمو دالي منزله التي كان عليها واما
 السنايد الثلاثة فانها ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج واما الآخر فيصالب والسلاسل التي راها في المنام
 ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج فيصالب فناكل الطير من راسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمع
 قول يوسف تليد السلام قالوا ما راينا شيئا انما كنا نلبس ونجرب تلك هذا فقال يوسف قضى الامر
 الذي فيه تسنتين اى فرغ الامر الذي عنه تسالين (اخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان
 اخبرنا علي بن عبد الله الصفار اخبرنا حمدين مهران عن ابى رزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر ما لم تبهر فاذا عبرت وقست وان الرؤيا يجزم من ستة واربعين جزءا
 من النبوة واحسبه قال لا تقصم الا على ذى رأى وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لا علم الا على عابر فقال
 يوسف عليه السلام عند ذلك للذى علم انه ناج منها وهو الساقى اذ كرتى عند ربك يعني الملك وقل له في
 السجين غلوم محبوس ظلمنا فافسده الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة واكثر
 المفسرين على ان البضع في هذا الا تسبع سنين (وقال) وهب بن منبه اصحاب ايوب البلاء سبع سنين
 وعذب مختصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين (ودوى) يؤس عن الحسن
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف الا كلمته مالت في السجن مالت يعني
 قوله اذ كرتى عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذ انزل بنا امر فرعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار
 لما قال يوسف الساقى اذ كرتى عند ربك فذبل لما يوسف اتخذت من دوني وكلا لا يلين حبسك فبكى
 يوسف وقال عارب النسي قلبي كثر البولي فقلت اقلت فويل لاختوي (ويحكى) ان جبريل عليه
 السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا اخا المذنبين ما الى اليك بين الخلقين
 فقال له جبريل عليه السلام باظاها الظاهر ين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استجيت مني
 ان استشفعت بالادمين فوعزتي لا ابلغك في السجن بضع سنين قال يوسف يا اخي يا جبريل ويل وهو في
 ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا ابالي (وقال كعب الاحبار) قال جبريل يوسف ان الله تعالى يقول لك
 من خلقك قال الله تعالى قال فمن حبيبي الى ايديك قال الله تعالى قال فمن أسك في البئر والبسك وانت عريان
 قال الله تعالى قال فمن نجاة من كعب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك أو يل الرؤيا قال الله تعالى قال
 فكيف استننت آدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت
 قبلها وذلك ان حبس خمس سنين قبل ان يستشفع بالادمي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع
 بالساقى وقال له اذ كرتى عند ربك بقى في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى
 ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبه فانه قال ذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من
 نهر بابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونها فلم يرها شيئا ورأى سبع
 سنبليات خضر قد انعمت حبوبا وافركت وسبعها اخر باسبات قد استجصبت فالتأت الياسبات على الخضر
 حتى غلبت اجمع السحرة والكهنة ومعبره وقصها عليهم وقال يا ايها الملا افنوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا
 تعبرون أي تفسرون قالوا اضعاف احلام خاطئة مشبهة بالثأوى بل الباطل وما نحن بتأويل احلام بعلمين

قراءة القرآن من اول الحفمة
 الى آخرها بقية اليوم كله
 فلما مات كارت آخر آية نراها
 في سورة يس قوله تعالى اني
 اذ اني ضلال مبين فلما دفين
 في قبره حضر اليه الملاك
 فقال له ما ربك وما دينك
 فقال اني آمنت بربكم
 فاسموني قيل ادخل
 الجنة قال يا ليت قومي
 يعلمون بما غفر لي ربي
 وجعلني من المكرهين فثمة
 درهم من اقوام قاموا
 يناجون الحبيب والناس
 في غفلتهم تأمروا
 ويتحدلون اثم الوجود
 والفرام وبفرحون بالليل
 اذا جن الظلام فهم في
 جنات الخلد يتمتعون والى
 وجه الحبيب ينظرون الا
 ان اولياء الله لا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون شعر
 الله قوم بذكره استنقلوا
 وفي حتى قرينه لقد زلوا
 ليس لهم غير ذكره فرج
 فهم حين قام ادهم حصلوا
 من ذاق وصل الحبيب هام
 ولم يكن منزل ولا طل
 بروحهم في وصالة الله محروا
 وحققوا ربحهم وما جملوا
 قاموا بناجونه وقد غلبوا
 انهم لله اذ قد عموا
 فاستمدوا الصمص في هواه
 وقد

لذهم في رضاه ما حملوا (قيل)
 كان ابو بن بد البسطامي رحمه

وقال الذي نجاهما أي من الفتيين وهو الساقى وأدكر بدامة أي وتذكر حاجة يوسف بسد
حين قال ابن عباس بدامة أي بدسنتين أنا أنبتكم بكاو إليه فارسون أي إلى السجين قال ابن عباس رضي الله
عنه لما يمكن السجين في المدينة بمعه فأتى يوسف فقال أيها الصديق يعني فيما عبرت إيمان الرزق يا أبا عبد
هو كذا الصديق افتداني بمع بقرات سمان يا كاهن سبع عجاف إلى قوله لهم يا ميمون أنت فضلك وعلمك
فقال له يوسف ترعون سبع سنين دأب إلى قوله رفيعه بمصر ومن فرجع الساقى إلى الملك وأخبره بما افتاه به
يوسف من تأويل رؤياه كلنهم أرو يعرف الملك أن الذي قال كائن فقال الملك اتقوا بالذي عبرتو بأي هذه فما
جاء الرسول إلى يوسف أي أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبره ثم يعرف صحته من قبل النسوة فقال
لارسلوا رجلا إلى يوسف يمد يده في سبيك الملك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيدين أن ربى بكهن علم
قال ابن عباس لو خرج يوسف يمد يده في سبيك الملك شأنه ما زالت في نفسه منه حاجة يقول هو هذا
الذي راود امرأتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجزت من أخى يوسف بكرمه وصبره والله
تعالى يقر له حين سئلت عن البقرات العمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشتد عليهن أن يخرجوني
ولو كنت مكانه ولبت في السجين ما لبثت لاسرعت لإجابة وبادرت ولم تبلغ العذر والله أن كان لحمايا
ذا أناة قال فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسائله فدنا الملك النسوة اللاتي قطعن أيدين
وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبك إزارا وقدن يوسف عن نفسه قلن حاش الله ما علمنا عليه من سوء قال
امرأة العزيز الآن حصص الحق أنا وأودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف تألم ذلك
ليعلم أن لم أخنه بالغيب وإن الله لا يهدي كيد الخائثين فقال له لجبريل ولأخيه همت به يا يوسف فقال
يوسف عند ذلك وما يرى نفسه إلا به فلما تبين لملكه عذره يوسف وعرف أماته وكما يده يدياته وعلمه
وعقله قال اتقوا في استخاضه لنفسى فلما جاء الرسول إلى يوسف قال له أجب الملك الآن ودع الادل
السجين بدعاء يعرف إلى اليوم وذلك أنه قال اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تنعم عنهم إلا بما فهمم أعلم
الناس بالأخبار إلى اليوم في كل بلدة فلما أخرج يوسف بن السجين كتب على يابه هذا قبرا لأخيه وبيت
الأحزان ونحير بقا لصدة وشما لا أعاد ثم أنه اغتسل وتطاف من درن السجين ولبث ثلثا يوما جردا حسنا
وقصده إلى الملك قل وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربى من دنياى حسبي ربى من خائفه عز جاره
وجل نأوه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم أنى أسألك بخورك من خيره وأعوذ بك من شره وبشره
فلما انظر إليه الملك سلم عليه يوسف البصرية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسانى نعم اسمه ميل ثم أنه دعا
بالبرانية فأتاه فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسانى يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكما
كلم يوسف لسانا أجابه بذلك اللسان فتعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى إلى الملك
حدائقه وغزارة علمه قال له عند هذا علم تأويل دأبى ولم نعلمه الكهنة والسحرة ثم أنما جلسه وقل
لننى أحب أن اسمع رؤى مذك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهت حسان
غير عجاف كشف لك عنهن نهرا ليل فطامن عليك من شطاطه تشخب اختلافين أبا فبينما أنت كذلك تنظر
اليهن وقد أعجبك حشمتن أن تضرب التيل ففار ماءه وبدا قره فخرج من حشمة وحده سبع بقرات
عجاف شهت غير ملصقات البطون ليس هن ضرور ولا اختلاف ولهن أدياب واضراس وأكف كاف
الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاخطن بالمان واخرسهن اقترا السباع وأكل لحمهن ومزقن
جلودهن وحططن عظامهن ومشحن فبينما أنت تنظر وتدهجب كيف غابهن وهن ذابل ثم يظهر فيهن
نمن ولا زيادة بهذا كاهن إذا سمع سنبلات خضر وسميع آخر سدو يا بسات في منبت واحد وعقهن في

الله تعالى يقول في مناجاته
الهي استعجب من حبي
للأروانا عبد حقير وأعسا
عجب من حركلى وأنت
ملك قدير (وكان يحيى بن
ماد الرازى يقول في
مناجاة الهى ليس العجب
من عبد ذليل يحب ربا
جليل بل العجب من رب
جليل يحب عبدا ذليل قال
بعض السائقين رضى الله
تعالى عنه العجب حب زرع
في أرض القلوب ويسقى
بماء العقول فينتهى على قدر
طيب الأرض وحمه وغذاء
والبداء الطيب يخرج نباته
بأذن ربه والذي خبث
لا يخرج إلا نكدا (وعن)
أنس بن مالك رضى الله عنه
أنه قال ثلاثة ممن كن فيه
وجدهن حلالة الإيمان
أن يكون الله ورسوله أحب
إليه مما سواهما وأن يحب
المرة أخاه الله تعالى وأن يكفر
أن يهود للكفر بمد أن
أنفذه الله تعالى منه كما يكفره
أحمد أن يذرف في النار
(وعن) أبى عمر بن ربيعة
الله تعالى عنه أنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن الله تعالى يقول
يوم القيامة أين المتحابون
ففي جلاى اليوم اظلمهم في
ظلى يوم لا ظل الاظلى
(وقيل) كان لعبد الله
أن الحسين جارية أعجوبة
وكانت من أولاده الله تعالى

وقد قامت من مقامها
فاحسنت الوضوء وقامت
الى صلاتها فاداء فرغت من
صلاتها خرت ساجدة
لله تعالى وهي تقول سيدي
يحبك لي الامانة فغرت لي
قال فقات لها ولمحلا
تقول هكذا ولكن
قولي بحبي لك ففالت اليك
عني يا طال فلولا حبه لي
ما اناك واقاني واقفني
بين يدي وبجسه لي
اخرجني من ديوان
المشركين وكتبني في ديوان
المؤمنين قال عبدالله فقلت
لها اذهبي فانت حرة لوجه
الله تعالى ففالت وولاي
كان لي اجران فصارت لي
اجر واحد اعتق الله
جسدك من اثارهم قالت
هذاعق ولاي الاصر
فكيف عتق مولاي
الا كبرتم خرت ساجدة
لله تعالى فخركتها فاذا هي
ميتة رحمة الله تعالى عليها
فقلت هذه والله صفات
الحسين المتعانة قلوبهم
بمحبة رب المسلمين
وانشدت اقول شعرا
الحب فيه حلاوة ومرارة
وتسكن وتمتلك بشائر
ما شاء يصنع بالحب قائما
حكى الطوى بيد الحبيب
الامر
لو كنت املك في الهوى
امر الذي

المرء والماء فبينما انت تقول في نفسك ما هذا هؤلاء خضر شمراة هؤلاء سود يابسات والميت راحد
واصولهن في الماء اذهبت ريح فردت اوراق السرد اليابسات على الخضرة المشرات فاشملت فيهن
النار فاحرقهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت منذعورا فقال له الملك
والله ما شان هذه الرؤيا وان كانت عجيبا اعجب مما سمعته منك فارتى في رؤياي أنها الصديق فقال
يوسف الصديق اني ارى انك ان تجمع الطعام وتزرع زرعنا كثيرا في هذا السنين الخمسة وتبنى الاهرام
والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبة وسنبله ليكون باقى له و يكون قصبة وسنبله علما للدواب وتامر الناس
فيريون من طعامهم الخمس فيكتفك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيناك الخلق
من جميع النواحي فينارون منك بمحرك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك
ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعني ويكتفي في الشغل فيه فقال له يوسف اجمعني على خزان الارض اني
حافظ علم اي كاتب حاسب وقيل حافظ لما استودعني علم بني الجماعة وبلغه من يا بني فقال له
الملك ومن احق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم له ينالكمين امين (أخبرني) الحسين بن محمد بن
الحسين الثماني بن محمد بن علوية أخيرا اسمعيل بن جعفر الباقر أخيرا الحسين بن علوية أخيرا اسمعيل بن
عبيد قال أخيرا نال بحق بن بشر عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم تزل اجمعاني على خزان الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله
ايادى أخرا عنه ذلك سنة فاقام عند الملك في بيته سنة وروى سفيان عن ابن ثمان عن عبد الله بن أبي الهذلي قال قال
الملك ليوسف اني اريد ان تخاطني في كل شيء غير اني اتفان تأكل مما في فقال له يوسف اني احق ان آف
بذلك منك لاننا بن بقوب اسرا ئيل اللذان اسحق ذريح اللذان ابراهيم خليل الله فقمار بعد ذلك ياكل
معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعا الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلله
بجائمه وأمر له بسر من الذهب بكل بالدر والياقوت فضر ب عليه قبة من ابريق وكان طول السرير
ثلاثين زاعا وعرضه عشرة اذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون تمرقة ثم امره ان يخرج فخرج متوجا ولونه
كالبج ووجهه كقمر يرى فيه دن ياض ووجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جالس على السرير فدان
له المنوك ولزم الملك وقوض اليه اهره مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن
قريب فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها اليس هذا خير مما كنت تريدين فني
ففالت له أما الصديق لا تلغني فاني كنت امرأة حسنة نعمة كبرأت في ملك و دنيا وكان صاحبي لا ياتي
النساء وكنيت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فقلت بنقي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها
فولدت له ابني افرام وميشائيل يوسف عليه السلام واستوفى ليوسف ملك مصر فاقام فيهم العدل فاحببه
الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكى اليوسف في الارض يعني أرض مصر
يقبوا منها حيث يشاء نصب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين وللبجترى في هذا المعنى
أما في رسول الله يوسف أسوة * لملك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة * قال به الصبر الجميل الي الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الايات

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تياسن قاله ملك يوسف * خرائنه بعد الخلاص من السجن
قال فلما اطمان يوسف في ملكه وخذلت السنين الخمسة ودخلت المجدة جاءت بهول لم يمهدها الناس مثله

ومسامري

(وقيل) ابرمض الحمين
كيف رأيت الحبة قال
وقفت على ساحل بحير
زاخر ليس له آخر وقرب
مني قارب من تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا
فركبت موافقة له وانابعا
له فاجابت الروح من دعاها
بسم الله بحرها ومرسها
فلما توسست للجنة
توعرت سبيل الحجة
فازلت حتى جثي في جميع
بحر يحبهم ويحبونه فاناب
البقاء والقائه حتى وصات
الى ذلك الفناء والناشئ
حروف الحبة بمنزلة
تفتمرا بلوغ المنسا
قيم المات وحاه الحبة
وباء البلاء وهواها
فلا تطفئ طيب اللقا
وطول البقاء بدون القنا
حينما الوصال بمجد النصال
فان تلقى نسرا لقنا تلقنا
فلا تجزعن من الدكال
وحر الوال فيه الهنا
ومت مثل مامات اهل
الهوى
فانوا اشتياقا فنانوا المنى
وماضهم حين ناديتهم على
طور سينا اني انا
(وحكى عن ابى يزيد
البطامى رضى الله تعالى
عنه) انه قال كنت يوما في
في سياحتي متلذذا بخلوتي
وبراحتي مستغرقا في

فأصاب الناس الجوع فلما كان بدا الفتحظ نام الملك فبينما هو نائم ان اصابه الجوع فنهض الملك يا يوسف الجوع
الجوع فقال يوسف هذا اوان الفتحظ والجوع فلما دخل اول سنة من سنى الجذب هلك فيها كل شيء
اعده من السنين الخمسة فجعل اهل مصر يدعون من يوسف الطعام فباعهم في اول سنة بانه قد ومن الذهب
والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار لا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحنى والحل والجواهر حتى لم
يبق في ايدى الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة للمواشى والدراب حتى احتوى عليهم الجميع وباعهم في
السنة الرابعة بالعبودية والاماء حتى لم يبق عبد ولا امأة الا اخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور
حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم في السنة السادسة بالولاء فان الرجل كان يشتري بولده الحطة
والشمر من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ولا ذكر ولا أنثى الا عماله له وباعهم في السنة السابعة براقهم
وارواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا امأة الا صار ملكا له فترجى الناس من امر يوسف وقالوا ان الله
مارا بيا ملكا جل من هذا واعظم ثم قال يوسف الملك كيف رأيت صنع ربى في اخواني فاسترى في هذا
فقال له الملك الراى رايت وانما نحن لك تبع فقال يوسف فاني اشهد الله واشهدك انى قاتمت اهل مصر
جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم واولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام
فقيل له اتجوع ويبدك خزائن الارض فقال انى اخاف ان شيعت انا نبي الخائف (وروى) ان يوسف
امرط باخ الملك ان يحمل غنائه نصف النهار مرة واحدة في اليوم واليلة واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع
فلا ينشئ الخائف ويحسن الى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملك غنائه نصف النهار وقصده
الناس مصر من كل ناحية فصار يوسف لا يمكن احدا منهم وان كان عظيما من اكثر من حل به
تقسيم بين الناس وتوسيعا عليهم فزاحم الناس عليه * قالوا واسباب ارض كنعان وبلاد الشام من الفتحظ
والشدة ما اصاب سائر البلاد وتوزل يعقوب من ذلك ما نزل بالناس فارسل نبيه الى مصر بطيرون الميرة وامسك
عنده بنيامين اخا يوسف لانه فاجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منهم بالقرب من
ارض فلسطين من نور الشام وكانوا اهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وانكروه لمسا راد
الله تعالى ان يبلغ يوسف ما اراده قال ابن عباس وكان بين ابن قذوفه في الحب وبين ان دخلوا عليه ارض مصر
اربعون سنة فلذلك انكروه وقيل انه كان متزينا بزي فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير الساعلى
سرى ورفعه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك
انكروه قال بعض الحكماء المصحية تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه
فعر فهم وهم مشكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلمهم بالبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني
انكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نتمار فقال لهم كم عيون جئتم فنظروا
عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو ابى خديجة بنو ابراهيم بنو نوح
انبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال نعم انتم قالوا نحن كذا انى عر فذهب معنا الى البرية فبلك فيها وكان
احب الى ابينا ما قال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فابن الاخر قالوا عندنا يداله اخو الذى هلك من ابيه فابونا
يتسل به قال فابن الذى يقولون حتى فقالوا ايها الملك اننا ببلاد لا نعرف فيها افعال يوسف فابونا باخيك
الذى من ابيكم ان كنتم صادقين فاني ارضى بذلك قالوا ان ابانا نحن على فراقه وسرورده عنه قال فعضوا
بعضكم عندي رهينة حتى اتوني باخيك فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شعرون وكان ابراهيم يوسف خلفوه
عنده فذلك قوله تعالى وما تجهزهم بحجازهم قال اتوني باخك من ابيكم الاية الى قوله وانما اعلمون فقال عند
ذلك يوسف لفتية اى اهل ابله ان الذين يكونون طعاما اجعلوا ايضا عنهم اى ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت

فكبري مستأثرا بذكري
 اخذ نوديت في سرى بابا
 يزبدامض الى دير سمدان
 واحضر مع الرهبان في
 يوم عيدهم واقربان فلنافي
 ذلك نبا وشارت قال
 فاستمدت بالله من هذا
 الحياطر وقالت است
 اخاطر فلما كان الليل
 اذني الهاتف في المنام
 واعاد على ذلك الكلام
 فانتبهت من منامي وعوبا
 وفي هذا الامر مفكرا
 مكروبا فنوديت جبارا
 يا بؤبؤ بلا لباس عليك انت
 عندنا من الاولياء الاختيار
 ومكتسوب في ديوان
 الابرا فاليس زي الرهبان
 واشد من اجلنا الزارفا
 عليك في ذلك جناح ولا
 انكار قال ابو يزبدفت
 مسرعا من باكر وامتلأت
 الاوارر وليست زي
 الرهبان وحضرت معهم
 في دير سمدان فلما حضر
 كبيرهم واجتمعوا وانصتوا
 ارتج عليه المقام فلم يطق
 الكلام وكان في فيه لمام
 فقال له القسيسون
 والرهبان ما الذي يمنك
 عن الكلام ايها الرهبان
 فنحن بقولك نمتسدى
 وبهلمك نقتسدى فقال
 ما تمنني عن ان اتكلم
 وابتمسدى الارجل ينكم
 تمسدي وقد جاء لديكم
 تمسحنا وعليكم تمسدي

بضاعتهم النمل والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحاطهم امهم يرفونها اذا انبلوا الى اهلمهم امهم يرجعون
 واختلف العلماء في السبب الذي قيل ذلك يوسف منهم من اجله فقال البكبي يخوف يوسف ان لا يكون
 عندنا من الورق ما يرجعون به اليه سرا أخرى وقيل خشى ان يشق اخذ ذلك منهم على ايدها كانت
 المسنة سنة جدي وقيل رأى اوماخذ من الطعام من ابيه واخوته مع احتياجه اليه فرد عليهم من حيث
 لا يعلمون تكبر ما تفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم ان دياتهم وامانتهم تحمهم على رد البضاعة ولا يستحلون
 امسا كوا ف يرجعون اليه لاجلهم فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا انا قد مناع لي خير رجل انزلنا اكرمنا كرامة
 لو كان رجل من ولد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا اتيتكم مصر فاقروا عليه هي السلام
 وفروا له انا يا يصلي عليك وبدعوا لك بما اوليتنا ثم انه قال لهم ابن شمعون فبالوا ان الملك ارنته لانيه
 بنيامين ثم اخبر وبدل النصبة فقال لهم ولما اخبر بذلك فقالوا انه اخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه
 بل ان الامر انية ثم قصوا عليه النصبة وقالوا يا ابا منع الكيل فارسل معنا اخانا يعنى بنيامين نكتل واناله
 لحاظنا فقال لهم يعقوب هل امنكم عليه الا كما امنتمكم على اخيكم من قبل الآية (قال كسب) لما قال يعقوب
 فانه خير حافظا وهو ارحم الراحمين قال الله عز وجل لا تدن عليك كلاما بعد ما نوكلت على قالوا
 ولما افتعوا مع امهم الذي حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم اي من طامهم ردت اليهم قالوا يا ابا ما نفي هذه
 بضاعتنا ردت اليانا غير امنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب ان ارسله معكم
 حتى تؤتون موثقا من الله لتأتينني به الا ان يحاط بكم اي تملكونا جميعا (وروي) جو يبرعن الضمك عن ابن
 عباس في قوله تعالى لتأتينني به الا ان يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعنى حتى تحلفوا الى
 بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تدنوا وبما اخبركم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقا منهم قال يعقوب الله على
 ما نقول وكيل اعني شاهد بالوقف فلما ارادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا
 من ابواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم الذين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصورة حسنة وقامت تمتدة
 وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما نفي عنكم من
 الله من شيء ان الحكم الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم اوبهم وكان
 لمصرار بعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما كان ينفى عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام
 فمما قال الى قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في البكرة الثانية قالوا يا ابا العزير
 هذا اخونا الذي امرتنا ان تأتيك به قد جئناك به قال لهم احسنتم واصدقتم وستحمدون على ذلك عندي
 ثم انه انزلهم واكرهم ووضا فيهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين على ائدة وحده وحيد فبكى
 وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجاسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا فادبوا ثم اجاسه
 يوسف معه على مائدة فجعل يؤا كاه فلما كان الليل امرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم
 على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا بنا معي على فراش قبات معي فجعل يوسف يضمه
 اليه ويشمر رجليه حتى اصبح فجعل روييل يقول ما راى بنامثل هذا فلما اصبح قال لهم اني لارى هذا الرجل
 الذي جئتم به ليس له اخ بؤنسه فاستشفوا اضعه الي ايكون منزله معي ثم ان يوسف انزلهم منزلا واجرى
 عليهم الطعام والشراب وانزل اخاه لاهمه معه فذلك قوله تعالى ادرى اليه اخاه فلما خلاه قال له ما لك قال
 بنيامين قال له وما بنيامين قال المتكلم وذلك انه لما ولد فقدماه قال وما لم امك قال راحيل ذلت ليان بن
 ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما اسماءهم قال لاهة شفت امهم من امم اخي
 من امي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطررك ذلك الى حزن شديد فاما اسماءهم قال ابوا اخدي

فقالوا اننا يا ابا لهقمة له الا ان

فقال لا نقبله الا بديان
وبرهان فقالوا له اقم
ما تريد فنحن ماحضرون
الاستيفاء فقال اقم كبريى
قديمه ونادي يا محمد
بحق محمد عليك الا
لننظر اليك فقام ابو زيد
واسأله لا يفتر عن التبليغ
والتهديس واتممه
فقال له اترك يا محمد
ان اسألك عن مسائل فأت
أجبت عنها انعمك وان
عجزت عنها فقلناك فقال
سل عما تريد من المقول
والمقول والله شاهد على
ما تقول قال فاخبرني عن
واحد لا ثان له وعن اثنين
لا ثالث لهما وعن ثلاثة
لا رابع لهم وعن أربعة
لا خامس لهم وعن خمسة
لا سادس لهم وعن ستة
لا سابع لهم وعن سبعة
لا ثامن لهم وعن ثمانية
لا تساع لهم وعن عشرة
لا عاشر لهم وعن عشرة
كاملة وعن احدى عشر وعن
اثني عشر وعن ثلاثة عشر
وعن اربعة عشر تسكوا
مع رب العالمين واخبرنا عن
قوم كذبوا وادخلوا الجنة
وعن قوم صدقوا وادخلوا
النار واخبرنا عن مستقر
روحك في جسدك وعن
الذاريات ذررا وعن
الاحلام وقبرا وعن

وأشكلاً واحداً وحيداً. ونهال ورد رأساً وحيداً وعيناً قد فاضها هذه الأسماء. قال أبا الماقداني أخى أبا المته
الارض وأما أخيراً فانه كان بكر أمي وأبي وأما أشكلاً فانه كان أخى لأبي وأمي وممي وأما أحياً فلهو كونه كان حياً
وأما أخيراً فانه كان خيراً حيث كان وأماناً. فانه ناعماً بين يديه وأما ورد فانه كان بمنزلة الورود في الحسن وأما
رأس فانه كان في بمنزلة الرأس من الجسد. وأما حياً فانه في أبي أنه حي وأما عين فانه في غيرته فلهذا عيني
وتم سروري فقال له يوسف أحب أذا كنت أخاك بدل أخيك ذلك الهلاك فقال بنيامين أيها الملك رمن
بجد اخاءه ملك ولكن لم يملك به يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال اني
أنا أخوك فلا تبتسماً بما كانوا يعملون ولا تلهمهم بشي من هذا ثم ان يوسف أوفى لأخوته الكيل وحل
لبنيامين بغير اسمهم (قال كعب) اسألكم إني أنا أخوك قل بنيامين فاني أنا أخا فارقك قال يوسف اني قد
علمت بأخاءكم الولد فان حديثك زاد غمهم ولا يمكنني حديثك إلا بعد اشتراكك بأمر فطليح فقال لا أبالي أقبل
ماتريد فقال يوسف اني ادس صاعي هراق رحلك ثم نادى عليهم عليكم بالمرقة ليتي إلى رديك بعد تمريرك قال
أقبل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجوازهم جعل السقاية في رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك
وكانت كاساً من الذهب مكنالاً من صلب الجواهر جعلها يوسف مكنياً لا يكتبها بها ثم نهمهم ثم انحلو وأما لهم
يوسف حتي ظنوا ثم ان يوسف أمر بهم فادركوا وحسبوا عن المير ثم أذن له فؤان أيها السيد انكم لسارقون
فوقفوا فلما أقرب منهم الرسول قال لهم أني أحمض منكم منكم وضايكم ونوف كليلكم فعملنا لكم ألم فعمل
يتركهم قالوا لي وما ذلك قال سقاية الملك فقد ناهوا ولم تهم عليهم اغتيركم قالوا والله لقد علمتم ما جعلنا لنفسك في الارض وما
كننا سارقين واننا ندق هذه النظار بقدر واحد اسبوه وأسألو اعوانهم مررتا به هل اضرنا احد او افسدنا
شيئاً واننا قد رددنا الدرهم الذي وجدنا في رحلنا اقول كننا سارقين ما رددناها وفي الحديث انهم لم يدخلوا مصر
كهموا افواه وادبهم فلان تناولوه من حرث الداس شيئاً فقال الرسول انه صاع الملك الا كبر الذي يتكهن
فيه وانه اثمنني عليه فلم اجدته نحوفت ان تسقط منزلي عند واقضح في مصر من رده على فلهو حل به من
طعام وانابه زعيم ابي كليل قالوا ما ذلنا ان نسرقت فقالوا مؤذن وانما به فها جازؤ اي جزاء من وجد في
رحله ان كنتما بين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول
عند ذلك لا بد من فتنبش أمتعتكم ولسمت بيارحين حتي افقشها ثم انه انصرف بهم إلى يوسف فبدأ يوسفهم
قبل وعاء أخيه ثم استخرجهم من وعاء أخيه لزالة التهمة وكان يغش أمتعتهم واحداً واحداً (قال قتادة)
ذكر لنا انه كان لا يفتح دعاء ولا ينظر في وعاء احد الا استغفر الله تعالى مما قد فؤم به حتي لم يبق الا التلثم فقال
ما ظن ان هذا الغلام اخذ شيئاً فقلت اخوته والله ما تركت حتي تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك ولا تشمتا
فله افتجوا وعاءه استخرجوا الصاع منه فلما اخرج الصاع من رحل بنيامين انكسر إخوانه رؤسهم من الحياء
ثم اقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وقضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لئامك
بلاء اخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بنو راحيل الذين لا يزال لهم منك بلاء ذهبت يا بختي إلى البرية
فأهلكتموه وان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدرهم في رحلكم ثم انهم قالوا ابي يوسف ان يسرق
فقد سرق أخاه من قبل وهذا هوائل السائر عنده من جرهم * واختلف العلماء في السرقة التي وصفوها
يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوها يوسف انه سرق صنائجه إلى أمه من ذهب فكسره
والفاه في الطريق وقال ابن جرير امرته أمه وكانت مسلمة ان يسرق صنائجه إلى أمه من ذهب فآخذته وكسره وقال
بجدها جدها سائل يوم فمقر بيضة من البيت واعطاها السائل وقال ابن عيينة درجاً فزاولها نساء بل فغيروها
وقال ومب كان نجياً لطلعه من المائدة لثقة امه وقال الضحاك وغيره كان اول ما دخل على يوسف من البلاء ان

عنه بنت اسحق كانت كبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها اباء كبروا كانت راحيل
 أم يوسف ماتت فحضرته عمره وأحبته حباً شديداً وكانت لا تصبر عنه فلما توارث وع وبلغ سنواً وقع حبه
 في قلب يعقوب فانها و قال لها يا أخاه - لم يأت إلى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فثقلت لها ما باتاركنه
 فلما أوح عليها يعقوب قالت دعه عندي أياً ما أنظر إليه لعل ذلك ما يحلني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من
 عنده أهدمت إلى منطقة اسحق فخرمت يوسف بها تحت ثيابهم ثم قالت ففعلت منطقة اسحق فانظر وا
 من أخذها فانمست فلم توجد فلما فقهشوا أهل البيت وجدوا مع يوسف ففالت والله انه ليس له اصل صنع فيه
 ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم في السارق فانها يعقوب فاخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك
 لا أستطيع غير ذلك فامسكته بهمة المنطقة فلما قدر عليها يعقوب ياخذ منه حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان
 يسرق فندم في أخيه من قبل فامسها يوسف في نفسه ولم يبد لهم قال انه ثم مكنا ثم انما اعلم بما تصفون قال
 الرواة لا دخلوا على يوسف واستخرج الصواع من رجل بنيامين دعا يوسف الصواع فنقرهم او ناده من ان ذنم
 قال ان صاعى هذا ليخبرني انكم كنتم اني عشر رجلا وانكم انطقت باخ فيتموه فلما سمع بنيامين ذلك قام فوجد
 ليوسف وقال ايها الملك سئى صواعك هذا عن أخي أسي هو فنقرهم قائلاً حي وسوف تراد فقال بنيامين
 اصنع في ما شئت فانه ان علم بسوق يستغذي قل قد دخل يوسف إلى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال بنيامين
 أيها الملك اني ارى يدان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقة فله في رحله فنقرهم ثم انه قال ان
 صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقي وقد رأيت مع من كنت قل وكان بنو
 يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضبوا وبيل وقال ايها الملك والله لن لم تتركنا وترك اخانا لا يصيحن صيحة
 لا يبقى في دهر امرأة حامل الا انك ما في بطنها وقامت كل شرقة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو
 يعقوب ان اغضبوا وموس أحد هم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لا يتهتم الي جنب روبيل ومسه فقام
 انكلام إلى جنبه فسه فسكن غضبه فقال روبيل ان في هذا البيت شيء من ولد يعقوب فقال يوسف من
 يعقوب فغضب روبيل وقال ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه امر ائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
 خليل الله قال يوسف انت اذا ان كنت صانعاً صادق فلما اراد يوسف ان يحبس اخاه عنده ويصير بحكمه
 وانه أولى به منهم واحبسهم زراً الى السبيل لهم الى تخليصه منه سألوه ان تخليصهم ويطهروا واحد منهم
 بدله فقالوا ايها العزيز ان له الباشيخا كبيرا كافا بحبه فخذ احداً مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف ما ذا الله
 ان تأخذ الاموان وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرقت تحوزا عن الكذب ان اذا الظالمون ان اخذنا ربنا بسقيم
 فلما استأمروا به خلعوا نجيها اي خلا به عنهم بعض متعاجرين متشاورين فقال كبرهم عني في القل وهو
 شهرون عن تجاهد وقال فتادق السدي كبرهم في السن وهرو روبيل انما هو ان اباكم قد اخذ عليكم موافقة من
 الله في هذا الغلام لتردونه وبن قبل ما فرطتم في يوسف اي من قبل هذا اقتصرتم في شأن يوسف فلن ابرح
 الارض يعني ارض مصر حتى بأذن لي ابي فارجم إلى انك فانا جزه القتال أو يحكم الله لي وهو خير الحادين
 ارجعوا إلى ابيكم فنزلوا يا ابا نانا انك سرقت وما شهدنا الا بما علمنا اني نحن رأينا سرقة معه وما كنا لنعيب
 حافظين حين سألناك ان ترسله معنا ولو اذنا ليعب ان يسرق ما ذهبنا به معنا وسألت القرية يعني وسألت
 اهل القرية اني كذا فها والعير التي اقبلنا فيها يعني قوه اصحبهم من اهل كمننا واننا لصادقون لك في قولنا
 فرجوا إلى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سوات لكم انفسكم امرافصير رجل وهو الذي لا جرح فيه
 عن الله ان يا بني هم جميعا يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا اسفعا على
 يوسف وذلك انه لا يلقه خبير بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال

المقدمات امرأ واخبرنا
 عن شيء تنفس في روح
 وعن قبر مشى بصاحبه
 وعن ماء لازل من السماء
 ولا ينبع من الارض وعن
 اربعة لامن الجن ولا من
 الانس ولا من الملائكة
 ولا من ظفر أب ولا من
 بطن أم واخبرنا عن اول دم
 اهرى في الارض وعن
 شيء خالفه انهم استمطه
 وعن افضل النساء وعن
 افضل البهار وعن افضل
 الجبال وعن افضل
 الدواب وعن افضل
 اليهود وعن افضل اليا
 وعن العلامه وعن شجرة
 لها اثنا عشر غصنا في كل
 غصن ثلاثون ورقة في كل
 ورقة خمس زهرات اثنا
 منها في الشمس وثلاثة في
 الظل وعن شيء حج إلى
 بيت الله الحرام وليس له
 روح ولا وجبت عليه
 قرينة واخبرنا ان في
 خلقه الله وكبرياهم
 وغير مرسل وعن اربعة
 أشياء يختلف طعام اوليها
 والاصل واحد واخبرنا
 عن النقيض القليل والقليل
 وعن السعيد والابد والطام
 والرم واخبرنا عما يقول
 الكلب في نبيجه وما يقول
 الحمار في نهيته وما يقول
 الثور في نعيه وما يقول
 الفرس في صهيله وما يقول

يا سقلى يوسف والاسف لشدة الحزن (وروي) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نبطا فمن الامة عند المصيبة المثلثة وانما اليه راجعون الامة محمد صلى الله عليه وسلم الانرى الى يعقوب حين احببه على ابنه واصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا سقلى يوسف (وقال الحسن) كان بين يوسف ورجل من عتاده الى يوم الالتفاهه ثمانون سنة لم تحبف عيناه من الدهر وما كان على وجه الارض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما اشكوا بك قال له لعله قد نفق ذكر يوسف حتى تكون حرضا اى مر يضاد اهاب العقل من الهم او تكون من الهالكين فقال يعقوب لما راى غلظتهم وجفوتهم انما اشكو بي وحزنى الى الله اياكم وفى الحديث ان يعقوب كبر ورضف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بحرقه فقال له بعض جيرانه قاتمت شمته وفيتت ولم تبغ من السن ما بلغ احنوك فلما بلغ بك هادى فقال طول الزمان وكثرة الاخران فاحي الله تعالى الى يعقوب ان اشكوى الى خلقى فقال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك ان اسئل قل انما اشكو بي وحزنى الى الله (الخرى) الحسين بن فتحويه اخبرنا احمد بن الحسن بن حماد اخبرنا الحسين بن ايوب اخبرنا عبد الله بن ابي زياد اخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السميط سمعت ابي يقول بلغنا ان رجلا قال ليعقوب ما الذى اذهب بصرك قال حزنى على يوسف قل فقال الذى قوس ظهرك قال حزنى على اخيه فاحي الله تعالى اليه وعزنى وجلالى لا كشف ما بك حتى تهونى فقال عند ذلك انما اشكو بي وحزنى الى الله فاحي الله تعالى اليه وعزنى وجلالى لو كانا ميتين لا خرجت بهما لك حتى تنظر اليهما وان وجدت عليهما لانكم يحتم شاة فقام بيا بكم مسكين يستعظم فلم يطمعه ودمه شاة وان احب الناس الى من خلقى الاسخياء ثم لما كين قاصع طعما ما اوج اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليطعمه طارئة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه وحي الله تعالى الى يعقوب ان تدري لعاقبتك وحسبت عنك يوسف ثمانين سنة قال لا اله الا الله شويت عنقا وقترت على جارك واكأ ولم تطمعه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف ان كان له بقرة ولدها عاجل فذبح عجلها بين يديه وكانت تخور فلم يرهم ايعقوب فاحسده الله بذلك فابتلاه بفقد اعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لاني ابا بني اذهبوا فاحسبوا من يوسف واخيه ولا تيا سوا من روح الله الآية قال السدى لما اخبره ولده بخبر العزيز وقاله وفعله احسنت نفس يعقوب وطعمه وقال له يوسف (وروي) انه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانما هو الذى يرزق (وروي) انه رأى ملك الموت وقدره فقال له السلام عليك ايها الكظيم قاضى حله وارادت فرائضه ويرد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن ادخلك هذا البيت وقد اغلقت على نفسي بابي كيلا يدخل على احد واشكوا بي وحزنى الى الله فقال لى اني الله الذى ايتى الاولاد وامل الازواج وافرقت بين الجماعات قل فانت انا ملك الموت قل نعم فقال يا ملك الموت انشدك الله الا اخبرتني هل قبض روح من تأكله الابع قال نعم قل فاخبرني عن الارواح اتقبضها بمجرعة او متفرقة ودار ودار هل اتقبضها روار ودار ودار هل قبض روح يوسف فى الارواح قال لا قال فجئتني زائرا ثم ادعيا فقال لى اني الله ماجءك الاملما قال الله الى لا يميت حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان فى الصخرة التى عليها قرار الارضين وما اذن الله لى فى زيارتك الا لا بشرك واجيعيك عما تسألني عنه وان شئت اعلمتك لماذا ابتليت بفقدك قال لفاعلمني يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكرت الجارية التى اشتريتها عام كذا فى شهر كذا ثم فرقت بيننا وبين ابويهما قال نعم يا ملك الموت كانه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد ولدك ثم لما ان ابتليت بفقد ابنا بصر قال لا قال امرت يوما بذي جعدة فذبحته وشو بهما فى يوم كذا وشو كذا فخرج العابد العبد الصالح بك

نحن المار ففهم اليهود
 انهم
 يقولون
 وماذا

وما ية
تسبحه وما يقول
الناقوس في تفرقه واخبرنا
عن قوم احب الله اليهم
لا من الجن ولا من الانس
ولا من الملائكة واخبرنا
من يكون المييل اذا جاء
النهار واين يكون النهار
اذا جاء الليل * فقال ابو
يزيد هل بقي مسائل غير
هذه فمسائل فقال لا فقال
ان فسرتم مسائلكم واجبت
عنكم اتمنوا بالله ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم
فقالوا نعم فقال اليوم انت
المستأهل على ما قولك (اما)
سؤالكم عن واحد لا ثاني
له فهو الله عز وجل
(واما) سؤالكم عن اثنين
لا ثالث لهما فوفا الليل
والنهار لقوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار آيتين (واما)
سؤالكم عن ثلاثة لا رابع
لها فهي العرش والكرسي
والعلم (واما) سؤالكم عن
اربعة لا خامس لها فهي
الكتب المبزلة وهي التوراة
والانجيل والزابور والقرآن
(واما سؤالكم) عن خمسة
لا سادس لها فهي السموات
الخمس المقروضات على كل
مسلم ومسلمة (واما)
سؤالكم عن ستة لا سابع

يوسف لأخوته هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه
 يوسف قال يا يوسف وهذا أخي (وروي) جوي يعرن الضحك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف
 هل علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان إذا تبسم كان نياحه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصر وأنبأه شهبوه وبوسف
 فقالوا له مستفهمين أنك لانت يوسف (وروي) عطاء عن ابن عباس أنه قال إن أخوة يوسف لم ير فوه حتى
 وضع العاج عن رأسه وكان له في فقهه علامة وكان له تموب مثلها وكان لا يسحق مثلها وكان لاسارة مثلها
 شبه الشامة فلما رفع الناج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أنك لانت يوسف قال أنا يوسف
 وهذا أخي قد من الله علينا بأن جعلنا بعد ما فرقتم بيننا أن من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
 ثم إنهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجرحهم اليه فقالوا لله لقد آثرنا الله علينا وإن كنا لخاطئين فقال
 يوسف وكان حليما كريما فرفقا لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال) لاسدي وغيره
 فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي من بعدى قالوا ذهب عياله فاعطاهم قيصه (قال
 الضحك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه أربع الجنة لا يقع على ميت ولا على سقيم الا يصح
 وعوفي فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لأبراهيم وقدم مضت قصته فقال لهم اذهبوا بتمريض
 هذا فالقوه على وجه أبي يات بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين إلى كنعان
 قال ابوعب يعقوب ابني لا جد ربيع يوسف لولان تغفدون أي تستغيثون (وروي) أن ربيع الصبا استأذنت
 ر بها أن تأتي يعقوب بربيع يوسف قبل أن ياتيه البشير بالقميص فاذن لها فاقته بها قال ابن عباس وجد
 يعقوب ربيع يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال مجاهد ذلك أنه هبت ربيع فصفتت القميص فاحتملت
 الصبار ربيع القميص إلى يعقوب فوجد ربيع الجنة فقل أنه ليس في الأرض من رباح الجنة الا ما كان من ذلك
 القميص فمن ثم قال إني لا جد ربيع يوسف لولان تغفدون فقال له بنو بنيه والله إنك أني ضللك القديم فلما ان
 جاء اليه يري هو يري يعقوب قال ابن مسعود جاءه البشير من بين يدي اليه وقال السدي قاله يري يوسف
 اذا ذهب القميص ملطبا بالدم إلى يعقوب فاخبرته ان يوسف اكاد الذب فاعطى اليوم قيصه لا خيرا ذلك
 حتى فافرحه كما احزنه (قال) ابن عباس حملهم هذا وخرنجه ماشيا حاسرا حافيا ووجهه ليدور حتى أتى اياه
 وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف اكلها حتى بالغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص
 القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحك رجع اليه بصره بعد المعصية وقوته بعد الضميمة وشبابه بعد الهرم
 وسروره بعد الحزن (عن) أبي هريرة رضي الله عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الأرض على
 ملك الموت وإن ملك الموت استأذن به في أن يأتي يعقوب فاذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت
 أسألك بالذي خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لانم قال له ملك الموت
 يا يعقوب ألا أعلمك كلمات قال بلى قل لي يا ذا العرف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قل
 فدعاها يعقوب في تلك الليلة فلم يطاع النجر حتى طرحوا القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند
 ذلك ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خطئين قل
 سوف استغفر لكم في الآية (قال) أكثر المفسرين أخر ذلك إلى السجدة من ليلة الجمعة وافق ذلك ليلة
 عاشوراء وذلك أن الدعاء إلى الأسجد لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب إلى الوعد قام إلى الصلاة
 بالبحر فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف رقة صبري عنه واغفر
 لولدي ماجن على أخيه يوسف فادعى الله إليه أن قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل
 ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبه أخبرنا

اربعة لادن الجن ولادن
الانس ولادن الملائكة
ولادن ظهار اب ولادن
بطن ام فبى كبش
اسهيل وثاقه صالح وآدم
وحواء (وأما) سؤالكم
عن شىء مخالفه الله ثم انكره
فبوصوت الحمار كما قال الله
تمالى ان انكر الاصوت
لصوت الحمار (وأما)
سؤالكم عن اول دم اهرىق
على وجه الارض فهو دم
هابيل لما قتله قابيل (وأما)
سؤالكم عن شىء مخالفه
الله واستسمه مظه
فوق كيد النساء
لقولته تعالى ان كيدكن عظيم
(وأما) سؤالكم عن شىء
اوله يعود واخره روح فبى
عصا موسى عليه السلام
لقلوله تعالى ويماتكن ليعمىكن
يا موسى الآية (وأما)
سؤالكم عن افضل النساء
فحواء ام البشر وخديجة
وعائشة واسمية ومريم ابنة
عمران (وأما) سؤالكم عن
افضل البحار فمديون
وجيحدون والفرات ونيل
مصر (وأما) سؤالكم عن
افضل الجبال فهو الطور
(وأما) سؤالكم عن افضل
الدواب فبى الخيل (وأما)
سؤالكم عن افضل الشهور
فشهر رمضان (وأما)
سؤالكم عن افضل الليالى
فليلة القدر (وأما) سؤالكم

احمد بن ابي السفر بن ثوبان البصري اخبرنا عن ابي جعفر بن زيار الاربلى اخبرنا الفضل بن حميد البغدادي اخبرنا
احمد بن بن زياد وابن خزيمة عن رجاء بن ابى سلمة عن عطاء الخراساني قال طاب الخواص الى الشهاب ابى
منها الى الشيوخ الا ترى قول يوسف لاختوته لا تشرى بى عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى
(وروى) ان يعقوب قال للشيخ لما اخبر به دجاجة يوسف كيف يوسف قال لانه ملك مصر فقال يعقوب
ما صنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الا ان تمت النعمة (وقال الثورى)
اننى يعقوب يوسف عليه السلام عانى كل واحد منهم ما صاحبه وبكى فقال يوسف يا بى بكيت على حقي
ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى يابى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيجعل بنى وبينك يوم
القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جوازاً وما تسمى راحلة وسأله ان ياتيه بأهله والولد اجمعين فأتها
يعقوب بالخير وبعث الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الا كبر الذى فوقه فخرج مع يوسف فى
اربعة آلاف من الجنود وركب اهل مصر معهم ما يلقون يعقوب وكان يعقوب عشى متوكفا على هم وذا فظن
يعقوب الى الجنود والناس فقال هو ذا هذا فرعون مصر الا كبر فقال لا هذا ابنيك فلما دنا كل واحد منهما من
صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فتمعه الله من ذلك وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فباته يعقوب
بالسلام فقال السلام عليك يا نذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبوه ورفعهما على العرش
وأبوه يعقوب وخاتمه لياسمى الخالة كما كسبى الم أبى قوله تعالى قالوا نمد لك والهة يا بى ابراهيم واسماعيل
وامدحى وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحميقاً قالوا يا ذاك قوله تعالى
وخر والله سجداً وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يد بالسجود وضع الجاه على الارض فلما رأى
يوسف أبوه واخوته قد خروا له سجداً اثنى وعند ذلك جلده وقال يا بى هذا ذوابل رؤى بى من قبل قد
جعلهم اربى حفلاً الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم ثمان وسبعون انساناً من رجل وامرأة
وخرجوا مع موسى ومقاتلهم ست مائة وخمسة وثمانون رجلاً وسوى الاكابر من رؤى بى من قبل قد
والزنى وكانت الذرية الف الف وسوى المقاتلة وقال الفضل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما
دخل مصر ورأى يوسف وملاكته فسكن يطوف يوماً من الايام في خزانة عمه فقرأ طيس
بعضه فقال يا بى لقد تريت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال
يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كل انا دسوقي وكثر حبينى أخذ ورقة حتى اكتب اليك يا بى فيمنعنى
جبريل ان اكتب اليك فترى كافي هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعنى
ربى فسأل الله عن ذلك فارحمى الله اليه لانك قلت أخاف ان يا كلك الذنب فلما خفتي هذه العقوبة لاجل
تخوفك من غيرى (وروى) صالح المري بن بذر قال تراسى عن أس بن مالك قال ان الله تعالى لما جبر ليعقوب
شمله ولولده نجماً فقال بعضهم له من أليس قد علمتم ما فقامت بالشيخ يعقوب ويوسف قالوا بلى قالوا فان
عفو عنكم فكيف لكم ربى بك فاستقام أمرهم على ان ياتوا الشيخ فآووه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه
قاعه فقال يا أبانا أتيك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم يزل بنا مثله قط والانباء ارحمهم البرية فقال
ما بكم يابى فقالوا ألسنت نلم ما كنا منك اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فاستقامت عفو عما عدا
قالا بلى قالوا فان عفوكم لا يفي عنا شيئاً اذا كان الله تعالى لم يعب عنا قال فاستقامت بدون يابى قالوا نريد ان ندعوا
الله لما قازا جادك الوحي من عند الله هل عد الله عناق احبارك بانه قد عفا عنا جميعاً فارتفعت أعيننا واطمانت
قلوبنا واذا فلا فترت لنا عين في الدنيا ابداً فقام الشيخ واستقبل القبله وقام يوسف خلفه وقاهوا كلهم
خلفهم اذلة خاشعون بين دعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يحجب فيهم قريبان من عشر سنين قال صالح

عن الظلمة فهي يوم القيامة

وَأَمَّا (وَأَمَّا) سؤَالُكُمْ عَنْ شَجَرَةِ
لَهَا اثْنَا عَشَرَ غِصْنًا فِي كُلِّ
غِصْنٍ ثَلَاثُونَ وَرَقَةً فِي كُلِّ
وَرَقَةٍ خَمْسُ زَهْرَاتٍ اثْنَانِ
فِي الشَّمْسِ وَثَلَاثُونَ فِي الظِّلِّ
فَهِيَ السَّيَّةُ وَالْأَغْصَانُ هِيَ
الشَّجَرُ وَالْأَوْرَاقُ هِيَ الْيَافِثُ
وَالْخَمْسُ زَهْرَاتٍ هِيَ
الْخَمْسُ صَلَوَاتُ فِي الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ (وَأَمَّا) سؤَالُكُمْ عَنْ
شَيْءٍ حُجِّ إِلَى بَيْتِ الْحَرَامِ
وَطَافٍ وَلَيْسَ لَهُ رُوحٌ وَلَا
وَجِبَ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ
فَهِيَ سَفِيحَةُ نُوحٍ
عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَأَمَّا) سؤَالُكُمْ
عَنْ أَرْبَعَةِ مُخْتَلَفٍ طَمَعُهَا
وَلَوْهَا وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ فَهِيَ
الْعَيْنَانِ وَالْإِذْنَانِ وَالْأَنْفُ
وَالْقَمَرُ فَسَاءَ الْعَيْنُ مَالُخٌ وَمَاءُ
الْإِذْنَيْنِ مَرُومَاءُ وَالْأَنْفُ
حَامِضٌ وَمَاءُ الْقَمَرِ حُلُومٌ
(وَأَمَّا) سؤَالُكُمْ عَنِ النَّقِيرِ
وَالْقَتِيلِ وَالْقَطْمِيرِ فَالنَّقِيرُ
الْقَمْرَةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ النَّوْازَةِ
وَالْقَتِيلُ هُوَ الَّذِي فِي بَاطِنِهَا
وَالْقَطْمِيرُ هُوَ النَّقْشُ الَّذِي
فَوْقَهَا (وَأَمَّا) سؤَالُكُمْ مِنْ
السَّيِّدِ وَالْمَلِكِ فَهُوَ شَرُّ
الْبَشَرِ وَالْمَلِكُ وَالْمَلِكُ
سؤَالُكُمْ عَنِ الظُّلَمِ وَالزُّلْمِ
فَهِيَ الْإِثْمُ الْفَاضِيَةُ قَبْلَ آدَمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَأَمَّا) سؤَالُكُمْ
عَنِ إِتْرَاقِ الْحَارِ فِي نَهْيِهِ
فَأَنَّهُ رَأَى الشَّيْطَانَ يَقُولُ
لَعَنَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ (وَأَمَّا)
سؤَالُكُمْ عَمَّا يُقَالُ الْكَلْبُ

الْمَرْيُ ثُمَّ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى يَقُوبُ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَعَى إِلَيْكَ أَبْشَرَكَ بَنَاهُ قَدْ أَجَابَ دَعْوَتَكَ فِي
وَلَدَكَ وَهُوَ قَدْ عَمَّا حَصْنَهُ وَأَوَانَهُمْ قَدْ انْعَمَدَتْ مَوَانِقُهُمْ بِمَدْلِكَ عَلَى النَّبِيَّةِ قَالُوا فَاقَامَ يَقُوبُ بِعَصْرٍ بَعْدَ
مُؤَاظَاتِهِ لِهَلْ رَوْدَهُارَ بَعْدَ وَعَشْرِينَ سَنَةً بَاغِطَ حَالَهُ وَهَانَتْ عَيْشُهُ وَأَمَرَ رَحْمَةً وَأَدْوَمَ سَلَامَتَهُ ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ
فَلَمْ يَحْضُرْ جَمْعٌ مِنْ بَنِيهِ وَقَالَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدَى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ يَا أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا سَمِعِلَ وَاسْحَقُ ثُمَّ
قَالَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ حَاطَى إِلَيْكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا مَا أَنْتُمْ بِمَعْبُودُونَ ثُمَّ أَبَاهُ أَرْضِي إِلَى يَوْسُفَانَ بِحُلِّ جَسَدِهِ إِلَى
الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ حَتَّى يَدْفِنَهُ عِنْدَ آبِيهِ اسْحَقُ وَجَدَهُ إِبْرَاهِيمَ فَقَعَلَ ذَلِكَ وَنَقَلَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فِي نَابُوتَ
مِنْ سَاجٍ وَخَرَجَ مَعَهُ يَوْسُفُ فِي عَسْكَرِهِ وَآخُوهُ وَعِظَامُ أَهْلِ بَعْرٍ وَوَأَفَقَ ذَلِكَ يَوْمَ وَفَاةِ عِيصَ فَدَفَنَاهُ فِي
يَوْمٍ وَاحِدٍ وَكَانَ عَمْرُهُ مِائَةً مِائَةً سَنَةً وَسَبْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً لَأَنَّهُمَا دَلَفَا فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ وَقَبْرًا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ (قَالَ)
فَلَمَّا جَمَعَ اللَّهُ لِيَوْسُفَ شَمْلَهُ وَأَقْرَبَ لَهُ عَيْنَهُ وَأَتَمَّ لَهُ تَعْبِيرَ قِيَامِهِ وَكَانَ مُوسَى مَعَهُ فِي ذَلِكَ الدُّنْيَا وَنَمِيحًا وَعَلِمَ أَنَّ
ذَلِكَ لَا يَدُومُ لَهُوَ إِلَّا بِمَدَى مِنْ فِرَاقِهِ قَارَادَنِهِمْ الْخَلْقَ أَذْهُوَ أَفْضَلَ مِنْهُ فَتَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى الْجَنَّةِ فَتَعَبَى الْمَوْتَ وَدَعَاهُ
وَلَمْ يَمْنُ نَبِيَّ قَوْلَهُ وَلَا يَبْدَأُ الْمَوْتَ فَقَالَ رَبِّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلِمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْآحَادِيثِ الْآيَةِ (وَرَوَى)
أَنَّ يَوْسُفَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَ إِلَيْهِ قَوْمَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ عَسَاوُونَ رَجُلًا وَعَلَيْهِمْ مَحْضُورًا أَجَلُهُ وَنَزَلَ
أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ فَعَالُوا بِإِنِّي أَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنَا تَعَالَى كَيْفَ تَتَصَرَّفُ الْأَحْوَالُ بِنَا يَدْخُرُ وَجَدَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِ تَأْوِيلِ
مَا يُؤَلِّهِ إِلَهُ مَا نَرَا وَدِينَنَا وَقَالَ لَهَا لَهَا أَمْرُكُمْ بِسُتْقَمِ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَتُسْتَقِيمُونَ عَلَى دِينِكُمْ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ
رَجُلٌ جِبَارٌ عَاتٍ مِنْ الْقَبِيطِ يَدْعِي إِلَى بَوِيَّةٍ فَيَهْرِكُكُمْ وَيُدْبِحُ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَكُمْ وَيُسَوِّمُكُمْ بِسُوءِ الْعَذَابِ
فَتَمُدُّ أَيْمَانَهُمْ مَدَّةَ مَدِيدَةٍ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ دِلْدَالِي بْنِ يَقُوبَ رَجُلٌ اسْمُهُ مُوسَى مِنْ عِمْرَانٍ رَجُلٌ
طَوَالَ جَدِّهِ ثَمَرَامُ الْوَلَدُ فَيَنْجِيكُمْ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ الْقَبِيطُ عَلَى يَدِهِ قَالَ فُجِّلَ كُلٌّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِسَمِيِّ ابْنِهِ
عِمْرَانُ وَيَسْمُوهُ عِمْرَانُ ابْنَهُ مُوسَى قَالَ وَكَانَ لِيَوْسُفَ دِيكَ وَكَانَ عَمْرُهُ خَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ فَقَالَ لَهَا لَهَا يَوْسُفُ أَنَّهُ يَسْتَقِيمُ
أَمْرُكُمْ مَا دَامَ بِعَصْرٍ فَكَيْفَ هَذَا الدِّيكُ قَالُوا وَلَهُذَا الْجِبَارُ يَسْكُنُ فَلَا يَبْعَثُ مَدَّةَ وَلَا يَبْعَثُ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ مَدَّةُ
وَلَا يَبْعَثُ وَأُذِّنَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَوْلَا هَذَا النَّبِيِّ فَيَبْعَثُ هَذَا الدِّيكَ وَيُدْخِلُ صِرَاحَهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ عِلَامَةً لِقَضَاءِ
مَلِكِ الْجِبَارِ وَظُهُورِ نَبِيِّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَشَارَ الْوَارِعُونَ الْحَالَ إِلَّا أَنَّ سَكَنَ صِرَاحَ الدِّيكِ فَوَجَّهُوا وَكُنُوا كَتَابُوا
وَابْتَعَنُوا بِرُؤُوسِهِمْ وَأَخْلَلُوا مَا ذَنَبَهُمْ بِهِ يَوْسُفُ مِنْ مَوْلَا الْجِبَارِ وَاعْتَبَرُوا ذَلِكَ وَاجْتَنَبُوا أَنْ يَصْرُخَ
ذَلِكَ الدِّيكُ فَاسْتَبْشَرُوا وَاصْتَدْقُوا وَفَرَحُوا وَاسْتَبْقُوا بِالْفَرَحِ وَالرَّاحَةِ ثُمَّ مَاتَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ
قَدْ أَوْصَى إِلَى أَخِيهِ يَهُوذَا وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَوَفَّاهُ اللَّهُ طَيْبًا طَاهِرًا وَدَفَنَ فِي النَّيْلِ فِي صَنْدُوقٍ مِنْ
رَخَامٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ تَشَاحَّ النَّاسُ عَلَيْهِ كُلِّ حَيْثُ أَنْ يَدْفَنَ فِي مَحَلَّتِهِمْ لَمَّا يَرْجُونَ مِنْ بَرَكَتِهِ حَتَّى هُوَ بِالْقَتَالِ
رَأَوْا أَنْ يَدْفَنَ فِي النَّيْلِ حَيْثُ تَتَفَرَّقُ الْمِيَاهُ بِعَصْرِ فَيَمْرُ الْمَاءُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِلُ إِلَى جَمِيعِ بَعْرٍ فَيَكُونُونَ كُلُّهُمْ فِيهِ
شَرَعًا وَاحِدًا فَتَفُوتُ ذَلِكَ وَكَانَ قَبْرُهُ فِي النَّيْلِ إِلَى أَنْ حَلَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ حِينَ خَرَجَ مِنْ بَعْرٍ بِبَنِي
إِسْرَائِيلَ فَقَعَلَ إِلَى الشَّامِ وَدَفَنَهُ بِأَرْضِ كَنْعَانَ خَارِجَ الْحَصَنِ حَيْثُ هُوَ الْيَوْمَ فَتَذَلَّ تَعَالَى إِلَيْهِ يَوْمَ مَوَاتِهِ إِلَى
الشَّامِ مِنْ ذَلِكَ فِيهِمْ (وَرَوَى) يَوْسُفُ بْنُ عِمْرَانَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِأَعْرَافِي فَارْكَبَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَكُمُ مَتَانًا فَحَصَفْتُ سَبَلَ حَاجَتِكَ فَقَالَ نَفَقَةٌ رَحِمَهَا وَعِزَّتُهُ
تَحْلَاهَا أَهْلِي فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْعَزُ هَذَا أَنْ يَكُونَ مِثْلُ عَجْزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا عَجْزُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا خَرَجُوا إِلَى الْفَارِيقِ وَأَظْلَمَ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ فَقَالُوا يَا مَاهَذَا فَقَالَ عَلَيْهِمُ اللَّهُمَّ
يَوْسُفُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْتَنَا وَنَا لَذًا لَمْ نَخْرُجْ مِنْ بَعْرٍ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مِمَّا قَالَ مُوسَى مِنْ
يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهَ قَالُوا عَجْزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَبَعَثَ إِلَيْهَا مُوسَى فَاتَمَّتْ فَقَالَ لِيُنْفِ عَلَى قَبْرِ يَوْسُفَ فَعَالَتَاهُ وَطَعْنِي
حَكِي قَالَ وَمَا حَكَاكَ تَالَتْ أَنَّ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ فَكَّرَ أَنْ يَعْطِيَهَا حَكَمًا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ اعْطَاهَا حَكَمًا فَفَعَلَ

في نبيحه فانه يقول ويل
لاهمل البار من غضب
الجبار (واما) سؤالكم عما
يقول الفرسي في صهيبه فانه
يقول سيجان حانظي اذا
التفت الا بظلال واشتدلت
الرجال بالرجال (واما)
سؤالكم عما يقول اليه في
رغائه فانه يقول حسبني الله
وكفى بالله وكيفا (واما)
سؤالكم عما يقول الليل
في تدريره فانه يقول
سبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون (واما)
سؤالكم عما يقول
الضفدع في تمسحيه فانه
يقول سيجان المعبود في
البراري والقفار سيجان
انك الجبار (واما) سؤالكم
عما يقول الناقوس في تقيمه
فانه يقول سيجان الله حقا
حقا انظر بالبن آدم في هذه
الدنيا غريبا وشرقا تاترى
فيها احدا يبقى (واما)
سؤالكم عن قوم اوحى الله
اليهم لامن الجن ولامن
الانس ولامن الملائكة
فيهم التحمل لقوله تعالى
واوحى ربك الى النحل
الاية (واما) سؤالكم عن
الليل اين يكون اذا جاء
النهار وعن النهار اين يكون
اذا جاء الليل فانهم يكونان
في غامض علم الله تعالى ثم
قال ابو يزيد هل بقي معكم
مسائل غير ذلك فقالوا
لا فقال اخبروني عن مقتضى

(وبروي) من طريق آخر ان هذه يجوز كانت مقدمة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف
قال نعم فقالت لا أخبرك حتى تمنيني اربع خصال تطاق رجل وتجدالي بصرى وشبانى ونجماني ملك في
الجنة قال فكبر ذلك على موسى فاحي الله تعالى اليه ان اعطيا ما سألت فانك انما تمنى على فعله فانطانت
هم الى موضع عين في مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئه النيل في صندوق من مرمر فلما حملوا ما بونه طلع
النهار وضاء الطريق مثل النهار فامتهدوا به وحملوه (وقال اهل النار يخ) عاش يوسف بدموت بموت وب
عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء
والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿مجلس في قصة يوسف بن ميثا بن يوسف عليه السلام﴾

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنا احدهما يقال له افرانيم والاخر ديشا
وابنة يقال لها رحمة وهي امرأته انبي اوب عليه السلام فولد لافرانيم نون وزلدنون وشوع وهو فقي وموسى بن
عمران وخليفته على بني اسرائيل وامام يشاف ولده موسى فنبأه الله تعالى فزعهم اهل التوراة فانه صاحب الخضر
والداهية من الملأه ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم (قال) اهل العلم بالنار يغفلون بمات بموت وبسبب عليهم السلام وآل الامر الى الاصباط كثيرا
ونمو اظهر فيهم ملوك فغير راسيتهم وافسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم
موسى بن يشار سولاً يدعوهم الى عبادة الله واداء امره واقامة سننه وذلك قبل ولد موسي بن عمران بمائتي
سنة فاطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال) وهب بن منبه وغيره كان مسمواً وحى الله اليه ان قل لقومك اني
بري بمن سحر او سحره او تكهن او تكهن له او تطير او تطيره من آمن بي صادقاً وتوكل على فاني كنت له كافياً
ومعياً وكفيتهم دينه وديناه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنني ومن عدل عني وثق بغيري فانا
اغنى اشركاء عن الشرك اكله الى من وثق به ودوني ومن وكلته الى غيري فليست مد للفتنة والسذاب ومن
تباع عني كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الى كنت اليه أشد تقربا لم يأتني رقل لم يأتني لا تنفعلوا عن ذكرى
وليكم روا ذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها فاقوالا غلبت فيهم ماشاء الله ان يثبت يقيم
أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم
﴿مجلس في ذكر بقية عاد وقحمة شديد وشداد وصفة ارم ذات المهاد﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات المهاد الاية (روى) سفيان عن منصور عن أبي وائل قال ان
رجلا يقال له عبد الله بن قلابه خرج في طلب ابل له قد ضلت أي شردت فبينما هو في بعض صحاري عدن في تلك
القلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان
فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها احد الا دخلا ولا خراجا فترجل عن ناقته وعقلها ووسل سيقه ودخل من باب
الحصن فاذا هو بين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهم مولا أطول واذا خشيهما من أطيب عود وعلينا منجوم
من ياقوت اصفر وياقوت احمر وضوءهما قد ملأ المكان فلما رأى ذلك اعجبه فتبع أحد البابين فاذا هو بمدينة
لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصر ومملكة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وياقوت وياقوت وياقوت وياقوت وياقوت
مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من ابواب تلك القصور مصرع مثل
مصرع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضجت عليها اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبناق
المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك احدا اخذته الفزع ثم انه نظرا الى الازقة فاذا في كل زقاق منها
اشجار قد امترت وتحتها انهار تجري في قنوات من فضة اشدها ياضا من التلج فقال هذه الجنة التي وصفها

الجنة ومفتاح السموات

ما هو قال فسكتوا ولم
يتكلموا فقال ابو يزيد
سألتهم عن مسائل كثيرة
فاجبت عنهم او قد سألتكم
عن مسألة واحدة فلم
تجيبوا عنها اعجزتم عنها
فقالوا نعم ثم التفتوا الى
كبيرهم وقالوا وعجزت
عن ذلك فقال ما عجزت
ولكن أخاف ان
لا توافقوني فقالوا بل
نوافقك فالك كبيرنا
ومهما قلت لنا سمعناه
ووافقناك عليه فقال
مفتاح الجنة والسموات
لا اله الا الله محمد رسول الله
فقالوا واهوا ما عجزتم
وحسن اسلامهم
وخرجوا من الدار
وخرجوا وبه وبه هجدا
وقطعوا زنا نبيهم فبنوا
نوى ابو يزيد شددت
من اجلنا نارا فقطعتنا من
اجلك خبيثة زار
(اخواني) انظروا الى
هؤلاء كلهم قد كانوا كثيرا
في ظلمات العمى فاقدمهم
الى تعالى من الردى بنور
الهدى فكل ذلك ببركة
نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم فانظروا الى كلمة
الاخلاص ما أعظم
بركاتهما ان يجمع حركاتها
فرطوا اليه فكلكم بها التالوا
بركة احسانها وتظاهروا
بحلوة امتنانها وتدخلوا

الله لياده في الدنيا والحمد لله الذي اذخاني الجنة ثم انه حمل من اؤلواها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع
ان يلقاه من زبرجدها شيئا ولا من يوافقها الا انها كانت مثبتة في ابوابها جدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك
والزعفران مغمورة بمزلة الزهر في تلك القصور والغرف فاحذ منها ما اراد وخرج حتى أتى ناقته فكبها ثم انه
سار يتفوا اثر ناقته حتى رجع الى اليمن فظاهر ما كان معه واعلم الناس باسمه وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد
اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن ابي سفيان فانسل رسول الى
صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فاشخص حتى قدم على معاوية فخلاه به ثم آله عما طين فقص عليه
المدينة وما رأى فيم اقصته معظم ذلك معاوية وانكره احد منه وقال له ما ظن ما تقوله فقال له فقال له يا
المؤمنين ان معي من معاوية الذي هو مفر وش في قصوره واوغرها فقال له وما جوف اللؤلؤ وبنادق المسك
والزعفران فقال له اني اياه ففرض عليه مما سأل من تلك المدينة من اللؤلؤ وبنادق المسك ففهم البنادق
فلم يجد لها يحاقر بمدقة منها فذقت فسطع ربحها ما كان زعفران فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف
اصنع حتى اعرف اسم هذه المدينة ولم هي ومن بناها والله ما اعطي احد مثل ما اعطى سليمان بن داود عليه
السلام وما ظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جاسوسه ما كان سليمان مدينة مثل هذه وما وجد
خير هذه المدينة في زمانها هذا الا عندك كعب الاحبار فان رأى امير المؤمنين ان يبعث اليه ويامر باشخاصه
ويستبعنه هذا الرجل في موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين امر هذه
المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا يخبر امير المؤمنين بخبرها امر هذا الرجل ان كان دخله الا ان مثل هذه
للمدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا ان يكون قد سبق له في الكتاب دخولها
فيعرف ذلك فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا ابا سفيان اني دعوتك لامر رجوت
ان يكون علمه عندك فقال له يا امير المؤمنين على الخير سقطت سل عما بدا لك فقال له يا امير المؤمنين يا ابا سفيان
يا لك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها واوغرها
اللؤلؤ وانهارها في الازقة تجري تحت الاشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت اني سأسأل
قبل ان يسألني احد عن تلك المدينة وما فيها ولكن اخبرك بها يا امير المؤمنين ولم هي ومن بناها اما لك
المدينة فهي حق على ما بلغ امير المؤمنين وعلى ما وصفت له واما الذي بناها فشداد بن عاد واما المدينة فهي
ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا ابا سفيان حشدنا مجديها برحمك الله فقال
كعب يا امير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمي احدهما شديدا والاخر شدادا فهلك عاد وبقي ولده بعده
فلما تجبروا وقهروا كل البلاد واخذوا غنوة وقهرا حتى دان لهم جميع الناس ولم يبق احد في زمانها
الا دخل في طاعتها الا في شرق الارض ولا في غربها وانهما ماصفا لما ذك وقرقرارهما مات شديدا
عاد وبقي شداد فلك وحده ولم يناعه احد وكان له الدنيا كلها وكان مولدا بقرارة الكتب القديمة وكان
كل امر فيها على كرا الجنة دعتة فنه ان يحمل تلك الصفة لنفسه في الدنيا على الله تعالى وكفرا فلهما وقر ذلك
في نفسه امر بصناعة تلك المدينة التي هي ارم ذات العماد وامر على صنعها مائة قهرمان كل قهرمان الف
من الاعوان ثم قال لهم انظروا الى اطيب بقعة في الارض وأوسمها واعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة
وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة اعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق
القصور غرف واغرسوا تحت القصور غراس فيها اصناف الثمار كل ما اجر وافهم الانهار تحت الاشجار
فاني ارى في الكتب صفة الجنة واني احب ان اخذ مثلها في الدنيا واتجعل سكنها فقال له قهرمانه
كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فبني مهناد مدينة كما

وصفت لنا فقال لهم شدد ألسنتهم لعلهم ان ملك الدنيا كلها ايدي قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة رأى بحرفيه أوائل قومك وكنى كل قوم رجالا يخرج اليكم ما في كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما في ايدي الناس من ذلك فخذوه وسوي ما ياتيكم به أصحاب الممادين فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها الا معدن اثنى عشر من اعظم ما كانتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك في الدنيا كتابا بأمرهم ان يجمع له ما في بلاده من الجواهر وان يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارة واعطوا كل ملك من الملوك كتابا بأخذ ما يوجد في ملكه فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجونه الى ارم ذات العمدان من الزبرجد والياقوت والياقوت والذهب والفضة وأخذوا موضعا كيا أراد ووصف لهم فقال معاوية يا بالسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شدد قال كانوا اثنتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الغلة والقهارة ففجعوا في الصحاري ليجدوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا في ارض ابن من بلاد عدن فوقها على صحراء عظيمة بقية من التلال والجبال واذ هم يسيرون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التي أمرنا بها فاخذوا بقدر ما أمرهم به من الارض والطول ثم جدوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التي فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجوزع الخبيث وبنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس واجروا فيها القنوات ارسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضر وبه ثمنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مقر وغانها فدفعوا كل ذلك الى أولئك القهارة واوزارها فقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شدد فقال له معاوية يا بالسحق اني لاحسبهم اياه واني بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين اني لاجد في انوارها ما فيها فقاموا في بنائها اثنا تسعة فقال معاوية كم كان عمر شدد صاحبها قال كان عمره تسعة فقال له يا بالسحق انما اخبرتنا خبر عجبنا فخذ ثنائنا فقال يا أمير المؤمنين انما علم الله تعالى ارم ذات العمدان من اجل الماد التي تحتها من الزبرجد والياقوت وليس في الدنيا معدن من الزبرجد والياقوت غير هذا فاذك قال التي لم يخفق مثاها في البلاد (قال كعب) انهم لما اتوه واخبروه بمرأهم منها قال انطلقوا فاجدوا عليهم احصنا واجدوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم ويكون في كل قصر من تلك القصور زبر من زبراني ويكون كل علم منها عليه ناطور فوجدوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم اتوه فاخبروه بالفرغ عما أمرهم قال فامر الف وزبر من خاصته ان يهيئوا أسبأهم ويعدوا على النقلة الى ارم ذات العمدان وأمر رجالا ان يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها الياءم ونهارهم وأمرهم بالاطعام والارزاق وأمر الملك من اراد من نسائه وخدمته ان يتجهزوا الى ارم ذات العمدان فقاموا في جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بن اراد الى ارض ابن وخلف من قومه كثيرا سار به فلما استقبل وسار اليها يسكنها وبلغ منها مراعها وبقي بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صحيفة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شدد ولا من كان معه ارم ذات العمدان ولم يقدرا حذرنهم على الدخول فيها حتى الساعة فهدت صفة ارم ذات العمدان انه سيد دخلها رجل من المسلمين في زمانك هذا يرى ما فيها فوجدت عابان ولا يصدرق فقال له معاوية يا بالسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل احمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحاري فيقع على ارم ذات العمدان فيدخلها ويحمل ما فيها وكان الرجل جالسا معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال له هو ذلك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فسهله عما حدثت فقال معاوية يا بالسحق ان هذا من خدمي ولم يفارقني قال قد دخلها والى سوف يدخلها وسيد دخلها أهل هذا الدين في

منيع ودرع رفيع وقد قال الله تعالى في كتابه المائدة اكثر من قول لا اله الا الله فانما حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي وقال ابن الصخر من قال لا اله الا الله خلاصا من قاره ومدها بالاعظم غفر الله تعالى له اية آلاف ذنب فاز لم يكن عليه ذلك بفقر من ذنوب أهله وجيرانه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة وحروف لا اله الا الله رسول الله اربعة وعشرون حرفا فن قال لا اله الا الله محمد رسول الله كفر الله بكل حرفة ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب فانظروا يا اخواني كيف خص الله هذه الامة بهذه الرحمة فاجدوا المستكرها شفاكم تفوزوا برضوان ربكم (وعن وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه) انه قال لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه ففتح عينيه فظفر الى باب الجنة فرأى مكتوبا عليه لا اله الا الله فمد رسول الله فقال يا رب وهل خانت خلقا أعز عليك مني فقال الجليل جل جلاله نعم يا آدم هوني من ذنوبك بئس ما آخر الزمان بالآيات والبرهان

آخر الزمان فقال معاوية يا أبا جحر أهد فضلك الله على غيرك من أعلامه وأهد أعظم من علم الأولين والآخرين
 ما لم يطلبه أحد فقال يا هيراني ومن الذي نفس كذب بيده ما خلق الله في الأرض شيئا إلا وقد فسر في التوراة
 لعبدته موسى تفسيراً وإن هذا القرآن أشد وعيداً وكفى بالله شهيداً وداوود كلاً (قال الشعبي) أخبرنا دغغل النخعي
 عن رجل من حضرة موت يقال له بساطم أنه وقع على حفرة شداد بن عادي جبل من جبال حضرة موت مطل
 على البحر قال كنت أصعب في صباي إلى أن اكتملت بمنارة في جبل من جبالها وإن الناس تهيب ودخولها فلم
 أحفل بما كنت اسمع من ذلك فبينما أنا في نادى قومي إذ انشدوا حديث تلك المنارة واطنوا في ذكرها
 ووصفوا موضعها فقلت لغوي أني غير متبته عن هذه المنارة حتى أرشاه أهل فيم كن يساعني فقال فتى منهم
 حديث السن أن أوصاحبك فقلت يا ابن أخي أتخسر على ذلك قال عندي ما عند رجل من شدة الجاش وقوة
 القلب فيها ناشعة وحملنا معنا أدوات عظيمة ثلثمائة وطعام مقدار ما يقوم بنا وقد رعى حملهم ثم مضينا
 نحو ذلك الجبل الذي فيه المنارة ونشر قاع البحر في المكان الذي يركب منه أهل حضرة موت البحر
 فلما انتهينا إلى باب المنارة حزننا علينا بما رأينا وأشعلنا الشعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الأدوات
 من الماء والطعام فإذا بمنارة عظيمة عرضها عشرون ذراعاً وطولها علو نحو خمسين ذراعاً مشيت فيها وهو بنا في
 طريق أملس مستو ثم أفضينا إلى درج عادية عرض الدرجة تسعون ذراعاً في سبع عشرة أذرعاً حملنا أنفسنا
 على نزول تلك الدرجة فقلت لصاحبي ألم إلى يدك فكانت آخذ بيده حتى ينزل فلما نزل وقام في الدرجة
 تلمعت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجل على منكبيه فلم نزل كذلك وذلك رأينا ما لم يمتنا حتى
 نزلنا وكانت مقدار مائة درجة ففضينا إلى ازج عظيم مخفور في الجبل في طول مائة ذراع وعرض أربعين
 ذراعاً وسكن في السماء قدر مائة ذراع وفي صدره سرير من ذهب بنضد بعض وف الجواهر وفوقه رجل عادي
 عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج روضه وهو موضعي على ظهره كهيئة التانم وعليه سبعون حلة
 بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل فضبان الذهب والنقصة وإذا ذلك الازج بضئ من
 ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجاً إلى فضاء بل درما هو وأعلى رأس السرير لوح من ذهب
 عظيم فيه كتابة ما لها مثل وهي كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه مخفورة تلك الكتابة في اللوح حنرا فظلمنا
 ودنونا من ذلك الرجل ومننا تلك الحلل فصارت ريماء بقيت فضبان الذهب قائمة نجمتها فكانت مقدار
 مائة نطل فظلمنا هاهنا أنزلنا وأردنا فبينما نحن نألف قلع شئ من تلك الجواهر المنضبة بالسرير فقل تقدر عليها لو ألقيتها
 فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل
 من ذلك الثقب فبينما ليلتنا في ذلك الازج وطفت الشعة التي كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ما ترى
 قال أما الرجوع من حيث جاء فلا سبيل إليه لا ارتفاع هذه الدرج وأنا لا نستطيع صعودها لاسيما والشعة
 قد طفت ولكن ألم بنا لزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فاني أرجو أن يخرج منه إلى الفضاء إن شاء
 الله تعالى فقلت له لمعري إن هذا هو الرأي فقبضنا بما معنا من تلك الفضبان التي من الذهب وحملنا معنا
 ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير يروى من ذلك الثقب فلم نزل نمشي في طريق ضيق مقدار مائة ذراع
 حتى خرجنا منه إلى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حفر بذلك الكهف البحر فجعلنا على باب
 ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتمون ببقية الماء والطعام الذي كان معنا لما كان اليوم الرابع نظرنا إلى مركب قد
 أقبل في البحر فلو حنا إليه فطرالينا هاهنا فإرسلوا إلينا الفارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولاً شاقاً حتى وثبنا إلى
 الفارب فلما خرجنا من البحر أقمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح إلى يميني ثم إن أنفسنا دعنا إلى
 الموادي ذلك المركب ثم إلى الثقب فركبنا قارباً يروى في البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فخرقنا غنماً علينا مائة

فهو خير الانبياء وأمرته
 خير الأمم قال فلم يخلق الله
 تعالى حواء ركب فيه
 الشهوة فقال آدم يارب
 زوجني بها فقال الله تعالى
 ها أنت وهى فقال يارب
 وما ههنا فقال تصلي على
 صاحب هذا الاسم
 مرة وأنا زورك بها فقال
 آدم يارب إن غمت ذلك
 تزوجنيها فقال الله
 عز وجل ثم فصلى آدم
 عليه السلام مائة مرة على
 النبي صلى الله عليه وسلم
 فزوج الله بها وقال بعض
 الصوفية رضى الله تعالى
 عنه كان لي جار مسرف
 على نفسه بالمعاصي فلما
 مات رأيته في المنام وهوى
 دار السلام فقلت له لم نلت
 هذه المنزلة قال حضرت
 بمجلس الذكر فسمعت
 الحديث يروى عن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول إنه من صلى
 على صلاة ورفع بها صوته
 وجبت له الجنة ثم رفع
 الحديث صوته بالصلاة
 ورفعنا أصواتنا جميع
 القوم فغفر لنا في ذلك اليوم
 (قال) ورأيت امرأة تولدها
 بعد موته يمدب فزنت
 على ذلك وبكت ثم رأته
 بعد ذلك في النور والرحمة
 قالت فسألته عن ذلك فقال
 مر بنا رجل فوقف بوسط
 المقبرة وصلى على النبي صلى

ثواب صلواته لجميع
الأموات فجعل نصيبه من
ذلك الزحمة والمنفعة فغفر
لي (وقال بعض المارقين
رضي الله تعالى عنه صلوات
الامة على الامم على صلاة الامم
الاخيرة فلما جاءت
للتشهاد نسيبت الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم
فأبته في الامم وهو يقول
بأهنا نسيبت الصلاة
عليها فقلت يا رسول الله
اشتغلت بالثناء على الله فقال
اما علمت ان الله سبحانه
وتعالى لا يقبل الثناء عليه
الا بالصلاة على امامه
قول الله سبحانه وتعالى في
كتابه العزيز يا أيها الذين
آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما فقامت من نومي
واشدت شهرا
صلوا على من أنت حقاً
بشأته
الحاشي الذي طابت
عناصره
هو النبي الذي شاعت
رسالته
في الخلق طرا وقد عمت
مآثره
هو الرسول الذي تسمى
المولوك له
على لرؤس فتنهم ففاحره
هذا الطبيب لهدى الناس
كاهم
يشفي المايل والمكسور
جابه

فما انما لم نزل من الامم اخذنا فرجعنا وان الوجود مكث عندي حولاً لا أجداً حداً يقرؤني حتى اننا نرجل
من اهل صمداء حميري كان يحسن قراءة تلك الكتاب فآخر جنا الى الفلح فقرأ فاذنا فيه مكتوب هذه الايات
اتسبب من اسماء المقدس بالبحر المديد * أناشداو بن عاد * صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والياء * سماء والملك الحشيد * دار اهل الارض طرا * لي من خوف وعيد
ودمكت انشرق الفجر * ب بسلطان شديد * وبفضل الملك والند * فيسه والعديد
جاء ناهود وكنا * في ضلال قبل هود * فسعدانا لوقيلنا * كان بالامر الرشيد
فصهه سيدنا * وزادنا لاهل من محمد * فأنقنا صـ بـ حـ تـ وى من الافق البعيد
فتوافينا كزرج * وسط يديا حصيد

(قال دغفل) سالت علماء حميري عن شداد وقلت انه صيب وقد ثامن ارم ذات العمان فكيف وجدني تلك
الغارة وهي بحضرة موت فقالوا انه لا ملك هو ومن معه من الصبيحة على مرحلة تلك المدينة ملك من بعده مزبد بن
شداد وقد كان ابوه خلفه على ذلك بحضر موت فامر بحمل ايده الى حضرة موت فحمل مثلياً بالصبور والكافور
ثم أمر بحرق تلك الغارة فحُفرت واستودعها فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله اعلم
*) (محاسن في ذكر قصة اصحاب الرس)

قال الله تعالى وطود واصحاب الرس اختلف العلماء من اهل النفس في اصحاب الرس فبهم فقال
سعيد بن جبيرة الكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض بكل اخبر بطائفة من حديث اصحاب
الرس ان اصحاب الرس اقية ثمرة قوم صالح وهم اصحاب البر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى وبر
معطلة وقصر مشيد وكانوا بفاج النجامة نزلوا على تلك البر وكل ركية لم تطل بالحجارة والاجر فهي رس وكان
لهم نبي يقال له مختلطة بن صفوان وكان يرضعهم جبل يقال له فوج مصعد في السماء ميلوا وكانت العنقاء تبيت به
وهي كاعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء الطول عنة واكانت في ذلك الجبل تنقض على
الطير فتاكلها فجاءت ذات يوم واعوذها الطير فاضمت على صبي فذهبت به فسميت عنة مغرب لانها
تغرب بما اخذته ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فاضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى
الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها واسلط عليها آية تدع بها
فاصابتها عداقة فاحتقرت فلم يزلها انز بعد ذلك فضررت بها العرب مثلاً في اشعارها وحكمها وأمثالها ان
اصحاب الرس قتلوا نبيهم فهاهناكم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغني انه كان رسماً اما احدهم فكان اهله
اهل بد وعورود واصحاب غم وهو واش فبعث الله اليهم نبياً فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى
فقتلوا الرسول وجاهدتهم اولى حتى اغتصبهم وكانوا يقولون الهنا في البحر وكانوا على سفيرة وكان يخرج اليهم من
البحر شيطان في كل شهر خرجة فيبحرون عنده ويتخذونه عيداً فقال لهم اولى اربأتم ان يخرج اليهم من
الذي تدعونوه وتعبدهم وتعالى واطاعني الجبوني الى ما دعوتكم ليه قالوا بلى فاطعوه على ذلك العهد والمواثيق
فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكباً أربعة احوات وله عنق مستقيمة على رأسه مثل
الناج فلما نظروا اليه خروا سجداً فخرج الى الولى اليه وقال له انني طوعاً وكراهة باسم الله الكريم فقتل عند
ذلك من على اخرته فقال له الولى انني راكباً عليهن الثلاث يكون النجوم من امرهم على سلك فاني الخوت وانت به
الحيتان حتى افضوا به الى البرية فيجرونه ويبحرونه فلما راوا ذلك سخره وابه وكذبوه ونقضوا العهد فبعث
الله اليهم رجا فالتهم في البحر وهو اشبههم جميعاً وما كانوا على كون من ذهب وفضة وآية فاني الولى الصالح
الى البحر واخذ الذهب والفضة والاواني فجمعها على اصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير واتقطع ذلك

شمس ومناح فيوق
العصن طائره

(وعن سفيان اشوري

رضي الله تعالى عنه) انه

قال بينما انا أطوف بالميت

اذ رايت رجلا لا يرفع

قدمي ولا يضع قدمي الا وهو

يستلم على النبي صلى الله

عليه وسلم فقلت يا هذا انك

تركت التسبيح والتسليم

بالصلاة على النبي صلى الله

عليه وسلم فهل عندك في

هذا شيء فقال من انت

عافاك الله فقلت سفيان

الاشوري فقال لولا انك

عارف اهل زمانك لما

اطلقتك على حالي

واخبرتك بسري ثم قال

خرجت من بلدى انا

والدي حاجين الى بيت

الله الحرام وديار النبي عليه

افضل الصلاة والسلام

فبينما نحن في بعض المنازل

اذ مرض والدي مرضا

شديدا فبكيت نذاعله

فبينما انا عند رأسه اذ هو

قد مات واسود وجهه قال

فلما اترارى وغطيت

به وجهه وعصل عتدي

غم عظيم وحل لي خطاب

جاء حيث مات على تلك

الحلة في بلاد النوبة ولا

يكفي اخفاء ذلك الحال

عن الناس وصرت مفكرا

في امرى لا ادري ما صنع

النمل (واما لاخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم انبياء كثيرة لا تقوم فيهم في
الاقتلوه وذلك النهر بمقتل اذر بيجان بينها وبين ارمينية فاذا قطعتة مد بردا غت في حد ارمينية واذا
قطعتة مقبلاد خلعت في حد اذر بيجان وكان من حولهم من اهل ارمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من
اهل اذر بيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى والذاري فانامت لاحداهن ثلاثون سنة
قتلها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم ليلة حتى يبلغ اصناف
الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم ينفذ ويدور ثم يرجع اليهم فبعث الله
تعالى اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد فقتلهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وابده بنصره وبعث معه وايا في شدة
في الله حق جوده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه وكان في اوان وقوفه على الجبل في الارض وكانوا عند ذلك
أحوج ما يكونون الى الماء فخننهم في البحر وانصب ما في اسفله واتى الى عيونهم من فوق فسددها وبعث الله
اليه خمسا ثمة من الملائكة اعوانه فقتلهم قوما بقي في وسط نهرهم ثم امر الله جبريل بن نزل فلم يدع في ارضهم عينا
ولا نهر الا ايسره باذن الله تعالى واهل ملك الموت فانطلق الى المواشي فاسانها رقعة واحدة وامر الرياح الاربع
الجنوب والشمال والرياح ففهمت ما كان كلهم من متاع والقي الله تعالى عليهم الغيات ثم خففت
الرياح الاربع بذلك المتاع اجمع فرمته في رؤس الجبال و بطون الاودية واماما كان من حني ونبر وآنية
فان الله تعالى امر الارض فابتلعت ما صبحوا لاشاة عندهم ولا بقرة ولا مال يموروث اليه ولا ماء
يشربون ولا طعاما ياكلون فاقمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار في جبل له طريق من
خلفه فنجوا وكانوا احدى وعشرين رجلا واربع نسوة وصيدين وكان عدة الباقى من الرجال والنساء
والذاري ست مائة الف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صاراعلاها
أسفلهم فدا القوم عند ذلك ثمانية من اهلهم فباعوا زرع وماشية وبجمله قليلا لئلا يظفوا فاجابهم الله
تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا الله لا يبعث الله رسولا في من ديارهم ويقاربهم الا
اسانوه وصدقوه وعرضوه فلم الله منهم الصدق فاطن لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فاقام اولئك القوم في
طاعة الله طاهرا باطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من اسلافهم قوم اطاعوا الله في الظاهر
ونافقوا في الباطن واملى الله الى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معا صيهم اكثر من طاعتهم وخالفوا اولياء
الله فبعث الله عليهم من فارقههم وخالفهم فامر ع فيهم الفذل وبقيت منهم شريعة فسلط الله عليهم الطاعون
فلم يبق منهم احدى بقى نهرهم ومنازلهم وما فيها مائتي عام لا يسكنها احد ثم اتى الله بقوم بعد ذلك فقتلوا
وكا نوا صالحين فاقاموا فيهم اربعين سنة ثم احدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو بنته واخته وزوجته فيبيت
معه جاره واخاه او صديقه يلتبس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال
النساء حتى شبقت واستغنى الرجال بالرجال فبعثت للنساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدهان بنت البلس
وهي اخت الشيطان وكانافي بيضة واحدة فشبهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمهن كيف يصنعن فاصل
ركوب النساء بعضهن بعضا من الدهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في اول ليالهم وخسفاني آخره
وصيه جمع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا احسب منازلهم اليوم مسكونة (يروي) علي بن
الحسين بن زين العابدين عن ابيه عن جده عفي بن ابي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من اشراف بني تميم
يقال له عمر انا فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن اصحاب الرس وفي أي نصر كانوا وان كانت منازلهم
ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا ام لا وماذا اهلكوا فاني اجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم
ولا اجد خبرهم فقال له امير المؤمنين على رضي الله عنه لقد سألني عن حديث ما سألني عنه أحد فقلت لا

القوم فتمت فانانا رجل
لم ارا احسن منه وجها ولا
انظف منه ثيابا ولا اطيب
منه رائحة وهو يرفع قدما
ويضع قدما حتى دنا من
والدي ثم كشف الازار
عن وجهه ومريده عليه
فما دايض يلوح منه نور ثم
ولي راجعا فتملقت بشوبه
وقلت من انت الذي من
الله على والدي بك في هذه
البرية قال فقمم وقال انا
محمد رسول الله صاحب
القرآن كان والدك مسرفا
على نفسه وكا كثيرا الصلاة
على فلما نزل به ما نزل
استعاذ بي فاشتبهه وانا
غياث من اكثر الصلاة
على فانتهت فرايت وجهه
ابن ابيض يلوح منه نور
ساطع (اخواني) اكثروا
من الصلاة على هذا النبي
الكريم فان الصلاة عليه
تكفر الذنب العظيم
وتهدي الى صراط مستقيم
وتقى قائلها من عذاب
الجحيم ويحظى بالجنة امدار
النعيم (وعن عبد الرحمن بن
جعفر) رحمه الله تعالى انه
قال كنت بالبصرة اصلى
انفس في مسجد بجوارى
وكان ذلك المسجد يعرف
بالخشاشين وكان فيه امام
مفرج يدعى باب سعيد
وكان رجلا مشهورا بالخير
والصلاح وكان يتكلم في

يحدثك به احدث يعني كان من قسمتهم يا خاتمهم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب
درخت وكان يافت بن نوح غربا على شفير عين يقال لها دوسان كانت نبتت نوح عليه السلام بعد الطوفان
وانما سموا اصحاب الرس لانهم رسوا بينهم في الارض وذلك قبل سلايمان بن داود عليهم السلام وكان لهم
انفعا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض
نهر اغزر منه ولا اعذب منه ولا قري اكثر سكانا وعمرانا منها وكان اعظم منازلهم اسفنديا وهي التي
كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوح بن ساراب بن النمرود بن كمنان فرعون ابراهيم
عليه السلام وفيها العين التي يلقون منها الصنوبر التي كانوا يعبدونها وقد رسوا في كل قرية منها حبة من
طلع تلك الصنوبرة فتنبت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشر بون
منها لاهم ولا انماهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة لهننا فلا ينبغي لاحد ان ينقص من حياتها
ويشر بون هو انماهم من نهر الرس الذي عليه قرأهم وقد جدلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع
اليه اهلها ويشر بون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها اصناف الصور ثم باتون بشياه وبقر فيذبونها
قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذباج وقتارها وبخارها
في الهواء وحال بينهم وبين النظر السماء خروا وسجدوا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترخي عنهم
وكان الشيطان يحجى فيحرك اغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم
فطيبوا نفسا وقرؤا عيتا فيرفون عند ذلك رؤسهم ويشر بون الخمر ويشر بون المماز فيكونون
على ذلك يومهم وليتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيدهم يجمعهم الظلمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم
فيضر بون عند شجرة الصنوبر واليمين سرادقا من ديباج وعليه انواع الصور له اثنا عشر بابا كل
باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويضر بون الذباج اصنافا ماقربوا
للشجرة التي في قراهم فيجى ابللس عند ذلك فيحرك الصنوبرة ثم يكشدها ويتركهم من جوفها كلاما
جهورا يهدمهم وينهم باكثر ما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح
والسرور والملايقون ولا يتكلمون معه فيدعون الشرب والمماز ويكونون على ذلك اثنا عشر يوما
وليلة يمدد اعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا
من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبية
فلا يذنبون ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الفتن والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من
الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظيم وقال يارب ان عبادك ابوا تصديقي ودعوتي اليهم وما اردوا
الا تكذيبى والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فاي بس شجرهم اجمع وارهم قدرتك
وسلطتك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فها هم ذلك وخضوه وانصارا فارقين فرقة قالوا سحر هذا
الرجل الذي زعم ان رسول رب السماء آلهتمك لصرف وجوهكم عن الله وفرة قالت بل غضبت عليكم
آلهتمك حين رأت هذا الرجل يعيبيها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فجعلت حسنها وبهاها
وجمالها لكي تقضوها فتنتصر وامنه فاجموا امرهم على قتله فاتخذوا مثل بيت واتخذوا انايب طولا
من رصاص واسمة الافواه ثم انهم ارسالوا الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البراني ونزحوا
ما فيها من الماء ثم حفروا في قمرها بئرا ضيقة العين عميقة فرشوا فيها انبيهم والقوا على فيها صخرة عظيمة ثم
اخرجوا الانايب من الماء وقالوا الا ان نرجوا ان ترضى عنا لهننا اذ اراتنا قلنا من يقع فيها ويصد عن
عبادتها وانا دفناه تحت كبريها يتشنى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان قبلة على ذلك عامة يومهم

يسمعون انين نبيهم وهو بقول سيدى ومولاي ترى ضيق مكانى وشدة كربى فارحم ضعفى ركفى
وقلة حيلتى وعجل قبض روى ولا تؤخر اجابى دعوى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه
السلام انظر عبادى هؤلاء الذى غرهم حلمي وأمنوا بكى وعبدوا غيرى وقتلوا رسلى وانال منتهى من
عصائى ولم ينخش عقابى وانى حلفتهم بزى لا جملتهم عيرة ونكالا للملين فيمناعهم في عيدهم اغشيتهم ربح
عاصف حمراء فتجيز واقبها وزعر وامنها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر
كبرت فتوقدوا وظلهم سجدا به مسودا قالت عليهم حجرا كالغبرة يلتب قاذبا بدانهم يكادوب الرصاص
في النار فتعود بالثمن غضبه ودرك نعمته انه هو السميع العليم راحول وقوة الابانة العلى العظيم وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله اعلم
* (مجلس في ذكر قصة نبي الله ايوب وبلائه عليه السلام) *

قال الله تعالى واذا كر عبدنا ايوب اذا نادى ربه لا آية وقال تعالى وايوب اذا نادى ربه انى مسني الضر
وانت ارحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهما من اهل الكتب كان ايوب رجلا من الروم
وركان رجلا طويلا عظيم الرأس جمده الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين
والساعدين وكان مكتوبا على جبهته البتلى الصابر وهو ايوب بن اموص بن تارخ بن روم بن عيص
ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط
عليه الدنيا وكان له الغنية من أرض الشام كلها وسهالها وجبلها وما كان فيها وكان له من اصناف المال كله من
الابل والبقر والغنم والخليل والحير مالا يكون لرجل افضل منه في المدة والكثرة وكان له بها خمسمائة
فدان يقيمها جميعا فبعد لكل عبد امارة ولد ومال ويحمل آلة كل فدان اثنان ولكل اثنان ولد من
الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله اعطاه اهلا ولدا من رجل ونساء وكان امرأ قتيار حيا بالسلماكين
يكفل الارامل واليتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤدبا لحقه قد
امتنع عن عدو الله ابليس أن يصيب منه ما اصاب من اهل الفتي من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن
أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قسما توبه وصدقوه وعرفوا فضله رجل من اهل اليمن
يقال له اليمن ورجلان من اهل بلاده يقال لاحدهما مالك ولا تخرط اظفار وكانوا كهلا (قال وهب)
ان لجبريل عليه السلام بين يدي الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله في القرية والفضيلة وان جبريل
هو الذى يتلقى السلام فاذا ذكر الله تعالى عبد انجز ثلثه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة
المقر بين والحافين من حول العرش فاذا اشاع ذلك في الملائكة المقر بين صارت الصلاة على ذلك العبد
من اهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان
ابليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فبين حينما اراد ومن هناك وصل الى آدم حين
اخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك بصده الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع
وكان يقعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية فهو جودوه محجوب
عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع قاتبه شهاب مبین قال فسمع ابليس تحواب
الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه البغى والحسد وصد سر بها
حتى صعد في السماء موقعا كان يقفه فقال يا الهى انظرت في أمر عبدك ايوب فوجدته عبدا أنعمت عليه
فشكرك وعافيته خدمك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم لأن ضررته بلاء ليعفرك بك
وليذهبك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت

من ذلك الرغبة في معرفة
شيعته فاقام الشيخ في
عندى ثلاثة ايام الى ان جاء
الركب واجتمع برفاقه
فلما رفقنا بدرة رابت
الشيخ وهو واقف عند
الصخور مشغول بالدعاء
فما فرغ سمعت عليه فرد
على السلام وقال لك
حاجة يا عبد الرحمن فقلت
يا سيدي اريد دعاءك فدا
نى ثم نزلنا من الجبل ولم اره
بعد ذلك فلما قضيت الحج
وسرت الى البصرة انيت
الى مسجد لاناظره فلما
نظرته قام الى وسلم على
وصافني وعصر على يدي
فجهت منه ان اكنم سره
قال فلما اقيمت الصلاة
وفرغنا سالت المؤذن عن
غيبه الشيخ في ايام الحج
عن المسجد فحلف المؤذن
ان الشيخ السعيد لم يكن
قطع الصلوات الخمس في
المسجد ابدا ولا ساعة
واحدة قال عبد الرحمن
فلما تانه من الخواص
الابدال السادة الرجال
اعاد الله علينا من بركاتهم
وصالح دعواتهم في الدنيا
والآخرة آمين
(وعن عبيد الصمد
البيدادي رضي الله تعالى
عنه انه قال كنت اتجسس
من بغداد الى بلاد اليمن
واحج في كل سنة فيبنيانا

الشياطين وعظماهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال ايوب وزوال المال هو
المصيبة الفادحة والفظة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفر يت من الشياطين اعطيت من القوة ما لو شئت
تحوطت أعصارا من نار فاحرقته كل شيء آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق
يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها ونبتت في مراعيها فساكنها الناس حتى ثارت من تحت الارض
أعصار من نار تنفخ فيدير باح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى آخرها
فما فرغ منها تمثل ابليس على قوده منها في صفة راعها ثم انطلق يؤم ايوب حتى وجده قائما يصلي فقال له
يا ايوب قال ليك فقال هل تدري ما الذي صنع بك الذي احقرته وعبدته بابلك ورعاتها فقال ايوب انها
مالا أعارتها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطبعت النفس اتى ومالي للقاء
رائز وال فقال له ابليس فانز بك أرسل اليها فارامن السماء فاحترقت كلها وبقي الناس مهوتين وقوا
علما يتمجدون منها فتهنمون يقول ما كان ايوب بعد شيا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان
اله ايوب يقدر على أن يصنع شيا لمنع وليه من حريق مواسيه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل
فشمت به عدوه وفضحه به صديقه فقال ايوب الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء نزع مني عرابا
خرجت من بطن أمي وعرابا عودا الى القبر وعرابا حشرا الى ربي ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك
الله وتجرح حين يقض عرابيه فهو أولى بك وبما أعطاك ولعمري انك انك ان تفرح حين أعارك
مع تلك الارواح وصبرك شهيد مع الشهداء ولكنك علم فيك شرا فاحرك وخلصك من البلاء كما يخلص
الزوان من القحط الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة اتى لم أكل
قلبه فقال عفر يت من عظامهم عندى من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذور وح الاخر جرت
مهمة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا انقسطها صاح صوتا مات
منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متعذرا بغيره ان الرعاة حتى جاء الى ايوب وهو قائم
يصلي فقال له مثل قوله الاول و رد عليه ايوب مثل ما قال في النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه
فقال ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكل قلب ايوب فقال عفر يت من عظامهم عندى من القوة ماذا شئت
تحوطت ربحا عاصفا فنشف كل شيء آتى عليه حتى لا يبقى منه شيء فقال له ابليس فأت الفدادين
والحرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى في الحرث وأولادهم رنوع فلم يشعر واحدا
هبت ربيع عاصف فنشف كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متعذرا بغيره ان
الحرث حتى جاء الى ايوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فأجابه ايوب بمثل جوابه الاول فيجمل
ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلب انتهى اليه ماله من ماله
حمد الله وأحسن الشاء عليه ورضي بالنضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقي له من ماله
ابليس انه قد أفنى ماله ولم يزل منه شيا ولا يخرج في شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد سريراه ووقف
الموقف الذي كان يقفه وقال لى ان ايوب برى انك مهما متمت من نفسه وولده فانت معطيه المال
فهل أنت مساطي على ولده فانها الفتنة المضرة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها
صبرهم فقال الله تعالى لا انطلق فقد سلطتك على ولده فانتقض عدا الله حتى جاء بني نبي الله ايوب وهم
في قصرهم فلم يزل يزلله حتى تداعى القصر من قواعد ثم جعل يتأطج بجسده بمضها بمضها فرمهم
بالحشب والحشيش حتى لم يبق لهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا ممتكين ثم ان ابليس انطلق
الى ايوب متعذرا بالعلم الذي كان يلمهم بالحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من

في بعض السنين في الطريق

بين مني وعرفة اذ رايت
شابا حسن الشاب نقي
الانواب كان على وجهه
قنديلا من نور وهو راقد
على الرمل وتحت رامة حجر
وهو بعالج سكرات الموت
قال فقطعت اليه وسلمت
عليه فرد على السلام فقلت
الك حاجتكم الشاب فقال
نعم تقيم عندي ساعة حتي
اقضي نجي والحق برى
فقلت بالذي تريد قال اذا
انامت فوارني في التراب
وخذ هذه المضدة وروح
الى صنعا والذين واسأل عن
الدرب الفلاني وقل لاهلي
عشان يقرئكم السلام ثم
غاب عن الكلام ساعة
طويلة حتي حسبت انه
مات ثم افاق بذلك وهو
يقرا هذه الآية هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون
ثم شق شقة فارق الدنيا
رحمته الله تعالى عليه قال عبد
الصمد فسلته وكفنته
ووجهه بضي وبثلا ثم
صليت عليه في جماعة ثم
دفناه واخذت المضدة
معي فلما وصلت الى صنعا
الذين سألنا عن الدرب
فارشدت اليه فخرجت الى
عجوز وبنتا ففقت اليهن
تلك الودية فلما رواها
جدوا في البكاء والتعجب
ثم خرت العجوز ومشيا
عليها فلما افاقت قالت ان

دماغه فاخبره بذلك وقال له يا ايوب لو رايت بنيك كيف عذبوا وكيف قاربهم القصر وكيف نكسوا
على رؤوسهم تسيل دموعهم رءوسهم من أنوفهم وشفا هوم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت
أعماؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتي رق ايوب لذلك وبكى وقبض قبضة من التراب
فاغتمت الياس الفرصة منه لذلك فصعد سر بهما بالذي كان من جزع ايوب مسرورا ثم لبثت ايوب
أن ابصر فاستغفر وشكر فصعد قرأوه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى
الله والله أعلم بما كان فوقه الياس خاسرا دليلا فقال بالهي انما هو على ايوب خطر المال والولد
انه يرى انك مهما مته به فغصه فانت تميز له المال والولد فيل أنت مساطي على نفسه ويذنه فاني لك زعيم
لئن ابتليت في جسده لينيك وايفقرن بك ولا يجدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد ساطنك على
جميع جسده ولكن ابليس لك سلطان على لسانه وقايله ولا على عقله وكان الله أعلم به انه لم يسلم عليه
الارحة ليمظلم الثواب ويجعله عبدة للصارين وذكرى للمابدين في كل بلا نزل بهم ليتأسوا به في
الصبر ورجاء الثواب فانتقض عدو الله سر يدا فوجد ايوب ساجدا فقبل ان يرفع رأسه اتاهه من قبل الارض
في موضع وجهه ونفخ في منخر به نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فوقه الى قدمه ثم اكبل مثل
اليات الغم ووقفت فيه حكمة لا يملكها ولا يملكها عن حكمها فكنا بظلمه حتي سقطت كل انهم حكم بالمسوح
الخسنة حتي قطع انهم بالثخا والحقارة الخسنة فلم يزل يحكمها حتي نزل له وتقطع وتغير وانفق خارجا هل
القرية فجلوه على كساسة وجماله عر بشا فرضه خاق الله كلهم غيرا ثم تهرجة بنت افرائيم بن يوسف بن
يعقوب عليهم السلام وكانت تخلف اليه بما يصاحبه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ايا الله به اتهموه
ورفضوه من غير ان يتكاد به فله اطل به البلاء انطلقوا اليه وهو في بلائه فيكره ولا موه وقالوا له اب
الله من الذنب الذي عوقبت به (قال) وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقة فقال انكم
تكنتم اياها الكهول وكنتم احق بالكلام لا سنانكم واكنتم قد تدرتم من القول احسن من الذي قلتم ومن
الراي اصوب رايت ومن الامرا هل من الذي آتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذي
وصفتم فهل تدرن اياها الكهول حق من انتم قصصتم وحرمة من اتهمتم ومن الرجل الذي عتبتم وانتم هم اثم
تعلموا ان ايوب نبي الله وحبيبته وخيرته وصفوته من اهل الارض في يومكم هذا انكم لم تعلموا ولا اطلاكم
الله تعالى على انه يخط شيئا من امره منذ آناه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع منه شيئا من الكرامة التي
اكرمه الله بها ولا ان ايوب غير الحق في طول ما صاحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم
ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى ببني الدين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بالهم ليس
دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس هو من الله بهذا المنزلة الا
انكم اخيتموه على وجه الصحة لكان لا يجمل بالحكم ان يذل أخاه عند البلاء ولا يبره بالمصيبة ولا يبره
بمآله وهو مكروب حزين ولكنه رحمه وبكى معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه وبدله على رشد
امره وليس يحكم ولا رشيد من جهل هذا قاله انهم الكهول فقد كان لك في عظام الله رجلا له مذ كرامات
ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم لم تعلموا ان الله عا دأ أسكتهم خشيتهم من غير عي ولا بكر وانهم لهم الفصحاء
الذيلاء البلاء الا لئلا العالمون بالله وآياته ولكنهم اذ ذكروا عظمت الله انقطعت ألسنتهم واقشمت جلودهم
وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظم الله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استغفروا استبوا والى الله تعالى
بالاعمال الزاكية الصالحة يمدون انفسهم مع الخاطئين وانهم يراة ويمدون انفسهم مع المفرطين
المفصرين وانهم لا كياس اقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقيال ولا يدلون عليه

احب احدا يشأني عن
 ذكر الله تعالى طرفة عين
 فقلت من أين نا كل فقال
 الذي غدا في طامنة
 الاستشاه صفيها يتكفل
 برزقي كبيرا فتي احتجبت
 الى طام حضر بين يدي
 فقلت له هل من حاجة
 فقال نعم اذارا بنى بعدهذا
 اليوم فلا نكفي فقلت
 بالله أسألك يا سيدي ان
 تدعوا لي فقال حجبتك الله
 عن كل مصيبة وشكك
 بما يقر بك اليه فقلت
 يا سيدي فإني للفاء بمد
 ذلك اليوم فقال ما بقي لقاء
 بمد هذا اليوم فان كنت
 من اهل القرب فاطلني
 غدا في منازل المقر بين ثم
 غاب عن عيني فلم أره رضى
 الله تعالى عنه وتغيبا بآمين
 (وعن ملك بن دينار
 رضى الله تعالى عنه) ان قال
 كان لي جار مسرف على
 نفسه لا يعرف يومه من
 أمسه فاجتمعت الجيران
 الي يشكوه فاحضرته
 وقلت له ما هذا قد كثرت
 عصيانك فاما ان تتوب
 واما ان تخرج من هذا الحبل
 فقال لا في ملكي لا أخرج
 منه فقلت له تشكوك الى
 السلطان فقال انا من
 أصحاب السلطان فقلت
 ندعوا الله عليك فقال ربي
 ارحم منك ثم نهض من
 عندي فلما كان الليل

شيء وضعت اكرافيا بظلمتك جل الماء الارض ام حكتك كانت الارض على الماء غداه أين كنت
 في يوم رفعت السماء مستغلق الهواء لانه ليس تمسكها ولا تمسكها ام تم من تحتها هل يدع من حكتك أو تخبري
 وتسير نجومها ام هل بارك فيضف ليها وانهارها أين كنت في يوم سحبت الجبار وتبعت الانهار
 اقدرتك حبست امواج البحار على حدودها ام قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين كنت
 في يوم صب الماء على التراب ونصبت شياخ الجبال هل لك ان تطبق حملها ام كنت تدرى كم مقدار
 ما فيها اين لئله الذي انزلته من السماء هل تدرى كم بلدة أهلكتها كم من قنطرة احصيتها وقسمت
 الارزاق ام قدرتك تثير السحاب وتنفث الماء هل تدرى ما اصوات الرعد ام من اى شيء جلب البرق
 وهل رأيت عمق البحر ام هل تدرى ما يمد الهواء ام هل تدرى أين خرابه النهار بالليل واين طريق
 النور وبأى لفة تمكمل الاشجار أين خزائن الخراج واين جبال البرد ام هل تدرى من جعل العقول في
 أجواف الرجال ومن شق الاسماع والأبصار ومن ذات الملائكة المسكة ومن قهر الجبابرة من جبروته
 وقسم ارزاق الدواب والعباد يحكته ومن قسم الاسد ارباقها وعرف الطير ما شاهد عطفا على افراسها
 ومن اعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تناس بالاصوات والانهاب السلطين
 أبحكك عطفك عليها أماتها حتى اخرجت لها طعاما من اجوائها وآثرتها بالمدش على نفسها ام
 بحكك يعصر العقاب الصيد البعيد واضحا في ما كن الدار اين انت يوم خلقت البهائم ومكان في منقطع
 التراب والواو تياجم لان الجبال والقرى والعمران اناها ما كانت اشجار الصنوبر الطوال وروسها ما كانت
 الجبال وعروق اخادها ما كانت اعمد النحاس أنت ملأت جلودهم الحما أم انت ملأت رؤوسهم ما غفل
 لك في خلقهم من شرك ام لك بالثوة التي غلبت ما يدان ام هل يبلغ من قوتك ان تضع يدك على رؤوسها
 ام تقعد على طريق فتجسسها او تصدها من قوتها أين انت يوم خلقت النبتين ورزقة في البحر وعسكره
 في الدماء وعيناه تتوقدان نارا ومنعزاه يثوران دخانا اذناه مثل قوس المهاب يثور من ماله بكانه
 اعصار الهياج جوف يجرق ونفسه يلتهم وزبد جمر كمثل الصبحور وكان ضرب اسنانه اصوات
 الصواقر وكان نظره عيشه لمع البرق عز به الجيوش وهو متكى لا يفرغه شيء ليس فيه منصل زبر
 الحديد عنده مثل النبت والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفرغ من الشهاب ولا يخشى وقع الصبحور على
 جسده ويطير في الهواء كأنه عصفر فيهلك كل شيء يمر به هل أنت آخذ به بالبحر والارض ووضع اللجام
 في شدقه هل تحصي عمره هل تعرف اجله أم تعرف رزقه هل تعلم تدرى ماذا اخرج من الارض وماذا
 تجرب فباقي من عمره ام هل تطيق غضبه حين ينضب أم تأمره فيه طيك تبارك الله أحسن الخالقين
 فقال ايوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر الذي ورد على لبت الارض انشقت لي فذهبت ولم
 أنكم بشيء يسخط ربي حين اجتمع على البلاء إلى قديمتي لك مثل العدو وقد كنت تعرفني وتعرف
 نصحي وقد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يدك وتبدير حكمتك واعظم من هذا لو شئت علمت أن
 لا يعجزك شيء ولا تخفي عليك خافية ولا تنجب عنك غابة من هذا الذي يظن ان يسر عنك سرا وأنت
 تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في ثلاث هذا لم يكن اعلم وخفت ان يكون امرا اكثر من
 كذات اخاف انما كنت اسمع بصوتك فاما الآن فهو نظار العين انما تكلمت حين تكلمت لتصدرنى
 وسكت حين سكت لترحمي كلمة زلت عن لساني فان أعوذ وقد رضعت يدى على في وعرضت على
 لساني وألصقت بالتراب خدى ووسست فيه وجبى لصدرى وسكت حين اسكتك خفي فاختفى فاغفر لي
 ما قلت فان أعوذ بشيء تكرهه عني فقال الله تعالى يا ايوب نقد فيك حكى وسبغت رحمى غضبي اذ

رؤيت يدي الى السماء في وقت الاسحار و اردت ان ادعوا عليه فتهتف بي هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من اولياء انا قال مالك فقم من ساعتي و طرقت عليه الباب فخرج و ظن اني جئت اليه لالاخرجه من محله فخرج و هو بيكي و يعتذر و يقول يا سيدي السمع والطاعة انا اخرج من المحل فقلت له لا بأس عليك يا جئت لك لهذا رأيت جئت اليك لا اخبرك بما كان مني اني رفعت يدي و اردت ان ادعوا عليك فتهتف بي هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من اولياءنا قال فيبكى الرجل بكاء شديدا و تاب من وقته و ساءت فاصبح الناس يزورونه و يتبركون به و كثر الازدحام عليه فخرج حاجا الى مكة في العاصم القابل فيبينا انا في المسجد الحرام وقت الظهيرة و مستظل بجناط و اذا بمجموعة قد اجتمعوا الى جانب المسجد و بينهم رجل ملقى على التراب فنامتسه فاذا هو صاحبي و هو يبالغ سكرات الموت قال مالك فجلست عند رأسه ابكى ففتح عينيه فرأني ثم قال يا مالك ان تري مولاي يهفو عن تلك الذنوب و السيئات ويرحم

أخطأت فندعرت لك ما قاتت رحمتك ورددت عليك اهلك و مالك و مثاهم معهم لا تكون لمن خلقك آية و تكون عيرة لاهل البلاء و عزاء للصائرين فارخص برجلك هذا ما غسل يار و شراب فيه شفاء و قرب عن اخطائك قربا و استغفرهم فانهم قد عصوني فيك فارخص برجله فانفجرت له عين و دخل فيها فاغسل فاذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج و جلس فاقبلت امرأته فماتت تلتمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكبرة كالوالدة فثرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم الرجل الميت الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذ ارايتيه فقالت نعم و كيف لا اعرفه فبسم و قال هانا هو و فرقت له لما ضحك فاعتقته (قال) ابن عباس و الذي نفسي بده ما فارقت من عناقته حتى مر به ماكل ما كان لهما من المال و اولد و ذلك قوله تعالى و ايوب اذا نادى رباني مسني الضلالة * و اختلف العلماء في وقت نداءه و مدة بلائه و السبب الذي قال لاجله مسني الضر (حدثنا) الامام ابو الحسن محمد بن علي بن سهل اماله في شهر ربيع الاول سنة اربع و ثمانين و ثلثمائة اخبرنا ابو طاب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر اخبرنا يحيى بن ايوب العلاف اخبرنا سعيد بن ابي مريم اخبرنا داود بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ان نبي الله ايوب ابلت في بلائه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب و البعيد الارجلين من اخوانه كانوا يدعوان اليه و يروحان فقال احدهما لصاحبه و الله لقد اذنب ايوب ذنبا ما اذنبه احد من المالمين فقال لصاحبه و ما ادراك قال منذ ثمانى عشرة سنة له في البلاء لم رحمه الله و يكشف ماله فلم اراح الى ايوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال ايوب ما أدري ما تقولان غير ان الله تعالى يعلم اني كنت أمر بالرجلين يتنازعا فيذكر ان الله تعالى فارجع الى بيتي فانكفي عنها اكرهه ان يذكر الله تعالى الا في حق قال و كان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته امسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم ابطأ عليها و ذلك ان الله تعالى اوحى الى ايوب في مكانه ان ارخص برجلك الاية فالتبطلاته فذهبت لتنظر ماشائه فاقبل عليها و قد اذهب الله تعالى عنه ما اصابه من البلاء و هو احسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبي الله الميت فقال اني انا هو و كان له اندران اندر للفتح و اندر للشمير فبعت الله تعالى سبعين و فلما كانت احداهما على اندر الفصح افرغت فيه الذهب حتى فاض و افرغت الاخرى في اندر الشمير الورق حتى فاض (ويروي) ان الله تعالى امطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحشوا منه في ثوبه فناداه يا ايوب ألم أغنك عما تري قال بلى يارب و لكن لا غني لي عن فضلك و رزقك و رحمتك و من يشبع من نعمتك (و قال الحسن) كان ايوب عليه السلام مطر و حاع على كناسة في من الله لني اسرائيل سبع سنين و اشهر اختلفت فيه الدواب و قال و هب لم يكن يا ايوب كلة و انما كان يخرج منه مثل ندي النساء ثم يتفنا قال الحسن و لم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا احد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تحنمه و تأتبه بطعام و تحمد الله معه اذا حله و ايوب على ما به لا يفتقر عن ذكر الله تعالى و الثناء عليه و الصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من اقطار الارض جزعا من صبر ايوب فاجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم اعياني هذا العبد سألت ربي ان يسلطني على ماله و ولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا و اواءه على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا لأمرائه و قد انفضحت من ربي فاستعنت بكم لتبينوني عليه فناولاه أين مكرك ابن علمك الذي اهلكته به من مضى قال بطل ذلك كله في ايوب فاشير و اعلي قالوا اشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجه من الجنة من أين أتيت قال من قبل امرأته قالوا فذاك و ايوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيه و ابليس احد يقربه غير هاتين أصبت فانا طاق

هذه العبرات فقد فارقت

اهلي وموطني وخرجت
من ذلك المكان حياء منك
وانت مخلوق فكيف
اقف غدا بين يدي الخالق
جل وعلا ثم نفس وشقي
شهقة فسات رحمة الله تعالى
عليه آمين (وعن الجنيد
رضي الله تعالى عنه) انه قال
عزمت على الحج الى بيت
الله الحرام في بعض
الاعوام فركبت ناقتي
ورجعت نحو الكعبة شرفها
الله تعالى وعظمها فلو
عنتها وردته نحو
القسطنطينية فردتها
مرارا وهي تمود فقلت في
نفسي لله في ذلك سر خفي
فاطنتها وقلت احيى
وسيدى ومولاي ايس
لى حيلة ان كنت تريد
ان تردني عن بيتك فالامر
اليك قال فجمعت الناقة
تسير سيرا جيادا حتى
دخلت القسطنطينية فلما
دخلت البلد رأيت الناس
في هرج ومرج فسالت عن
الخير فقال بعض الناس ان
ابنة الملك قد ذهب عقلها
وهي يلتمسون لها طبيا
يدوايم افقلت في نفسي
وعزة ربي لهذا صرفتني عن
يدينه في هذا العام قال الجنيد
فقلت لهم قد حضر
الطبيب ففعلنا ما أنت
تدأومها فقلت لهم انه ان
شاه الله تعالى قال فاخذوا

حتى اذ امرته وهي تطلب الصدقة فتقبل لها في صورة رجل فقال أين بملك يا أمة الله فالتت هو ذاك
بحك قروحه وتتردد الدواب في جسمه فلما سمع منها طعم ان تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكروها
ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال ابوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وان ذلك
لا ينقطع عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزع فتأنا باسحلة وقال لها اذبح
ايوب هذه لي وسير قال فجاءت تصرخ وقالت يا ايوب الى متى يذكرك بك ولا يرحمك أين المال أين
الماشية أين الولد أين الصديق أين ثوبك الحسن قد تهرى وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلى
وهو يتروى فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها ايوب انك عدو الله فنفخ فيك فاجتنبته
وبلك أرايت ما تبكين عليه مما كنافيه من المال والولد والصحة من انعم به علينا قالت الله قال فك
معتابه قالت ثمانين سنة قال فبذكرا ايتانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قالو بلك والله ما عدلت
ولا انصفت ربك الا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله ان
شفاني الله لاجل ذلك مائة جلدة كما أمرتني أن اذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرايك الذي تأتيني به على
حرام لا لأزوق مما تأتيني به شيئا بعد ان قلت هذا فاعز في عني لا اراك فطردتها فغضبت فلما رأى ايوب
امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر ثم رد الامر
الى ربك وبوسم فقال وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الانية فركض
برجله فبعت عين ماء فاعتسل فلم يبق من دأته شيء ظاهر الاسقط اثره وأذهب الله منه كل ألم وداوى كل
سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وافضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فبعت عين أخرى
فشرب منها فلم يبق في جوفه ماء الا خراج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلمت عينا وشمالا فلا يرى
شيئا كما كان له من أهل وولد مال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخر حتى جالس على مكان مشرف ثم ان
امرأته قالت أرايت ان كان قد طردني الى من اكلته أأدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضع فتأكله
الدباع فوالله لا رجوع اليه فرجعت فلم تر الكناسه ولا الحال التي كانت تعدها وقد تغيرت الامور فجلست
تظوف حيث كانت الكناسه وتبكي وايوب ينظرها قال وهابت صاحب الحلة ان تأتية فتسألها فاسرل اليها
ايوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكى وقالت ارد ذلك المبتلى الذي كان منبذوا في هذه الكناسه
لا أدري اضع أم ما فذل به فقال ايوب عليه السلام ما كان منك فبكى وقالت بعلي فهل رايته فقال وهل
تعرفته اذا رايته قالت وهل تخفي على نعم الله اجملت تنظر اليه وهي تباه وقالت اما الله كان اشبه خلق الله
بك اذا كان صحيحا قال فانأوب أمرتني أن اذبح لابلوس فأتى اطمع الله وعصيت الشيطان فرد على
ما تريين (وقال) كذب كان ايوب في بلاءه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد
يوما واحدا فلما غلب ايوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهذه فبنى
آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مركب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها انت صاحبة
ايوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال اناله الارض وانال الذي صنعت بصاحبك ما صنعت
وذلك انه عبد الله السامى وتركني واغضبني ولودجدي سجدت واحدة ردوت عليك كما كان لك من مال وولد
فانهم عندي ثم اراها ايام في بطن الوادى الذي لقبها فيه (قال وهب) وقد سمعت انه قال له الوان صاحبك
اكل طعاما لم يسم عليه ادوفى ما هو فيه من البلاء والله اعلم واراد عدو الله ان ياتيه من قبلها ورايت في بعض
الكتب ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجد لى سجدت واحدة حتى ارد عليك الاولاد والمال واغافى
زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراد فقال لقد اراد عدو الله ان يقتلك عن دينك ثم ان ايوب

تشهدت وخرت ميتة
فسلمناها ودفناها رحمة
الله تعالى عليها (وعن أبي
بكر بن الفضيل رضى الله
تعالى عنه (قاله سألت
بعض أصحابي وكان
أصله روميا عن سبب
اسلامه فاستمع أني محمد بن
ثارات أقسم عليه حتى
حدثني قال نزل بنا عساكر
المسلمين فحاصرونا سنة
من السنين فخرجنا إليهم
وقالنا هم يقتلونا جماعة
وقتلنا منهم جماعة وامرنا
منا جماعة وامرنا منهم
جماعة لكي يحاطوا بالأساك
في القتال فامرت أنا
وحدتي من المسلمين عشرة
رجال وكان لي في الروم
المزلة فسلمت المشرة إلى
علماني فقيدهم وحملهم
على البغال حتى تركهم في
السجن عندي فبينما أنا يوم
من الأيام جالس بقصرى
اذ جاءني بعض علماني
وقال يا سيدي ان احده
الموكلين قد أخذ من احد
المأسورين مالا وتركه
يصلى قال فلما سمعت
ذلك احضرت الموكل بهم
وقلت له اخبرني ما الذي
أخذته من هذا السيد حتى
تركته يصلى فقال نعم
يا سيدي انه في كل وقت
صلاة يدع إلى دينار ذهب
فقلت هل معه شيء من
ذلك فقال لا يا سيدي

الله بعد أيهم رسولا إلى ارض الروم فأمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن
ذلك وضموا وقالوا يا بشرانا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره ان نصلي الله تعالى ورسوله
فلوسأت اللذان يطيل أعمارنا ولا يمتلئنا الا ذنوبنا لئلا نلذذ به ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتوني
عظيما وكفتموني شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهى أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وامرني أن اجاهد
أعداءك وانت تعلم أني لا أملك الا نفسي وان قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم بهني فلا تؤاخذني
بجريرة غيري فانا أعوذ برضك من سخطك وبعموك من عتوبك قال فارحمي الله تعالى إليه يا بشر
اني سمعت مقالة قومك وافية أعيايتهم ماسألوني طولت أعمارهم فلا يتون الا اذا شأوا فكيف
كفيلهم مني بذلك فبلغهم بمرسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى
فسمي ذا الكفل ثم انهم تولدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنفصت مدينتهم وتأذوا
بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم إلى أجدادهم فارحمي الله تعالى إلى بشر أماعلم قومك أن اختيارى
لهم خير من اختيارهم لأنفسهم ثم انهم ردوا إلى أعمارهم فأتوا بأجدادهم قال بذلك كثرت الروم حتى يقال ان
الدينار هم خمسة أسداسها للروم وسدسها لآلهم فسموا آلهم بدم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم
عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمي ذا الكفل مقبلا بالشام حتى مات وكان عمره خمسا
وتسعين سنة والله أعلم

(بحسب ما في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أحم شعيبا الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب
بن صيفون بن عياف بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن شيجر بن
مدين بن ابراهيم واسمه بالمرىانية يترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أمي فذلك
قوله تعالى أخبارا عن قومه وانزاله فينا ضعيفا أى ضربا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه وان الله تعالى بعثه نبيا إلى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر المتلف (يقال قتادة) بعثه
الله تعالى إلى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس
وتطفيف في المكيال والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استندراجا منه
لهم فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها في
الاعراف فأوقوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك انهم كانوا يجلسون على
الطريق فيخبرون من قصد شعيبا يؤمن به انه كذاب فلا يفتك عن دينك وكأيت وعدون المؤمنين
بالتل ويخوفونهم (قال السدي) وأبورق كانوا عشارين (قال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق
(وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي خشية على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته
ولاشئ الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا ما ملأ أقوام من أمك يعمدون على الطريق فيقطعونه
ثم تلا ولا تقدموا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى
في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان بما نهم عنه شعيب وعذبوا
لاجله قطع الدنياير وذلك قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلنا لك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا إلى قوله الحليم
الرشير أى السفه الغاوى وهو على الضم كما يقال للخبثي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز
الكريم (قال ابن عباس) رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثرت فسادهم وقل صلاحهم دعا
عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاه فيهم فاعلمهم

بالرجة وهي الزلزلة عن الكبي ويقال بالصيحة وبذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذوا بنفاسهم فدخلوا في اجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانزعجهم الحر فخرجوا هاربين الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فظلمتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فتنادى بعضهم لبعض فاجتمعوا تحت السحابة اهلهم الله عليهم ناروا رجعت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في الخفى فصار وارمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثين كان لم يفتوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغني ان رجلا من اهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيه المذاب اقشعر جلده وقال يا قوم ان شعبيا مرسل فذروا * عنكم شعيرا وعمران بن شداد انى ارى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنأة الوادى فانه ان يرى فيها ضياء غدا * الا الرقيم يمشي بين انجاد وشعر وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبيد الله البجلي أبو جاد وحطبي وهوزو كنهن وسعفص وقرشت أمماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة في زمن شعيب كهن فقالت أخت كهن تبكيه حين هلك

كهن هدد ركني * هلك وسط الحلة
سيد القوم أناه السجف نارا وسط ظله
جملت نارا عليهم * دارهم كالمضجحة
قال الله تعالى الذين كذبوا شعبيا كان لم يفتوا فيها الذين كذبوا شعبيا كانوا هم الخاسر من أى لهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة

(مجلس في ذكر صفى الله ونجييه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على ابواب)

(الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذا كرفى الكتاب موسى انه كان خالصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن بصير ابن قاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير المصنفين ولدي يعقوب لاوى وقدمضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح زانية بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهت ثم ان قاهت بعد ان مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح قاهى بنت معين بن تنو يل بن الياس فولدت له بصير بن قاهت فنكح بصير بن قاهت سميت بنت يتادم بن بريكا بن يشمان بن ابراهيم فولدت له عمران وقدمضى له من عمره ستون سنة وكان عمر بصير مائة وسبعما وأربعين سنة فنكح عمران بن بصير نجيب بنت شمو يل بن بريكا بن يشمان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم أمهما فقال ابن اسحق بن نجيب وقيل ناجية وقيل بوخايل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وجماعة ثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقدمضى من عمره سبعون سنة والله أعلم

(الباب الثانى في ذكر مولد موسى عليه السلام)

(قال أهل التاريخ) لمات الرمان بن الوليد فرعون صاحب مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولي يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعا يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف فى مأسكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك

يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجب من ذلك واحببت ان اعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغدا حضرت الموكل به ولبست ثيابه وكأنت نفسي بذلك فاجاء وقت صلاة الصبح أوه الى بانه ير بد الصلاة ويدفع الى الدينار على عادته فاشتريت اليه وقلت له ما أخذ الا دينارين فقال نعم فاطلمته يصلى فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الى الدينارين فازدت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أوما الى الكلمة الاولى فقلت له ما أخذ الا خمسة دنانير قال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى خمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر اشار الى كعادته فقلت له ما أخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى عشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب اشار الى كعادته فقلت له ما أخذ الا خمسة عشر ديناراً فقال نعم فلما فرغ دفع الى ذلك فلما جاء وقت العشاء الاخرة أوما الى فقلت له لا أخذ الا عشرة دنانير ديناراً فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشرتين

دينار وقال اطلب ماشئت

فان سيدي غني كريم لا
يبدل على امرائه قال فبت
تلك الليلة متفكرافي امره
هـ: حبها بمرارته منه وقد
داخلني منه هبة وامر عظيم
وعلمت انه من اولياء الله
اتالى فلما اصبحت دعوته
لاحضرو عندي ثم اكرمه
وفكرت قيوده وراسته
ثوباحسان وعظمته وبجلته ثم
قلت ليا سيدي هل لك في
الاقامة عندنا في بلادنا
وانت في اعز مكان واكرم
نمل ونكرمك غاية الاكرام
أو الرجوع الى بلادك
فاخار الرجوع الى بلاده
فاحضرت له زادا وحملته
بنفسي على بغل وانفذت
معه من اصحابي وغلمانى
عشرة رجال ووصيتهم
بإصعاله الى بلاده معظما
مكرما وان لا يمتدحه
عارض ولا يؤذيه أحد
ويتناولوا جميع ما يمرهم به
وبفعلوا جميع ما يخافونه
احضرت دواة وقرطاسا
وجعلت له علامة ببنى
وبينه وقلت لادعانه اذا وصل
الى بلاده سالما يكتب تلك
العلامة في القرطاس خوفا
عليه في الطريق ثم ردعته
وحملته بنفسى فقال لي
توفاك الله على احب الاديان
اليه فوالله يا ابن الفضيل
ما استم كلامه حتى وقع في
قائي حب الاسلام قال

بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراته بن روان بن عمرو بن قازان بن عملاق بن
لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وداغني من قابوس وأكبر وأفخر وامدت أيام ملكه وأقام
بنو اسرائيل بمذوفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت المائلة وهم على بقايا من
دينهم مما كان يوسف وبعثوا واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام وتمسكون به حتى كان
رعون موسى الذى بعثه الله اليه وقد كثر ناسه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أتى على الله ولا أعظم
فولوا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرافي ملكه ولا أسوأ ملكا بنى اسرائيل منه وكان يذمهم ويستعبدهم
وجدهم خدما رخوا لوصفهم في اعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة
ومن لم يكن اهلا ليعمل فلبه الجزية كما قال الله تعالى يسوءكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون منهم امرأة
يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنهم خيار النساء للمعدودات ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد
ابن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فسلمت على يد موسى قلائد من اهل مصر الثلاثة
آسية وحزقيل ومريم بنت تاهموسى التى دامت موسى على قبر يوسف عليه السلام قال فرعون فيهم وهم
تحت يده عراطو يلايل انه ارى بئس سنة يدهم سوء العذاب فلما اراد الله ان يفرج عنهم بعث موسى عليه
السلام وكان بد ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله ان فرعون رأى في منامه كان نارا قد اقيمت من بيت
المقدس حتى اشتعلت على بيوت مصر فاحرقتها واحرق القبط وترك بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة
والسحرة والمعرين والمنجيين فسألهم عن رؤى ياءة الواليد بنى اسرائيل غلام يسابك الملك ويغلبك على
سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويدل بك وقد اظلام زمانه الذى يوجد فيه قاهر فرعون يقتل
كل غلام يولد في بنى اسرائيل فجمع القوابل من النساء من اهل مملكته وقال لمن لا يسقط على ايديك غلام
من بنى اسرائيل الا قتلته ولا جارية الا تركتها وكل من وكلها وكلها وكلها وكان يفعل ذلك قال مجاهد لقد بلغني انه
كان يامر بالقصبة فيشق حتى يجمل امثال الشفار ثم يصف بهضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل
فيوقفن عليه فيجرح اقدامهن حتى ان المرأتين نضع ولدها فيقع من بين رجلين اقتضل نطأ وتفتي به حد
القصبة عن رجلها لما بلغ من جهدها وكان يقتل النملان الذين في وقتها ويقتل من يولد بدمه ويعذب
الحبالى حتى يعضن مافي بطونهن واسرع الموت في مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون
وقالوا له الموت قد وقع في مشايخ بنى اسرائيل وانت تدبح صفارهم وتعيث كراهم فيوشك ان يقع العمل
عليها فامر فرعون بذبج ان ولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها احد فترك وولد موسى
في السنة التي يذبحون فيها قال فولدت هرون امه عالانية آمنة فلما كان في العام الذي امر فيه بقتل الولدان
حملت موسى فلما ارادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فاروح الله تعالى اليها ان ارضه به فاذا اخفت
عليه فالقيه في اليم الى قوله المرسلين فلما وضعت في خفية قارضته ثم انها اتخذت لها نابتا وجعلت مفتح
انابوت من داخل رجلمه فيه قال مقاتل وكان الذي صنع النابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان
من برى فالتخذت ام موسى النابوت وجعلت فيه قطنًا ملحوجا ووضعت فيه موسى وصرت راسه ثم القته في
الذيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها اتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت في نفسها ماذا صنعت فاني لو ذبح
عندي ورأيت وكفنته كان أحب الى من ان القيه يردى في البحر وادخله الى دراب البحر ثم عصمه الله تعالى
وانطلق الماء موسى يرفه الموج مرة ويخفقه اخرى حتى ادخله بين الاشجار عند اذ فرعون الى روضة
هي مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون في داخل بيته فخرجت جوارى
فرعون يفتنن من ويستعين فوجدن انابوت فاخذته وظنن ان فيه مالا فحملته على حالته حتى ادخلته الى آسية

وكان مسيرة بلده من بلادنا
 خمسة ايام ذهابا وخمسة ايام
 ايابا فلما كان يوم السادس
 قدم على اصحابي وغلباني
 ومعه القراطس بخطه
 والعلامة التي كانت بيني
 وبينه فسامتهم عن سرعة
 مجيئهم فقالوا ما اخرجنا من
 عندك وهو معنا ومعه الى
 بلاده في ساعة واحدة من
 غير تعب ولا نصب فلما
 رجعنا سرنا في الطريق
 خمسة ايام بالجد والتعب
 والنصب فقلت عند سماع
 ذلك منهم أشهد أن لا اله الا
 الله وأن محمدا رسول الله وان
 دين الاسلام حق ثم
 خرجت من بلاد الروم الى
 بلاد الاسلام وصار امرني
 الى ماترى والحمد لله وحده
 (حكى عن بعضهم عن الله
 عنه) أنه قال كان في
 زمن خلافة ماوية بن أبي
 سفيان رضي الله تعالى عنهم
 امرأة عذوبة وكانت لها
 ثلاث بنات فضاق الحال
 عليها وشهت بها الفسق
 فبكت بناتها يوما من الايام
 من المالجوع فقالت المرأة
 لبناتها الصبرن حتى اطلب
 لكن شيئا من عند القاضي
 من بيت الالهين قال
 فضبرت بناتها عند سماع
 ذلك منها الى الصباح ثم
 مضت الدتن الى بيت
 الماضي فلما وصلت
 استأذنت في الدخول

لما فاجتته رأيت فيه الغلام فاني الله تعالى عليه بحبة منه فرحمته آسية وحبته حياشيد فلما سمع الذباحون
 بامر اقبالوا على آسية بشجارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا الابن يدعي بني اسرائيل
 فانا آني فرعون واستوهبه اياه فان وهب لي كتمت قد احسنتم وان امركم بذبحه فلا لكم ثم اثم اتت به فرعون
 وقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسي ان ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك اما ان لا حاجه لي فيه قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والذي يحلف به لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين كما اقرت لهداه الله تعالى به كما هدى
 به امرأته واسكن الله تعالى حرمة ذلك قال فاراد ان يذبحه وقال اني اخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وان
 يكون هذا الذي هلا كنا على يده وزوال ملكنا فلم تنزل آسية نكاهه حتى وهبه لها فلما امنت آسية أرادت
 ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشي الشجر
 فعرّب فقيل موسي (اخبرنا) ابن فتحويه اخبرنا محمد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علو بن اخبرنا اسمعيل بن
 عيسى اخبرنا ابن شير اخبرني جو يبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر
 استظالوا على الناس وعملوا بالماضي ووافق خيارهم اشرارهم ولم يروا بالعرف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله
 عليهم القبط فاستضعفوه وساموهم سوء العذاب وذبحوا ابناءهم قال ابو الياس قال وهب بلاني انه ذبح
 في طلب موسي سبعون الف ولد قال ابن اسحق عن ابن عباس ان ام موسى لما قربت يلاذتها وكانت تالها من
 الغوايل التي وكان فرعون يحبالى بني اسرائيل مصا في لأم موسى فلما ضربها لطلق ارسلت اليها ام موسى
 فقالت نزل بي منازل فلينمني حرك اياي فتاة لهنم فالت قبالة لها فلما وقع موسى على الارض اضماه
 نود بين عيني موسي فارتش كل مفصل منها ودخل حب موسي في قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين
 دعوتني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لا ينك هذا حبا ما وجدت حب شيء
 مثله فاحتفظي ببنك فاني اراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العبرين فجاء الى بابها
 ليدخل على موسى فقالت أخته يا أمه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تقبل ما تصنع به خوفا على موسى
 فلقت موسى في خرقه والفتة في التور وهو مسجور وكان ذلك الها ما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبد موسى
 فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لها اللون ولم يظهر لها ابن فقالوا لها ما دخل عليك هذه العالبة قالت
 هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى ابن الصبي قالت
 لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت فوجدته قد رجم الله تعالى عليه النار يروا سلا ما فاحتملته
 (قال اسحق) بن بشر عن جو يبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان ام موسى لما رأت الخاف فرعون
 في طاب ولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا ثم تغدق في البر وهو النبل فانطلقت
 الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها التجار ما تصنعين بهذا التابوت
 فقالت اخبأ فيه ابناي وكرهت ان تكذب قال ولم قالت اخشي كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته
 وانطلقت النجار الى الذباحين ليذبحهم امرها فلما بال الكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يبشر
 بيده فلم تدرك الامناء ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضر بوه فضر بوه واخرجه فلما انتهى النجار الى
 موضه رد الله عليه لسانه فكلهم فانطلق ايضا بالامانة فاتاهم ليذبحهم فاخذ الله تعالى بلسانه وبصره
 فلم ينطق الكلام ولم يضر شيئا فضر بوه واخرجه فوقع في وادي بهو فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان
 رد له لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره
 فخرته ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فامن به وصدق فانطلقت ام موسى به والقة في البحر وذلك بعد
 ما راضته ثلاثة اشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان

لها كل يوم ثلاثة حايات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر
 والحجرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك اننا لنرى برأها لان من قبل البحر شيء في خدمته شبه الانسان
 فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة
 كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه
 امرأته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون وجواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها
 يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك اذا قبل النيل بالتابوت تضرب به الامواج فقال فرعون
 ان هذا النقي في البحر قد تعلق بالشجر اتوني به فاقترب من كل جانب بالرفق حتى وضموه بين يديه فلما جلا
 فتح الباب فلم يقدر واعليه وعالجوا كره فلم يقدر او فدنت منه آسية فأتت في جوف التابوت نور الميزه
 غيرها للامر الذي اراد الله تعالى من اكرامها وهذا يتها فمالجته ففتحت التابوت فاذا هي بصبي صغير في هذه
 والنور بين عينيه وقد جمل الدرزة في ايهامه بمصه منها البنا فالقي الله تعالى بحبة موسي في قلبها واحبه فرعون
 وعطف عليه واقبلت بنت فرعون عليه فلما اخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من
 ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فالت الغواة من قوم فرعون ايها الملك اننا نظن
 ان المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا المرم في البحر اواقله فهم فرعون يقتله فاستوهبته منه
 آسية فوهبه لها ثم ان قال سميه فقالت قد سميت به موسى لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم انم دوسى قالت
 لاخته وكانت تسمي مريم قصيه اى اتبعي اثره واطا بيه هل تسمين له ذكر اى هو ام قد اهلكته دراب
 البحر ونسيت وعاد الله فصرت به على جنب اى عن يمينه وروى لا يشرون انها اخته وكانت آسية قد ارسلت
 الى من حولها من كل اشي به ابن اختار له ظئرا ترى به موسى فيجمل كما اخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل بينها
 حتى اشفقت آسية ان تمنع من اللبن فيموت فاحزنه من ذلك فامرته بما خرج الى السوق لتجمع عليه الناس
 ترجوان تصيب لظئرا يقبلها ياخذ منها ويضع منها فلما لم يقبل لذي امرأة فذلك قوله عز وجل وحررنا
 عليه المراضع من قبل فقالت اخت موسى حين اعياهم امره واعيا الظئرة هل اذلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
 وهم لا ضجون فاخذوها وقالوا لها ما يدرك يصحهم له ولولمك قد عرفت هذا الغلام فلدنيا على اهل بيت فقالت
 ما اعرفهم وانما يصحهم له وشفقتهم عليه من اجل رغبته في ظئرة الملك ورجاء منفعة فتركها فانطلقت الى
 أمها فاخبرتها بالخبر فانت فلما وضعتته على نرسها في حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملا جنبه فاطلق البشير
 الى آسية يبشرها ان قد وجد نالا بك ظئرا فارسلت اليها فاتي بها فلما رأت ما يصنعها قالت لها امك شي عندي
 ترضى ابني هذا فاتيها احب شيئا مثل حبه قط فقالت لا استطيع ان ادع ابني وولدي فضيعه وان طابت
 نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي وولدي فيكون معي ولاولى له الاخيرا فملت والافاني غير تاركة بيتي
 وولدي وتذكرت ام موسى ما كان الله وعدها فاعتسرت على امرأته فرعون وايقنت ان الله سبحانه وتعالى
 منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسي عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها
 وذلك قوله عز وجل فردناه الى امه كي تفرغتها ولا تحزن فلما اجاءت به امه الى بيتها كادت تقول هو ابني
 فمعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتدعي به لولا ان ربنا على قلبها لتكن من المؤمنين وانتم
 الله بنا احسانا وحفظه فلما اترعرع قالت آسية لام موسى احب ان تريني اني فوعدها يوما ترى اباها فيه فقالت
 آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منك واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاتي باعقة ميامينة تحوي
 ما تصنع كل قهارمته منك فلم تزل الهدايا والتحف تسبقه بله من وقت ان اخرج من بيت امه الى ان دخل على
 امرأة فرعون فلما ان دخل عليها اكرمته وفرحت به واعجبها ما رأت من حسن اثرها عليه ثم قالت لها انطلقى

قد دخلت وسلمت على
 القاضي فرد عليها السلام
 ثم قال ما حاجتك يا شريفة
 فقالت له ياسيدي اني
 ثلاث بنات وقد تركتهن
 بالجوع ويحزن اليك لملك
 ان تصدق عليا بشي من
 بيت مل المسلمين قال فلما
 سمع القاضي كلامها قال
 لها غدا اعطيك شيئا قال
 فخرجت من عنده وجاءت
 الى البنات وهن يبكين من
 شدة الجوع فقالت لهن
 يا بناتي طيبن قلوبكن فقد
 وعدنا القاضي بانها في غد
 يتصدق علينا وان شاء الله
 تعالى غدا ارجع اليه كما قال
 وآتيكم بشي من عنده قال
 فبين ثلاث الليلة مستبشرات
 فلما اصبح الصبح ذهبت
 والدتهن الى بيت القاضي
 فوجدته جالسا على باب
 داره فسلمت عليه فرد
 عليها السلام ثم قالت له
 ياسيدي كنت وعدتني
 بالامس بشي وقد جئت
 طامعة في طلبه فلما سمع
 كلامها اشتتمها ونهرها وقال
 اذهبي عني فرجعت المرأة
 محزنة باكية وجاءت الى
 خراطة كانت مجاورة لبيتها
 فدخلت اليها وبكت بكاء
 شديدا وقالت الهى باي
 وجه ارجع الى بناتي وبأى
 عين انظر اليهن وبأى
 لسان اجيبهن وطال
 بكأوها وزاد تضربها
 واتحاجها قال وكان بالبلد

نصراني يقال له سيدوك
 وكان ذاملا كثيرا وغلمان
 وكان قاهم رقيقا بالاسلام
 فمضي مارا بتلك الحربة
 فسمع بكاء المرأة ونحيبها
 فطاش عقله وقال لبعض
 غلمانها اتوني بهذه المرأة
 فذهب غلمانها اليها
 واحضروها بين يديه فظفر
 اليها ودموعها تجري على
 خدها فقال ما يبكيك ايها
 الشريفة فقلت ان لي
 ثلاث بنات وقد تركتهن
 بالجوع وقصعت عليه
 قصصتها فقال سيدوك
 ادله انه اعطوه الف دينار
 وبدله من النقاش قال
 فاعطوها ذلك فاخذتهم
 المرأة ودعت له بالاسلام
 وذهبت الى بناتها فامثرت
 لهن بدنانير من ألوان
 الطمام ودخلت اليهن
 فاكلن وشعن ثم قالت
 اللهم ارزقه من نعمائك
 في الجنة ففصلت لبناتها
 من ألوان الثياب قال فلما
 كان الليل راي القاضي في
 منامه كان القيامة قد
 قامت ثم اخذ القاضي
 ومضى به الى الجنة ورجي
 به الى قصر على البناء وهو
 من ذهب احمر شراريقه
 من الدر الابيض يضي
 بين كل شرافتين جارية من
 الحور العين اشرق من
 الشمس وابهى من القمر
 فلما راوه صاحوا في وجهه

به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون اخذه ووضعوه في حجره فتناول موسى حلية فرعون حتى
 جنبها ونصف منها بعض شمرات وكان فرعون طو بل الحلية وقال انه اطعم وجهه (وفي بعض الروايات) انه
 كان يلبس بين يدي فرعون وبيده قضيب صخر فضر به على راس فرعون فغضب باسدا ودار تطير منه
 وقال هذا عدوي المطلوب فاسل الى الذابحين ليدبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسمي الى فرعون
 وقالت له ما يدالك في هذا الصبي الذي وهبه لي فاقبل فقال له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع
 هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك امراتك به الحق واضع له حليما من الذهب والياقوت واضع له
 جمران اخذ اليها ياقوت وهو يعقل فاذبحوه وان اخذ الجمره علمت انه صبي ثم انه وضعت له طافية للذهب
 والياقوت وطافا آخرته الجمر فهدموسي بده على انه اخذ الجواهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام
 يده الى الجمر فقبض على حجره ووضعها في فيه فجاءت على اسنانه فاحرقه وذلك الذي قال في قوله تعالى واحمل
 عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية الانزي الى فوله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه
 ذلك السوء فلم يزل عزبزا مكروما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلامهم حتى كان يحبه كل من يراه
 (ويروى) انه سئل ابليس هل احببت احدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له
 وكيف ذلك قال لان الله تعالى قال واثقت عليك محبة بني فقامت تلك احبة

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بجودة وعلم
 وكان اطول من موسى وكان على اسد مشامة وعلى طرف لسانه ايضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران
 رجلا آدم اللون حنوطا وبلا كانه من رجل ازدي شنوءة وكان بلدا من موسى عدة وقتل وسرعة وبجولة
 وكان ايضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر ووروده مدينا)

قال اهل التفسير بالغ موسى بن عمران اشده كان يركب مراكب فرعون ولبس ما لبس فرعون وكان
 يدعي موسى بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسحر التي كانت فيهم ولا يعلم
 الناس ان ذلك الامن قبل الرضاة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاءه موسى
 قيل له ان فرعون قد ركب مركب موسي في اثره وادركه المقييل بارض يقال لها منصف فدخلها فنصف النهار
 وقد اغلقت اسواقها وليس في طريقها احد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من
 اهلها فابنواها يمشي في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان احداهما نبي اسرائيل والاخر من آل فرعون
 كما قال الله تعالى فوجد فيهما رجاين يقتتلان هذان من شيعته وهذان من عدوه الآية والذي من شيعته يقال له
 السامري والذي من عدوه من رجل من القبط كان خبازا لفرعون واسمه قاتون وكان قد اشترى حطب الايام طبخ
 فيخرا السامري ليحمله فامتنع السامري فلما راهم موسى استهانه السامري على القبطي فقال لموسى القبطي
 دعه فقال الخباز لموسى انما اخذته في عمل ابيك واين ان يخلى سبيله فغضب موسي فبطش به وبخاص
 السامري من يده فنازع القبطي فوكزه موسى فقتله وهربا لا يدقه له فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فضي
 عليه قال موسي هذان من عمل الشيطان انه عدو مبطل مبین ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فقوله انه
 هو العفور الرحيم (وقال رهب) اوحى الله الي موسى بن عمران وعزقي وجلالي لو كانت النفس التي قتلت
 اقرت لي طرفه عزني اني اله خالق رازق لا زلتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تنفري ساعة واحدة
 اني اله خالق رازق قاروا ولما قتل موسي القبطي لم يرها الا الله تعالى والاسرائيلي فلما قتله اصبح في المدينة

وكان لك هذا القصر وهذه الجنة بما فيها من النعيم المقيم والانصراف لسيدوك النصراني ثم طردوا القاضي واخرجوه من الجنة وأروه مقامه في النار قال قائله القاضي فزعا مرعوبا وهو يقول يا بولته على ما فرطت في ثم خرج من وقته مسرعاً حتى جاء إلى بيت سيدك النصراني وطرق عليه الباب فخرج له غلام من غلمان سيدوك النصراني وقال من الباب فقل للقاضي فرجع الغلام وأخبره وولاه القاضي باباب فأنزل له بال دخول فدخل فلما رآه سيدوك رحب به واجلسه وقال ما حاجتك في هذا الليل فقال له القاضي هل علمت من خير في هذه الليلة فقال سيدوك اني بتي في هذه الليلة سكران في اين لي فعل الحية قال فلم يصدقته القاضي وقال الذي علمته في هذه الليلة بشيء بالث ديار فقال سيدوك حرصاً على هذه القضية اخبرني حتى ابيك قال فآخبره القاضي بما رآه في منامه وما وقع من القاضي فلما سمع سيدوك النصراني هذه الروايات قام على قدميه واغشى بلبس ثوبه باجدة وجلس بين يدي القاضي

خائفاً يترقب الاخبار فأتوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذلنا بحقنا ولا نرخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقائله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم ان يقضي بغير بينة ولا يثبت ذلك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فيبئناهم يطوفون لا يجدون بينة اذ امر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعوناً فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسى وهو نادى على ما كان منه بالامس ففكر الذي رآه فغضب موسى فشدده وهو يزبدان يطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي انك اغوى مبين ففر الاسرائيلي من موسى وظن انه يطش به من أجل انه اغفل عليه في الكلام وكان غضبان فلما قبل انصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقل له يا موسى اتر يدان تفتان كما قتلت نفسك بالامس الآية وما قال ذلك مخافة من موسى وظن ان يكون موسى اراده ولم يكن اراده وانما اراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلي وذكر ان موسى هو الذي قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العذر العاقل احرى عليك من الصديق الاحق ويشد في معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * احرى عليك من الصديق الاحق

قال فلما اخبر فرعون بذلك ارسل المذبحين وامرهم بقتل موسى وقال لهم اطالبوه فانه غلام لا يهتدى الى الطريق فطاب موسى في ذنابات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقول له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان ازل من صدق موسى وآمن به (ويروي) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب التجار صاحب بس وعب بن أبي طالب كرم الله وجهه والجنة وهو افضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما امر به فرعون من قتله واخصر طريقه فاباح حتى سبق المذبحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاءه رجل من أقصى المدينة يسمى قال يا موسى ان الملا يأمرك بك ليقبلك فخرج جاني لك من الناصحين فحجر موسى ولم يدر اين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فأتبعه فهداه الطريق الى مدين (ويروي) عن سيد بن جبيرة عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبندهما مسيرة ثمان ليال وبقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طام الاورق الشجر فواصل اليها الا وقد وقع خفف قدمه وان خضرة ايقول اترى من بطنه

(الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شبيب ابنته اياه)

قالت العلامة لما انتهى موسى الى ارض مدين في ثمان ليال نزل في اصل شجرة واذ تحتها وى الى قال الله تعالى ولم يورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراةين تزدوران اى تحبسان اغناهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لانا امران وضعفنا لانقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا واشبههم ستمنا اغناهما من فضول حاجتهم وما بقي من حياضهم او نواشيتهم كبير تعيننا شيئا (ويروي) حماد بن سلمة عن ابي حنيفة عن ابن عباس قال سمعنا ابا امرأته موسى الذي استأجره ثبرون صاحب مدين ابن اخي شبيب النبي عليه السلام واسم احدى الجارتين ليا ويقال حنونا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما قال ذلك لموسى رجحما وكان ذلك بعزى على راسه صخرة عظيمة وكان الثغر من الرجال يحتمون اليها حتى يرفوها عن راسها وحكى الاستاذ ابو سعيد عبد الملك بن ابي عثمان الواعظ ان تلك البئر غير التي تسمى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرجع موسى الصخرة عن راسها واخذوا لهما وقال لهما قوما غنمكم فبقي لهما اغناهما حتى اروها فرجعت الى ابيهما سر بما قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب اني لما نزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء

ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا
رسول الله ارسله جاءنا
بالحمدى ودين الحق
قال فخرج القاضي من
عنده باكرين بانظار
ياخى الى البخل كيف
جعل القاضي من اهل النار
لجعله وجهل التصرف
من اهل الجنة بكرمه وخم
له بالخير والاسلام اعجب
هذا وما احسنه (وحكى
عن دى النون المصرى
رضي الله تعالى عنه) انه قال
بينما انا على شاطئ
النيل اذ رأيت عقربا
يشى فاخذت حجرا
واردت قتله فهرب منى
مسرعا حتى وقع في البحر
فخرجت اليه ضفدعة
قوبت المقرب على ظهرها
ثم عادت به حتى طلمت
الى الجانب الآخر وانا
انظر اليها فتعجبت من
ذلك وتبعته فلما نزل
المقرب عن ظهرها سار
حتى اتى الى مكان فيه
رجل نائم سكران وقد اتى
اليه تين عظيم يري ان
يلذعه فامسح اليه ذلك
المقرب ولدغ التين فقتله
فازدت تعجبا ثم حمدت
الله سبحانه وتعالى ورجعت
الى ذلك الرجل فانقذته
فقام من نومه فزعا مرعوبا
فلم اراى التيمان ولى هاربا
فقلت له لا تخف قد كفيت

انسان. ينظر الى خضرة امعته من شدة الجوع لنظرها وماسأل الله تعالى الا اكلمة وقال ابو جعفر محمد
الباقر اغد قالوا انه يحتاج الى شق مرة قالوا انما ارجعنا الى ابيهم ما قال لهما ما اعجلكم وانتم عروا حكا ليلية
قالوا وجدنا رجلا جالسا لحرف جملنا فاسقى لنا غنما فقال لاحدهما ان هبى فادع الى فجاهته احدا من اهل البيت
تزوجها موسى وهى تمشى على استحياء فقالت له انى يدعوك ليجزىك اجر ما سميت لنا فقال موسى
فتقدمته وهو يلهاى يدهم فابت ربح فالصقت ثوب المرأة بردفها فذكره موسى ان يري ذلك منها فقال لها
موسى امشى خلفى ودليني على الطريق قائدا فخطت فارمى قدامى بحصاة حتى اتمج بها فابني بمقوب
لا تنظر الى اعجاز النساء فتمت له الطريق الى منزل ابيها ومشت خلفه حتى دخل على شبيب فقال شبيب
موسى عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهى التى كانت
الرسول الى موسى يا ابت استاجرنا خير من استاجرت القوى الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم
أصدق النساء فراسة امرأتان كذبتا فخرسا فى موسى فاصابا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرعة عين
لى ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شبيب حيث قالت يا ابت استاجرنا خير من استاجرت القوى الامين
وانما قالت القوى الامين لانه ازال الحजर العظيم الذي لا يرفه الا ارباب رجلا فقال لها ابوها هبك انك
عرفت قوته فما اعلمك بامته فاخبرته بامرهما موسى من استنابها رايه الطريق فازداد فيه شبيب رغبة
فقال انى اريد ان نكحك احدي ابنتي هاتين على أن تاجرني ثمان حجيج الى قوله من الصالحين أى في
حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بيني وبينك أيا الاجلين قضيت الآية (وروى)
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الاجلين قضى موسى قال اكلمها وفضلها وروى انه قال
قضى ارفاها وتزوج بصغراهما

*) (الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى و بده امرها) *

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ان شعيبا امر ابنته ان
تاتيه بمصا عليه موسى فستعين بها في رعايته فجاهته بصدا وكانت ثلاث العصا ودية عنده دفعها اليه ملك
على صورة رجل فردها عليها شعيب وامرها ان تاتيه بمصا اخرى فبالزج وتاتيه بها بهينها لانها
كانت كذا ردتها الى مكانها وادارت ان تاخذ غيرها سقطت هي في يدها فلما زالت كذلك حتى اخذها شعيب
واعطاها موسى فلما اعطاها اباه اندم على ذلك لانها كانت ودية عنده فقال لشبيب رد على العصا فاني اريد
يردها عليه فتنازعوا الى ان شرطوا على انفسهما ان يرضيا حكم اول رجل يدخل عليهما فانهما ملك يمشى
فتعجا كايهما فقال ضمها على الارض فن حملها في له فوضعا موسى على الارض فعلا لجم الشيخ فلم يطق حملها
فاخذها موسى بيده فرففها فلما راى شعيب ذلك تركها له وفي رواية اخرى ان موسى لبث عند شعيب ماشا
الله ثم استاذنه في الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من الهوى تكون معك تدرك بها السباع
عنك وعن غنمك وكانت عصا الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت
في يده فخرج به فقال لشبيب ردوها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد اخبر بالمرعصا ولم يدرك شعيب ان
صاحبها هره موسى فردها موسى الى البيت قالها هوزبها لياخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك
مرارا فقال لشبيب الم اقل لك خذ غيرها فقال موسى قدر دنتها مرات فكلما فلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي
فلم شعيب ان ذلك امر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجها ابنته ورعى له موسى عشرين سنين
وولد لموسى اولاد من ابنة شعيب * قالوا ولما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب
يزوره في كل سنة فاذا كل قام موسى على رأسه ثم بكسره الحبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل (وقال)

شهر ثم قصصت عليه
 القصة فاطرق راسه ساعة
 ثم رفعها وقال يا رب هكذا
 تفعل عن عصاك فكيف
 بمن اطاعك ثم قال وعزتك
 وجلالك ماعصيتك بعد
 هذا اليوم ابدانك ولي نائباً
 الى الله تعالى رحمة الله تعالى
 عليه (وحكى عن ذي النون
 المصري ايضاً رضى الله
 تعالى عنه انه قال بينا انا
 طائف بالبيت الحرام سنة
 من السنين اذ نظرت الى
 شاب في الطواف من
 احسن الناس وجهاً وعليه
 مدرعة من الصوف وهو
 يضحك في طوافه ويقول
 يا مولاي هذه حضرة من
 يفخر بمزك ولا يباس
 بسواك قال ذو النون
 قد نوت منه رسالت عليه
 وقالت حبيبي ومن الذي
 تقى بهذا الكلام وانه
 يفخر فقال يا عم انظر الى
 صاحب هؤلاء المبيد
 والبلدان فنظرت فاذا
 بشاب جميل وهو عشي
 ويدخر في مشيه واثابه
 تجر على الارض فقات له
 يا حبيبي ومن يكون هذا
 الشاب فقال يا عم هذا عبد
 لاهيرمك يفخر بكونه عبد
 لاهيرمك فكيف لا يفخر
 وانا عبد الملك المنال الذي
 اميرمك عبده والاطمين
 واهل السموات
 والارض تحت قضائه

مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما
 قدم مكة عبدالله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شئ من الجنة
 وضمه الله للناس وعن أول ما وضع في الارض وعن أول شجرة غرست في الارض فسل عنها فقال
 عبدالله أما الشئ الذي وضمه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا اترك الاسود وأما أول ما وضع
 للناس في الارض فبئر بروهت باليمن بردها وراح الكفار وأما أول شجرة وضمه الله الى في الارض
 فالومسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعباً قال صدق الرجل فلي هذا القول انما اقتطع
 موسى عصاه من تلك الشجرة فأظفر الله فيها قرنه ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب
 الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله
 وماعلى بها ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه
 ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدى به اسمعيل
 وعصا موسى حيث ألغها فصارت نعباً * وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان
 طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صغاراً عن كبر الى أن
 وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واختاب العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبيرة اسمها مسار وقال مقاتل
 ابن سليمان اسمها نقة قال ابن حبان اسمها غايت وقال آخرون اسمها علق

(الباب السابع في صفة التائب التي كانت في الموصى)

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان امصا موسى شعيبان ومجمن في أسفل الشبتين وسانان حديد في
 أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قرضى شعيباتها كالشبتين من نار تضيئان لهمد
 البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمد على قدر قمر البئر وبصر في رأسها شبه الدلو فيستقي بها
 واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتى فأكه من الفواكه
 غرسها في الارض فنخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتى موسى فأكتها وأعرت له من ساعتها ويقال
 كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها في الارض غاورت وأعرت وأطمت وكان يأكل منها
 اللوز وكان اذا قابل بها عدوه يظهر على شعيبها تينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب
 المرتقي وعلى الحجر والشوك فتخرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بالاسفينة ضرب بها
 عليه فاقلق وبدل فيه طريق منفرد وكان يشرب من احدى شعيبتي العسل ومن الاخرى اللبن وكان
 اذا أعيا في طريقه ركبها فتجعله الى أى موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق
 وكانت تقايل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيطيب وبطيوبه واذا كان في
 طريق فيمحصو صياف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا
 وكذا وكان يهش به على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات وازاد اسافر وضمه على عاتقه
 وعاق عليها اجازته ومتاعه ومخلاته ومقلامه وكماءه وطعامه وشربه قال ابن حبان قال شعيب لموسى
 حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه رعاها اذهب هذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك
 ولا تأخذ على يمينك وان كان السكائبها أكثر فان هناك تيننا عظيماً أخشى عليك وعلى الاغنام منه
 فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتمعت موسى أن يصرفها
 ذات الشمال فلم يطمه فخلاها على مائده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا بالتين قد جاء فقامت العصا
 فحار به فقتلته وأنت فاستلفت الى جانب موسى وهى دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية

وقدره قال ذو النون
قد نوت من ذلك الشاب
المعجب بنفسه وقلت له
يا هذا كم تبتخر وتأت عبد
لامير مكة وهذا الشاب
متأخر وهو عبد مالك
المير - سموات والارض
ويحسك تأخر عنه فهو
احق بالقدس منك
فطوبى لك لو كنت مثله
قال فظاف الشاب
صاحب المدرعة الصوف
وظاف الشاب الآخر
وذهب الى بيت وقد أثرت
فيه المونة فاشتري نفسه
من سيده امير مكة وتصديق
بجميع ماله ومانعه لكي يده
وليس مثل ما كان على
الشاب صاحب المدرعة
الصوف وأقبل يطوف
بالبيت في اليوم الثاني قال
ذو النون فلما رأي قال
يا سيدي أنا مرفي فقلت
من أنت مرحك الله قال أنا
الذي كنت بالامس افتخر
بعبودية امير مكة فانا اليوم
أفتخر بعبودية ملك
السموات والارض ثم قال
يا سيدي اترى مولاي
يقباني على ما كان مني من
تلك الذنوب قال ذو النون
فقلت نعم أبشر فانك اليوم
حبيب رب العالمين أما
علمت انه ملك يدعو
المدرين عنه فكيف
بالمؤمنين عليه فقال الشاب
الا كن طيبا قبي ابدما

والثنين مقتولا فلم موسى ان في تلك المصا قدرة وعرف أن لها شأنا فمذه ما تذب موسى اذا كانت في
يده * وأما ان ألقاها فيرى انها كانت تغلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على
أربع قوائم فتصير شمتها فسا وفيه انا عشر نابا بخرسا لها صرير وصري يخرج منها الهب النار
وتصير محجها عرفا لها كأمال النار تلتهب وعيناها لثمان يكاليع البرق تهب منها رياح السموم فلا
تصيب شيئا إلا حرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوباء فتبتلها حتى ان الصخر في جوفها لثمة مقع وتغر
بالشجر فتقتصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلها وجعلت تلتطع وتترجم كأنها تطلب شيئا يأكله وكانت تكون
في عظم الثعابين وفي خفة الجان وابن الحية وذلك وافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع
فأذا هي ثعابين مبين وفي موضع آخر كأنها جان وفي موضع آخر فأنها حية تسمى

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى
فروع واستمانته باخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فروع لتبليغ الرسالة)

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الاية قالت العلماء اسمعوا لآيائه ما ورد موسى أرض مدين
وأنى عليه من يوم رده تسع سنين قال له شعبه ابني وهبت لك لكل الماعز وأبق من نتاج أغنامي التي تضمها
في هذه السنة يعني السنة العاشرة أراد بذلك ميرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فوحي الله الى
موسى ان اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام ففعل موسى ذلك ثم نرى الأغنام من ذلك الماء فما
أخطأت واحدة من تلك الأغنام الا وضعت حملها مرتين مابين أبقى وبقائه فلم تشيب أن ذلك رزق ساقه
الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الأغنام التي وهبها منه وقضى موسى أمم الاجالين
وأرقاهما * فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله منفصلا من أرض مدين وكان في أيام الشتاء ومعه
امرأته وأبنائه وحملها في شهرها لا تدري أن تضع ليلانا هارا فاتفقت في بيرة لتسام عادلا عن المائدان والعمران
مخافة الملوك الذين كانوا بالاشام وكان أكبرهم يومئذ طاب اخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه
سبيلا فسار موسى في البرية غير عارف بطريقها فلما المسير الى جانب الطور الايمن الغربي في عشية شاتية
شديدة البرد واطلم عليه الليل واخذت السماء ترعد وتبرق وتطر واخذ امرأته تطلق فعد موسى الى زنده
فقدحه فلم ينور فتجبر وقام وقد اذ لم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند واخذ يتأمل ما يقرب وما يبعد تحيرا مضجرا
ثم اخذ يتسمع طويلا لم يسمع حسا او حركة فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نورا حسبه نارا
فقال لاهله امكنوا اني آنست نارا لملي آتيكم منها بقميس ارجد على الراهدي يعني من يداني على الطريق
وكان فضل الطريق فلما أتاهارأي نورا عظيما ممتد من عنان السماء الى شجرة عظيمة عنك واختاروا في
تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتجبر موسى وارعدت فرائضه حيث رأي نارا عظيمة
ليس لها دخان وهي تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة
الا خضرة فلما دام موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم قد كرجاجته الى النار فرجع
اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى فانظر فلم
يراجدا فنودى اني انا الله رب المالمين فلما سمع ذلك علم امره به تعالى فتأداه ربه ان ادن واقترب
فلما اقترب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعت بنيه وصار حيا كيت الا ان
روح الحياة تردد فيه من غير حراك وارسل الله اليه ملكا يشد ظهره وبقوى قلبه فلما تاب اليه عقله
نودي فاخلع نعليك انك بالواوي المندس طوي وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله
الا صبهاني قال حدثنا يحيى السدي قال حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا الجاسي قال حدثنا عيسى بن نواس

كان انصدع خزانة الله عنى

خيرا قال زولانون فلما كان
اليوم الثالث طلبته فلم
اجده فسلت عنه فقال لي
رجل امض معي الى بيته
فحضنت معه الى بيت
الشاب فوجدته قسامات
فتألمت عليه أسفا
شديدا ووسلت عنه فقتل
لي انه دخل بيته أمس
وازمجرابه وبكى على نفسه
طول ليلته هذه فاصبح كما
ترى قال زولانون وعظفاه
فاصلحا امره ومليق احد
بكحة حتى حضر جنازته من
الرجال والنساء والولدان
بغير داع لهم وخرجوا
يشيعون جنازته فلما دفناه
وانصرفا من عنده اخذني
البكاء والنجيب عليه فلما
كان الابل رأته في المنام
وهو في احسن صورة
وعليه ثياب من السندس
والاستبرق فلما رأى قام الى
واعنتني وقال يا سيدي أما
تعرفني قالت بلى ما فعل الله
بك قال غفري ونحو زعني
وقال يا سيدي هذه جنتي
وقد أبجتها لك فدونك ما
شئت فانا اليوم في مقعد
صدق عند ملايك مقدر
الايام اتقنا به وبعبادك
الصالحين آمين (وحكى عنه
ايضا رضي الله تعالى عنه)
انه قال ركبت في مركب
بمنة من السنين الى بيت

عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاخلع نمليك قال كانتاه من جلد حار ميت
وفي بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نمليك كي تمس راحة قدميه الارض
التيمة فتقله بركتهم لانها قد تستمرت مرتين وقال سعيد بن جبيرة قال قاله لان الحفوة من انزلات التواضع
والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل النكة لتعصم من بركة الوادي وقال اهل الاشارة للعل
عبارة عن المرأة وذلك تاويله في المنام فقيل له قرع قلبك من شغل امك ثم قال له تعالى تسكنها لقلبه وادهاها
لدهشته وما تلك يمينك يا موسى قل هي عصاي الالية فقال الله تعالى ألقها يا موسى فالتفتها فاذ هي حية
تسمى قد صارت شعبا تهاقمها لم تحببها عرفها في ظهرها وهي في ظهرها الزباب وهي كإساءة الله أن تكون
فأرى موسى امرا فظيما فبلى موسى مدبرا ولم يعقب فنادى به تعالى يا موسى اقبل ولا تخف منك من
الآمنين سنيدها سنيته الاولى اي زودها عصا كما كانت ويثان ان الحكمة في امر الله تعالى اياها بالقاء المصا
قبل ان يصل الى فرعون لكيلا يفرع منها موسى اذ اراد على تلك الحالة عند فرعون فلما اقبل موسى
قال له خذها ان كانت عصاك ولا تخف لانه كان ادعى الملك فالتفتها فاذ هي عصا فبلى موسى على ذلك وكان على
موسى جبسة من صوف فلفه على يده وهولها هائب فتودي ان احسر يدك خسرته عن يده ثم
ادخل يده تحت لحبيها فلما ادخل يده قبض فازا هي عصاه في يده ويده بين شعبا تها حيث كان قبضها
ثم قال له ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال في جيبك لانه لم يكن
للموسى كم واسع فضاق عليه فادخل يده في جيبه ثم أخر جيبها فاذ هي نور تلهب بكل عنة البصر ثم ردها
فيخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذا لك برهان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال
له اذهب الى فرعون انه طغي فقال موسى رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلوني واخي هرون هو
افصح مني لسانا الى قوله يكذبون فقال له يا موسى اني اوقتتك موقعا لا تجعل بعدد احد عليك ساطانا
دوني ولا ينبغي لمن يدك ان يسمع كلامي وانت في اقرب الاماكن نبي وعلى موسى يومئذ مدرعة من
صوف قد خلها بالخلال وجبسة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكنه
ويهدا به ويقوله يا موسى اطلق رسالي وانت بعيني وسمعي ومعك قوتي وبصري مبتكى الى خلق
ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وعبد دوني وغرته الدنيا حتى جدد حقني وانكرت بويبي
وزعم انه لا يعرفني وانى ادعيت بوزي وجلالي لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت
به بطشة جبار ينفضه الغضبة السموات والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلوانت لساها
لخصبته وللارض لبلاتته وللجبال لكذمته وللبحار لغرقته ولكن - قط من عني وهان على رصنر
عندي ووسعا حاسي واما انني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك وانا خالق الغني والفقير لا غني الا من
اغنيته ولا فقير الا من افقرته فاقبله رسالي وادع الى عبادتي وتوحيدي والاخلاص لي وحذره نعمتي
وباسي وذكره آياتي واعلم انه لا يقوم لنضي شيء وقل له فباين ذلك قولنا ليه يندر او يخشى به بجله
في خطابك اياه ولا يروع ما أبستته من لباس الدنيا فان ناصيته يمدى ولا يطف ولا ينطق ولا يتنفس
عن شيء الا بعلمي واخبره بانى من العفو والمغفرة اسرع مني الى انضبط والمقوبة وقل له اجب ربك
فانه واسع المغفرة وقد اهلك في طول هذه المدة وفي كل ما تدعي الربوبية دونه وتصعدن عبادته وفي
كل ذلك عطر عليك السماء وينبت لك الارض وبإدراك انما فية حتى لم تهرم ولم تنعم ولم تنفق ولم تغلب
ولو شاء لما جلك بالنعمة واسلمك ما عطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم امسك الكلام عن موسى سبعة أيام
بلياها ثم قيل له يا موسى اياك اجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله تعالى

الله الحرام وكانت ممي
زوجتي وكانت حاملًا فبينما
نحن سائرون إذ كسرت
بنا المركب فنجوت أنا
وزوجتي على لوح من
ألواح السفينة فبينما نحن
على ذلك اللوح إذا بها قد
ولدت غلامًا فصاحت
بني يا رجل ادركني فاني
عطشانة فقلت أما ترين
حالا وما نحن فيه من
الغرق ثم رفت بصري الى
السماء وإذا برجل صالح في
الهواء وبه سلة من
ذهب فيها ركوة من باقوتة
حمراء فيها ماء أشد باضًا
من اللبن وأبرد من الناج
واحلى من العسل فقال لي
هالك أشرب فاخذتها منه
وسقيت المرأة وشربت
فإذا هي طايب رائحة من
المسك فقلت له من انت
برحمك الله فقال عبد من
عباد الله تعالى فقلت له بم
وصلت الى هذه المرتبة
فقال تركت هواي لهواه
فاسكنني في الهواه ثم غاب
عن بصري فلم اره رضى
الله تعالى عنه ونعمنا به
آمين (وحكى عن بعضهم
رضى الله تعالى عنه) انه قال
كان عند نار رجل حداد
كان يدخل يده في النار
ويخرج بها الحديد المحمى
ولم تحس النار فقصدته
رجل لينظر صدق ذلك
الامر فلما دخل البلد سأله

بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤالك يا موسى فجاهد بنفسك واخيك وكان قد خطر في قلب موسى
ان فرعون في باس عظيم وجند كثير واذا واهي وحيدان في بلد انكأ جندان عظيمان من
جندى وامامك اسمع وارى وابصر كما اكون مكم فلا تستنصمقان ولا تستقلان ولوشئت ان اتيه
بجنود لا قبل له بها فمات ولكن لم يزل الشقي الضعيف الذى قال أعجبت به نفسه وجنوده ان الفئسة القليلة
ولا قليل معنى تغلب الفئسة الكثيرة باذنى ولا يصح بكثرة يته ولا يهولونك: عدته فلو شئت ان ازيدك من
زينة الدنيا بهجت بها مبيت فرعون وملاؤه اذا نظروا اليها ويلم ان مقدرة تعجز عما اتيتك: فملت فلا
أصفا عما أزو به عنك ايمان متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأى في اوالياتى وأصفاياني اذودهم عن تيم الدنيا
ولذاها كما يذو الراعى الشفيق غنمه عن المرائع الرديئة لكي تستكملوا نصيبكم من كرامتي في الآجل واعلم
انه لا يزين بن احد من عبادى بزيئة هي ابغ من الزهد في الدنيا وحي بزيئة الا برار ويقال ان الله تعالى كلمه
في تلك المدة مائة ألف كلمة وارامة عشر الف كلمة يقول له مع كل كلمة قتل نفسا بغير حق (وقول) لموسى
عليه السلام م عرفنت ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام الخلق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة
واحدة وهي السمع وانى كنت اسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بخوارحي كلمها فترفت انه كلام الله
تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لما جأه الله تعالى صار الجبل عتيقا فلما نزل موسى عنه عادالى حالته
الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده واراد ان يخبره فامر الله تعالى ملكا
فدبده ولم يزل قدمه عن موضعا حتى جاء به الملك ملقوا في خرقة وناله الى موسى فاخذ حجرا من تحك
أحدهما بالآخر حتى حده كالمسكين من الحديد فشق به ابنته ثم ان الملك عالج المقطوع من الختوت فقتل فيه
فيرا من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل اهل موسى مقيمى في ذلك
المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من اهل مدين ففرهم فاحتلمهم وردهم الى مدين فكانوا
عند شبيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فاق البحر وجاوزه بنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فميت بهم
شعيب الى مصر لموسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما ابتلاه الى مصر لاعلمه بالظرب وكان الله
تعالى يهديه ويبله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شئ من الاشياء غير العصا
ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونملين ركن بظل صائمات بيت قائمات يستعين بالصعيد ويقول الارض
حتى ورد مصر فلما قرب من مصر اوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تتجزع ثم اوحى الله تعالى الى اخيه
هرون يبشره بقدم موسى وبخبره انه قد جعله وزيرا له ورسولا معه الى فرعون وامره ان يري يوم
السبت غرة ذى الحجة متذكرا الى شاطئ النيل لياتنى عوسى تلك الساعة قال فخرج هرون واقبل
موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واتفقوا ان كان يوم ورود الاسماء وكانت لفرعون
أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حوايلها وكانت ترد الماء غيا وكان فرعون اذ ذاك في مدينة
حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وانهار ذات مزارع وارض واسعة في
ربض اكل سور سبعون الف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة نولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها
وسقاها بالنيل واسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اخذها جند من جنوده تحرسه ويجعل
خلال تلك الغيضة طرقا فغضي بين سلكها الى ابواب المدينة معلوم ليس لتلك الابواب طرق غيرها فن
أخطأها وقع في تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذ وردت النيل ظلت عليه يوما كله ثم
تصدع الميلى قال فلما اتى موسى هرون وكان يوم ورودها فلما راها الاسد مدت أعناقها ورؤوسها
اليها وشخصت ابصارها نحوهما وقذف الله في قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على

عن الحداد فدل عليه ذلما

نظر اليه وتأمله رآه يصنع
كما وصفه فأموله الرجل
حتى فرغ من صنعه فتاه
وسلم عليه فرد عليه السلام
فقال له الرجل اني ضيفك
في هذه الليلة فقال له
الحاد حبا وكرامة فضي
به الى منزله وتشي معه
وبات هو واباه فلم يزد على
فرضه ونام الى الصبح
فقال الرجل في نفسه لعله
استترمني في هذه الليلة
فبات عنده ثانيا ليلة وهو
على حاله لا يزيد على
الفرض فقال له الرجل
يا أخى اني سمعت
ما كرمك الله به ورأيت
بأبائك عليك ثم نظرت الى
اجتماعك فمأرت عليك
كثرة عمل ولم تزد على
فرضك فمن أين لك هذه
المرتبة فقال له الحداد
يا أخى انه كان لي حديث
عجيب وامر مطرب
غريب وذلك انه كان لي
جارية جميلة وكنت بهما ولما
فراودتها عن نفسها مرأا
عديدة فلم اقدر عليها
لاعتصاما بالورع فجاءت
سنة فحط وجسد
وعدم الطعام وعم الجوع
الانام فيبينا أنا يوما من
الايام جالس ببيتى وادا
بقارع يقرع الباب
خُرجت لا نظرا ليدانها
واقفة بالباب فقالت

وجوهها يظا بعضها حتى اندست في الفضيضة وكان لها ساسة يسوسونها واداة يدورونها الى يفرونها
وبلطونها على الناس فلما اصحابا ما اصحابا خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أنوا ثم ان موسى
وهرون انطلقا في تلك الفضيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو اقرب ابواب الى دكر فرعون
وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة يوم فاقام عليه سبعة ايام فحكمهما واحد
من الحراس وقال لهما هل تدري ان هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها الرب
الماين وأهلها عبيده فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحد من العالمين يقصص بمثله
فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذي فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولوا وتابنت عجبين من رجلين هما
عندي أعظم واشنع وانفع مما أصابنا في الاسد وما كانا بقدر ان أن يقدمنا على ما قدمنا عليه الا بسحر عظيم
واخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول حتى انتهى الى فرعون قال السدي بسعداه سار موسى باهله
نحو مصر حتى أتاهم ليل فاضيف أمه وهي لا تعرفه فأتاهم في ليلة كانوا لا يكون فيها الطوفيل فنزل في جانب
الدار جاء هرون فلما ابصر ضيفه سأل عنه أمه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه فلما قدما دوتا ناسا له
هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تافا قال له موسى يا هرون
انطلق معي الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعنا وطاعة فقامت أمهما وصاحت
وضجعت وقالت أنشدكم الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكا فابيا عليهما ومضيا لمر الله تعالى فانطلقا اليه
ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا ففرع الباب ففزع فرعون وفرح الباب فقال فرعون من هذا
الذى يضرب بابي في هذه الساعة فاشرف عليهما الباب وكلمهما فقال له موسى اني أنا رسول رب العالمين
ففزع الباب وأمر فرعون واخبره بما سمع وقال له ان هنانا نتجنوننا بزعم انه رسول رب العالمين
وقال ابن اسحق خرج موسى ليا بئس الله تعالى حتى قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون لبتسان
الاذن عليهما وهما يقولان اننا رسول رب العالمين فكمنا فابغنا فاستنينا بفدوان الى بابه و يروحان وفرعون
لا يلهمهما ولا يجترى أحدان يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطاله يلعب معه ويضحك فقال له أبها الملك
ان على بابك رجلين يقولان قولنا عيبا يزعمان ان لهما إلها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى
ومعه هرون عليهما السلام

الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون

قال الله تعالى فأتيا فرعون فقالا اننا رسول رب العالمين وقال تعالى فقال له قولنا له فقالا له يتذكر او يحشى
(وروى) عمرو بن عبد عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لهما اعذرا ليدلله يتذكر او يحشى
فقولاه انك راو ما عداوا بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر او يحشى وعيدكما وهو عندي
لا يتذكر ولا يحشى قال لكيلا يقول أهل كنهه قبل ان اعذرا له قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا
عليه فلما وقفا عنده دعاه موسى بدعاء وهو لا إله الا الله الحليم الكريم لا إله الا الله العلي العظيم سبحانه رب
السماوات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين اللهم اني أدركك في نحره وأعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفني بما شئت قال
فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه
وتنس كبريته وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين
فأمله فرعون فرفه فقال له ألم تر بك فينا وليدا ولبنت فينا من عمرك سنين وفعلت فمهلك التي فقامت
وأنت من الكافر بن متاعا لدينا هذا الذي هو الا أن تعبته قال موسى فمهلك اذا وأنا من الضالين أي من

يا أخي أصابني جوع شديد فهل لك أن تطعمني لله فغلت لها ما تملين ما أنا فيه من حيك وما أنا فيه من أجلك فما أطعمك إلا أن مكنتني من نفسك فقالت الموت ولا مصيبة الله تعالى ومضت إلى منزلها فلما كان بمدينتين عادت إلى وقالت لي كرامة الأولى فاجبتها مثل جوابي الأولى فدخلت وقعدت في البيت وقد اشرفت على الحلالك فلما جملت الظلم بين يديها ذرفت عينها بالدموع ثم قالت هذا لله فقلت لا إلا أن تمكيني من نفسك فقامت ولم تأكل منه شيئا وخرجت من عندي إلى منزلها فلما كان بعد يومين إذا بها تفرع الباب فخرجت إليها وهي واقفة بالباب وقد قطع الجوع صورتها وقصم ظهرها فقالت يا أخي امتنني الحيل ولم أقدر على التوجه لأحد غيرك فهل لك أن تطعمني لله فقلت ما لم تمكيني من نفسك فاطرقت رأسها ساعة ثم دخلت وقعدت في البيت ولم يكن عندي طعام فقامت واضمرت النار وصنعت لها طعاما فمأخوذ الطامم ووضعت بين يديها تداركني لطف الله تعالى وقالت في نفسي

الخطيئة ولم أر بذلك القتل ففترت منكم لما خفتكم فوهب لي ربى حكما ورجلاني من المرسلين ثم أقبل موسى يشكر عليه ما ذكر له من يده عليه فقال تلك أمة عنما أعلن أن عبدت بني إسرائيل أي اتخذتهم عبدا أنتزع إياهم من أيديهم فاستترق من شئت وقتل من شئت أي اتخذتهم بنيك ذلك قال فرعون وماب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من مائه ألا تستمعون أنكمرا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الأولين قال فرعون أن رسولك الذي أرسل اليكم لجنون يعني ما هذا بكلام رجل صحيح العقل أفزعهم إنكم إنما غري قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعلمون ثم قال فرعون لموسى لن اتخذت الها غري لا يجمعنك من المجرمين قال أولو جنتك بشيء معين تعرف به صدقي وكذلك وحقي وباطلك قال فرعون فأت به إن كنت من الصادقين قال موسى عصاه فاذا هي ثعبان معين فأتته فأهاقه ملائكة ما بين جاني القصر واضمة لحياها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لفرعون فأتته فأنقض منها الناس وذعر منها فرعون ونوب عن سريره وأحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة وكان فيها يزعمون لا يسلم ولا يته خط ولا ينصدع أسسه ولا تصيبه آفة ما يصيب الناس وما كان يقوم إلا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان أكثر ما ياكل المأوى لا يكون له نمل فيحتاج إلى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له أن قال ما قال لأنه ليس له من الناس شبيهه (قالوا) فلما قصده الحية صاح يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع إلاما أخذتها أو أمكته أعني وأنا أو من بك وأرسل منك بني إسرائيل فأخذها موسى فمادت عصا كما كانت ثم أن موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذ يدك فما فيها فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور شاطِع في الماء تكل عنه الأبصار قأضاء ما حولها ودخل ضوءها البيوت ورؤى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الأولى قوا فهم فرعون بتصديقه فقام إليه هاما وجلس بين يديه ثم أنه قال له بئنا أنت لا تعبد إلا أنت تابع لعيد فقال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغدا فاحي الله لموسى أن قل لفرعون انك أنعمت بالله وحسنه عمرتك في ملكك ورددتك شابطرا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل إليه هاما فآخبره فرعون بما وعد موسى من ربه فقال له هاما والله ما يبدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحد وانقضى في منزله ثم قال له هاما أنا أردك شابا فاني بالوشم تخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورأه على تلك الحالة هاله ذلك فاحي الله تعالى إليه لاهولك ما رأيت فانه إن بليت إلا قليلا حتى يعود إلى حالته الأولى (وفي بعض الروايات) أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فأتيا على عجوز من أقرابه أمهما وكان فرعون وجهه الطاب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل أما في دارها وجاءه الطلب إلى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر إليها فقلت منهن سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فله الله موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكابة العصا فيهم ثم أن العجوز أمنت بهما وصدقتهما

الباب الماشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم

يوم الزينة إلى القضاء للمغالبة

قالت العلماء بأخبار الانبياء أن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتياه من سلطان

ناقصة عقل ودين تمنع
من طمأنينة القدرة لها عليه
وهي تنزدر المدة بعد المدة من
المجموع وأت لا تنهى
عن معصية الله تعالى ثم
قلت اللهم اني نائب اليك
مما كان مني اقل اقربها
في معصية أبدأ فدخلت
اليها وهي تأكل فقلت لها
كلي ولا ريع عليك فانه
لله سبحانه وتعالى فلما
سمعت ذلك رفعت رأسها
الى السماء وقالت اللهم ان
كان صادقا خرم عليه النار
في الدنيا والآخرة قال
فتركتمنا كل وقت لازبل
السار وكان ذلك في زمن
الشتاء فوفقت بحجرة على
قدمي فلم تحرقني فدخلت
اليها وانا فرح مسرور
وقلت ابشري فان الله
تعالى اجاب دعاءك فرمت
اللغة من يدها وسجدت
شكرا لله تعالى وقالت
اللهم ارضني مرادى فيه
فقبض روجي هذه
الساعة فقبض الله روحها
وهي ساجدة رحمة الله
تعالى عليها ونفثها وهذا
حديثي يا اخي والله
سبحانه وتعالى اعلم
بالصواب

(وحكى عن بعضهم عفا
الله تعالى عنه) انه قال كان
في بني اسرائيل رجل عاب
في كهف في الجبل لآبراه

الله تعالى على السحر فقال للدلا حوله ان هذان اسحران ايمان فاذنا مرون قالوا اقبلهما فقال الرب
الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملا
من قوم فرعون أرجئهم وأخاه وابنت في المداين حاشر بن ياتوك بكل ساحر علم وكانت لفرعون
مدائن فيها سحرة معدة للامم إذا حزبه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله
تعالى في اليد والعصا ما رأى انال اناب موسى الا بن هو مثله فآخذ غلمانا من بني اسرائيل فبعت
بهم الى قرية يقال لها الغرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في الكتاب فلهوهم سحرا كثيرا ثم
ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فبعث بهم ومعهم معهم فقال له ماذا صنعت فقال
له معهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا تطيقه سحرة الارض الا ان يكون امران السماء فانهم سيم لاطاقة
لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط في ملكه فلم يتركوا في ملكه سحرا الا انوابه واخذ نفقوا في عدة
السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنين من القبط وهما رؤساء القوم
وسبعون من بني اسرائيل (وقال الكشي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلا من
نجوسيين من أهل نينوى (وقال) كعب كانوا اثني عشر ألفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألفا وقال
عكرمة سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفا والجامع لهذه الأقوال ماروي ان فرعون جمع
السحرة وهم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اخذ منهم
سبعائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمهم قال مقاتل وكان لهم رأس السحرة شعرون وقال ابن
جرير يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة باقسي مدائن الصبيد وكانوا آخرين فلما جاءهم رسول
فرعون قال لا مهماد لنا على قبر أبنائنا فلما عليه فأتاه وصاحا باسمه فاجابهم فقالوا ان الملك وجه الينا
رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلا ليس معهم سلاح ولا رجال ولها عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من
عزها ومنعتها ومعها عصا اذا ألقيها هال يقوم لها شيء حتى تبلى الحديد والخشب والحجارة فاجابهم
ابوهم وقال انظر ايها زاهما ما فاذا قدرتم ان تسلا العصا فسلها فان الساحر لا يعلم سحره وهو ناثم
فان علمت العصا وهما ثمان فذلك أمر رب العالمين لاطاقة لكتابهم ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم
انهم انياهم في خفية وهما ثمان لياخذوا العصا فقصدها العصا قالوا ثم الله واعد موسى غدوة يوم الزينة
وكان يوم سوق لهم عن سعيدين جبر عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم
من السنة وهو يوم النبروز وكان يوم عيدهم تحتج اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم كان جميعهم بالمقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم
ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان نكسح الغالبين قال فرعون نعم وانك اذ لم المفر بين يدي
في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعاه اخوه هرون حتى أتيا المجمع
وفرعون في مجلسه مع اشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تنفرتوا على الله كذبا
فيسحقكم بهاذ وقد خاب من افتري فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا يقول ساحر
فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرروا التاجوى فقالت السحرة لنا ينك اليوم يسحقكم فمردئله
وقالوا بزة فرعون نال من الغالبون وكانوا قد جاءوا بالعصى والجلال يحملها استون بيرا فلما ابوا الاصرار
على السحر قالوا لموسى امان ناتي وامان نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألحقوا أنفسكم بحالكهم وعصيتكم
فألقوا فادى حيات كذالك الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا تسمى فذلك قوله تعالى يخسب
اليه من سحرهم انها تسمى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لمصيا في أيديهم ولقد

عادت حيات وماعصاي هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لا تخف انك انت الاعلى وأنى
ما في عينك تلقف ماصنوا وانما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسى ثم انه أتى
عصاه مزينة فاذا هي ثمان مئين كأعظم ما يكون من الثمان اسود مد لهم يدب على اربع قوائم قصار
غلاظ شداد وهو اعظم واطول من تحت اعظم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه
وعنقه وكله لا يضرب بذنبه على شيء الا حطمه وقصمه وبكسر بقوامه الصخور الصم الصلاب
ويطحن كل شيء وبصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وعينان لتهتان ناراً ومنخرانه ينفخان سموما
وعلى معرفته شمر كأمثال الزماح وصارت الشيطان له فأسعته اثنا عشر ذراعاً وفيه انياب واضراس لها
خبيخ وكشيش وصريف وصريف فاستمرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيم وهي تحيل في أعين
الناس وعين فرعون انها تسمى فجعلت تلفقها وتبلمها واحداً واحداً حتى لم ير في الوادي الا قليلاً ولا كثيراً
ثم ألقوا وانهم قوم فرعون هارين متقلبين فترجوا وتضاغطوا ووطى بعضهم بعضاً حتى مات منهم
يوئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفاً وانهم فرعون فينهم فرعون متخوفاً مروعاً باذا بقاعقه وقد
استطلق عليه بطنه من يومه ذلك اربعاً مرة فصار يحصل له ذلك اربعين مرة في كل يوم وليلة على
الدوام الى ان هلك فلما انهم الناس وعابن السحرة ما عابوا فالتوا لبعضهم لو كان ساحراً ما غلبنا ولا خفي
علينا امره ولو كان سحراً فابن حبالنا وعصينا فالتوا السحرة سجداً قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون وكان فيهما اثنا عشر مبعوثين شيخاً قد انحنت ظهورهم من الكبر وكثرت اعمالهم ورؤساء وكان
رؤس السحرة خمسة نفر ساور وغادور وحفظ وخياط ومصفوا وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من
سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك اسف وقال لهم متجداً آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر الى قوله تعالى اسعدنا ابداً بقى قالوا ان نؤثر على ما جاءنا من البينات الاية فقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف وصالبهم في جذوع النخل وهو اول من فعل ذلك فاصبحوا سحرة كفرة وامسوا
شهداء بررة ورجع فرعون مغلوباً مهزوماً مكسوراً ثم ابى الا الاقامة على الكفر والتأدي في الشر
فتابع الله عليه الاية واخذوه وقومه بالسنين الى ان انت اهلكتهم ثم ان موسى عاد راجعاً الى قومه والعصا
على حالها حية تنبته وتبصبص حوله وتلويذه كالبوز الكلب الالوف بصاحبه والناس ينظرون اليها
ويتعجبون منها وقد ملأوا رعباً فلم يزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتضاغفون
ويتضاغظون حتى دخل موسى عليه السلام عسكره بني اسرائيل فاخذوا برأسها فاذا هي عصا كما كانت
اول مرة فوسئت الله على فرعون امره ولم يجد الي موسى سببلاً واعزل موسى مدينته ولحقه قومه وعسكره
وكانوا محتجعين الى ان صاروا ظافرين

﴿ الباب الثاني عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته

ومقتله وأولاده رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قالت الرواة كان حزقيل من اصحاب فرعون نجاراً وهو الذي صنع لام موسى التابوت حين ولدته
والقته في البحر وقيل انه كان خازناً لفرعون قد خزله مائة سنة وكان مؤمناً خالصاً بكنهه الى ان
ظهر موسى على السحرة فظهر حزقيل امره فاخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلباً وهو الذي ذكره الله
في الفرقان في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سابق الائم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفه عين حبيب التجار مؤمن آل بس وحزقيل مؤمن آل فرعون
وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضلهم وامرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون

بجودها منها وشرب منها
ويقتات من نبات
الارض وكان يصوم النهار
ويقوم الليل لا يقتر عن
الدابة وعليه انوار السعادة
فسمع به موسى عليه
السلام فقصده بالنهار
فوجده مشغولاً بالصلاة
والاذكار ثم قصده بالليل
فوجده مشغولاً بتسجدة
الجليل فسلم عليه موسى
عليه السلام وقال له يا هذا
ارنى بنفسك فان المولى
كرم فقال يا نبي الله اخاف
ان اؤخذ على غفلة فيقتضى
نجي فاكون مقصراً بخدمة
ربي فقال له موسى عليه
السلام هل من حاجة الى
مولاي يا هذا فقال نعم سله
ان يطعني رضاه ولا
يشغاني باحد سواه حتى
يتضى نجي والفاذ قال فلما
صدمه موسى عليه السلام
الى مناجاة ربه واستغرق
في لذة كلام خالقه نسي
كلام العباد فقال الله
عز وجل يا موسى ما قال لك
عبدى العابد فقال موسى
يا رب انت اعلم بما قال فقال
الله تعالى يا موسى اذهب
اليه وقل له يتعبد ماشياً في
الليل والنهار فانه من اهل
النار الماسية قبله من الذنوب
والاوزار فانه موسى عليه
السلام واخبره بما قاله

وخطاياهم فقال العباد
مرحباً بفضله وحكمه
وكل شيء بهين قدرته ثم
بكى وقال يا موسى وعزته
وجذله ما برحت عن بابه
ولو طردني ولأحلت عن
جنتابه ولو أحرقتني ومزقتني
ثم ألتفت يقول من الذنوب
لو قطنني لفرار بالربا
ما ازددت إلى لذتك إلا

حياً

مازالت به أسير وجد
وضني

حتى يقضى على هواء نجوا
قال فلما صمد موسى عليه
السلام إلى المنجاة قال
إلهي انت اعلم بما قال
عبدك العابد فقال الله

عز وجل يا موسى اذهب
إليه وأشره أنه من أهل
الجنة وقدا ركبته الرحمة
والمنسة وقيل له تلقيت
قضائي بالصبر والرضا

ورضيت مني بما سب
الحكم والتقضا فلوملات
ذنوبك السوء وات
والارض والفضا وملا

جميع الاقطار انفتح لك
وابا العزير الغفار قل
ففرح موسى عليه السلام
واخبره بما قاله امرئ السلام
فتخ العابد ساجدا لله

تعالى وحده به شكارا في
سجوده حتى قضى نحبسه
رضي الله تعالى عنه ونعمنا
به وغفر له وآمين

وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا انها كانت مع بنات فرعون تخدعن وكان من قصتها ما أخبرنا
به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى بني مرديت
برائحة طيبة فملت لجربل عليه السلام ماهذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها
كانت تشط ذات يوم بنت فرعون فوق المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت لا بل
ربي ورب أبيك فقالت لها الاخيرين بذلك أبي فلما أخبرته دعاهوا بولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربي
وربك الله فاسم بتدور من نخاس فاجى وأمر بها بولدها ان تلقوا فيه فقالت له اني اليك حاجة فقال وما
هي قالت تجمع عظامي وعظام يدي فتدنها قال ولما ذلك لمالك عليهما من الحق ثم أمر بولدها فالتفوا
واحدوا واحدا في التنور حتى اذا كان آخر أولادها ولد اصديا رضيعا فقال اصبري يا أمه فانك على الحق
فالتقت في التنور مع ولدها ففسل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد اربعة عيسى بن مريم
وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحها الله تعالى
قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ان امرأة فرعون آسية كانت من بنى اسرائيل
وكانت مؤمنة مخلصه وكانت تعبد الله سر آحتي انها كانت لتعمل في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في
مئزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى ان قتل فرعون امرأه حزقيل وكانت آسية مطلومة من
كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما اقتلت الماشطة عانت آسية
الملائكة وقدر عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كراتهم او ما أراد لها من الخير فزادت يقيناً بالله وتصديقا
فبينما هي كذلك اندخل عليها فرعون وجعل يحرقها بنجر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية
الويل لك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى فقال لها الملك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبك فقالت
ما اعتراني جنون والى كنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها
الجنون الذي أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت ارتكف به موسى فخلت بها أهوا وسألتها ما وافقة
فرعون فبأراد فابت وقالت تريدن أن أكفر بالله فلا والله ما فعل ذلك أبدا فاسم بها فرعون فهدت بين
اربعة اوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد عن ابن
عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأها يعذبها التمدخل في دينه فمر بها موسى وهو يسبها فاشكت
إليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم يجد للعذاب المسالى ان ماتت في عذاب
فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الالة فارحني الله اليها ان ارفعني رأسك
فعملت فرأت البيت في الجنة من دفر فضحك فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في

الباب الثالث عشر في بناء الصرح

قل الله تعالى وقال فرعون ياها ما بن لي صرحا لآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل
باب من ابواب الملك والة لمط والتمرة والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى
استعبدهم فعبده وادعى الربوبية فنبهوه مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود
والشوك والعدة والدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلاصته وقوة تركيبه وبنيتة انه بما
لبث أربعمائة يوم واولية لا يخرج منه شيء الامرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبرق ولا يتخط
ولا يتنحج ولا يسل ولا يأخذ وجع في بطنه ولا ترمد عيناه ولا يعرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة
قالوا بلغ من املاء الله تعالى له انه كان ربك كل صمب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون

اربع مائة سنة لا يرى مكرها ولو كان في تلك المدة أدرك جوع يوم أوحى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسم فلم يسه سوء ولا مكره ولا تلقاه إلا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدرجهم فلما عين من أمر موسى ما عين لم يزد ذلك إلا عتوا واستكبارا وعلم من قومه العرب والحرف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويحبوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطاناه ويشيد أركانه فقال لوزيره يا هامان ابن لي صرحا لم أبلغ إلا أسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإن لا ظنه كان باقرا هاما من بنيانه فجعل له العمال والقلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان إلا جعله لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والأجراء ممن يطبخ الأجر والجص ويتخذ الخشب والأبواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدرجهم منه وأتاه الأمر على ما يريد إلى أن فرغ منه في سبع سنين فانرفع ارتفاعا لم يبلغه بانيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أن دعهم وما يريد فاني مستدرجه وآخذة بنته واني مبطل كل ما عمل في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح إذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب وإذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يلمسه إلا الله تعالى فلما أنم بناءه بمش الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربا فقطعه ثلاث قطع فوقت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بمش الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقتل به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفي ألف رجل قالوا لم يبق أحد ممن عمل فيه الأصابه موت أو حريق أو علة فشان من نجار أو حديد أو بناء إلا يستيده وأما الذين كانوا يطبخون الأجر والجص فأنهم احترقوا وعن آخرهم وأما القهارة والعمال فقاتوا وكان تدمر فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم أن حيلته لم تنفعه شيئا فعزم على قتال موسى وقومه فأمرا أصحابه فنصبوا الحرب ثم أن عسكر فرعون قالوا لموسى انك ساحر وانت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتريته ونسيت أحسانه إليك ومنته عليك حيث ألفتك أمك في اليم فجهالك وبغضالك لمساغمت ما أنت صائر إليه من سوء الحال فاستدرك فرعون من الغرق استدركك من الموت فأتوك وكفلك ورباك وأخذك ولدا ثم فرت منه آتقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلما سمعتمني عنك حتى تردك إلى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا ينفي عنهم ما جاءهم به موسى لمسايق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالمذاب والأيات

الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلي الله بها فرعون وقومه حين

دنا هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفتى البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات قال قتادة أما السنون فكانت بباديتهم ومواسمهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى فإرسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون في ذلك الطوفان ما هو قال) ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طفي فوق حروثهم فأهلكوا وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى

رضي الله تعالى عنه) أنه قال خرجت ليلة جمعة بالكوفة أريد المسجد وكانت ليلة مقمرة فإذا بشاب حسن الثياب نظيف الأنواط في بعض أرجاء المسجد ساجدا لله تعالى وهو يحمد بالبكاء فلم أشك أنه ولي لله تعالى فدنوت منه لاسمع منه ما يقول فإذا هو يقول عليك يا ذا الجلال بعته لدى طوبى لعمري تكون مولاه طوبى لمن بات خائفا وجلال يشكو إلى ذي الجلال لو اه وما به علة ولا قسم أكثر من حبه لو لاه إذا خلا في الظلام مبتلا أجابه الله ثم لباه قال ولم يزل يكرر من قول عليك يا ذا الجلال بمتدى وهو يبكي وأنا ابكي شفقة عليه ثم ذكر كلامه معناه انه رأى نوراساطع وسمع قائلا يقول هذا الجواب لبيك عبيد فانت في كني وكل ما قلت قد سمعناه صوتك تشقه قهلا لكنت وذنبك الآن قد غفرناه قال فقامت لعل هذه الرؤية والجماع المذكورين في حالة النوم أو في غيبة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بارك الله لك في لبيك وبارك فيك من انت ترجمك الله فقال راشد بن

اسمع من امره وخبره
 أو كنت عني لئلا فلم أقدر
 على ذلك حتى يسره الله
 تعالى فقلت له هل لك
 ان تصحبني فقال هيأت
 وهل يانس الخلقين من
 يتلذذ بنا جارت رب المعلن
 او والله لو خرج على عصرنا
 هذا أحد من أصحاب
 النيات الصالحة لقالوا
 هؤلاء احزاب لا يؤمنون
 بيوم الحساب ثم غاب عن
 بصرى فلم أره فاشتقت
 مرافقته ثم سألت الله تعالى
 ان يحمله بي في قبال الموت
 فلما كان بعض الاعوام
 خرجت جاحا الى بيت
 الله الحرام فاذ به في ظل
 الكعبة واذا بنفر يقرؤن
 عليه سورة الانعام فلما
 نظر الى تبسم وقال هذا
 لطف العلماء او تواضع
 الاولياء ثم قام الى واعتقني
 وسلم على وقال هل سألت
 الله تعالى ان يجمع بيننا قبل
 الموت قلت نعم فقال الحمد
 لله على ذلك ثم قلت له
 برحمتك الله اخبرني عما
 رأيت تلك الليلة وسعدت
 فشهق شهقة فظننت انه
 قد اتفق حجاب قلبه
 وخرمة شيا عليه ثم تفرق
 النفر الذين كانوا يقرؤن
 عليه فلما اتفق قلت يا أخى
 ماهؤلاء النفر الذين كانوا
 يقرؤن عليك فقال هم نفر

ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلدة أهل النين أرسل الله الطاعون على
 أبقار آل فرعون فافتضهن في ليلة فلم يبق منهن باقية وقال ابو قتادة الطارقان الجري فهم اول من
 عذب به بقى في الارض والجراد والقمل (واختلفوا) في القمل ماهو فقال سعيد بن جبير عن ابن
 عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحظرة وروى عن أبي طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدي
 وقادة والحكي وغيرهم الجراد الطيار الذي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى بمصر عن
 قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن اسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة
 الحسن والقمل يفتح القاف ويجزم الميم وقال ابو عبيدة هو إنسان وهو ضرب من النفران قال ابو العالية
 أرسل الله الجنان على دوابهم فأكاهم حتى لم يبق منها شيء ولم يقدر واعي المير قال أمية بن ابى الصلت الثقفى
 أرسل الذر والجراد عليهم وعذابا فاهلكتهم ديورا
 (باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم
 في حديث بعض لما آمنت السجرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف
 موسى وهرون الى عسكر بني اسرائيل فامر فرعون قومه ان يكفوا بني اسرائيل بالباطية تون فكان
 الرجل من القبط يحمي الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس حشوي واعلف دوابي
 واستق لي ونجسي القبطية الى الكريهة من بني اسرائيل فكفها ما لا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك
 خيرا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكمسوا لانفسكم ماتا كلون فمكسوا ذلك الى موسى
 فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والماقية للمعتقين قالوا يا موسى
 اؤذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئنا كئنا نعلم اذا استعملونا من قبل ان تأتينا فلما جئنا استعملونا
 ولم يطعمونا فقال موسى عبي ربكم اني هلك عذوبكم بني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني
 الشام وبصر فينظر كيف تعملون فلما ابي فرعون وقومه الاتقاد على الكفر والاقامة على المر والظلم
 دعا موسى ربه فقال يا رب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبني وعنتا وان قومه تقتضوا عبدك
 واخلفوا وعبدك رب خذهم بعقوبة تجعلهم لهم نعمة ولقومي عظة ولن ابدعهم من الامم اعتبارا فتابع
 الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في اثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم
 الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط
 مشبكة مخططة بعضها في بعض فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى اترافهم من جالس منهم
 غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة ففاض الماء على وجه اراضيهم وركد
 فلم يقدر على ان يجرؤوا ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت
 فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المذاب فؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى
 ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى اشر ما كانوا عليه فابت الله
 تعالى لهم في تلك السنة من الكلال والزرع والثمار ما لم يبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم واخصبت فقالوا
 هذا ما كنا نتني وما كان هذا الماء الائمة او ما يبرنا ان لم نطر فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله
 عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم اوراق اشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتاكل الالبواب
 والياب والامعة وسقوف البيوت واخشب المسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وتلى الجراد
 بالجويع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فمجدوا ورضعوا وقالوا

من الجن فهم يقرؤون على القرآن ويحجرون موسى في كل عام ثم ودعى وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لا فرق ولا توب ولا نصب ثم غاب عن بصري فلم أره رضي الله تعالى عنه (وحكى عن عبد الله بن الاحنف رضي الله عنه) انتقال خرجت من مصر اريد الرملة فابصر الشيوخ الزبدي رضي الله تعالى عنه فقرأت في عيني بن يوسف المصري في الطريق فقال هل ادلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصبر وفان فيد شيخا وشابا بجماعه اعلى حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لا تغترب باقى عمرك قاله فمرت اليهما حتى دخلت عليهما وانا جناح عطشان وابس على ما يستترى من الشمس فوجدتهما مستملين للقبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلماني فقلت اقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتاني فرفع الشيخ راسه وقال يا ابن الاحنف ما اقل سمعك حتى تفرغت الينا ثم اطرق راسه فقلت بين ايديهما حتى صلبنا الظهر والمصر فذهب عني الجوع والمطش والنصب فسلمت للشباب غظي بشي ياسيدي اتفق به فقال نحن اهل المصائب ليس لنا

يا موسى ادع ابا ربك بما عهد عندك ان كسفت عن الارض لى بن لك وارسلمن موك بني امرا ئيل فانتطوه عهد الله وميثاقه فسال موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فاشاد الى المشرق بالمصفا فذهب الجراد من حيث جاء كان لم يكن (فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد) اخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم واهلك صغارهم وافسد بيضه وخذ بافواههم عن ما يشاء وارزاقنا انك انت سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله هلاكه وقطع دابره فقال نعم الجراد ترحوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الخوت ينثوه باسناده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جنود الله الاعظم * و باسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشي فاغمم لذلك فارسا راكبيا الى اليمن وراكبيا الى الشام وراكبيا الى العراق يسألون هل راوا شيئا من الجراد ولا فاتهوا راكب ان الذي دخل النجف بقبضة من الجراد فلما في يده فلما رآه كبرنا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله الف أمة منها سائة في البحر وأربائة في البر قال شيء هلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه * و باسناده عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سالت ربها أن يطعمها لخم لادم له فاطمها الجراد فقلت اللهم أعشها بغير رضاء وتابع بينه بغير شياخ فقلت يا أبا المنيء ما الشياخ قال الصبوت و باسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لا تحزن من عبادك تصيبها مغرورا قال تعالى وأنا مختزن من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأبا جندى النساء هن شبكي التي لا تخفي وأبا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي كان يقول كان ببيت رجل صالح يذكرانه رأى رجلا صالحا راكبيا على جراد قال وعليه خفان طو يلان أظهما آخرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول يده هكذا فحينما أشار استأق الجراد الى ذلك الموضع فبينما ان ذلك الرجل ملك الجراد قال فاقم قوم فرعون شهراني عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشي الى كتيب أعقر بقرة من قرى مصر تدعى عين سمس فشى موسى الى ذلك الكتيب وكان مهبطا عظيما فضر به بمصاه فانها ل عليهم القمل فتتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكلها وحلحس الارض كلها وكان يدخل بين نوب أحدهم وبين جلده فيرضه وكان يا كل أحدهم الطعام فيميت قلا حتى ان أحدهم لبني الاسطوانة بالجص ويزلفها حتى لا يرتقى فوقها شي ثم رفع فوقها الطام فاذا صعد اليه ليا كاه وجده ملي قلا قلا أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشدهم وأبشاهم وأشفاه عيونهم وحواجهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليهم ومنعهم النوم والفرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سميد ابن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فسكان الرجل يخرج عشرة أفقزة الى الرها فلا ترد منها ثلاثة أفقزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر اربأ أيها العالم انا نتوب ولا نود قاعد لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الارض واطراف البلاد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت ثم نكسوا العمود ودعوا الى أخبت أعمالهم وقالوا ما كنا نعلم أحق ان نسقيك ان موسى سألنا الى اليوم فيجعل

ثلاثة ايام بلباها لم آكل
ولم اشرب فلما كانت
عشية اليوم الرابع قلت في
نفسى لا بد من سؤالها في
موعظتها أنفع بها فرفع
الشاب رأسه وقال عليك
بصحبته من يدركك الله
تعالى بنظره ويملك لسان
فلم لا بلسان قوله ثم اتفت
فلم ارها خزنت على فراقها
رضى الله تعالى عنهما ونعمنا
بهما وبركانهما آمين

(وحكى عن ذى النون
المصرى رضى الله تعالى عنه)
أنه قال وصف لي رجل من
انساده باليمن من الخائفين
سما على المجتمعين وهو
بصلاح الناس معروف
وباللب والحكمة والخشوع
موصوف قال فخرجت
حاجا الى بيت الله الحرام
وزيارة النبي عليه الصلاة
والسلام فلما قضيت حجاجي
قصدت زيارته لاسمع
كلامه وأنفع بموعظته
وكان منى جماعة يطلبون كما
أطلب من البركة والدعاء
وكان في جملتهم شاب عليه
سميا الصالحين ومنظر
الخائفين مصغر اللون من
غير سقم أعشى العينين من
غير مدح الحلو ويانس
بالوحدة كأنه قريب عهد
بصبيته فقبل له ان يرفق
بنفسه فلم يجب وأنشد
يقول مشرا

الرمل دواب فعلى ماذا تؤمن وترسل معه بني اسرائيل فقد اهلك ررعا وحروثنا وأذهب اهل النافاهة
أن يفعل أكثر من فعل وعزة فرعون لا تصدق به أبدا ولا تنبئه فدعا عليهم موسى بدماء فاه واشهر افي عافية
وقبل اربعين يوما فوحى الله تعالى اليه وأمره ان يقرم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالصلالى
أدناه وأقصاه واعلاه وأسفله ففعل ذلك فتباعدت له الضفادع بالتيق من كل جانب حتى أعلم بعضهم بعضها
وأوسع أدناها أقصاها ثم اخرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا نحو باب المدينة فدخلت
عليهم في بيوتهم بغتة وامتلأت منه أنفبتهم وآبنتهم وكان أحدهم لا يكشف فو بالاناء ولا طعاما
ولاشربا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فثب الضفادع في
فيه وكان احدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتهدى عليه
ركام حتى لا يستطيع ان ينصرف الى شقه الا عن ولا الا يسر وكان احدهم يفتح قاذلا كلته فندس فيه الضفادع
فيه وكانوا لا يعجزون شيئا من المعجز الا انشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا اامتلات منه وكانت تسب في
نيرانهم فتطفئ اوفى طعامهم فتغمد دلقه وامنها اذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع
برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القصور وهي تفور في
التناير وهي مسجورة فأنها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجروا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم
أمرهم حتى كانوا لا يكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جبنه من كثرة ما يطؤونها باقدامهم وأروحت البقاع
كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكروا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا
نعود فاخذ على هذا غمهم وهو انيقهم ثم ان موسى دعار به فكشف عنهم الضفادع وذلك فها يروي ان
موسى امر ان يمتف بصاه ويميل ففعل ذلك فانتشع ما كان منها حيا فلقق بالنيل وارسل الله على الميتة ريحا
ففتحت عن مدينتهم بدماء ما قامت عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فاه واشهر افي عافية وقيل اربعين
يوما ثم تقضوا الممدود عادوا الى كفرهم وتكذبهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى
أمر موسى ان يذهب الى شاطئ البحر فيضرب به عصاه ففعل ذلك فسال عليهم النيل دما وصارت مياههم كلها
دما وما يسقون من الانهار والابار الا وجدوه دما حمر عبيطا فشكلوا ذلك الى فرعون وقالوا اناء ابلينا
بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجال على الاناء الواحد
القبطى والاسرائيلى فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما عبيطا وكان القبطى والاسرائيلى
يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطى دما وماء الاسرائيلى ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التي فيها ماء
فيخرج للاسرائيلى ماء وللقبطى دم حتى ان المرأة من آل فرعون نالت الى المرأة من بني اسرائيل حين يجدها
العطش فتقول اسقيني من مائك نتسكب لها من جرتمها او تصب لها من قربتها فتعوي في الاناء دما حتى انها
تقول لها جملته في فيك ثم يجبه في في فناخذ في فيها ماء فاذا يجبه صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع
والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش في تلك الايام حتى
انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماء فها ملحا جاجا ومرا زعاقا فكشفوا في ذلك سبعة
ايام لا ياكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن اسلم) كان الدم الذي سلط عليهم العراف فلم اجبروا
من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لار بك يكشف عنا هذا الدم فتؤمن بك وترسل موكب بني
اسرائيل فدعا موسى ر به فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى امر ان يضرب النيل بعصاه ضربة
اخرى فضر به فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى
فارسلنا عليهم الطوفان الايات قال توفى البكالى ابن امرأة مكس الاحبار مكس موسى في آل فرعون

أهل العاذلون في الحبيب لم
حاش لي عن هواه أني أسأله
كيف أسأله وقد تزايد
وجدى

وتبدلت بعد عزي ذلاً
قيسلاً تبلى فقلت تبلى
عظامي في هواكم وحبكم
ليس يبلى
حبكم قد سري لوسط
فؤادي

من قديم الزمان مذ كنت
طناً

قال ولم يزل الشاب في جهلنا
حتى انتهينا إلى النهر
فسألنا عن منزل الشيخ
فأرشدنا إليه فطرقنا عليه
الباب فخرج إلينا كأنه
قد خرج من القبور فلما
جاسنا بين يديه بدأ الشيخ
الشاب بالسلام والكلام
والمصافحة وأبدى له البشر
والترحيب من دوننا فقال
الشاب يا سيدي إن الله
جعلكم أطباء للقلوب
ولا وجاع الذنوب وإن في
جرحا أغفل وداء تمكن
واعضل فإن قدرت أن

تلطف ببعض مرأيتك
فاقل وأشد بقول شمر
إن داء الذنوب داء عظيم
كيف لي بالخلاص من داء
ذنبي

هل طبيب مناصح لي فاني
عجز الخلق والأطباء طي
آه واحتجاني وطول حزني
من وقوفي إذ اوصلت لربي
وانقطع الجواب مني ولما

عشر من سنة بعد ما غلب الدهر على ربهم الأيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال
أصحاب الأخبار لما بُدئ موسى من إيمان فرعون وقومه ورأى أن لا يردوا من إلا الظمان والكفر
والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهم السلام وهو ربنا أنك آيت فرعون ومسله زينة
وأهوالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فاجاب الله دعاءهما كما قال الله تعالى قد اجيب دعوتكما فاستقيا
ولا تيمان الآتية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من اثاث الدنيا زهرتها وزينتهم من الذهب والفضة
والياقوت وأنواع الحلي والجواهر المالا يحصىه إلا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف
عليه السلام في زمانه أيام العجظ فبقى ذلك في يد القبط فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن مورث
بني إسرائيل ما في أيدي آل فرعون من العروش والحلي وجواهرهم جهازاً وعباداً إلى الأرض
المقدسة فاجمل لذلك عندا تمسكت عليه أنت وقومك تشكروني وتذكروني وتعظموني ذلك
اليوم وتعبدونني فيه لما أرىكم من الظفر ونجاة الأولياء وهلاك الأعداء واستمروا لعيديكم من آل
فرعون الحلي وأنواع الزينة فانهم لا يعمنون عنكم لئلا يحل لهم في ذلك الوقت لما ذفت في قلوبهم
لكم من الرعب فنزل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزي ثيابه وولده وما كان في خزانته
من أنواع الحلي فأعيرت لبني إسرائيل لما أراد الله بذلك أن ينفى عن موسى وقومه أفضل أموال
أعدائهم بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا رجلا لطفاً منهم بهم وأفضلاً عليهم فلما دعاهم موسى عليهم مسخ الله
الأموال التي بقيت في أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظي سمعني
عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التي أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس ولفق البحر فقال عمر لا يكون الفقه إلا هكذا ثم أنه
دعا بحر بطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان إذ كان فيها بقايا أموال فرعون
فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وأنها لحجر والجوزة مشقوقة وأنها لحجر والحصى والمعدة (وروى)
محمد بن إسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وأنها لحجر وقال لقد رأيت
إنساناً وما شككت أنه إنسان وأنه لحجر وكان ذلك المسخ في أرقائهم دون أحرارهم إذ العبيد من جملة
أموالهم فلم يبق لهم مال إلا مسخه الله تعالى ما خلا الذي يده بني إسرائيل من الحلي والجواهر وأنواع الزينة
وقال ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا بلغنا أن الدنيا نيران والدرهم صارت حجارة منقوشة
كهيئتها اصحاحاً وانصافاً وثلاثاً وجعل سكرهم حجارة

*) (الباب الخامس عشر في قصة أسراء موسى عليه السلام ببني إسرائيل وخير فائق البحر لهم) *

قال الله تعالى وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبدك إنك متبعون قال العاصم بأخبار الانبياء أوحى الله
تعالى إلى موسى حين أراد إظهاره على عدوه أن أجمع بني إسرائيل كل أهل أربعة بيوت في بيت ثم
اذبحوا أولاد الضأن واضر بوا بدماها على الأبواب فاني مرسل على أعدائكم عذاباً وإني سأرسل
الملائكة فلا تدخل بيتاً على بابهم الدم وسأمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم
فتسلمون أتم وليكون هم ثم اخبروا فطيراً فانه أسرع لكم ثم أسر بعبدك حتى تنفي بهم إلى البحر
فياتيك أمري فأمر موسى بنو إسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبني إسرائيل لم تجملون هذا الدم
على أبوابكم فقالوا إن الله تعالى لمرسل العذاب عليكم فنسلم وتسلمون فقالت لهم القبط فما يفركم
ربكم إلا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا معهم في ليلة

فقال له الشيخ دل عماداً
لك فقال الشاب ياسيدي
ما علامة الخوف من الله
تعالى فقال ان يؤنسك
خوفه من كل خوف قال
نفر الفتى فمشى عليه فلما
أفاق قال يرحمك الله متى
يتيقن العبد خوفه من الله
تعالى فقال اذا انزل العبد
نفسه من الدنيا منزلة الاعمال
فهو يحتسب من الطامخاة
طول السقام و يصبر على
غمصم الدوام خفا طول
الضني قال فصاح الشاب
صريحة وغمى عليه فلما
أفاق قال ياسيدي ما علامة
الحب لله تعالى فقال الشيخ
ان درجة المحبين رفيعة
فقال الشاب احب
ياسيدي ان تصفها لي
فقال الشيخ ان الله
سبحانه وتعالى شق لهم
عن قلوبهم فابصروا بنور
القلوب الى جلال عظمة
الحبوب فصارت ارواحهم
روحانية وفلورهم نورانية
وعقولهم سماوية تترشح
بين صفوف الملائكة
الكرام وتشاكل الامور
الباقية والاعيان فمدوه
مبلغ استغاثتهم لاطع مافي
جنته ولا خوف من ناره قال
فشق سمقة فثارت رحمة
الله تعالى عليه فبكى الشيخ
عليه بكاء شديداً وقال

واحدة وكانوا سبعين ألفاً فاشتغلوا بدفنتهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه
متوجهين الى البحر وهم سبعمائة ألف وعشرون ألفاً لم يدفنيهم ابن سبعين سنة لسكره ولا ابن عشرين
سنة لصغره وهم لما ناله سوى الذرية ومن موسى على الساقة وهو ن على المقدمة فصار فرغ القبط
من دفن أبكارهم وبلغهم خروجه في اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من
أقسانا ثم اتهمهم خرجوا ولم يرضوا أن ساءوا بانفسهم حتى ذهبوا باموالنا معهم فنأدى ذرعن في
قومه فكان الله تعالى فارس فرعون في المدائن حائرين ان هؤلاء لشر ذمة قليلون وانهم لنا
لناظرون وانما جميع حائرون ثم ان فرعون تبهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف وسبعمائة
ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جرير ارجع ارجع فرعون في ارموسى
وقومه ائت ائت وخمسمائة ائت ائت كل ملك مسرور مع كل ملك الفرجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدم
وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان ادم سبى حائر الاوان وذلك حين طامت الشمس واشرفت
كيا قال الله تعالى فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان وراى بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا
ياموسى ابن ماعودتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا اندخلنا غرقنا وفرعون خائفنا ان ادركنا
قتلنا ولقد اودنا من قبل ان ناتيها ومن بعد ما جئنا فقال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والذائقه لا يتقين وقال عيسى ربكم ان هالك عوكم ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا ولما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وارادوا ان يسيرا وضرب الله عليهم التيه فلم يدريا
اين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسالهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه
السلام لما مات بمصر اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فضعوه في الارض
المقدسة فذلك نالنا هذا الامر فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى بناي انشد الله كل من يعلم
موضع قبر يوسف الاخير ومن لا يعلم صمت اذنا عن قولى فكان يمر بين الرجلين بناي فلا سمعان
قوله حتى سمعته عجبوا منهم فغالت له ارايك ان ذلك عليك اعطيتني ما لك فاني عليها وتال حتى استاذن
ربي فامر دبه ان يعطيها لها فاعطاها ذلك فغالت له ان اريد ان لاتنزل غرة من الجنة لانزلنا معك قال
نعم قالت فاني عجزو كبيرة لا استطيع ان امشي فاحملني فحملها فلما دنت من النبل قالت له انه في جوف
هذا الماء فادع الله ان يحرس عنه الماء فدعا الله تعالى فحرس عنه فغالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجوه وهو
في صندوق من مرمر فجعله معه ودفنته في الارض المقدسة قال عروة ابن الزبير وقد كان الله تعالى امر
موسى ان يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعاه به ان يؤخر طوعه حتى يفرغ من امر يوسف ففعل
فمن ثم تحمل اليه ودمواتهم من كل بلد الى الارض المقدسة من قبل نبهم ذلك * اخبرني الحسن بن محمد بن ابي
عن ابن ابي موسى الاشعري عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم بغرابي فاكرمه
فقال له عليه السلام تعاهدنا فانا الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة يا رسول الله رحلها
واعترى محلها اعلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غير هاهنا فقال له عليه السلام ان
عجزوا ببني اسرائيل كانت احسن مشيئة من هذا وذكرا الحديث الذي في قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى
البحر هاجت الريح وعادت ترمى موج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله ابن امرت فقد غشينا
فرعون والابجر اماننا فقال دوسى ههنا فحاض يوشع بن نون الماء فجعلوا يجرؤ لموارحار دابته الماء
وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزين مؤمن آل فرعون يا كليم الله ابن امرت قال ههنا فكبج فرسه

بلجأه حتى طار الزبد من شاقه ثم اقتحم البحر فارتسب الماء فذهب القوم ليصنوا سائل ذلك فلم
 يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك
 الوقت في غابة از بادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطمعه فأوحى الله تعالى إليه أن كنهه فضر به نانيا
 وقال انقلب يا با خالد ابن الله تعالى فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انقلب البحر فاذا بالرجل
 الذي اقتحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يزل سرجه ولا يلبده وظفر في البحر اناء عطر رطاب لا تاتي
 عشر سبط الكل سبط طريق يارسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يديسا كما
 قال الله تعالى فاضرب لهم طر يقا في البحر يديسا لا تخاف دركا ولا تحشي قال سمع بن جبر ارسد معاوية
 الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الامرة واحدة فارسل اليه انه المسكان الذي انقلب
 عنه البحر لبني اسرائيل (اخبرنا) الحسن بن محمد بالسناده عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه
 السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شيء والمسكون لكل شيء والسكان بعد كل شيء اجعل
 لنا فرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فاضرب بعصاه البحر فانقلب فكان
 كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الا اعلمكم تلك المرات التي تكلم بها موسى حين جز البحر ببني اسرائيل فقلنا بلى يا رسول
 الله قال قولوا انهم لك الحمد واليك المشي وانتم المسعمان وعليك التكبران ولا حول ولا قوة الا بالله
 العلي العظيم قال عبد الله فماتوا كتمن مندمه من من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فاضربوا اسرائيل
 البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كالجلل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد
 قتل اخوانا فأوحى الله الى جبال الماء ان تشبك فصار الماء شبات كجبال الطاقات فطمر بعضهم بعضا
 فخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا يسبح بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك
 قوله تعالى واذا فرقنا بك البحر اى فرقنا بينك الماء عينا وشمالا فانحنيناكم واغرقنا آل فرعون
 واتم نظرون وذلك انه لما خرجت ساقه عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه
 فاراد موسى ان يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فأوحى الله اليه ان اترك البحر رهوا اى ساكنا
 على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر راوه منفلقا فقال فرعون انظر الى البحر كيف
 انقلب خبيث حتى ادرك اعدائي وعبيدي الذين ابقوا مني فاقبلهم فادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه ولم
 يكن في خيل فرعون اني وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له اتي وديق مشبهة
 للذئبل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وغاض البحر فظن اصحاب فرعون ان الفارس منهم فلما شمت الخيول
 وبجها تنجعت البحر في أثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستجهم ويقول لهم
 الحقوا باصحابكم فلما اراد فرعون ان يسلك طر يق موسى نهاده ربه هاما ن وقال له اني قد اتيت الى هذا الموضع
 مرارا ومالي عهد بهذا الطريق وانى اخاف ولا آمن ان يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاك كنا وهلاك
 اصحابنا فلم يطمعه فرعون وذهب معا جلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع اخصان فجاءه جبريل على رمكه
 بيضاء فصهلت فحمم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتم بها حصان فرعون فاقحمه البحر فلما
 توافوا في البحر وهم اولهم ان يخرج من البحر امر الله تعالى البحر ان ياخذهم فالتطم عليهم
 فمقرهم اجدين وذلك بما رأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى واغرقنا آل فرعون واتم نظرون يعني الى
 مصارعهم واغرق جبريل عليه السلام بفرعون فلما ادرك فرعون الفرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به
 بنو اسرائيل وانهن المسامح فقال له جبريل الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل اراه

وفوجه نحو الشام فلم أره
 رضى الله تعالى عنه ونقمنا
 به آية من (وحكى عنه أيضا
 رضى الله تعالى عنه) أنه
 قال كان لي مسجد وكان
 بجانيه جدار شرطى كنت
 أعرف منه أخذ أموال
 المسلمين فلما حضرته الوفاة
 أتوا به إلى مسجدى لأصلى
 عليه فامتنعت من الصلاة
 عليه وقالت خذنه عني
 وصلوا عليه في أى مسجد
 كان بعيدا عن مسجدى
 فاخذوه ومضوا به من
 عندى فلما كان الليل
 رأيت الشرطى وعليه
 ثياب خضر وهو يتخترق
 الجنة قال الجنيد فقاتله
 ألسن الذى طردتك
 بالامس فقال نعم فقاتله
 أخبرني بحالك فقال لما
 كان من امرى ما كان
 وطردتني وامتنعت من
 الصلاة على دخل عندى
 رعب شديد فلما حضراني
 من عندك سمعت قائلا
 يقول لا تخزن فانك قادم
 على كريم فزال ما كان
 عندى من الخوف فلما
 وقفت بين يديه جعلت
 اعتكأى عليه فقال الله
 عز وجل يا عبدى ما قال
 الجنيد فقلت يا سيدي
 انت اعلم بحاله فقال الله
 عز وجل وعزى ورجللى
 ان كان قد طردك الجنيد
 فمقد قبلتك فانما أقبل

ففيه وترجمه الذى فيه وقال أما هذا فذاك الذى اقصيت ثم جدل من في فيه من حمار البحر مخافة ان
 يسيد تلك الشمادة وفي الحديث ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت احدا
 من الخلق ما بغضت رجلين انا احدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين اتيان يسجد لادم الا ان
 من الانس وهو فرعون حين قال انا ربكم الاعلى ولو اريتي يا محمد وانا اخذ من حمار البحر وأدسه في
 فيه مخافة ان يقول كلمة التوحيد فيدحه الله ثم قالوا فلم سمعت بنو اسرائيل صوت النظام البحر قالوا
 ماهذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد اهلك فرعون وكل من كان معه عرفا فقالوا لموسى ان فرعون لا يعوت
 ألم تر انه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شئ مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر قالوا على
 نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظرا له بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم نجيك ببطنك لتكن لمن
 خلقك آية فيقال له لو لم يخرجك الله بدينه لك في بعض الناس فلما جاء موسى ببني اسرائيل البحر راى على
 قوم يعكفون على اصنامهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كالهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء
 متبر ما هم فيه باطل ما كانوا يعلمون (اخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودى
 الى علي بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم به نبيكم خمس وعشرين سنة حتى قتل
 بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت اقدامكم من حمار البحر حتى قاتم يا موسى
 اجعل لنا الها كالهة فلما غرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندتين
 عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهى يوهن خالية من أهلها قاده اهلك
 الله عظامهم ورؤساهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والمرضى فامر على
 الجندين بوشع بن نون وكالب بن يوقا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكثروا زعم فخلوا
 من ذلك ما استفلت به الحول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من
 جنات وعيون الى قوله تعالى فاكمن كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون
 استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى عن معه من المسلمين غائبين شاكرين

(الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل ليقاثر به وصفا لآياته

الله تعالى له الا لواح وانزاله التوراة وما يماق بذلك) *

قال الله تعالى واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعلمنا بها مشر وقال في موضع آخر اذ اعدنا موسى اربعين ليلة
 قال العلماء بقصص النبيين وسير المناضلين ان موسى كان وعد بنى اسرائيل وهو يصعد اذ اخرجوا منهم اود ذلك
 عدوه ان يأتهم بكتاب فيه ما يثرون وما يذرون فلما اهلك الله تعالى فرعون وقومه واستغنى بنى اسرائيل
 من أيديهم وأمنهم من عدوهم لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى اننا نكتب الكتاب الذي
 وعدتنا به فساءل موسى به ذلك فامره الله ان يصوم ثلاثين يوما ثم يطهرو ويظهر ثيابه ويأتى طور سيناء
 ليكتبه ويطلبه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل انكسر خلوف فيه فتمسك به بعد خروجه
 (قال ابو العالية) اخذ من لحاء الشجر قصبة فقاتل له ثلاثا كما كنا نسمي من فيك رائحة المسك فافدتها
 بالسواك فاحى الله تعالى اليه أن صم عشرة ايام آخر وقال له أسمعك ان خلوف فم الصائم طيب عندي
 من رائحة المسك كانت فنتنهم في العشرة الايام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى واعدنا
 موسى ثلاثين ليلة القعدة وأعلمنا بها مشر يعني من ذى الحجة (اخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن ابن هريرة
 ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لانه تعالى واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعلمنا بها مشر أى من
 ذى الحجة فتم ميفات ربه اربعين ليلة فلم امضت اربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه ليقاثر به فلما

المطرودين وأغزو عن
 المذنبين أمضوا يدي إلى
 الجنة رحمتي وإن أرحم
 الراحمين اللهم أرحمنا كما
 رحمتهم وأرحم جميع المسلمين
 (وحكى عن أبي العباس
 الخضر عليه السلام) أنه
 قال كنت بصنعاء اليمن في
 مسجد عبد الرزاق الواعظ
 وكان من كبار العلماء
 والأولياء سمعته يقول
 فنظرت إلى شاب منفرد
 بناحية من المسجد فدخل
 بنفسه واضعاً رأسه بين
 ركبتيه قايت إليه وكرهته
 وقالت يا هذا لم لا تحضر
 مجلس عبد الرزاق وتسمع
 منه ما يقول فقال قد
 سمعت من الله عز وجل
 فادعني ذلك فقلت له إن
 كنت صادقاً فانا فقال
 إن سمعت ألف فراسة قانت
 الخضر عليك السلام ثم
 غاب عن بصري فلم أره
 فقها الله تعالى به آمين
 (وحكى عن عبد الله
 التستري رضي الله تعالى
 عنه) أنه قال غزا والذي
 سمعته من السنين مع
 المجاهدين في سبيل الله
 تعالى فلما كان بين الصنفين
 وقع المهر الذي كان تحتهم
 فمات فقال والدي يارب
 اعزني إياه حتى أرجع من
 مجاهدتي إلى قرأتي فليس
 معي غيره قال فمضى كلامه
 حتى قام المهر في الحال حياً

أنى طور سيناء كلمه ربه ونجاهه وقر به واداه كما قال تعالى وقر بناه نوحاً (قال رهب) كان بين الله وبين
 موسى سبعون حجاباً فرفعها الله كلها الإحجاباً واحداً فتخلى موسى الكلام الله تعالى واشتاق إلى رؤيته
 وطعم فيها فقال رب أرني انظر إليك (قال السدي) لما كلم الله موسى غاص الحبيب البليد في الأرض حتى
 خرج من بين قدمي موسى فوسوس في قلبه وقال إن مملكك الشيطان فمئذ ذلك سأل الرؤية فقال
 الله تعالى إن تراني وليس بطيق البشر النظر إلى في الدنيا من نظري مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت
 للنظر إليك ولأن انظر إليك ثم اموت أحب إلى من أن أعيش ولا أراك فقال لما نظر إلى الجبل وهو
 أعظم جبل في مدين يقال له زبير وذلك أن الجبال لما علمت أن الله يريد أن يتجلى لجبل منها تناظمت
 وتناحلت رجاء أن يتجلى الله لها وجل زبير فوضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهم
 وخصه الله بالتجلى قال الله تعالى فإن استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله تعالى للجبل (واختلف
 العلماء في معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحكاه أظهر الله تعالى من نور
 الحجب مثل منظر النور وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل
 إلا كهم الحياض حتى صار دكا وكذا قال السدي ما تجلى إلا قدر الخضر يدل عليه ما روى ثابت عن
 أس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الإبهام على الفصل الأعلى
 من الخضر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحى الله تعالى إلى الجبل وقال حل تطيق رؤيتي فغار
 الجبل وساخ في الأرض وموسى بنظر إليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حكى عن
 سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نوراً قدر درهم فجعل الجبل دكا
 قال أبو بكر فذهب إذ ذاك كل ماء وافاق كل جنون وبرى كل مريض وزال الشوك عن الأشجار
 وأخضرت الأرض وازهرت ومحمدت نار الجوس وخرت الأصنام لوجوهها قال السدي ما تجلى للجبل
 إلا قدر جناح بهوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس تراءى وقال سفيان ساخ حتى وقع في البحر قال عطية
 العوفي صار رملاً لا أوقال الكبي جملة دكا أي مكسراً جبلاً صغاراً * وبالإسناد عن أنس بن مالك
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته
 ستة أجيال فوقعت ثلاثة في المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة نور رثير وحراء
 وخرموس صمفا قال ابن عباس مفسياً عليه وقال قتادة ميتاً وقال الكبي خرموس صمفا يوم الخميس
 يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدي لما خرموس صمفا قالت الملائكة ما لآلئ
 عمران وسؤاله الرؤية (وفي بعض الكتب) أن الملائكة السماوات والأرض أتوه موسى وهو مغطى
 عليه فجعلوا يلكنونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وقال وهب
 لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل
 الذي عليه موسى وأمر الله تعالى الملائكة السماوات أن يرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل
 ناحية فمرت به الملائكة الملائكة سماء الدنيا كثيراً مثل البقر تنبع أفواههم بالنسيج والتقدس
 بصوت عظيم كهوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى الملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى
 فهم مطوعل عليه مثل الأسود لهم لجب بالتبسم والتقدس فخرج موسى مبرأى وسمع واقشعت كل
 شهرة في جسده فقال ندمت على دعائى فهل ينتجني من مكان الذي أنا فيه شيء إن خرجت احترقت
 وإن قدمت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سئلت فتأويل من كثيراً ما رأيت ثم هبطت
 الملائكة السماء الثالثة كأنها النور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالنسيج

بإذن الله تعالى لي فقرا
والذي عليه فلما رجع قال
ياوردي خذ السرج عن
المهر فملت ياوردي انه
عرقان حتى يستريح فقال
ياوردي انه عارية فلما
أخذت السرج عنه وقع
المهر في الحال ميتا وهذا
من بخر كراماته رضي الله
تعالى عنه (وحكى عن
بعض الصالحين نعمنا الله
تعالى بهم) انه قال كان
عندنا رجل نباش كانت
يسرق الاكفان من القبور
فأنت امرأة من المتعبدات
فصلى عليها كثير من الناس
وصلى النباش معهم
وخرجوا الى قبيرها
والنباش معهم ليسرف قبرها
فلما جن الليل أتى النباش
الى قبرها ونزل اليها فاطفاها
الله عز وجل وقالت
سبحان الله رجل مغفور له
ياخذ كفن امرأة مغفورها
فقال النباش ان الله غفر لك
فكيف غفر لي ففالتان
الله غفر لي ولمن صلى على
قال فخرج النباش من
عندها وتاب الى الله تعالى
وحسنت نوبته ببركها
وزنم العبادة حتى مات رجحة
الله تعالى عليه وعلينا وعلى
اموات المسلمين آمين
(وحكى عن عبد الواحد
بن زيد رضي الله تعالى
عنه) انه قال بينما نحن
جلوس ذات يوم في مجلسنا

والقدس والتبليل كلجيب الجيش العظيم ألوانهم كلب النار ففرع موسى عليه السلام واشتد فزع
وأبس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا بن عمران حتى ترى ملاصبر لك عليه ثم هبطت
عليه ملائكة السماء الزاوية لايستطيعون من الذين مروا به ألوانهم كلب النار وسائر خلقهم كالنلج
الايض أصواتهم عالية بالتسبيح والتعديس لا يقر بهم شيء من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه
ملائكة السماء السادسة في سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثله ولم يسمع مثل
أصواتهم فلما تجوف موسى فزعوا واشتد خوفه وكثر بكائه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا بن عمران
مكانك حتى ترى بعض ملاصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن يهبطوا على عبيد الذي
أرادوا أن يبقوا فاعترضوا عليه فهبطوا وفي بكل ملك منهم حر بطوالة تلهب ناراً أشد وضوءاً من الشمس
ولابسهم كلب النار وإذا سبحوا وقدموا جاء بهم كل من كان قلبه من ملائكة السموات كلهم يقولون
بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبداً لا يموت وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما سارهم
موسى رفع رأسه بصوته يسبح معهم ويبكي ويقول رب اذكروني ولا تنس عبدك لأدري هل أخلص
مما أنا فيه أولان خرجت احتقرت وان مكثت احتقرت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم ياوشك يا بن
عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فأصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء
الساوية قال الله تعالى أروه إياه فلما بدأنوا العرش انصدح الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة
السموات أصواتهم جميعاً يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبداً لا يموت بشدة أصواتهم فارتج
الجبل وانكد وخر موسى صمقاً على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذي كان موسى عليه وجعله
كهيفة الغيبة للامحترق مرسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمين
بأنك رب وصدق بانه لا يراك أحد فيحيى ومن نظار الى ملائكتك الخلع قلبه فأعظمت وأعظم ملائكتك
أنت رب الارباب والالهة وملك الملوك لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء ثبت اليك الحمد لا شريك
لك أنت رب العالمين (قال السدي) هف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالار وحف حول
النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى به للجبل (أخبرني) الحسن بإسناده عن عمرو بن ديلم
اللاخمي قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صاه ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الظهور دكا وتقطرت
الجبال وصار قبا كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة
فاتخذ منها نعمة ألواح طول كل لوح منها أشعة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ
منها الألواح من زمردأ خضرم ثم أمر جبريل أن يأتيه بمسحة أعصان من سدرة المنتهى فجاءها فصارت جميعاً
نورا وصار النور قلماً أطول من أيمن السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وهوى بسبع صر بالفلم
فكتب الله في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله
موسى أن يأخذها بقوة ويقرنها قومه فوضعت الألواح على السماء فلم تطق حملها القمل واليهود والملائكة التي فيها
فالت يا رب كيف أطيق ان أحمل كتابك العظيم المبارك وهل خلقت خلقاً يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى
جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الألواح فيملأها موسى فلم يطق حملها فقال يا رب من يطيق حمل
هذه الألواح بما فيها من النور والبيان واليهود واليهود وهل خلقت خلقاً يطيق حملها فأمد الله بملائكة
يحملونها بمد كل حرف من التوراة فجعلوها حتى يملأوها موسى وعرضوا الألواح على الجبل فأنصدح لها
الجبل وخشع وقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم
لوازنا هذا القرآن على جبل لرأيهم خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم

ان قد تمها بالخروج للغزو
 في سبيل الله تعالى وقد
 امرت اصحابي ان يتجهوا
 فقرر ارجل منهم في مجلسنا
 ان الله اشترى من المؤمنين
 انفسهم واموالهم بان لهم
 الجنة ففعلت نعم فقال غلام
 يا عبد الواحد اشهر اني
 بعته نفسي ومالي بان لي
 الجنة فقلت له يا غلام ان
 حد السيف اشد من
 ذلك وانت صغير السن
 يخاف عليك ان لا تصبر
 وتمجز عن ذلك فقال
 الغلام يا عبد الواحد اباع
 الله تعالى بالجنة ثم اعجز
 اشهد الله اني بعته نفسي
 ومالي في سبيله قال
 عبد الواحد فمجزنا من
 ذلك وقتنا صبي يعقل
 ونحن لانقل نخرج من
 عندنا وتصدق بجميع ماله
 في سبيل الله الا فرسه
 وسلاحه وثقته فلما كان
 يوم الخروج كان اول من
 طلع علينا هو فقال السلام
 عليك يا عبد الواحد فقلت
 وعليك السلام يا حبيبي
 ربح اليوم سرنا وهو ممنا
 يصوم النهار ويقوم الليل
 ويخدمنا ويخدم دوابنا
 ويحرسنا اذا غمنا حتى
 اتهمنا الى بلاد الروم فبينما
 نحن جلوس اذابه قسا قبل
 وهو ينادي واشوقاه الى
 العيما المرضية فقال اصحابي
 لعل هذا الغلام وسوسي

يتفكرون كما نزل التوراة على الجبل فلم يطلق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك
 عند صلاة العصر فقبض موسى على الاواح فلم يطلق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فلذلك
 قوله يا وسوسي اني اصطفيتك الالية وقوله تعالى وكنت باله في الاواح الالية
 (فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى بنبيه وصفية في الاواح
 وهي معظم التوراة واعيانها مذكر كل شريعة)

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار ابدىه ورسوله موسى بن
 عمران ان سبحني وقد سني لاله الا انا قاعدتي ولا تشرك في شدينا واشكر لي ولوالديك الى المصير
 احبيك حياة طيبة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باظهارها والارض برحبها
 ولا تخلف باسمي كاذبا فاني لا اظهر ولا ازكي من لا يعظم اسمي ولا تشهد بما لا يبي سمعك ولا تنظر
 عينك ولا يقف عليك قلبك فاني اوقف اهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة واسألم عنها ولا تحسد
 الناس على ما آتاهم من فضلي ورزقي فان الحاسد عدو مني ساقط لفسمي ولا تزن ولا تنسرق فاحجب
 عنك وجهي واعلن دون دعوتك ابواب السموات ولا تذبح لغيري فانه لا يصمد الي من قربان
 الارض الا ما ذكر عليه اسمي ولا تنفجرن بحيلة جارك فانه اكبر مقاما عندي واحب للناس
 ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك فمده نسخة العشر الكلمات وقد اعطاها الله جميعها لمحمد
 صلى الله عليه وسلم في ثمان عشرة آية وهي قوله تعالى في سورة بنى اسرائيل وقضيت بك ان لا تدبوا
 الاياله الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها في ثلاث آيات من سورة الانعام وهي قوله
 تعالى قل تاملوا اهل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (اخبرنا) ابو عمر محمد
 القرطبي باسناد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعطى موسى الاواح نظر فيها
 فقال يارب لقد اكرمتني بكرامة لم تكرم بها احدا من الملائكة قبلي قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
 برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكمن من الشاكرين اى بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب
 محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال احمد الذي اثبت اسمه على عرشي قبل ان اخلق
 السموات والارض بالفي عام وانه نبي وصفي وخيرني من خاقي وهو احب الي من جميع خلقي وجميع
 ملائكتي فقال عوسي يارب ان كانت محمد احب اليك من جميع خلقك فهل خالفت امة اكرم
 عليك من امتي قال الله تعالى ان فضل امة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلتي على جميع الخلق
 قال يارب ليتني اراه واراهم قال يا موسى انك لن ترام ولو اردت ان تسمع كلامهم اسمعتك قال
 يارب فاني اريد ان اسمع كلامهم قال الله تعالى يا امة محمد فاجبنا كلنا من اصواب آياتنا
 وارحام امهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والمنة لك والاك لا شريك لك فقال الله تعالى يا امة محمد
 ان رجعتي سميت غضبي وعفوي سرق عقابي قد اعطيتك من قبل ان تسألوني وقد اذيتك
 من قبل ان تدعوني وقد غفرت لسمك من قبل ان تعصوني من جاء يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله
 وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت
 بجانب الغربي اذ قضيت الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور
 اذ ناديتنا (اخبرنا) ابو عبد الله محمد بن احمد بن علي بن نصير المكي قال اخبرنا ابو العباس محمد بن اسحق المصراحي
 قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المعافري عن ابيه ان كعب الاحبار راى حبرا
 من اليهود يبكي فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار انشدك الله لن اخبرتك بما

الواحد فقلت له يا حبيبي
وما هذه العيناء المرضية
فقال الغلام يا سيدي اني
عقوت قليلا فرايت في
منامي كأنه قد اتاني آت
فقال لي اذهب الى العيناء
المرضية ثم اخذ يدي
وهجمني على روضة فيها
ماء غير آسن واذا على شاطئه
ذلك النهر جوار عليهن
من الحلى والحلل مالا اقدر
ان اصفه فلما رايتني
استبشرن بي وقلن هذا
زوج العيناء المرضية فقلت
السلام عليكن افئكن
العيناء المرضية فقلن نحن
خدمها واماؤها امض
امامك فضيت امامي فاذا
بهن من ابن لم يتغير طعمه
في روضة فيها من كل زينة
وجوار حدين رايتهن
فنتت بحسنهن وجمالهن فلما
رايتني استبشرن وقالن
هذا زوج العيناء المرضية
فقلت السلام عليكن
افئكن العيناء المرضية
فقلن وعليك السلام يا ولي
الله نحن خدمها واماؤها
امض امامك فضيت
امامي فوصلت الى خيمة
من درة بيضاء وعلى باب
تلك الخيمة جارية تلمع من
الحلى والحلل مالا اقدر ان
اصفه فلما رايتني استبشرت
بي وتادت من في الخيمة
ايها العيناء المرضية هذا

أبكاء لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام
ان موسى نظري في التوراة فقال اني أجد أمه ثم خير الامم أخرجت للناس يا مرون بالمروف و ينهون عن المنكر
و يؤمنون بالكتاب الاول والاخر و يقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى
رب اجعلهم امتي قال هم أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله
المنزل على موسى ان موسى نظري في التوراة فقال اني اجد أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب
أنا قال أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى فاجعلهم امتي فقال هم أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب
أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظري في التوراة فقال يا رب اني أجد أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب
و صدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يبيد
عبداءه ولا أمه الا لشراء من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر والقاء ثم دفنه في لا يرجعوا
فيه وهم المسجونون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يا رب اجعلهم امتي قال
هي أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظري في التوراة
فقال اني أجد أمه اذا أشرف أحدكم على شرف كبير الله تعالى واذا هبط الى واحد الله تعالى الصعيد
لهم ظهور والارض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث
لا يوجد الماء غرا يحجلين من آثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب
أنشدك الله هل تجد في التوراة ان موسى نظري فيها فقال يا رب اني أجد أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب
كسبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشر الى سبعمائة ضعف واذا هم بسببته ولم يعلموا لم يكتب عليه واذا عملها
كسبت عليه سببته مثلها فاجعلهم يارب امتي قال هم أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب أنشدك الله هل
تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظري في التوراة فقال يا رب اني أجد أمه ثم جد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب
فمنهم ظلم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أخدامهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال
هم أمه ثم جد يا موسى فقال له الخير نعم قال كتب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظري
في التوراة فقال يا رب اني أجد أمه مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصطفون
في صلاتهم صفوف كصفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد
ومنهم من لا يرى الحساب الامثل ما يري الحرمن وراه الشجر فاجعلهم امتي قال هم أمه ثم جد يا موسى
قال له الخير نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
قال موسى يا ليتني من اصحاب محمد فوحي الله تعالى اليه بثلاث آيات برضى بهن فقال تعالى يا موسى اني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وكلامتي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين
وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون قال فرض موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما
صار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له رب ما تبغني قال جئت ابغى الهدى قال وجدته يا موسى قال
موسى يا رب اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرني ولا ينساني قال فابغى عبادك أفضى قال الذى يقضى
بالحق ولا يتبع الهوى قال اى عبادك اعلم قال الذى يبنى علم الناس الى علمه فبسم الحكمة هدى الى
هدى ارتد عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا
في ظل العرش جالسا قال يا رب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه
لا يمشى بالغميمة قال موسى يا رب اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غير وما بين ذلك وما أنت أعلم به منى أعوذ
بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملي قال قد كفيت ذلك يا موسى قال موسى يا رب اى الاعمال

من تلك الخيمة ودرخلت اليها فاذا هي قاعدة على سرير من ذهب احمر مكل بالدر والياقوت والجوهر فلما راها افتنت بها فقات مرحبا بك يا ولي الله قدنا لك القدوم علينا قال فتقدمت لاعناقها فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك ان تعاتقي لان فيك روح الحياة واسكن انت تقطر الليلة عندما ان شاء الله تعالى قاتلتها من منامي وليس لي صديق واحد عنها قال عبد الواحد فافرج من كلامه حتي اقبات علينا سرية من المدوخل الغلام فيهم فعدنا تسمية رجال قتلهم وهو العائمر فجنمت اليه وهو يتشخط في دمه وهو يضحك حتى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الواحد خفرت عليه وانتدست يامن يعاقب دنيا لا يقاه لها عسي ويصبح مفرورا وغرارا هلا تركت لذي الدنيا معانقة حتى تعاق في الفردوس ابكارا ان كنت تبغى جنات الخلد تسكنها فيبغى لك ان لا تامن النارا وحكي عن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه انه

احب اليك ان اعمل به قال تذكركي ولا تنساني قال اى عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفسد قلبه ولا يزني فرجه وؤمن في خلق حسن قل فالى عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سي جيفة بالليل يطال بالنهار قال فله ارجع موسى الى قومه وقد اتاهم بالتوراة اذ انا ان يقبلها ويعملوا بها من الاثمل ولا غلال التي كانت عليهم فيها وكانت شر يمة تيملة فاسر الله جبريل ففعل جبريل على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرقه فوق رؤوسهم مثل النظة مقدار قامة ارجل وقال ابو صالح عن ابن عباس امر الله تعالى جبريل ان يقاتل من اصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذاخذنا من اقبكم برؤسنا فكم تظور وقوله تعالى واذا نفضنا الجبل فوقعهم كانه الظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور وبث نار من قبل وجوههم وانهم البحر ملحان خلفهم وقيل لهم خذوا ما اتيناكم بقرة واسمعوا فان قبلتموه فماتم ما امرتكم به والا رخصتكم بهذا الجبل واغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما راوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليوم ولا يسجدون الا على انصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا واطعنا ولولا الجبل ما اطعناك وروي قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تشاء نور رب العالمين وانصرف الى قومه اربعين ليلة ليراها احد الامات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدى وجهه لا حد خفاف ان يموت (واخبرني) ابو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا محمد بن ابي شعبة قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الفزاري قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيى السامى قال حدثنا الحسن بن ابي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلمهم موسى كان يصبر احد ذلك ديب الخلة في الميلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (واخبرنا) ابو عبد الله الثقفى قال حدثنا عبد الله بن شعبة قال حدثنا ابو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زبد بن اسلم عن ابيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا اشده

باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم المعجل

قال اهل السير واصحاب التواريخ لما اهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميعات ربي واتيك بكتاب فيه بيان ما نأتون وما تنذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخاف عليهم اخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة وهي بلفاء اوني لانصيب شيئا الا حي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان هذه الفرس لشا ناعظها واخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدى (وقال الكوفي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل المعجل حين عبروا البحر وبث الله تعالى جبريل على فرس بلفاء خطاهم البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيولهم قوم فرعون ربحها فضحت في اثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين امر بذيبح اولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انظفتم به سرا في جوف الليل الى صحراء او واد او غار في جبل فاخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يعطاه ويسقيه حتى ينخلط بالناس وكان الذي ربي السامري جبريل عليه السلام فجعل يعص من احد ابهامه يسمنها ومن الاخر عسلا في ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذ اجاع الطفل يعص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل السامري وعلا بلونا تسقيه اللبن بالقدادة والعشى

قال أصابني علة في ساقى

مستقيمة السنين فكنحت
 التحمل عليهم الصلاة فعمت
 عليها من الليل فاجهدني
 وجمي منها فجلست ثم
 لففت أزارى في محرابي
 ووضعت راسي عليه ونمت
 فبينما أنا نائم إذا أنا بجارية
 تفوق الدنيا حسنا وهي
 تحضربين جوار من نبات
 حتى وقفت على راسي
 والجوارى من خلفها
 ثم قالت ليضحين أرقمته
 ولا توقظنه فقبلي نحو ي
 واحتملني وأنا انظر
 اليهن في منامي ثم قالت
 للجوارى الاتى معها
 افرض له ودمه وسدنه
 قال عبد الواحد قمرشن
 تحتي سبع فرش لم أرهن في
 الدنيا لملا ووضن تحتي
 من اقق خضرا حسنا ثم
 قالت الاتى حملني اجملته
 على الفراش وبدأت
 فجلست على الفراش
 وصرت انظر اليهن متعجبا
 مما تأمر به من شأنى ثم
 قالت أين العلة فاشترت
 اليها فوضعت بها عليها
 وقالت قم شفاك الله الى
 صلاتك غير مضرور
 فاستنظت من منامي كاني
 والله قد نشطت من عمال
 فاشكوت بهذا اليوم
 بهذه العلة أبدا ولا ذهبت
 عن قلبي حلالة منطقة
 وحسن قولها قم الى صلاتك

حتى كبر واختلط بالناس فذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لأنه هو الذي رياه (١) وكان ابو عمرو
 السكندر يروي فقال دابة مرمي وفرعون دابة موسى أنزلها بهشت وفرعون أنزلها دوزخ ودابة السامري
 وجبريل دابة جبريل أنزلها بهشت والسامري أنزلها دوزخ وقد قال قتادة والسدي كان عظيم من عظماء
 بني اسرائيل من قبيلة يافال لها سامرة واسكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمات
 وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل باجرمي واسمه ونجا وقال ابن عباس اسمه موسى ظفرو كان رجلا
 منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسى ليقاها ربه
 وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة وانما الله بعشر حتى صارت اربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع
 اليهم افتقدوا وقالوا ان موسى اخلفنا الوعد فاغتنمنا السامري حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا لاييل
 يوما والتمار يوما وكان موسى قد وعدهم اربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتقدوا فانما السامري
 وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغي انكم ان تتخذوا الهافان موسى ليس يرجع اليكم وقد تم لنيئات
 فينبغي انكم ان تتخذوا الهافان فاطمع فيهم السامري لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة قهرم
 يمكنون على اصنامهم فمالوا بموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الاية فاغتنمها السامري فلما كان
 ذلك اليوم وخرج موسى ومضي من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حيا كثيرا من آل فرعون
 حين أرادوا الخروج من مصر بهلة العيد وعلك الله فرعون وقومه وبقي ذلك الحلى بابدي بني اسرائيل
 فلما خرج موسى قال هرون لبني اسرائيل ان حلى القبط الذي استمتعوه منهم غيصة ولا يحل لكم
 فاجمعه جميعا واحرقوا له حفرة وادفنه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامري
 بالقبضة التي اخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يا بني الله هل اقدف فيه فظن هرون
 انه من الجلى بر يده ما يريد اصحابه فقال له اقدف ففقد فيها في الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسده له خوار
 (وقال ابن عباس) او قد هرون ناراً وامرهم ان يقدفوها فيه فقدف السامري تلك القبضة فيها فقال كن
 عجلا جسده له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك ان السامري قال لهرون اأنتى ما في يدي
 وهو يظن انه من تلك الحلى فقال نعم ويقال ان الذي قال لبني اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامري
 فصدقه وجمعه وادفنه في فصاع منها عجلا في ثلاثة ايام ثم التقى فيه القبضة فجثا رثار خورقة ثم لم يمد
 وقال السدي كان يخور ويمشي فلما اخرج السامري العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كاحسن ما يكون
 وقال هذا الحكم واله موسى فنتى أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج بطالبه فذلك أبطأ عليهم واختلف
 المؤعد وفي بعض الروايات ان السامري لما صاع العجل وقذف القبضة فيه أشمر العجل وعدوا رثار فصار له
 لحم ودم ووروى ان ابليس خاف وسطه ويقال ان السامري جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر في الجانب
 الاخر في الارض واجلس فيه انسانا فوضع فيه دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الحكم واله موسى
 فلبس السامري على اوغاد بنى اسرائيل وجها لهم حتى اضلمهم وقال لهم ان موسى قد اخطأ ربه فانما كرمه
 أراد ان يريك انه قادر على ان يدعوك الى نفسه بنفسه وان لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وانه قد اظلم اليكم
 العجل ليحكمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انما سمى العجل لانهم
 تيجلوه قبل رجوع موسى اليهم (وقال الحسن البصري) اسم عجل بني اسرائيل الذي عبدوه به موت قالوا
 فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامري افتنوا به غير انني عشر انما وكان مع هرون ستمائة الف فمكفوا عليه

(١) قوله وكان ابو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة
 ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اه

يعبدونه من دون الله وأحبوه حباً ما أحبوا مثله شيئاً قط فقال لهم هرون يا بني اسرائيل انما فتنتم بهوان
 ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع اليك موسى فقام هرون فيمن
 معه من المسلمين واقام من بعد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين
 الضالين ان يتولاه موسى فرقت بين بني اسرائيل وكار له ما بها طليما وقال قتادة في هذه القصة قد ذكره
 الصالحون الفرة قبلكم (اخبرني) الحسن بن سافاه عن راشد بن سعيد قال لما وعده الله موسى ان يمين يوم
 قال الله تعالى يا موسى ان قومك قد افتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن
 البحر وانعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الهام من دوني وهو عجل زوجة له خوار قال يارب من نفخ فيه
 الروح قال انا قال انت وعزتك فتنتم ان هي الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا ابا النبين يا ابا الحكم
 اني رايت في قلوبهم ففسرت لهم فلما رجعه وسي من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع الملقط حول العجل
 وكانوا يزفون ويرقصون حوله ولم يخبر موسى اصحابه السبعين بما اخبره ربه من حديث العجل فقالوا
 هذا قتال في الحلة فقال موسى لهم لا يمكنه صوت الفتنة افنتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى
 ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به الفى الانواح من يده ففكسرت
 فصعد عتبة السكلام الذي كان فيها الاسد سها ثم اعيدت له في لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ليس الماعان كالحبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يبق الا الواح فلما عاين اثنى عشر القام
 فكسرها (عن عيم الداري) قال قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قر بيامن ساحل
 البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية اما ان في غارها غير ان راضا من الواح موسى وما من سحابة
 شرقية ولا غيرة تمر بها الا الفت عليها من ركبها وان تذهب الايام والليالي حتى يسكنها رجل من اهل
 بيتي يماؤها ولا وقتها كما ملئت جورا وظلما قالوا انما راى موسى ما صنع قومه من بعده عبادة العجل
 أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه وحيته بشماله وكان هرون قد اعترلهم في اثني عشر القام
 يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذا رايتهم ضلوا ان لاتنبه ان نصيت امرى هلا قتلهم اذا علمت
 اني لو كنت فيهم لما تلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآتية قال المفسرون كان لهرون اخا موسى
 لانيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقية واستمطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اى بذوائي اني
 خشيت ان قاتلتهم ان يصيروا حز بين يقولوا بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم تقرب قولي اى
 ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم أن موسى اقبل على
 السامري وقال له ما خطبك يا سامري اى ما أمرك وشأنك فقال السامري بصرت بما لم يبصروا به
 فقبضت قبضة من اثر الرسول يعني أخذت ترابا من اثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتا في العجل وكذلك
 سولت لى نفسى اى زينت لى قالوا فلما علم بنو اسرائيل انهم اخطوا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على
 ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا ان لم يرجعنا ربنا
 ويغفر لنا نكون من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم بانحازكم العجل قالوا له
 فاكشيه نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى ربكم اى ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف توب قال فاقنوا
 انفسكم اى ليقتل البرى المجرم ذلكم يعني القتل خير لكم عند ربكم قال ابن عباس اى ابي الله أن يقبل
 توبة بني اسرائيل الا بالخال الذي كرهوا أن يقاتلوه حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة
 عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا
 لا مرمه وقالوا اصبر لا مرمه فجلسوا في الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيف والخناجر فكان

منافقهم فقال الله تعالى عنهم
 ونقمنا بركابهم (وحكى
 عنه أيضا رضى الله تعالى
 عنه) انه قال سألت الله
 تعالى ليلة من الليالي ان
 يربى رفيق في الجنة فقيل
 لى يا عبد الواحد رفيقك في
 الجنة ميسونة السوداء
 فقلت واين هي فقيل لى في
 بني فلان بالكوفة فخرجت
 الى زيارتها فلما وصلت
 الكوفة سألت عنها فقيل
 لى هي امرأة عجوز عجونه
 ترعى غنات فقلت اريد
 ان اراها فقالوا اخرج الى
 البساتين فانك تراها
 فخرجت فذا هي قائمة
 تصلى وبين يديها عكازة
 وعليها جبة من صوف
 مكتوب عليها الاتباع ولا
 تشري ورايت الغنم مع
 الذئاب ترعى فلا الذئاب
 تأكل الغنم ولا الغنم تخاف
 من الذئاب فلما رايتني
 أوجزت في صلاتها ثم
 قالت ارجع يا ابن زبد ليس
 الموعده هنا فقلت لها ارجعك
 الله فمن اعلمك باسمي
 فقالت يا عبد الواحد انا
 علمت ان الارواح جنود
 مجدة فانما رافها اختلف
 وماتوا منها اختلف
 فقلت لها عذابي فقالت
 واعجز الواعظ وعظم قالت
 ما من عبدا اعطى شيئا فابتغى
 اليه ثانيا الا سلبه الله حب

وحشة ثم اشدت تقول

يا وعاظا قلم لاحتساب

يزجر قوما عن الذنوب

تنبى وانت السقيم حقا

هذان المنكر العجيب

لو كنت اصلحت قبل هذا

عيبك أو تبت من قريب

تنهي عن الغي والخادي

وانت في كل رب

قال عبد الواحد فدهشت

عند سماع ذلك وقلت لها

يا ميمونة اني ارى هذه

الاغنام مع الذئاب ترعى

فلا اذنب تخاف من الذئاب

ولا الذئاب تأكل الغنم

فقلت اليك عني يا بطال

فاني اصلحت ما بيني وبين

سدي فاصلح ما بين

الذئاب وغنمي قال فضئت

من عندها وقلت من اطاع

الله اطاع كل شيء نعم الله

تعالى بهم وغفر لنا بركاتهم

واسرارهم ومددهم آمين

(وحكى عنه ايضا رضي الله

تعالى عنه) انه قال اشتريت

غلاما للخدمة فلما كان

الليل طلبته فلم اجد له

ورایت الابواب مغلقة على

حائلها فلما اصبحت اذا به

قد اعطاني درهما مكتوبا

عليه... ورة الاخلاص بقلم

القدرة الربانية فتمت له

يا غلام من ابن لك هذا

فقال يا... بيدي لك عندي

في كل يوم مثل هذا بشرط

انك لا تطعني في الليل

الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقرى به وجاره فلم يكتفه الامضاء أمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف تصنع فأرسل الله ضبابا وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قائله أو اتاهه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة وثبه فكانوا يقتلونهم الى الماء فلما كثرت فيهم القتل وباعغ الفتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا ونضرا وقالوا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية الباقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفؤوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشففت السحابة عن القتل اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما رضيك أن أدخل النازل والمتقول الجنة فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي منهم مكفراً ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمرائه تعالى موسى أن يرد العجل بالمرد ويحرقه ثم يذروه في النيل فمن شرب ماء من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل ثبت على شارب الذهب فكان علما لجرمه فاخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامري بالبول عليه استخفافا به وتصغيراً له ثم ذراه في الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشرخوا منه فاصفرت وجوه الذين عبده واسودت شفاههم فاقرروا بحب العجل وعبادته وقالوا يا موسى ان قد ندمننا على ما صنعنا وتبين الى الله فلو أمرنا أن نقتل نفوسنا لقتلنا فاقبل لهم فاقبلوا أنفسهم ثم ان موسى هم بقتل السامري فأوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سحى فلمته موسى وقال له فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعد ان نجفقه أى بعداك في القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخطووه ولا يقر بوه فصار السامري وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤلف ولا يدن من الناس ولا يس أحد منهم فمن مسه قرض ذلك الموضوع بالمرأض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أى لا مساس وفي بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو واحدا منهم حملاهما في الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختر موسى سبعين رجلا لينطقوا معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الا ستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاخترهم فاصبحوا شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال إنما أمرت بسبعين رجلا فليتخاف منكم رجلان فتشاجروا على ذلك فقال موسى ان من قدمه مل أجراً من خرج فقدم يوشع بن نون وكالب بن يونا فأمر موسى السبعين أن يصوموا ويظهروا ويظهروا أنواهم ثم خرج بهم الى الطور راغبين ربه وذلك قوله تعالى واخترهم موسى قومه سبعين رجلا لميقاتي الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى نقش الجبل كله ودناه موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنو وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نوراً طاع لا يستطيع احدهم بنى اسرائيل ان ينظر اليه ف ضرب دونه الحجاب ودنا للقوم حتى دخلوا في الغمام وخرروا سجدا وسموا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمر وينهاه واسمهم الله تعالى اننى أنا الله لا اله الا أنا ذكركم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا ان تؤمن لك حتى ترى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جنودا من السماء فلما سمعوا واحدهم ما تواووا وائلة فذلك قوله تعالى واذ قتل يا موسى ان تؤمن لك حتى ترى الله جهره فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون فلما ماتوا قال موسى رب لوشئت أهلكتهم من قبل وإياي أنهلكم باعما فعمل السفهاء من ارباب كيف أرجع الى

بني اسرائيل وقد اهلست خياريهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى احياهم الله لاجل ما فعل رجل واحد
 ينظر بعضهم ايضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم لبثنا منكم الايام (اخبرني) الحسن
 باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح من االى الجنة سبعون كانوا كالسبعين الذين
 وفوا وامنع موسى الى ربههم ووافل

(باب في قصة قارون حين عصي ربه واستكبر وأورثه ماله

الطنيان والبطر حتى اهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبقي عليهم الاية قالت العلماء باخبار القداماء قارون كان
 ابن عم موسى لانه قارون بن بصهر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب وهو موسى هوان بن عمران بن قاهت
 هذا قول أكثر العلماء (وقال ابن اسحق تزوج بصهر بن قاهت سبعين بنت ماو ب بن بركيا ابن
 يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن بصهر وقارون بن بصهر فنكح عمران بخت شمو بل ابن
 بركيا بن يقشان فولدت هارون وموسى ابني عمران فوسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون
 عمه لاييه وأمد على قول الآخر بن ابن عمه وعاليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد
 موسى وهرون وافضلهم واجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل
 اقر للتورا منه واسكن عبد الله نافي كما نافي السامري فبقي على قومه كما قال تعالى فبقي عليهم واختلفوا
 في معنى هذا البني قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا
 بمصر (واخبرني) الحسن باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبقي عليهم
 قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبقي عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراساني وشهر بن حوشب
 زاد عليهم في انياب شبرا وروى شيدان عن قتادة قال بقي عليهم بالسكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان اغني
 اهل زمانه وائراهم كما قال الله تعالى وآتيناهم من السكبر زمانا فمناحه لنحو الاية أى لنقل وتميل بهم اذا حملوها
 لثقلها واختلف المتفكرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد بن العشر دالى الخمسة عشر وعن قتادة
 ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول اربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحك ما بين
 اثلاثين الى العشرة وقيل خمسون (وروى) جرير عن خيشة قال وجدت في الانجيل ان مقاتيح خزان
 قارون وقرستين بفلأعرا حجله ما يذ بد منه مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان
 ايتا ذهب يحمل معه مقاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما انقالت عليه جمها من خشب فثقلت عليه فجعلها
 من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على اربعةين بفلأ واختلفوا في سبب
 جمع تلك الاموال ف قيل كان عنده علم السكيمياه قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم السكيمياه فلم
 يوسع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخذعهم قارون حتى اضاف
 علمهم الى علمه وفي الخبر ان الله تعالى علم موسى السكيمياه فعلم موسى اخته فعلمته قارون فسكن ذلك
 سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالنصرف في التجارات والزراعات وسائر انواع
 المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمه تلك الاموال ما اخبرنا الثقفى باسناده عن أبى الحواري قال سمعت
 اباسمان الداراني كان يقول تبدي ابليس لفارون وكان قارون قد أقام على جبل اربعين سنة يتعبد حتى اذا
 غلب جميع بني اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شراطينه فلم يقدر وعاليه فتقدم هو له وجعل يتبعه مع قارون
 وجعل ابليس يهزه بالعبادة ويفرقه وتخضع له قارون وقال له ابليس يا قارون قد رضيتا بهذا الذى نحن فيه
 لا تشهد لبني اسرائيل جماعة ولا نود لهم مر باصولا تشهد جنازة قال فاحدثه من الجبل الى البية فكأنوا

كل ليلة وبأني بد صلاة
 الصبح بذلك الدرهم
 المكتوب قال فشكت على
 ذلك مدة من الزمان فبينما
 اما جالس ببيتى اذ جاني
 بعض اصحابي وقال يا ابن
 زيد اما غلامك هذا فانه
 نياش القبور قال ففهمني
 ما سمعته منهم وقالت لهم
 امسكوا فاني احفظ في هذه
 الليلة فلما صلينا انشاء قام
 ليخرج والابواب مغلقة
 فاشار بيده فافتتح له كل
 باب اشار اليه واذنا نظرا اليه
 فتمتته ومضيت خلفه حتى
 بلغ ارضا فلاة فنزع ثيابه
 وليس مسحا وصلى الى
 النجوم فلما فرغ من صلاته
 رفع رأسه نحو السماء وقال
 يا سيدي الكبير هات اجرة
 سيدي الضعيف فوقع عليه
 من السماء درهم فاخذته
 فتحيرت في امره ودهشت
 من حاله فقامت وتوضأت
 واصلبت واستغفرت الله
 تعالى مما كاد مني ونويت
 عتقه ثم طلبته فلم اجد
 فانسرفت حزينا متحيرا
 وما كنت اعرف تلك
 الارض فبينما اناه متحيرا اذا
 بفارس قد اقبل على فرس
 اشهب فقال يا عبد الواحد
 ما سبب جلوسك ههنا
 فاخبرته بقصتي فقال
 لا تترض ان تدري كم يملك
 وبين بلدك فقلت الله اعلم

يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قدر ضيانتان نكوز هكذا كلا على بني اسرائيل فقال له قارون فاي رأى عندك قال نكتب به ما نريد يوما فنتصدق ونعطى قال فلما كسب يوما وتعبوا يوما اجلس ابليس وتركه ففتحت على قارون وابواب الدنيا فبلغ ماله اخيرا ابن فقوى به باسناره عن المذيب برشر بك قال ان مغالته لتتوه بالعصية وكانت اربعمائة ثفيار بعين خزانة فصار في اثر وذكثرة المال بحيث يضرب به الامثال انشدني ابو العباس سهل بن شح - المروزي عن بعضهم
وعدتني وعدك حتى اذا * أطعمتني في كثر قارون
جئت من الامل بفساله * فتمسل ما قلت بصايون
فبني قارون وطفي وتجبر حين استغنى واثرى حتى هلك فصار عبرة للعابرين وعظة للاقين وكان اول طغيانه وعصيانا انه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال وكان يخرج في زينتته ويهتتم ويخجل كما قال تعالى فخرج على قومه في زينتته الآية قل مجاهد خرج على براذين يبض عليها سر وج الارجوان وعليها المصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم خرج في سبعة ائفا عليهم المصفرات قال وكان ذلك ازل يوم ظهرت المصفرات في الارض * فيما كان ابي يذكر لي عن مقال انه خرج على بغلة شبهاء عليها سر ج من الذهب عليه الارجوان ومعه الف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية يبض عليهم الخيل والتمياب الحر على البغال الشهب تنمى أهل الحساسة والجلاله مثل الذي أوتيه فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم فانكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به واتقوا عما نهاكم عنه فان توأب الله خير ان آمن وعمل صالحا وما يلفاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلفاها الا الذين صبروا ولا يوفى لهذه السكينة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام ان يأمر قومه ان يعطوا في اديبتهم خيوطا ربعة في كل طرف خيط اخضر لونه كالون السماء فقال موسى يارب لما أمرت بني اسرائيل تملق هذه الخيوط الخضر في اديبتهم فقال الله تعالى ان بني اسرائيل في غفلة وقد اردت ان اجعل لهم علما في ثيابهم ليدكرون بها اذا نظروا اليه و يذكرون اله السماء ويمامون في منزل منها كلامي فقال موسى يارب افلا تلمهم ان يحمدوا لاديتهم كما خضر افاق بني اسرائيل تحرق هذه الخيوط قال له موسى ان الصغيرة من امرئ ليس بصغير وان لم يطعموني في الاموال الصغير لم يطعموني في الامران الكبير يقال فدعى موسى بني اسرائيل ثم قل لهم ان الله امركم ان تملقوا في اديبتكم خيوطا خضر كالون السماء لذكروا ربكم اذ ارايتهم وها فعملت بنو اسرائيل ما امرهم به واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذه الا الارباب يبيدكم لكي يتبينوا عن غيرهم فكان ايضا من بنيهم وعصيانا (قالوا) فلما انقطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رياسة المذبذبة بيت القربان لهرور فكانت بنو اسرائيل ياتون بهم فدمهم فيدقونه الى هرون فيضمه على المذبح فينزل نار من السماء فتاكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى انك الرباية والرسالة ولهرور الحبارة واست انا في شيء من ذلك وانا أقرا لتتوراة منكنا ولا يصير لي على هذا فقال موسى والله ما جعلتها انا في هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا اصدقك في ذلك حتى ترى بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فنأصبحت عصاه خضراء فهو احق بالحبارة فجعلوا العصى وجعلوا وكعب كل واحد اسمه على عصاه فجعلهم موسى والفاها في القبة التي كان يبدد الله فيها ووجدوا بحر سون عصيهم حتى اصبحوا قاصبح عصاهم هرون قد اهتزت وطوارق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا ان فلي فقال قارون والله ما هذا باعجب مما صنعت السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بتابعاه وجعل

من علامة لك قلنا انهم

ترك عندنا كتابا يسمى
قرا فقال اتوني بكتاب
الملك فانه ينبغي ان تكون
كتب الملوك حسنا قال
فاتيته بالمصحف الشريف
فقرأنا عليه سورة فلم يزل
يبكي حتى ختمنا السورة
ثم قال ينبغي لصاحب هذا
الكلام ان لا يبصق ثم اسلم
وحسن اسلامه فعلمناه
شرائع الاسلام وسورة
من القرآن فلما كان بض
الليالي صلينا العشاء واخذنا
مضاجعنا فقال يا قوم هذا
الاله الذي دلتوني عليه
اذ اجن عليه الليل ينام كما
تنامون فقلنا لا يا عبد الله
هو حي قيوم لا تأخذه سنة
ولا نوم فقال يس العبيد
اتم تنامون ومولانا لا ينام
قال فاعجبنا كلامه فلما
اصبحنا قلت لاصحابي
هذا قريب عهد بالاسلام
فاجموا له دراهم بنفقها
فختمناه ذلك فلما راها قال
ما هذا قلنا دراهم بنفقها قال
لا اله الا الله دلتوني على
طريق اسلكها ولم
تسلكوها اني كنت أعبد
صما من دونه ولم يضيئني
وانا لا أعرفه فكيف
يضيئني الان وانا اعرفه
فدعينا من كلامه قال عبد
الواحد فلما كان به ثلاثة
ايام قيل لي انه في سكرات
قال فانت اليه وقلت له هل

دعاني قارون لست بدباره وامواله وكثوره فاعلمته موسى حتى خسف الله بداره واوله الارض
واوحى الله تعالى اليه اني لا اعيد الارض لاحد بعدك ابدا فذلك قوله تعالى فخذ منها به وداره الارض
لها كان لمن فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فله ساحات نعمه الله بقارون حد
الله تعالى المؤمنين الذين وعظوه وانذروه باس الله كما اخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين اى لا تبطل ولا تأنس وابتغ فاما ذلك الله الدار الآخرة الاية وندم الذين كانوا يمتنون
مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فتجلى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه
والؤمنين من كل بلاد ومحنة واهلك اعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون
وهامان ولفندجاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الايات

(باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من المعجائب

الى ان بلغ من امرهما ما بلغ)

قال الله تعالى واذ قال موسى لافترحه لاربع حتى ابلغ مجمع البحر بن ارامضى حقا قال الاستاذ الامام
اختلف الامام في السبب الذي قصده موسى لاجل الخضر فروى الحسن بن عمار عن الحكم بن عينة
عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من اهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس
ان نوحا ابن امارة كذب يزعم عن كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم اعماه موسى بن
ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني ابن بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى
نبي بنى اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان في عبادك احده واعلم مني فدلى عليه فقال الله عز وجل
انم في عبادي من هو اعلم منك ثم تمت له مكان الخضر عليه السلام واذ له في لقائه وروى هرون بن
عنترة عن ابيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب اى عبادك احب اليك فسال الذي
يذكرني ولا ينساني قال فاعب عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب اى
عبادك اعلم قال الذي يتبعني علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تنهيه الى هدى انزله عن ردي
قال فهل في الارض احدا اعلم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فان اطلبه فالد على الساحل
عند الصخرة التي بقلت عندها الحوت وجعل الحوت علمه ودليلا وقال اذ احياه هذا الحوت فان
صاحبك هناك وكان قد تزود سكا ملحا وروى عطية الوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه
على مصر واستقرت بهم الدار انزل الله عليهم المن والسوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله
من الخير والنعمة انجزهم من آل فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم في الارض قال وكلم الله نبيك
تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنيبكم افضل اهل الارض واتم
تقرون التوراة فلم يترك نعمنا نعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اذها فقال له رجل منهم من نبي
اسرائيل قد عرفنا الذي نقول فهل على وجه الارض احدا اعلم منك يا نبي الله قال لا قال فغضب الله عليه
حيث لم يرد العلم اليه بمثل اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يدريك ان ابن اضع علمي لاني
عبدا بمجمع البحر بن اعلم منك فقال موسى ربه ان يريه اياه فادع الله اليه ان ات البحر فانك تجد
على شاطئ البحر حوتا فخذوه وادفعوه الى فقال له ثم ازم شاطئ البحر فذا نبيت الحوت وهلك منك قم
تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وقتا يقصد ان يجمع البحر ين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما
حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفته اى لصاحبه يوشع بن نون ابن افراتيم

حواء جه ومعدت عند
رأسه فلما بقي النوم فتمت
فرايت روضة خضراء
وفيها قبة عظيمة وفي القبة
سريرون وعلى ذلك السريرون
جارية حسنة اسمها راحنة
منها وهي تقول بالله لا ما
عجلتم به فنداشت شوقي
اليه فاستيقظت من منامي
فوجدت الرجل قد فارق
الديار رحمة الله تعالى عليه
ففسلته وكففته وصلينا
عليه ودفناه فلما تمت رأيت
في المنام في تلك القبة على
السريرون والجارية بجانبه
وهما يقرآن هذه الآية مثل
هذا فاعمل العاملون رضى
الله تعالى عنهم اجمعين
وقمنا بهم آمين (وحكى
عن ذى النون المصري
رضي الله تعالى عنه) أنه
قال بينما أنا أسير في نواحي
الشام اذ وقعت على روضة
خضراء وفيها شارب يصلى
تحت شجرة تفاح فتقدمت
اليه وسلمت عليه فلم يرد على
السلام فسلمت عليه ثانيا
فاوجز في صلاته وكتب
باصبعه في الارض هذا
الشعر

منع اللسان من الكلام لانه
كف البلاء وجالب

الآفات

فاذا نطقت فكنت لربك
ذاكرا

لأنه واحد في الحالات

ابن يوسف عليه السلام لا يروح الا لزال اسير حتى ابلغ مجمع البحر بن يعنى بحر فارس والروم ثم ابقى
المشرق قال فتأخر وقال انى بن كعب هو اوفر بقية وقال محمد بن كعب طيبتا وامضى حقا بهما وهما زمانا
طوبى لهما فذهبا ومعهما الخبز والماء وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحر بن ليلا
قل معقل بن زياد وهى الصخرة التى دون نهر الزبى قال وعندهما عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب
ذلك الماء شيئا الا عاد حيا فمما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضربت في المكمل وعاشت ودخلت
البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعنى موسى وفاتا مجمع بينهما يعنى البحر بن نسيما تركا حوتيهما وانما كان
الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه بذلك عليه قوله تعالى انى نسيتم الحوت ولا كنتم تعرفون النسيان لهما
والمراد به احدهما كما قال تعالى يخرج منهما الماء والمزجان وانما يخرجان من المالح دون العذب فانخذ
الحوت سبيله في البحر سرى باى مذهبا ومسلكا واختلافوا في كيفية ذلك فروى ابنى بن كعب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوكرة فلم ينلهم فدخل موسى السمكة على اثر
الحوت فاذا هو بالحضر عليه السلام وقال ابن عباس راي ارجنا حية في الطين حين يقع في الماء وجعل
الحوت لا يسر شيئا من البحر الا يمس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن ابنى بن كعب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضما رؤسهما فانما فاضطرط الحوت في المكمل فجرح
منه وسقط في البحر هاربا فانخذ سبيله في البحر سرى باى مذهبا ومسلكا فاما الحوت جرحه بالماء فصار عليه مثل
الطلق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه ان يخرج به الحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى اذا
كان من الغد قل موسى اغتاءا آتيا غداهنا الآية وقال قتادة قد رآه الله الى الحوت روجه فمرب حتى افضى الى
البحر ثم سلكه جمل لا يملك منه موضعا الا صار ماء جامدا منظر بقايا بسا وقال الكلبي توضع يوشع بن نون
من عين الحياة فانضج على الحوت الملح من ذلك الماء وهو في المكمل فماشى ونسب في الماء فجعل يضرب
بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب الا يمس قال الحكماء كان موسى عليه السلام يحتمل سفار
الاول سفر الحرب وهو قوله تعالى ففرت منكم لما خفتكم الآية والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى فلما اتاناها
نودى ان بورك من في النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما اتاناها نودى من شاطئ الوادى لايمن الآية
والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى واوحينا الى موسى ان امس بعبادى والرابع
سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قوله فومه فاذهب انت ورك فمات لا لآية وال خامس سفر النصيب
وهو قوله تعالى لغدا نينا من سفرنا هذا نصيبا وذلك لما اتى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة
ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فانه وتذكر ان رأيت اذ اوتينا الى الصخرة فاني نسيتم
الحوت اى تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فاني نسيتم ان اذكر امر الحوت وما أنسا نيه الا الشيطان
ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد يأتى شيء أعجب من حوت كان دهر من الدهور
يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من اثر
جرى الحوت اخذود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فخرج موسى حتى انتهى الى مجمع البحر بن
واذا هو بالحضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا فارتما على آثارهما الذي جاآ منه
قصصا أي يقصان الاثر فوجدوا عبدا من عبادنا يعنى الحضر عليه السلام

(فصل في ذكر جمل من أخبار الحضر عليه السلام واحواله)

واسمه بلياً بن ماسكان بن قاف بن عابر بن شاطن بن ارغش بن سام بن نوح وانما لقب بالحضر كما أخبرنا
به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءته عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشريقي

قال ذوالنون فيكتب بكاء

شديد اثم كسبت باصبعي
في الارض

وما من كاتب الا سيئ

ويبقى الدهر ما كتب يده

فلا تكتب بخطك غير شيء

يسرك في القيامة ان تراه

قال فصاح الشاب صيحة

فانت رحمته الله تعالى ففنت

لا غلله فاذا بتائل يقول

خل عنه فان الله تعالى

وعده ان لا يتولى امره الا

الملائكة قال ذو النون

رضي الله تعالى عنه ثلث

الى شجرة فركت عندها

ركمات ثم اتيت الموضع

الذي مات فيه الشاب فلم

اجده اثارا ولا رقت له على

خبر رضي الله تعالى عنه

ورقتا به وبكره امسين

(وعن مالك بن دينار رضي

الله تعالى عنه) انه قال

كنت ماشيا في ازمة البصرة

يوما من الايام فرايت

جارا يقيم جوارى الملوك

راكبة ومومها خدم وغلمان

قائمت اليها وقلت ايها

الجارية ابديك مولاك

فقلت الجارية ولو باعني

مولاي كان مثلك يشتريني

فقلت نعم وخير انك قال

فضحكك وامرتني ان

احمل معي الى بيت مولايها

خفت منها فلما دخلت

الى مولايها اخبرته بذلك

فضحك وامر ان ادخل

فدخلت اليه وسلمت عليه

قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبا أعبد الرزاق أنبا أعبد الله
بن حامد الوراق قال أنبا مكي بن عبدان قال أنبا ناه أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبا ناهم عن همام
بن منبه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه
جالس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضره واخبرنا ابو نصر محمد بن علي بن الفضل الخرازي قال أنبا
بو بكر محمد بن الحسن القمصار قال أنبا ناه أحمد بن يوسف السلمي قال أنبا ناه محمد بن يوسف القرياني قال
ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه اينا صلي اخضر حوله

﴿ فصل في بدء امر الخضر عليه السلام ﴾

يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم يري به الى السماء بينهما على البراق وجبريل عر به اذ وجد راحة
طيبة فقال لاجبريل ما هذه الراحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في اهل ملكته
وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال اصحاب الاخبار وكان ابو له ملكا عظيما فسلمه الى المذنب يؤذ به وكان
يختلف اليه وكان بين ماله ومؤذ به رجل عابد كان عر به فاعجب به حاله فآلفه وكان يجلس عنده والمعلم
يظن انه في المنزل وابوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشوا واخذ من العباد شيئا ماله وعبادته فقالوا لايه ليس
لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله ان يرزق اولاد ففرض عليه ابو له التزويج فاني لم اعد وفرض
عليه فرضي فزوجه جارية يمين بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اني تخبرك بامر ان انت
سمعي تصرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان افقيت سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة قالت
وما ذلك قال اني رجل مسلم لست على دين ابني وليست النساء من حاجتي فان رضيتني ان تقيمي معي على
ذلك وتابعيني على ديني فذاك اليك وان انت ايت لحقت باهلك ففازت المرأة بل اقم معك فلما آتت
عليها مدة قالوا لايه ما نظن ابنتك الا عاقرا لا يولد له ولد ففأله ابو له فقال ما ذلك بيدي وانما ذلك بيد الله
يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسأله فودت عليه مثل ما ردد عليه الخضر فثكت ابو له زمانا ثم دعا ابنته اليه
فقال له احب ان تطلق امرأتك هذه وازوجك امرأة غير هالولدا وبما ترزق منها ولدا ففكر ذلك
الخضر وألح عليه ابو له حتى فرق بينهما وزوجها امرأة غير هالولدا ففرض عليها الخضر مرة ثالثة لا تولى
فرضيت ولة لت اقم معك فلما زمانا ثم ان اباه استبسط الولد منه فدعا وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك
بيدي ولكن بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها انت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابني ولست
تلدن عند ابني فقالت امسني منذ صحبتك وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسأله فقالت مثل ذلك فدعا ابنته
وعيره وعنفه ففزع من ابيه ولم يمس على نفسه منه ففخر ج من عنده فقام على وجهه ولم يدرك احد من خلق الله
تعالى ابن توجه فقدم ابو له على ما فعل فارسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى خائفة فاطلوا في طلبه
فادركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم اني اقول لكم شيئا واحدا فان كنتموه عني فان كنتموه
صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان ايتكم ذلك وافقيتم سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة
قالوا له قل ما شئت قال هل يموت ابني في طلي احد اعريك قالوا نعم فقال لهم اذا كنتم امرى ولا تخبروا
ابني انكم رايتوني وقولوا مثل قول انظر انكم الذين ارسلهم في طلي فلم يروني لانكم اؤخروني ابني اؤخروني
في اليه قلني وصرتم اتم واخذني يدي قال فخلوا عندي صر فوافلما دخلوا على ابيه قال تسعة منهم قد وجدناه
وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال ام امرأته ما لنا به علم ومالي به خير والتسعة قالوا بل قد ظفرا به وان
شئت اتيك به فقال لهم ارجعوا في طلبه واؤتوني به وان الخضر خاف ان يظفروا به فانحز زمن ذلك الموضع
الى موضع آخر فاتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم ابو له قال وان اباه دعا بالمرأة التي رقت له

قلت بئى جاريتك فقال
مولايها انطلق اداه عنها
فقلت نعم قيمتها عندي
نواثان موسستان قال
فضحك وقال كيف يكون
عنها عندك هذا القدر
فقلت لكثرة عيوبها فاعمال
وما عيوبها فقلت ان لم
تتطردفرت وان لم تنك
بجرت وان لم تتشط
وتدهر مات وان عمرت
هرمت ذات حوض وبول
واقذر وحزن ورغم واكدار
واملا لا نودك الا لنفسها
ولا تحبك الا لتنعيم الا بئى
بعهدك ولا تصدق في
وذك ولا تخلف عليها
احدا بمذك الا رائته فذلك
وانا اجد بدون ما سالت
من الثمن في جاريتك
هذه جارية خلقت من
سلاسل الكفور ومن
المسك والنعير والنورلو
مزج بريقها الجاج لطاب
ولو دعي بكلاهما ميت
لاجاب ولو بدا مصعبها
لشمس لا ظاهمت وكهفت
ولو بدا جبينها في الظلمات
لا نارت واشرقت ولو
واجهت الاقلاق بجليها
وحللها لتطهرت
وتزخرفت نشأت بين
رياض المسك والزعفران
وقضبان الياقوت
والمرجان وقصرت في
خيام النعم وغذيت بما

الذي لا يخافهم ولا

يبدل ودها فانها حينئذ
احق برفع القم من
جارية هذه فقال الملك
يا اخي فاني التي وصفت
قلت الموجودة النش
القرية فالحطبت في كل زمن
فقال ما قيمتها برحمتك الله
قلت اليس المبدول لثيل
الخطير المامول وهو ان
تتفرغ ساعة في ليالك
فتصلي ركعتين تخلصهما
لربك وان تدع طعامك
فتؤثر جرائك وان ترفع عن
الطريق حجرا وقذرا وان
تقطع ايامك بقلة البقرة
وان ترفع همك عن دار
الغور والغفلة فتعيش في
الدنيا بمن الفناعة وتأتي
الى الموقف آمنا غدا تنزل
في الجنة دار النعيم في جوار
المولى الكريم مخلدا فقال
الملك يا جاري يا سمعت ما
قال شيخنا هذا فقلت نعم
قال اصصدق ام كذب
فقلت بل صدق ونصح
فقال مولاه فانت حرة
لوجه الله تعالى وضيعة
كدا وكذا صدقة عليك
واتم اهل الجوارى والخدم
أحرار لوجه الله تعالى
وضيعة كذا وكذا صدقة
لكم وهذه الدار وما فيها
صدقة وجميع مالي في سبيل
الله ثم مديده الى سترخشن
كان على بعض أبوابه
فاخذته وخلع جميع ما كان

اهل سماه الدنيا باح الكلاب وصيها ح الديوك ثم أمرني فقبلتهم فاجابتهم هي عن فيها احق انتهت الى وجه
الارض فبقى بيت الرجل الكاهن والمرأة الكاهنة ثم اجانب سالمين ثم انطبقت الارض عن فيها فلم ينج
منهم غيرهما فجدد لا يدوران في حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه ولما ان كثر ذلك قال
الرجل ايتم المرأة قد رايت ما أصاب التوم وانه لم يفلت غيري وغيرك فباي شيء نخبونا فاخبرني وانا
أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فافا قصتهما واحدة وانما بينهما الكتمان
فقال لها هل لك ان تزوجيني نفسك وتخرج الى مدينة من هذه المرائن فاكتب عليك وكنسيتين على
حتى ينضي من امرنا ما يشاء فقلت فذهبوا الى مدينة فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هي
ذات يوم قاعدة تمرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها ففالت بسم الله تس من كثر بالله
ففزعزت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت لي فقالت لها وان لك لربا غيرا لي فقالت نعم هور في ورب
ايك ورب كل شيء فحبطت الجارية بقود خات على أيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولاً عجيبياً تقول كذا
وكذا فاسل ايها خضرت فزالها ما هذا الذي يلقي عنك ففالت هو ما بك قال ففالت يقول يقولك
قلت نعم ابل وصبيتي فبنت اليمهم وامتنعهم فانهم يقولون قولاً واحداً ففالت لهم ان لا تفكر على ماتم عليه
حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة ففالت ما هم أشعل تحتها
حتى اضطر الماء ندع بالصبرة فرض عليهم واحد واحد ان ليكفروا فوالا ان يكفروا فافادهم وطرهم
في القدر ثم اندعوا بالزواج وعرض عليه الكفر فاني فافاه في القدر ثم عاب المرأة وقال لها ان لك علينا حقاً
فان انت رجعت الى ديننا واللقيناك في القدر ففالت له اصنع ما انت صانع ثم انها قالت له ان لي اليك حاجة
قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فمر ببيتان يحفر فيه حفرة ثم امر بالقدر فتحمل عا فيها ثم
ياون بها منزلها فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد عليها التراب ثم يهدم عليها البيت ففعل ذلك ففذه
الرائحة رائحة المسك تسطع من بينهم في يوم القيامة ففذه قصة الخضر مع ابيه بدء امره وكان في
زمن افر يدون الملك ابن القباء على قول عامة اهل الكتب الاولي وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين
الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى بين اليعس وهي كان احقرها ابراهيم
عليه السلام لما شيعته في صحراء الاردن وان قوم ما من اهل الاردن ادعوا الارض التي احقرها فيها ابراهيم
عليه السلام فحكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد
وانه بلغ مع ذي القرنين شهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن مده في حياته ففخذ
وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عدا ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام
على مقدمته هو افر يدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه
على دينه وهاجر معه من ارض بابل (وروي) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو
أرميا بن خلفيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي ايمته الله نبيا في أيام ناشئة من اموص ملك بني
اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق واولى بالمدل والصدق لان ناشئة من اموص كان في عصر كرفشت بن
كراشت في أيام بختنصر وبين افر يدون وكرفشت من الدهور والازمان مالا يحمله ذو علم بايام الناس
واخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى
ابن عمران الذي امر بطايعه وبلا قبس منه هو الخضر عليه السلام ورسوله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق
بلا مور الماضية والباقية وموسى بن عمران اثنائي في عصر متوشعر الملك وكان متوشعر الملك ملك امد
جده افر يدون فدل هذا على خطا ما قاله ارميا بن خلفيا لان ارميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى

عليه من الحري والدياج
فلمارات الجارية ماضل
مولاه قالت لا عيش لي
بهك يا مولاي ثم رمت
كسوتها ولبست مثل
مولاه وخرجت معه
فودعهم مالك ودعاهما
واخذ طريقه فعمدا حتى
جاء الموت ولقيهما على
حال العبادة عفا الله عنهما
وفهمنا الله بهما آمين
✓ وحكى عن جعفر بن
سالم رضي الله تعالى عنه
انه قال مررت انا ومالك بن
دينار بالبصرة فبينما نحن
ندورها اذ مرنا بقصر واد
بشباب جالس ما رأيت
أحسن منه وجهاً وهو يامر
ببناء القصر ويؤول افعلوا
كذا واصنعوا كذا فل
مالك اما تري يا جعفر الي
هذا الشاب وحسن
وجهه وحرصه على بناء هذا
القصر ما شوقني الى ان
اسأل ربي ان يخلصه
فيجعله من شباب الجنة ثم
قال يا جعفر ادخل
بنا اليه قال فدخلنا اليه
وسامنا عليه فرد علينا
السلام وكان يعرف ملك
ابن دينار فله اعرقه قام اليه
وقال هل من حاجة
يا مولاي فقال مالك كم
تويت ان تنفق على هذا
القصر قال مائة ألف درهم
فقال مالك الانعطف بي هذا
المسال قاصر فلم يستجبه

وبختمه من المدة ما لا يخفى على أهل العلم الا ان يكون الامر كما قال من قال انه كان على مقدمة في
القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فغرب من ماء عين الحياة فخلط ولم يصب في أيام ابراهيم ومن بعده
الى ايام ناشئة بن اموص فبعث حينئذ نبيا والله اعلم والصحيح انه نبي موحى محبوب عن الابصار (وروى)
محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس واليا من بني اسرائيل يلتقيان
في كل عام في الموسم واخبرني محمد بن القاسم اخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال اخبرنا ابو بكر احمد بن محمد
بن يعقوب قال اخبرنا يزيد بن سميان بن حبان الواسطي اخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن
عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض ما دام القرآن فيها فان رفع القرآن ماتا
واخبرني ابو عمرو والمراني اخبرنا ابو احمد محمد بن علي الرازي اخبرنا ابراهيم بن اسحق الانساطي اخبرنا
ابو همام الوليد بن شجاع السلمي اخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن نوبان عن بعض اهل العلم
عن انس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال
يا انس انطلق يا بصير هذا الصوت قال فالتفت فاذ رجل يصلي ويقول اللهم اجماني من امة محمد المرحومة
المنفورة والمسيحاج لها انتاب عليها فاقبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لي انطلق
فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرئك السلام ويقول لك من انت فاقبته فاعلمته بما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لي اقري رسول الله صلى الله عليه وسلم في السلام وقل له اخوك الخضر يقول
لك ادع الله ان يجماني من امة المرحومة المنفورة والمسيحاج لها انتاب عليها (رجعنا الى حديث موسى
وفاته) قالوا فانتهي موسى وفاته الى الخضر وهو قائم يصلي على طائفة خضره على وجه الماء وهو متشح
بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال
نعم قال يا موسى لقد كان في بني اسرائيل شغل قال موسى ان ربي ارسلني اليك لاتبك واتعلم من علمك ثم
جالسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر يا موسى خطر ببالك انك اعلم
اهل الارض ما علمك وعلمي وعلم جميع الاولين والآخرين في جنب علم الله تعالى الا اقل من الماء الذي حملته
الخطافة بمنقارها فلذلك قوله تعالى فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا اى نبوة وحكمة وعلمناه من
لدنا علمه (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
قال انك ان تستطيع معي صبرا لا نعلم الا اني اعلم علم الباطن علمنا علمه الله تعالى وكيف نصبر على ما لم نخط به خبرا بقي
على ما لم تعلمه قال موسى سستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتيتني فلا نسألكني عن
شيء علمته مما تنكره حتى احديث لك منه ذكرنا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران بلمسان سفينة بركان فيها
فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال اصحاب السفينة هؤلاء لصوص وامروهم بالخروج منها
فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص والكني ارى وجوههم وجوه الانبياء وقال لي بن كعب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا عشيان على ساحل البحر اذمرت بهم سفينة فكموهم ان يحملوهم
فمروا الخضر فخلوهم بغير نول فلما دخلوا في البحر اخذ الخضر عليه السلام فاسا فخرق لوحا من السفينة
حتى دخل الماء فحشاها موسى ثم به وقال له اخرقتها لتغرق اهلها او قد حملونا واحدا والينا فخرقت سفينتهم
ما هذا جزاؤهم من ثلثة شيا امرأى عجبا منكرا قال الخضر الم اقل انك لا تستطيع معي صبرا قال موسى
لا تواخذني بما نسيت ولا تترهقني من امرى عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق علي امرى (قال ابن عباس) لما
خرق الخضر السفينة تعجى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت اصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في
بني اسرائيل اتلوا عليهم كتاب الله غدوة وعشية وأمرهم فيطيعوني فقال له الخضر يا موسى اتر يدان اخبرك

واضح من لك على الله تعالى

قصر اخيرا لك من قصرك
هنا بولاده وخدمه مكرلا
بالدر واليا قوت مرصا
بالجوهر ترابه الزعفران
ملاطه المسك أفسح من
قصرك هذا لا يخرب ولا
تمسه يدان ولا يبنيه بان
قال له الجليل كن فكان
فقال له الشاب ياسيدي
قامهني الاله الى غد فقال
تم قال جعفر فبات مالك
متفكرا في الشاب فلما كان
وقت السجود دعا الله تعالى
فاكثر من دعائه فلما
اصبحنا غدا نال اليه فاذا
بالشاب جالس فاما عابن
مالك بن دينار قال ما تقول
بالامس فمال فعمل قال نعم
فاحضر المائل وقتها واحضر
دواة وقرطاسا فكتب
مالك بسم الله الرحمن
 الرحيم هذا ضمني مالك
ان دينار فلان بن فلان
اني ضمنت لك على الله
قصر ابدل قصرك بصفته
يكافؤصف وان زيادة على الله
تعالى واشتريت لك بهذا
المال قصرا في الجنة أفسح
من قصرك في ظل ظليل
بقرب العزيز الجليل ثم
طوى الكتاب ودفعه الى
الشاب وحمل المال من عنده
فاما سي مالك حتى لم يبق
معه مقدار قوت يوم واحد
وما أنى على الشاب
اربعون يوما حتى وجد

بما حدث به نفسه قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانظروا عيشا من حتى أنيا ليلة فازدحم بالانسان
عشرة فيهم غلام هو اظفرهم واضو فرم وجهه قال ابن عباس كان غلاما باع الحلم وقال الضحك كان غلاما
يعمل الفساد فاذى منه ابواه وقال الكلبى كان الغلام يسرق الناع بالليل فاذا أصبح لما الى ابو يذبح لعل
دونه شفقة عليه ويقولون لقد بات عندنا واخذته وفي اسمه فقال الضحك كان اسمه حسود وقيل الحسين
وقال وهب بن منبه كان اسم ابيه لاس واسم أمه رجمة قال فاخذته الخضر علي السلام فقتله واختلفوا في
كيفية قتله قال سعيد بن جبيرة اخذه فاضجه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبى صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم
رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية اخرى أدخل أصميه في
سرة الصبي فاقلمها فمات فلما اقبله قال موسى اقامت نفسا زكية يعني طاهر لم تذنب ولم تستوجب القتل
بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الاله وقال فضيب الخضر واقطع
كتف الصبي الاسير وقشر اللحم عنه فاذا في عظام كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله بدا * ويدل على صحة هذا
القول ما أخبرنا به عبد الله بن حماد أخبرنا احمد بن حنبل الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا
قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافر اطفال الخضر لموسي ألم أقل لك انك لم تستطع معي صبرا
قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقني (أخبرنا) عبد الواحد بن
حماد الزوران أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا احماد بن محمد أخبرنا حماد بن عازم قال زيات عن أبي
اسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر
أحدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم رجمة الله علينا وعلى اخي موسى لوبث مع صاحبه لا بصر العجب
الاجاب ولكن قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحني قد بلغت من لدني عذرا فانظروا عيشا من حتى أنيا
أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين وهي اهدارض الله بن السماء
وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليهما ينسب النصراني قالوا فوافياها قبل غروب الشمس
فاستطعما أهلها واستضافهم فابوا ان يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لا باعنا وقال قته في هذه الايات شر القري
لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا لم نجدوا لك الليلة في تلك القرية قري ولا ماء ولا مادي
وكانت ليلة باردة فلدجوا الى حائط على شارع الطريق يريدان ينقض أي يكاد ينهدم يسقط ولم يكن
عمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح في بعض الاخبار ان
سلك ذلك الحائط ثلاثين ذراعا بذراع للثلاثين وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه
خمسون ذراعا فاقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبيرة مع الجدار وسواه
بيده ومنكبته فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لداقوتا وثلثة على سفرتنا اذا
استضيفنا فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سالتك بما يدل ما لم تستطع عليه صبرا ثم
اخذ يفسره فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره كانت لأمرة اخوة
زمن لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من أبهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون
العمل قال المال منهم فاحدم كل مجذوم ما واثاني أعور واثاني اعرج والاربع آردوا والخامس مجوم لا تقطع
عنه الحى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذي لا يطيقون العمل اعنى واصم واخرس ومقدم ومجنون
وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (ويروي) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله
أما السفينة كانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساو الف دينار فقال ان المساكين مرسكين وان كان معه

الفسدينا . ولذا قيل ان المسافر وماله على قلة الاما في الله تعالى قدرت ان اعياها . قطعا . الطمع . الخايعين . فيها . ورفعا .
 لشهرهم . وكان دراهم . ملك . ياخذ كل سفينة غصبا . وراهم اي امامهم . قال الله تعالى من ورائهم جهنم ومن ورائهم
 برزخ الى يوم يثبون اي امامهم . وقيل خلفهم . لانه كما رجوعهم في طريقهم . ولم يكونوا يعلمون خبره . فاعلم
 الله تعالى الحاضر خبره . وكان ياخذ كل سفينة صالحة غصبا . وكذلك كان يقرؤها ابن عباس خرقتم واعتبها
 كيلا يتضرر لها ذلك الملك . واختلفوا في اسم ذلك الملك فقال اكثر العلماء اسمه جلندي . وكان كثيرا . وقال
 ابن اسحاق كان اسمه منواه بن جلندي الاردني . وقال شعيب الحبائي كان اسمه هدر بن بدر . وقيل كان لهذا الملك
 ثمانية وستون قصرا في كل قصرا امرأة . قال فلما جاوزوا الملك سد الحضر خرق السفينة . ورواها امام الغلام فكان
 ابواه . ومثني فخذينا اي فلما ان ابوهما باعها مطعنا . واكثر وافيهم . لكانهم اوقيل خشى ان يدرك فيدعو
 ابوه الى الكفر فيجيباه . ويدخلهما . في دينه لفرط محبتهم . له . وقيل خشى على الغلام ان يعمل عمل الفساق
 فيتما فلان ابواه يداخلان النار فارادوا ان يبدلها ربهما . خيرا منه زكاة . وصالحا . واقرّب رحما . قال ابن
 عباس . يعني واصلا للرحم . وبرا . ابوالديه . فابدهما الله جارية . بة مؤمنة . ادركت يونس بن متى . وتزوجها
 نبي من الانبياء . فولدت له نبيا . فهدى الله على يديه امة . من الانام . (واخرنا) (عبدالله بن حامد . قال اخبرنا
 حامد بن احمد . قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن يحيى ابن الحرث اخبرنا عبد الوهاب بن فليح اخبرنا ميمون بن
 عبدالله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه في هذه الآية قال ابدهما جارية . فولدت سبعين نبيا
 وقال ابن جرير . ابدهما بعلم مسلم . وكان المقتول كافرا . وقال قتادة في هذه الآية قد فرح به ابواه حين ولد
 وحزننا عليه حين قتل . ولو بقي كان فيه هلا . كما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيها . بكرة خير . لمن رضاه
 فيما يحرم . * . وأما الجدار . فكان اماما . بين يديه في المدينة . واسمها اصرم . وصريم . وكان تحتها كنزها .
 واختلفوا في ذلك السكنز ما هو . فقال ابن عباس . وسعيد بن جبير . كان صاحبها مدفونة تحتها . فيها علم . وقال
 الحسن . وجعفر بن محمد . كان لوحا . من ذهب . مكتوب فيه . بسم الله الرحمن الرحيم . عجب ايمان يؤمن بالفرد
 كيف يحزن . وعجب ايمان يؤمن بالرزق كيف يتعب . وعجب ايمان يؤمن بالموث كيف يفرح . وعجب ايمان يؤمن
 بالحساب كيف يجوع . وعجب ايمان يعرف الدنيا . وتقلبها كيف يطعم . بها . الى الله . لا اله الا الله . محمد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . وقال آخرون . كان ذلك السكنز ما لا يدل عليه ما اخبرنا ابو بكر الحشاشي المزكي
 اخبرنا ابو الحسن احمد بن قيدوس الطرائقي اخبرنا عثمان بن سعيد اخبرنا صفوان بن صالح الدمشقي
 اخبرنا يزيد بن مسلم الصنعاني عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن ابي الدرداء . قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في قوله تعالى . وكان تحتها كنزها . قال كان ذهب . وفضة . وكان ابوها اسمه كاشع . وكان صالحا .
 تقيا . آمينا . فخطا اصلاح ابويهما . ولم يذكرهما . صلاح . وكان بينهما وبين الاب الذي حفظاه . بسم الله آباء
 (اخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد . قال اخبرنا بشر بن موسى اخبرنا الحميدي اخبرنا سفيان اخبرنا
 محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر . قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح . ولده . ورلد . ولده
 وبقرته التي هو فيها . والدويرات التي حوله . فما زلن في حفظ الله . وسنته . وعن سعيد بن المسيب
 انه كان اذا رأى ابنه قال يا بني لا تزيدني في صلاتي من اجل اني احفظ فيك . ويتلو هذه الآية
 (اخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة . قال كانت لي أخت أسن مني . فاختلطت . وذهب عقلها . فتوحشت
 وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا . فلبثت كذلك . بضع عشرة سنة . وكانت مع ذهاب عقلها . تحصر على
 الصلاة . والظهور . فبينا أنا نائم ذات ليلة . اذا أنا بباب بيتي . يدق نصف الليل . فقلت من هذا . فقلت بحجة
 فقلت أختي قالت أختك . فقلت لبيك . فتمت . ففتحت الباب . فدخلت . ولا عهد لها في البيت . أكثر من

محرابه . عند ما فرغ من صلاة الغداة . فآخذته مالك .
 فاذا في ظهره مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم مالك بن دينار قد وثقنا الشاب الفصير الذي ضمنته له . وزاد على ذلك . بسبعين ضمنا . قال فتعجب من ذلك . وذهبت أنا وجعفر الى منزل الشاب . فاذا بالباب مسدود . والبكاء في الدار . فقلت ما فعل بالشاب فقيل مات بالأمس . فاحضرنا الغسل . وقلنا انت غسلته فقال نعم . فقال لك خدتنا كيف صنعت فقال الغسل ياسيدي انه احضرني قبل موته . وقال اذا غسلتني وكففتني اجعل هذا الكتاب بين كففي . وبدي . ففعلت ذلك . ودفعته معه . قال فخرج مالك الكتاب . فقرأه الغاسل . وقال له ياسيدي والله انه هذا الكتاب . بينته . قال فكثير البكاء . والتعجب . ثم قام شاب آخر . وقال يا مالك خذ مني مائتي ألف درهم . واضمن لي مثل ما صنعت للشاب المتوفى . فقال مالك هيهات . كان ما كان . وفات ما فات . والله يحكم ما يريد . فساكن مالك كلاما ذكر الشاب بكى . وقال هتأله . ودعاه بالرحمة رحمة الله بهم .

عشر بن سنة فقلت يا ختي خيراً ففات خيراً يا أخى بت الليلة فأتاني آت في منامي فقال لي السلام عليك يا حبة فقلت وعليك السلام فقال لي ان الله قد حفظك اباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلامة جلدك وحفظك بابيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب مابك وان شئت صبرت ولك الجنة فان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قد شفعاك الى الله تعالى لحب أباك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختياري أحدهما فالصبر على ما نأيه والجنة والله لو اسع الفضل خلفه لا يتعاطفه شيء في حكمة ولوشاء لجمعهما لي قالت فقيل لي قد جمعهم الله لك ورضي عن أباك وجدك بحبهما ابا بكر وعمر فان لي فان الله اذهب ما كان بك (و يحكي) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بما دعوت حتى تحرك الله قال قلت يادن حفظ السكبر على الصديقين اصلاح أيهما احببني منه لصلاح آبائي فاراد بك ان يلبغا أشدهما ويستخرجاك كثرهما المذنون تحت الجدار وما فعلته عن أمري وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل بالم استطاع عليه صبروا يقال لمساءب موسى على الخضر خرق السفينة وقته الغلام واقامته الجدار محتسباً بحاجتنا قال له يا موسى أتأومني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألفتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف حفظك الله وتولموني على قتل الغلام الكافر بلأمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير امر وتولموني على ترك أخذ الجرة في إنامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسباً لاجل تلك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وقدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم في التيه (و يروى) عن علي بن أبي طالب وغراره موسى لما رد اوراق الخضر قال له الخضر اتودعك الله ثم قال له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشافئ غير حاجة وياك واللجاجة ولا تنصرك من غير عجب ولا تتمر الخاطئين بخطاياهم وياك على خطيتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غدا (و يروى) أو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينا الخضر يمضي في سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله فقال آمننت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون مامعني من شيء أعطيكه فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك فاني أرى الخير في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمننت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون مامعني شيء أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمننت بالله وما يقضي الله من أمر سيكون مامعني شيء أعطيكه الآن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتدعني قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألني بوجه ربى وقد أجبك فتدعني بيدي وأدخلني السوق فمعني فاخذ بيد الخضر فادخله السوق فباعه بار بمائة درهم فلبث عند الميتاع أياماً لا يستعفه له في شيء فقال له الخضر استمعاني فقال له انك شريك كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فتم فانتقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا سبعة نفر في يوم تام فقام ونقلها في ساءة واحدة وأمد الله تعالى على نقلها عاك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر اني أراك أمة ناصحاً ناصحاً فاحلفني في أهلي قل نعم ان شاء الله تعالى فاستمعني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لي لبناً اریده لقصر لي ووصفه له ثم خرج اسفاره فلما قضى حاجته ورجع من سفره انهو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فان دأب منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذي كنت اشتريته فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت فقال للخضر ان هذا القوم هو الذي أوقعتني في اليهودية أماناً فأسألك انما الخضر

جمه من (و حكي عن محمد
ابن السمك رضي الله عنه)
انه قال كان محمد بن سليمان
ابن موسى الهاشمي من
أنعم بني أمية عيشاً
واكرهم بالاعطاء نفسها
وكان منهم مكا في شهوات
نفسه من اصناف اللذات
في المكل والشرب والملبس
والطيب والجواري
والعلماء ليس له فكرة ولا
همة الا في الذي هو فيه من
ذلك وكان شاباً جليلاً وجهه
كاستدارة القمر وكانت
نعمة الله بساقه عايه فكان
يستغل كل حول نحو ثمانية
الف وثلاثة آلاف دينار
ذهباً يصرف كل ذلك فيما
هو فيه من عيشه ولذته
وكان له مستشرق عال
يقعده في شرف على الناس
وله ابواب مشرعة الى
بساتينه وقد ضرب قبة
من عاج مطلية بالفضة
والذهب وهو على سريره
عليه غلالة من قصب وعلى
رأسه حمامة مكلالة باللاشيء
ومعه في تلك القبة ندوة
وجلساءه وقد اوقف على
رأسه الخدم والعلماء في
مجلس خارج القبة بحيث
يراهم فاذا اشبهى سماع
القيان نظر نحو الستارة واذا
اراد سكوتهم أو ما يريد نحو
الستارة فهذا كان دأبه الى
ان يذهب الليل فتخرج
الندماء ويخلو مع من شاء

الى اللامبين بالسطرنج
 وغيره لا يذكر بين يديه
 موت ولا سقم ولا مرض
 ولا حزن ولا غم ولا هم
 الا ذكر الفرح والسرور
 والوداد والخضعة وبشر
 كل يوم من انواع الطيب
 والتمائم وما يكون في
 اوانه حتي مضته سبعة
 وعشرون سنة فينبأ هو
 ذات ليلة من الليالي في قبه
 وقد مضى نصف الليل اذ
 سمع نغمة من صوت
 شجري بخلاف ما يسمع
 من مطر رانه فاخذت
 بقلبه وصاروها عما كان
 فيه فاولما الى جسانه
 ان امسكوا ثم اخرج
 راسه من بعض طاقات
 القصر الى جهة الحلاء
 يسمع الذي وقع بقلبه
 فاذا النغمة ربما سمعها
 وربما خفيت عليه فصاح
 بفلمان ان اطلبوا صاحب
 هذه النغمة وكان يومئذ
 الفلمان يطوفون فاذا هم
 بشاب نحيف الجسم
 مصفر اللون قد لصق بطنه
 بظوره وتعليه طمران
 لا يتوارى بغيرهما حافي
 القدمين ذابل الشفتين
 قفم في المسجد يتاجى
 ربه عز وجل قال
 فاخرجوه من المسجد
 وانظروا به حتي ارتقوه

سألني سائل بوجهه ربي ان اعطيه ولم يكن مهي شيء اعطيه فامكنته من نفسي حتي باعني وبلغني ان من
 سئل بوجه الله ورسوله وهو يقدر على قضاء حاجته وقت يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم
 ولا جفاد الاعظم يتقعر قال فيكي ذلك الرجل وانسكب عليه يقبله ويقول له يا بني انت وامى شققت
 عليك ولم اعرفك فاحكم علي في مالي واهلي وان احببت ان اخلى سبيلك فمات تال نعم بل احب ان تولى
 سبيلي اعذرني وكان الرجل كافرا قاسم على يديه واعطاه ربه امة بنار وخلي سبيله فارضى الله اليه قد
 تبييتك من الرق واسلم الكافر على يدك واعطاك مكن كل درهم بنار ان لم ان لا يخسر احد في مالهاني
 فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله اعلم

(باب في ذكر قصة عاميل قاتل بنى اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذا قال موسى انوه ان الله يا مكرم ان نذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قاتل بنى اسرائيل
 اسمه عاميل لم يذمن قتله واختلفوا في قتله وسب قتله فقال اعطاه والسدى كان في بنى اسرائيل رجلا كثير
 المال له ابن عم مسكين ولا دار له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقل بدضهم كان تحت عاميل ابنة
 عمه ماله في بنى اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله بن عم لها لنكحها فلما قتله حملته من قر يقال قرية
 اخرى فالفاه هناك وقل عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد انا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قاتل على
 باب سبط جري الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله الفان لم اجتماعه وضمه على
 باب رجل منهم ثم اصبح بطاب ناره ودمه ويدعيه عليه وقيل الفاه بين القرينين فاخصم اهلها وجاء
 اولياؤه الى موسى واتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسالوه القصاص فقال لهم موسى عن ذلك فوجدوا ولم
 يكن لهم دينه فاشتبه امر القاتل على موسى ووقع بينهم قتال واختلف وذلك قبل نزول التسمية في التوراة
 فقالوا لموسى ان ندبحوا بقرة قالوا اتخذناهم واجئناك لنسالك عن القاتل فامرنا بنذبح قررة واعا قالوا
 ذلك لتباعد الامر بين في الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى اعوذ بالله ان اكون من
 الجاهلين اى من المتهمين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة امر من الله تعالى قد لا مهم سألوه
 الوصف فقالوا ادع لنا ربك يدين لنا ما هي ولوانهم عمدوا الى اذني بقرة فذبحوها لاجرائهم لكنهم
 شددوا الامر على انفسهم فشد الله عليهم واعا كان تشهد يدهم تقدير ان الله وحكمة وكان السبب
 فيه على ما ذكره السدى وغيره ان رجلا في بنى اسرائيل كان بارا بابيه وبلغ من بره ان رجلا اتاه
 بلوثة فاتباعها بخمسين الفاً وكان فيها فضل ورجح فقال البائع اعطني ثمن اللوثة فقال ان ابي قائم
 ومفتاح الصندوق تحت راسه فاهولني حتي يستقيظ واعطيك الثمن فقال ابنيظ اباك واعطى المال
 فقال ما كنت لا فمسل واسكن ازيدك عشرة آلاف وانظرنى حتي يفتيه ابي فقال الرجل انا احاط
 عنك عشرة آلاف ان ابنيظ اباك وعجلت النقد فقال انا ازيدك عشرين الفاً ان انظرت انتباهه
 فقال قبلت ففعد ولم يوقظ اباه فلما استيقظ ابوه اخبره بذلك فدعاه وجزاه خيرا وقال له احسنت
 يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بنية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
 القصبة انظر وما صنع الله به لا رجل البر (وقال ابن عباس وهب وغيرهما من اهل الكتاب) كان في
 بنى اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجة فأتى بالمججلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعك هذه
 المججلة لابني حتي يكبر ثم مات الرجل وشبت المججلة في الغيضة حتي صارت عوانا وكانت تهرب من كل
 من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالده وكان يتهم الليالي ثلاثة ثلاث يصلي لنا وينام لنا ويجلس

بين يديه فظفر اليه وقال من

هذا فقالوا صاحب النعمة
التي سسمتها فقال ابن
اصبه تموه قالوا في المسجد
قائما يصلي ويقرأ فقال
ايها الشاب ما كنت تقرأ
قال كلام الله تعالى قال
فاسمعي ثلاث النعمه فقال
اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم بسم الله الرحمن
الرحيم ان الابرار اني نعيم
على الابرار اني ينظرون
تعرف في وجوههم اضرة
النعم بيقون من رحيق
تخوم ختامه منك وفي
ذلك فليتناقش المتنافسون
ومزاجه من تسيم عينا
يشرب بها المقيمون ثم
قال ام المغير وانما خلاص
مجلسك ومستشرقك انما
ارائك مفروشة بطائفا
من استبرق على رفرف
خضر وعبري حسان
شرف ولي الله تعالى منها
على جنتين فيها عتيان
تجربان فيها من كل
واكمة زوجان لامة طوعة
ولامتنوعة في عبسة راضية
في جنة عالية لا تسع فيها
لاغية فيها عين جارية فيها
سمر مرفوعة واكراب
موضوعة عترة عرق مصفوفة
وزراني مبيضة في ظلال
وعيون وفاكمة مما
يتخيرون ولحم طير مما
يشتهون اكهارا ثم وظاهما
تلك عقي الذين اتقوا

عند راسه ثلثا فاذا صبح انطلق فاحتط على ظهره فبات به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يصعد
بثله وياكل ثلثه ويطي والدته ثلثه قالت له امه يوما باني ان اباك ورنك عجله وذهب بها الى غيضة
كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها بالابراهيم واسماعيل واسحق ان يردها
عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يحيل لك ان شماع الشمس يخرج من جلدتها وكانت اسمها
المذهبة لحسن خلتها وصفاء لونها وصغرتمها فاني الغيضة فرأها وهي ترمي فصاح بها انتقي وقال لها
اعزم عليك بالابراهيم واسماعيل واسحق وبعقوب ان تردى على فقبلت تسمى حتى قامت بين يديه
فقبض على عنقها وقدمها فتبكت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار والدته اركبني فان
ذلك اهلون لك فقال ان امي لم تاترنى بذلك وانما قلت خذ بعنقها فقال البقرة واله بنى اسرائيل
لو ركبني ما كنت قد در على ابداء فانطلق فانك لو اشرت الى الجبل ان ينقاد من اصدله وينطلق لنعسل
لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقله عبد الله ابليس في صورة راع فقال له ايها الذي انتي راع من
رعاة لبرك اشتقت الى اهلي فاخذت ورأ من ثيابي وحملت عليه زادي ومتاعى حتى اذا بلغت شطر
هذه الطر بقي ذهبت لاقضى حاجتي فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه واني لا خشي على نفسي
الملك فبان رايك ان تحملني على بقرتك هذه وتنجينني من الموت واعطيك بقرتين مثل بقرتك
فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله فوعل الله منك اليقين ليلك بلا زاد ولا راحله فقال له ابليس
لعمرك الله ان شئت فميت بها بحسبك وان شئت فاحملني عليها واعطيك عشرة امهات فقال له الفتى ان امي
لم تاترنى بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدي البقرة ففجرت البقرة هاربة في الغلابة وغاب الراعي
فدعاها الفتى وقال بسم الله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت ايها الفتى البار والدته اركبني الطائر الذي طار فانه
ابليس عز والله اخشيت امانه لو ركبني لما قدرت على ابداء فلما دعوت بالابراهيم جاءني ملك ابترعني من يد
ابليس وردني اليك لبرك بملك وطاعك لحافها فها الفتى الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويا فتى عليك
الاحتطاب بالهار والقيام بالليل فانطلق فيبع هذه البقرة وخذ منها فقال بك ايدها فقالت ثلاثه دنانير
ولا تبعها بغير رضاي ومشورتى وكان من البقرة في ذلك الوقت ثلاثه دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله
الى الفتى ما كان يري خلقه قدرته وليخبر الفتى كيف بره والدته وكان الله به خبير افعال له الملك بك تبسع هذه
البقرة فقال بثلاثه دنانير واشترط عليك رضا والدتي فقال له الملك انا اعطيك ستة دنانير ولا تستأمر امك
فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهابا لم آخذها الا برضا امي فردها الى امه واخبرها بانها فقالت ارجع قيمها بستة
دنانير على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فماله الملك فاني فقال له امه امرت والدتك فقال الفتى نعم امرتني
ان لا اتصمها عن ستة دنانير على ان استأمرها فقال له الملك اني اعطيك اثني عشر دنانير على ان لا تستأمرها
فاني الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذي اتيك هو ملك من الملوك اتيك
في صورة آدمي ليختبرك فاذا انالك فقل له انا من امي ان ابيع هذه البقرة ام لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك
اذهب الى امك وقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشترها منك اغتيل يقتل في بني اسرائيل
ولا تبعيهم الا بملء مسكها دنانير فامسكها البقرة وقدر الله على بني اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافاة له
على بره والدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وما سمعتها قال موسى
انه يعني الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين
فانفعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تسكر والسؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لو انما قاله يقول انها
بقرة صفراء فافعل لونها امر الناظرين اليها وتذهبهم من حسنهم وصفائهم لان العين اسمر وتولع بالنظر الى

الشيء الحسن وقال علي بن أبي طالب من أبس من أبا صفراء قل همه لا والله تعالى يقول صفراء فاقع لونها
تسر الناظرين قالوا ادع لبارك يبين لمانهي أسأفة أم عاملة ان البقر تشابه علينا واننا شاء الله لم يتدوّن
الي وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني والله لو لم يستنوا لما قبلت منهم إلى آخره لا بد قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول مثله بالعل ثمير الارض تغلب للزراعة ولا تسقي الحرت مسامة برية من السيوب
لا مشية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا يبايض فيها أصلا وقال سعد بن كعب لا لون فيها يخالف
عظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أي بالوصف ثابث الهم البين فطلبوها
فلم يجدوها بكل وصفها الا عند الفقي البار بامه فاشترى وهامته بل مسكها ذهباً وقال السدي اشترى بها
بوزنها عشر مرات ذهباً فذبحوها وما كانوا يعرفونها من غلوئها وقال القرطبي وما كانوا يذبحونها
باجتماع وصفها وذلك قوله تعالى ونذقتهم نفسا يعني عاميل وهذه الآية اول القصص فادركتم فيها أي
فاحتلتكم فيها والله يخرج أي مظهر ما كنتم تكتبون أي تخفون فقلنا ضربوه يعني القتل بعصها أي
بعض البقرة واختلموا في هذا البض ما هو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو
المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الأقاويل لأن المراد من احياء الميت
كله واللسان آلة قال سعيد بن جبير يجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لأن
عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما خلق الله وأخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها
وقال عكرمة والكيكي بفخذها الايمن وقال السدي بالبطنة التي بين كفتيها وقيل بذنبا فقلنا ذلك فقام
القتيل حيا باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتاني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك
يحيي الله الموتى كما أحيانا عاديل بعد موته ويربك آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لم يكملون قالوا فلما
كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الي موسى أن توجه إلى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر
إلى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمه الدية فان علموا قاتله
سأله إلى أهله وان لم يعلموا تخبروا خمسين رجلا من شيوخهم وصغارهم ثم ليأخذوا بقرة حولية
ويذبحوها بطن واديسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلقوا بالله العظيم رب السموات
والارض يا بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمه عيل انما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلقوا
برؤسهم ودمه وأدوا دية إلى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسماء بينهم إلى امات وكذا بنو اسرائيل
حتى جاء الاسلام فنقض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسماء والله أعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتاب والسكينة وصفة الارال التي كانت

تأكل القران وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهدنا لينا ان لا تؤمن برسول حتى ياتنا بقران تأكله النار الآية
(انباتا) محمد بن حمدويه بسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله إلى موسى ان يتخذ مسجداً
لجاعتهم وبيت قدس للتوراة والتابوت والسكينة وقبائل القران وان يحمل لذلك المسجد سرادقات
باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها وان تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القران وحبالها
التي تنسج من اصواف تلك الذبائح وعهد اليه ان لا يغزل تلك الحبال خاض ولا يدبغ تلك الجلود وجنب
وامره ان ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها اربعون ذراعاً ويجعل فيها
اثنى عشر قمحاً مسرجاً فاذا انتفض وصارت اثنى عشر جزاً جعل على كل جزء بمافيه من المعد سبطان
أسباط بني اسرائيل وامره ان يحمل سبعة تلك السرادقات ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وان ينصب

وعقبي الكافرين النار
نار واني انار المجرمين في
عذاب جهنم خالدون
لا فتر عنهم وهم فيه معايدون
في ضلال وسرور
يسحبون في النار على
وجوههم ذقوا من سقر
يود المجرم لو يفتدي من
عذاب يومئذ بدينه
وصاحبته واخيه وفضيلته
التي تؤدهم في الارض
جميعاً ثم ينجيه كلام الطي
نزاة لا شوى تدعو من ادبر
وتولى وجمع فارعى في جهنم
جديد وعذاب شديد
ومنت من رب العالمين
ومهم منها يخرجين قال
فقام الهاشمي من مجلسه
وعانى الشاب وبكى على
نفسه وقال لجماعة انصرفوا
عني وخرج إلى صحن داره
وقعد على حصير مع الشاب
ينوح على شبابه ويندب
نفسه هذا الشاب ينظر إلى
ان اصبح وقد عاهد الله
تعالى ان لا يدعى مصيبة
ابدافا لما أصبح اظهور فوبته
وامر بالفضة والذهب
والجواهر وانواع الملابس
فباعها كلها وتصدق بها
وقطع الاجور عن نفسه
ورد الضمائم له تطعة رباع
ضياء وعهده وحواريه
واعق من اختار التقي
وتصدق بجميع ماله كله
ولبس الصوف الخشن
واكل الشعير ابد التعم

عصيتك جاهلا يا ذا العلى
ففرج ماترى من سوء حالى
الى من يرجع الملوكة الا
الى مولاه يا ولى الموالى
فانك اهل مغفرة وعفو
وتواب ومنضال التوال
(وحبك عن عبد الله بن
وهان رضى الله تعالى عنه
انه قال) حجاج الرشيد
هرون رحمه الله تعالى سمة

فيه سبع قباب سمة منها مشبك بفضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من
فضة طوله اربعون ذراعا وعليها اربعة دسوت من نياح محلات الباطن الاول سبندس اخضر
والثانى ارجوان احمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغيار وحبالها
التي تمد بها من صوف القربان وان يحمل سمة اربعين ذراعا وان ينصب في جوفها موائد من فضة
مر بسة يوضع عليها القربان سمة كل مائدة منها اربعة اذرع في اربعة اذرع كل مائدة منها على
اربعة قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة اذرع لا يتال الرجل منها الا فاما وامر ان ينصب بيت المقدس
على عمود من ذهب طوله سيمون ذراعا يوضع على سبندس من ذهب احمر طوله سيمون ذراعا مرصع
بأنواع الجواهر وان يحمل اسفله مشبك بفضبان الذهب والفضة وان يحمل حبالها التي تمد لها من
اصواف القربان وان يحمله مصبوغا بالوان من احمر واصفر واخضر وان يلبس سبعة من الجلال حلالة
الباطن الاول منها سبندس اخضر والثانى ارجوان احمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من
الحرير الاصفر وكذلك اثواب نحوها وسائرهما من الديباج والوشى والظاغر له ناشية من جلود القربان
وقاية من الاذى والسدى وامر ان يحمل سمة سيمون ذراعا وان يقرش القباب بالفضة الاحمر وامر
ان ينصب فيه تابوتا من ذهب كتا بوث الميثاق مرصع بالوان الجواهر والياقوت الاحمر والاشهب
والزمر والاخضر وقوامه من ذهب وان يحمل سمة سبعة اذرع في اربعة اذرع وتلوه قائمة موسى
وان يحمل له اربعة ابواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه
هرون وباب يدخل منه اولادهرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وامر الله بنيه موسى
عليه السلام ان ياخذ من كل محتمل فيها من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينقعه على هذا البيت ان
يحمل باقي ذلك المسال الذي لا يحتاج اليه من الحلى والحلل التي ورثها الله بنى اسرائيل وموسى واصحابه من
فرعون وقومه دفينا في ارض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة الف وسبعة
مخمين رجلا فاخذ منهم ذلك المسال واوحى اليه انى منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق
شئنا ولا تطفأ ابدا لنا كل القرايين المتقية وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب مملوءة
بسلاس من الذهب منظومة من الياقوت واللالى وانواع الجواهر وامر ان يضع في وسط البيت
صخرة عظيمة من الرخام وينقريها نقرة لتكون كانون لتلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى اخاه
هرون وقال له ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تاكل القرايين المتقية لا تسرج عنهم القناديل
واوصانى بها وانى قد اصطفيتك بها واوصيتك بها فدعا هرون ابنه وقال له ان الله تعالى قد اصطفانى
موسى بامره واوصاه به وانه قد اصطفانى له واوصانى به وانى قد اصطفيتك به واوصيتك به وكان
اولادهرون هم الذين يولون سدنة هذا البيت وامر القربان والنيران فشرىوا ذات ليلة حتى ملوا ثم
دخلوا البيت وامر جوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاخرقتهم
وموسى وهرون يدفنان عنهما النار فلم يبقا عنهما من امر الله شئنا فارحى الله تعالى الى موسى هكذا اقل
عن عصائى ممن يعرفني فكيف اقل عن لا يعرفني من اعدائى وهذا آخر القصة والله اعلم
(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حين جاوزوا البحر وصفة الحرب

الجاربين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعم الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
الايات اختلفت عبارات المفسرين في الارض المقدسة ما هي فقال مجاهد هي الطور وما جوله وقال

منازل هي ايليا وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض
والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدي هي ابراهيم وقال
السكي هي دمشق وفلسطين وبض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال
قنادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام واهله) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤاف
القرآن من الرقاع اذ قال طوي لاهل الشام قيل يا رسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة
اجنحتهم اعاليهم عن عبد الله بن خولة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر
فيكم حتى يفتح الله لكم ارض فارس والروم وارض حمير ويحتي تكونوا اجناداً ثلاثة جند بالشام
وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يا رسول الله احسرت اني ادر كني ذلك فقال احسرت لك الشام فانها
صفوة الله تعالى من بلاده واليهما يجتبي صفوته من عباده بالاهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله
من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام واهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قدم الله الخبير عشرة اجزاء فجعل منه تسعة اجزاء في الشام وواحد في العراق
وقسم الله الشريعة اجزاء فجعل منه تسعة في العراق واحداً بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين
رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حصن تسماعل منه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون
بدرية وقال السكي صمد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فسا ادر كني بصرك فهو
مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فلذلك قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله
لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهب الله الله لكم مساكن وقال السدي
أمركم ان تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن بورا)

قال الله تعالى وانزل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها الآية واختلعه وانيه فقال اكثر المفسرين هو
بلعام بن باعوراء بن باعور بن ايدن مارت بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلعام وهي مدينة الجبارين
وسميت بلعام لار ما كبر اجله يقال له باقى بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق
والسدي والسكي وغيرهم ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض بني كنان من ارض
اشام اتي قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة
وانه قد جاء ليجر جناتنا بالادناو يقتلنا ويحلبنا بني اسرائيل وانا قومك وبنوعك وجيرانك وليس لنا منزل
وانت رجل محاب الدعوة فقم اليها واسرعنا في هذا الرجل العدو والذي قد ارقه ما قد اذع الله ان يرد
عاموسي وقومه فقال لهم بلعام وياكم هذا بني الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف ادعوا عليهم وانا اعلم من
الله ما اعلم واني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي واخرتي فلم يزلوا به حتى قال لهم اصبروا حتى استأمر ربى وكان
لا يدعوا حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمرني الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد
أمرت ربى في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أوامر ثانياً فأمروا فيجب فقال قد أمرت فلم
يجب لى شيئاً فقالوا لو كرر ربك ان تدعوا عليهم لكان كما فعل في المرة الاولى فلم يزلوا يرفقون به ويناشدونه
ويتضرعون اليه حتى فتقوا فتقن فقالوا ابعدهم اهدوا اليه فيقال انهم اهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام
ابن باعوراء لما اتي ان يدعوا على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيئاً الى امرأته وقالوا انها فقيرة
وانه يصفى الي رايها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة ورقاقا وسوها

فأقام بها أياماً ثم ضرب
بالرحيل فخرج الناس
يودعون وخروج يهلول
المجنون رضى الله تعالى عنه
فبينما خرج فجلس
بالكناسة والصبيان
يؤذونه ويولعون به حتى
اذا أقبلت هوداج هرون
الرشيد كف الصبيان عن
الولوع به فلما جاء هرون
نادى بأعلى صوته يا أمير
المؤمنين فكشف هرون
السجاف بيده وقال ليك
يا بهلول ليك يا بهلول فقال
يا أمير المؤمنين حدثنا ابن
ابن نائل عن قدامة بن عبد
الله العامري أنه قال رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
يعنى على جبل وتحت رحل
رث فاطرد ولا ضرب
وكان متواضعا في سفره
فتواضع في سفره هذا
يا أمير المؤمنين خيرا من
تكبرك وتجبرك قال فبكى
هرون الرشيد حتى
تساقطت دموعه على
الارض ثم قل زدنا يا بهلول
فانشد
فهب ذا أن ملكك
الارض طرا
ودن لك العباد فكان ماذا
أليس تري مقيلا جوف
قبر
ويشون التراب عليك
هذا قال فبكى هرون ثم
قال احسنت يا بهلول هل

غيره فقال نعم يا ميسر

المؤمنين رجل اتاه الله مالا
وجمالا فانفق من ماله
بغف في جهله كتبه الله
تعالى في ديوان الارباب فقال
أحسنتم يا بهلول سر مع
الجزيرة فقال لا ارد الجائرة
على من أخذتها منه فلا
حاجة لي بها فقال يا بهلول
ان كان عليك دين قضيناها
فقل يا ميسر المؤمنين
لا يقضى دين بدين ارد
الحق الى اهله وافض دين
تسك بنفسك قال يا بهلول
ان كرا لينا حاجة فنجري
عليك ما يكتفيك فرفع
البهلول رأسه الى السماء ثم
قال يا أيها المؤمنين اتاوانت
من عيال الله فحال ان
يذكرك وينسان فاسبل
هرون السيف ومضى
فله اقضي حجيجه وانى
الحج ثانيا خرج هرون
الرشيد حاجا وحلف ان
لا يبيع الاماشيا الى مكة
فقرش لمن جوف العراق
الى اليمن لاسود من فراء
فاستد يوما الى ميل وكان
قريب من المشي فبينما هو
كذلك اذا بمعدون المجنون
قد عارضه في الطريق
وأشد يقول
هب الدنيا واتيك
اليس الموت يأتيك
هاتصعق بدا الدنيا
وظل ينسبل بكفيك
الا طالم الدنيا

لها فاقبلت على صاحبها والحت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك فاسأله ان يؤذن لك في مؤازرتهم
والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يحب اليه بشئ فقالت له انه قد خبرك في الدعاء عليهم فلم ياذن
لك لهم لك قالوا فركبوا الابل فمضوا الى جبل فظلموا على عسكر بني اسرائيل يقول له حسان وكانت مراكب
العباد الاولين الا ان قالوا عليه باغير بعيد حتى وضعت به فزل عنها ووضر بها حتى ازلها فاعادت فركبها فلم تدر
به كثير حتى وضعت به فضر بها حتى اذناها اذن الله تعالى له في الكلام حجة عليه فقالت له ويشك يا بهلام
اين تذهب الاتري ان الابل لك اسمى تردني عن وجهي هذا اتذهب الى نبي الله واوليائه الذين يدعوا عليهم فلما سمع
ذلك خر ساجدا فلم يزل باكمضا حتى غابت عنه الابل انكتمت فرفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له اني اخرجك
فان ربك يستجيب لك ولولم يزد ذلك لما رجحت عنك الابل انك لم تزل تطلبها فركب الابل فدخل الله بيها
فاظلمت به حتى اشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعوا عليهم بشئ من امر الا صرف الله به لسانه الى قومه
ولا يدعوا قومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه اني ما تصنعكم يا بهلام انما تدعوا لهم
وتدعوا علينا فقال هذا اوله لك منه شيئا قد غلبني الله عليه فدخل لسانه فوق عني صدره فعلم ما حل به فقال
لقرنه قد ذهبت في الدنيا والاخرة ولم يبق الا المبكر والحيلة قد امر انكم واحتملوا النساء ووزنوهن
واعطاهن الساع ثم ارسلوهن الى المسكر ليدن فيهن ويشربن واهرون ان لا تتبع امرأة تنسها من رجل
ارادها فاتهم لوزن رجل منهم كذبه وهم يفعلوا ذلك فلما دخلت النساء المسكر مورت امرأة من الكنعانيات
اسمها كرشما بنت حور يا رجل من عظماء بني اسرائيل فقال له زمري بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم فقام اليها واخذ يدها حين اعجبها حين رقب على وسى وقال اني سأنتك
ان تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقر بها قال والله لا اطيعك في هذا ثم انه دخل بها فبته
فواقها نزل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان عذابا حين صنع زمري بن سلوم ما صنع فجاءه والطاعون
رجلا قد اغشى بسطة في الحاق وقوة في البطش وكان عذابا حين صنع زمري بن سلوم ما صنع فجاءه والطاعون
يجوس في بني اسرائيل فاخيرا طير فاخذ حربه وكانت حينئذ كلها ثم دخل عليها القبة وهما متضايمان
فاقتطعها في حربه ثم خرج بها دارفهما بيديه الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد برقبته على
خاصرته واستند الحربة الى خचितه وكان بكره المزاد وجعل يقول اللهم هكذا فعل عن يعصيك فرفع الطاعون
عنهم فغضب من هلك من بني اسرائيل من الطاعون فبين ان اصحاب زمري المرأة الى ارقله فجاءه
فوجدوه قد اهلك الله منهم سبعين الف نفس في سائة واحدة فنهك بعطى بنو اسرائيل لئلا يترك
ذبيحة يذبحوها الخصرة والذراع والرجل لاشماله بالحر بدعي خاصرته واخذها اياها بذراعه واستنزه
اياها الى خचितه والبيكر من كل أم وأولهم لكان بكر المزاد بن هرون في بهلام انزل الله تعالى وانزل عليهم نيا
الذي آتاه آيات الاية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبهلام ادع الله على موسى والقتلت فقال انه من اهل
ديني ولا ادعوا عليهم فعني بحسبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على اتان له ليدعوا عليه فلما عاب عسكرهم
قامت به الا تان ووقت فضر بها فقالت لم تضربني وانا ما مودة فلا تضلمني وهذا رأيت على منعتني ان
أضحي فرجع فاخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صابيتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا بدخل
المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب باى ذنبر قتلتني التيه
قال بدعاه بهلام فقال موسى يارب كما سمعت دعاه علي فاصبر دعائي عليه ان تنزع منه الاسم الاعظم
والايمان فاسخه الله لما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كجمامة بيضاء وانزل الله تعالى هذه الآية
(وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بهلام أوتى النبوة فرشاه قومه على ان يسكت فتعمل وتركهم

على ما هم عليه (وقال) عبدالله بن عمر وزيد بن اسلم وأبورو ق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت
الذي كان من بني أمية أمه كاهن كاهن أمية وقدره أن يكتب له أمية وعلم أن الله تعالى من سل رسه ولا في ذلك
الوقت ورجان يكون هو ذلك الرسول ولما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك
لما رجع من يثرب فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقر به نعلم أن أمية أنت
اختار عازة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن وفاة أخيه فقال ما بينا هو وأقارباؤه رجلا فبكشا
سفك البيت وزلا ففقد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ادعني
فاني وعي قال اذ كان قال فسا لته عن ذلك فقال خير أريدني ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما افاق قال

كل عيش وإن تطاول دهرًا * صائر أمره إلي أن يزولا

ليتني كنت قبيل ما قد بدالي * في قلال الجبال أرى الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما قبيلا

ثم قال لمارسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعرك سألتك بالثان تشدني شعرا أخيك فانشده

لك الحمد والنعمة والفضل ربنا * فلا شيء أعلى منك جدا وبجد

ملك على عرش السماء مهيمن * امرته تمتو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وانشدته حتى أنت على آخرها ثم انما انشدته قصيدة التي يقول فيها

عند ذى العرش يرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا

يوم ثانيه وهو رب رحيم * انه كان وعسده ماتيا

يوم ثانيه مثل ما قال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا

أسعد سعيد سعادة انا ارجو * أم هيان بما كسبت شقيا

رب ان تعف فالعاقبات ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بري

ان أوأخذ بما اجترمت فاني * سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعرة ركنه قلبه نازل الله تعالى فيه وائل عليهم نبأ الذي آتته آياتنا الآية وقال
محمدين المسبب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن حبيش الراعي الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق
وكان قد تهرّب في الجاهلية وليس للمسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت
به قال جئت بالخنيقة دين إبراهيم قال فانا علمها فقال اني صلى الله عليه وسلم استعابها وليكنك اخوات
فيها ما ليس منها فقال ابو عامر مات الله الكتاب منافي منظرته طر بدافردا وحيدا فخرج الى الشام وارسل
الى المنافقين اعدوا القوة والصلاح وابتوا لي مسجد فاني ناهب الى قيصر واتى محمد بن النضر فخرج مجدا واصحابه
من المدينة فذلك قوله تعالى وارسلوا الى حارب الله ورسوله من قبل بني انتظار الحية فثبت في الشام
طر يد وحيدنا فريدنا منهم من قال انما انزلت في البسوس وكان رجلا قاعطي ثلاث دعوات مستجابات
وكان له امرأة وله منها ولد فذات له اجل الى منها واحدة فقال لك منها دعوة فأتى بدين قالت ادع الله ان
يحلمي اهل امرأة في بني اسرائيل فدعا ففجئت اهل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها
رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليه فصارت كلبة نابحة فذهبت فيها دعوتان ففجأ بنوها فقا واليس لنا
على هذا فارقا ولا يصير صارت امنا كلبة نابحة وان الناس يميرونها فدفع الله اذ بردها الى الحال التي كانت
عليها فدعا الله فصار كاهن كانت فذهبت فيها اثلاث دعوات كلها

ركن ذلك الدهر يركن
قال فشوق هروا الرشيد
شهقة واغشى عليه حتى
فاته ثلاث صلوات فلما
افاق طلب سمعون فلم
يجده رحمة الله تعالى عليهم
اجمسين ونفعا بهم
ويزكاهم آهين (وحكي)
عن نبي الله سليمان بن داود
عليه السلام انه قال بينا
اذا جالس على سرير ملكي
شاكر الله على ما اؤتاني
من النعم اذ أوحى الي أن
اخرج الى ساحل البحر
القبلي فخرجت من خلقي
الله تعالى قال سليمان عليه
السلام فخرجت ومعي من
الانسر والجن والوحوش
والطيور وما أشبه ذلك فلما
وصلت الى الساحل
نظرت فيما تشاهلا فلم أر
شيئا فقلت لعفريت من
الجن غص في هذا البحر
واثني بما يجده فيه
فغاص العفريت ورجع
بعد ساعة قال يا بني الله
غصت بمسعة كذا وكذا
فلم اصبل الى قاعه ولا
نظرت فيه شيئا فقال سليمان
عليه السلام لمقرب آخر
غص في هذا البحر واثنى
بما يجده فغاص العفريت
ورجع بعد ساعتين وقال
مثل ما قاله الاول فذهب
سليمان عليه السلام من

*(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم

حين بعثه اياهم الى ارض كنعان جواسيس له ولقومه

قال الله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثناهم اثني عشر نقيباً الآية وذلك ان الله تعالى وعد موسى ان يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم القمالة من ولد عملاق بن لاوذين سام بن نوح وعده الله ان يهلكهم ويجعل ارض الشام مساكن لبني اسرائيل فلما استقرت لبني اسرائيل الدار بمصر امرهم الله بالسير الى ارضهم من ارض الشام وهي الارض المقدسة فقال يا موسى اني قد كتبتهما لكم داراً وقراراً فاخرج اليها وجاهد فيهما من العدو فاني ناصركم عليهم اخذهم قومك اثني عشر رجلاً من كل سبط نقيباً يكون كفلاء على قومه بالوفاء بما أروا به فاخترهم موسى من كل سبط نقيباً وأمره عليهم وهذه اسمائهم من سبط روي شلوع بن ذكور ومن سبط شمعون شوق بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط جاد جاد بن يوسف ومن سبط رايون حدي بن سوري ومن سبط اشير شايون بن ماسيك ومن سبط يافا حي بن وقسي ومن سبط دان حل بن وكيل ومن سبط لاوي خولان بن مليكاه ومن سبط يوسف افرايم ومن سبط افرايم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميساحي بن موسى ومن سبط بنيامين نظم بن زفون ثم ناسار بن يسرائيل قاصد الدار ليرى فيها قوم موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار لعلهم يعلمون حالها وحال اهليها فلقبهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر رجل من اخبار عوج بن عنق واحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً بالذراع الاول وكان عوج يجتاز السحاب ويشرب منه اياه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشوي به بين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله (ويروى) انه انى نوحاً في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينةك فقال له اذهب يا عبد الله فاني لم آمر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبته وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله في يده موسى وكان لموسى عسكري فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر الاسكر ثم حملها ليطحها عليهم فبست الله عليه الهدى وممه الطيور فجمعت تنقر بمنابرها حتى قورت الصخرة وانفتحت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة اذرع وطول عصاه عشرة اذرع وقفز الى فوق عترة اذرع فلما اصاب منه الاكبر وهو مصرع في الارض فنتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجمعه سنة قالوا وكانت امه عنق هي احدي بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت اول من بنى على وجه الارض وكان كل اصبع من اصابعها طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين في كل اصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقدمها خربة من الارض ولما بلغت بمس الله اليها أسودا كالهيلة وذئاباً بنورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلواها واكواها (قالوا) فلما لقينهم عوج يعني اصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب اخذوا لثاماً من ثيابهم في حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتلنا وطرحهم بين يديها وقال لا تحزنهم برجلي فغالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رآه ففعل ذلك وخلق سبيلهم فجدوا ليعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبيهم الا خمسة نفر بينهم في خشبة يدخل في قشرة الرمان اذا نزع حبهما خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم فقتلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتبوا لسانهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فاخذ بعضهم على بعض الميثاق

ذلك فقال العبريت ياني

الله خصه مثل ما عاصره
الاول مرتين فلم اجد شيئاً
فقال سليمان عليه السلام
لا تصف بن ربحيا وزره
اهض في هذا البحر وانني
بما فيه قاله ففاص أصف
في البحر ساعة وانه بقية
عظيمة من الكافور
الايض لها أربعة أبواب
باب من الدروباب من
الياقوت وباب من الجوهر
وباب من الزبرجد
الاخضر والابواب كلها
مفتحة لم يدخل فيها
قطرة من الماء وهي في مكان
عميق فوضها بين يدي
سليمان عليه السلام فنظر
فيها فاذا في وسطها شاب
جميل حسن الشباب
تنظيف الانواب قائم يصلي
فدخل سليمان اليه وسلم
عليه قائلاً ما انزلك الى قاع
هذا البحر فقال ياني الله
احد لك بقصتي قال نعم
فقال كان لي اب مقعد
ووالدة عمياء فقت في
خدمتهما سبعين سنة فلما
حضرت وفاة والدي
قالت عندهما اللهم اطل
حياة زلي في طاعتك ولما
توفي والدي قال عندهما
اللهم استخدم ولدي في
مكان لا يكون للشيطان
عليه سبيل فاجاب الله
دعاهما فخرجت يومان
الايام اريد الزهرة فنجحت

فنتظرت الى هذه القبة
موضوعة على ساحل
البحر فرحلتها لانفار
ما فيه سافحت لها ملك من
الملائكة وانزلها في قاع
هذا البحر كما نرى باني الله
فقال سليمان في أي
زمان كان قال في زمان
ابراهيم عليه السلام خصب
سليمان عليه السلام التاريخ
فوجدته التي سنة وأربع مائة
سنة وهو شاب ثم شب
فمحبب سليمان عليه السلام
من ذلك وقال له فإطعامك
وشراك في هذا البحر
فقال باني الله يا بني طائر
أخضر كل يوم في مقاره
شيء أصغر من رأس
الإنسان فأكله فأجد فيه
طعم كل نعيم في دار الدنيا
فيذهب عني الجوع
والعطش والحر والبرد
والنوم والوحشة فقال
سليمان أحب ان تكون معنا
او ترجع الى موضعك فقال
ردني الى موضعى باني الله
فقال سليمان رده الى آصف
الى مكانه فرده الى مكانه
فقال سليمان انظر واكيف
استجاب الله تعالى دعاه
والديه فأخذوا عقوق
والديك رحمهم الله ثم مضى
سليمان عليه السلام متوجها
من ذلك والله اعلم وحكى
عن الشيخ عبد العزيز
الدير بنى رضى الله تعالى

بذلك ثم انهم انصرفوا الى مومي وجدوا بحيرة من عندهم وقشرة من قشور دماهم واخبروه بما رأوا ثم انت
النقاء نكثوا العهد وحمل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم واخبرهم بما رأوا من حلم
الارجلين منهم ونيا فقالا وهما يوشع بن نون بن افرايم في موسى وكاب بن يوفنا خن موسى على أخته
مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواحيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا مقنا في ارض
مصر أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضه فنكون نساءنا وأولادنا وأمواتنا غنمة لهم
وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل عينا ربنا ونصرف الى مصر فذلك قوله تعالى
اخبرار عنهم قالوا يا موسى ان فيها اقوما جبارين الآية قال فتادة كان لهم اجسام وخلق عجيب ليس
افهمهم مثله وانزل نذالها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذى انجاكم من آل فرعون وفق لكم
البحر هو الذى يملكم ويظفركم عليهم فلم يقولوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه امره وهما بالانصراف
الى مصر فخرج يوشع بن نون وكاب بن يوفنا الى القوم وهما الاذان اخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة
في قوله تعالى قال رجال من الذين يخافون أنهم الله عليهم بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعنى باب
مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فابا انهم خبرنا عن فكانت جسامهم
عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشعهم وعلى الله فتوكل ان كنتم ومنين فاراد بنوا اسرائيل ان يرجعوا
بالخجارة وعصوهم وقالوا يا موسى انا ان ندخلها ابدا ماداه وافيم فاذهب أنت وربك فقاتل انا ههنا
قاعدون وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صدعن البيت انى ذاهب
بالهذى فتأخروا عند البيت فاستشار أصحابا به في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى انا والله لا نقول لك
كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتل انا ههنا قاعدون ولكننا نقول انا معك مقاتلون
والله لنقاتن عن عينك وشمالك وبين يديك ولو خضعت بحرا لحضناه ولو تسمنت جبلا لعلوانا ولو
ذهبت بنا الى ركة الغاد يعنى مدينة بالحيرة لبعثناك فلما سمع ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه
على ذلك فشرق لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان اكون صاحب هذا المشيد أحب
الى من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنوا اسرائيل ما فعلت من معصيتهم بينهم ومخالفتهم أمر ربهم سوي
يوشع وكاب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب انى لا املك الا نفسي وأخى فافرق بيننا وبين القوم
الماسين أى العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وادعى الله تعالى موسى
الى متى يصحبني هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الاكيات لا هلكتهم جميعه ولا جعلنا لك شعبا
أقوى واكثر منهم فقال موسى الهى لو انك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد فالت الامم الذين سمعوا
ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية وتأنط طوبى
صبرك كثيرة نعمك وانت تقهر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناءا لينا فاعفر لهم ولا توبقهم فقال
الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكاءك ولكن بعد ما سميتهم قاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزى لا حرم من
عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكاب ولا تيمهم في هذه البرية أربعين سنة
مكان كل يوم من الايام التي تحب سواقها ستة وكانت أربعين يوما ليا تيمهم حتفهم في هذه القفار وما
انهم الذين لم يصنعوا في لم يعملوا الخير ولا الشر فأنهم بدخلوا الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانهم احرمة
عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض متحيرين فلاناس على القوم القاسقين فلبثوا أربعين سنة في ستة
فراسخ وكانوا سمانا ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسرون جادين حتى اذا هم أسوا فاذا هم بالموضع الذى دمه

ارتحلوا وسثموا الموضع الذي هم فيه فارتحلوا ومات ارنك المعبود العشرة الذين افسوا الخير وكل من
دخل التيه من جاوز عشر بن سنة مات في تلك المدة غير يوشع بن نون وكاتب بن يوفنا ولم يدخل احد
أرضهم ثم قال قال اندخلها ابدأ بها هلكوا فاضمت ارضهم سنة ثمان الف وثمان مائة من ذراريهم ساروا
الى حرب الجبارين وفتح الله لهم

باب في ذكر النعمة التي انعم الله بها على بني اسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك

كرامة لبيده وصفيه موسى عليه السلام

قال الله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الاية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
والمد لا يقع على الواحد التي انعمت عليكم اي على اجدادكم واسلافكم وذلك ان الله تعالى وفق لهم
البحر واخرجهم من آل فرعون واهلك عدوهم وارضهم وديارهم واموالهم وازل عليهم التوراة فيها بيان
كل شيء يحتاجون اليه واعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك انهم قالوا لموسى اهلستكننا واخرجتنا من
المران والبنان الى مغارة لا ظل فيها ولا نبت فازل الله تعالى عليهم ثمانية ايام رقيقة ليست ينام
المطر بل ارق واطيب ويرد منه فائزاتهم وكانت تسير يديهم اذ ساروا وتدور عليهم من فرقه اذ انزلوا
وذلك قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه تقيهم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضي لهم
بالليل فلم يكن ضوء القمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فابن الطعام فازل الله عليهم المن واختلنا وافيهم
فقال مجاهد هوشي كالصبي يقع على الاشجار وطمعه كالشجر وقال الضحاك هو البربخين وقال وهب هو
الخمر الزقاق وقال السدي كان صلا يقع على الشجر من الليل فياكون منه وقال عكرمة هو شيء
انزل الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزحاجي المن ما بين الله به مما لا تعب فيه ولا تعب قال النبي صلى
الله عليه وسلم السكاة من المن وهو ما شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن لكل ليلة يقع على الاشجار مثل
الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بخلاوته فادع الله ربنا ان يطمئنا بالهم
فدعا موسى فازل الله عليهم السلولي واختلنا وافيهم فقال ابن عباس واكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال
ابو الماتية ومقاتل هو طير آخر يشبه الله عليهم فاطمر به السماني في عرض ميل قادر ربح في السماء ينضم على
بص وكانت السماء تطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيرا سمينا قد تمطر بشه
وزغبه وكانت الرياح تأتي به اليهم فيصيحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان ياتيهم فيترسل اليهم
فيأخذونه بأيديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند اكبر من العصفور وقال الأوزج هو العسل بلغة كنانة
قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لا تتم * ألد من السلولي اذ ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلولي وكان أحدهم ياخذ ما يكفيه يومه وليلتها فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل
واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وانزادنا عليكم المن
والسلولي كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا اند تحبوا لقد فداو وقصد
ما دخرها وقطع الله عنهم ذلك قال الله تعالى وما ظلمونا أي اضررنا بالمصيبة ونخلنا من الامر ولا يكن
كانوا انفسهم يظلمون باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا
مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبة في المعنى (أخرنا) شبيب بن عبد قال اخبرنا ان بني عبدان قالوا اخبرنا
أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عباد قال حدثنا عون بن عبد الله عن حلاس بن عمرو عن أبي
هريرة قال قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يختر الله لهم الطعام ولولا حواء لم

منه انه قال في ذنت اسحبا
في جماعة من اصحابي فانهم بنا
الى قبر في بعض البراري
كنت اعرف صاحبه وكان
من اولياء الله فلبست عند
قبره ابكي فسلمني بعض
اصحابي عن ذلك فقلت
انفق لي مع صاحب هذا
القبر حكاية عجيبة وذلك انه
عرض لي حاجة في بعض
البلاد فسأرت لها فادركني
الصلاة فماتت عن الطريق
الى المسجد الذي كان يصلي
فيه فصليت خلفه فاذا هو
يلحن في قراءته فتشوش
بالي من ذلك وقلت في
نفسي سرا اقع عند هذا
الفقير اعلمه وارك حاجتي
فهذا اولي فلما سلمنا من
الصلاة التفت الى وقال
يا عبد العزيز الحق حاجتك
التي جئت بطلبها وما عليك
من التعب والتهنيم فمجيبت
من مكانة على وخرجت
في الحال مسرعا الى حاجتي
كما اشار فلما دخلت البلد
وجدت صاحبي الذي عند
حاجتي يريد السفر ورجله
في الركاب كما قال فلما رأني
ترجل وترحبني وقتضيت
حاجتي وسأرت فارتدت
تعجبا من ذلك فلما لبست
الامدة بسيرة ونوفى الى
رحمته تعالى وهذا قبره
رضي الله عنه آمين (وحكى
عن الشيخ ابى بكر الشبلي
رضي الله تعالى عنه) انه قال

وكانوا ينفذون اربعين رجلا
فقلت لهم يا قوم ان الله تعالى
قد تكلم بالبراق العباد
فقال عز من قائل ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب
فتوكلوا على الله واعتمدوا
تم تركتهم مضضيت وقاموا
ثلاثه ايام لم يمتنع عليهم شيء
ولما كان اليوم الرابع حدثت
عليهم وسبب هم يوموا ان
الله تعالى قد اباح السبب
للعباد فقال هرون بن جد
لجميع الارصد بولوا ومشوا
في ما بهما تركوا من رزقه
فانظروا الى اصدوح يبه
فليخرج عني اياتهم حتي
من التوب فابعد حذرنا
رجلا هيرا منهم خرج
ومشي في شوارع عبادهم
يتمتع بالله عليه بسبي فحده
اجدوع واعياه الغشش
خجس عند وكان طيب
نصراني عليه من الناس جمع
كثير وهو يصف لكل منهم
دواء فنظر النصراني الى
الفير وقال ملك وماعليك
فكره الفقير ان يشكو الجوع
الى نصراني ثم مديده اليه
ايجهما فلما جهم النصراني
قال انا اعرف علك هذه
وعندي دواؤها ثم التفت
الى غلامه وقال له امض
الي السوق واتني برطل
خبز ورطل شوى ورطل
بجلى ففني الغلام الى

تمن اني زوجها ومنها اثم عطشوا في التيه فقالوا يا موسي بن ابن نمرب فاستقي لهم موسي فاراح الله اليه
اراضرب اصابك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم اقرب حجر في ارض
الحجارة فينجز منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسبل كل عين في جدول السبط
الذي امر به فيهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متناطشا فاحي الله تعالى اليه لا ترفعن الحجارة بالعبدا
ولكن كلها تطلع لملهم يمتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التي
ليس فيها حجارة فامر موسى ان يحمل معه حجرا خفيئا نزل الفاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا
بمينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فاخذ كل الالف والالف للترغف والتخصيص كقوله رايت الرجل
ثم اختافوا في ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيئا مر بعدا مثل رأس الرجل امر ان يحمله
خفيه فكان يضعه في مخلاته فذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضر به بهصادا فيتفجر عيونها كما ذكرنا
فسقام قال قال اوردوق كان الحجر من الكبدان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أى حفرة يذرع من كل حفرة
عين ما عذب فاخذونه فاذ افروغا واراد موسى حمل ضره به بهصادا يذهب الماء وكان كل يوم يستقي ستانة
افد من جميع الاجناس وقال سيد بن جبيرة هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليفتسل فخر الحجر
بثوبه الماء وقف الحجر اناه جبريل عليه السلام فقال له موسي ان الله يقول لك ارف هذا الحجر في فيه
قدرة ولك فيه بحجرة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه
الله مما قالوا الآية وهو ما اخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يفتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان
موسى يفتسل وحده فقالوا والله ما يعم موسى ان يفتسل معنا الا انه اذ قرع فذهب مرة يفتسل فوضع ثوبه
على حجر فخر الحجر بثوبه فجس في أثره موسي يقول ثوبى يا حاجر ثوبى يا حاجر حتي انظر ثوب اسرائيل
الى سواة موسى فقالوا والله ما موسى من يأس دل فقام الحجر بعد منظر اليه بنو اسرائيل فاخذ ثوب به
وظف بالحجر ضر بانفأل أبو هريرة والله ان اثر ضرب موسى بالحجر ستة اوسبعة قال عبد العزيز
انكتاني كان موسى ضرب الحجر اثني عشرة ضربة فكان يظهر في كل موضع ضربة مثل ندى المرأة
ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانتجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) اثمهم قالوا لموسي في
التيه من اين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتي لا تزد على الابام ومرورا لاعوام الاجدة
وظرافة ولا تخاف ولا تبلى وتدنوا علي صيائهم فكانتوا فمكتوا على ذلك زمانا طويلا والله اعلم

﴿باب فتح ارضهم ونزل بني اسرائيل الشام﴾

اختلف العلماء بين تولى حرب الجبارين وفيين كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح ارضهم موسي
ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها
بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلهم موسي ببني اسرائيل فقام فيها ماشاء الله ان يقيم ثم قبضه
الله تعالى ولم يلم احد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار
الانبياء ان عوج بن عنق قتله موسي وقل آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يمس اليهم الا
بعد موت موسي وهلاك من كان ابي المديري اليها وقالوا مات موسي وهرون عليهما السلام في التيه

﴿قصة وفاة هرون عليه السلام﴾

قال الصدق أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني متوف هرون فنت به جبل كذا وكذا
فانطأ موسي وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها وبيت ميني وفيه سر ير عليه فرش واذا

السوق رثاه بذلك فقال

خذ زادوا عليك فتنا
الغدير للنصراني ان كنت
صادقا حيحكك فذهابا
باربعين رجلا مثل فتنا
النصراني لعلامه ابيض الى
السوق مسرعا واتي باربعين
رطاما من ذلك قضى الغلام
الى السوق فاني بذلك جيمه
على حمل فقال النصراني
اذهب بذلك الى اصحابك
فذهب الفقير والحمل معه
وتبعه ما النصراني من ابيد
ليخبر صدق ذلك الفقير
ولما دخل القبر الى اصحابه
بالدعوة رقب النصراني
خلف طرفة ينظر اليهم
فوضع الفقير ذلك بينهم
ثم نادوا للشيوخ ابي بكر
الشبل خضر وسالم عن
ذلك فاخبره الفقير بقصته
مع ذلك النصراني فقال لهم
الشبل ان تصولوا ناكلوا
طعام نصراني بغير مكانة
فماوا وما مكانة قال ان
تدعوا له بالاسلام قبل ان
تاكلوا طعامه قال فدعوا له
بالاسلام وهو يسمع فلما
راى النصراني مساكنهم عن
انقسام حاشيتهم له ترك
الطاقة وقطع الزار و دخل
اليهم وقال يا شبل امدد
بك فاني اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله وحسن اسلامه
وصار من جملة اصحاب
الشبل رضي الله تعالى

عنه رح طيبة فلما نظروا الى ذلك اعجبه وقال يا موسى اني احب ان انام على هذا السرير فقال نعم عليه
ال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فينضب على قل له موسى لا تخف انا كبرك رب هذا البيت فم
الى يا موسى ثم مفا ان جاء رب هذا البيت غضب علينا بما فنام موسى ما خذ هرون الموت فم اوجده
س قال يا موسى خذ عتني فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما
سج موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسنه لحنناياه فقال موسى ويحكم
هرون اخي ووزيري فيكون اقله فلما اكثر واعليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فزل السرير حتى
اروا اليه بين السماء والارض فصدموه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون
ل موسى وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا
ن هارون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلت لحنناياه وكان محببا في بني اسرائيل فنصرع موسى الى ربه
شكا الى ربه فلقى من بني اسرائيل فاحى الله اليه ان اطلق بهم الى قبره فاني باثقه حتى يخبرهم انه مات
يانا ولم تقتله فاطلق بهم الى قبر هرون فتاداد هرون فخرج من قبره بنصف التراب عن رأسه فقال له اننا قتلتك
ولا والله ولكني مت فماد وانصر فورا والله اعلم

ذكر وفاة موسى عليه السلام

عابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستمطه فلما كرهه اراد الله ان يحجب اليه الموت ويكره
له الحياة وكان يوشع بن نون يقدوا اليه وروح فيقول له موسى يا بني الله ما حدث الله اليك فيقول له يوشع
يا الله الم احبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون انت
ي تبدي به وتذكره ولا يذكر له شيئا فلما راي موسى ذلك كره الحياة واحب الموت قال الاستاذ
سناده حدثني عبد الصمد بن عقل قال سمعت وهبا يقول و ذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق
في اسرائيل ذراعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه انبياء يكونون اعداؤه فلما مال الناس اليهم وجد
يسي في نفسه غيرة فاما بهم الله لكرامته في يوم واحد واختلاف في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا
وسعيد بن عدي بن عبد الله بن حمدون بن اسد عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك
موت الى موسى فقال له ارجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فقفاها قال فارجع ملك الموت الى الله عز
وجل فقال يا رب انك ارسلني الى عبد لا يريد الموت وفقاعيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدى
فرد له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على نوترش واراد يدك من شمر فانت تعيش بعدد
شجرة من ذلك سنة قال ثم قال قال ثم موت قال فلات من قريب قال يا رب قاذني من الارض
فقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لار يتك قبره الى جانب الطريق عند
كثيب الاحمر قال سمعت ابا سعيد بن حمدون يقول سمعت ابا جابر المشرقي يقول سمعت محمد بن
ي يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها
كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان ياتي الناس
انا حتى اتي موسى ليقبضه فلطمه فقفا عينه فم ملك الموت بعد ذلك خفية (قال السدي) في خبر ذكره
ن اني مالك راي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب
بي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله صلى الله عليه وسلم اني سمعت يوشع بن نون اذ اقبلت روح سوداء
ما نظروا اليها يوشع ظن انها الساعة فقال يا قوم اظن انها الساعة واتى بالتم موسى نبي الله فاسئل من تحت
نميص وترك التميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالتميص اخذته بنو اسرائيل وراقوا قتلتي نبي

عنهم اجمعين ونفعنا بهم

آمين (وحكى عن بعضهم
رضى الله تعالى عنهم ونفعنا
بهم) قال رأيت عند قبر
النبي صلى الله عليه وسلم
تسعة من الاولياء احباب
الخطوة فقيمهم فالتفت
الى احدهم وقال اين تريد
فقلت لهم ان اسير معكم اين
تسيرون لحى فيكم فقال
احدهم انك لا تنفرد على
المسير الى الموضع الذي
نقصده فانه لا يصل اليه
الا من بلغ عمره اربعين
سنة فقال الا تخردعه لعل
الله يرزقه قال فسررت
معهم والارض تظوي من
تحتنا طابا والحب يقول
للعاشق هنيا فلم يزل يسير
حتى اتينا الى مدينة
مبنية بالذهب والفضة
واشجارها زاهية نقية
وانهارها زائلة وفواكهها
فائقة قال فدخلنا هاواكلنا
من عمرها ثم اخذت معي
ثلاث نقاحات فلم يمدوني
من اخذها فسالتهم عند
الانصراف عن هذه
المدينة فقالوا هذه مدينة
الاولياء فاذا اراد الاولياء
الزهوة ظهرت لهم تلك
المدينة اينما كانوا فدخل
فيها احد قبيل الاربعين
غميرا قال فلما رجعتنا
ودخلنا مكة اعطيت
الداماني نقاحه فخذها
فلا هي اصبحت وقالت الريد

الله تعالى والله ما قبلته ولكنه انزل منى فلم يصدقه وارادوا قتله فقال لهم اذلم تصدقوني فاخرونى ثلاثة
ايام فدعا الله فأتى كل رجل من كان يحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانما قدر نعمته
ايضا فتكره قال يهوب بن منبه خرج موسى ليقتضي حاجته فبرهط من الملائكة فوقفهم فقبل اليهم حتى
وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيئا قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الحضرة والنضرة والبهجة
فقال لهم باملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نخفنه لسيد صالح كريم على ربه فقال موسى ان
هذا السيد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فمات الملائكة يا صفي الله أحب
ان يكون لك قال ترددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس اسهل نفس تنففسا
فاضطجع فيه ثم توجه الى ربك ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب قيسل انه انا ملك
الموت فجفاة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروي) ان يوشع بن اون رآه بعد موته في المنام فقال
كيف وجدت الموت يا بني الله قال كشاة تلخوه في الحياة (ويروي) ان موسى لم مات فأتت الملائكة
بعضهم بعض مات صني الله موسى بن عمران فمن الذي يطعم في البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة
عشرون منها في ملك افر يدون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعتنا الى قصة حرب اريحا وخر
الفتح) قال فله انقضت اربعون سنة ومات موسى بمث الله يوشع بن نون نبيا فأخبره انه نبي الله وان الله قد
امره بقتال الجبارين فصدقه وبابيه ودفنوه بنى اسرائيل الى اريحا ومعه ثابوت التثاق فأتوا حطابا بمدينة اريحا
سنة اشهر فلما كان في الشهر السابع تفخروا في اقرون وصاحوا بصيحة واحدة فسمعت سور المدينة قد خالها
وقالوا الجبارين وهزمهم وهجموا عليهم ورجعوا يقتلونهم فكانت الغصاة من بنى اسرائيل يحتمون
على عنق الرجل يضربونها لايطة طونها وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس ان تعرب
وتدخل ليلته السبت فخشى يوشع ان يهزموه فقال للشمس اردد الشمس على اوانه قال للشمس انك في
طاعة الله وانا في طاعة الله فسأل الشمس ان تعقب والقمر ان يقيم حتى ينضم من اعداء الله قبل غروب الشمس
فردت له الشمس وبذلك في ايام ساعة واحدة حتى قتلهم اجمعين (اخبرنا) احمد بن عبد الله بن حنا
الاصفهانى باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فأتيت في عنة
خرزاور أيت في بداهة مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فملت غاما هذا فقالت انه يكره للمرأ أن تمشي
بالرجل ثم حدثني ان اسماء بنت عميس الخدمية حدثتني ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله
اوحى الله اليه فيجلب البشوبه ولم يزل كذلك حتى ادبرت الشمس تقول غابت واواردت ان تعقب ثم ان نبي
سرى عنه فقال اصلي تباع لي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت
بلقت نصف المسجد * فانه ارسل ملوك الارامنة وكاهنة فاسرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم
على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى اهبطوهم الى ثنية حوران ورمواهم الله ابحجار البر فكان من
قتله البرد اكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسميف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فامرهم يوشع فاخرجهم
وصلبهم ثم نزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتبع ملوك الشام فاستباح منهم احدوا وثلاثين ملكا حتى غلب
جميع ارض الشام وصار الشام كله لبي اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم يزل النار قاقوا
تعالى الى يوشع ان فيها غنولا فامرهم ان يبايعوه فبايعوه فالتصقت درجته يده فقال له لم ما عندك قال
برأس ثور من ذهب مكل بالذرة الياقات والحوهر كان قد غلته فعملته في القربان وجعل الرجل معه فيجاء
انما راها فالت الرجل والقربان عن ابن هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزائي من الانبياء فاما
للقوم لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرا أو هو يريد ان يبني بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه و

ما اعطيت الى مكانه
فكنت كلما جئت اكلت
من تلك التفاحه وهي
لا تغير فرجعت الى اهلي
وقد بقي منها تفاحه
واحدة غير التي ادخرتها
التي فماتتني اخوتي
وقالت ابن الذي اتخفتنا
به من سفرك قلت لها
وما الذي اتخفكم به وانا
بيد عن الدنيا وعن الراحة
فتغير الحال فقالت اخوتي
فان التفاحه قلت واي
تفاحه فقالت يامسكين
والله لقد ادخلوني تلك
المدينه واما بنت عشرين
سنة واما انت فلم ترها الا
بمدن طردوك وانا والله
جذبت اليها جذبه
وخطوت اليها خطوه قال
فتعجبت من كلامها
وقلت يا اخوتي ان البلد
الكبير منهم قال لي لم يدخلها
احد قبل الاربعين غيرك
قالت نعم يا اخوتي من
المردين واما المرادون
فيدخلونها ولا يرضون بها
ومسي شئت اريتكها
فقلت قد شئت فقالت
يا مدينه احضري فوالله
لقد رايت تلك المدينه
بعينها وهي تسد لي عليها
وتدفع اليها فهدت بها
وقالت ابن تفاحك قال
فذاقني على من التفاح
شيء كثير فضحكتم
وقالت من عنده هذا الملك

آخر قد اشترى غنا او خلفات وهو ينتظر اولادها قال فذنا من القوم صلاه الصبر او قر يامن ذلك فقال
للسمس انت ماموره يا مامور اللهم احبس علي ساعه فحبست له ساعه حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت
الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال ان فيكم غلوا غلبا يعني من كل قبيله لتسكنكم رجلا فبايعوه فلتصمت يد
رجل بيده فقال فيكم الغلول انتم غلبتم قال فخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فافوه في الغنيمة وهي بالصعيد
فجاءت النار فاكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل لغنائم لاحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا
وضعفنا وهولنا قالوا ثم امرهم الله ان يدخلوا اريحا متواضعين مستقرين خافضين رؤسهم وذلك قوله
تعالى واذ قلنا ادخلوها الغرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم
سمية ابواب سجدا أي متواضعين وقولوا حطة أي خطا عاخطا انا قال وهب انهم ادبوا بابهم
وكان نوبتهم اذا ذنوا دخول اريحا فلما فصلوا من التيه احب الله ان يستقدم من الخطيئة قال ابن عباس
حطه قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب انفراسك خطاياكم سبزي بالحدس احسانا ليعرف الذين
ظلموا قولوا غير الذي قيل لهم وذلك انهم دخلوا فترحن على استقامتهم فاقوا خطا سقايا يعني حطه حرام
استخفا قايما امر الله تعالى فزلنا على الذين ظلموا ارجزا من السماء اي عذابا من السماء كانوا يفسقون وذلك ان
الله تعالى ارسل عليهم طائفة اولية فهاك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفع الله عنهم ورحمهم قالوا
فلما استقرت بنوا اسرائيل بالشام وصفت لهم نوفي الله نبيه يوشع ودفع في جبل افرايم وكان عمره مائة
وعشرين سنة وقد ابره ابن اسرائيل بعد موت موسى سبعمائة وعشرين سنة

﴿ مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامر بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام ﴾
قالت العلماء باخبار الماضي وأما الامم السالفة لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل
كالب بن يوفناختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين انتم الله عليهم قال الله تعالى قال رجلان من
الذين يخافون انتم الله عليهما فاحسن الخلافة حتى يقضيه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه
يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتنون به وكانوا من شفقتهم
به ياتونه وينظرون اليه ويقولون له اياها العبد الصالح حاشا لتسلم عليك وهو يستحي ان يردهم فلما اكثروا خاف
الفتنه فقال الله ان يغير صورته مع سلاحة حواسه وجوارحه فاصابه الحدري فصارت مجرورا لموجا فلبث فيهم
مائة واربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله اعلم

﴿ ذكر خير حزيل عليه السلام ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بسث الله تعالى الى حزيل الى بني اسرائيل
نبياه وحزيل بن بوري وبلغ بن العجوز وانع القابن العجوز لان امه سالت الله تعالى الولد وهي
عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذي احيا الله تعالى به القوم الذين
خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فاحياهم الله تعالى بسد موتهم بدعوته في قوله تعالى ألم ترالى
الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال) أكثر المفسرين كانت قربة يقال
لها اوردان قربة قبل واسط وقبع الطاعون فخرج منها طائفة هارين من الطاعون بقيت طائفة
فهاك أكثر من بقى في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا
ان اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا وان وقع بهم الطاعون ثانية لانخرجنا الى الارض
التي لاوباء فيها فوق الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزوارا يا فوج فلما نزولوا المكان
الذي يسمون فيه الحجاز والحياة اذ انهم تلك من اسفل الوادي وآخر من اعلاه يناديهم كل واحد منهم هان

يحتاج ان تفاحتك قال
 فاستجرت نعمي والله
 عند ذلك وما كنت
 اعرف ان اخي من اكابر
 الاولياء رضى الله عنهم
 ونعمنا بهم في الدارين
 وامدنا من مددكم
 واتهامهم الظاهرة امين
 (وحكى عن الشيخ ابن
 اليعرب الملقب غنا الله عنه)
 انه قال سمعت بامراة من
 المتعبدات الصالحات في
 بعض القرى اشتهر امرها
 وكان من دأبها ان لا تزور
 امراة فدعت الحاجة الي
 زيارتها للاطلاع على
 كرامتها فلما انزلت القرية التي
 هيها فذكر والدة ان عندها
 شاة تحلب لبنا وعسلا
 فاستبرنا قسدا جديدا لم
 يوضع فيه شيء ثم مضينا
 اليها وسدنا عليها وقلنا لها
 نريد هذه البركة التي ذكرت
 انك من هذه الشاة
 فالت حبا وكرامة ثم
 احضرت لنا الشاة فلبناها
 في ذلك القدح ثم شربنا
 فوجدنا دابة بارعا لا كما
 وصف فلما رأينا ذلك
 سالت المرأة عن قصة هذه
 الشاة فذات ثم اخبركم بها
 وذلك انه كان لاشوية
 ونحن قوم فقراء ولم يكن
 عندنا غيرها فقال لي
 زوجي وكان رجلا صالحا
 امضى بنا حتى نذبح هذه
 الشاة في هذا اليوم وهو

موتوا فانا اجبرنا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من
 أهلها على عجل حاربه معه ولده وخلقه عبد حبشي يسوق الحمار فطعن العبد برمح فجرحه يقول
 ان يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة خطار * فاصبح امام السارى
 فرجع الرجل لمسمع من قوله به الله (وروي) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه قال اذا سمعت يا بوابي بدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرار منه وقال الضحاك
 ومقاتل والكلبي انما فرعون له من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا
 الى قتال عدوهم فخرجوا فمكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واستدلوا وقالوا لملكهم ان في الارض التي
 نأتمم الوفاء فلاننا حتى ينقطع الوفاء عنها فاسل الله عليهم الموت فمروا وان الموت قد كثرت فيهم خرجوا
 من ديارهم فراروا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وانه موسى قد ترى معصية عبدك فارهم
 آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا
 جرماء مائت وابهم كنههم موتهم رجل واحد فأتى عليهم ثلاثة ايام حتى انفجروا وأروحو وأروحت
 اجسادهم فخرج اليهم الناس فمجزوا عن دنفهم فطروا عليهم حظيرة من السباع فتركهم فيها واختلوا في
 مبلغ عددهم فقال عظام الخرساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس وهوب كانوا اربعة آلاف وقال
 والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال ابو مالك ثلاثة ايام وقال السدي بضائة ايام
 ألفا وقال ابن جرير اربع ايام ألفا وقال عطاء بن ابي رباح سبعين ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت
 اجسادهم وعربت عظامهم وتطخت اوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا
 متعجبا فادعى الله تعالى اليه يا حزقيل زد بدأ ريك كيف احيي الموتي قال نعم يا رب فاحياهم الله جديدا هذا قول
 السدي وجماعة من المنسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما احياهم بذلك بكى حزقيل وقال
 يا رب كنت في قوم يميدونك ويزكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت احييت هؤلاء فيمرون بلادك
 ويميدونك قال الله تعالى أو تحب ان اقبل ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جدت حياتهم اليك فقال لهم
 حزقيل احيوا باذن الله تعالى فمشوا وهب أصابعهم بلاه وسدده من الزمان فمشوا ما أصابعهم
 وقالوا يا بذا قد متنا واسترحنا ما نحن فيه فادعى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاه وزعموا انهم
 ودوا لو ماتوا استراحوا وأي راحة لهم في الموت ايقظون أني لا أقدر ابعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا
 فان فيها اقواما متوافقا هم فادعى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت اجسادهم وعظامهم قد تفرقت
 ومنهم الطير والسباع فنادى حزقيل ايتها العظام ان الله بارك ان تهودي وتكتمن اللحم فاكدست جميعا
 اللحم وبعدهم جلودهم وعصبا وعروق فكدت اجساد افادى ايتها الارواح ان الله تعالى بارك ان
 تهودي الى اجسادك ففادى اوجيهم او عليهم ثيابهم التي متوافقها وكبروات كبيرة واحدة (وروي) منصور بن
 المتعرج شهادتهم قالوا حين احيوا سجدوا للهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا
 بعد ما احياهم الله وعاشوا واهرا يرون انهم كانوا موتى سجدة الموت على رجولهم لا يلبسون ثوبا بالاعداد مما
 مثل الكفن حتى ماتوا لا جالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه لما جئنا ذلك السبط من اليهود ذلك
 الربح قال فتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فاماتهم الله تقوى به لهم ثم بعثهم لبيعة
 اجالهم ليوفوها ولو كانت اجال القوم قد جدت ما بدوا بعد موتهم فلما احياهم الله تعالى امرهم بالجهاد وقال
 وقانوني سبيل الله واعلموا ان الله سمع علم

قال الله تعالى وان الياس من المرسلين الى آخر القصة قال ابن اريج والعلماء من أصحاب الاخبار يقض الله تعالى حريقه عليه السلام عظمته الاحداث في بني اسرائيل وظهر قيمته ونسبوا عودته اليهم في التوراة حتى تصبوا الاوان وعندها من دون الله عز وجل فبعت الله تعالى اليهم الياس بيا وهو الياس ابن يس بن فحاص بن عيزاب بن هرون بن عمران وانما كانت لانياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديده ما نذروا وضيوعا من احكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكن سبب ذلك ان وضع بنون لسان في ارض الشام وملكوا بها حتى امر شيل وقدم اليهم فاحذ سبط منهم بملك ونواحيه ومحمد سبط الياس فبعت الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قذضل واضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو قومه يبعثون صغا يقول له بدل وكان طوله عشرين ذراعا وكارله اربعة وجوده وقال ابن اسحق قد سمعت بعض اهل العلم يقولون ما كان البعل الامراة كانوا يعبدها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى ان ذلك لافوهة لا تتقون ائذ دعوا لبعلا وتذرون احسن الخالقين قال شيل الياس يدعوه الى الله تعالى ولا يعطوه ولا يحيمونه الى ذلك الاما كان من امر لاجب انك الذي كان بملك فنه آمن به وصدقه وكن لياس يقوم امره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها ريل وكان يستخفيها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة او غزاه فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وترك كما يركب ويحس كما يحس في مجلس القضاء وتفتش بين الناس وكانت قتالة لانياء وكان لها كتاب رجله ومن حكمه يكتم ايمانها وكان قد خلاص من بين يديها ثمانية فبقيت كانت ترد على كل واحد منهم اذا مات سوى الذين قتلهم وكانت في نفسها غير محبسة ولا يمكن على وجه الارض افسح منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من بني اسرائيل وقتلهم كلهم بلا اختيار وكانت بهيمة ويقل انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنية يعيش منها ويقل على عمرتها ويزنها وكانت الجنية الى جانب قصر الملك وامراته وكانا يشرقان على تلك الجنية يشترها من فيها وباعلان وبشر بائ وبقيلا فيها حينئذ كان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامراته ان يبل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنية وتحمل على غضبها لما سمعت الناس يذكرون الجنية من حسناتها ويقولون ما حرم ان تكون هذه الجنية فلا هل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامراته كيف يقصباها لم تزل امرأة الملك تحمل على العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنيته والملك يتمها على ذلك فلا تحب اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتامت امراته ان تزل ان يتمها الخبيثة على العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنيته وهو غافل عما تر يد به مقبل على عبادة تربه واصلاح مدينته فجهت اربيل جماعة من الناس وامرهم ان يشهدوا على مزدكى بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهن من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البيعة فاحضرت مزدكى وقاتله بالبناء انك شتمت الملك واغتيت فأنكر مزدكى ذلك فقامت البيعة وشهدوا بالزور عليه بمحضرة الناس فامرت بقتله وبخل واخذت جنيته غضبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر اخبرته الخبر فقال ما اصبحت خيرا ولا وفقت ولا ارانا فلعل بعد هذا انا ما كنا عن جنيته لا غنا وقد كنا نقره فيموا قد جاورنا ولم نجرم بئامنا زمان طويل فاحسننا جواره وكفنا عنه الاذى لوجوب حقبة علينا فبجحت بنا الجوار وما حمله على اجترار عليه الاسفك وسوء رأيك وقلة تفكيرك في العواقب فقالت امراة غضبت لك وحكمت بحكمك

نفس ووجهه ولكن
اطاعت لبقا ظاهر المعمور
معارضة لخصيص عن
تسراو تحريضا للمريدين
على تعذيب قلوبهم اذ
تعذيب القلوب يحصل كى
حبيب محبوب من الانوار
والاسرار ولذة العيش
بتسادة الملك افسر
والمنع في ذلك ما عات
قوبه طالب ماعذنا
فصليوا قوبكم يعط
ما عندكم رضي الله تعالى
عنه آمين (وحكي
عن بعض اصحاب
المرى السقطي
رضي الله تعالى عنه) انه
قال كان المرى السقطي
تلميذة وكانت امرأة
صالحة وكان لها ولد عند
المرى فبعته لملك يوما الى
الرجلة فزول الصبي في
الملك ففرق تحف للملك على
نفسه وثاني الى المرى
استطاع فخره بذلك
فاغتم وقال قوموا بداني
أمد وكان معهم الجني
فحكم المرى السقطي مع
أم الصبي في عدم الصبر وعدم
اوضا فقاتل المرأة
يا أسعداني وثاني شوه
تريد بذلك فقال له المرى
ان ولدك قد غرق فقات
ان الله عز وجل لم يقل
ذلك ثم قالت قوموا يا
فماوا معها حتى اتوا
الى النهر فقالت المرأة

فاستحققت نفسي والله
عند ذلك وما كنت
اعرف ان اخي من اكابر
الاولياء رضى الله عنهم
ونفعنا بهم في الدارين
وامدنا من مددهم
وانفاسهم الطاهرة آمين
(وحكى عن الشيخ ابى
الريبع المني عن الله عنه)
انه قال سمعت بامرأة من
المتعبدات الصالحات في
بعض القرى اشهر امرها
وكان من دنانير لآزور
امرأة فذعت الحاجة الي
زيارتها للاطلاع على
كرامتها فلزنا القرية التي
حي بها فذكروا ان عندها
شاة تحلب لبنا وعسلا
فاشترينا قدحا جديدا لم
يوضع فيه شئ ثم مضينا
اليها وسألنا عليها وقلنا لها
ترى هذه البركة التي ذكرت
لا منك من هذه الشاة
فما لت حبا وكرامة ثم
احضرت لنا شاة خلبناها
في ذلك القدح ثم بشرنا
فوجدنا دنانير عسلا كما
وصف فلما رأينا ذلك
سألنا المرأة عن قصة هذه
الشاة فذات ثم اخبركم بها
وذلك انه كان ناشو يهية
ونحن قوم قراء ولم يكن
عندنا غيرها فقال لي
زوجي وكان رجلا صالحا
امضى بنا حتى نذبح هذه
الشاة في هذا اليوم وهو

موتوا فأتانا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من
أهلها عنها على حاله ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحار فطعن العبد برمح ورجل يقول
ان يبق الله على حار * ولا على ذى منعة خطار * فاصبح الله امام الساري
فرجع الرجل الى مسجده من قوله بيماله (وروي) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا سمعتم ياؤا بيا في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك
ومقاتل والكلبي انما فرؤوا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا
الى قتال عدوهم فخرجوا فمكروا ثم جبنوا وكروها الموت واسئلوا وقالوا للملك ان في الارض التي
ناتيناها الوباء فلانا نأمنها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثر فيهم خرجوا
من ديارهم فراروا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واثم موسى قد ترى معصية عبادك فارهم
آية في أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكك وقضاء فلما خرجوا قال الله لهم وموتوا فأتوا
جميعا وماتوا وبهم كثرهم وموت رجل واحد فأتى عليهم ثلاثة ايام حتى انفجروا وأروحو ابرأ وروحت
اجسادهم فخرج اليهم الناس فحجزوا عن دفنهم فظنوا عليهم حظيرة دون السباع وتركهم فيها واختلقوا في
مبلغ عدوهم فقال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس وهوب كالأرباب وقال مقاتل
والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثة آلاف وقال السدي بضواة ثلاثين
ألفا وقال ابن جرير أربعين ألفا وقال عطاء بن ابي رباح سبعمائة ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقبليت
اجسادهم وعريت عظامهم ونظمت واصلاهم فرغ عليهم حز قيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا
متعجبا فإوحى الله تعالى اليه يا حز قيل تريد أن أرى كيف أحيى الموتى قال نعم يا رب فإحيى الله جميعا هذا قول
السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حز قيل فلما اصابهم ذلك بكى حز قيل وقال
يا رب كنت في قوم يبعدونك ويذكرونك بفتية وحيد الاقوام فلوسئت أحييت هؤلاء فيمرون ببلادك
وببعدوك قال الله تعالى وأتوب ان أفعل ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جئت حياتهم اليك فقال لهم
حز قيل احيوا باذن الله تعالى فماشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم
وقالوا يا أبا ادمتنا واسترحنا نمحن فيه فإوحى الله الى حز قيل ان قومك - ضجوا من البلاء وزعموا انهم
ودوا وماتوا استراحوا وأرى راحتهم في الموت ايظنون أني لأقدر ابرهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا
فان فيها اقواما ماتوا فأتاهم فإوحى الله تعالى اليه يا حز قيل قم فنادهم وكانت اجسادهم وعظامهم قد تفرقت
ومزقها الطيور السباع فنادى حز قيل ايها اعظم ان الله يبارك ان تمودي وتكتمى اللحم فأكذبت جميعا
للحجم وبمدا لحجم جلود ادماء وعصبا وعروفا فكانت اجساد اديها الارواح ان الله تعالى يبارك ان
تمودي الى اجسادك فقاء واجمداو عليهم ثيابهم التي ماتوا فيها وكبروات كبيرة واحدة (وروي) منصور بن
المتبرع عن مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبجناك اللهم بناو بحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا
بمدا احياءهم الله وغشوا واهرا يعرفون انهم كانوا موتى سجدوا للموت على رجوعهم لا يلبسون ثوبا بالاعاد مرما
مثل الكفن حتى ماتوا لاجلهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك
الريح قال قيادة مقيتهم الله على فرارهم من الموت وتقصرهم في الجهاد فاماتهم الله عقوبة لهم ثم رثهم ببقية
آجلهم ليو فوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت ساءوا بعد موتهم فلما احياءهم الله تعالى امرهم بالجهاد وقال
وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سمع علم

﴿ باب في قصة الياص عليه السلام ﴾

قال الله تعالى وان الياص لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحاق والامامان من اصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله اليهم في التوراة حتى نصموا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياص نبيا وهو الياص ابن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد مآثروا وضميعوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ تغرقون في ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح ارض الشام وملكها وها بني اسرائيل وقدم اليهم فاحذسبط منهم بمبارك ونواحيها وعلم سبط الياص فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل واضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يبدون صنما يقال له بل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحاق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الامراة كابوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أن دعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين قال خمل الياص بدعوتهم الى الله تعالى ولا يطعمونه ولا يجيبونه الى ذلك الاما كان من أمر لاجب انك الذي كان يملك كانه آمن به وصدقه وكان الياص يقوم امره ويسدده ويرشده وكان لاجب امرأة يقال لها ريل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة او غيرها فكانت تبرز بين الناس كايبرز زوجها وترك كايترك ونحو ذلك في مجلس القضاة ونقض بين الناس وكانت قتالة الانبياء وكان لها كتاب رجل، ومن حكم يكنم ايمانه وكان قد خالص من بين يديها اثناثة نبي كانت تريد كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قبلهم وكانت في نفسها غير متحصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتتيال وكانت مودة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قل وكان لاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنيته يعش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنيته الى حاجت قصر للملك وامراته وكانت يشرفان على تلك الجنيته يستريحان فيها وبياكلان ويشربان ويقيلان فيها حينما كان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامراته ان يبل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنيته ونحو ذلك على غضبها سمعت الناس يذكرون الجنيته من حسنها ويقولون ما حيرى ان تكون هذه الجنيته لاهل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامراته كيف لم ينصباها لم تزل امرأة الملك تحتل على العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنيته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرته ان تزل امراة العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنيته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت اربيل جماعة من الناس وامراتهم ان يشهدوا على مزدكى بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك ان يقتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك واغتيته فانكر مزدكى ذلك فقامت البينة فشدوا بالزور عليه بحضرة الناس فامرت بقتله فقتل واخذت جنيته غضبا فغضب الله عليهم يقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر اخبرته الخبر فقال لها ما صبت خيرا ولا وفقت ولا ارانا فلج بعد هذا بدوا ان كان عن جنيته لا غنياء وقد كذا تغرزه فيها وقد جاوروا وحرمت بنامته زمان طويل فاحسنا جواره وكذا ففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا ففجعت بنا الجوار وما حمله على اجترأك عليه الاسفك وسوء رأيك وقلة تفكيرك في العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك

نفسها وزوجها ولكن
اطلقت لظانها الموم
مع ارادة التخصيص عن
تتوا وتجر بض المريد
على تطيب قلوبهم اذ
يطيب القلوب يحصل كل
طيب محبوب من الانوار
والاسرار ولذة العيش
بمساعدة الملك الغفار
والمعنى في ذلك لما طابت
قلوبنا طاب ما عندنا
فطيبوا قلوبكم يطب
ما عندكم رضي الله تعالى
عنها آمين ﴿ وحكي
عن بعض اصحاب
السرى السقطي
رضي الله تعالى عنه انه
قال كان للسرى السقطي
تلميذة وكانت امرأة
صالحة وكان لها ولد عند
المعلم فبعته المعلم يوما الى
الدجلة فنزل الصبي في
الماء فغرق تخف المعلم على
نفسه وأتى الى السرى
السقطي فاخبره بذلك
فاغتم وقال قوموا بنا الى
أمه وكان معهم الجنيد
فحك السرى السقطي مع
أم الصبي في علم الصبر وعلم
الرضا فقلت المرأة
يا استأذى وأى شيء
تريد بذلك فقال لها السرى
ان ولدك قد غرق فقات
ان الله عز وجل لم يقبل
ذلك ثم قالت قوموا بنا
فقاموا معها حتى انتهوا
الى النهر فقالت المرأة

ذلك فان الله تعالى قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا اليها فبينما نحن كذلك اذا استضافنا ضيف في ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقرى به هذا الضيف فاحتجنا لذيبحها فقلت له يارجل هذا ضيف وقدمنا بنا بكرامه فخذ تلك الشاة واذبحها فقال تخاف ان تبكى عليها صرانا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجار فاخذها ومضى فلما اراق دمه افرقت من أعلى الجدار وزادت الينا فحسبت انها قد اقلعت منه فخرجت لانظرها فاذا هو يسلمخ فيها فقلت له يارجل رأيت عجا وذكر لك قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعن الله تعالى بدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لبنا وهذه تحلب لبنا وعسلا وهذا كله بركة اكرام الضيف قال ففجعنا من ذلك ثم قالت يا ولادي ان شويمتنا هذه ترمى في قلوب المريدن فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تميرت قلوبهم تفسر لبنها فظفروا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك

فقال لها ما كان يسع حليمك وعظيم خطرلك 'مفوعن رجل واحد فتحفظن جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وامر ان يخبر عن الله تعالى في غضب عليه لولاه حين قتلوه بين اظهريهم ظمرا وقد ادى الى نفسه انهم ان لم يتوبوا من صنعمهم ويرد الجنة على ورنه مذكى والايهاكم يا بني لاجب وامر أنه في جوف الجنة أشمر ما يكون يسلك دمها ثم يدتهس اجفيتين ملفاتين فيها حتى تتمرى عظامها عن حجومها ولا يئمن بها الا قايلا قد فجعها الياس وأخبر الملك بالوحي الله اليه في امره وامر امر أنه والجنة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعوننا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكهم عبدا والاوان الاعلى مثل ما نحن عليه يا كلون وبشر يون وبتهتون مملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذي تزعم انه باطل شيء وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم يتعذب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بأمره رفضه وخرج عنه فلحق بشواحق الجبال وعاد الملك الى عبادة بل فلما تقي الياس الى اصعب جبل واشمخه قد دخل من ارافيق انه بقى فيه سبع سنين ثم يدوا وحيد افرى اخافا ياوى الى الشام والكهوف ويكل من نبات الارض وثار الشجر وهمي طليعه وضوا عليه الميرون يتوقون اخباره ويحبثون في اخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلا فلما لم يسمع سنين اذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامر الله تعالى ابن الملك لاجب وكان احب اولاده اليه واعزهم عليه وأشبههم به فادنف حتى ينس منه فدعا صنمه بهلا وكانوا قد فتقوا بهل فمظموه حتى انهم سمواه دينتهم به فقالوا لما بهلوك وجعلوا اله بعاثة سادن فوكلوه به وجعلوا ممانه وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم فيكلمهم بنوع الكلام والار بمائة يصنعون باذنه الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم ثم ريمه من الضلال فيكتبون للناس ويدعون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك ان يشفوا له الى بل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجيبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يكتفه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم يجهدون في التضرع اليه والمر يض لا يزداد بذلك الا ما وجهه فلما طال عليهم ذلك قالوا لاجب ايها الملك ان في ناحية لشاة آلهة اخرى وهى في العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفون لك اليها فلما هم ان تشفع لك الى بل فانه غضبان عليك ولولا غضبيه عليك لكان قد اجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لا شيء غضب على وانا اطيعه واطاب رضاه ولم اسخطه ساعة قط قالوا من اجل انك لم تنفعل الياس وفرطت فيه حتى نجسا له وهو كافر بالهك به يد غيره فذلك الذى اغضبه عليك قال لاجب وكيف ان اقلته في يوم هذا وانا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لاياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصده فلو عرف ابني تفرغت اطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى اخذه واقلته واربع الهى منه وارضيه قال ثم ابعث الار بمائة نبي ليشعروا الى الهة التي بالشام ويسألوها ان تشفع الى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلوها فرفع الله عز وجل الشيطان الولوج في الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبره بذلك فقال الملك وكيف لي ان اقتل الياس في هذا اليوم قال فخرج اربعاة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه الياس اوحى الله اليه ان يبط من الجبل ويعارضهم ويستوقعهم ويكلمهم وقال له لا تخف فانى ساصرف عنك شرهم وألقى الرعب في قلوبهم فقتل الياس من الجبل فلم انقهم استوقعهم فلما وقفوا قال لهم ان الله ارسلني اليكم والى من ورائكم فاسمعوا ايها القوم رسالتى بكم كنيتوها صاحيكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك استعلمنا لاجب اني انا الله لا اله الا انا الهى امر ائيل الذى خلفهم ورزقهم وراحهم واماتهم فلا يحملك جلاله وقلة عقلك على ان تشرك بى وتطالب الشعاء لابنك من غيرى لمن لا يمكن لاقصمهم شيئا الماشئت وانى آيت باسمى لا اغيظك بى ابنك ولا اميتته من قوره

أين غرق ولدى فقال

المعلم هنا فصاحت به
ابني محمد فاجابها من التبر
لبيك يا أمه فبزلت
وأخذت يده ومضت
الى منزلهما فالتقت السرى
ابي الجنيد وقال أى شيء
هذا فقال الجنيد أقول
ان هذه المرأة مراعية ل
الله عز وجل عليها وهذا
حكم من كان مراعيًا لله
عز وجل عليه فلم ي
لا تحوت حادثة حتى تعلم
بها فلما كان دأبها ذلك لم
تسكن حادثة إلا علمتها
فانكرت ذلك وقالت ان
ربى لم يفعل ذلك وهذا من
صدقها مع مولاه رضى
الله تعالى عنها وتنعنا بها في
الدنيا والآخرة وأمدنا
من مصدريها أمين
وحكى عن مالك بن
دينار فقال الله عنه انه قال
خرجت حاجا الى بيت
الله الحرام سنة من السنين
فبينما انا في الطريق واذا
بشباب يشي بلا زاد ولا
راحلة فسلمت عليه فرد
على السلام فقلت أيها
الشاب ومن أين أنت
قال من عنده فقلت والى
أين قال اليه فقلت برأى
ازاد والراحلة فقال عليه
فقلت له انى لا تقطع
الابالما كل والمشرى فويل
مك شيء قل نعم قد
زودت عند خروجي

هـذا حتى تعلم ان احد الاملاك له شياؤنى فلما قال لهم ذلك رجعو واولعوا بملكوته ثم رعبوا فلما اساروا الى الملك
ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الاس واخلعوا بان تياس انخط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد
قشفت وقحل وتمط شعره وبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خالها على صدره بخلان فاستوقفنا فلما
وقفنا صار معنا فدفق له في قلوبنا الرعب والهيبه وتقطعت السنن ونحن في هذا العدد الكثير وهو واحد فلم
نقدر ان نكلمه ونراجعوه ولا أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا تنفع
بالجباة مادام الياس حيا ما الذى منعه ان يتطشوا به حين لفتوه وتوقوه رتأونى به وانتم تعلمون انه طليبي
وعدوى قالوا قد اخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبش به انه لاجب اذا ما طلق الياس الى الملك
والخدمة ففيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والياس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتياط عليه
وان يطعموه بانهم قد آمنوا به عموهم وراهم ليدين اليهم ويقر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به اليكم فانطقوا
حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم يتادون باعلى أصواتهم ويقولون
يا نبي الله ابرز لنا واشرف علينا بنفسك فانا قد آمننا بك وصددناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا
مقرون بذلك ويقرون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمننا بك واجبتك الى
مادعوتنا اليه فلم اليافنا فانت نبينا ورسول ربنا فقم يا نبي الله ابرز لنا واحكم بيننا فانت تنقاد الى ما امرتنا وتنهي عما
نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتناك فنداركنا وارجع اليك ركل هذا كان بكرامتهم
وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع في قلبه ايعانهم وخاف الله واشفق من سحقته ان هو لم يظهر لهم ولم
يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لوانى دعوت الله تعالى فسالته ان يعلمنى
ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة امرهم وكان ذلك الها ما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما
يقولون فاذنلى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفرهم وارمهم بنار محرقيم جميعا فاستمع قوله حتى
حصروا بالارمن فوقهم فاحرقوا أجسادهم وقالوا بل لاجب وقومنا الخير فلم يرتدع عن ضمير السوء واحثال
ثيابا فى امر الياس ففيض لهم فنة اخرى مثل عدد اولئك واقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فاقبلوا وحتى
وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله انا نودى بالله وبك من غضب الله وسخطه
انلسنا كاذبين اتوك قبلنا اولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليكرزوا بك من غير رأينا ولوعلمنا بهم
لقتناهم والاكن قد كفالك الله امرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله
بدعوته الاولى فاطر عليهم نارافا حرقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجهه كما
وعده الله تعالى على اسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك هلاك
اصحابه ثانيا ازاد غيظا الى غيظه واراد ان يخرج فى طلب الياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك مرض ابنة
فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امراته رجاء ما يأس اليه فينزل معه واظهر للكاتب انه
لا يريد بالياس سوا ولا مكروها وانما اظهر له ذلك ليطاع عليه من ايمانه وكان الملك مع الاطاعة على ايمانه
مغضيا عنه له وعليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجهه نحو دارسل
معه فنة من اصحابه وعهد اليهم دون الكاتب ان يوتقوا الياس وياتوه به ان اراد ان يخفف عنهم وان جاء
معيهم اسباب الكاتب ووائعا مكاتبه لم يوحشوه ولم يروعوهم انه اظهر للكاتب الاذبة فقال له انه قد اتى ان
اتوب وانخط فقد اصدا بتنا بلا يمن حريقى اصعدنا والبلاء الذى فيه ابني وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس
ولست آمن ان يدعو على وعلى جميع قومي فنهلك بدعوته فكفر رسولنا اليه واخبره ان قد تبنا وانبتنا وانه
لا يصح لنا فى توبتنا وما نريد من رضائنا وخلعنا صنامنا الا ان يكون الياس بيننا اظهر لنا ما نرى

فقلت وما هي فقال قوله
 تعالى كبريى فقلت وما
 يعني كبريى فقال أما
 قوله كف فهو الكفى وأما
 الحاء فهو الحادى وأما
 الباء فهو الذى يادى وأما
 اللام فهو والم وأما الصاد
 فهو الصادق فمن صحب
 كافيسا وهاذا وهؤويا
 وعالما وصادقا فلا يضيع
 ولا يخشى ولا يحتاج إلى
 الزاد والراحلة قل مالك
 فلما سمعت منه هذا
 السلام نزعته قميصي
 لألبسه فاني ان يقبله
 وقل يا شيخ العري خير
 من ثياب التي حلالها
 حساب وحرامها عقاب
 فكان اذا جن الليل برقع
 وجهه نحو السماء ويقول
 يامن لا تنفقه الطاعات
 ولا تضرك انما اصى على
 الا يتفك واغفر لي مالا
 يضرك فلما احرم الناس
 والبوا قلت له لم لا تلبس
 فقال يا شيخ اخاف ان
 اقول ليك فيقول لايك
 ولا سمحك لا اسمع
 كلامك ولا انظر اليك
 ثم مضى وغاب عن بصري
 فداريته الاعمى وهو يبكى
 ويقول ان الحبيب الذي
 يرضيه سفتك دعي
 دمي حلال له في الحل
 والحرم
 والله علمت روحى لمن
 عشقت

ويخبرنا بما يرضى بناقال ثم انه امر قومه ان يهزئوا للاصنام وقل له اخبر الياس بانا قد خلعنا اهلنا التي كما تعبد
 وقد اهلنا امرها حتى ينزل اليها فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكرمان الملك قال فانطلق
 الكاتب والثقة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فناقت نفسه اليه
 وانس به وكان مشتهرا قال لانه فأوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى اخيك الصالح فاقفه وجدد
 منه الهدى وبرز اليه وصاحفه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغى وقومه
 وقص عليه قاته وقل انى ظن ان رجعت اليه واستمع منى ان يقتلنى فامرني بما شئت ان افعله وانتهى اليه
 ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وار شئت ارسلتني اليه بما تحب فابانه
 رسالتك وان شئت دعوت بك بحمل لثام امرنا فارجعنا فخرج فأوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك
 منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لا يجب ان اخبرته بذلك انه قد بعثت هذا الرجل ولما بات بك اليه فانه
 يتهمه ويعرف انه قد داهن في امرك ولم يامن ان يقتله فالتفت معه فار اظبالك معه عذره وبرأته عند
 لا يجب وانى سافله عنك واضافت على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غير دمه ايمته على شرح حال فاذمات هو
 فارجع انت ولا تقم عنده قل فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لا يجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه
 الوجع واخذ الماوت يكظمه فشفل الله بذلك لا يجب واصحابه عن الياس ورجع الياس مسالما الى مكانه فلما
 مات ابن لا يجب وفر غوام امره وقرع زعزاعه لاياس وسأل عنه الكاتب ابني من الذى جاء به فقال له
 ليس لي به علم وذلك انه قد شغاني عنه موت بك والجزع عايمه ولم يكن احدك الا قد اسفوتت منه فاطرق عنه
 لا يجب وترك لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق الى
 العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامراة من بني اسرائيل وهي ام يونس بن متى ذي النون
 فاستخفى عنده دامة اشهر ويونس ابنه ابوه ثم دعوا لودرضه وكانت ام يونس تخدمه بنفسه او تواسيه بذات
 يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عايمها قال ثم ان الياس عليه السلام ثم ضرب البيوت بعد عوده في الجبال
 ودوحها فاحب الاحقوب بالجبل فلما دالى مكانه في الجبال فيجزع ام يونس لفرافقه وأوحشها ففقدته ثم لم
 يلبث الا قليلا حتى مات ابنه يونس حين قطعت فطامته وعظمت مصيبتها به فخرجت في طلب الياس فلم تزل ترقى
 الجبل وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلطت عليه وقالت له انى فجعت بعدك بموت ابني وعظمت
 به مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لي ولد غيره فارحمي وادعرك تعالى انى حلى ابني ويخبر مصيبتى
 فاني قد تركته معي لم افنقه وقد اخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما امرت به وانما انا عبد
 وأمرأ عمل بما امرني ربى به ولم يامرني بهذا فجزع المرأة وتضرعت فغطف الله قلب الياس عليها فقال لها
 وبني مات ابنك فقالت منذ سبعة ايام فانطلق الياس عليه السلام معها واسار سبعة ايام حتى اتى الى منزلها فوجد
 ابنه اىونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاجاب الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وب
 الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال تصميان قومه ضاق الياس بذلك ذراعا وجهده البلاء
 فأوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور ومجود بالياس ما هذا الحزن والجزع الذى انت فيه الست
 امينى على حى وحجيتى فى ارضى وصفوتى من خلقتى فاسألني اعطك فاني ذوالرحمة الواسية والفضل العظيم
 قال ياس عليه السلام تيمنى وتلجفتنى بآبائى فاني قد مللت منى امرايلى وملوتى وانقضت هم فيك وانقضت
 فأوحى الله اليه بالياس ما هذا اليوم الذى اعزى منك لارض واهلها وانما قوامها واصلها بك واشبابها
 ولكن سألني اعطك قال الياس فان لم تمنى بالهى فاعطني ثاري من بني اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فاي شيء
 تريد ان اعطيك يا الياس قال تمكنني من خزانتي الماه بعد سبع سنين فلان شئى عليهم سحابة الا بدعوتى ولا

الفرس فناداه البسع بالباس ما تأمرني به فقد ذل إلي كساده من الجوالا على فكان ذلك علامة على استخلافه
 اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهريهم وقطع عنه لذة
 الطعام والمشرب وكما الر يش وكان اسمه اهل كيسان او يا أرضه واسم الله تعالى على لاجب الملك وامر أنه
 رقومه عدوهم وقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهبهم فقتل لاجب الملك وامر أنه في بستان مزدكي فلم
 تزل جيفة تهاهما ملقأتين في تلك الجنة حتى بايت لحومهما ورمت عظامهما وناب الله تعالى بفضله البسع عليه
 السلام وبمعه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وارجى الله تعالى اليه وابده يمثل ما يده عبده الياس فأممت
 به بنو اسرائيل وكانوا يظلمونه وينتهون الى رأيه وامره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقهم البسع
 (اخبرنا) ابو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن ابي داود قال ان الحضر والياس عليه السلام
 يصومان شهر رمضان ببيت المقدس وبوفيان الموسم في كل عام (واخبرني) ابن فتحويه عن رجل من
 اهل عسقلان انه كان عشي بالاردن عند نصف النهار قرأ رجل فقال يا عبد الله من انت فقال انا الياس
 قال فوقيت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله ان يرفع عني ما جدد حتى افهم حديثك واعقل عقلك فندعالي
 بثمان دعوات وهن يا رب ارحم يا احسان يا ممان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسر يا نسيمة افهمهما وقيل هما
 باهيا شرهما فرفع الله عني ما كنت اجد ووضعه كفهم بين كفتي فوجدت بردها بين يدي فقلت يا يوحى اليك
 اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكيف من الانبياء اليوم احياء
 قال اربعة اثنان في الارض واثنان في السماء اما الذين في السماء فبعسي وادريس عليهم السلام واما الذين
 في الارض فالياس والحضر عليهم السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عربش
 مصر الى شاطي القرات ورجلان بالصبيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كله اذهب الله واحد
 منهم جاء باخر مكانه وهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يطررون قلت فالحضر اين يكون قل في جزائر
 البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت اين قال بالموسم قلت فما يكون حديثك قل ياخذ من شعري واخذ من
 شعره قال وكان ذلك حين جري بين مروان والحكم وبين اهل الشام القتال قلت فاقول في مروان بن
 الحكم قال رجل جبارعات على الله تعالى والقاتل والمقتول الشاهد في النار قلت فاقول شهدت ولم اطمئن
 بروج ولا رميت بسهم ولم ضرب سيف وانا استغفر الله من ذلك المقام ان اعود الى مثله ابدأ قال احسنت
 فهكذا فكأن قال فينا انا وياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان اشديا من التاج ما كنت انا وهو رغيفا
 وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقدرت باقي الرغيف الا آخر فارتأت احدا وضعه ولا رأيت احدا
 رفعه قال وله ذقة تعري في وادي الاردن ورفع رأسه اليها فلم اعداها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت
 له اني اريد ان اصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خلوا لزوجتي ولا عيال قال تزوج
 وابالك والنساء الاربع الناشزة والخنساء والملاعة والبرزة وتزوج ما بدالك من النساء قال فقلت اني
 احب ان الفاكه قال فاذا رأيتني فقد لفتني اني اعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم
 حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما ادري كيف ذهب وهذا اخر القصة

﴿ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام ﴾

قال الله تعالى واسمه ايل وادريس وزا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد اهل كيسان كبر البسع قال لو اني
 استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتي انظر كيف يعمل فيجمع الناس ثم قاله ان يتكفل لي
 بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا ينضب فقام اليه رجل شاب تزود به الميرون فقال انا
 فرد ذلك اليوم وقال مثلما في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال انا عملت ذلك فاستخلفه

يلعبون بالوز والجوز
 واذا بصي ينظر اليهم وهو
 يبكي فقلت في نفسي هذا
 الصبي يبكي تحسرا على ما في
 أيدي هؤلاء الصبيان ولا
 شيء معه فقد قدمت اليه
 وقلت له يا ولدي ما يبكيك
 اشترى لك من ذلك ما
 تذهب به مع الصبيان قال
 فرفع الصبي رأسه وقال
 يا قليس القيس ما الالب
 خلفنا فقلت له يا ولدي فلما
 ذاخلنا فقال لالم والمعبادة
 فقلت له من أين لك هذا
 بارك الله فيك فقال من قوله
 تعالى افسسبتم انما خلفناكم
 عثما وانكم بيننا لا ترجعون
 قال البهلول فتعجب من
 كلام الصبي على صغر سنه
 فقلت له يا ولدي اراك
 يحكي افهظي فاشدق قول
 شعرا اري الدنيا تجهز
 بانطلاق مشيرة على قدم
 وساق فلا الدنيا باقية
 بجي ولاحي على الدنيا
 بياقي

كان الموت والحدان
 فيها الى نفس التي فرسا
 سباق فيامرور بالدينا
 روايدافها خذل نفسك
 بالوقت قال ثم رفق بطرفه
 الى السماء وأشار اليه بكفه
 ووجهه تجري على خده
 وخر من شيا عليه فرقت
 رأسه الى حجر ومسحت
 التراب عن وجهه فلما ذق

وأنت صبي صغير ولم يكن عليك ذنب فقال اليك عني يا بول فاني رأيت امي توفد النار في صفار الحطب قبل السكار فقلت لها لم لا توفدين النار في السكار فقط قالت يا ولدي لا توفد السكار الا بالصغار واني أخشى اذا كون من صفار حطب جهنم قال البهلول فمشي على ساعة وانصرف النلام من بين يدي فلما افقت نظرت الى الصبيان فلم أر الصبي بينهم فسألهم من يكون ذلك الصبي فقالوا أو ما تفرقه فقلت لا فقالوا هذان من اولاد الحسين بن علي ابن ابي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وفتنا بهم وبانفسهم الطاهرة وحكي عن حبيب العجمي رضي الله تعالى عنه انه قال كان لي زوجة سيئة الخلق كنت أخشاه اسوء خلقها فعالت لي يوما من الايام ان لم تفتح عليك فلا تدخل ايننا ولا ترنا وجهك قال فخرجت من عندها الى اجبانة مغموما مغموما فصرت أصلى الى الشاه ثم أتيت الى البيت خجيلا من تويجها مشلول القلب من شرها فلما دخلت البيت قامت على وقالت أين اجرتك التي

قال فلبس اراي ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعوني واباه فانادي في صورة شيخ كبير فقبر حين اخذ بضججه للقائلة وكنت لا انام طليل والنهار الانالك اللومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير فظلم ففتح الباب فجعل يصيح عليه القصبة ويقول انت بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا فلانا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الزواح وذهبت القائلة فيقال له اذا رحت فاني آخذ لك بحقك فانطلق ابراهيم الى محاسنه فلما اجلس جعل ينظر ليري الشيخ فلم يرد وقام يتبعه فلما كان العمد جعل يقضي بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ بضججه امه فدق الباب فقال من هذا فقال ابان الشيخ المتظلم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قدمت فاتي فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نطيك حقك واذا تمت جددوني قال فانطلق فاذا رحت فاتي وفاتته القائلة فراح واقبل وجعل ينظره فلما يراه فشق عليه العباس فقال له بض أهله لا تدع احدا يقرب هذا الباب حتي اقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلان باذن لاجد فلما اعياه نظر فاذا كوة في البيت فتدور به فلما فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستنظر الرجل وقال يا فلان ألم أترك ان لا تاذن لاحد على فقال اما من قبلي فسا اتي فظن من قبل من اتي فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما كانه واذا الشيخ معه في البيت فقال له انام والخصوم بيا بك ففرقه فقال له يا عبد الله ما لك الى هذه العمال فقال له انك اعيتني في كل شيء اردت بك ففعلت معك ما تري لا غضبك فمضك الله مني فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر توفي به (اخبرنا) ابن فنجو يا قال حدثنا عمر بن المغيرة عن أبي هاشم (اخبرنا) ابن الفضل قال اخبرنا الامام عمن عن عبد الله بن عبد الله الداري عن سميد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لم اسمعه الا مرة فاورتين لما حدث به سمعته منه اكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذوالكفل لا يزعم عن ذنب عمله فاتبع امرأة اعطاها ستين دينار على ان تعطيها نفسها فلما تقدم منها مقدم الرجل من المرأة ارتدت وبكت فقال لها ما يبكيك ففعلت من هذا العمل فاني ما تعطينه فقلت فقال لها كرهتك قلت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها ذهبي ففهي لك ثم انه قال والله لا ارضى الله بها قط ابدا فماتت من ليلته فقيل مات ذوالكفل فوجد رجا على باب داره مكتوب بان الله تعالى قد غفر لذي الكفل * وقال ابو موسى الاشعري ان ذالكفل لم يكن نبيا واما كان عبدا صالحا تكفل به لرجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله اعلم بالصواب

﴿ مجلس في قصة عيسى وشمويل وعو اسمعيل بالبرانية وقصة التابوت ﴾

وخير طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على ابواب كثيرة ﴿

قال الله تعالى ألم تر الى انزل من بني اسرائيل الالية

﴿ فصل في سياق الآلية وقصة النصبة ﴾ قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليه بعبد الياس عليهم السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ماشاء الله ان يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخاف فيهم الخائف ظم فيهم الخفايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كبارا عن كبار وفيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقتلوهما التابوت ويحفظونه معهم لا الهزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في ارض اقوسم فكبارا احدهم فيما يذكرون يجمع القرباب على صخرة ثم يذرف فيه الحب فيخرج الله ما ياكل منه هو وعياله ويكون لاحدهم الزبونة فيعصر منها ما ياكل هو وعياله سنة فلما كثرت احداثهم وعظمت ذنوبهم تركوا ما عهد الله اليهم ساط الله عليهم المعلقة وهم قوم كانوا يسكنون

غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فقاموا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من اراضيهم وسبوا كثير من ذرارهم واسروا من ابناهم ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضر بوا عليهم الجزية واخذوا ثورتهم وبقوا على اضطراب من امرهم واختلاف من حالهم يتأدون احيانا في غيرهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من يقيم لهم منهم ليجموا الى التوبة احيانا ويكفيهم الله شره من بني عليهم حتى امث الله فيهم طالوت ملكا ورودهم عليهم ورواهم فانظروا امرهم واستوثقوا ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل امر بني اسرائيل في بعضها الى السامرة منهم وفي بعضا الى غيرهم ممن يقهرهم ويصلك عليهم الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام اربعمائة تسعة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر امرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رايه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة يميت الله شمويل نبيا ﴿القول في بدء امر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم﴾

قال وهب بن منبه كان لاني شمويل امرأنا ان احدا هم اعجزوا عاقر لم تلده ولد ارضى امر شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة اولاد قال وكان لاني اسرائيل عيدهم اعيادهم اقامه واقبه شرائطه وقربوا القرابين فحضر ابو شمويل وامرأه واولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم اخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة انصبا ولا يجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهم ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغى فقالت ام الاولاد للمعجوز الحمد لله الذي كثرتي بولدي وقلالك فرجت المعجوز وجوماشد يدان فلما كان عند السحر عمدت الى متهبدها فقالت الاليم بهلك وسوءك كانت مقالة صاحبتي واستطالتم على بنهمك التي انتم بها عليهم واثنت ابتعدتكم بالنعمة والاحسان فارحم ضمى وارزقني ولدا تقيارضا واجعله لك ذخرا في مسجدهم من مساجدك يمدك ولا يكفرك ويطعمك ولا يجهلك فازاحمت ضمى ومسكنتي واوجبتي دعوتي فاجعل لي علامة اعرف بها قول دعائي فلما اصبحت حاضيت وكانت قبل ذلك قد نيسبت من الحليض ففجده الله علامة لاسأله فلم يهازوها خملت وكتبت امرها واتي بنوا اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاه وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فكانوا يسألون الله تعالى ان يميت نبيا يشرح عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبيبة فلما علموا بحملها اتهمجوا من امرها وقالوا ما حملك هذه الانبي لان اليائسات لا يحلمن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق واسحاق امرأة زكريا حملت بيجي عليه السلام فاخذوها وحبسوهن في بيت رهبنة ان تدجارية فتبدها بفلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجمعت المرأة تدعو الله تعالى ان يرزقها ولدا كرا فولدت غلاما وسمته شمويل وتقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام اسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبع الله فيه نبيا اناه جبريل عليه السلام وهو ناظم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يابن عليه احد افدعاه جبريل بلحن الشيخ باسمويل فقام الغلام فزاعروا بالي الشيخ وقال يا اياه ادعوتي فذكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فتم فرجع الغلام فنام فمات جبريل ربنا فاتبته الغلام وقال ادعوتي يا اياه فقال الشيخ ماشاك قال اما دعوتي قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فوضا وصل فانك اذا دعيت باسمك فاجب وقل ليك انا طوعك فامرني بما شئت افعل ما تامرني به ففعل ذلك الغلام فنودي فثالثه فقال ليك انا طوعك فامرني بامرك افعل ما تامرني به ففعل له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك قبلهم رسالتي بك فوالله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذراك يوم ذراك للنبوة ورحم وحده امك ذلك اليوم الذي تاهت

ستاجرني كرم واستحيت ان استعجه في الاجرة قال فسكنت عني فمكنت على ذلك الحال يا ما وانا اذهب الى الجبانة واضلي الى الليل وارجع فلما طال عليها الحسالت قامت على وقالت اطلب اجرتك منه واوارج نفسك لنفسه فمسر على ذلك ووعدها باز افضل ذلك ثم خرجت الى عادي فلما جاء الليل رجعت الى منزلي خائفا منها فلما وصلت البيت رأيت دخانا ومائدة منصوبة وزوجتي فرحة مسرورة فذهبت من ذلك فلما دخلت البيت اثنت زوجتي وقالت ان الذي استأجرك امث الينا ما تمث الكرام الى الفقرا وقال رسوله الذي جاء بهذا قولي لحبيب يجدي العمل فان مستاجر لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فيقر عيننا ويطيب نفسنا ذهبت الى بيت اخرفي لدار واحضرت منه كياما ملوأة دنانير ذهب احمر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها اذرين من امث الينا ذلك فقالت الذي استأجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كرم يده خزائن السموات

عليها ضربتها فبلا احد الا يوم اشد منهم اغضدوا ولا ملاذ فانطلق الى عبي فقال له انك كنت خليفة الله على عباده
ودينه فممت زمانا بامر دحا كما يكتب به محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ورق عظمك وذهبت قوتك
وفنى عمرك وقرب اجلاك وحسرت اقمرك ما يكون الى الله تعالى ولم تنزل فقيرا اليه عطمت الحدود وجرت بين
الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات واضعفت حكم الحق حتى عز الباطل واهله وزل الحق وحزبه وظهر
للمنكر وخفى للمعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك
بقبض ما ختمت به عمالك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وقم بعد بالخلافة فلما بلغه شمو بل هذه
الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيها عاب الله عبده عيني ووجهه عليه ما نه كان له ابان شبان فاحدث شيئا في
القر بان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القر بان الذي كانوا يوطونه به كلابين فساخر جارا كان للكان
الذي كان يسوطه فجعل ابنا دك ليلب فوحى الله اليه ان اطلق الى عبي فقال له منكم حب الولد ان
تزوج ابنيك ان يحد ثاني قر باني وان يصياني فلا تزغن اليكم انتم منكم ومن ولدك ولا هلك بك واباها فاخبر
شمو بل عبي فزع فزع عا شيدوا سار اليهم عدوهم ومن حولهم فارعى ابنيه ان يخرجوا بالناس فيقا تلا ذلك
المد وفخر جارا واخرجاهم مما التابوت فلما تاهوا للقتال جمل عبي يتوقع ما صنع القوم فيجاء رجل وهو
قاعد على كرسيه فاخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتل قال فاقبل التابوت قال ذهب به العمدو
قال فمشق ووقع على قفاه من كرسيه فسات فلما بلغ ما حكمهم ايلاف الخبر ان التابوت قد سلم وان عبي
قد مات فسات كذا فلما مات الالهير والوزير واخذ التابوت مرج امر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم
عدوهم فقالوا لشمو بل ابعت لنا ملكا نتقاتل في سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمو بل امرهم عشرين سنة فلما ناظم
الذل والخوان والقتل والاسبي من عدوهم بشؤم وصيتهم سألوا نبيهم شمو بل ان يبعث لهم ملكا يقاتلونهم
في سبيل الله وانما كان قوام ادر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملك للانبيا وكان الملك هو الذي
يسير بالجيش ويقال العدو وكان النبي منهم هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده وياتيه بالخير من
عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمو بل نبيا فلهذا اراد بين سنة في احسن حال ثم كان من امر
جالوت والعمامة ما كان فسألوا شمو بل عليه السلام ان يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى اقم الى الملأ من بني
اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا النبي لهم ابعت لنا ملكا فقال في سبيل الله يعني شمو بل وهو بالبرانية اسمه بل
ابن بلي بن علقمة بن ماجد بن عمرو بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عمرو صابن عزريا وقال مجاهد هو
شمو بل بن هلقا فار لم ينسبه اكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل
عسيتم ان كتب عليكم القتال لا نقاتلوا فاجابوا بقاصص الله في كتابه قالوا وما لنا لا نقاتل في سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا لآلية فلما اخذ شمو بل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سال الله تعالى
ان يبعث لهم ملكا

﴿ ذكر قصة الملك طالوت واتي ان تابوت وحرب جالوت وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ام الله قد بعث اليكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمو بل لما
قالوا له ابعت لنا ملكا نتقاتل في سبيل الله سال الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتي بعضا وقرن فيه دهن القدس
وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا طوله هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل
عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فاذن من يرأسه وملكه عليهم ثم انهم قاصوا
انفسهم بالعصا فلم يكونوا مثمل وكان طالوت بطولها واسمه بالبرانية سادل وبالبرانية شادل بن قيس بن
أفيل بن صارو بن نخورت بن افيج بن انيس بن بياامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه

ذلك تغير لونها وارتفعت
ونابت الى الله تعالى لما كان
منها وقسمت ان لا تعود
الى ذلك ابد رحمة الله تعالى
عليهما وتغنيا بهم اجمعين
ووحسكى عن عطاء بن
الارزق رضي الله تعالى عنه
انه قال قد دفعت الى زوجتي
درهمين لا تشتري بهما
دقيقا ولم يكن عندنا شيء
بقنات به في ذلك اليوم
فخرجت الى السوق
لشراء الدقيق فرأيت مملوكا
في السوق يبكي فقلت له
ما يبكيك فقال يا سيدي
ان ولاى دفع لي درهمين
لاشتري بهما شيئا فقسما
من يدي واخاف ان ارجع
له غائب يضربني قال عطاء
فحزنت عليه ودفعت له
الدرهمين فاخذها ووضعني
الى حاجة ثم توجهت الى
المسجد فصرمت اصلي الى
وقت المغرب وانتظرت
شيئا فلم يفتح على بشيء
فخرجت من المسجد عند
الغروب وجلس في
السوق على دكان صديق
لي وكان نجارا فلما رأى
الجراب مبي قال خذ هذه
النجارة في جرابك ليجي
بها التاجر قال فاخذت منه
شيئا من النجارة في الجراب
وذهبت الى البيت خائفا
من شرها فطرحته
الجراب في البيت

السلام وكان رجلا باغيا على ادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان
سقاء يستقي على حمالة من النبل فضل حمارة فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمالات طالوت
فارسله وغلامه لطلبها ثم ابريت شمو بل عليه السلام فقال ان الغلام اطالوت لودخا ابل هذا النبي فالناه
في امر الحمر ليرشدناو بدعوا النافيا بخير فقال له نعم فدخل عليه فبينما هما عنده يدكر ان لا خير الحمر انش
الدهن في القرن فقام شمو بل وقاس طالوت بالحصا فكانت على طوله فقال لشمو بل قرب رأسك الى
فمهته بدهن القدس ثم انه قال له انت ملك بني اسرائيل وقدمار في بني ادم ملك عليهم فدخل طالوت انا فقال
نعم قال او ما علمت ان سبطي اذني اسباط بني اسرائيل قال بل قل او ما علمت ان بيتي اذني بيت بني
اسرائيل قال بل قال فباي آية نال بانك ترجع وقد وجدنا بولك الحمر فكان كذلك ثم ارشده بل قال بني
اسرائيل ان الله قد بعث اكم طالوت ملكا قال مجاهد اميراعى الجيش فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق
بالمالك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط ملكة وكان
سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وعرون وسبط الملكة سبط يهوذا بن يعقوب
ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط الملكة وانما كان من
سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا يعملون باعظيا كانوا يشكون النساء على ظهور الطريق فنهروا فغضب الله
عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث اكم طالوت ملكا انكر واذا لك لانه كان من ذلك
السبط فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالمالك منه ومع ذلك انه فتم لم يؤت سعة من المال فقال لهم
شمو بل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العن بالحرب والجسم يعني بالطول في قوم والقوة وانما سمي
طالوت لظوله ولذلك كان يفوق الناس رأسه ومنه كبره وقال ابن كيسان بالجبال وكان طالوت اجهل رجل
في بني اسرائيل واعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع علم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبهم ان آية
ملكه ان ياتيكم النابوت الالية

﴿قصصة النابوت وصفته وابتداء امره الى انتهائه﴾

قال اهل التفسير صاحب الاخبار ان الله تعالى اهبط نورا على ادم عليه السلام من الجنة حين اهبط
الى الارض فيه صور الانبياء من اولاده وفيه نبوت بعد الرسل منهم وآخر النبوت بيت محمد صلى الله
عليه وسلم من باقوة حمراء اذا هو قائم يصل وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبهته هذا اول
من يتبعه من امتي أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعن يمينه ابراهيم الخليل مكتوب على جبهته بار من البرة
من حد يدلا تاخذه في الله لولا انهم ومن وراءه ذوالنورين اخذته حجة من مكتوب على جبهته بار من البرة
ومن بين يديه على بن ابي طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا اخوه وابن
عمه الملقب بالبصر من عند الله وحوله عمره ومن خلفه والخلفاء والنبلاء والكبيرة الخضر امانصار الله وانصار رسوله
نور حوافر واهبهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان النابوت نحو اربع ثلاثة اذرع في ذراعين
وكن من عود الله شاذ الذي ينخذ منه الاشياط بموه بالذهب وكان عند ادم عليه السلام الى ان مات ثم عند
شيث الى ان مات ثم توارثه اولاد ادم الى ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه
أكبر ولد فلما مات اسمعيل كان عند ولد قيد قنار ع في فيه ولد اسحق وقالوا ان النبوة صرفت عنكم وليس
لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاطمأنت نابوت فكان يتمتع عليهم ويقول انه وصي ابني
ولا اعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليتبع ذلك النابوت ففسر عليه فتبعه فناداه مناد من السماء
هيا لياقيدار فليس لك الى فتح هذا النابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحها الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب

المشاء ثم جلست في
المجد حتى مضى نصف
الليل خوفا منها ثم جئت
الى البيت ونظرت من
وراء الحائط فوجدتها تحبز
خبزا ذا رائحة مقرحة
فتمتعيت من ذلك وقلت
من أين تأم هذا الدقيق
ثم دخلت وانما تعجب ثم
قلت اين لكم هذا الخبز
فقالوا من الدقيق الذي في
الجراب ثم قالت لي
زوجتي من هذا اليوم لا
تشتريا الا منه لانه دقيق
طيب قال فيحدث الله
تعالى على الفهم بمباركة
وكرمه وفضله (وحكى عن
شقيق الباخى رضى الله
عنه انه قال خرجت حاجا
الى بيت الله الحرام سنة
تسع وأربعين ومائة فزلت
الفادسية فبينما انظر الى
الى الناس وزيتهم
وكثرتهم ان نظرت الى
فتى من احسن الناس
وجها وهو متوشح شوب
من صوف من فوق ثيابه
مشملة بشملة وفي رجله
ذهلان من خوص قد
جلس منفردا عن الناس
فقلت في نفسي هذا الفتى
من الصوفية يريد أن
يكون كالا على الناس في
طريقهم والله لا مضى اليه
وامتحنه واربحه فدانت
منه فلما رآني قال يا شقيق

وتوضاً وصلى اربع ركعات ومال الي كتيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل ويطرحه في الركة ويحركه ويشربه قل شقيق فقبات نحوه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا اخي اطعمني من فضل ما انعم الله عليك فقال يا شقيق كم تري نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولني الركة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت الذم منه ولا اطيب رائحة فشبمت ورويت واقعت اياما لم اشته طامعا ولا شربا ثم دعى فلم اره حتى دخلنا مكة فرائته ليلة من الليالي وهو في جنب قبة اشرباب وهو قائم يصلي بحشوع وانين وبكاء ولم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما راي الفجر جلس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف سهما ثم خرج فقبته فاذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رايته في الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسمعون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال

فكشك فيهم عشرين وسبعة اشهر لا يدنو احد منه الا احرق واصابهم في المدينة الاقات والمهايات وفي مواشيهم الموت وفي نساءهم الطاعون فتجبروا وكانت عندهم امر آمن نساء في اسرائيل من اولاد الانبياء فذالت انك لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجه عنكم فانوا بهجلة باشارة تلك المرأة خلو عليهم التابوت ثم علقوها على ثورين وضر بواجنهم ما قبل الثور ان يسيران وكل الله بهما ربعة من الملائكة يسوقونهما فلم ير التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلوا حتى وقفا على ارض فيها احصاء ابني اسرائيل فكسر برنهم ما وقع خداهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى ارضهما فلم تدربوا اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة اى توفقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضته في دار طالوت فاقر وابعاك قال الله تعالى ان في ذلك لآية لکم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله اعلم

باب في قصة شمويل حين اوحى الله اليه ان يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت

مع بني اسرائيل وصفة من الابل

قال الله تعالى فله انفصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الاية قال فلهما اوحى الله الى شمويل عليه السلام ان يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير طرمه او مريض لمرضه ارضى برأضه أو ممدودا مذكرو ذلك انهم لما راوا التابوت قالوا قد اتانا التابوت وهو نصر لاشك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لاحاجتي لى اخرج معي رجل نى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتمل بها ولا رجل عايد دين ولا رجل زوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعن الا الشابات النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكاد في حرسه يد فشكاوا فلة المياهم بينهم وبين عدوهم وقالوا المياهم لا تحملا فذبح الله تعالى الى ان يجري لنا نهر ا فقال لهم طالوت يا شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر فخيركم ليرى طاعتكم وهو اعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذوب يقال له ادمي فمن شرب منه فليس بي اى من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطمعه لم يشرب به فانه نى ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهدول الكف ومن فتح الغين اراد الماء الواحدة فشر بوا منه الا قليلا منهم (قال السدي) كانوا اربعة آلاف وقال غيره كانوا ثمانمائة و بضة عشرة رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر انتم اليوم على عدة اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوزعه الا مؤمن قال وكانوا اربعة ثمانمائة وثلاثة عشرة رجلا فمن اغترف شرفة بيده كما امر الله تعالى قوي قلبه وصح ورجع ايمانه وعبر النهر رسالما وكفته تلك الغرسة الواحدة لشر به وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وبقوا على شاطئ النهر وجنبوا نساء العدو ولم يشهدوا النجى فلما ساجوا والنهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى لاطنة لنا اليوم بمجالت وجنوده وانصر فواعن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يفتنون اى يملكون و يوقنون انهم ملاقون الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت اوكم من نئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الاية ومروا قاصدين الجهاد

باب في ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنود قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والخبرون بالفاظ مختلفة ومما ينقعه عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا ابوداود ومعه ثلاثة عشر ابنا له وكان داود

اصفرهم واحقرهم فاني ذات يوم اياه فقال يا بناد ما قد فت بملاعي هذه شيئا الا اصيبت به رصرت فقال ابشر يا بني
 فان الله قد جعل رزقك في قنذافك بعني في مة لراعك ثم اتاه يوما آخر فقال يا بناد اندر دخت بين الجبال
 فرائت اسد ارباضا فركبته وقبضت باذني فلم يمني فقبضت على فكبه ففطرت به ابراسه وعنت الى ايمته
 يدي من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له ابودا بشر يا بني فان هذا خير اعطا لك الله
 ثم اتاه يوما آخر وقال يا بناد اني لامشي بين الجبال فاسبح فاني بقي جبل الاسبح معي قال ابشر يا بني فان هذا
 خيرا اعطا لك الله وسيمكن لك شان عظيم قال فلم اربصا ل غرة ابني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت
 ارسل جالوت الى طالوت ان ابرزالي ابرزالي من فئانتي فان قتلني فلكم ما كفي وان قتلته في ملككم شق
 ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجتي ابني وناصفته لملكتي فهاب الناس قتال جالوت
 فلم يجبه احد فقال طالوت بينهم شمو بل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فاني بقرن فيه رهن القدس
 وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيقيل الدهن حتى
 يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيه اؤه ولا
 يتفائل فيه فدعا طالوت اسداه بني اسرائيل واقوا بهم فخرج بهم فلم يوافقهم منهم احد فادعى الله الى
 شمو بل عليه السلام ان في ولدنا يشان يقتل جالوت واتى اريدان اجمله خليفة في الارض من بعدك اعلمه
 فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقل لا يشا يمرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا يشا وقال له اعرض
 على بنيك فاخرج له اثني عشر ولدا ثم امل السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا
 يرى شيئا ويقول لذلك الجسم ارجع فيرده على التنور فادعى الله تعالى اليه انا لا اخذ الرجل على صورهم
 ولكننا اخذهم على صلاحهم وقلوبهم وقلوبهم فقال لا يشا بل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمو بل رب قد
 زعم انه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمو بل يا يشان اني كذبتك قال صدق الله يا بني الشان الى ابنا
 صفيير ايقال له داود استعجبت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخالقته في الغنم يرعاها و هو في شعب كذا
 وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سعة ماصفرا ازق العينين فدعا طالوت ويقل خرج اليه فوجددا
 وادى قد حال بالماء بينه وبين الزريرة التي كان يتزوج اليها فوجدته يحمل الغنم شاتين شاتين بعيرهما السيل
 ولا يخوض بهما الماء فلم يراه شمو بل قال هذا هو ولا شك فيه هذا يرحم اليها ثم فوارحم الناس فدعا فوضع
 القرن على رأسه ففاض واجلسه في التنور فلاه فلما راى طالوت ذلك قال له هل لك ان تقتل جالوت وازوجك
 ابنتي واجري حرك في ملكتي قال نعم قال فهل لغيت من نفسك شيئا تنفوي به على قتله قال نعم انا راعي الغنم
 فيجيء الاسد والنمر والذئب لياخذ شيئا فاقوم اليه واقبضه وانفتح لحية عنه واخرقه مالي فقاه فلم اسمع
 طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام في الطربق بحجر فناداه يا داود احمني فاني حجير هرون
 الذي قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاة ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احمني فاني حجير موسى عليه
 سلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فاحمه في مخلاة ثم مر بحجر آخر فقال احمني فاني حجيرك الذي تقتل به
 جالوت وقد خباني الله لك فوضعه في مخلاة فلما اتصافوا للقتال برز جالوت وسال المبارزة فانتدب له داود
 وكان طالوت اعطاه فرسا ورعاه سلاحا فركب فرس ولبس السلاح وصار قليلا فوجد في نفسه زهوا
 فانصرف وعاد سرعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شانك
 فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرني فاني غني هذا السلاح شيئا فدعني اقاتل كما ارد فقال له طالوت
 افعل ما تريد فاخذ داود عليه السلام مخلاته فقتله ها واخذ الفلأع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من
 اسد الناس واقوامه وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزمن ثلثا ثم اقرطل حديد وكان له فرس ابني مشله

محمد بن علي بن الحسين
 بن علي بن ابي طالب
 رضي الله تعالى عنهم
 وتقمنا بهم في الدنيا
 والاخرة آمين (وحكي
 عن ابي عبد الله الجوهري
 رضي الله تعالى عنه) انه
 قال كنت سنة من السنين
 في عرفات فلما جن الليل
 عنت فرايت ملكين نزلا
 من السماء فقال احدهما
 لصاحبه كم وقف على هذا
 الجبل في هذه السنة من
 الحجاج قال ستائة الف
 نفس فلم يقبل الله تعالى
 منهم غير ستة انفس
 فهم مت ان الطم وجهي
 وانوح على نفسي فقال له
 ما فعل الله باقاي الجمع قال
 نظر الله اليهم حتى لا يحب
 سعيهم فوهب لكل واحد
 من الستة مائة الف ففقر
 الله بسطة انفس لستائة
 الف نفس وذلك فضل
 الله يؤتيه من يشاء والله
 ذو الفضل العظيم قال عبد
 الله فحمدت الله تعالى
 وزال ما كان عني
 (وحكي عن الشيخ ابي
 الفوارس شاه بن
 الشجاع السكرماني عفا
 الله عنه) انه قال خرجت
 يوما للصيد والنزعة
 وكنت يومئذ ملك كرمان
 فاهممت انظر في صيد
 رأيت بهرست في طلبه حتى
 وقفت في بركة مفردة

عسكري أحد فيدنا أنا
كذلك اذا شاب جميل
الخلفة راكب على سبع
وحوله سبع اسباع فلما
رأى السباع ابتدرت
الى فزجرها الشاب
فماخرت عني فلم على
وقال يا شاه ماهذه الناقة
عن الله تعالى اشتغلت
بدينالك عن أخراك
وبذلك عن خدمة
امولك انما أعطاك الدنيا
فتستعين بها على خدمته
خدمتها ذريعة الى
الاشتغال عنه فلما سمعت
ذلك منه طاش عقل
ودهشت في نفسي فبينما
هو يتحدث اذ خرجت
عجوز يدها كوز فيه ماء
فتناول الشاب منها وشرب
ودفع الباقي الى فم شربه فلما
رأيت أنه من ذلك ولا
أحلى منه ثم غابت العجوز
عن عيني فتعجب من
ذلك وقلت للشاب من
أين هذه العجوز فقال
يا شاه هذه الدنيا وقد
وكلمها الله تعالى على
تخدمه فكما احتجبت
الى شيء حضرت لى به
حين ينظر ببالي ثم قال
يا شاه أما بلغت ان الله
تعالى لما خلق الدنيا قال
لها يادنيا من خدمتي
فاخدميه ومن خدمك
فاخدميه قال شاه

في الشدة والقره وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود أتى الله تعالى في قلبه الرعب فماله ان تبهر الى قال نعم
وكان جالوت راكبا على فرس اباق وعليه السلاح التام فقال له انى تاتى بالبحر بلا سلاح كما ترى الكلب
بالبحر قال نعم انت اسم من الكلب قال لا جرم لا نفس من لحم بين سماع الارض وطير السماء فقال داود بسم
الله وبسم الله لحكم بين السباع وطير السماء واخذ بحجر امنها وقل بسم الله ابراهيم ووضعه في مقلته واخذ
بحجر اثنيا وقال بسم الله اسحق ووضعه في مقلته ثم اخرج ثلثا وقال بسم الله يعقوب ووضعه في
مقلته قال فصارت الاحجار اثلاث كلها حجارة واحدة واذا راها لاي احد اذ رآها رعى به في فخر الله له الريح حتى
اصاب الحجار انف البيضة فخالط دماغه وخرج من فقاؤه وقتل من ورثته ثلاثين رجلا وقال انه من بعدما
خرج من فقاؤه تكسر ونفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم احد الا وقد اصابته
منه قطعة وممن ذلك صابر كرامه لانبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حذا الحمية من انزاب فانهزم الجيش
وخرج جالوت قتيلا واسرعه داود عليه السلام فحز رأسه وانزع من يده خاتمه واقبل برأسه مجرد
حتى القاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غافين بحمد الله
رب العالمين

﴿ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت﴾
قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في انفسهم فاجاء داود الى طالوت وقال له انجز الى ما وعدتني
واعطني امرأتى فقال له طالوت اريد ابنة املك بغير صدق عجل صدق ابنتى شاكك بها فقال داود لطلالوت
ما شرطت على صدقا وليس لى شيء فتحك في الصداق عاتر يد واقرضني مهرها وعلى الاداء والوفاء لك به
فقال طالوت اصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تأمله وانجز له ما وعدته فله ارض طالوت ميل
بنى اسرائيل الى داود احسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لى في المسال ولا اكلفك ما لا تطيق انت رجل
جريء وفى جبالنا اءاء من المشركين فانطلق فجاءهم فاقبل منهم مائى رجل وجئتني برؤسهم وزوجتك
ابنتي فانهم داود عليه السلام وجعل كل واحد قتل منهم رجلا احضر رأسه وسفاهه في خيط حتى نظم رؤسهم ثم
جاء بهم الى طالوت واقامهم بين يديه وقال له ادفع الى امرأتى فزوجه امرأتى واجرى خاتمه في اذنه قال
الناس الى داود عليه السلام واحبه بنو اسرائيل واكثر وامن ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فاراد قتل
(قال وهب ابن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكلون على الصبي ويفرزون في اطراف العصي ازجة
من حديد وكان داود عليه السلام جالسا في ناحية البيت فدخل طالوت فرماد بالمصا بغتة ليقته بها صبرا
فلما احس داود بذلك حاد عن رميته وامال نفسه من غير ان يرح من مكانه فارتكزت العكاز في الجدار
فقال له داود اردت قتلى قال له طالوت لا بل اردت ان افسد على ثباتك عند الظمان واربط جاشك للارقان
فقال له داود عليه السلام افلقتته على ما قدرته في قال نعم ولكنك لملك فزعت قال معاذ الله ان اخاف الا الله
ولا الجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انزعها من الجدار وهرزه هارزة منكبرة وقال له انبت لى كما
ثبت لك فابق طالوت بالهلاك فقال له انشدك بالله وبحرمة المصاهرة التى بينى وبينك وما كان هذا
القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تحوير وتحذير فقال داود لطلالوت ان الله قد
كتب في التوراة جزاء السببة سببها واحدة والبادى اظم قال طالوت افلا تقول قول هابيل لئى سقط
الى يدك لتقتلنى ما انا بياسط يدي اليك لا قتلك انى اخاف الله رب العالمين فقال داود قد عفوت عنك
لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على ان ياتي به يقتله في داره
فاخبرت بذلك بت طالوت زوجة داود اخبرها رجل يقال له زوالميين فقاتل لداود انك لم تتول الليلة

قال ومن يقولني قالت ابني قال وهل اجزمت جرم ما قلت حدثني من لا يكذب ولا عليك بأس ان تغيب الليلة
حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك لاستطاع خروجا راسا كن اني بقرق من خمر فاقته به وضعه
في مضجعه على السرير وسجده ودخل تحت السرير بر قال ندخل طالوت نصف الليل واراد ان يقتل
داود فلم يجد فقال لا بدته ابن ملك فالتفت اليه ونائم على السرير فضر به بالسيف فقال الخمر فلم وجد رجع
الخمر قال رحم الله داود ما كانا كثر شره بل لا خمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يقتل شيئا فقال ان رجلا
طلبت منه ما طلبت فخلق ان لا يدعي حتى يدرك ناره مني ثم انه استقر بحجابه وحراسه واغلق دونه الابواب
قال فاني داود ذات ليلة وقد هدأت العميون واعمي الله عن الحجاب وفتح الله الابواب فدخل عليه وهو نائم
على فراشه فوضع سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ
طالوت وجد السهام فمرها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر لي فكف عني
لوشاء اوضع هذا السهم في حافتي وما انا بالذي آمنه فلما كانت الليلة لثا باله داود ذاتنا واعمي الله عنا عين
الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فاخذ ابريق طالوت الذي كان يوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب
به وقطع شمرات من لحية وشيا من هذب ثيابه ثم خرج وهرب وتواري فلما اصبح طالوت ورأى
ذلك ساطع على داود العميون وشده في طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام
يشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم اقتل داودا ناراك وهو ماش وكان داود اذا فرم يدرك فركض
طالوت في اثره واشتد داود في الجري فدخل غار فوحى الله الى المنكبوت فذبت عليه بينا فلما انتهى
طالوت الى الغار ونظر الى بناء المنكبوت قال لو كان ههنا لخرقت المنكبوت فتركه ووضى فلما مضى خرج
داود من الغار واطلق الى العجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه تظلم العلماء والمعباد على طالوت في شأن
داود فجعل طالوت لا ينهيه احد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني
اسرائيل على عالم ويطلق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى اتى بامراء
تعلم الاسم الاعظم فامر خبازة بقتلها فحرم الخباز وقال لانا نحتاج الى عالم نتركها ووضع الله
في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور
فيبكي وينادي أشهد الله عبيدا علم لي توبنا الا أخبر فيهما فلما كثر عليهم بكاء فناداه مناد من القبور يا طالوت
أما نرضى انك تقتلنا أحياء حتى نؤذي اموالنا فازداد حزنا وبكاء فحرم الخباز وقال له ملك اسم الملك فقال
هل تعلم لي في الارض عالما سهل لي من توبة فقال له الخباز ايها الملك هل تدري ما الملك قال لا قال ما الملك
الا كل ملك نزل قرية عشاء فصاح النديك فظلمه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما
أراد ان ينام قال لصاحبه اذ صاح الديك فاقظني حتى ندخ فقبل له وهل تركت ديكا يسع صوته وانت هل
تركت غما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرايت ان ذكلك على عالم ملك تهمله قال
لا اتوقع منه الخباز بلا عمن وأخبره ان المرأفة المنة عنده فقال له ان اطلق بنا اليوم الاطها ل من توبة وكانت تعلم
الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت هان فبنت رجلاه وعلمت نسائها فلما بلغ طالوت الباب دل
له الخباز انها ان رأتك فرغت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألسنت اعظم الناس عليك منة
الحيتك من القتل وأوفيتك عندي قالت لي قل ليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت
بذ كرد عشي عليها من الفرق فلما عرفت قال لها لا لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة قالت لا والله
له من توبة واسكن هل تملكون قبره شويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانتما اقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه
صالت عنه دركمين ثم انها نادت يا صاحب القبر اخرج شويل عليه السلام من القبر ينفذ التراب عن راسه

فلما نظر الى اثلاث امرأة والخباز والمالك فقال لهم اقمتم القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل
له من توبة فقال له شمول ما علمت باطالوت بمدي قال لم أدر شيئا من الشر الا ذمته وقد جئت اطلب التوبة
قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما علم لك من توبة الا ان تتبخل من مملكتك وتخرج أنت وولدك
تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقابل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمول
عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت احزن ما يكون وخاف ان لا يتابعه ولده فيمضي حتى ذهب
اشفاق عينيه ونحل جسمه فدخل عليه اولاده فقال لهم ارايت لو دفعتم الى النار اكنتم تنقذوني قالوا نعم
نفذك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تنقلوا ما أقول لكم قالوا فأعرض علينا مقال ذلك فذكر لهم القصة
فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بمالك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز
باولادك الى الغزو وكانوا عشرة فقالوا بين يديه حتى قتلوا ثم شهد بهم فأتاه حتى قتل فجاءه قاله الى داود
يؤشره بقوله له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بماله فضرب عنقه

﴿ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها ﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت الامماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت
أنى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت ومسلكوه على انفسهم وذلك بمقتل داود جالوت بسبع
سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الاعلى داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل
وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

﴿ باب في ذكر نسبته ﴾

هو داود بن ايثان بن عوفيز بن يوعز بن سلهمون بن يحنون بن عيمين ويزيد بن رم بن حصرون بن بارص
ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صاوات الله عليهم اجمعين

﴿ باب في ذكر صفته وحليته ﴾

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري بسنده عن سعيد بن مسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم زرقه العينين وعن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سميط
الشعر ابيض الجسم طويل اللحية فيها جدودة حسن الصوت واخلاق طاهر القلب نقيه

﴿ باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامة ﴾

حين أعطاه الله النبوة والملك

(فنها) اءزل عليه الزبور بالبرانية ماؤه وخمسون سورة في خمسين منها ذكرا ما يكون من مختصر وأهل
بابل وفي خمسين منها ذكرا ما يكون من الروم من أهل أيرن وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن
فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زورا (ومنها) الصوت الطيب والنعمة الطيبة
المدنية والنجيع والاخوان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنجا بحيث
يعرق الحجوم ويفيق النعمي عليه وكان اذا قرأ الزبور زلزال البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلقه
وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنون الوحوش
والسباع ويؤخذ باعناقها وتظله الطيور مضطربة ويركد الماء الجارى ويسكن الريح وما صنعت المزامير
والبرايط والصنوج لاعلى صوته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعقار به الانزول
مادها كم فقالوا له مرنا باشت فقال انما يصرف الناس عن داود الامباضه وبجاده مثل حاله فيؤا
المزامير والميدان والاونار والملاهي على اجناس أصوات داود فسموها سقاء الناس قالوا ليا فاعتروا

انتراب على راسي وناديت
الا قالة الا قالة فسمعت قائلا
يقول قد اقلناك فانيت
رفاقي فلما راوتني قالوا ما
بالك بملك الحاله فقلت لهم
انى كنت مهجورا
وصولت ثم قصصت
عليه ما رايت فلما سمعوا
ذلك قالوا ونحن نصالح كما
صولت فرهوا وسلمهم
جهدا وتابوا الى الله تعالى
ثم أحرمتنا وقصدنا مكة
شرفا لله تعالى فمسينا
ثلاثة ايام حتى انتهينا الى
قربة فيها امرأة عجوز
عميساء وكانت من
الصالحات فخرجت اليها
وقالت افيكم ذلان
السكردي فلما نعم
فاخرجت ترابا وقالت ان
ولدى مات عن قربة
وخلف هذه الثياب
فجاءني النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام وقال لي
اعط هذه الثياب لفلان
السكردي هو واصحابه
قال فاخذنا ثياب وسرنا
من عندها حتى دخلنا مكة
والحمد لله على ذلك
(وحكي عن الامام
أبي القاسم الجندي رضى
الله تعالى عنه انه قال
كنت جالسا بعدد
انتظر جنازة لأصلي
عليها وأهل بعدد في
طرقاتهم جلوس ينتظرون

آثار الدلال ولانك
يسأل الناس فقلت في
سرى لو عمل هذا عملا
يصرون به نفسه عن
السؤال كان خيرا له فلما
انصرفت الى منزلي وكان
على شيء من الورد في
الليل من الذكر والصلاة
والبكاء وغير ذلك ففعل
على جميعه وسمرت سهرا
شديدا ثم غابني النوم
فكنت قرأت في نومي
ذلك الفقير وقد جاء به
في خوان ممدود وقالوا
لى كل لحسه فقد اغتبتته
وكشفوا لى عن الخوان
فقلت انا ما اغتبتته انما
قلت في نفسي شيئا ففعل
لى ما انت ممن يرضي منهم
بمثل هذا اذهب اليه
قاستجله مما كان منك
قال الجنيذ فاصبحت ولم
أزل وقرردا عليه حتى
رأيت في موضع ظاهر
البلد وهو يلتقط من الماء
ما يتساقط من اوراق
البقل فأتيت اليه وسألت
عليه فرد على السلام ثم
قال لا تعد الى مثلها
يا أبا الناسم فقلت
استغفر الله العظيم فقال
اذهب غفر الله لى ولك
ثم ولي فلم أره رضى الله
تعالى عنه ورضي عنايهم
اجمعين آمين (وحكي عن
الجنيد يضارى الله تعالى

ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا ينعنى له الروح
ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبله وانقصت نعمته فقال لى ما هذا فوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة
وهذه وحشة المصيبة يا داود ان الخطيئة هي التي غيرت صوتك وحالك فقال لى أربس قد غفرتم لى قال
بلى واسكن ارنعت الحاله التي بيني وبينك من الورد والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن احمد بن
حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على
داود القرآن فكان يامر بدرايه ان تخرج فكان يقرأ القرآن قبل ان تخرج دابته وكان لا يكمل الا من عمل
يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور وبالاستاذ اخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الاشعري
قال قل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم بدأ عطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت اما والله يا رسول الله
لو علمت أنك تخرج لمبرته لك تحييرا (وأخبرنا أبو بكر) قال أخبرنا أبو العباس بالاستاذ عن البراء بن عازب
قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود (ومنها)
تسخير الجبال والظلمة يسبحن معه اذا سجد قال الله تعالى ولقد آتينا داودنا فضلا يا جبال اوبى معه
والظلمة رأله الحديده قوله تعالى انما يخبرنا الجبال معه يدبجن بالشي والاشراق ويقال ان داود عليه
السلام كان اذا تحال الجبال فسبح الله تعالى جمات الجبال تحاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه
ليلة من الالى لا عبدن الله تعالى عبادة لم عبده أحد بمثلها فصعد الجبل لما كان في جوف الليل
داخلته وحشة فوحى الله تعالى الى الجبال ارايتني داود قاصطتكم الجبال بالتسبيح والقدس
واظهار فقال داود في نفسه كيف يد مع صوتي مع هذه الاصوات فميط عليه جبريل عليه السلام
واخذ بمضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفجر له البحر فأتته به الى الارض فوكزه برجله
فانفجرت له الارض فأتته به الى الحوت فوكزه برجله فأتته به الى الصخرة فوكزه الصخرة برجله
فانقلعت فخرج منها دودة تنشق فقال له جبريل اذربك يد مع تنشيش هذه الدودة في هذا الموضع (قوله)
تعالى يسبحن بالمشي والاشراق قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين المشاءين
قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمذخر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة
وفصل الخطاب بالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلافوا فيه فقال ابن عباس
بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المني علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتقنع في القضاء بين
الناس وقال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو
عبد الله قال سمعت زيار يقول فصل الخطاب الذي أعطى داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن
الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايامن عن الشعبي قال
سمعت زيار يقول فصل الخطاب الذي أعطى داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من
قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له لمعرف الحق من المبطل في الحاكمة اليه (وهو ماروى)
الضحك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالجرة والفلك ورأسها عند محراب
داود عليه السلام حيث يتجأكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة
مفصلة بالجواهر ومدرسة بفضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حاصل الاصلصلت السلسلة فيعلم
داود ذلك الحادث ولا يحسها ودعاها الابرا وكان علامة دخوله قومه في الدين ان يعسوها بأيديهم ثم
يسجدون بأكتفهم على صدورهم وكانوا يتجأكم ككون اليها فن اعتدى على صاحبها وأذكر ماله من
حق أنى السلسلة فمن كان صادقا محمدا مديده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما ينالها فكانت

فيهم الى أن ظهر فيهم المبكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جرة مينة فلما جاء
 يتردها أنكرها فتحا كما الى السلسلة فعمل الرجل الذي كان عنده الجوهرة أن يده لانتال السلسلة
 فعد الى عكره له ففكرها ثم ضمها الجوهرة واعتمد عليها حتي حضر منه غريمه عند السلسلة فقال
 صاحب الجوهرة ان لي عندك ودية فقال خصمه ما أعرف لك ودية فان كنت صادقا فتناول
 السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمبكر قم أنت أيضا فتناولها فقال صاحب الجوهرة الزم أنت عكرك
 هذه فاحفظها حتي أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم أن هذا الودية التي
 يدعيها قد وصلت اليه فقم مني السلسلة فديده فتناولها فترجى القوم وتفكر وفيها فاصبحوا وقد
 رفع الله تلك السلسلة وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين
 يتحا كان اليه يقول ما أحوجكم اني سائلة بنى اسرائيل كانت تأخذ بحق الظلم فتجره الى حتى جرا
 (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذا كرعبنا داود ذا اليد اليمنى القوة في
 العبادة انه أرباب أى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويقط يوما يصوم النهار ويقوم الليل
 وماتت بساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة
 الملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أى قوته وقراء الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن
 عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس بخرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل وقال
 السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس
 أن رجلا من بنى اسرائيل تعدي على رجل من غضاثم فاجتمعوا على داود عليه السلام فقال المتعدي
 ان هذا قد غصبني بقرتي فقال داود الرجل عن ذلك فيجحد وال آخر البينة فلم يكن له بينة
 فقال له داود قوما حتي أنظر في أمركا فقاما من عنده فأوحى الله تعالى اليه في منامه أن يقتل الرجل
 الذى تعدي فقال هذه رؤيا ولست أعيىل حتي أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال
 هذه رؤيا فأوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فإرسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد
 أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقطني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم ولذا لا نقض أمر الله فيك
 فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتي أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت
 ولد هذا فقتله فامر به داود فقتل فاشتدت هيبه بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك
 قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء
 وعلى يساره ألف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروى انه ما فر ولا انحاز من عدوه قط
 (ومنها) الا ناله الحد بله وكان سبب ذلك ما روى في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان
 من عادته أن يخرج الى الناس متكررا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في
 داود واليك هذا أى الرجل هو فيسئله عليه ويقول خيرا فبيناهما وكذلك يوما من الايام اذ قبض الله له ملكا في
 صورة الاتمين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع
 داود ذلك فقال ما هي يا عبد الله قال ان داود يا كل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله
 تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله قال له الحد يدفعه عن يده مثل
 الشمع والعجين والطين المبول وكان يصرفه بيده كيب يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بمحبد
 وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صنعة الخفية لانه
 كان يبيع كل درع منها بارة آلاف درهم فيما كل ويطعم عياله ويصدق منها على الفقراء والمساكين

الكوفة في بعض اسفاري
 فرأيت دارا كانت لبعض
 الرؤساء عليها اثر النعم
 وعلى بابها عبيد وغلمان
 بمض اربعة اجارية أغنى
 وتشهد هذا باليات
 الابادار لا يدخلك حزن
 ولا يبيت بساكنك
 الزمان
 فقم الدار انت اسكن
 ضيف
 اذا ما الضيف اعوز
 المكان
 قال الجنيد فررت بمد
 ذلك بعدة يسيرة فاذا بذلك
 الباب مسدود والجمع
 مبدود وقد ظهر عليها
 كابة الذل والهوان وعلى
 ذلك الباب مكتوب
 هذان البيتان
 ذهبت محاسنها وبارت
 شجونها
 والدهر لا يبقى مكانا
 سائلا
 فاستبدلت من اناسها
 بهوحش
 يد السرور بها عزاء دائما
 قال الجنيد فسألت عن
 خيرها فقيل مات صاحبها
 وصار امرها الى ماترى
 قال الجنيد ففرغت الباب
 الذي كان لا يقدر احدا
 يصل اليه فكنتي جارية
 بكلام ضيف فقلت لها
 يا جارية اين بهجة ذلك
 السكان وانواره واين

شوسه و آثاره و این

قصه و زواره فیکت

الجارية بکاء شدیدا

وقالت یا شیخ کانوا فيه

على سبيل العار فيتم قتلهم

الاقدار الى دار القرار

وهكذا حالة الدنيا ترحل

من سكن اليها وتعي من

أحسن اليها قالت فقلت

لها يا جارية مررت في

بعض الاعوام على هذا

القصر فسمعت فيه جارية

تفنى بصوت شجي فن

تلك الجارية قال فیکت

وقالت هو انما لم يبق احد

من أهل هذا الدار غيري

فالويل لمن عرفته الدنيا

فقلت لها يا جارية كبت

يقر بك القرار في هذا

الموضع الخراب فقالت

يا شيخ ما أعظم جفاك اما

علمت أن هذا منزل

الاحباب كيف افارقه

ثم جمات تقول هذه

الآيات

قاونا اتقى وقوفنا ما زلهم

ونفس مثلك لا في تحملها

فلمات والمالب قد ضجت

اضالهم

والروح تنزع والاشواق

تبذلها

منازل الحب في قاي مظمة

وان خلا من نعيم الوصل

منزلها

فكيف انزكها والقلب

يتمها

حبا بمن كان قبل الموت

فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألله الحارث أن أعمل سابقات أى دروعا
كواهل واسعات وقد روي في السرد أى لا تحمل المسامير رقاقا فتملق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك
حتى اعتد من ذلك مالا (وروي) أن أنفاس الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من
ذلك ولم ير ما هو فإراد أن يسأله فسمكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص
هَذَا للرجل الخارب فلم لفان ما رآه به فقال الصمت حكمة وقليل فاعلمه

(باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك)

قال الله تعالى وهل أتاك نبا الخضم إذ تسوروا الخراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف
العلماء باختبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى فيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم
كان سبب ذلك أن نبي يومان الإيام عرى بر تعالى منزلة أباه إبراهيم واسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه
بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيهم من الفضل مثل لذي اعطاهم (أروي) السدي والكبي ومقاتل عن
أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين
الناس ويوما يخلو فيه به بنسائه ويوما لمبادء ربه وقرأة الكتب وكان يجد فيها قرأ من الكتب فضل إبراهيم
واسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يا رب أرى الخيرة قد هت به أبائي الذين كانوا قبل فارحي الله تعالى
إليه انهم ابتلوا بلايا لم يبتل بها احد فصبر واعلمها ابلي إبراهيم عليه السلام بنار النمر وذو بن نج وانه وابتلي
اسحق بالنج وابتلي يعقوب بالحزن وذهب بصره على يوسف بانك لم يبتل بشي من ذلك فقال داود عليه
السلام يا رب فابتلي كما ابتليتهم واعطني كما أعطيتهم فأوحى الله تعالى إليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا
فاحرص على الصبر فلما كان في اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه واغلق بابا وجعل يصلي وقرأ
الزبور فينبأ هو كذلك أذعه الشيطان وتثلم في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حين فوقت
بين يديه ثم بدله ليأخذها (وفي بعض الروايات) ليدهفها الى ابن له صنف فلما أهوى إليها طارت غير
بميد من غير أن تفسه من نفسها فامتنع إليها ليأخذها فنبتحت فبته فطارت فوقت في كرة فذهب
ليأخذها فطارت من السكوة فنظر داود ابن تقع فيميت ليها من يصيدها فظفر الى امرأة في بستان على
شط بركة فتغلل هذا قول الكبي وقال السدي رآها تغسل على سطح لها فراها امرأة من احسن النساء
خلفا فحجب داود من حسننها وحانت منها التمامة فابصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى
بسنها كله فزاد بذلك إعجابها فقال عنها فقيل له هي سابع بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في
غزة إلهاء مع أوب بن صور بابان اخت داود فكتب داود الى ابن اخته أوب صاحب بيت البلاء
أن ابث أوريا الى موضع كذا ركنا وقمعه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع
الى مرأته حتى تفتح الله على يد به أو يستشهد ببعث به ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود
أيضا أن ابثه الى غزوة كذا وكان رئيسا أشد منه باسا فبعثه ففتح في المرة الثانية فلما انتصت عدتها
تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحان الله نفسه حدثه ان يطبق قطع
يوم فيرمي غارقة سيده وعن الحسن اخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر اربعة اجزاء
يومنا سائه ويوما لمبادء ربه ويوما يغضاه حوائج المسلمين ويوما يني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه
يسألهم ويسألونه فلما كان يوم نبي اسرائيل ذكر افعالوا هل يابى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا
فاضمر داود في نفسه انه سيطبق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه احد
وانكب على التوراة فينبأ هو بقرأته و هو بحمامة من ذهب فيها كل شيء حسن قد وقعت بين يديه فاهوي

فقلت وعليكم السلام
 ورحمة الله وبركاته ثم وقع
 في خاطري سؤالهم عن
 كونهم من الجن أم من
 الانس وان البقرة بقعة
 غريبة فقال قائل منهم
 قد جرت بنتا مسئلة
 واختلقتنا فيها ونحن
 نفر من الجن قد سمعنا
 كلام الله من نبيه محمد صلى
 الله عليه وسلم ليلة من
 الليالي فسلبتنا منه كلامه
 جميع الدنيا وقد قبض الله
 لنا هذه البقرة في هذه
 البرية قال اراهم فقلت كم
 بيني وبين اصحابي وهل
 حضر هذا الموضع غیری
 فقالوا ان هذا الموضع لم
 يحضر اليه آدمي قبلك غير
 شاب من اصحابك وتوفي
 هنا وهذا قبره ثم اشاروا
 الى شفير تلك البحيرة
 فرأيت قبراً حولها باحین
 وروضة خضراء لم أر
 أحسن منها ثم قالوا
 اتدري كم يدرك وبين
 اصحابك فقلت الله اعلم
 فقالوا مسيرة سنة قال
 ابراهيم فنجيت من ذلك
 فقلت اخبروني عن الشاب
 صاحب هذا القبر فقال
 قائل منهم بيننا نحن قومود
 على شفير هذه البحيرة
 ننذاكر الحجة ونجاور
 فيها اذا نحن بشخص قد
 اتقبل الينا وسلم علينا
 فردنا عليه السلام وقلنا

كان يمزع على غيره من حنده اذ اهلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأة فمات به الله على ذلك لان ذنوب
 الانبياء وان صغرت ففي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنوب داود ان اورياه كان قد خطب تلك المرأة
 ووطن نفسه عليها فلما غاب في غرامه خطبها داود فزوجت منه لحالته فغتم لذلك اورياه ما شديدا
 فاتبه الله على ذلك حيث لم ترك هذه الواحدة لخطاها الاول وقد كان عنده تسعة وتسعون امرأة وذلك
 قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه وبما يصدق ما ذكرناه
 ما قيل عن المغفر بن المتهدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد انه في المعافى عن ذكر ما بين أنس بن مالك قال
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظرا الى المرأة قطع على بني اسرائيل
 ماثوا ووصى صاحب البلقاء اذا حضر المدفون فلتا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان
 يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملاك
 ايضا عليه قصته ففطن داود وسجد شكرا رب اربابه ساجدا يبكي حتى نبت ازرع من دعوته حول
 رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده ذل داود زله ابعثا بين المشرق والمغرب رب
 ان لم نرح ضعه داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام
 بمأمر ارباب ليله فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود صعدت ان الله قادر
 على ان يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف يغفل اني اورياه اذا جاء
 يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود قال جبريل ما سألت ربك عن ذلك واثن شئت لافعلن قال
 نعم فارجع جبريل عليه السلام وسجد داود فبكيت ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي
 أرسلني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يحكمكم اليوم بالقيامة فيقول له بلي دمك الذي عند داود فيقول هو
 لك يا رب فأقول انك في الجنة ما شئت وما تشتهي وعوضا عن دمك * أخبرنا ابن فتحو به باسناده عن كعب
 الاحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا
 في صورتهما فمرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انما فتناه فخر ساجدا اربابين يوما
 لا يرفع رأسه الا الحاجة لا بد منها اوصلا مكتوبه ثم يمود فيسجد عام اربابين بولاليا كل ولا يشرب
 وهو يبكي حتى نبت الشب حول رأسه وهو يناوي به تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده
 يسبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلائق بما يشاء يسبحان خالق النور يسبحان الخالق بين القلوب الهى
 خايت بيني وبين عدوى ابليس فلم آتبه لفتته اذ زل في قدمي يسبحان خالق النور الهى تبكي الشكى على ولدها
 اذا فقدته ويبكي داود على خطيئته يسبحان خالق النور ينسل الثوب فيذهب رثه وسجودا والخطيئة
 لازمة لا تذهب عن يسبحان خالق النور الهى لم أنظما واعظت به غیری يسبحان خالق النور الهى
 أمرني ان أكون لثيتم كلاب الرحيم والارملة كازوج المطوف فنسيت عهدك يسبحان خالق النور
 الهى خلفتي رضى سابق علمك كان ما ما صائر اليه يسبحان خالق النور الهى الوليل لداود اذا كشف
 عنه انظاء فيقال هذا داود الخطا يسبحان خالق النور الهى بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر
 الظالمون من طرف خفي يسبحان خالق النور الهى باي قدم أقوم أمامك يوم زل اقدام الخطاين يوم
 القيامة من سوء الحساب يسبحان خالق النور الهى مضت النجوم وكنت أعرفها باسمها اني نسي فتكرهني
 والخطيئة لازمة لى يسبحان خالق النور الهى امطرت السماء ولم تنظر حولي واعشبت الارض ولم تشب
 حولي بخيئتي يسبحان خالق النور الهى انا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك يسبحان
 خالق النور الهى انا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهم يسبحان خالق النور الهى

فقال من مدينة ساور
فقلنا له في خرجت منها
فقال منذ سبعة ايام فقد له
وما الذي اخرجك منها
واخرجك من وطنك
فقال سمعت قوله تعالى
وانبئوا الى ربكم واسئلوا
له من قبل ان يأتيكم
العذاب ثم لا تنصرون
فقلنا له ما معني الانابة وما
معني التسليم وما معني
العذاب فقال الانابة ان
يرجع بك منك اليه ولم
يذكر التسليم في الاصل
ولله اراد ان العبد يسلم
نفسه لله تعالى ويعلم انه
اولي به ثم قال والعذاب
وصاح صيحة عظيمة
ومات رحمة الله عليه
فواربناه بالتراب وهذا
قبره رضي الله تعالى عنه
قال ابراهيم فتعجبت مما
وصفه لي فدنوت الى
قبره فوجدت عنده باقة
نرجس كلها راحة عظيمة
ومكتوب على ورقة منها
هذا حبیب الله قتيل الغيرة
وعلى ورقة اخرى صفة
الانابة قال ابراهيم فقراءت
لهم ما هو مكتوب على
النرجس وفسرته لهم
فوقع بهم الطرب فلما
افقوا قالوا قد وجدنا
جواب مسئلتنا فوق
النوم على ما انتهت الا
قربان اصحابي بسجد

كنت استر الخطيئين بخطاياهم وانت شاهد حيث كانوا سجد خالق النور الهى رقيق القلب وجدت
الدينار من محبة الخلق على جسدى سبحان خالق النور الهى الطير تسبح لك واذ العبد الخطيى
الضعيف الذى لم اع وصيت - سبحان خالق نور الهى ابو ال داود مر الذنب العظيم ارى اصاب
ولا علم بذلك سبحان خالق النور الهى انا المسكين و انت المنيث فما يدعوا المسكين الا المنيث سبحان
خالق النور الهى اسألك باني ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ان تطهني وتطهني على سبيل خالق النور
اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لمواتي فانك ارحم الراحمين سبحان خالق النور الهى
انى اعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور
الهى انى اعوذ بك وبوروجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني سبحان خالق النور الهى فرت اليك
من ذنوبي واعتزفت بخطيئتي فلا تخلمني من القاطنين ولا تحزن لي يوم يمدون سبحان خالق النور الهى فرغ
الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيئتي الزم لي من جلدى سبحان خالق النور قالوا
فاذا الداء اجتمع انت فطعم اوطأ انت فتسقى او مظلوم انت فتعصرو لم يحبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح
صيحة فهاج منها ما حوله ثم نادى ياربى الذنب الذى اصبته فنفوذى ياد اودا فرغ راسك فقد غفرت لك
فلم يرفع راسه حتى اناه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام اناه نداه انى قد
غفرت لك فقال يارب كيف وانت لا تعلم احدا فقال اذهب الى قبر اورياه فناداه وانا اسمعه نداءك فدخل
منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى اتى قبره وقد لبس المصح فجلس عند قبره ثم ناداه يا اورياه فقال
ليبك من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جاء بك يا بني الله قال جئت اخلل لما كان
مني اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وانت في حل فاحي الله تعالى
الى داود عليه السلام اتم اتم انى حكم عدل لا اقضى الا بالحق الا علمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق
داود اليه فناداه يا اورياه فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال انا داود قال يا بني الله ما حاجتك
اليس قد عفوت عنك قال نعم لكن انا ما فعلت بك ذلك الا لمسكان امرأتك وانى قد تزوجتها قال
فسكت اورياه ولم يحبه فدعاه فلم يحبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل لي ثم الويل لداود
سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له
الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له
حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب
على وجهه مع الخطيئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يقربه
الى باينة مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فاتاه النداء من السماء ياد اود قد غفرت لك ذنبك
ورحمتك ورئت اطول مكانك واستجبت دعاءك واقات نثرتك قال يارب كيف لي ان تعفو عني
وصاحي لم يعف عني قال ياد اود وان يعف اولم يعف فانا اعطيه يوم القيامة ما لم نر عيناه ولم نسمع اذناه
فاقول له قد رضيت عبيد فيقول يارب من اين هذا ولم يعف عني فاقول هذا عوض من اجل عبيد
داود فاستوهبك منه فيهلك فقال داود يارب الا ان قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل
فاستغفر ربهم وخر را كما وازاب فقفرنا له ذلك وازله عندنا في وحسن ما تب وروى ابو معشر عن محمد
بن كعب ومحمد بن قيس قال في قوله تعالى وان له عندنا لرزقي وحسن ما تب ان اول من بشر السكاس يوم
القيامة داود عليه السلام (اخبرنا) ابو الحسن محمد بن محمد بن علي اخبرنا بكر بن احمد بن معقل اخبرنا
عمر بن محمد اشرفي قال انظر السكي قال حدثنا ابو سعيد عبد الله القرني قال حدثنا محمد بن المنكدر عن

فوجدت في وطاني باقة
نرجس فشككت معي
سنة كاملة لم تمير فلما
كان بعد مدة يسيرة
فقدتها فتأسفت عليها
اسفا شديدا ورجعت
با كيا حزينا وحكي
عن بعضهم رضي الله
تعالى عنه انه قال رأيت
في منامي كان اهل القبور
قد خرجوا من قبورهم
الى ظاهر المقبرة فاذا هم
يلتقطون شيئا لا ادرى
ما هو فذهب من ذلك
ورأيت رجلا منهم جالسا
متفردا وحده لم يلتقط
معه فدنوت منه فسلمت
عليه وسألته ما الذي
يلتقطه هؤلاء فقال
يلتقطون ما بهيدي
المسلمون من القراءة
والصدقة والدعاء فقلت
له لم لا يلتقط معهم فقال
اني غني عن ذلك فقلت
له باي شيء انت غني
فقال بخدمة يقرؤها ولدي
بهديها الى في كل يوم
وليلة فقلت وابن هو فقال
شاب يبيع الزلاية في
السوق الفلاني قال فلما
سئلت من نومي
ذهبت الى السوق فاذا
اشباب جالس يبيع
الزلاية وبحرك شففيه
فانبت اليه وقلت له باي
شيء تحرك شفئك فقال

محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله اني رأيت الليلة في منامي كافي تحت شجرة والشجرة بقراءة سورة ص فلما بلغت الشجرة
الي السجدة سجدت فدمعتهما تقول في سجودها اللهم كتب لي بها اجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني
بها شكرا وقيلها مني كما قيلها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
أفوجدت انت يا أبا سعيد قال قلت لا يا رسول الله فقال انت أحق بالجدوة من الشجرة ثم قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فوجدت قال مثل قول الشجرة (قل وهب بن منبه) اذا داود
عليه السلام لما ناب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترفاله دموعه ليلا ولا نهارا وكان اصحاب
الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني اربعة ايام فعمل يوما للفضاء
بين الناس ويوما لنفسه ويوما يسبح في الهيا في الجبال والنفار والواحد ويوما يخلو في داره وفيها
أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم
سياحتج يخرج الى القيا فيرفع صوته كرامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحش حتي
يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجي الى الجبال فيرفع صوته كرامير فيبكي ويبكي معه الجبال والحجارة
والدواب والطير حتي تسيل الاودية من بكائهم ثم يجي الى الاحل فيرفع صوته كرامير فيبكي ويبكي
معه الحيتان ودواب البحر والثير والماء والسباع فاذا أسي رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى
مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها الحار ب فيبسط
له ثلاث فرش من مسوح حشوها اليف ليجلس عليها ويحجى الرهبان اربعة آلاف راهب عليهم
البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك الحار ب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح
فيرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتي يفرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ
يضطرب فاجي ابنه سليمان عليه السلام فيجمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه
ويقول يا رب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم امدلها
(أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان ابن أبي عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانه الى
اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روعي الا هي آتيت أطباء
عبادك ايدأوني فكلمهم عليك ولوني وقال صلى الله عليه وسلم خذ الدمع في وجه داود مثل خذ الماء في الارض
أخبرنا ابن فتحويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما اصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فأتى
راهبا في قلة جبل فدنا بصوت عال فلم يجبه فلما اكثرت عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي يناديني
قال انا داود نبي الله قال صاحب القصور الحنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات انزلت
الجنة بهذا لانت انت قال داود فمن انت قال انا راهب راغب وز ومترقب قال فمن ايسك ومن جليتك
قال اصدتراه ان كنت تريد ذلك قال فيخال داود الجبل ويرقى الى القلة فاذا هو ميت مسجي فقال له هذا ايسك
هذا جليتك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا
فيه انا فلان بن فلان ملك الملوك عشت اثم عام وبنيت الف قصر واثم مدينة وهزمت الف عسكر
وتزوجت الف امرأة واقتضضت الف بكر فيبدا اثم في ملكي اذا اني ملك الموت فاخذني واخرجني
فما كنت فيه فهذا التراب فراشي والندود جيران قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه * وعن نافع بن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يهودون داود عليه السلام فيظنون انه مريض
ومابه الا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما ناب الله على داود كان يبدأ اذاعا

نواها الى بالدى في قبره قال
فبكمت بعد ذلك مدة من
الزمان فرأيت في بعض
الليالي كما رأيته أولا وهو
اوان اهل القبور يلتقطون
واذا بالرجل يلتقط منهم
كما يلتقطون فاستيقظت
متعجبا ونهيت الى
السوق لانظر ما فعل
بالشاب فوجدته قد مات
رحمة الله تعالى عليه
فسألت الله تعالى ان يرني
مقامات اهل المقابر
فرأيت في نومي كل
القيامة قد قامت والقبور
قد انشقت فانهم النائم
على السندس ومنهم النائم
على الحرير والديباغ
ومنهم النائم على الریحان
ومنهم النائم على السرير
ومنهم الضاحك ومنهم
البكاى فقلت يارب لو
شدت ساويت بينهم في
في السكامة الواحدة
فنادي مناد من اهل
القبور يا هذا انما هي
منازل الاعمال ومحطات
الرجال (فاما) اصحاب
السندس فهم الالحاق
الحسن (واما) اصحاب
الحرير والديباغ فهم
الشهداء (واما) اصحاب
الريحان افهم الصادقون
(واما) اصحاب الضحك
فهم اصحاب التوبة (واما)
اصحاب البكاء فهم المذنبون

فيستغفر لخطائين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر لخطائين فمسك ان تغفر لداود منهم (وعن قتادة) عن
الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخطائين ثم يقول تماوا الى داود الخطيئة ولا يشرب
شرا بالاً وهو مروج بدموع عينيه وكان يحمل خبز الشعير الياس في قصده ولا يزال يبكي حتى يبتل
بدموعه وكان يذريه الملح والماء فيأكله يقول هذا اكل الخطائين قال وكان داود عليه السلام
قبل الخطيئة يقوم نصف الليل وبصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله
وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب اغفر لي قال نعم
قال فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر منها لي وللخطائين الي يوم القيامة قال فوتم الله خطيئته
في يده النخعي فارتفع بها طامعا ولا مشربا بالباكي اذا رآها وماقام خطيئتي في الناس الا بسط راحته فاستقبل
الناس ليرواسهم الخطيئة (واخبرنا) عبدالله بن حماد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب
الله تعالى تخامت اوصاله ولا يشده الا الابن فاذنكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن ابى عبدالله البجلي)
قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم
الدين ﴿باب في ذكر خروج ارجان داود على ابيه وما كان من امرها﴾

قال وهب وغيره من اهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى ان كان من
أمره وامرأة أورياه ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنوا اسرائيل
واستضعفوه واجتمع اهل الزيف من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن داود من ابنة طالوت يقال له شالون
وقيل ايشا وقتلوا له قد كبر ابوك واشتغل بخطيئته وتو به وضاعت حقوق الناس وضعف امر الملك
فلم يزالوا به حتى يابوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج
من بين أظهرهم مع ابن اخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فاشار قومه على ابنه ان يقتل اياه فلما بلغ ذلك
داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بآب قتل اياه فقال له الابن وهل سمعت انت بني
اذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد اذن لك في هلاكه فلا تبشرد انت فانه
لا يحمل في الآخرة حدونه منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين
فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه بفجارب ابنه فنهضه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه
ان يتوقى حقه ويتألف في اسره فطلبه القائد وهو منهمز فاضطره الى شجرة فربض بها وكان الغلام
زاجمة فعلق غصن من أغصانها بشعره فجذبته ولحقه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن
عليه داود حزنا شديدا وتنكر لئلا تذكر له بأس شديد في ملاقاته العدو ففكر داود ان يقتله فتركه لاجل
مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت اوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من
دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الي ان قبل الله توبته ورد عليه
ملكه ورجع الى قومه سنتين

﴿باب في قصة اصحاب السبت﴾

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البجراذين السبت الالية (قال) ابن
عباس وهب بن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال
لها يالة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وامرهم ان يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم
وذلك في زمن داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك
ويخرجون من الماء خراطيمهم حتى لا يرى الماء من كثرتهم حتى اذا مضى السبت تفرقوا ولزم مقر

من كبرائهم رحمة الله تعالى
عليهم اجمعين ورحمتنا
والسلامين آمين بحمد سيد
المرسلين (وحكى عن صالح
المرى رضى الله تعالى عنه
انه قال (اقبلت ليلة جمعة
الى الجماع فحدثت على
هقيرة فجلست عند قبر
هناك فقلبت النوم فسمعت
فرايت في منامي كأن اهل
القبور قد خرجوا من
قبورهم وقصدوا حلقا
يحدثون واذل الشابات عليه
ثياب دنسة جالس بجانب
القبر وهو عافى عوا فرىدا
بنفسه ثم لم يلبث الا ساعة
حتى اقبلت ثلاث شجرة
بايديهم اطباق من نور
مغطاة بمناديل من نور
فاخذ كل واحد منهم طبعا
من تلك الاطباق ودخل
في قبره الا هذا الشاب
فتماقت به وقلت له يا عبد
الله مالي اراك حزينا وما
هذه الاطباق فقال هذه
صدقات الاحياء ودعاهم
لموتاهم فأتيتهم كل ليلة جمعة
وبويعتني بكاء شديدا
وذكر ان له والدة قبيد
اشتغلت عنه بالدنيا
وتزوجت وتركته وقد
تخافت له الحزن والبكاء
والهيجب اذ ليس له من
يتذكره قال صالح فسالته
عن منزل والذته ابن هو
فوصف لي الموضع فلما

البحر لا يرى منهم الا القليل فذلك قوله تعالى اذ أتيتهم حيتانهم يوم سبئهم شرعا وهم لا يصدقون
لا أتيتهم كذلك بلوهم الآية (سمعت ابا العاسم) قال سمعت ابي يقول سئل الحسن بن الفضل
هل تجدني كتاب الله الحلال لا ياتيك الا قوتوا لحرام ياتيك جزا فقال نعم في قصة داود عليه السلام
وأهل ايلة اذ أتيتهم حيتانهم يوم سبئهم شرعا ويوم لا يصدقون لا أتيتهم قال فمعد رجال منهم فحدثوا
الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فخرجوا تلك الانهار فارتبيل الموج
بلحيتهم الى الحياض فلا تطلق الطريرج منها لبعدهم عن القرعة الماء فانما كان يوم الاحد واخذوا وقيل انهم
كانوا ينصبون الجبال والشخص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان لا تأتيهم يوم
السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا تأتيهم حوت واحد فاخذ رجل منهم حوتا رطب في ذنبه خيطا ثم ربه
الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فاخذته فشراده فوجد جداره ريع الحوت فقال له يا فلان
اني اجد في بيتك ريع الحوت فابكره فاطلع الجدار في تنوره فاذا هو في بيته فقال له اني اري الله سيعذك
فلما رأى العذاب لما اخذه اخذ في السبت الاخر حوتين فلما راوا العذاب لا يزل عليهم واخذوا وعلجوا
وأكلوا وباعوا وذاقوا وكثرت اموالهم ولم تنزل عليهم عتق بقت قلوبهم ونجبروا ونجبروا على الذنب
وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا انما احرم ذلك على آباء الاناسهم قتلوا ابناءهم فلما فعلوا ذلك
صار اهل تلك القرية وكلوا ونحووا من سبعين الف ثلاثة اصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك
ولم ينه وصنف انهم كانوا الحرة فكان الذين نهوا العاشرة فلما اتي الجرهمون يقول النصيحة قال
الذاهون والساكنون والله لا يخرج من القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قعدوا القرية
بينهم بمجدار ومكثوا على ذلك سنين فلما نهى الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم
على المصيبة فخرج اناهم من ذات يوم من بايهم والجرهمون لم يفتجروا بايهم ولا خرج منهم أحد فلما
أبطأ تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعهم قد مسخوا قرعة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به أنحيهم الذين ينهون عن السوء واخذوا الذين ظلموا بعذاب بئيس اى شديد بما كانوا ينسقون
فلما اعتوا عما نهوا عنه قلنا لم كانوا قرعة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لمن الذين كفروا
من بني اسرائيل على لسان داود يعنى عصاة أهل ايلة ويعيسى بن مريم يعنى كفار أصحاب المائة
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القرعة انسياءهم
من الاناس ولم تعرف الاناس انسياءهم من القرعة فجعل القرد يأني تسببه من الاناس فيشتم ثيابه ويبكى
فيقول له الرجل ألم انتمكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قرعة والشيوخ خنازير
فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج اناس مسخون من المدينة وعادوا على وجوههم متحيزين
ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم
يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريبا وطمرا فقتلهم في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى
صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو النصر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة
على وجه الارض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قرعة ألم تسمع قول الله
تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرب)

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكان في الحرب اذ نفثت فيه غم الفوم وكنا لحكمهم شاهدين

اصبحت ذهبت الي بيت
والدة الشاب وطرقت
عليها الباب فكلتني من
خلف الستر فغصصت
عليها القصة فلما سمعت
ذلك بكيت بكاء شديدا
ثم قالت يا صالح خذ هذه
الانس درهم فتصدق بها
على ولدي وقرعة عيني وانلم
انسه بقية عمري ان شاء
الله تعالى قال صالح
فتصدق عليه بتلك
الدراهم فلما كانت الجمعة
الاخرى اقبلت اريد
المسجد على العادة فالتيت
المقبرة واستندت ظهرى
الى القبر فسمعت فاداب الناس
قد خرجوا من قبورهم
واذا بالشاب عليه ثياب
بيض وهو فرح مسرور
فقبل نحوى حتى دنا مني
وقال جزاك الله عني خيرا
يا صالح قد وصال الهدية
قال صالح فقلت له انتم
تعرفون يوم الجمعة فقال
نعم وان الطيور يعرفون
يوم الجمعة ويقولون ليوم
الجمعة سلام سلام اللهم
ارحمتنا برحمتك واغفر لنا
وللمسلمين (وحكى عن
ذى النون المصرى رضى
قال الله تعالى عنه) انه
بينما انا سائر فى واد من
الادوية اذ مررت على واد
كثير الاشجار والنبات
من خضرتها وانما هره
وكثرة عشبه وازهاره

(قال ابن عباس وقتادة) كان الحارث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحارث كرما قد تدلت
عاقبده ان تفشت فيه غنم القوم رعته ليلانا سدمته والنفس بالليل والهمل بالهار وهما بهيما الرعى
بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شئ قاله ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على
داود أحدهما صاحب غنم والاخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا افلئت غنمه ليلانا
فوقمت فى حرثى فلم تبق منه شئ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحارث فمرا
على سليمان فقال لها كيف قضى بينكما فاخبرته فقال سليمان لو اوتيت امرى انما انقضيت بغير هذا فاخبرنا
بذلك داود فدعا فقال له كيف كنت تصنع فى القضاء بينهم قال كنت ادفع الغنم الى صاحب الحرث
سنة فيكون له نساها وصوفها ومنافها ويبدى صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام
المقبل وصار الحرث كهيئته يوم اكل فيدفع الى اهله وياخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود
وشريح ازرعيا نزل ذات ليلة بحجب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فاكت الفضيان
وأفدت الكرم فدار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن
بين من الاغنام وغنم الكرم تفاوت قال فمرا بسامان وهو ابن احدي عشرة سنة فقال لها ما قضى
بينكما داود فتصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا ارفق بالفريقين فماد الى داود فاخبرته بذلك
فدعا سليمان وقال بحق النبوة والابوة الا ما اخبرني بالذى هو ارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام
الى صاحب الكرم لينتفع بنسلاها وصوفها ومنافها ويهمل الراعى فى اصلاح الكرم الى ان يعود
كهبيئته ثم يذهب صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك
قوله تعالى ففهمنا عا سليمان وكلنا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يمتف
الله داود فى حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد نصيب

(باب فى قصة اسد بن خضير داود ابنه سليمان عليه السلام وذكر بعده امر الخاتم)

قال ابو هريرة رضى الله عنه انزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام فمختما بخاتم من
ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة فاروحى الله تعالى اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو اخرجها فهو
الخليفة من بعده قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا واجلس سليمان بين ايديهم
وقال يا بني ان الله تعالى انزل على كتابا من السماء فيه مسائل وامرني ان اسألك عنها فان اخرجتها
فانت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفى الله قال الله تعالى يا نبي ما اقرب
الاشياء وما ابعدا وما آنس الاشياء وما اوحشها وما احسن الاشياء وما اقبحها وما اقل الاشياء
وما اكثرها وما القائن وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذى اذا ركبته الرجل
جد آخره وما الامر الذى اذا ركبته الرجل دم آخره فقال سليمان عليه السلام اما اقرب الاشياء
فالاخرة واما ابعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وما آنس الاشياء فمجسد فيه روح واما اوحش
الاشياء فمجسد لا روح فيه واما احسن الاشياء فلايمان بعد الكفر واما اقبح الاشياء فالكفر بعد
الايمان وما اقل الاشياء فاليقين واما اكثر الاشياء فالشك واما القائنان فالسماء والارض
واما الساعيان فالشمس والقمر واما المشتركان فالليل والنهار واما المتباغضان فالموت والحياة واما
الامر الذى اذا ركبته الرجل جد آخره فالخلم عند الغضب واما الامر الذى اذا ركبته الرجل دم آخره
فالحدة عند الغضب قال ففكروا الخاتم فاذا اجاب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون
والرهبان لانرضى حتى نسأله عن مسألة فان اخرجها فهو الخليفة من بعده فقال سليمان عليه السلام

سألوني وما ترفيقي فقالوا له ما شئ الذي اذا صلح صلح كل شئ من الانسان واذا فسد فسد كل شئ من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصدور المنبر فحمد الله تعالى وانني عليه ثم قال ان الله تعالى يامرني ان استخلف عليكم سليمان قال فضجعت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفيما هو افضل منه واعلم فيناغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء اسباط بني اسرائيل وقال لهم انه قد بلغني مقالكم فانروني نصيكم فاي عصا انمرت فان صاحبها ولي هذا الامر بهدي قالوا قد رضينا فاجاؤا بعضهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بيتا واثاق عليها الباب وسد الباب وقال وحرسه رؤساء اسباط بني اسرائيل فلما اصبح صل بهم الفدرة ثم اقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كعصي واما عصا سليمان فقد اورقت وانمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأي ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان هذا خليلي عليكم من بهدي (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يا بني اياك والحزل فان نفعه قليل ويهيج المداواة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بقوة الله وطاعته فانها يغلبان كل شئ واياك وكثرة الغيرة على اهلك من غير شئ فان ذلك يورث سوء النظم بالناس وان كانوا براء اقطع طمعه عن الناس فان ذلك هو الفتن واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك وما يعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت ان يكون يومك خيرا من امسك فاقبل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء وتردد على عالم ولا تمار في الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارح رحمة الله فانها وسعت كل شئ (قالوا) ثم ان سليمان بعد ان استخلف اخفى امره وتزوج امرأة واستتر عن الناس واقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم باي انت وامي ما اكل خضالاكا وطيب رائحتك ولا اعلم لك خصلة اكرها الا انك في ونة ابى فلو دخلت السوق فمرضت ارزق الله ارجوت ان لا ينجيك الله فقال سليمان اني ما عملت عملا قط ولا احسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يندر عوشي فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان اعينك وتطبخني شيا قال نعم قال فاعانه فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم هما شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذها وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل واخذ السمكتين وجاه بهما الى امرأة ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم وابسه في اصبعه فمكثت عليه الطير والرياح ووقع عليه بها االك ثم لم يلبث ان ابودان مات فلما مات حمل المرأة وابها الى اصطخر والله اعلم

باب في ذكر وفاة داود عليه السلام

(قال الشيخ ابو يزيد) سمعت الشيخ ابا عمر والثغفاري يروى ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تملق الابواب كل ليلة وتأتيه بالماضي ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة فانفلتت ذات ليلة الا ابواب وجاهت بالمناياح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقلت له ما ادخلك هذه الدار فان صاحبها رجع غورا فخذ حذرک فقل لها ان الذي ادخل الدور على المملك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في الحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فاتاه فقال داود ما ادخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له ان الذي ادخل الدور على المملك بغير اذن فقال له

وشربوا من كؤوس شرب

اذ فانت ملك الموت قال نعم قال اجئت داعيهم ناعيا فقال بل ناعيا فقال دارد عليه السلام فها لارسالت الى قبيل ذلك واودنتي لاستعد للموت فقال كم رسالت اليك فلم تنقبه قال ومن كانت رسالتك التي ارسلت الي فقال ياداد ابن ابوك ايشا وابن امك ابن اخوك وابن جارك ابن قهارمك ابن فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال اما علمت اهم رسلتي اليك وان الذوبه تملكك (قال) استأذني رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء يمني اخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظله بعض الشعراء فقال

واذا حلت الي القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول

وانذا وليت امور قوم مدة * فاعلم بانك عنهم ممزول

وقال اهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه اربعين سنة وقدم في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

(مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام اعظم ملكا من ابيه داود واقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تميدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه مائةين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان سليمان عليه السلام وذوالقرنين واما الكافران فالفرزدق بن كتمان وبختنصر

(باب في صفة حليته عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان ابيض جسيما وضيقا جميلا كثير الشعر يابس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يحافظ المساكين ويحياهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان ابوه في ايام ملكه يشاوره في كثير من امور مع صغرسنه ورفورغته وعلمه صلى الله عليه وسلم

(باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من انواع المناقب والمواهب وغير ذلك) قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فض لنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبرنا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك انت الوهاب فاجاب الله دعاه فاعلمه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك انت الوهاب كما قال عز وجل فمسخنا له الريح تجري بأمره ريحا حيث اصاب اي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من اصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزا لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسبح ملك في ناحية من الارض الا اتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا اراد الغزو أمر بمسكه فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سر يرمي بحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد انما يصرف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا اقلتها أمر الرخام فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته الى حيث اراد كما قال تعالى وسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكروا ان رجلا نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا بكتبه بعض اصحاب سليمان اما من الجن او من الانس نحن نزلناه وما نبينا وسبنا

ثم انشد يقول

قد كان لي دمع فافتيته

وكان لي جفن فادميته

وكان لي جسم فابليته

وكان لي قلب فاضيتته

وكان لي بايدي ناظر

أرى به الخلق فاعميته

عبدك اصحى سردي ومثما

لوشئت قبل الموت اعلمته

ثم قال غططنا له تعالى

سیدی بهم فالخفتي

ولسا وفتم وفني

قال ذوالنون فقلت سیدی

أوصني بوصية اتفجع بها

فقال عليك بتقوى الله في

السمر والمال نية فان من

احبه الله شوقه الى لغائه

فان له يوما يتجلى فيه على

أوليائه ثم غاب عن بصري

فلم اره نعمنا الله تعالى بهم

وإلهوهم وهدانا من هدوهم

آمين (وحكى عن الواطئي

رضي الله تعالى عنه) انه

قال بينما انا سائر في البادية

ذ رأيت اعرايا جالسا

متفردا بنفسه قد نوت

منه وسلمت عليه فرد على

السلام فاردت ان اكله

فقال استعمل بذكر الله

تعالى فان ذكره شفاء

القلوب ثم قال كيف يفتر

ابن آدم عن خدمة خاله

ورازقه وكيف يشغل عن

ذكره والموت في انره

وكيف يستعين بغيره وهو

ناظر اليه ثم بكى فبكيت

يا حبيبي مالي اراك وحيد
 فوال ما انا وحيد والله معي
 وما انا بفرد والواحد
 يؤنسني ثم قام ومضي
 مسرعا وقال سيدتي ان
 اكتر خلقك مشغول عنك
 بفريك وانت عوض عن
 جميع ما فات مني يا صاحب
 كل غريب ويا مؤنس كل
 فريد وجمعن عشي وانا
 خلفه فالتفت الى وقال
 ارجع عافاك الله الى من
 هو خير لك مني ولا تشغلني
 عن هو خير لي منك ثم
 غاب عن بصري فلم اره
 رضي الله تعالى عنه ونفمنا
 به رمدنا من مدره في الدين
 والدنيا والآخرة آمين
 (وحكى عن ذي النون
 المصري ايضا رضي الله
 تعالى عنه) انه قال بينما
 أنافي الطواف اذ لمع نور
 ملحق بعنان السماء
 فنجبت من ذلك النور
 قائمت طوافي وأسندت
 ظهري الي الكعبة متفكرا
 في ذلك النور فسمعت
 صوتا شجييا بنعمة ذي
 خشية فنبعت
 الصوت حتى أوقعتني
 بحجارة متعلقة بأسناد
 الكعبة وهي تبكي وتشد
 وتقول

انت تدري يا حبيبي
 من حبيبي انت تدري
 ونحول الجسم والمه

وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائجون ان شاء الله تعالى فباتون الشام قال وكان
 فيما بلغني تمر بمسكرة الريح الرخاء تهوي به الى حيث اراد وانها لتمر بالزرعة فلا تحركها واخبرنا
 الحسن بن محمد بن فتحويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب
 الريح يوما فمرت بحرات فظفر اليها الحرات وقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح
 كلامه والفته في اذن سليمان عليه السلام فنزل حتى اتى الحرات وقال له اني سمعت قولك وانما
 نزلت اليك لئلا تمنى ما لا تقدر عليهما تبديعة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال
 له الحرات أذهب الله همك كما أذهب همي (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام
 بساطا فرسخا في فرسخ دها في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط السباط فيقعد عليه
 وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
 الفضة وحوهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلم الطير باجنحتهم المثلث قطع عليهم الشمس وترفع
 ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الزواجر ومسيرة شهر من الروح الى الصباح (اخبرنا)
 ابن فتحويه باسناده عن محمد بن كعب القرظي قال بلغني ان عسكرا سليمان عليه السلام كان مائة
 فرسخ خمسة وعشرون منها الانس وخمسة وعشرون منها الاجن وخمسة وعشرون منها اللوحوش وخمسة
 وعشرون منها لاطيور وكان له الف بيت من القوار يرعى الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة
 فيأمر الريح العاصفة فتجملها بأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض
 اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق بشيء الا اجأت به الريح اليك فاخبرتك به (ومنها)
 تعليم الله له كلام الطير حتى التل كما قال الله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فتحويه)
 باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال اما تقول ليت ذا
 والملوت وابنوا للخراب وصاحت فاخته عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال اما تقول ليت ذا
 الخلق لم يخافوا وصاح طاس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدن وتدنا وصاح هدهد فقال
 أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم من لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال
 انه يقول استغفر والله يا مذنوبون فمن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح
 الطيطوى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت كل جديد قال وصاح خطاف
 فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قسموا خيرا تجددوا فمن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبجان ربى الا على مله
 سمانه ومله أرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبجان الحى الذى لا يموت
 اذ اوصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يأس العشارين والحدة تقول كل شيء هالك
 الا وجهه والفاظ تقول من سكت سلم العنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبجان ربى
 الا على وبجمده والضفدع يقول سبجان ربى القدوس والمصفور يقول سبجان المذكور بكل مكان
 (واخبرنا ابن مبيون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سلمان عليه السلام فقال أتدرون
 ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى باسناده عن صالح المري عن الحسن قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك اذ اصاح اذكروا الله يا غافلون (وروى) عن جعفر بن محمد
 الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا بن آدم عش
 ماشئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس انس واذا صاح الفنبر قال اللهم

قد كنت الحب حتى

ضاق بالكتبان صدرى

قال ذوالنون فلما رأيتها

وسمعت ذلك بكيت

فقال الهى وسيدى

ومولاي يحبك الاما

غفرت لى فقلت لها

يا جارية اما تتقين الله فى

مثل هذا المقام تتكلمين

تمثل هذا الكلام وتقولين

يحبك لى من اين عرفت

انه يحبك فقلت اليك عني

ذا النون اما علمت ان الله

سبحانه وتعالى اقواما

يحبههم ويحبونه فهو احبهم

قبل ان يحبوه اما سمعت

قوله تعالى فى كتابه العزيز

فسوف ياتي الله بقوم محبههم

ويحبونه فسميت بحبته

لهم قيل محبتهم له قال

ذوالنون فقلت يا جارية

من اين عرفت انى ذو

النون ولم ترني قبل ذلك

اليوم فقلت اليك عني

يا بطل جالت القلوب في

ميدان الاسرار ففرقتني

بك العزيز الغفار قال ذو

النون فقلت لها يا جارية

مالى اراك ضيقة البدن

نخيلة الجسم وما بك سقم

فانشدت تقول

محب الله فى الدنيا عليل

تطاول سقمه فدواه داه

كذمان كان للبارى محيا

بهم يذكره حتى يراه

ثم قالت يا ذا النون انظر

المن مبغض آل عبد واذا صاح الخفاف قرأ الحمد لله رب العالمين وعبد الضالين كما عدها الفارى
(وقال فرقد السنجى) مرسلان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويعيل ذنبه فقال لاصحابه
انذرون ما يقول هذا الببلل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول اكلت نصف عمرة فملى الدنيا الغناه
(وأخبرنا) ابو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن ابيه قال كنم مع النبي صلى الله عليه وسلم
فى سفره فمررنا بشجرة فيها غراب حامية فآخذناها فى آيات الحمامة وشكيت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فيجع هذه الحمامة بفرجها فقلنا نحن فقال ردوها الى موضعها
(وروى) أرقية باضت فى طريق سايمان عليه السلام فقال الذكر الانثى ألم أهلك ان تبضي فى طريق
سايمان الملك لو ركب إلينا لحطم بيضنا فقلت الانثى ويحك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فسمع سايمان
قوله فبعث إليهما جنيا حين أرادان يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجلك وإياك أن تصيبه بشيء
فأمر سايمان فى موكبه وجارزها قالت الانثى ألم اقل لك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فقال الذكر
الانثى عندى الملك هدية قالت وما عندك قال عندى جراد اذخرته لولدى ففالت الانثى عندى ثمرة
ادخرتها لولدى قال فأخذنا الثمرة والجريدة ثم طاروا حتى وقفا بين يدي سايمان وهو عسيره فى مجلسه
فوضعاهما بين يديه وسجد له فدعا لهما مسح يده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التى على
رأس الثور من مسح سايمان عليه السلام إياهما * قال ومر سايمان بموكبه على نلة ففالت النملة سبعان
الله العظيم ما أعظم ما أوتى آل داود فتبسم سايمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا انبئكم بخبر
هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول انقوا الله فى السر والمالينة والنصف فى الننى والتمرة والمدل
فى الغضب والرضا (وروى) ان سليلان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانسان والجن فمر بنملة
عرجاء ناشرة جناحها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لاغنى لنا عن رزقك فلا
تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سايمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى)
(وحكى) ان غلة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوق النملة ففالت النملة ما هذه الصولة وما هذا البطش
اما علمت انى امة من ائمة عبده ففشى على سليمان فلما افاق قال انثى بها قوتهم فما ألتها ففالت له جادى
رقيق وبدنى ضعيف واخذتنى ورميتنى فقال لها سيمان اجعلنى فى حل فانى لم أقصد ذلك ففالت
بشرط ان لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق فى شهواتك وضحكك ولا يستعين احد
بجهاك الا بذلته له قال قد علمت ذلك قالت فانت فى حل (ومنها قصد وادى النمل) قال الله تعالى
وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يؤذون أى بحس اولهم على آخرهم حتى اذا
اتوا على وادى النمل الاية قال الشهابى وكعب وغيرهما من اهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان
اذا ركب حمل اهله وحشمه وخدمه وكتابه فى مركبه الذي هم له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخازن يحمل
فيها اثنا عشر الحديد وقدرها عظاما بسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين الدواب امامه فيطبخ
الطباخون ويخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والارض والريج تنوى بهم فساروا
من اصطخر الى اليمن وتوغل فى البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان
هذه دار هجرة نبي يبعث فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم اتى ارض الحرم فرأى حول
البيت اصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فاوحى الله تعالى الى البيت
ما يبكيك فقال يارب هذا نبي من انبيائك وقوم من اولئك مروا على فلم يهبطوا بى ولم يصلوا عندى ولم
يذكروك بحضرتى وهذه الاصنام تعبد حولى من دونك قال فاوحى الله تعالى اليه لا تبك فانى سوف

فلم أر أحدا فرد عليّ وجهي نحوها فلم أرها ولم أدر أين ذهبت فأنسفت على فراها وتولت إلى الله تعالى بها فראيت بركتها الاجابة والقبول وحصول الخير نعمنا الله بها (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) امسك النيت عن بغداد سنة من السنين حتى كاد اهلها ان يهلكوا فاغتمسوا وتطهروا وخرجوا الى الصحراء يسألون الله تعالى ان يسقيهم غيثا فلم يسقوا وكان ذلك في ايام خلافة هرون الرشيد رحمه الله تعالى عليه فيباجم بلودون ويتوسلون الى الله تعالى واذا برجل من اهل الخير والصلاح والعبادة قد أقبل من ظاهر البرية أشعث اغبر لا يلبث اليه ومعه ثلاث بنات عذار كتهن الاقار فوقف بهناته في الطريق فشر عليه الناس وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال يا قوم ما بالكم مجتمعين فقالوا له يا شيخ خرجنا الى الصحراء ندعوا الله تعالى ان يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال لهم الشيخ هل هو غائب عنكم من المدينة حتى خرجتم

املؤك وجوها سجداً وانزل فيك قرآناً جديداً وابتعث منك في آخر الزمان نبيا هو احب الينا الى واجمل فيك عباداً من خاني يمدوني وافرص على عبادي برفضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النور الى اوكارها ويخنون اليك حينئذ الناقة الي ولدها والحمامة الي بيضها واطهرك من الاوثان وعبد الشيطان ثم امر الله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قرباناً فقبل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف نور وتشرب من اغ شاة وقال لمن حضر من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطى النصر على جميع من نواه ويكون السيف على رقبة من خالته وتباع هيبة مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا اخذه في الله لومه لا ثم فطوى الى ان ادركه وصدقه قالوا فكم اينما وبين خرجوه يابى الله قال قريب من اثم عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى اتى على وادي السهر واد من الخائف فتي على وادي الخمل فقامت ثملة ثمنى وكانت عرجاء تتكاسر وكانت مثل الذئب الضام وقال اشعي كانت ذات جناحين واختا وفي اسمها فاختبرني ابن يثوبه باستاده عن الضحك قال كان اسم ثملة سليمان طاحية وقيل خرم فنادت سليمان في موكبه يا ايها الخمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهما يشرون وكان لا يتكلم خلق الاحلام الى بيع والفتة في مسمع سليمان قال مقاتل فبيع سليمان كلامها من ثلاثة اميال فبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال اتيتني بها فتوبوها فقال لاحذرت الخمل هل سمعتم اني ظالم ام اعلمتم اني نبي عدل فلم قامت لا يحطمنكم سليمان وجنوده قامت الخملة يابى الله ما سمعتم قولي وهما يشرون مع اني ما اردت حمام النفوس وانما اردت حمام السلوب خشيت ان يصين ما عطيت فينتن ويشغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظمي فقات له الخملة هل علمت لم سمعي ابوك داود قال قالت لانه داوى جراح قلبي ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سلمت ركعتي الى ما اوتيت بسلامة صدرك وحق لك ان تلحق بابيك داود ثم قالت اندري لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ربح فقديم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي الآية (اخبرني) ابن ميمون باستاده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربعة من الدواب الهدد والصرور والنعلة والجملة (ومنها قصبة العنقاء) فاثبات القضاء والقدر (اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن حامد باستاده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها انك تاتين كذا وتفعلن كذا فقلت والله رب السماء والارض انما تجرص على المهدي والكن قضاء الله ياتي الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة في انقضاء فقلت العنقاء استأومن هذا فقال لها سليمان الا تخبرك بنحيب العجيب قالت بلى قال انولد الالة غلام بالبربر وجارية بالشرق هذا ولده لك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان في اضع المواضع بقدره الله تعالى وهو لها على سفاح في جزيرة في وسط البحر فقلت العنقاء يابى الله اوقد ولدهذان الولدان المذكوران قال نعم الالة قالت فهل اخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم ابيهما قال بلى اسمها كذا وكذا واسم ابيهما كذا وكذا فقلت العنقاء يابى الله انما ابطال القدر وافرقت بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفتم اليوم في العنقاء وكانت في كبر الجمل عظاما ووجوها وجه انسان ويدها يدانسان وندابها ندي امرأة واصبعها كذلك فحملت في الهواء حتى اشرقت على الدنيا فابصرت كل دار وما فيها وكل انسان وابصرت الجارية وهي في مبدعها ودجلوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة في الجزيرة شجرة الالة

لا ينالها طائر الا بمجد طيرانه ولها أغصان عظيمة تنز يد على الف غصن كل غصن كاعظم مايكون من شجر
 الارض كثيرة الورق فانخذت لها وكرفي وسط الشجرة عجيبا واسما عسريا وطيبا وأرضعتها وحضنت
 الجارية تحت جناحها وصارت تاتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل
 ولا تخبر أحدا بشأنها كي يتم امرها وهي تنفذ الى سليمان ونروح الى وكرا فلم سليمان بذلك ولم يبد
 لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطايع فصار لا يفر ليل
 ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزره عنه حتى نال منه مثلا طويلا
 وأمر أعظما فقال بولما صحابه كل صيد البروة وانده وما زانه قد نلت منه فلوركت البحر فانال من صيده
 فانه كثير الصيد وكثير المجانب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شئ من خلق الله صيدا
 وعجيب فامر الغلامان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهما السفن وجدلوا خذمن كل شئ يملكه وأخذمن الوزراء
 والندماء والمشيرين والعلماء والجواري والطباخين والحجابين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء
 وجميع ما يحتاجون ما يريد ويستشيرون من الملائكة وركب السفن وهرى في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح
 ولا يعرف شئ غير ذلك حتى سارهم مسيرة شهر فاسل الله تعالى على سفينته ربحا خفيفة فضر بها وساقها
 حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية رهي مسيرة خمسين سنة في منتهى تحسين ليلة كل ليلة مسيرة مئة ثم ركبت
 سفينة بابن الله تعالى واصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل
 شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويل لا يدري ابن منتهى ولا عرضها ولا عرضها ولا ذاهو بشجرة
 خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورق في عرض اذن الفيلة تنفوح ربيع الاقحوان
 ليس لها ثمرة يبيض الساق فقال لاصحابه اني ارى عجيبا ارى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا
 مثل طول ولا عرض ولا رى شجرة فيها كل حسن قد اعجبني منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى
 الجزيرة التي فيها الجبل وأرسلها عندها وقال لاصحابه اقيموا ههنا حتى امضي وابصر هذا الجزيرة وهذا
 الجبل الذي في وسطها هل عمارة او انرا دمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو
 ورقفته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا غير بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى
 أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ماهي لانها اخذت صغيرة
 ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها احد تسأل عنه ذلك فبينما هي متفكر في أمر السفينة اذا حس
 حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الكرك فنظرت بعينا وشمالا فلم تر احد فانظرت في أصل الشجرة
 فاذا بالامام ورقفته فتعجب من مكرات من حسنهم وجههم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام
 لما بلغ أصل الشجرة نظر بعينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفها في السماء وصار ينظر
 الى أغصانها وكانت الجارية قد اخرجت رأسها للنظر الى السفينة فحانت منه التفاتة الى أصل الشجرة
 فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجيبا من عظم جلالها وكثرة شعرها وذوائبها
 فقال لها الغلام بلسمان فصيح اجنية انت أم انسية قالت لا والله انان خيال الانس فمن انت فافهمها
 لغتي فقالت لا ادري ما تقول وما انت الان اني اري وجهك كوجهي وكلامك ككلامي وانى لأعرف شيئا
 غير العنقاء وهي امي التي ربتني وحضنتني وهي تأتي كل ليلة وتسميني بنتم فقال لها الغلام وابن العنقاء
 فقاتلت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تفدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى
 الليل ثم تبحثني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه ملك عظيم على انصافه في امي العنقاء عن ملكه وانها
 تخبرني ان احسن الناس وجهها اسم خلقا مني قال فارتد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسي

لا ينالها طائر الا بمجد طيرانه ولها أغصان عظيمة تنز يد على الف غصن كل غصن كاعظم مايكون من شجر
 الارض كثيرة الورق فانخذت لها وكرفي وسط الشجرة عجيبا واسما عسريا وطيبا وأرضعتها وحضنت
 الجارية تحت جناحها وصارت تاتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل
 ولا تخبر أحدا بشأنها كي يتم امرها وهي تنفذ الى سليمان ونروح الى وكرا فلم سليمان بذلك ولم يبد
 لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطايع فصار لا يفر ليل
 ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزره عنه حتى نال منه مثلا طويلا
 وأمر أعظما فقال بولما صحابه كل صيد البروة وانده وما زانه قد نلت منه فلوركت البحر فانال من صيده
 فانه كثير الصيد وكثير المجانب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شئ من خلق الله صيدا
 وعجيب فامر الغلامان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهما السفن وجدلوا خذمن كل شئ يملكه وأخذمن الوزراء
 والندماء والمشيرين والعلماء والجواري والطباخين والحجابين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء
 وجميع ما يحتاجون ما يريد ويستشيرون من الملائكة وركب السفن وهرى في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح
 ولا يعرف شئ غير ذلك حتى سارهم مسيرة شهر فاسل الله تعالى على سفينته ربحا خفيفة فضر بها وساقها
 حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية رهي مسيرة خمسين سنة في منتهى تحسين ليلة كل ليلة مسيرة مئة ثم ركبت
 سفينة بابن الله تعالى واصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل
 شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويل لا يدري ابن منتهى ولا عرضها ولا عرضها ولا ذاهو بشجرة
 خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورق في عرض اذن الفيلة تنفوح ربيع الاقحوان
 ليس لها ثمرة يبيض الساق فقال لاصحابه اني ارى عجيبا ارى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا
 مثل طول ولا عرض ولا رى شجرة فيها كل حسن قد اعجبني منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى
 الجزيرة التي فيها الجبل وأرسلها عندها وقال لاصحابه اقيموا ههنا حتى امضي وابصر هذا الجزيرة وهذا
 الجبل الذي في وسطها هل عمارة او انرا دمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو
 ورقفته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا غير بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى
 أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ماهي لانها اخذت صغيرة
 ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها احد تسأل عنه ذلك فبينما هي متفكر في أمر السفينة اذا حس
 حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الكرك فنظرت بعينا وشمالا فلم تر احد فانظرت في أصل الشجرة
 فاذا بالامام ورقفته فتعجب من مكرات من حسنهم وجههم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام
 لما بلغ أصل الشجرة نظر بعينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفها في السماء وصار ينظر
 الى أغصانها وكانت الجارية قد اخرجت رأسها للنظر الى السفينة فحانت منه التفاتة الى أصل الشجرة
 فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجيبا من عظم جلالها وكثرة شعرها وذوائبها
 فقال لها الغلام بلسمان فصيح اجنية انت أم انسية قالت لا والله انان خيال الانس فمن انت فافهمها
 لغتي فقالت لا ادري ما تقول وما انت الان اني اري وجهك كوجهي وكلامك ككلامي وانى لأعرف شيئا
 غير العنقاء وهي امي التي ربتني وحضنتني وهي تأتي كل ليلة وتسميني بنتم فقال لها الغلام وابن العنقاء
 فقاتلت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تفدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى
 الليل ثم تبحثني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه ملك عظيم على انصافه في امي العنقاء عن ملكه وانها
 تخبرني ان احسن الناس وجهها اسم خلقا مني قال فارتد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسي

الصالح فطابوه وفجوده
ساجدا في الصحراء في
الماء والطين لله رب العالمين
فواللبنات ما بال أيكن
لمرفع رأسه فقاتلته من
عادته اذا سجد لله عز
وجل لا يرفع رأسه الا
بمد ثلاثة ايام قال فاخبروا
ارشد بذلك فبكى وقال
اللهم اني اسألك وأتوسل
اليك بحجرة الصالحين
عندك ان تنهانا لهم وان
تقيض علينا من ركاتهم في
الدارين وجميع المسلمين
بالرحم الرحيم ﴿وحكى ✓
عن ذلك بن دينار عفا الله
عنه انه قال يا مسك الثيب
عنا سنة من السنين
نخرجنا الى الصحراء نسال
الله تعالى ان يسقينا غيثه
حق خرج معنا كبرنا
واغارنا واولادنا لكتاب
فلم نزل ندعوا ونضرع الى
الله تعالى وهم ومنون على
دعائنا ولم يزد النهار الا
صحوا ولا الشمس الا
حرا فعل الناس ومضوا
الى حوائجهم حتى صرت
انا ورفقي في الصحراء
فجلسنا بمسجد خرب
هناك فبينما نحن جلوس
اذ اقبل علينا غلام أسود
عليه خرقتان قديمتان
تساوي قيمتهما درهمين
فدخل المسجد وصلى
ركعتين فلما سلم قال
لمني وسيدى ومولاى

دولته واني لمن طفاؤه ومي يؤدي اليه الحراج وقد سخر الله الطير والرياح ثم بكى غلام ساعة فالت
الحارمة ما يكيك قال وجدتك في مثل هذا الموضع الذي لا انس فيه ولا أحدا من ذلك في الدنيا عدد الدار جبر
والمدركهم في مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنيء والرياء اللذة الحسنة مع الارواح يتعاقبون
ويقتسمون ويتوالدون الاولاد مثل خلدك وخلفتي أرايت ان حاجت الربيع فازعجتك من وكرتك من
منك ان تقمى في البحر وان وقفت في البحر فمن ذا الذي يخرجك قال ففزعنا الجارية من قوله قالت
وكيف لي أن يكون معي انسى ذلك بحدثي بمثل حديثك ويخفاني عما ذكرت فقال لها الغلام اولا نعلمين
ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الربيع والطير هو الذي رحلك وساقى اليك لا كون لك الفواصدا
وانسا واني لمن اولاد الملوك فالت الجارية وكيف تصيرلى وأصير لك وان المنقاء هذه تروح وتجيء
وتخضع لي صديدا بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكائك على المنقاء ليلتك
هذه فاذا جاءت اليك وقت لك ما يحبين وما تريد وما شئت فأكبرها بوجدتك في نهارك ثم انظري
ما يكون من ردها عليك فاخبرني بذلك ففعلت وان المنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها
يا بنية ذلك فقالت الوحشة قتلتني واني لمزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني
فاني استأمر سليمان عليه السلام أن أتيا يوما ويومالا أتية فيكون ذلك أنسالك فلما أصبحت اخبرت الغلام
بجوابها فقال لها وأتصيرين على ذلك لا راكبي ساخر من دوابي هذه فرسا وأبقربطنه واخرج ما فيه
وطايبه بطيب معي وادخل اناني جو فوفى والقي على رأس سفينة هذه فاذا جاءك المنقاء تقوين لها أرى
تجبرا أرى خلقه ملغاة على كوثل هذه السفينة فلو اخطفتها واحملتها الى مكانت معي في وكرتي فانظر اليها
وأنس بها كان احب الى من تراب كونك عندي نهارا وان مساكك عن اخبار سايمان واخبار المسلمين
فما رجعت المنقاء وجدت على حالها وكان سايمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذنها اياه في المقام
يوما والقد ووافقا لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عن اليوم بالحكم بين الاديين فلم اصل اليه قالت
لها اني لأرايت ان تتخلفي عنه نهارا المكان اخبار سايمان واخبار المسلمين واني أرى تجبرا في البحر أرى
شيئا مرتقا فاهو قالت لها المنقاء هذه سفينة قوم سيرة راكبين في البحر قالت لها الذي اراد ملقى على
رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة ألقوها قالت فاحتماهم الى لاسان سايمان وانظر اليها فانقضت المنقاء
فاختطفقت الفرس وكان الغلام في بطنها فحملتها الى عشها فقالت الجارية يا أمها ما حسنه وضحكت
ففرحت المنقاء بذلك وقالت يا بني لو علمت اكننت اتيك بمثل هذه منذ حين ثم انها طارت الى قوتها
عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلباعها ولا مسها وانقضت واحبها من ساعتها وفرح كل
واحد منهم لصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه خبر اجتماعها من قبل الربيع
وان المنقاء راحت وكان مجلس سليمان يوما فجلس الطير وحكهم فجلس سايمان عليه السلام للطير في
مرتبه ودعا بعرفاء الطير وامرهم ان لا تدعوا طيرا الا حشرتة اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم امر
عرفاء الجن ان يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والمعارات والنفوسات
والامصار فحشروا اليه وامر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيأتهم ثم كل دابة تدب
على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا في انفسهم نشهد بالله ان نبي الله قد امه عظيم فاول سهم قد خرج
في تقدم الطير سهم الحدأة وكانت الطير لا تتقدم الا بالسهم وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحدأة
تدعي على زوجها وكان قد جدها ولدها فقالت يا نبي الله انه سقني حتى اذا احتضنت ليضي وأخرجت
ولدي ججدينه فقال سليمان لذكره اتقول فقال يا نبي الله انها لا تمتنع من الطير وهي تحوم البراري فلا

وعيا لك افرغ ما عندك
 أم فقدت خزانك ثم
 قال بحبك لي الاماسيةتهم
 الغيث قال مالك فوالله
 ما فرغ من دعائه حتى
 تجلبت السماء بسحاب
 وأرعدت بالبرق واسبلت
 مطرا كافوا الغرب قال
 مالك فقلت والله ان هذا
 اعظم الجاه عند الله تعالى
 ثم قام وخرج من المسجد
 فقبضه ونحن نخوض في
 الماء لاركب فسال عيسى
 ونحن نقبضه من يده حتى
 دخل بيت رجل نخاس
 كنا نعرفه فلما دخل البيت
 انصرفنا الى بيوتنا وقد
 اشتغلنا بحبه فلما اصبح
 الصبح جئت الى النخاس
 لشراء الغلام فلما رآني
 سلم على وقال ما تريد مالك
 فقلت أريد غلاما عندك
 فقال النخاس وأى غلام
 هو فان عندي مائة غلام
 قال مالك فبحرت في نفسي
 حيرة شديدة اذ لم اكن
 أعرف للغلام اسما فقلت
 اعرض على الغلمان
 فعرض على ثمانين غلاما
 واحدا بعد واحد فلم أر
 فيهم ذلك الغلام ثم التفت
 خافي فرأيت موصما
 شربا فضيحت الى ذلك
 الموضع فاذا بالغلام قائم
 يصلي فلما نظرت اليه
 قلت هو هذا ورب الكعبة

أدري هل هو مني أو من غيري قال فأمر سليمان بولدها فنجى به فوجد الشبه واحدا فالحته بالذكر ثم قال
 لهما لا تمسكته من الناس حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يوجد بدها الى يوم القيامة فهي
 اذا سقطت فذكرها صاحبها وقالت باطير وسعدني اشهدوا به الطير اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء
 فتقدمت اليه فقال له سليمان ما قولك في القدر فقال يا بني المثل من القوة والا استطاعة ما دفع الشر وافل
 الخير فقال له سليمان فابن الشرط الذي كان بيني وبينك نعمت انك تفرق بين قوتك واسطة اعتك
 بين الجارية والغلام فقلت قد فعلت قال مليا بالله كيف انيها الساعة والخاف شهودا ولا صدق قولك
 ثم أمر عريف الطير ان يكون معه لا يفارقها حتى تاتي بها فترت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت
 الجارية اذا قربت منها العنقاء تسبح حفيف اجنحتها فيماد الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتهما
 البنت قالت لها كاذبة ان لك شاة ناذرت من ساعتك قالت لها اي امرى ان لي شاة هذا سليمان قد
 امر باحضارك الساعة لامر كان بيني وبينه في أمرك وانني لا أرجو انصرني اليوم فيك قالت لها كيف
 تحبلي قالت على ظهري قالت وهن استقر على ظهره وانى ارى احوال البحر فلا أن أن انزل فاسقط
 واهل قالت في منزلي قالت فكبب اصبر في منارك قالت لها كيف احب ولا بدلي من احضارك عند سليمان
 وهذا عريف الطير معي وقد دعا بك فبقي اليوم فقلت لها ادخلي في جوف هذا الفرس ثم ترفعيه على
 ظهره او في منارك فلما ارى شدة ولا اسقط ولا افرغ من شيء قالت اصبت قال فدخلت جوف الفرس
 واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدي سليمان
 عليه السلام فالت يا بني الله هي الآن في جوف الفرس فاين الغلام فنبس سليمان طولاً ثم قال لها
 أتقمتين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد في دفع قضائه وقدره وعلمه السابق السكائن على خير وشر
 فالت أو من بالله وأقول ان المشيئة مشيئة العباد والقوة فمن شاء فليعمل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت
 ما جعل الله من المشيئة للعباد شيئا ولكن من شاء الله ان يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون
 كافرا كان كافرا ولا يقدر احدا ان يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا يفعل ولا يعلم وان الغلام الذي قد ولد
 بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن في مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية
 من الغلام بولد فقال العنقاء لا تقل يا بني الله هذا ان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان الله اكبر
 ابن البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا بني الله قال سليمان انت على مثل قوله العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر
 الله السابق قبل الخلق اخرجهما على قضائه وشيئته قال فأمر البومة فتبعت جوف الفرس واخرجتهما اجمعا
 من جوف الفرس فاما العنقاء ففرغت وذهبت وطارت في السماء فاخذت نحو المغرب واختفت في بحر من
 بحاره وأمنت بالقدر وحلفت لا تنظر في وجه طير أبدا استجاء منه وأما البومة فانما الزمت الاجسام والجلال
 وقالت أما بالنهار فلا خروج لي ولا سبيل الى المعاش فهي اذا خرجت نهرا وبختم الطير واجتمعت عليها
 وقالت يا قدرية فهي تخضع لهما وهذا ما كان من شان العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب
 (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخلع والجلال والارباب التي اخرجهما من البحر في قول
 أكثر أهل الآثار قال الله تعالى اذ عرض عليه بالمشي الصافات والحياد والصفافات الخيل الفائتات على
 ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الخافر من يد وأرجل والحياد السريع قال الحسن بلغني انها
 كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلي غزا سليمان أهل نصيبين فاصاب منهم ألف
 فرس وقال مقاتل ورت سليمان من أبيه داود افسوس وكان ابيه أصابها من العاقلة قالوا فصل سليمان
 صلاة الظهر وقدم على كرسية فمرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكبريتها ولا يجاب بها حتى غابت

فقال النخاس وماتصنع

بهذا الغلام يا مالك وهو غلام مشؤم مكار قال مالك وما شؤمه ومكره فقال النخاس خذه وارحنه منه قال - لك فاخذته بعشرين ديناراً فقال النخاس يا مالك هذا ثمن كثير في هذا العبد فقال مالك والله انه قليل في ثمنه واني راغب فيه ثم اخذته بيده فقلت له ما اسمك يا غلام فقال ميمون قال فلما مضى من عند النخاس قال الغلام يا مولاي ماتصنع بي فقلت له لاخادمة فقال والله لم اخدم احداً من الخلقون وانما خدمتي لله رب العالمين فاحاك على شراء الغلام المشؤم قال مالك حلتى على ذلك ما رأيتك منك بلا مس في المسجد الخرب الذي بالصحرى قال مالك فتغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما اقبلنا الى مسجد كان قربان المنزل قال يا مولاي تاذن لى ان اصلى في هذا المسجد ركعتين فقلت نعم فدخل وصلى ركعتين وجلس على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال الهى وسيدى ومولاي كانت المعاملة بينى وبينك سرا والآن قد علم الخلقون ما قبضني اليك الساعة ثم شوق شقة

الشمس وفاقته صلالة مصر ولم يلب احد بذلك هيبه له فاغم لذلك وقال ردوها على فردوها فمقرها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقي منها مائة فرس ثمانى اى الناس من الخيل العرب فبى من نسل تلك المائة (وقل كمب) كانت الافراس اربعة عشر فامر بضرب اعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلم الله له كد اربعة عشر يوماً لا تظلم الخيل يقتل الاقل الحسن فلما عقر الخيل لا جراً - له الله تعالى مكانها خيراً منها واسرع وهي الريح تجري بامره رغاء كيف يشاء وغدوها شهر ورواحها شهر وكان يدوم ان يلباه فيقول في اصغر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) ان سليمان سار من ارض الرقاق غادياً فقال بمدينة مرو وصلى النهر بمدينة بلخ ثم لحه الريح وتظله الطير بخيله ورجوه ثم سار من مدينة بلخ متغلاً بلاد الترك ثم جاوزها الى ارض الصين ثم عطش يمينا على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض الهند ثم خرج منها الى مكران وكمران ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياماً ثم غدا منها فقال بكسكرك ثم رجع الى الشام وكان مسقطه بمدينة تدمر وكان قد امار الشياطين قبيل خروجه من الشام الى العراق ان يبنوا له تدمر فبنوها بالصقائح والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال للمليك * قم في البرية فاحددها عن الفند

وجيش اجيش انى قد ابحت لهم * بنا ما تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الايات منقورة في صخرة بارض كسكر أنشأها بعد اصحاب سليمان ابن داود عليهم السلام

ونحن ولا حول سوى حول بنا * نروح الى الاوطان من ارض تدمر

اذ نحن ونحننا كان امر راحنا * مسيرة شهر والنهد لا تخر

اناس سرنا والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للنبي المطهر

لهم في معالى الدين فضيل ورأفة * وان نسبوا يوماً فمن خير معشر

متى ركبوا الريح المطيعة امرعت * مبادرة عن شهرها لم تقصر

تظللهم طير صافوا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تقتر

رجعنا الى القصة وقال قوم من العلماء معني قوله تعالى فطقوا معاً بالسوق والاعناق حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميمص الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها واعناقها من الغبار قال وهي رواية الواقدى عن ابن عباس قال قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر في وقتها (حدثنا) ابو عبد الله عقال الانصارى باسناد عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل قال لا ريح الجنوب انى خالق منك خلفا فاجله عز الاوليان ومذلة لاعناقى رجلا لا اهل طاعتى فقات الريح الهى وسيدى ومولاي انى مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقك عريبا وجعلت الخرمعة ودانصيتك والغنائم تجرعة على ظهرك وعظفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وسأجعل على ظهرك رجلا لا يسبقونى ويحمدونى ويكبرونى فتعجبني اذا سجدوا وتملأنى اذا هملوا وتكبرنى اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دن تبيجة ونحوه وتجدد وتكبره صاحبها فتسهمها الا تجبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظر واخلفتها قالوا ربنا نحن ملائكتك تسبحك ونحمدك فاذ لنا فخلق الله لهم خيالا اعانها كاعناق البخت فلما ارسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه

عليها صاعل فقيل له يوركت من دابة اذ بصمك اذل الله المشركين واذل بك اعناقهم وملا بك اذانهم وارعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شيء قال له اختر من خافني ما شئت فاختار القوس فقيل له اخترت عزك وعز ذلك خذها واخذوا باقية ما بقاير كتي عليك وعليهم ما خلفت خلفا فحب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلمنا له عين الفطر اذ باع عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن وانما ينفع الناس اليوم بما اخرجه الله لسلماء عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس وطير والوحوش والشیاطین بعلومه ما شاء كما قال الله تعالى ومن الجن من يدعك بين يديه باذن ربك ومن يزغ منهم عن امرنا ندقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضر به ضربة احرقتة فما علمت له الشياطين بامره واحذوه له الخسافات والطواحين والقوارير والصابون واشياء كثيرة واحترفوا له نهر الملك والقوات ربه بين خافقين وقصر شيرين وما عملوا له النياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يفوضون له الآية وقال تعالى والشیاطین کل بناء وغواص وكانوا فوضوف في البحار ويستخرجون انواع اللآلئ والدر والرجان وسائر الجواهر البحرية وكاوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وانواع الجواهر الثمينة من المعادن وعم اول من فعل ذلك

﴿ حديث القبة ﴾

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله انظر الى عظم امواج البحر فدعته نفسه ان يعلم ما في قعر البحر فامر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسيه لمسكه ثم دعا رأس النواصين فقال له اختر لي من اصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل قال له اخترت من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من اسلمائين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتاتيني بالخبر فقال سمع وطاعة لك يا بني الله فغاص البحر وابعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رايت قال يا بني الله رايت الامواج اوحيتا فغيراني رايت ملكا عظيما فقال لي اين تريد فقلت له اني رايت سليمان ارسلني انظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه هني السلام وقل له ان قوموا ركبوا هذا البحر منذ اربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصالحونه فسقط من احدهم قدوم فهو يتجلى في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه واخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولما سمعوا كان قصده قال فينبهه وعلى شاطئ البحر اذ رأى قبة من زجاج تضرع بالالواح في اجرة البحر فاراضها وقال للنواصين غوصوا في اثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انتفع لها بابان بمصرعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب ابيض من اللين وكان رأسه تقطر ماء خيا حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يا فتى من الجن انت ام من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغك ما راى فقال يا بني الله كانت لي والدة وكنت من امر الناس بها اطعمها واسقيها يدي ولا اترك شيئا من صنائع البر الا صنعتها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعوا لي فرفدت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفتك برولدي فارزقه العباد في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدققتا فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا انا بهذه القبة فدعيتني نفسي ان ادخلها فلما دخلتها انطبقت على ابوابها وتراخت الالواح وكان هذا آخر عهدى يا بني الله فقال له سليمان فن ابن مطعمك ومشر بك فقال يا بني الله اذا كان الليل جاء في طائر ابيض في

قال مالك فدخلت اليه فوجدته يضج بك في موته فتأسفت عليه فينبهها انا كذلك انا يا شابين جميلين كنهما الا قمار قد دخلنا من باب المسجد فلما على وقلا عظام الله اخرجنا وأجرك في ميمون ثم أعطانى أحدهما كفتنا جديد ايفوح منه رائحة المسك قال مالك ففسناها وكفناه وصلينا عليه ودناها رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) حين جئت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وكانت سنة كثيرة الحر فلما كانت ذات ليلة غفوت قليلا فلما استيقظت اذا بي قد انقطعت عن الركب وصرت وحدي في البرية ولم ادر كيف أصنع فينبهنا انا كذلك اذ لاح لي شخص امامي فاسرعت نحوه فاذا هو غلام لابنات بدارضيه كانه القمر المنير أو الشمس الضاحية وهو يمشي ويتجسس كأنه في صحن داره فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال وعليك السلام يا ابراهيم فتعجبت منه ثم قلت سبحان الله

من ابن عرفني ولم ترق

قيل ذلك اليوم قتلت
ما جهات منذ عرفت ولا
قطعت منذ وصلت
قال ابراهيم فقلت له
مالذي اوصاك الى هذه
البرية في مثل هذه السنة
الكثيرة الحر قال يا ابراهيم
ما انت بسواه ولا راقت
أحدا غيره وأنى منقطع
بالكلية مقره بالربوبية
قال ابراهيم فقلت من اين
المأكول والمشروب فقال
تكفل لي المحبوب قال
ابراهيم فقلت له يا غلام أما
تخاف من بسد السفر
وطول المشقة فانشد يقول
شعرا

من ذا يخوفني بالبرأقطه *

الي الحبيب وقد قدمت

إيمانا

الحب افانني والشوق

أزعجني

فلا يخاف بحب الله انسانا

فان اجوع فذكر الله

يشبعني

ولا أكون بحمد الله

عطشانا

وان ضمعت فوجدني فيه

بحماني

الى الحجاز ومن اقصى

خراسان

قال ابراهيم فتعجبت من

كلامه على صغرته ثم قلت

له بالله عليك يا غلام

ما معرك فقال اثنا عشرة

سنة فقلت والله لقد

منقاره شيء ابيض فيدفعه الى فاكاه فهو يقيتي من الطعام والشراب فقال له سليمان ومن اين تعرف
الليل والنهار وانت في ظلمة هذا البحر قال يا بني الله في القبة خيطان خيط ابيض وخيط اسود فاذا رأيت
الخيط الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت انه الليل فقال له
سليمان هل لك في صحبتنا رغبة قال يا بني الله ان تشأ تاذن لي ان اعود الى قبتي فاذا ن
فانطلق ودخلها وانطبق عليه بلها وتزاحرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله
تو الى يعملون لهما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع
الجفنة الواحدة طعام الف رجل فيجتمعون عليهم ايا يكون بين يديه وقدر راسيات ثابتات لا تزول يسع
القدر الواحد عشرة جزر

﴿ قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء ﴾

(ومما) عملوا له مدينة من قواريب عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها الف سقف ما بين كل
سقفين عشرة اذرع في كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق اسفلها اغلظ من
الحديد واعلاها ارق من المساء يري من داخلها ما وراء خارجها من صفاته ونفاها والشمس بالنهار والقمر
بالليل وعلى السقف الاعلى قبة يضاه عليها علم ابيض يستضي به في الليل الداجي المسكر كاه يتلا *
شامع مد البصر وبها من الاركان الف ركن على منها كب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من
الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه واوليائه علوا وسفلا تحمّل الزيج الى حيث يشاء وكانت تلك
المدينة له مستقرا كالكل وبشرب ونيام ويتعج بها في اسفلها امرايط واصطبلات وأواخي
خليله ودوابه (ومما) عملوا له كرسى ملكه

﴿ صفة كرسى سليمان عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم انا بى يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام امر الشياطين
بالتخاذ كرسى يقعد عليه للفضاء وامر ان يعمل بديمامه ولا بحيث لوراه وبطل واشاهد زوار تدع وبهت
قال فعملوا له كرسيا من انياب القيلة وفصصوه بالياقوت والياقوت والياقوت والياقوت والياقوت والياقوت
باربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طواسن من
ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسى اسدين
من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار الكرم
من الذهب الاحمر والنخذا عناقيد هامن الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكرم والنخل الكرسى
قالوا وكان سليمان ان اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسى ورجله فيها
ويدور دوران الرمح المصرة وتنتشر تلك النور والطواويس اجنحتها وبسط الاسدان ايديهما
ويضربان الارض باذانها وكذلك يفعل في كل درجة يصعد هاسليمان فاذا استوى باعلاها اخذ النسران
اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانها عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر
من أعمدة الكرسى التوراة فتفتحها سليمان فيقرأها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال ونجس
عظامه بني اسرائيل على كرامى الذهب والفضة المفضضة بالجواهر وهى الف كرسى على عينة ونجس
عظامه الجن فيجلسون على كرامى الفضة عن يساره وهى الف كرسى حافين به جميعا ثم تظلم الظير
وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا قال بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسى بجميع
ما فيه وما حوله دوران الرحا المصرة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذى كان يدرك ذلك الكرسى قال بلبان

من ذهب وذلك الكرسي مما عمله له صخر الجني قالوا فإذا دار الكرسي بسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض بأذيانهما وينشر النسران والطاوسان اجنحتها فتفزع عن منه الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي ساليان عليه السلام وعجايب ما كان فيه فلما توفي ساليان عليه السلام بعث مختصر فاخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة الصني رفع الاسديده التي فُضرب ساقه ضربة شديدة وقهاورماه فخل مختصر فلم ينزل يرج وتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بانطاكية حتى غزاها ملك من الملوك يسمى كدش بن سداد فهزم خليفة مختصر ورد الكرسي الي بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فتاب ولم يعرف خبره ولا يدرى أين هو والله أعلم (ومنها) بيت المقدس

﴿صفة بيانه وبده أمره﴾

قال الله تعالى سبحان الذي اسري بي ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الا يقول تعالى ونحييها ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل باليساء والاشجار والنمار وقيل ان كلءاء عذب يخرج من تحت اصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يترقى في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين وروى خالد بن دعدان عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على ظهر من انهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومرح ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حتى أهل الجنة الى يوم القيامة * وأما بده بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره اهل البصرة بالسيرة هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بارض فلسطين وهم يزادون كل يوم كثرة فاعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عددي بني اسرائيل كم فامر بدهم وبث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم ان يرفوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يقدون زمانه ان الدهر حتى عجزوا فبث الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت بابك ابراهيم يوم امرته بذبح ولده فصبروا ثم امرى بان ابارك له في ذريته حتى يصيروا عدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فارت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيرى وانا قد اقسمت لابنيتهم ببالية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وكثرتهم فاختاروا اما ان ابتليكم بالجوع والفتنة ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوك ثلاثة اشهر أو الموت ثلاثة ايام فجمع داود بني اسرائيل واخبرهم ما أوحى الله تعالى اليه وخبرهم فيه فقالوا انت اعلم بما هو ايسرنا وانت نبينا فاطمنا اغريان الجوع لاصبر لنا عليه وتسليط العدو وأمر فاضح كان ولا بد فالوت لانه يده لا يمد غيره فامرهم داود ان يجهزوا والموت فغسلوا وتحنطوا ولبسوا الا كفن وبرزوا الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والاهلين وامرهم ان يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا اليه لانه رحيم فارسل الله اليهم اطعوا فهاك منكم في يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما اصبحوا في اليوم الثاني خرد داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يقول الى الله تعالى ويقول يارب انا آكل الخلل الحامض وبنو اسرائيل يضرسون يدي اذنبت وبنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شيء فني انزلوا واتفقوا عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاءهم وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة ساليين سيوفهم فغمدوها ووارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد مّن عليكم ورحمكم

فانقسم وقال الحمد لله الذي أولانا من نعمه وقضينا على كثير من عبادہ فتهيجت من حسن وجهه وحلاوة منطقه وقلت سبحان الخالق المصور فاطرق رأسه ساعة ونظر الى وقال يا ابراهيم ان المنقطع من قطعه الحبيب والمواصل من أخذ من أخذ من الطاعة بنصيب فهازل أنت منقطع عن الحجاج يا ابراهيم قلت له نعم سألتك بالله ان تدعوا لي ان ألحق من سبقتني من أصحابي قال فظفر الى السماء وحرك شفتيه فاخذتني سنة من الزوم فما استيقظت الا رايا في وسط الحجاج ورفقي يقول لي أحمز أن تقع من على الرحلة ولم أدر أين ذهب الغلام فالت الله أن يحصي به قسمل الموت فلما دخل مكة اذا بالناسلام وتعلق بالستار السكبة وهو يبكي وينشد ويقول شعرا تملمت بالاستار والتمير زرتہ

واست باني القلب والمسر أعلم أتيت اليه ماشيا غير راكب واني على صغر محب متيم هو يلك طفلا حيث لا أعرف الهوى

فلا تملوني اني متملم

فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم ان تصعدوا في هذا الصعيد الذي ربحكم الله فيه مسجد لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكرا لله تعالى فاخذ داود في بنائه فلما أرادوا ان يبتدؤا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختيرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبي اسرائيل اني فيه موصوما انا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تمنعوني عن حقوقي فقالوا يا هذا ما من أحد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد حق مثل حق فلانك انجلى الناس ولا تضايقنا فيه فقال انا اعرف حقى وانتم لا تعرفون حقكم فقالوا له انا مراضى وطبيب نفسك والا اخذناه منك كرها فقال لهم انجدون هذا في حكم الله وحكم داود فقال فرغ خبره الى داود عليه السلام فل ارضوه فقالوا بكم نأخذوه منه يا بني الله قال خذوه بمائة شاة فقبل الرجل زدى يانى الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدى قال بمائة بعير قال زدى يانى الله فاعسا تشتريه لله تعالى والله كريم لا يخذل فقال داود حيث قلت هذا فاجتكم اعطاكم قال تشتريه بخايط منلهز يتونوا نخلنا وعنبنا قال نعم فقال الرجل انت تشتريه لله تعالى فلا يخذل قال سل ما شئت قال انت اكرم على الله بنى ولكن ابنى لي حوله جدارا مشرقا ثم غاوه ذهبان شئت ورقا قال داود هذا هين فقلت للرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا هو الثأب الخاص ثم قال لداود يا بني الله لان يغفر الله لي ذنبا واحدا أحب الى من كل شىء وهبت لى ولكي كنت اخترتك فجددوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك اخبر بنى اسرائيل حتى رفعه قائمة وعجزوا فافوا حتى لله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء واست بانيه ولكن ابن لك ملكه بمدك اسم سليمان اسلمه من سفك الدماء واقضى اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره واجره لك باقيا فعملوا فيه ما نال ان توفي داود عليه السلام واستخاف سليمان فامر الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وارسل الجن والاشياطين في تحصيل عمل الرخام والبوارى ابيض الصافي من معادن واهر ببناء المدينة بالرخام والصفايح وجعلها اثني عشر ربعا اسكلر بعض منها بسيط من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرفا فر يق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه ورفر يق يفوصون في البحر ويستخرجون انواع الدرر ورفر يق يقطعون انواع الرخام ورفر يق يفوصون على الجواهر ورفر يق ياتون بالمسك والمنبر وانواع الطيب من اماكنها ففى شىء من ذلك لا يخصيه الا الله تعالى ثم انه احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها الواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فسكانوا بها الخونها فنصوت صوتا شديدا لصلاتها ففكر سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا بنى الله ليس في الجن اكر كنجار باولا اكر عا من صخر المريت فارسل اليه من ياتيك به فطبع سليمان بجأته طابعا وكان يطبع للشياطين بالاحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بجأته لمع ذلك كالبرق الخاضف فكان لا يراه احد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذنه تعالى فارسل الطابع مع عشرة من الجن فاتوه به وهو في بعض جزائر البحر فاروه الطابع فلما نظر اليه كان يصعق خوفا قبل مسرعة الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما احدث المريت فطريقه فقالوا يا بنى الله انه كان يضحك في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما ضحك بتمردك على وتترك الحمى الى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يا بنى الله انى لست اسخر منهم غير ان ضحكى كان تعجيبا عما كنت اسمع وارى في طريق فقال له سليمان وما ذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا واه به بقله تبريدان

بك الى هذه البرية وهي
 بنو قاتل يا ابا اسحق
 قد سالت
 وحرقته
 وحرقته فذا هو قد مات
 رحمة الله تعالى عليه
 فتأسفت لذلك ومضيت
 الى رجل لاسخذه منه
 كفننا واستعنت برقيقى
 حتى يساعننى على تجهيزه
 فاتيها اليه فلم يجده
 فتعجبت من ذلك وسالت
 عنه من الحجاج فلم يخبرنى
 به احد فرفت انه مستتر عن
 أعين الناس وما رآه احد
 غيرى فرجعت الى مكاني
 ولم افتر عن ذكره فلما جئ
 الليل نمت فربئت في المنام
 وهو في موكب عظيم وعليه
 نور ساطع وعليه من
 الحلى والحال ما يجزع
 وصفه الوصفون قال
 ابراهيم فقلت له ألسنت
 صاحبي بالامس فقال نعم
 فقلت له والله لقد طابتك
 لا عسلك وأ كفتك فلم
 أجده فقال يا ابراهيم ان
 الذى اخرجنى وبجبه
 شوقى وعن أهلى غريبي
 هو الذى كفتى وما
 اوجنى قال ابراهيم
 فقلت له ما فعل الله بك بعد
 ذلك قال أوقني بين يديه
 وقال ما بينك قلت انت
 فبى قال الله عز وجل

أنت عبدى حنانيا
أحجب عنك كل ما تريد
فقلت سميتى أريدان
نفسى في القرن الذى
مت فيه فقال الله عز وجل
قد سميتك فيه قالوا يا ربهم
م صافى فاستقضت
من منامى فرحا مفرورا
فلما اصبحت قضيت
ما كان على من فرائض
الحج ولم يفر قلبى عن ذكر
السلام وسرت في حلة
الحاج والناس يقولون
يا ابراهيم أزعجت الناس
من طيب نرائحك قال ولم
تزل رائحة الطيب تفرغ
من يد ابراهيم حتى مات
(وحكى عن ابراهيم
الخواص رحمه الله تعالى)
انه قال كنت سائرا في
طريق مكة على الوحدة
فلما عن الطريق فكتبت
أسمى يوسى ولبقى حتى
أدركني المساء فاغممت
لذلك غملا شديدا لا اجل
الوضوء وقد المساء وكان
ليلة معة فسمعت صوتا
ضيقا هو يقول لي يا ابا
اسحق قد نوت منه
فاذا هو شاب حسن
الشباب نظيف الانواب
فسألت عليه فرد على
السلام فوجدته مطرحا
على الأرض وليس فيه
حركة وعند رأسه راحين
مختلفة الألوان فمجدت من
ذلك وقلت له بالذي اتي

بقيها وجرة يريدان يستقيها في البئلة وملا الجرة ثم اراد ان يقضى حاجته فشد البئلة باذن الجرة فنفرت
البئلة وكسرت الجرة فضجحت من حق الرجل حيث توهم ان الجرة تحبس البئلة وروى ايضا رجل
آخر وهو جالس عند مكاف يستعمل في اصلاح خيل له فسقطت به شربة عليه ان يصلحها بحيث يبق معه
اربعة سنين ونمي زول ملك الموت اليه من قبله فضجحت من قلة علة ورجلة ومررت بمحور تتكلم
وتعبر الناس بالابليس من امور النساء وقد كنت غديت رجلا دفن فيه وضع فراشا ذهبيا كثيرا في
الدهور الحالية فرائتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم بحالها ثم تعبر الناس بالمرساء
فضجحت منها ومررت رجلا في بعض المدن وكان بهاء فيما قبل فاكل البصل فبرأ من داء فصار يطب
الناس وكان لا ياتي به احد يساله عن علة الامر به باكل البصل وانه لا ضرر به حتى ان ضرره يصير الى
الدماغ فضجحت منه ومررت في بعض الاسواق رأيت اليوم وهو افضل الادوية بكال كيلا ورأيت
العامل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضجحت منه ومررت بناس قد جملوا بئسوا بئسوا بئسوا بئسوا
الرحمة والمغفرة فلهم قوم فقاموا وارجا آخرون فجلسوا ورايت الرحمة قد نزلت عليهم واخطأت الذين كانوا
من قبل وشيئت الذين جاءوا فضجحت نتيجة الانضاد والعدالة لمال سليمان هل علمت من كثرة تجاربك
وجولائك في البحار شيئا ينجم لي هذه الجواهر فليس يسئل نحتها ونهبها بلا حياء قال نعم يا بئس
انك اعرف سميرا البيض كالطير يقال له السامور غير اني لا اعرف معدنه الذي هي فيه وليس في الطير
شيء احيل ولا اهدي من العقاب فامر برأخا ان تجمل في صندوق من تلك الجواهر فانه ياتي بذلك
الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى اولاده قال فان سليمان بفرخ العقاب أن تضم فيه
صندوق من حجر منها يوم اولية فحجب عن افرأخه فوثقه سليمان مع العقاب فقرأ من الجن حتى انه ومنه بقدر ما علم ان
الصندوق حتى وصل الى افرأخه فوثقه سليمان مع العقاب فقرأ من الجن حتى انه ومنه بقدر ما علم ان
فيه الكفاية واستعمل ذلك في ادوات الصناعات فعمل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجب به عمل في نقش
الخواص ونهب الجواهر الى اليوم وهو من عزيز قالوا في سليمان المسجد بالخام الابيض والاصفر
والاخضر وعمد من الما الصافي وسقته الى الجواهر الثمينة وفحص سقته وحيطانه بالاكى والياوقيت
وانواع الجواهر وبسط ارضه الواح النير مزج فترى بكن يوجد يومئذ في الارض بيت ابهي ولا نون من
ذلك المسجد وكان يضيء في الليل كالنهار في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه استبار في اسرائيل وأتبعه به
بناه الله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عبدا لم يتخذ في الارض قط
اعظم عيد من ذلك اليوم ولا طمعة اكثر منه فذبح فيه من الجزر الف جزور ومن البقر خمسة وعشرين الفا
وعلوفة ومن الغنم اربعمائة الف شاة * قالوا ومن عجايب ما اتخذ سليمان بيت المقدس انه بني بطاوين
حائطه بالجص وصفه فكان اذا دخله البارستبان خياله في ذلك الحائط ايض واذا دخله الفاجر استبان
خياله في ذلك الحائط اسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن التجرور والحيلة ونصب في زاوية من زوايا
المسجد عصا ابليس فكان من مساهن اولاد الادب ايام بضره منها شيء ومن مساهن غيرهم احترقت به فلما
فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربا على الصخرة ثم قال اللهم انت وهبت لي هذا الملك منا منك
على وجع قلبي خليفةك على ارضك راكمتي به من قبل ان اكون شيئا فلاك الحمد اللهم اني اسألك لمن دخل
هذا المسجد خصالا لا يدخله احد يصلي فيه ركعتين تخلصا فيهما الا يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولا
يدخله مذهب الا تبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شففته ولا مجذوب الا خصيته واغنيته واذا
اجبت دعوتي واغنيتي طلبة فاجمل علامته ان تقبل قرباني قال فزرت نار من السماء فسدت ما بين

بك الى هذه البرية وهي

مقبرة فقال يا ابا اسحق قد كنت وفائى وقد سالت الله ان يحضر عدى ويا من اوليائه فرديت يحضر وقائك ابراهيم الخواص وهما امنتظرك فقلت له يا اخي ما الذى حبسك ههنا فقال يا اخي كنت عند اولى في عزة وسرور فخر على السفر واشبهت القرية فخرجت من مدينة شمشاط اريد الحج فوقعت في هذه البقعة منذ شربين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت لك والدان فقال نعم ولى اخت صالحة فقلت له هل اشتقت لهم وخطر بالك بهم فقال لا الا اليوم فاني احببت ان اشم منهم رائحة أو أجد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة وانوابهذه الراحين فيبكيت وبكوا معي وصرت متحيرة في امره متفكرا في حاله ووقع حب الشباب في قلبي وانجذب اليه سرى فينبأ أنا كذلك اذا قبلت حبة عظيمة وفيهم باقة ترجس لم أرا حسن منها ولا أذكي من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت باسان فصيح ابراهيم اعدل عن ولى الله تعالى فان الله تعالى

الطافين ثم امتد منها عرق فاحتمل القران وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غرا بمختصر بني اسرائيل فحرق بيت المقدس والقي فودا الجرف وكبه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والاكية الى ارض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامر الله تعالى

(باب في قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى وتنفذ الطير فقل ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الثائمين الآية قلت الله ما باخبارا فقل ان بني الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فنجيز له السير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطير والحوش ما يبلغ عسكره ما ثمة فرسخ وامر الربع الرخاء فجمعهم فلما وافوا الحرم اقام به ماشاء الله ان يقيم وقرب القرايين وقضى المناسك وبشر اهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم احب ان يسري الى ارض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن ثم نجح سهيل فوافي صنعاء وقت لزال وذلك مدينة شهر فراى ارضا بيضاء حسنة تزهر وانحضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدي فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يري الماء من تحت الارض كما يري احدكم كلبه يده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجي الشياطين فيسلخونه كما يسليخ الاله اب يسخر جوالا قال سميد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر ما جمع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمي البصر وروى قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كن من فحل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لساجا قال وجئتكم من سبا نبأ يقين اني وجدت امرأة تملككم الآية وذلك انما سأل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فراى استان بلقيس في الى الى الخضره فوق فيها فاذا هو به ههنا فلبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعقور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعقور من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والحوش والرياح فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان صاحبك سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ذلك بلقيس دونه فاقها ما لك الجن كاه وتحت يدها اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مائة الف مقاتل والنير هو الفائد بلغة اهل اليمن فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد انما ان صاحبك ليس به ان تاتيه فبحر هذه المساك فانطلق معه حتى اتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طالب الهدهد وذلك انه نزل على عيراء فقال الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم ففقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقت قطعة من الشس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عرياف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما بدرى ابنه وما ارسلته الى موضع فقصب عند ذلك سليمان وقال لا عذبه عذابا شديدا ولا اذبحته واختلف العلماء في العذاب الشديدا ما عوذ فقال اكثر

فلحقني من ذلك حال
وصحت صبيحة عظيمة
وغشي على فلما أفقت
وجدت الشاب قد فارق
الديار رحمه الله تعالى عليه
فقلت ان الله وانا اليه
راجعون ما هذه الاحنة
عظيمة كيف أصبح في
تخيبره قال فاسأل الله على
النوم فتمت فما أفقت الا
بعد ليلة وقد طلعت على
الشمس فنظرت لموضع
الشاب فلم أجده أنرا
فذهبت من ذلك ومرت
حتى دخلت مكة فلما
قضيت حاجتي توجهت
الى بلد الشاب فاستقباني
نساء عليهن هرقعات وفي
أوثان امرأة عليها مرقعة
وثوب من شعر وبيدها
ركوة وهي لا فتقر عن ذكر
الله تعالى فتألمت لما رايت
أشبهه بالشاب منها فقالت
يا أبا إسحق اني في انتظارك
لنحسدني عن اخي وقرة
عيني ثم بكيت وارتفع
بكاؤها فبكيت معها ثم
وصفت لها الشاب وما
كان عنده من الراحين
فلما بلغت قوله احببت
ان أشم منهم رائحة أو
أجد لهم عبا قالت
اخته قد باغ الشم ثم
سقطت الى الأرض
ميتة فاحتوشها أهلها
وقالوا جزاك الله خيرا

المفسر من كان عذابه ان ينتفد ريشه وذنبه ويدعه مطما ثم يلقيه في بيت النمل فتادغه وقال الضحاك
لا تنفته ولا شذن رجليه ولا شمسسه وقال مقاتل لا لابلته بالقطران ولا شمسسه وقيل لا ودعته القفص
وقيل لا لأفرق بينه وبين الله وقيل لا لامنعه من خمي أوليا بني سلطان مبن اي حجة تواضعة (وروي)
عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في القرب حجة قل ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له على الهدهد
الساعة فرجع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالنصف بين يدي احدهم فنظر يمينا
وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحو يده فلما رأى الهدهد ان العقاب يريد
بسمه ناشده الله وقال بحق الذي قاله وأنت لك على الارحمتي ولا تنمرض لي بسوءه قال فولى العقاب عنه وقال
لهو يلاك تكنك امك ان نبي الله سليمان قد حان ان يذهبك او يذبحك ثم طار امتوجهم بن نحو سليمان فلما
اتهم الى المسكر تلقاهم النسر والطير كله وقالوا له اين غبت في يومك هذا فلدتو عدك نبي الله سليمان واخبروه
بما قال فقال الهدهد وما استنى نبي الله قولوا لي انه قال أوليا بني سلطان مبن فطار الهدهد والعقاب
حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يا بني الله فلما قرب الهدهد منه
رفع رأسه وارضى ذننه وجناحيه بجرحه على الأرض تواضعا سليمان فهدس سليمان يده الى رأسه فجذها
وقال اين كنت لا عذبك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا بني الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع
ذلك سليمان ارتعد وغفا عنه (اخبرني الحسين) بن محمد الثغني باسناده عن عكرمة فقال انما صرّف
سليمان عن ذبح الهدهد برة بوالديه ثم سأله مالم الذي ابطاك عني قال الهدهد ما أخبر الله به احطت بعلم
نخط به اي علمت مالم تعلم به وجئتكم من سبأ بنياً يقين اني وجدت امرأة تملككم واوتيت من كل شيء
واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهذاهذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جد بن البشرخ بن
الحرب بن قيس بن صغاه بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ابو بلقيس الذي يسمى البشرخ
ويلقب بالهذاهذ ملكا عظيما الشأن وكان ملك ارض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم
كفؤا لي واني ان تزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يمال طار بحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك
تري الجن ونحو الطهم فولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة
باسناده عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان احدا بوى بلقيس جنيقا واذا لمات ابو بلقيس
ولم يخلف ولدا غيرها طاعت في الملك وطلبت من قومها ان يبيعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا
عليها رجلا فلما كوه عليهم واقتروا فارقين كل فرقة منهم استوات على طرف من ارض اليمن ثم ان هذا الرجل
الذي ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يبعده الى حرم رعيته بغير من فاراد اصحابه فخلعه فلم
يقدر واعليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فاسلست اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك
وقال ما منعتني ان ابذل لك بالخطبة الا لئلا يس منك فقالت لا ارغب عندك فانك كفو كرم فاجع رجالي وقومي
واخطيبي منهم فجمعهم وخطبهم منهم فقالوا لانراها تفعل هذا فقال انما هي التي ابتدأتني واني احب ان
تسمعوا قولها فتشدها وعليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم اني احببت الولد ولم احببه منذ كنت ارغب
عن هذا والاعادة قد رضيت له فزوجوهامته فلما زفت اليه خرجت في اناس كثيرين خدمها وحشمها حتى
غصت بمنازله وورده بهم فلما جاءته مسقة النجر حتى سكر ثم حرت رأسه وانصرف من الليل الى منزلها
فلما اصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب داره علموا ان تلك المناكحة كانت مكرما
وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها انت احق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا البار والارما قتلته ولكن
رايتهم قد عم فساده فاخذتني الحمية ففعلت به ما فعلت فلما كوهوا واسنبت امرها في المملكة وروي ابن ميمونة

يا أبا اسحق لقد ارحمتها

مساكنت فيقال ابراهيم
فلم يبق احد في مدينة
شمشاط حتي حضر
جنازتها فلما دفنت اقامت
عند قبرها الى الليل فلما
نمت رأيتها في روضه
خضراء والشاب بجانبها
وهما يقرآن هذه الآية
لئلا هذا فليعمل العالمون
(وحكى عن الشيخ ابي
بكر الشبلي رضى الله تعالى
عنه) انه قال مرت
بمجنون في بعض الايام
والصبيان يرحمونه
بالحجارة رقداد مواوجه
وشجوا رأسه فجزعهم
عنه وهم يقولون دعنا نقتله
قانه كافر فقلت ومالذي
تبين اكبر من كفره فقالوا
يزعم انه يرى ربه
ويخطبسه قل الشبلي
فتمتم عنه وتقدمت اليه
فوجدته يحدث نفسه
ويضحك ويقول اجيل
منك ان تسلط على هؤلاء
الصبيان حق فقال مالذي
يقولون عني فقلت له
يقولون انك ترى ربك
وتخطبه قال فصاح صريحا
وغشى عليه فلمسا افاق
قال يا شبلي وحق من
يتمني بحبه زهيمني بقربه
لو احتسب عني طرفة
عين انقطعت من الم بين
قال الشبلي فعرفت انه من
الخواص أرباب

باسناده عن الحسن بن علي عن ابي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يقلح
قوما ولوا امرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

﴿صفة القصر الذي بنته بلقيس﴾

قال الشعبي روي ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسة مائة اسطوانة من رخام طول كل
اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبته على تل قريب من مدينة صنعاء وجمعت بين كل اسطوانتين
عشرة اذرع ثم جمعت فيها حلقا منظومة بانواع الرخام والحجم بعضها الى بعض بالمرصص حتي صارت كأنها
لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مر بامان آجر وجص في كل زاوية من زاوية بقية من ذهب مشرفة في
الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصصة بالوان الجواهر المربعة وجمعت فيه اى في
باب ذلك القصر ما يلي المدينة رخام من الرخام الابيض والاخضر والاحمر وفي جوانبه حجر لحجها ونوابها
وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم

﴿صفة عرشها﴾

كان مقدمه من ذهب مفضص بالواقيت الحجر والزمرذ الاخضر ومؤخره من فضة مكل بالوان الجواهر
وله اربع قوائم قائمة من ياقوت احمر وقائمة من ياقوت اخضر وقائمة من زمرد اخضر وقائمة من دراصفر
وصفائح السربير من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مفتوح وكان طوله ثمانين ذراعا في
ثمانين ذراعا في الهواء فذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شيء أسمى احتاج اليه في الملك من الآلة
والعدة ولها عرش عظيم أى سر يرضيهم حسن وجنتها وقومها يسجدون للشمس من دور الله وذلك
انما قالت لوزنهما ما كان يعبدوا آباءني الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت واين هو قالوا هو في
السماء وعلمه في الارض قالت فكيف اعبدوه والانا اراه واست اعرف شيئا أشد من نور الشمس فهي اولى
ما ينبغي لنا عبادته فبذبت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها
انما طاعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدد سليمان قال له سليمان سننظر اصدقت أم كنت من
الكاذبين ثم امر الهدد دهم على الماء فاحتفروا الركبا وهي الابار التي لم تتطو بطن كل واحد فروي
الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس
ملكه سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد ان لا تهوا على واثق من سليمان
قال ابن جرير وغيره ولم سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيئا وكان بلغ الناس في كتابه وواقله
ملاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جلا ولا يطيون كتابا ولا يكتبون قالوا
فلما كتب الكتاب طمعه بالملك وختمه بخاتم وقال لهدهد اذهب بكتابي هذا فانه اليهم ثم تول
عنهم وكان قريب منهم فانظر ماذا يرجعون اى يردون من الجواب فاخذ الهدد الكتاب واتى به الى
بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعاء على ثلاثة ايام فوقها في قصرها وقد غلفت الابواب
وأخذت المفاتيح فوضعتهم تحت رأسها ومضت الى فراشها فانها الهدد وهي نائمة مستلينة على ظهرها
فالني الكتاب على نحرها هذا قول قتادة قال مقاتل حمل الهدد بمنقاره وطار حتى وقف على رأس
المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتي رفعت المرأة رأسها فالتفت اليها في حجرها وقال وهب
ابن منبه كانت لها كوة يعني طرفة مئة ليلة للشمس ثم الشمس فيها حين تطلم فاذ انظرت اليها وجدت
لها نجاه الهدد الى تلك الكوة ففسدها بجناحيه فانقعت الشمس ولم تلم فاستبطأت الشمس فقامت
تنظرها فرمى الصحيفة في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكمار وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم

باسيدي فما علاقه المحبة
فقال يا بشي لوقطرت منها
قطر في البحار الصارت
سعيماً ولو وضعت منها
ذرة على الجبال الصارت
هيباء مثبورا فكيف
بقلوب كثيرها النرام قلعا
وزنير اوزادها الحيام حرقا
وتهييرا ثم جعل يقول
شعرا

كشفت الحبيب لمن دعاه
ستورا

ومنة كاسا فاغتدا غنورا
واعتاده حمر اللبيب ولم يرد

الا الحبيب فنال منه
حبورا

يا فوز من كان الحبيب
نديه

وغدا اليه من الجميع مشيرا
فاذا رايت محبة في سكره

خلع المذار رأيت معذورا
من ذاي طبق الصبر عن

محبوه
حاشا الحب يكون عنه

صورا

(وحكى عن ذى التدون
المعمرى رضي الله تعالى

عنه) انه قال مررت يوما
في بعض الاسواق فرأيت

جنازة محمولة على أربعة
رجاله وليس معها أحد

فقلت والله لا هذين
مع هؤلاء كون خامسهم

لان الجنازة فضيت معهم
لما أتوا الى الجبانة فقالت

لهم يا قوم ابن ولي هذه

تبع ابن شرار حبل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت
ان الذى ارسل هذا الكتاب هو أعظم ملكها منى وقالت ان ملكا يكون رسلة الطير ملك عظيم فقرأت
الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قدمت على سرير ملكها وجمعت الملائمة من قومه
وهم اثنا عشر ألف قيل نحت بكل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب
فذا حزبا أمر اسفرت عن وجهها فلما جأوا راخذوا رماحهم قالت لهم بلقيس انى الذى الى كتاب
كريم أي شريف اشرف صانع وقال الضحك سمته كريما لانه كان محتوما يدل عليه ما خبرني به
ابو حامد الزواق باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل
سمته كريما لانه محمدا بسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان واه بسم الله الرحمن
الرحيم أن لا تعلموا على واثنون مسلمين ثم قالت يا أيها الملائمة اتفوني في امرى وأشيروا على فيما عرض لي
ما كنت قاطعة امر حتى تشهدون أي تحضرون فقالوا يا محبة لاهن أولو قوة وأولو بأس شديد عند
الحرب والامر اليك فانظري ماذا تأمرين تجيدي لاسرك طامعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا
انهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها واجعلوا عزة أهلها أدلة أي أهانوا اشرفها وكبرها
لكي يستقيم لهم الامر فنصدق الله قولها فقال وكذلك يقولون انشدني ابو الفهم الجندي في هذا المعنى
قال انشدني ابني في معناه

ان الملوك بلاء حيثما حسلوا * فلا يكن لك في كسافهم ظال
مادا تأمل من قوم اذا غضبوا * جادوا عليك وان ارضيتهم ملوا

وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واسئمتلوك كما يستغل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على ابوابهم ذل

قال الله تعالى تخبرنا عنها واني مرسل اليهم بهدية وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست
الملائمة قومه وجربت الامر وسامته اني مرسل اليهم الى سليمان وقومه بهدية اصانعه عن ملكي

واختبرها أملاك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا ان
تجسد على دينه ثم انها اهدت اليه وصفاة ووصائف قال ابن عباس البستهم لباسا واحدا حتى لا يكون

يعرف الله كرم الانبياء وقال مجاهد البست الغلمان لباس الجوارى والبست الجوارى لباس الغلمان
واحتلوا في عددهم فقال النكبي عشرة جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة

وقال مجاهد ما نازلهم وما نجاها به وقال وهب بن خزيمة غلام وخمسة جارية راسلت اليه ايضا بصفاة
الذهب واختلوا في كفيتهما وعددها (اخبرني) ابن ميمونة ايضا باسناده عن ثمة ابن تميم في قوله

تعالى واني مرسل اليهم بهدية قال اهدت له صفاة الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ لك سليمان
امر الجنازة فهو له الاجر بالذهب ثم امر به فاعلى في الطريق في كل مكان فلما جأوا رؤودهم في الطريق

في كل مكان قالوا قد جئنا نحمي شيئا نراه هبة من الله لئلا يلتفت اليه فصرخ في أعينهم محتاجا به وقيل كانت
اربع لبنات من ذهب (وقال وهب) ابن ميمونة وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسةائة

جارية وخمسةائة غلام فلبست الجوارى لباس الغلمان والقبيلة والمناطق والبست الغلمان لباس الجوارى
وجعلت في سوادهم اساور من ذهب وفي أعناقهم أطواق من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشعر فامر صعات

بأنواع الجواهر وجعلت الجوارى على خمسةائة فرس والغلمان على خمسةائة برزون على كل فرس سرج
من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه ايضا خمسةائة لبنات من ذهب وخمسةائة

لبنات من ذهب

لبنات من ذهب

الجنارة حتى يصل عليها
 فقلوا يا شيخ كنانا في الاجر
 سواء ليس فبقنا احد يعرفه
 قالوا ذوالنون فتمسكت من
 ذلك عجباً شديداً ثم
 تقدمت وصليت عليه
 وانزلناه في ليله وواربائه
 بالاقرب فلما هموا
 بالانصراف قلت لهم
 ما شأن هذا الميت
 اخبروني بحاله فقالوا لا نعلم
 غير ان امرأة اكرتتسا
 لتجعله وهي لا تحقه بنا
 فبقنا نحن في الحديث
 اذ اقبلت امرأة عليا عليها
 سيما الخير والصلاح وهي
 ياكيمة العين حزينة القلب
 فلما وقفت على القبر
 كسفت وجهها وانشرت
 شعرها ورففت يديها الى
 السماء وهي تتضرع وتبكي
 سداً وتدعو ساعة ثم
 سقطت الى الارض
 مفشياً عليها ثم افاقت بعد
 ذلك وهي تتحدث قائلة
 ذوالنون فقلت لها اخبريني
 بخبر هذا الشاب المتوفي
 وكيف الضحك بعد البكاء
 فقالت من انت يرحمك الله
 فقلت لها ذوالنون فقالت
 والله لولائك من اعيان
 الصالحين ما اخبرتك بخبره
 ثم قالت يا اخي ان هذا
 الشاب وادي بقرعة عيني
 وكان تائهاً بشعبه لا يسا
 ثياباً عجباً به يتمك مثيرة
 الا اركبها ولا مصدرة

لبنة من فضة وتاجاً ككلا البدن والياقوت المرتفع وارسلت اليها ايضا بالمسك والبنبر والمود والانجور
 وعمدت الى حقة فجمعت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجوزع خرزة مثقوبة موجهة فتمسك ودعت رجلاً
 من اشراف قومه يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجلاً من قريتها اصحاب رأي وعقل وكسبت
 معهم كتاباً بنسخة الهدية وقات في السكائب ان كنت نبيافين بين الوصائف والوصفاء واخبرنا اني الحقبة
 قبل ان تفقدني وانفقت الدرة انما استويلا دخل خيطاً في الخرزة ثم امرت بلفيف الهمدان فقال لهم اذا
 كلمكم سليمان فكلهم به كلام فيه ثأنت وتحدث بشبه كلام النساء وامرت الجوارى ان يكلموه بكلام فيه
 تخلط به يشبه كلام الرجال ثم انها قالت الرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب
 فاعلم انه ملك فلا تهللي منظره فان اعزمت به وان رايت رجلاً يشبه الطيف فاعلم انه نبي مرسل فتعهم كلامه
 ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا ثم ارأي الهدهد ذلك اقبل مسرعاً الى سليمان واخبره بالحركة فامر
 سليمان الجن ان يصنعوا له لبناً من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم امرهم ان يسلطوا له من موضعه الذي
 هو فيه الى تسع فراسخ ميداناً واحداً بلينات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حيطاً نادره
 من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم اى الدواب احسن مساراً يتم في البر والبحر فقالوا يا نبي الله
 انا راينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها اجنحة واعراف ونواص فقال سليمان على بها الساعة
 نأويها فقال شدوها عن عيين الميدان وعن يساره على لبينات الذهب والفضة والقوا لها عانة فيها
 ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فقامهم عن عيين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان
 في مجلسه على سريره ويوضع اربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثله عن يساره وامر الشياطين ان
 يصفوا صفوفاً فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحوش والسباع والطيور فاصطفوا
 فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما اقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا
 الدواب التي لمز أعينهم مثلها انزوت على لبين الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بعامهم من
 الهدايا (وفي بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما امر بفرش الميدان بلينات الذهب والفضة
 واخبرهم ان يتروكوا في طريقهم على قدر اللينات التي معهم فلما رأت الرسل موضع اللينات خاليا وكل
 الارض مقروشة خافوا ان يتهموهم بذلك فطرحوا امامهم في ذلك المكان قال فلما جاءوا الى الميدان
 ورأوا الشياطين نظروا الى المنظر عجب ففزعوا منهم فقبلهم جوزوا فلا خوف عليهم قال فسكانوا يعرون
 على كروك كروك من الجن والانس والطيور والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه
 السلام فقبلهم سليمان ففزعوا منهم ففزعوا منهم ففزعوا منهم ففزعوا منهم ففزعوا منهم ففزعوا منهم
 واعطوه كتاب الملائكة فلما انظر اليه وقرأه قال لهم اين الحقبة فاتي بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام
 فاخبره بما في الحقبة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة موجهة فتمسك فقال له الرسول صدقت
 فانقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لي بقومها فاسأل الانس فلم يكن عندهم
 علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له ارسل الى الارض فانزل اليها
 فلما اتت اخذت شجرة في فيها ومرت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان
 سلى حاجتك قالت ان تصير رزقي في الشجر قائلاً ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخط ففعلت
 دودة بيضاء انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة خيطاً في فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب
 الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت ان تصير رزقي في القوا كد قال لها ذلك ثم انه من بين الجوارى
 والهمدان بان امرهم ان يسلطوا وجوههم وايديهم ففعلت الجارية تاخذ الماء من الانية باحدى يديها

سعى اليها وطامها قد بارز
مولاه بلعاصي والالام
خصل له ألم عظيم منذ
ثلاثة ايام فلما كان في مائة
الموت قال لي يا امه ما لك
بالله الاماضيت وصيتي
اذا انا مت فلا تلمسي يوتي
أحد فانهم لا يترحون على
اسوه فملى وكثرة ذنوبي
ثم بكى واشتد بهول شرا
لي ذنوب شغلتي
عن صابى وصلاتي
اركت جسدى عيالا
مات من قبل وفاتي
ليتني تبت لربى
من جميع اللسيات
أنا عبد لاهى
مغضب في الخلوات
يحت جهرا بذنوبى
وعيوبى قاتلات
قد توالى سياى
وتلاشت حسناى
قالت ثم بكى بكاء شديدا
وقال آه مما فرطت في
جنب الله آه على قلبي
ما أقساه ثم قال بالله عليك
يا أمه اذا أنا مت فضى
خدي على التراب وضى
قدمك على وجهي وقولى
هذا جزاء من عصى مولاه
وترك أمره واتبع هواه
فاذا دفنتى فقفى
على قبري وارفضي يدبك
الى السماء وقولى اللهم انى
رضيت عنه فارض عنه
فقلت ما امرنى به وجميع
ما وصانى عليه ياذا النون

تجمله في اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الالاء يديه ويضرب به وجهه وكانت
الجارية تصب على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام
يحدر الماء على ساعده حدرا فبهر بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أمدونى بال فأتانى الله خير
مما اناكم بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل المفارقة والمساكنة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك
وليست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكنتني منها واعطانى ما لم يعط احد من العالمين فيها ومع
ذلك فانه سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم قال لاهنذر بن عمرو براؤهم ارجع اليهم بالهدية
فلما تبينهم يجتهدوا لقبيل لهم بها ولخرجتهم منها اذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما
رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها قالت والله ما هذا بلك وما لنا به من طاقة
فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بموك قومى حتى انظر ما مارك وما تدعوا اليه من دينك ثم ان
بلقيس امرت بعرشها فجعلت في سبمة ايات بعضها داخل بعض في آخر قصر من تصورها ثم
اغلفت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انما قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بمقابلك
وسر يرملكي فلا تخاص اليه احدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها امرت مناديا ينادي في اهل مملكته ليؤذنه
بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر الف قبل من ملوك اليمن تحت يدك قبل ما نه الف مقاتل قال
ابن عباس وكان سليمان عليه السلام مهيلا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسال عنه فخرج يوما
فجلس على سر يرملكه فرأى رهيقا جريا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يارسول الله قال او قد نزلت
منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على
جنوده وقال ايكم ياتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين أي طائفتين خاضعين واختلف العلماء في
السبب الذى لا جلا امر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انما اذا أسلمت حرم عليه
ما لمسا فاراد ان يأخذ سر يرها قبل أن يحرم عليه أخذها باسلامها (وقال قتادة) لانه اعجبته صفته لما
وصفه الهدى فاراد ان يراه قبل ان يراها وقيل ليرىها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتى
بها في عرشها قال عقرب من الجن وهو المارد القوى آتاك به قبل ان تقوم من مقامك أى مجلسك
الذى تقضى فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه الى نصف النهار * واختلفوا
في اسمه فقال وهب انه كودى وقال شعيب انه كوزان واتى عليه لافوى أى قوى على حمله أمين
على افيته من الجواهر فقال سليمان أر يدأسرع من هذا فقال الذى عنده علم من الكتاب
الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به
نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو
أصف بن برخيا بن شمعان بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واداسل به
أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان أصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله
تعالى مد عينيك حتى ينتهى طرفك قال قد سلیمان عينيه فظفر نحو اليمين فبمات الله الملائكة فحملوا
السمرير من تحت الارض يحدون الارض خذاحتي انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدي سليمان
واختلف العلماء في الدعاء الذى دعا به أصف بن برخيا عند الايتان بالرش (فروي) عن عائشة رضى
الله عنها وعن ايها ان الاسم الاعظم الذى دعا به أصف بن برخيا يا حي يا قيوم وروي عن الزهري قال
دعا الذى عنده علم من الكتاب يالهنا واله كل شيء الها وحدا لاله الا انت اثنى بعرشها وقال بجاهد
ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

اريد أن أسألك عن شيء قال سئلت أسألك عن ماء ليس من الأرض ولا من السماء وكان سليمان إذا جاءه شيء لا يعلمه سأل عبد الانس فان كان عندهم علم ذلك والأسأل الجن فان علموا والأسأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما هو ذلك أو امر بالخيل ان تجبري ثم املا الآتية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فعالت صدقت ثم قالت اخبرني عن كون ربك فوب سليمان عن سريره وخرواجها وصمق فقامت وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شاء انك قال يا جبريل ربني اعلم ما قالت قال فان الله يا ربك ان تعود الى سر ربك فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها ففسدوا وتسلمهم عما سالتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقرؤا قل لها عماذا سالتني قالت عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال وعن أي شيء سالتني أيضا قالت ما التك عن شيء الا هذا فان الجنود فقالوا مثل قولها واناسم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدى والهدية والرسول والعرش والصرح فاجابت رقا قالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر واسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء في امرها بعد الاسلام فقال اكثرهم لما اسلمت بلقيس اراد سليمان ان يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما يصح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فمالت المرأة ملامسي حديد قط ففكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندرى ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندرى فلما الخ عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتي يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام (اخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وافرأها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم يزر الناس مثلهما ارتفاعا وحسنًا وهي ساجدين وعمدان وبنون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها وبقم عندها ثلاثة ايام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروي) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان بلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختار رجلان قومك حتى أزوجهك اياه قالت ومثلي ينكح الرجل ابني الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرري ما أحل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبسح الا كبير لك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسأط زوجها فأتبع على اليمن ودعا سليمان زوجه أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبسح ما ستملك فيه قال فصنع لذي تبسح المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتي مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فملك تمامه حتى اذا كان في جوف ايمن صرخ بأعلى صوته يا همدان الجن ان سليمان نبي الله قد مات فارقوا أيديكم قال فعدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالسنديني خط الحير يتنحن بنينا ساجدين وبنيين وبنينا صراح ومرواح وفقون وهندة وهندة ودولوم وهذه الحصون كانت باليمن فعملت الشياطين لذي تبسح ولولا صراح بنهما لمسرفوا بلديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقض ملك ذي تبسح وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله اعلم

فوجدته ملأ بالخرص وارتكبت الحرمت قال فاخبر يديه ففعل اخبرتهما فوجدتهما ملأين بتناول الحرام وما لا يحل من اللذات والشهوات قال فاخبر رجلية فقال اخبرتهما فوجدتهما في سمي النجاسات والامور المذمومات فقال الاخبر أخى لا تميل عليه ودعني انزل اليه فنزل الملك الثاني اليه ومكث عنده ساعة وقال يا اخي قد اخبرت قلبه فوجدته ملأ بالامانة فاكتبه سميداً مرحوماً ففضل الله عظم ورحمته وسعت كل شيء قال مالك فالتفت من منامي متعجباً مما رأيت فسمعت قائلاً يقول هذا السلام

لأرأؤدع مداعن طاعتي حكوا باني لا جود برحمتي حلمي أجل وان بضيق على الوري

من ذابح سد ارامري ومشيئتي قال مالك ما حصلت هذه السعادة لهذا الرجل الا بعناية ساقفة وما تحصل هذه الحكمة عاص فلا تتر الانسان بهذا فاهامون كلهم في خطر المشبهة بل الطائمون لا يدرون بماذا

باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبازوجته الجرادة وخبر الشيطان الذي

أخذ من يدوسه ب زوال ملكه

قال الله تعالى ولما عثا على كرسيه جسدنا ثم اناب وررى محمد بن اسحق عن بعض العلماء ان سليمان
أخبر ان في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه
في البحر وكان الله قد أنى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى
تلك المدينة فخلعته الريح على ظهرها حتى نزل عليها فبجده من الجن والانس فقتل ما بينهما واسي ما فيها
فأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرداء لم يره ثوبا حسنا وبجلا فاصطفاها لنفسه ودعاها
الى الاسلام فاسلمت على يده في الظاهر على خفية منه وقلة ثمة فاحبها حباشيدا لم يحبه أحد من
نساءه وكانت منزلتها عنده منزلة نظمية وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمها فشق ذلك
على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدوم الذي لا يرقأ فبانت اني اذكر
أني وأد كرمي وملكه وولايته وما كان فيه فيجزني ذلك فقال لها سليمان فدا بذلك الله ملكه واعظم من
ملكه وولايته هو اعظم من سلطانه وهلاك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك
كذلك واسكني اذا ذكرته أصابي ما ترى من الحزن فلما امكنك امرت الشياطين يصورون لي صورته في
داري التي انا فيها اراه بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزني ويسلمني عن بعض ما أجد في نفسي
فامر سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورته فأتوا بها في دارها حتى تنكروا منه شيئا فثبته لها حتى نظرت الى
أبيها بيته الا انه لا روح فيه فمدت اليه حين صنع وفازته وقصصته ووعظته وردته بمثل ثيابه التي
كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تنفذوا اليه في ولاندها فتسجدوا له ويسجدون له معها
كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسلمان لا يمل شيء من ذلك أربعين
صباحا فبلغ ذلك أصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته دخل
حاضرا ثم غالبا فاه فقل الي اني الله كبرسي ووق عظمي وقد عمرى وقد حان الذهاب فني وقد احببت أن
أقوم بقا مقابل الموت أذكر فيه من مضي من أنبياء الله تعالى وأني عليهم به نبي فيهم وأعلم الناس بعض ما يحبون
من كثير من أمورهم فقال اهل الخيم له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضي من أنبياء الله تعالى وأني
على كل نبي عاقبه وذكرا فضله الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحبك في صغرك وأورعك في
صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف
فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال ليا أصف
ذكرت من مضي من أنبياء الله تعالى فأنيت عليهم خيرا في كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما
ذكرتني أنيت علي بخير في صغري وسكنت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت
في آخر عمرى فقال له أن غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال
نعم في دارك فقال الله وان الله راجعوا لقد علمت أنك ما قلت ما قلت الا عن شيء بل فكأن سليمان
رجع الى داره فكمسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة ولاندها ثم انه أمر بشياب الطهر فأتى بها وهي
ثياب لا يفتضح الا الابكار ولا تعسا امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده
وأمر برماق فقرر ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماق وتمك فيه ثيابه نذلل الله
تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر عما كان في داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغي
لك لادوان يبدوا غيرك وان يقرؤا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلمزل كذا يومه حتى أمسى

يُثِمُّ لَهُمْ فَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
حَسَنَ الْخَاتِمَةِ وَالْفَوْزِ
وَالْمَغْفِرَةِ بِمَوْلَتِهِ وَرَحْمَتِهِ
وَعَفْوِهِ وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ
وَإِحْسَانِهِ وَجُودِهِ وَمَنِّهِ
مِنْ (وَحَكَمِي عَنْهُ أَيَضًا عَافَا
اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ
سَأَلَنِي بَعْضُ أَصْحَابِي عَنْ
سَبَبِ تَوَفِّي فَقُلْتُ لَهُ
كَانَتْ مِنْهُ كُلُّ حُرْبٍ
الْخُرْ فَاشْتَرَيْتَ جَارِيَةً
جَمِيلَةً فَاسْتَوْلَدَتْهَا فَوُلِدَتْ
لِي ابْنًا فَنَسَبْتُ ذَاتَ حَسَنِ
وَجَمَالٍ فَاحْبَبْتُهَا وَشَغَفْتُ
بِهَا أَلَمَّا كَبُرَتْ وَتَزَعَّرَتْ
أَلْفَقْتُ وَأَلْفَقْتُهَا فَكَانَتْ إِذَا
وَضَعْتُ عَلَيْهِ أَيْةَ الْمَسْكِرِ
تَحْزَنُ ذُنُوبِي عَلَيْهِ وَتَهْرِيقُهُ عَلَى
الْأَرْضِ فَلَمَّا بَلَغَ عُمُرَهَا
سِتِّينَ مَاتَتْ فَكَلَّمَنِي
الْحُزْنَ عَلَيْهَا فَلَمَّا كَانَ
أَيَّامُ النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ
شَهْرِيَّانَ وَكَانَتْ لَيْلَةُ جُمُعَةٍ
بِتَ مَلُؤُوا بِالْخُرْ فَلَمَّا نِمْتُ
رَأَيْتُ كَارِهُ الْقُبُورِ قَدْ
فَاحَ وَأَمِنْ قُبُورِهِمْ وَحَشَرُوا
إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَكَأَنِّي قَدْ
حَشَرْتُ مَعَهُمْ فَيَبْنَأُ
كَذَلِكَ أَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ
خَافِي فَاتْلَقْتُ نَحْوَهُ فَذَا
بِشُعْبَانَ كَأَنَّهُ نَحْلَةٌ حَقِيقٌ قَدْ
لَحِقَنِي وَفُتِحَ فَاهُ لِيَقْتَنِي
فَقَرَّرْتُ مِنْهُ مَسْرَعًا فَرُفِعَا
مَرْعُوبًا وَإِذَا بِشَيْخٍ نَقِي
الْثِيَابِ عَلَيْهِ رَاحَةُ طَبِيبِهِ
وَهُوَ وَجَالِسٌ فِي طَرِيقِي
فَمَلَمْتُ عَلَيْهِ فَسَرَدَ عَلَيَّ

للسلام فقلت له اجزني
واغشى من هذا العيان
فقال الشيخ اني ضعيف
وهذا اقوى مني ولكن
اسرع في الحرب فعمل الله
تعالى في بجزرك من بجزيك
منه ففررت هارباً حتى
صعدت على شرف من
شراف القيمة واشرفت
على طبقات التيران والثعبان
في طلبي فكنت انما انا مط
في النار من فزعي منه فصاح
صائح من النار يا عزيز
ارجع امت من اهلما فاطبان
قلبي لذلك ورجعت الى
الشيخ فقلت له يا شيخ
استعنت بك واستجرت
فيك فآيت أن تحيرني من
هذا الثعبان فلم لم
تجيرني قال فيكي وقال
يا مالك ما بلك اني ضعيف
سر الى هذا الجبل فان فيه
ودائع المسلمين عني ان
يكون لك فيها ودعة
تصورك بحجرك من عدوك
وهو اقوى مني قال مالك
فسرت الى الجبل فاننا هو
جبل عظيم وفيه كوات
مخرمة وسور معلقة على
كل كوة ستر من الذهب
لا حمر مرصع بالياقوت
والدر واللؤلؤ والجوهر
واذا ملك ينادى ارفعوا
الستور واشرفوا عليكم
فلعل ان يكون لهذا
البأس فيكم ودعة تحييه
من عده قال مالك فرفت

ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها امينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد
اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه
كان من ياقوتة خضراء اناه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوم امن الايام عندها كما كان يضمه عند دخول
مذهبه فانها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرها فظنته سليمان لانها لم تنسك
منه شيئا فقال يا امينة خاتمي فناولته اياه فحمله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فمكثت
عليه الطير والجن والاناس والشياطين يخرج سليمان فاني لي امينة وقد تدبر من حاله ونفسه
ما كان معهودا منه عند كل من رآه فذل يا امينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود
فقالت كذبت است سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه ففرغ
أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل ينف على النار من دور بني اسرائيل فيقول
أما سليمان بن داود فيجتئون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا الجنون وأي
شيء يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فسكان ينقل
الحيتان لا صاحب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدي
السمكتين بأربعة وسوى الاخرى فيأكلها فكثرت كذا لك أربعين صباحا عدا ما كان ذلك الوثني يعبد
في داره فانكر أصب بن رخبوا وعلما بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين يوما فقال أصب
يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيتم فقالوا نعم فقال لهم هل حتى ادخل على نساءه
فأسألن هن انكرن منه في خاصة أمره ما انكرناه من عامة أمر الناس وعلا بته فدخل على نساءه فقال لهن
ويحك هل انكرن من أمر سليمان بن داود ما انكرنا فقلنا أشد ما يدع امرأة منا في دمه ولا يفتسل من
جنباته فقال أصب ان الله ونا ليه راجعون ان هذا هو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة
أعظم مما في العامة فلما مضت أربعين صباحا زال الشيطان عن مجلسه ثم رقى البحر فقتل الخاتم
فيه فابنته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل لسليمان صدر يومه وذلك حتى اذا كان المشاء أعطاه
السمكتين وكان من جهائم السمكة التي ابتلعت الخاتم فدخل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في
بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه
فجعله في يده ووقع ساجدا فمكثت عليه الطير والجن والاناس والشياطين وأقبل على الناس وعلم
ان الذي دخل عليه ما أحدث في داره من عبادة الوثني فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه
ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فظلمته الشياطين حتى أتته به ففتحت له صخرة فادخله
فيها ثم سد عليه باخرى ثم أوقفها بالحديد والرصاص ثم أمره فقتل في البحر فهذا حدث وهب
بن منبه ﴿وقال السدي﴾ في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها
جرادة وهي أن نساءه وآمنن عنده وإن اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأت
عليه أحد من الناس غيرهما فاجاء به يوم امن الايام وقالت له ان أخى يبنو وبين فلان خصومه وأنا أحب
أن تقضي له ان جاءك فقال نعم ولم يفعل فاقبل بقوله فاعطاها اخاه ودخل الخد فخرج الشيطان في
صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان به فسا لها ان
تطبخ خاتمه فقالت له لم تأخذه قال لا فخرج من مكانه نائبا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما
فانسك الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاءوا حتى دخلوا على نساءه فذكروا لهن

ما أنكروا فعله ربح فداً سحرنا هداً فان كان سليمان قد ذهب عقله رأاه أحكامه فليس لنا نصير على ذلك وبكى النسوة عند ذلك قال فابولوا يمشون حتى أتوه وأدعوا به وأخذوا نوح المصم ثم أنهم شروا التوراة فقرأوها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من الصيادين وهو جامع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال اتى سليمان بن داود فقام إليه بعضهم فضر به بمصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام لصيادون صاحبهم الذي ضر به وقالوا بهما صنعت حيث ضرته فقال انه زعم أنه سليمان بن داود فاعطوه سمكة من سمكهم فما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطنه وأجل به مسلماً فوجد خاتمه في بطن أحدهما فاخذه وولاهه فرد الله عليه ملكه وبهائه وجاءت الطير حتى حامت عليه تعرفه القوم فجاؤا به وتزروا إليه ما صنعوا فزال ماؤا أخذكم على عدوانكم ولا ألوكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فأتى به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقبل عليه بفعل وختمه بخاتمه ثم أمر به فأتى في البحر وهو فيه كذلك إلى الساعة (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاد عليه فسقط من يده فلما رأى سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف سليمان انك مفتنون بذهبك والخاتم لا يماسك أربعة عشر يوماً فقرأ إلى الله تأثراً من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير علك وأهل بيتك بسيرك إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك فقرأ سليمان هاربا إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت رآه الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسداً من أناس هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف في ملك سليمان وعلمه يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوماً إلى أن رجع سليمان إلى منزله تأثراً إلى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلته وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت (وقيل) سبب ذلك ما أخبرنا شيخنا محمد بن محمد العجلي بأسناده عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله إليه أن يأسلمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أمرهم ولم تنصف مظلوماً من ظالمين وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كمار وبناه وقال في آخره قال علم كرم الله وجهه ذكرت ذلك لأحسن فقال ما كان الله تعالى ليلط على نسائه ولعمري بالله أن يسلط الشيطان على نسائه أنيائه بالباشرة وكيف يمتد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول أصح الأقوال واليق بالنباء الله تعالى وأقرب إلى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان أنه أمر أن لا يزوج امرأة إلا من في إسرائيل فزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) أن سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أعجب بها وعرض عليها الإسلام فامتنعت فغضب سليمان فقلت له أن كرهتني على الإسلام قتلت نفسي فخاف سليمان أن يقتل نفسها فزوج بها مشركاً فكانت تبعد صنماً لها من ياقوتة أربعين صباحاً في خفية من سليمان إلى أن أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوماً (وقال الشعبي) في سبب زوال ذلك ولد سليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم له يا ابن عاشر له ولد لم تنفك مما نحن فيه من البلاء والسجرة فلبينا أن نقدر ولده ونجلبه فلم يسلمان ذلك فأمر السحاب أن تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغدا ابنته في السحاب فأم من مضرة الشياطين فمات به الله لتخوفه من الشياطين وموت الولد فأتى على كرسيه وهو الجسد الذي قصه الله علينا بقوله والقينا على كرسيه

السور وأشرف أطفال
على بوجوه كالآثار فصاح بعضهم على بعض أشرفوا كلهم فندق قرب منه الثعبان وهو متحير في أمره قال ماك فاشرفوا كلهم على فنظرت فإذا بنتي فيهم فلما رأنتي بكيت وقالت هذا ابني والله ثم أشارت إليه هالي الثعبان فولى هاربا ولمدة يد هالي فعملت بها فجذبتني وأدخلتني مكاناً هي فيه كل عنه الوصف تحدثت إليه تعالى على ذلك فقرات ابنتي قوله تعالى إلى بارئ الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قال ماك فبكيت عند ذلك وقالت لها انتم تسمرون القرآن فقلت أنسم فقلت لها اخبريني عن هذا الثعبان الذي أراد أن يهلكي فقلت يا ولدي هذا عملك السوء فوبخته على نفسك حتى كاد أن يلقى في النار فلو أنك لم تكن من أهالي لوقعت فيها فقلت لها ومن هذا الشيخ الضعيف الذي استغثت به فلم يفتني فقلت هذا عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له قدرة على أن يدفع عنك شيئاً فقلت لها وماتصنن ههنا فقلت نحن مقرون ههنا حتى تقوم الساعة ننظر قدومكم علينا فنشفع لكم قال ماك فانتبهت من منامي فلما

بسم الله تعالى

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال اهل النار يخ لبث سليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين مياشاة من محارب وب وعنيل وجفان كلجواب وقودور راسيات وغير ذلك ويضرب من الشياطين من يشاور يطلق من يشاء يأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الي حيث احب قال فترى لهم ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا ما لنا طاقة لما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فارغا لا تحملون شيئا قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فلبثت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يحملوا ذاهبين وراجهين فجاؤهم ابليس فقال كيف انتم فمشكوا اليه واخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجهين فقال لهم ابليس انما مومون بالليل قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فلبثت الريح ذلك سليمان فامرهم ان يعملوا بالليل والنهار فترى لهم ابليس فمشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء امره في ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا تنبت له بيت المقدس شجرة فبدا لها سليمان ما مسك فتقول اشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لا شيء انت فتقول اسكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس عليها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها اسكذا وكذا فينبأها هو يصلي يوما ما رأى شجرة تنبت بين يديه فقال لها ما مسك قالت الحزن وبه قال ولا شيء نبتك قلت خراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كاد الله تعالى ليعزبه وأناحي أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فترعه وأغرسها في حائط لم قال اللهم غم على الجن موتى حتى تلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد ثم ان سليمان دخل الخراب فقام يصلي متكئاً حتى عصاه فبات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم ذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال) عبد الرحمن بن زيد قال سليمان الملك الموت اذا أمرت في فعلتهى قال فاتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقى لك سبعة فدا الشياطين فينبوا لصرحامن قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه الملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لا صحابه الله تعالى اتانى من الملك ماترون وامر على يوم في ملكي صاف من السكدر وقد احببت ان يكون لي يوم واحد يصعد الى الليل ولا اغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصره له وأمر باغلاق ابوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيئا يسوءه ثم أخذ المصايد وهو وضعا فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى السماء اليك انظر شاب احسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذن وقد منعت من دخوله اأمنعك ابواب والحباب ما هبني حين دخلت قصرى بغير اذن فقال أنا الذى لا يحجبني حاجب ولا يدفني ابواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان

الجر وتبت الى الله تعالى فكان هذا سبب توبتي والحمد لله على ذلك والله اعلم (وحكى عن بعضهم رضى الله سبحانه وتعالى عنه) انه قال بينما انا في الطواف وكانت ليلة مظلمة ان سمعت صوت حنين ينطق بحال حزين وهو يقول يا كريم اطفئ القديم فان قاي على المهد مقيم قال فتطأ برقبتي لدماع ذلك حتى اشرفت على الموت فتصدمت نحو قداما هي امرأة قتلت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام يا عبد الله فقالت اهلها اسالك بالله العظيم ما المهد القديم الذى قبلك عليه مقيم فقالت يا ذا الولاك اقدس على الجبابرة ما اظلمت على الاسرار انظر الي هذا الصبي الذى بين يدي فتظلمت فاذا بصبي ينطق في موه وجهه كالمرفقات خرجت من بلدى وأنا حامل به لاحج هذا البيت فركبت البحر في سفينة وسرنا فبينما نحن كذلك اذ خرجت تائما ربيع فكسرت المركب وغرق ركابها فتجوت على لوح فيبينما أنا على تلك الحالة اذ اخذنى الطافي فوضعت هذا الصبي

رجل ملاح من رجال
السفينة قد وصل الي
وحصل مني على ذلك اللوح
فقال والله ما زلت احوالك
وااني السفينة وقد حصلت
معك الآن شككتني من
نفسك والاريتك في
البحر فقلت يا هذا وضحك
اما كارك فيما رايت
تذكره وعبره فقال لي قد
رايت ذلك مرارا عديدة
ونجوت وانالالي ثم الج
على فخذت منه وقلت له
مهلاحي بنام هذا الصبي
فاخذته من حجرى ورمي
به في البحر فلما رايت
جراته ومافل بالصبي
طار قلبي وزاد كربي
فرفعت طرفي الى السماء
وقلت يا من يحول بين
المره وقلبه حل بيني وبين
هذا الفاسق فرعزته
وجلاله ما فرغت من
السلام الا ودابة عظيمة
من دواب البحر خرجت
راسها واخطفته من على
اللوح وغاصت به في الماء
فحمدت الله تعالى على
ذلك وصرت وحدي على
ذاك اللوح فزاد شوقي الى
ولدى وقرعة عيني وبكيت
على فقدته بكاء شديدا
وانشدت شعرا

قرة الدين حبيبى ولدى
ضاع منى لثاني جلدى
ان يكن جسمي غرقا فله

فمن اذن لك في دخوله فقال له ربى قال فارتد سليمان وعلم انه ملك الموت فقال له انت ملك الموت قال نعم
قال فيم جئت قال لا قبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم اردت ان بصفولى ولا اسمع فيه لا يمتني فقال
يا سليمان انك اردت يوما بصفؤلك فيه عيشك حتى لا يفك فيه شئ من ذلك يوم لم يخاف في الدنيا فارض
بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فاقبض كما امرت فقبض ملك الموت روحه وحوه وتسكى على عصاه قالوا وكانت
الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه وهؤلاء انما كان وكان للبحر بابان بين يديه وباب خافه فقال
بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلقه
فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في الخراب الا احترق فذلك الشيطان فلم يسمع صوته
ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فاخرج الناس ان سليمان قد
مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدا ومناساته وهي المصالبة الحبة قدأ كاتم الارضة فلم يعلموا
منذ كم مات فوضوا الارضة على المصافا كالت منها يوما ليلة ثم حسروا على ذلك النحر فجدوه قدمات
منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسدون انه حي ولا يذكرون احتباسه عن الخروج
الى الناس اطول صلاته قبل ذلك (وفي رواية ابن مسعود) فكثروا يدانوله بدموته حولا كاملا
فايقن الناس ان الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلوانهم علموا الغيب املوا وموت سليمان
ولم يلبثوا في السماء والاذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تا كين الطعام
لا تبتاك باطيب الطعام ولو كنت تشر بين الماء لسقيتك اعذب الشراب ولسكننا ننقل اليك الماء
والطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما ناتيها به الشياطين والشياطين تسكن
اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تا كل مناساته الآية
(قال اهل النار يخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها ثمانون سنة وذلك
انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك
من بعد سليمان ابن له يقال له رحيم وكان قد استخلفه فنيأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان
ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحيم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم
ملك بعده ابنه ابن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النساء فطعم فيه الملوك لضمقه وافتوت
ملوك بني اسرائيل فزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله
عليهم الملائكة فزمتهم فقصروا البحر حتى اذار كوا جميعا بعث الله عليهم الريح والامواج فضربت سفنهم
بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى التقت اطفالهم
وأموالهم وسلبهم الى محلة بني اسرائيل وفودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا لمن الشاكرين
ثم نزل نفوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فبهم الله تعالى ان تظهر فيهم الظلم
والفساد وقتل فيهم المصافي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الاصلهم من دون الله تعالى فنقض الله
عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم مختصر

(بحسب في قصة مختصر وما يصل به وخبر شياه وارهياه ودينال وعزير عليهم

وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام)

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا بينهم للكانفين حصيرا
(قصة شياه عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من اهل السير والخبار كان لما انزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل

ظلمت اشكوا باحترق
الكبد

يا الهى قدرى ما حل بى
فأفرغ الصبر على سدى
فاجمع الشمل وكري راحا
فرجائى فيك اقبـوى
عددى

قالت ثم بقيت يومى الى
الليل وحيد فدر بدفلسا
اصبح الله بالصباح اذانا
بقلع بلوح فى البحر فازات
الامواج تنذفه والرياح
تسوقه حتى وصل الى فاذا
هو بسفينة عظيمة
فاخذونى من على ذلك
اللوح ووضعونى بينهم
فتطرت فاذا بولدى هذا
بينهم فتراميت عليه وقلت
لهم يا قوم من اين لكم هذا
العصى فمالوا بيننا نحن
سائر ون اذجت السفينة
بنافطرا فاذا بدابة كاتها
المدينة العظيمة وهذا الصبي
على ظهرها يصعب ايامه ثم
حدثهم بقصتى وشكرت
ربى على النالانى وعاهدته
ان لا ابرح عن بيته ولا
ولا الهو عن خدمته وما
سالته بمد ذلك شيا الا عطي
ايه قال فحدثت ردى اليها
بنقطة فلم تقبلها وقالت
اليك عني احذرك بافضاله
وكرمه ونواله واخذ الرفد
من يد غيره فلم اقدر عليها
ان تاخذ شيئا فتركتهما
وانصرفت عنها رحما الله
وتفقتا بها والمسلمين آمين

من احداثهم وما هم فاعلون يده كما قال الله تعالى وقضيت الى بنى اسرائيل في الكتاب لنفسدن فى الارض
مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان
الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفاً عليهم واحساناً اليهم وكان اول منازلهم بسبب ذنوبهم من تلك الاوقاف
كما اخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ان ملككم منهم كان يدعى صديقه وكان الله تعالى اذا ملك ملكا
من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من امورهم
ولا ينزل عليهم كتابا وانما يامرهم ان يامروهم باحكام التوراة والنهى عن المماصى والمنكرات والدعاء
الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شمعاء بن امضاء وذلك قبل مبعث ركب ربا
ويحيى وعيسى وشمعاء هو الذي بشر بيت المقدس حين شكايه الخراب فقال ابشر انا يا نبيك راكب
الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم
عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشمعاء معه فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده
في ستمائة الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة شديدة
فجاء اليه شمعاء فقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده في ستمائة الف راية
واقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هاهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي
الله هل اذكك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبدونا سنحاريب وجنوده
فقال النبي لم يات وحى فبيناهم كذلك اذ وحى الله تعالى الي شمعاء عليه السلام ان ائت ملك بنى اسرائيل
فامرهم ان يوصى بوصيته ويستخلف على ملكته من يشاء من اهل بيته وعترته فاقى شمعاء صديقه
فقال ان ربك قد اوحى الى اد امرك ان توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل
بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شمعاء لصديقه اقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال ودعائه
وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب راه الا الهة القدوس
المقدس يارحم يارحم يارحم ياروف يامن لا تاخذه سنة ولا نوم اذ كرتى بنبى وفعل وحسن قضائى في
بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وانت أعلم به منى سرى وعلائقك لى ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه
وكان عبدا صالحا فوحي الله تعالى الي شمعاء وامره ان يخبر صديقه الملك ان ربهم قد استجاب له ورحمه
وقبل منه وقد اخرج له خمس عشرة سنة وانجاء الله من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده
فاقضى شمعاء اليه واخبره بذلك الملك له ذلك ذهب عنه الوجع واقطع عنه الهزال وخرساجد الله تعالى وقال
يا الهى واله ابائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك من
تشاء وتنزع من تشاء وتنزل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والاخر والظاهر والباطن وأنت
ترحم وتستجيب دعوة المضطربين أنت الذى اجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه اوحى الله
تعالى الي شمعاء ان قل للملك صديقه ان ايام عبيد اتيه جاء الذين فيجمل على قرحته فيشفي ففعل
ذلك فبرأ فقال الملك لشمعاء سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع ببدونا هذا فقال الله لشمعاء قل له انى
كفيتك عدوك هذا وانجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من
كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة يام لك بنى اسرائيل قد كفلك
الله عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك الخمس سنحاريب فلم
يوجد في الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة
أحدهم يختصر فملوهم فى الجوامع ثم اتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من

وحكى عن عبدالله الموصلى

رضى الله تعالى عنه انه قال
كان عندنا رجل ولهان
بسمى قضيب البان وكان
لا يقدر احدا من بكاه من
عظم هيبة وحرمة وكان
كثير البكاء فجدمتنى به
المقادير في خلوة فقلت له
يا اخى ما الذي اشغلك به
عن سواه ما كان سبب
تولمك وانفرداك عن
الناس فنظر الى نظرة
منكرة ثم بكى واصفر
لونه وغشي عليه فلما
افاق آتته بالكلام
ولاطفته بالخطاب وسأله
عن ذلك وأقسمت عليه
بالله ان يحذني عن سبب
ذلك فحذني وهو يبكي
فقال يا اخى كنت اخدم
شيخا وكان من الابدال
لخدمته اربعين سنة فكان
يحجتها في العبادة فلما كان
قبل موته بثلاثة ايام دعاني
وقال لي يا عبد الله لي عليك
حق وراك على حق ومن
تمام حق عليك ان تصنى
لما اقول لك وتحفظ وصيتي
فقلت نعم يا سيدي حبا
وكرامة فقال يا ولدى قد
بقي من عمري ثلاثة ايام
واموت على غير دين
الاسلام فاذا نامت فضعني
في تابوت بتيان واحمل
التابوت في الليل الى ارض
كذا وكذا من ظاهر البلد
وامكث حتى اطلع الشمس

حين طالت الشمس الى مصر ثم قال يا سنجار يب كيف ترى فعل ربنا كم ألم يقتلكم بحوله وقوته
ونحن وأتم غافلون فقال له سنجار يب قد اتاني خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل ان اخرج من
بلادى فلم أطع مرشدا ولم بلغنى في الشقوة الاثمة عقل فلو سمعت وعقلت ما غرتكم واسكن الشقوة
غابت على وعلى من معى قال فقال صدقة اخذ الله رب العالمين الذي كفاناكم عاشارا ربنا لم يبقك ومن معك
لسكرامتك عليه واسكن انما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة وتخبروا
من وراءكم بما رايت من فعل ربنا بكم وبين معكم ولدمك ومن معك اهون عند الله من دم قرادة لو
قلت * ثم ان ملك بني اسرائيل امر امير جيشه فقتل في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما
حول بيت المقدس وابلياه وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شمر لسكل رجل منهم فقال سنجار يب
لملك بني اسرائيل القتل خير من فعل ربنا فاقبل ما اردت فامر بهم الملك الى سجن القتل فاروحى الله
الى شعبيه ان قل للملك برس سنجار يب ومن معه لينذروا من وراءهم وايكرهوا وليحملوا حتى يبلغوا
بلادهم فبلغ شعبيه انك ذلك فعمل فرج سنجار يب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا
بابل فلما قدموا جمع سنجار يب الناس فاخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسجراته يا ملك
قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبهم ووحى الله اليه فلم تطمنا وهيامة لا يستطيعها احدوكان
في امر سنجار يب ما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجار يب بذلك سبع سنين
ثم مات واستخاف من بعده بختصر وكان ابن ابنته وكان بختصر يعمل كما يعمل جده ويقضي بقضائه
فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صدقة فرج امر بني اسرائيل وتناقصوا
في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد ونبهم شعبيه فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون
قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى اسماء عليه السلام قم في قومك يوحى على اسمك فلما قام الى اطلق
الله اسامته بالوحى فقال يا اسماء اسمى وباراض انصتي فان الله اراد ان يقضى شان بني اسرائيل الذين رباهم
بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباد واستقبلهم بالكرامة وهم كاذبون الضامة التي
لاراعى لها فاقوى شاردها وجمع ضالها وجبر كبرها وادواى من بعضها واسم من هزلها وحفظ سميتها فلما
فعل ذلك بطرت فتناطحت كما شاها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كبر فويل لهذه
الامة الخاطئة الذين لا يدرون آجاءهم الخير ام الشر وان البعير يذ كر وطنه فينتابه وان الحار يذ كر الا ترى
الذى يشيع عليه فيراجعه وان النور يذ كر المرح الذي يروح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين
جاءهم الخير ومن أولو الالباب والعقول ليسوا بقر ولا حيران في ضارب لهم مثلا لم يسمود قل لهم كيف ترون
في أرض كانت خرابا وما تافقت خرابا وما تظو يلا لا عمران فيها وكان هارب حكيه قوي فاقبل عليها
بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرها وأبنت عليها غراسمان
الزيتون والريمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذراى حفيظا قويا أينما
فاتنظرها فلما أطامت جاء طمها اخرنوا فقال ليست الارض هذه ترى أن يهدم جدرانها وقصرها ويفيض ماء
نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة موانا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار
ذمتي وان القصر شرى بتي وان الهرم كذاني وان القيم نبي والفراس هم وان الخروب الذى اطلع النراس أعمالهم
الحبيشة وانى قضيت عليهم قضاء هم على أنفسهم وانه مثل ضر بالله لهم فمرهم بتقربى بالي بذج البقر والغنم وليس
ينالني اللجم ولا آكله ولكن يتقربون الى بالقوي والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فايدهم بخضوبة
منها وبنانهم مزلة بدمائهم ويشيدون الى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم

وأجسادهم وبدنونها فأى حاجة لي إلى تشييد البيوت وأست أسكنها وأى حاجة لي إلى تزويق المساجد وأست أديها وإنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسيح ولكن ممالم أن أراد أن يصلى فيها يقولون لو كان الله بقدر على أن يجمع الفتنة لجعلها ولو كان الله بقدر أن يفقه قلوبنا لفتحها فاعمد إلى عودين يابسين ثم ابنيهما وهم في الجمع ما يكون فقل للمودين أن الله بأمر كان تكونوا عوداً وأراداً فلما قال لها ذلك اختلطاً فصارا عوداً واحداً فقال الله تعالى قل لهم اني قدرت على أن أؤلف بين المودين اليابسين فكيف لا أقدر على الفهم ان شدت أم كيف لا أقدر على أن افقه قلوبهم وأنا الذي صورتهم يقولون صمماً فلم يرفع صيامتاً وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم نزل صدقاتنا وان دعونا بمثل حنين الجمل وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلمهم ما الذي يعني ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وانظر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين اذات يدي قلت كيف ويدي مبسوطتان بالخير انفق كيف اشاء مفتاح الخزانة عندي لا يفتحها غيري أم يقولون رحمتي ضاقت فكيف رحمتي وسمت كل شيء أنا يترحم المتراحمون بفضلتي أم يقولون البخل يتربني اولاست اكرم الا كرمين وأنا الفتح بالخيرات الست اجود من اعطيتي واكرم من مثل ولو ان هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فتدبروها ولم يشترها بها الدنيا لاصبروا وتيقنوا ان الله بهم هي اعدى المادة لهم فكيف ارفع صيامتهم وهم يبسون بالزور ويتقون عليه بطعمة الحرام أم كيف انور صلاتهم وقلوبهم طاعة تركن الى من يحاربني وينتهك محاربي أم كيف نزلو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وإنما اجزى عليها اهلها المفصولين أم كيف استجيب لهم دعاء وإنما هو قول بالانتم والعقل من ذلك بيضاء أنا استجيب قول المستضعفين المسكين وان من علامه رضاي رضا المسكين ولورحموا المسكين وقرىوا الضعفاء وانصفوا المظلوم ونصروا المنصوب وعلموا الغائب وادوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقهم ولو كان يذني لي ان اكلم البشر اذا تكلمتهم وكففت اذانهم وكنت نور ابصارهم وسع آذانهم ومعقول قلوبهم واعمرت اركانهم وكنت قوا يديهم وارجلهم وكنت السننهم الانهم يقولون لاسمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها اقوي من مقولة واحاديث متواترة ونأليف فباؤلف السحرة والكهنة وزعموا ان لو يشاؤنا ان يأتوا بمحدث مثله لفعلموا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اذ اطعموا وكلهم يستخني بالذي يقول ويسروهم يعلمون اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما يبدون وما يكتمون وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بئنته على نفسي وجعلته اجلاؤه وجلا لا بد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذوه في اي زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها اقضى فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على ان يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي ادبر بها امر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بان اجعل النبوة في الاحرار واجعل الملك في الرعا واجعل العز في الازلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمداين في القلوات والاحكام في المغاوز والثرى في التغيطن والدم في الجملة والحكم في الاميين فسلمهم من هذا ومن الغم بهذا وعلى يد من انشئه ومن اعوان هذا الامر وانصاره فاني باعث لذلك نبيا اميلا لأعني من العميان ولاضالامن الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق يلامزني بالفتش ولا قولاً بالغنا اسدهه بكل جميل واهبله كل خلق كريم اجمل السكينة لاسه والبر سامره

ومهم تأبوت بضمونه الى جانب تأبوتى فخذ التأبوت الذي يأتون به وعده الى الزاوية واخرج الرجل الذي فيه واقفل معه ما كان يحب عليك ان تفعله معي فقلت له يا يدي كيف هذا الحال فقال يا ولدي كان ذلك في الكتاب مـطـوـراً هذا ما جرى في اللوح الحفوظ فله الامر من قبل ومن بعد لا يسئل عما يفعل وهم يشعرون قال فلما كان بعد ثلاثة ايام اضطر الشيخ وتغير لونه واسود وجهه وانادى الى الشرق وانكب على وجهه فبكيت على ذلك بكاء شديداً ولحنتي عليه من الحزن ما لا يعلمه الا الله تعالى ثم اني تدكرت وصية الشيخ فوضعت في تأبوت فلما جاء الليل خرجت به الى المكان الذي قال لي عليه فركبت به حتى طامت الشمس فاذا بجماعة قد أقبلوا ومعهم تأبوت فوضوه الى جانب تأبوت الشيخ فتقدم رجل وهمان يحمل ذلك التأبوت فتمتته عنه وقلت له لا سبيل لاخذه حتى تخبرني بخبر صاحب هذا التأبوت فقال الرجل نعم يا اخي انا خادم هذا البترك الذي في هذا التأبوت اربعين سنة فلما كان قبل موته بثلاثة ايام

أحضرني وقال يا ولدي لي

عليك حق ولك على حق
ومن عام حقي عليك ان
تحفظ وصيتي تصني لما
اقول لك قلت نعم فقال
يا ولدي بقي من عمري
ثلاثة ايام واموت على دين
الاسلام فاذمات فضة في
تابوت بني ليل واخرج
بالي المكان فلاني نجد
تابوتاه وضوا عنضه تابوتي
بجانبه وخذا تابوت الذي
هناك وارجع به الى

الكنيسة وهما كان يجب
عليك ان تفعله معي فافله
مع صاحب ذلك اتابوت
فانه كان من الابدال فلما
كان بعد ثلاثة ايام تهل
وجهه البتلك الفرح ونطق
بالشهادتين ومات مساماً
ففعلت ما امرني به واتيت
الى هنا وهذا حديثي
يا اخي قال فجمعت ذلك
التابوت الذي جاؤا به
واخذوا تابوت الشيخ
ومضوا به فجيئت بذلك
التابوت الى الزاوية
واحضرت القسراء
وفتحت لهم التابوت فاذا
فيه شيخ عليه نور ساطع
فاخرجته من التابوت
ونزعت ثيابه وغسلته انا
والقسراء وصلينا عليه
ودفناه في الزاوية وكان
يومام مشهوداً فهذا حديثي
يا اخي ثم خرجت بعد دفنه
هائماً على وجهي من

والتقوى ضميرد والحيكة مقوله والصادق والوفاء طيمته والعفو والمروءة خلقته والعدل سيرته والحق
شر بعته والهدي امامه والاسلام ملته واحداً هدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجحيم والوارف به بعد
الخنالة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد العلة واغني به بعد الفقر واجمع به بعد الفقرة وأؤلف به قلوباً
مختلفة واهواء مشتهة والمامة متفرقة واجعل ايمته خيراً ما اخرجت للناس يا مروء بالمروءة ونهون عن المنكر
بايائي وتوحيدى بصلوني قياماً ومودة وادوار كواسي وجوداً ويقانولاً في سبيل الله صفوا وزحواً وخرجون
من ديارهم واموالهم اجتفاه رضوان الله عليهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم
وجحاسهم ومضاجهم ومقالبهم ومثواهم بكبرون ويهللون وبقدسون على رؤوس الاشرف ويظهرون
لى الوجوه والاطراف ويمقدون الثياب في الانصاف قربانهم دمهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل
ليوت بالهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبينهم شعباً من مقاتله عدوا عليه
لفقتوه فرب منهم فلاة شجرة فانفقت له فدخلها فاذا كره الشيطان فاخذهم به من ثوبه واراهم اياها فوضعوها
للمشارف وسطها فأنشروها وحاذي قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

﴿ قصة ارميا عليه السلام ﴾

فاستخاف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شيوخهم رجالاً منهم يقال له ناشئة بن اوص وبعث الله اليهم
الخصر نبيا ليدبره وياتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخصر ارميا بن خلفيا وكان من سبط هرون بن
عمران وانما سمي الخصر لانه جلس على فرقة ايضا فقام عنها وهي تزور خضره فقال الله تعالى
لارميا حين يمشي الى بني اسرائيل يا ارميا من قبل ان اخذك اخترتك ومن قبل ان اصورك في بطن
أمك قدسك ومن قبل ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تباع الي نينوى ولا امر عظيم
اجتبتك فذكر قومك نفسي وعرفهم احدثهم وادعهم الى فقال ارميا اني ضيق الم تقوى عاجزان لم
تنصرتي فقال الله تعالى انا اهلك فقام ارميا فيهم خطيباً ولم يدري يقول فاهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة
طويلة يبين فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في اخرها ان الله قال فاني انا اهلك بعزتي وجلالي
ان لم ينتهوا الا يقضن لهم فتنة يتجر فيها الحاييم ولا سلطان عليهم جبارا فاسيا ابلسه الهية وانزع من قلبه الرحمة
يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام اني مهلك بني اسرائيل يافث
ويافث هم اهل بابل وهم من ولد ابي نوح فلما سمع ارميا كى وصاح وشق ثيابه وحشا الرماح على رأسه
فلما سمع الله تضرع ارميا وبكاء نادا يا ارميا اشدق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان
أرى في بني اسرائيل مالا سر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اهلك اعداء بني اسرائيل حتى يكون
الامر في ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت نفسه وقال والذي بعث موسى بالحق لا ارضي مهلك
بني اسرائيل ثم اتى المالك فاخبره بذلك وكان ملاكاً صاحباً لفرح واستبشر وقال ان يذنبنا ربنا فبذنوب كثيرة
وان يرجعنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدوا فيها الا معصية وعاديا في الشر وذلك
حين اقترب هلاكهم وقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختصر فخرج في ستمائة
ألف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل بختصر سائر الى الملك انى الملك الخير فقال الملك لارميا انت
زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف اليماد وانا به واثق فلما قرب الاجل واراد الله
هلاكهم بعث الله الى ارميا ملكاً قد قتل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له يا بني الله اني
استفتيك في اهل رحى وصلت ارحامهم ولم ازل اليهم محسناً ولا يزيد اكرامى اياهم الا استخفوا فاني
فانفتي فيهم فقال له احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث الا اياماً

سبب توبتي فذال الله
آمالى حسن الخاتمة ونمود
به من مكره وغضبه
وعقابه
يا بخر من خلى سبيل الهدى
وفاته منك بلوغ المرام
من اتى حصنك آتته
فركنه في عزه لا يضام
كم صالح قد صدف اقدامه
في الليل يبكي بالدموع
السجام
وماله حظ سوى انه
اشقاء مولا بطول القيام
وكم قريب خاب ظنوما
نال سوى الله سذيب
والانتقام
وكم بعيد نال ما يرتجى
وحاز في عقابه اعلی مقام
من لم يكن لا واصل اهلافا
يقبده القرب ولا
الاعتصام
فسطوة الاقدار لا تمتدى
فاتبها من نومكم يانيام
يا لها المذنب قم واعتذر
وب من الذنب وكسب
الانام
الى متى انت ترى غاذا
وراثا في الله وطول الدوام
انب الى الله وب واستقم
من قبل ان تشرب كأس
الحمام
فان تحف قبح ذنوب
مضت
فلذبحر الخلق بدر انعام
مجدنا من هاشم
افضل من حج ولي وصام

أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقدم بين يديه فقال له أرمياء اوما ظهرت اخلاقهم لك بعد قال يا بني الله والذي يثبك بالحق نبيا ماعلم كرامة يا بني احد من الناس الى اهل رحمة الاقدمه اليهم وافضل قال أرمياء عليه السلام ارجع الى أهالك فاحسن اليهم ولسن الله الذي يصلح عباد الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فبكى أما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس يا كثرة من الجراد قفزغ منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يا بني الله اين ما وعدك الله به قال اني برى لوائى ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس بضحك ويستبشر بنصر به الذي وعده فمد بين يديه وقال له اما الذي اتيتك في شأن اهلى مرتين فقال له ارمياء عليه السلام ما باليان لم ان يتهموا من الذي هم فيه فقال له يا بني الله كل شئ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رايتهم في عمل لا يرضى الله تعالى فقال لارمياء عليه السلام على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فضربت لذلك واتيتك لأخبرك واني اسالك بالله الذي يثبك بالحق نبيا الامادعوت الله تعالى عليهم ليهاكم فقال ارمياء ياملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فخرجت الكلمة من فم ارمياء تماما حتى ارسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة ابواب من ابوابه فلما راي ذلك ارمياء صاح وبكى وشق ثيابه وثار الرماذ على راسه وقال ياملك السموات والارض ابن ميعادك الذي وعدتني فنودي انهم يصيبهم الذي اصحابهم الافتيكاء ودعائهم فاستيقن ارمياء عليه السلام انها فتيا دوان ذلك السائل كان رسول ربهم فاسار ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم امر جنوده ان يلا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقدفه في بيت المقدس فقدفوا فيه التراب حتى ملؤوه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبائا بني اسرائيل وامرهم ان يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما أراد ان يقسم الغنائم في جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أم الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل ذلك فاصاب كل واحد منهم اربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزرايا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود واحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يماخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب واربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب ومن بقى من بني اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثقلوا أقربه بالشام وثلاثا سبي وثلاثا فلبس وذهب ابوانى بيت المقدس حتى أقدموا ببابل وذهب بالغلمان السبعين الفاقوا سائر السبائا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزلها الله على بني اسرائيل باحدثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبادنا اولى بأس شديد يعنى بختنصر وجنوده * وكان بدء أمر بختنصر على ماروي حجاج عن بن جرير عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليهم عبادنا اولى بأس شديد وبكى وفاقت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يا رب ارنى هذا الرجل الذى جعلت هلاكه بني اسرائيل على يديه فأرى في المنام انه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بال واعيد له وكان رجلا موسرا فقبل له ابن تزيدي قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكرها ليس فيها أحد غيره فحمل يدعو المساكين ويطلبهم حتى لا يأتيه أحد مسكين إلا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفتح آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لاهل بيته انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لاهل بيته انطلقوا ففعلوا به ومرضه حتى رى

طلائع الصبح وولى الظلام
(وحكى عن منصور بن
عمار عفا الله عنه انه قال)
كان لي اخ في الله تعالى
يتفقدني في شدتي وروخائي
وكان كثير المباداة والتمجد
والبكاء فلما كن بمديام
فقدته فسالت عنه فقيل
لي انه ضيف فسرته الى
بيته وطرقت عليه الباب
فخرجت الى ابنته وقالت
ما تريد فقلت لها قولى
لايك فلان اخوك يريد
ان يدخل اليك فدخلت
وعادت لي وقالت ادخل
فدخلت اليه فوجدته في
وسط الدار وهو مضطجع
على الارض وقد تغيرت
صورته واسود وجهه
وازرق عيانه وتصلبت
شفاه فقلت له وانا خائف
منه يا اخي اكثر من قول
لا اله الا الله ففتح عينيه
ونظر الى ثم غشى عليه فلما
افاق قلت له يا اخي اكثر
من قول لا اله الا الله فعمل
كما فعلت اولاً فقلت لانا
اكتر من قول لا اله الا الله
وان لم نقلها لا غم لك ولا
كفتك ولا صليت عليك
ولا دفنتك قال منصور
ففتح عينيه ونظرت الي وقال
يا اخي يا منصور كلمة حيل
بيني وبينها فقلت لاحول
ولا قوة الا بالله اعلى المظم
ثم قلت يا اخي قاي الصلاة

فكده واعطاه نفق ثم اذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى مختصر فقال الاسرائيلي ما يبكيك فقال أبكى
لانك فعلت معي ما فعلت ولا جد شيئاً اجاز بك به فقال جزأى شىء بسير قال وما هو قال له ان صرت ملكاً
وملكت بيت المقدس أن تطيع ما أطلبه ففعل بنبهه ويقول له أنستى منى ولا ينعم ان يعطيه ماسأله
الا انه برى انه يستمرى به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت ما بينك ان تطيعني ماسألتك الا الله
تعالى يريد ان ينفذ قضاءه فكتب له كتاباً وضرب الدهر ضرباته فقال يوماً صيحتون وهو ملك
بابل لو انا ارسلنا طليعة الى الشام قاواما ضربك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فيمث رجلاً واعطاه مائة
الت فخرج مختصر في مطبخه لم يخرج الا ليلاً كل في مطبخه فلما اقدم الى الشام رأى صاحب الطليعة
أكثر اهل الارض فرساناً ورجالاً جلداً فبكى ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شىء وكان مختصر
دخل الشام ولم يزل يجلس مجلساً الى الشام ويسألهم ويقول لهم ما نتمكن ان ننزوا بابل فلو غزوتوها
لنقم منها شيئاً كثيراً فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاقل حتى نقتد بجاس اهل الشام ونعرف
سرايرهم ثم ان الطليعة نجوا فاخبروا ملكهم بما رأوا وكان مختصر رجع معهم فبذل يقول لفراس
الملك لودعنى الملك لا يخبرته عن الخبر الذى اخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعا فاخبره بالخبر وقال
ان فلانا لما رأى أكثر اهل الارض كرا ورجالاً جلداً كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شىء وانى لم ادع
مجلساً بالشام الا جلست فيه اسأل اهل فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سيد بن جبر قال
صاحب الطليعة ليجتصر فضحتى لك مائة الف دينار وترجع عما قلت فقال له لو اعطيتني بيت مال
بابل ما رجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام قار وجدوا
مساغ ساغوا والا أمسكوا ما قدروا عليه فقالوا ما ضربك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل
الرجل الذى اخبرنى بما اخبرنى فدعا مختصر فيمثم ثم انتخب معه اربعة آلاف من فرسانهم فاطلقوا
فجاسوا خلال الديار فسبوا مشاه الله تعالى ولم يخرجوا ولم يقتلوا ومات صيحتون الملك فقالوا استغفروا ملكاً
قالوا على رسلكم حتى تأتى اصحابكم فانهم فرسانكم فاقاموا حتى جاء مختصر بالبي ومعه مائة الف دينار
فقلوا رأينا احداً حق بالملك منه فهذه النقصه الاولى فلما كوه على انفسهم (وقال السدي) باسنادهم اذ رجلا
من بني اسرائيل رأى في المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن ارمه من اهل
بابل يدعى مجتصر وكانوا يصدون فقصه ق رؤى بهم فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت امه وكان قد ذهب
يخطب فجاه وعلى راسه حزمة خطب فلقها هم قعد في جانب البيت وبكده ثم اعطاه ثلاثة دراهم وقال له
اشتر بها طعاماً وشرباً فاشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزاً وبدرهم خمر واجاه به فاكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم
الثاني قل بمل مثل ذلك واليوم الثالث قل كذلك ثم قال له الاسرائيلي انى احب ان تكتب لي اماناً اذ انت
ملكيت يوماً من الدهر فقال مختصر انى لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تجعل عندي لك يدا
فكلمته امه فقالت ما عليك ان كان والام يفتك شيئاً فكتب له اماناً فقال رأيت ان جئتك والناس حولك
قد حالوا بيني وبينك فاجعل لي علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفةك على قصبه قاعرفك بها فكتب له اماناً
واعطاه اياه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليه السلام ويدى بنجولاه ويستشيره في امره
ولا يقطع امرادونه وان الملك هوى ان يتزوج بنت امرأته هذا قول السدي * وقيل كانت بنت اخيه
لما روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام في اني
عشر من الخواريين يعلمون الناس وكان فيما نهام عنه نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم انة
أخت تعجبه ويريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يفضيها لها وذكر الحديث في مثل

والعبادة والصيام والبركة والدعاء فقال كل ذلك كان انبرالله تعالى وانما كنت افضل ذلك رياء للناس وسومة حتى يقال على واذا ذكر به وكنت اذا خلوت بنفسي اغللت الابواب وارخيت الستور وشربت الخمر ووارزت مولاي بالمحاصي ودمت على ذلك مدة من الزمان فاصابني مرض اشرفت منه على الموت فقلت لا يستي هذه ناويلني المصحف فانت به الى فقرأت فيه حتى بلغت سورة يس فرفت المصحف وقالت اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق ما في هذا المصحف من كلامك القديم أن تمافني وتفرج عني وأنا لا أعود الى مصيبتك ابدا قال ففرج الله عني وعافاني فلما شفيت عدت لما كنت فيه من الالهو واللعب والشهوات واللاذات والانساني الشيطان ذلك المهد الذي بيني وبين مولاي فصرت على ذلك الحال مدة من الزمان فوفقت في مرض آخر اشرفت منه على الموت فامرت اهلي ان يخرجوني الى وسط الدار ثم طابت المصحف وقرأت فيه

يحي بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدي) قال فسأل يحي عن نكاحها فقال است أرضاها لك فباع ذلك امها خفدت على يحي حين نهاه ان يتزوج ابنتها فهدت حين جلس الملك على شرايه فابست ابنتها ثيابا حمرارقا فاخروا طبيبتهما وابستهما من الحلي شيئا لا قيمة له من غايته وابستهما فوق ذلك كساء اسود وارسلتهما الى الملك وامرتهما ان تسقيه الخمر وان تمرض له فان راودها عن نفسها ابت عليه حتى يطبها ماسأته ويكون الذي تسأله ان تأتي برأس يحي بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتعرض له فلما اخذهن يدها اشربا راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما نسأليني قالت أسألك ان تبعث الى يحي بن زكريا فتأبيني برأسه في طشت فقال ويحك سليماني غير هذا قالت ما اريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحي فاتي برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهي تقول اسألهما لعل لك ولما اصبح الملك وادام يحي يعل قمر بالتراب فاتي عليه فرقى الدم فوق التراب يعل فاتي عليه ايضا واربع الدم فوقه فلم يزل ياتي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يعل فباعه بنجار بملك بابل ذلك فداى في الناس وأراد ان يبعث لهم جيشا ومؤمر عليهم رجلا فانه مختصر وكلمه وقال ان الذي أرسلت تلك المرة ضعيف واني قد دخلت المدينة وسمعت كلام اهلهما فبعثني فبعث مختصر حتى اذا امنوا ذلك المكان وراهم اهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وحاص صعا به راودوا الرجوع فخرجت اليهم عيجوز من تيجازني اسرائيل وقالت أين أمير الخند فاتيها اليه فقالت له بلغني انك تريد الرجوع فجنحك قبل ان تفتح هذه المدينة قال نعم فقال مقامي وجاع اصحابي فلمست أستطيع المقام فوق الذي كان مني قلت أرايتك ان ذلك على فتح المدينة تطعني ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتكتب عن أمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك اربعة اقسام ثم اقم على كل زاوية ربما تم ارفوا أيديكم الى السماء وادوا ياربنا لا على من قتل يحي بن زكريا عليهما السلام ففهم اذا فعلوا ذلك سقط سور المدينة فعملوا ذلك فساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحي بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن عليه سبعين ألفا حتى يسكن بها مسكن الدم قالت له كف يدك فار الله تعالى اذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله وأناه صاحب الصحبة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته في تلك السنة وأعلمه على خرابه الروم من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحي بن زكريا فلما خرب به مختصر ذهب بوجوه بني اسرائيل وسرايهم (قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم مختصر أرض بابل وجد سنجار ب قدمت فلاك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان مختصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والسحرة فمجزوا عن تفسيرها فباع ذلك دانيال وكان في السجن مع اصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدل على لا عبرته له فجاه السجن وأخبر مختصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه أحد الا يجد له فتاواه فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له الما الذي مذك من الوجودي فقال له ان لي رباً تاني العلم والحكمة وأمرني أن لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره أن يزع مني العلم الذي آتاني ويهلكني

وقلت الامم بحق هذا

القرآن العظيم الا

ما عافيتني وفرجت عني
وانا لا اعود الى معصية
ابدا فاستجاب الله تعالى
مني وفرج عني فمدت
الي ما كنت فيه حتى
وقعت في هذا المرض
فامرت اهل ان

يخرجوني الى وسط
الدار كما ترى ثم طلبت
المصحف لاقرأ فيه
فلم يبتين لي فيه حرف
واحد ففرت ان الله
سبحانه وتعالى غضب على
غضبا شديدا فودت
بصري الى السماء وقلت
الهي بحمرة هذا المصحف
الما فرجت عني وعافيتني
وانا لا اعود باجبار
السموات والارض
فبينما انا كذلك اذ سمعت
قاتلا يقول ولا اري
شخصه شعرا

تتوب من الذنوب اذا
مرضتا
وترجع للذنوب اذا برئتا
اذا ما لضر منك أنت
باك * واخبرت ما يكون
اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلاء اذا بايتا
اما تخشى هجوم الموت
يا ذا * وانت على الخطايا
قد دهيتا
وتسمى فضل رب جاد
اطفا عليك ولا خشيت

فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده وأجملت علمه ثم قال هل عندك
علم بهذه الرؤيا وهل لك في تفسيرها قال نعم قال فاخبرني فاخبره برؤياه التي راها قبل ان يخرجها
ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حبان بإسناده عن وهب بن منبه يقول ان مختصر
رأى في منامه صنما رأسه من ذهب وصدور من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه
من فخر ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فزقه ثم ربا الحجر حتى ملا ما بين المشرق والمغرب
رأى شجرة اصلها في الارض وفروعها في السماء ثم رأى رجلا يده فاس وسبع مناديا ينادي
اضرب جزءا ليعرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك اصلها قائما
فمعهاله دانيال عليه السلام فقال اما الضم الذي رايت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت
افضل الملوك واما الصدر الذي رايت من فضة فهو ابوك ملكك من بعدك واما البطن الذي رايت من نحاس
فذلك يكون بعد ابوك واما ما رايت من الفخذ الذي من حديد فتتفرق فرقان في فارس تكونان
اشد الملوك واما الفخار فخر ملوكهم يكون دون الحديد واما الحجر الذي رايت قد وقع من السماء
وربا حتى ملا ما بين المشرق والمغرب فبني بيمته الله في آخر الزمان فيفريق ملكهم كلهم ويربو
ملكه حتى علاه ما بين المشرق والمغرب واما الشجرة التي رايت والطير الذي علمه والسباع والذباب
التي تحتها وما أمر بقطعهما فيذهب ملكك ويردك الله طائر نسرا عظيما فعلمك الطيور ثم يردك
الله ثورا فعلمك الدواب ثم يردك الله اسدا فعلمك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على
ما ذكرنا سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض
وهو يقدر على الارض ومن عليها واما ما رايت من ان اصلها قائم فان ملكك قائم فسئل بن
منبه كان مؤمنا ام لا فقال وجدت اهل الكتاب قد اختلفوا في ذلك فذهب من قدامت ومنا ومنهم
من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والسكب التي فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا
شديدا فلم يقبل منه يومئذ وتوبوا قالوا فلما بر دانيال لمختصر رؤياه واخبرها اكرمه واكرم اصحابه وجعل
يقبل عليه ويستشير في اموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبهم اليه فحسده الجوس على ذلك فشوا به وباصحابه
وباصحابه الى مختصر فقالوا له ان دانيال واصحابه ما يعبدون الهك ولا يا يكون ذبيحتك فدعاهم معه لهم
فقالوا أجل ان نار بانبيده واسنانا كل من ذبيحتكم فامر باخذود فخذلهم وألقوا فيه وهم سنة وألقى معهم
سبع ضاريا لهم ثم قال انطلقوا لنا كل ونشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم
جلوسا والسبع مفترس ذراعيه بينهم ولم ينجس منهم أحدا ولم ينكسهم بشيء ووجدوا معهم رجلا
زائدا فمدوهم فوجدوهم بهيمة فقالوا ما بال هذا السباع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السباع وكان
ملكها من الملائكة فلطم مختصر لطمه فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم
رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدي فلما ردا الله عليه ملكه كان دانيال واصحابه اكرم
الناس عليه فحسدهم الجوس أيضا وشوا بهم ثانية وقالوا لمختصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يلك
نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم مختصر طما مشربا فاكوا وشربوا منه ثم قال للبواب
انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضرب به بالطين فان قال أنا لمختصر فقل له كذبت ان مختصر أمرني
فحبس الله عن دانيال واصحابه البول فكان أول من قام من القوم يدا البول لمختصر فقام مدلا وكان
ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شدد عليه فقال له أنا لمختصر فقال كذبت ان مختصر
أمرني أن أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله (وأما) محمد بن اسحق فانه قال في هلاك مختصر

غير ما قال السدي وذلك أنه قال بإسناد له أراد الله هلاكه بختصر قال لم كان في يده من بني إسرائيل رأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلتم من هم وما هذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتمدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فخيروني ما الذي يطعني إلى السماء وأطلع عليهما فقتل من فيها. أخذها ملكا فاني قد فرغت من الأرض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لعل من أولادنا فقتلناكم عن آخركم فاشكوا إلى الله تعالى وتضرعوا فبسط الله تعالى عليه بقدرته ليردضهم وهو بموضوعة دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بلم وما غدا كما يقر ولا يسكر حتى يضرب عظام دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله إذا أنا مت فنتقوا رأسي وانظروا ما الذي قبطني فلما ماتت شقوا رأسه فوجدوا البيوضة عاضة بلم دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقي في يده من بني إسرائيل ورحمهم وردهم إلى ألبانهم والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون أن الله أحيى المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا إلى الشام وجدوا بختصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم ورد بها إليهم على لسان عزير وسعدا كرا القصة فيه أن شاء الله تعالى وكان عمر بختصر أيام مسخه نيفا وخمسة عشر عاما وخمسين يوما فلما مات بختصر استخلف ابنه فلسطين وكانت آية بيت المقدس التي حملها بختصر إلى بابل عنده وكان يحبسها بلحم الخنزير يشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطين قاعد ذات يوم إذ بدت له كف معلقة بغمر ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهد ثم غابت فعجب من ذلك ونحير ولم يدركها فدعا دانيال عليه السلام واعتذر إليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعدا فأنجز وجمع ففرق فقال ما قولك وزن فخف أي وزن عملك في الميزان فخف ووعدا فأنجز أي وعد ما لك بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق أي جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ففرق اليوم فلا يجتمع إلي يوم القيامة فلم يلبث إلا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضمف ملكهم وبقى دانيال عليه السلام بارض بابل إلى أن مات بالسوس والله اعلم ﴿خبر وفاة دانيال عليه السلام﴾

قال أهل الأخبار لما فتح الله السوس على يداني موسى الأشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الغرائن فيأخذ ما فيها حتى أفضى إلى خزانة منقولة وقد ختم على قفلها بالرياص فقال أبو موسى الأشعري لاهل السوس ما في هذه الخزانة فأتوا راها مخنومة بالرياص فقالوا له يا أمير ليس فيها شيء ومن حاجتك فقال لا بد لي أن أعلم ما فيها فافتحوا بابها حتى انظر ما فيها ففكروا بالفيل فتفحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فإذا هو بمحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكتاف منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتمتع بآبوموسي من طوله وكل من كان معه ثم انهم شربوا الله فاذا هو يزبد على شبر فقال أبو موسى لاهل السوس ويحك من هذا الرجل قالوا أن هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق إذا حبس عنهم المطر استسقوا به فسقون فاصابنا من قحط المطر ما كنا يصيب أهل العراق فارسلنا إليهم وسألناهم أن يدفعوا إلينا حتى نستسقي به فابوا علينا فزعمنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملة إلى بلدنا هذام استسقيناه فمسينا في أيتنا من الرأي أن لا نزده إليهم فزل مقبعا عندنا إلى أن أدركه الموت فمات فمذه قصته وحاله قال فقام أبو موسى الأشعري بالسوس وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره

نقضت عهدا وأنت لكل معروف نسبنا قال منصور ابن عمار فقامت من عنده وخرجت وعيني تسكب العبرات عليه فإ وصلت إلى بيتي حتى قيل لي أنه قد مات فسأل الله تعالى حسن الخاتمة فسمك من نفس مكر بها عند الموت بمدان كانت صوامعة قوامة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الله وأنا إليه راجعون اللهم إنا نمؤذ بك من مكرك وغضبك وعقابك يا أكرم الأكرمين يا الله (وحكى عن منصور بن عمار أيضا رضي الله تعالى عنه أنه قال) رأيت شيا بأني بعض الأيام بصلي صلاة الحائفين فقلت في نفسي هذا الشاب لعله من أولياء الله تعالى فوقت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له يا شاب الم تعلم أن في جهنم وأديا يقال له لظى زراعة للشوى تدعوا من أدير وتولى وجمع قاعى فشوق شهقة وخرم شيا عليه فدا اتفاق قال زدني يا منصور برحك الله فقلت يا أباها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهلكم نار أو قودها الناس والمجاعة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يصونون

الله ما امرهم ويقبلون
ما يؤرود: قال فخرنا
ميتارحة الله عليه فكشفت
عن ثيابه لا غسله فوجدت
على صدره مكتوبا بقلم
القدرة فهو في عيشة راضية
في جنة عالية قطوفها دانية
قال منصور فسلته وكفنته
وصليت عليه ودفنته ثم
نمت فرايته في المنام على
سرير من ذهب وعلى
رأسه تاج من ذهب مكلل
باللآلئ وهو في زينة
عظيمة فقلت له ما فعل
الله بك فقال غفر لي
وأعطاني ثوابا مثل ثواب
أهل بدر وزادني على ذلك
أضاف فقال له لما ذلك فقال
لأنهم قتلوا سيف الكفار
وأنا قتلت محبة العزيز
الفجار رضي الله تعالى عنه
وفهمنا والمسلمين ببركاته
(وحكى عن بعضهم رضي
الله تعالى عنه أنه قال) كان
في قديم الزمان رجلان
أحدهما عابد والآخر
فاسق وكانا أخوين شقيقين
فكان العابد يتمنى أن يرى
أبليس أمته الله في محرابه
فتمنى له يوما من الأيام
وقال له يا فلان اسفقا عليك
ضربت عرك في آتواب
نفسك وهوار بمون سنة
وقد بقي من عرك مثل
ماء ضي فأنزلني إلى شوبات
نفسك ولذا أنا عشر بن
سنة ونوب بعد ذلك وعدائي

ما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما واصل
الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا كابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحكم عن
ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم
وهو نبى غير مرسل كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان يمد منه الملوك وجعل على بن أبي طالب
رضي الله عنه يحدث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قصة دانيال من اولها الى آخرها الى وقت
وقاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره ان يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب
عمر الى أبي موسى بذلك فلما قرأ ابو موسى كتاب عمر امر اهل السوس ان يكفوا واهمهم الى موضع آخر ثم
امر بدانيال فكتبوا با كمان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من
المسلمين ثم امر بقر فخفله في وسط النهر ثم دفنه واجري عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام
في نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله اعلم (قال الامام تاج) رضي الله تعالى عنه فهذا
الذي ذكرت جميع امر بختنصر الذي جاء في التفسير الا ان رواية من يروى ان بختنصر هو الذي
غزا بني اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند اهل السير والاخبار والملاء بامور المصاحفين من اهل
الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر أعيا غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم
شعيا وفي عهد ارميا عليه السلام وهي الواقعة الاولى التي قال الله تعالى فيها فانا جاء وعد اولاهما
بهنا عليكم عسادا اما اولى باس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا
ومن عهد ارميا وتخرب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا اربعمائة واحد
وستون سنة وذلك انهم يدعون من لدن نوح بن بختنصر بيت المقدس الى اخر عمراته في عهد
ابن حرسون شير بن اصيل بابل من قبل يهن اسفندبار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد
عمراته الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكهم ووضعه الى ملكته ثمانية وثلاثون سنة
ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثمانية وثلاثون سنة واعيا الصديق
في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعدما عمرت الشام
وعاد اليها ملكهم بعد خراب بختنصر اياها وسبعين منها فجمعوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير
عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من
أنبياءهم زكريا ويحيى وعيسى عليه السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى
بسبب نهي الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين اظهريهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم
السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فدار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام
فلما دخل عليهم امر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنور ازانان صاحب القتل فقال له اني قد خلقت
بالهم لن انا ظهري وظفرت على اهل بيت المقدس لا قتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكرى الان
لا أجد أحدا أقتله فامرهم أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنور ازانان دخل بيت المقدس فاقام في
البقعة التي كانوا يقر بون فيها قر بانهم فوجد فيها دما بلى فسلمه عنه فقالوا هذا دم قر بان قر بانه
فلم يقبل منا فلذلك هو يغفل كما نراه ولقد قربنا منذ ثمانية سنة القر بان فقبل منا الا هذا قال
ما صدقتموني الخبر فقالوا له لو كان أول دمانا لقبل منا ولكن قد انقطعت منا الملوك والانبياء والوحى
فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنور ازانان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم
فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنور ازانان الدم لا يهدأ
قال لهم ويلكم يا بني اسرائيل اصدقوني قبل ان انفيكم واصبروا على امر ربكم فلقد طالما ملكتم في

قال الله تعالى غفور رحيم
فقال العباد اني لانزل الى
أخي في أسفل الدار واوافقه
على اللاهو واللب
والشهوات واللذات
عشر بن سنه ثم اتوت بعد
ذلك وأبجد الله تعالى
العشرين الاخرى ولم
يعرف ان ذلك مكيدة من
بليس لعنه الله تعالى وقال
خوه المرف على نفسه قد
انبت عمري في المعاصي
فاخى بدخل الجنة وانا
أدخل الدار والله لا قوم
ولا صمدن الى اخي
واوافقه على الطاعة
والعبادة باقى عمرى لعل
الله تعالى ان يغفرلى قال
فطلع المعاصى على نية التوبه
ونزل العابد على نية المعصية
فرأفت رجل العابد فوق
على أخيه فأت الاثنان
خشرا العابد على نية المعصية
وحشر المعاصى على نية
التوبة فظرا اخى كيف
ختم للطائع وكيف ختم
للمعاصى كما قال عليه الصلاة
والسلام الاعمال بخواتيمها
وقان انما الاعمال بالنيات
وانما السكل امره مانوى
فسأل الله تعالى حسن
الطاعة ونساءه الايمان من
زوال الاعيان آمين (وحكى
عن مالك بن دينار عفا
الله تعالى عنه ونفما به انه
ل) د خاتمة جنة البصرة

الارض تقعون ماشتم اعدقوني قيسل ان لا اترك منكم فافع نار لاني ولاذ كرا الاقتله فلبا
راو الجد وشدة القتل اصدقوه الحمر وقاوا ان هذا دم نبي منا كان ينها عن امور كثيرة من سخط
الله فلوانا طمنا فيها لكان ارشدلنا وكان يخبرنا بامرهم فلم تصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلى فقال
بنورازادان ما كان اسمه قال يحيى بن زكريا قال لا تصدقوني بمثل هذا فانهم منكم ربكم فلما
راى بنورازادان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا
من جنس كردوس وابقى من بقي من بني اسرائيل ثم قال يحيى بن زكريا قد علم ربي ورك ما صاب
قومك من اجلك وما قتل منهم من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا يبقى احدان من قومك فهدا
دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذى آمنت به بنو اسرائيل
وصدقت به وايقنت انه لارب غيره فوحى الله تعالى الى راس من رؤس بقية الانبياء ان بنورازادان
حنون صدوق وحنون بالبرانية حديث الايمان ثم ان بنورازادان قال لبني اسرائيل ان عدوا الله
كردوس امرنى ان اقتل منكم حتى تسيل دموكم وسط عسكره واني است استطيع ان اعصيه فقالوا
له اقل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا ثم امر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر
والغنم فذبحوها حتى سال الدم في العسكر وامر بنقل اللذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من
مواسيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا ان ما في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره
اسل لي بنورازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد افنى
بني اسرائيل اوكد ان يفتينهم وهي الوقعة الاخيرة التي انزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بني
اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الايات فكانت الواقعة الاولى ليختصر وجنوده
ثم رد لهم الكربة وكانت لهم الدابة والى ياسه وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقبلهم
من بعد ذلك قائمة ولاراية واتملى عن الشام ونواحيها الى الروم وليونانية الى ان تناسل بنو اسرائيل
وكثروا وانتشروا بعد ذلك واحداثا الاحداث واستحلوا المحارم وضيءوا الحدود فساط الله عليهم
بالموس بن اسنايوس فغزب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم
الدلة فلبسوا في امة من الامم الاوعليهم الصغار والدلة والحزبية والمالك وغيرهم وبقي بيت المقدس خرابا
الى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بامر الله تعالى

(باب في ذكر الذى مرعلى قرية وهى خاوية على عروشها)

قال الله تعالى اوكلذى مرعلى قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلقوا في ذلك المسار من كان
فقال عكرمة وقتادة والربيع بن انس والضحاك والسدى هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه
وعبد الله بن حيدوعبيد بن عمير هو ارميا بن خلفيا وكن من سبط هرون بن عمران وهو الخضر
واختلفوا ايضا في القرية التي مر عليها فقال عكرمة وهب وقتادة والربيع بن انس بيت المقدس وقال
الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدى هي سلما باد وقال الكلبي هي دير سايرا باذ وقيل هرقل
وقيل هي قرية الغنم وهى على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق
ابن يسار عن وهب بن منبه ان مختصر لوطي الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل
وسبهاهم طار ارميا حتى خالط الوحوش فلما ولى يختصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سببا بني اسرائيل
اقبل ارميا على حماره ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشى ايليائه فلما وقف عليها وعابن خراسا قال
انى يحيى هذه الله بهد موتها ثم ربط ارميا حماره بحبل جدد وادأى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه
الروح فامائة عام يمات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله عنه الميون فلم يره احد وذلك ضحك ومع الله

فأذا سمعوا من المجنون جالس
 بها فقلت له كيف أنت
 وكيف حالك يا سمعون
 فقال كيف حال من أسمى
 وأصحبر يدسفرأ بعيدا
 بلا زاد ولا رحلة ولا هم
 ويقدم على ذلك الحالم
 بين العباد ثم بكى فقلت له
 يا سمعون ما يبكيك فقال
 والله ما بكيت حرصا على
 الدنيا ولا جزعاً من الموت
 ولكن بكيت ليوم ضي
 من عمري لم يحسن فيه عملي
 وإبكاني والله قلة الزاد ومد
 المسافة والعقبة الكؤود ولم
 ادرب بعد ذلك اصير الى الجنة
 ام الى النار قال مالك
 فسمعت منه كلام حكمة
 فقلت له يا مدون ان الناس
 يزعمون انك مجنون فقال
 وانت اغترت يا مالك بما
 اغترت به الناس يزعمون
 اني مجنون وما بين من نرن
 ولكن حب مولاي قد
 خالط قلبي واحشائي
 وجري بين لحي ودمي
 وعظامي واوا الله من حبه
 هائم مشغول قال مالك
 فقلت له يا سمعون فلم
 لاخالط الناس ولا
 تخاطبهم فأنشد يقول
 خذعن الناس جانبا
 وارض بالله صاحبا
 قلب الناس كيف شه
 نت تجردهم عقاربا
 (قيل) وكان سمعون
 لجانون رضي الله تعالى عنه

اسماع والطير من لحمه فله اضيق من موت سبعون سنة ارسل الله الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك
 فقال له ان الله يأمر ان تنقر بؤمك وتعمد بيت المقدس وابلياها وارضها حتى يعودا عمرهما كانا فالتدب
 الملك الف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثمانية آلاف عامل وجعلوا يعمرونها واهل الله تعالى يختصر بيومضة
 دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا احديا بل وردهم تعالى الى بيت
 المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كالحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على
 عزير احياء الله عينيه وسائر جسده ميت ثم احيى جسده وهو ينظر ثم نظروا في حماره فاذا عظامه متفرقة
 ينظر لوح وسمع صوتا من السماء يتم الغمام البالية ان الله يأمر ان تجتمع بيضمها الى بعض وانصل
 بعضها ببعض ثم نادى نذية ان الله يأمر ان تنكس لحما وودما وجدا فكان كذلك ثم نادى ار الله يأمر ان
 تحيا فقام حماره ينفض باذن الله تعالى وعمره اربع مائة وهو الذي يوجد في القلوات (اخبرني) ابن فتحيوه الحافظ
 باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كب ولا حمار الا كلب اهل السمكف وحماره مائة الذي امامه الله مائة
 عام ثم يمته * وقال الذين قالوا ان الماركان عزير ان يختصر المارحرب بيت المقدس قتل اربعين الف رجل
 من قراء التوراد والملاء بها وقتل فيهم اربعين يروجه وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في
 العلم فاقدمه مع بابني اسرائيل الى ارض ابايه وهومن ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من اهل بيت
 داود فلما نجا عزير من اهل بيت داود نزل على دير هرق على شاطئ درجلة فطاف في القرية فلم ير
 فيها احدا وعلامة شجرها حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من المنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في
 سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال اني يحيى هذه القرية بعد موتها لم يشك
 في البيت ولكن قالها تجيبهم بل حماره يحمل جديد وتام فاما الله مائة عام ثم يمته فانا جبريل عليه
 السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وذلك ان الله تعالى امانه ضجى وحياء آخر النهار
 قبل غيوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس
 فقال او بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام ان لبثت مائة عام فانظري طعامك يعني اثنين وشرايك يعني
 عصير المنب لم يتسسته يعني لم يتغير وانظري حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فاحياه الله تعالى
 راسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظري حمارك فانظري حماره قائما كهينة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب
 مائة عام وانظري الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وانظري حمارك فانظري حماره وقادة وتقدير الالية على هذا القول
 وانظري حمارك وانظري عظامك كيف تنشرها وقال آخرون اراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله
 تعالى ولنجعل لك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحكك هو انه عاد الى قرية
 وأولاده وأولاد اولاده فوجدهم شيوا وعجزا زهو واسود الرأس واللاحية (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين ابن
 محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما احيى الله عزير اياه مائة سنة ركب حماره حتى اتى بمكانه
 فأنكر الناس وانكر منازلهم فانظروا على وهم منه حتى اتى به فآذاهو ويجوز عيما مقدمة قدامي عليها
 مائة وعشرون سنة وكانت امه له فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة وكانت عرفتة وعلقتة فلما
 اصابها السكر اصابتها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا
 وكذا سنة احدا يذكر عزير او قد نسيه الناس قال فاني انا عزير قالت سبحان الله فان عزير راقد فتدناه
 منذ مائة سنة ولم مع له بذلك قال فاني انا عزير كان الله قد امانني مائة سنة ثم بشي قالت فان عزير ارا كان
 رجلا مستجاب الدعوة يدعو للملأ يضرب احب البلاء بالامانة والشفاء في ما فيه الله تعالى ويشفيه فادع

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة الف الخ كذا بالأصل وهو مملا يمكن عادة كذا لا يخفى اه مصححه

قال يا جارية صاحب هذه الدار حر أم عبد فقالت له الجارية بل حر فقال لها صدقت لو كان عبدا لاستعمل آداب العبودية وترك اللحم واللبس ثم تركها ومضى قال بشر أنت إلى الجارية واخبرني بذلك فذهبت إلى الباب وسرعا حافيا فوجدت الرجل قد مضى فقبضته حتى لحقته ثم قلت له أنت الذي وقعت بالباب فقال نعم فقلت له أتعدي ما فاته فاعاده على قال شرفرت خدي على التراب وقلت بل عبد ابن عبد ثم همت على وحي حافيا حتى عرفت بالحافي فقيل لي لم لا تلبس زليين فبينك من الحر والبرد فقلت ما صالحي مولاي الا حافيا قال فكان كذلك حتى مات رحمه الله تعالى عليه ونفعا به وبركانه ومدا من مدده (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان بفقداد رجل من التجار كنت اسمه يتم في حق السادة الصوفية كلام قبيح ثم رايته بعد ذلك بعدة مسيرة قد صبحهم وانفق ماله عليهم فقلت له كنت قبل الاكراهية منهم قال نعم كان قاضي متهما بذلك صليت الجمعة يومان الايام فوجد

(مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه) قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلافها في اسمه فقال محمد بن اسحاق بن يسار هو لقمان بن باعور بن تاخور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب بن كزبان اخذت ايوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خلة ايوب وقال الواقدي كان قاضي بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال معاوية كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشفق القدمين وروى الازاعي عن عبد الرحمن بن حرمة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من اجل انك اسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومجمع ومولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وامان الحكيم كان اسود نوبيا من السودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الخشاي لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرني) ابن فتحويه باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا وانفق ماله أنه كان حكما ولم يكن نبيا الا عكس ما فانه كان يقول ان لما كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الخشاي عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خيرة لقمان بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقاً أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى كثير التمسك حسن اليقين احب الله فاحبه الله في عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء بالامان هل لك ان يحملك الله خليفة في الارض يحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على قسمه واطاعة فاني اعلم انه ان قبل في اعاني وعصمني فثالثت الملائكة لم يالمن قال لان الحاكم يمشي بالشد المنازل واكدرها يغشاها الظلم من كل مكان ان اصاب قارجوا وان ينجوا وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا دليلا خيرا من ان يكون شرا يغاور من تحير الدنيا على الآخرة فتمت الدنيا ولا يبقى له الا الآخرة فتمت الدنيا والآخرة من حسن منطق فنام نومة فاعطى الحكمة فاتبه فحكمهم ثم نودي داود بعده فقبلها وام يشترط بها ما شترط لقمان فيهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفوا الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال لداود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطى داود الخلافة واطى بالبلية والفتنة

(باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك اظلم عظيم الآيات (أخبرنا) ابو عبد الله الحسين البصري عن عكرمة قال كان لقمان من اهون مملوك على سيده قال فيسبه مولاه مع رفقة له إلى بستان له ليأويه شيء من ثمره فجاءوا وليس معهم شيء وقد اكوا الثمرة واحلوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله ميتا فاسفني واباهم ما جميعا ثم ارسلنا لنقدفه فعمل فجعل مولايته يؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقاي ما نقياً وفرف صدقه من كذبهم قال قال مارؤى من حكمته انه بينا هو مع مولاه اذ دخل اخرج فاطال فيه المجلس فناداه لقمان ان طول المجلس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور وتضمد الحار إلى الرأس فاجلس هو بنا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فحاطر أقواما على ان يشرب ماء بحيرة فلما ذاق عرف ما وقع فيه فدعا له من قال له لئن لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال اخرج كركيك واباريك ثم اجتمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على اي شيء خاطرتوني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها مواد فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف يستطيع

ان نجوس موادها فقال لعمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (اخرنا) ابن فنجويه باستناده
عن خالد الرعي قال كان لعمان عبدا حبشيا نجرا فوله سيد اذبح لاشاة فذبح له شاة فقال ائتني
اطيب مضغتين ثم قال له اذبح لاشاة فذبح له شاة فقال ائتني باخيث مضغتين منها فيجاءه باللسان
والقلب فقال له امرتك ان تأتيني باطيبا مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تأتيني
باخيثا مضغتين فأتيتني باللسان والقلب فقل له انه امس باطيب منها اذا طابا ولا اخيث منها
اذا خيثا (واخرنا) عبد الله بن حامد باستناده عن محمد بن عجلان قال قال لعمان الحسك ليس مال
كصحة ولا نعم كطيب نفس (واخرنا) عبد الله باستناده عن ابى هريرة قال مر رجل بامان والناس
مجتبون عليه فقال له السات العبد الاسود الذي كنت راعيا يعوضك كذا وكذا قال بلى قال فما باغ
بك ما رى قال صدق الحديث واداه الامانة وترك ملايعة بني (اخرني) الحسين بن محمد عن
أبيه قال قال لعمان ضرب الوالد ولده كلاما لازرع وعن عبد الله بن دينار أن لعمان قدم من سفر
فلما غلامه في الطريق فقال له ما فعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت امرى قال فما فعلت امرأتي
قال ماتت قال جدد فراشى قال ما فعلت اخي قال ماتت قال سرت عورتى قال ما فعل اخي قال ماتت
قال انقطع ظهري (اخرنا) الحسين بن محمد باستناده عن شقيق قال قيل للعمان أى الناس أشرف قال الذى
لا يبالي أن يراه الناس سيدا وقيل للعمان ما أوقع وجهك قال تيببهم ناعى النفس أو على الناقش (وروى)
الحاربي عن سفيان الثوري قال قال لعمان لا نبهان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثيرون فلكن سفينتك
فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها الله وكل على الله فاملك تنجو ما ظنك ناجيا ياتي كيف
لا يخاف الناس ما يعدون وهم في كل يوم يتقصون ياتي خذ من الدنيا بلغة ولا تدخان فيها دخولا فتضر
فيها باخرتك ولا ترفضها فتسكون عيالا على الناس وصم صيما يقطع شهوتك ولا تصم صيما ينعك عن
الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم ياتي لا تعلم العلم لنهاي به العلماء وعارى به العلماء او ترأى
به في المجلس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجملة ياتي اختر الحالس على عينك فان رايت قوما يذكرون
الله فاجلس اليهم فانك انك عالم بنبهك علمك ويز يدوك علماء وان تكن مستاهلا يعلموك وامان الله ان
يطالمهم برحمته فتعك معهم واذا رايت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا يفهم علمك
وان تكن جاهلا يز يدوك جهلاء فاعلم الله بطالمهم بالحق به فتعك معهم ياتي لا تضع ركب الا عند راعيه كما
ليس بين الكعبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاخر خلة ومن يحب المرأة يشتم ومن يدخل مداخل
السوء ينهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك اسنانه يندم ياتي كن عبدا للاختيار ولا تكن خليلا
للأشرار ياتي كن امينا تكن غنيا ولا تر الناس انك تحشى الله وقلك فاجر ياتي جالس العلماء وزاجهم بركبتك
ولا تتجادلهم فيمنعوك حديثهم والغفهم في الدوال اذ تركوك ولا تهجرهم فيملوك ياتي لا تطلب من الامر
مدبر ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأى ويزر بالمقل ياتي ان تادبت صغيرا اتفقت كبير ياتي اذا
سافرت فلا تأمن على ديارك فان ذلك سرية في اديارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا ان تكون في محل
يمكنك فيه التمدد واذقرت من المنزل فارتد عن ديارك وسرهم ابدأ بعاقبة اقبل نفسك واباك والسفر في اول
الليل وعليك بالتمريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وحفك وعمامتك وكذاك
وسفانك وارترك رخيوطك وخزرك وتزرد من الادوية ما تنفع به انت ومن معك وكن لاصحابك موافقا
موافيا الا في معصية الله ياتي اياك والتفجع فانه بالنها شهره والليل ربة ياتي لا امر الناس بالبروتى نفسك
فيكون مثلك مثل السراج يضيء الناس ويحرق نفسه ياتي لا تحقرن من الامور صفارها ان الصغار غدا
تصير كبارا ياتي اياك والسكذب فانه يفسد وينك وينقص عند الناس مروءتك فتند ذلك يذهب حياؤك

بغ آدم خذ
بشر الحافي
خارجا من الم
فقلت في نفسي انظر الى
هذا الرجل الموصوف
بالزهد والورع لم يستعقر في
المسجد ساعة فتيمة حتى
دخل السوق يوقف على
الخباز واشترى بدرهم
خبز ثم تقدم الى الشوى
فاشترى منه بدرهم ثم اشترى
بدرهم حلواء فقلت في
نفسي لا ابرح عنه حتى
انظر ما اذا يصنع بهذا يخرج
الى الصحراء فتيمة وانا
اقول ير يد الماء والخضرة
في زان عشي وانا خلفه الى
قرية مصر حتى دخل
مسجدا اخر باقية مريض
فيجلس عند راسه وصار
يطمه لفظة بعد لفظة وانا
انظر اليه فقلت لا انظر
ذلك المسجد وما حوله
ففت ساعة ثم رجعت
الى المسجد فلم اجد بشرا
الحافي فسألت المريض
وقلت له اين الذي كان
ياقنك فقالا بشرحافي فقلته
نعم واني هو فقال توجه الي
بغداد فقلت كم بيني وبين
بغداد قال اربعون فرسخا
يعني مسيرة خمس مراحل
قال فقلت لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ما هذا
الذي فعلت بعمي وليس
معي شيء اكثري به ما ركبه
ولم اقدر على المشي فاني

وهائك وجاهك وتهان ولا يجمع منك اذا حدثت ولا تصدق ان اقلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا
يا بني اياك وسوء الخلق والخصم وفلة الصبر فلا يقيم لك على هذه الحصال صاحب ولا يزال لك من الناس
عليها من حجاب وأنزمت نفسك التودد في امورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك
فان من حسن خلقه وظهر بشروه وبسطه حظي عند الابراء وحابه الاخيار وجاهه الفجار يا بني لاتعاق
نفسك بالعموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطبع وارض بالقضاء واقع عاقبم الله لك بصف عيشك
وتسر نفسك وتستد حياتك وان اردت ان يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في ايدي الناس فان ما بلغ
الانبياء والصدوق ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في ايدي الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل
وقد بقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل مروقك في اهله ولا تضعه في غير اهله فخير منه في الدنيا وتحرم
نوابه في الآخرة وكن مقتصدًا ولا تكن مبذرًا ولا تملك المال تتيارًا ولا تعطيه تبذيرًا يا بني الزم الحسنة
تكرم بها واعزها تز بها وسيد اخلاق الحسنة دين الله عز وجل يا بني للحساد ثلاث علامات ينتاب
صاحبه ان غاب ويملق اذا شهدو يشتم فيه بالمصيبة ثم خبر لقمان الحسك وما وصي لابنه انهم والله اعلم

مجلس في قصة بلوقيا

(اخبرنا) ابو بكر محمد بن عبد الله الخزرجي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل
رجل يقال له اوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه
السلام وامته في التوراه فخباه وكنم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة ابيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد
سليمان فلما مات والده اوشيا وبقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده فتش يوما خزان والده وجد فيها تابوتا
من حديد مقلنا بقل من حديد فقال الخزرجي عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه
صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه اوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم واهله وخمسة ايامك فتمسكها
وقرأ ما فيها علي بن اسرائيل ثم اياه قال الولي لا يا بني من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل
فرده الى اهله فقال بنوا اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبتنا قبره واخر جنازه منه واحرقناه
بالدار فقال يا قوم لا تضربوا ما تتبع حظ نفسه وخسر دينه ونياه فالحق وانتم النبي صلى الله عليه وسلم وامته بالتوراة
قال وكانت ام بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ يبلد مصر فقلت له وما تصنع
بالشام فقال اسأل عن محمد وامته فامل الله تعالى ان يرزقني الدخول في دينه فاذا نلت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد
الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بمحيط كأمثال الابل عظام وفي الطول
ماشاء الله وهن يقطن لاله الا الله محمد رسول الله فلما راى نبتة قلن له ايها الخلق الخلق من انت وما اسمك فقال
اسمي بلوقيا وانا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل
قال فقال لهم بلوقيا ايها الحياء من انتن فقلن نحن من حياء جهنم ونحن نعذب الكفار فيه ايوما لقيامه قال
بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدًا فقلن ان جهنم تروى وتزفر في كل سنة من مرتين فتفتن الى ههنا ثم تعود
اليها فشددة الحر من حرها في الصيف وشددة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب
من ابوابها ولا سرداق من سرداقها الا وقد كتب الله عليه لاله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجل ذلك عرفنا محمدًا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا ايها الحياء هل في جهنم مثلكن او اكبر منكن فقلن ان
في جهنم حيات تدخل احدنا في انفس احداهن وتخرج من فيها ولا تشعها الا نملها قال فسلم بلوقيا عليهن
ومضى حتى اتي جزيرة اخرى فاذا هو بمحيط كأمثال الجذوع والارارى وعلى متن احداهن حبة صغيرة
صفراء كما مشيت اجتمعت الحياء حولها فاذا نفخت صر نحت الارض خوفا منها قال فلما راى اوتراي قالت
ايها الخلق الخلق من انت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبرني

قال سجدا الى الجملة الاخرى
حتى جاء يوم الجمعة ومعه
شيء يؤكله للمريض فلما
فرغ من اطعامه قال له
المريض يا ابا نصر هذا
الرجل صعبك من بئداد
في الجمعة الماضية وقوه مقيم
عندي قال فظن الى بشر
كالمغضب وقال لم صحتني
فقلت اخطأت يا سيدي
واسئمت فترث الله العظيم ما
كان مني فقال بشر الخافي
قم فاهش فثبت معه الى
قرب المغرب فدخل
بئداد قال ابن محلك من
بئداد فقلت في الحسل
الفلاني فقال اذهب ولا
تعد لئلا هذفت الى الله
تعالى وصحبته رضى الله
تعالى عنه وبقينا به في
الدار بين آمين وحكي عن
بعضهم رضى الله تعالى عنه
انه قال دخلت الخلوة في
ايام جز بني وعاهدت بني
عز وجل ان لا آكل شيئا الا
بإمداد بين يوما فكم كنت
في الخلوة عشر بين يوما
فاشدت على الجوع والفاقة
والضرورة فخرجت من
الخلوة فسررت ولم اشر
بنفسي الا وانا في السوق
فبينما انا كذلك اذا بفقر
يتبني على الله رطل خبز
ورطل شواء ورطل حلواء
فتعجبت من ذلك وهو ير
علي ولا يكلمني فقلت في

نفسى ان هذا
الرجل الثقيل كيف يتعب
هذه الشهوات العزيزة
واذا طلب كسرة يايسة لم
تحصل في قال فلما كان بعد
ساعة حصل له ماغناه
فجاءني بذلك واعطانية
وقال يا فلان اندرى من هو
الثقيل انثيل الذى يخرج
من الخلوة لجل الشهوات
ويقتضى الهدى يطلب من
الطيبات والنفاس مايرد
عليه القوة ثم قال ان الذى
يطوى الاربعين يوما
يطويه بالتدريج ثم قال
لا تهمل لها أبدان تركي
ومضى فلم اره رضى الله
تعالى عنه وقتبهم اجمعين
وجميع المسلمين آمين
(وحكى عن الشيخ
المسمى بجوهري الشكور
المدفون بعدن رضى الله
تعالى عنه) أنه كان ملوكا
فمنهم فكان يبيع ويشترى
فى الاسواق الا انه كان
يحضر مجلس الفقهاء
وبهتافهم اعتادوا شديدا
وكان رجلا امينا فلما
حضرت وفاة الشيخ
المعارف بالله تعالى شيخ
الطريقة بعدن المدفون
بها اجتمعت عليه الفقهاء
وقالوا يا سيدى من يكون
شيخا يدلك فقال الذى
يقع على راسه الطائر
الاخضر فى اليوم الثالث
بعد موئى عند اجتماع

ايتها الحية من انت قالت انا وكلة بالحياة واسمى فلما عاينوا لولا ان موكة بهم انتلت بني آدم كلهم فى يوم واحد
ولكنى اذا صفرت صفرة واحدة وسمن صونى دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لبيت محمد صلى الله
عليه وسلم فافتره منى السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فاقى بيت المقدس وكان بها احير من احبارهم يسمى
عفان الخير فاتفروا فلم عليه فقال له يا بلوقيا اليس هذا زمان امتك يترك ويترك قرون وسنون ثم قال
عفان الخير يا بلوقيا انى موضع الحية التى اسمها بلعج فان قدرت ان اصيدها رجوت ان ازال ملكك ملكا فلما
ونجا حياطة طيبة الى ان بيئت الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم فندخل فى ديننا فمن حرص بلوقيا على الدخول
فى دين محمد صلى الله عليه وسلم قال ان انا ريك المكان فقام عفان واخذنا بومان حديد ودع ل فيه قدحين من
فضة فى احدهما حجر وفى الاخرين ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتح باب التابوت وتنجيا
فجاءت الحية تبغى الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن النحر فسكوت ونامت فقام عفان ودب الى
التابوت ديبا خفية فاغلق عاينها باب التابوت وحصنه واخذها وراجعه اذ لم يرا بشجرة ولا نبت الاكلها
باذن الله تعالى فى فرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من ياخذنى ويقطعنى ويدقنى ويصرمى ودهنى
ويطلى به قدميه فانه يخوض البحر السبعة فلا يتبدل قدمه ولا يرق فقال عفان اياك له طلبت ثم انه قطع لك
الشجرة فذمها وعصرها واهو اخرج وهنوا وجهه فى كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والارض
وهى تقول يا بني آدم ما اجر آدم ما اجر آدم ولن تصلوا الى ما تريدون فل ذهبت الحية وسار عفان وبلوقيا
الى البحر فطابا اقدامهما ثم دخلا فى اليم ومشيا فى الماء كما كانا عيشان على الارض حتى قطعا البحر الاول
ثم اتانى فاذا بجبل فى وسط البحر ليس بمال ولا متدار ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفى
الكهف سرى من ذهب وعلى السرى رشاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال
على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تنين وخاتمة بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام
وكان ملكا فى خاتمه من ذهب وفصه من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أطر فى كل
سطر اسم الله الأعظم وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن
داود تريد أن تأخذ خاتمه وملكك ملكك ترجوا الحياة الى أن يبعث الله محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا
أليس قد سأل رب هبلى ملكا لا يبتغى لاحد من يدي فاعطاه اياه على ماسال ولا ينال ملك
سليمان الى يوم القيامة له عانه فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا ومعنا اسم الله الأعظم ولكن أنت يا بلوقيا
اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ما أجراك على ذلك ان غلما
باسم الله تعالى فحن تمالك بقدرة الله تعالى قال وكما افخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل فخا
التنين فيهما شيئا ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالظفر الى نزول جبريل عليه
السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحه ارجعت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار
وهاجت وانطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحه وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على
وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شملة كانها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته فى البحر فامرت
النفخة بشئ الا احرقته ولا يماه الاسخنة وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الأعظم فلم ينله
مكروه ثم تراه جبريل عليه السلام فى صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجراك على الله فقال له بلوقيا من
أنت برحمتك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حيا الحمد صلى الله عليه
وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتمدد قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى
بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذى جاء منه وأخذ فى طريق أخرى فإرومضى ستة
أجرو وقع فى الساع فاذا هو بحزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل

الناس والفقراء عند قري
فيكون هو الشيخ عليكم
ثم توفي الشيخ إلى رحمة
الله تعالى فاجتمع الفقراء
عند قبره ثلاثة أيام
ينتظرون ما وعدهم الشيخ
رضي الله تعالى عنه
فيهم كذا إذا بالخير
الاخضر قد وقع قريبا
منهم وارتفع فصار كل من
الفقراء يتعني أن يكون هو
الموعود به فبينما هم
منتظرون الوعد الكريم
وما يكون فيه من تقدير
العزيم العلم إذا بالخير قد
وقع على رأس جوهر ولم
يكن يحظر له ذلك ولا
لاحد من الفقراء فقام
الفقراء يزفونه إلى الزاوية
ويزلونه منزلة الشيخ فيكي
جوهري وقال كيف أصباح
لذلك وانار جل سوقي ولم
أكن اعرف طريقة
الفقراء وعلى تبعات وبني
وبين الناس معاملات
فقال له الفقراء هذا من
الله عز وجل فالتفتوا له
ويمنك ويعلمك وهو
جولي الصالحين وقال لهم
جوهري فامهلوني حتى
امضي إلى السوق وأبرأ من
حقوق الناس فاجابوه
لذلك فذهب إلى السوق
ووفى كل ذي حق حقه
ورجع إلى الفقراء وترك
السوق وازم الزاوية
والفقراء وصار جوهري

والرأ فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فأن بلوقيا من بعض الشجر فتناول من
ثمراها فغالت الشجرة يا خايطي يا ابن الخايطي لا تأخذ مني شيئا فبقى متنجسا وانجاخذ الشجرة قوم
يترأ كضون وبأديم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطن فأمرا بلوقيا أحاطوا
به وأحرقوا من ورأه وهو باه سوا فذكر بلوقيا اسم الله فتنجسوا منه وهاجوه وأعدوا سيوفهم وقالوا
باجهم لاله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبدالله فقال أنا من بني آدم فقالوا ما سمك قال اسمي
بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا نرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذي أوقفك علينا فقال نبي خرجت في
طلب نبي اسمه محمد صلى الله عليه وسلم وأنا قد ضللت الطريق الذي أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا
فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ثم نزلنا إلى الارض وقالنا كفر الجن
ونحن ههنا مقيمون فنزولهم ونجاهدهم إلى يوم القيامة واستأثرت إلى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال
بلوقيا ملك الجن وكان اسمه صخر يا صخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم
خلق لها سبعه أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خازنين خذاه في سائرهم سماه جليليت وخلفاء في أرضه سماه تاييت
فأما جليليت فانه خلق في صور أسود وتاييت في صورة ديب وجعل الأسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول
كل واحد منهم مائة سنة ثم جاءه عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب الأسد بمنزلة ذنب الحية
وأمرهما أن يتفصضا في النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عرق ومن ذنب الأسد حية خيات جهنم
وعقارها من ذلك ثم أمرهما أن يتناكحا فحملت الذئب من الأسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى
الله إليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلنه أبوه
وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجن يا بلوقيا وادنا لنا ثبت مع الانس
والكنيتي أجل فرسي وأرقه حتى لا يعرف من رأكبه وراكب عليه على اسم الله تعالى فإذا انتهت إلى
أقصى أعمال على ساحل بحر كذا وكذا فإذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهم فأفك ستلقاهما هناك فادفع
الفرس إليهما وامش في حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى إليهم فلم على الشيخ والشاب
ونزل عن الفرس ودفعهما إليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبغ إليهما نصف النهار فقال لاه
يا بلوقيا منذ فارقك الملك قال فارتعته من غدة قالا ما أسرع ما جئت قد أتيت فر سنا فقال بلوقيا ما مددت
إليه بدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قال ابني ولكن فرسنا أحسن بك وبذلك وتلك فطار ما بين
السماء والارض ليربح نفسه منك فكتم تراه جاب بك قال خمس فواسخ أو أكثر قال لا جاب بك في هذه
المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قال وأنت لا تعلم قال خنوا
عنه السرج والاجام والبرقع فإذا الورق يطار ويسيل من كل شرة فتمه وله جناحان اقتضوا تكسما من كثرة
الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله عجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضي ثم سلم عليهم
فرضي فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأي ملكا احدي يديه بالشرق والاخرى بالغرب وهو يقول لاله الا
الله محمد رسول الله وسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق الخلق قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل
من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما سمك قال اسمي يوحنايل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال
فأجاب يديك مبه وطنتين قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ولوسبق النهار الليل
أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولوسبقت الظلمة النور لا ظلمة السموات والارض ولم
يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق فيه سطران أسطرأ بيض وسطرأ أسود فإذا رأيت السواد ينقص نقصت
الظلمة وإذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة وإذا رأيت السطر الأبيض يزداد زدت النهار وإذا انقضى
نقصت فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم

والفضائل ما يطول
ذكره فسبحان المنان
الكريم ذي العرش
الظيم فصبر على العبادة
حتى مات رضي الله تعالى
عنه (وحكي ان الحجاج
ابن يوسف الثقفي بعث
الى رجل من اهل الحدير
والصلاح والعبادة فلما
حضر بين يديه لم يمله
دون ان قال ان الله اذ هبوا
به الى الجحيم وقيدوه
واكتبوا على قيده مخلد
فلما سمع ذلك الرجل
مقاله الحجاج تبسم وقال
انك تحتاج الى دسار كبير
يكون وزنه قنطارا فقال
الحجاج المصعب به فقال له
الرجل تعمر به فالفك فقل
هذا من شؤم فمك وقلة
عقلك وتجارتك على
مولاك وحلمه عليك قال
فاعتاض الحجاج عند ذلك
وامر السجبان ان يأخذه
ويقيدوه يسلم له وبنى
له بيتا ويضمه فيه ويسد
أبوابه حتى يموت فيه
فمضى به المجاز واحضر
له حداد ثم وضع القيد في
رجله وامسك عليه
بالرصاص فقال الرجل
عند ذلك حسبي الله لا اله
لا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم قال ثم
وضوه في البيت مقيدا
مسلا فلما جاء الليل

بلوقيا ومضى فاذا هو ملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ويد اليسرى في الارض وقدمه تحت الثرى وهو
يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلم عليه بلوقيا ابنا له الملك ممن أنست وما سمك قال اسمي بلوقيا وان من
بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما سمك قال غيايل قل ما بالي أرى عينك في السماء
وما لك في اداء قال احبس الريح يميني وانشأ بشمال لولوفت ثمل على الماء لخرت البحار كلها في
ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله واغرقت الدنيا ومن عليها وريدى نبتي في الهواء احبس الريح عن
ولد آدم لان في السماء ريحا تسمى الهامة ولو ارسلتها لفسدت من في السماء ومن في الارض قال فسلم
بلوقيا وقضى فاذا هو باربعة من الملائكة احدهم رأسه كراس النور والاخر رأسه كراس النمر
وانثا رأسه كراس الاسد والرابع رأسه كراس الانسان فلما الملك الذي رأسه كراس النور فاته
يقول اللهم ارحم اليهائم ولا تمذبها وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم طهارة
والرحمة كي لا يكيدوه ولا يكفوه من فوق طاقن واجعلني من اهل شفاعته سيد محمد صلى الله عليه وسلم
يوم القيامة واما الذي رأسه كراس النمر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف
واجعلني من اهل شفاعته سيد محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي رأسه كراس الاسد
فيقول اللهم ارحم السباع ولا تمذبها وارفع عنا حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من اهل شفاعته سيد
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي رأسه كراس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تمذبهم وارفع عنهم النار واجعلني من اهل شفاعته سيد محمد
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو ملك قائم على جبل قاف وان
جبل قاف محيط بالديان من ايقوت خضراء وذلك قوله تعالى والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك
فقال له الملك من انت قال انا بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك واين تريد قال خرجت
في طلب نبي من العرب يقال له محمد وراست اري انزه ولا ادري باي بلاد انا فقال له الملك لا اله الا الله محمد
رسول الله قد امرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما سمك قال اسمي حزقيايل قال وما صنعت
هنا قال انا امين الله على جبل قاف وفي يده وتر مرة يعقده ومرة يحمله وعروق الارض كلها مشدودة
عليه والتر في كفه قال فاذا اراد الله ان يضيق على عباده امرني ان امد والتر واعاده وادني
عروق الارض فضيق الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يوسع عليهم امرني ان ارخي التر فافتح
عروق الارض فتسع الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يحسوف قوما امرني ان احرك عروق تلك
الارض فمن اجل ذلك موضعهم ترموضع لاهن ترموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك
ما وراء قاف قل وراه قاف اربعون دنيا غير الدنيا التي جئت منها في كل دنيا اربعمائة الف باب في كل
باب اربعمائة الف ضمت مثل الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وارضاها ذهب
عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الهوا ولذلك خلفوا وبه امرو الى يوم القيامة قال بلوقيا
فاوراهم أيها الملك قل حجب ووراه الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا اخبرني أيها الملك على اي شيء
هذا الجبل موضوع قال بين قرني نوح واهم به موت وهو ابيض رأسه بالشرق وفخره بالغرب
بين قرنيه مسيرة ثلاثين الف سنة وهو اسجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم
الارضون وكما البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم
عليه باو يا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل
خاتم من نور وعلى الباب ملكان احدهما رأسه كراس النور والاخر رأسه كراس السكيش

مضى السجن الى الرجل
فسمه قائماً يصلى ويقرأ
ويدعوا الله عز وجل
فمجب السجن من ذلك
فلما طلع النهار فى السجن
الى الرجل فلم يجد ورأى
البيت على حاله والحديد
ماقى على الارض قال
فخاف السجن على نفسه
من ذلك فتوجه الى عياله
واولاده وودعهم واخذ
كفنا مضي به الى الحجاج
وهو مصفر اللون موقن
بالموت فلما وقف بين يدي
الحجاج قال ما بالك بهذه
الحالة فقص عليه القصة
فقال الحجاج على بالحداد
فحضر بين يديه فقال ما
صنعت بالرجل بالامس
فقال صنعت به كذا وكذا
فقال الحجاج ما كان يقول
عند ذلك فقال السجن
سمعته يقول عند وضع
القيدين رجله حسي الله
لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم
فقال الحجاج نعم ان الذى
احتسب به هو الذى
خلصه انه على كل شيء
قدير (وحكى عن هرون
الرشيد رضي الله تعالى عنه)
انه رأى رجلاً من اهل
الخير فسمعه يامر بمروق
وينهى عن منكر فشق
ذلك على هرون الرشيد
فاحضر الرجل بين يديه
فلما حضر امر ان يحمل

وبدنه كبدن الثور وها يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام
وقالا بلوقيا ايها الخالق الخلاق من انت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وانا من بنى اسرائيل من ولد
آدم فقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ماعرفنا هائل كيف تعرفون محمدا
وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهـ ذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسم نيل فقال
بلوقيا افتحالى الباب حتى اجوز فقال لا تحسن فتحة وان الله ملك كفى السماء اسمه جبريل عسى ان يقدر
على فتحة فدعا بلوقيا به قال فامر الله تعالى جبريل ففرز اليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجراك على
الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحر بن بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح
جبلان ذهب وفي البحر العذب جبلان فضة و بينهما ملك على صورة النملة ومعه ملائكة على تلك
الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بصفته ثم قال لهم بلوقيا من أتم
قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا ياتنيان ولا يبتنيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الآخر قاوا
هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر في الارض من هذا الجبل الآخر وكل ماء في الدنيا من
ماء عذب أو ملح انما هو هذين البحرين وماؤهما انما يجيى من تحت العرش من قبل أن يخاف الله
الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا
الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت
عظيم يقضى بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وانه خرج بطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه
السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرته معنى السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم أنه قال
أيها الحيتان انى جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما جد ما اكل وما أشرب قال فقال الحوت
الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا اكلته تسير أربعين سنة لا تئما ولا تنام ولا تنجوع ولا تطش
فأطعمه ذلك الحوت قرصا ابيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يباده رأى شابا يجري
على الماء كانه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلفي فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بأختر
عز على الماء ضوءه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلفي فسار بلوقيا يوما وليلة
فاذا هو بثالث كانه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت على فوقف
وقال لبلوقيا ما ذا تستخلفني قال خشيت أن تفوتني كما صدر من اصحابك الماضين ثم قال له من
كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائيل صاحب المطر وأزاق العباد والثالث جبريل
أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فاذا تصنعون في هذا اليوم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه
فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم واما أمرنا ان نسوقها الى جهنم ليمذب الله بها السكفار يوم
القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة
فقال بلوقيا أليكون في جهنم مثل هذه الحية أو اكبر منها قال نعم ان في جهنم من الحيات ما تدخل هذه
الحية في أنف احداهن ولا تشمر بها وتخرج من فيها ولا تشمر بها من عظم خلفها قال فسلم بلوقيا ومضى الى
جزيرة اخرى فاذا هو بفلام ايضاً أمردين قبرين فلم عليه بلوقيا وقال يا شاب من أنت وما اسمك
قال اسمى صالح قال فما هذان القبران قال احدهما قبر ابى والاخر قبر امى وكانا صالحين فمات هتانا وانا عند
قبرهما حتى اموت فلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر
واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومفراده من لؤلؤ وبداه من زعفران وقوائمه من زمرود واذا
مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها اطام وحوت وشوي فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام

له بيت و يسعد عليه بابه
ومناذره حتى يموت فيه
قال فقلوا ذلك ممة فلما كان
بدم خمسة ايام قال بعض
جلساء هرون الرشيد
يا مولاى انى رايت
الرجل الذي امرت بسد
البيت عليه وهو يتبختر
فى بستانك القلاى فقال
الرشيد على يد فاحضروه
بين يديه فلما رآه الرشيد
قل له من اخرجك من
البيت قال الذى ادخلني
البيتان قال ومن ادخلك
البيتان قال الذى
اخرجني من البيت قال
فضحك الرشيد وقال هذا
عجيب قال الرجل و اى امر
رك بك لبس بعجيب قال
فيكى الرشيد وامر له
بالاحسان واركبه فرسه
من خواص خياله
وامر مناديا يتادي بين
يديه ويقول هذا عبد الله
مولاه فاراد هرون امانته
فلم يقدر ثم زاد فى احسانه
واكرامه واحترامه وهذا
من بعض مناقبهم فقه
الله بهم امين (وحكى عن
الشيخ شاه ابن الشجاع
الكرمانى رضى الله تعالى
عنه) انه كان له بيت تقرأ
القرآن وتصوم النهار
وتقوم الليل وكانت يديه
الحسن والجمال فسمع بها
ملك كرمان فأتى اباه
ليخطبها منه فاستهله

فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا ن طيور الجنة وإن الله تعالى قد بعثنى إلى آدم بهذه المائدة لما
أهبط من الجنة رأتى كنت معه حين ألقى حواء وأباح الله له الأكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت
فكل غريب وغار سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليهم إلى يوم القيامة
فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفأكل منها قال كل فأكل حاجته
ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معى أبو العباس يا نبى أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه
السلام فلما ذكر الخضر أذابه قد أقبل وعليه ثياب بيض فإخطا خطوة الأنت الحشيش تحت قدميه قال
فسلم على لوقياءه عن حاله فقال بلوقيا طاعت غيبتي وأرد بالرجوع إلى أمى فقال الخضر بينك وبين
أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا أدرك اليها فى مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر إن كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة
سنة فأنأ أدرك اليها فى مسيرة خمسة أيام فقال الخضر عليه السلام فأنأ أدرك اليها فى ساعة واحدة ثم قال
غمض عينيك فمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عندهما فساها من جاءه في اليك قالت
طيرا بيض بطيرك بين السماء والأرض فوضعك قدامى ثم إن بلوقيا حدث بنى اسرائيل بما رأى من العجايب
والاخبار فابتغوا وكثيرا إلى يومنا هذا فهاذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجايب فى البحر والبر
سهلا وجبلا والله أعلم

﴿ مجلس فى ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام ﴾

قال الله تعالى و بالونك عن ذى القرنين قل سأتولع عليكم منه ذكرا

﴿ باب فى نسبه وأفيه ﴾

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن نيليش بن بطر بوس بن هرمس بن هرودوس بن منطون بن رومي بن
الطين بن يونان بن بافت ويقال نسبه ينتهى إلى الميص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم
بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا بن دارا وذلك أن دارا الأكبر بن مهن بن اسفنديار بن يستاسف
كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلامه وأنها حملت إلى زوجها دارا الأكبر فوجد
منها رائحة كريهة فأمر أن يحتمل في زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة في مدارأها على شجرة يقال لها
سندروس فطبخت لها وغسلت أمها فاذهب ذلك كثيرا من بنتها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كما فانتنت نفسه
عنما أبتة لتنها وعافها فردها على أهلها وقد علمت منه فولدت له في أهلها غلاما سمته باسمه واسم الشجرة
التي غلبت عليها اسكندر وس فهاذا أصل اسمه ثم خففت ففيل اسكندر وكفى بذى القرنين * واختلفوا
فى سبب اسمه بذلك فقال بعضهم سمى بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان فى مقدم رأسه شبه
القرنين من لحم وقيل لانه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب
وقيل لانه دعا قومه إلى التوحيد فضر به على قرنه الايمن ثم دعا على التوحيد فضر بوه على قرنه الايسر وقيل
لانه كان له ذؤبانان حسنان والذؤبة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل ابيه
وأمه وقيل لانه كان انقضى في وقته قرنان من الناس وهو وحى وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه
جميعا وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

﴿ باب فى قصة ذكر بده أمره وسبب استكمال ملكه ﴾

قال الله تعالى أنا مكننا له فى الأرض وأتينا من كل شيء سبيلا قال قوم كان فيلبش اليونانى أبو
الاسكندر ملك اليونانين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون أن الاسكندر أخو دارا الاصغر
وكان أبو هلامه نجد الاسكندر لانه ملكه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت
ملوك الروم يؤدون الاثاوة جميعا إلى ملوك الفرس وكانت الاثاوة التى كان أبو الاسكندر يؤدوها إلى ملوك

الشيخ ثلاثة أيام ثم أقبل والداه يطرف المساجد لينظر رجلا فقيرا يزوجه بها فبينما هو كذلك ان رأى غلاما حسن الوجه يصلي ويحسن الصلاة فلما فرغ من صلاته قال يا غلام هل لك في زوجة تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وهي جميلة نظيفة فقال الغلام ومن يزوجني بها يا سيدي فقل لنا ازوجك بها فخذ بدرهم خبز وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والامر مفروق منه ثم عقده عليها ورجع الى بيته وأخبرها بذلك فلما دخلت الى بيت الغلام رأيت فيه رغيغا يابساً على رأس جرحه فلما رآه قالت ما هذا فقال لها الغلام هذا رغيغ تركته من أمس انتظر شفيه فلما سمعت ذلك ولت راجعه فقال لها الشاب قد علمت ان بنت شاه السكرماني لا تفرح بغيري ولا ترضي ان أكون لها بلا فلات ان بنت شاه ليس خروجه من منزلك افقر لك للضمة يغنيك ولست انتجب منك واتماحب من والدي حين قال لي قد زوجتك بشاب عفيف فكيف يوصف بالعمة من لا يعتمد على الله سبحانه وتعالى الامع ادخاره رغيغا قال فلما سمع

الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذاع زعة وقوة وملك غزا ملوك الروم ففهمهم واستعملهم لك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأتى بذلك من نفسه القوة فأتى صبي على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحملهم اليه من الخراج والاناوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاناوة عن نفسه وعن ملك الروم فاجابه الاسكندر اني قد زبحت تلك الدجاجة اني كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمه فلما وصل اليه السكيب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنب بسوء صنيعه في امتناعه عن حمل الخراج اليه وكتب اليه بالصولجان وكرة وقفيزي سدهم وأعلمه فيما كتب به اليه انك صبي وأنا ابن نبى لك أن تملك بالصولجان والكرة حتى يموت بهما اليك ولا تنقلد الملك ولا تلبس به ولا تستصهي ولا تبعت اليك من يأتيني بك في ووق ولو كانت جنودك بمدح السهم الذي يموت به اليك فيموت اليه الاسكندر في جواب ذلك اني قد فمت ما كتبت وقد نظرت ما ذكرت في كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضمت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بارضك رأيتي نحو على ملكك وأضيفه الى ملكي وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السهم الذى يمشى الى كنفى الى الصولجان والكرة ويموت الى دارامع كذابه صرة من خردل وألمه في الجراب انما يموت اليك بذلك لان جنودى مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده ونأهب لخاربه الاسكندر وأن الاسكندر ايضا نأهب لقاته ونادى في عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فلما بلغا ناحية خراسان ما بين الخزر واقتتل اشدا القتال وصارت الدائرة على جند دارا ففرض له فارس من قرابته وأهل بيته ونفقته وقيل ان أحدهما كان صنيعة فطمناه قايه عن مركبه وأراد ابطمها اليه الحظرة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر ينادى ان يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فاخرى بشان دارا فاسرع حتى وقف عليه فراه فوجد بنفسه فزله اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يقط بقتله وان الذي أصابه لم يكن قط برأه وانما غدر به فقامه ثم قال سلفى عمادى لك فأسعفك به فقال له دارا ان الى اليك حاجتين احدهما أن تنتقم من من الرجلين اللذين فككتا وسماهوا وبلادهما والثانية أن تزوج ابنتى روشك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن يادى عليهم ما اجزاء من اجزاء على ملكه وغش أهل بيته ونزوح ابنته وشك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما اتفق اجتماع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر محجة ما

باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذى القرنين بمد قبل دارا ووصف مسيره

الى البلاد والآفاق

قالت الملوك باخبار القدماء قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له البلاد فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الارز وقيل الموايد وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) في سبب احراق كتبهم ان الجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بماء الذهب على جلود اثنين فبلغ عددها اثني عشر الفا فاحرقوها للحصول ذلك الذهب وبني اثنتي عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراه ومرو وسمرقند ومدينة بارض اصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل وزوجته روشك بنيت ارام مدينة الاسكندرية ثم انه رأى في منامه أنه أخذ بقرنى الشمس ورأى في منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء في نبوته فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدري أكان ذوالقرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسألة تكلمنا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملاكه لا قاض ولا قال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما

الشاب كلامها قال أنا عن ذلك معتذر والعفو عن ذلك أو لي فقلت تصديق به تلي مستحقة فاني لا اقيم في بيت فيه مالموم فاما ان تصديق به واما ان اخرج اقامن البيت قال فتصدق الغلام به فدخلت الى البيت (قلت) هذا التزعم يصح مدرن الشيخ العارف بالله تعالى شاه بن الشجاع المذكور بعد ما زهد في الدنيا وترك الملك ودخل في طريق القوم رضى الله عنهم وقد تقدمت حكايته في هذا المجموع رضى الله تعالى عنه ونقمنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين (شعر)
فلو كان النمام كن ذكرا
لفضلت النساء على الرجال
فالتأنيث لاسم الشمس عيب
ولا الذكير فخر للرجال
(وحكي عن سهل بن عبد الله) تسترى رضى الله عنه انه قال اول ما رايت من العجائب والكرامات اني خرجت يوما من الايام الى موضع خالي ظاهر البلد التي كنت قاطنا بها فطاب لي المقام فيه ووجدت قاضي قر يمان الله عز وجل خضرت الصلاة فارتدت الوضوء وكانت عاتني في صباي تجد يد الوضوء اكل

روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذوالقرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم لبس لحاويلد غيره وكان اسمه الاسكندر و يقال كان اسمه عباسا وكان عبد صالحا فلما استحكم له ما واجتمع آثره أوحى الله تعالى اليه اذا القرنين اتى قد بشك اليك جميع الخلائق ما بين الخافقين و جعلتك حجة عليهم وهذا تاويل زوايك واني باعثك الى أمم الارض كلها وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمم ان بينهم اعراض الارض وأمنان بينهما طول الارض وثلاث أمم في وسط الارض وهم الانس والجن ويا جوج ويا جوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فامة عنده قرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى يحياها يقال لها ناسك وهي عند مطامع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما اعراض الارض فامة في قطر الارض الايمن يقال لها ويا ويا والآخرى يحياها في قطر الارض الايسر يقال لها تاو ويا فلما قال الله تعالى لذلك قال ذوالقرنين الهى انك قد تدبني في امر عظيم لا يقدر عليه الا انت فاخبرني عن هذه الامم التي بعثني اليها بى قوة اكبرهم وياى جمع وحيلة اكبرهم وياى صبرا قاسمهم وياى لسانا طافهم وكيف لي بان أفنه لغاتهم وياى سمع أسمع أقوالهم وياى بصرا أقدمهم وياى حجة أخاصمهم وياى عقل أعقل عنهم وياى قلب رحمة أدير أمرهم وياى قسط أعدل بينهم وياى حلم أصبرهم وياى معرفة أفصل بينهم وياى علم أنفهم أمورهم وياى بساطة عليهم وياى رجلا أطوهم وياى طاقة أحصيههم وياى جندا أقامهم وياى رفق أولفهم وليس عندى بالهال شي مما ذكرت بقوم لهم ويقوين عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسك الا الوسع والولا تحملا فوق طاقتهم ولا تشعبا بل أنت ترحمنا فقال الله تعالى ساطوئك ما حملته وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعي كل شي وأشرح لك فهمك فتفقه كل شي وأبسط لك لسانك فتظن بكل شي وأفتح لك بصرك فتفقه كل شي وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شي وأشد لك عضك فلا يهولك شي وأشد لك ركك فلا يفلبك شي وأشد لك قلبك فلا يفزعك شي وأشد لك يدك فتسطو على كل شي وأشد لك وطأك فتبلك كل شي وألبسك الهبة فلا يروعنك شي وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهم أجندا من جنودك يهديك النور أمامك ونحوط بك الظلمة من ورائك فلما قيل لذلك حدثته نفسه بالسير والبع عليه قومه بالما فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم ان يبذلوه المسجد او يملوا طول المسجد او ياتوا به ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه "سورى" قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فأكبوه بالتراب حتى يستوى الكعبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المفتر قدره وقطعته ومثل قلامة الظفر ثم خالتموه بذلك الكعبس وجعلتم خشبا من نحاس وودن من نحاس وصنن من نحاس من نحاس تذيبون ذلك وأنتم تمكثون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتي ذراع فبينهم الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيئا فهو له فقه لوداك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف اعاليه واستقي المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جندهم فوجدهم فيا قيس ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جندته ثمانمائة ألف ومن جندته اربعمائة ألف ومن المساكين اربعمائة ألف انطلق يوم الامة التي عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة أى ذات حمار ومن قرأ حامية بالن من غيرهم فمناه حارة (أخيرا) عبد الله بن حارم الاصفهاني باسناده عن ابن عباس قال قرأنيها في كتاب كذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت ما تغربها الا حمة فقال معاوية نزل الله في عمر كبرت تغربها قال قرأوها كافر يا أبا هريرة

المؤمنين قال ابن عباس فاطات الجدال منهم الفار ل معاوية إلى كعب فجاهده فقال له أين تجد الشمس تقرب
في التوراة يا كعب قال أما العربية فأتى أعلم بها مني وأما الشمس فأتى أبجدها في التوراة تقرب في ماء وطن
وأشدك ما تزداد به تبصر أو هو قول تبع

قد كان ذو القرنين قتي مسلماً * ملكاً تدين له الملوك وتسجد

بلغ المشارق والمغرب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد

فأري مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثناط حرم

فقال معاوية ما الحلب يا كعب فقالت الطين كلامهم قال فما الناط قلت الحاة قال وما الحرم قلت الاسود
فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصىه الا الله تعالى
وقوة وبأس الايطاة قال الله ورأي السنة مختلفة وأهواء مشبهة فلذلك قوله تعالى وجد عندها قوما يعني ناسا
فلما رأى ذلك كانوا بالظلمة تضرب حولهم ثلاث عسا كرمها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان
واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فمد إلى الذين
تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأبصارهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم
وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فله اخوان واصحاب ونحوهم فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها
ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوتة فجاهد من أهل المغرب أم عظيمة
فيجلم جندوا واحدا ثم انطلق بهم بقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم ونحو رسهم والنور أمامه يقوده ويبدله
وهو يسير في ناحية الارض التي هو يريد والامه التي في قطر الارض التي ينالها هو بل وسخر الله له
قبله ويده ورأى بعقله ونظرة فلا يخطئ اذا عمل عملا فاطلاق بقود تلك الامه وهي تبه حتى اذا انتهى إلى
بحرا ونخضة هيا سفتان ألواح صفار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع مامعه من تلك الامه
وتلك الجنود والابناج البحار والانهار فتهايم تدفع إلى كل رجل منهم لوحا فلا يكثر ثمر عمله فلم يزل ذلك دأبه
حتى انتهى إلى هاو بل فعمل فيها كعمله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الارض التي انتهى
حتى انتهى إلى منك عند طلوع الشمس فوجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جودا كعمله في الامتين
التي قبلها ثم كرم قبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد ناءو بل وهي الامه التي يحياها وبل وهما
متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كعمله فيما قبلها فلذلك
قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يحمل لهم من دونها ستر وذلك أنهم
كانوا في مكان لا يستر عليه بناء وكانوا يكتنون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا إلى ما يشبه
وحروهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تختمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا
الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جرير جاءهم مرة جيش لتفرج على
طلوع الشمس فيها أهلها فقالوا ما نرى حتى تطلع الشمس فنراها ثم أنهم قالوا ما هذه العظام فقالوا
هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فنواهننا قال فذهبوا هار بين في الارض وقال السكبي هم أمه
يقال لها منسك حقة عرا عمة عن الحق قال وحدها عمرو بن مالك بن امة قال وجدت رجلا يسرع وقد
يحدث الناس وهم حوله مستمعون له فسمعون فساءت بعض من سمع حديثه فآخروا انه حدثهم عن القوم
الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان يبنك وبينهم يوما
وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليالي حتى صبحتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلتحن
الاخري وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا لانا ننتظر كيف تطلع الشمس قال فيينا نحن كذلك
اذ سمعنا كهيئة اصلصلة فتش على فوقت فلما افقت فت وهم مسحون على بالدهن فلما طلعت

ثم شاهد يد او صرت متجيرا
فبينما اننا كذلك اذ رأيت
شيئا قائما يمشي على رجله
فتوهمت انه آدمي فلم
قرب مني اذا هو دب عظيم
ومعه جمره قد امسكها
بيده فلما دناسني وضع
الجرة بين يدي فتجسست
في نفسي عجيبا شديدا
وقلت من أين هذه الجرة
وهذا الماء قال فنطق
الدب وسلم على وقال
يا سهل نحن قوم من
الوحوش قد انقطعنا إلى
الله تعالى بعزم الحبة
والتوكل على الله تعالى
فبينما نحن فتكلم مع اصحابنا
في مسألة ان نودينا الا ان
سهلا يريد ماء لتجديذ
وضوئه فممت من عند
اصحابي ووضعت هذه
الجرة بين يدي وكانت
قارعة واذا بملكين قريبين
منى فدنوت منهما فصبا
فيها الماء من الهواه وانا
اسمع خري الماء في الجرة
قال سهل رضى الله عنه فلما
سمعت ذلك غشي على فلما
افقت اذا بالجرة موضوعة
ولم ادر اين ذهب الدب
قال سهل فنوضأت
وصليت فلما فرغت من
الصلاة اردت ان اشرب
من الماء فسمعت قائلا من
الوادي يقول يا سهل لم
يؤذن لك في شرب هذا

الماء فتركها فإذا هي

تطرب وأنا أظـر

اليها متعجبا ولم أدر أين

ذهبت تلك الجرة عفا الله

عنهم ونعمنا بركاتهم آمين

(وحكى عنه ايضا رضى

الله تعالى عنه) أنه قال

توضأت في يوم جمعة

ومضيت الى الجامع وكان

ذلك في أيام البداية

فوجدت الجامع قد امتلا

بالناس وهم الخطيب ان

يرقى الميرفاسات الادب

ولم ازل انخطى رقاب

الناس حتى وصلت الى

الصف الاول ثم جلست

فأذعن يميني شاب حسن

للمنظر كأنه من الملوك وعليه

أقمار من صوف فلما نظر

الى قال كيف ترى حالك

يا مهل فقلت بخير اصلحك

الله قصرت متعجرا في

دعفتي الى ولم اعرفه فبينما

أنا كذلك اذ اخذني حرق

بول فازعجني ذلك

وصرت متعجرا في امري

فان قمت فحسبت رقاب

الناس ثانيا وان جلست

لم اتسكن من الصلاة قال

سهل فالتفت الى الشاب

وقال يسهل اخذك

حرق بول قلت نعم

ياسيدي قال نزع رداه

عن منكبيه وغطاني به وقال

قم اقض حاجتك واسرع

ليدرك الصلاة قال فظفرت

فأذاباب مفتوح وقال

الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف الماء كهيئة القسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سر بلهم أنا وصاحي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجدوا بوايا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

(باب في صفة سد ذى القرنين وما يعمل به)

قل الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء باخبار القديما لما فرغ ذو القرنين من امر الامم الذين هم في اطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس وبأجوج وما جوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس باذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيه من مشابهة من الانس وهم اشباه البهايم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تقتربها السباع يأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس الله خالق يئمون تمامهم ولا يزدادون كبريادتهم فان أنت اطعمت على من يئمون من غائهم وزبادتهم فلا تشك أنهم سيماء الارض ويخرجون اهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها وليست غمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع ان يطاع علينا ارضهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا اى جملا واجرا على ان نجعل يبتنا وبينهم سدا حاجزا فلا يصلون اليينا فقال لهم ذو القرنين ما مامكني فيعبر اى قوائى عليه خير من خراجكم فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فملة وصناع يحسنون البناء والعمل والامانة قالوا وما تلك الامانة قال اتوني ز الحديداى قطعه واحد تهاز برة اتوني النحاس فقالوا من اين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سادسكم على معادنها قالوا فباى قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو اشد ما خلق الله في الارض باضوا هو الذى قطع به سليمان اساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم اورد على جامع من الحديد والنحاس النار وصنع منها برا مثل الصخور العظيم ثم اذاب النحاس فجعله كطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بني وكيفية بنائه على ما ذكر اهل السير انه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ولما انشا في عمله حفرة له لاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الخطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الخطب على الحديد فلم يزل يحمل الخطب على الحديد والحديد على الخطب حتى ساوي بين الصدين وهما الجبلان ثم امر بالار فارسات فيها قال انه اخذوا حتى جعل يفرغ لقطر فيه وهو النحاس المذاب فيجعل النار تاكل الخطب ويسير النحاس مكان الخطب حتى انزم الحديد النحاس المذاب فصار كأنه برد حيرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغيرته فصار سدا له نياطا ولا غطاء حصينا قال تعالى فاستطاعوا ان يظهره اى يملوه وما استطاعوا (قول قتادة) ذكر لنا ان رجلا قال يا بني الله قد ارايت سد يا جوج وما جوج قال انتم لي قال كالبرد الحبر طريفة سوداء وطريفة حمراء فقال له قدر ايتا ويقال ان وضع السد وراء زخرد بفرب مشرق الارض يئمون بين الخزر مسيرة اثنى وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد مفتوح فوجه سلا ما التجمان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطي كل رجل من الخمسين الف درهم ودرق سنة وأعطاه مائتي بيلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسماعيل صاحب أرمينية وكان بنفليس وكتب له - ا - حتى الى صاحب السمرير وكتب له صاحب السمرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الاز الى طاجند

يقول لـج الباب يرحمك الله
 فولجت الباب فسريت
 قصرا مشيد البناء شاخ
 الاركان واذا بنخله قائمة
 واذا بجانبها مطهرة بملوأة
 ماء احلى من الشهد واذا
 بنشفة معلقة وسوالك ابن
 من الحرير قال سهل
 فتعجبت من ذلك ثم
 حلت لباسي وارقت الماء
 واغتسلت وتذشفت
 وليست انواني فسميته
 يناديني ويقول ابن
 كنت قضيت اريك فقل
 نعم فقلت نعم ففتح الرءاء
 عني فاذا انا جالس مكاني
 ولم يشمرني احد فصرت
 متفكرا في تقيمي متعجبا
 مما رايت وصرت اكدب
 نفسي تارة واصدقها تارة
 فقامت الصلاة فصليت
 مع الجماعة ولم يكن لي شغل
 والا ذلك الفتى لاعرفه فلما
 رغننا من الصلاة قام
 فتبعته وانا امشي خلفه
 حتى دخلت الى درب
 فالتفت الى وقال يا سهل
 كانك ما ليقتت بما رايت
 فقلت كلا يا سيدي فقال
 لـج الباب يرحمك الله
 فظفرت فاذا الباب بيمينه
 ثم ولجت النضر فوجدت
 النخلة والمطهرة والسوالك
 المنشفة مبلولة فقلت آمنت
 بالله العظيم فقال يا سهل من
 اطاع الله اطاعه كل شيء
 اطاعه نجاهه قال سهل

في بلاد شاه ملك الخزر فاقام عنده حتى اخذ معه خمسين رجلا ادلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى اقبلوا الى ارض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حلوا معهم شيئا يشمون به الرائحة الزكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن تلك المدن فقالوا فندظر فيها يا جوج وما جوج فخير بها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالمرية والفارسية يقرؤون القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لانهم هؤلاء القوم قلنا رسل امير المؤمنين فقالوا ومن هو امير المؤمنين قلنا من اولاد العباس ملك بالمرق فتعجبوا منه وقالوا شيخ اوشاب وزعموا انهم لم يباينهم خبره ثم فاقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع وادعرضه مائة وخمسون ذراعا وعضاداته مبيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضدة خمسة وعشرون ذراعا بنية بلين من حديد مركبة في نحاس في سمك خمسة عشر ذراعا واذا وتدين حديد طرفاه على عضدتين طولهما مائة وعشرون ذراعا قد ركب علي العضدتين علو كل واحدة مقدار عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع فوق ذلك الابن الحديد المنيب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك تحرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبنين بعضهم الى بعض منظومة كل واحدة في صاحبتهما فاذا باب له بصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسة وعشرون ذراعا في ارتفاع خمسة عشر ذراعا قائمان هما في دورهما على قدر الدر بندو على الباب قفل طوله سبعة اذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة اذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية اذرع في استدارة اربعة اشبار والخلفة التي في السلسلة مثل حلقة المتجنيق وعرض عتبة اباب عشرة اذرع في طول مائة ذراع سوى مافي العضدتين والظاهر منها خمسة اذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرين فارس مع كل فارس مرز بقع من حديد وزن كل واحدة خمسون مثاقيل فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء ان اولئك لم يحنوواي الباب حدث فاذا ضربوا اصغفوا اليه بالآذانهم فيسمعون من داخل دوبا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لها عشرة في عشرة ومع الاباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عند في احد الحصنين الة البناء التي تبنى بها السد من قسور الحديد ومعارف من حديد وهناك بعض اللين من الحديد قد التزق مضطرب ببعض من الصدا واللبنة ذراع نصف في عرض وشبر وسألنا هل هناك احد من اهل يا جوج وما جوج فذكروا انهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فالتهم الى جانبهم ركان مقدار الرجل في رأى اثنين شيئا ونصفا قال فلما انصرفنا احدث بنا الادلاء على نواحي خراسان فمدنا اليها فوقتنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان اصحاب الحصن ثم زودنا اطعامهم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة الف درهم ووصل كل رجل كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا الى سمرن رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله اعلم

باب في دخول ذي القرنين الظلمات على القطب الشمالي اطاب عين الحياة

روى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رقائقل يأتيه ويؤزره فيبينها ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رقائقل حدثني عن عبادتك في السماء فيكبي وقال يا ذا القرنين وما عبادتك عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان

فتمرت عيناى بالدموع

فمسحتهم ما وفجعتهم فلم
الشاب ولا القصر فصر
وتحيرا على ما فاتني منه
رضى الله تعالى عنه وقمنا
بهو بلوه واعد علينا من
بركاته آمين وحكى عنه
أبضا غنى الله عنه انه قيل
لبعض اصحاب سهل
كيف كان حال سهل فقال
خدمته ثلاثين سنة فما
رأيت له وضع جنبه على
فراشه ليلا ولا نهارا وكان
يصلى الصبح بوضوء
الماء وهرب من الناس
الى جزيرة بين عبادان
والبصرة وما فر من الناس
الا من رجل حج سنة
من السنين فلما رجع قال
لا خير لى سهل بن عبد
الله في المواقف بعرفة فقال
له اخوه نحن كنا عنده في
ذلك اليوم وهو جالس
بيننا فحلف بالطلاق
الثلاث انه رآه في ذلك
اليوم بعرفة فقال له اخوه
سربنا اليه حتى نسأله عن
حكم ذلك التمين وعما
جري بيننا الاختلاف
في ذلك فقاما اليه
وسلما عليه فرد عليهما
السلام فقالا دعما جرى
بينهما من هذا الحديث
فقال سهل ما لي في هذا
الحديث حاجة فاشنعوا
بالله تعالى ثم التفت الي
الحائف وقال له امسك

القدس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدك حق عبادتك فيكي ذوالقرنين بكاء شديد ثم قال اني احب
أن أعيش قابلق من عبادك فقال رفايل أو محب ذلك باذالقرنين قال لهم قال رفايل قال انه
عيناى الارض تسمى ذين الحياض فما من الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو
الذى يسأل به الموات فقال له ذوالقرنين هل تعلمون أنهم موضع تلك المدين فقال لا غيرا نتحدث في السماء ان
لله في الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فيخرج نفلان تلك المدين في تلك الظلمة فيجمع ذوالقرنين علماء
أهل الارض وأهل دراسة الكتب آثار النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم فيها قرآن من كتب الله
تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسدائهم ان كان قبلكم من العلماء ان الله رضع في الارض عيناها ما عين الحياة
فقات العلماء لا فقال عالم من العلماء انى قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها ان الله خلق في الارض
ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذوالقرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التي
على قرن الشمس فبعت اليها ذوالقرنين وحشد اليها الفقهاء والاشرف من الناس والملوك ثم سار يطلب
مغرب الشمس فسار اثني عشرة سنة الى ان بلغ طرف الظلمة فاذا هي مثل الدخان رايست كظلمة الليل
فمسكروا تلكم جمع علماء عسكره فقال انى ارى يد أرباب أساك هذه الظلمة فقالت العلماء أرباب الملوك ان من كان
فذلك من الملوك والايام لم يطأ هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف ان يفتتح عليك أمرتك وهو يكون فيه
فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فتأولوا اليها الملك كيف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا نعلم
انك ان طيبتهم اطعرت بآثار يدوم يسخط الله عليه لا ينمناك واسك الخائف من الله تعالى فساد في الارض
ومن عليها فقال ذوالقرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذوالقرنين أى الدواب بالليل
ابصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل ابصرة لولا انك قالوا أى الاناث ابصر قالوا البكارى قال فارسل
ذوالقرنين فيجمع له ستة آلاف فرس انى ابكارا ثم اتخ من عسكره أهل الجاد والمقل ستة آلاف رجل
فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد رايه لخصر عليه السلام وجعله مقدمته في الفين وبقي ذوالقرنين في اربعة
آلاف رجل وقال ذوالقرنين لبقية عسكره لا يرحوا من همسكم كرهذا الى اثني عشرة سنة فان نحن رجعنا
اليكم والا فارجموا الى بلادكم فقال لخصر أبي الملك ان أسلك الظلمة ولا تدرى كم سير فيها ولا يبصر بعضها
بعضا وكيف تصنع بالضلال اذا اصابنا فدفع ذوالقرنين الى لخصر عليه السلام خروزة جهرا وقال له حيث
يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فارجع اليها اهل الضلال اين صاحت قال فسار لخصر
بين يدي ذى القرنين برنحل لخصر ويحط ذوالقرنين فيمنا لخصر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن
الخصر ان العين في الوادى والقي في قلبه ذلك فقام على شفير الوادى ومكث طويلا ثم اجابته الخروزة فطاب
صوتها فانتفى اليها فاذا هي على جانب العين فنزع لخصر ثيابا ثم دخل العين فاذا هوها أشد بها من الابن
وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابا ثم اندرى الخروزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت
فرجع لخصر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لأصحابه سيروا على اسم الله وانذا القرنين مرفا خطا
الوادى فلمسوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم أنهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض
حمرار ملة خشخاشية فاذا هم بتصر مبنى في تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فترل ذوالقرنين
بعسكره ثم أنه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا احديدة قد وضعت طرفها على جانب القصر من ههنا وههنا
واذا طائر أسود يشبه الخفاف مزوم ما بانته الى الحديد معلقا بين الماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة
ذى القرنين قال من هذا قال ناذا القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفك ما وراني حتى وصلت الي ثم قال
يا ذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثير بناء الحصن ولا تجرى في الارض قال نعم فانفض الطائر انفاضة
ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديد ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور في الارض قال نعم قال فانفض

بذلك أحد بعد ذلك
ثم مضى الى الجزيرة
المذكورة هاربا من الناس
عفا الله تعالى عنه وتغنايه
وبيركته آمين (وحكى
عن خادمة رابعة المدوية
رضي الله تعالى عنها) انها
قالت كانت رابعة المدوية
تصلى الليل كله فاذا طلع
الفجر هجمت هجمة في
مصلها حتى يسفر الفجر
فكنت اسمها تقول اذا
وثبت من مرقدتها وهي
فرعقة يانوس كم تلاميذ والى
كم تقوه بين يوشك انك
تأمين نومة لا تقوم منها
الا لصرخة يوم النشور
فكان هذا ما احتاجت اليه
رحمه الله تعالى عليها (قالت)
خادمته رضي الله تعالى
عنها لما حضرت وفاة رابعة
احضرتني ثم قالت يا فلانة
اذا انا مت فلا تملني بي
أحد اذ كنت في جنتي
هذه وكانت جنتها من شهر
كانت تقوم فيها اذا نامت
عيون التامنين قالت
فكففتها فيها وفي خمار من
صوف فلما دفنتها رأيتها في
المنام وعليها حلة خضراء
من استبرق وخمار من
سندس أخضر فقالت لها
يارلية ما فعل الله بالجبة
التي كنناك فيها واخرجنا
الصوف قالت انه نزعها
عني وأبدلت هذا الذي

الطائر ثم اتخ حتى ملا الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذوالقرنين ذلك ففرق فراقا شديدا
فقال الصائر لا تخف حديثي فاسمع قل هل ترك الناس شهادة أرباب الله مد قائل لا فانضم الطائر الى ثلثه
ثم قايما القرنين هل ترك الناس غسل الجنازة بعد قائل لا فنادى الطائر كما كان ثم قال إذا القرنين اسلك هذه
الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فاسلكوا ذوالقرنين وهو خائف وجل لا يدرى على ما يهجم حتى
استوى على صدر الدرج فاذا سطع ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى
السماء واضمأ يده على فيه فلما سمع خشخشة القرنين قال من هذا فقال أنا ذوالقرنين قال وإذا القرنين ان الساعة
قد قربت واتى منتظر أمر ربى بامرئ أن أنفخ في الصور ثم أن صاحب "صوراً خذ شيئا من بين يديه
كانه حجر فقال إذا القرنين خذ هذا فان شيع هذا شيعت وان جاع هذا جاعت فخذ ذوالقرنين الحجر
ونزل حتى أتى الى أصحابه فحسبهم بالمر الطائر وما قاله وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء
عسكره وقال اخبرنى ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخذت من اقل لك صاحب الصور فقال
ذوالقرنين انه قال ان شيع هذا شيعت وان جاع جاعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا
حجر مثله ووضوه في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذوالقرنين أنقل فوضوه ومامه آخر
ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذوالقرنين أنقل فوضوه ومامه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذوالقرنين
أنقل فلم يزالوا يضمعون حجرا بعد حجر حتى وضوه الف حجر ثم رفعوا الميزان فقال بالالف جميعا فمالت
العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسجس هذا أم علم لانهم فقال الحضر عليه السلام وكان
واقفا أنا علمه فاخذوا الحضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذوالقرنين فوضعه
في احدي الكفتين واخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب
فوضعه على الحجر الذي جاء به ذوالقرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخبرت العلماء سجدا لله تعالى وقابوا
سبحان الله هذا علم لم يبلغه احدنا والله لمدوضعتنا معه الف حجر فما استعمل به فقال الحضر عليه السلام ايها
الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر خلقه وامره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابلى خلقه بعضهم
ببعض فابتلى العالم بالمال والجاهل بالجاهل والمال بالجاهل والجاهل بالجاهل وانه ابتلاني بك وابتلاك بي
فقال ذوالقرنين صدقت فاخبرنى ما هذا الحجر فقال الحضر ايها الملك هذا مثل ضرب به لك صاحب
الصور ان الله تعالى مكن لك في الارض والبلاد فاعطاك منها ما لم ينط احدنا من خلقه واطاك منها
ما لم يوطي لاحد من خلقه فلم تشيع وآتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطاه انس ولا
جان فهذا مثل ضرب به لك صاحب الصور ان آدم لا يشيع ابداعا حتى يحيى عليه التراب ولا يعلو جوفه الا التراب
فبكى ذوالقرنين ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لاطلبت أن أرى البلاد بعد مسيرى هذا
حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط الظلمة وطى الوادى الذي فيه الزبرجد فقال من
معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دراهم ما هذا الذي تحتها ايها الملك فقال ذوالقرنين خذوا منه فان من
أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيئا ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروا اذا هو
زبرجد فندموا لاخذ والنازل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى ذوالقرنين لو ظفر
بوادى الزبرجد في مدي أمه ما ترك منه شيئا حتى كان يخرج الى الناس لانه كان راغبا في الدنيا وراكبها فظفر
به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كما هو مات في طريقه قبل
وصوله بشهر (وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فقام بها حتى
مات قالوا وكان عمره تسعا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا في أول السنة الثامنة من
ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه

وخنم عليها ورفعت في
 عليهن ليسكن لي نوابها
 يوم القيامة قالت فقلت
 لمثل هذا فليعمل الداملون
 فقالت وما هذا عند الله من
 اكرامه لا ولياته بشيء
 فقلت لها مربي بأمر
 أقرب به إلى الله عز وجل
 فماتت عليك بذكر الله
 تعالى فانه يوثق ان تفعل
 بذلك في قبرك رضي الله
 تعالى عنها (وحكي عن
 أحد بن أبي الحواري عفا
 الله عنه) انه قال كانت
 لرابدة العدويرة احوال
 شتى فكانت مرة يغلب
 عليها الحب ومرة يغلب
 عليها الانس ومرة يغلب
 عليها الخوف فكانت
 تشد في الحب هذا الشر
 حبيب لا يعادله حبيب
 وما السواة في قلبي نصيب
 حبيب غاب عن مصرى
 وشخصى
 ولا يكن عن فؤادى لا
 ينسب
 وسمنتها في حال الانس
 أقول هذا الكلام
 وانسد جلتك في الفؤاد
 محدثى
 وأبحت جسمي من اراد
 جلوسى
 فالحسم منى للجلايس
 مؤانس
 وحبيب قلبي في الفؤاد
 أندي

اسكنه دروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فلما كملت اليونانية عليهم فيها قيل بطليموس بن لوسوع
 وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت الملكة في حياة الاسكندر وبعده وفاته إلى أن تحول الملك إلى الروم
 والمضاض واليونانية وابني اسرائيل بيت المقدس ونواحيها والديانة والرئاسة على غير وجهه الملك إلى أن
 خرب بلادهم القرس بالروم وطردوهم عنها ابد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام بالله أعلم
 ﴿ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام ﴾

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال عبد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد
 مرجعهم من أرض ابل إلى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود
 الله عليهم بفضلهم ورحمته ويثبت فيهم الرسل فتر بقاء يكتنزون وفرو بقاء يتلون كآل الله تعالى حتى كان من
 بيت فيهم من ابيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام
 ﴿ نسب زكريا عليه السلام ﴾

هو زكريا بن يوحنا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صدوق بن اخو
 ابن سلام بن سفيان بن ابيان بن رحيمة بن سليمان بن داود عليه السلام
 ﴿ باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر نحرها ﴾

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما في بطني محررا بطي قال المفسرون هي حنة
 بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ
 بينهم ألف زمان ثمانية سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأخبارهم وملوكهم وعمران بن ماثان أبي موسى اذ
 بن سام بن نوح بن ميثان بن حزقيا بن احرى بن قوام بن عازار بن امصيا بن ناس بن نوح بن بارض
 ابن يوسف فاط بن رادم بن ابيان بن رحيمة بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصص في ذلك أن زكريا
 ابن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين باثنين احدهما عند زكريا بن يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ
 أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكل قدامك عن حنة الولد حتى أيسر
 وعجزت وكانوا أهل بيت من الله فكان فينا هي في ظل شجرة انظرت طائر يطعم فراخا فتحركت عند
 ذلك شيوها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقني ولدا ان انصدق على بي بيت
 المقدس فيكون من سديته وخدمته نذرا وشكرا لخدمته بربهم عليها السلام خررت في بطنها ولم تعلم ما هو
 فالترب انى نذرت لك انى بطي محررا أى عتقها عن الدنيا واشغالها خالصا لله تعالى وخداما لبيتك
 المقدس حبس عليه مفرغا لعبادة الله وخدمته فتقبل منى الكائن انك أنت السميع العليم قالوا وكان الحر راذا
 حرر ونذر جمل الحرر والمندبر في الكنيسة يقوم عليها او يكتسها ويخدمها ولا يرجع عنها حتى يبلغ الحلم فاذا
 بلغ خزين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وأن أراد أن يخرج بعد التحجير استأذن رفقاه من السادة
 ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمهم الامن في نسله محررا لبيت المقدس ولم
 يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكف ذلك ولا تصالح لما يصيبها من الحيض والاذي خررت أم
 مريم مافي بطنها فلما ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت رأيت ان كان مافي بطنك أني
 والاثنى عورة لا تصالح لذلك فوقها جميعا فيهم من ذلك بهلك عمران وحنه حامل بريم فلما وضعتها اذا هي
 جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها نبي والله أعلم بما
 وضعت وليس الذكر كالانثى أى في خدمة الكنيسة والعبادة فيها المورثة وضعتها وامارتها من الحيض
 والنفاس والاذى وانى سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والطحمة وكانت مريم عليها السلام أجل النساء
 وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقول

وزادني قليل من ايامه ما في
الاراء ابكي أم لظول
مساقي

انحرقني بالنار يا غاية
الني
فاين رجائي فيك ابن
مخافي

قال زوجها ففات لها ليلة
من الليالي وقد فأت من
أول الليل يا بامه ما رأيت
من يقوم أول الليل غيرك
فقلت سبحان الله ما نك
من يتكلم على ذاك انما
اقوم والله اذا ودبت للقيام
(قال) زوجها وجلست
يومان الايام أكل وهي
جالسة بجاني فعمدت
تذكر احوال يوم النيام
فقلت لها دعنا نتمنا
بطامنا ففأت ليس أنا
وأنت ممن يتنص عليه
انطام بذكر الآخرة
ثم قالت لي والله لست
أحبك حب الأزواج انما
أحبك حب الاخوان
فكانت اذا طبحت قدرا
قالت كذا يمدني فطامني
الا بالتسبيح ثم قالت لي
اذهب فتزوج فتزوجت
بثلاثة نساء فكانت
تطعمني الاحم وتقول لي
اذهب بقوتك الى اهلك
ونت ناتيها الجز بكل
ما تطالب وكانها كرات
مخارقة حتى ماتت رحما

حكيتك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
صلى الله عليه وسلم واني أعيد لها أي أجبرها وأمنها بك وذريتهما من الشيطان الرجيم (أخبرني) عبدالله بن
حامد بأسناده وأخبرنا أبو سويل أحمد بن محمد بن هرون بأسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من مولود الا والشيطان يسبه حين يولد فيستهل صراخه من نس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول
أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شبيب بن محمد
بأسناده عن قتادة قال كل آدمي يطمن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وآمنة عليهما السلام جعل بينهما
حجاب وأصاب الطمينة الحجاب ولم ينفذ اليها منه شيء قال وذكر والناهما كانا لا يصبيان من الذنوب
كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فقبولها بها بقول حسن الهادرا جمعة الى التذير قال فقبول الله الذيرة
اي مريم من حسنة وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلفها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تبيت
في المدة اليسيرة كما يبيت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جرير ويحيى وانبتها مريم في غذائها رزقها نباتا حسنا
حتى تمت امرأة بالغة قالوا ولدت مريم اخذتها امها حنة فلعنتها في خرقه ورحمتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار ابنا هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما في الحديث امه اكلت من لبنها ففأت لهم دونك
هذه الذيرة فتنازع فيها الاحبار لاسها كانت بنت امامهم وصاحب قريتهم فقال لهم زكريا انما احق بها
منكم لان عندي خالتي ففأت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس واقر بهم اليها
اتركتم لامها التي ولدتها ولكما نفتزع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا
وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جبار قال السدي هو نهر الاردن قالوا افلامهم اي سهامهم وقيل
أفلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت افلامهم
ورسبت في الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كانه في طين وجرت
افلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهومهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار
ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما كفلها
زكريا ضمها الى خالتي أم يحيى واسترضع لها حتى اذا أنشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أي غرفة في
المسجد وجعل بابها الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها
وشربها وودعها في كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها ابها فاذا دخل عليها غرقها وجد
عندها رزقا أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها أني لك هذا
فتقول هومن عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجمعدها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها
زكريا من أين لك هذا فتقول هومن عند الله قال الحسن وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها وقال محمد بن اسحق
ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بنى اسرائيل وقال
يا بنى اسرائيل تملكون والله أني لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد
جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لم يجدوا من يحملها فتعارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم
على رجل صالح نجار من بني اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن مانان وكان ابن عم مريم خطها قال فرقت
مريم في وجهه شدة فؤد ذلك عليه فقالت لا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا قبل يوسف يرزق
لمكانهم منه فيأتيها كل يوم من كعبه بما يصاحبها فاذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أعانها الله تعالى وكثره فيدخل
الباراك فيأمر عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أني لك هذا قالت هو
من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبدالله بن حماد بأسناده عن جابر بن عبدالله أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما بطنهم طما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت

الله تعالى ونفقهنا ببركاتهما

أحمد من شيئا فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء أكل فأتى جائع فقالت لا والله يا بني أنت وأمي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ما بعثت إليها جارية لها برغيفين ورضعه لحم فاخذته منها ووضعت في حنفية وغطت عليه وقالت لا ترون ما رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه ومن عندي وكانوا جميعا محتاجين إلى شربة من طامم فبعثت حسنا وحسنا إلى جدده رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليهما فقالت يا بني أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء نخبأه لك قال فلهي ما تأتي به فكشف عن الحنفية فإذ هي مملوءة خبز الخبز لما نظرت إليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فخدمت الله تعالى وصالت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله ربنا الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك شديدة بسيدة بني إسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى فاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعا حتى شربوا وبقيت الحنفية كلها قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسمت منها على جميع جيران رجل الله فيها بركة وخيرا كثيرا أصل الحنفية رغيين ورضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا يه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت الملائكة يا يحيى الخبار الانبياء لم نرأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك شديدة بسيدة بني إسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى فاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعا حتى شربوا وبقيت الحنفية كلها قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسمت منها على جميع جيران رجل الله فيها بركة وخيرا كثيرا أصل الحنفية رغيين ورضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا يه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت الملائكة يا يحيى الخبار الانبياء لم نرأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك شديدة بسيدة بني إسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى فاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعا حتى شربوا وبقيت الحنفية كلها قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسمت منها على جميع جيران رجل الله فيها بركة وخيرا كثيرا أصل الحنفية رغيين ورضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا يه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت الملائكة يا يحيى الخبار الانبياء لم نرأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك شديدة بسيدة بني إسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى فاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعا حتى شربوا وبقيت الحنفية كلها قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسمت منها على جميع جيران رجل الله فيها بركة وخيرا كثيرا أصل الحنفية رغيين ورضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

بقول القرآن كلام الله

منزل غير مخلوق ثم قيل لي
 بأحمد قدم حيث شئت
 فدخلت الجنة فإذا بصفين
 الثوري رضى الله عنه
 له جناحان يطير بهما من
 شجرة الى اخرى وهو
 يرى هذه الآية الحمد
 لله الذى صدقنا وعده
 واوتانا الارض نبأ وأن
 الجنة حيث نشاء فنعم اجر
 العاملين قال فقلت له
 ما فعل الله بعبد الرزاق
 الواظ قال تركته في بحر
 من نور في مركب من
 نور يراد به العزيز الغفور
 فقلت ما فعل الله ببشر بن
 الحرث فقال يخ وبشر بن
 مثل بشر بن الحرث
 ركبته على مائدة
 بين يدي الحليل وهو
 مقبل عليه ويقول له كل
 يامن لم تأكل واشرب يامن
 لم تشرب وتعم يامن لم تنعم
 فقلت ما فعل الله بمزوف
 الكرختى فقال تركته
 تحت العرش والحق جل
 جلاله يقول للملائكة من
 هذا فقالوا يا رب أنت اعلم
 فقال هذا مبسوف
 الكرختى سكران
 بجي فلا يفيق
 الا بلقائي (وقال) الربيع
 ابن سليمان رايت الامام
 الشافعى رضى الله عنه
 فقلت يا ابا عبد الله ما فعل
 الله بك فقال اجلسنى على
 كرسي من ذهب ونثر على

يحيى قبل ان يرفع عيسى الى السماء وسند كره قال سميد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم قال
 سميد بن جبير السيد الذى يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخاق وقال عكرمة الذى
 لا ينضب وقال - قيان الذى لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وان سمود وغيرهما هو الذى لا يأنى
 الذاء ولا يقربهن فمول يعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك
 هو العين الذى لا بهالة ودليل هذا التاويل ما خبرني به ابن تاجويه باسناد عن ابي صالح عن ابي
 هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم لغنى الله بذنب قد اذنبه يعذبه
 عليه ان شاء او يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيد وحصورا ونبييا من الصالحين ثم رما النبي صلى
 الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فاخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المادى الحصور الذى
 لا يدخل في اللب ولا الباطل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالباركة قال رب اى يسيدى قاله الجبريل
 هذا قول اكثر الناس بن وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يا رب الله لا للجبريل انى يكون لى
 غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغت السكبر وامراتى عاقر لانه عقيم قال السككي كان زكريا يوم
 بشر بالولد ابن التين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان
 زكريا ابن عشر بن ومائتة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله بفعل ما يشاء
 فان قبل لم انكر زكريا بذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة اكان شكاً في وحيه ام انكار القدرته
 وهذا لا يجوز ان يوصف به اهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قاله عكرمة والسدى ان زكريا
 لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس من الله وانما هو صوت
 الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لا وحاه اليك خفية كما نادته خفية وكما نوحى اليك في سائر الامور فقال
 ذلك دفعا لوسوسة رفيه جواب آخر وهو انه يشك في الولد وانما شك في كيفيته والوجه الذى يكون منه
 الولد فقال انى يكون لى ولداى كيف يكون لى ولد انجمنى وامراتى شابين ام نرزة كذا على كبرنا ام نرزة
 من امرأة غيرهما من النساء فقال ذلك متخيلا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آية ان لا
 تسكنم الناس ثلاثة أيام تقبل بكتيتك على عبادى وطاعتى لانه حبس لسانه عن السلام واسكنته نهي عنه
 يدل عليه قوله تعالى واذكر بك كثيرا وسبح بالمشى والابكار هذا قول قوم من اهل العلم وقال آخرون عقل
 لسانه عن السلام عقوبة لواله الآية بعدم مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على السلام ثلاثة ايام الارمزاى
 اشارة وعلى هذا اكثر المفسرين وقال عطاء اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الارمزاى
 فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفي بعض الاخبار انه ولد ويحيى رفع الى السماء فتعذى بانها الجنة حتى فطم
 ثم انزل الى ابيه وكان يضى البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

(باب في صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة ابن الجناح قليل الشعر قصير الاصابع
 طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الفرة قوي باي طاعة الله تعالى وقد ساد الناس في عبادة
 الله وطاعته

(فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده) * قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم
 صبيا قيل ان يحيى قال له اترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم مالم لعب خلقتم وقال آخرون
 انه نبي صغيرا فكان يبط الناس ويقف لهم في اعيادهم وجمهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم سار ودخل الشام
 يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وامره ان يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها
 مثلا امرهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله ثم

رضي الله تعالى عنه (وحي
عن ابني يعقوب السوسي
نعمنا الله ببركاته) انه قال
جاءني بعض المريدين
بعسكة وسلم على وقال
يا سيدي غدا عند الظهور
اموت فخذ هذا
الدينار فكفني بنصفه
واخبرني قال فمات بنصفه ثم
امض من عندي فلما كان
الغد عند الظهور جاءه طائف
سبما ثم امد نحو القبلة
فمات رحمة الله تعالى عليه
فظهرت في وجهه فتفتح
عينيه في وجهي وهو
يضحك فقلت له يا اخي
أنت ميت ام حي فقال
بل حي وكل يحب الله
فهو حي قال فتعجبنت منه
ثم اخذت في غسله
وتكفينه ونجسده ودفنته
رضي الله تعالى عنه
(وحي عن الشيخ
أبي علي الروزاني
عنا الله عنه) انه قال ورد
على جماعة من الفقهاء
فرض منهم رجل ومكت
في مرضه اياما كثيرة فلما
اصحاه من خدمته واشكوا
الى ذلك فخالفت نفسي
وحملت ان لا يتولي
خدمته احد غيري
فصرت اخدمه بنفسي
اياما حتى مات رحمة
الله تعالى عليه ثم غسلته
وكفنته وصليت عليه
ولحدته فبينما انا عند

حتى انظر الي منالي منك فاقبلت امه فلما راته دنت منه فاخذت براسه فوضته بين يديها وناسدت به بالثبان
ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك ان تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك
الصوف فانه الذين قفلتم انما طمعت له عند ساق كل واستوفى فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودي في منامه
يا يحيى اردت دارا خيرا من داري وجوارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب اقل عثرتي وعزتك
لا اتظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لاهمه ناولني مدرعة الشعر فقد علمت انك ستوردني الى الله لك
فقد علمت اليه امه ودفنت اليه المدرعة ثم علمت له فقال لها زكريا يا يحيى قد كشف له عن قناع
غفله ولان يتعجب بالبعش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البراس على راسه ثم اتى بيت المقدس فيجمل بعبدة الله
مع الاخبار والربان حتى كان من امره ما كان والله اعلم

(باب في مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء في سبب قتله فقال كان يحيى عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان
له امارة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى
يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشغرة وجهك وكان كثيرا ما يقولها مكتوب في التوبة ان الزناة
يوقنون يوم القيامة ويرجمهم اثنان من الجيف فامرت يحيى فسيجن وكان قد حبس رجل من ابناء الملوك وكان
كثيرا ما يختلف اليها بالليل فلم يهاو به يحيى فزجره فبلغ ذلك امراة الملك فجلت بنت لها واستقبلت بها زوجها
فقال لها لما فلت ذلك فقالت وجب لها عليك حتى فقال سلى ما شئت فقالت البنت استوتبت معك اهل
الحبس اصنع بهم ما شئت فظن ابوها انها ترحمهم تستريحهم فقال ابوها قد علمت فامرت امها باهل السجن
ففرضوا عليها فلما مر بها يحيى امرت به فذبح واخذت راسه في طشت ثم حملت الطشت الى ابنتها بامر امها
وقالت ايتها الملك اني قد ذبحت لك ابنة من اعظم ما وجدته ولو كان مثله اليك لذبحته لك قال رماها وقالت
يحيى بن زكريا فقال هلك واهلك ابوك فغير ما بهم من الدم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت راو بها
وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى اكلتهم (وروي) سيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن
مريم رحي بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يملكون الناس قال وكان يمانهم وعنه نكاح بنت الاخ وكان
للملك بنت اخ تدعيه يريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ ممانها ينهي
عن نكاح بنت الاخ قالت لا بنتها اذا دخلت على الملك فسالك عن حاجتي فقول حاجتي ان تدبج يحيى بن
زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتك ان تدبج يحيى بن زكريا فقال سلى غيرها فقالت
ما سالك اى هذا فلما ابت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فدبج فيه فذبحت منه دمه فطرقه فلم تزل تعلى
حتى يموت الله عز وجل فبخرت عليهم فجاءت عجموز من بني اسرائيل فدأته على ذلك الدم فاتي الله في قلبه ان
يقتل على ذلك الدم سبعين الف منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدي) باسناده كان ملك
بني اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدين بجلسه ويستشير في امره ولا يقطع امر او دونه وانه هو ان يتزوج
ابنة امراة له فسال عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال است ارضه هالك فبلغ ذلك امها فخذت على يحيى حين
نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبست ثيابا قاحرا وطيبتها والبستها
من الحلى والبستهم فوق ذلك كما اسود وارسلتها الى الملك وامرته ان تستبته وان تدمر ضلها فاذا راوها
عن نفسها ايت عليه حتى يعطيها ما سألها فاذا اعطاها ذلك سألته ان يات بها برأس يحيى بن زكريا في طشت
فقبلت ذلك وجلت تسقيه وتدمر ضله فلما اخذ منه الشراب راودها عن نفسها فماتت لا اهل حتى
تعمطن ما سألها قال وما سألني قالت ان تبوء الى رأس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال يحك سلمي
غير هذا قالت ما سالك الا هذا فلما ابت عليه يموت الله فاتي راسه والراس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو

اضجاعه في قبره ان نظرت

الى عينيه فوجدتهما مفتوحين ثم اقسام وقال يا لي لانصرنك بجاهي اوم القيامة كما نصرتني وحالفت نفسك بخدمتي ثم اسبل عينيه رضي الله تعالى عنه ونفعا والمسلمين بركانه (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) انه قال قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض المشايخ وكان رجلا عالما رايها زاهدا ورعا فلما حضروا بين يديه اقيمت الصلاة فصلوا خلفه فمهموه بلحن في فرائده فتغير اعتقادهم فيه فكشف عليهم الشيخ فلما ناموا ساط الله عليهم الاحتمال فاحتملوا كلهم في تلك الليلة فخرجوا الى البحر ليعلموا فوضعوها في ايام البحر ونزلوا جميعا في الماء وكان ذلك في زمن الشتاء فجاء الاسد فجلس على ثيابهم فلاقوا من البرد شدة عظيمة ولم يعرفوا ان الشيخ علم بجاهلهم فبيناهم كذلك اذا الشيخ قد اقبل وقال لهم انتم استوجبتم البلب ثم اخذ باذن الاسد وقال له اما قلت لك لاتعترض لضيفاني فخرجوا من الماء وابسوا ثيابهم ثم اتوا الى الشيخ يستندون له

يقول لانه لثعلب فاما اصبح اذاده يفي قاهر بتراب ذلتي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يفتلي وبقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يفتلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنجار وب وبخنصر كما قدمنا ذكره في اخبارنا بختصر (وقالت علماء النصارى) الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيرودس بسبب امرأة يقال لها هاروديها كانت امرأة اخ له يقال له فليقوس عشقا فوافقته على الفجور فنهاه يحيى واعلمه انها لثعلب له فسالت المرأة هيرودس ان ياتيا برأس يحيى فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا (قال كسب الاحبار) كان يحيى من اجل اللباس وجهه واحسنهم في زمانه فاحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه حباسا شديد فارسلت اليه تراوده عن نفسه فارسل اليها انه لا علم له بالذناء والملك احق ان يطافر شمه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا رقات كيف لي ان اقاتله ولا يحجر الناس اني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فارسلت اليه وهو قائم صلى في بيت المقدس في محراب داود من صرب عتقه ويا خذ رأسه فلما اخذوا رأس يحيى خسف الله بها وباهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

﴿ ذكر معتل ذكر يا عليه السلام ﴾

(قال كسب الاحبار) فلما سمع زكريا ان ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هارباً حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا بني الله الى هنا فلما اتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها فانطلق اليكس امته الله حتى اخذ بطرف رداءه فاخرجه من الشجرة ليصعدوه ادا اخرجه فذلك تصنع اليهود الحيوط في اطراف ادينتهم لا يدرون لما امروا بذلك واخذوا الملك واهله بثلثمسور زكريا فاستقبلهم بليس امته الله تعالى فقال لهم ما تلمسون قالوا اننا نسبحك يا ذا الجلال والكرام فدخل في هذه الشجرة قالوا لا تصدقك قال فان انا ربكم علامة تصدقوني بها قالوا فاننا ياها فاراعم طرف رداءه فاخذوا المنشير وضربوا الشجرة فتشروها نصفين فساطط عليهم اخبث اهل الارض عجلنا محسوسا فانتم الله به من بني اسرائيل بدم يحيى وذكر يا فقتل غلامه بني اسرائيل وسبي منهم مائة وسبعين الفا (وقيل) ان السبب في قتل زكريا ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل ففقد في مريم زكريا وقال ما احبها احد غيرك زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فمرب وابعه مسقها وطمع واشرا راعم فذلك واذا كثيرا الاشجار فتشبه له الشيطان في صورته راع فمال يازكر يا قد ادركوك فادع الله ان يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها واخرج ابليس هذب رداءه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فمالوا ياراعي هل رايت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هذب رداءه ففعلوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فالتفتين بالشرط ولابست الله الملائكة فمسوا لوزكريا وصلوا عليه ودفنوه وفي ان الشمس بكت على يحيى اربعين صباحا وكان بكافوا ان طلمت وغربت جمراه وروي ان يحيى الخبير سيد الشهداء يوم القيامة وقادهم الى الجنة والله اعلم

﴿ مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليها السلام وما يتصل به ﴾

قال الله تعالى واذا ذكر في الكتاب مريم اذا انبذت من اهلها مكانا شرقيا قالت العلماء باخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة ايام ومريم يومئذ بنت خمسة عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من الحريين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم بلبان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفذ ماؤها وماء يوسف اخذ كل واحد منهما قنائه والطاق الى المنارة التي فيها الماء فيسقطان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي فيها فيه جبريل عليه السلام

وكان اطول يوم في السنة تراشده حرا نقد ساوها فقالت الا تذهب بنا يا يوسف فذمتني فقال ان عندي
اغضال من ماما كفتني به ومن هذا الى غدة قالت واكفني والله ما عندي ماء فاخذت قلبها ثم انطلمت وحدها
حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم
ان الله قد بعثني اليك لاحبابك غلاما زكيا قالت اني اعوذ بالله من ان اكون تقيا اى مؤمنا مطايا
قال على بن ابي طالب كرم الله وجهه علمت ان التني نورجة وخشية وهي تحميه رجلا من بني آدم
قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب امر مضي الوجه جمد الشعر وسوى الخلق قالت
الحكمة انما ارسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها وتندبر على اجتماع كلامه ولو نزل
على صورته التي هو عليها لفزعت وتفرقت منه ولم تندبر على اسماع كلامه فلم تستد اذ مت مريم
قال انما انزل رسول ربكم بالانذار لكي قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يك ذلك
قال ربك هو علي هين الا فيقول له قال لما ذلك استسلمت ان شاء الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعت
عنها فلما انصرف عنها لمست مريم درعها وحملت بدمي عليه السلام ثم ملأت قلبها وانصرفت الى المسجد *
وقال السدي وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد مادامت طاهرة فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فيبناها في تمسك من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا
مشرقا لانه كان في الشتاء في اقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم
انبتت مكانا شرقيا فضربت من دونهم حجبا اى سترت وقالت مقال جملات الجبل بيننا وبين قومها فيبدا
هي كذلك في تلك الحلة اذ عرض لها جبريل وبشرها بدمي ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما استسلمت
على عيسى كان معها ذوقا ربها فقال له يوسف النجار وكانا من مظلومين الى المسجد الذي عند جبل صهيون
وكان ذلك المسجد يومئذ من اعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان
لخدمته فضل عظيم وكانا يلبان معا لجهته بانفسهما وتحميه وتطهره وكان لا يعلم في زمانهما اشدا اجتهدا وعبادة
منهما وكان اول من انكر حملها ابن عمها يوسف النجار فلما راى الذي بها استعظمه واستعظمه ولم
يبدما ايصنع من امرها وكما اراد ان يتهمها كز صاحبها وعبادتها وراى انها لم تنب عنه ساعة واحدة
واذا اراد ان يبرها راى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشهد بذلك عليه كلمها فكان اول كلامها ياها ان قال
لها انه قد وقع في نفسي من امرك شئ وقد حرصت على ان اكتمه فبلغني ذلك ورايت ان الكلام فيه اشفى
اصدري فقالت له قل قولنا جبريل قال لها اخبريني يا مريم هل نبئت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبئت
سجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذك كقالت لم تعلم ان الله عز وجل انبت الزرع يوم
خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي انبتته من غير بذر لم تعلم ان الله تعالى انبت الشجر من غير
غيث وبالفرد جعل الغيث حياة الشجر وبما خلق الله كل واحد منهما على حدة او تقول ان الله لا يقدر ان
ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انبائه قال يوسف لها لا اقول هذا واسكني اقول ان الله
تعالى يقدر على ما يشاء ويقول للشئ كن فيكون فقالت له مريم لم تعلم ان الله خلق آدم وامر ان ته من غير ذك ولا
اثنى قال لي فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شئ من امر الله وان لا يسعه ان يسأله عنه وذلك لما
راى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفها كل عمل كانت تعمل فيه لما راى من رقة
جسمها راى صفراء لونها ركبت وجهها ونوى بطنها وضعت قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس
وسمعت من اثنيات ان قيرداد عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسالت بعض
الربان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف وهذه وقد افصح فيها عيسى ودعا
الحق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون ان عيسى عليه

و يستغفرون الله تعالى
فقال لهم الشيخ انتم
اشتغلتم باصلاح الظاهر
فختمتم الاسد ونحس
اشتغلنا باصلاح الباطن
فجاءنا الاسد رضي الله
تعالى عنه ورضي عنا وعن
جميع المسلمين ببركاته
(وحكى عن بعضهم رضى
الله تعالى عنه) اشارة
لطيفة قال لما ذهب
ابراهيم خليل الرحمن عليه
الصلاة والسلام الى النمرود
امنه الله يدعوه الى عبادة
الله عز وجل عظم عليه ذلك
وجمع اهل مملكته
وخواص رعيته وقال لهم
ما تشيرون على به في امر
هذا الرجل الذى تجاروا
علينا وكسر الاصنام
وعطل ديننا بين الانام
فقلولوا ما يدلكم فاني
راجع الى اقوال العالين
فقالوا حرقوه وانصروا
آلهتكم ان كنتم فاعلين
قال فعمدوا الى فسالة
من الارض وحفروا
فيها حفيرا متعام نادى
النمرود في اقطار مملكته
الا من اطاع النمرود
فليحطب حزمة من
الحطب المشيم لا حراق
ابراهيم قال فبادرت
اليه الابدان من اقطار البلاد
فقاموا حول كاهن
يجمعون الاحطاب الى ان

فقال قوم نكبله ونذعه
في النار ونضرمها عليه
واختلعتوا في ذلك فأتاهم
ابليس لعنه الله وقال لهم
اضرموا النيران فإذا رأى
لهيبها وعينها يرجع عن
دينه إلى دينكم ثم رضع لهم
المنجنيق وقال لهم إذا أبى
فضموه في كفته وارموه
في ذلك فانه يصمد به
المنجنيق في الهواء ويوقعه
في النار وأتم تنظرون
كيف يحترق قال فامخذ
الخروز مكانا متما من
الأرض مبنيا بالجص
وجلس ينظر كيف يحترق
ابراهيم خليل الرحمن
عليه الصلاة والسلام قال
فلمّا أوقدوا النيران كاد
أن يضى لها المشرق
والمغرب وصعد لهيبها إلى
أن اطبق ما بين الخافقين
حتى أن الطير كان إذا طار
في الجو حرق لهب النيران
ثم أتى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام فلما نظر إلى ذلك
التفت يمينا وشمالا إلى
السكابين وقال أتى
وجهي وجهي للذي
فلما السموات والأرض
حينئذ فإنا من المشرّكين
قال فوضموه في المنجنيق
ورموه في الجو فضجبت
ملائكة السماء وقالوا
اهنؤا وسيدنا وولاهنا هذا
عدوك فبل تخليما ماترى

السلام لم يقتل دعي فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به إلى السماء فلا ينقطع أبدا لدهر منها وأنه ينزل فيها والله أعلم
(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)
قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لم يكن المراد من قبلنا إنا كنا على الهدى الذي هدانا لهذا نعم بل كان المراد من قبلنا إنا كنا على الهدى الذي هدانا لهذا نعم بل كان المراد من قبلنا إنا كنا على الهدى الذي هدانا لهذا نعم
الذي طهر ورفع أيدك فيه اسمه قابر زكي إلى مضع تار بن فيه فتجرات مريم إلى بيت خالتها اخت أمها
أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فأنزلتها فقالت امرأة زكريا يا مريم شعرت أني
حبلى قلت مريم رأيت أيضا شعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا يا فاني أجد ما في بطني يسجد ليا في بطني
فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها الوحى الله إليها أنك أن ولدت بين أظهر قومك
عبروك وقذورك وقذورك ولدك فاعلمنى من عندهم اى فاخرجنى * وقال السكبي قيل لابن عمها
يوسف ان مريم حلت من الزنا الآن ينزل الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتلم على حمار
له ليس بينهما وبين ابن كاف شيء فانطلق بها يوسف حتى إذا كان قريبا من أرض مصر في منفطع بلاد قومها
أدرك مريم النفاث فالحاها إلى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال السكبي) لما كان يوسف
بعض اطراف ارض قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقل له انه من روح القدس فلا تهابها واختلف العلماء
في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر
كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يمش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل
سبعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو إلا أن حملت ووضعت ولم يكن بين
الحمل والوضع والانباء إلا ساعة واحدة لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فأنزلت
به مكانا قصيا اى بيدها من قومها وقال مقاتل حملته امة في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت
الشمس من يومها وهى بنت عشرين سنة وقد كانت حاضمت حبيصتين قبل أن تحمل لبنيها قالوا فانه اشتد
بها الخوض التجأت إلى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها عصف ولا كرايف ولا عروق فاحتوشتها
الملائكة وكانوا صقوفاً محرقة بها اى يحيطون بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت
حين اشتد لها المأثم باليتى مت قبل هذا وكنت اياما مسيا اى جيفة ملقاة فنوديت ان لا تحزنى قد جعل
ربك تحك سر يارهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها
ان لا تحزنى من قرأ بكسر الميم والناء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والناء
فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن امة ناداها ركلهما باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها
نهران ماء عذب بارد اذا شربت منه وفاتر اذا استعمته فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحك سر يارهو
النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام رجله الأرض فظفر الماء وحييت تلك
النخلة بمد يد يافدت غصونها واورقت وأثمرت وارطبت وقيل لها هزى اليك بجذع النخلة اى حركه
تساقط عليك رطباً جنيا فمطر بال قال الربيع ابن خثيم ما للنفاء عندي خير من الرطب ولا البرىض خير
من النسل وقال عمرو بن ديينون ما دورى للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها اخبرها من الرطب وقرأ هذه الآية
قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعضغ الثمر ويحك به الولاد الصالحة حين
يولدون وقال بعض البلغاء في وصف الثمرة الصغرى ونهله السكبري قوا ثم ان يوسف النجار عمه إلى حطب
فجعله كالحظيرة حو اليها بالمر منه اذا قد ضربها البر ثم شمل لها نار التصطلى بها ثم كسر لها سبع جورات
كنت في خرجه فطمعها اياها فمن أجل ذلك وقد انصارت النار إلى الميلا دوت له بالجوز (قال وهب)
فلما ولد عليه السلام اصبغت الاصنام كلها بكل ارض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا
لم ذلك فإرأوا مريم حين حادوا إلى ابليس اعند الله وغضب عليه وهو على عرش لهي لجة خضراء بتعل

الأرض ونجى خليلك
ابراهيم فقال الجليل جل
ببراله يالأيكيت كل ذلك
بين قدرتي وانا اللطيف
الخبير ثم قال الله تعالى
يا جبريل ادرك خليلي
ابراهيم وسد له سائر يدنا
اقرب اليه من حبل الوريد
قال فهبط اليه جبريل
وسرعا وهو صاعد في
الهواء قبل هبوطه الى النار
فقال السلام عليك
يا ابراهيم فقال وعليك
السلام يا جبريل فقال ألك
من حاجة فقال له ابراهيم
أنا لك فلا فقال جبريل
سل من اليه حوائجك
فقال ابراهيم عامه محالي
يغني عن سؤالي فقال الله
تبارك وتعالى يا زكري
بردا وسلاما على ابراهيم
فصارت تلك النارجنة نعيم
وجرت فيها عين من تسيم
وفرش فيها مهداد
النعيم ونودي بلسان
الفهم سلام قولاً من
رب رحم وكان من
أمره ما كان (فلا) آن
ظهور اشراق بهجة
المصطفى سيد الادم
طه المكرم صلى الله
عليه وسلم واينعت
اغصان الاسلام وأمرت
وبزغت في ليل الشرك
شمس الايمان وظهرت
وولد سيد البشر وشاع

بالعرش يوم كان على المساء فاتوه وقد دخلت ست ساعات من النهار فلما راى ابليس اجتماعهم فرع من
ذلك ولم يرم جيمدا منذ فرقه قبل تلك الساعة وانما كان يراهم اشتانا فاصلمه فاخبروه انه حدث
في الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شيء اعون على هلاك بني آدم
منها لانهم كانوا يدخون في اجوافهم فتكلمهم وتبدروا أمرهم فيظنون انها هي التي تكلمهم فلما اصابها هذا
الحدث صفرها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يبدوها بعد هذا (واعلم) اننا لم نكن تأنيك
حتى أحصينا الارض وقلبتا البحار وكل شيء فلم نزدنا إلا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الأمر
عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك وأبث عنهم ثلاث ساعات ثم فر بهن بالمكان الذي ولد
فيه عيسى فلما رأى الملائكة محرقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه فاراد ابليس ان الله أن
بأنيمه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد ان يأتيه من تحت الارض فاذا
أقدام الملائكة راسية فاراد ان يدخل من بينهم فتدعون ذلك يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم
كل ابن آدم بطن الشيطان في جنبه باصممه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبته الله تعالى
عنه فذهب يطن نطن في الحجاب * قال وهب فذهب ابليس لئله الله الي أصحابه فقال لهم دجئكم
حتى احصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبحرها والحقين والجوالا على وكل هذا بلغة في ثلاث
ساعات ثم أخبرهم بولد عيسى وقال ما اشتعلت قلبه رحم اني على ولد لا بعلى ولا وضته الا وانا
حاضرها واني لارجو ان يضل به أكثر ممن يهتدى به وما كان بي أشد على وعليك من هذا المولود
ثم انه خرج في تلك الليلة يؤمونه من اجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون ان مطلع ذلك النجم من
علامات مولود في كتاب دانيال فيخروا ريدونه ومهم لذهب والمز واللذان فرروا بملك من ملوك
الشام فسالهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فما مال المروالذهب واللبن اهديعوه بهذه الاشياء
قالوا تلك أمثلة لا الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا نبي صلى الله عليه وسلم سيد اهل زمانه ولان
المريخ به الكسر والجرح وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشفي الله به كل سقم ومر بض
ولان اللبان دحانه به خر السماء لا يدخلها وحاح غيره وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفع الله الى
السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا
علمتم يمكنه فامروني بذلك فاني راغب في مثل ما رغبتهم فيه من امره فانطلقوا حتى قدموا على مريم
ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام وارادوا ان يرجعوا الى ذلك الملك ليمدوه بمكانه
فلقمهم ملك قال لهم لا ترجعوا اليه ولا تملوه بمكانه انما اراد قتله فانصرفوا في طريق آخر وقال
محاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا حلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحديثه فاذا شغاني
عنه انسان سمح بي يطني وانا اسمع والله اعلم

(*) باب في جوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اليه الى جماعة قومها من بيت لحم *)

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها و بسرها لأسباب ولادتها
قال كلى يا مريم من الرطب واشربي من الماء المذوب وقرى عينا وطبى نفسا فاما ترين من البشر أحدا
فأسألك عن ولدك وأولامك عليه فقولى اني نذرت للرحن صوما أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود
وأنس وذلك انهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فان اكلم اليوم انسيا
فانت به قومها محملة قال السكابي احتل يوسف التجار مريم وعيسى الى غار فاخذلما فيه اربعين
يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فانت مريم تحمله بعد اربعين يوما فكلمها عيسى في الطريق
فقال يا امي ابشئ فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل

ذكره وانتشر وباع اشده

وامتوى اتاه المطوق بالزور
الامين جبريل عليه السلام
من الملك وقال له يا جبر
اجب الملك الجليل قد
اتيتك بالبراق لتلونا لسبع
الطبايق فتدركك الحضرة
الملك الخلاق وهانا في
ركابك فوضع النبي صلى
الله عليه وسلم قدما بالسيّد
الحرام وقدم بالسيّد
الاقصي والذات بثمان
السماء فتقدم وصلى بالانبياء
 والمرسلين صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين
ثم اخترق سماء بعد
سماه حتى انتهى الى عرش
الاستواء واخترق الحجب
والاستار الى ان سمع
صريف القوس على
صفحات اللوح المحفوظ
فندد ذلك وقف جبريل
عليه السلام فقال له اني
صلى الله عليه وسلم مابالك
تركتني فقال له جبريل
يا اكرم الخلق علي الله
تقدم على ربك وذرتني
فهذا مكاني متى تقدمت
قدر ذرة احرقني اوار
الهيئة تشعاع العظمة وما
منا الا مقام معلوم فلما هم
المصطفى صلى الله عليه وسلم
بان يتقدم وينزل جبريل
عليه السلام قال له امين
الوحى لك من حاجة الى
الله تعالى في هذا المقام كما
اقدم منك لابن ابراهيم

بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا فظيما عظيما يا خت هرون قال قتاده كان هرون
رجلا صالحا من اقبية بني اسرائيل وابى هرون اخى موسى وكره الله تع جنته يوم مات اربعون
الما من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من اقبية بني اسرائيل
واظهرهم سادا فشهروا به ما كان ابيوك عمران امراسوه وما كانت امك نبييا اي زانية فمن اين لك
هذا الولد فاشارت لهم مريم الى عيسى اب كلموه فقبضوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيانا قال
وهب فانها زكريا عليه السلام عند منظرهما اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها
فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهوان اربعين يوما الى عبد الله اني الكتاب الاية تافق على نفسه
بالعبودية اول ما نكلمتك بكذبيا للنصارى والازمالا لاجبة عليهم * قال عمرو بن مهران من مريم لم انت
قومها بعيسى اخذوا الحجارة نارادوا ان يرموه فلما نكلم عيسى تركوه قالوا ثم يتكلم شي بهدها
حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله اعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر) *

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وابوهما اية راونا بها الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان ولد عيسى
بمصر اثنتين واربعين سنة من ملك اغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين
ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت ملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها
لتيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر
المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فمروا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث
الله ملكا الى يوسف الجبار واخبره بما اراد هردوس وامره ان يهرب بالملك وامه الى مصر واوحى
الله الي مريم ان الحق بمصر فان هردوس ان ظفر بانك قتله فاذا مات هردوس فاجمعي الى بلادك
فاحتمل يوسف مريم وابنها على حماره حتى ورد ارض مصر وحي الى ربه التي قال الله تعالى واوتيناها
الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر ابو اسحق الثملي) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام
هي دمشق وقال ابو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي اقرب
الارض الى السماء وقال ابو زيد هي مصر وقال الضحاك هي عرصة دمشق وقال ابو العالية هي ايلياء
وقال الفزاز الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فاقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تنزل السكتان
وتلتقط السنبل في اثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في
منكبها الآخر حتى لم يعمى اثنتا عشرة سنة (وروى) عن محمد ابن علي ابا قريظ رضي الله عنه انه قال
لما ولد عيسى كان بن يوم كانه ابن شهر فلما كان تسعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب
واقدمته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل
ابجد فرفع عيسى عليه السلام راسه فقال له هل تدري ما ابجد فملا به بالفضيب ليضربه فقال
يا مؤدب لا تنضر باني ان كنت تدري والا فاسألني حتى افسرك فقال له المؤدب فسر له فقال
عيسى الالام لا اله الا الله والاله هجاء الله والجمع جلال الله والدال دين الله وهاله هجاء الله وهي
المهاوية والوار ويل لاهل النار والراي زفير اهل جهنم حتى حطت الخطايا عن المستغفرين
كل من كلام الله غير مخلوق ولا مبدل اكله سمفص صاع بصاع والجزء بالجزء قرشت تفرشهم
حين تحشرهم أي تجدهم فقال المؤدب لاهه ايها المرأة خذي ابنتك فقد علم ولا حاجة الى المؤدب
(اخيرا) الحسين بن محمد بن الحسين المعسر باسناده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان عيسى اوسلمته امة ليتعلم فقال له الما لم قل اسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما ادري

قال عيسى الياه بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكة جل وعلا والله أعلم
(باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلاً أحرماً لا إلى الياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط
وكان عيسى عيشى حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حلية ولا متاعاً ولا ثياباً ولا زقاً لا قوت يومه وكان حينما غابت
الشمس صفق قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرىء الأكمه والابرص ويحيى الموتى بإذن الله وكان يخبر قومه
بأياكوز في بيوتهم وما يدخرون لند وكان عيشى على وجه الماء في البحر وكان اشمت الرأس صغير الوجه
زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة حر يصاعلى عبادة الله وكان سياحياً في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا
قتله فرمعه الله إلى السماء والله اعلم

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه إلى ان نبي)

قال وهب كان أول آية رأها الناس من عيسى ان امه كانت نازلة في دار دهقان من ارض مصر انزلها بها يوسف
التجار حين ذهبهم الى مصر وكانت دار ذلك لدهقان تأوى اليهم المساكين فمصرق لدهقان مال من خزانته
فلم ينهم المساكين فخرت مريم لصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن امه لمصيبة صاحب ضيافتها قال
لها يا أمه اتحبين ان ادله على ماله قلت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع المساكين في داره فقالت مريم لدهقان
ذلك فجمع له المساكين فلم اجتمعوا وعمدوا إلى رجبان منهم احدهما اعمى والاخر مقعد فدخل المقعد على عاتق
الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى انما ضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلامسه و
يقول ذلك ضرر بوا الاعمى حتى قام فلم يستقل قائماً هو المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى لدهقان هكذا
احتمال على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوة المقعد بعيني فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على
الدهقان ماله كله فأخذ الدهقان ووضعه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت اني لم اخاق لذلك قال
الدهقان فاطمئني لا ينك قالت هو اعظم مني شأنهم لم يلبث الدهقان ان اعرج لان له فصنع له عيداً فجمع عليه
اهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من اهل الشام لم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا
به وليس عنده يومئذ شراب فلما راي عيسى اهانته به ذلك دخل بيتهم بيوت الدهقان فيه صفان من جرار
فامر عيسى يده على افواهها وهو عيشى فكما امر يده على جرة امتلأت شراباً حتى انى عيسى على
آخرها وهو يومئذ ابن اثني عشرة سنة (آية اخرى) قال السدي كان عيسى عليه السلام اذا كان
في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أنفؤم ويقول للعلام انطق فقد اكل اهلك كذا وكذا ورفقوا
لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطق الصبي الى اهله فيسكن عليهم حتى يبطوه ذلك الشيء
فيقولون له من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا نعلم بامع هذا الساحر فيجدهم
في بيت فجاه عيسى يطلمهم فقالوا له ليس ههنا قال لهم فاني هذا البيت قلوا خنازير قال كذلك يكونون
فتفتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في الناس فهبت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار
لها وخرجت هاربة الى مصر (آية اخرى) قال السدي لما خرج عيسى وامه عليهما السلام بسبعان
في الارض اذا ترك بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت
جباراً عنيداً فعاه ذلك الرجل يوماً فمتمحاز بنا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن
زوجك اراه حزينا فقال له لا تسألني فقالت اخبرني لعل الله يفرج كربك عى بدى فقالت ان لنا
ملكاً يحل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا
وليس عندنا سعة قالت فتقولى لا يهتم بشيء فانه قد احسن الينا وانى أمر ابني ان يدعوله فيسكنى ذلك
ثم قلت مريم لعيسى قل ان قلت ذلك يقع شرقت فلان يا بني لا احسن اليها واكرمتها قال عيسى

فقال نعم يا سيد البشر فقال
وماهى فقال تسأل الله لى
عز وجل الامن من مكروه
وسخطه وعذابه قال فتقدم
صلى الله عليه وسلم الى
مكان لم يصل اليه نبي
مرسل ولا ملك مقرب
قائماً بالتحية والسلام
ذوالجلال والاكرام ثم دعا
فتدلى فكان قاب قوسين
او أدنى فوحي الي عيده
ما وحي فقال صلى
الله عليه وسلم
يا رب ابقى فقال الله عز
وجل يا محمد انى قدمت
على امتك بثمانية اشياء لم
امن بها على احدهن الامم
السابقة (الاول) اني لم
اخلق خلفاء في السماء ولا
في الارض اكرم على
من امتك (الثاني) ان مائة
الف واربعة وعشرين
القامن الانبياء مشتاقون
اليك والى امتك (الثالث)
اني لم اعط امتك الكثير
من الاموال مثل ما سبق
من الامم لتلاطول عليهم
الحساب يوم القيامة رحمة
لهم وشفقة عليهم (الرابع)
اني لم اعط امتك القوة
بالاموال والاولاد مثل
الامم السابقة حتى كفروا
وجحدوا ونعتني (الخامس)
اني لم اطول اعمارهم
فتجتمع عليهم الذنوب
من كذا قدم من غيرهم

فقولى له اذا قربت ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلى في قتل ذلك فدعا عيسى فحول ماء القدور
لجاء ومرقا وماء الخواشي خرا ام ير الناس مثله قط فلما جاء الملك اكل فله شرب سئل من اين
هذا الخمر قال له من ارض كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد اتى بها من لك الارض وليست
مثل هذه فقال له من ارض اخرى فلما خطب الى الملك وشبه عليه قال اخبرني على الحق قل قانا
أخبرك عندى غلام ماسأل الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فنجل الماء خرا وكان للملك ابن
يريد ان يستخلفه فأتى قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى
جعل الماء خرا ليستجاب له حتى يحى ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه
ان عاش وقع شر فقال الملك لا بالى بمد ان اراه قال عيسى ان أحييته تتركوني انا وامى نذهب حيث
نشاء قال نعم فدعا الله فماش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا
حتى اذا دنى موته يريد أن يستخلف علينا ابنة فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى واهمه
(آية اخرى) قال وهب بيتا عيسى ياب مع الصبيان اذ وثب غلام على عصي فوكزه برجله فقتله
فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فطاع الناس عليه فتهيموه به فاخذوه وانطلقوا به الى قاضي
مصر فقالوا له هذا قتل هذا القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه فاردوا أن
يبطشوا بنيسمي عليه السلام فقال لهم ائتوني بالغلام فقالوا له ماتريد منه قال اريد أن اسأله من قتله
قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه واثبو به الى مقتل الغلام فاقتل عيسى على الدعاء فاحياه الله
تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتاني فلان على الذى قتله فقال بنوا اسرائيل من هذا قال هذا عيسى
ابن مريم قالوا فمن هذا الذى ممة قال قاضى بنى اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى امه
وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه يا بنى الم انك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم
الراحمين (آية اخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بمد ما خرجته من الكتاب الى اعمال شتى
فكان اخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسه ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فمضى
للرجل سفر فوال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه
ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصنع به فاحب ان تكون فارغا
منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب
وقال لها كوني باذن الله تعالى على ما رى بمد منك فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال يا عيسى
ما فعلت قال فرغت منها قال ابن هى قال في الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها في جب
واحد لقد افسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا اخضر وثوبا
احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فجعل الصباغ يتسحب وعلم ان ذلك من الله عز وجل
فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فامن به هو واصحابه وهم الحواريون
والله عز وجل اعلم

(باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هرودس)

قال وهب لما مات هرودس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام ووحى الله تعالى الى
مريم بنحوها بعوت هرودس وياورها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى واهمه
عليهما السلام وسكنها في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم في
الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة ووحى الله تعالى اليه ان يبرز
للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الآلة ليدواي المرضى والزمنى والدميان والجانين ويقع

(وروي عن ابى بكر
الصدى رضي الله عنه)
انه اتى يوما من الايام الى
المسجد للصلوة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فوجدته قد صلى فقام

الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه فعمل ما اراده فاحبه الناس ومالوا اليه واستأنوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمي في الساعة الواحدة خمسون الفا من اطاق منهم أن يمسي اليه يمسي اليه ويصل اليه عيسى عليه السلام واما كان يداويهم بالدا عا بشرط الايمان * ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموات اللهم أنت الله من في السماء واليه من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكيم من في السموات وحكيم من في الارض لا حكيم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك بملكائك السكرام انك على كل شيء قدير

﴿ باب في قصة الحوار بين عليهم السلام ﴾

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد باننا مسلمون وقال الله عز وجل وإذا وحيت الى الحواريين أي اهتمهم ووقفهم أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اعلان الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأوليائه وأرضيائه وأنصاره وزراه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماءهم شمعون الصفار المسمي بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيي أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتي العشاور ويعقوب بن حلفا واوليا الذي يدعي تدوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخر يوطى عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم لمسموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فربهم عيسى فقال لهم ماتصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا نعيش من حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال ندعو الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكره أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه وقال السدي كانوا الاحياء وقال ابن اراطه كانوا اقصار بن سمووا بذلك لانهم كانوا بحورون الثياب أي يبيضونها (أخبرنا) ابن فنجو به باسناده عن مصعب قال الحواريون اثناعشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اواجاعا قالوا ياروح الله جمعنا فيضرب يده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيقتين فيأكلهما وإذا عطشوا قالوا ياروح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا ياروح الله من أفضل مناذاشتنا اطعمتنا واذناشنا أسقيتنا وامنابك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاوا ويمتلون الثياب بالسكرا قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصبة فكانت القصبة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك اني أترك ماسكي واتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقدمت القصبة * قال الضحاك سمو الحواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله ابن المبارك سمو الحواريين لانهم كانوا رانين عليهم أنرا العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحوار عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والخور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصاح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحوارية خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارية وحواري من انزل يريته ولا حوارية عيسى ابن مريم عليه السلام فاما حوار يوهذه الامة فاخبرنا الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قر يش وهما ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحجرة وجعفر وأبو عبيدة ابن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطليحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم اجمعين

فاته الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام بقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان الله سبحانه وتعالى خلفني قبل ان يخلق السموات والارض بالنفي عام فكنت اسبجه واقدسه فيبينا انا على تلك الحالة اذا قبة من نور يضيئه تضيئه فجعلت تمر من السحاب واذا بصوت منها يقول احدا احد فرد صدقت يا رب من هذا اخلق خلقته قبلي ام اخلق تخلفه بعدى فقال الله عز وجل هذا خلق اخلفه في اخر الزمان وهوني مكرم اسمه محمد وامته خير الائمة فقلت يا رب اسالك بحقه عليك ان تجياني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك اذا بقبة اخرى تليها وهي تمر من السحاب واذا بصوت منها يقول صدق صدق فقلت ومن هذا يا رب فقال رجل من امة هذا النبي يكون اول من يصدقه يسمى الصديق فلما بعث الله يا محمد اقام ابو بكر

بأنطرك قبيل امتك
 باربعين عاما فلما بعثت
 بأدرك اليك وصداقك
 فاستحق منك ان تصير
 له ساعة حتى يصلي
 معك وينال من بركتك
 ثم مضى جبريل عليه
 السلام فقام النبي صلى
 الله عليه وسلم واخذ
 بيد ابى بكر وعاهده
 انه لم يكن ليصلي فرضا
 الا ان يكون خلقه
 رضى الله تعالى عنه وعن
 كل الصحابة اجمعين
 (وحكى عنه ايضا رضى
 الله تعالى عنه) انه قال
 بينا نحن جلوس
 بالمسجد واذا برجل
 اعشى قد دخل علينا وسلم
 فرددنا عليه السلام
 واجلسناه بين يدى النبي
 صلى الله عليه وسلم
 فقال من يقضي حاجتي
 في حب النبي صلى الله
 عليه وسلم فقال ابو بكر
 رضى الله تعالى عنه
 ما حاجتك يا شميخ فقال
 انى اهلوا لى يكن عندي
 ما نفقات به واريد من
 يدفع لنا شيئا نقات به
 في حب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال فنقض
 ابو بكر الصديق رضى
 الله تعالى عنه وقال نعم
 انا اعطيك ما يوزم بك في
 حب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ثم قال هل من

ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد بعثته
 الى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه ﴿

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها في سورة المائدة واذا قال الله
 يا عيسى بن مريم اذكريني عليك وعلى والدك اذ ايدتك بروح القدس * واختلاف واقبه فقال الربيع بن
 أنس هو الروح الذى تنفخ فيه الروح اضافة سبحانه الى نفسه تكبرا وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله
 والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنحننا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة
 أى الروح الطاهرة وسعى عيسى عليه السلام وحالاه لم يتضمنه أصلا بل الفحول ولم يشتهل عليه أرحام
 الطوامن انما كان أمر الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل ونايد عيسى بجبريل عليه السلام
 هو أنه كان قريبه ورفيقه ويمينه ويسيره حينما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سمع بن جبريل وعبيدة
 ابن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك المعجائب (ومنها) تأييد الله اياه بالانجيل
 والتوراة وكان يقرهما من حفظه كقَالَ الله تعالى واذا علمت انك الكتاب أى الخط قليل الخط عشرة أجزاء
 فتدعى منها العيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الخاير من الطين كما قال الله تعالى فغيراعنه أى قد
 جعلته باقية من بكم أى اخلقك اسكن من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا يا بن الله وقال تعالى واذا خلق
 من الطين كهيئة الطير باذنى فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا يا بن الله والله وبحق غير
 الخفاش وانما خص بالخفاش لانه كأل الطائر خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له دنيا واسنانا ويد وبحيى
 ويطير (قال وهب) كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا لانه من فعل الخلق عن فعل
 الله تعالى ولعلم أن السكالك لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكاه والابرس كقَالَ تعالى وتبرى الاكاه
 والابرس باذنى والابرس الذى به وضع والاكاه الذى ولد انمى ولم يبرص واقط ولم يكن في الاسلام اكاه
 غير قتادة وانما خص هذين لاهم ما اعيى الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فاراه المعجزة من جنس
 ذلك (ويرى) أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فقبل هؤلاء قوم طلبوا للقضاء
 فطسوا عيونهم بايديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا اخفنا عاقبة القضاء فصنعنا بائنا ما ترى فقال انتم
 العلماء والحكمة والاخبار والفاضل امسحوا بعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام
 ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله تعالى واذا خرج الموتى باذنى وأحيائهم أمواتا منهم الماذر
 وكان صديقه الفارس سلت أخته الى عيسى أن أذاك الماذر يموت فاتم وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه
 هو وأصحابه فوجدوه قد ماتت منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقى بنا الى قبره فاطاقت مريم الى قبره
 وهوى صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى
 بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم أنى أحيى الموتى باذنك فاحى الماذر فقام الماذر وخرج
 من قبره وبقي وزلده (ومنها) ابن العجوز وكانت القصة فيه ان عيسى مر في سياحته ومعه
 الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كثرا من يذهب يستخرجنا لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه
 القرية أحد غير رب الاقلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فضى حتى دخل المدينة فوقف
 على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى أن أدعك لا
 أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى
 أضفتى ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما أنك لو فلت ذلك زوجتك
 بنت الملك فقال له الفتى اما ان تكون مجنونا واما ان تكون عيسى بن مريم قال ان عيسى فاضافة وبات عنده
 فلما أصبح قال لا غدو ادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيامر بضر بك واخراجك فضى

حاجة اخرى فقال نعم ان
لي ابتكار يس من تزوج بها
في حياتي حيا في محمد صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر
رضي الله تعالى عنه انا
أتزوجها في حياتك حيا
في رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من حاجة اخرى
فقال نعم اريد ان اصنع
يحيى في شعبة ابني بكر
الصديق رضي الله عنه
حيا في محمد صلى الله
عليه وسلم قال فنهض
أبو بكر رضي الله عنه
ووضع لحية في بدال اعمى
وقال امك الحيتي في حب
محمد صلى الله عليه وسلم قال
فقبض الاعمى بلحية ابني
بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه وقال يا رب
اسألك بحرمه شعبة ابني
بكر الا ما رددت على
بصري قال فرد الله عليه
بصره لوقت فزله جبريل
عليه السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم
وقال يا محمد السلام
يقربك السلام ويخصك
بالحبة والاكرام ويقول
لك وعزته وجلاله لواقم
على كل اعمى بحرمة شعبة
أبي بكر الصديق رددت
عليه بصره وما تركت على
وجه الارض اعمى وهذا
كاه ببركتك وعلو قدرك
وشأنك عند ربك اللهم
شفعه فينا والمسلمين

الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى
عيسى فاخبره الخبر فقال اذا كان غد فانهذه اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره
عيسى ففرضه دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فانه سقوف يولك انا زوجك
اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد ففعل له اقبل ذلك فاذا
بعث معك احدا فخرج به فانك سوف تجده فلا تحث فيه شيئا ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقوا
بحكمي قال وما حكمك فحكم بالذي سمعاه عيسى فقال نعم رضيت ابنت من يقبض ذلك فبعث معه رجلا
فسلم اليهم مائة مائة الملك فمحب الناس من ذلك فلم اليه الملك ابنته فمحب الفتى من ذلك وقال ياروح الله تقدر
على مثل هذا وانتي على مثل هذه الحالة فقال له عيسى اني آتيت ما يدعي على ما ينبغي فقال الفتى انا ايضا ادع
وأصحبك فتخلى عن الدنيا وانع عيسى فاخذ عيسى يده وأتى به لصحا به وقال لهذا الكبر الذي قلت لك
فكان معه ابن العجوز الى ان مات ومعه وهو ميت على سرير فنادى الله عيسى فجلس على سريريه ونزل من
على أعناق الرجال ولبس الثياب وحس السرير على عنقه ورجع الى اهله نقي وولده (ومنها) ابنة العاشر رجل
كان باخذ المشركين له لأبحيم او قد ماتت بالامس فدعا الله وزوج فاشتت وبقيت ولدها (ومنها) سام
بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح وبعث لهما من شهد السفينة فبعث لهما ذلك فقام وأتى
تلا فضرب يده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه
الاعظم وضرب ابيه بعصاه وقال احيا بادن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف راسه فقال اقد
قامت الفياضة قال لا لكي دعوت باسم الله الاعظم قال نعم بكرنا يشيرون في ذلك الزمان وكان سام قد عاش
خمسة مائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط ان يعينني الله من سكرات
الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزير
عليه السلام قال والعيسى عليه السلام احيه والاخر فثابك بالارواح وماله حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا
في ذلك الوقت يدفنون وتنام في صنبا يق من حجارة مطعة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه
فمالحوه ليثجه فلم يقدر ان يخرجوه من قبره رجعوا الى عيسى فاخبروه فثابكهم انا فمعه الماء وقال لهم
انضحوا قبره هذا الماء ففعلوا ففتح الطبق فأثابوا به عيسى وهو في كنفه والارض لاننا كل اجساد الانبياء
ثم أنه نزح ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره بنبت ثم قال احيا عزير يا رب بادن الله تعالى فاذا
هو جالس وكل ذلك تراه اعيانهم فقالوا يا عزير ما تشهد لهذا الرجل يدعون عيسى فقال أشهد انه عبد الله
ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك ببقه لنا ليكون بين أظهرنا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره
فعاذمية فآمن به عيسى بن مريم من آمن وعاد من كان الكلي كان عيسى يحيي الموتى يا حي يا قيوم (ومنها)
اخباره عليه السلام عن التيوب قال الله عز وجل اذ بارأه وانه يكلمنا كل من وماند خرون في بيوتكم قال
السكبي لا أبرأ عيسى الا كنه والا برص واحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن اخبرنا ما كانا كل وماند خرون
فسكرنا بخبر الرجل ما يا كل في غدا انه وما يا كل في عشاءه (ومنها) مشيه عليه السلام الى الماء يروي انه خرج
في بعض سيا حته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لمي فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله
بصحة وبقيت فشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة وبقيت فشى على وجه الماء فداخله
العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء قال فانهمس في الماء فاستغاث بمي
فثابك له عيسى من الماء وأخرجوه وقال له ما قلت يا قصير يا خبير يا خبير خاطره فقال له عيسى افدوسمت نفسك
في غير الموضع الذي وضعتك الله فيه فثابك الله على ما قلت فثابك الله ما قلت فثابك الله ما قلت فثابك الله ما قلت
التي وضعتك الله فيها فثابك الله ولا يحسد بضمك بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الخشاشي باسناد عن معاذ

ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لمعتم العلم الذي ليس بده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد أنعمنا ان عيسى بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازاد خوافا بقيتنا لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى ان الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شأن من ان يبلغ أحدا شأنه

في ذكر حديث جامع في هذا الباب

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض فصحبته يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأي أنه ليس مع عيسى الارغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته ما ظاهما فقال لصاحبه اين الرغيف الآخر فقال ما كان الارغيف واحد فاكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاءه شجرة فقال عيسى لصاحبه لو اننا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال أقول فبأنتم احبهما بمظالمين فلفيا أعمى فقال له أرايت ان أنا عالجك حتي يرده الله عليك بصرك فقل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال لعيسى لليهودي بالذي أراك الأعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال لي والله ما كان إلا رغيف واحد فمسكت عيسى عنه ومرفأ ذمها فعمد فقال له عيسى أرايت ان أنا عالجك فاما لك تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال لصاحبه عيسى ما رأيت بش هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى بصيرا والمقدم صحيحا من صاحب الرغيف الثالث خافه ما كان معه الا رغيف واحد فمسكت عنه عيسى فانطلقا حتي انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لاري جسر او لا سفينة فخذ بحجزق من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى والمقدم وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان الارغيف واحد فمسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظلمة رعى فدعا عيسى يظي فذهب وشوي منه بعضا واكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي يدعوا فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الارغيف واحد ففرا بصاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجز لنا من بقرك هذه فجلا فقال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظاما ففرا غوا وقف بمظالمه في جده ثم ضرب به بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوارف فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من انت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار ثم فرمته فقال عيسى لصاحبه بالذي احيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الارغيف واحد فمسكت ومضيا حتي دخلوا قرية فنزل عيسى في اسفلها واليهودي في اعلاها فاخذ اليهودي عصا عيسى وقال ايا الآن ابري والمرضي واحي الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنا فانطلق اليهودي ونادى من يفتي طيبيا حتي اتى باب الملك فاخبر بوجهه فقال ادخلوني عليه فانا ابرئه وان رايتموه قد مات فانا احبيه فقيل له ان وجه الملك قد اعيى الاطباء فليكن وليس من طيب يدويه ولا يشفيه الا صلبه فقال ادخلوني عليه فادخل عليه فاضرب الملك بعصاه فمات فيجمل بضرب الملك بالعصاة وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يتم فاخذ لصالب فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقدرفع على الحشبة فقال لهم عيسى أرايتهم ولو احببت لكم الملك هل تتركوني لصاحبي قالوا نعم فدعا الله عز وجل فاحياه وقام فانزل اليهودي من الحشبة فقال يا عيسى انت اعظم الناس على منة والله لا افارقك ابدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي احيا الظبي والعجى بعدما كانا هما واحيا هذا بعد مامات وانزلك من على الجذع بعد ما صلبك كم كان معك من رغيف قال خلف بهذا كله وقال والله ما كان معي الارغيف واحد فقال عيسى لا بأس

(ومناقل من حكايات الخلفاء الراشدين رحمهم الله تعالى) حدث ابو موسى الفضل عن ابيه قال سمعت زب بنت سليمان ابن علي بن عبد الله بن عباس تقول كنت عند الخيزان جارية الممدي وكان عادتيا اذا كنت عندها انها تجلس في عتبة باب بيت من بيوت القصر واجلس بازائها في الصدور في مجلس كان الممدي يجلس فيه اذا قصدنا وكان يقصصنا في كل وقت يجلس عندنا ساعة ثم ينهض فبينما نحن جلوس اذ دخلت علينا جارية من جوارى الخيزان اللاتي يحببنها فقالت اعز الله السيدة ان بالباب امرأة ذات جمال وخلق حسن وهي على غاية من سوء الحال تستأذن في الدخول عليك وقد سالنها عن اسمها فامتعت من ان تخبرني قالت زب بنت فانتارت الخيزان الى رقات ماتريد فقلت ما بصرنا دخولا فلا بد من فائدة او ثواب فدخلت المرأة فاذا هي اجمل ما يكون من النساء وكان فوقت الى جانب الباب وسلمت وقالت انا مرنه بنت مروان بن عبد الملك

ابن محمد الهموي قالت
 زينب فكنيت متكيفة
 فاستويت جالسة وقات
 مرة قالت الله ولا حيالك
 ولا رعاك ولا سلمك ولا
 سلم عليك والحمد لله الذي
 ازال النعمة عنك وهتك
 سترك واهالك بين الناس
 اتدكرين يا عدوة الله
 حين انك انساء في العباس
 يسالك بالله ان تكلمني
 اباك في دفن ابراهيم بن محمد
 فوثبت علي بن واسعه من
 اخشن الكلام واغاظ
 القول وخرجن على الحلة
 التي علمت بها قالت زينب
 فلما سمعت كلامي ضحكته
 فوالله ما اني حزن امرها
 وعلو صوتها بالهفوة
 ثم قالت اي بنية عمي اي
 شئ مانجك من صنع الله بي
 حتى اردت ان تسيثيني
 والله لقد صنعت بئساء
 اهالك ما قصد ذكرت
 ولكن حق على الله
 تعالى ان تكلمني ذليلة
 جائمة عريانة افكن
 هذا شكرك لله على
 ما اولاك ثم قالت زينب
 فالتفت ونظرت فاذا هي
 تبكي فنادت الخيزران
 يا مرنه دخلت يا ذني فلا
 تخرجي الاباذني وصاحت
 بحجبها ردوها فرجعت
 وقالت ماساقي الا الضر
 والجهد وسوء الحال قال
 فنهضت الخيزران وباهت

فانطلقا حتى اتيا قرية عظيمة خربة فيها اكثر ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل
 لعيسى هذا المال لك فقال عيسى ارجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي اكل الرغيف الثالث فقال
 اليهودي لميدي ان صاحب الرغيف انك اكلته وانت تصلي فقال عيسى هي لك كل ما فاطق عيسى وتركه
 ينظروا ولا يستطيع ان يحمل منهن واحدة لتقلما عليه فقال له عيسى دعه فار له اهلهم لمكور عليه فجعلت
 نفس اليهودي تنطع الى المال ويكره ان يعصى عيسى ويبيزه حمل المال فاطق مع عيسى فبينما هو كذلك
 اذ مر بالمال ثلاثة نفر فوعا عليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فالتا بطعام
 وشراب ودواب تحمل عايم هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال احدهما للآخر هل لك ان تقتله اذا رجع
 وفقدتم المال بيننا قال نعم وقال الذي ذهب في نفسه انا اجعل في الطعام سافا اذا اكلاه ما تار بصيرنا ان كله لي
 فقتل ذلك فلما رجع اليهما اوصل قتله ثم كالا طعام الذي جاء به اليهما فاذا تار ان عيسى عليه السلام مر به
 وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا صنع الدنيا باهلها ثم ان عيسى احياهم باذن الله فاعترفوا واوروا ولم
 يأخذوا من المال شيئا تمامت نفس اليهودي صاحب عيسى الى المال فقال اعطني المال فقال عيسى خذ لك فو
 حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام في ومنها نزول
 المائدة قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
 قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروي
 قتادة عن جابر عن عمار بن بلير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك
 انهم سألوا عيسى طعما ما يكون منه ولا ينفد قال فقال لهم اني فاعل ذلك واهم اقمعة اكلهم تخبزوا او تخونوا
 فان علمتم ذلك عذبتم قال فهاضي يومهم حتى خانوا وخبؤا في بعض الروايات ان بعضهم سرق منها وقال
 املنا ان ينزل ابد افرقت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبي اسرائيل صوموا ثلاثين
 يوما ثم سألوا الله ما شئتم يطعمكم فوصاها ثلاثين يوما فله افرغوا قالوا يا عيسى اتانا لعلمنا لا حد فضينا عملهم
 اطعمنا طعاما وان صمتنا وجنا فادع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافتش الرماذم دعا
 الله تعالى فقال اللهم ربنا نزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة مائدة بمحمولها عليها سبعة
 ارغفة وسبعة احوات ووضعها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وروي عطاء بن السائب
 وغيره انه كانت المائدة اذا وضعت لبي اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية
 العوفي نزلت سبعة من السماء فيها طعم كل شئ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة
 وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كلان والسولي لبي اسرائيل وقال وهب انزل الله اقرصة
 من شير وحيثانا فليل لوهب ما كان ذلك يفتي عنهم من شئ قال بلي ولكن الله ضاعف لهم البركة
 فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيى آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمهم وفضل وقال كعب
 الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال
 مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال اني منزلها عليكم كما سألتم فن اكل من ذلك الطعام ثم لم
 يؤنه جعلته مثلا وامنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شهمون الصفا وركن افضل الحواريين فقال
 هل ملك طعام فقال له عيسى سكتان صغيرتان وسنة ارغفة فقال عليهما فاطمهما عيسى قطعما صفا ورواها
 في روضة ورا فقوارفا قال رقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وانزل فيها البركة فصارت خبز
 صحاحا وسككا صحاحا ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقى في كل رقة مائة من اصابهم ثم قال كواهم الله فجعل
 الطعام يكثر حتى بلغ ركهم فاكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا شهدنا
 انك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة اخرى فانزل الله خمسة ارغفة وسكتين فصنع بها ما صنع في المرة الاولى

فلما رجعوا الى قراهم وانشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحك انما سحرا عينكم ثم اراد الله به الخير فنبهته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الي كرهه فمخاوقه وخنازير ايس منهم عبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولما كانوا لم يشربوا وكذلك كل مسوخ ويروى عن عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي انه قال والله ما متع عيسى من المساوى ولا انتهر بيقولوا فقهه ضحكا ولا ذب ذبا عن وجهه ولا اخذ على افقه مرتين شيئا قط ولا بيت قط ولم يسهل له الحواريون ان ينزل عليهم الموادصونفا قال اللهم انزل علينا ما نأمنه من السماء الآتية وارزقنا عليها طامانا كل وانزل خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غامقة من فوقها وغامقة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يره مثله قط ولم يجدوا ربحا اطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم احسنكم عملا يكشف عنها ويدكر اسم الله وبكل منهما فقال شمعون الصفا راس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضا وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المندبل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلول ولا شوك فيها تسيل سيلان من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحوالها من انواع البقول ما خال الكرات واذا حصة فارغة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله اأمن طعام الدنيا هذا ثم طامم الاخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ماترون من طعام الدنيا ولا من طعام الاخرة ولكن اقمته الله بالقدرة الغالبة كواثما سألتم بعدكم ويزدكم من فضله قالوا ياروح الله لو اننا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى بسمكة احبي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلولها وشوكها ففرغوا منها فقال عيسى مالك تسالون اشياء اذا أعطيتوها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم ان تعذبوا بسمكة عودي كما كنت باذن الله فمادت السمكة مشوية كما كانت قالوا ياروح الله كن اول من يأكل منها ثم ناكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها عيسى اهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كوا من رزق الله واكم الهناء ولا تفرم البلاء فاكلوا منها وصدر عنها الف والاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئة ثور حين تزلت من اساءه ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يوهن من مرض الابرى ولا زمن الاصح ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغني ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزات اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبت أر بعين صبا حانزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفى طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غيا تنزل يوما ولا تنزل يوما كنافقة تلمد فواحى الله الى عيسى ان اجعل ما أرى ورزقى للفقراء دون الاغنياء فعمم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا انزلون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلسكم فشدوا والذباب الله فواحى الله تعالى الى عيسى انى شرطت على المكذبين شرطن أن من كفر بد زولها عذبه عذابا لا عذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تدبهم فاهم عداك وان تغفرهم فانك انت العزيز الحكيم فسخ منهم ثمانية وثلاثون رجلا بانوا من ليلتهم على افترش مع نسائهم فى ديارهم فاصبحوا خنازير يسمعون فى الطرقات والكناسات وياكلون القاذورات فى الحشوش فلما راي الناس ذلك نزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على المسوخين اهلهم فلما ابصرت الخنازير عيسى بكيت وجعات تطوف به فجعل عيسى يدعوهم

فدانتها فقال مالك فى اوضع شئ من الحال الذى نا فيه فقالت الخيزران لجوارها عليكن بالحلجلى سرعة فدخلوا بها لحمام وامرت بعض الجسوارى بخدمتها ثم وافتها بالخلع المذهبة والطيب ثم قامت اليها الخيزران واعتنقتها واجلسها فى المجلس الذى يجلس فيه امير المؤمنين المهدي وقدمت اليها الموادفجودت تاكل فوهى تلقمها الى ان اكتفت عفت يديها ثم قالت له الخيزران فهل عندك احد ينتظرك فقالت مالى احد فقالت الخيزران فقومى فاخترى لك مقصورة من مقاصد يري فاسكني فيها عندي ولا تفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاخترت اوسدها وانزهها فحول اليها جميع ما محتاج اليه امن القرش والملاسل الحرير والريق ثم قالت الخيزران ان هذه امرأة مسها الضر واورثها الفقر مالا قدر عليه ولا يسئل ما فى قلبها الا المال احلوا اليها خمسمائة الف درهم فجعل اليها ذلك ثم دخل المهدي فى آخر الامر فقال ما بالكم فمضت اليه ز رتب واعلمته بجميع

باسمهم واحدا بعد واحد فيكون يشيرون برؤسهم ولا يقدرين على الكلام فهاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا (ومنها) ما روي ان عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان بكثير المرور به فيجده جالسا فقال يا عبد الله اراك تسكن الجلس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذه امرأة كان لي من جملها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال افتحب ان ادعوك الله فيجيبها لك قال نعم فتوضا عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا اسود قد خرج من القبر كانه جرح محترق فقال له من انت فقال يارسل الله انا ربي في عذاب منذ اربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قيل لي اجب فاجبت ثم قال يا رسول الله قد مر على من الهم المذاب ما ان ردتني الله الى الدنيا اعطيتني عهدا ان لا اعصيه ابدا فادع الله لي فوقعه عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فضى فقال صاحب القبر يا رسول الله اقد غلطت بالقبر اعاقبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى اترقبها قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ الرجل بيدها حتى انتهى الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها ثم بهان الملك فظارها ونظرت اليه وادعيت كل واحد منهما بصاحبه فاشاد اليها فوضعت راس زوجها عن حجرها وانبت الفتى فاستيقظ زوجها فنقدتها فلم يجدها فظلمها فدل عليها فتمتع بها وقال امرأتى فقال الفتى هي جاري بي فبينما هم كذلك ان طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين قالت انا جارية هذا ولا اعرف هذا فقال لها عيسى ردي علينا ما اعطيناك قالت قد فعلت ففسدت طم مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم اعجب من هذا رجل اماته الله كافرا ثم بمته فامن وهل رأيتم امرأة اماتها الله مؤمنة ثم احياها فكفرت (ومنها) رفعه الى السماء انا قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى ويطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عز ويرا حكيما (وروي) السكبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقتلوه واهم فلما رأى ذلك رأس اليهود واهمهم فزع لذلك وخاف دعوته روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم امن من سبني وسب امي فاستجاب الله دعاءه ووسخ الذين سبوه واهم خذرا فلما رأى ذلك رأس اليهود واهمهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معاشر اليهود ان الله يبتضخكم فبضخو من مة الله غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبمته الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فاخذله خوخة وواروه في سقها ورفعه الله تعالى من روزنه فامر رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال له فلطيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا انه يقتله فيها فاقا في الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصابوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحوار بين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة في اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام بخدعهم فلما فرغوا من الطعام اخذ بفلس ايديهم وبوصيهم وبمسح ايديهم بشبابه فعضوا ذلك وتكلموا وقال الامن رد على ما اصنع فليس مني ولا انا منه فاقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم انا ما صنعت بكم الايلة ما خدمتكم على الطعام وغسلت ايديكم بيدي الا ليكون لكم بي أسوة وانكم ترون اني خيركم فلا يتعاضم بعضهم على بعض وليبدلن بعضهمكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم ولما الحاجة التي اتممتكم عليها فتدعون الله وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر اجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء واداروا

دخلت عايبا فغضب غضبا شديدا وقال هذا سجودك لله تعالى شكرا على ما انعم عليك فوالله لولا انك حرمة لاحافن الا اكله ابا فقلت يا امير المؤمنين قد طاب قلبها واعتذرت اليها ونعمت بها الخبز ان كذا وكذا فسر ذلك وقال احموا اليها من عندي مائة الف درهم وقال لخدامي ان على رأسه بانه امي السلام وقل لها اني ما سرت بشيء من عند دهرري كسر ودي اليوم بمقامك عندنا ولولا احتشامك لمسرت اليك من الاما عليك فاضيا لحقك قال فلما هضي الخادم بالرسالة جاءت الى المهدي وسلمت عليه وقالت ما على امير المؤمنين مني احتشام فاني صرت من جواريه فقال امير المؤمنين لا والله بل اعز من ولدي قال لم يزل المرأة عند الخبز ان كذا وكذا رحمة الله تعالى عليها وعلى الخبز ان كذا وكذا المؤمنين المهدي وجزاهم الله تعالى عن دورهم وهم وكرمهم اخلاقهم خيرا (والا) حج امير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه (عرض عليه جوهر فقيس له قيمة

عظيمة الثمن فعرفه وقال

هذا كان هشام بن عبد الملك بن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الامور بين غيره ولا بدلي منه ثم التفت الي حاجبه الربيع وقال اذا كان القدوس صليبت بالناس في المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب واكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج احدا حتى تعرفه فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فائتني به فلما كانت الساعة اغلق الربيع الابواب وقول ما امر به المنصور وكان محمد بن هشام في المسجد فعرف انه المطلوب وايقن انه مأخوذ مقتول فيجبر وارتاب واضطرب فبينما هو على تلك الحالة اذ اقبل محمد بن زيد بن علي بن ابي طالب رضى الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال يا هذا ما بالاك فقال لا شيء فقال قل ولك امان الله على نفسك فقال انا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال محمد بن زيد بن علي بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وايقن بالموت فقال لا تخزع فالك است اتل ابني ولا جدي وليس

ان يجتهدوا انزل الله عليهم النور حتي لم يستطيعوا دعاء نجمهم ويقول سبحان الله متصبرون في ليلة واحدة وتعينني فيها فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرنا وما نريد دعاء الاحيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتبقى الغنم وجعل ياتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرون بي احكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات لئلا يميني احكم دراهم يسيرة ولئلا يكن نبي فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعوا احد الحواريين فقالوا هذا من اصحابه فجحد وقال ما لنا من اصحابه فتركوه ثم آخر فجحد كذا كذا ثم سمع صوت ديك فبكي واحزنه ذلك فلما أصبح اثنى احد الحواريين اوانك اليهود فقال لهم ما تجلبون لي ان دللتكم عليه فجعلوا ثلاثين درهما فاخذوا ودفعهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه ووربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون انت كنت تنجي الموتى وتبرى الاكاه والابرص اذ لا تفك نفسك من هذا الحبل ويصعدون عليه ويأتون عليه الشوك ثم انهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما اتوا به الي الخشبة ليصلبوه اظلمت الارض وارسل الله الملائكة خلوها بينهم وبين عيسى والقي شبه عيسى على الذي دفعهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون انه عيسى وتوفي الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فلذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم ام عيسى وامراة كان عيسى دعا لها وابراهيم الخنون يبيكان عند المصلوب فاناها عيسى وقال على من تبكيان فقالا عليك فقال ان الله رفعني فلم يصيبني الا خيرا وان هذا شخص شبه لم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقبيا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء والقي الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود انه عيسى فاخذوه وكان يقول لهم اني است عيسى اني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكرنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شهى فانه مقتول فقال رجل من القوم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرايلى يسمى اشوبع بن قنديل والله اعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة ايام)

(قال وهب) وغيره من اهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام ليث في السماء سبعة ايام ثم قال الله له ان اعداءك اليهود اعجبوك عن العهد الي اصحابك فتنزل عليهم واوصهم واهبط على مريم الجدلانية فانه لم يبك عليك احد بكاهها ولم يحزن عليك احد حزنها فازلت عليها واخبرها انها اول من تلحق بك وامرها ان تجتمع لك الحواريين فينبههم في الارض ودعا الى الله تعالى وكانت قصة مريم الجلانية انها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة سالحة وكانت تستعاض فلا تظهر فخطبها اشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا انها زومت بنفسها عنهم فلم يكن ذلك ترفعا وانما ارادت اخفاء علمها عنهم فلما سمعت بتجى عيسى عليه السلام وبما كان يشغى الله على يديه من المرضي والزمي اقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما البسه الله من الهيبة استحييت واصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذوعاها بنية حسنة ولقد اعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتي فاذهب الله عنها ما بها وبرئت وطهرت فلما امر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة ايام من رفعه هبط عليها فاشتمل الجبل حين هبط نور اجسمته له الحواريين فينبههم في الارض ودعا الى الله ثم رفعه الله وكساه الریش واللبسة النور وقطع منه شهوة المطم والمشر بهو بطيرعه الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حين امرهم فذلك الليلة التي اهبط فيها هي الليلة التي تزخر فيها النصاري قالوا

فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومثي الى الارض التي باكل اهلها الناس وتومازيا الى ارض المشرق
وفيلبس وبيمون الى القيرمان واخر بقية تلميحي الى افنوس قرية اصحاب الكهف واليهوذين الى
اورشليم وهي ايلياء ارض بيت المقدس برتومانيس الى اعراية وهن ارض الحجاز وشعرون الى ارض
برفاجيه ج كل واحد من الحواريين اذن بهم بمحدث امة من ارضه عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد
اليه يهود الى بقية الحواريين اصحاب عيسى بشمهم وبعثهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم
وكان صاحب ريق فتيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه وقتلوه
وكان يجرمهم انه رسول الله وقد احيا لهم الموتى وبرا لهم الاقسام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه
فكان طيرا بين الله واخبرهم بالقيس راياهم العجايب فقال ملك الروم فانه نعم ان تذكروا لي من امره فوالله
لوعلمت خلقت بيته وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانزعجهم من ايديهم فلما اتوه سالهم عن دين عيسى
فاخبروه خبره فبإيهم على دينه واسكنزل شبه عيسى والخصبة التي اصحاب عليها فامرهم واصنامهم مسماهم
وغزاني اسرائيل فقتل منهم خبايا كثيرا فمن هنالك كانت اصل النصرانية في الروم (وقال اهل التوراة) حملت
مريم بعيسى ولهذا ثلاث شرة من ذوات عيسى ببيت لحم من ارض اورشليم لما نسي خمس وستين سنة من
غلبة الاسكندر على بابل ولا حدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين وواحي الله اليه على رأس
ثلاثين سنة وروى من بيت المقدس الى المدينة اقدس من شهر رمضان وهو ابن ثلاثين سنة فكانت نبوته
ثلاث مئة وعاشت أمه مريم بعدد رومة ست مئة من الله أعلم

﴿ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام ﴾

(قال) وهب أراد الله تعالى ان يرفع عيسى عليه السلام اخي بين الحواريين فامر رجلين منهم يقال لاحدهما
شمعون الصفا والآخر يحيى أن يلتزما معه ولا يفارقا فانظروا مريم الى ما روت ملك الروم بدعونه
الي الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما اتوه امر بشمعون واندراوس
فقتلا وصلبا من كسرين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقتهما الطلب فخافا فاشتقا لهما
الارض فغابا فيها واقبل ماروت ملك الروم واصحابه فيحفر واذكالموضع فلم يجدوا شيئا فردوا التراب على
حانة وعلمو اذ امر من الله تعالى فسال ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه به فاسلم كائن كرنا والله أعلم

﴿ ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان ﴾

قال الله تعالى وانه لم اعم الساعة فلا تترن بها الاكية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه
السلام في القرآن قال نعم قوله وكلوا واهلوا بكل في الدنيا واهلوا عاصمناه وكلوا بعد نزول من السماء (أخبرنا)
أبو صالح شعيب بن محمد البهقي باسناده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة
لعلات أمهاتهم شتى ودينتهم واحدة وانى اولي الناس بعيسى بن مريم عليهم السلام لانهم لم يكن بيني وبينه نبي
ويوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمي وخالتي عني عليهم فاذنوا بتموه فاعرفوه فانه
رجل مريوع الخلق الى الحرة والبايض مبط الشركان راسه نطير ولم يصبه بل ينزل بين نخعزتين
فيكم الصليب ويتل الخزيرو يضع الجزية ويقيض المال ويهل من الرواح حاجا أو معتمرا أو مليا
بهم اجرا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه المالك كاهنا غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله
رب العالمين ويهلك الله في زمانه سبع الضلالة السكتاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يابث
في الارض أربعين سنة ويتزوج وولد له ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفون في المدينة بمحج عمر
اقرؤا ان ستم وان من اهل السكتاب الا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدنا اى قبل

خلاصك ان شاء الله تعالى
واكن اعزتي فيها لاصانع
بك من مكروهه وقبيح
فطرح رداه على وجهه
وغطى راسه ووجهه الى
قريب من الربيع فقال
يا بالفضل ان هذا الخبيث
جمال من اهل السكوفة
اكراني جماله فلما دفعت
اليه الاجرة هرب مني
واكرى جماله لبعض اهل
خراسان ولى عليه شهود
واربدمنك ان توصله معي
الى القاضي ونسك جماله
عن الذهاب مسع
الاربعة رجلين وقال
لاتفارقاه الى القاضي
ومحمد قابض على الرءاء
وقد استتر به وجهه
وخرجوا جميعا من المسجد
فلما بدوا من الربيع قال
له محمدو ياك وما ينفعك
الفجور فقال يا ابن بنت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد رجعت الى الحق
واعترفت لك فقال محمد
للسويين انصرفا عنه فند
اعتزب بالحق فتركه
وانصرفا عنه فلما بعدا عنه
قال محمد اذهب الى سبيلك
فقبل محمد بن هشام يد
وراه وقال الله اعلم حيث
يجل رسالك ثم اخرج
جوهر قيمته كثيرة وقال
لله تعالى يا ابن بنت

وسلم سرتي يقول هذا
فقال له اذهب بمتاعك
فخرجن اهل بيت
لا تقبل على اصطناع
المعروف بكافة رضى الله
تمالى عنهم (وقيل
للحنيفة ابن قيس)
من تملت الحلم قال من
قيس بن عاصم رايته
يوما من الايام قاعدا
بقناه داره متعلا
بحمال سيفه يحدث قومه
فبينما هو كذلك اذ اتى
برجلين احدهما مقتول
والاخره مكثوف فقيل له
هذان اخيك قد قتل
ابنك قال فوالله ما انقطع
كلامه ولا غناظتم التفث
الي ابن اخيه وقال يا ابن
اخي ائت بربك ورميت
نفسك بسهمك وقتلت
ابن عمك ثم قال لا يبه
الاخر يا بني قم فادفن
اخاك وحل كفافك ان
عمك ومدق الى امك
مائة فاقة دية ولدا
قائغا ربية منا (وروي
عنه ايضا) انه جالس في
داره وما على المائدة ومعه
ولد صغير فجاءت جارية
بسفود عليه شواء حار فسطط
السفود منها فوق على الولد
فمات من وقته فذهشت
الجارية به وتبرولها فقال لا
باس عليك انت حرة
لوجه الله تعالى وهذا من

موت عيسى بعد اربعة ثلث رات (واخبرنا) محمد بن القاسم الفريسي باسناده عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبط الله الى سبع عيسى يمشي في هذه الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه
و يدفن الى جانب قبر عمر فطوي لي لاني بكر عمر يحشران بين نبين (واخبرني ابي) قال حذيثي الحسين بن
أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يملك الله امة انا في
أولها عيسى في آخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها

باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية
وذلك في أيام ملوك الطوائف

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون بنى رسل عيسى عليه السلام اذ ارسلنا
اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروض وروماض وقال يوحى ويونس وقال
مقاتل يوهان وماولوس وقال مكب صادق وصدوق فكذبوهما فمزنا ثاثة اى فقومنا برسول ثالث
وهو شمعون الصفار رأس الخواريين في قول اكثر المفسرين وقال مكب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان
(قالت) العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الخواريين الى مدينتي انطاكية
فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنياه له وهو حبيب التجار صاحب يس فسلما
عليه فقال من أنتما قالوا رسولاه عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن
قال أممكا آية قالا نعم نحن نرى المرض ونشفي الا كمسه والا برص باله الله فقال الشيخ اني ابنا
مرضا صاحب فراش منذ سنين قالا قاطلني بنا الى منزلك فقطعه على حاله فأتى بهما الى منزله فلما طرا
الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعوا له ومسحاه يديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا
ففسخا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثير من المرضى وكان في مدينتي انطاكية فرعون
من القرعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين (وقال وهب) اسمه بطيحيحس وكان من ملوك الروم قالوا
فاتهمي الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالوا رسولاه عيسى قال وما آيتكما قالا نرى
الاكهم والا برص ونشفي المرض باذن الله تعالى قال وفيهم جثثنا قالا جثثناك ندعوك من عبادة مالا يسمع
ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك اولنا الله وى اهلنا قالا نعم قل من قلا من أوجدك بعد
عدمك وأهلك قال قوموا حتى أغفر في أمركما فبعثهم الناس فاخذوهما وضر بهما في الوق (وقال وهب)
بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يبالا الى ملكهما وطأت مدة مقامهما فخرج الملك ذات
يوم فكبوا ذكر الله تعالى فغضب الملك فامر بهما فحبسا ووجد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب
الرسولان وضر بابعت عيسى رأس الخواريين شمعون الصفار على أن يهرما لينصرهما فدخل شمعون البلد
متنكرا فيجمل يعاشر حاشية الملك حتى أنسابه فرفعه واخبره الى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به
وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضر بهما حين دعواك الى
غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما ا فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأيت الملك دعاهما حتى تطلع
على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما ا فقال شمعون له ما من أرسلكما الى
هم نا قالا الذي خلق كل شيء فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال
شمعون وما آيتكما قالا ما تمناه نرى الاكهم والا برص ونشفي المرض والزمني باذن الله قال فامر الملك
فجاء بهام مطموس العينين موضع عينيه كالجبعة فاذا لا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذوا
ببندقتين من الطين فوضعهما في حديقته فصار تامقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون الملك ان أنت
سألت اهلك حتى يصنع لك صنعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولأهلك فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم أن

تكرام الاخلاق رضي الله
 تعالى عنه (وما حج معاوية
 ابن ابي سفيان رضي الله
 تعالى عنه) لم يترك شيئا الا
 قدم به الى مكة والمدينة
 من درهم ودينار ونياب
 وطيب ودواب وغير ذلك
 فلما قدم المدينة قسم على
 اهلها اكثر من اهل مكة
 وبعث الى رجل من
 الانصار بالف درهم
 وعشرة اواب وكان
 الرجل الانصاري من اهل
 بدر فانه الرسول بذلك
 العطاء فغضب وقال اما
 وجد معاوية من يرسل
 اليه مثل هذا العطاء غري
 اردده عليه فقال الرسول
 لا اقدر على ذلك فدعا
 الانصارى ابنه وقال يا بني
 اسألك بحقي عليك الا
 رددت هذا العطاء على
 معاوية وضربت به هذه
 الثياب وجهه فاخذها ابن
 الانصاري واتى الى معاوية
 فصرف معاوية الشر في
 وجهه فقال ما تريد فقال
 ان ابني يترك السلام
 ويقول امثلي ترسل اليه
 يمثل هذا العطاء فقال
 معاوية من الرسول الى
 اييك فقال فلان فقال
 قاتله الله انما هذا العطاء
 لغير اييك وعطاء اييك
 دفعه الى رجل غيره ثم قال
 يا غلام على عشرة آلاف
 درهم وثلاثين ثوبا وصايفة

الذي نمده لا يبع ولا يضر ولا ينفع وكان شهمون اذا دخل الملك على الصنم يدخله
 ويصل كثيرا يتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الحكمة التي تم دانه بقدر على احياه
 الميت قالوا لانا بقدر على كل شيء فقال الملك انهم بنات متقدمات منذ سبعة ايام وهو ابن الدهقان وانه اخرته
 فلم اذنته حتى يرجع ابووه وكان ابووه غائبا فجاءوا بالميت وقد تمروا روح فجعلوا يدعون رجلا عاليا نية وجعل
 شهمون يدعى سرا فقام الميت وقال لهم اني قدمت منذ سبعة ايام ومشر كفاي خات في سبعة اودية من النار وانا
 وانا اذركم ما انتم فيه فاقموا بالناس ان ابواب السماء فتحت لي فرايت شيا من الوجود يشفع لهؤلاء
 الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شهمون وهذان وأشار الي صاحبيه فوجب الملك فلما علم شهمون ان
 قومه لم يتركوا الملك اذبح بالخال ودعا قومه من قومه وكان الملك ممن آمن وكفر آخر ون (وقال) كب
 ووهب بل كفر الملك وأجمع عوقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال)
 ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل التجار قال رهب وكان ستمائة نذره الجذام وكان منزله عند
 أقصى باب من ابواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا صادقة يجمع كسبه اذا مضى فيقسمه نصفين يطعم عياله
 نصفه بالتصدق بالنصف الاخر فلما بلغه ان قومه قد قتلوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه
 ويمدبر به في غار فلما اناه خبر الرسل اظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما اخبر الله تعالى في
 كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قومه مهتدون فقال له قومه او انت مخالف
 لديننا وما تبع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باللهم فقال رمالي لا عبد لذي فطرتي واليه ترجعون الى قوله فاني
 آمنت بربكم فاسمعوا لهما قال لهم ذلك ومثروا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن احد بدفع عن ذوق لعبد
 الله بن مسعود وطؤه بالرجلهم حتى خرج قصبه من دية وقال لاسدي كما وبرمته بالجرارة وهو يقول
 اللهم ابرقومي حتى قطعه وقتلوه (وقال) الحن خرقوا خراقي دافعو عناقوه في سرور المدينة ودفعوه في
 سوق انطاكية فاجاب الله له ذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما افضى الى جنة قال ذكر امرته قال يا ليت
 قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المسكرين قالوا فلما قبل حبيب غضب الله عليهم وعجن لهم النخلة
 وأمر رجلا بفصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما ازلنا على قومه من بعدهم جند من
 السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي ميتون
 (اخبرنا) ابو بكر الخشاشي باسناده عن ابن ابي ايلي عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق
 الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلى بن ابي
 طالب كرم الله وجهه وهو افضلهم

﴿ قصة يونس بن متى عليه السلام ﴾

قيل متى أمه ولم ينسب احد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذي
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغي لاحد ان يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذاللون
 اذ ذهب مفاض الايات قالت العلماء باخبار القداما كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية
 من قري الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس ابن متى عليه السلام
 بالنبى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصير على الناس فخلق بالجيل
 يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود في زمانه وكان يمر به حدة
 ولذلك سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله خلفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر
 أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمدارة هم قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى في عجلة وخفة فلما حمل اعباء النبوة تنفسخ تحتها فنفسخ

الجميع وقال يا ابن اخي خذ
الجميع وعد الى ابيك
واعتذر لي من ابيك وعرفه
خطا الرسول فقال يا امير
المؤمنين ان للوالد حق اوله
امر مطاع وقد امرني ان
اؤمل شيئا قال معاوية ما
هو يا ابن اخي قال ان دفع
الي اثياب وقال بحسبي
عليك الاضربت بها
وجهه فقال معاوية يا ابن
اخى اطع والدك واروق
بهمك فتقدم التسلام
ورمى بها وجهه برفق
وتوجه التسلام اليه
واخبره بذلك وهو
من حسن اخلاقهم (وقيل
نزل بعض اللصوص الى
دار خلف بن ايوب وهو
قائم يسلي بالليل فجعل
للص جميع ما في البيت
من قش وغيره وشده
وجهه على راسه وخاف
ينظر اليه ولا يكلمه
ثم خرج اللص من
البيت الى الحائط يريد
التنحوس فلم يقدر على ذلك
فقال له خاف يا ابن اخي
خذ المفتاح وافتح الباب
واخرج فلما لم يحتاج الى
ذلك فقال امثلك والله لن
يؤذي ثم ترك ما كان اخذه
وتاب الى الله تعالى (وحكى
بعضهم) قال كان لعبد الله
بن الزبير ارض مجاورة
لارض معاوية بن ابي

الربع تحت الحشايفيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء في صفة مغاضبته وسبب ذلك
وقته فمال قوم ذهب مغاضبا له ومهوى رواية الضحاك والوفى عن ابن عباس قال كان يونس بن متى
وقومه يسكنون فلسطين فقام ملك فسمي منهم اسمه أسباط ونصفناو بقي سبطان ونصف وكانوا اثني
عشر سبطا فيهم النبوة والملك فوحى الله تعالى ان شيا الذي ان سرالى حزقيا الملك رقب له لوجه نيايقو يا مينا
فاني اننى الخوف في قلوب أولئك الأسباط حتى برسوا له بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في
ملكه خمسة من الانبياء فقال يونس فانه يوصى أمين فدا ملك يونس وامره ان يخرج فقال له يونس هل
أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سألني لك قال لا فقال من غيرى انبياء أقرب يا مينا فالحاراء فخرج
مغاضبا للاني والملك واغومه فاني بحر الزم وكان من أمره ما كان * قال الحسن البصري اننا غاضب به من
أجل أنه أمره بالسر الى قومه لينذرهم باسمه ويدعوهم اليه فسأل به ان ينظره لياتها لاشخص اليهم فقال له
الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر إلى أن باخذ له بلدهم فأنزل له نوح والقول الاول وكان
رجلا في خلقه ضيق فقال أعجاني ربي ان أخذت نبي ذهب مغاضبا روى شهر بن حوشب عن ابن
عباس قال اني جئت بل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد
حضرهم ان يمتو بوفاء له التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة
فسكر من أمره ما كان نبي هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس
انما كانت رسالة يونس بعد ان نذره الحوت ودليل هذا القول ان الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة
الصافات ثم عتبها بقوله وارسلناه الى مائة اب او بن يدون يقول اخرون بل كانت قصة الحوت بعد
دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا اليه اذ كتب عنهم العذاب بعد ما وعدهم به
وذلك أنه كره ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخاب فيما اوعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به
عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والتمس ارجع اليهم كذابا أبدا اوعدتهم العذاب في يوم ولم
يأتهم وفي بعض الاخبار ان قومه كان من عادتهم ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب
للمعاد الذي اوعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كبر ارجع الى قومي وقد آخفتمهم لوعود لم يعلم سبب
صرف العذاب عنهم لانه كان قد خرج من بين اظهريهم انزل العذاب قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بعث
الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأعلم فيهم بدعاهم الى الله تعالى ثلاثين سنة فلم يؤمن به
الارجل ان احدهم روى بيل وكان عالما حكما بالآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود
وغیرهما لما يس من ايمان قومه واعلمهم فقبل اما امرع ما دعوت على قومه ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة
اخرى فان اجابوا بك والى فاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سيموا ثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا
فيهم وقال اني بحذركم العذاب الى ثلاثة ايام ان لم يؤمنوا قال لهم ان آية ذلك ان تنفروا وانكم فلما اصبحوا
تغيرت الوانهم فقالوا ايمضهم قد نزل بك ما قال يونس وانما نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة
فامضوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا ان العذاب مصيحبكم فلما كانت ليلة الاربعين وراى يونس
تغير الوانهم علم ان العذاب نازل بهم فخرج من بين اظهريهم فلما اصبحوا تنفروا من العذاب (قال سعيد بن
جبير) كما ينشئ التراب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقالي ان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن
عباس قدر ثلثي ميل ويقال وهب اغيبت السماء غما السودا فلا تدخن دخانا شديدا فيحبط حتى غشي مدنتهم
واسودت اسطحهم فلما راوا ذلك ابتغوا بالهلاك والعذاب فطلبوا انبياءهم يونس فلم يجده فغضب الله في
قلوبهم التوبة والهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصيد بالفسهم واسأهم وصدياقهم ودواهم وابسروا
المسوح واطهروا الايمان والتوبة لله واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدته وولدها من الناس والدواب

وسفیان وكان له في كل
ارض عبيد لمارتها
فدخل عبيد معاوية
في ارض عبيد الله
ابن الزبير وغصبوا منها
قطعة فكتب عبد الله بن
الزبير الى معاوية اما بعد
يامعاوية فان عبيدك قد
غصبوا ارضي قامهم بان
يتكفوا عنها والا كان لي
واسكم شأن فلما وثق
معاوية على كتابه دفعه
الى ولده يزيد فلما قرأه
قال ماترى يا يزيد قال
ارى ان تبعث له
جيشا اوله عنده واخره
عندنا ياتيك برأسه فيرى حرك
منه فقال معاوية عندي
خير من ذلك يا بني قال
ما هو يا ابت فقال على
بداوة وقرطاس فكتب
فيه ودوقت على كتاب
ابن حواري رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فسأني والله ما ساءه
والدنيا وما فيها هيئة
في حبك ورضاك وقد
كسبت على نفسي مسطور
اشهدت فيه الله وجماعة
من المسلمين على ان
الارض والعبيد الذي فيها
ولمكك فضمها الى ارضك
والعبيد الى عبيدك
والسلام قال فلما قرأه
عبيد الله ابن الزبير
كتب اليه يقول قد وقت
على كتاب امير المؤمنين

الاعدمنى الله بقاءه ولا
اعدمه هذا الراي الذي
احله هذا الحال والسلام
فلما وقف معاوية على
الكتاب ناوله الى ولده
يزيد فلما قرأه تمهل وجهه
فرد فقال له معاوية يا بني
اذا بليت بشي من هذا
هذا الداء فداهو بمثل هذا
لدراء وانا انوم لم نرفي
الحلم الا خيرا رضى
الله عنه (وحكى ان
المهلب ابن ابى صفرة)
مر بحى من اهل همدان
فراه شاب من اهل الحى
فقال هذا المهلب قالوا نعم
فقال والله ما يساوي
خمسة درهم وكان المهلب
رجلا عور فسمعه المهلب
فلما كان الليل اخذ
المهلب في كمه خمسة درهم
وانى الى الحى فارتب
الشاب حين رآه فأتى
اليه وقال له افتتح
حجرى ففتح الشات
حجره فقب فيه الخمسة
درهم وقال خذ قيمة عمك
المهلب والله يا ابن اخي
لو قومتي بخمسة آلاف
دينار لا اتيتك بها فسمع
شيخ من اهل الحى فقا
والله ما اخطأ فيك من
جملكم سيدا (وقال احمد
ابن ابى داود) ما ريت
رجلا عرض على الموت
ورأى النطع مفروشا

كالفرخ الممطر (واختلفوا) في مدة مكث يونس في
بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة ايام وقال عطاء سبعه ايام
وقال الضحاك عشر ين يوما وقال السدى والكبي ار بعين يوما فلما اخرج الله منه يظن ان حوت انبت له
شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعله تختلط اليه فيشرب منه البنا فذلك قوله
تمالى وابتنا عليه اى عنده شجرة من يقطين قالوا في بيت الشجرة فيبكي عليها فاروحى الله اليه انبكي على
شجرة يبيت ولا تبكي على مائة الف او يز يدون اردت ان اهلكم ثم ذهب يونس فاذا هو بسلام يرعى
غنما فقال من ابن انت يا غلام قال انا من قوم يونس فقال له ان اردت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال
الغلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لي دينة قتلت فن بشهد لي فقال يونس تشهد لك هذه البقرة
وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام فمرهم قال لهم يونس ان اجاءكم هذا الغلام
فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومهم قال له لئلا اني قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك
بقته وقال كذب فقال ان لي دينة فاسلوا منى احد يشهد فارسلوا معه رجالا فأتى البقرة والشجرة والشاة
وقل انشدكم بالله هل اشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك تشهد لك الشجرة
والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه وقال انت احق بهذا المكان مني قال فاقام لهم
امرهم ذلك الغلام ار بعين سنة ثم انهم خرجوا ياتسون يونس فوجدوه فخرقوه به وامنوا به
فاقام لهم امرهم (يروي) ان يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ايلافاضاه رجل
وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاروحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار ان
يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شي عملته يدي اعيش فيه
وأنتع بشفه أنا وعيالى تامرنى بكسر فيبكي يونس فاروحى الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم نطب
نفسه بكسر وانت طبت نفسك وطنتها على هلاك مائة الف او يز يدون من عبادى فضي يونس وهبط
واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التي كانت مع الغلام قالت لهم ان اردتم
يونس فاهبطوا الوادى فيهبطوا فاذا هم بيونس فانبكوا على رجله يقبلونها وسالوه ان يدخل معهم
الى المدينة فقال لا حاجة لي في مدنتكم فبكوا والحوا عليه فاجابهم لا ادخل فاني بمجلة من فضة واجلس
عليها فتعمل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو يتادى هذا مجلس الجبارين فوثب
يونس عن المجلة وجعل يمشى حتى دخل معهم المدينة فكثت مع اهله وولده ار بعين لئمة ثم خرج ما نحا
وخرج الملك معه وصير الغلام الراعي مسلكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزل اسامحين يمدان الله تعالى
حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله اعلم
(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال
النعمان بن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا
يرتادون لاهليهم فيبينهم هم يشون اذ اصابتهم السماء فواروا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم
فانطبقت على باب الكهف فاوصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فامل الله
يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لي اجراء يملون عملا لي فاستأجرت كل رجل منهم
باجرة معلومة فجهاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرت به بشرط اصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل
رجل منهم نهاره كله فزابت على من الاكرام ان لا انقصه شيئا مما استأجرت به اصحابا بلما اجتهد في عمله
فقال رجل منهم اتمطي هذا مثل ما اعطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أجبسك شيئا من
شرطك انما هو مالي احكم فيه بما شئت قال ففضب وذهب وترك اجرتة فوضعت حقه في جانب من

والسيف مسلولاً ولم
يكثر لذلك ولا عدل
عما اراد الانبياء ان يجعل
وقد كان خرج على المعتصم
ولقد رايته وقد جرى به
أسيراً مكتوفاً وقد
اجتمع الناس من الآفاق
والزواحي ينظرون كيف
يقنله المعتصم وكان المعتصم
قد جلس له مجلساً منكراً
وأمر الناس بالدخول
ودخل بهم وحضر المياف
وفرش الطع وكان تبسم
بجميل الوجه تام الخلقة
عذب المنطق فرأه المعتصم
غير دهش ولا مكترح لما
نزل به فاقبح المعتصم ان
يستنطقه ليعلم أين عقله في
ذلك الوقت فقال له المعتصم
ن كان لك عذر يا عمي فانت
به فقال أمانت يا عمير
المؤمنين فالحمد لله الذي جبر
بك الدين ولم يك شعث
للمسلمين وانار بك استار
الحق واتخذ بك شهاب
الباطل وان الذنوب يا امير
المؤمنين لتخرس الاسن
القصيصة وتصدع الافدة
الصحيحة والله لقد كبر
الذنوب وعظمت الجريمة
وانقطعت الجبهة وماء
الظن ولم يبق الا عفوك او
انتقامك وانت الى العفو
اقرب وهو بك اشبه
واليق واتشد يقول
ارى الموت بين السيف
والنطع كأنه

البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر فاشتريت به فتمعيته فبلغت ماشاء الله فمر بي بعد ذلك شيوخ
ضميغ لا اعرفه فقال لي اني عندك حقاً فقلت له اذكره لي حتى اعرفه قال فذكره فقلت له اياك ابني
وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تدخر في ان لم تصدق على فاطمي حتى فقلت والله
ما سخر ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعها اليه اللهم ان كنت فملت هذا لوجهك الكريم فافرج
عنا فاصدع الجبل حتى ابصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب
الناس شدة فنجاء نبي امرأتك فقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم انهار جمت
فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت وكرت ذلك فزوجها فقال
لها زوجها اعطيه نفسك واغني عيالك فرجعت الى تشدني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون
نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما اكتشفها وهمت بها ارتعدت من تحتي فقلت لها ماشاءك
فقلت اني اخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركها واعطيتها ما تحب
بما كسفتها اللهم ان كنت فملت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تمارفنا وقال
الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي ابوان كبيران وكان لي غنم فكنت اطعمهم ابوي واسقيهم اثم ارجع الى
غنيي قال فاصابني يوما غيث فحبسني حتى امسيت فاتيته اهلي واخذت محايي فجلبت غنمي وتركته
قائمة مكانها ومضيت الى ابوي فوجدتهما قد ماتا فشقي على ان اوقفهما وشقي على ان اترك غنسي فها
برحت جالسا ومحايي بي يدي حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فملت ذلك لوجهك الكريم
فافرج عنا مانحن فيه قال النعمان لكانني اسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الجبل يطبق
ففرج الله عنهم فخرجوا وقال ابن عباس الرقيم وادبين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي
فيه اصحاب السكف قال كمبهي قر يتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة
وقيل من رصاص كتبوا فيه اسماء اهل السكف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب السكف
ثم ذكره اخبر اصحاب السكف فقال اذا وى القتيبة الى السكف فقالوا ربنا آتاهنا لنذكر رحمة قال اهل
التفسير واصحاب التواريخ كان امر اصحاب السكف في ايام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما
الصلاة والسلام واما قصتهم فيقال لما ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة آتاه قوم من
اخبار اليهود فقالوا له يا عمر انت ولي الامر بمحمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد ان نسالك عن
خصال اخبرتنا بها علمنا ان الاسلام حق وان محمداً كان نبيا وان لم نخبرنا بها علمنا ان الاسلام باطل وان محمداً
لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا اخبرنا عن افعال السموات ما هي واخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي
واخبرنا عن قبر سراجيه ما هو واخبرنا عن انذر قومه لاهو من الجن ولا هو من الانس واخبرنا عن
خمسة اشياء مشوا على وجه الارض ولم تخلقوا في الارحام واخبرنا ما يقول الدراج في صياحه وما يقول الديك
في صراخه وما يقول الفرس في صهيله وما يقول الضفدع في نقيقه وما يقول القنبر في صفيره قال فنكس عمر راسه
في الارض ثم قال لا عيب بعمرا اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وان يسان عمالا يعلم فوثبت اليهود وقالوا
نشهد ان محمداً لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لاهو وقفا اقبلا ثم توجه نحو علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا ابا الحسن اغث الاسلام فقال وما ذاك فاخبره الخبر فاقبل
يرقل في بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب قائماً فاعتقه وقال يا ابا الحسن انت لـكل
معضلة وشدة تدعي فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني
الف باب من العلم فتشعب لي من كل باب الف باب فسالوه عنها فقال علي كرم الله وجهه اني عليكم شر بطة اذا
اخبرتمكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتهم فقالوا انهم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا اخبرنا عن افعال

منهم وقال انها الامير نحن
اسراك ونحن والله جياح
من أتراطر يق فان رايت
ان طعمنا فنى كل كبد
حراه اجر قاهر باطعاهم
فأعزرت الموائد وعليها
الطام واجتمعوا وكرا
ومن ينظر اليهم فلما
فرغوا قام رجل اخر وقال
ايها الامير كنا اسراك وقد
صرنا اضياك فانظر ماذا
يصنع مثلك باضيافه فحلى
سبيلهم وانعم عليهم عفا الله
تعالى عنه وعن جميع
المسلمين (وعرض) على
الحجاج اسرى قاهر يقتلهم
وقتل منهم جماعة ثم قال
رجل منهم وقد عرض على
القتل لاجزاءك الله عن
السنة خيرا يا حجاج فانا
وان كنا قد أسأنا في
الذنت فوالله ما احسنست
في العفو فان الله تعالى
يتول في كتابه العزيز
فاذا انعم الذين كفروا
فضرب الرقاب حتى
اذا اخنتهمهم فشدوا
الوثاق فاما منا بعد واما
فداءهم ذاقوله في الكفار
فكيف في المسلمين وقال
الشاعر
وما نقتل الاسرى ولا نكفهم
اذا انفل الاعناق حمل
الغلاز
فقال الحجاج تبا لهؤلاء
الجيف والله لو قالوا مثل

وفي يد الثاني جام من فضة ملو من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطر حتى يقع في جام ماء
الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بر يشه وجناحيه ثم يصيح به الثاني فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه
فينشف ما فيه بر يشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينقض بر يشه وجناحيه على
رأس الملك فيقع من المسك وماء الورد فيسكت الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداد ولا وجع
ولا حي ولا اماب ولا بصاق ولا خنط فلما رأى ذلك من نفسه عتواطى وتجر واستمصى وادعى الربوبية
من دون الله تعالى ودعا ليه وجوه قومه فكل من اجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يحببه وبتابعه
قتله فأجابه بهمهم فأقاموا في ملكه زمانا بعد وفاته من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له
على سريره والتاج على رأسه ادانى بمضبطا رفته فاخبره أن عساكر الفرس قد غشيت بر يدون قتاله فاغتم
لذلك عشايد رباحا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيه القلائد الذين كانوا عن يمينه
الى ذلك وكان عاقلا يقال له تليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال كان دقيا نوس هذا كما يزعم لما حزن ولما
كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم
عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يشرب فقالوا
يا تليخا مال الملك لا نأكل ولا نشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شئ منعتني عن الطعام والشراب والمنام فة او اما
هو يا تليخا فقال اطمت فكري في هذه السماء فقلت من رفها سقفا فحفظا بلا علاقة من فوق ولا دعامة من
تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقرها ومن زبها بالنجوم ثم اطمت فكري في هذه الارض من سطحها على
ظهر الهم ان اخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي الا تليخا بهمهم ثم اطمت فكري في نسي فقلت من اخر جني
جنينا من بطن أبي ومن غذاني ورباني ان لهذا صانعا ومدرسا سوى دقيا نوس الملك فانكبت الفتية على
رجليه بقولهنما وقالوا يا تليخا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فائسر علينا فقال يا اخوتي ما جدلي ولكم
حيلة الا الحرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الراي ما رأيت فوب تليخا فابتاع عمرا
بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة اميال من المدينة قال لهم تليخا
يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فازلوعن خيولكم وامشوا على ارجلكم اهل المدينة يحمل لكم من
امركم فزجوا وخزجوا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على ارجلهم سبع فراسخ حتى صارت ارجلهم تنظر دما لانهم
لم يعتادوا المشي على اقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا ايها الراعي أعندك شرب ماء اولين فقال عندي
ما تمحبون ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك وما ظنكم الا هرا با فخيروني بقصصكم فقالوا يا هذا اذا دخلنا في
دين لا يحل لنا الكذب أفينجبنا الصدق قال نعم فاخبروه بقصصهم فانكبت الراعي على ارجلهم يقبلها ويقول
قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فنفقوا الى هرا با حتى أورد الاغانى الى اربابها وأعدوا اليك فوقفوا ولهم فرها وابل
يسمي فتيهه كلب فونب اليهودي قائما وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال
يا احوال اليهود حسني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان اباقي اسودا وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ)
اختلف العلماء في لون كلب أصحاب أهل الكهف فقال ابن عباس كان ابر وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن
كعب كان من شدة حرته وصفرته يضرب الى الخرة وقال الكشي لونه كان اناج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء
واختلفوا في اسمه أيضا فروى عن علي كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي
احدى الروايات عن علي وقال شبيب الجبائي كان اسمه هرا قال الأوزاعي نقوى وقال مجاهد بطور يا وقال
عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصحابه واسمه تفي (وأخبرني ابن فتحويه) باسناده عن ابي حنيفة
رضي الله تعالى عنه أن كلهم كان قطمير وروى قطمير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى
ما يملهم الا قليل قال أنا ان أولئك الا قليل هم مكسلة يتأولوا عايضا ومرطليوس ويديوس وسادونوس ودانوس

بن يدي الهرمزان قال انا
امن حتي اشرب هذا
القدح يا امير المؤمنين قال
نعم لك الامان حتي
تشرب هذا الماء فاني
الا نؤمن بيه فارقا على
الارض ثم قال الوفاء
الوفاء يا امير المؤمنين
فقال عمره دعوه حتي
تنظر في امره فلما
وضع السيف عنه قال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان
محمد رسول الله فقال له عمر
انك اسلمت خير الاسلام
فما اخرك قال خشيت ان
يقال عني اني اسلمت خوفا
من السيف فقال عمر
لقد استحققها ما كان فيه
من الملك ثم ان عمر بعد
ذلك كان يشاوره في
اخراج الجيوش ويعمل
برأيه رضي الله تعالى عنهم
اجسين (وقيل) سرق
شاب سرقة فاني به الى
المأمون فامر بقطع يده
فربطت لتقطع فانشد
يقول
يدي يا امير المؤمنين
اعيدها
بمفوك من عار عليها يشينها
فلا خير في الدنيا ولا
في نعيمها
اذا ما شمل فارقتها عينيها
قال وكانت ام الشاب
واقفة على رأسه فانكبت
عليه وبكت وقالت يا امير
المؤمنين ولدي وواحد

الريوية قد مات منذ ثمانية سنة وتسر بنى ثم امسكه واجتمع الناس ثم امهم انوا به الى الملك وكان
عاقلا عادلا فقال لهم ما قصه هذا القبي قالوا اصحاب كثرنا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام
امرنا ان لا نأخذ من الكونز الا خمسه فادفع الي خمس هذا الكونز وامض سالما فقال ايها الملك
تثبت في امري ما صبت كثرنا واعدا انما من اهل هذه المدينة فقال له ات من اهلها قال نعم قال فتعرف
فيها احدا قال نعم قال نعم لنا فسمي له نحو من الف رجل فمر فورا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا
ما تعرف هذه الاسماء وليست هي من اسماء اهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار قال نعم ايها الملك
قايمة مبي أحد افبعت معه الملك جماعة حتى أتى بهم دار أربع دار في المدينة وقال هذه دارى ثم قرع الباب
فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينييه وهو فرح مرعوب مذعور فقال ايها الناس
ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الملام يزعم ان هذه الدار دار دفعضب الشيخ والتفت الى تلميذها وتبينته
وقال له ما سمك قال تلميذ ابن فلسطين فقال الشيخ اعد على قاعاء عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه
يقبلهما وقال هذا جدي ورب الحكمة وهو أحد التفتية الذين هر بوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار
السموات والارض واقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأهمهم سيحويون فانهي ذلك الى الملك
فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تلميذ انزل عن فرسه وحمل تلميذاه على عاتقه فجعل الناس
يقبلون يديه ورجليه ويقولون لا تلميذا ما قبل باصدا بك فاخبرهم أنهم في السكف وكانت المدينة قد وليها
رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في اصحابهما وأخذوا تلميذا فلما صاروا قريبا من السكف قال لهم
تلميذا يا قوم انى أخاف أن اخونى يحسنون وقع حوافر الخيل والدواب وصاحبة اللجم والراح فيظنون
ان دقيانوس قد غشيهم فيبوتون جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل اليهم فاخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم
تلميذاه فوثب اليه التفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذى نجناك من دقيانوس فقال دعونى ومنك ومن دقيانوس
كم لبستم فلو اثنى ما واور بعض يرم قال بل لبستم ثمانية وتسعين سنة وقسمت دقيانوس وانفرض قرن بدقرن
وآمن اهل المدينة بالله العظيم وقد جاءواكم فقالوا ليا تليخا تيريدان تصيرنا فنتقل للمسلمين قال فماذا تريدون قالوا
ارفع يدك ونرفع ايدينا فزفوا اليهم وقالوا اللهم بحق ما ريتنا من المعجائب في أنفسنا الا قبضت ارواحنا
ولم يطاع علينا أحد فحمد الله ملك الموت فقبض ارواحهم وطس الله باب السكف واقبل المسلمان بطوفان
حول السكف سبعة ايام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا ينفذون حينئذ بطيف صنع الله السكف وان
احوالهم كانت عبرة اراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا وانابى على باب السكف مسجدا وقال
النصراني بل ماتوا على ديني فانابى على باب السكف ويرا فاققتل المسلم المسك فلما لم المسلم النصراني فبني على
باب السكف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم انتخذون عليهم مسجدا وذلك يهودى
ما كان من قصتهم ثم قال على كرم الله وجهه لايهودى سأئك بالله يا يهودى اوافق هذا ما في توراتكم فقال
اليهودى ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا ابا الحسن لا تسمنى يهوديا فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله وأنك اهل هذه الامة (وقال عبيد بن عمير) كان اصحاب السكف فتيانا مطوقين مسورين ذوي
ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فيخرجون في عيد لهم فيرى عظيم وموكب واخرجوا معهم اهلهم التي كانوا
يمدونهم من دون الله فنفذ الله في قلوبهم الايمان وكان احدهم وزيرا للملك فآمنوا واخفى كل واحد منهم
الايمان عن صاحبه فقالوا في انفسهم من غير ان يظهر بعضهم لبعض فخرج من بين اظهروا القوم لولا
بصيرتنا عاقب مجرمهم فيخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فراه جالسا
وحده فرجا ان يكون على مثل امره من غير ان يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الاخرون فجالسوا
اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه الا عانته خافة على نفسه ثم قالوا

لهمهم ليخرج كل فتين منكم فيخونتم ليش كل واحد منكم امره الى صاحبه فخرج فتان
منهم فتوافقا تمسكهما فذكر كل واحد منهما امره لصاحبه فقبلا وهما مستبشران الى
اصحابهما فقالا قد اتفقا على امر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كف في الجبل قريب
منهم فقال لهمهم ليهض فأوروا الى الكهف ينشرونكم من رحمة ربهم ولكم من امركم مرفقا فدخلوا
الكهف ومهمهم كاب صيدهم فناموا ثمانية سنة وتسع سنين قال يقدروهم فطلبوهم فهمي الله عليهم آذهم
وكفهم فلم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وكتبوا في لوح فلان وفلان أبناء ملوك كما فقد نام في يوم
كذافي شهر كذا من سنة كذا في كذا فلان بن فلان ووضوه واللوخ في خزانة الملك وقالوا ليكون لهذا
شأن وسات ذلك الملك وجاه قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الثنني بأمره عن أبي جعفر
الباقر قال كان اصحاب الكهف سبعة وأربعين سنة وقال وهب بن زبينة جاء حوارى من اصحاب عيسى عليه السلام
الى مدينة أصحاب الكهف ناراد ان يدخلها ففيل انه ان على اياهم لا يدخلها احد الا سجد له فذكره ان يدخلها
فأتى الى حم قرى من تلك المدينة وأمره من الحمي وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه
البركة ورد عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتلقى به فتية من أهل المدينة فجعل يخرم خبر السماء والارض وخبر
الاخرة حتى آمنوا به وسعدوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشترط على صاحب الحمام ان الليل
لا يحول بيني وبينه اذ يفضلي فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بأمره فدخل بها الحمام فعيه بها
الحواري وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستجيب ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل
ذلك فعبه واتهم ولم يلتفت اليهم ثم جاءهم خلاصة ما تاجروا في الحمام فأتى الملك يقول له فقل صاحب الحمام انك
فانتمس فلم يدر عليه فقال من كان يصحبته فسموا الفتية فالتهموا وخرجوا من المدينة ثم واصلوا صاحب الحمام في زرع
وهو على مثل ما كانهم فذكروا لهم التمسوا فانطلق بهم ومعه كلبه حتى آراهم الليل ان الكهف فدخلوا وقالوا
نبيتهم الميلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم يضرب الله على آذانهم فخرج الملك في اصحابه يطلبونهم
حتى وجدوهم فدخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم ان يدخل الكهف أربع فلبطوا أحدا ان يدخله
فقال تأني اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف وانزكم فيه يموتوا عطشا
وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سددوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم أراعي اذ ركه
المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخات فيه غنى من المطر ولم ينزل دما لجه حتى فتح
الباب ورد الله اليهم وأراحهم من القدر حين اصبحوا (وقال) جندب استحق مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم
الخطايا طرقت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وبخروا المطواغيت وفيهم نقايا على دين المسيح متهمسكون
بعبادة الله تعالى وتوحيدهم فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملاك من الروم يقال دقيانوس كان عبد الاصنام
وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك بمن اقام على دين المسيح وكان ينزل قري الروم فلا يترك في قرية
نزلها احد ادين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة اصحاب الكهف وهي افوس فلما نزلها كبر ذلك على اهل
الايمان فاستخفوا منه وهرؤوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها ان يتبع اهل الايمان فيجدهم
اليهوا ويخذلهم ككفار أهلها وجعلوا يقتيمون أهل الايمان في اما كنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقيدهم
الى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فن القوم من
يرغب في الحياة ومنهم من باق أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان
بأنهم جعلوا يسلمون انفسهم للعداب والقتل فيقولون ثم يقطعون ويربط ما قطع من اجسامهم على سور المدينة
من نواحيها كلها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان ففهم من اقر فترك منهم من
صلب على دونه وقتل فلم أراي ذلك الفتنة حز نواحيها ناسدا يدافعوا واصولوا اشتعلوا بالناس وبتدريس

والدعاء وكانوا من اشرف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات
والارض ان ندعوك ونسألك الهالندقلنا ذنابنا وكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارع عنهم هذا
البلاء وانهم على عبادك الذين آمنوا بك فبيناهم على ذلك اذ ادركهم الشرط وكا واقد دخلوا في مصلى لهم
فوجدوهم سجدوا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن يجيبهم من دقيانوس وقتنه
فلما راى اهل الكفرة قالوا لهم ما خلهكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفقوا بهم الى
دقيانوس فقالوا لجميع الجمع هؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويهصونك فلما سمع ذلك أتى بهم
تقيض أعينهم من الدمع مغفرة ووجوههم في التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح إلا الله التي تبهدها في
الارض وأن تحملوا أنفسكم كثيركم ثم اتهم خير واما أن يذبحوا لا كتمهم كاذب غيرهم من الناس رما أن يقتلهم
الملك فقل مكسبهم ما كانا كبرهم إله الهاله إلا السموات والارض عظماني ندعوك ونسألك الهاله إلهنا
نفر بهذا الذي تدعونا ليهادوا لئلا نكون نحن الذين له التحديد والتكبير والتدبير والتدريس من أنفسنا
خالصا بديانته بديانته نسال النجاة والخير أما الطواغيت فلن نعبد إلهها بديانته بديانته ثم قال اصحاب
مكسبهم ليدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا ذلك أمر بهم فخرجوا من بابوا كان عليهم من ملابس عظمائهم ثم
قال لهم انكم اذا قمتم ما قمتم فاني سأؤخركم واقتراغكم فاجزلكم ما وعدتكم من العترة وما ينبغي ان اعجل
الكم لذلك لاني اراكم شيئا بحدسنا نيك فلا تحبوا اهل الكهنة حتى اجعل لكم أجلا فترجعوا فيه عقولكم
ثم أمر بجمالية كانت معهم من ذهب وفضة ففزع عنهم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى
مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قرية منهم لبعض أموره الهاله أرى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم
بادروا قدموه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكروهم فائتروا أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيصعدوا
منها ويترددوا في ثوبهم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له جالوس فيسكنون فيه ويعبدون
الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل
فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فيصعد قوامها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم وانتمهم كلب كان لاحدهم
حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال ابن عباس هو بواليلام من دقيانوس وكانوا سبعة ففروا براع معه كلب
على ذنبهم وقال كلب مروا بكتب فتبعهم فطردوه فنبج عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون
منى لا تخشوا جاني فاني أحب احاب الله فاما وحي احرسكم (رحمة الى حديث ابن اسحق) فلبثوا في
ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والذبح وجعلوا نفقتهم التي في منهم يقال له تليخا فكان
يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجارهم واجملهم فكان تليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة
يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا ككتاب المساكين الذين يستطيعون فيها ثم يأخذ
درهما فيطلق الى المدينة فيشتري طعاما وشرابا ويسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكروهم
بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فاعظما ففعلوا بالطواغيت
ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تليخا بالمدينة يشتري طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكي
ومعه طعام فاخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والنسوا مع عظماء المدينة ليزبحوا
للطواغيت فلما اخبرهم بذلك فزعوا ووقوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتوذكرون
به من الفتنة ثم ان تليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطمئنا وامنوا وتوكلوا على ربكم فرفعوا
رؤسهم وأعينهم تقيض من الدمع حزنا على انفسهم فقطعوا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا
يتحدون ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم كذلك انضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه
بالوصيد باب الكهف فاصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تنفذهم دقيانوس والنسوا فلم يجدهم فقال لبعض

فبلغ ذلك قتيبة فطلبه
فهرب الشاعر منه وهضى
الى أم قتيبة فأخذ منها
كتابا بالوصية به وقدم الى
قتيبة فلما دخل عليه قال
يا رلدى باى وجه تلقانى به
قال بالوجه الذىلقى به
ربى فان احسانه لى
اكثر من احسانك لى
ومخالفى له اكثر من مخالفتى
لك قال فضحك قتيبة
وترك سبيله وعفا عنه
(واشرف المادون يوما
من قصره) فرأى رجلا
قائما ومعه فحمة يكتب
بها على حائط القصر فقال
لاحد غلماننا انزل الى
ذلك الرجل وامسك
يده وارقا ما يكتبه فقرأه
فاذا هو هذا الشعر
يا قصر جمع فيك اللؤم
والشؤم
حتى يمشى في اركانك
اليوم
يوم يمشى فيك اليوم من
فرحى
اكون اول من يراك
مرغوم
فقال له ارجب امير المؤمنين
فقال له الرجل سالته بالله
يا غلام لا تذهب بنى اليه
فقال له الغلام انه راك من
القصر فاخذه ورافقه بين
يدى امير المؤمنين وقال
وجدهته كتب كذا وكذا
فقال المادون وبك

يا امير المؤمنين انه لم يخف
عك ما حواه قصرك من
خزان الاموال والحلى
والحلل والظمام والشراب
والامتعة والقبرش
والجوارى والخدم
شمرت عليه وانا في
غاية من الجوع والفاقة
فوقعت منكرا في امرى
وقلت في نفسى هذا القصر
عالم عال وانا جائع ولا
قائدة في فيه فلو كان خرابا
ومررت به لم اعدم منه
رخامة أو خشبة أو مسارا
ايده واتقوت بشمه او
ما علم امير المؤمنين ما قال
الشاعر

اذا لم يكن المرء في دولة
امرى
انصب ولا حظ تمنى
زوالها وما ذاك من بفض
لها غير انه ربحى سواها فهو
يهوى انتفاها
فقال الماهون اغلام اعطه
الف دينار ثم قال هلى لك في
كل سنة ما دام قصرنا عامرا
(وانشد في المنفى)

اذا كنت في امر فكن
فيه محسنا
فما قليل انت ماض
وتاركة

فكم دحت الايام ارباب
دولة
وقد ملكوا اضماف ما
ابت مالكة

(وروي عن موسى بن

قومه لقد ساءنى شأن هؤلاء الغتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون انى غضبان عليهم بمجاهلهم ما جعلوا من
أمرى فانى لا اغضب عليهم اربابا وعبدوا الهى فقل عظماة المدينة ما انت محقق ان ترحم قوما مردة
عصاة مقيمين على ظاههم وممضيتهم قد كنت اجلت لهم اجلارولوشاوا لرحموا فى ذلك الاجل واكسهم
لم يتوبوا فاما اقول ان ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسلى الى أبائهم فسلهم عنهم وقال اخبروني عن ابائكم المردة
الذين عصوني فقالوا له ما نحن فلم نصلك ولم نفتلنا بقوم مردة وانهم خالوا وناوا نطلقوا الى جبل يسمى الجولس
فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فالتقى الله فى نفسه ان يأمر بالكهف فيدع عليهم
واراد الله انى ان يكرمهم ويجهلهم آية لامة تتجلف بمدهم وان بين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يمت من فى القبور فامر دقيانوس بالكهف أن يدع عليهم وقال دعوهم كما هم فى الكهف عوتوا جوعا
وعطشا وليكون كهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ بل هم ماتوا ما يصنع بهم وقد توفي الله
أرواحهم وفاة النوم وكاهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيه يقابون ذات العين
وذاات الشال قال ثم ان رجلين ومؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان انهما اسم احدهما تندروس
والآخر روباس اتفرا ان يكتبيا شأن الفتية وأنسابهم واسماؤهم وخبرهم فى لوح من رصاص ويحمله
فى تابوت من نحاس ويحمله الى تابوت فى البنيان وقال لال الله ان يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم
القيامة فيلم من فتج عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلوا ذلك وبنيا عليه فبقى دقيانوس مابق ومات
قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلقت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له
تندوسيس فلم املك بقى فى ملكه ثمانية وعشرين سنة فتعجب الناس فى ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله
العظيم ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فيكبر ذلك على الملك الصالح فشكل الى الله وتضرع اليه
وحزن حزنا شديدا لما رأى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا
الحياة الدنيا وانما تبث الارواح ولا تبث الاجساد واما الجسد فيا كله التراب ونسوا ما فى الكتاب
فخبل الملك تندوسيس يرسل الى من كان يظن فيه خيرا وانهم كانوا ائمة فى الحق فيجملوا يكذبون بالساعة
حتى كادوا ان يحولوا الناس عن الحق وملة الحوار بين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فاعلقه عليه
ولبس مسحا وجعل يحتمه مراد فادب ليله وتماره يتضرع الى الله تعالى ويبكى مما يرى فيه الناس ويقول اى
رب قدر ترى اختلاف هؤلاء فابث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذى يكره اختلاف العباد اراد
ان يظهر لهم الفتية اصحاب الكهف وبين الناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليهلوا ان الساعة آتية
لا ريب فيها وانما يتعجب اعبده الصالح تندوسيس وانما يتم نعمته عليهم ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى
اعطاه وان لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيئا وان يجمع من كان تبدم المؤمنين فالتقى الله فى نفس رجل من
اهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف
فيبنى به حظيرة لئلا يفسد ما فى الجحارة ويبنيا بها تلك الحظيرة حتى نزعوا ما على
فم الكهف وفتحوا عليهم باب الكهف وحجبتهم الله عن الناس فبرز عمون ان الشجع من بر يد ان ينظر اليهم
يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كاهم ناعما فلما نزع الحجارة وفتح باب الكهف اذن الله تعالى
ذو القدرة والعظمة والسلطان محي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهورانى الكهف فجلسوا فحين مسرة
وجوهم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كانوا استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون
منها اذا اصبحوا من ليلتهم التى يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرون فى
وجوهم ولا اشرارهم ولا الوانهم شيئا يتكرونها انهم كمنهم حين رقدوا يرون ان ملكهم دقيانوس فى
طلبهم فلما اقضوا صلاتهم قالوا لتخليصا صاحب نفاقهم بين لنا ما الذى قال الناس فى شأننا عسى امس عندها

هم ان صلوات الله عليه) انه خرج يوم نحو الطور واذا هو رجل واقف على الطريق فقال الى ابن ياني الله قال لي المناجاة فقال لي اليك حاجة قال فاهي قال قل له يكرمني بتدريحية من محبة فلما وقف موسي عليه السلام المناجاة نسي الرسالة من حلالة المناجاة فناداه ربه يا موسى نسيت حاجة عبيدي قال يا رب انت اعلم يا قال عبدك قال نعم ولكن الرسالة حقها ان تؤدي ومن لم يؤد الرسالة فقد خان وانا لا احب الخائنين يا موسى قد وهبت له جميع ما اراد فرجع موسى فلم يجد في مكانه فقال الهى وسيدي اين ذهب الرجل صاحب الحساجة فقال يا موسى هرب منك قال لم قال من احبنا لا ياتفت الي غيرنا فان اردت ان ترد يا موسى فادخل هذه الفيضة قال فدخل ونظر فاذا اسد ياكله فقال الهى ما هذا فقال هذا اصنعي باحبائي في دار لبقاء انظر يا موسى الى دار البقاء فنظر فاذا بقمية من ياقوتة حمراء مثل الدنيا ثلاث مرات فقال يا موسى هذله ونااله (وقيل في هذا المعنى شعر) طال استيقا فيسأل لي

الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم انهم قد ناموا ما كانوا يتنامون في الليلة التي اصبحو بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم يا لبثتم وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم عليخا الختم في المدينة لئلا تجنحوا للطواغيت او تقتلوا قالوا فاشاء الله بعد ذلك فقل فقال مكسهمنا يا اخوتاه اعلما انكم ملاوقا لله فلا تكفروا وابتدعوا بكم اذا دعاكم غدا ثم قالوا يا عليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلفظ لا تشعرون بك احدا او تغلظا ما وانا بتا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به أمس فانه كان قليلا رقدنا صبحنا جديعا فقل عليخا كما كان يفعل ووضع ثيابا بهواخذ الثياب التي كان يترك فيها ثم اخذ ورق من نقمتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع فانطلق عليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة مزوغة عن باب الكهف فتمجج منها ثم رحت أنى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوف ان يراه احد من اهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر بالبد الصالح ان دقيانوس واهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثة سنة فلما رأى عليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر عينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب ونحول الى باب آخر من ابوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له ان المدينة ليست بالتي كان عرفها ورأى ناسا كثيرين يتحدثون لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم انه رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شرى اما هذه عشية أمس كس المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانه اظاهرة اعلى عالم ثم يرى انه لم يتم فاخذ كساده وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين اهل سوقها وهو يسلمع ناسا يحلون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا وراى انه حيران فقام مستندا ظهوره الى جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية أمس فليس على الارض احد يذكر عيسى الا قتل واما الان فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخشى ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة أعرفها فأتى أسمع كلام اهلها ولا اعرف واحدا منهم والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام للحيران لا يتوجه وجهه ثم انقلب في من اهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال افسوس فقال في نفسه ابل في مساو امرا اذهب عقلي والله يحق لي ان ابادر الخروج منها قبل ان يصيبني شر فهاك هذا ما يحدث به عليخا اصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه * ثم افاق وقال لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان يفتن بي لسكان اكس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم اخرج الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله يعني بهذه طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من اصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتناظر حونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد اصاب كبرا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل يرتعدو يظن انهم قد قطنوا به وعرفوه وانهم اغاير بدون ان يذهبوا الى ملكهم دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفصلوا قد اخذتم ورقى فامسكتهموها فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شانك والله لقد وجدت كبرا من كنوز الارلين فانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت فقلت ان لم يفعل نأت السلطان ونذهب اليه فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء كنت اخذ مني ثم قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع ان تسكن ما وجدت ولا اتقن في نفسك أن تسكن في عليك فتجرب في نفسه راس يدري ما يقولهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبرهم بشيء فلما رأوا لا يتكلم أخذوا كساده وطوقوه في عنقه ثم جعلوا يوقدونه في سكة المدينة مكبلا حتى سمع به من فيها وقبل اخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه

فيكون طمع

في ف اصطباري

والاحشاء تقطع

كيف الفرار الى من لا فرار

له

موله الذاب للاحباب

منقطع يبكي الديار بدمع

هامل هطل

له من الجزع احباب وما

رجوا

(وقال ابراهيم بن ادم

رفعنا الله به) نزلت

مسجدا بالشام وكانت

لبيلة شاتية فقال لي القميم

قم واخرج حتى اغلق

الباب فملت اتي غريب

ابيت ههنا فقال الغريب

يسرقون الغناديل

والحمر وقد حلفت ان

لا يبيت فيه احد ولو كان

ابراهيم بن ادم فقلت انا

ابراهيم ابن ادم فقال

كفى ما انت فيه حتى

تكذب ثم قال اخرج

وجعل يجرني من

رجلي على وجهي

حتى رماني خارج المسجد

بزاء حمام فرايت شابا

حسن الوجه بوق النارقي

تتور ذلك الحمام فسمعت

عليه فلم يرد على السلام

حتى فرغ قال يا هذاني

اجبر وخفت ان اشتفت

بالسلام عليك ان اكون

خائنا في عملي قلت بكم

ممل كل يوم قال بدرهم

أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا يظرون اليه ويقولون والله ما هذا الذي من أهل هذه المدينة وما رأينا به
فيما قط وما نعرفه فجعل تملخها ما يدرى ما يقول معهم ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم
يتكلم ولوقال انه من أهل المدينة لم يصح و كان مستبعا ان اياه واخوته في المدينة وان حسبه في أهل المدينة
من عظماء أهلها وانهم سيئاته اذ اسسه واوقد استبقته انه في عشية أمس كان يمر في كثير من أهلها وانه
لا يعرف اليوم من أهلها أحد فبينما هو قائم كالخيران ينظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم فبينما هو
كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيس المدينة ومديرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما ارموس
واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تملخها منهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلفت عينه
وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من الخنوع والحيران فلما كان يمشي في طريقه رفع رأسه الى
السماء وقال اللهم اله السموات والارض افرغ على اليوم صبرا واولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا
الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي باليهيم يعلمون ما فعلت فيا اوني فتقوم جميعا بين
يدي هذا الجبار فانا كذبتا وافتنا انكون من مالنا نكفر بالله ولا نفرق في موت ولا حياة ابدا يا ليت شعري
ما هو فاعل لي هل هو قاتلي ام لا * هذا ما حدث به تملخها اصحابا عن نفسه حين رجع اليهم فانهى به الى
الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم تملخها انه لم يذهب به الى دقيانوس افاق وسكن ما به فاخذ
ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبنا منها ثم قال احدهما ابن السكندر الذي وجدت يافتي فقال
ما وجدت كثر او اعلم هذه الورق ورق آتائي ونفس هذه المدينة وضربها والسكن والله ما دري ما شأني وما
ادري ما اقول لكم فقال احدهما من أنت فقال له تملخها قال فن ابوك ومن يمرق بها فانها بهم باسم أبيه فلم
يجدوا أحدا يعرفه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تملخها ما يقول غير انه نكس بصره
الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه لم يحق نفسه عمدا لكي
ينفقت منكم فقام احدهما ونظرا اليه نظرا شديدا وقال له انظر اننا نراك ونصدقك بان هذا مال أبوك
ولضرب هذه الورق ونفسها أكثر من ثلثها تسنة وانت غلام شاب تظن أن تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمرط
كما نرى وحولك سراة هذه المدينة وولادة أمها وخزائن هذه البلدة ما يدرينا وليس عندنا من هذا الضرب
درهم ولا دينار لا عذبك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا السكندر الذي وجدت فلما قال له ذلك قال له
تملخها انبشني عن شيء ما أسألك به فان فلت صدقتكم عما عندي ففوالا لاني لا نكتك شيئا قال ما فعل بالملك
دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجهه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك
من زهد طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تملخها فوالله ما جد من الناس أحدا يصرفني على
ما أقول لقد كنت فانية وان الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهو بنا منه
عشية أمس فبينما انتهينا خرجت لا شترى لاصحابي طاماما وأنجس الاخبار فاذا أنا كما ترون
فانطلقوا معي الى السكندر الذي في جبل ناجلوس أرىكم اصحابا فلما سمع ارموس ما يقول تملخها قال
يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعله الله لكم عبرة على يد هذا الذي قاتلوا بنا مع مديرنا اصحابا فانطلق
معه ارموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم
وكان القتيبة اصحاب الكهف ظنوا أن تملخها قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذي
كان يأتي فيه فظنوا أنه قد أخذوا ذهب به الى دقيانوس فظنوا ذلك ويتخوفون انفسهم والاصوات
وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ايؤتيهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى
الفلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بناتنا أخانا تملخها فانه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى
يأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهري الكهف لم يشرعوا الا ورموس واصحابا به وقوف على

باب الكهف وقد سبقهم تلميذ آخر دخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه منهم أنهم سألوه عن شأنه
 فأخبرهم بغيره ونص عليهم الحديث كله فرفعوا عن ذلك أنهم كانوا أياما بآثار الله ذلك الزمان كله وإنما وقفوا
 ليكونوا آية للناس وتصديقا لما بين يديهم من آيات الله فدخل على تلميذ آخره وس
 فرأى تابوتا من نحاس محتويا تخاتهم من فضة فنام بباب الكهف ثم دعا رجلا من عظام أهل المدينة ففتحو
 التابوت فوجدوا فيه لوحي من رصاص مكتوب فيهم ما ن مكسبنا وتلميذا ومرطون وكشطونش
 وداسيوس وتكر يوس وبطيريس كانوا فتية هر بوا من ملكهم قديا نوس الجبار خفافنة يقتنهم فدخلوا
 هذا الكهف فلم يعلم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنما كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم
 من بعدهم أن عثر عليهم فلما قرأه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البتة فيهم ثم رفعوا أصواتهم
 بحمد الله وتسبيحهم فدخلوا على الفتية الكهف فوجدواهم جالسا مشرقا وجوههم من قبل نياهم فخرأروس
 وأصحابه سجدوا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنهاهم الفتية عن الذي لقوا
 من ملكهم قديا نوس ثم أن رموس وأصحابه بعثوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس أعجل لملك تنظر آية
 من آيات الله تعالى قضاظهرها الله في ملكك فأتعج إلى فتية بعثهم الله وقد كان نوافهم منذ أكثر من ثمانمائة
 سنة فلما أتى الخرقام من السدة التي كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والأرض تطورات على وجهي
 برحمتك فلم تطفئ النور الذي حملته لآبائي وللعبد الصالح نسطيطوس الملك فلما ناباه أهل المدينة ركبوا
 إليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخر وسجدوا لله
 على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جالسون بين يديه على الأرض يسبحون الله
 ويحمدونهم ثم إن الفتية قالت لتندوسيس يستودعك الله ونقرأ عليك السلام رحمك الله وحفظك الله وحفظ ملكك
 وأعذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم إذ رجعو إلى مضاجعهم فناموا ونوفي الله أرواحهم فقام الملك
 إليهم فجعل يثابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انتم
 تخرجون من ذهب ولا من فضة ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير قاتركم كما كنا في الكهف على
 التراب حتى بمشأ الله منه فامر الملك حينئذ بتوايت من ساج فجعلوا فيها وحجبتهم الله حين خرجوا من عندهم
 بالراع فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلي فيه وجعل لهم عيدا
 عظيما وأمر أن يفتن كل سنة وقيل انهم لما أتوا باب الكهف قال تلميذ دعوني ادخل على أصحابي
 فأشروهم فدخل وقبض الله روحه وارواحهم وعي عليهم مكانهم فلم يفتدوا إليه كاذر على بن أبي
 طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن
 يرأهم فقال أنك إن ترأهم في دار الدنيا أو أكل ربك إليهم أربعة من خيار أصحابك ليسلواهم رسالتك ويدعواهم
 إلى الإيمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير لك كيف أمثهم قال بسط كساءك واجلس على طرف
 من أطرافه أما بكرى الثاني عمرو على الثالث على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أبا ذر ثم ادع الربيع
 الرخاء المسخرة لاسلمان من داود قال الله أمرها أن تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام ما أمره به (١)
 خفلهم الربيع حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلبوا وامنهم حجرا فقام الكلب
 حين أبصر الضوء وهو وحمل عليهم فلما رأهم حرك رأسه وبص بصيص ذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف
 فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فناموا بأجهم وقالوا وعلكم السلام
 ورحمة الله وبركاته فقالوا أني الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد
 رسول الله السلام مادامت السموات والأرض وعلكم بما بلغت من أنهم جلدوا بأجهم يتحدثون قائموا بحمد

أ. أنفق الدرهم على أولاد
 خ لى في الله مات وتركهم
 قلت له لى سألت الله في
 حاجة قط قال نعم منذ
 عشر ين سنة وما قضيت
 قلت له وما هي قال بلغنى
 ان فتى عيز على الزاهد ين
 وفاق على العابد ين يقال
 له ابراهيم بن ادم فتعيت
 على الله رؤيته واموت
 فقلت له ابراهيم اخى فقد
 قضيت حاجتك وما رضى
 لى بان أنيك الاسجد على
 وجهى فوئب من مكانه
 وعافني وسمته يقول
 قضيت حاجتي فأقبضني
 فوقع بي (شعر)

أبدى شواهد في قلب
 شاهده
 واني لشاهد فيها بحاكيه
 الحمد لله لا بين ولا صاة
 هذا بيان معنى من مآينه
 (وقال عطاء الله رضى
 الله عنه) بمشأ عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه في
 غزاة وكنا أربعة آلاف
 فعاصرنا قلعة على جبل
 لا تصلا ساحتنا إليه رفها
 بجوس وامرهم امرأة
 حسناء قال فطامت على
 السور فنظرت إلى عسكر
 الصحابة رضى الله تعالى
 عنهم فرأت شابا مليح
 من العرب ون جميل
 فازسا شجاعا يضرب
 بالسيف ويظمن بالراح
 قالت ياه ياه فقات

(١) قوله فحجبتهم الله بالغ هذا معارض أقول تعالى (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من عبادي) فلينبه

لها جاريته ما يملك قالت ان
حصننا قد فتح فقالت
الجارية وكيف ذلك
فدالت سترين بعد ساعة
ثم ارسلت الى الشاب
هل أجده اليك سبيلا
قال نعم بشرط ان
تسلمي الحصن الظاهر لنا
والباطن لله فقالت اما
الظاهر فاعرفه واما الباطن
فما هو قال قبلك تسمينه لله
وتقرين بوحدانيته
فارسلت اليه تعال
بمسرك فلما دخل
الحصن وعرض عليها
الاسلام قالت اني امرأة
كثيرة الهيبة هل في
عسكرك من هو اكبر منك
حتى اسلم على يديه قال نعم
فارتحلت مع العسكر ومعهما
اموال كثيرة حتى دخلت
على عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فقالت هل ههنا
اكبر منك حتى اسلم على
يديه قال نعم محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا
قبره قالت لاسلم الاعلى
يديه فجلست عند قبره
وقالت اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله ثم
قالت خرجت من دار
الكفر غير اني اخشى
ان اقع بعدد الاسلام
في المعصية فاسأل ربك
الذى ارسلك ان لا
اعصيه قال ثم وضعت
خدها على حائط القبر

صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا بحمد صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا
مضا جهم وصاروا الى رقتهم الى آخر اثنان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يعلم فيجيبهم الله تعالى
له انهم يرجعون الى رقتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح
الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم قال كيف وجدتموه وما لذي اجابوكم وهما بالرسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا
السلام اجهم وبلغنهم رسالتك فاجابوا وانا يا وشهدوا انك رسول الله عز وجل واما على ما كرمهم
بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين
اصحابي واحبائي واغفر لمن احبني واحب اهل بيتي واحب امتي واحب اصحابي

﴿ مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام ﴾

أخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه الجاني قال كان في الموصل ملك يقال له
زادانه وكان قد ملك الشام كلها ودار له اهلها وكان جبارا عتيا وكان بعد صنما يقال له ادنون وكان جرجيس
عبد اهل الحان اهل فلسطين قد ادركه يان حواري عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال
عظيم الصدقة وكان لا يامن ولاية الا مشركين عليه مخافة ان يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل
معه مال يريد ان يهديه اليه لئلا يجبل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز في مجلس له وامر
بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يمدب من خالفه بانواع العذاب وقد ادركه نار عظيمة فلم
يسجد لا فلون ان في تلك النار فاما رأي جرجيس عليه السلام ما يصنع فزع منه وهما له اعظمه وحدث نفسه
بجهاده وألقى الله في نفسه بغضه رجلا هذله فعمد الى المال الذي اراد ان يهديه له فقسمه في اهل ملته حتى لم
يبق منه شيء وكره ان يجاهده بل امل واحب ان يبذل نفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد ملوك لا ملك
لنفسك شيئا ولا لغيرك وان كان ربا هو الذي عليك وغيرك وهو الذي خلفك ورزقك ويحييك ويميتك
يضررك وينفك واذا قال شيء مكن يكون وانما اعتمدت الي خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق
ولا ينفي عنك شيئا من الله فزنته بالذهب والفضة وجعلته فنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب
الملك ان سألته عن حاله وامره من هو ومن اين هو فقال جرجيس انا عبد الله وابن عبده وابن امته اذل عباد
وافقرهم اليه من التراب خلعت واليه اصير فقال له الملك لو انك ترى انك تقول لربي ان اترك عليك كبري
أترى على من حولى ومن هو في طاعتي فاجابه جرجيس بتحميد الله وتظيم امره ثم قال له اتمدني افلون الا حم
الابنك الذي لا ينفي عنك شيئا رب العالمين الذي قامت السموات والارض بامره أم تعدل طوقيا وما نال
بولايتك فانه عظيم قومك ما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان في بدء امره آدميا يأكل الطمام ويمشى
في الاسواق فأكرمه الله تعالى حتى انتبت له الريح وكساه النور فصارت اسما ملكيا ما بها أرضيا بطير مع
الملائكة أم تعدل غلطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان
الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وامة آية لامة تدين أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها الله بكمهته
وقضاه على امته وما نال بولاية الله البار بيل وما نال بولايتك فانه كانت من شيعتك وعلى ملكك فاسلمها
الله مع عظيم ملكها حتى اقتضت عليهم السكاب في بيتها فانهم شت لهمها ووافقت في دهمها وقطعت الضماع
اوصالها فقال له الملك انك لجددنا بشيء ليس لابه علم فاننا بالرجلين الذين ذكرتهما حتى انظر اليهما
فاني انكر أرى يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جدامك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى واما
الرجلان فلن تراهما ولم يراك الا ان تعدل بهما فاقبل من اهلهم فقال له الملك ان نحن فقد اعذرنا اليك وتبين لنا
كذلك لانك فخرت بامور مجزأت عنهم اول ما تات بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين

السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذي رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لي والافلاخسأيتها النجس المأمون فلما سمع الملك غضب وشتمه وسب الهد وأمر بخشبة فصبغت له وجعل عليها امشاط الحديد فخذش بها جسده حتى تقطع لحمه وجذبه وعروقه. ووضح عليه في خلل ذلك بالخل والخرجل فجفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما رأى الملك ان ذلك لم يقتله امر بثمان مسمارين من حديد فاحيت حتى جمعت ثرافس مر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما راي ذلك انه لم يقتله امر بخواص من نحاس فاوقد عليه حتى اذا جله ناراً أمر به فادخل في جوفه واطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يفته دعا به فقال له يا جرجيس اما تتجدهم هذا العذاب الذي تعذب به فقال ان ربي الذي اخبرك به حمل العذاب عني وصبر لا خج عليك فلما قال له ذلك ايقن بالشر وخافه على نفسه وما سكه وأجمع رأيه على أن يتجده في السجن فقال له الملا من قومك ان تركته طرية في السجن يكلم الناس أوشك ان يبل بهم عليك ولكن مره بعذاب في السجن فبشمله على كلام الناس فامر به فبطح على وجهه ثم اوتده في يديه ورجليه اربعة اوتاد من حديد في كل ركن منها وتدوا أمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انحل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلاً فظل يومه ذلك موتاً تحت الحجر فلما ادركه الليل أرسل الله تعالى اليه ملكاً من ملائكته اول ما ابده الله تعالى بالاملاك اول ما جاء به الوحي فقطع عنه الحجر ونزع الاوتاد من يديه ورجليه واطعمه وسقاها وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق بدوك فجاهده في الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فاني قد اجلبتكم بمدوي هذا سبع سنين يذهبك ويقتلك فيمن ارجع مرات وفي كل ذلك أرد اليك روحك فانما كان في التلة اربعة نفقات روحك واوفيتك اجر ك فم بشروا الا وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من اخرجك من السجن فقال اخرجني الذي سلطانه فوق سلطانه فلما قال له ذلك ملي غيظاً ودعاً باصناف العذاب حتى لم يخل منها شيئاً فلما ارها جرجيس أوجس في نفسه خيفة وجزعاً ثم اقبل على نفسه يما بها على صوته وهم سمعون فلم افرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فهدوهم منهم وضوا سيفاً على مفرق راسه فشره حتى سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم محمودوا الى اجزائه فقطعوها قطعاً ودعوا له سبعة اسود ضارية كانت لاقب وجب وكانت صفا من نصف عذابه فبه وبجسده اليها فلما هوى نحوها امرها الله عز وجل فحضمت برؤسها واعناقهم واقامت على برائتها فبقية الالم فظل يومه ميتاً وكانت اول موته ماتاً فلما ادركه الليل جمع الله جسده الذي قطعه وضم بعضه الى بعض حتى سواه ثم رد الله اليه روحه وارسل الله له ملكاً فخرجه من قبره الجب فاطعمه وسقاها وبشره بالنصر فلما اصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال ليك قال له اعلم ان القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي أخرجتك من قبر الجب اخرج فالحق بدوك وجاهده في الله حق جهاده وموت الصابر ين فام بشروا الملك واصحابه الآخرون الا وقد اقبل جرجيس وهم عكف على عيدهم قد صبروه فرحاً وموت جرجيس فلما مضوا ونظروا الى جرجيس مقبلاً قال الملك ما شيه هذا الرجل بجر جيس فقالوا كانه هو فقال الملك ليس هو حقاً الا ترون الى سكون ربه وقلة هيبت فقال جرجيس بل هو أنافيش القوم أنتم قتله وملتق فاحياى الله تعالى بقدرته فلهوا الى الرب العظيم الذي أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك اقبل بعضهم الى بعض وقالوا سحر سحر اعينكم فجدوا له من كان يبالو الملك من السحرة فلما جاء السحرة قال الملك الكبيرهم اعرض على من كبير سحر ك ما يسرعني فقال ادع لي ثور من البقر فلما أتى به تقف في احدى أذنيه فانشئت باثنتين ثم تفخ في الاذن الاخرى فاذا هو ثور ان ثم دعا بذر فخرت وبذر وبذت الررع وحصدته داس وذرى وطيجن وعيجن وخبر كل ذلك في ساعة واحدة وهم برون فقال لهم الملك هل تقدر ان تمسخ لي جرجيس دابة فقال الساحر اى دابة تطالب أم مسخ لك كذا فقال اساحر ادع لي بقدر من

عمر رضي الله عنه طوفى لمن مات وجوارحه مستريحة من المعاصي رضي الله عنهم ورضى عنهم (وقال ذوالنون المصري رضي الله عنه) رايت في البداية ظلاً يلوح مرة وبغيب اخرى والشخص مستور عني فقلت بالله عليك يا صاحب الظل الا ما اظهرت نفسك لى اراك قال فظهور قاذامي امرأة فقالت يا ذا النون ما اكثر فضولك ما تصنع بي فقلت انى احب الصالحين فقالت لقد احببت سواه فملت انى احبكم تقربا الى الله تعالى فقالت واهى فرق بينك وبين عبدة الاصنام اذ قالوا ما نعبد الا ليقربونا الى الله زافى قال فتعجبت من كلامها فينبأ نحن في الحديث اذ قالوا جاءت الخليل لتهب القافلة فبكى الناس وهي تضحك فملت لها الناس فيكون وانت تضحك فقلت ما ضحكى الامن تخافتهم من محلول فقلت قد وجب عليك ان تسالى الله افاقت نعم ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت يا رافع السماء بلا عماد يا من هو على فكرة العباد بمحق ما تعلم من

وما أرى بالندح نكت فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه ان يشر به فشر به جرجيس حتى أتى على آخره فلما فرغ من عمله الساحر ما زاد أحد قال ما اجد الا خيرا كنت قد عشطت فمطغ الله لي بهذا الشراب وقواني به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له اعلم ايها الملك انك لو كنت تقياس رجل من تلك اذ السمكت غايه، ولو كنت كف تقياس جبار السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأة مسكنة من الشام قد سمعت بحرجيس وما يصنع من الاعاجيب فاتته وهو في اشد ما فيه من البلاد فقات له يا جرجيس انا امرأة مسكنة لم يكن لي مال الا ثوران كنت احببت عليهم ما انا فاجبتك لترجي وتعدو الله ان يحكي لي ثوري فلما سمع كلامها رفعت عيناهم دعا الله ان يحكي لها ثوريتها ثم اذ اعداها عصولا لها ذهبي الى ثورك فاقرعها ما بهذه العصولا وقولي لها احيا يا ابن الله تعالى وقال له يا جرجيس ان ثوري قد ماتا منذ سبعة ايام وهزقتهما السباع وربيني وبينهما ايام فقال لها لو لم تجدي منهم الا شيئا يسيرا رقرعته بلصافانها بقومان يا ابن الله تعالى فانطقت المرأة حتى انت مصرعها وكان اول شيء بدا لها من ثوريهما ذق احداهما وشعر اذن الاخر فجمعت احداهما الى الاخر وقرعتهما بالاصول وقالت كما امرها فقام ثوران يا ابن الله تعالى وعمت عليهما حتى جاءهم الخير بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من اصحاب الملك وكان اعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم امر هذا الرجل على السحر وانكم قد قدتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم عت فل رأيت ساحرا يدرك عن نفسه الموت او احيا ميتة اقط فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صبا اليه فلم له استهواك اليه فقال امنت بالله واشهد اني براهي ثم تمتدون فقام اليه الملك واصحابه بالخناجر فقتلوه فلما راى القوم ذلك اتبع جرجيس اربعة آلاف آمنوا فعمد الملك اليهم فلم يزل يبعثهم بالوان العذاب حتى افضاهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فحيا لك اصحابك هؤلاء الذين قتلوا بحجر ربك فقال لجرجيس ما حلى بيني وبينهم حتى حانت اجالهم فقال له رجل من عظامهم يقال له تخليطس الملك زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبداء الخلق ثم يعيده واني سائلك امر ان فاته امنت بك وصدقت وكفيت نحن قوم حواري اربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها اقداح وصحاف من اشجار شتى فارع ربك يدشني وهذه الكراسي والوانى كما بدأها اول مرة وتود خضره فيعرف كل عود منها ان يوتيه وورقه وزهره فقال له جرجيس انك سالت امر اعز براعى وعابك وان على الله حين فدعا الله وجعل قمارا حوامن مكاهم حتى اخضرت تلك الكراسي والوانى كلها وساخت عروقها وتابست بالجم وتشتت واورقت وازهرت وانمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم تخليطس الذي تمني عليه ما تمني فقال انا اعذب انكم هذا الساحر عذابا بطل به كيدتم ان تتمد الى نحاس فصنع منه صرد ثور له جوف واسع ثم حشاها نطا وروصا وكبريتا وزرنيخا ثم ادخل جرجيس مع الخشوف جوفها ثم او قعد على الصورة حتى التهمت وذاب كل شيء فيها واخطط جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس ارسل الله بجحاصا فاملأ السماء سمحبا اسود فيه رعد وبرق وصواعق وارسل الله اعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتل ما حيا من السموات والارض فكمشوا اياما متعجربين في تلك الظلمة لا يفتضون بين الليل والنهار وارسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا اقلها ضرب بها الارض ففزع عن روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت الغمة واسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم انفسهم فقل له رجل يقال له طوفان لا تدري يا جرجيس ان كنت انت تصنع هذه الاعاجيب امك ربك فان كان ربك هو الذي يصنع فادعني شيئا نمونا اني في هذه القبور فان فيها اموات منهم من تعرفه ومنهم من لا تعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصنع الله عنكم هذا الصنع ويريك هذه الاعاجيب الا لتكون عليكم حجة فتتوجوا بها واعضبه ثم انه امر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات واقبل جرجيس على

ودادى الاكفيتهم مؤنة الاعادى قال فقامت كلهم حتى اذهب الله الاعاء وجاء الامسان وذهب الردي ثم غابت عني فلم ارها رضي الله تعالى عنها (رقيل) انه كان في بني اسرائيل شاب مسرف على نفسه بالمعاصي فاخرجوه من بينهم فحضرته الوفاة وهو في خربة على باب البلد فاوحى الله تعالى الى موسى عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام يا موسى ان اوليائنا اوليائنا قد حضر الموت في مكان كذا فاحضره وغسله وكفنه وصل عليه وقلمن كان معك ان يصلى عليه فنادي موسى في بني اسرائيل فحضره فلما نظروا اليه عرفوه وقالوا يا بني الله هذا فلان العاق الذي اخرجناه فنعجب موسى من ذلك فاوحى الله تعالى اليه انهم صر قروا سكتة لما حضرته الوفاة في هذه الخربة ففزعوا واما لانهم يرادوا ان يفسدوا رغبة وحيدة دالية منكسره فرفع بصره الى وقال الهى وسيدى وهولاي عبد من عبيدك غريب في بلادك فسلوا علمت ان عذابي يز يد في ملكك

الدعاء فابرحوا من مكانهم حتى نظر الى سبعة عشر اسنانا تسعة رجال وخمس اوة وثلاثة صبية وادافهم
 شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما هذا فقال يا جرجيس اسمي نوبيل قال متى م قال في زمان كذا
 وكذا اخذوا فاقذروا قد مات منذ اربع مائة عام فلما نظر الملك واصحابه الي ما فعلوا ما بقي من اصناف
 المذابشي الا لوقه عذموه به الى الجوع والعطش فذنبوه بما فعدوا الي بيت تجوز تبعد فقيرة كان لها
 ابن اعشى اصم اكم مقعد فعصره في بيتها كانوا لا يوصلونه له من عند احد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع
 قال له تجوز هل عندك من طعام او شراب فقالت لا والذي يحلف به اعهذنا الطعام منذ كذا وكذا وساخرج
 لنفسك شيئا فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدن قالت لا فذاعها الي الله فصدقته
 ثم انما انطلقت تطلب لشيئا وكاد في بيتها دعة من خشب يابسمة تحم خشب البيت فاقبل على الدعاء
 فاحضرت تلك الدعة وانبتت لكل فاكهة تؤكل او تعرف حتى كما انبتت اللبنة واللوز واللوز واللوز
 يكون بالعام وظهر للدعة فرع من فوق البيت اقله من فوقه فاقبلت المجوز وهو وما شاء اكل رغدا الممارات
 الذي حدث في بيتهم من بعده قالت امنت بلذى اطعموك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفي ابني
 فقال لها ادنيه في فادته فبصق في عينيه باصر ونفت في اذنيه فمع ففادت له اطلق اسماءه ورجليه رحمك الله
 فقال لها اخرج به قال له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال لاني
 ارى شجرة بمكان ما كنت اعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة انبتت بذلك الساحر الذي اردت ان تعذبه
 بالجوع فهو فاما اديا كل وقد شبع منها واشبع المجوز الكبيرة الفقيرة وشفي لها ابنها فان الملك بالبيت فهم
 وبالشجرة ارتطع فلما هدموا بنطها ابيس الله الشجرة وردها كما كانت اول مرة فتركوها وامر
 بجرجيس فبطح على وجهه واوتدله اربعة اوتاد وامر بجعل فاروقا سطوانا وجعل في اسفل اليجل
 خناجر وشفا رما امر باربعين نورافنته باليجل نهضة واحدة وجرجيس تحمها فانقطع ثلاث قطع
 قامر بقطعة اذ تحرق فابنت في النار حتى عادت رمادا فبنت بذلك الرماد وبنت معه رجلا فذره في البحر
 فابرحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بمر ان الله يذكرك ان تحفظ مفيدك من هذا الجسد الطيب
 فان اريد اعينه كما كان ثم ارسل الله الرياح فاخرجه من البحر ثم جمعه حتى صار الرماد صبرة واحدة
 كهيئة قبل ان يذري فخرج منه جرجيس مغيرا بنض راسه فرجعه وارجع جرجيس واخبره الملك خبر
 الصوت الذي سمعه والريح الذي جمعه فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك مما نحن فيه
 ولولا ان يقول الناس انك غافتي وقم تني لا تبعثك وامنت بك ولكي اسجد لافلون جدة واحدة واذهب
 لاشاة واحدة ثم اقبل ما يسرك فقل له نعم مما شئت فعلت فاخذتني على صنمك ففزع الملك بقوله وقام
 اية وقبل يد يارجلية ورأسه وقال له عزم عليك ان تظل هذا اليوم ولا تبنت هذه الليلة الا في بيتي وعلى
 فراشي وفي كرامتي حتى تتريح ويذهب عنك وصب المذاب ويرى الناس كرامتك على فاختلي له بيته
 فظل فيه جرجيس حتى اذا ادرك الليل قام بصلي وبقرا اذ بوروكان احسن الناس صوتا فلما سمته امرأة
 الملك استجابت له فلم يشعر الا وهى خلفه تبكي فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وامرها فكنمت
 ايمانها فلما ان اصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام لم يجد لها فلما سمعت المجوز بذلك خرجت تحمل
 ابنها على عاتقها تو بئح جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه
 انظر واواذ بالاجوز وانها على عاتقها اقرب الناس اليه مقام فلما راها جرجيس دعا ابن المجوز باسمه فناطق
 واجابه ولم يذكر بكتم قبل ذلك قط ثم اقبض عن عاتق امه بمشي على رجليه ولم يكن بظا الارض قبل ذلك
 بقدميه قط فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع لي هذا الاصنام وهي بوعد سمعون صناعا على
 ما يرمن ذهب وعم يمدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف ادعوا الاصنام فقال له قل لها

وليس لي رجاء الا انت
 وقد سمعت فيما انزلت
 تقول اني ان الغفور الرحيم
 اكن يحسن ان ارد
 يا موسى وقد توسل
 بن وتضرع الى عزتي
 وجلا لي لو سألني
 في المذنبين من اهل
 الارض لو يهتم له وانا
 الغفور الرحيم (وروي)
 انه كان في بني اسرائيل
 ملك جبار وكان يكره
 الفقراء والصدقة وادي
 في المدينة كل من تصدق
 بشيء قطعت يده وكان
 في المدينة امرأة صالحة
 مات زوجها ومما
 رلدان فبكت تمزول
 وتشتري كل يوم دقيقا
 وتعمل منه ثلاثة اقراص
 لها ولاولدين فبينما هي
 على تلك الحالة اذ مر سائر
 يبها فاعتنته قرصها
 صدقة وقالت له لانا كل
 عند احد خوفا
 عليه من الملك فاخذ
 ومضي فلما كان في بعض
 الطريق اخرج قرص
 ليأكله فلهي بمص اعوان
 الملك وقال له من اين انك
 هذا الرقيق فقال اعذتني
 امرأة فقبيض عليه
 وحمل به الى الملك واخبره
 بنصته فقال لعضوا به
 الى موضعها واتنوني
 بها والفقير يحسب

انه يريد ان يعطيها شيئا

عوض حقهها
فاحضرها عند الملك
فقال لها اما سمعت
النداء ثم امر بقطع يدها
فقطعت وعلفت في عنقها
فجاءت الى منزلها واقامت
تعيد الله وكانت صائمة
قائمة الى ان افطرت ونامت
وهي شاكرة لله تعالى
فلما أصبح الصباح
مر فقير وهل يامن
يتصدق بصدقة تنفقه
فعاطته قرصا من اقراص
اولادها فذهب وهو
يقول جزى الله عنى هذه
المراة خيرا كما انها
تصدق على نفسه
احد خدام الملك فقضى
عليه واتى به الى
الملك فامر باحضارها
فحضرت بين يديه فامر
بقطع يدها الاخرى
فقطعت وباتت بمنزلها
واذا بسائل يقول من
يتصدق على الجائع
المسكين الذى طاف
هذه المدينة فلم يعطه احد
من اهل القمة واحدة قال
فلامسه تهاخرجت اليه
قرصا فاخذه وصهي فاذا
برجل من اعوان الملك
فقضى عليه واتى به الى
الملك فاخبره بالمراة
فقال هي لم تنته وامر
بقطع رجلها واقامت
تلك الليلة واذا

ان جرجيس يسألك و يعزم عليك بالذي خلصك الاله اجبتيه فله قال لها الملام ذلك قالت تدرج الى
جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله يخسف بها ويمتارها وخرج ايليس لئنه الله من خوف
صم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس اخذ بناصيته فخضع له وكلبه جرجيس فقال له
جرجيس اخبرني ايها الروح النجسة والخلق المولود الذى يحملك على ارتكك تلك شهوات الناس منك
وانت تعلم انك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ايليس لئنه الله لو خيبت بين ما شرقت عليه الشمس وبين
ما ظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته لا خرت هلكته على ذلك كله وان له ليقع من
الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يلذبه جميع الخلق المولود بجرجيس ان الله تعالى استجد لا ييك آدم
جميع الملائكة فجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت انا خير منه قال لها هذا خلقي سبيله
جرجيس فادخل ايليس من بوم مذجوف صم ولا يدخله بعدها فيما يذكر و ان بدأ فقال الملك يا جرجيس
غررتني وخدعتني واهلكت آلهي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعبر ولتلم انهم لو كانت آله لا ممتنع
منى وكيف تفك ويملك باهله لم تمنع نفسها منى وانما انخلو ضعيف لآله الامام يكتفى ربي فلما قال
هذا جرجيس اقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن اعنانها وعددت لهم افعال جرجيس والدير التي
ارام الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الادعوة فيخسف بكم الارض كما خسف
باصنامكم الله ايها التوهم في انفسكم فقال لها الملك ويحك يا سكندرة ما اسرع ما اضلك هذا الساحر ليلة
واحدة وانا قاصيه منذ سبع سنين فلم يظفر منى بشيء فماتت له اما رأيت الله كيف يظفره بك ويساطه
عليك فيكون له فلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها أمر به الملك عند ذلك فحملت على
خشبة جرجيس التي كان عاق عليها وجعلت عليها الامشاط التي جعلت على جرجيس فلما اتيا قالت ادع
ربك يا جرجيس فيخفف عنى فاني قد اتيت المذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكك فقال لها
الملك الذى يضحكك قالت ارى ملكين فوقى معهما تاج من حلى الجنة ينظرون به خروجه وروحى فلما
خرجت وروحها زائها بذلك التاج ثم صعد بها الى الجنة فاما قبض الله ورحمها اقبل جرجيس على الدعاء
وقال اللهم انت اكرم مني بهذا الابتلاء تعطيني منازل الشاه فمذا خرا يامى الذى كنت وعدتني فيها الراحة
من بلاه الدنيا اللهم انى اسألك ان لا تقبض روحى ولا ازل من مكاني هذا حتى تنزل به في الامم المتكبرين من
سطواتك وتقتلك ملا قبل لهم حتى تشفى به صدرى وتفر به عيني فانهم ظلموني وعذوني فيك اللهم
واسألك ان لا يدعوا بى دى داع في بلاه وكرب فيذ كرتى وينشدك باسمي الا فرجت عنه ورحمته وأجبتني
وشفعتني فيه فلم افرج من هذا الدعاء امطر الله عليهم نارا فامراوا ذلك عمدا واية فضر به باليهوف غيظا
من شدة الحرق ليطيع ما ناله ليلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها واصارت رمادا فحمل الله
من وجه الارض وجعل عليها ساقها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منبث لا يشمه
احد الا سمع قماش يدرك جميع من آمن بجرجيس وقتل معه اربعة وثلاثين الفا وامراة الملك قال
الاستاذ وكانت قصة جرجيس في ايام ملوك الطوائف والله اعلم

(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)

قال الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من انفس شهر (اخبرنا) أبو عمر والرافعي باسناده عن ابن
أبي نجيح أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر
فتمجّب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من انفس
شهر التي لبس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (اخبرنا) عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه أن
رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه

قد جماعته نذروا وكان قومه أهل أوثان يعبدونهم دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لم يهزمهم الا على ما يشاء وكان اذا قاتلهم وقالوا له عظمى انت تجرله من الخبز ماء عذب فيشرب منه حتى يروي وكان قد أعطى قوة في البطش وكان لا يوفقه حديد ولا غيره في هدمه في الله الف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شيء فاحتاها عليه وقالوا لا تأتبه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جملا على ذلك فاجابتهم وقالت انا ونفسي انا فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها انا ما فوطني بديته الى عقه حتى تأتبه فاحذنه فلما نام اوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فله الله من نومه جذبته بيده فوقع من عنقه فقال لها فقلت ذلك فقلت لا أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قدر بطاة بالحبل فليرفن عندهم شيئا فارسلوا اليها بجماعة من حديد وقالوا لها انا نام فاجاميا في عقه فلما نام جماعتها في عنقه فلما هب جذبها فوقت من عنقه ويده فقال لها لم فقلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الارض شيء يغلبك قال لا الا شيء واحد قالت وما هو قال ما لا يجزيك به فلم تزل تساله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان امي كانت اخبرني ان لا يغلبني شيء ما بدا ولا ينظني الا شمرى فلما نام اوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فاوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاءوا واخذوا فوجدوا الله واذنيه وفقوا عينيه واروقوه للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس ليظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به واروقوه على الناس أن يسلمه عليهم فامر أن ياخذ بمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهم اجمعين فاجذبهم فاهتارت المدينة عن فيها فلهكوا فيها همداء وملكها أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تأما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم

باب في قصة أصحاب الاخدود

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الايات روى عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم يسعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما اكبر قال للملك اني قد كبرت فابيت لي غلاما علمه السحر فبهت اليه غلاما يقال له عبد الله بن السامر يلمه السحر ففكره الغلام ذلك ولم يجد به ان طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت ففهم الغلام عنده وسرع كلاه فاعجبته وكان يبطي عند الراهب وبأني الملم فيضرب به ويقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضرب به أبوه ويقول له ما بظلك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت الملم فقل له حبيبي أبي واذا أتيت أبك فقل حبيبي الملم وكذا في تلك البلاد حجة عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فربها الغلام وراهبها مجبر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فقلها فلما رماها قتلها فأتى الراهب واخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال له لك لسان وقد بلغ من امرك ما اري ولك سبتي فاذا ابتليت فلا تدعي على فكن الغلام يرى الاكله والارض ويشفي المارض وكان للملك ابن عم وكفه في البصر فسمع بالغلام وقوله الحية فجاهد مع قائد وقال له أنت قتلت الحية قل لا قل فن قتلها قال الله تعالى قل فن الله قل رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والنهر والليل والنهار والدينا ولاخرة قال ان كنت صادق فادع الله ان يردني بصرى فقال له الغلام ارايت ان رد الله عليك بصرك فن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادق فادع الله عليه بصره فرجع الى منزله بلا علة ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وفعل له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن قال رب السموات والارض فقال له الملك اخبرني من علمك هذا فاني فلم يزل يبذبه

على الفقة بالمسكين الذي له مدة وهو مسافر وليس له قوت الا نبات الارض فزحفت واعطته قرصا فراه نديم الملك فاخبره بما كان من المرأة فامر بقطع رجلها الاخرى فاقامت الى ان افطرت فلما جاء الفجر زحفت الى البحر لتتوضا وكانت قريبا من بابها فاستيقظ اولادها فلم يروها فصاروا يحبون حتى خرجوا من الدار واذا بذئب واقف على الباب فخطف احدها في فمه فلما رآته امه زحفت خلف الذئب فلم تلحقه فوجعت وهي صابرة حامدة شاكرة فرأت الولد الاخر صار يحبو الى البحر حتى انقلب فيه ولم تدر كداهه فقالت اللهم اني استودعتكها يا من لا تخيب عنده الودائع يا ارحم الراحمين قال فما أتت دعاءها حتى فوجت ابواب السماء وضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فامر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها يا ممة الله امرني رب العالمين ان ارد يديك ورجليك وولديك ببركة

علينا في كتاب فرجع الى اخته وقال ويحك ان الناس قد ابوا على فقالت بسط فيهم السوط فا بوا ان يقرأوا
فقال لها ان الناس قد ابوا قالت فاجرد فيهم السية فا بوا ان يقرأوا قالت فاجرد فيهم السوط فا بوا ان يقرأوا
فمن تابك خل عنه ومن ابى فاخذ في النار فخذ الاخدود وادفنه النيران وعرض اهل مملكته على ذلك
فمن ابى فذقه في النار ومن اجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل اصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب
الحريق واما الذي في اليمن فهو يوسف ذونواس ابن شرجيل بن تبع بن بشرخ الحميري وقد ذكرنا قصته
وذكر محمد بن اسحاق بن بشار عن وهب بن منبه ان رجلا كان يتي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم
فاجابوه فخيرهم ذونواس بين النار واليهودية فا بوا عليه فاحرق منهم اثنا عشر الفا وقال مقاتل انما قذف في النار
يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال المكي كان اصحاب الاخدود سبعين الفا فلما قذفوا في النار خرجت
النار الى اعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارقتهم النار فوقعهم اثني عشر زراعا ونج ذونواس فسلط الله
عليهم ارباطا الحبشى حتى غلب على اليمن فخرجهار باقا فقتلهم البحر فاغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو ابن
معد يكرب

أتعودني كذاك نورعني * بأنهم عيشة اود ذونواس
وقدما كان قبلك في نيم * وملك ثبت في الناس راسي
فقدتم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجيوت قامي
قامسي اهلله بلادوا وامسى * ينقل في اناس من اناس

﴿ باب قصة اصحاب القيل وديان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾
قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب القيل ان آخر السورة قال محمد بن اسحاق بن بشار كان من
حديث اصحاب القيل ما ذكر بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من
علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حير يقال له زرة ذونواس كان قد تهود واجتمعت معه حير على
ذلك الا ما كن من اهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد
الله بن السامر فدعاهم الى اليهودية فا بوا فخيرهم فاختراروا القتل فخذلهم الاخدود وصنف لهم اصناف
القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من القى في النار الارجلا من اهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على
فرس له ركض حتى اسجزهم في الرمل فاني قصير فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك
عنا ولست اكتب ذلك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فسكتب له الى النجاشي بامر به بنصره
فلما قدم على النجاشي بمث معهم رجلا من الحبشة يقال له ارباط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث
رجالها واخر بثلث بلادها وابعث الى بثلث سبأها فلما دخلها ناولهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس
واقفتم به فرسه فاستعرض به البحر فلهل كاجمعا فكان آخر العهد به ودخلها ارباط ففعل بما امره
النجاشي فقال زوجدن الحميري فيما اصاب اهل اليمن

دعيني لا ابالك لم تطيقى * لحاك الله قد انزفت ربي
بذا عزف الفيان اذا انتشبتنا * اذا نسقى من النجر الرحيق
وشرب النجر ليس على ارا * اذا لم يشكي فيها رفيق
وان الموت لا ينهائه * ولوشرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب في أسطوان * يتاطح جلده بيض الانوق
وغدان الذي نبئت عنه * بنوه ممسكا في رأس نيق
لمتهمه وأسفله حروث * وجر الموجل اللثق الزليق
مصاييح الصليط يلحن فيه * اذا مى كرمضان البروق

بنت عمه يابن عمى انا
وانت نصير على الجورع
فكيف الحيلة في هؤلاء
الاطفال فقال لها
تعرفين شيئا افضله
قالت نعم اعمد الى سوق
البنائين فلو عملت بنصف
درهم كان فيه قوت
الاطفال فقال حبا وكرامة
قال فاخذ قاسا وزنبالا
وخرج يطلب سوق
البنائين فوجد في طريقه
مسجدا مهجورا فدخله
وقال وعزتك وجلالك
لا عملت اليوم الا لك
وكان بوضوء صلاة الفجر
قال فاستقبل القبلة
ولم يزل راكعا
وساجدا يومه كله فقرأ في
ذلك اليوم في صلاته سورة
الاخلاص احد عشر الف
مرة ثم صلى المغرب وهم
بالخروج فقال في نفسه
كيف امضي الى اهل وماذا
اقول لهم ان قالوا ماذا
عملت وعزتك وجلالك
لا زححت حتى اصلي العشاء
الاخيرة ولم يزل راكعا
وساجدا حتى صلى العشاء
الاخيرة ومضى الى منزله

فاصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهاب الحر يق
وخلقه التي غرست اليه * بكاذب البصر يهصر بالمدوق
واسلم ذو نواس مستبينا * وحذر قومضك المضيق

قال فقام ارباط باليمن وكتب اليه النجاشي ان ائمت بجندك ومن معك فاقام حينئذ ان ابرهه بن الصباح
ساخطه في امر الحبشة حتى ائصدع وصدعين فكانت معه طائفة ومع ابرهه طائفة ثم تراخا فلما دنا
بهضهم من بعض ارباط ارسلا ابرهه الي ارباط انك لا تصنع شيئا فلا تلاق الحبشة بهضهم على بعض ولكن
اخرج الى فاينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فارسل اليه انك قد ائصفت ثم انهما خرجا وكان ارباط
جسبا عظيما رسيا في ربه حربة وكان ابرهه رجلا قصيرا حذر حليما وكان ذا دين في النصرانية وكان
خلف ابرهه وز ير له يغال له عتودة فلما دنوا رفع ارباط الحربة فحضر بها رأس ابرهه فوقت
على جبينه فشرمت عينه وجبينه وانفه وشفته فاندك سمي ابرهه الاشم فلما رأي عتودة ذلك حل
على ارباط فقتله فاجتمع الجيش على ابرهه وبلغ النجاشي ما صنع ابرهه فغضب عليه وحلف لا يدع ابرهه
حتى يجزأ صيته وبطاه بلادهم انه كتب الي ابرهه انك عدوت على اميري فقتلته بغير امرى وكان ابرهه
رجلا مادرا فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملا جرابا من تراب ارضه وكتب الى النجاشي ايها الملك
انما كان ارباط عبدك وانا عبدك اختلعتا في امرك وكتب أعلم بالمر الحبشة وأوسس لها وكتب أردته ان يتزل
فاني فقتله وقد بلغني الذي حلف عليه الملك وقد حلفت لراسي وبعثت به اليك وملا جرابا من تراب
ارضى وبنته اليك ليعاد الملك فيبرقسه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه واقره على عمله وكتب اليه بان ائمت
بن معك من الجند ثم اد ابرهه بنى كنيسة بصنعاء يقال لها الفليس ثم انه كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك
بصنعاء كنيسة بنى الملك مثلها فقط ولست بمنتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بنى
مالك بن كنانة فخرج الى الفليس فدخلها ليلا فغدر فيها ثم انا بها وتغصن للسكبة فبلغ ذلك ابرهه ويقال
انه اناها ناظر اليها فدخلها ووجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقتل فدل هذا رجلا من العرب من
اهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع بالذي قلت فصنع هذا فاحل ابرهه عند ذلك ليسين الى السكبة
حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة واخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فاعظموه ووظفوا به وادوا
جهادهم فاعلمهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نجرى اطاعه من قومه فقاتله فزهمه واخذوه وعرقوا به
ابرهه فقال ايها الملك لا تقتلني فان استبقاه لك لى خريك من قتلى فاسمتهجوا وارثه وكان ابرهه رجلا حليما
فخرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خنهم خرج اليه نفيل بن حبيب الحمصي في قبيلتي خنهم وما شهران
وناهش ومن اجتمع من قبائل اليمن فقاتلوه فزهمهم واخذوه فبلا اسيرا فقال له ايها الملك انى دليلك بارض
العرب فلا تقتلني وهانا انا انا دى على قومي بالسهم والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يده حتى اذا مر بالطائف
فخرج اليه معمودين مغيث الثقي في رجال من ثيف وقال له ايها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عند اخلاف
وليس بينا هذا الذى تر يدبني به الالات انما نرى بالبيت الذى بمكة ونحن نبحث معك من يدلك عليه
فبعثوا البارغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالتمس مات ابو رغال فهو الذى ترجم قبره العرب وبعث
ابرهه من التمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه الاموال واصاب
لعبد المطالب جدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بنى بعير من ابرهه بعث حناطة الحري الى اهل مكة سفيرا
فقال سل عن شريفهم ابنا انى مات لقتال اعاجت لا هدم هذا البيت فاطلق حناطه حتى دخل مكة فاقت
عبد المطالب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلي اليك لاختريك ان لم يأت القتال الا ان يقولوا ناعا اتى لهدم هذا
البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطالب سنجلى بيته وبين ما جاله فان هذا بيت الله الحرام وبيت

فسمع ضحكك عظيما فظن
في نفسه شرا وقال انا لله وانا
اليه راجعون غبت عن
المرأة ومعها الاطفال وهم
في شدة عظيمة من الجوع
فليت شمري ماجرى
عليهم ثم بكى بكاء
شددا وقرع الباب
فخرجت اليه زوجته
مسرعة وقالت له اهلا
وسهلا وهى فرحة
مسرورة ثم قالت ما كان
يومك الا مباركا اشبع
الله بطنك كما اشبع
بطوننا فدخل المنزل
فسأرى فيه نورا عظيما
فالتفت فاذا بمائتين
عظيمة على كل مائدة
مندبل حسن فقال ما هاتان
المائتان قالت يا ابن عمى
انا جالسة فى وقت
الغروب وقد اجهدنى
الجوع والاطفال
يتجرعون للموت واذا
بطارق يطرق الباب
فنهضت الى الباب
ففتحته فاذا بغلام شاب
وعليه حلان خضر اوتان
ومعه اثنتان مهماتان
فقال يا ايها الشابة هذا

خايله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمة وان يحل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله مالنا به قوة قال
فاطلق ممي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بئله له كان راكبا عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قدم المسكر وكان ذو نفرة صديقا لعبد المطلب فانه فقال له يا ابن اهل بيتك من غناه فيما نزل
بنا فقال ما غناه رجل اسير لا يامن من ان يقتل بكرة او عشية واسكني سابع تلك الى انيس سائس
القبيل فانه صديق لي فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير وبعظم منزلتك وحظك
عنده قال فارسل الى انيس فانه قال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في
السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد اصاب له ملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفقه
عنده فانفقه فانه صديق لي واني احب ما يصل اليه من الخير ثم ان ائذ سادخل على ابرهه وهو وعبد المطلب
وقال لهما يا ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في
رؤس الجبال وقد جدنا ما غيرنا صلب لك حربا ولا حلف عليك يستأذن عليك وانا احب ان تأذن له
فيكفك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيفا فلما دخل عليه جلس بين يديه فاقامه وأجلسه معه على
السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له لترجمانه ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي ان يرد علي مائتي بعير
اصحابي فقال ابرهه لترجمانه قل له انك كنت اعجزني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الا ان فقال له لم قال
حيث جئت الى بيت هودينك ودين آبائك لا هدمه لم نكن في فيه وتكلم في مائتي بعير اصحابي فقال له عبد
المطلب قل لهما رب هذه الابل ولهذا البيت رب سبعة مائة من كان ليعنعه مني فقال له انت وذالك ثم امر
له اباه فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض اهل العلم ان عبد المطلب قد ذهب الى ابرهه بعمره
ابن مئدي كرب بن الدليل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخو بلدن وائلة
الهنلي وهو يومئذ سيد هنذيل فمرضوا على ابرهه تلك الممالة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فاني
ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعب
ويتحزروا في رؤس الجبال تحوفا عليهم من مرة الجيش اذا دخل فقلوا ذلك ثم اتى عبد المطلب الى الكعبة
فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو الهم سواك * يارب قانع منهم حماك
ان عدوا البيت من عاداك * قانعههم ان يخز بواقراك

﴿وقال ايضا﴾

لاهم ان المزمع * منع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصلابة * ب وعابديه اليوم آلاك
لا يفلح صليهم * ومحالهم ابداء محالكم جروا جرع بلادهم * والليل كي يسهوا عيالكم
عمروا محالك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالكم ان كنت تاركهم وكه * بمننا فامر ما بدالك *
ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهه بالندم وقد تنهبا لدخول
مكة وعي جبهه وهما فيله وكان اسم القبيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى ابرهه وكان قبلا لم ير مثله
في الارض عظما وقوة وجما وقال الكلب لم يكن عندهم الا ذلك القبيل الواحد فاذن الله تعالى الى آلهم تركيف
فلربك صاحب القبيل وقال الضحك كانت القبيلة كثيرة وبقا كان معه اثنا عشر فيلا (١) واما واحد على
هذا التاويل لوقا في رؤس الآس ويقال نسيهم الى القبيل الاعظم قال فاقبل قبيل الى القبيل الاعظم فاخذ
بأذنه وقال ابرك محمود اوارجهم راشدا من حيث جئت فانك في بلاد الله الحرام فبرك القبيل قبشه فاني ان
يقوم فضر يوه بالمولد في رأسه فاني فادخلوا محاجرهم تحت مراقه ومرافقه ورفعه ليقوم فاني فوجهوه

ونزل ابن الرومي قلت لهم
قال هذه صرة فيها الف
دينار اذ فيها باله لم وقولي
له مولد يقرئك السلام
ويقول لك زدي العمل
ازدك في الاجرة وهذا
عناؤه قالت فاخذت
ذلك منه وانصرف ثم
دخلت وكشفت المائدتين
فوجدت عليهما طاما
طيبا وخبرا كثيرا ونممه
عظيمة ما رايت مثله قط
فبالبه يا ابن عمي عند من
عملت اليوم قلت له اعذر
ملك كريم ما رايك قط
اسخى منه ولا اكرم
عملت عنده شيئا يسيرا
فاعطاني هذا الخير الكثير
فقلت يا ابن عمي اكلت انا
والاولاد فكل انت ونم
فقال ان علي صلاة فاذا
اديت صلاتي تمت ثم اقبل
الى الخراب ولم يلز را كما
ساجدا حتى مضى من
الليل اكثره فقلبه النوم
فام فرأى في النوم كما
واقف بين يدي الله
تعالى وهو يقول
يا ابن الرومي كيف
رايت ما ملتنا قلت خير

١ (قوله واما واحد الخ) المراد ان الافراد في الآية على هذا القول لوقا في رؤس الآس

راجعا الى اليمن فقام يروى ثم وجهوه الى الشام فعمل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق فعمل مثل ذلك فصر فوه
الى الحرم فبركوا بنان يقوم ثم ان تغيل اخرج من عندهم وصعد في الجبل وارسل الله تعالى طيما من البحر
كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منفره أمثال الحصص والمدس
فلم اغشيت القوم ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك
قوله تعالى طير ابايل أي متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور واكف
كاكف الكلاب وقال عكرمة كان هاروس كروس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها انياب
كأنياب السباع وقال سعيد بن جبيرة خضر لها من قير صفر وقال أبو الجوزاء أنشأها الله في الهواء في ذلك
الوقت رميمهم بحجارة من سجيل أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاح الطير ورمتهم بالحجارة
وبه الله ربحا فضربت الحجارة فزادته اقوة فماتت منها حجر على جنب رجل الاخر من الجانب الاخر
واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فخلهم كحصب ما كزل أي كزرع قدأ كل حبه وبقي ثمنه فلما
رأت الحبة شذ ذلك خرجوا هاربين يبتدون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نزيل بن حبيب ليدهم
على الطريق فقال نزيل بن حبيب حين رأى ما نزل الله بهم من نعمة

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

(وقال أيضا في ذلك)

ألا حيث عنا يارديننا * نعمناكم مع الاصباح عينا

ردينة لو رأيت ولم تبه * لدى جنب المحصب مارأينا

إذا لعدتني وحدثت امرى * ولم تأس على ما فات ديننا

حدثت الله إذ عابت طيرا * وخفت حجارة ترمى علينا

وكل القوم يسأل عن نزيل * كان على للجيشان ديننا

وذكر زياد بن عبد الله بن عمر أن طير الايايل كانوا اقبلا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغر
مثل رؤس الرجال واكبرها كالابل البزل مارمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل بنظر الهم من بعض
تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهاكسون على كل
منهل وبه الله تعالى على برهة داه في جسده فجعل تساقط انا له كله اسقطت أئمة أئمتها أئمة وقبح ودم
فانتمى الى صنمها وهو مثل فرخ الطائر فبأهني من اصحابه فاماتت حتى انصرد صدره عن قلبه ثم هلك
وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جرح حديث اصحاب القيل هو ان فئة من قریش خرجوا تجارا
الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سندها حقف من أحقادها يمة لاله صاري تسميها
قریش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسر خسان فزل القوم في سندها فجعلوا حطبا وأججوا
نارا واشتقوا لها فلما ارتحلوا تركوا النار كما في يوم صائف فمجت الرياح قاضطرم الهيكل نارا وانطلق
الصربخ الى النجاشي فاخبره ودافس عند ذلك غضبا عليه فبعث أبرهة طهم الكعبة وكان بمكة يومئذ
أبو مسعود أمثقي وكان مكفوف البصر يصيف بالاناب ويشق بمكة وكان رجلا نبيها انبياءا قلا وكان
لعبد المطلب خليل قال لعبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا تستغني فيه عن رأيك فأرايك فقال أبو مسعود
لعبد المطلب أعمدني مائة من الابل فاجلها هدياته تعالى وقلدها نعلوا بئتها في الحرم لعل بعض هؤلاء
السودان يعمر منها فيضرب رب هذا البيت فأخذهم فقل ذلك لعبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فخلوها
عليها وعقروا بعضها وجمل عبد المطلب يدعوق قال أبو مسعود ان لهذا البيت رباسي منتهى فقد نزل تبع ملك

(٢) (قوله أي سنك كل) لفظ فارسي معربه سجيل

المعاملة فقال يا ابن الرومي
قد زدت لك عشرة الاف
درجة وكتبت لك عشرة
الاف حنة ومحويت
عنك مائة الف سيئة فهل
انت عني راض قلت نعم
يارب فقال يا ابن الرومي
ايسالي اعطك قلت يارب
اسألك ان تعطيني على ما انا
فيه وعليه من قبل ان
تقبضني اليك فقال الله
تعالى اني مقدر الاجال
لا ازيد فيها ولا انقص
وقد بقي من عمرك
تسعة ايام قلت الهسي
احفظني حتي تنوفاني
مسلمسا فقال حفظتك
قلت وعزتك لا زيد في
العمل فقال الله وعزتي
وجلالتي لا عطيتك براءة
من النار ولا سكنتك
جواربي في دار القرار قال
فانتهت من نومي
فحدثت زوجتي بما
رايت فحزنت حزنا
شديدا ثم اني اشتريت
لهاولا ولادها متزلا يا وون
فيه وخادما يتخدم وودع
اخوانه واهله يوم التاسع
ومضي الى محرابه وصلى

الذين يصحراء هذا البيت وأرادهم فنه الله واجلاه واطم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساده القباطي
 البيض وعظمه ونحوه جزراً ثم قال أبو مسعود لم يجد المطاب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيئا فقال أرى
 طيرا بيضا اثبات من جانب البحر وحلفت على رؤسنا له فقال له هل تمر فافعال عبدالمطاب والله ما
 أعرفها ما هي بنجوبة ولا نامية ولا عربية ولا شامية وانها نظير بارضا غير ونة قال ما قدرها
 قال امثال ايعاسب في مناقرها حصي كأنها حصي الجذب قد اقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها من غمامة ام كل
 فرقة طير فتودها المقاتر اسود الرأس طويل العنق فجمت حتى اذا خدعت عسكر القوم ركبت فوق
 رؤسهم فلما نوافت الرجال كما يحياهم أهالت الطير ما في مناقرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم
 صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبح عبدالمطلب وأبو مسعود انحطوا من ذروة الجبل فمشيا ربوة
 فلم يؤنس أحدا منهم انهم امشوا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما مابات القوم سامين فاعجبوا ما لم يادوا من
 مسكر القيل فاذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويضع فيه دماغه فيخرج القيل
 والذابة وتغيب الحجر في الارض من شدة وقعه ثم ان عبدالمطلب أخذ فاسا وحفر حتى اعرق في الارض
 فلما من الذهب الاحمر والجواهر الجديتم حفر لصاحبه حمرة فلامها ثم قال لا يمسود هات خاتمك واخبرك
 فاختر فارشئت اخذت حفرتي وان شئت اخذت حفرتك وان شئت فهو مالك مما فعل له أبو مسعود اختر
 لي على نفسك فقال عبدالمطلب اني جعلت أجود المتاع في حفرتي فهم ولك ثم جلس كل واحد منهم على حفرة
 ونادى عبدالمطلب في الناس فرجعوا وأصابوا من فضلهم حتى ضاقوا بذلك درعا وساد عبدالمطلب بذلك
 على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبدالمطلب غنيين من ذلك المال الى ان ماتا (قال الواقدي)
 باسانيد غزا النجاشي ارياطي اربعة آلاف الى اليمن فغاب عليها فأكراه ملوك واستدل الفقراء فقام رجل
 من الحبشة يقال له ابرهة الاشرم أبو يكوم فدعا الى طاعته فاجابوه فقتل ارياط وغلب على اليمن فرأى
 الناس يتجهزون أيام الموسم للحج بسال أين تذهب للناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فها هو قالوا من
 حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتي من ههنا من اوصاف فقال والمسبح لابن خير امرته فبني لهم بيتا بالرحام
 الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له ابوابا عليها صفائح
 الذهب ومساير للذهب ورصمها بالجواهر وجعل فيها يا قوتة حمرها وجعل لها حجبا وكان يوقد بالمنديل
 ويطبخ جذرانه المأك حتى تغيب الجواهر وامر الناس بحججه فحججه كثير من قبائل العرب سنين ومكث
 فيه رجال يتعدون ويتسكنون فاهل نقييل الخثعمي حتى كان ليلة من اليماني لم ير أحدا يتحرك فجاءه بمذرة
 فلطخ بها قبلته وألقى فيه الخيف فاخبر ابرهة بذلك فغضب ابرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك
 غيظا لاجل بيتهم ثم ان قال لا نفرضه حجرا احجرا ثم انه كتب الى النجاشي يخبره بذلك وبسالة أن يبعث
 اليه بعمله محمود وكان فيله لم ير مثله في الارض عظما وجسما وقوة فيمنه اليه فنزا البيت كما ذكرنا الى أن قال
 اقبلت اليماني من البحر ارباع ميل مع كل طير ثلاثة احجار حجرا في رجله وحجر في منقاره فذفت الحجارة
 عليهم لا تصيب شيئا الا هشته وبعت الله سيلاني اليهم فذهب بهم الى البحر فالفاهم فيه وولى ابرهة ومن
 معه هاربا فجعل ابرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم
 فنجاروا القيلة الا خرقة خذت فخصبت وهلك وهو اول رقت رؤي عليه الجدرى والحصبة وقال
 أمية ابن أبي الصلت في ذلك

فيه ماشاء الله ثم جعل
 وجهه الى الكعبة رقصي
 نوحه ولحق بر بركة الله
 تعالى عليه (وروى عن
 بعض الصالحين رضي الله
 تعالى عنه) ان اسسدا
 دخل في قرية في بني
 اسرائيل فاخذ مناصيا
 فالفاه تلى ظهره واني به
 لي مكانة ليا كاه فملت
 امه بذلك فببرته صائحة
 مستغيفة فبينما هي كذلك
 اذ ظهر فارس وعليه ثوب
 ابيض وعمامة بيضاء
 ويده رمح فقال
 للاسد يا ابا الحارث
 ضع الولد وامض
 بسلام فلما سمع الاسد
 ذلك منه اتى الولد عن
 ظهره ودخل مكانه ولم
 يتضرر له بسوء فقامت امه
 للفارس من انت الذي
 احببت ولدي فقال المالك
 الموكل بالرحمة ارساني الله
 عز وجل الى ههنا الاسد
 لاختص ولدك منه كما
 رحمت يوم كذا وكذا
 مسكينا وتصدقته عليه
 بقرص من الخبز فانهما
 لاقاه ففرحت المرأة ذاك

ان آيات ربنا بينات * ما عارى بين الا الكفور
 حبس القيل بالمفس حتى * ظل يحبو كأنه معفور
 حوله من رجال كندة فتان * مصاليب في الحروب صفور

غادره وقد تولوا سراعا * كاسم عظام ساقه مكسور

وقال الكلبي لما اهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا برهه الاشرم بن بكسوم فساروطا نريط فوقه ولم
شمر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما اصابهم فاستتم كلامه حتى رماه الصار فسقط ميتا تارى الله
النجاشي كيف كان هلاك اصحابه (وقال الواقدي) كان ابرهة جند النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم وآمن به (واختلفوا في تاريخ عام الفيل) فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبي صلى
الله عليه وسلم باربعمائة سنة وقال عبيد بن عمير والكلبي كان قبل مولده ثلاث وعشرين سنة وقال آخرون
كانت قصة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح
يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد المزي بن ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الحوزاء
قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لنيات بن أسيم السكيتي يا غياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا اسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل
ووقعت بي امي على روث الفيل ويدل عليه ايضا ما روى ان عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قاتر الفيل
وسأله بحكمة اعلمين مقعد بن يستطعمان فلما كفى الله امر اصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقانوا
أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل اعلم واحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين

الحمد لله الذي قص علينا في كتابه الحكيم من اخبار الانبياء والمرسلين ما به عبرة لكل ذي قلب سليم
ليستيقظ الغافلون ويعام الجاهلون والصلوة والسلام على من اظلمه على ما كان وما يكون وآله
ذوي العلوم الدينية واصحابه المستضيئين بانوار معارفه الالهية

*) (وبعد) فقد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب قصص الانبياء الموسوم بالعراس الحاوي من
الاخبار نفائس النفائس للفاضل والاوزاعي السكامل أبي اسحاق احمد بن محمد الدمشقي رحمه
الله وأذابه رضاء

وقد تحلّت طرره وشيت غره بكتاب روض الراحين في مناقب اصالحين للإمام الياقني
رضي الله عنه وارضاه وجمال الجنة متقلبه وشمواه وذلك عطمة العلوم الاديبه في سنة ١٣٤٤
من هجرة بدر الباه عليه وعلى آله واصحابه افضل صلاة وازكى سلام آمين

واخذت ولدا
وانصرفت (وروي) ان
النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الصدقة
لا تدفع البلاء المبرم
النازل من السماء (وروي)
عائشة رضي الله عنها عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال السخاء شجرة
اصلاها الجنة واغصانها
متدلية في الدنيا فمن تعلق
بفصل منها جره الى الجنة
وان البخل شجرة اصلاها
في النار واغصانها متدلية
في الدنيا فمن تعلق بفصل
منها جره الى النار (وقال)
صلى الله عليه وسلم البخل
بيد من الله بيد من الجنة
قريب من النار والسخي
قريب من الله قريب من
الجنة بعيد من النار اجارنا
الله منها ومن عذابها ومن
كل عمل يقر بنا اليها آمين



فهرست

(كتاب قصص الانبياء للعلامة ابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رضي الله عنه ونفعنا به آمين)

صفحة	محتوى
٢	باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين
٣	مجلس في صفة خلق الارض وفيه سبعة أبواب
٤	الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها الباب الثاني في حدود الارض ومساقها واما بقاها وسكانها
٦	الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض
٧	الباب الرابع في ذكر اسمائها واقبالها الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض الباب السادس في عاقبتهم او ما لها وآخر حالها الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن
٨	مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به وفيه سبعة أبواب
٩	الباب الاول في بدء خلق السموات الباب الثاني في جواهرها وأجناسها الباب الثالث في هيئتها وحدودها الباب الرابع في اسمائها واقبالها
١٠	الباب الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء فيها
١٢	الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات
١٣	الباب السابع في ذكر ما لها وآخر حالها مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما
١٧	مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
١٨	الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة
١٩	في خلق الخلق وخلق آدم عليه الصلاة والسلام الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
٢٠	الباب الثالث في صفة نفخ الروح فيه
٢١	الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام
٢٢	الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه
٢٣	الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه
٢٤	الباب السابع في ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة
٢٥	الباب الثامن في ذكر ما روي في الاخبار فيمن رأى له ابليس فرأى آذانه وكله شفاها
٢٦	الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل
٢٧	الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام باب في الخصائص التي خصه الله بها
٢٨	مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام قصة هاروت وماروت
٢٩	مجلس في قصة نوح عليه السلام ذكر خصائص نوح عليه السلام
٣٠	مجلس في قصة هود عليه السلام
٣١	مجلس في قصة صالح عليه السلام
٣٢	مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمرود
٣٣	الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام
٣٤	الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من المرب ورجوعه الى قومه الخ
٣٥	الباب الثالث في ذكر مولد اسماعيل واسحاق عليهما السلام ونزول اسماعيل وأمه هاجر الحرام وقصة برزمرم
٣٦	الباب الرابع في القول على بقية قصة برزمرم
٣٧	الباب الخامس في صفة بناء الكعبة الخ

٦٢ الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليفه ابراهيم عليه السلام بذبح ولده

٦٣ قصة الذبح وصفته وفعل سيدنا ابراهيم بابنه عليهما السلام

٦٥ الباب السابع في هلاك النمرود بن كنعان وقصة بناءه الصرح

٦٦ الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر الباب التاسع في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام

الباب العاشر في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام

٦٨ مجلس في ذكر بعض اخبار اسماعيل واسحاق ابني ابراهيم عليهما السلام

٦٩ مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته

عليهم الصلاة والسلام وفيه بيان الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام

الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته

٧٤ القول في القصة ٩٦ مجلس في قصة يوسف بن ميثان يوسف مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد

وشداد وصفة ارم ذات العباد

١٠٠ مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس ١٠٣ مجلس في قصة أيوب نبي الله عليه السلام

١١٠ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام ١١١ مجلس في قصة شعيب عليه السلام

١١٢ مجلس في قصة نجي الله موسى بن عمران الباب الاول في ذكر نسبه

الباب الثاني في ذكر مولده ١١٦ الباب الثالث في ذكر حلية موسى وهارون عليهما السلام

الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه

من مصر ووروده مدين

١١٧ الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنة اياه

١١٨ الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى النخ ١١٩ الباب السابع في صفة المارب التي كانت

له فيها ١٢٠ الباب الثامن في خروج موسى من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الي

فرعون ١٢٣ الباب التاسع في دخول موسى وهرون على فرعون

١٢٤ الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة النخ

١٢٦ الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامراته وأولاده وهم مقتلهم

١٢٧ الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها

الباب الثالث عشر في بناء الصرح ١٢٨ الباب الرابع عشر في ذكر الايات التي

ابتلى الله بها فرعون وقومه ١٢٩ باب في صفة تنزيل هذه الايات وتفصيلها النخ

١٣٠ فصل في ماورد من الاخبار في الجراد ١٣٢ الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى

عليه السلام ببني اسرائيل وخبر قتل البحر لهم

١٣٣ فصل في اسرائه ببني اسرائيل من مصر النخ

١٣٥ الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لملاقات ربه وصفة ايتاء

الله تعالى له الاواح ١٣٨ فصل في نسخة العقر السككيات التي

كتبها الله تعالى لموسى نبيه النخ ١٤٠ باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون

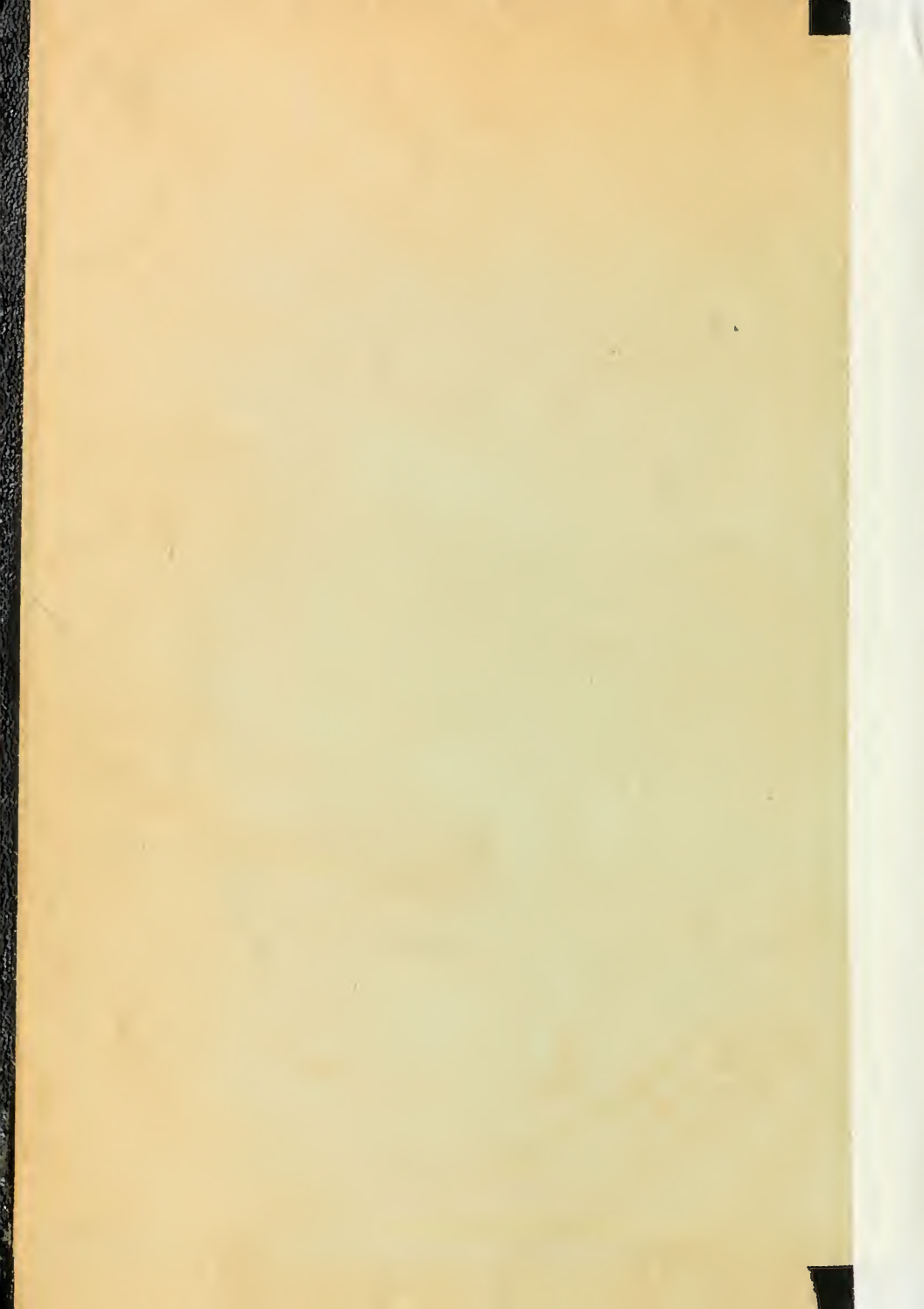
مع السامري حين اتخذهم المعجل

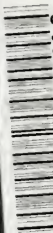
صحيفة	صحيفة
١٨٦ باب في قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالسير الى قتال جالوت مع بني اسرائيل وصفه نهر الابلقاء	١٤٤ باب في قصة قارون حين عصاره الخ
١٨٨ باب في ذكر داود وخبر جالوت	١٤٧ باب في قصة موسي حين لقي الخضر الخ
١٩٥ مجلس في خلافة داود عليه السلام	١٤٨ فصل في ذكر جل من أخبار الخضر
باب في ذكر نسبه	١٤٩ فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام
باب في ذكر كصفته وحليته	١٥٦ باب في ذكر قصة عاميل قتل بني اسرائيل وقصة البقرة
باب في ذكر ما خص الله تعالي به نبيه داود	١٥٨ باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة الخ
باب في قصة داود عليه السلام	١٥٩ باب في ذكر مثير بني اسرائيل الي الشام حين جاؤوا البحر وصفه حرب الجبارين الخ
١٩٣ باب في ذكر خروج ابن داود علي أبيه	١٦٠ فصل في فضل الشام وأهله
باب في قصة أصحاب السبت	ذكر قصة بلعام بن باعوراء
١٩٨ باب في ذكر خروج ابن داود علي أبيه	١٦٣ باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسي ليكونوا كفلاء علي قومهم الخ
باب في قصة داود وسليمان في الحرب	فصل في اخبار عوج بن عنق
١٩٩ باب في قصة استخلاف داود ابنه سليمان	١٦٥ باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها علي بني اسرائيل في التيه الخ
٢٠٠ باب في ذكر وفاة داود عليه السلام	١٦٦ باب فتح أريحا ونزول بني اسرائيل الي الشام
٢٠٢ مجلس في قصة سليمان عليه السلام	قصة وفاة هرون عليه السلام
باب في صفته وحليته عليه السلام	١٦٧ ذكر وفاة موسي عليه السلام
باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك	١٧٣ مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
٢١٠ حديث القبه	ذكر خبر حزقيل عليه السلام
٢١١ قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء	١٧٥ باب في قصة الياص عليه السلام
صفة كرسى سليمان عليه السلام	١٧٩ قصة اليسع عليه السلام
صفة بنيانه وبدء أمره	١٨٠ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
٢١٥ باب في قصة بلقيس ملكه سبأ والهدهد	١٨١ مجلس في قصة عيلي وشمويل الخ
٢١٧ صفة القصر الذي بنته بلقيس	فصل في سياق الآية ومقدمة القصة
صفة عرشها	١٨٢ القول في بدء أمر شمويل وصفه نبوته الخ
٢٢٣ باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجراده وخبر الشيطان الذي كان أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه	١٨٣ ذكر قصة الملك طالوت واتبان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام	١٨٤ قصة التابوت وابتداء أمره الي انتهائه
٢٢٦ باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام	
٢٢٧ مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به	

- ٢٦٣ قصة شعيب عليه السلام
١٣١ قصة أرميا عليه السلام
٢٣٤ قصة دانيال عليه الصلاة والسلام
٢٣٦ خبر وفاة دانيال عليه السلام
٢٣٨ باب في ذكر الذي مر علي قرية الخ
٢٤٠ باب في ذكر تمام قصه عزيز عليه السلام الخ
٢٤١ مجلس في ذكر غزوة بخت نصر العرب وقصه
يوحنا وخراب حضور
٢٤٢ مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه
السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته
ووصيته لابنه
باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان
ومواعظه المذكورة في القرآن
٢٤٤ مجلس في قصة بلوقيا
٢٤٩ مجلس في قصة ذي القرنين
باب في نسبه ولقبه عليه السلام
باب في قصة ذكر بدء أمره وسبب استكمال
ملكه
٢٥٠ باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام
ذي القرنين بعد قتل دارا ووصف سيره الي
البلاد الواقعة
٢٥٣ باب في قصة سد ذي القرنين وما يتعلق به
٢٥٤ باب في دخول ذي القرنين الظلمات
مياطي القطب الشمالي للطلب عين الحياه
٢٥٧ مجلس في قصه ذكر يا وابنه يحيى ومريم
وعيسى عليهم السلام
نسب ذكر علي عليه السلام
باب في ذكر مولد مريم عليها السلام
٢٥٩ باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام
٢٦٠ باب في صفته وحليته عليه السلام
فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده
٢٦٢ باب في مقتله عليه السلام
٢٦٣ ذكر مقتل زكريا عليه السلام
- ٢٦٣ مجلس في مولد عيسى وفي حمل مريم به
باب في ذكر مولده عليه السلام
٢٦٦ باب في رجوع مريم بابنها عيسى عليه
السلام بعد ولادته الي جماعة قومها من
بيت لحم
٢٦٧ باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما
السلام الي مصر
٢٦٨ باب في قصة عيسى وحليته عليه السلام
باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت
لعيسى عليه السلام من صباه الي أن نبى
٢٦٩ باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما
السلام الي بلادهما بعد موت هر دوس
٢٧٠ باب في قصة الحوار بين عليهما السلام
٢٧١ ذكر خصائص عيسى عليه السلام
والمعجزات التي ظهرت علي يديه بعده بعث
الي أن رفع صلوات الله وسلامه عليه
٢٧٣ ذكر حديث جامع في هذا الباب
٢٧٧ نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة ايام
٢٧٨ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام
ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في
المرّة الثانية في سحر الزمان
٢٧٩ باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم
عيسى عليهم السلام الي انطاكية وذلك
في أيام ملوك الطوائف
٢٨٠ قصة يونس بن متى عليه السلام
٢٨٣ باب في قصة أصحاب الكهف
٢٩٥ مجلس في ذكر جرح حس عليه السلام
٢٩٩ باب في قصة شمسون النبي عليه السلام
٣٠٠ باب في قصة أصحاب الاخدود
٣٠٢ باب في قصة أصحاب القيل وبيان ما فيهم من
الفضل والشرف لسيدنا ونبينا محمد صلي
الله عليه وسلم









3 1761 05346844 3